البدو

الجزء الأول

ما بين النهرين "العراق الشمالي" وسورية

تأليف

ماكس فرايهير فون أوبنهايم

آرش برونيلش و فرنر كاسكل

تحقيق وتقديم

ماجد شبر



البدو

الجزء الأول
ما بين النهرين "العراق الشمالي" وسورية

تأليف
ماكس فرايهير فون أوبنهايم
آرش برونيلش و فرنركاسكل

ترجمة الجزء الأول: ميشيل كيلو ـ محمود كبيبو
تحقيق وتقديم ماجد شبّر

شركة دار الوراق للنشر المحدودة
المملكة المتحدة ـ لندن

الطبعة العربية الأولى 2004

لشركة دار الوراق للنشر المحدودة ـ المملكة المتحدة

First edition Published in Arabic by Al Warrak publishing Ltd. UK in 2004
ISBN (Volume one) 1 900 700 36 0

الطبعة العربية الثانية 2007

التوزيع

Al Warrak publishing Ltd.
56 Gloucester Road
Suite 500
London SW7 4UB -UK
Tell. 00 44 208 723 2775
Fax. 00 44 207 281 9213
www.alwarrakbooks.com
e-mail: warraklondon@hotmail.com

الفرات للنشر والتوزيع
ص.ب 6435 ـ 113 بيروت ـ لبنان
هاتف: 750054 - 1 - 961
فاكس: 750053 - 1 - 961
e-mail: Info@alfurat.com

البدو

Max Freiherr von Oppenheim

Die Beduinen

Unter Mitarbeitung von

Erich Bräunlich und Werner Caskel

Band I

Die Beduinenstämme in Mesopotamien und Syrien

OTTO HARRASSOWITZ
1939 Leipzig

GEORG OLMS VERLAG
1983 Zürich

(ISBN 3487 07348 x)

First edition Published in Arabic by Al Warrak publishing Ltd. UK in 2004
Second edition 2007

The Publication of this work was supported by a grant from the Goethe-Institut Inter nationes

ساهمت مؤسسة غوتا - إنترناسيونس مشكورة في بعض تكاليف هذه الترجمة

ISBN (Volume one) 1 900 700 36 0

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والتقدير لكل من ساعدنا في تحقيق الكتاب ومراجعته من خلال توفير المصادر والمراجع ونخص بالذكر الأستاذ بيتر كولڤن أمين عام مكتبة جامعة لندن للدراسات الشرقية والإفريقية (SOAS)؛ الذي لم يتوان عن توفير أغلب المصادر التاريخية التي اعتمدها المؤلف ومساعدوه باللغة العربية والإنكليزية.

وكذلك أشكر الدكتور عبد الله العذري الذي لم يتردد في تقديم المعلومات والوصول إلى المصادر.

كذلك أشكر الدكتور وولف ليمكا أمين مكتبة المعهد الألماني للأبحاث الشرقية.

وكذلك الأستاذة غيلبرت توتشمان (كاتبة سيرة أوبنهايم) بتزويدي بمعلومات قيّمة والسماح لي بالاطلاع على مخطوطات ودراسات أوبنهايم. ولا بد من شكر الأستاذ محمود كبيبو المترجم البارع الذي بذل جهداً كبيراً في ترجمة الكتاب والذي لم يملّ من كثرة ملاحظاتي المملّة أحياناً. وأخيراً لا بدّ من شكر الدكتور إبراهيم الحيدري على جهوده.

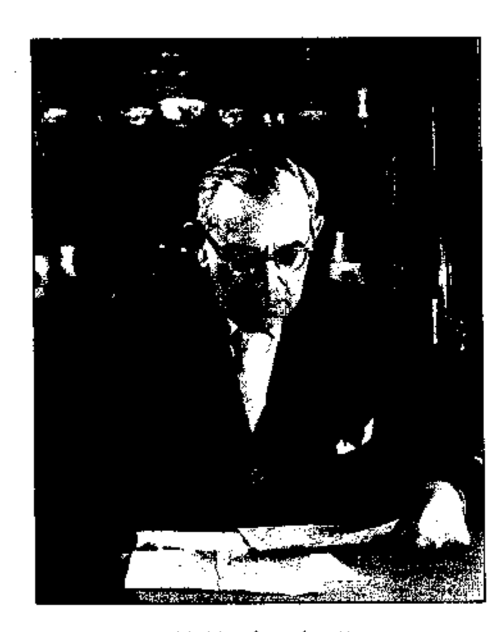
المؤلف ومساعدوه



البارون ماكس فرايهير فون اوبنهايم



البروفسير آرش برونيلش



البروفسير فرتر كاسكل

السلام الي من تقيد الكتاب ويفهم الجلوب من كافه الجد وشمر وغيرهم
من خصوص نا اجل الخط فهو من اشرف الاخوان والامثال فنصرحاكم قطعة المانيا باروسا
يمسى أنه معايم وبادر في طريق السياحه بين في الدولة العليه ابد هارب البريه يتشرف في الولايات
المجاورات موصل وبغداد والبصره والذي يشوطه او يعارضه على غير رضاه فهو المذنب الخاطي
ولا يكسب الا الغضب من كل الوجيه ولاجل هذا عرضنا النصايح لمن يسمع الكلام والختام

والمومى اليه كان في بيتي ضيفا
وعقدنا المحبه والصداقه والحمد
[illegible] وصار الكرامه من اكرامنا

توصية من الشيخ فارس بك (قائم مقام شمر) الى المؤلف لتسهيل مهمته.

المساهمون في الجزء الأول

* تحقيق ومراجعة وتدقيق: ماجد شبّر.
* ترجمة: ميشيل كيلو ـ محمود كبيبو.
* مراجعة: إبراهيم الحيدري.
* التصحيح اللغوي: نور الدين أحمد ـ عبد الرزاق الدجيلي.
* التنضيد والصف والإخراج: زهرين ـ بيروت.
* المتابعة والإشراف: ماجد شبّر.
* إعداد وتصميم بعض مشجرات القبائل: ماجد شبّر.
* تصميم الأغلفة: جبران مصطفى.
* الخطوط: الخطاط بعيون.

الفهرس الجزء الأول

القسم الأول

بلاد ما بين النهرين «العراق الشمالي»

القسم الثاني

سورية

تقديم الطبعة الثانية

يسرّني أن أقدم هذا التقديم القصير للطبعة الثانية من كتابنا هذا «البدو»، لقد لاقى هذا الكتاب عند صدوره صداً كبيراً وطيباً، بالدرجة الأولى من قبل الجهات الألمانية، فقد جاء أول ثناء وتقييم من قبل معرض فرانكفورت الدولي ـ لدورة عام 2004م سنة العالم العربي للثقافة ـ ، فقد اعتبر هذا الكتاب من أفضل الكتب الألمانية التي ترجمت إلى اللغة العربية، وقامت مؤسسة هروسفت المتخصصة بالدراسات والبحوث الشرقية بتقديم الشكر والثناء على نشر الكتاب وتحقيقه، وكذلك معهد غوتا، وكما أقام المعهد الألماني للدراسات والبحوث الشرقية في بيروت ندوة خاصة عن الكتاب شارك فيه مجموعة من الباحثين الألمان وغيرهم، كما قامت مؤسسة أوبنهايم بتقديم الشكر على إنجاز هذا الكتاب، ولا أنسى التقييم الإيجابي لعشرات الباحثين الألمان لهذا العمل.

أما في العالم العربي فقد لاقى هذا الكتاب صداً طيباً وثناءً من لدن القراء والباحثين العرب.

ولا بدّ هنا من تقديم الشكر لكل الأخوة العرب الذين أبدوا ملاحظاتهم على الكتاب. لقد استفدت كثيراً من تلك الملاحظات التي أبداها بعض من الإخوة فيما يتعلق بأسماء فروع بعض القبائل وكذلك أسماء بعض الأماكن، كما استفدت كثيراً من المعلومات التي حصلت عليها عن كثيرٍ من القبائل.

بعد صدور الطبعة الأولى وجدت أن هنالك بعض الأخطاء المطبعية الغير

مقصودة وكما وجدت أن هناك اختلاف في كتابة أسماء بعض فروع القبائل بين النص الألماني والنص الذي تسمي القبائل نفسها بها، على سبيل المثال وجدنا اسم الخرصان وهو فرع من قبيلة العجمان قد ورد بالنص الألماني الفرسان لذا تمّ تصحيح الاسم إلى خرصان. .

لقد قمت بإضافة بعض الهوامش والشروح التي وجدت من المناسب إضافتها لإغناء النص، كما قمت على إضافة مشجرات نسب جديدة لبعض القبائل والتي وضعتها في المجلد الخامس. .

وأخيراً لا يخفى على القارئ اللبيب الصعوبات التي واجهناها من كتابٍ بهذا الحجم وبما يضم مئات الآلاف من أسماء القبائل وفروعها وأفخاذها ومن أسماء الأعلام والشيوخ وغيرها، لقد عملت جاهداً كي أتجاوز كل الأخطاء التي وقعنا فيها في الطبعة الأولى وأرجو من القراء الكرام قبول هذه الطبعة بقبول حسن.

ماجد شبّر

تقديم موجز للكتاب والترجمة إلى اللغة العربية والأشخاص الذين تولوا الترجمة والتحقيق والتدقيق

ما من وصف للكتاب أدقّ مما قاله المؤلف نفسه. ففي مقدمة الجزء الأول يقول ماكس فرايهرفون أوبنهايم: «إن هذا الكتاب حصيلة أربعين عاماً من العمل والملاحظات والتسجيلات الشخصية التي قمت بها في عين المكان». ويندر أن انشغل شخص بالشرق مثل أوبنهايم. فقد قضى عقوداً عديدة في المنطقة وجمع ميدانياً من أرض الواقع المواد والخبرات لكتبه عن المنطقة وخاصة «البدو». على الرغم من ذلك، ظل عمله الفريد من نوعه بلا ترجمة إلى اللغة العربية حتى الآن.

شارك في ترجمة الكتاب وتدقيقه لغوياً وعلمياً العديد من الأشخاص المتخصصين الذين لديهم خبرة طويلة في الترجمة وفي فهم الثقافتين العربية والغربية لا سيّما الألمانية. من هؤلاء الأشخاص نخص بالذكر التالين:

1 ـ ميشيل كيلو (ترجم الجزء الأول بمشاركة محمود كبيبو)، صحفي سوري يعيش في دمشق. درس السيد كيلو في ستينيات القرن العشرين العلوم السياسية في جامعة القاهرة وجامعة مونستر (وستفاليا)، ثم درس الصحافة في جامعة ميونخ.

2 ـ محمود كبيبو (ترجم الأجزاء 2، 3، 4، وشارك في ترجمة الجزء لأول). درس السيد كبيبو العلوم الاقتصادية في جامعة فريدريش فيلهلم في بون

(1963 ـ 1968 / 1969 ـ 1987) عمل في سورية وكان خلال هذه الفترة يترجم باستمرار دراسات وتقارير صحفية وغير ذلك لأغراض وجهات مختلفة من بينها سفارة جمهورية المانيا الاتحادية في دمشق.

في عام 1987 عاد إلى ألمانيا. ومنذ ذلك الحين انشغل بشكل مكثف بالترجمة من اللغة الألمانية إلى اللغة العربية. فترجم عدة كتب علمية، من بينها:

ـ الطوطم والتابو لزيغموند فرويد بالاشتراك مع بو علي ياسين.

ـ في البدء كان الهيدروجين، هويمارفون ديتفورت.

ـ عبد الله القصيمي، من أُصولي إلى ملحد، يورغن فازلّا.

ومنذ عام 1990 ترجم كثيراً من منشورات الحكومة الألمانية باللغة العربية، وعلى رأسها:

ـ مجلة «دويتشلاند» التي كانت تصدر مرة كل شهرين (68 صفحة).

ـ الكتاب السنوي «حقائق عن ألمانيا» (500 صفحة).

ـ منشورات أخرى للحكومة الاتحادية ووزارة الخارجية الألمانية.

3 ـ ماجد عبد علي ناجي شبر، كاتب وباحث من العراق يعيش في لندن قام السيد شبر بنشر العديد من الكتب باللغة العربية. نذكر منها:

ـ الأدب الشعبي العراقي.

ـ المقام العراقي (الموسيقى الفولكلورية).

ـ القصص الشعبية العراقية.

ـ ثورة 14 تموز وتأثيراتها الاجتماعية.

السيد شبر واحد من المتخصصين بالدراسات الفولكلورية وكذلك بشؤون البدو. فمنذ 20 عاماً أخذ يهتم اهتماماً مكثفاً بتاريخهم وأنسابهم وطريقة حياتهم، وما يتصل بها من القضايا. إنه في الحقيقة يُعد طاقة متميزة في هذا المجال ساهمت

مساهمة حاسمة في جعل الدار تتجرأ على نشر هذا العمل الكبير باللغة العربية. السيد ماجد شبر خريج جامعة بغداد ـ 1979/ 80/ وباحث حر في جامعة لندن ـ الدراسات الشرقية منذ عام 1990 وإلى الآن، فضلاً عن ذلك فقد كتب السيد شبّر مقدمة مطولة للترجمة العربية لها أهمية كبيرة لفهم الكتاب هذا والتعامل معه بطريقة صحيحة.

تتألف المقدمة باختصار من النقاط الرئيسية التالية:

1 ـ تقديم مسهب للمؤلف والكتاب.

2 ـ توضيح المكانة المتميزة للكتاب بين الكتب الأخرى المتعلقة بالقبائل والعشائر.

3 ـ شروحات تساعد على فهم الكتاب وفهم العلاقات المعقدة بين القبائل المختلفة. ولهذا الغرض كان من الضروري بشكل خاص إعداد وتصميم مشجرات النسب، الأمر الذي تطلب جهداً كبيراً ودقة متناهية في العمل.

لقد قام أوبنهايم في هذا، بعمل كبير لا يضاهيه به أحد قبله وإلى حدّ يومنا هذا، حيث إنه كتب أسماء جميع القبائل والشيوخ والمواقع بالأحرف اللاتينية بطريقة تجعل إعادتها إلى اللغة العربية ولفظها باللغة العربية ممكنة بطريقة قريبة جداً من الصحة. ولكن مع ذلك تطلب إعادة الأسماء إلى اللغة العربية قدراً كبيراً من الدقة والانتباه، وهذا ما قام به السيد شبر.

فقد دقق جميع الأسماء وجميع النصوص (أبيات شعر، أقوال مأثورة، صيحات حرب، وغير ذلك) التي كتبها أوبنهايم نفسه باللغة العربية (ولكن بأحرف لاتينية) وتأكد من صحة إعادتها إلى اللغة العربية.

وختاماً يمكن القول إن الكتاب سيصدر باللغة العربية بصيغة ممتازة.

محمود كبيبو

برلين

تقديم الطبعة العربية

صدّر البارون أوبنهايم كتابه بمقدمة وافية، تجلت بأوضح صورة وأشملها، مقدماً تاريخ مشروعه ومحتوى مادته. يقول أوبنهايم عن أهمية الكتاب: «سيقدم كتابنا هذا معطيات إلى كل من يبحث عن معلومات حول سائر المسائل المتعلقة بأبناء الصحراء»[1]، والتي تعني كل المعطيات التاريخية والسياسية والاقتصادية والأنثروبولوجية والاجتماعية وكذلك وصفاً للطبيعة الجغرافية.

من المعروف أنَّ لكل عمل مشاكله، فكيف الحال في هذا العمل الكبير الضخم من ترجمة وتحقيق وتدقيق، والذي عملنا فيه جاهدين، آملين أن يخرج بأكمل صورة، يقول رسول الله ﷺ «رحم الله امرءاً عمل عملاً فأتقنه»، اتباعاً لطريق عمل المؤلف ومساعديه في إعداد هذا العمل الشامل والدقيق، كان علينا أن نحذو حذوهم، ونتلافى فيه أخطاء الترجمة حسب المقدرة وذلك من خلال مراجعة الكتاب، وتحقيق نصوصه وتدقيق الأسماء وتصحيح ما وقع فيها من تحريف.

إن كتاب البدو هذا الذي بين أيدينا بأجزائه الأربعة هو حصيلة جهد عظيم وكبير قام به المستشرق الآثاري، والسياسي، والقانوني، والدبلوماسي البارون

1) أوبنهايم، البدو الجزء الأول ص51.

ماكس فون أوبنهايم، وساعده وشاركه فيه عالمان ألمانيان جليلان هما البروفسير ايريش برونيلش، والبروفسير فرنر كاسكل، وبمساعدة مجموعة كبيرة من الأشخاص المتمكنين، الذي جعلوا هذا المشروع قابلاً للتنفيذ لكي يخرج بهذا الشكل الفخم الواسع.

إن كتاب البدو هذا يعدُّ من أجلّ الدراسات وأكثرها عمقاً في فهم القبائل البدوية ودراستها دراسة تاريخية اجتماعية واقتصادية وسياسية وأنثروبولوجية. وهو يقدم معلومات شاملة وفريدة من نوعها عن تاريخ القبائل وأصولها وأنسابها وهجراتها والترابط القائم بينها.

يقول المؤلف: «إنّ هذا الكتاب حصيلة أربعين عاماً من العمل والملاحظات والتسجيلات الشخصية التي قمتُ بها في عين المكان»[1]. وقد صدر الجزء الأول والثاني من الكتاب في حياة مؤلفه أوبنهايم، ومساعده بروينلش، أما الجزء الثالث والرابع، فقد أخذا عشرين سنة أخرى لكي يُبصرا النور، بعدما أشرف عليهما ونقحهما وأضاف إليهما إضافات مهمة البروفسير كاسكل.

ذكر المؤلف أنه سار باتجاهين في إعداد الكتاب:ـ

الأول: إنجاز دراسة وافية للحياة المادية والثقافية للبدو.

الثاني: متابعة أعرافهم وعاداتهم ومراقبة حياتهم داخل الأسرة والقبيلة وحيال المنتسبين إليهم وتدوين مأثورات وأساطير قبائلهم. وكذلك تدوين ملاحظات مهمة حول الحياة الداخلية لهذه القبائل، من سلطة الشيوخ والأعراف البدوية وعادات الأعراس والزواج وحق الضيافة والحماية (الإجارة) وكذلك الاهتمام بالحياة الدينية[2].

وعلى وفق هذين الاتجاهين، قام المؤلف بدراسة عادات وتقاليد القبائل

---

(1) أوبنهايم، البدو الجزء الأول ص51.

(2) أوبنهايم، البدو الجزء الأول ص62.

البدوية في المناطق التي توجد فيها تلك القبائل، من ذلك ما ذكره عن منطقة سيناء، والأردن. حيث سجّل بعض العادات والتقاليد البدوية والتي منها على سبيل المثال اجتماع أفراد أحد القبائل حول قبر أحد الأشخاص وسبّه سباً مقذعاً، أو ذبح بعض الأضاحي ورمي أجزائها في البحر، بالإضافة إلى قيامه بتسجيل الحكاوى المتعلقة بأصول بعض القبائل، فسجّلها كما رويت له مختلطة بها الأسطورة والتاريخ. لقد قام المؤلف بتسجيل تلك الحكايات، لكنّه وقف منها موقف الباحث الذي يتوخى الجانب العلمي. كمثال على ذلك، إن الحكاية التي تدعيها قبيلة البقارة في سورية لإثبات نسبها إلى الإمام محمد الباقر، هي من تلك الحكايات الأسطورية التي يقوم بتحليلها ومن ثم تفنيد علة ربط ذلك النسب.

ومن خصائص هذا الكتاب أيضاً، قيامه بمعالجة القبائل من الناحية الجغرافية، فهو يقوم بتصنيف القبائل المختلفة إلى مجموعات بحسب المناطق الجغرافية المختلفة على خلاف ما هو متبع في كتب الأنساب. إن المساحة الجغرافية التي يشملها البحث كبيرة من حيث تتوزع بين العراق، سورية، المملكة العربية السعودية بأقاليمها (الحجاز ونجد والإحساء)، وبين الكويت، قطر، البحرين، الإمارات، الأردن، فلسطين، سيناء بالإضافة إلى قسم من القبائل التي تعيش داخل تركية الحالية، وكذلك قبائل وعشائر عربستان أو ما يطلق عليه خوزستان إيران. بل يمكن القول إنه يتناول كل القبائل العربية في آسية.

لقد صدر عدد من الكتب التي تبحث في موضوع القبائل والعشائر بأسلوب أكاديمي ولكن أغلبها يقتصر بحثها على قبيلة واحدة، أو جزء من قبيلة كحال دراسة قبيلة الرولة أو يشمل منطقة جغرافية محدودة. وما قام به الباحث الكبير البروفسير موزيل في كتبه المهمة والتي تندرج تحت نفس العنوان العلمي الرصين ومع ذلك فإنها أقرب إلى كتب الرحلات التوثيقية منها إلى الأنساب، كمناطق (وسط الفرات) والبترا و(شمال نجد) و(عادات وتقاليد الرولة) والصحراء العربية.

هناك ناحية مهمة أخرى في تاريخية هذا البحث ألا وهي الفترة الزمنية المدار التي بحث فيها المؤلف «البدو» حيث تعد فترة فاصلة ومهمة في تاريخ

البدو بشكل خاص والمنطقة العربية بشكل عام. وهي الفترة الزمنية التي بدأت قبل عملية توطين القبائل البدوية، وقبل أن ينتشر نفوذ وسلطة الدولة التي قامت بعد الحرب العالمية الأولى.

يمكن القول إنّ صورة البداوة جليةً، كما تمكن المؤلف من مشاهدتها ميدانياً وتسجيل مفاهيمها وقيمها وعاداتها، والتي استمرت سائدة منذ آلاف السنين، كانت ماثلة أمامه. يقول المؤلف: «لا تختلف حياة البدو اليوم عن الحياة التي كان قد وصفها شعراء ومؤرخو العصر العربي القديم. من جانبها بقيت سهوب الصحراء هي ذاتها منذ آلاف السنين وكذلك بقي البدو شعب أسياد أصلاء، بدائياً، وحشياً، محارباً لم تمسه الحضارة الأوروبية بعد»[1]

مكانة كتاب البدو بين الكتب

هناك تساؤل يتردد هو: هل هناك علاقة لبعض أسماء القبائل والعشائر المعاصرة مع القبائل والعشائر القديمة؟ وهل إن تشابه تسميات بعض القبائل المعاصرة لبعض القبائل القديمة، استعارة لتلك الأسماء أم هناك رابط يربطها خصوصاً بعدما ظهرت أسماؤها مجدَّداً بعد اختفائها زمناً طويلاً. كما أن هناك قبائل وعشائر ظهرت حديثاً، لم نجد لها ذكراً في كتب الأنساب القديمة فمن أين أتت؟!.

هذه التساؤلات وغيرها كانت دوماً موجودة. عند مراجعة كتب الأنساب القديمة، مثل جمهرة النسب لابن الكلبي ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي وجمهرة الأنساب لابن حزم الأندلسي، وعشرات غيرها، لكنها لم تكن لتغطي الإجابة على تلك التساؤلات أو ربما تجد إجابة عن مرحلة أو فترة زمنية محدّدة، دون وجود ترابط وتناسق بالمعلومات، بل إنَّ مادتها مشتّتة، بالرغم من أن قسماً من كتب الأنساب هي كتب تاريخية أصلاً تناثرت بين طياتها أخبار عن

(1) أوبنهايم، البدو، الجزء الأول، ص81.

القبائل. وعند البحث في الكتب الحديثة فإنَّ أغلبها قليلة المادة، وربَّما تعالج الأمور بسذاجة، وهي عبارة عن حكايات عن أُصول القبائل، وهجرات لم تستند على التوثيق التاريخي بأسلوب يكثر فيه الإطراء والتفخيم والتعظيم وهي أشبه بحكايات السمر منها إلى التاريخ.

إن الكتب التي تبحث بموضوعية ومنهجية علمية عن تاريخ وهجرات وأصول أنساب القبائل العربية وعشائرها الحديثة وعلاقتها بالقبائل والعشائر العربية القديمة تكاد أن تكون لا وجود لها في المكتبة العربية. لهذا فإننا اليوم في أمسّ الحاجة إلى مثل هذه المؤلفات.

العزاوي مؤلف كتاب (عشائر العراق)، واجهته صعوبة في العثور على كتب تجيب على تساؤله فيقول: إن المراجع التاريخية وإن كانت كثيرة فإنها قليلة المادة. ويقول: إننا لم نجد مؤلفات عديدة عن قبائل في مختلف العصور وبصورة متتالية لنعلم العلاقات المستمرة بين عشائرنا الحاضرة والماضية، ولنقف على الاشتقاق والتفرع في الأنساب. كما أن هناك انقطاعاً في معرفة التحولات والتفرعات، كما أن هناك أيضاً أسماء قد تغيرت. إن ما تشاهده من قبائل في موطن وزمن ما قد لا نجد له أثراً في الحاضر، أو أن قسماً منه هاجر إلى موطن آخر ولكن لا يعرف تاريخ هجرته[1].

في ضوء هذا كله كنت أتبادل الحديث مع الصديق الدكتور إبراهيم الحيدري حول تاريخ القبائل العربية وأصولها فأعلمني أن هنالك كتاباً باللغة الألمانية للمستشرق أوبنهايم يبحث في القبائل العربية تحت عنوان البدو وهو كتاب متميز، يستحق الترجمة والنشر باللغة العربية.

من هنا كانت البداية، حيث سعت دار الوراق إلى الاتصال بالشركة صاحبة حقوق النشر وبعد جهود تمّت الموافقة على منح شركة دار الوراق حقوق النشر باللغة العربية حقاً حصرياً.

---

(1) العزاوي، عشائر العراق الجزء الأول ص9.

الاهتمام بالأنساب

يعد العرب من أكثر الأمم اهتماماً بأنسابها وأصولها، وقد حفل التاريخ العربي بشواهد كثيرة تظهر اعتزاز العرب بأنسابها. إنَّ التوارث لحفظ الأنساب ونقائها يعدّ من المفاخر التي يعتز بها الإنسان العربي بشكل عام، والإنسان البدوي بشكل خاص بالعصور القديمة والحديثة، فيمكن أن نشاهد الفخر والتفاخر ظاهرين للعيان في الشعر العربي الذي يعد ديوان العرب، يقول المؤلف: «لا حدود لاعتزاز البدوي بنقاء نسبه الذي يحرص عليه، ويُعنى به. في نظر البدوي أنه وحده الأصيل وتتجذّر فيه بعمق الإيمان القرابة الدموية التي يجب أن يلتزم بها. ومن هنا يفسر الزهو بنقاء النسب»[1].

وقد ظهر في مختلف العصور القديمة والحديثة أشخاص يتميزون بمعرفتهم بالقبائل العربية، ولهم باع في حفظ الأنساب، يطلق عليهم النسّابون. (كان عقيل ابن أبي طالب أحد هؤلاء قبل الإسلام وفي بداية ظهوره)، وكانت المصادر المتعلّقة بأصول الأنساب تنحصر بالحفظ الشفاهي. ولم يظهر الجانب التوثيقي الكتابي إلا في منتصف القرن الثاني الهجري. كانت المرحلة الأولى تتخذ طابع التدوين القبلي، وفي المرحلة الثانية اتخذ تدوين الأنساب شكلاً أوسع فظهرت كتب الأنساب الجامعة.

لقد استقى النسابون مادة مصنفاتهم النسبية من مصادر شتى، فأُخذ جلُّ أنساب القبائل العربية عن قدامى نسّابي القبائل، ورجع مصنّفو كتب الأنساب إلى هؤلاء النسّابين فاستقوا مادّة كتبهم منهم[2].

ويعدُّ كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي من الكتب المهمة في بحثها للأنساب العربية، لقد عُرف عن ابن الكلبي أنّه كان عالماً بأنساب وأخبار العرب وأيامهم، وقد أخذ علمه بالنسب من أبيه الذي لم يهتم بتأليف الكتب فجاء ابنه فألّف في

---

(1) أوبنهايم، البدو الجزء الأول، ص81.

(2) د. النص، إحسان ـ كتب الأنساب العربية دمشق 2001 ص4 ـ 30.

الأنساب وأيام العرب وأخبارهم وأشعارهم كتباً عديدة[1]، وقد عدّ المؤلف كتاب ابن الكلبي جمهرة النسب من الكتب المهمة والأكثر مصداقية. فكان مصدراً مهماً في معرفة القبائل والعشائر في عصورها الأولى.

لقد ظهرت على مرّ العصور عشرات الكتب التي تناولت القبائل العربية وعشائرها، والتي تعُد ذات أهمية عظيمة، نذكر بعضها كالتالي:

1 ـ كتاب النسب لأبي عبيد القاسم بن سلام (157 ـ 224هـ)

2 ـ كتاب نسب عدنان وقحطان لأبي العباس المبرد (210 ـ 285هـ).

3 ـ كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه (246 ـ 328هـ).

4 ـ جمهرة الأنساب لابن حزم الأندلسي (384 ـ 456هـ).

5 ـ طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك عمر بن يوسف بن رسول 696هـ.

6 ـ نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري 682 ـ 733هـ.

7 ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، وقلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان كلها للقلقشندي (756 ـ 821هـ).

8 ـ سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب للسويدي 1246هـ

التقسيمات القبلية للقبائل والعشائر في كتب التاريخ والأنساب

القبيلة: تعبير يطلق على مجموعة بشرية ذات لغة أو لهجة مشتركة، بصرف النظر عن استقرارها على أرض ثابتة أو ترحالها من مكان إلى آخر. فالقبيلة مجموعة بشرية متنقلة أو مقيمة على أرض محدودة صحراوية في الغالب، بين

---

(1) د. النص، المرجع السابق ص35.

أفرادها علاقات خاصة قائمة على التقاليد والأعراف المتوارثة، فهي إذاً مجموعة بشرية متماسكة اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وذات شخصية متميزة وتعمل تحت إمرة زعيم أو شيخ القبيلة الذي أنيطت به إدارة شؤون القبيلة، وإقامة التحالفات مع القبائل الأخرى لحماية المجموعة المنتسبة إليه[1].

ويختلف النسابّون في تقسيم القبائل العربية من حيث توصيفها وتصنيفها، ومتى يطلق عليها اسم قبيلة أو عشيرة. وتكاد تختلط التسميات في التراث العربي، فقد يطلق على العشيرة اسم «فصيلة» أو «بطن» أو «فخذ»، وهي ألفاظ تدل على مستويات مختلفة في التنظيم الاجتماعي، ولا تدل على طرق العيش والكسب[2].

فالنويري في كتابه «نهاية الأرب في فنون الأدب» يقسم القبائل إلى عشر طبقات فيبدأ أولاً بالجذم فالجمهور فالشعب فالقبيلة فالعمارة فالبطن فالفخذ فالعشيرة فالفصيلة فالرهط[3].

أما القلقشندي فيصنف طبقات القبائل إلى ستة، وهي الشعب فالقبيلة فالعمارة فالبطن فالفخذ فالفصيلة[4].

أما ابن منظور فقد حدّد القبيلة بأنها جمع من الناس ينتمون إلى أب واحد، وهم أصغر من الشعب، وتليها بالصغر العمارة ثم البطن ثم الفخذ. أما عشيرة الرجل فهم بنو أبيه الأدنون.

أما عبد الجليل الطاهر في الدراسات المعاصرة فيبدأ بالقبيلة ثم العشائر التي تنقسم إلى أفخاذ، وكل فخذ إلى أسر. كما قسّم عباس العزاوي القبائل والعشائر

---

(1) د. ظاهر، مسعود ـ المشرق العربي المعاصر من البداوة إلى الدولة الحديثة ـ معهد الإنماء العربي ـ بيروت 1986م، ص29 ـ 30.

(2) الخوري، فؤاد اسحق ـ السلطة لدى القبائل العربية ـ الساقي لندن ـ 1991 ص13 ـ 14.

(3) د. النص ـ المصدر السابق ـ ص135.

(4) د. النص ـ المصدر السابق ـ ص157.

إلى وحدات بدأ من الأصغر إلى الأكبر على الشاكلة التالية:

أ ـ البيت (الأسرة) أصل القبيلة.

ب ـ الفخذ ويقال له (البديدية) وجمعها بدية، والفندة وجمعها (فند)، والفخذ بالأصل عدة بيوت من جد قريب لا يتجاوز الجد الخامس في الأغلب.

جـ ـ العشيرة: وتتألف من عدة أفخاذ أو بيوت وتعيش مجتمعة بالوجه المتعارف وقد يتفرع الفخذ إلى عدة أفخاذ فرعية.

د ـ القبيلة: وتتألف من عدة عشائر وتكتسب ضخامة وسعة في تكونها حينئذ يقال لها قبيلة وقد يتساهل في التعبير فتسمى العشيرة قبيلة.

هـ ـ الإمارة: وهي تقارب عدة قبائل أو تكاثر إلى أن تكون قبائل عديدة فيتولى إمارتها رئيس الفخذ الأول[1].

شكلت القبيلة الوحدة الأساسية في المجتمعات العربية في الجاهلية والإسلام، فكانت العصبية القبلية هي العنصر الأساس في اجتماع وتكاتف القبيلة فيما بينها، كما كان الانتماء إلى القبيلة عنصراً من عناصر الحماية الفردية. فالفرد في القبيلة يذود عنها والقبيلة بدورها تدافع عنه، حيث قوة الفرد من قوة القبيلة.

كان العرب في الجاهلية يتكونون من قبائل كبيرة وصغيرة، وكانت هناك تحالفات وحروب بين هذه القبائل، حيث كانت القبيلة في أغلب الأحيان تحارب وتسالم وتهاجر بشكل جماعي. وعندما جاء الإسلام بقيت التشكيلات القبلية ذاتها، ولم تتغير كثيراً. بل إن القبائل حاربت لنصرة الإسلام ضمن الجيوش الإسلامية كوحدات قبلية. فقد عمل القادة المسلمون الأوائل للحفاظ على التشكيل القبلي كي يكون عنصر تضامن وتمازج يشد بعضه بعضاً ضمن الوحدة القبلية في مواجهة العدو المشترك، ومن أجل أن يمنع الحزازات القديمة

---

(1) العزاوي، عباس ـ عشائر العراق ـ بغداد 1935 ج1 ـ ص43 ـ 60.

من الظهور. «إن سعد بن أبي وقاص أدرك بثاقب بصره أن نظام الأسباع يكون أكثر صلاحاً إذ جمع بين القبائل المشتركة في النسب أو المترابطة بروابط القربى»[1].

يقول سهيل زكار استفاد النبيﷺ في مكة من العصبية القبلية، حين تمتع بحماية عمه وعشيرته له، واستمر الحال بعد وفاة (الرسولﷺ) حيث دوّن عمر بن الخطاب الدواوين على أساس قبلي، وعلى الرغم من قيام الفتوحات الكبرى وانتشار القبائل العربية في الأقاليم ظل النظام القبلي معتمداً، وبدلاً من ذوبان القبائل في نظام مجتمعات البلدان المفتوحة، حدث ما هو العكس، حيث تبنت الشعوب المفتوحة النظام القبلي عن طريق الولاء»[2]. لقد هاجرت قبائل عربية بكاملها من الجزيرة إلى العراق مثل بجيلة[3]، وإلى بلاد فارس وما وراء النهر وإلى إفريقيا وقد استقرت هناك وحافظت على وحدتها القبلية وأصولها وجذورها.

وعند تكوين الدول العربية في العصر الحديث، لعبت القبائل والعشائر دوراً أساسياً في تبلور شكل هذه الدول، فهناك قبائل أدمجت في الدول الحديثة الناشئة مثل سورية والعراق وفلسطين[4]، وأصبحت جزءاً من المجتمع المستقر الحضري حيث إن المكونات الحضرية قوية بحكم وجود الأرض الزراعية وقوة التكوين المدني ووجود سلطة الدولة. وهناك قبائل سيطرت على قبائل أخرى لتؤسس دولة كبيرة كالمملكة العربية السعودية، وهنالك قبائل تحولت إلى دويلات أو إمارات كالكويت، وقطر، والبحرين، والإمارات[5].

---

(1) الزبيدي، محمد حسين ـ هجرة القبائل العربية إلى العراق ـ 1982 بغداد ص43.
(2) ابن الكلبي ـ جمهرة النسب ـ ت ـ محمد فردوس العظم ـ دار اليقظة العربية 1983م ص1 ـ 7.
(3) الزبيدي، محمد حسين ـ 1982م بغداد ص19.
(4) د. ظاهر ـ مصدر سابق ـ ص8.
(5) د. ظاهر ـ مصدر سابق ـ ص20..

يقول عالم الاجتماع الكبير الدكتور علي الوردي إن المجتمع العربي هو أكبر معين للبداوة في العالم. إن التناقض بين الحضارة والبداوة كبير فإما أن نكون متحضرين أو نعود إلى الصحراء، فلا انتقاء ولا توافق ولا انسجام بين قيم الحضارة والبداوة. إن سمات البداوة هي ـ القبيلة ـ الغزو ـ التفضل (الذي يشمل الكرم والسخاء والنخوة وغيرها).

أما الحضارة فهي على العكس من ذلك تماماً إنها الدولة، العمل اليدوي، وعدم الاهتمام بقيم التفضل. فعلى الرغم من تزايد المدن وعدد سكانها إلا أن قيم البداوة ما زالت في دواخلنا إلى حد كبير.

تصنيفات البدو

تعريف البدو

البدو والبادية والبداوة: خلاف الحضر. والنسب بدوي منسوب إلى البداوة. وبدأ القوم بدواً أي خرجوا إلى باديتهم. وفي الحديث من بدا جفا، أي من نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب. وقال الليث: البادية اسم للأرض التي لا حضر فيها، وإذا خرج الناس من الحضر إلى المراعي في الصحارى، قيل قد بدوا، والاسم البدو[1].

لقد ميّز ابن خلدون ثلاث فئات من السكان، هم: البدو، والأعراب والحضر. فالبداوة ترتكز على القبيلة والترحال الدائم، أما الأعراب فهم تجمعات البدو المستقرين في قرى الأرياف والواحات ويقيمون نمط إنتاج زراعي، وهم نواة مرحلة انتقالية بين نظام البداوة والتحضر[2]. إنَّ التصنيف القبلي عند العرب مستمد في الأصل من القدرة الاقتصادية ونمط العيش، لا من التسلسل الدموي والأصول القبلية العريقة[3].

---

(1) ابن منظور الفضل جمال الدين لسان العرب ص67، ج2 دار صادر 1956م.

(2) مسعود ظاهر ـ المصدر السابق ـ ص20.

(3) الخوري ـ مصدر سابق ـ ص19.

إن حالة استمرار قيم ومفاهيم البداوة في المجتمعات الحضرية حالة قديمة، ولا تبتعد كثيراً عمّا موجود لدينا، إنَّ حالة هؤلاء الناس وإن تحضَّروا، واستقروا، وأقاموا، وتركوا الحياة الأعرابية إلا أنهم بقوا رغم ذلك على مذهب أهل الوبر، ودينهم في التمسك بالانتساب إلى الجد الأعلى، وإلى أحياء وبطون، وفي إجابة النخوة العصبية، وما شابه ذلك من سجايا البداوة[1].

لا يوجد توصيف متفق عليه لدى الباحثين لتقسيمات البدو ومن هنا أجمل القول:

1 ـ بدو رحل (الاصلاء) أو الأقحاح) ويسمون أهل الوبر[2]، الذين يرعون الإبل فقط ويسمون أيضاً أهل الإبل. إن القبائل الأصيلة عند العرب، التي تحتمل منزلة عالية هي التي تعيش أو كانت تعيش على رعي الإبل[3].

2 ـ البدو نصف رحل: الغنّامة ـ شواوي ـ عرب الدار: تختلف التسمية للبدو النصف رحل من منطقة إلى أخرى، فيطلق عليهم «الغنامة» التي تعتمد فيها القبيلة على رعي الأغنام[4]، أو يطلق عليهم الشاوية «الشواوي» في العراق الجنوبي وهم نصف متحضرين فهم يعملون بالزراعة ونصف بالرعي، ولديهم مساكن، ويقومون بعملية الرعي وبالأخص الأغنام ويطلق عليهم اسم هكرة (حكرة) في الكويت ونجد[5] ويسمون أيضاً بعرب الدار. وقد تنقسم القبيلة نصف رحل غنّامة فهي تربي الأغنام وتمارس الأعمال الزراعية، ويعيش جزء من القبيلة في أكواخ أو خيام. إن نوع الزراعة محدودة بالحبوب فقط دون غيرها. لأن زراعة الخضراوات وما شابهها تعد محتقرة ومرفوضة بنظر البدو.

3 ـ فلح أو فلاليح: وهم مستقرون ضمن مجموعات قبلية وعشائرية، ويقومون بعملية الزراعة.

---

(1) د. علي جواد ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ ج4، ص314.
(2) د. علي جواد ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ ج4، ص569.
(3) الخوري ـ مصدر سابق، ص17.
(4) الخوري ـ مصدر سابق، ص17.
(5) دكسن ـ عرب الصحراء ـ ت محمد حسن التيتي ـ الكويت 1997م ـ ص763.

4 ـ المعدان: وهم العشائر الموجودة في العراق الجنوبي والذين يربون الجاموس ويصيدون الأسماك ويقومون بزراعة بعض المحصولات.

5 ـ الهتيم.

6 ـ صلبة.

7 ـ بنو خضير: هم ليسوا قبيلة وإنما طبقة من الخدم في نجد ووسط الجزيرة العربية.

وهناك نقطة مهمة لا بدّ من التطرّق إليها، وهي ناتجة عن تلك الصراعات المتمادية في القدم. وهي موضوع الهجاء على ألسنة الشعراء، حتى أصبح ذلك اللون ـ الهجاء ـ باباً من أبواب الشعر في الأدب العربي تجد في «ديوان العرب» الغث والثمين. فلو وقعت معركة بين قبيلتين، على سبيل المثال، ولسبب من الأسباب انهزم أحدهما أمام الآخر عندها ينبري شاعر القبيلة المنتصرة، مطلقاً للسانه العنان يكيل المثالب والشتائم بلا حساب على الطرف الآخر.

وكم من قصيدة جارحة تناقلتها الأجيال، وهي مبنية على الافتراء والتهم الكاذبة على قاعدة: «الحق دوماً مع المنتصر»، وقد أُخذ ذلك الكلام في أحيان كثيرة، على أنه حقيقة لا يرقى الشك إليها.

يقول عالم الاجتماع الكبير علي الوردي[1]: إنّ الكلمة في المجتمع البدوي يكون لها وقع بليغ في النفوس، لعلّه أمضى من وقع الحسام ومن هنا جاء قول الشاعر:

جراحات السنان لها التئامٌ ولا يلتئِمُ ما جرحَ اللسانُ

منهجية البحث

إن الموضوعية التي اتسم بها المؤلف في بحثه يرافقه فيها حبّه للعرب بشكل عام، والبدو بشكل خاص تجعله أكثر مصداقية، فهو لم يذهب إلى وصفهم

(1) د. علي الوردي ـ أسطورة الأدب الرفيع، ص211 ـ دار كوفان ـ لندن 1995.

بالسراق والقتلة كما هو حال الكثير من الرحالة، بل يصفهم بأنهم «شعب أبي محبّ للحرية، قاس شديد البأس، مضياف ومحارب»[1].

وكذلك لا بد من الإشارة إلى أن احترام المؤلف للإسلام كان واضحاً حيث يسمي النبي محمدﷺ بالنبي في كثير من الأحيان وليس بالاسم مجرداً كما هو حال الكثير من المستشرقين. اعتمد أوبنهايم في بحثه نهجاً علمياً مختلفاً عما جرت عليه العادة في الكتب التي تبحث في تاريخ وأصول القبائل والعشائر وقد سار على طريقة تتلخّص بما يلي:

أولاً: التقسيم الجغرافي للقبائل

فقد بحث عن القبائل التي هي ضمن منطقة جغرافية معينة، فبدأ بدراسة تاريخ المنطقة الجغرافية، التي يتناولها، قديماً وحديثاً، وكذلك الأحداث السياسية الهامة مستعرضاً الجانب التضاريسي والاقتصادي فيمزجهما بأسلوب سلس شيق. كما سعى إلى تتبّع أهم القبائل العربية القديمة التي أقامت في هذه المنطقة، وكذلك الأحداث السياسية الهامة التي مرت المنطقة بها مدار البحث، كما تابع حركة انتقال القبائل العربية وانتشارها بتسلسل زمني حتى يصل إلى القبائل الحديثة فيبحث في أصلها وهجراتها وقدومها إلى المنطقة الجغرافية موضوع البحث.

ثانياً: أسلوب البحث ولغته:

جعل أوبنهايم بحثه مفهوماً من قبل الخاص والعام وموجّه لكل من له اهتمام في القبائل. يقول المؤلف عن كتابه إنّه كتاب صيغ بأسلوب علمي رصين، لكنه حرص في الوقت نفسه أن يكون مفهوماً من الجميع، لذلك فهو لا يخاطب المتعلمين وحدهم بل يتوجه إلى كل من لديه اهتمام بمسألة البدو. «سيقدم كتابنا هذا معطيات إلى كل من يبحث عن معلومات حول سائر المسائل المتعلقة بأبناء الصحراء»[2].

---

(1) أوبنهايم ـ البدو ـ الجزء الأول ـ 52.

(2) أوبنهايم ـ البدو ـ الجزء الأول ـ 51.

ثالثاً: البحث الميداني

إن البحث الميداني في إعداد الكتاب، والملاحظات التي تمّ تسجيلها، تشكل المادة الحية فيه ملتقطةً من الواقع المادي الملموس، إن المعلومات التي جمعها المؤلف والتي توفرت لديه، لم يكن يسلّم بها، بل يخضعها لتمحيص شديد، أي لأسلوب التشكيك حتى يثبت دقة المعلومة. ويمكن ملاحظة ذلك في جداول القبائل. ففي أرقام هوامش الجداول تجد المصادر التي اعتمدها لاسم كل قبيلة وتفرعاتها والطريقة التي تحقق من صحة المعلومة وبالتالي فإن الجداول تلك، تعد من أهم مرتكزات الكتاب. يقول أوبنهايم عن طرق البحث الميداني، كانت ملاحظاتي الخاصة، وملاحظات مساعدي في الشرق وما زالت من أكثر مواد كتاب البدو أهمية. إن البدو هم، بوجه عام، أناس قليلو التعبير عن أنفسهم، وهم يخافون المعطيات الرقمية (العددية) لاعتقادهم أن أخبارهم يمكن أن تصير خطراً عليهم بسبب الضرائب وغيرها من الالتزامات التي تفرضها الحكومات. لذا كنت أحتاج دوماً إلى تحضيرات طويلة وإلى كسب ثقتهم بصورة مطلقة، قبل أن أتمكن من تلقي أخبار موثقة فعلاً منهم. وقد ساعدني على فتح قلوبهم لي معرفتي الدقيقة بأعرافهم، ومشاركتي القلبية في حياتهم الفريدة وعلامات البهجة التي كانت تبدو على وجهي عندما كنت أستمع إلى قصص ومغامرات الغزو والصيد في تلك اللحظات. كانت تنشأ لعبة سؤال وجواب معقدة ومتواصلة تتيح لي معرفة ما له من قيمة علمية من أحاديث. فهم لم يألفوا الحوارات العلمية أبداً. إنّ الصبر الجميل والمعرفة الدقيقة باللغة العربية هما شرطان ضروريان لدراسة البدو[1].

رابعاً: جدولة القبائل والعشائر:

وضع المؤلف جداول دقيقة عن القبائل، كما أعدّ لها ترميزاً رقمياً وحرفياً، فهو يقول:

«وضعتُ جداول دقيقة حسب المبدأ التالي: تحديد القبائل والقبائل المتفرعة

(1) أوبنهايم ـ البدو ـ الجزء الأول ـ 66.

عنها والتابعة لها، وشيوخها الرئيسيين والثانويين ومناطق تجوالها في الصيف والشتاء وعلاقات القوى فيما بينها، معبراً عنها بعدد مضاربها وخيامها ـ وكذلك كتابة مقالة حول كل قبيلة تعرف بتاريخها وتاريخ أسرة شيوخها على أن يؤخذ بنظر الاعتبار تصنيف القبائل إلى مجموعات حسب المناطق الجغرافية المختلفة» وقد أولى اهتماماً خاصاً لرسم المشجرات لأنساب كثيرة جمعها[1].

خامساً: تنوع المصادر وتكاملية البحث

مزج أوبنهايم في بحثه بين العمل الميداني والبحث الأكاديمي المكتبي، فمن حيث العمل الميداني قام مساعدوه بتسجيل كل ما يملي عليهم من معلومات يحصل عليها، وكان يراقبهم بشدة لمعرفة الدقة بالتسجيل. وكان دور الأشخاص العديدين من رجالات المنطقة الذين لهم معرفة وباع كبير في القبائل والعشائر هو أنهم قد ساعدوه وزودوه بالمعلومات القيمة، أمثال محمد البسام والعابد وغيرهم، والذين ذُكرت أسماؤهم في مقدمة المؤلف.

دأب أوبنهايم على جمع مصادر بحثه كذلك طلب المساعدة التي كانت تقدم له في ألمانيا. يقول «كنت مضطراً لطلب العون من آخرين في ألمانيا، من أجل التغلب على الصعوبات والتعامل مع كم المعطيات الضخم والشامل الذي توفر في أدبيات عن البدو، وخاصة فيما يتعلق بالتاريخ، فقد كان يتطلب القيام بأبحاث مستفيضة، تستهلك بالضرورة الكثير من الوقت وتتركز على المؤلفات الشرقية في مختلف الأنواع. لذا كنتُ محتاجاً إلى عالم شاب له باع في هذا المجال»[2]. لقد بحث المؤلف في كتب التاريخ التي وصلت إلى يديه وقام بغربلتها. ثم ربط المعلومات بعضها ببعض، ولا بد من الإشارة إلى أهمية بعثة الرحالة نيبور 1765م[*]

(1) أوبنهايم ـ البدو ـ الجزء الأول ـ 63.

(2) أوبنهايم ـ البدو ـ الجزء الأول ـ 72.

(*) نيبور مهندس الماني ولد في هانوفر وقد أرسل ببعثة استكشافية إلى البلاد العربية من قبل ملك الدانمارك عام 1671 ـ 1766 في مجموعة يموت كل أفرادها إلا نيبور. وسجل معلوماته العظيمة في ثلاثة مجلدات ضخمة، والتي تعد مصدراً مهماً من مصادر تسجيل أسماء القبائل وتواجدها الجغرافي وقد ترجم إلى الفرنسية والإنكليزية وبعض الفصول ترجمت إلى العربية.

إلى المنطقة العربية وأهمية المعلومات التي استفاد منها المؤلف.

يقول المؤلف: أبديت منذ عقود، اهتماماً خاصاً بجمع المصادر التي يمكن أن تكون على علاقة بالبدو، بالدرجة الأولى منها الأعمال التاريخية والجغرافية وكتابات الرحّالة والإحصائيات بأنواعها وتقارير الحجاج المسيحيين والمسلمين، المكتوبة بجميع لغات الشرق والغرب. كما تمّ شراء مخطوطات شرقية مهمة قديمة وحديثة التواريخ. وتشكل دواوين الشعر أحد المصادر المهمة في بحثه السوسيولوجي.

كما قام المؤلف بالوقوف على شعر جرير حين يهجو الفرزدق لكون أحد أجداد قبيلته كان يعمل بالحدادة ويجعلها عيبة كبيرة. ويستشهد كذلك بابن المقرب حين يهجو المعادي (المعدان) والهتيم حيث يصفهم بصفات تعكس نظرة اجتماعية اتجاههم، مضافاً إلى استشهاده بعشرات من الشعراء الآخرين..

سادساً: الوسم وصيحات الحرب

قام أوبنهايم بتسجيل أغلب صيحات الحرب (النخوة) للقبائل والعشائر العربية، وكذلك قام برسم وسم الحيوان لكل قبيلة بل كان في قسم منه يسجل أكثر من وسم موجود لدى القبيلة وهي إحدى الدلائل التي يمكن أن تميز قبيلة عن أخرى، وكذلك لمعرفة ملكية الحيوانات. وبالتالي أصبح لدينا رسوم الوسمات وصيحات الحرب. وقد استفاد المؤلف كثيراً من تسجيله لصيحات الحرب، حيث يمكن اعتبارها كأحد الوسائل التي دلّل بها على صلة نسب القبائل بعضها ببعض، فعن طريق صيحة الحرب استطاع أن يربط علاقة شمر طوقة بشمر جربا. علماً بأن العزاوي في كتابه عشائر العراق قد صعب عليه معرفة ذلك بل بقي يدور حول الموضوع ولكنه لم يستطع الوصول إلى الربط. وندع المؤلف يقول في القسم الثاني من الجزء الثالث من الكتاب ص496 ج3.

هناك تعبيرا «صلته» و«غرير» اللذان يستعملان أيضاً كصرخة حرب لدى بعض القبائل الفرعية صلاتي، غريري غرير. وبما أن كلاً منهما اسم قبيلة فرعية من

أسلم النجدية، لذا يمكننا الربط بين صرخة الحرب «وهيب». وقبيلة فرعية من الأسلم تحمل الاسم نفسه، ومما يؤيد ذلك بصورة خاصة هو وجود قرابة بين طوقة والأسلم. الواقعتان التاليتان توضحان ذلك. أولاً: كان يوجد في طوقة فعلاً فخذ يحمل اسم «صلته»، وقد ذكره روسو عام 1808م في القبائل التي تحتوي جميع أفخاذ شمر المرتبطة بفارس الجربا ولكن بما أن هذا الفخذ، لا وجود له عند الجربا ولا عند الزقاريط، ولا عند زوبع فيجب أن يكون تابعاً للطوقة، وأمّا الواقعة الثانية، فهي أنَّ أسلم وطوقة، يوجد في كل منهما فرع اسمه (الهراير)، وهو اسم لا وجود له أبداً في أي مكان آخر.

طريقة التحقيق

1 ـ اعتمد التحقيق على مراجعة وتقويم المراجع والمصادر، وما أمكن الوصول إليه من الكتب التي اعتمدها المؤلف، وكذلك الرجوع إلى المصادر التي لها صلة بكل بحث من بحوثه.

2 ـ إضافة تعليقات وحواش موجزة لبعض النقاط التي تحتاج إلى توضيح.

3 ـ تصحيح بعض المعلومات الواردة في الكتاب مع الاحتفاظ بالنص الأصلي ووضع هوامش التصحيح مع ذكر المصادر التي اعتمدتُ عليها.

4 ـ إيراد النصوص الشعرية: لقد ورد في الكتاب بعض معاني الأبيات الشعرية، أو ذكر مصادر قديمة لم أستطع الوصول إليها مما اضطرني أن أعود إلى ما توفر من إصدارات حديثة والتحقق والتثبت من صحتها. ولا بد هنا من الإشارة إلى دور الشواهد الشعرية في البحث وكذلك الجهد لتحقيق وإيراد النصوص الشعرية حيث إن المؤلف ومساعديه يوردون معاني البيت الشعري مترجماً إلى لغتهم الأم مما يحتم علينا إيجاد أصل البيت باللغة العربية.

5 ـ ذكر المؤلف بعض أرقام الآيات والسور القرآنية فقط. لذا عمدتُ إلى ذكر نصوص الآيات، وكذلك بعض نصوص العهد القديم.

6 ـ وضعنا الأسماء التي فيها بعض الاختلاف بجانب الأسماء التي وضعها المؤلف بين قوسين « ». وكانت الأسماء على الخصوص من الأمور التي عملت جاهداً إلى الوصول إلى مصدرها الأصلي كي نتحاشى الوقوع في الخطأ الذي يقع في كتابة الأسماء. لقد كانت بعض الأسماء فيها حرف الهاء والحاء فيستعمل المؤلف حرف H بلفظ حرف هاء وكذلك يستعمل الحرف Ḥ تحته نقطة بلفظ الحرف حاء. فإذا سقطت النقط ضاع الأمر على المترجم، وبالتالي يجب التحقق من كل اسم له مستند للاستدلال على صحته. كذلك الألف والعين فمثلاً «الأيوني» والصحيح هو «العيوني»، مما التبس على المترجم بل إن بعض الأسماء كانت فيها أخطاء مطبعية. كما كانت هناك أسماء باللغة الألمانية، وتعريبها إلى العربية يوقع المترجم بأخطاء، وذلك لصعوبة التمييز أحياناً، مثلاً بوغا فهي أصلاً بُغا، ولكن عند العودة إلى المصادر وجدنا أنها بُغا أي بالضمة وليس بالواو.

7 ـ إنّ المشكلة التي واجهت البحث هي في وجود آلاف الأسماء التي تستدعي كتابتها إلى احتمال الدلالة على أكثر من لفظ. فبالرغم من وجود آلية للفظ الأسماء وكتابتها كما وضعها المؤلف فإنها بقيت أسماء تحتمل كتابتها صيغاً متباينة تؤثر على صحّة اللفظة وطريقة كتابتها بشكل ينطبق على ما هي عليه في الواقع. لذلك استدعى الأمر مضاعفة الجهد في تدقيقها وفحصها بغية إخراج الكتاب على الصورة المثلى. ومثال على هذه المشتركات اللفظية ما ورد في كلمة، جادر، قادر، حاجم، حاكم، وغير ذلك.

وقد وضع المؤلف قواعد لهذه المسمّيات منها حرف ث التي يقابلها حرف (ṯ) المتضمن لرسم حركة تحته. أما حرف الطاء فيقابلها حرف (ṭ) المنقوط.

8 ـ ترميز القبائل وفروعها.

يعطي المؤلف لكل قبيلة وتفرعاتها، وتفرعات تفرعاتها أرقاماً ورموزاً حرفية يستدل بها، لذا وضع عشرات الجداول للقبائل والعشائر، وأعطى أرقاماً وحروفاً لهذه الجداول، ثم أعطى لتفرعات القبيلة أرقاماً وحروفاً، وكذلك فعل

مع تفرع التفرعات. فمثلاً قبيلة (شمّر) وضعها في جدولين، جدول يشمل قسم سورية الحالية (منطقة الجزيرة)، وجدول يشمل قسم العراق الشمالي أي بلاد ما بين النهرين. فأعطى الجدول الأول حرف (أ) والجدول الثاني (ب)، ثم أعطى عشيرة الثابت من الجدول (أ) رقم 1 ثم تتفرع الثابت إلى فروع، ولكل فرع أعطى حرفاً، فالجاسم أعطي حرف (أ) فأصبح لدينا الجاسم تحت أ 1 أ في فصل قبيلة شمر.

يتكّون الكتاب من أربعة أجزاء متكاملة وبشكل تراتبي، لذا فإن الجزء الثاني يعتمد على الأول، والثالث على الثاني والرابع يعتمد على الأول والثاني والثالث. وعند التحقيق وجدتُ أخطاء في الاستدلال الرمزي للقبائل. ففي بعض الأحيان يذكر الترميز القبلي الصحيح، ولكن الخطأ هو في الاستدلال إلى موقع القبيلة، وعند التحقيق أجدها ليست كما ذُكرت ولكني أجدها في جدول آخر. لذا أعود إلى الجزء المذكور فيه هذا الرمز ومطابقته وتوحيده. وعلى سبيل المثال كتب في الجزء الثالث أن وهب من شمر طوقة، وترتبط مع شمر بين النهرين، ولكن في التحقيق وجدت أنها تعود لشمر نجد.

إن بعض الترميزات لا وجود لها أصلاً في جداول القبائل. إن الاحتمال الأقوى في وجود هذه الأخطاء (هو وجود أخطاء مطبعية). لذا أشرت إلى هذه الترميزات «الخطأ» ، ووضعت في هامش الصفحات ما يشير إلى ذلك.

يعطي المؤلف الترميزات للقبائل وتفرعاتها التي وضعها في جداول أرقام وحروف ويستعمل الحروف اللاتينية الكبيرة، وبعدها يستعمل حرف لاتيني صغير. وبما أنه لا يوجد حرف عربي كبير وصغير كان علي أن أقوم بإعطاء أرقام بدل الأحرف، وبطريقة أحافظ فيها على نفس النسق، وهذا ما يفرض علي متابعة كل رمز من الرموز المستعملة للقبائل ومراجعته وترميزه حتى يكون الكتاب وحدة واحدة. وهذا ما دعاني إلى أن أتصرف في إعطاء رقم أو حرف حسب ما يتطلب الأمر، للمحافظة على سهولة الاستدلال.

ملاحظات على طرق تلفّظ بعض الأسماء والأفعال:

إن الاختلاف في تلفظ وكتابة بعض الأسماء شائعاً في الدول العربية التي شملها البحث، لذا ارفق للقارىء بعض التصرفات والتغيرات اللغوية التي تطرأ على كتابة وتلفظ على قسم من الأسماء والحروف والافعال. راجع كتابنا الأدب الشعبي العراقي ص13 ـ 16 شبّر.

أولاً:ـ زيادة حرف أو أكثر علىٰ الكلمة أو حذف حرف أو أكثر منها مثل:

إمعاي أصلها معي.

أو (ياريت بوّل رضاعي).

بوّل أصلها بأول.

ثانياً:ـ زيادة همزة غير أصلية وحذف همزة أصلية من الكلمة مثل:

إلهم أصلها لهم.

أو (يا مرحبا يا هلا بيك حين تجبل)

هلا أصلها أهلاً.

ثالثاً:ـ قلب الهمزة الوسطية مثل استعمال (لن) بدلاً من لأن و(لني) بدلاً من لأني و(بير) بدلاً من بئر و(رسايل) بدلاً من رسائل.

رابعاً:ـ قلب الهمزة إلىٰ واو مثل (وين) بدلاً من أين و(ولف) بدلاً من إلف.

خامساً:ـ التنوين في الأسماء ويكون مكسوراً دائماً.

سادساً:ـ التنوين في الأفعال ويكون علىٰ الكسر والفتح مثل:

(عاد أن گلت واخ ما يفيدٍ واخ).

سابعاً:ـ قلب الحروف

أ ـ تقلب القاف إلى گاف فارسية مثل: (أشرگ بدلاً من أشرق).

وتقلب القاف إلى جيم أحياناً مثل:

(يحج لي) ومعناها يحق لي.

ب ـ يقلب حرف الكاف إلىٰ (چـ) فارسية مثل:

(ضحچ) ومعناها ضحك و(أبچي) ومعناها أبكي.

كما يقلب القاف إلىٰ (چـ) مثل:

(چتل) ومعناها قتل.

جـ ـ الحرف المضعف غالباً ما يقلب إلىٰ ياء مثل:

مررت تصبح مريت.

د ـ قلب أحرف متفرقة مثل:

(أهد) بدلاً من عهد و(ريت) بدلاً من ليت.

هـ ـ قلب السين إلىٰ صاد مثل:

(صخي) بدلاً من سخي (وحصره) بدلاً من حسره.

ثامناً: حذف الحروف: يحذف حرف العلة المتأخر (وخاصة الألف) ويعوض عنه بالحركة السابقة له وتلفظ الكلمة مختومة بهاء ساكنة كالآتي:

أ ـ تحذف الألف المقصورة من الأسماء.

ليلىٰ تلفظ ليله ولظىٰ تلفظ لظه.

ب ـ تحذف الألف المقصورة من الأفعال.

سعىٰ ترسم وتلفظ سعه ودعا ترسم وتلفظ دعه.

جـ ـ تحذف الألف الممدودة

سماء ترسم وتلفظ سمه وشفاء ترسم وتلفظ شفه.

د ـ تحذف الألف من بعض الضمائر والأدوات مثل: لا تلفظ لـ.

لتجي ولتروح وأصلها لا تجيء ولا تروح.

هـ ـ ياء النداء ترسم وتلفظ أحياناً يـ.

كلُنا ترسم وتلفظ كُلْنَه.

و ـ تحذف الألف من الألفاظ المتصلة بضمير المؤنث الغائب وتنتقل الفتحة إلى الحرف السابق للألف المحذوفة مثل:

واجبها تلفظ واجبه ومبسمها تلفظ مبسمه.

تاسعاً:ـ الألفاظ المختومة بياء مفتوحة تشدد ياؤها مثل:

هي ترسم وتلفظ هيّه وبي ترسم وتلفظ بيّه.

عاشراً:ـ إدخال حرف النداء على ما فيه الألف واللام مثل:

يا لماشي (يَلْ ماشي) ومعناها يا أيها الماشي.

أحد عشر:ـ حرف الجر: إن حروف الجر المستعملة هي (من، على، عن، بـ، لـ) وقلما يستخدمون الحرف (في) بل يعوضون عنه بالحرف (بـ)، وقد وردت في قول أحدهم:

يا زين الأوصاف روحي بالوصل منها.

أما الحروف الأخرى مثل (من) فيلفظ غالباً كما هو ولكنه يشدد في بعض الأحيان، و(على) الذي يلفظ كما يلفظ بالفصحى أو يلفظ (عَلْ) مثل:

لا زال دمع اليودك عل وجن منهلي.

كما يلفظ أحياناً (إعْلَه) ويكون حرف الهاء ساكناً مثل:

يلي اعليه چتلي بلحاظك نزل لك.

اثنا عشر:ـ تستعمل من بمعنى عندما أو حينما، وهي مستقطبة من منذ على ما يبدو مثل:

من بالتواصل علينا جيلهن غارن.

وجسمي خوه والعگل من تنخه وطار.

ثلاثة عشر:ـ الأسماء الموصولة:

تستعمل الأسماء الموصولة (من، الذي).

أربعة عشر:ـ تستعمل (الهاء) بدلاً من اسم الإشارة (هذا وهذه) مثل: هالرجل ومعناه هذا الرجل.

وتستعمل لفظ (هذوله) بدلاً من هؤلاء، و(هذنّي) بدلاً من هؤلاء المخصصة للإناث، و(هذيج) بدلاً من تلك.

خمسة عشر:ـ يقع الابدال في العامية مثل:

حنا والمقصود بها نحن، وينعل والمقصود بها يلعن.

ملاحظات لا بد من الإشارة إليها:

أ ـ وضع المؤلف ومساعداه بعض النصوص بين قوسين مكررين، وكذلك بعض الأسماء بين أقواس مفردة. قد وضعتُ أقواساً مزدوجة، منعاً للالتباس والتمييز بين الأقواس، وميّزتُ الأقواس المعدة من المؤلف بهذا الشكل " " " " والأقواس المفردة بهذا الشكل ( ). لذا فإن الأقواس المقلوبة إلى الأعلى هي من وضع المؤلف. أما الأقواس التي وضعناها فهي بهذا الشكل « » والتي كتبنا في داخلها بعض الأسماء التي تختلف طريقة لفظها عن الطريقة التي اعتمدها المؤلف فمثلاً سواريقية «سوارقية».

ب ـ اعتمد المؤلف طريقة لفظ الأسماء كما تطلق في منطقتها الجغرافية

فمثلاً لفظ الأسماء في شمال الجزيرة يختلف بعض الشيء عن طريقة لفظه كما هو الحال في جنوب العراق، فالجيم لا تلفظ بشكل قوي بل يكاد يختفي في اللفظ مثل كلمة «رجال» تلفظ «ريال». وقد أبقيت جميع الأسماء كما كتبت من قبل المؤلف ومساعديه، ما عدا التصحيح الذي وضع في هامش الصفحة. أما طريقة كتابة عشيرة الرولة فإن الاسم يختلف لفظه من منطقة إلى أخرى فتلفظ في شمال الجزيرة العربية باسم الرولة روالة، وفي العراق تلفظ رولة، أما في سورية فتلفظ وتكتب رولا، وقد اعتمد المؤلف على الطريقة السورية في لفظ القبيلة ولكن وجدنا أن تكتب رولة وهي الأكثر شيوعاً في الكتب والمصادر التي اعتمدها في تحقيق الكتاب، مثلاً بوكهاردت يكتب رولة بهذا الشكل ـ رولّا Rauaila ورواّله Rowaila[1]، أما موزيل في كتابه عادات وتقاليد الرولة فيكتبها بهذه الطريقة RWALA و RWEJLI أي روالا ورواله والفرد روّلي[2].

جـ ـ الخليج العربي.

اعتمدتُ تسمية الخليج العربي بدلاً من استعمال الخليج الفارسي الذي اعتمده المؤلف. حيث كانت هناك أسماء عديدة تطلق على الخليج على مرّ العصور، وكان الاسم الذي يطلق عليه في العصور القديمة كما دلت النقوش الأكدية «البحر الأدنى» أو «المر». أما الاسكندر المقدوني فأطلق عليه اسم الخليج الفارسي[3]. وأطلق بعض علماء الجغرافية المسلمين عليه اسم البحيرة الإسلامية. وورد اسم اللمة، وأرض البحر. وفي عصور لاحقة أطلق عليه خليج البصرة وخليج كوجك (أي الصغير) كما هي الحال عند الأتراك[4].

إن الأوروبيين يطلقون ويسمون الأشياء بطريقتهم الخاصة، فهم يطلقون اسم

---

(1) John L. Burchardt - *Bedouins and Wahabys*, Vol 1,2 1967. Vol 2 P379, 385.

(2) *Manners and Customs of Rwala Bedouin*, By L Musil - New York 1928.

(3) حوراني جورج ـ ت ـ د يعقوب بكر ـ العرب والملاحة في المحيط ص309 عن كتاب الخليج العربي لقدري قلعجي ـ 1965 ـ بيروت ـ دار الكتاب.

(4) التميمي خليل ـ الكفاح العربي في عربستان ص12 بدون تاريخ.

مسوبتميا (أي ما بين النهرين) على العراق (وهي صفة وليست اسماً) وقد استعملوا هذه التسمية في كتبهم، وهم يتجاهلون كلمة العراق، علماً أن العراق أول ما ذكر في العهد الأكادي قبل 4000 سنة تحت اسم أراك. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن أهل المنطقة العربية معروف لديهم «الخليج العربي» وهذا ما فعله الأستاذ نجدة فتحي صفوة في كتابه الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية[1].

د ـ وضعت في الصفحات هوامش لغرض تمييزها عن هوامش المؤلف ومساعديه استعملنا النجمة * بدل الرقم.

هـ ـ اعتمد المؤلف على تسمية العراق على نفس نسق التقسيم الجغرافي للمنطقة الذي يعتمد من قبل قسم كبير من الأوروبيين، حيث يطلقون اسم العراق، أو وادي الرافدين ويقصدون به المنطقة الممتدة جنوب الخط بين فلوجة سامراء جنوباً إلى الخليج العربي. وقد سمى المؤلف هذه المنطقة باسم العراق، وأسميتها بالعراق الجنوبي. أما القسم الأعلى بلاد ما بين النهرين مسوبتميا. والمقصود به المنطقة الممتدة شمال خط فلوجه ـ سامراء باتجاه ديار بكر ونصيبين وجزيرة عمر، وقد اعتمدت أن نطلق اسم العراق الشمالي على هذه المنطقة، لكونها تقع في ضمن التقسيم الجغرافي للعراق الحديث.

ي ـ ويقتضي التنبيه إلى أنَّ التصويبات التي ذكرها المؤلف ومساعدوه في نهاية عملهم الكبير هذا، عمدتُ إلى مطابقتها على النصوص مباشرة، وبناءً على ذلك تمّ تصويبها.

الاستشراق الألماني

تعد الدراسات الاستشراقية الألمانية من أهم وأثرى الدراسات الاستشراقية الغربية ولكنها مع الأسف أقلّها انتشاراً في العالم العربي، وهذا يعود إلى أسباب عديدة منها ضعف انتشار اللغة الألمانية في العالم العربي، وقلّة الجهود الألمانية

(1) صفوة نجدة فتحي ـ الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ـ الساقي لندن ـ 1996.

للمساعدة في ترجمة الدراسات إلى العربية. كما أن هناك سبباً آخر لقلة انتشار دراسات الاستشراق الألماني في العالم العربي وذلك يعود إلى ضعف الدور السياسي الألماني في العالم العربي بشكل عام.

وتجدر الإشارة أن «الدراسات الإسلامية» "الاستشراقية" هي منهج أكثر حداثة من الدراسات الشرقية. حيث إنها رأت النور في ألمانيا عند نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، عندما أخذت ألمانيا تطور سياسة أكثر فاعلية إزاء الإمبراطورية العثمانية، وأماكن أخرى من العالم الاسلامي، وبالتالي، احتاجت إلى فهم أعمق لما كان يحدث في الواقع في العالم الاسلامي «المعاصر» وكل تعقيده[1].

إن معرفة لغات العالم الاسلامي وتاريخه كانت شرطاً ضرورياً، لكنه غير كاف للقيام بهذا الواجب. بل الحاجة الملحّة في هذا المجال هي تناول الموضوع من خلال ثقافة متعددة المنهج. في ألمانيا تستعمل تعبير «ISLAMWISSENSCHAFTEN» أي علوم إسلامية» و«الجمع» هدفه ضمن كل العلوم الضرورية لفهم حالة عالم المسلمين الحقيقي ومستقبل تطوره أينما عاشوا. حقل «العلوم الاسلامية» في هذا المفهوم الواسع، يجب أن يضم، ليس فقط الفيلولوجيا، إنما أيضاً الاقتصاد والعلوم السياسية السوسيولوجيا والانثولوجيا والجغرافيا والقانون وغيرها[2].

الاستشراق اصطلاحاً: هو علم يدرس لغات شعوب الشرق وتراثهم وحضارتهم ومجتمعاتهم وماضيهم وحاضرهم[3].

ودوافع الاستشراق بشكل عام[4] تتلخص بما يلي:ـ

(1) المنجد صلاح الدين ـ المستشرقون الألمان ـ دار الكتاب الجديد ـ بيروت ـ 1982، ص7.
(2) توماس شيفلر، جريدة النهار 26/ 1/ 2004م.
(3) د. خوري فاروق عمر ـ الاستشراق والتاريخ الإسلام ـ الدار الأهلية عمان ـ 1988 ـ ص30.
(4) د. خوري فاروق عمر ـ المصدر السابق ـ ص39 ـ 41.

1 ـ الدافع الديني

2 ـ الدافع الاستعماري.

3 ـ الدافع العلمي.

يذكر الأستاذ ألبرت ديتريش أن أول محاولة في ألمانيا لتدريس اللغة العربية كانت من قبل «كريستمان» المتوفى سنة 1613. فقد ألف كتاباً لتعليم كتابة الحروف العربية. أما الرائد الأول الذي وقف حياته كلها على دراسة اللغة العربية والحضارة الإسلامية فهو رايسكه المتوفى سنة 1774. وتابع بعد ذلك المستشرقون حتى كان القرن التاسع عشر عصر الازدهار والنتاج الخصب للاستشراق الألماني، والمتتبع لحركة الاستشراق الألماني يلاحظ أنه اختص بمزايا[1].

1 ـ كان الأقل بين الدراسات الاستشراقية للخضوع لغايات سياسية، أو استعمارية أو دينية، كالاستشراق الأوروبي الآخر (فألمانيا التي لم يتح لها أن تستعمر البلاد العربية أو الإسلامية، ولم تهتم بنشر الدين المسيحي في الشرق). ولم تؤثر هذه الأهداف بشكل عام في دراسة المستشرقين الألمان، وبقيت محافظة، غالباً على التجرد وعلى الروح العلمية، وإذا ظهرت بعض الدراسات الاستشراقية الألمانية تخالف هذا الحال، فهذا الأمر لا يمكن تعميمه.

2 ـ لم تكن دراسات المستشرقين الألمان عن العرب والإسلام والحضارة الإسلامية العربية متصفة على الأغلب بروح عدائية، نجد البعض منهم جاء بآراء اعتبرت غير دقيقة مثال على ذلك المستشرق نولدكه (1836/ 1930م)، وذلك في كتابه تاريخ القرآن، لكننا لم نعرف عنه من جعل ديدنه عداء الاسلام أو تعمد الدسّ والتشويه، بل نجد العكس من ذلك، حيث اتصفت أكثر دراساتهم بالاعجاب بالاسلام وتقديره وإنصافه. نجد هذه الروح عند رايسكه الذي سمى نفسه (شهيد

(1) المنجد صلاح الدين ـ الاستشراق الألماني ـ دار الكتب الجديد ـ 1982 ـ ص7.

الأدب العربي). والذي يعتبر أول من وضع أساس الدراسات العربية في الجامعات الأوروبية، نجدها عند جورج جاكلوب في كتابه (أثر الشرق في العصر الوسيط)، أما عند المعاصرين فنجدها عند السيدة زيغريد هونكه في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب»[1]. وكذلك المستشرقة الكبيرة آنا ماريا شميل.

3 ـ المنهج العلمي الدقيق الذي يعتبر عند البعض مثالاً نادراً يحتذى به، لقد عملوا بحب وحماسة بقدر ما أسعفتهم به المعرفة والمصادر ولقد استدرك بعضهم على بعض بإخلاص وصحّح بعضهم أخطاء بعض، وكانوا علماء حقاً يقبلون كلّ نقد وتصحيح[2].

لقد قدم الاستشراق الألماني للعرب والمسلمين خدمات ودراسات كثيرة، منها:

أ ـ نشر النصوص القديمة. إن مجموع ما نشره الألمان وحدهم يفوق ما نشره المستشرقون الفرنسيون والإنكليز معاً. ولكن مع الأسف لا يوجد سرد لجميع النصوص العربية التي نشرها الألمان. لقد ضرب بعض المستشرقين مثالاً في تحقيق النصوص من حيث العدد، ومن حيث الدقة مما يعجز مجمع علمي عن نشره وكما حال فون فوستنفلد F. Wuestenfeld 1899م الذي حقق (معجم البلدان) لياقوت الحموي، و(وفيات الأعيان) لابن خلكان، و(طبقات الحفاظ) للذهبي، و(تهذيب الأسماء واللغات) للنووي، و(الاشتقاق) لابن دريد، و(تواريخ مكة) للأزرقي، والفاكهي والفاسي وابن ظهيرة، ومعجم ما استعجم للبكري، و(عجائب المخلوقات) للقزويني و(السيرة) لابن هشام وقد زادت آثار هذا العالم الكبير على المائتي كتاب[3].

ب ـ فهرست المخطوطات العربية الموجودة في مكتبات ألمانيا ومكتبات العالم أو التنويه بها[4].

---

(1) المنجد صلاح الدين ـ المصدر السابق ـ ص8.
(2) المنجد صلاح الدين ـ المصدر السابق ـ ص12.
(3) المنجد صلاح الدين ـ المصدر السابق ـ ص8.
(4) المنجد صلاح الدين ـ المصدر السابق ـ ص10.

جـ ـ الاهتمام بالمعاجم العربية. اهتم الألمان بالمعاجم العربية، فقد أصدر يعقوب بوليوس 1667م أول معجم، ثم وضع بعده فرتاغ 1861م، كما وضع بعده فبر المعجم العربي الألماني[1].

د ـ الاهتمام بالدراسات المختلفة في ميادين الثقافة الإسلامية. فقد درسوا التاريخ الإسلامي واللغة العربية واللهجات والأساليب، وكذلك دور الرواية والرواة في الإسلام، وشعر القبائل العربية ودراسات عن الفتوة في الإسلام وتاريخ إيران، ودراسة فلهاوزن عن تاريخ الدولة العربية وسقوطها.

هـ ـ الدراسات الآثارية: اهتم الألمان بالآثار الشرقية القديمة اهتماماً عظيماً وكان أوبنهايم أحد هؤلاء.

و ـ الدراسات المعمارية: لقد عمل بعض المستشرقين الألمان في دراسة فن العمارة الإسلامية والعربية وسجلوا في كتبهم ما تمّ حفظه. لقد قدم بعض الألمان خدمات لا تقدّر بهذا المجال، ومثالاً على ذلك ما قدّمه الدكتور المهندس أوسكار رويتر في كتابه الرائع "البيت العراقي" الذي يعد المرجع الأساسي لكل الدارسين للفن العماري العراقي.

دور ألمانيا في الدولة العثمانية وتداخل المصالح

كان قيام ألمانيا الموحدة تحت قيادة بسمارك قد شكلَّ النقطة الأهم في تاريخها الحديث، وظهورها القوي في الساحة الأوروبية حيث كانت النهضة الصناعية والثقافية والأدبية جعلت منها قوة كبيرة، لذا فقد أبدت ألمانيا اهتماماً متزايداً بالشرق الأوسط والعالم الإسلامي وأفريقية وسعت للبحث عن آفاق جديدة خارج النطاق الأوروبي في الفترة التي كان النفوذ البريطاني والفرنسي قد جذّر نفوذه في أغلب أرجاء المعمورة. لقد عملت ألمانيا على دخول حلبة الصراعات في تلك

(1) المنجد صلاح الدين ـ المصدر السابق ـ ص11.

الفترة بالذات والقائمة على تقسيم الأمبراطورية العثمانية (الرجل المريض)، فبدأت تنسج روابط وعلاقات مع الدولة العثمانية التي كانت في القرن التاسع عشر تسعى إلى التحديث. إن الدولة العثمانية كانت تحتاج إلى دولة قوية ومتقدمة اقتصادياً وصناعياً تساعدها في عملية الإصلاح والتقدم. لقد كانت الشروط الصعبة التي تفرضها بريطانيا وفرنسا لإعطاء هذه القروض قد وطد التوجس والخيفة اللذين يكتنفان أصحاب السلطة في الدولة العثمانية من اتساع نفوذ هاتين الدولتين مما جعلتا أصحاب السلطة في الدولة العثمانية يبحثون عن دعم خارجي وكانت ألمانيا الأكثر توافقاً مع هذا الوضع.

لقد كانت ألمانيا الدولة القوية ذات الصناعة المتقدمة تبحث لها عن أسواق جديدة، فسوق الدولة العثمانية كبير ومهم. فكان مشروع خط سكة حديد برلين ـ بغداد لتوثيق الروابط الاقتصادية والسياسية بين الدولة العثمانية وألمانيا ومشكلاً نقطة تحدٍ لسياسة الهيمنة البريطانية الفرنسية، خصوصاً أن البحار كانت تحت النفوذ البريطاني الفرنسي.

إن افتتاح قناة السويس شكّل نقطة تحول مهمة في التاريخ العالمي حيث شكلت القناة نقطة اتصال جديدة بين الغرب والشرق وقصرت المسافة الموصلة بين أوروبا وآسيا عموماً، والهند خصوصاً التي كانت تحت السيطرة البريطانية.

من هنا سعت بريطانيا وفرنسا إلى فرض سيطرتهما على قناة السويس. إن مشروع سكة الحديد برلين ـ بغداد كان خطوة مهمة، ورد على السيطرة البريطانية الفرنسية على البحار والقنوات البحرية.

إنَّ تأثير ألمانيا قد أخذ بعداً جديداً من خلال اقتباس الأفكار القومية الألمانية وبزوغ نزعة التتريك في الدولة العثمانية، كان الضباط العثمانيون قد انبهروا من التقدم الكبير الذي كانت شهدته ألمانيا مما ساعد على انتشار الفكر القومي لدى العسكر بكونه الطريق الذي يوصل إلى التقدم.

مكونات كتاب البدو

يتألف الكتاب من أربعة أجزاء، أُرفق بكل جزء منه مجموعة من الخرائط الجغرافية تظهر توزع وانتشار وتواجد القبائل المذكورة في ذلك الجزء، وكذلك أرفق المؤلف بعض شجرات أنساب القبائل ووضع بعض الصور في الجزء الأول والثاني.

وفي بداية أي جزء أو قسم يقدم لنا فيه تمهيداً كبيراً يتناول ذلك الجزء، ثم يقدم مقالاً لكل قبيلة. إن المقالات والمقدمات الفرعية هي في الواقع دراسة تاريخية جغرافية سياسية واقتصادية تغطي كل جوانب القسم أو الفصل المبحوث، وفيه يتناول القبائل من حيث تكويناتها وتطورها ودورها السياسي وتاريخ هجراتها. إنَّ بحثه يتناول القبائل على ضوء المناطق الجغرافية أي اعتمد على التقسيم الجغرافي للقبائل

الجزء الأول (المجلد الأول) صدر باللغة الألمانية عام ١٩٣٩م

يتكون هذا الجزء من قسمين:ـ

القسم الأول: ما بين النهرين ـ العراق الشمالي

تناول المؤلف كل القبائل والعشائر الرحل، ونصف الرحل والفلح (الفلاليح). كما تناول الحديث عن القبيلتين عنزة وشمر في قسم بلاد ما بين النهرين «العراق الشمالي» الذي يقع جزء منه الآن في سورية ـ منطقة الجزيرة ـ، والقسم الآخر ضمن العراق الحالي بشكل مفصّل. هنا نجد أنَّ المؤلف نفسه لم يقسم عنزة إلى عنزة سورية، أو عنزة العراق، بل جعل الفصل الذي يبحث حول قبائل وعشائر عنزة وشمر قائماً في جزء بلاد ما بين النهرين. إن أهمية هاتين القبيلتين ودورهما في تاريخ المنطقة، جعل المؤلف يستغرق في بحثه عن تاريخ وأصول هاتين القبيلتين بشكل يغطي تاريخها من عصر ما قبل الإسلام إلى الوقت الذي تمَّ فيه البحث. مضافاً إلى البحث في قبائل طي وعشائرها، وزبيد بقبائلها البو

شعبان، وكذلك عقيدات، وجيس، وحرب، والنعيم، والحديدين، وغيرها من القبائل والعشائر.

القسم الثاني: سورية

تناول المؤلف القبائل الساكنة في المنطقة الجغرافية التي تختلف بعض الشيء عمّا هو معروف حالياً باسم سورية، حيث تعد منطقة الجزيرة ضمن التقسيم الجغرافي لمنطقة بلاد ما بين النهرين «العراق الشمالي»، وتشمل سورية في هذا الجزء كل سورية الحالية ما عدا منطقة الجزيرة. ويشمل البحث، القبائل حول حلب المستقرة والرحّل وكذلك قبائل حماه، وقبائل ريف دمشق، والجولان، وقبائل عرب الجبل، والموالي، فضل، عمرو، وبني خالد وغيرها.

الجزء الثاني (المجلد الثاني) صدر باللغة الألمانية عام ١٩٤٣م

ويتكون من أربعة أقسام

القسم الأول: قسم فلسطين

يتناول في هذا القسم القبائل الفلسطينية المتواجدة شمال وجنوب وبعض مناطق وسط فلسطين. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن المؤلف قد استعمل التعابير التوراتية في تسمية بعض المناطق الفلسطينية فمثلاً يسمي صحراء يهودا، ويقصد صحراء الخليل، وقد أشرت في الهوامش إلى التسمية العربية الفلسطينية لتلك المناطق المختصّة بالقسم الفلسطيني الذي لم يهود، ولم تفتهُ الإشارة إلى موضوع الدور الصهيوني في فلسطين.

بعد المقدمة التاريخية التي ابتدأت من العصر القديم إلى العصر الحديث عن فلسطين وجغرافيتها. تناول أوبنهايم القبائل الفلسطينية، والأحداث التاريخية التي حدثت في القرنين الأخيرين، فقد بدأ بقبائل شمال فلسطين ثم عرّج على قبائل أريحا والساحل، ومن ثم تحدث عن قبائل الداخل من الشمالنة، والكعابنة، والمساعيد، والرشايدة إلى القبائل المجاورة لسيناء، كالتياها وغيرها من القبائل والعشائر.

القسم الثاني: قسم سيناء

سار المؤلف على النسق نفسه من حيث السرد التاريخي والوصف الجغرافي للمنطقة، ثم متناولاً القبائل الساكنة فيه، وعلاقاتها مع بعض القبائل المصرية حيث يثبت انتقال بعض القبائل من مصر إلى سيناء والأردن كحال الحويطات. ومن القبائل التي يتناولها في البحث الترابين والسواركة والجبالية والتياها، وغيرها.

القسم الثالث: الأردن

تناول فيه إمارة شرق الأردن وسار على النسق نفسه من حيث السرد التاريخي والوصف الجغرافي للمنطقة، متحدثاً عن القبائل الساكنة فيه ومنها سرحان وبني خالد والعدوان وقبائل الكرك والعمرو والشوبك وغيرها.

القسم الرابع: الحجاز

تناول المؤلف الجانب التاريخي، وتأثير الإسلام في هذا الإقليم، ودور قريش، ومن ثم دور الأشراف فيه والصراعات التي حدثت في تاريخ المنطقة، مشيراً بتفصيل إلى القبائل البدوية كهذيل، وحرب، وعنزة، وبني فهم، وعدوان، وحرب وبنو عطية.

الجزء الثالث (المجلد الثالث): صدر باللغة الألمانية عام 1953م

مسؤولية الإشراف على هذا الجزء، وذلك بعد موت المؤلف تعود إلى مساعده كاسكل لوحده وهنا نجد أنَّ الكتاب تضّمن بعض المعلومات التي كانت غير متوفرة في حياة أوبنهايم، وقد شملت منطقة شمال ووسط الجزيرة العربية وتشمل (نجد والكويت، وقطر، والحسا، والإمارات والبحرين). وقد سار على النسق نفسه من حيث السرد التاريخي والسياسي والوصف الجغرافي للمنطقة، وينقسم هذا الجزء إلى قسمين:ـ

القسم الأول: يتناول شمال ووسط وشرق الجزيرة العربية، حيث تتجلى

البداوة بأجلى صورها، عند شمر، وحرب، وضفير، والدواسر، وبني خالد، وبني هاجر.

القسم الثاني: العراق «العراق الجنوبي».

حيث يشكل هذا القسم ثلثي الكتاب لكونه يشمل منطقة ذات كثافة سكانية، عالية قياساً إلى كل الأجزاء التي يتناولها الكاتب قبائل، من ذلك عشائر العراق «العراق الجنوبي»، مثل عقيل، وخفاجة، والجبور، والحميدات، والخزاعل، وفتلة، وبني تميم، وغيرها من القبائل والعشائر الصغيرة والكبيرة.

الجزء الرابع (المجلد الرابع): صدر باللغة الألمانية عام ١٩٦٦ ـ ١٩٦٨م

يتكوّن هذا الجزء من قسمين:

القسم الأول، يتناول فيه القبائل والعشائر العربية في إقليم عربستان (الأحواز) خوزستان، وكذلك بعض قبائل وعشائر الجزيرة العربية والمناطق المجاورة لها مثل الشرارات والحوازم، يتناول في هذا القسم أيضاً الهتيم وصلبة وطبقة الخضير، حيث يقدم لنا دراسة تاريخية اجتماعية مهمة عنهم.

أما القسم الثاني، فهو يحتوي على فهارس تفصيلية للكتاب ويشمل فهارس القبائل والعشائر والشيوخ والأعلام والأفراد وكذلك فهارس صيحات الحرب (النخوة) وفهارس تفصيلية للأماكن والبقاع من جبال وسهول وأنهار ووديان وينابيع وغيرها.

يحتوي القسم الأول من الجزء الرابع على الفصول التالية.

الفصل الأول: ويتناول فيه المؤلف إقليم عربستان الأحواز (خوزستان) من الناحية الجغرافية والتاريخية وكذلك الصراعات السياسية التي عاشها هذا الإقليم، ومن ثم يدخل في دور القبائل والعشائر العربية في الحياة السياسية والاجتماعية في المنطقة وأثرها في صنع حوادث التاريخ الحديث، ثم يتناول كل القبائل والعشائر العربية في هذا الإقليم.

الفصل الثاني: قبيلة الشرارات.

الفصل الثالث: قبيلة الحوازم.

الفصل الرابع: يتناول فيه بعض القبائل والعشائر الصغيرة في الجزيرة العربية.

الفصل الخامس: يتناول فيه بعض العشائر الصغيرة المنتشرة في المنطقة العربية (قسم آسيا).

الفصل السادس: قبائل الباريا: الهتيم وصلبة وبني خضير.

القسم الثاني: توجد المراجع والمصادر العربية والأجنبية التي اعتمدها المؤلف في بحثه، كذلك توجد المصادر والمراجع التي اعتمدتها في التحقيق.

المجلد الخامس

لقد وضع المؤلف مشجرات أنساب وخرائط جغرافية في كل جزء، تبين مكان انتقال وانتشار وتواجد القبائل التي هي موضوع البحث، حيث قمنا بجمع هذه الخرائط، وقسم من مشجرات الأنساب في هذا المجلد.

كما عمدتُ لرسم مشجرات الأنساب لعدد من القبائل معتمداً بالأساس على مادة الكتاب بالإضافة إلى بعض المصادر الأخرى لأنَّ وجود هذه المشجرات، والخرائط في الكتاب يضيف مادةً أخرى إلى هذا العمل الكبير.

ترجمة سيرة أوبنهايم[1]:

يعتبر أوبنهايم واحداً من الشخصيات الفريدة التي تمتلك ذلك التنوع الهائل والكبير من الاهتمام في مناحي الحياة المختلفة. فهو رجل قانون ودبلوماسي وسياسي ومستشرق وعالم آثار ومخطط إنمائي ورجل مخابراتي من الطراز الأول.

ولد أوبنهايم في 15 تموز عام 1860م في مدينة كولون بألمانيا. وهو الابن الثاني لـ البريت وببولا أوبنهايم. وقد أكمل دراسته الجامعية، حيث درس القانون في جامعة ستراسبورغ Strasbourg عام 1879م التي كانت جزءاً من ألمانيا في ذلك الوقت. وفي جامعة برلين بين عام 1881 ـ 1883م. في شباط 1883م نجح في

(1) غابريله تليشمان Gabriele Telichmann كاتبة سيرة أوبنهايم قد زودتني مشكورةً بموجز عن حياته باللغة الإنكليزية.

امتحان الدولة وهذا الامتحان يؤهله للعمل في مرافق الدوائر الرسمية. وبعد شهر من ذلك التاريخ حصل على درجة الدكتوراه في القانون من جامعة غوتنغن (Goettingen). لقد حصل على تلك الدرجة العلمية وله من العمر 23 عاماً.

يعود بدء اهتمام أوبنهايم في الشرق إلى سني المراهقة الأولى، كما وصفها في مذكراته حيث يقول: إن اهتمامه الكبير جاء بعد أن أهدي له نسخة من كتاب ألف ليلة وليلة وهو في سني المراهقة. حيث كانت نقطة البداية في اهتمامه بالشرق، ثم نضج وتطور هذا الاهتمام بمرور الأيام وكان هذا الاهتمام والشغف ملازماً له، بل كان موازياً لدراسة القانون. إن الولع والاهتمام والمثابرة دفعت أوبنهايم إلى مجالات متنوعة وكثيرة، فقد توسعت دراساته وشملت مواضيع متعددة منها، دراسات الأنثروبولوجي، والأثنولوجي، والتاريخ القديم، ومن ضمنها الدراسات الآشورية التي جعلت منه عالماً متضلعاً في الثقافات والمعرفة المتنوعة. فقد أصبح عضواً في المتحف الملكي الاثنولوجي في برلين، وعضواً في الجمعية الجغرافية الأنثروبولوجيه والاثبولوجية، والتاريخ البدائي وكلا الجمعيتين مقرهما برلين.

بدأ أوبنهايم دراسة اللغة العربية في السنين الأولى من حياته على يد مدرسين خاصين وكان أحد هؤلاء هو Friedrich Wilhelm Müeller الذي يُعدُّ من المدرسين المهمين الذين أسهموا في تعليمه اللغة العربية.

أما بخصوص موقعه كعالم في الاستشراق فيمكن القول بأنه صنع نفسه بنفسه.

ففي عام 1883/ 1884م قام بأول رحلة استكشافية إلى الشرق (تركيا ومصر). وفي عام 1886م قام برحلة إلى المغرب وفي 1892/ 1893م: قام برحلة استشراقية كبيرة من دمشق، وعبر الصحراء السورية، منحدراً إلى نهر الفرات وإلى البصرة. ومن هناك إلى الهند وأخيراً إلى المستعمرات الألمانية الجديدة في شرق أفريقيا. إنَّ نتائج هذه الرحلة والخبرة التي حصل عليها نجدها مفصلة في كتابه (من البحر الأبيض إلى الخليج الفارسي «العربي»)، وهو في جزأين صدر

الأول منهما في عام 1899 والجزء الثاني في 1900م.

وفي عام 1895م ـ ذهب في رحلة إلى اسطنبول، وفيها أعطي له امتياز الحظوة بلقاء السلطان عبد الحميد الثاني بشكل خاص. وقد سهلت له هذه الخطوة بالحصول على معلومات قيمة لبحوثه واكتشافاته الأثرية في المنطقة.

في عام 1896م عمل مستشاراً للقنصل الألماني العام في القاهرة حتى عام 1909م، لم يكن له آنذاك موقع وظيفي دبلوماسي معين، ولكن سمح له بتقديم التقارير إلى المستشار الألماني مباشرة، لقد خدم في عمله في القاهرة لمدة 13 عاماً، وقد بلغ عدد التقارير التي قدمها إلى برلين ما يقارب من 500 تقرير ومذكرة شملت مواضيع عديدة، منها: الوضع السياسي للبدو في مصر وتركيا وفي الحجاز، خصوصاً (المدينة ومكة)، ووضع حال الإسلام في آسيا وإفريقيا وكذلك حال الحركات الإسلامية والقومية العربية وسياسة القوى الأوروبية في الشرق. على كل حال هو لم يعتمد كأحد الدبلوماسيين الألمان، وذلك بسبب أصوله اليهودية. إلا أنه حصل على شيء قليل من العطف من قبل وزارة الخارجية في برلين.

في القاهرة بنى علاقات واسعة مع القادة العرب والأتراك، وخصوصاً ممن كانت لهم مكانة في الحركات الإسلامية. وقد كان موضوع شك وريبة لدى السلطات الإنكليزية في القاهرة، فلم يعرف متى انضم أوبنهايم إلى جهاز المخابرات الألماني، وهل كان فعلاً موظف مخابرات في تلك الفترة؟ على أرجح الظن أنه كان كذلك، فإن السماح له بتقديم التقارير والمذكرات إلى المستشار يدل على أن موقعه كان كبيراً في ذلك الجهاز.

في عام 1899م اكتشف آثار تل حلف في الشمال الشرقي لسوريا، وحصل فوراً على موافقة السلطة لعمله الاستكشافي.

وقد أصبح في عام 1902م مسؤولاً عن خطط إنشاء خط سكة حديد برلين ـ بغداد التي كانت ممولة من قبل البنك الألماني. وقد سافر إلى الولايات

المتحدة الأمريكية لدراسة خطوط سكك الحديد الأمريكية، والاستفادة من الخبرة والتجارب الأمريكية في هذا المجال.

وفي عام 1904م قام برحلة ثانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية لنفس الغرض، وقدم دراسة واسعة عن تأثير الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لمشروع ربط مدن العراق وسورية بخطوط السكك الحديدية، ولكن مشروعه رفض من قبل البنك الألماني لأنه حسب قول البنك ـ غير واقعي. إن هذه الدراسة مطبوعة في كتاب ولكن لم يتم تداوله إلا بشكل محدود.

في عام 1905م ـ أرسل كمندوب لألمانيا لمؤتمر الاستشراق الرابع عشر الذي عقد في الجزائر، وقد قام برحلة إلى الجزائر، وتونس، وقابل القادة السنوسيين.

وأرسل في عام 1908م ـ مندوباً لألمانيا لمؤتمر الاستشراق الخامس عشر الذي عقد في كوبنهاكن.

وفي عام 1909م ـ قدم أوبنهايم استقالته من عمله الوظيفي بشكل طوعي، ولكن هل استمر يعمل بجهاز المخابرات الألماني، أم ترك العمل فيه؟ هذا السؤال لم نعرف جوابه!

في عامي 1911م ـ 1913 استأنف البحث في آثار تل حلف.

في عام 1914م استُدعي أوبنهايم من قبل وزارة الخارجية للخدمة. وقدم مذكرة حول «الثورة في العالم الإسلامي في أرض الأعداء»، وهي الفكرة التي كان الإعداد لها للجهاد ضد البريطانيين والفرنسيين، خصوصاً في تلك المستعمرات التي كان سكانها من المسلمين. لقد أصبح مسؤول دائرة المخابرات الشرقية بأكملها، والتي كانت هي مسؤولة عن الدعاية ضد بريطانيا وفرنسا وتأليب الشارع الإسلامي ضدها.

في عام 1915م ـ صار ملحقاً في السفارة الألمانية في اسطنبول. كان أوبنهايم قد أنشأ قسم الأخبار في أغلب أنحاء الأمبراطورية العثمانية، وكانت مسؤوليته في

دعم الحرب الدعائية التي تعد في ألمانيا والتي تذهب في طريقها إلى لبنان والقدس وشبه جزيرة سيناء وبلاد ما بين النهرين.

في عام 1917م عاد إلى ألمانيا، وبعدها بسنة انتهت الحرب العالمية الأولى، التي تمّ بها احتلال كل العالم العربي من قبل بريطانيا وفرنسا. بدأ عمله كعالم أكاديمي. لقد عمل كعالم أكاديمي بعد الحرب العالمية الأولى مع مجموعة من العلماء من ضمنهم الاثنولوجي إيريش برونيلش **Erich Braunlieh** والمستشرقين فرنركاسكل **Werner Caskel** وآرثور أونغناد **Arthur Ungnad** وبرونومايسنر **Bruno Meissner** وعالم الآثاريات آدم فالكنشتاين **Adam Falkenstein** والآثاري أنتون مورتغات **Anton Moortgat** والاختصاصية إرنست هرتسفل **Ernst Herzfel**.

في عام 1922م ـ قام بتأسيس مركز دراسات الاستشراق في برلين كمؤسسة دراسية حوارية منضبطة.

وفي عام 1923م ـ فقد أوبنهايم ثروة كبيرة في التضخم المالي الذي حدث في ألمانيا.

وفي عام 1925م ـ قام برحلة إلى اسطنبول وأنقرة، وقد طلب منه المشورة بخصوص الحدود الجديدة بين سوريا وتركيا.

في عام 1927م ـ قام برحلة إلى تل حلف لتقييم أوضاع الموقع بعد الحرب الفرنسية التركية.

وفي عام 1929م ـ قام بحملة استكشافية ثانية في تل حلف وجبلت البيدا. وقد سمح لاوبنهايم بإرسال ثلثي مكتشفات تل حلف إلى برلين والبقية أرسلت إلى حلب، وهي اليوم في المتحف الوطني، وفي برلين قام بتأسيس وقفية أوبنهايم الخيرية.

في عام 1930م ـ افتتح متحف تل حلف في برلين مدعوماً من قبل عائلته وأصدقائه.

وفي عام 1931م ـ قام برحلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية لغرض بيع بعض القطع الأثرية التي وجدها في تل حلف، لحلّ بعض مشاكله المادية، ولكن المشروع فشل بسبب حالة الكساد العظيم الذي كان في ذلك الوقت.

في عام 1939م ـ قام بآخر رحلة إلى سوريا وقد رُحّل إلى ألمانيا قسراً، وذلك بتدخل من السلطات الفرنسية.

وفي عام 1943م ـ تعرض بيت ومكتب أوبنهايم الخاص ومقتنياته الشرقية وآثار تل حلف في المتحف للضرب بواسطة القنابل، حيث سببت أضراراً وفقدان الكثير منها. ثم رحل إلى درسدن.

1945م ـ بعد الحملة الجوية العنيفة على درسدن انتقل إلى بافاريا.

1946م ـ في 15 تشرين ثاني/ نوفمبر توفي أوبنهايم في لانشت وفيها دفن.

مؤلفات ماكس فرايهر فون أوبنهايم

1 ـ تقرير عن رحلته عبر البادية السورية. برلين 1894م.

2 ـ رحلة عبر البادية السورية وبلاد ما بين النهرين إلى الموصل وبغداد في عام 1893م. (باللغة الإنجليزية).

3 ـ مشروع شركة زراعية في هانداي (أوسمبرة) في إفريقيا الشرقية التابعة لألمانيا (مطبوعة كمخطوطة، 1894م).

4 ـ حول خريطة الطريق التي اتبعتها في رحلتي من دمشق إلى بغداد في عام 1893م. غوتا 1896م.

5 ـ من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي، عبر حوران والبادية السورية وبلاد ما بين النهرين، الجزءان الأول والثاني، برلين 1899، 1900م.

6 ـ رحلة في سورية وبلاد ما بين النهرين، من دمشق إلى بغداد، باريس 1900م.

7 ـ تقرير عن رحلة علمية نفذت في عام 1899م في تركيا الآسيوية. برلين 1901م.

8 ـ رابه ومنطقة بحيرة تشاد، برلين 1902م.

9 ـ حول تطوير منطقة الخط الحديدي البغدادي وخاصة سورية وبلاد ما بين النهرين عن طريق الاستفادة من الخبرات الأمريكية (مطبوعة كمخطوطة، برلين 1904م).

10 ـ ماكس فرايهرفون أوبنهايم وهـ. لوكاس: كتابات إغريقية ولاتينية من سورية وبلاد الرافدين وآسيا الصغرى. لايبزغ 1905م.

11 ـ تل حلف والإلهة المحجبة. لايبزغ 1908م.

12 ـ الرحلة العلمية الثانية للدكتور ماكس فرايهرفون أوبنهايم في تركيا الآسيوية. 1911م.

13 ـ كتابات من سورية وبلاد الرافدين وآسيا الصغرى، تمّ جمعها في عام 1899م. لايبزغ 1913م. 1 ـ كتابات عربية، عالجها الدكتور ماكس فان برشم (نشرت لأول مرة 1909م). 2 ـ كتابات سورية، عالجها برنهارد موريتس. 3 ـ كتابات عبرية، عالجها يوليوس أوتينغ.

14 ـ ماكس فون أوبنهايم ونرايهر هيلّر فون غرتر ينغن: كتابات في المغائر من إديّسا مع رسالة المسيح إلى آبغار برلين 1914م.

15 ـ رأس من المرمر لأمير سوري. لندن 1925م.

16 ـ تمثال نصفي لجوليا مايا. لندن 1925م.

17 ـ الجرد ولعبة الجرد. لايبزغ 1927م.

18 ـ تمثال لشخص غير معروف من السرج (من: الشرق القديم. دراسات، مهدأة لبرونومايستر بمناسبة عيد ميلاده الستين. الجزء الثاني، لايبزغ 1929م.

19 ـ روائع تل حلف ـ اكتشاف عظيم. لندن 1930م.

20 ـ أقدم تمثال ضخم في العالم. اكتشاف عظيم في بلاد الرافدين. لندن 1931م.

21 ـ تل حلف، حضارة جديدة في أقدم بلاد الرافدين. لايبزغ 1931.

22 ـ تل حلف. حضارة جديدة في أقدم بلاد الرافدين (باللغة الإنجليزية). لندن 1932م.

23 ـ تل حلف. أقدم عاصمة... باريس 1933م.

24 ـ دليل متحف تل حلف. (برلين) 1934م.

25 ـ إما مكولو، تمثال... جديد من عهد الحثيين في آسيا الصغرى. 1937م.

26 ـ تل حلف، حضارة أعيد اكتشافها في ما بين النهرين. باريس 1939.

27 ـ البدو. بالتعاون مع إيريش برونيلش وفرنركاسكل. الجزء الأول: القبائل البدوية في ما بين النهرين وسورية. لايبزغ 1939م. الجزء الثاني: القبائل البدوية في فلسطين وشرقي الأردن وسيناء والحجاز. لايبزغ 1943م[1].

28 ـ رحلاتي العلمية في أعالي منطقة ما بين النهرين، الخريطة 1: 500,000 مع كلمات توضيحية وفهرس بأسماء الأماكن. برلين 1943م.

29 ـ تل حلف. الجزء الأول: آثار من مرحلة ما قبل التاريخ. إعداد

(1) نشر هذا الجزء فعلياً في نهاية عام 1944م.

هوبرت شميث. مع مقدمة لكامل الكتاب بقلم ماكس فرايهر فون أوبنهايم. برلين 1943م[1]. الجزء الثاني: الصروح المعمارية لكل من فليكس لانغن إغر، وكارل مولر، ورودولف ناومان. أعدها واستكملها رودولف ناومان. برلين 1950. الجزء الثالث: كتب الصور أعدها وأصدرها انتون موتغات، برلين 1955م. الجزء الرابع: الاكتشافات الصغيرة من العصر التاريخي، أعدها وأصدرها بارتل هرودا، برلين 1962م.

30 ـ رحلة عبر الصحراء السورية وبلاد الرافدين إلى الموصل وبغداد عام 1893م، نيويورك 1902م.

31 ـ تنوير (نشر الثورة) في المناطق الإسلامية لأعدائنا، برلين 1914م.

32 ـ منظمة قاعة الأخبار التركية التابعة لقسم الأخبار في السفارة القيصرية (الألمانية) في القسطنطينية في خدمة العمل الدعائي الألماني في المشرق، برلين 1914م.

33 ـ قسم الأخبار في السفارة القيصرية الألمانية في القسطنطينية والدعاية الاقتصادية الألمانية في تركيا، برلين 1916م.

34 ـ منظمة قاعة الأخبار والدعاية الاقتصادية في تركيا، تولى مهامها من قبل جهاز الاستخبارات الألماني لما وراء البحار، برلين 1917م.

35 ـ تطور علاقات القوة في داخل وشمال الجزيرة العربية، برلين 1919م.

36 ـ قبائل بدوية وغير بدوية في سورية والعراق وشمال الجزيرة العربية ووسطها برلين 1919م.

---

(1) نشر أيضاً في نهاية عام 1944م. قبل كتاب تل حلف وكتمهيد له صدر كتاب: كتابات تل حلف. نصوص بالكتابة المسمارية ووثائق آرامية من عاصمة إقليمة آشورية قام بإعداده ونشره: يوهانس فريدرش، غ. رودولف ماير، آرتور أونغناد، إرنست ف. فايدنر. برلين 1940م (أرشيف الأبحاث الشرقية، الملحق 6).

37 ـ دليل عبر متحف تل حلف، برلين 1934م.

38 ـ شعارات أنصاف الآلهات (؟) Subaraeisch على الخزف الملون في تل حلف وعمر صور تل حلف المرسومة على الحجر، في: . . . . . ، باريس 1939م.

39 ـ تاريخ عائلتي إنجلس في كولن وهارتونغ. . . ، درسدن 1943م.

إيريش برونيلش (1892 ـ 1945)[1]

يعتبر برونيلش واحداً من المستشرقين المهمين بالرغم من قصر حياته العلمية إلا أنه قد قدم الكثير. عني برونيلش بالشعر الجاهلي وحياة البدو واللغة العربية ومعاجمها وواصل بذلك السلسلة الممتازة من المستشرقين الألمان مثال كوز جارثيني وفلهاوزن وأوغست فيشر.

ولد عام، 1892م وصار معيداً في جامعة لايبزغ عام 1922م، وحصل على الدكتوراه الثانية (المؤهل للتدريس في الجامعة) من غرايفسفالد عام 1923م ثم عيّن أستاذاً في كونجسبرج عام 1930م، والسنة 1931م انتقل إلى جامعة لايبزغ وقد عين أستاذاً في جامعتها، خلفاً للغوي العظيم أوغست فيشر، وصار في نفس الوقت مديراً لمعهد الدراسات الشرقية في جامعة لايبزغ، ثم صار بعد ذلك عميداً لكلية الآداب فيها. ولما قامت الحرب العالمية الثانية عام 1939م استدعي للخدمة فترك العمل الجامعي، ونجا من الموت طوال الحرب لكنه مرض في سبتمبر/ أيلول عام 1945م، وتوفي قبل أن يبلغ 53 سنة.

بحوث وكتب برونيلش

1 ـ بسطان بن قيس أمير وبطل بدوي من العصر الجاهلي لايبزغ 1923م.

2 ـ فهارس الشواهد في الشعر، وهو فهارس للقوافي العربية والشعر الوارد

(1) د. بدوي عبد الرحمن ـ المصدر السابق ـ ص66 ـ 67.

في كتب الشواهد النحوية واللغة العربية ومشابها (بالتعاون مع أوغست فيشر 1943م).

3 ـ البدو (بالتعاون مع أوبنهايم وكاسكل 1939م ج1 وج2).

4 ـ وله مقالات، منها:

أ ـ البئر في بلاد العرب القديمة (مجلة إسلاميكا ج1).

ب ـ في مسألة صحة الشعر الجاهلي (مجلة OIZ ج29).

جـ ـ الخليل وكتاب العين (مجلة اسلاميكا ج2).

د ـ دراسات عن أبي ذؤيب (مجلة Der Islam الإسلام ج8).

هـ ـ تحقيق خارطتين من زمن الاكتشافات الكبرى حول تركية، لايبزغ 1937م.

فرنر كاسكل Werner CASKEL[1]

ولد في 5 مارس آذار 1896م بمدينة دانسك الواقعة على الحدود الألمانية البولونية والتي أصبحت جزءاً من بولونيا لاحقاً، دخل جامعة توبنغن لدراسة اللاهوت في الفصل الصيفي 1914م، وفي الوقت نفسه تعلم اللغة الفارسية على يد زايبولد Seybold وفي الفصل الدراسي الشتوي 1914 ـ 1915م انتقل إلى جامعة برلين فواصل دراسة اللاهوت عند أستاذ الآشوريات دليتش Delitzsch ولديه درس القرآن، تطوع في بداية 1915م في الجيش الألماني فاشترك في القتال أولاً في فرنسا ثم الشرق الأوسط ضمن الجيش الألماني المعروف بجيش آسيا والذي كان يحارب مع الأتراك ضد الإنكليز والفرنسيين في تركيا والشرق الأدنى. وعن هذا الطريق

(1) د. بدوي عبد الرحمن ـ المصدر السابق ـ 312 ـ 316.

شاهد تركيا وفلسطين وسورية والعراق، وتعلم التركية إلى جانب إتقانه اللغة العربية التي درسها من قبل في الجامعة.

سرح من الخدمة العسكرية في نيسان 1919م فعاد إلى استئناف الدراسة في جامعة برلين، حيث درس على أيادي ارنست تريليش اللاهوتي، وأدوارد زاخاو المستشرق الكبير. وبناءً على نصيحة الأستاذ Schaada بأن يلتحق بجامعة لايبزغ انتقل كاسكل إلى لايبزغ، في سبتمبر/ أيلول 1920م اجتاز الامتحان الأول في اللاهوت أمام الهيئة الدينية في دانتسج. ثم عاد إلى ليبزغ لمواصلة الدراسة العربية والإسلامية عند أوغست فيشر، و ر. هارثمان. وفي تموز/ يوليو 1924م اجتاز امتحان الأديان الشفوي للدكتوراه في الدراسات الشرقية، وفي تاريخ الأديان، وقد التحق بالعمل في عام 1923م مع أوبنهايم الدبلوماسي وعالم الآثار لاستثمار نتائج رحلاته العلمية والأثرية. حصل كاسكل على دكتوراه التأهيل للتدريس في اللغات السامية وعلوم الإسلام في جامعة برلين أمام لجنة اشترك فيها متفوخ ومايسنر.

في خريف 1930م عين مدرساً للفيلولوجيا الشرقية في جامعة غرايفسالد Greifswald خلفاً لبرونيلش. ولأسباب لا نعلمها وقع كاسكل في نزاع مع النازية عام 1933م فقد دعته جامعة منشن (ميونخ) أن يخلف برجشتريسر أستاذ اللغات السامية والدراسات الإسلامية في جامعتها، فلم توافق السلطات النازية على تعيينه. يقول كاسكل عن نفسه «ازداد التضييق على عملي بوصفي مدرساً، خصوصاً بعد أن وقع أبي ضحية التعصب النازي حرمت من التدريس».

وعندما انتهت الحرب عُدَّ كاسكل من ضحايا النازية فعين أستاذاً في جامعة كولونيا حتى تقاعده عام 1964م. وتُوفي عام 1970م.

تأثر كاسكل في دراسة اللغة العربية بأستاذه أوجست فيشر في الفيلولوجيا العربية والشعر الجاهلي ورسالته الدكتوراه الأولى كانت بعنوان «القدر في الشعر العربي القديم».

أما رسالة الدكتوراه الثانية لتأهيله للتدريس في الجامعة Habilitation فكانت بعنوان «أيام العرب»، وفيها درس أمراء العرب في الجاهلية وأبطالها والملاحم العربية الجاهلية، وبهذه المناسبة جمع مواد وفيرة عن مواطن القبائل قبل الإسلام وبعده.

لكنّ العمل العظيم الذي قام به كاسكل هو دراسته الجليلة لكتاب «جمهرة النسب» لابن الكلبي، ويقع في مجلدين ضخمين وهو يحتوي على لوحات أنساب صارت المعتمد الأساسي في كل ما يتعلق بأنساب العرب في الجاهلية، وصدر الإسلام، وعدد هذه اللوحات 334 لوحة زوّدها بشروح مستفيضة وبفهرس جامع للأشخاص، وقد جمع هذه الشروح، وهي تقع في حوالي 35 ألف مادة من كتب الأنساب والشعر العربي القديم والنقوش.

وقد اهتم في هذا السبيل بكل ما يكتشف من نقوش عربية قديمة، خصوصاً ما اكتشفه العالم البلجيكي الكبير ريكمانز Ryyckmans فكتب بحثاً بعنوان اكتشفات من بلاد العرب في 1954م، وكتب مقالات بعنوان «نقش المنارة، رؤية جديدة» وبحثاً بعنوان معنى النقش الذي عثر عليه في حصن الغراب، وكتب عن الصخرة والأسراء. ولحيان واللحيانيات 1954م.

كتب ومؤلفات كاسكل

1 ـ دراسات في الملاحم العربية القديمة 1931م.

2 ـ مهدي من القرن الخامس عشر 1931م.

3 ـ ولاة الحويزة 1934م.

4 ـ قبة الصخرة والحج إلى بيت المقدس 1936م.

5 ـ الحديث في صدر الإسلام 1936م.

6 ـ مشاركة مع أوبنهايم وبرونيلش في كتاب البدو في جزأيه الأول والثاني،

ثم واصل نشر الجزء الثالث والرابع بعد موت أوبنهايم.

7 ـ تحقيق كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي.

8 ـ شارك في تأليف كتاب «موسوعة العالم» في مجلد كبير أطلق عليه «تاريخ العرب قبل الإسلام» 1967م.

9 ـ أهمية البدو في تاريخ العرب، كولون 1953م.



مقدمة المؤلف

كتاب "البدو"، الذي بين أيدينا، هو حصيلة أربعين عاماً من العمل والملاحظات والتسجيلات الشخصية، التي قمت بها في عين المكان وإنني لأتقدم بجزيل الشكر لكل من مد لي يد العون في الشرق، أو قام، من تلقاء نفسه، بتقديم ملاحظات واجراء تسجيلات هناك. واخص بالذكر، قبل كل شيء، مساعدي الالمانيين البروفيسور الدكتور إريش برونيلش والدكتور فرنر كاسكل.

ومع أنني ابديت اهتماماً خاصاً بكل ما سبق ونشر حول البدو حتى الآن، فإن أبحاثي الخاصة تبقى الأساس الذي يقوم عليه هذا الكتاب.

يضم كتاب "البدو" بين دفتيه كل ما يستحق أن يعرف عن القبائل الرحل ونصف الرحل، واهميتها الفائقة، وعن القبائل الرعوية غير العربية أيضاً، التي تقطن الشرق الأدنى وتنتشر في أراضي أسيا الصغرى المرتفعة وفي العربية السعودية جنوباً. إنه كتاب صيغ بأسلوب علمي رصين، لكنني حرصت، في الوقت نفسه، على أن يكون مفهوماً من الجميع. لذلك فهو لا يخاطب المتعلمين وحدهم، بل يتوجه إلى كل من لديه اهتمام بمسألة البدو، أو من يتعامل معهم، بمن فيهم الرحالة الأوروبيون، والموظفون، والضباط العاملون في الشرق. سيقدم كتابنا هذا معطيات إلى كل من يبحث عن معلومات حول سائر المسائل المتعلقة بأبناء الصحراء هؤلاء.

لقد تركت الحرب العالمية، التي أثارت انقلابات متعددة الجوانب في كل مكان تقريباً، بصماتها على البدو أيضاً. مع ذلك، سيبقى أحرار الصحراء الأصليون محافظين إلى أمد بعيد على الصورة التي يقدمها كتابنا عنهم: صورة شعب أبي ومحب للحرية، قاس وشديد البأس، مضياف ومحارب.

نشوء كتاب البدو وتطوره

لعب البدو، وكل ما يمت إليهم بصلة، دوراً كبيراً على الدوام في تلك الفترة من حياتي التي أمضيتها في الشرق، لذلك أجدني مضطراً لأن أخصها بملخص قصير، مستقل عن المسألة البدوية بذاتها.

لقد تجولت في الشرق منذ شتاء عام 1883/ 1884م، زرت حينذاك القسطنطينية وآسيا الصغرى عندما كنت لا أزال موظفاً تحت التمرين، وقمت عام 1886م برحلة بحثية إلى المغرب. في هذه الفترة، تحول غيرهارد رولف وناختيجال وشفاينفورت، الذين كنت قد تعرفت عليهم وغدوت صديقاً لهم، إلى مثل أعلى لي، حذوت حذوهم وتعلمت اللغة العربية.

عام 1892م، صار بوسعي أن أبدأ بأعمالي الدراسية في الشرق على نطاق أكبر، فقمت برحلة عبر شمال أفريقيا، بدأتها من المغرب برفقة فيلهلم يوزت، إبن بلدي المنحدر من مدينة كولونيا. ثم توقفت طوال أشهر سبعة في القاهرة، حيث سكنتُ بيتاً عربياً في حي شعبي، وعشت كما يعيش المسلمون المحليون، لأعزز معرفتي باللغة العربية، وأدرس باستفاضة روح الإسلام وعادات وتقاليد أبناء البلد، وأعد نفسي إعداداً أفضل لبعثات أخرىٰ، قيض لها أن تقودني إلى مشرق العالم العربي.

في ربيع عام 1893م، قادتني دروبي إلى دمشق، التي انطلقت منها في أول رحلة دراسية كبيرة في غرب آسيا، سجلت نتائجها في كتاب من جزئين عنوانه "من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي» عبر حوران والصحراء السورية".

وقد رافقني خلال هذه البعثة خبير ممتاز في الشؤون البدوية هو منصور

نصر، ابن أخ الشيخ مجول المصرب من قبيلة السبعة ـ عنزه، وزوج السيدة البريطانية الجميلة ديجي، التي اشتهرت بسبب غرابة أطوارها. فقد قامت، بعد حياة حافلة بالمغامرات في بلاطات أوروبا المختلفة، عام 1853م برحلة من دمشق إلى تدمر وقعت خلالها في حب الشيخ مجول، قائد حراسها البدوي، وتزوجته وأخلصت له، بعكس ما كانت قد فعلته مع أزواجها وأصدقائها الأوروبيين السابقين. قاسمت السيدة زوجها البدوي حياة الصحراء ستة أشهر من كل عام، وبقيت وفية لهذا العرف إلى أن توفاها الله عام 1881م في بيتها بدمشق.

خلال رحلة عام 1893م، تمكنت من جمع مواد غنية حول البدو، دونتها في فصلين خاصين ضمهما الجزء الثاني من كتابي السابق ذكره. وقد أيقظت هذه البعثة في نفسي حب حياة أبناء الصحراء القاسية والجامحة. وعقدت أواصر «أخوة دم» مع واحد من أعظم زعماء البدو جبروتاً ونفوذاً هو الشيخ فارس شيخ شمّر، التي كانت أيضاً رباط صداقة التزم به فيما بعد ابنه مشعل وابن أخيه عجيل.

عودت نفسي، عندما كنت في القاهرة، أن لا أتناول طعامي بالشوكة والسكين، مثل الطبقة الوسطى المنعمة لذلك الزمان، وأن آكل بأصابعي، مستخدماً يدي اليمنىٰ وحدها، كما يقتضي العرف. أثناء بعثة عام 1892م، كنت أتناول طعامي بهذه الطريقة بطبيعة الحال، سواء كنت ضيفاً على البدو أو حلّوا هم ضيوفاً عليَّ. وقد مكنتني حياتي الدائمة معهم، ومصاحبتهم في الركاب والخيمة، من تحسين معرفتي بحياتهم تحسناً مضطرداً، وقد جعلتهم يشعرون أنني أتخذ موقفاً ودياً حيالهم، وأتفهم عاداتهم وأعرافهم، لذلك بادلوني الود وأجابوا على تساؤلاتي بطواعية.

لم تكن استفساراتي حول البدو في رحلتي التي قمت بها عام 1893م، وافية بعد، بطبيعة الحال. وإن كنت قد خططت آنذاك لوضع كتاب شامل عنهم، لأن ما كانت تقدمه تقارير الرحالة حتى ذلك الحين من معلومات حول أبناء الصحراء، كانت تبدو لي غير كافية.

قادتني رحلة العودة من بلاد ما بين النهرين عبر الخليج العربي والهند إلى مستعمرتنا، الفتية والجميلة وقتذاك، شرق افريقيا، حيث قمت ببعثة داخل البلاد حصلت خلالها على أراضٍ واسعة في أوسامبارا، وسرعان ما أسس فيها بعض الأصدقاء مزارع في وقت لاحق[1].

عند عودتي إلى القاهرة إلتقيت مطلع عام 1894م بزبير باشا، الذي كان قد أسس إمارة عظيمة في السودان المصري، بفضل صيد العبيد، فاستدرجه الخديوي اسماعيل إلى القاهرة، وزجّه في قصر جميل غدا سجنه الذهبي بعد أن شعر بأنه أصبح شديد القوة. أفادني زبير باشا بمعلومات على قدر عظيم من الأهمية حول واحد من معاونيه الميدانيين اسمه رابح، كان قد رفض الاستسلام للمصريين، ورحل مع عدد كبير من جنوده وعائلاتهم باتجاه المناطق الواقعة إلى الغرب من نهر النيل.

عندما عدت إلى المانيا، كتبت تقريراً حول هذه الواقعة، وحول معلومات أخرى كنت قد حصلت عليها في القاهرة عن منطقة بحيرة تشاد، والطريقة الصوفية السنوسية، التي لم تكن على قدر كبير من الأهمية الدينية وحسب، بل كانت مهمة جداً من الناحية السياسية أيضاً. نتيجة لذلك، عرضت عليّ وزارة الخارجية أن أنطلق على رأس بعثة المانية وأتوغل في عمق أراضي الكاميرون، للاستيلاء على المناطق الواقعة بينها وبين بحيرة تشاد لصالح المانيا، وإبعاد انجلترا وفرنسا عنها. من جانبي، قدمت خطة تقوم على الانطلاق من طرابلس الغرب وعبور قفار الصحراء، على غرار ما فعله ناختيجال ذات يوم، فوافقت الوزارة عليها[2].

(1) خضعت منطقة الغابات البكر التي اشتراها الزعيم كيانجا هانداي، وتبلغ مساحتها بضعة أميال مربعة، لاشرافي بينما كنت أعمل تحت إدارة محافظ تانجا فرايهير فون سانت بول هيلير، رئيس «الشركة الراينية لمزارع هانداي». هذه المزرعة، التي اهتمت أول الأمر وبنجاح كبير في زراعة القهوة، ثم زراعة القنب، وحتى بعد ظهور دودة القهوة بقيت على أفضل حال، إلى أن فقدتها المانيا خلال الحرب العالمية.

(2) كان من المقرر أن يرافقني خلال بعثتي السادة التالية أسماؤهم: الأمير (غراف) تسيش، =

غير أن حملتنا لم تنفذ، لأن رابحاً كان يسبق دوماً القوى الأوروبية، عند وقوع تنافس بين انجلترا وفرنسا والمانيا. فقد انطلق، وكأنه نابليون اسود، في مسيرة انتصارات قادته من السودان المصري، إكتسح خلالها الأراضي الواقعة جنوب الوادي، وممالك باغيرمي وبرونو الكبيرتين. لكن سيطرته كانت، مع ذلك، قصيرة العمر، إذ سقط في المعركة ضد الفرنسيين، وانهارت المملكة التي كان قد أسسها[1]. عند اقتسام مناطقه على يد قوى الاستعمار الأوروبية، إستغلت المانيا بعثتي التي كانت جاهزة للمسير وحصلت على ما يسمى «قبعة كابريفي»، مستعمرتنا الكاميرونية التي ضمت أقساماً واسعة من باغيرمي وبرونو، مع منفذ إلى بحيرة تشاد.

منذ تلك اللحظة، عملت في وزارة الخارجية، والتحقت بممثليتنا الديبلوماسية في القاهرة، حيث كان عليّ متابعة ومراقبة جميع شؤون العالم الاسلامي. كانت القاهرة أفضل موقع يمكنني العمل منه، فالصحافة المصرية، المكتوبة بلغة القرآن العربية، كانت على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لمجمل العالم الاسلامي، الممتد بين المحيط الأطلسي والصين. يرجع ذلك حقيقة إلى أن السلطان عبد الحميد، الذي كان حاكماً مطلقاً، كان يرفض بشدة قيام الصحافة التركية بالتعبير الحر عن آرائها؛ في حين كانت القاهرة مقراً لجميع اللاجئين السياسيين المسلمين، وخاصة منهم اولئك القادمون من الامبراطورية العثمانية.

كانت علاقاتي على أحسن ما يرام مع السلطان عبد الحميد أيضاً. فقد نلت عطفه وثقته عام 1894م، عندما أخبرته أن صديقي فارس، شيخ شمّر، الذي كان قد أنعم عليه بلقب الباشوية، تحدث عنه بأعظم قدر من التمجيد والخضوع، كخليفة

= الحاكم اللاحق لتوجو، وفون سيفريد، الذي قام بالمسوح الجغرافية في غرب افريقيا بتكليف من المكتب الكولونيالي الالماني، والخبير الحراجي بليهن، الذي قتله بعد وقت قصير من ذلك سهم مسموم في الكامرون، ودكتور فولهبورن، الذي صار فيما بعد وحتى وفاته قبل وقت قصير مديراً للمعهد الصحي المداري في هامبورغ.

(1) تابع: ماكس فون اوبنهايم، رابح ومنطقة بحيرة تشاد، برلين 1902م.

وولي أمر لجميع المسلمين. وقد أرضاه الأمر كثيراً، لأنه كان يعلم أن أبناء الصحراء ـ شأنهم في ذلك شأن العرب عموماً ـ يكرهون الأتراك من صميم قلوبهم، ويحتملون سيطرتهم مكرهين.

ومنذ عام 1894م أقمت علاقات طيبة مع أسرة صديقي اللاحق الأمير فيصل، ملك العراق الذي توفاه الله عام 1933م، والذي كان السلطان عبد الحميد قد أمر بتقديمي إلى والده، الأمير حسين، الذي أصبح شريف مكة فيما بعد، وملك الحجاز بعد الحرب العالمية، الذي كنت مراراً وتكراراً ضيف قصره الجميل على البوسفور.

كان السلطان عبد الحميد قد طلب أن أزوره كلما أتيت القسطنطينية، وهو ما حرصت على فعله بانتظام. بسبب هذه الحظوة، توثقت علاقاتي هناك مع اثنين من العرب المهمين جداً في عالم البدو، هما أولاً عزت باشا العابد، الذي سأعود إلى الحديث عن أسرته بتفصيل أكبر، وكانت له صلة قرابة من جهة الأم مع عشيرة الموالي في شمال سورية، وكان ابنه إلى أمد قريب رئيساً للجمهورية السورية في دمشق. كان عزت باشا المؤسس الحقيقي لسكة الحديد الصحراوية التي ربطت دمشق بالمدينة المنورة في الحجاز.

أما العربي الثاني، الذي ربط السلطان عبد الحميد نفسه اواصر العلاقة بينه وبيني رغم أنه كان يمقت أن تقوم في الأحوال العادية صلات بين أهل الحظوة من العرب وبين الأوروبيين، فكان الرجل المشهور، أو بالأحرى سيء الصيت، الشيخ أبو الهدى، الذي ينحدر بدوره من أصول بدوية، وكان قريب بني خالد في شمال سورية، واكتسب أهمية كبيرة بوصفه الزعيم الذي نصبه السلطان على الطريقة الرفاعية الجبارة، ذات الانتشار الواسع، التي اتخذت أسر شيوخها، الأصلية والموغلة في القدم، من البصرة مقاماً لها. كان أبو الهدى قد تنبأ أن الأمير عبد الحميد سيصير سلطاناً وخليفة. ولعب، شأن عزت باشا، دوراً في بلاطه السلطاني، وامتدت أهميته لتشمل المنطقة الاسلامية بأسرها. وقد عادت صداقتي مع أبو الهدى عليّ بفوائد جمة أثناء الرحلة التي قمت بها عام 1899م.

باستثناء بعض الانقطاعات، إلتحقت خلالها بسفارتي المانيا في واشنطن وباريس أو عملت في وزارة الخارجية ببرلين، أمضيت الفترة بين عامي 1896م و1909م عضواً في السلك الديبلوماسي الالماني بالقاهرة، حيث كان مسكني يقع على الحد الفاصل بين الحي الأوروبي والحي الشعبي، ورأيت كثيراً من المصريين وسواهم من المسلمين، وكان من بينهم عدد كبير من البدو، بصورة خاصة.

في تلك الأيام، كان كل عام يشهد استيراد جمال وخيول بملايين الماركات من شبه الجزيرة العربية وسورية وبلاد ما بين النهرين إلى مصر. هذه الحيوانات كان يرافقها أفراد من قبائل مختلفة. وكان السيد وينفريد والسيدة آن بلنت، اللذان ندين لهما بكتابين مهمين هما: "قبائل بدو الفرات" و"رحلة إلى نجد"، يعيشان آنذاك في المطرية، احدىٰ ضواحي القاهرة الواقعة على حافة الصحراء، ويحتفظان باصطبل يضم خيولاً عربية أصيلة.

كان الأمير أحمد باشا واحداً من أصدقائي الخلّص في القاهرة. إنه والد الأمير الكثير الترحال يوسف كمال، الذي كان يمتلك بدوره قصراً في المطرية، وقد عرفني على محمد ابن بسام من عنيزة، احدىٰ الواحات الواقعة داخل الجزيرة العربية. كان محمد ابن بسام واحداً من أكثر كبار تجار العالم العربي أهمية. وكانت أسرته مقربة من سلالة أمراء ابن رشيد، والمسيطرة في جزيرة العرب آنذاك. وقد توزعت مؤسساتها التجارية بين مكة وجدة ودمشق وبغداد، وكذلك في بومبي، التي كانت تُرسل إليها خيول عربية يشتريها عادة الجيش الانجليزي، وكذلك مهارى للضباط البريطانيين. وكان للاسرة فروع تجارية في القاهرة وطرابلس أيضاً، بل إنها امتلكت لبعض الوقت سفينة بخارية خاصة بها، أبحرت بين مينائي البصرة وجدة.

كانت لصداقتي مع ابن بسام أهمية كبرى بالنسبة لدراستي عن البدو، حيث كنت مرات عديدة معه في دمشق، مقر إقامته الأصلي، وسعدت بزيارته لي عام 1913م طوال أيام عديدة في تل حلف، وتلقيت منه حتى عام 1929م معلومات ذات قيمة كبيرة عن القبائل، وخاصة قبائل الجزيرة العربية الأصلية. إنني أدين لهذا

الرجل ذي الاطلاع الواسع، بعرض مترابط ومتكامل عن تطور علاقات السلطة في قلب الجزيرة العربية منذ بداية القرن الماضي وحتى الحرب العالمية، والتي طبعت في نهاية الحرب والمخطوطة المتعلقة بذلك لخدمة أهداف رسمية.

وكان عدد من أفراد القبائل العربية المختلفة الذين جاؤوا القاهرة لبعض الوقت من سورية وبلاد الرافدين والجزيرة العربية، ساعدوني في الشروع بكتابات جديدة عن أبناء الصحراء، من بينها المخطط المحكم المكتمل التفصيل، الذي نشأ عنه الكتاب، الذي بين أيدينا.

قمت بزيارات متكررة إنطلاقاً من القاهرة، درست خلالها العلاقات البدوية في تركيا الآسيوية. كما قمت عام 1897م بزيارة للغرض نفسه إلى شرق الأردن. لكن الرحلة الأكثر أهمية بين هذه الرحلات الدراسية الجديدة كانت تلك التي أردت القيام بها عام 1899م. في الأصل، كانت الرحلة مكرسة لزيارة الأمير محمد ابن رشيد في حائل، الذي كنت قد ربطت علاقات معه. لكن وزارة الخارجية الالمانية نصحتني، قبيل انطلاقي إلى الجزيرة العربية، بالتخلي عن مشروعي لأسباب سياسية، فتخليت عن تنفيذه والألم يعتصر قلبي، بعد أن كنت قد هيأت مستلزماته كلها.

قبل هذه الفترة، كان جورج فون سيمنس، مدير البنك الالماني، قد رجاني بأن أقود بعثة استكشافية قرر البنك إرسالها من أجل تحديد أفضل المواقع لسكة حديد بغداد، التي كان قد تقرر إقامتها. لكن وزارة الخارجية الالمانية رغبت أن أبقى بعيداً عن المشروع، وطلبت مني التوقف عن إصدار كتابات أخرى عن الشرق. ذلك أن الدائرة التي كنت تابعاً لها إعتقدت أن من غير الملائم ترك موظف في الدائرة السياسية يعالج قضايا الشرق، التي تثير قدراً من اهتمام انجلترا وفرنسا يفوق كثيراً اهتمامنا نحن بها. نتيجة لذلك، حل الدكتور شتيمريش، القنصل الالماني العام في القسطنطنية، الذي كان يرأس ممثليتنا التجارية هناك، حلّ محلي في قيادة بعثة عام 1899م، المكلفة بتحديد مواقع سكة حديد بغداد. أما أنا، فلم أتوجه بقافلتي الجاهزة للمسير إلى ابن رشيد، بل انطلقت عام 1899م من

دمشق عبر حلب إلى بلاد الرافدين، بصحبة رجال مهرة ومدربين على خير وجه. هنا، كان بوسعي، على الأقل، تلبية رجاء آخر للسيد فون سيمنس، أعني إبلاغه رأيي حول أفضل خط للسكة الحديد في المسافة الصعبة جداً، الواقعة بين حلب والموصل. وقد قبل السيد فون سيمنس الاقتراحات التي قدمتها له، ولسعادتي البالغة، لم تمر السكة، كما كان مقرراً من قبل، بمحاذاة طرق القوافل المطروقة آنذاك والمدن الكبرى بيره‌جيك وأورفة «الرها» وماردين مع سكة فرعية عبر ديار بكر إلى نصيبين والموصل، بل تم اختيار طريق أبعد إلى الجنوب ويبدأ من حلب ماراً بـ(جرابلس) على نهر الفرات إلى تل أبيض جنوب أورفه إلى رأس العين في منطقة منابع الخابور إلى نصيبين.

صحيح أنه لم يكن هناك مستوطنات كبيرة في هذه المسافة من بلاد الرافدين، باستثناء نصيبين، وانه وجدت قرى صغيرة جداً، إستوطنها أكراد وبدو رحل سابقون، غير أن المنطقة بأسرها كانت مغطاة بتلال ـ هضاب خرائب ـ دلت على أنها عرفت كثافة سكانية هائلة في الماضي. إلى هذا، لم تكن الأرض صحراء بلقعاً، كما يعتقد غالباً، ولم تكن كذلك مغطاة بالرمال أو المستنقعات، بل كانت جزءاً من المناطق التي أسماها البروفيسور ج. بريستيد ـ مدير معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو، الذي توفي لسوء الحظ في فترة مبكرة جداً ـ "الهلال الخصيب"[1]، حيث ازدهرت ممالك وإمارات كبرى في العصور القديمة، فكانت أقسام بلاد الرافدين العليا من الهلال الخصيب المنطقة المركزية لحضارة تل حلف، التي سيطرت على المنطقة الغربية من الشرق الأدنى في الالف الثالث قبل الميلاد، وعاصمتها تل حلف قرب رأس العين وعلى بلاد الميتانيين أيضاً، الذين أقام ملوكهم الآريون في الألف الثاني قبل الميلاد عاصمتهم واشوكاني على بعد كيلومترين فقط من تل حلف.

---

(1) تابع: ج. بريستيد: رقيب المعهد الشرقي (جامعة شيكاغو 9)، المجلد 12، الخارطة في آخر المجلد.

لقد أسعدني الحظ عندما عثرت عام 1899م عند منابع الخابور، رافد الفرات الوحيد الدائم الجريان، على تل حلف، وهو موقع عظيم الاهمية بالنسبة إلى علم العصور القديمة في الشرق الأدنى. وانني لأدين بهذا الاكتشاف إلى معرفتي الدقيقة بعادات البدو.

بعد عودتي من رحلتي، حصلت من الحكومة التركية على امتياز التنقيب في تل حلف(*). لكنني لم أنجح في ترك الخدمة الديبلوماسية إلا بعد عشرة أعوام كاملة، قمت خلالها، وأنا لا أزال في المانيا، بالاستعدادات الضرورية للتنقيبات، التي تواصلت من مطلع عام 1911م حتى نهاية عام 1913م، ثم استؤنفت عامي 1927م و1929م. وقد تحدثت عن اكتشاف هذا التل وما عثرت عليه خلال تنقيباتي فيه، المعروضة في متحف تل حلف في برلين، 6 شارع فرانكلين، في كتابي «تل حلف، حضارة جديدة في بلاد ما بين النهرين»، لايبزيج 1931، و"دليل" متحف تل حلف في برلين، الصادر عام 1934م.

فخلال إقامتي الأولى لمدة عامين ونصف العام في تل حلف (من 1911 إلى 1913م)، قمت، فضلاً عن أعمال التنقيب، برحلات دراسية جديدة، قادتني إلى قلعة شرقاط آشور على نهر دجلة، حيث كانت جمعية الشرق الالمانية تنفذ أعمالاً تنقيبية. هنا، كما في رحلاتي السابقة، كنت أتابع هدفاً مزدوجاً هو: متابعة بقايا الحضارات القديمة، وبالأخص تحديد دائرة انتشار أقدم حضارة عرفها تل حلف من خلال دراسة التلال الواقعة في محيطه من جهة، والقيام بزيارات متكررة إلى قبائل بدوية جديدة أو إلى بطون منها بهدف جمع أكبر قدر ممكن من المواد لكتاب البدو، من جهة أخرى. هذه الرحلات كانت تعد بعناية في معسكرنا على تل حلف، فكنت أختار لكل مرحلة منها أفضل الأدلاء من البدو. بوجه عام، كانت

(*) تل حلف: موقع أثري بالقرب من ينابيع الخابور عند الحدود العراقية ـ السورية، قام على أنقاض مدينة غوزانا الحثيّة. اكتشفها مؤلف الكتاب اوبنهايم، وآثارها تعود إلى الألف الثالث ق.م. (شبّر).

الرحلات تتم في الصيف قبل كل شيء، لتحديد مواقع المياه، في البوادي ، التي كان لها أهمية عظيمة بالنسبة لحياة البدو.

كنت أتلقى، في تل حلف نفسه، زيارات أهم شيوخ البدو، ممن لا يترددون في القيام بأسفار تستمر أياماً عديدة من أجل القدوم إليّ. كان زعماء قبائل البدو يقتربون بجيادهم من مكان معسكرنا، فاهرع للقائهم مع بعض رجالي. عندئذ، كان هؤلاء الأغراب ينزلون عن صهوات جيادهم بصمت، ثم يغرسون رماحهم الطويلة في الأرض تاركين خيولهم لوحدها. كنا نتبادل قُبل التحية على الوجنتين، قبل أن أمسك يد الشيخ وأقوده إلى الشرفة الكبيرة المفتوحة أمام خيمتي، أو إلى داخل مسكني المتنقل هذا. كان الطعام يعد على الطريقة البدوية، فتوضع تلال من الأرز عليها قطع من لحم الضأن في قدور عملاقة من النحاس المطلي بالزنك. لا داعي للقول إنني كنت أشاركهم المائدة.

كنت رجلاً معروفاً في جميع أرجاء الصحراء السورية وبلاد ما بين النهرين وحتى العراق. وقد عقدت، بمرور الأيام، أواصر علاقة شخصية وطيدة مع عدد كبير من شيوخ هذه المنطقة. لذلك لم يحدث أبداً أن مست شعرة من رأس أي عامل تنقيب لديّ، رغم أن مساعديّ كانوا ينتمون إلى قبائل بدوية صغيرة. حتى القبائل الكبيرة، التي لم تكن على علاقات طيبة مع هؤلاء، مثل فدعان ـ عنزة وقبل كل شيء قبيلة شمّر، (الفداغة والثابت)، التي انتشر رجالها لبعض الوقت بالآلاف في جوارنا، بل ونصبوا خيامهم على تخوم تل حلف، لم يلحقوا أي أذى بهم.

وإن كان البدو قد قتلوا وسرقوا عام 1929م وبطريقة مؤسفة قرب تل حلف، أحد مساعديّ الأوروبيين، وهو الفرنسي دارّو، الذي كان يرأس قسم العصور القديمة في منطقة الانتداب السورية/ الفرنسية الشمالية، فمردّ ذلك أنه كان يقود سيارته غرباً بموازاة الحدود التي ترسمها سكة الحديد بين تركيا وسورية، حيث سقط في كمين نصبه بدو غرباء من الجيس «قيس»، قدموا من المنطقة التركية في الشمال.

بالمناسبة، كانت رأس العين ومنطقة حفرياتي منطقة اضطرابات مزمنة في القسم الأعلى من بلاد ما بين النهرين، حيث تصادمت مناطق قوة وانتشار مجموعة قبائل كبيرة كفدعان ـ عنزة، وشمّر، والملّي. في السابق، كان شيشان رأس العين، وهم اللاجئون لأسباب دينية من القوقاز الروسي والذين أسكنهم الأتراك هنا، يشكلون عنصر قوة آخر يكنّ عداءً خاصاً لـ"عنزة وشمّر". وبما أن الحكومة التركية كانت لا تمارس آنذاك أية سلطة في المنطقة، فقد شارك القائمقام التركي بنفسه في حملات النهب التي كان الشيشان يقومون بها، ويتقاسم معهم غنائمها.

أثناء الحرب العالمية، إلتحقت لسنوات عديدة بالسفارة الالمانية في القسطنطينية، وأقمت مجدداً لفترات أطول في سورية وفلسطين وسيناء وبلاد الرافدين، حيث كنت أتابع في الوقت نفسه، دراساتي حول البدو.

أما في عامي 1927م و 1929م، عندما استأنفت أعمال التنقيب في تل حلف، فقد عدت إلى مواصلة أسفاري الدراسية واستقصاءاتي، كي أستكمل المواد التي كنت قد جمعتها سابقاً عن البدو. وهكذا جمعت، في الفترة من عام 1896م وحتى 1929م، التي تخللتها انقطاعات طويلة في بعض الأحيان وبصورة منهجية وفي أماكن عيش هؤلاء، جمعت مواد كتاب البدو الكبير، وواصلت العمل عليها خلال رحلاتي، وبعد عودتي إلى الوطن.

كما سبق وذكرت، كنت قد حددت في القاهرة المهام اللازمة لإنجاز كتاب البدو، وعالجتها حتى عام 1929م على ضوء استقصاءاتي. هذه المهام تحركت في اتجاهين: من جهة كان عليّ إنجاز دراسة وافية للحياة المادية والثقافية للبدو، عن طريق جمع ما كانوا يستعملونه من أدوات، ووضع علاقات دقيقة مع التسميات المحلية لقطعها وأجزائها، ومن جهة أخرىٰ كان عليّ متابعة أعرافهم وعاداتهم، ومراقبة حياتهم داخل الأسرة والقبيلة وحيال غير المتسبين إليهم، وتدوين مأثورات وأساطير قبائلهم. في هذا السياق، تم تدوين ملاحظات مهمة حول الحياة الداخلية لهذه القبائل، وحول سلطة الشيوخ، والقانون البدوي، وعادات الأعراس والزواج، ونظام العبودية الذي يتلاشىٰ ببطء، والخيول والجمال، والصيد والغزو، وحق

الضيافة والحماية (الإجاره)، والثأر... الخ. وتم كذلك الاهتمام بحياة البدو الدينية، وحصلت على معلومات مثيرة للاهتمام حول طبيعة الطرق الأخويات لديهم. ومما سهل معرفتي بهذه الطرق قيامي خلال اسفاري وإقاماتي السابقة في شمال افريقيا والشرق الأوسط بدراسات مستفيضة عن الطرق الدينية الاسلامية المنتشرة في عالم الإسلام، وإيلائي اهتماماً خاصاً لما يروىٰ عن الحملات الحربية أو سواها من الأحداث المهمة في حياة القبائل: ما حدث منها في الحاضر أو في زمن قريب، أم في حقب ماضية.

وأكثر من ذلك، إلتقطت خلال ترحالي المتكرر عدداً كبيراً من الصور، أو أمرت مرافقيّ من المصورين بالتقاطها، وهي مواد سيضمها الجزء الخامس من كتاب البدو، الذي سيحمل عنواناً خاصاً هو "حضارة وحياة البدو"، إذا لم تتطلب المهمة الثانية للكتاب إستخدام بعضها(*).

أما المهمة الثانية والأكثر أهمية لكتابي، فكانت وضع جداول دقيقة حسب المبدأ التالي: تحديد القبائل المختلفة والقبائل المتفرعة عنها والتابعة لها، وشيوخها الرئيسيين والثانويين، ومناطق تجوالها في الصيف والشتاء، وعلاقات القوى فيما بينها ـ معبراً عنها بعدد مضاربها وخيامها ـ. وكذلك كتابة مقالة حول كل قبيلة تعرف بتاريخها وتاريخ أسرة شيوخها، على أن يؤخذ بنظر الاعتبار تصنيف القبائل المختلفة إلى مجموعات بحسب المناطق الجغرافية المختلفة مثل سورية وبلاد الرافدين والجزيرة العربية... الخ.

من الصعب اعتبار السلاح مقياس قوة القبائل، خاصة وأنه لم يكن عندهم حتى الحرب العالمية غير الرماح والسيوف فيما بعد، بينما كانت البنادق بأنواعها

(*) لم يصدر هذا الكتاب إلى الآن، وهناك مشروع إعداد هذا الكتاب إعتماداً على مسودات المؤلف، ومن المؤمّل أن يقوم بهذا العمل مجموعة من المستشرقين الألمان. ان هذا العمل تقوم به وقفية اوبنهايم الخيرية. وهذا ما علمته من إدارة الوقفية، وقد أبدت دار الوراق استعدادها لترجمة الكتاب وطبعه باللغة العربية. (شبّر).

جدّ قليلة. لذلك، يبدو أنه من الأفضل قياس علاقات القوة بين القبائل المختلفة بعدد المقاتلين من الرجال، غير أن تحديد عدد هؤلاء كان أمراً غير مألوف عموماً لدى البدو، حيث كان معيار قوة أية قبيلة أو بطن بعدد خيامهما. وقد اتبعت هذا العرف القديم عند وضع جداولي.

إن عملية تحديد عدد الخيام واجهت صعوبات خاصة على الدوام، فالبدو يميلون إلى المبالغة في عدد خيام قبيلتهم، هذا إن اقتنعوا أصلاً بتقديم معلومات ذات طبيعة إحصائية. لذا، واصلت خلال أسفاري واستطلاعاتي مراقبة وتدقيق المعطيات التي كانت تقدم لي، ووازنت بينها. كما قمت لاحقاً ـ حسب ما كانت تسمح به الظروف ـ باجراء مقارنات بينها وبين معطيات أخرى.

في العادة، تأوي كل خيمة خمسة أشخاص. لكنني أعتقد أن هذا العدد منخفض جداً، وأود أن أفترض وجود سبعة أشخاص في الخيمة الواحدة. تمثل الخيمة لدى البدو ـ شأنها شأن بيت السكن لدى الفلاحين ـ مأوى الأسرة التي تتكون من سيد ـ صاحب ـ الخيمة وزوجته أو زوجاته وأبنائه، وربما أبويه العجوزين وغيرهما من الأقارب. تأوي الخيمة بصورة دائمة رجلاً واحداً على الأقل قادراً على حمل السلاح، وفي حالات كثيرة رجلين أو ثلاثة، لأن الأبناء الذين يشاركون في ركوب الخيل والقتال يعيشون في خيمة الأب، قبل أن يؤسسوا أسرهم الخاصة بهم. حتى الحرب العالمية، دل عدد الرماح المغروسة قرب خيمة من الخيام على عدد الرجال المقاتلين والشبان الذين يعيشون فيها. من جهتي، أميل إلى احتساب ثلاثة مقاتلين لكل خيمتين. أما في الشمال فيمكن أن يكون هناك بندقية قصيرة السبطانه، حديثة وجاهزة للاستخدام، في كل خيمة.

وضعت، في رحلاتي الدراسية، تخطيطات أولية لخرائط متنوعة. ورسمت خارطة تفصيلية للقسم الأعلى، وإلى حد ما، للقسم الأوسط، من بلاد الرافدين بقياس 1 : 400000، إستناداً إلى ما كنت قد وضعته من علامات جغرافية وأجريته من تحديدات للأمكنة، تضم، من بين ما تضمه، سجلاً بأسماء ألفي موقع، دونت جميعها بالعربية في عين المكان. هذه الخارطة يتعذر إلحاقها بمؤلفنا عن البدو،

وستنشر بشكل مستقل. لذلك، عليّ الإكتفاء بإضافة خارطة توضيحية للكتاب تبين منطقة البدو التي أدرسها، وخرائط خاصة بمختلف الأماكن تظهر مواقع الرعي التابعة لمختلف القبائل في الصيف والشتاء.

أعتقد أن الخارطتين، اللتين ألحقتهما بكتاب "من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»" لا زالتا تقدمان أفضل لمحة عامة عن سورية وبلاد الرافدين وشمال الجزيرة العربية باعتبارهما تكوّنان خارطة شاملة لهذه البلدان والمناطق. وكان قد أعيد طباعتهما من جديد أثناء الحرب العالمية لأغراض رسمية.

بالنسبة للمادة التاريخية، جمعت كل ما وقعت يداي عليه من معطيات حول القبائل وأسر شيوخها. وأوليت اهتماماً خاصاً لرسم أشجار لأنساب كثيرة، ولجمعها، مع أن بعضها يرجع إلى مئات الأعوام. بالنسبة لتأريخ القبائل، كان لا بد أيضاً وبطبيعة الحال، من أخذ الأدبيات المتاحة حولها بعين الاعتبار.

أبديت، منذ عقود، اهتماماً خاصاً بجمع المصادر، التي يمكن أن تكون على علاقة بالبدو، وبالدرجة الأولى منها الأعمال التاريخية والجغرافية وكتابات الرحّالة، والاحصائيات بأنواعها، وتقارير الحجاج المسيحيين والمسلمين... الخ، المكتوبة بجميع لغات الشرق والغرب. كما تم شراء مخطوطات شرقية مهمة، قديمة وحديثة التواريخ، وأظهرت اهتماماً خاصاً بتقارير صحف الشرق، مثل صحيفة "أم القرى" التي تصدر في الحجاز[1]. فضلاً عن هذا، حاولت توحيد الخرائط المتوفرة عن البدو، والتي كانت قليلة على كل حال. تحتل الأدبيات التي تعالج قضايا البدو مكانة مهمة جداً اليوم في مكتبة وقفية ماكس فرايهير فون اوبنهايم (معهد أبحاث الشرق)[2]، التي تضم أكثر من أربعين ألف مجلد.

---

(1) نخص بالذكر مجلة "اوريانتو موديرنو" (الشرق الجديد) من بين المجلات الأوروبية.

(2) تأسست وقفية ماكس فون اوبنهايم عام 1922م، واختيرت برلين مقراً لها. ونالت عام 1929م الحق في أن تعتبر شخصية قانونية (اعتبارية). وكان بين أهدافها مواصلة الدراسات التي كنت قد قمت بها في الشرق، حول العصور القديمة والحقب الإسلامية أيضاً.

كانت ملاحظاتي الخاصة وملاحظات مساعديَّ في الشرق، وما زالت، من أكثر مواد كتاب البدو أهمية. إن البدو هم، بوجه عام، أناس قليلو التعبير عن أنفسهم. وهم يخافون المعطيات الرقمية (العددية)، لاعتقادهم أن أخبارهم يمكن أن تصير خطرة عليهم بسبب الضرائب وغيرها من الالتزامات التي تفرضها الحكومات. لذا، كنت أحتاج دوماً إلى تحضيرات طويلة، وإلى كسب ثقتهم بصورة مطلقة، قبل أن أتمكن من تلقي أخبار موثوقة فعلاً منهم. وقد ساعد على فتح قلوبهم لي معرفتي الدقيقة بأعرافهم، ومشاركتي القلبية في حياتهم الفريدة، وعلامات البهجة التي كانت تبدو على وجهي عندما كنت أستمع إلى قصص ومغامرات الغزو والصيد. في تلك اللحظات، كانت تنشأ لعبة سؤال وجواب معقدة ومتواصلة، تتيح لي معرفة ما له قيمة علمية في أحاديث من لم يألفوا الحوارات العلمية أبداً. إن الصبر الجميل والمعرفة الدقيقة باللغة العربية هما شرطان ضروريان لدراسة البدو.

لقد أكسبتني معاشرتي البدو في القاهرة المهارة والخبرة اللازمتين لهذه المقابلات، فأثناء رحلتي عام 1899م وجدت، عقب سلسلة من المحاولات المخفقة، رجلاً سوري الولادة هو الياس معلوف كان مساعداً رائعاً أعانني في أبحاثي، وأصبح سكرتيري العربي، لأنه كان رجلاً مثقفاً ومتعلماً، إهتم من بين ما اهتم به، بالكتب والمخطوطات العربية، مع أنه كان يتقن الفرنسية قراءة وكتابة. كان الياس قد ترعرع في مدرسة تابعة لأحد الأديرة الفرنسية على الساحل السوري، لذلك غدا معلماً في مدرسة عربية في وطنه لبنان. وقد استعنت به في استقصاءاتي لدى البدو، حيث تأقلم بمهارة فائقة مع نظامي في العمل والبحث، وكنت خلال الرحلة أراقب تقاريره النزيهة والموثوقة، المكتوبة بالفرنسية، التي يسجل فيها اسم كل مكان أو شخص، مهما تكرر في النص، بأحرف عربية، مع طريقة لفظه.

بعد رحلة 1899م إستقدمت الياس معلوف إلى القاهرة لبعض الوقت، كي يواصل عمله من أجل كتاب البدو. خلال التنقيبات، التي قمت بها بين عامي

1911م و 1913م، كان المعلوف سكرتيري العربي، الذي تابعت معه المهام التي تطلبها إعداد كتابنا عن البدو، قبل أن يغدو خلال الحرب العالمية أيضاً مرافقي، ويعمل لاحقاً من أجلي بالتعاون مع صديقي محمد ابن بسام والبدو الذين جاء بهم. عندما رجعت أول مرة بعد الحرب إلى سورية وبلاد الرافدين، كان مقرراً أن يأتي الياس إليّ، إلا أن الأجل وللأسف الشديد وافىٰ الرجل الممتاز الأجل قبل وصولي بأيام قليلة إلى بيروت.

عينت عام 1927م رجلاً مسلماً متعلماً هو السيد عمر فاخوري سكرتيراً عربياً لي. وفي عام 1929م وظفت معلماً مسيحياً سورياً هو السيد فايق خوري برقش. وقد عمل هذان الرجلان بروحية الياس معلوف، بينما كنت، من جانبي، أخضع دوماً مدوناتهما لأشد أنواع التدقيق وأكثرها صرامة.

بغض النظر عن رجال السكرتارية العرب، كان رجل ألماني مختص بالاختزال يلازمني على الدوام بعد رحلة عام 1899م. وهكذا نشأت مذكرات يومية شاملة باللغتين الالمانية والفرنسية، تضمنت معايشاتي وملاحظاتي، التي غالباً ما كنت أقوم باملائها عليه.

إلى جانب ذلك، وقف إلى جانبي منذ بداية رحلاتي رجل سوري آخر هو طنوس معلوف، أحد أبناء عم الياس. هذا الرجل كان خادمي الشخصي وقائد قوافلي. بسبب خدماته الجليلة إبان رحلتي الأولى عام 1893م، عينته القنصلية الالمانية في بيروت "قوّاصاً" لديها، أي حارساً شخصياً للقنصل، وهو منصب احتفظ به إلى أن وافته المنية بعد فترة غير طويلة. وكنت قد عقدت اتفاقاً مع الدائرة الالمانية، تضع طنوس تحت تصرفي، بمجرد أن تطأ قدمي الشرق الأدنى، فقد كان رجلاً مقداماً وبصيراً وشديد الذكاء، ضخم الجثة وقوياً، لا يعرف التعب إليه سبيلاً، ويخصني بولاء حقيقي. وكان يختار مواقع الخيام، ويوزع الأحمال علىٰ الحيوانات التي تنقلها، ويسيطر سيطرة تامة على معسكر الخيام. وكان يحظى بثقتي كاملة، لحسن تصرفه مع البدو، الذين كانوا يرون فيه وكيلاً ـ نائباً ـ لي، وهو الذي ناب عني على الدوام لدى تقديم العباءات والكوفيات وسواها من الهدايا.

مع قرب نهاية الحرب العالمية، ولأغراض تتعلق بقيادتها، أذنت بطباعة صياغة أولى من كتاب البدو، الذي حمل عنوان "بدو وقبائل أخرى في بلاد الرافدين وسورية وشمال ووسط الجزيرة العربية"، ويلغ مع فهارسه نيفاً ومائتين وعشرين صفحة من القطع الكبير. لقد كنت أنوي إخراجه مطبوعاً كمخطوط فقط، إلا أن نهاية الحرب المفاجئة حالت دون إتمام هذه المهمة. كما كنت أريد له أن يكون مسودة للعمل الرئيس الحالي، يقدم لي خدمات طيبة أثناء دراساتي اللاحقة في الشرق. والحقيقة أنه تضمن معظم جداولنا عن البدو، لكنه لم يعالج تاريخ القبائل باستفاضة، بل اكتفى بتقديم صياغة مختصرة له. فيما يلي، أقدم فهرس موضوعات الكتاب الذي طبع كمرحلة تجريبية ليس إلا:

- مقدمة.
- فهرس الموضوعات.
- القسم الأول: قبائل البدو في بلاد الرافدين العليا والوسطى (الجزيرة).
- القسم الثاني: قبائل البدو في بلاد الرافدين الجنوبية (العراق).
- القسم الثالث: التصنيف الجغرافي لقبائل بدوية صغيرة في بلاد الرافدين.
- القسم الرابع: قبائل البدو في سورية، فلسطين وسيناء.
- القسم الخامس: قبائل البدو في شمال ووسط الجزيرة العربية.
- القسم السادس: بدو غير اقحاح.
- القسم السابع: قبائل غير عربية.

ملحق: الكتائب الحميدية في بلاد الرافدين.

- فهارس

1 ـ فهرس أبجدي بأسماء القبائل الأساسية.

2 ـ فهرس أبجدي بأسماء القبائل الرئيسة، والفرعية، والدنيا وغيرها...

3 ـ فهرس أبجدي بأسماء الشيوخ الكبار والتابعين مع ذكر قبائلهم.

4 ـ فهرس موضوعات.

لقد مر وقت طويل قبل أن يتمكن هذا الكتاب الرئيس من الظهور. أما أسباب التأجيل فهي كثيرة. أولها أنني لم أشأ إصدار أية مؤلفات بعد الحرب تنصب على شؤون سورية وبلاد الرافدين «العراق»، لأنه لم يكن بوسعي تجاهل تل حلف والسكوت عن أعمال التنقيب التي أجريتها فيه. وقد أكد تحفظي غير المشروط فائدته، فقد بقي تل حلف وقفاً على أنشطة الباحثين الالمان. واستطعت أنا بنفسي استئناف الحفريات هناك عامي 1927م و 1929م، بعد انتساب المانيا إلى عصبة الأمم. وللعلم، فقد وجدت التل في حال مزرية من الفوضى.

أثناء معارك الفرنسيين من أجل توطيد انتدابهم في بلاد الرافدين العليا، تمترس أتراك وشيشانيون، بدعم من بعض القبائل، في مقر إقامتي، وحفروا الخنادق حوله. وقد قصفته وحدات الحكومة الفرنسية/ السورية إلى أن انهارت جدرانه الطينية السميكة. وبما أنه كان عند عودتي قد تحوّل أنقاضاً، فقد عشت من جديد، ولكن مكرهاً، في الخيام.

بعد نهاية الحفريات عام 1929م، زرت شيخ المنتفق، عجمي باشا السعدون، في قريته غير البعيدة عن أورفه، التي أهداها الترك إليه، عرفاناً منهم لسلوكه البطولي الشجاع، ولقتاله إلى جانبهم أثناء الحرب العالمية، ولأن الانجليز، القوة المنتدبة على العراق، لم يسمحوا له بالعودة إلى قبيلته. وأنا لمدين له بمواد كثيرة عن العراق، وقبل كل شيء عن المنتفق.

وقد قيض لي آنذاك أيضاً أن أحصل على كمية من المعلومات المهمة والجديدة عن قبائل عراقية أخرى، من عصيمي باشا، العربي الفائق الذكاء، الذي طرد من العراق وعاش في دمشق، وفي كنف شيخ المنتفق أيضاً.

كما وجدت عام 1929م في شخص عمر صالح البرغوثي، إبن القدس، معيناً قدم لي معلومات قيمة من أجل دراساتي حول قبائل فلسطين وشرق الاردن

وسيناء، وأمدّني بمواد ثمينة لكتاب البدو، أشكره عليها أعظم الشكر.

لا يجوز أن أنسى هنا الأمير شكيب أرسلان، الذي قدم لي معلومات مهمة حول بعض القبائل السورية، وحول حق الضيافة والثأر ومواضيع أخرى مختلفة. ثمة صداقة تربطني منذ عام 1897م بالأمير، الذي لم أعرف أبداً شرقياً يجاريه في معارفه الهائلة، ويعتبر واحداً من أفضل الأدباء العرب المعاصرين. وبما أنه عاش منذ الحرب العالمية مبعداً في أوروبا، قبل أن يتمكن من العودة عام 1937م إلى وطنه سورية، فقد أتيح لي لقاؤه مرات متعددة ـ في برلين أيضاً ـ والتعلم منه.

إلى جانب ما تقدم، واظبت ـ في جميع الأحوال ـ على تطوير علاقاتي مع البلدان العربية من خلال المراسلات وزيارات العرب، الذين كانوا يأتون إلى المانيا، ويخبرونني بأحوال القبائل المختلفة.

قبل إنهاء الجزء الأول من هذا الكتاب، جاء الشيخ عجيل بن عبد العزيز الياور، الرجل الخارق الذكاء وشيخ مشايخ شمّر في العراق منذ ستة عشر عاماً، جاء من لندن، بعد أن حضر احتفالات التتويج هناك، إلى برلين، ليمضي بضعة أسابيع فيها. وقد نقل إليّ تحيات الشيخ مشعل، إبن صديقي القديم فارس باشا، وأتاح لي فرصة عقد صداقة وثيقة معه، تمكنت بفضلها من الحصول على أخبار وإضافات جديدة وتحسينات كانت على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لكتاب البدو.

بفضل إقامتي في سورية عامي 1927م و 1929م، نجحت في الحصول من المفوضية الفرنسية العليا هناك، التي أبدت أشد الترحاب بحفرياتي في تل حلف، على سلسلة مستندات رسمية مهمة لكتابي، بينها أعمال معينة حول البدو، تتضمن عدداً كبيراً من الجداول عن القبائل، كانت مخابرات الجيش الفرنسي في بيروت قد وضعتها كي يستعين بها موظفون وضباط منطقة الانتداب دون غيرهم[1].

أما بخصوص العراق، الذي كان خاضعاً للانتداب البريطاني، فقد تلطف

(1) أدين ببعض الملاحظات للسيدة سيريج، حرم مدير دار الآثار القديمة في سورية.

موظف إنجليزي بامدادي بما كنت أحتاج إليه من معلومات. فضلاً عن المعلومات التي كان يمدني بها صديقي محمد ابن بسام.

هكذا إكتسب كتابي "البدو"، الذي كان يزعجني التأجيل الأبدي لنشره، مزيداً من القيمة بفضل المواظبة على توسيع وتدقيق مواده.

لا حاجة إلى القول إنني كنت مضطراً لطلب العون من آخرين في المانيا، من أجل التغلب على صعوبات التعامل مع كم المعطيات الضخم والشامل، الذي توفر كمادة أولية للكتاب، لاسيما وأنه كان من الضروري معالجة كل ما هو متوافر من أدبيات عن البدو، وخاصة في ما يتعلق بالتاريخ. إن إنهاء كتاب البدو على الأرضية التي كنت قد قررتها له منذ البداية كان يتطلب القيام بأبحاث مستفيضة، تستهلك بالضرورة الكثير من الوقت، وتتركز بخاصة على المؤلفات الشرقية من مختلف الأنواع. لذا، كنت محتاجاً إلى عالم الماني شاب، يستطيع أن يصير، في الوقت نفسه، مساعداً علمياً لوقفية ماكس فرايهير فون اوبنهايم (معهد أبحاث الشرق) في برلين. في النهاية، عثرت عام 1922م على هذا العالم في شخص البروفيسور الحالي في جامعة لايبزيغ السيد الدكتور إيرش برونيلش، الذي قدم عوناً هائلاً لكتابنا.

جلب برونيلش، تلميذ البروفيسور اوغست فيشر في لايبزيغ، الذي يحتل اليوم كرسيه التعليمي هناك، جلب معه اهتمامه الشديد بوقائع أحوال الشعوب، وواكب بولع شديد شؤون البدو، ثم وضع أعمالاً خاصة متنوعة وقيّمة حول بعض المواد المتعلقة بهم، مثل "إسهامات في دراسة النظام الاجتماعي لدى قبائل البدو العربية". وكان قد نال شهادة الاستاذية بأطروحة عن "بسطام ابن قيس، البطل والأمير البدوي قبل الإسلام".

عندما انتقل الدكتور برونيلش في خريف عام 1923م إلى غرايفسفالد، للعمل كمدرس في جامعتها، إحتل موقعه كمساعد علمي في وقفية الدراسات الشرقية الحديثة وكمشارك في كتاب البدو، تلميذ آخر من تلامذة البروفيسور فيشر هو الدكتور فرنر كاسكل، بقي مواظباً على عمله في الوقفية، حتى عندما صار عام

1928م مدرساً في جامعة برلين، قبل أن يتركها في عام 1930م، بسبب تعيينه خلفاً للبروفيسور برونيلش في غرايفسفالد. كان الدكتور كاسكل مهتماً بالتاريخ بصورة خاصة، فكرس نفسه لتأريخ البدو، ونشر كتابات مثيرة للاهتمام حوله، منها مثلاً "مهدي من القرن الخامس عشر" و "ولاة الحويزه"، وكذلك أطروحته للاستاذية، التي عنونها "أيام العرب"، والمكرسة لقصص البدو العربية القديمة. كان الدكتور كاسكل خلال الحرب ضابطاً في بلاد الرافدين، وزار فيما بعد الشرق مرات عديدة بينما كان البرفيسور برونيلش بعد الحرب في مصر وفلسطين، وأنا مدين له بصورة خاصة بالاشارة إلى عمر صالح البرغوثي في القدس.

لم يتوقف هذان السيدان عن تكريس نفسيهما لكتاب البدو، حتى بعد تركهما الوقفية، علماً أن العمل الرئيس وقع على كاهل الدكتور كاسكل، الذي انكب خلال السنوات الأخيرة بمفرده على الكتاب. وإنني لسعيد لأنني تعاونت مع مساعدين وشريكين من هذا الطراز، مجتهدين وألمعيين وعلى هذا القدر من الاهتمام بمادة بحثنا، وسأبقى مخلصاً لهما بسبب جهودهما المفعمة بالتضحية، التي أشكرهما ويشكرهما العلم عليها.

عالجنا في كتاب البدو، كما سبق وذكرت، جميع القبائل من الجبال الكردية شمالاً إلى مناطق المملكة السعودية الحالية جنوباً. لكن قبائل جنوب الجزيرة العربية في اليمن وحضرموت وعمان لم تدخل في نطاق أبحاثنا. وعلى كل حال، فإن هذه القبائل لم تعد في الأساس مرتبطة بقبائل المناطق الشمالية، بينما كان لجميع القبائل التي درسناها قدراً من الارتباطات فيما بينها.

وفيما يلي سنعرج على روابط قبائل البدو مع مثيلاتها التي تعيش في مناطق أخرى، وخاصة في مصر. إذ ثمة قبائل مختلفة في الحجاز، تعيش مجموعات منها، بصورة جزئية، في مصر، منذ فتحها على يد المسلمين. وبالمقابل، هناك أقسام من قبائل مصرية هاجرت إلى سورية.

ينقسم كتابنا وفقاً لمناطق البلدان التالية: بلاد ما بين النهرين، سورية،

فلسطين، شرق الأردن، الحجاز، وسط وشرق الجزيرة العربية، العراق وجنوب غرب فارس. لذلك لا تتم معالجة البدو في مؤلفنا، كما هو مألوف لدى المؤلفين العرب القدماء: بحسب النظام الأبجدي ونظام الأنساب، بل تتم وفق المبدأ الجغرافي، الذي تمليه الأهداف العملية وحدها. إننا نعالج، بادىء ذي بدء، القبائل النقية في مختلف المناطق. وفي نهاية العمل تأتي قبائل معينة، ترفض من بعض القبائل الفخورة جداً بأصلها كبدو أقحاح، واعتبارها نداً لهم. وينضوي في هذه المقولة عدد من القبائل التي تعيش وتخيم في منطقتنا، لكنها ليست عربية الدم، كقبائل الأكراد واليزيدية «الإيزيديين»(*) والتركمان والقوقازيين، التي تعيش في الدائرة الحضرية العربية، ويمكن النظر إليها كقبائل تبدونت بهذا القدر أو ذاك، لطول إقامتها في المنطقة؛ فهي تلبس، مع بعض الاستثناءات، الثياب ذاتها التي يرتديها بدو بيئتها. واقتبست طريقة ونمط حياة القبائل البدوية العربية النقية، وترى أغلبيتها في العربية لغتها الأم الثانية، بل إن دماء عربية تجري في عروق بعضها.

هناك تبدلات معينة لدى البدو، جرت بعد صدور كتابنا. في الآونة الأخيرة (صيف 1939م) إنتقلت قبيلتان كبيرتان هما الفدعان والسبعة إلى العراق، وكان قسم من قبيلة شمّر قد سبقهما إلى مغادرة مضاربه في منطقة الانتداب السورية/ الفرنسية، والهجرة إلى العراق. غير أن هذه القبائل ما لبثت أن عادت إلى مقراتها الصيفية في سورية. مثل هذه التبدلات ستحدث دون شك في المستقبل أيضاً، دون أن يحدث، لهذا السبب، في المدى المنظور تغير جوهري يبدل توزيع القبائل الجغرافي، وسوف لن تكون هناك اهمية عندما تلتحق هذه العشيرة أو تلك برابطة أخرى غير رابطتها الحالية. من هنا، سيشكل جدول القبائل الذي أعددناه نقطة الإرتكاز لدى دراسة البدو، في المستقبل أيضاً.

في هذه الأثناء، سيموت بعض الشيوخ، ممن أوردنا ذكرهم، وسيحل محلهم أقارب لهم. لكن هذا أمر تافه بالنسبة للقبيلة بوجه عام، لأن أسرة الشيخ

(*) إن الشائع إستعمال إسم اليزيديين والصحيح هو الإيزيدية. (شبّر).

تبقى مسيطرة في جميع الأحوال، إلا إذا تعلق الأمر بأشخاص مميزين حقاً.

سيكون لمؤلفنا أهميته أيضاً، بفضل أسماء البدو التي لا حصر لها، الواردة فيه، والتي هي أسماء عربية قديمة غالباً، لا نجدها لدى المدنيين والفلاحين. إن بعض أسماء البدو معروفة منذ العصرين الهليني والبيزنطي. وقد أثبتت البداوة، عموماً، أنها عصيّة على التغيير، وبقيت هي عينها على الدوام. فنحن نجد، على سبيل المثال، تماثيل آشورية تصور رجلين يمتطيان جملاً، ونرى اليوم بدواً يمتطون جمالهم بالطريقة ذاتها عند قيامهم بإحدىٰ الغزوات.

هكذا ستبقى هياكل القبائل، واحترام شيوخها، وارتحالاتها، ومضاربها، وأعرافها وتقاليدها، في المستقبل أيضاً، وستحافظ علىٰ النمط الذي قدمناها به في كتابنا.

فيما يلي، سنعرج باختصار على طبيعة البدو، وخصوصيتهم، وبعض أكثر اللحظات أهمية في تحديد أوصافهم، لنقدم لقارئ كتابنا تصوراً عنهم. لكنه لا بد من الإشارة مرة أخرى إلى أننا سنعرض في جزء خاص من هذا المؤلف، هو الجزء الخامس(*)، على حضارة وحياة البدو، وعلى أعرافهم وتقاليدهم... الخ.

(*) صدر هذا الكتاب "البدو" في أربعة اجزاء في اللغة الالمانية. (شبّر).

طبيعة البـــدو

البدو الحقيقيون هم قبائل رحل أقحاح ومربّو جمال، ينتقلون من موقع تتوافر فيه المراعي والمياه إلى آخر، حالما يقلع الموقع الذي تركوه عن تقديم الكلأ والماء لقطعانهم.

البدوي هو ساكن الصحارى، التي لا تعني هنا صحارى الرمال فحسب، بل كذلك الصحارى الصخرية وصحارى السهوب، الصلبة الأرض غالباً، التي تغطيها خلال فصل الربيع الأعشاب والحشائش الزاهية، إذا كانت أرضاً غير جبسية. هذا الغطاء النباتي الفقير، الذي يجف فيما بعد كالجذور، يصلح علفاً لقطعان البدو. أما الماء فلا يوجد إلا في مواقع متفرقة، تبعد بعضها عن بعض أغلب الأحيان ساعات، بل أياماً.

عندما يصبح تزويد القطعان بالكلأ صعباً في "الصحراء"، وهذا ما يحدث عادة في شمال الجزيرة العربية خلال شهر آذار، يرتحل البدو على مقربة من حافة السهب والأرض الزراعية، حيث يتخذون لهم مقرات صيفية، ينصبون مضاربهم فيها حوالى ثلاثة إلى خمسة أشهر.

يعيش البدو على شكل قبائل وعشائر تنتقل في "الصحراء" بأسرها، أي في تلك المنبسطات العملاقة داخل بلاد ما بين النهرين وسورية والجزيرة العربية، حيث توجد مواقع رعي صيفية وشتوية محددة. ويشكل الترحال الدائم سبباً في

الاحتكاكات، والصدامات الحربية، والغزوات المتواصلة بين البدو.

فضلاً عن البدو الرحل، يوجد عدد من القبائل على حدود السهوب الصحراوية، كانت في الماضي قبائل رحلاً، لكن قبائل أقوى منها أزاحتها شيئاً فشيئاً عن مراعيها، فأقلعت عن التجوال في الصحراء الشاسعة، وانتقلت إلى تربية الأغنام، وبدأت بممارسة أعمال زراعية على حافة الأراضي الزراعية. في موطنها الجديد هذا، يعيش جزء من القبيلة في أكواخ أو خيام، بينما يرتحل الجزء الآخر، أو أن القبيلة تلازم مكانها خلال فترة الزراعة والحصاد وترتحل خلال بقية العام، دون أن تتوغل، مع ذلك، عميقاً في الصحراء، شأن البدو الأقحاح. هذه الظروف تنطبق على سورية وبلاد الرافدين العليا والسفلى، وخاصة في مناطق ضفاف نهري الفرات ودجلة الكبيرين. وتتطور بطريقة مشابهة حياة القبائل نصف الرحل في مناطق زراعة النخيل داخل الجزيرة العربية.

وقد حافظ هؤلاء البدو، بدورهم، على تقاليدهم القبلية، وعلى منعة معينة. وإن كانوا يعيشون أغلب الأحيان في ضرب من علاقات تبعية حيال القبائل الرحل الكبيرة، التي فرضت عليهم دفع خوة، تشبه الضرائب التي عليهم تأديتها للحكومة. في زمن الحرب العالمية، كان هذا الوضع لا يزال قائماً بالنسبة إلى معظم قبائل أطراف السهوب السورية وسهوب بلاد الرافدين.

أما أنصاف الرحل وبسبب تعاظم ضغوط القبائل الكبرى عليهم، فكانوا غالباً مجبرين على الانسحاب من حافة الصحراء، والعيش كفلاحين في المناطق الزراعية، أو تدبّر معاشهم كرعاة. هذا المصير أصاب قبائل مختلفة كانت ذات يوم جبارة وعريقة. لكنها حافظت هي أيضاً على تنظيمها القبلي، وما زال معظمها يعيش في الخيام.

بالمناسبة، ثمة قسم كبير أيضاً من سكان مناطق الواحات ومدن الجزيرة العربية الداخلية منظم على أسس قبلية، وينحدر من أصول بدوية على الدوام تقريباً.

تعتبر الجزيرة العربية مهد البدو، الذي انطلقت هجراتهم منه نحو الشمال

والشمال الشرقي، ووصلت إلى داخل بلاد فارس. مع ذلك، يعيش البدو أيضاً في سائر أرجاء شمال افريقيا وينتشرون في بقاع المغرب، وهؤلاء هم أخلاف بني هلال وسليم، القبيلتين اللتين توجهتا في القرن الحادي عشر الميلادي من مصر نحو الغرب، واقتحمتا طرابلس الغرب وتونس والجزائر وجزءاً من المغرب، وامتزجتا، بمرور الوقت، مع الأقوام التي اخضعتاها، وإن كنا لا نزال نجد تقاليد بدوية، نقية من جوانب كثيرة، لدى جميع قبائل شمال أفريقيا العربية تقريباً. بل إن بعضها يعيش اليوم أيضاً في خيام، ويترحل من مكان إلى آخر مع قطعان من الجمال، رغم أن معظم أبنائها صاروا مربي أغنام ـ وكثيرون منهم مستقرون ـ.

تنقسم القبائل البدوية الكبيرة جميعها إلى قبائل أصغر وتنقسم بدورها إلى قبائل فرعية (أفخاذ). ويقف على رأس هذه القبائل شيوخ، أي رؤساء قبائل.

لكل عشيرة علامة ملكية خاصة "وسم"، عرفت بها على الدوام، تدمغ بها دوابها، وبالأخص منها جمالها. ولديها كذلك صيحتها الحربية [نداؤها الحربي] الخاصة، وهي ضرب من نداء تطلقه الحناجر أثناء القتال، يبعث به المحاربون الحماسة والحميّة بعضهم في نفوس بعض.

يمكن اعتبار رؤساء شيوخ القبائل البدوية الكبيرة ضرباً من الأمراء. وقد منحت حكومة الانتداب السورية/ الفرنسية نوري ابن الشعلان، شيخ مشايخ الرولة، المنتمين إلى عنزة، لقب أمير. وصار زعماء شيوخ القبائل الكبيرة يسمون في الآونة الأخيرة "أمراء" بكل بساطة.

يتحدر لقب الأمير الرسمي بصورة دائمة على وجه التقريب من زمن العصر العربي الوسيط، وخاصة من حقبة سلاطين المماليك في مصر، الذين خلعوا هذا اللقب على شيوخ البدو الكبار، ممن قدموا لهم خدمات جليلة. ثم صار لقباً وراثياً إنتقل إلى جميع أفراد أسر هؤلاء الشيوخ. لذلك نجد هذا اللقب لدى قبائل مختلفة في سورية وفلسطين، كان الزمان قد غدر بها، بعد أن كانت قوية جداً في الماضي، مثلما حدث مثلاً لشيوخ الفضل. ومن جانب آخر، حرص الأتراك على منح أمراء

البدو المهمين لقبي بيك أو باشا.

إختلفت القوى التي سببت حركات التجوال الكبيرة، التي تشكل تاريخ البداوة العربية، أشد الاختلاف من حيث طبيعتها: وإننا لنجد بينها الأحداث الطبيعية، والتحولات السياسية في الجزيرة العربية الغنية بالواحات، والحركات الدينية، واستقرار الحكومات في المناطق الزراعية المجاورة... الخ. أما توجه الهجرات شمالاً، فيرجع إلى الشروط المناخية، وإلى الرغبة في العثور على مراعي أفضل.

إنطلقت أكثر حركات الهجرة أهمية بفضل الإسلام الوليد، وكذلك بفضل إقامة دولة غنية شرق الجزيرة العربية على يد القرامطة الشيعة في القرن العاشر الميلادي.

في العصر الحديث، أحدث صعود الوهابية، كجماعة دينية تهدف إلى بناء دولة، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، إنقلابات كبرى بين البدو. صحيح أن الدولة الوهابية التي أقامها آل سعود في الرياض في جنوب القسم الداخلي من الجزيرة العربية لم تكن دولة بدوية صرفة، إلا أنها عرفت كيف تفرض سيطرتها على بدو الجزيرة العربية بأسرها، وبدو المناطق الشمالية المتاخمة لها. وكان آل سعود الوهابيون قد أخضعوا في مطلع القرن التاسع عشر شبه الجزيرة العربية بأكملها تقريباً. كما احتلوا لبعض الوقت مدينتي الاسلام المقدستين: مكة والمدينة. لكن قوة المملكة الوهابية ما لبثت أن دمرت في النصف الثاني من القرن على يد القوات المصرية. عندئذ، إنتزع آل رشيد، سادة حائل، الذين كانوا قد برزوا من قبيلة بدوية هي شمّر، السيطرة على شمال الجزيرة العربية أول الأمر، ثم استولوا على منطقة آل سعود ذاتها. غير أن عبد العزيز آل سعود نجح مع بدايات القرن العشرين في استعادة موطنه من جديد والاستيلاء على شرق الجزيرة العربية، الذي كان طوال بضعة عقود تحت سيطرة تركية مباشرة. وإن القوة التي أثارها في أنصاره كانت قد أججت الحماسة الوهابية الدينية المتجددة، وكذلك تحالفه مع الانجليز، مكنت عبد العزيز من اقتطاع أراضٍ جديدة من ابن رشيد خلال الحرب

العالمية وأن ينجح في طردهم، أخيراً من حائل عام 1921م. وفي عام 1925م، أضاف آل سعود إلى مملكتهم الحجاز بالمدن المقدسة، التي كان يحكمها الأشراف منذ قرون تحت السيادة التركية.

إنضم الشريف حسين عام 1916م إلى الانجليز، وقبل في وقت لاحق لقب الملك. وبعد استقالته، نجح ابنه الأكبر علي في الاستيلاء على الحكم لبعض الوقت، لكن عبد العزيز آل سعود إنتزعه منه. من جانبه، شكل فيصل ابن الشريف حسين، الذي كان خلال الحرب قائداً لقوات والده المسلحة ضد الاتراك، حكومة عربية في دمشق بعد توقف الأعمال الحربية، إلا إنه اضطر عام 1920م، عقب فترة قصيرة من إعلانه ملكاً على سورية، إلى الرضوخ أمام الفرنسيين، فعينه الانجليز عام 1921م ملكاً على العراق بعد أن صاروا الدولة المنتدبة عليه. منذ عام 1933م صار غازي، ابن فيصل، ملكاً على العراق، وشقيق فيصل، الأمير عبد الله، أميراً على شرق الاردن، الذي خضع بدوره للإنتداب الانجليزي.

بالمناسبة، نجح البدو في عصر انهيار سلطة الخلافة العباسية، وقبل وقوع الغزو السلجوقي التركي، في إقامة دول خاصة في سورية وبلاد ما بين النهرين، بقيت سلالاتها الحاكمة في السلطة طوال عقود كثيرة، إمتدت أحياناً إلى أكثر من قرن كامل، مثلما حدث في حلب والموصل والحلّة.

كما كاد صديقي إبراهيم باشا، رئيس حلف الملّي القبلي، الذي يتكون في معظمه من أكراد مع مكونات صغيرة من البدو، أن ينجح عند منعطف القرن العشرين في إقامة ضرب من دولة في أعالي بلاد الرافدين داخل الامبراطورية التركية. وقد زرت الباشا عام 1899م، حين بلغ أوج قوته. وكانت الحكومة قد عبأت الملّي وبضعة قبائل أخرى نصف الرحل، تسكن منحدرات الجبال الكردية والحوافي الصحراوية لبلاد الرافدين، كخيالة خفيفة ضمن ما أسمته الأفواج الحميدية، التي تلقت شيئاً من التدريب على يد ضباط أتراك أول الأمر، وزودت ببنادق حربية حديثة. شكل عديد من هذه الأفواج نواة قوات إبراهيم باشا، الذي اتخذ مدينة ويرانشهر البيزنطية المدمرة، الواقعة بين أورفة وماردين، مقراً له، بعد

أن أعاد سكانها إليها من جديد، مع أنه كان يعيش هو شخصياً في خيمته العملاقة، ويتنقل في الصحراء، حيث يقوم بالغزوات ويشن الحروب. كان حكام أورفة وماردين والموصل ودير الزور الأتراك يرتجفون آنذاك خوفاً منه، خاصة وأنه كان يحظى بعطف السلطان عبد الحميد. بعد الإطاحة بالسلطان، نجحت حكومة تركيا الفتية في كسر شوكة أمير الملّي بصعوبة شديدة، بعد أن استخدمت ضده قوات عسكرية كبيرة. أخيراً، قتل الأمير عام 1909م، إبان حملة المطاردة المحمومة التي استهدفته.

بذلت الحكومات، التي قامت في الدول الجديدة داخل الأقاليم العربية من الامبراطورية العثمانية السابقة، وخاصة منها حكومة عبد العزيز آل سعود، جهوداً متعاظمة لدفع البدو إلى التخلي عن حياة الترحل. هذه السيرورة التحولية، التي بدأتها مصر في مطلع القرن التاسع عشر مع محمد علي، إستمرت أكثر من مائة عام، وحققت نجاحاً إذ حوّلت تسعة أعشار البدو إلى سكان مستقرين، ومما ساعد على ذلك الطبيعة الخاصة للشروط الجغرافية، والجذب الشديد للصحراء الواقعة إلى الغرب والشرق من وادي النيل، وسلطة الحاكمين التي اكتسبت طابعاً أوروبياً متزايداً. أما بقية البدو، التي لم تنضو في الوقت المناسب ضمن سيرورة التحول، فهي عاجزة اليوم عن شراء الأرض الزراعية الغالية الثمن، وتعيش حياة مفعمة بالفقر[1].

تختلف ظروف الشرق الأدنى عن الظروف المصرية. فقد استطاعت القبائل البدوية الكبيرة مواصلة حياة الترحال هنا، واحتفظت بقواها القتالية الخاصة لفترة أطول، رغم تدابير الحكومة، ونجحت في الحفاظ على أهميتها السياسية لقرون عديدة، وتمكنت من تعزيز مقومات وجودها الاقتصادي داخل الصحراء، بفضل تربية الجمال وقيامها بدور الناقل بين مناطقها المختلفة وجوارها. ومع أن خطوط

(1) ماكس فرايهر فون اوبنهايم: من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي» برلين 1900م، الجزء الثاني، ص 81 وما يليها.

السكك الحديدية وطرق السيارات تخترق أكثر فأكثر المناطق الداخلية من سورية وبلاد الرافدين، فإن مناطق سهوبهما الصحراوية كبيرة إلى درجة تفرض الحاجة، في المستقبل أيضاً، إلى الجمل "حيوان البدو المنزلي" و"سفينة الصحراء" الضرورية للتجارة والنقل الداخليين، حتى في المسافات البعيدة. ينطبق الشيء ذاته على المناطق الداخلية من الجزيرة العربية.

II

لا تختلف حياة البدو اليوم عن الحياة التي كان قد وصفها شعراء ومؤرخو العصر العربي القديم. من جانبها، بقيت سهوب الصحراء هي ذاتها منذ آلاف السنين. وكذلك بقي البدو شعبَ أسيادٍ، أصيلاً على الفطرة، بدائياً، وحشياً ومحارباً، لم تمسه الحضارة الأوروبية بعد.

يفخر البدو أشد الفخر بحريتهم، ويمتلكون شعوراً جامحاً باستقلاليتهم. ولا يوجد ما يعلو في نظرهم على الحياة في الصحراء؛ مصدر احتقارهم لأي إكراه، وأية حكومة وضرائب، وللخدمة العسكرية، ومنبع نفورهم من الاستقرار والعمل المنظم. والحق يقال إن البدوي لا يتخلى إلا في حالات الضرورة القصوى، عن بداوته. تنظر القبائل البدوية الكبيرة بازدراء إلى البدو نصف المستقرين، ويظن هؤلاء الأخيرون أنفسهم نبلاء بالمقارنة مع الفلاحين.

لا حدود لاعتزاز البدوي بنقاء نسبه، الذي يحرص عليه ويعني به. في نظر البدوي: أنه وحده أصيل ويتجذر فيه بعمق الايمان بقوة القرابة الدموية التي يجب أن يلتزم بها. وقد لعب الإصرار على نبالة الجنس والقبيلة أعظم الأدوار حتى في أشعار الجاهلية، التي لا تعلق أهمية خاصة على النسب من جهة الأب وحسب، بل تهتم كذلك بنسب الأم، ولا ترى الآخرين بمنظار النقاء العرقي وحده، وإنما تراهم أيضاً بمنظار التحدر من أصل نبيل. وبسبب تحدر الأم من قبيلة غير محترمة، أو من أم سوداء، تعرض أعظم أبطال العصر العربي القديم، من أمثال الشاعر الشهير عنترة، إلى ظلم شديد.

لا يقيم البدوي نقي الدم اليوم أيضاً أية روابط زواج مع أبناء قبائل غير نقية الدم، أو ذات دم غير نبيل من أمثال الهتيم والصليب الذين يتنقلون كالغجر في الصحراء. وبسبب هذا السياق الفكري، يفضل رؤساء القبائل البدوية القوية الزواج من بنات أسر عريقة ينتمين إلى قبائل قليلة الشأن من حيث قوتها وعددها، لكنها تتحدر من أنساب نبيلة. وقد عجزت تقاليد الزواج الإسلامي، القائمة على محو الفروق بين الأعراق، عن فرض نفسها لدى البدو.

يفسر الزهو بنقاء النسب ارتباط البدو الوثيق مع عائلتهم، وبطنهم، وفخذهم، وقبيلتهم. ويرتبط التثمين الرفيع للنسب بالزهو بالنبالة. يشكل الاعتراف بالبدوي كأصيل رابطة تتخطى عموميتها قبيلته الخاصة، وتشد البدو جميعهم بعضهم إلى بعض، تجاه سكان المدن وفلاحي العرب، الذين لم يعودوا أنقياء الدم، وحيال الأتراك أيضاً. يعتبر الغزو وأعمال السلب والنهب أفعالاً بطولية، في حياة البدو الطليقة. لذا، رأى سكان المدن العرب في البدوي عدواً خطراً، حتى انهم خوفوا أبناءهم بهم. ولا عجب إذن أن يرى ساكن المدينة المسلم اليوم في أية رحلة يقوم بها عبر الصحراء أمراً خطراً، وأن تقتصر علاقات الصداقة مع شيوخ البدو على عدد قليل من أسر الأعيان العريقة في المدن الكبيرة، ممن يمتلكون قرى على أطراف الصحراء.

وفي مقابل ذلك، يخشى البدو الذهاب إلى المدن، حيث عليهم التخلي عن أسلحتهم والسكن في المنازل بدل الخيام. إن زيارة مدينة كبيرة كدمشق، حلب أو الموصل، كانت حتى وقت قريب حدثاً نادراً بالنسبة للبدوي.

عندما صحبني أصدقائي من قبيلة شمّر عام 1893م من نصيبين إلى الموصل، لضمان سلامتي في تلك المنطقة التي لم تكن قد درست بعد، نكص مرافقاي البدويان فجأة على أعقابهما أمام بوابات المدينة، وهرعا إلى الصحراء من جديد، خشية أن يحتفظ بهما محافظ المدينة أو قائدها العسكري كرهائن لديه، أو يلقي بهما في السجن. ذلك أن كل بدوي كان يشعر بطريقة من الطرق أنه ارتكب خطأً ما، وكل قبيلة كانت تعاني على الدوام من مصاعب مع الباشاوات الحاكمين.

لم يتغير هذا الوضع في أيامنا أيضاً. مع أن نوري ابن شعلان سكن، بعد أن تقدمت به السنين، بيتاً في دمشق، وتلقى غيره من أمراء البدو بيوتاً وقرى وضعتها الحكومات تحت تصرفهم. أما الحقول المحيطة بهذه القرى، فيحرص الشيوخ على زراعتها بواسطة فلاحين، لأن أبناء قبائلهم يأنفون القيام بأعمال زراعية.

عندما اصطحبت عام 1929م بدوياً ميسوراً من قبيلة الملّي، كان قد قدم لي خدمات ودية كثيرة منذ عام 1899م، من رأس العين إلى حلب بالقطار، حيث كان ضيفي لبضعة أيام في أحد الفنادق، أخذت قبيلته ترى فيه، بعد عودتنا إليها، شيئاً غريباً، مع أنه لم يشعر إلا بالقليل جداً من الراحة في حلب وكان شديد السعادة عندما عاد إلى الصحراء.

يربى البدوي، منذ طفولته الأولى، على الفروسية والقتال، وعلى الصلابة والصمود تجاه سائر ضروب المشقات والآلام والأخطار. وإن حياته لقاسية حقاً، فهي تتكون من صراع متواصل من أجل الوجود، في مواجهة الطبيعة والبشر.

يعتبر الثأر أحد أكثر قوانين الصحراء قدسية. وهو يمارس اليوم بالطريقة ذاتها التي كان عليها في الجاهلية. فمقابل القتيل من قبيلة ما يجب أن يقتل شخص من القبيلة التي قتلته. من الجائز أيضاً تقديم تعويض مالي يدفع غالباً في شكل جمال أو خراف، وإن كان يقابل بنفور شديد. لا يلزم الثأر أسرة القتيل، بل يلزم القبيلة بأسرها في ظروف معينة، خاصة عندما يتعلق الأمر بشيخ. ثمة حالات مختلفة قاد الثأر فيها إلى حروب ضارية، أنزلت خسائر فادحة بقبائل بأسرها، بل وأدت إلى إبادتها. بوجه عام، يعتبر الثأر في الصحراء عاملاً يحافظ على حياة البشر، ذلك أن البدوي يخاف العواقب الوخيمة التي تترتب على القتل، ويتجنب سفك الدماء قدر استطاعته.

مهما يكن من أمر، يحمل البدوي صفات حقيقية هي الإنسانية، والفروسية، والشهامة. وهناك منذ أقدم الأزمنة حكايات وأساطير لا عدّ لها حول خصائصه هذه. من ذلك مثلاً أن البدوي، الذي يشارك في الغارات على القوافل، يكتفي

بالغنيمة التي استولى عليها ـ إذا كان المسافرون لم يحصلوا قبل سفرهم على حماية قبيلته ـ عندما يلقي العدو سلاحه ويسلم الحيوان الذي يمتطيه. صحيح أن البدوي قد يأخذ حتى قمصان من في القافلة، إلا أنه لن يقتلهم بالتأكيد، وسيعطيهم الزاد والماء ويرشدهم إلى طريق أقرب قرية. وقد قابلت شخصياً مرات متعددة مسافرين تعرضوا للنهب في الصحراء. إلى هذا، لا يقدم البدوي أبداً على اختطاف البشر، من أجل ابتزازهم والحصول على فدية مالية، على غرار ما يحدث في أميركا أو الصين.

عندما تحدث غزوة على مضرب خيام معاد ويتم نهبه، يفر من يصاب منهم بجراح، كما يقضي عرف حربي قديم، إذا كانوا عاجزين عن المقاومة، لعلمهم أن المنتصرين لن يلحقوا تحت أي ظرف الأذى بنسائهم وأطفالهم وشيوخهم. في هذه الحالة أيضاً، يترك المهاجمون المنتصرون ما يكفي من الطعام وحيوانات الركوب للنساء، ليتمكّنّ من النجاة بأنفسهن.

يعتبر كرم الضيافة إحدى أجمل صفات البدو، وكذلك عادة تقديم الحماية حتى للعدو، بمجرد أن يدخل خيامهم. ثمة حكايات يتم تناقلها منذ أقدم الأزمنة وحتى اليوم في امتداح هذه الفضائل. ينبع كرم الضيافة من ضرورات الصحراء، لذلك لا يمارس في أي مكان من العالم بقدر من الاستقامة والمودة كالذي نجده فيها.

يعد كرم البدو مضرب الأمثال أيضاً. إنه بشكل خاص من واجبات الشيخ، الذي لا يحتاج كي يمارسه إلى غنائم. أما الهدايا التي يتلقاها، فإنه يحرص في معظم الأحيان على تقاسمها مع المحيطين به من قومه.

ينظم البدو شؤونهم وفق قوانين الصحراء غير المكتوبة، فالقضاء يمارسه الشيخ أو قاض خاص، لكن أحكامهما غير ملزمة. وإن كان اؤلئك الذين لا يرضخون لها، لا يستطيعون البقاء بعدها في القبيلة، بل يجب عليهم البحث مع عائلاتهم عن ملجأ لدى قبيلة أخرى، لأن القبيلة ليست فقط جماعة سياسية، بل

هي أيضاً جماعة قضائية.

الرأي العام، أو الخوف من لوم وسخرية الآخرين هو القوة الوحيدة الملزمة، والسلطة الوحيدة التي ينحني البدوي الأصيل أمامها. ويدعم الرأي العام الأعراف الأخلاقية غير المكتوبة للصحراء، التي يجب على كل بدوي احترامها والتقيد بها. وهذه لها متطلبات مثالية يأتي في مقدمتها التضامن مع أبناء القبيلة، والأخذ بالثأر، وغير هذا مما يعتبر من فضائل البدو. فإن أتى البدوي أمراً يخالف أعراف الصحراء، فقد اعتباره في القبيلة وبين البدو بوجه عام.

شيخ القبيلة هو قائدها. أما المشيخة فترتبط بأسرته، وتورث عادة من الأب إلى الإبن. وإن كانت تنشأ غالباً عقب وفاة رأس القبيلة مآسي دامية بين أهل بيته.

يساعدُ الشيخَ، قبل كل شيء، نبلاءُ الدم من أسرته والتابعون له من الشيوخ. ليس الشيخ بين هؤلاء، وحيال بقية البدو أيضاً، سوىٰ واحد من أفراد القبيلة. أما سلطته فهي بطريركية، يظهرها عبر وسائل أخلاقية بالدرجة الأولى. ومن صلاحياته تمثيل القبيلة واستقبال الأغراب، وتعد الخوّة حقاً لها، يؤديه أنصاف الرحل الذين يعيشون على أطراف الصحراء والفلاحون والتجار، كما تؤديه القوافل لتضمن عدم تعرضها للاعتداءات. للشيخ أيضاً حق الحصول على حصة رئيسة من غنائم حملات الغزو والحرب. وعليه العمل لضمان خير القبيلة، فهو الذي يقرر تغيير أماكن الرعي، وشؤون السلم والحرب، والتحالفات مع القبائل الأخرى، والغزوات التي يجب القيام بها، وعلاقة قبيلته بالحكومة، إن كان لها سلطة عليها. وتتجه الحكومات إلى الشيخ، إن كانت قوية بما يكفي لجباية الضرائب، أو عندما يرتكب أفراد من القبيلة أعمال سلب ونهب. وتناقش الاجتماعات اليومية، التي يعقدها أكثر أعضاء القبيلة احتراماً، حين يجتمعون لشرب القهوة في خيمة الشيخ، شؤون القبيلة وسياساتها، لكن تسوية هذه الشؤون تبقى من اختصاص الشيخ وحده، الذي يكفل، في جميع الأحوال، السلام في القبيلة، ويعتبر، بهذه الصفة، شخصاً تعد الحاجة إليه مهمة كثيراً بين البدو المتهورين.

ويخاطب أبناء القبيلة الشيخ باسمه الأول. ويتمتع شيوخ مشايخ التحالفات القبلية الكبيرة دون غيرهم بمهابة أميرية تقريباً لدى أبناء قبائلهم.

من واجبات الشيخ قبل غيره إكرام الضيوف، وعليه تقديم حق اللجوء لمن يبحث عن الحماية لديه. وهذا يلزمه بتدبير أمور طالب الحماية ووقايته من أي مكروه. وعلى الشيوخ وأفراد أسرهم أن يتميزوا، في شبابهم خاصة، بالشجاعة وحتى بالجسارة التي تبلغ حد التهور. وقد لقي قسم كبير منهم ـ منذ قديم الزمان ـ حتفه في الحروب والغزو. في الآونة الأخيرة، أخذ استخدام بنادق حديثة ذات مدى بعيد يحدث خسائر كبيرة جداً بين الشيوخ وأسرهم، لأن الشيخ أو أحد أبنائه يقود عادة الحملات القتالية وإن كانت بعض القبائل تخص أسرة بعينها بشرف القيادة وتعتبرها أمراً وراثياً.

ليس بين البدو غير عدد جد قليل ممن يحسنون القراءة والكتابة. لذلك يُستقدم كتبة وسكرتاريو كبار الشيوخ من خارج القبيلة غالباً، وتكون مشاركتهم نادرة في القتال.

يمتلك البدوي حساً حياً بالشعر، الذي يحبه. ويترحل الشعراء والمنشدون من قبيلة إلى أخرى، ليلقوا حكماً قديمة، وينشدوا أغاني بطولية قديمة، أو أشعاراً نظموها على شرف القبيلة، تمتدح شجاعتها وحروبها وغزواتها الظافرة، وتمجد كرم الشيخ، الذي عليه أن يقدم للمنشد هدايا خاصة.

البدو مسلمون. وهم يلهجون على الدوام بذكر الله، الذي لا يفارق اسمه أفواههم، لكنه بالكاد تجد بين بضعة آلاف منهم واحداً يعرف شعائر الصلاة التي أقرّها الإسلام ـ ينطبق هذا بصورة خاصة على المناطق التي لم تنتشر فيها الوهابية. كما لا تزال توجد ذكريات وثنية في أساطيرهم. ومع أنهم يميلون إلى التزمت الديني. إلا أنهم متسامحون بوجه عام حيال غير المسلمين، جرياً على مألوف الإسلام. لكنني عايشت بنفسي انفجارات غضب تعصبي لدى قبائل شمال بلاد الرافدين ضد اليزيديين، أو من يسمّون عبدة الشيطان، الذين كانوا يخوضون ـ على

كل حال ـ نزاعات دموية معهم.

يتمتع البدو بالذكاء، ولهم قابلية فائقة على التعلم. ولديهم، قبل كل شيء، ذاكرة جيدة للأسماء، بما في ذلك أسماء أماكن تقع في مناطق جد بعيدة. كما يمتلكون حساً مرهفاً بمعرفة الاتجاهات، يستند على ارتباطهم بالأرض. ومع أن الأشياء التقنية بقيت بعيدة عن البدوي إلى اليوم، فإن استخدامه للسيارة لم يطرح عليه، في واقع الحال، أية صعوبات تذكر.

تقتصر المهارات اليدوية لنساء البدو على غزل ونسج أقمشة خام، وخياطة قطع قماش تم شراؤها لصنع الثياب. ويشتري الرحل الكبار حبال خيامهم السوداء، المصنوعة من شعر المعز، لأنهم لا يربون قطعان المعز.

أما الأدوات القليلة التي يحتاج البدو إليها (قدر، مقلاة، هاون، إبريق القهوة الكبير وفناجينها الصغيرة، الغليون والسرج... وما شابه) فيتم شراؤها. وكذلك تشترى أدوات زينة النساء وقطع الثياب الأكثر أساسية. على البدو شراء كل ما يستخدمونه من سلاح أيضاً. والحق، أن معظم هذه الأشياء تصنع خصيصاً لهم في بعض المدن. في الآونة الأخيرة، بدأت أنواع مختلفة من سقط المتاع الأوروبي تجد طريقها إليهم.

يتم تموين البدو بالأشياء الضرورية التي يحتاجون إليها كالحبوب والأرز والقهوة والسكر والتبغ، بواسطة تجار يتوغلون عميقاً في الصحراء كي يصلوا إليهم. أو يتموّن البدو بأنفسهم خلال إقامتهم الصيفية في مواقع على حافة الصحراء، حيث يبيعون منتجاتهم إلى التجار المسافرين، وهي تتكون أساساً من الحيوانات الداجنة، والصوف والسمن.

لا يبيع البدوي فرساً من أفراسه إلا على مضض. وهو يبيع، بالمقابل الأحصنة، التي يحتفظ عادة بعدد قليل منها فقط للتلقيح. تلعب الفرس دوراً كبيراً في حياة البدو. فهي مناسبة للغزو أكثر بكثير من الحصان، لأنها هادئة، لا تصهل، وتعد أسرع منه وأكثر قدرة على الاحتمال. تمثل الفرس كذلك نوعاً من رأس المال

بالنسبة إلى مالكها، لأنها تهبه أمهاراً. ويعلق البدوي أهمية كبيرة على نقاء سلالة الخيل. ومن المعلوم أن الخيول الانجليزية الأصلية تتحدر من خيول عربية. في الوقت الحالي، تناقص كثيراً، وللأسف الشديد، عدد الخيول في الصحراء، نتيجة للحرب العالمية.

لا يكترث البدو بالأساس لأي رفاه أو تجديد، إن كان لا يجلب تسهيلاً ما بالنسبة إلى حملات الغزو والحرب، وبالنسبة إلى خيامهم وترحالهم. يعتبر البدوي مزاولة أي عمل، عدا القتال وركوب الخيل وبعض الأعمال المرتبطة بقطعانه وترحاله، أمراً ماساً بكرامته. لذلك يقع على عاتق المرأة القيام بالعمل الرئيس في المضارب والخيام، بما في ذلك جلب الماء، المتعب غالباً. بالمناسبة، تعتبر المرأة البدوية مصونة لا يمسها أحد. وهي تمشي لدى قبائل كثيرة سافرة الوجه.

يمتلك الشيوخ خاصة نساء عديدات، لأن الإسلام يسمح لهم بأربع زوجات في وقت واحد، ولأنهم يريدون أكبر عدد ممكن من الصبية، يعززون بهم قوتهم في القبيلة، لأن الأولاد يساعدون في القتال. لكن البنات لهن بدورهن قيمة كبيرة، لأن البدوي يقدم، تبعاً لعرف جد قديم، إلى والد المرأة التي يرغب في الزواج منها، أو إلى أسرتها تعويضاً في شكل جمال، خيول، أو خراف. من جانبها، تتيح سهولة الطلاق إمكانية الزواج من امرأة جديدة وإنجاب مزيد من الأبناء. وهناك زيجات معينة قام بها الشيوخ لاعتبارات سياسية.

في أزمنة ماضية، كان الشيوخ يمتلكون في الغالب عبيداً من الزنوج. ومع أنه تم تقييد تجارة العبيد واستجلابهم من افريقيا إلى الجزيرة العربية تقييداً شديداً بفضل القوانين الدولية، فإن تجارة العبيد وامتلاكهم لا تزال قائمة، وعلى أقل تقدير في الحجاز، حيث يشكل السود قوة على قدر عظيم من القيمة في جيش الملك عبد العزيز آل سعود.

تحرر العبيد في المناطق الشمالية. لكنهم بقوا وعائلاتهم في مضارب سادتهم السابقين، بصورة دائمة تقريباً. بدورها، لم تتغير العلاقة بينهم وبين عبيدهم

السابقين إلا قليلاً، الذين يبدون طاعة عمياء حيالهم وحيال الخلص من رجالهم. ويشكلون، مع أقربائهم الذكور، الأتباع الشخصيين المسلحين للشيخ، الذي يتكفل، من جانبه، بمعاش عبيده، الذين لا يتزوجون من خارج صفوفهم.

ترك هدوء الصحراء بصماته على البدوي. ثمة وجاهة لا مجال لإنكارها يتسم بها كل رب منزل. فهو يستقبل ضيوفه في خيمته وكأنه أمير، حتى إذا كان لا يستطيع أن يقدم لهم غير حليب الجمال والتمر. يمتلك البدوي كذلك إحساساً متميزاً في كل ما يتعلق بتصرفاته، التي تنظمها أعراف شديدة القدم. من ذلك أن إعداد القهوة وتقديمها صار طقساً إحتفالياً بكل معنى الكلمة، تقدم خلاله إلى الضيوف وفق ترتيب محدد بدقة، يأخذ بعين الاعتبار مقام ومكانة كل واحد منهم، فالقهوة البدوية المرة ذات النكهة الطيبة، يصبها لهم في فناجين صغيرة أحد أقرباء رب المنزل أو عبيده. غير أنه يصعب على أحد غير الشيخ أو أحد أغنياء البدو فتح مضيف قهوة.

تتعارض خصائص البدوي من جوانب كثيرة مع المفاهيم الحقوقية لحضارتنا الأوروبية الحالية، أو مع مفاهيم عرب المدن الراقين. إن السمات الملازمة لحياة البدوي هي الحاضنة التي تطورت فيها أكثر رذائله الأساسية: أعني ريبته، وطمعه غير المحدود، وغضبه السريع الاشتعال، وانزلاقه السريع إلى العنف. والحق، فإن البدوي يدرب وهو طفل على القيام بأعمال سرقة، على أن يمارسها تجاه القبائل الغريبة فقط، عندما يصبح رجلاً.

رغم هذا، يعتبر البدوي شخصاً يعتمد عليه إلى أبعد حد. فهو يحترم علاقة الأخوة، ويفي بوعوده ويلزم نفسه بها، إلا في حالات نادرة جداً.

حتى الحرب العالمية، كان سلاح البدو يقتصر على رمح من قصب الخيزران يصل طوله إلى حوالى ستة أمتار، إلى جانب السيوف والخناجر. أما بنادقهم القديمة الطراز، التي يكثر استخدامها دون أن يكون عددها كبيراً مع ذلك، فكانت أقل خطورة من أسلحة الطعن والضرب. آنذاك، كان يوجد عدد قليل جداً من

الرماة بين البدو، وكانت الأسلحة الحديثة الفعالة، والبنادق، والمسدسات نادرة إلى أبعد حد. أما الآن، فيوجد لدى كل بدوي تقريباً بندقية بمغلاق أو بندقية قصيرة الماسورة. حتى أنني لم أستطع عام 1929م الحصول على بعض الرماح في دير الزور إلا بعد مشقة وعناء.

تحتل الغزوات، غزوات القبائل بعضها ضد بعض، أهمية قصوى بالنسبة لحياة البدو، منذ أزمنة يصعب التفكير فيها. يرى البدو في ممارسة الغزو حقاً أبدياً. لا عجب أن الغزو يتم اليوم أيضاً بالطريقة عينها التي يصفها شعراء العرب القدماء ومؤرخوهم، وأن نتائجه تسوى وفق قوانين الصحراء الأبدية غير المكتوبة، التي تذكر، من بعض جوانبها، بتقاليد الفرسان قطاع الطرق في العصر الأوروبي الوسيط.

بذلت حكومتا الإنتداب الفرنسية والانجليزية جهوداً كبيرة من أجل القضاء على عادة الغزو، ولكن دون جدوى. ربما كان الملك الهمام عبد العزيز آل سعود أكثر توفيقاً منهما في الحد منها داخل الجزيرة العربية. ويقال الشيء نفسه عن العراق الآن. غير أن تقليد الغزو سيعيش بالتأكيد لفترة طويلة قادمة في نفوس البدو.

حتى الحرب العالمية، كان من يقومون بالغزو يقتصرون بالدرجة الأولى على الفرسان المسلحين بالرماح. وكان عبء القتال يقع على أصحاب الجياد. ذلك أن الغزوات الصغيرة كانت تنفذ بصورة حصرية تقريباً بواسطة الخيول، بينما الغزوات الكبيرة، التي يشارك فيها مئات البدو أحياناً، وتتطلب أسابيع من المسير قبل الوصول إلى العدو، فكانوا يقومون بها بمعونة الجمال، بينما يقتادون خيولهم إلى موقع الغزو. كان الخيالة يمتطون جملاً لكل رجلين. وحين يظهر العدو، كانوا يمتطون الجياد تاركين لراكبي الجمال الاستيلاء على الغنائم وتغطية ظهور وجوانب المقاتلين. وكان الغزاة يميلون إلى الاستيلاء على قطعان المراعي البعيدة، القليلة الحماية. فإن أخفقوا، أو أحسن من أغاروا عليهم الدفاع عن أنفسهم، أو لاحقوا المهاجمين، تحول القتال، كما حدث طوال قرون عديدة، إلى سلسلة اشتباكات

متفرقة، هي نوع من المبارزة يتطور إلى أن يصير شيئاً أشبه بألعاب الفروسية. عندئذ، يستطيع الفارس الأضعف، الذي يمتطي جواداً أو جملاً منهكاً، إنقاذ حياته، بأن يتخلى عن سلاحه وجواده للعدو. عندما يقتنع الغزاة أن أعداءهم يفوقونهم قوة، يرون أن من حقهم وواجبهم، ولا يتعارض بأي حال مع ميلهم التقليدي إلى القتال والإتكال على سرعة جيادهم أو جمالهم، والفرار "بشجاعة".

إن الغزوات، التي لا يحمل البدوي خلالها إلا ما يحتاج أشد الحاجة إليه من غذاء وماء، هي عمل يتطلب أعلى قدر من الصلابة والقدرة على تحمل الحرمان؛ يشارك أبناء الشيوخ فيه وهم لا يزالون أطفالاً. إنه لأمر يحتاج دون أي شك إلى قدر هائل من الشجاعة أن يقوم بدو موزعون على مجموعات صغيرة في أغلب الأحيان ـ رأيت بنفسي مجموعات تتكون من 10 إلى 12 خيالاً ـ بغزوات على قبائل معادية تسكن مناطق ربما كان هذا أو ذاك من أفرادها قد دخلها في غزوة سابقة وقعت قبل سنوات كثيرة. هؤلاء الجياع، الذين يعانون من نقص المياه، يجب أن يتسللوا إلى مواقع العدو، يحيق بهم خطر أن تكتشفهم قوة متفرقة، وأن يطاردوا ويعزلوا قبل أن يقضى عليهم. عندما تسيل الدماء، يمكن للغزوات أن تتحول إلى حملات حربية.

إذا ما هدد شيء ما مرتكزات وجوده: المرعى والماء، إندفع البدوي إلى أبعد مدى ممكن في قتاله.

أدت مبارزات الغزو الفردية ذات الايحاءات الرياضية، واعتياد البدو على الفرار عندما يجدون أنفسهم حيال قوة لا قبل لهم بها، إلى الإنتقاص من أهليتهم العسكرية في حالات كثيرة. وبسبب عدم اعتياده بوجه عام على الإكراه والتدريب، لم يكن البدوي إلى الآن عدواً ذا شأن بالنسبة إلى الوحدات الأوروبية المقاتلة. لكنه سيكون من الخطأ استمرار النظر إليه بهذه الطريقة. فقد حقق الفرنسيون نتائج طيبة باستخدامهم البدو الذين جندوهم في أفواج الجمّالة. بالمقابل واجهت حكومتا الانتداب الفرنسية والانجليزية إلى وقت قريب مصاعب كبيرة نسبياً مع الإنتفاضات التي قام بها البدو.

لا أستبعد شخصياً، أن يعوّد البدو أنفسهم على درجة معينة من التدريب القتالي، على غرار ما نلاحظه اليوم في ألعاب خيالتهم. وقد سبق أن ذكرت أن أمير الملّي جنى فوائد كبيرة من الأفواج الحميدية المشكلة من بدو وأكراد. في الختام، أعتقد أن البدو سيصبحون أعداء مرهوبي الجانب، إذا ما دربهم وقادهم ضباط نظاميون، خاصة إن تحدروا من البوادي، التي ينفردون وحدهم بمعرفتها. من جهة أخرى، لا يجوز أن ننسى الماضي العظيم للبدو، الذي تمكن العرب خلاله من الإستيلاء على مناطق شاسعة، تحت راية الإسلام.

يمتلك معظم البدو عيوناً كعيون النسر، لكنه يقال إنهم يتعلمون بصعوبة إطلاق النار بواسطة البنادق الحديثة، لأنهم لا يعرفون كيف يستخدمون شعيرة التسديد. غير أن هذا يتغير بدوره شيئاً فشيئاً.

يمتلك بعض الشيوخ سيارات. بل إن بعضهم، كالأمير نوري ابن الشعلان شيخ مشايخ الرولة، ركب مدافع رشاشة في سيارته المحمية بصفائح معدنية إستخدمها فيما بعد بحملات غزو وحروب ضد القبائل الأخرى.

رغم أن الطائرات تعتبر بحق أفعل سلاح ضد البدو، فقد تعلم هؤلاء كيف يحمون أنفسهم بعض الشيء ضد الهجمات الجوية: فهم يبعثرون قطعانهم، ويفرقون جمالهم المحملة بخيامهم، ويقومون بحيل أخرى تجعل خسائرهم بسبب الهجمات الجوية أقل عموماً مما يعتقد.

كان البدو يجدون أنفسهم ضعفاء في مواجهة القوات التركية، التي كانت تستخدم بنادق ملائمة تماماً لظروف العصر. وهم أشد ضعفاً بطبيعة الحال تجاه جنود مدربين ومزودين بوسائط حربية حديثة، كتلك التي استخدمتها القوات الاوروبية خلال الحرب العالمية وعند نشوب انتفاضات في مناطق انتدابها. إذا ما ألف البدو الأسلحة الجديدة، وتمكنوا من استعمالها بالمهارة التي كانوا يستعملون بها رماحهم في الماضي، فإن قبائلهم الكبيرة ستلعب بالتأكيد دوراً مهماً في الحروب التي قد تنشب في الشرق الأدنى. ينطبق هذا القول بصورة خاصة على

مناطق "الصحارى" الواسعة، التي يستطيعون الإختفاء فيها ببساطة، عند مطاردتهم.

عندئذ، سيكون من الأهمية بمكان أن يفهم من يتعاملون معهم كيف يتصرفون بصورة صحيحة حيالهم، ويعرفوا بدقة تنظيم قبائلهم وأسر شيوخهم، ويحترموا خصوصيتهم وأعرافهم وتقاليدهم.

مدخل

لا تحتاج دراسة كتاب البدو إلى معرفة تخصصية. فهو مصمم كي يدخل القارىء تدريجياً في الأشياء: من موضوع إلى آخر، ومن قسم إلى قسم، ومن جزء إلى آخر. أما النقص المؤقت في الفهرس، الذي سيتم تداركه في الجزء الرابع، فقد تم تعويضه عبر إحالات كثيرة، بينما يتم نقل المعلومات الجغرافية والتاريخية الضرورية من خلال المقدمات التي تتصدر الأقسام. أما التعابير الأجنبية، التي لا تفسر أولاً بأول، فإنها تشرح للقارىء في هذا الفصل، ما يراد به إنقاذه من الضياع في هذا السفر الشامل.

من الضروري تسجيل ما يلي حول تصميم الكتاب: توزع الأقسام وفق وجهات نظر جغرافية وليس وفق وجهات نظر سياسية. من هنا، تفهم مناطق سورية والعراق بحسب حدودها الأصلية وليس حسب مناطق الانتداب أو الدول، التي نشأت بسبب الحرب.

يعالج كل موضوع قبيلة بدوية. ويتم بصورة استثنائية جمع قبائل متعددة، كقبائل حماه مثلاً، في موضوع واحد. فإن وجدت قبيلة تنتشر في مناطق جغرافية مختلفة وورد ذكرها في الأقسام المعنية جميعها وكذلك القبائل الرحل الكبيرة، التي تنتشر في مناطق عديدة والتي ما زالت مترابطة بعضها مع البعض الآخر، فإنها تعالج في موضع واحد وحسب، كقبيلة عنزة في بلاد الرافدين مثلاً.

ترتكز المواضيع الكبرى على مخطط ليس على درجة شديدة من الترابط الداخلي ـ نحللها فيما يلي: في المقطع الأول يوجد توصيف للقبيلة المعنية، ثم يأتي قسم تاريخي يبدأ بالتطرق إلى علاقات النسب، أو نسب شعوب وقبائل الجزيرة العربية القديمة. ولتمييز الحقب التاريخية، أخذنا بمفاهيم: العصر القديم، العصر الوسيط، العصر الحديث، التي وجدنا من واجبنا، بطبيعة الحال، تعيين الحدود فيما بينها بطريقة تختلف عن الطريقة المألوفة. لذلك يمتد العصر القديم عندنا إلى عام 132هـ/ 750م[1]، ليشمل خلفاء النبي محمد الأربعة الأوائل (632 ـ 661م)، والخلفاء الأمويين في دمشق (661 ـ 750م). بينما يضم العصر الوسيط خلافة العباسيين في بغداد (750هـ ـ 1258م) (العصر الوسيط الأول) وحكومة سلاطين المماليك في القاهرة (1250هـ ـ 1517م) التي تقابلها تقريباً في الشرق سيطرة المغول والدول التي تلتها (العصر الوسيط المتأخر، زمن المماليك). ويبدأ العصر الحديث بالنسبة لمناطقنا مع سيطرة الأتراك العثمانيين، الذين احتلوا سورية ومصر عامي 1516م و 1517م، وبغداد عام (1533م) «1534م».

بعد القسم التاريخي يأتي قسم منهجي، يقدم معلومات حول تراتب القبيلة، وأماكن إقامتها، وظروفها الاقتصادية، وعلاقاتها مع جيرانها والحكومة، وفي الختام حول أسر زعمائها.

من أجل تقديم نظرة أوفى على القبائل المهمة، تم فرز فصول متفرقة (تدور على سبيل المثال حول أقسام استقلت عن القبيلة، وقبائل ضمت بعضها إلى بعض، وأسر الشيوخ، والأنساب) عولجت منفصلة في نهاية الموضوع[2].

تعتبر مشجرات أنساب القبائل المرفقة بالكتاب أنساباً قبلية في قسم منها وشخصية

---

(1) يصف التاريخ الأول هنا وفي أي مكان آخر العام وفق التقويم الهجري، الذي يبدأ عام 622 بعد الميلاد، ويتخلف أكثر فأكثر في مجرى الأعوام عن تقويمنا، بسبب اعتماده على الأعوام القمرية. ـ في الأحوال النادرة، التي نذكر فيها السنة الهجرية وحدها، نورد ذلك مع كلمة "للهجرة".

(2) أحللنا حرفي: تو (إختصاراً لكلمة توفي) محل شارة الصليب التي ترمز إلى الموت.

في قسم آخر، فهي تصور إما رابطة القرابة بين أجزاء من قبيلة، أو سلسلة أسلاف أسرة من أسر الشيوخ. في الحالة الأخيرة، يتركز الاهتمام حول ما إذا كان النسب يرجع إلى توارث حي، يمكن لهذا أن يعد وثيقة تاريخية قائمة بذاتها، أو إذا كان قد أخذ من مصادر كتابية فقط، بغرض إعطاء لمحة أفضل عن إحدى سلالات الشيوخ.

تقدم الملاحظات حول أشجار أنساب القبائل معلومات حول هذا الأمر، كما تقدم، في الوقت نفسه، المعطيات الأخرى الواردة في مصادر أخرى، وملاحظات عن الشخصيات الآتي ذكرها في الأنساب.

تبين الجداول تراتب القبائل، أي بناءها من وحدات تتراكب فوق أو قرب بعضها بعضاً. ويشار إلى التراتب في الجداول من خلال الأحرف والأرقام، بينما يتبع النص مصطلحات مثل: قبيلة ـ عشيرة ـ بطن ـ أو فخذ، أو عائلة. أما القبائل، التي تطورت عشائرها إلى وحدات مستقلة، فتسمى إتحادات (قبلية). في هذه الحالة، وحدها، نسمي العشائر قبائل. . . الخ. يعتبر مفهوم القسم حيادياً تماماً، بينما يستخدم تعبير المجموعة لوصف وحدة نسب (دم) تارة، أو وحدة جغرافية أو مرتبطة بشخصية قيادية، تارة أخرى. من الضروري أن يقبل القارىء قدراً معيناً من اهتزاز المفاهيم، لأنه يرتبط قبل كل شيء بطبيعة الأشياء. إن المصطلحات العربية أشد اضطراباً بكثير من التي اعتمدناها ـ حيث يسمي العمود الثاني من الجداول رؤساء (شيوخ) القبائل، والعشائر. . . الخ. ويسمي العمود الثالث بكلمات مختصرة مناطق إقامة العشائر الرحل الصيفية والشتوية، بينما يسمي غالباً، لدى أنصاف الرحل، القرى أو أحياء المدن التي يمضون فصل الصيف فيها. أما بالنسبة إلى العمود الرابع، الذي يتضمن أعداد الخيام، فليقارن القارىء المعلومات المقدمة في الصفحة 63 وما يليها.

لا بد لنا أن نضع بعض الملاحظات حول الجداول: إذ تقدم الملاحظة الأولى معلومات حول الصور أو المصادرالأدبية، التي أرسيت الجداول عليها، وكذلك حول مواد إحصائية قديمة ومعطيات مغايرة عن تنظيم أو عدد الخيام. إلى ذلك، تخبرنا عن علامات الملكية، الوسم، وصيحة الحرب، ومواشي القبيلة. ـ تكمل الملاحظات الأخرى هذه المعطيات بالنسبة للوحدات الأدنى. كما تقدم

ملاحظات فلسفية وتاريخية، وتعلمنا عن الأنساب ذات الطابع المغاير (النسب بعد طي أو نسب طي ذاتها على سبيل المثال)، أو الموقع الاجتماعي (العبيد مثلاً) للعشائر... الخ، وعن شخصيات القادة وأسرهم، وتمدنا كذلك بأسماء رؤساء قبائل سابقين، إن أتاحت لنا معرفة ما اتسمت به السيطرة من استمرارية، أو ما تعرضت له من تبدلات.

بخصوص مصادر العمل، فقد جمعنا المصادر الأكثر أهمية في الملاحظات الأولى في جداول عنزة وتلك المتعلقة بجداول شمّر. أما فيما يتعلق ببقية القبائل، فنحيل القارىء إلى فهرس الأدبيات، الموجود في الجزء الرابع. في النص، أوردنا المصدر بالتفصيل، حيث يظهر لأول مرة، ومختصراً في الاستشهادات اللاحقة. لم نعمد، بالنسبة إلى المراجع الشرقية، إلى إعطاء العناوين الدقيقة لأن الهاوي لن يفيد منها والمتعلم يعرف كيف يتعامل معها. أخيراً، من الضروري القول إن حديثنا عن القلقشندي يعني دوماً، ما لم نشر إلى غير ذلك بشكل صريح على كتابه "نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب". إن الاختصارات التي اخترناها للمصادر الغربية مفهومة دون صعوبة، باستثناء بعضها، الذي نوضحه فيما يلي:

ـ بوركهاردت، ج. ل: بوركهاردت: ملاحظات حول البدو والوهابيين، فايمار 1831م.

ـ جدول لامارتين ـ محفوظ في كتاب: "رحلة في الشرق" (مؤلفات لامارتين، بروكسل 1836م. الصفحات بين 348 و 349).

جدول شبرنغر = أ. شبرنغر: "إسهام إحصائي حول الجزيرة العربية". مجلة ZMDG ـ المجلد السابع عشر، ص 214 ـ 226.

ـ كارستن نيبور: "وصف الجزيرة العربية"، كوبنهاغن 1772م.

ـ نيبور: وصف رحلة كارستن نيبور إلى الجزيرة العربية وبلدان أخرى محيطة بها. المجلد الأول والثاني، كوبنهاغن 1774م، 1778م.

ـ مجلة الإدارة المدنية في بلاد ما بين النهرين. لندن 1920م. يعتقد أن جرترودبل كانت تحررها.



الجزء الأول

القسم الأول

بلاد ما بين النهرين

«العراق الشمالي»

المقدمة

ثمة معاني متعددة لمفهوم بلاد ما بين النهرين، الذي يراد به أحياناً مجمل منطقة مجريي الفرات ودجلة، وغالباً منطقة مجرى النهرين العليا وحدها، بينما يعطى القسم الأدنى، بابل القديمة، أو اسماً عربياً هو العراق. بدورنا، سنستخدم في كتاب البدو المفهوم ضمن هذا النطاق المحدود، وسنعتمد خط الفلوجة ـ سامراء للحد بين بلاد ما بين النهرين والعراق[1].

يتشكل القسم الشمالي من بلاد ما بين النهرين من أرض مرتفعة، لها خصائص مناطق آسيا الصغرى المحاذية لها. وهو لن يكون موضوعاً لدراستنا هنا، لأنه يخلو من البدو. أما القسم الباقي من هذه البلاد، فهو أرض منبسطة، تنخفض تدريجياً من شمال شرقها إلى جنوب غربها، إلى أن تذوب في النهاية داخل السهل البابلي المنخفض، حيث ترتفع من 500 إلى 600 متر وسطياً عن سطح البحر عند أقدام الجبال الشمالية، وتنخفض إلى ما بين 40 و 70 متراً بين الفلوجة وسامراء. وتكتسب الأقسام الداخلية لهذه الأرض قسماتها عبر جبلي عبد العزيز وسنجار، اللذين يبلغ ارتفاعهما بضع مئات من الأمتار، ويتجهان من الغرب إلى الشرق. أما مجرىٰ الفرات، فهو مجرى عميق الحفرة ينخفض من ثلاثين إلى أربعين متراً تحت

(1) المملكة العراقية التي تأسست حديثاً والتي تحمل نفس الاسم "العراق" تشمل أيضاً أقساماً من بلاد ما بين النهرين. ولذلك يجب التمييز بين تعبيري «المملكة العراقية» و(منطقة) العراق.

سطح السهل، يتبدل عرضه من مكان لآخر، ويتراوح بين 200 متر وعشرة كيلومترات(*) لأن النهر غالباً ما يغير مجراه، عندما يجد متسعاً لذلك. بالمقابل، يعتبر وادي دجلة أقل تجانساً، حيث تصعد ضفته الغربية إلى ارتفاعات كبيرة بين الموصل وتكريت، يخترقها النهر قبل أن يصل إلى سهل بابل.

تأتي جميع روافد نهري الفرات ودجلة من الجهة اليسرى لمجرييهما، فيستقبل الأول مياه البليخ والخابور، والثاني الزاب الكبير والزاب الصغير، وشط العظيم وديالى. وتخلو منطقة ما وراء سنجار من مجاري الأنهار، في حين يتوقف جريان الجداول، التي ترسل الجبال بمياهها إليها، بعد مسافة قصيرة. حتى الثرثار، المجرى النهري القديم، الذي يمتد باتساع نحو الجنوب، ولا يصل ماؤه إلى نهر الفرات.

يشكل جبلا عبد العزيز وسنجار حداً فاصلاً بالنسبة للمناخ والتكوينات الأرضية. تتموج الأرض بلطف في شمال هاتين السلسلتين الجبليتين اللتين يخترقهما الخابور، وتتدثر تربتها الخصبة بغطاء نباتي كثيف مطلع العام، لكنه سرعان ما يجف في حر الصيف. بيد أن توفر المياه يمنح بعض البقاع بعض الأفضليات، كما في سهل حران وأورفة التي تنحشر من الجنوب بين السنامين القاحلين لنمرود داغ في الغرب وطاق طاق أو «طقطق» في الشرق، وبين منطقة منابع الخابور في رأس العين وحوض نصيبين، الذي يستقبل جداول كثيرة دائمة الجريان في أقسامها العليا، يقودها فيما بعد الرد، الذي يجري من الغرب نحو الشرق، إلى الجغجغ ومنه إلى الخابور.

تكتسب منطقة جنوب سنجار طابعاً صحراوياً وبالاحرى، تحتوي تربتها على الجبس في أماكن كثيرة منها، وعلى مستنقعات ملحية في منخفضاتها. أما الزراعة، فهي لا تمارس إلا في الوديان عند سفوح الجبال وقرب الحدود مع العراق، خاصة وأن الأوقات المطيرة لم تعد تتكرر هنا بصورة منتظمة.

(*) ان المنطقة الوحيدة التي يصبح نهر الفرات عريضا فيها عندما يخترق الأهوار في جنوب العراق. (شبّر).

تصلح وديان الأنهار للزراعة في كل مكان منها، وإن كانت الزراعة تتم، على كل حال، بمساعدة الري الصناعي في المنطقة الواقعة إلى الجنوب من منحنى الفرات عند مسكنه. في الزور، كما يسمى وادي الفرات عند باليس (في القسم الأدنى من مسكنه) وحتى عانه، ترتفع الخصوبة الطبيعية للتربة إلى درجة تنمو معها الأشجار هناك في بعض الأحيان إلى غابات حقيقية. وقد زرعت أشجار التوت هنا من أجل تربية دودة القز في القرن السادس عشر. وحلت منذ مائة عام الحقول محل أدغال الأثل. بعد عانه، يتغير طابع منطقة الفرات، فتعطي أشجار النخيل هنا ثماراً وافرة بفضل اعتدال المناخ الشتوي، وتنمو إلى جانبها أشجار الزيتون والفاكهة، وتزرع الحبوب والخضار والأرز.

يوجد في بلاد ما بين النهرين عدد كبير من المناطق الصالحة للزراعة. ويخبرنا التاريخ ـ وهذا ما تؤكده أيضاً وديان كثيرة ـ أن الكثافة السكانية كانت مرتفعة جداً في الأراضي الواقعة إلى الشمال من جبلي عبد العزيز وسنجار، وأن امتداد الأراضي الزراعية كان أعظم بكثير مما هو عليه اليوم، عدا القرون التي خضعت أثناءها للسيطرة التركية. من الضروري أن نذكر أنفسنا، على كل حال، بأن الأمر تعلق آنذاك بجزر زراعية على وجه التحديد فصلت بينها مساحات شاسعة من أراض استخدمت كمراع. كما أن مناطق ما وراء السلسلة الجبلية لم تكن تصلح عموماً إلا لتربية الماشية على وجه الحصر، لذا كانت وقفاً على الرحل من السكان، الذين شكلت بوابات الفرات ودجلة والخابور بالنسبة لهم مداخل مريحة إلى مناطق الرعي المغرية في الشمال. يفسر هذا لماذا انتقل الرحل، خلال الحروب أو في ظل الحكومات الضعيفة، إلى هذه الجزيرة الزراعية وأصابوا زراعتها بالشلل.

عرفت المنطقة الشمالية حياة حضرية عظيمة إبان العصر القديم، حيث ازدهرت في أقدم الأزمنة ممالك الآريين. كانت منابع الخابور المنطقة المركزية لمملكة الميتانيين الآرية (وعاصمتها واشوكاني قرب تل حلف). بينما كان السهل المقابل للموصل مهد القوة الآشورية العظمى. فيما بعد، أسس الآراميون والعرب

والأتراك دولاً صغيرة مزدهرة في تلك الأقسام من بلاد الرافدين، بل إن البدو أنفسهم لم يتمكنوا من البقاء بمنأى عن هذا التيار الجارف، كما سنشاهد في الفصول التالية.

إقتصادياً، تعتبر بلاد الرافدين منطقة عبور بالدرجة الأولى. لذلك كانت صادراتها من منتجاتها الخاصة أقل أهمية من تجارة الترانزيت التي تخترقها، قبل حدوث آخر المستجدات، أعني استغلال منابع النفط في منطقة دجلة. تمر طرق الإتصال الأكثر سهولة بين البحر المتوسط والهضبة الإيرانية، ويمر الطريق الأقصر من أوروبا إلى الهند عبر الخليج العربي ببلاد ما بين النهرين. بما أن البلاد منبسطة في أغلب مناطقها وتخلو من عراقيل طبيعية، فإن طرقها التي كانت كثيرة التغير، أخذت اتجاهين رئيسين هما: طريق حلب ـ الموصل (ـ بغداد) وطريق حلب ـ (بغداد) البصرة. إستخدمت الطريق التي تنطلق من أعالي الفرات، لتخترق السهب عرضاً مارة عبر الحضر إلى بابل، من قبل البارثيين لأول مرة، في حين شهد الطريق الذي يقود من حلب إلى البصرة، ويمر في السهل السوري الواقع خارج وادي الفرات، أوج ازدهاره في القرنين السادس والسابع عشر.

من جانب آخر، لم يعرف الطريق من الموصل إلى بغداد تغيرات تستحق الذكر، لأنه كان يمر عبر التون كوبري وكركوك على جسرين قديمين جداً، يستحيل دونهما عبور روافد دجلة العميقة المجرى. يلعب الفرات ودجلة، إلى جانب الزاب الكبير، دوراً ما كواسطة نقل. وتستخدم في الفرات عبّارات هي أخشاب ربطت بعضها إلى بعض، وسفن مسطحة القاع، بينما يفرض جريان نهر دجلة السريع استخدام عوامات صنعت من جلود معز تنفخ وتوضع فوقها جذوع خشبية (الرمث أو الكلك).

ليست بدايات الجنس العربي في بلاد ما بين النهرين مما يقبل التحديد بدقة. إن أقدم شاهد على وجوده هناك هو السلالة التي حكمت ايديسا أورفة منذ عام 132 قبل الميلاد، وتدل أسماؤها على أصلها العربي. وهناك أخبار من القرن الأول قبل الميلاد تتحدث عن "سكان خيام" عرب، يتجولون جنوب سنجار والخابور.

بينما تبنت الشريحة العربية الأقدم شيئاً فشيئاً لغة وأعراف سكان البلاد الآراميين، توغل في وقت لاحق وافدون عرب جدد إلى بلاد الرافدين، ممن كانوا قد حافظوا بصورة أفضل على خصوصيتهم القومية. وقد انتمى هؤلاء إلى شريحة من الوافدين تدفقت في القرن الثالث الميلادي على شمال الجزيرة العربية، وأسست في نهايته مملكة الحيرة التابعة للفرس[1]، التي كانت على درجة عظيمة من الأهمية بالنسبة لتعريب بلاد ما بين النهرين. ذلك أن مدينة الأنبار، التي أسسها الفرس على مقربة من الفلوجة الحالية، غدت النقطة الأولى فيما وراء الفرات، التي وضع العرب موطىء قدم فيها، قبل أن ينتشروا منها باتجاه أعالي الفرات، وحول تكريت، وحتى فيما وراء نهر دجلة، ويبلغون في سنوات الجوع والحرب أعالي بلاد الرافدين. كتب أسقف نصيبين (بارصوما) عام 484م يصف معاناة أبرشيته: "تغص ضواحي المدينة ببدو رحل دفعهم الجفاف نحو الشمال، ويقف جيش روماني مع أتباعه العرب قربها بطريقة مهددة، وتحدث هنا وهناك عمليات نهب عبر الحدود"[2]. في عام 502م خرب الهيرنزيون، الذين جاؤوا المنطقة في ركاب جيش فارسي، سهل حران. وبعد سبعين عاماً تعرض محيط نصيبين للمصير ذاته على يد الروم العرب.

في ذلك الوقت، كانت تقيم في بلاد الرافدين قبائل من شريحة جديدة من الوافدين، تنتمي إلى قوم نزار ومعد المقيمين في أواسط الجزيرة العربية، أو إلى اياد وتغلب. وبينما تحوّل قوم أياد خلال القرن السادس إلى فلاحين، بقي التغالبة، الذين وفدوا عام 500م إلى المنطقة، رحّلاً، إمتدت مناطق ترحالهم من الحيرة إلى الرصافة مروراً بالصحراء السورية، وتخطت الفرات إلى مناطقه العليا.

بدأت الجيوش الاسلامية باحتلال البلاد عام 639م، إنطلاقاً من شمال سورية. في البداية، تمّ احتلال بلاد الرافدين العليا حتى نهر دجلة، ثم احتل

(1) وقعت المدينة على الجانب الآخر من الفرات، غير بعيد عن النجف الحالية.

(2) تمر الحدود بين الامبراطوريتين الرومانية أو البيزنطية والفارسية غرب نصيبين منذ عام 363م.

حوض الفرات بالتعاون مع جيش آخر قدم من الحيرة. مهد الإحتلال الطريق لقدوم قبائل عربية جديدة. وكانت أسر بدوية، تبعت الجيش من داخل الجزيرة العربية، قد استوطنت الضفة السورية من منطقة أعالي الفرات. ثم حدث في وقت لاحق أمر مماثل على الجانب الداخلي من بلاد الرافدين. من جهة أخرى، تخلت تغلب عن ضفة الفرات السورية ونقلت منطقة انتشارها إلى بلاد الرافدين، حيث شكل الخابور حدودها الغربية منذ ذلك الوقت. إتحد المهاجرون الجدد مع رجال حامية حران، وهم في معظمهم أقرباء ينحدرون من قبائل أواسط شبه الجزيرة العربية، تحت اسم جمعي هو مضر (قيس)[1]. وفعل التغالبة ومواليهم الشيء ذاته، عندما استعادوا اسمهم القديم: ربيعة. إتخذت كلتا المجموعتين موقفاً اتسم بالبرودة، وأحياناً بالعدوانية، بعضهما حيال بعض، خاصة وأن تغلب تمسكت أول الأمر بعقيدتها المسيحية.

أقيمت المناطق الإدارية وسميت بحسب انتشار القبائل هذا: فسميت منطقة غرب الخابور ديار مضر، والمنطقة التي وراءها ديار ربيعة. أما منطقة الجبال في الشمال وعاصمتها القديمة (آمِد) فحملت اسم سكانها الجدد، وسميت ديار بكر. هذه المناطق الإدارية الثلاث شكلت مجتمعة محافظة الجزيرة ـ وهو اسم لا زال السكان الأصليون يطلقونه على الأرض الواقعة بين الفرات ودجلة، وسنستخدمه نحن بهذا المعنى فيما سيلي من نصوص.

عاش القيسيون كمربي ماشية أنصاف رحل في المنطقة بين الفرات والبليخ، حيث لا زالت توجد بقايا منهم إلى اليوم (جيس). بدورهم، قلص التغالبة تربية الجمال مع تقلص مراعيهم الجديدة، وانتقلوا إلى الزراعة، وحافظوا، في الوقت نفسه، على جهوزيتهم الحربية.

إنتقل طموح الاستقلال، الذي ساد الأقاليم الخارجية لخلافة بغداد منذ منتصف القرن التاسع الميلادي، شيئاً فشيئاً إلى مركز الامبراطورية. وقد ظهرت

(1) تفوق مضر قيساً مكانة في نسبها.

بدايات هذا التطور في وقت مبكر جداً في بلاد ما بين النهرين، فنشأت على الفرات إمارات إقطاعية صغيرة مثل قرقيسيا، البسيرة الحالية، التي حكمتها أسرة عقيل من قبيلة قيس، والرحبة الواقعة في مكان مرتفع على ضفة النهر الأخرى، التي أقامها أحد زعماء تغلب أيام الخليفة المنصور (754م ـ 775م). هذه الأخيرة بقيت طوال قرون أهم مركز حربي على الفرات الأوسط. وكانت أول دولة كبيرة تابعة قد تأسست عام 317هـ/ 929م على يد ناصر الدولة ابن حمدان. ومع أن سادتها، بني حمدان، تحدروا بالأصل من قبيلة تغلب، فإنهم كانوا سكان مدن منذ أجيال كثيرة، بخلاف السلالتين اللتين تولتا تركة الحمدانيين في بلاد الرافدين وهما: العقيليون (منذ 990م) والنميريون، الذين دخلوا جميعهم البلاد بصفتهم قادة فئة جديدة من البدو.

وقد دخلت عشائر رحل من قيس من شمال الهضاب السورية بلاد ما بين النهرين حوالى عام 950 م، بحثاً عن مناطق انتشار جديدة لهم. إختار بنو نمير الأرض الواقعة على البليخ، وبنو عقيل الجزيرة الشرقية. وكان هؤلاء رحلاً ينصبون خيامهم في الصيف حول جبل سنجار وفي الشتاء غرب العراق، وقد التقوا هناك مع الخفاجيين الذين كانوا قد وصلوا لتوهم من شرق الجزيرة العربية إلى ضفة الفرات.

تقاطعت، في القرن الحادي عشر، مطالب خليفة بغداد[1] مع مطالب خليفة القاهرة المنشقّ (الفاطمي). وأعلنت بيزنطة، التي كانت قد استردت قوتها من جديد، مطالبها بدورها. في عام 422هـ/ 1031م، إشترت بيزنطة مدينة أورفة من أمير نميري، وفي عام 427هـ/ 1036م، برز شيخ بدوي فلسطيني كحليف للاغريق في هذه النواحي.

وفي عام 1054م ظهرت مع السلاجقة الأتراك قوة جديدة قيض لها أن تتفوق على الأطراف المتنازعة جميعها، وأن تنظم علاقات بلاد الرافدين بطريقة جديدة: ففي نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، حلت سلالات حاكمة تركية محل

(1) أو البويهيين، أمراء الامبراطورية، الذين سيطروا آنذاك على الخليفة.

السلالات العربية ـ وأدىٰ اختفاء أسر البدو الحاكمة إلى حرمانها من الدعم والمساندة. لهذا تخلت عقيل عن ديارها واتجهت نحو الجنوب، وحلت محلها قبيلة طي، التي كانت في هذه البلاد منذ قرابة مائتي عام.

يبدو أن سيطرة الصليبيين على أورفة ـ ايديسا ـ لم تؤثر أبداً على مصائر البدو. بينما رتبت الفترة المغولية عليهم نتائج بعيدة الأثر، منها تقلص الرقعة الزراعية، التي نجمت عن تحركات جيوشهم الجرارة، وعن التخريب المتعمد الذي أنزلوه في أعالي بلاد الرافدين، واستهدف إقامة حزام آمن ضد الدولة المملوكية، في أعقاب فشل محاولاتهم احتلال سورية. وفي هذه الفترة، ظلت منطقة أعالي بلاد الرافدين أرض بدو رحل. ثمة نتيجة ثانية نجمت عن الحقبة المغولية هي إحلال سكان أتراك بصورة جزئية محل السكان العرب، وهي ظاهرة كانت قد بدأت قبل فترة أسبق، حين غمر الغزنويون، الأرهاط التركية الهمجية التي قدمت من أذربيجان، شمال بلاد الرافدين عام 433هـ/ 1041م، لكن عقيلاً هزمتهم عند تلعفر (بين الموصل ونصيبين) وصدتهم عن المنطقة.

وكان السلاجقة وخلفاؤهم الأيوبيون قد شجعوا العناصر التركية على القدوم إلى بلاد الرافدين. غير أن هؤلاء لم يجيئوا بأعداد كبيرة إلا زمن المغول، بعد اقتلاع قبائل التركمان الرعاة من بلاد فارس وآسيا الصغرى. وقد دخلت قبائل الرعاة هذه تدريجياً إلى الجزيرة وانتشرت فيها حتى خط تكريت ـ عانه، واستوطنت كذلك أرض دجلة الشرقية وشمال السهب السوري. ما إن حلّ عام 1600م، حتى كانت المنطقة قد امتلأت بهم، وإن كانت أعدادهم فيها قد تراجعت حتى تم امتصاصهم بالكامل تقريباً في الجزيرة بين منطقة الأكراد وشمّر مع مطلع القرن التاسع عشر، بينما حافظوا على أنفسهم في أرض شرق دجلة، وخاصة في مدنها. كما نجح التركمان من حين لآخر في إقامة دول على أرض بلاد الرافدين، مثل آق قوينلو، التي تأسست في منطقة ديار بكر وقره قوينلو، التي قامت في أرمينيا.

أفنت حملات تيمورلنك (منذ 1393م) بقايا حضارة بلاد الرافدين. وكان تيمورلانك قد تولى عام 1403م إدارتها لأول مرة. بعد موته (عام 1405م)، عادت

من جديد إلى حكم الجلائريين المغول. في طور لاحق، عندما تبادلت قره قوينلو وآق قوينلو الحكم، شهدت بلاد الرافدين أحلك حقبة في تاريخها. وهناك أيضاً نقص في معلوماتنا حول أوضاع البلاد خلال فترة وقوعها تحت احتلال الشاه إسماعيل الصفوي (1508م وحتى 1534م). ولا تتضح أوضاعها إلا بعد احتلالها من قبل العثمانيين.

إحتل العثمانيون بلاد الرافدين في تتابعات مختلفة. بعد هزيمة الفرس في تشالديران (1514م)، تغلغلت القوات التركية في السهل إلى أن بلغت نصيبين وسنجار. واحتلت أورفة في عهد السلطان سليم (توفي عام 1520م). وأخيراً، أكمل السلطان سليمان احتلال البلاد (1534)م، ووضع أسس إدارتها، فشكل الشمال الغربي ولاية حملت اسم الرقه، الموقع الذي كان قد جرى تدميره قبل وقت طويل، مع أن مقر حكومته كان في (أورفة). وضم الشمال الأوسط مع أرض الخابور وسنجار إلى منطقة ماردين التابعة لديار بكر، ولم يبق لولاية الموصل على الضفة الغربية من دجلة غير شريط ضيق من الأرض. أما احتلال كردستان خلال القرن السادس عشر، فنجم عنه إيالة شهرزور، التي نقل مقرها إلى مدينة كركوك، المحتلة منذ وقت سابق. بينما بدأت ولاية بغداد جنوب جبل حمرين، وشملت وادي الفرات حتى عانه. هنا، كان حكم الأتراك اسمياً وحسب، ذلك أن بيك سنجق عانة لم يكن عثمانياً، بل كان "أمير الصحراء"، أي أمير الموالي.

سكن الموالي شمال السهب السوري، لكنهم مدوا ترحالهم بدورهم إلى بلاد الرافدين. عند بداية العصر العثماني، أقام أمراؤهم دولة صورية في وادي الفرات إمتدت من قلعة جعبر (على ضفة الفرات اليسرى فوق الرقة) إلى هيت مباشرة، جعلت عانه عاصمة لها. كان طريق القوافل بين حلب والبصرة عصب حياة هذه الدولة، الذي عاد عليها بعائدات وفيرة. بما أن الموالي أقاموا صلات وثيقة مع العثمانيين بعد احتلالهم سورية، فقد اعتبر هؤلاء أمراءهم مُلاّك دير الرحبة[1] وعانة

---

(1) ظهرت دير (الزور) على الضفة اليمنى من نهر الفرات، إلى الأعلى من مصب الخابور، محل رحبة، التي ليست غير أطلال منذ وقت طويل.

ـ حديثة[1] وأدخلوهم في تراتب إقطاعي. قدم الموالي خدمات جليلة للأتراك إبان الاحتلال الفارسي الثاني للعراق (1623م/ 1638م)، قبل أن تنحل دولتهم في نهاية القرن السابع عشر تحت وطأة تراجع التجارة البرية، الذي تسبب في قيام ظروف جديدة على الفرات مكنت القبائل، التي أخضعها الموالي حتى ذلك الوقت كقبيلة الزبيد، من النمو بحرية.

تعتبر حملة السلطان مراد الرابع، التي قادته إلى بغداد (1638م)، أهم حدث سياسي ظهر خلال القرن السابع عشر في وعي السكان، بمن في ذلك البدو. ذلك أن هذا الاحتلال التركي الثاني ربط بلاد الرافدين بقوة أكبر إلى الامبراطورية العثمانية، فظهرت صحائف تركية في بغداد، وخص مؤرخو الامبراطورية الرسميون أحداث بلاد الرافدين بمكانة خاصة من اهتمامهم؛ الذي انصب معظمه، فيما يتعلق بالبدو، على انتفاضاتهم وقمعها، بينما تواصل الاعتماد على التخمينات في كل ما يتصل بحركات القبائل.

ثمة تبدل سكاني مهم كان يرتسم في واقع تلك الأيام، يرجع إلى تغلغل الأكراد من الجبال الشمالية إلى السهل. ليس معروفاً بعد في أي زمن عبر الأكراد أعالي دجلة في طريقهم إلى الغرب. إن أول دولة أسسها الأكراد في بلاد الرافدين، ألا وهي مملكة المروانيين في ديار بكر (990م/ 1096م) ومملكة سابقيهم من بني باذ، ترجع إلى هذا الانتقال. قيد التركمان حركة الأكراد خلال العصر الوسيط المتأخر. بما أن قبائلهم كانت شيعية في جزء منها ومتعاونة مع الفرس، فقد فضل العثمانيون الأكراد السنة عليها. تقول مرويات محلية إن السلطان سليم أسكن عدداً من القبائل الكردية على حافة السهب الشمالي، وأسند إليها مهمة حراستها ضد الفرس. أما الوثائق، فتجعل عام 1700م تاريخاً لتهجير أكراد آسيا الصغرى الإجباري إلى الفرات. في وقت لاحق، تحولت القبيلة الكردية الرئيسة إلى الاتحاد الملّي وأصبح إبراهيم باشا، الذي تخطت شهرته الحدود التركية، في مطلع القرن

---

(1) على النهر باتجاه الأسفل، تحت عانه.

العشرين رئيساً له. بينما كانت قبيلة طي لا تزال مسيطرة في منطقة سنجار، إلى الجنوب من الأكراد، وآلت السيطرة في المنطقة الأبعد غرباً وجنوباً منذ عام 1700م إلى قبيلة العبيد، التي كانت قد خرجت من الزبيد، وحاز شيوخها على نفوذ عظيم، لثقة باشا بغداد بهم.

عرف القرن الثامن عشر نمو قوى نابذة في تركيا بأسرها. فقد سقطت مقاطعات بأكملها في أيدي أسر من الأعيان المحليين، ممن توارثوا الباشوية وعينوا أتباعهم في الوظائف التابعة لهم، كما فعل الحموي في أورفة والجليلي في الموصل من بلاد الرافدين. في هذه الأجواء، تكونت ظروف جديدة وخاصة في بغداد، حيث مارست سلالة من المماليك، إنبثقت من سراي حسن باشا (1704 ـ 1724م)، الحكم طوال قرن كامل تقريباً، وكان لها تأثير على مصائر بلاد الرافدين زاده قيامها بتوحيد ولاية شهرزور ومقاطعة ماردين في يدها لبعض الوقت. لا شك في أن سليمان الكبير (1780م ـ 1802م) هو أبرز حاكم بين المماليك. فقد تعاظم في حكمه من عام لآخر خطر الوهابيين القادمين من جزيرة العرب، الذين نهبوا كربلاء عام 1801م، وعانه والدير عام 1807م، ثم ضعفت هجماتهم شيئاً فشيئاً منذ عام 1810م.

عرف منعطف القرن أهم حدث في التاريخ المعاصر لبدو بلاد الرافدين: إنه مجيء عشائر شمّر، الذين تركوا موطنهم في شمال الجزيرة العربية فراراً من الوهابيين، ونزلوا قرب الحدود العراقية أول الأمر، غير أن الحكومة نقلتهم عبر الفرات ووطنتهم هناك. وعندما عبأتهم واستخدمتهم في قمع انتفاضة قام بها العبيد، أنزلوا عام 1805م هزيمة ماحقة بهؤلاء، وأجبروهم على مغادرة الجزيرة إلى ما وراء دجلة، وترك منطقتهم لهم. إعتقدت الحكومة، باديء الأمر، أن شمّر رعايا طيّعون ويسهل قيادهم، لكنها سرعان ما تبينت خطأها، عندما شرعوا يسببون لها أعظم المتاعب، حتى أن اسم شيخ مشايخهم صفوق (المتوفى عام 1847م) ما زال مرتبطاً في بلاد الرافدين حتى اليوم بقدر هائل من الرعب والخوف. وقد تزامن وصول قبيلة عنزة، التي جاءت في ركاب الوهابيين إلى بلاد الرافدين، مع وصول

شمّر إليها، وغدت اللاعب الرئيس المناوىء لها. إستقرت قبيلة عمارات على الضفة الغربية من الفرات الأوسط، لكنها دأبت على اجتيازها بحثاً عن مراعٍ لقطعانها في الجزيرة. بينما كان الفدعان يعبرون الفرات منذ عام 1860م، لقضاء الصيف في بلاد الرافدين. وبذلك أعاد العصر الحديث مجدداً إنتاج التمييز القديم بين ديار مضر (عنزة) وديار ربيعة (شمّر).

بدأ عصر جديد بالنسبة لبلاد الرافدين، مع إصلاحات السلطان محمود، التي استهدفت إضفاء طابع أوروبي على تركيا. فقد أجبر داوود باشا، آخر حاكم مملوكي على الاستسلام عام 1831م، بعد مقاومة استمرت فترة طويلة. وكسرت عام 1834/1835م سلطة الإقطاعيين الأكراد وزعماء أحزاب المدن، كان من نتائجها حدوث تبدلات شاملة في إدارة البلاد وانفصال ماردين عن بغداد وإلحاقها بديار بكر واتساع الموصل وسنجار وشهرزور، وفقدان أورفة باشويتها وانضمامها لحلب. أما بالنسبة إلى البدو، فإن التدبير الأكثر أهمية كان إقامة سنجق الزور، وعاصمته دير الزور، التي كانت في عهد باشاوات المماليك تابعة لبغداد[1]، لكنها بقيت مستقلة في حقيقة الأمر، إلى أن اقتحمها حاكم بغداد الجديد عمر باشا عام 1857م[2] واحتلها. لكن عام 1862م شهد تأسيس مقاطعة الزور الحكومية، التي طالما تغيرت حدودها، إلى أن استقرت أخيراً عند تدمر في الغرب، والقائم في الجنوب ـ تحت البوكمال ـ ورأس العين على الخابور. بهذه التبدلات، التي رافقها نشر مراكز عسكرية في وادي الفرات وعلى طريق تدمر ـ الدير ـ رأس العين، عرفت الدير، التي كانت قبل ذلك مستقراً متواضعاً، إزدهاراً سريعاً، خاصة بعد أن حلت حلب محل دمشق كنقطة انطلاق لبريد بغداد، وحلول هدوء نسبي في وادي الفرات، الذي عمته الإضطرابات منذ قرابة مائة عام، بسبب انتشار قبيلة العقيدات «العگيدات» فيه.

جاء في ستينيات ذلك القرن عنصر بشري جديد، إلى بلاد الرافدين: هو

(1) كانت تابعة من قبل إلى الرقة ـ أورفة (الرها).

(2) هو القائد الأوروبي الأصل الذي اشتهر في معركة القرم.

القوقازيون المسلمون، الذين تركوا موطنهم فراراً من الحكم الروسي. كان هؤلاء شيشاناً «چيچان» وشركساً، فاستوطن الشيشان قرب رأس العين، وعاش الشركس قرب الرقة. واتخذ العرب موقفاً عدائياً منذ اللحظة الأولى حيال القادمين الجدد، أدى إلى عودة شيشان رأس العين إلى وطنهم، باستثناء عدد قليل منهم، لأنهم لم يستطيعوا تحمل المناخ والهجمات البدوية.

شهدت عملية تهدئة البدو تقدماً بطيئاً وثابتاً في العقود السابقة للحرب العالمية، بفضل تعزز وسائط الحكم والنقل الحكومية، بل إن السلطة أجبرت الدليم عام 1910م، وشمّر عام 1911م، على دفع ما فرضته عليهما من ضرائب بقوة السلاح.

إنتقلت الحرب في مرحلتها الأخيرة إلى بلاد الرافدين. وتلت الأحداث الحربية في العراق، التي انتهت بسقوط بغداد في الحادي عشر من آذار عام 1917م، مرحلة أطول، استؤنفت خلالها العمليات العسكرية خريف العام ذاته، حيث استخدمت القوى الرئيسة في منطقة نهر دجلة، وتم الإعتماد على الحلفاء العرب (الدليم، العمارات ـ عنزة) في منطقة الفرات. أما آخر العمليات الحربية فجرت خلال مفاوضات الهدنة، أما الموصل فقد احتلت في الثامن من تشرين الأول عام 1918م.

لف الغموض مصير الشرق الأدنى بعد اتفاقية الهدنة، الشيء الوحيد الذي بقي واضحاً هو أن التقيد باتفاقية سايكس/ بيكو لعام 1916م، التي حددت مجالات المصالح الفرنسية والبريطانية بخط يمتد من البوكمال عبر مضيق دجلة وصولاً إلى الحدود الفارسية، لا يمكن المحافظة عليه؛ لأن الانجليز احتلوا ولاية الموصل والقسم الشرقي من سكة حديد بغداد وأورفة لبعض الوقت[1]، بينما أرسلوا قوى ضعيفة إلى الفرات بلغت عانه والدير. فشل الحلفاء في أخذ واقعتين بعين الاعتبار، عندما وضعوا خططهم التقاسمية، هما: تجدد انبعاث تركيا، وقوة التطلعات القومية لدى العرب، ممن تحلقوا حول حكومة فيصل، التي تأسست في

(1) حل الفرنسيون بعد عام محلهم هنا.

دمشق وطالبت بسنجق دير (الزور). ونجح مبعوثها، شيخ العقيدات رمضان شلاش، في توحيد قبائل المنطقة ودفعها إلى عمل مشترك ضد الانجليز، واحتلال الدير في كانون الأول من عام 1919م. قبل الانجليز بما حدث واعتبروه أمراً واقعاً، إلا أن الاضطرابات استمرت على الفرات، وانتقلت بسرعة إلى مناطق أخرى من بلاد الرافدين، حتى أن شمّر، الذين كانوا قد اتخذوا موقفاً اتسم بالهدوء عند قدوم الانجليز، واكتفوا بتحرشات محدودة عند بداية التقدم العسكري الانجليزي، شرعوا الآن بشن الغارات في منطقة الموصل، بينما ذبح الثوار مطلع حزيران حامية تلعفر البريطانية. ومع أن العراق انخرط كله في عصيان شديد، فإن مقاومة بلاد الرافدين ما لبثت أن خمدت، بعد أن اتخذت السلطات البريطانية تدابير نشطة أعادت الهدوء إلى ولاية الموصل، في حين كانت منطقة الفرات قد بقيت بمنأى عن التهديد بفضل ولاء العمارات والدليم. بعد قمع الانتفاضة، وحد الانجليز عام 1922م المناطق التي احتلوها وأخضعوها لحكومة إنتدابية، تحولت صيف العام التالي إلى مملكة العراق، فلم تعرف بلاد الرافدين الانجليزية اضطرابات بدوية كبيرة بعد ذلك.

إنتظرت الفرنسيين مصاعب جمة في المناطق المخصصة لهم. فقد انتقل الأتراك بزعامة مصطفى كمال، مع بداية عام 1920م، إلى الهجوم على طول الجبهة الممتدة من كيليكيا إلى الفرات، ووجدت حامية أورفة الفرنسية نفسها مجبرة على الإستسلام في نيسان من العام ذاته، بعد أن تعرضت لحصار طويل، قبل أن تتم إبادتها أثناء انسحابها ـ كانت أورفة قد حررت نفسها عام 1839م بطريقة مماثلة من الحامية المصرية، بعد معركة نصيبين. صحيح أن الفرنسيين تمكنوا من احتلال سورية الداخلية صيف عام 1920م، دون أن يخوضوا عمليات حربية كبيرة، لكنهم واجهوا مقاومة ضارية على الفرات، تعاون الأتراك والقوميين العرب، حوّل دير الزور، التي كانت موقعاً عسكرياً فرنسياً متقدماً، من جديد إلى مركز للمعارك، خاصة عندما فرض عليها حصار امتد حتى تشرين أول من عام 1922م، واستمر طوال عام كامل تقريباً. شارك البدو في القتال على الجانبين، فقاتل الملّي الأكراد إلى جانب الفرنسيين، والعقيدات على الجانب التركي العربي والفدعان ـ العنزة إلى

جانب الطرفين. أخيراً، دخلت اتفاقية أنقره، التي كانت قد وقعت في 20 تشرين الأول من عام 1921م (إتفاقية فرانكلين/ بويون) حيز التنفيذ في مطلع عام 1922م، فانسحب الأتراك من الفرات إلى خط سكة حديد بغداد، التي انتهت آنذاك عند نصيبين. واعترف فيما بعد بهذا الخط، وبـ "الطريق القديم" من نصيبين إلى جزيرة ابن عمر[1] الذي اعتبر امتداداً له، كحدود شمالية لمنطقة الإنتداب الفرنسية/ السورية. بينما تم الإستيلاء ببطء على منطقة أعالي بلاد الرافدين، حتى أن الشريط الضيق من الأرض بين تركيا ومملكة العراق، الذي يحمل اسم منقار البطة، لم يتم احتلاله بصورة نهائية إلا عام 1930م.

شهد شريط بلاد الرافدين، الذي أبقته معاهدة لوزان للسلام بين أيدي تركيا، مصاعب نجمت عن انتفاضة كردية نشبت عام 1925م، وأدت إلى لجوء عديد من زعماء القبائل إلى منطقة الإنتداب السورية. وعلى كل حال، فإن عدم الأمان النسبي لا زال يسود منطقة الحدود إلى اليوم.

إن تبدل الأحداث الخارجية الكثيرة، الذي عرفته بلاد الرافدين في مجرى القرن الذي رسمنا ملامحه للتو، عجز عن زعزعة المرتكزات الطبيعية لحياة البدو، التي تحددت بالاختلاف بين السهول الداخلية القليلة الصلاحية للزراعة، وبين مدارج الجبال ووديان الأنهار في الأراضي الطرفية الصالحة للزراعة. أما المناطق الداخلية فتقدم مجالاً يمكن أن تعيش فيه قبائل رحل، وقد تعاقبت عليه بالفعل قبائل تغلب، وعقيل، وطي، وعبيد، وشمّر ـ حالياً ـ، التي وجدت فيه مراعي صيفية شملت منطقتي سنجار والخابور، وشتوية في العراق أو على مقربة منه. بينما وجد الرحل من مربي الأغنام مجالاً كافياً في الشمال والجنوب، يملأه الآن أبناء قبيلتي طي والدليم. تعتبر وديان الأنهار موطن قبائل نصف مستقرة، تزرع حقولها في الربيع والصيف وترحل في الخريف والشتاء مع قطعانها الصغيرة إلى السهوب الواقعة على جانبي النهر. وثمة قبائل من أنصاف الرحل تسكن أطراف جبال آسيا

---

(1) يسمى المكان ذاته هنا جزيرة الشريف.

الصغرى، تنتقل في الشتاء داخل السهب وتصل إلى خط جبل عبد العزيز ـ سنجار، تتألف من قبائل كردية وعربية هي الجيس، والعدوان، والحرب، كانت تحركاتها تأخذ اتجاهاً شمالياً ـ جنوبياً[1]، متبعة مجاري الأنهار.

إلى جانب هذه القبائل، المرتبطة بأرض بلاد الرافدين، لا بد من ذكر القبائل التي كانت تقصد الجزيرة بين حين وآخر، وخصوصاً الفدعان والعمارات، المنتميتان إلى اتحاد عنزة. تمتد منطقة الفدعان الصيفية من حلب إلى البليخ، وتقع في منحنى الفرات قرب مسكنة، وتقودها رحلاتها الشتوية إلى الصحراء السورية. بدورها، شكلت تنقلات العمارات السنوية دائرة مقفلة، يقع قطاع صغير منها بين مصب الخابور ـ الفلوجة في الجزيرة، والباقي في الصحراء السورية.

خضع قدوم القبائل إلى بلاد ما بين الرافدين لنظم معينة، فكانت تدخلها من موقع على الفرات الأعلى مقابل السهب السوري، حيث يتحد الممران الإجباريان، اللذان تدفق عليهما الفائض السكاني لجزيرة العرب نحو الشمال، ويقود أحدهما من شرق الجزيرة العربية إلى الضفة اليمنى للفرات صعوداً، ويبلغ الآخر شمال سورية عبر الحماد ماراً إلى الغرب من صحراء النفود الرملية. إستخدمت تغلب الطريق اليمنى في قديم الأزمنة، وطرقته في العصور الحديثة العمارات، التي توقفت في منتصفه، لأن الفدعان حالوا بينها وبين مواصلة ترحالها، الأمر الذي حدث ما يماثله في العصر الوسيط مع الخفاجة، التي جاءت من شرق جزيرة العرب[2]. بالمقابل، إرتحل القيسيون القدماء وأخلافهم في القرون الوسطىٰ من عقيل ونمير عبر سورية. وكذلك فعلت في العصر الحديث قبائل صغيرة كالعدوان وحرب.

بسبب مكان الدخول هذا، نستطيع ملاحظة ضغط سكاني يتجه من الغرب

(1) ثمة حركة معاكسة تحدث في اتجاه جبل عبد العزيز (وسنجار)، ترجع إلى كثرة الأمطار في منطقتهما.

(2) هناك مآرب خاصة من معبر شمّر الفراتي قرب الفلوجة، لأنه أقيم بتدبير حكومي مقصود.

إلى الشرق في الجزيرة، أجبر حتى في القرن التاسع عشر قبائل فراتية نصف مستقرة على نقل أماكن سكنها إلى دجلة، بينما بادل العبيد الرحل الجزيرة ببلاد دجلة الشرقية. تعززت هذه الحركة بسبب الضغوط الناجمة عن قدوم شعوب جبال آسيا الصغرى، التي تدعى اليوم الأكراد وبالأمس التركمان، من الشمال إلى الجنوب، حاملة معها دفقاً بشرياً دائماً إلى العراق. بغض النظر عن هذه الميول الرئيسة، تمارس المدن الكبرى المجاورة تأثيراً جاذباً على أولئك البدو، الذين أجبروا على مغادرة مواطنهم فراراً من الثأر أو سواه من الأسباب، ووجدوا في السهب بين حلب والفرات ومحيط الموصل منطقة انكفاء نموذجية.

تمتلك شمّر وعنزة القبيلتان الكبيرتان، أرجحية سياسية جعلت القبائل نصف الرحل الكثيرة تدفع خوّة لهما، وكانت قد دفعتها في الماضي المدن والقرى أيضاً. هناك توتر شديد بين القبيلتين، يرجع إلى زمن بعيد جداً. أما الدليم، قبيلة البدو الرحل التي تليهما في الكبر، فهي تابعة لعنزة. وثمة في الشمال تناقض شامل بين العرب والأكراد، يتمثل في شمّر العرب والملّية الأكراد. هذا التعارض العرقي تخترقه، في الوقت نفسه، صلات وروابط اجتماعية وسياسية الطابع، خاصة وأن متحد الملّي يضم عدداً من القبائل العربية الصغيرة، يخضع بعضها، كالعدوان على سبيل المثال، لمؤثرات كردية، في حين أن شيوخ الملّية أنفسهم متعربون إلى حد بعيد. يعيش اليزيديون «الإيزيديون» في سنجار في عزلة تامة عن العرب، حيث يتعاظم التعارض الإثني بسبب التعارض الديني ـ واليزيديون «الإيزيديون» (أو من يعرفون بعبدة الشيطان) ليسوا مسلمين.

هذه التوترات جميعها فقدت أهميتها في العقد الأخير، نتيجة تحسن إدارة البلاد على يد سلطات الإنتداب، التي مكنتها وسائط الإتصال الحديثة من منع تفاقم الإشتباكات بين القبائل، وجعلتها قادرة على تسوية نزاعاتها في مؤتمرات يعقدها شيوخها برئاسة موظفي الحكومة، جرياً على عرف كان قائماً زمن الحكم التركي.

وبسبب تقاطع مناطق انتشار بعض القبائل مع الحدود السياسية لدول تركيا وسورية والعراق حدثت بعض الصعوبات. وبالرغم من أن اجتياز الحدود مكفول

باتفاقات بين هذه الدول، وتأدية الضرائب بصورة منتظمة وفق اتفاق عقده عام 1928م القائدان الأعليان لمنطقتي الإنتداب، فإن الحدود الجديدة أثارت توترات عديدة، خاصة لدى شمّر، التي ترجع مقدماتها إلى العصر التركي.

بوجه عام، تتطلع الحكومات إلى توطين البدو، إستجابة لميل موجود لدى البدو نصف الرحل، يقاومه من جانبهم البدو الرحل.

لم نعالج قسم بلاد ما بين النهرين إنطلاقاً من منظورات جغرافية، بل قمنا بالأحرى بالتعريف بالمتحدات القبلية الكبيرة، مثل عنزة وشمّر وطي وزبيد والبوشعبان والعقيدات، ثم عرفنا القبائل الأصغر في تتابعها من الغرب إلى الشرق.

ملحق

تطور خلال العقد الأخير، في مجرى الخابور الأعلى، تعارض بين السكان المسلمين المقيمين وسكان مسيحيين حديثي القدوم، يتكونون أساساً من يعاقبة وأرمن، إستقروا في الحسكة ومحطة سكة حديد بغداد: رأس العين ـ الدرباسية (جنوب ماردين) والقامشلي[1]، إنضم إليهم بدورهم، منذ عام 1933م، آشوريون، أي نساطرة مسيحيون، كانوا يسكنون قرب الموصل.

بقي التناقض بين فئتي السكان كامناً طيلة الفترة التي أدارت فرنسا خلالها المنطقة بصورة مباشرة. لكنه انفجر بعد انتهاء أمد معاهدة التحالف السورية/ الفرنسية (نهاية عام 1936م)، وانتقال المنطقة إلى أيدي الحكومة القومية في دمشق.

في تموز من عام 1937م، حدث هيجان قام به سكان المنطقة المسيحيون، الذين طالبوا بحكم يشبه ما طبق في سنجق إسكندرون، على أن يترأسه حاكم أجنبي. وقف شيوخ مشايخ شمّر وطي والجبور إلى جانب القوميين، وأيد المتمردين قادة بدو همشتهم التطورات من أمثال ميزر بن عبد المحسن (شمّر) ومحمد العبد الرحمن (طي) وأبناء إبراهيم باشا، وقادة كرد كثيرون.

(1) القامشلي مدينة شقيقة لنصيبين، نشأت بعد الحرب، بعد أن أصبحت نصيبين تركية.

عنزة

قبل أكثر من مائتي عام، غادرت قبيلة بدوية شريطاً أرضياً مجدباً من الجزيرة العربية، إمتد من المدينة عبر منطقة الطفح البركاني حرّة خيبر في اتجاه الشمال الشرقي، وبلغ أراضي المراعي الغنية، التي تنبسط فيما وراء صحراء النفود الرملية، وتقود إلى الأرض المحببة عند البدو: سورية وبلاد الرافدين. ملأ القادمون الجدد، الذين سمّوا أنفسهم عنزة، الصحراء السورية خلال بضعة عقود، وتحولوا خلال فترة قصيرة إلى مصدر رعب بالنسبة إلى سكان الأراضي الزراعية. منذ ذلك الوقت، شكلت عنزة أكبر قبيلة رحل في الشمال، ودأبت على الظهور صيفاً في أرجاء سورية وبلاد الرافدين، بصحبة قطعان جمالها، والإنسحاب شتاء إلى جوف الصحراء، بل والعودة ـ في بعض الأحيان ـ إلى موطنها القديم. لم تغير الحرب العالمية والمدنية الأوروبية حياة عنزة إلا قليلاً. وإذا كان اسمها قد فقد الكثير من إيحاءات الرعب التي لازمته، فإن الحكومات ما زالت تعتبر عشائرها الكبيرة: الفدعان والرولة في الغرب، والعمارات في الشرق، عاملاً تحسب له ألف حساب.

تنتمي عنزة إلى أقدم قبائل الجزيرة العربية. ويمكن تتبع تاريخها إلى الحقبة الجاهلية. أما أقدم خبر عنها، فهو حكاية خرافية تروي قصة رجل اختفى بينما كان يبحث عن القرظ، وهي أوراق طلحية النوع تستخدم في الصباغة، ولم يظهر له أثر

بعد ذاك. هذه الحكاية تركت أصداءها في جميع اللهجات[1]، حتى صار يقال: "عندما يعود جامع القرظ من عنزة"، أي عندما يأتي يوم لن يكون أبداً. يعتقد اللغويون العرب أنهم يعرفون من كان جامع القرظ هذا: إنه يَذْكرُ، أحد أبناء أب القبيلة الأول. ويزعم المؤرخون أن الحكاية تجري في زمن سحيق محدد: فعندما كانت القبائل العربية تسكن موحدة في منطقة مكة، شكل اختفاء يذكر ابن عنزة سبباً لحرب فرقتهم بعضهم عن بعض، ونثرتهم في جزيرة العرب بأسرها. إن السياق الذي تندرج الحكاية فيه، هو نتاج التفكير الإسلامي، الذي أراد وضع مكة في موضع مركزي حتى خلال العصر الجاهلي. مع ذلك، فإن افتراض قدم عنزة لا يمكن أن يستند إلى تعسف صرف، خاصة وأن علم الأنساب يؤكده.

يدرج علم الأنساب عنزة في عداد عرب الشمال[2]، وأنهم من ربيعة. تقول شجرة نسب القبيلة: هو عنزة بن أسعد بن ربيعة. وتبين نظرة إلى الجدول الذي وضعه فوستنفيلد أن عنزة أقدم بستة أجيال من بكر وتغلب، الممثلين الرئيسين لربيعة. هكذا يضفي علماء الأنساب طابعاً مشخصاً على عمر القبيلة.

أقرب معلومات متوفرة لدينا عن القبيلة تعود إلى العصر السابق مباشرة للإسلام. كانت عنزة آنذاك موزعة على منطقتين، الأولى في الشمال الشرقي على حدود الفرات، والثانية في اليمامة، قلب شبه جزيرة العرب. كانت عنزة الشمال قبائل رحلاً، أما في وسط جزيرة العرب فكان قسم منها على الأقل مستقراً. ولم يكن للمجموعتين احتكاك سياسي فيما بينهما. كما جرى تاريخهما لاحقاً في دوائر منفصلة أيضاً، فتحولت عنزة الشمال إلى أسلاف للقبيلة الحديثة، وذابت عنزة اليمامة في قبائل شرق ووسط جزيرة العرب المستقرين.

---

(1) مبرد، كامل، الجزء الأول، ص97. الأغاني، الجزء الحادي عشر، ص154. لسان العرب قرظ. فوستنفيلد: أماكن سكن وترحال القبائل العربية، ص20. فرايتاغ: أمثلة، الجزء الثاني، ص17.

(2) يقسم نظام الأنساب الكلاسيكي، الذي لم يعد له سوى أثر ضئيل في أشجار النسب الحديثة، القبائل العربية جميعها إلى عرب شمال وعرب جنوب.

كان بنو هزان[1] القبيلة الرئيسة من عنزة في جزيرة العرب، وكانت منطقتهم تقع جنوب المكان الذي يخترق فيه وادي حنيفة جبل طويق، بين واحة الخرج الحالية وحريق[2]. فيما بعد، يرد ذكر عنزة في مناطق أبعد جنوباً، حيث لا تزال ذكريات حكم قبيلة عنزة حية إلى اليوم في الأفلاج[3]، بل إن قرى عنزة وجدت إبان العصر الوسيط حتى وراء منطقة طويق، في عمق الطائف[4]، وقد اندثرت تلك القرى عام 597هـ/ 1200م بسبب الطاعون، عدا اثنتين منها. أما اليوم فليس هناك أي شخص من عنزة، التي اختفى أبناؤها (الجميله) مجدداً من الأفلاج، وإن ظلت بقية منهم في هدّار في أعالي أرض طويق دون غيرها[5]. في حين هاجر الآخرون إلى الشاطئ الشرقي لجزيرة العرب، وخاصة منهم فرع بني عتبة (العتوب)، الموجود في الكويت وقطر وجزر البحرين، وينتمي إليه البيتان الحاكمان في الكويت والبحرين[6]. بالمقابل، بقي بنو هزان تحت اسم الهزازنة في منطقتهم القديمة، وبالتحديد في واحة حريق[7]، حيث يتكرر ذكرهم في الصحائف الوهابية التي تقول إنهم قاتلوا حتى عام 1913م ضد حكام جزيرة العرب الحاليين[8].

يرتبط تاريخ عنزة الشمال ارتباطاً وثيقاً في الجاهلية وفجر الإسلام بتاريخ

(1) فوستنفيلد، الجدول أ، 11.

(2) الهمداني، ص161. ياقوت: الجزء الرابع، ص417. يتبدى وضع الأماكن التي سكنوها، وهي المجازة ونعام، من خلال المعطيات حول معوان ووادي برك، والمكانان كلاهما مرسومان على خارطة فيلبي.

(3) فيلبي: قلب الجزيرة العربية، الجزء الثاني، ص108 (بالانجليزية).

(4) إبن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص113. تابع بكري في فهرس فوستنفيلد، ص130.

(5) فيلبي، الجزء الثاني، ص249.

(6) محمد ابن خليفة النبهان: التحفة النبهانية في إمارات الجزيرة العربية، ص70. تابع كذلك دليل الجزيرة العربية، الجزء الأول، ص313.

(7) فيلبي: الجزء الثاني، ص286.

(8) قارن: عالم الإسلام، الجزء الثاني، ص303. عرف اسم شاعرهم محسن الزاني من خلال فيتشتاين. ويوجد له قصائد كثيرة في ديوان وسط الجزيرة العربية الذي أصدره سوسين ـ شتومه.

أقاربهم من قبيلة بكر. فقد كانتا تعيشان في منطقة واحدة، إمتدت بين كربلاء الحالية ومصب الفرات في المنطقة الزراعية من العراق، ووصلت جنوباً إلى المناطق الداخلية من شرق الجزيرة العربية مروراً بالمجرى الأدنى لوادي الرمة[1]. كما تشاركتا سياسياً في اتحاد لهازم، الذي ضم عنزة وبعض قبائل بكر[2]. ومع أن المسيحية حققت في القرن السادس تقدماً كبيراً بين قبائل الفرات الأدنى، غير أن عنزة بقيت حتى ذلك الحين وثنية في غالبيتهم، يعبدون الإله سعير (سُعير)، ويشاركون قبائل أخرى من ربيعة عبادة المحرِّق، الذي وجدت صورة له في السلمان، جنوب ما عرف فيما بعد بالكوفة[3]. لا يخبرنا التاريخ الإسلامي شيئاً عن اعتناق عنزة للإسلام، وإن كان معروفاً أنهم شاركوا غيرهم من الهازم في الردة في شرق الجزيرة العربية، التي حدثت بعد فترة قصيرة من وفاة النبي، وشكلت إحدى ظواهر الردة الجزئية: تلك الحركة الإنفصالية التي مثلت لبعض الوقت تهديداً جدياً لدولة الإسلام الفتية. إنفصلت عنزة عن بكر، التي دخلت أفواجاً في الجيش الإسلامي وخسرتها البداوة، بعد حروب الردة مباشرة، بينما بقيت عنزة وفية لطريقة حياتها البدوية، فلم يرحل غير قلة منها إلى رباط مدينة الكوفة، مركز جيش الشرق، التي تم تأسيسها سنة 17 هجرية/ 638 ميلادية. غير أن الحملة التي اتجهت نحو الشمال مع انطلاق حروب الفتح، تركت أثرها على عنزة أيضاً، التي غادرت منطقة انتشارها وقدمت إلى عين التمر، حيث واحة شثاثة[*] قرب كربلاء، وإلى الأنبار[4].

فيما بعد، إنقطعت أخبار القبيلة طوال قرون عديدة، قبل أن يذكرها نصر الاسكندري (المتوفى عام 560هـ/ 1165م) من جديد، فهو يقول إنها تسكن غرب

---

(1) إمتلكت عنزة في هذه الأراضي نبع راكية اللقمان قرب تاج. ياقوت، الجزء الثاني، ص811.

(2) برونليش: بسطام ابن قيس، ص14.

(3) فيلهاوزن: بقايا وثنية عربية قديمة، ص57 و61.

(*) «تكتب عن العزاوي شفاثة وشفاثا» (شبّر).

(4) إبن سعيد عند ابن خلدون: تاريخ البربر، الجزء الأول، ص14، قارن: الطبري: الجزء الأول، ص3220.

جزيرة العرب في حرّة النار، أو حرّة خيبر[1]. ولا نعرف لماذا ذهبت القبيلة إلى هناك، وإنما نظن أن ذهابها كان يرتبط بالهجرات أو الإنزياحات السكانية التي أحدثتها حملات القرامطة منذ عام 900م، وخاصة منها هجرة العقيل إلى العراق، التي أوصلت في القرن العاشر واحدة من عشائرها هي الخفاجة، إلى منطقة انتشار عنزة قرب عين التمر والأنبار[2].

كانت ظروف حياة عنزة صعبة في موطنها الجديد، لأن حرّة خيبر منطقة طمي بركاني فقيرة بالغطاء النباتي، تخلو من أراض زراعية خارج واحة خيبر الخصبة، حيث توجد ينابيع فجرتها البراكين. هذا الوضع، جعل مشاركة عنزة في ملكية الواحة والحصول على جزء من محاصيلها مسألة حياة أو موت بالنسبة لها. يخبرنا ياقوت (الجزء الثالث، ص644) أن هذا حدث في زمنه (توفي عام 1229م). وقد رسخت عنزة حقوقها بعد ذلك، وإن اقتصرت منذ القرن الثامن عشر على تلك الأجزاء من القبيلة التي لازمت جزيرة العرب. وصف دوتي، أحد الأوروبيين القلائل الذين زاروا الواحة العلاقة القانونية بين عنزة وفلاحي خيبر[3]، فقال إن ملكية القبيلة تنصب بالدرجة الأولى على نخيل التمر، حيث يتقاسم مالكها محصوله مناصفة مع البدوي الذي يشاركه فيها[4]، دون أن يقدم له أي شيء بالمقابل، ما لم يتعلق الأمر بغرس أشجار جديدة. يضيف دوتي: أن حقوق الطرفين تقبل التنازل عنها، شريطة أن يتنازل البدوي عنها لأعضاء في القبيلة، ويبيعها الفلاح إلى فلاحين دون غيرهم. تعتبر الينابيع، بدورها، ملك القبيلة، أي ملك عائلات معينة منها، يقدم أهالي خيبر لها

---

(1) ياقوت: الجزء الثاني، ص252. وكذلك بكري، ص26، الذي يرى في حرّة النار حرّة خيبر، بينما يرى آخرون أنها حرّة أخرى تقع إلى الشرق من المدينة، بحسب موريتز: جزيرة العرب، ص13.

(2) أنظر مقالة عقيل في قسم جزيرة العرب.

(3) دوتي الجزء الثاني، ص115.

(4) يوسان وسافيناي: عادات الفقرا، ص8: ثلثان للبدوي. (بالفرنسية) قارن هوبر: رحلة إلى أواسط جزيرة العرب، ص121 و129. وكانت تسود العلاقة ذاتها في واحة حايط. أيضاً. أنظر هوبر: ص129.

حبوباً مقابل حق الانتفاع بها[1]. أخيراً، تشارك عنزة في البيوت أيضاً. هذه الظروف السائدة في زماننا أيضاً، يمكن إرجاعها دون تحفّظ إلى العصر الوسيط، لأنها لم تتشكل تحت حكم عنزة، بل ترجع إلى فجر الإسلام: حين احتل النبي محمد خيبراً عام 7 للهجرة، ألزم سكانها اليهود باعطائه نصف محصولهم.

لم يحدث أي اختلاط بين عنزة وسكان الواحة، رغم علاقاتهم الوثيقة بهم، لأنهم ـ وغيرهم من سكان واحات الحجاز ـ كانوا من أخلاط زنجية قوية. وإن كان دوتي يورد حكاية أسطورية (الجزء الثاني، ص114) تذكر سبباً آخر لانعدام التزاوج بينهما: عندما جاءت عنزة في الماضي إلى مقربة من خيبر، ذهبت ابنة الشيخ إلى المدينة تتعرف على قريناتها، فرآها شاب ولاحقها واعتدى عليها وكان ذلك الشاب ابن زعيم خيبر. طلبت عنزة ترضية تمحو بها عارها، فرفض الفلاحون طلبها، بل ومنعوها من الوصول إلى ينابيع المياه. وفي صبيحة اليوم التالي، إمتطى شيخ خيبر حصانه وجاء إلى عنزة يدعوها إلى القتال. وعندما نشبت المعركة وقتل الشيخ وكثير من قومه، إحتل البدو قرى المنطقة، وأقسموا أن لا يزوجوا بناتهم من رجال خيبر. ـ لم يحمِ هذا القرار القبيلة من مماهاتها مع الخيبريين، ولكن ليس مع الخيبريين الحاليين وإنما مع يهود الواحة القدماء، الذين كانوا قد طردوا عام 20 للهجرة من جزيرة العرب[2]. لكن العرب لا يتعاملون، كما هو معروف، بدقة مع الحقيقة، حين يلصقون العيوب بجارهم العزيز وهكذا فهم يسخرون من عنزة بوصفهم "يهود خيبر"[3]. كما أيد الأوروبيون، من جانبهم، الأسطورة التي تجعل من العنزة يهوداً، فزعم نيبور أن هناك ثلاث قبائل يهودية في خيبر هي: بنو مزيد وبنو عنزة وشحان[4]، وأخبرنا فيستشتاين عام 1865م بسذاجة: "أن الأمير اليهودي

---

(1) عادت الفقرا، ص8.

(2) ينفرد الهمداني (توفي عام 334هـ/ 945م ـ 946م) باعتبار اليهود جزءاً تكوينياً من شعب خيبر الشديد التنوع.

(3) أنظر على سبيل المثال فيستشتاين في المجلة الجغرافية العامة. المجلد 18، ص446.

(4) جزيرة العرب، ص377، المقصود أسرة شيوخ شامان. تابع أيضاً بوركهاردت: رحلات في جزيرة العرب، الجزء الثاني، ص401، حيث يذكر الشامان كحلفاء لعنزة.

الأخير، الذي لا تزال أعمال النهب التي قام بها شرق سورية ملء الذاكرة، يسمى حمدان، وكان شيخ عشيرة عبد الله، الذين قدموا قبل حوالى 80 إلى 90 عاماً من الحجاز إلى الصحراء السورية، واعتبروا فرعاً من الرولة، وأقاموا مضاربهم معها. ثم أجبروا في مطالع القرن العشرين على التحول إلى المذهب الوهابي، شأن جميع قبائل الرولة وولد علي، لكنهم لم يعودوا إلى الموسوية من جديد، حين انفصل الجميع عن المذهب من جديد بعد سقوط الدرعية*.

ليس من المعقول أن تكون منطقة انتشار عنزة قد اقتصرت على حرّة خيبر وحدها. يسجل ابن خلدون[1]، وابن سعيد (منتصف القرن الثالث عشر)، الذي يرجع ابن خلدون إليه عادة في ما يتعلق بتواريخ البدو، أن عنزة عاشت في نجد أيضاً بجوار طي، أي في القسم الداخلي من البلاد. ونستدل من أحد المصادر القليلة المعروفة حول تاريخ وسط جزيرة العرب بين عصري القرامطة والوهابيين، أن عنزة وصلت خلال القرن السادس عشر إلى القصيم[2]. ويعتقد أن انتشارها غدا ممكناً بفضل هجرة قبيلة بني لام، التي انتقلت آنذاك من شمال جزيرة العرب إلى العراق. بدورهم، تقدمت عنزة في وقت مبكر إلى الشمال، مثلما يظهر من اسم جفر عنزة، النبع الذي ذكره ياقوت، الواقع شرق العلا[3]. أخيراً، إحتلت القبيلة حوالى القرن الخامس عشر واحتين قديمتين جداً تقعان على طريق الحج[4] هما واحة العلا التي سبق ذكرها وواحة مدائن صالح.

تلقي المصادر من حين لآخر بعض الضوء على علاقات عنزة بالسلطات، التي كانت قائمة آنذاك. وتقول إنها أبدت عام 666هـ/ 1267م إستعدادها لدفع

(1) البربر الجزء الأول، ص14.

(2) باعت أسرة شيوخ عنزة آل هذّال موقع ماء بريدة عام 958هـ/ 1551م إلى آل عليان، أمراء مدينة بريدة اللاحقين. الريحاني: تاريخ نجد، ص86.

(3) ياقوت، الجزء الثالث، ص638. موزيل: نجد الشمالية (بالانجليزية) ص129 يساوي بينها وبين واقصة.

(4) تقول قبيلة فقرا (عنزة) التي ما زالت تعيش هناك أنه ولد لها في المنطقة 13 جيلاً. دوتي، الجزء الأول، ص126.

الضرائب إلى القاهرة[1]، لتتخلص ربما من الاتاوات التي كانت تؤديها إلى حكام آخرين (شرفاء المدينة؟). أما في العصر العثماني، فقد حصلت على حق الصرة، العائد الجمركي الذي حرصت الحكومة على تأديته إلى حارسي طرق الحج، وتلقت عام 1087هـ/ 1676م مبلغ 7116 تالر فضياً، سدد منه 1054 تالر من الموازنة الأصلية، ودفع الباقي في وقت لاحق[2]. بما أن القبائل كانت تقابل تخفيض أموال الصرة أو الامتناع عن دفعها بغارات تشنها على قوافل الحج العائدة؛ فقد نهبت عنزة عام 1112هـ/ 1700م الحجيج في منطقة الشريف الأكبر، لأنه رفض دفع الصرة لها وألقى بعدد من أبنائها في السجن، حيث مات قسم منهم[3]. وقامت عامي 1115هـ/ 1703م و 1171هـ/ 1757م[4]، بغارات يشير موقعها (معان) إلى أنها كانت تتقدم آنذاك شمالاً.

بدأت معالم توزع عنزة الجديد تظهر قبل الهجرة الكبيرة، التي سبقت القسم الأخير من تاريخها. فقد حدد دوتي[5] مناطق ترحال مختلف قبائلها، وأخبرنا أن الجلاس (الرولة) تنقلت إلى الجنوب من حرّة خيبر، بدءاً من المدينة مروراً بالحناكيه وصولاً إلى سميرا، وقال إن أسماء الأماكن في محيط خيبر تحمل أسماءها، ومنها وادي الجلاس وسوق الرولة. إلى شمال وشرق هذه المنطقة، في منطقة وادي الرمة والقصيم، سكن السبعة، وسكن بعدهم العمارات: في جبال شمّر وحتى في شرق جزيرة العرب[6]. أما مواقع قبيلة عنزة الرابعة الكبيرة، أي

---

(1) المقريزي: انظر كاترميه الجزء الأول (القسم الثاني) ص48.

(2) أرشيف عثمان باشا، رقم 64.

(3) رشيد: تاريخ، الجزء الأول، ص255. يذكر النص غزة بدل عنزة. وإنه بالمناسبة لأمر يثير الاستغراب أن تتمكن عنزة وبنو صخر (المقصود بني صخر) المذكورون إلى جانبها من المطالبة بـ «صرة نجد».

(4) همر: تاريخ الإمبراطورية العثمانية، الجزء السابع، ص67. واصف: محاسن الآثار، الجزء الأول، ص149.

(5) الجزء الأول، ص398. الجزء الثاني، ص76 و184 و301 و398. أنظر كذلك خارطة دوتي.

(6) بوركهاردت: رحلات في الجزيرة العربية، الجزء الثاني، ص404.

الفدعان، فهي غير معروفة، وربما كانت تقع شمال الحرّة، حيث يخيم الآن ولد سليمان، المرتبطون حتى اليوم بالفدعان. إستولى ولد علي على غرب منطقة خيبر، حيث لا يزال قسم منهم يسكن هناك إلى اليوم، وإلى جوارهم، على الأرجح، الحسنة، الذين تربطهم بهم صلة قرابة وثيقة.

لم يؤرخ أحد لانتقال عنزة إلى سورية وبلاد الرافدين، مع أنه أكثر أحداث تاريخ البدو الأحدث أهمية. إذا كانت المرحلة الأخيرة من حركة القبيلة ونتائجها واضحة أمام أعيننا، فإن الغموض ما زال يلف بداياتها وأسبابها. وإذا كنا نحاول رسم تخطيط أولي لما جرى، فلأن علينا، بادىء ذي بدء، تحرير أنفسنا من تصور قد يزين لنا أننا حيال حدث فريد في نوعه وخارق، ولأننا نعلم أن ضغوط الحكام والمجاعات هي التي كانت تدفع البدوي إلى ترك موطنه، مثلما حدث حينما كانت عنزة الحجاز ترحل من حين لآخر إلى حوران[1]، وكذلك آباؤهم الأولون الذين نصبوا مضاربهم وخيامهم على حدود سورية أو ضفاف الفرات، قبل هجرتهم الكبيرة بوقت طويل. مهما يكن من أمر، فقد فشل الأسلاف وتابعوهم في تثبيت أنفسهم بصورة دائمة في الأرض الغريبة. وإذا كانت شريحة المهاجرين الرئيسة قد نجحت في وقت لاحق، فلأنها أتت في وضع ملائم بصورة خاصة، بما أن الموالي، الذين سيطروا على شمال الصحراء السورية، كانوا يتقهقرون منذ نهاية القرن السابع عشر، بينما كان الغازية يفكرون في ترك ما وراء كربلاء من أراض والانتقال إلى الجهة الأخرى من الفرات.

يرد أول الأخبار حول ظهور عنزة في الشمال بعد عام 1700م، الذي سنعتبره أقدم فترة زمنية لهجرتها[2]، التي أوصلتها عام 1703م إلى معان، وعام 1705م إلى

---

(1) تابع دوتي: الجزء الأول، ص272 و350 و582.

(2) بوركهاردت: ملاحظات حول البدو والوهابيين، ص310، يقدر عمر وجود عنزة في سورية بمائة وعشرين عاماً، حدثت رحلته إلى سورية بين عام 1810 و1812م، فيستشتاين Zdmg، المجلد الثاني والعشرون ص167 يذكر عام 1700م كتاريخ هجرتها.

الفرات[1]. ومع أن مرويات القبيلة تحدد فترة أقدم بعض الشيء، فقد ذكر شيخ الفدعان مقحم «مجحم» ابن مهيد عام 1913م أن أسلافه كانوا يسكنون خيبر قبل ثلاثمائة عام، وعد فرحان ابن هديب عام 1899م سبعة أجيال من السبعة منذ غادرت خيبر، فإن هذه التواريخ لا تتفق مع تواريخ ظهور القبيلة في سورية.

إستمرت الهجرة فترة تربو على القرن. كانت الحسنة والفدعان وولد علي[2] أقدم القبائل التي بلغت الأراضي السورية. وانتهت ـ الهجرة ـ مؤقتاً بوصول الجلاس (الرولة)، التي يجب أن تكون قد تمت في الثلث الثاني من القرن الثامن عشر[3]، حين استكملت القبائل الثلاث الأولى في تلك الحقبة تقريباً إحتلال مناطق انتشارها الصيفية الحالية، فسكنت الفدعان السهب الشمالي بين حلب والفرات الأوسط، والحسنه الفسحة بين حمص وتدمر، وولد علي سهل حوران. أما الجلاس، فكانوا آنذاك في الحماد، حيث اقتصر انتشارهم على السهب بين بادية تدمر والنفود، وإن تقدموا من حين لآخر إلى سهل حوران أو عبروا الفرات. ثم بدأت حوالى عام 1800م حقبة هجرة جديدة، من آثارها الضغط الذي مارسه الوهابيون في الشمال منذ حوالى 1790م، وأدى إلى فرار السبعة من وسط جزيرة العرب إلى الأراضي الواقعة شرقي حماه[4] حيث لا زالوا إلى اليوم. وإنه لمن المشكوك فيه أن تكون القبيلة قد حققت بذلك هدفها الأصلي وهو التخلص من إزعاجات الوهابيين، الذين وصل جباة ضرائبهم إلى الفدعان، أبعد قبائل عنزة شمالاً[5]؟. هاجرت العمارات آنذاك

(1) لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث (بالانجليزية)، ص124.

(2) نيبور (1765م): جزيرة العرب، ص395، لا يذكر من قبائل عنزة في سورية غير بني وهب وهم حسنة وولد علي.

(3) رافق قافلة كابر عام1788م رجال من الجلاس والفدعان وولد علي وبني وهب، على أن يفهم الأخيرون باعتبارهم حسنة وحسب. أنظر هويل: صحائف رحلة من الهند على طريق سالك جزئياً، ص260.

(4) بوركهاردت: ص310.

(5) بلغت زكاتها السنوية في حكم سعود بن عبد العزيز 40000 ريال وثمانية أحصنة في أعوام 1803/ 1814م. عثمان ابن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، ص106.

أيضاً من موطنها في شرق جزيرة العرب إلى الشمال. لكن هجرتهم لم تكن هرباً، بل قدموا تحت رايات الوهابية، فأزاحوا الجلاس عن الفرات، واستولوا تدريجياً على القسم الشرقي بأكمله من الصحراء السورية، وإن بقيت أقسام قوية منهم في موطنهم القديم، ولم تغادر القصيم موقعها إلا في ستينيات القرن التاسع عشر[1].

خاضت عنزة خلال تقدمها في الصحراء السورية معارك كثيرة. وهناك حكاية تصف الحرب الدموية التي اضطرت إلى خوضها ضد الموالي: سادة الشمال آنذاك. بالمقابل، يبدو أن احتلال سهل حوران لم يترك أي أثر يذكر في تقاليد القبيلة[2].

نريد الآن تصحيح ادعاء ورد أول مرة لدى فون بلنت، ثم تسرب إلى معظم الكتابات الحديثة عن عنزة[3]. يقول فون بلنت: أثناء الحصار الثاني لفيينا (1683م)، وبينما كانت الحدود الجنوبية للإمبراطورية العثمانية بلا حراسة، تقدمت شمّر من الجنوب إلى الفرات عبر الصحراء السورية. بعد عشرين عاماً، تبعتها عنزة وطردتها بالتحالف مع الموالي إلى بلاد الرافدين ـ لا تورد محكيات القبائل ولا إخباريات الرحالة القديمة، سواء لدى نيبور أو بوركهاردت، أي شيء عن هذه الأحداث، التي تناقض كل ما نعرفه عن تاريخ القبيلتين. ذلك أن شمّر، التي سكنت جبال شمال جزيرة العرب المركزية، لم تعش في الحماد ولم تسكن أبداً بادية تدمر، بل عاشت على حافة الصحراء السورية، الممتدة على الفرات من الفلوجة إلى النفود. إلى هذا لم تدفع عنزة في القرن السابع شمّر إلى بلاد الرافدين عبر الفرات، وإنما فعل ذلك الوهابيون حوالى عام 1800م. وسنتحدث عن ذلك بالتفصيل في الفصل القادم.

---

(1) دوتي: الجزء الثاني، ص400.

(2) تابع الفصل: موالي وسردية في قسم سورية.

(3) بلنت: قبائل على الفرات (بالانجليزية)، الجزء الثاني، ص177. موسوعة الإسلام (عنزة)، مجلة الإدارة في بلاد الرافدين، ص40. الشرق الحديث (بالإيطالية)، الجزء الثاني، ص248 لونكريك، ص79. يقع أصل الخطأ لدى ابتون: مجلة فرازر، الجزء 15، ص335، وقد نقله بلنت وزوجته. أما الباقي فقد يكون من اختلافهما.

ثمة أمر واحد صحيح في أقوال فون بلنت، هو أن شمّر وعنزة قبيلتان متعاديتان أباً عن جد، ويرجع عداؤهما إلى الفترة التي كانتا تسكنان فيها جزيرة العرب، وربما إلى وقت أقدم. عندما ارتحلت في وقت لاحق عنزة وقسم من شمّر نحو الشمال، تزايدت مساحات الاحتكاك بينهما: فقد كانت الرولة حتى الأمس القريب في عداء شديد مع شمّر نجد في أقصى الجنوب بسبب منابع مياه ومراعي النفود، واصطدم الفدعان بعيداً إلى الشمال بشمّر بلاد الرافدين، الذين حاولوا ترسيخ وجودهم هناك. بين هذين الميدانين الرئيسيين للحرب، الممتدين من خط جبل شمّر إلى أورفة، كانت تحدث من حين لآخر غزوات سلب ونهب في الاتجاهين.

ثمة أعداء ألداء آخرون لعنزة هم سكان جبل حوران والصفاه، وخاصة منهم الدروز[1]. ولا عجب، إذن، أن تكون عنزة قد تبنت سلوكاً موالياً للحكومة خلال الانتفاضات التي قام بها الدروز، ومنها ثورتهم الأخيرة على الفرنسيين عام 1925/ 1927م.

تقاتلت قبائل عنزة مرات عديدة بعضها ضد بعض أيضاً. ثمة صراع عام منذ أقدم الأزمنة بين البشر، الذين ينتمي إليهم الفدعان والسبعة والعمارات، وبين ضنا مسلم، أي الحسنه وولد علي والجلاس (الرولة)، أو بلغة جغرافية بين القبائل المخيمة على خط الفرات وتلك التي تخيم في سورية الأصلية. في المجموعة الأولى، يشكل السبعة مجرد تابع سياسي للفدعان، بينما يستقل العمارات بأنفسهم. لكن القبائل الثلاث هم "أصحاب" لذلك فهي لا تغزو بعضها بعضاً. في حين تخضع المجموعة الثانية لهيمنة الرولة منذ وقت طويل. بالمناسبة، يتقاطع تجمع بشر ـ ضنا مسلم في أحيان كثيرة مع تكوينات أخرى. من ذلك، مثلاً، أن تحالف السبعة (بشر) والرولة (ضنا مسلم) سيطر على موقع الحسنة في سورية. وقد حدثت نزاعات دامية داخل الضنا مسلم، وخاصة في الخمسينيات من القرن

(1) تابع: تصريح أحد شيوخ عنزة لدى موزيل: صحراء جزيرة العرب، ص439.

التاسع عشر، عندما انتزع الرولة من ولد علي حق الرعي في سهل حوران.

عنزة بدو رحل ومربو جمال، وإن رجحت منذ وقت طويل تربية الخراف لدى الحسنه وولد علي دون غيرهما، وتقدمت بخطى ثابتة منذ العشرينيات لدى الفدعان والرولة. ـ يتطلب اقتصاد تربية الجمال مراعي واسعة، يتم اجتيازها في تكرارية منتظمة تتبع وتيرة الفصول؛ تضم منخفضاتها ووديانها الماء والمرعى شتاء، وتقدم وديانها النهرية في بلاد الرافدين، وأشرطتها الحدودية في المنطقة الزراعية السورية، أماكن توقف ملائمة في مطالع العام، وعندما تكون الشمس قد حولت السهب إلى صحراء، تصل عنزة إلى الحقول، وبمجرد أن يجني الفلاحون محاصيلها، تغادرها في شهر أيلول إلى أطراف المنطقة الزراعية، حيث تمكث بانتظار أمطار الخريف الأولى، التي تهطل عادة خلال تشرين الأول أو الثاني، قبل أن ترجع إلى السهب من جديد. لا تغري الحاجة إلى المراعي وحدها عنزة بالذهاب إلى الأرض الزراعية، وإنما تقصدها أيضاً من أجل تصريف منتجاتها وشراء مؤونتها الشتوية من الحبوب، والحصول على غذائها من التمر[1]، الذي تشتريه اليوم من شثاثة «شفاثة»، واحة العمارات إلى الغرب من كربلاء، وكانت تشتريه في الماضي من أماكن تقع داخل البلاد. كان الفدعان والعمارات يظهرون في مطلع القرن التاسع عشر بصورة دورية، وكان الرولة وحتى الحسنه يظهرون من حين لآخر أمام النجف وكربلاء، ويبعثون من هناك بقوافل ضخمة ـ تحدث بعضهم عن أربعة آلاف جمل ـ من أجل التسوق، تصل حتى الحلة والديوانية[2].

كانت عنزة تؤجر جمالها لمن يريدون ترحيل محاصيلهم من الحقول، ومن أجل عمليات النقل الحكومية والمشاركة في رحلات الحج. فيما بعد، حدّ دخول وسائل النقل الحديثة من فرص الكسب هذه، وجف منبع آخر من منابعه بعد

---

(1) كما يستدل من مقارنة بين شوماخر: عبر الاردن، ص110 وموزيل: أخلاق وتقاليد بدو الرولة (بالانجليزية) ص90، حدث في منعطف القرن تحول لصالح الأطعمة الغنية بالحبوب.

(2) رسول حاوي أفندي: دوحة الوزراء، ص226 و275 و315 و318.

الحرب العالمية، هو الخوّة بأنواعها، التي كانت تدفعها قبائل الرعاة قبل كل شيء، المصاحبة لعنزة خلال ترحالها الشتوي، ويؤديها كذلك قسم من السكان نصف المستقرين على تخوم الفرات الأوسط، وقرى حوران والجولان، والمواقع الطرفية من سورية كصدد والقريتين وتدمر. ويقال إن حمص وحماه كانتا تدفعان هذه الإتاوة أيضاً[1]. أخيراً جف مصدر الكسب الثالث، ألا وهو رسوم مرور القوافل، التي كانت تدر عائدات كبيرة في القرن الثامن عشر[2]، بسبب ازدهار التجارة القارية. وتوقفت، في النهاية، موارد الصرة، التي كانت حكراً على ولد علي.

كانت عنزة تستقل بنفسها في العصر التركي، عندما تقوم بترحالها الشتوي، قبل أن تعود خلال فصل الصيف إلى قبضة الحكومة، التي كانت تستطيع عندئذ منعها من بلوغ الأسواق والمراعي، ومنعتها من حين لآخر بالفعل، لإجبارها على دفع الودي (البدل)[3] ورسوم المراعي والأسواق، ضمن مناطق معينة. أدت إقامة عنزة في الأراضي الزراعية إلى منازعات كثيرة مع السكان الأصليين، أحجمت الحكومة عن التدخل فيها بوجه عام، ما لم تهدد مصالحها المالية. عندئذ، كانت الوسائل التي تستخدمها معروفة، تقتصر أساساً على تحريض شيخ ضد آخر وقبيلة ضد أخرى، واستدراج زعماء عنزة إلى كمائن وأفخاخ، مع ما في ذلك من انتهاك لحقوق الضيف[4].

تصاعد نفوذ الحكومة على عنزة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بحيث أخذ باشا دمشق يتحكم في ترحال الرولة الصيفي عام 1878م[5]، مع بروز

(1) شوماخر: عبر الاردن، ص103. لامارتين: رحلة في الشرق، ص300. رحلات السيدة استير ستانهوب، الجزء الثاني، ص114 (بالانجليزية).
(2) حوالى ثلاثة شلنات على حمل الجمل الواحد. بوركهاردت، ص5.
(3) ودي (تعويض): ضريبة لا علاقة لها بعدد المواشي، بل تعين عبر اتفاق.
(4) وصف ابتون: ومضات من صحراء سورية، ص226 وما يليها (بالانجليزية) بدقة علاقة عنزة مع الأتراك ومستلزماتها الاقتصادية.
(5) بلنت: الجزء الثاني، ص143 و157.

تطلعات رسمية إلى حرمانها من حياة الترحل. صحيح أن محاولة أرسلان باشا (متصرف دير الزور حوالى عام 1870م لتوطين السبعة قرب الدير قد أخفقت[1]، لكن قبيلتي ولد علي في حوران والحسنة قرب حمص بدأتا تمارسان الزراعة في نهاية القرن، بعد أن ساد الأمن المنطقتين. وتحول شيوخ عنزة الكبار جميعهم إلى ملاّك قرى وأراض أهداها إليهم السلطان عبد الحميد، وشدتهم الحكومة إليها من خلال منحهم مناصب والقاباً وقروضاً مالية.

جسد الباشاوات في نظر عنزة الدولة التركية. وجسدها كذلك أصحاب السلطة في شمال جزيرة العرب، أي أمراء جبل شمّر من بيت ابن رشيد، وحكام حائل منذ عام 1838م، وملاّك واحة الجوف، الذين كانوا يستطيعون التحكم بالرولة، لحاجتها إلى الواحة كقاعدة شتوية لها. وهكذا، كان محمد بن رشيد (1896 ـ 1897م) يستطيع فرض سلطته على العمارات والسبعة أيضاً، وإن كانت الصراعات الدموية التي نشبت بين أخلافه فيما بعد قد قوضت مكانة بيت آل رشيد، بينما كانت مملكة الوهابيين، التي خيل للبعض أنها ماتت، قد عادت إلى الحياة من جديد في الجنوب، بفضل عبقرية ملك جزيرة العرب الحالي، عبد العزيز آل سعود. فهم الشعلان، أسرة شيوخ الرولة، كيف يفيدون من هذا الوضع، فاستولى نواف، ابن الشيخ نوري ابن الشعلان، على واحة الجوف بانقلاب أنجزه عام 1909م، أدى إلى استعار الحرب من جديد بين عنزة وشمّر في الموقع عينه، بعد أن كانت قد خمدت طوال عقود.

كانت القوى السياسية في الصحراء السورية وشمال جزيرة العرب موزعة قبل انفجار الحرب العالمية على النحو التالي: إستمر التناقض في الشمال بين البشر (فدعان والسبعة)[2] وبين الضنا مسلم بقيادة الرولة، وهو تناقض غذاه

---

(1) بلنت: المرجع ذاته، ص183.

(2) عاشت العمارات آنذاك بسلام مع كلتا المجموعتين. موزيل: صحراء جزيرة العرب، ص405 و441.

الأتراك وعملوا على إبقائه حاداً. وتواجه الرولة وابن رشيد في الجنوب بعدائية متعاظمة، بينما شل آل سعود حركة ابن رشيد[1]. في هذه الظروف، حددت عنزة موقفها في ضوء سلوك مملكتي الواحات في الجنوب، الذي تحدد منذ البداية بميل آل سعود إلى الإنجليز، لأن مرفأهم عجير «عقير» كان في مرمى مدافع سفنهم، وبولاء ابن رشيد للأتراك، الذين كانوا يستطيعون قطع الامدادات، التي تصله بواسطة سكة حديد الحجاز، وتلك التي تأتيه من العراق. هذا الوضع، أجبر الفدعان والسبعة على إقامة علاقة ودية مع الحكومة، وفرض على الرولة علاقة عدائية حيالها، عززتها أسباب شخصية: منها أن الشيخ نوري ابن الشعلان لم ينس أبداً السجن التركي الذي أجبر على قضاء عامين فيه، وأن ابنه نواف أصيب بعدوى الدعاية القومية العربية[2] المؤيدة من المحور[3]. على كل حال، تعينت سياسة الصحراء في الشمال بمشاغل شخصية مباشرة أول الأمر: وما إن دخلت تركيا الحرب في تشرين الأول من عام 1914م، حتى فرت القبائل بأقصى سرعة من الأراضي الزراعية، كي لا تدفع ضرائب حربية وتتعرض أملاكها لمصادرات الحكومة التي كانت قد بذلت جهوداً مكثفة استهدفت إقامة سلام عام بينها، تستطيع معه التفرغ لحملاتها الحربية في سيناء والعراق، وهو ما تحقق بالفعل مطلع عام 1915م[4]. في سنوات الحرب اللاحقة، بدأ التكوين السياسي الذي رسمنا صورته، يؤثر في عنزة، فانضم العمارات، أي عنزة الفرات، إلى

---

(1) تبين الخارطة الإيطالية المسماة آسيا الصغرى ومنطقة الجزيرة العربية1:6000000 حدود مجالات القوى.

(2) وجدت، لأمر يبعث على الإستغراب، تفهماً مبكراً لدى البدو. وفي عام 1875م وضع شيخ السبعة سليمان بن مرشد خطة مذهلة لإقامة خلافة عربية بزعامة شريف مكة الكبير. ابتون: ص238.

(3) (هاندبوك)، الجزء الأول، ص47 و49. ومع ذلك تنسب إلى شيخ الفدعان، حاكم «حاجم» بن مهيد ميول عربية وحدوية.

(4) وصف موزيل، الذي شارك بفاعلية في الأحداث، في كتابه صحراء جزيرة العرب (القسم الثالث) الأمزجة والحوافز السياسية بطريقة آسرة.

الانجليز بعد استيلائهم على بغداد (11 آذار 1917م)، وتكفلت مجاعة عام 1917/ 1918م بإخضاع أجزاء كبيرة من الفدعان والسبعة لنفوذهم، ولم يأت عام 1918م إلا وكان مائة ألف بدوي ينصبون خيامهم بجوار واحة شفاثة[1]. بينما كانت منطقة عنزة الغربية قد تحولت بدورها إلى ساحة حرب، إذ كان الحجاز في حالة عصيان تام منذ عام 1916م، وتقدمت قوات الشريف حسين عام 1917م من مكة إلى شرق الأردن، بقيادة ابنه فيصل ولورانس. في حمأة هذه التطورات، إمتنعت الرولة عن الاشتراك في القتال، ولم تنخرط في العمليات الحربية إلا في أيلول من عام 1918م، عندما كانت المقاومة التركية قد تقوضت تماماً. وقد دخل شيخهم نوري ابن الشعلان في تشرين الثاني من العام ذاته إلى دمشق بصحبة الجيش العربي/ الانجليزي.

لاحق زعماء عنزة مصالحهم بحنكة كبيرة، أثناء لعبة الدسائس التي انصبت على تركة الإمبراطورية العثمانية، فاتخذوا موقفاً يتسم بانعدام الثقة بمملكة فيصل الوليدة، حتى أن ابن سُمير، شيخ ولد علي، منح صوته للانتداب الفرنسي خلال الإستفتاء الشعبي الذي جرى في تموز من عام 1919م، وأخذ يتقرب من الفرنسيين، عندما كان هؤلاء لا يزالون بعد في بيروت. أما نوري، الذي حافظ على ولائه لفيصل، فلم يشارك في المعركة ضد الفرنسيين على أبواب دمشق، وأعلن بعدها مباشرة ولاءه لهم. بدورهم، بقي العمارات موالين للانجليز، حتى عندما كانوا في وضع حرج خلال ثورة العراق صيف عام 1920م[2]. ووجد الفدعان أنفسهم حيال قرار صعب، بسبب حرب الحدود التي نشبت عام 1920م بين الفرنسيين والقوميين الأتراك في شمال سورية، حيث راهن شيخهم مقحم «مجحم» ابن مهيد على الورقة الصحيحة، أي الورقة الفرنسية، في حين راهن خاله حاكم «حاجم» على الورقة التركية. أخيراً، شعر الرولة بالضيق من تقدم آل سعود، في جنوب منطقة عنزة. عندما كانت مملكة ابن رشيد قائمة، كان آل سعود حلفاء

(1) تقرير ص35 و 41.

(2) إيلمر، هالدان: تمرد في بلاد الرافدين، ص32 (بالانجليزية).

طبيعيين للرولة. غير أن ذوبان حائل (سقطت في مطلع تشرين الثاني من عام 1921م)[1] وإمارة شمّر في الدولة الوهابية، غير علاقتهما، خاصة بعد أن احتل ابن سعود واحة الجوف واستولى على الكاف وقرى الملح الأخرى في وادي سرحان، التي كانت مصدر موارد مالية كبيرة بالنسبة إلى شيوخ القبيلة، وقد زاد من حنقهم أن دعايات الأخوان الدينية أوهنت روابطها. في هذه الأجواء، لم يجد نوري ابن الشعلان مفراً من إجراء مفاوضات شخصية مع ابن سعود، الذي كان قد أعلن نفسه في هذه الأثناء ملكاً على الحجاز. ذهب نوري عام 1925م إلى مكة، لكنه قوبل بجفاء، كما يقال. لكن علاقته مع آل سعود ما لبثت أن تحسنت فيما بعد، حتى أنه زوج قبل فترة قصيرة حفيدتيه من الملك وابنه البكر.

أدى قيام نظام الدول الجديد في الشرق الأدنى إلى توزع عنزة على منطقة الإنتداب الفرنسية في سورية، ومملكة العراق، وإمارة شرق الأردن التابعة للإنتداب الانجليزي في فلسطين، ومملكة الحجاز ـ نجد. ولأن مناطق انتشار القبائل المختلفة تتقاطع مع الحدود، فقد صار الفدعان والسبعة والرولة رعايا فرنسيين، والعمارات عراقيين. باستثناء بعض الخارجين على القبيلتين الأخيرتين، ممن يعيشون بصورة دائمة في نجد، ثمة اتفاقات رسمية تنظم انتقال قبائل عنزة عبر الحدود وتضمن حقوقهم التقليدية في استخدام مراعي "الخارج"[2]. أدى هذا النظام إلى بعض الحوادث، التي لم تكتسب أبداً أهمية تتخطى مناطقها، إذا ما غضضنا الطرف عن حرب الحدود بين العراق ونجد، التي تجاهلتها الحكومات عن قصد. تراقب الدول الجديدة الصحراء السورية بواسطة وسائط النقل الحديثة، وتعتبر الطائرة سلاحاً فتاكاً، ولا يحد من فاعليته أن عنزة صارت أفضل تجهيزاً من ذي قبل. وللعلم، فقد تغلب الفرنسيون عام 1929م دون كبير عناء على الاستعار

---

(1) الشرق الحديث، الجزء الثالث، ص296، وفقاً لبرسي كوكس في الشرق الأدنى. يحدد فيلبي في الجريدة الجغرافية، الجزء 62، ص243 (أكتوبر 1922م) خطأً بداية آب كتاريخ.

(2)ومنها مثلاً اتفاقية جدّة تاريخ 2 نوفمبر (تشرين الثاني 1925 التي ترسم الحدود بين نجد وشرق الأردن، الشرق الحديث، الجزء السادس، ص14 وما يليها.

الأخير لنار الخلافات بين بشر وضنا مسلم القديم. وبسبب تقييد حريتهم، يشعر زعماء القبيلة بمرارة الظروف الجديدة، التي لا يستطيعون تغييرها، والتي أفضت إلى إفلات زمام السلطة على الصحراء من أيديهم.

فدعان

حصل الفدعان خلال الهجرة الكبيرة على مراعٍ صيفية في المنطقة إلى الشرق من حلب وحماه. ومر حوالى مائة عام دون أن يكدر صفو امتلاكهم هذه البقعة مكدر، ثم أجبرتهم عوامل كالنمو السكاني المتزايد والزراعة المتعاظمة على النزوح نحو الشرق. أما الدافع الأول الذي حملهم على الهجرة فهو حرب الأخوة، التي نشبت بين المجموعتين اللتين ينقسم الفدعان إليهما: أي الولد والخرصة، وأرغمت الأخيرة على عبور الفرات عام 1800م والبقاء على الجانب الآخر منه، داخل بلاد الرافدين[1]. لكن الولد لحقت بهم مع نهاية القرن، رغم أنها لم تتخل، مع ذلك، عن منطقتها السورية، التي ما لبثت أن أخلتها شيئاً فشيئاً، بعد الحرب العالمية[2]. ما إن جاء عام 1935م، حتى كانت قبيلتا الفدعان والسبعة تقيمان مضاربهما في الجزيرة الشرقية.

يقع مركز الولد في عين عيسى، إلى الغرب من أعالي البليخ، الذي يشكل مجراه حدودهم الشرقية تقريباً. بينما تتخطى الخرصة البليخ وتصل إلى الخابور تقريباً. تجتاز القبيلتان مطلع أيلول من كل عام الفرات إلى الصحراء السورية

(1) رامبليس في صحراء سورية، ص268 (بالانجليزية). قارن: ابتون، ص235.

(2) يحدد تيرييه موقع الولد في الطبعة الأولى من كتابه (1922م) بين منبج وشبيث. أما في الطبعة الثانية (1930م) فيقتصرها على وادي الفرات، بين الرقة ومسكنة.

(البشري، القعرا، وحتى الروضة أحياناً)[1].

بعبورهم إلى بلاد الرافدين، جاورت الفدعان الشمّريين المقيمين هناك. صحيح أنه لم يقع بينهما نزاع على مناطق الرعي، لأن شمّر تنصب خيامها على الخابور بوجه عام، لكن حالة الحرب الموروثة منذ قديم الزمن بين القبيلتين تواصلت، وإن قطعتها في بعض الأحيان اتفاقات معينة بين مجموعات خارجة عليهما ـ طلبت خرصة نفسها حماية شمّر حين اجتازت الفرات لأول مرة[2]. كما تواصلت غزوات السلب والنهب المتبادلة بين الجانبين بعد الحرب العالمية، إلى أن وضعت سلطات الإنتداب الفرنسية حداً لها، حين فرضت في تشرين أول من عام 1926م سلام دير الزور على القبائل.

أخذت القبائل الصغيرة على البليخ، كالبوعساف والمشهور[3]، تدفع الإتاوات إلى الفدعان. وكانت الولدة والبوخميس قد سبقتها إلى ذلك في سورية. بالمقابل، حافظ الجيس الأقوياء (حول حرّان) على استقلاليتهم. أما جيرانهم الشماليون في اتحاد الملّي الكردي، الذين اتخذوا من ويرانشهر مركزاً لهم، فلم يجرؤ الفدعان على التحرش بهم إلا نادراً.

قرر الصراع بين البشر والضنا مسلم سياسة الفدعان في سورية، الذين جعلوا من أنفسهم أعداء ألداء للرولة، وخاضوا عام 1877م حرباً ضدها ـ سنعرج لاحقاً على صلتها بمصير شيخي الفدعان جدعان وتركي بن مهيد ـ إنتهت إلى اتفاقية سلام إحتفالية عام 1900م، لم تحل بدورها دون وقوع غزوات متكررة بين قبيلتي عنزة هاتين، في فترة قيامنا بحفريات تل حلف (1911 ـ 1913م). . ومع أن الحرب العالمية أدت إلى شيء من الانفراج في علاقة القبيلتين، فإن هذه ما لبثت أن

---

(1) تقع قعرا على بعد حوالى 180 كيلو متراً إلى الجنوب من دير، والروضة عند نهاية وادي الغدف.

(2) كذلك الفدعان والسبعة عام 1935م.

(3) جدول جيس، ملحق 1.

تكدرت من جديد. أراد الفرنسيون تطبيق سلام دير الزور على الفدعان والرولة أيضاً، لكن هذا لم يصمد طويلاً. عندما حدثت اصطدامات بين الرولة والسبعة في شباط من عام 1929م، إنحاز الفدعان فوراً إلى الأخيرين. لذلك، يستبعد أن يدوم السلام الأحدث، الذي عقد عام 1930م بينهما، فترة طويلة[1].

لم تخل حياة الفدعان من توترات سياسية داخلية، نظراً لاستقلال الولد والخرصة ولأن علاقات أسر شيوخهما، ابن مهيد وابن قعيشيش، ليست في أحسن حالاتها. وقد مرت القبيلتان في أوضاع حربية أحياناً، كما حدث عام 1921 ـ 1923م. أثناء الحرب العالمية، إنضمت مجموعة جديدة إلى المجموعتين القائمتين، تشكلت حين تبع قسم من الولد الشيخ الشاب مقحم «مجحم» ابن مهيد، وبقي قسم آخر على ولائه لخاله حاكم «حاجم».

برزت المجموعات الثلاث، في الفوضى التالية للحرب، كمجموعات منفصلة بعضها عن بعض[2]، فانضم ولد الشيخ مقحم «مجحم»، الذين كانوا يخيمون على الجانب الأيمن من الفرات، إلى الفرنسيين، عندما احتل هؤلاء حلب عام 1920م. وانحاز حاكم «حاجم»، بالمقابل، إلى القوميين الأتراك، الذين عملوا منذ خريف عام 1919م ضد الفرنسيين في شمال سورية وبلاد الرافدين. أما مهيد بن قعيشيش، شيخ الخرصة وعدو الفرنسيين المعلن، فقد حالت الغيرة القبائلية بينه وبين الانضمام إلى حاكم «حاجم». تمسك شيخا الولد بسياستهما، فقام حاكم (حاجم) منذ بداية عام 1921م بإزعاج الفرنسيين، إنطلاقاً من معسكره في الرقة، بينما غطى مقحم «مجحم» القوات الفرنسية الضعيفة، المرابطة في موقع دير الزور البعيد. أما الشيخ مزود فقد تخلى عن موقفه المستقل والتحق في أيلول من العام ذاته بالمعسكر الفرنسي. وكانت الخرصة قد قامت قبل أشهر من ذلك بأعمال عدائية ضد ولد حاكم «حاجم» ففقد مزود أحد أولاده خلالها. بعد اتفاقية أنقرة

---

(1) تيريه، ص29، 220.

(2) أنظر بالنسبة إلى ما سيلي تيرييه، ص47 و60 و113.

(تشرين الأول عام 1921م) التي أعادت السلام من جديد إلى حدود سورية الشمالية، إنتقل حاكم «حاچم» بن مهيد وأنصاره إلى الأراضي التركية، ثم التحق في وقت لاحق بالفرنسيين، ولأن مجموعته خيمت فيما بعد بين قلعة جعبر وجبل عبد العزيز، في منطقة الإنتداب الفرنسية، إلى أن انحلت بموته عام 1927م.

تعززت كثيراً سلطة الحكومة على الفدعان في السنوات الأخيرة: فأمكن عام 1928م إستبدال ضريبة الودي[1] بضريبة عينية تدفع غنماً[2]، وكانت تقتصر في العصر التركي على قبائل نصف الرحل دون غيرها. فضلاً عن ذلك فإن الولد يصبحون يوماً بعد يوم أميل إلى الهدوء والسلم، بينما يحافظ الخرصة على طبيعتهم البدوية

---

(1) العائد عام 1926م: 3300 ليرة تركية (ذهبية)، يضاف إليها 2400 ليرة عقوبات مالية عن أضرار حادثة. تيرييه، ص110.

(2) ضريبة مواشي.

أسر شيوخ الفدعان

أسقطت أسرة ابن غبين، أسرة شيوخ الفدعان القديمة، حوالى منتصف القرن التاسع عشر. ومنذ ذلك الحين، يفتقر الفدعان إلى قيادة موحدة، مع أن أسرة شيوخ الولد تمارس نفوذاً قوياً على القبيلة بمجموعها.

ينحدر المهيد من أصول تتمتع بقدر عظيم من الاحترام. ويدينون بسلطتهم إلى جد الشيخ الحالي، جدعان، الذي انتزع في الخمسينيات، وهو شاب بعد، السيطرة على الولد من جاعد بن حريميس[1].

أمضى جدعان حياته في حروب متواصلة. فقد كان قائداً حربياً بالولادة، أظهر حنكة خاصة خلال هجوم مباغت شنه على الأتراك عام 1857م، ومن ثم عندما اجتاز بقبيلته وقطعانها الفرات، وأنزل ضرراً شديداً بالعدو[2]. ثمة مسحة من الرومانسية تميز علاقة جدعان بعبد الكريم، شيخ شمّر: ذلك أن ثأراً دموياً اضطر

---

(1) حسب مقحم «مجحم» بن مهيد، الذي زعم مرة أخرى أن أسرته تترأس الفدعان منذ مائتي عام، أي منذ تركي ابن مهيد الذي قتل جبر بن الغبين. إلا أن عديداً من المراجع تؤكد أن القيادة كانت حتى مطلع القرن التاسع عشر للغبين. أنظر روسو: رحلة من بغداد إلى حلب (1808م)، ص123. بوركهاردت: ص241. جدول لامارتين، داموازو: رحلات على الخيل (1819م)، الجزء الأول، ص96 (بالفرنسية). تيرييه، ص110.

(2) رامبليس، ص30. بلنت، الجزء الأول، ص30.

والد جدعان إلى طلب الحماية في خيمة صفوق، زعيم شمّر، فترعرع جدعان وعبد الكريم معاً. حافظ الرجلان على أواصر الصداقة التي انعقدت في شبابهما، رغم المعارك التي اضطرا إلى خوضها ضد بعضهما البعض. ويحكى أن عبد الكريم أهدى جدعاناً حصاناً سريعاً كان قد أنقذ حياته خلال معركة فاشلة مع الفدعان، وأرفقه برسالة تقول إنه سيعرف كيف يثأر لهزيمته، وهو ما حدث في الاشتباك التالي، الذي نجا جدعان خلاله بفضل هدية عدوه النبيل[1].



سليمان بن قعيشيش ـ شيخ فدعان (1913م)

بلغ جدعان أوج قوته في سبعينيات القرن، حين صار قائمقام العربان في حلب[2]، ونال لقب البيك، المرتبط بهذا المنصب، وتلقى قرى وأراضي عديدة في جبل شبيث من الحكومة. إنتهت حياة جدعان، مثلما بدأت، بالحرب: فقد

(1) رامبليس، ص5. يستند بلنت على هذ المرجع (دون أن يسميه) ويضيف إليه بعض التزيينات. بلنت: الجزء الأول، ص122.

(2) ساخاو: رحلة في سورية وبلاد الرافدين، ص304.

جاءت الرولة عام 1877م إلى الشمال، حيث تكاثرت قطعانها بفضل سنوات من الرعي الجيد وصارت منطقتها أضيق من أن تفي بحاجاتها، واحتلت مراعي السبعة في حماه، بعد أن نالت موافقة السلطات عن طريق دفعات بلغت ضعف ما كان السبعة قد حددوه من رسوم للتسوق والرعي. عندما أرادت السبعة الدخول إلى المنطقة، طردتهم قوات تركية مسلحة ونهبت معسكرهم. عندئذ، عينوا جدعاناً عقيداً لهم، بسبب افتقارهم إلى قادة ملائمين، وبدأوا الأعمال العدائية ضد الرولة، التي حاولت تكرار ما قامت به في العام المنصرم خلال رحلة ربيع عام 1878م، فوجدت الطريق مغلقاً واضطرت إلى التخلي عن مشروعها[1]. ولم يشهد جدعان نهاية هذه المعارك، لأنه توفي مطلع الثمانينيات.

واصل تركي، ابن جدعان، الحرب ومنذ أن كان فتى شحن صدر أبيه بالغم بسبب تخيلاته وميله إلى المبالغة في تقدير نفسه[2]. وأثار تركي الرولة بغزواته ودفعها إلى طلب دمه. وقد وجد صهره الأريب، سطام بن الشعلان، نفسه مكرهاً على القيام بهجوم معاكس، وأرسل إلى تركي يبلغه سراً بالخطر المحدق به. لكن هذا استخف بالتحذير، وقبع في معسكره ينتظر بهدوء قوى العدو المتفوقة. وقد سقط في عراك بالسلاح الأبيض (1887م)، وصفه شاعر الرولة، خلف الإذن، في أبيات مفعمة بالمبالغة[3]، تزعم أنه هو الذي عاجله بالطعنة القاتلة. إستعرت، بعد موت تركي، الحرب بحدة وبصورة مضاعفة، وفشلت الرولة في إقامة السلام من بعده. ولم يعقد الصلح ويتم التغاضي عن الدم المسفوح (1900م) إلا بعد تدخل "المحايدين" من أمثال ابن مرشد وابن هذال. رفضت أخت تركي "رفعا" التنازل عن حقها في الثأر. وعندما علمت أن أحد قتلة تركي حل في معسكرها، إنقضت

---

(1) بلنت: الجزء الأول، ص69. الجزء الثاني، ص89 و100 و139 بلنت: رحلة إلى نجد، الجزء الأول، ص3 و249 (بالانجليزية).

(2) بلنت (قبائل البدو)، الجزء الثاني، ص83.

(3) هناك تقارير مختلفة يتم تداولها حول موت تركي المأساوي، نجد اثنين منهما لدى موزيل: الرولة، ص593. يقع قبره في الهريان، جنوب غرب البوكمال.

على خيمة الضيوف ورمته بطلقة من مسدسها فأصابته بجرح خطير[1].

خلف تركي وراءه ولدين صغيرين هما مقحم «مجحم» ومحمد، وابن عم في التاسعة عشرة من عمره هو حاكم «حاچم»، الذي ترعرع في خيمته. هذا القريب نصبته أسرة مهيد شيخاً لها، كما اعترفت به الحكومة أيضاً، ثم تلقى في وقت لاحق الألقاب ذاتها التي كانت لجدعان. تتضمن وثائق تنقيباتي في تل حلف الانطباعات التي حصلت عليها عند زيارتي لحاكم. وقد قال جابر فيها: "إن العلاقة بين حاكم «حاچم» وقريبه الفتى، الذي كان يجب أن تؤول المشيخة إليه قانونياً، كانت طيبة جداً، حين زرتهم في معسكر عين عيسى (في أيار من عام 1913م). كان حاكم «حاچم» متزوجاً بابنة فارس، شيخ شمّر، بعد أن طلق زوجتين سابقتين كانتا ابنتين لتركي، فعاشتا في خيام أخوتهما. وكان رجلاً متوسط القامة، له لحية سوداء مدببة وطليقة، نحيف الجسم مع انحناءة خفيفة في الظهر، كيّس وذكي وحكيم. إنه القائد السياسي، بينما يحتل ابن عمه الشاب محمد موقع العقيد، بمظهره الذي يدل على أنه رجل حرب حقيقي. أما شقيقه الأكبر مجحم فيعطي انطباعاً بأنه بارد الأعصاب إلى أبعد الحدود. وعلى رغم أنه لا يشارك إلا قليلاً في الحروب، فإن اسمه يرد كثيراً في تاريخ قبيلته والبدو الآخرين".

تولى مقحم «مجحم»، بالإتفاق مع حاكم «حاچم»، قيادة قسم من القبيلة قبل الحرب مباشرة. وقد تكاثر أنصاره بسرعة إلى درجة يمكن معها اعتباره الزعيم الحقيقي للقبيلة بأجمعها. وفي الوقت الذي قرر فيه حاچم خوض الحرب من أجل مملكة فيصل السورية، ثم إنحاز فيما بعد إلى القوميين الأتراك، أيد مجحم الإنتداب الفرنسي[2]، وتلقى وسام الشرف وعين في خريف عام 1920 زعيم عنزة حلب، أي قبيلتي الفدعان والسبعة مجتمعتين. ولم يستطع مقحم «مجحم» إنجاز المهمات التي توقعتها الحكومة منه، لجهلها التام بنفوذه الفعلي، وإن نجح بالمقابل،

---

(1) هذا ما يقوله تقرير أحد رجال الحسنة (كانت رفعا متزوجة من شيخ الحسنة سعود بن ملحم) عام 1903م. يزعم مجحم، ابن تركي، أن القاتل مات متأثراً بجراحه.

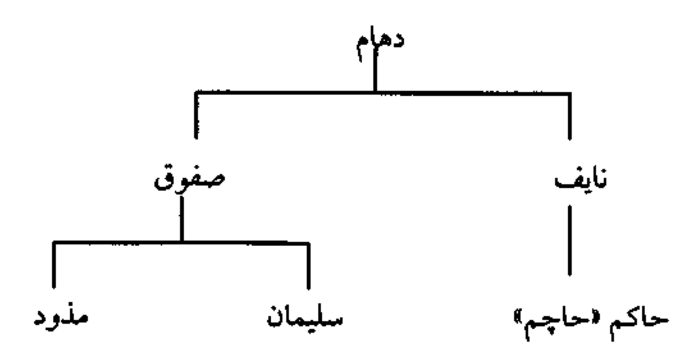
(2) تابع أيضاً دوجونتان ـ بيرون: كيف وطدت فرنسا أقدامها في سورية، ص284 (بالفرنسية).



حاجم بن مهيد (على اليمين) وابن عمه مجحم «مقحم» (على اليسار) ومحمد في الوسط، شيخ مشايخ فدعان ـ عنزة (1913م)

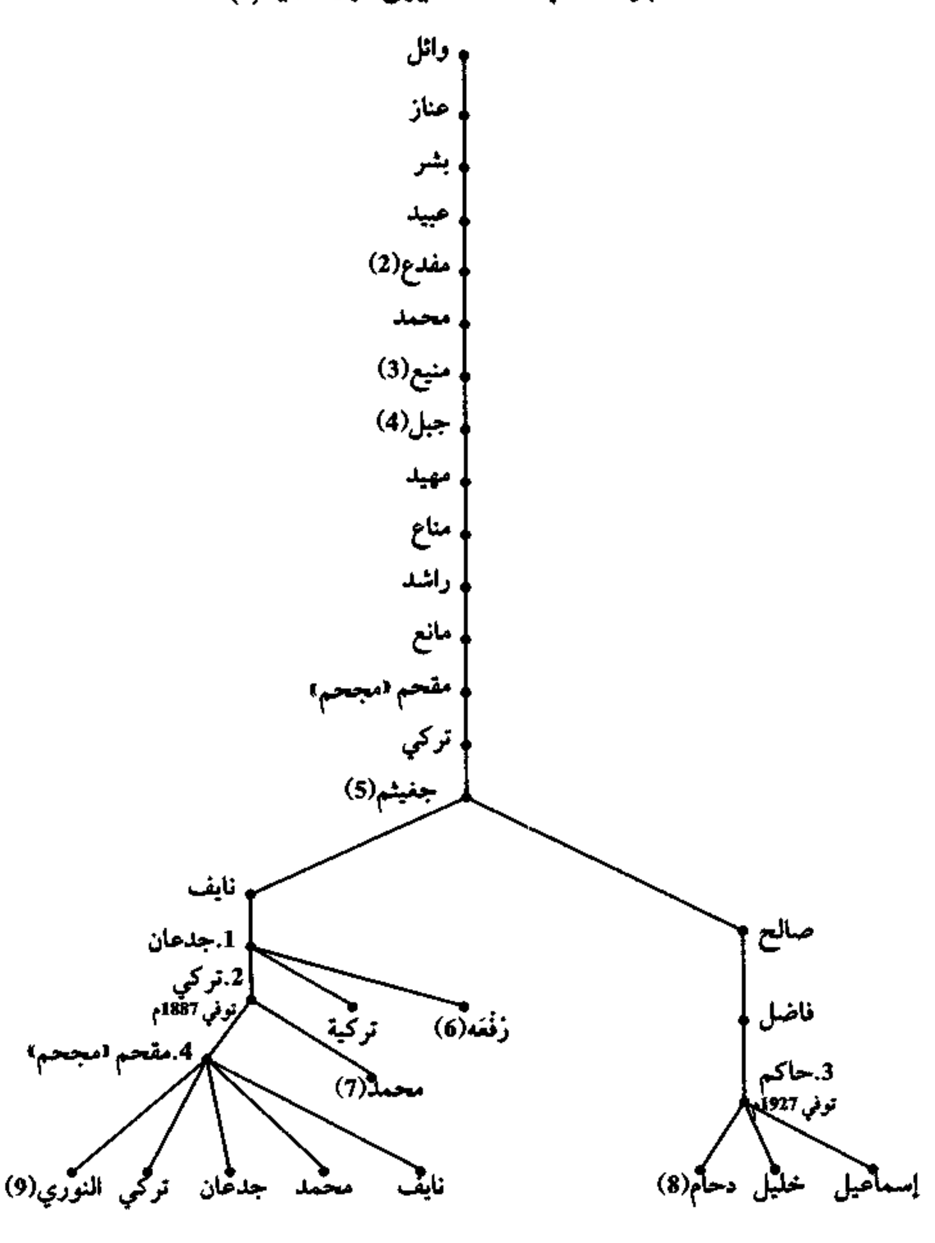
في وضع مجموعة الفدعان الخاصة به تحت تصرف الفرنسيين. بقيت علاقات مقحم عادية مع حاكم، بل إنه أرسل له خلال الحرب قوات تشد أزره وتسانده ضد الخرصه. بعد وفاة الأخير (31/ 12/ 1927م)، صار مقحم «مججم» زعيم الولد الوحيد والشيخ الأكثر أهمية للفدعان. بالإضافة إلى ذلك، تمتع بنفوذ بيته التقليدي على السبعة، وخاصة منهم العبيد، واعتبرته القبائل الصغيرة قرب الباب ومنبج، والتي كانت تودع قطعانها في الشتاء عند الولد، قائداً لها. يمتلك مقحم «مججم»، إلى جانب ما ورثه من أملاك عن جده جدعان، قريتين على الفرات. وقد اشترى مؤخراً أرضاً على البليخ قرب عين عيسى بنى بيتاً فيها. يتمتع الشيخ بثقة حكومة الانتداب، التي تمده بالمال رغم انتسابه إلى الحزب القومي منذ وقت طويل. وهو اليوم (1937م)، كما كان في الماضي، نائب في البرلمان.

تمتلك أسرة شيوخ الخرصة (ابن قعيشيش)، كمنافسيها من آل "ابن مهيد"، تقاليد قديمة، إلا أننا لا نعرف غير ثلاثة أجيال منها فقط[1]:



(1) يذكر ابن قعيشيش أقدم، اسمه حمدان، عام 1234هـ/ 1818م. دوحة، ص 318.

مشجرة نسب عائلة شيوخ ابن مهيد(1)



ملاحظات حول مشجرة نسب شيوخ بيت ابن مهيد

1 ـ سجلت يوم 19/5/1913م (دون الجيل الأخير). الراوي: مقحم بن مهيد. قارن، فيما يتعلق بالأجيال الخمسة الأقدم، قارن شجرة نسب عنزة.

2 ـ الأب الأول للفدعان.

3 ـ الأب الأول للضنا منيع. قارن الملاحظة 4 حول الجدول.

4 ـ جبل. قارن ملاحظة 63 حول الجدول.

5 ـ بمناسبة تسجيل ثانٍ: كرثم.

6 ـ عاشت "رفعا" بعد طلاقها من سعود بن ملحم، شيخ الحسنه، مع أم تركي خزنه في واحدة من قرى المهيد.

7 ـ سقط حوالى نهاية الحرب العالمية إبان غزو استهدف شمّر.

8 ـ إبن حربة، أخت مقحم، وكان لأخيه خليل أم اسمها عفرا بنت فارس الجربة، وكذلك لاسماعيل أم شركسية. وقد قتل إسماعيل في آذار من عام 1938م في معركة ضد الولده. الشرق الحديث، الجزء الثامن عشر، صفحة 161 وما يليها، وص235.

9 ـ أمه امرأة من الفدعان، بينما أم أخوته الأربعة هي إبنة أخت نوري ابن الشعلان واسمها طرفة بنت محمد.

قاد دحام الخرصة حوالى عام 1860م عبر الفرات[1]. وحكم نايف في نهاية السبعينيات[2]. وتنازل حاكم عام 1913م عن المشيخة لمذود. تقول وثائق البعثة ما يلي حول هذه الواقعة: "عندما زرت عام 1913م الخرصة في معسكرها في عين البيضا، جنوب غرب جبل عبد العزيز، كانت المشيخة لا تزال لابن عم مذود حاكم بن نايف، الذي كانت مكانته قد اهتزت كثيراً آنذاك. وكانت العلاقات التي أقامها مع حاكم بن مهيد، غير مقبولة في نظر الخرصة العريقين، وخاصة منهم ابني عمه مذود وسليمان. أقام مذود روابط جد وطيدة مع الأتراك، وفرض عام 1912م ضم الخرصة إلى دير الزور، وكانوا تابعين إلى حلب كغيرهم من الفدعان، الأمر الذي أضعف سلطة حاكم بن مهيد وحاكم بن نايف. يفسر هذا لماذا كانت علاقة الخرصة مع الفدعان باردة، ولماذا تقاربت مع شمّر، لا بل إنها ذهبت عام 1912 مع قريبها محمد الشيوخ، شيخ شمّر، إلى الحضر.

خلال إقامتي في عين البيضا، تعرفت فقط على سليمان ابن قعيشيش، شقيق مذود، النشيط والكثير الحركة، والذي كرس نفسه للشؤون الحربية. فيما بعد، إلتقيت في الرقه بمذود وابن عمه حاكم.

منذ حصوله على المشيخه، إكتسب مذود صيت قائد جسور، كما يؤكد ذلك لقب "النمر" الذي لازمه. وقد تحدثنا أعلاه عن سياسته بعد الحرب[3].

(1) كان عام 1870م لم يزل في الحكم. أنظر مجلة Zdpv، المجلد 23، ص49.

(2) بلنت: الجزء الثاني، ص190.

(3) خلفه في الفترة المنصرمة شيخ آخر هو عبد العزيز ابن قعيشيش.

سبعة

رغم أن السبعة ليسوا أقل عدداً من الفدعان، فإن قوتهم السياسية والعسكرية محدودة. لذلك كثيراً ما تركوا عبء المعركة للفدعان خلال الحروب التي نشبت بين الضنا مسلم والبشر. وإنه لأمر ذو دلالة أن المفوض السامي الفرنسي لم يتدخل في أحدث اشتباك نشب بين الرولة وبينهم (شباط 1929م) إلا بعد انخراط الفدعان في المعركة[1]. يقترن هذا النفور من الحرب بنقص في تماسك القبيلة، التي تفتقر إلى شيخ أعلى، ولا تشكل مجموعتا ابن مرشد وابن هديب، اللتان تسميان عادة القمصة والعبدة، وحدات تقوم على رابطة الدم، كالولد والخرصه لدى الفدعان، بل هي تجمعات نشأت، بالأحرى، بالمصادفة الصرفة.

تفوق أهمية السبعة الاقتصادية أهميتهم السياسية، فهم مربو جمال وخيل موهوبون. وقد بدأت القمصة تمارس مؤخراً الزراعة الحقلية، وأعادت تشغيل منشآت ري قديمة شرق سلمية. تعتبر حماه سوق السبعة[2]، التي يمضون الصيف بقربها: العبدة إلى شمال شرقها والقمصة إلى جنوب شرقها. في الخريف ترحل السبعة من سلمية عبر اسريّه وقديم إلى السخنة (قمصه) أو إلى جبل بشري (عبدة) ومن هناك إلى الصحراء السورية (وادي المياه ـ وادي حوران، وأحياناً حتى وادي الغدف).

---

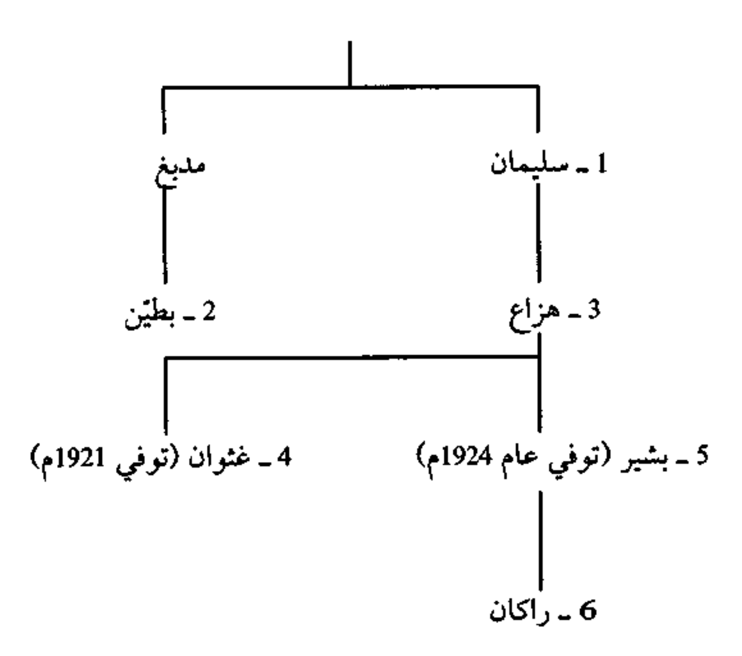
(1) تيرييه: ص29 و220.

(2) يأتون بالتمر في قوافلهم الخاصة من واحة شثاثة. تيرييه، ص69.



فرحان بن هديب وابنه، شيخ مشايخ سبعة . عنزة (1899م)

لا تتمتع أسرتا شيوخ السبعة من ابن مرشد وابن هديب بأية شهرة خاصة. أما آخر شيوخهم المهمين، فهو سليمان ابن مرشد، الذي توفي حوالى عام 1875م بسم يزعم أن حاكم دير الزور أمر بدسه له[1]. وليس هناك الكثير مما يمكن ذكره حول خلفائه[2]:



كان الشيخ الشاب راكان منفتحاً على الأفكار الجديدة. وقد بذل جهوداً حثيثة من أجل توطين قبيلته، وتزوج من إحدى بنات نواف، شيخ الحديدين السوريين، وانتخب عام 1936م نائباً في البرلمان.

ليست قبيلة ابن هديب من عنزة. إنما من حرب وتربطها صلة قرابة بأسرة

(1) ابتون، ص237 ـ 245. بلنت: الجزء الأول، ص68.

(2) تابع موزيل: رولة، ص418. بلنت، الجزء الثاني، ص104. تيربيه، ص30. يحكون في سورية عن علاقة حب بين غثوان وأميرة من كليرمون ـ تونير، يقال إنها حررت أباه من السجون التركية.

الفرم، إحدى أسر شيوخ هذه القبيلة الحجازية الكبيرة. هذا ما يدعيه على الأقل حرب من بلاد الرافدين. يعتبر فارس أول شخص من آل "ابن هديب" الذي يورد الرحالة اسمه في تقاريرهم. وقد توفي عام 1869م[1] بعد أن بلغ من العمر عتياً. أما خلفه الثاني فرحان بن معجون، فكان شخصية جذابة، إنقلبت كياسته إلى ضعف لدى ابنه الشيخ الحالي برجس بن فرحان، الذي أفسدته إقامة طويلة في مدرسة العشائر بالقسطنطينية، وسنوات خدمة عسكرية طويلة كان خلالها ضابطاً في الجيش التركي. ترك برجس انطباعاً بائساً لدى موزيل، فحتى عبيده الخاصون كانوا يعصون أوامره[2]. وقد بدد الثروة التي ورثها عن والده، وبلغ من سوء حاله أنه استعار في رحلته الخريفية عام 1926م، الجمال التي نقلت خيمته.

(1) رامبليس، ص163. ابتون في مجلة فريزر، المجلد 15، ص 443 (خلفه ابن أخيه معجون، تابع مجلة Zdpv المجلد 23، ص52).

(2) بادية تدمر، ص53.

عمـــارات

ليس في حوزتنا الكثير من أخبار العمارات. يرجع هذا إلى قلة الزيارات التي قام بها الرحالة الأوروبيون إلى منطقتهم في عمق هيت وكربلاء، بالمقارنة مع الأجزاء الأخرى من الصحراء السورية. تقدم الصحائف الوهابية بعض المعلومات حول تاريخ القبيلة الأقدم. وتخبرنا أنهم كانوا يسكنون منطقة امتدت آنذاك من النهاية الشمالية للدهناء إلى سُدير، ومن جبال شمّر إلى شرق جزيرة العرب[1]، وقاتلوا منذ عام 1758م مع قبيلة بني خالد، عدوة الوهابيين اللدودة. لكنهم غيروا موقفهم، بمجرد أن تأكدوا من انتصار النحلة الجديدة تلك، وشرعوا يقاتلون منذ عام 1786م إلى جانب الوهابيين[2]. بدأت هجرة القبيلة بعد ذلك بقليل، فقد انتشرت عام 1808م لأول مرة أقوال عن وجود العمارات في الشمال. ويذكر روسو، قنصل فرنسا في بغداد، بأن المطارفة (آ III ا جيم د) كانوا من بين البدو الذين يفرضون

(1) يترتب هذا على المعطيات التالية: التيسيه «التيوس» (تيسية عنزة)، منطقة العمارات القديمة، موزيل: شمال نجد، ص170: مضرب عنزة عند مبيض، روضة الأفكار لعام 1195 للهجرة. جبل شمّر هو مكان سكن الصقور، إحدى قبائل العمارات، جدول شبرنغر، رقم 88: سلقا في الاحساء، بوركهاردت، ص309.

(2) عنوان، ص33. روضة حول سنوات 1188هـ و1195هـ و1196هـ و1200هـ. في النص يدور الكلام عن عنزة فقط في هذه الأماكن جميعها، لكن الذكر المتكرر لأسرة الشيوخ ابن هذال يثبت أن المقصود كان العمارات.

ضرائب على طريق قوافل بغداد ـ حلب. وبعد عشرة أعوام من ذلك تجمعت لدى الحكومة معلومات دقيقة عن الصقور، الذين "يخيمون غالباً في منطقة حلب، لكنهم يتمونون كل عام في الحلة والحسكة (الديوانية)"[1]. بقيت علاقات المهاجرين بموطنهم حية، لذلك قاتلت أسرة شيوخ ابن هذال من عام 1812م إلى 1815م في الحجاز، وفي القصيم خلال العشرينيات ضد قوات الاحتلال المصرية/ التركية[2]، لم تنقطع أواصر العمارات مع جزيرة العرب إلا بعد عام 1860م، حين غادرت مجموعة ثانية كبيرة منهم المنطقة بين القصيم والدهناء، واتجهت شمالاً.[3]

منذ ذلك الوقت، يمكن اعتبار (Wadi el Cherr) وادي الشر، الذي يبدأ غير بعيد عن النفود وينتهي في مستنقعات النجف، حدوداً جنوبية للعمارات. وإن كانت بعض أقسامها (الدهامشة) تتجاوزه إلى الجانب الآخر[4]. ويبدو أن الحدود السورية صارت الآن مانعاً أمام حركتهم، هم الذين كانوا يصلون في السابق إلى الرقه وضواحي حلب[5].

تشكل أراضي غرب كربلاء مع واحتي رحالية وشثاثه منطقة العمارات المركزية، الذين يمضون الشتاء في الوديان المنحدرة من السفح الشرقي لهضبة الصحراء السورية، ويتوغلون في الربيع شمالاً إلى القعرا، الذي يخليه الفدعان والسبعة في هذا الوقت. ويقودهم الترحل في نهاية الصيف إلى ما وراء الفرات،

---

(1) دوحة، ص315.

(2) بوركهاردت: ص309، نجد الشمالية، ص271.

(3) تابع فيتسشتاين في المجلة الجغرافية العامة، المجلد 18، ص11، ودوتي، الجزء الثاني، ص400.

(4) مضرب للدهامشة شرق لينه، موزيل: نجد الشمالية، ص619. تابع خارطة موزيل حول شمال جزيرة العرب.

(5) خيم العمارات عام 1860م إلى الشرق من تادف. رامبليس، ص275. في أيار في عام 1913م وجدت مضرباً للعمارات، وبالتحديد للسلقا (حسنة ومضيان) قبالة الرقة، وفي عام1929م عثرت على العمارات إلى الشمال من الرصافة على الفرات.

بين الفلوجة وبغداد، قبل أن يعودوا من هناك إلى مقراتهم الشتوية مروراً بكربلاء.

تحدد موقع العمارات في تحالفي عنزة منذ أن قاموا بتقدمهم في الصحراء السورية لمنع ضنا مسلم من الوصول إلى الفرات[1]. ففي آخر اصطدام بين المجموعتين وقفت العمارات إلى جانب الفدعان ـ السبعة ضد الرولة. ـ لم يقم أي تماس إلا نادراً بين الأتراك والعمارات، لأن هؤلاء كانوا يخيمون معظم السنة داخل الصحراء، ويمضون أغلب وقتهم في إمارة حائل. بعد وفاة الأمير محمد ابن رشيد (1897م) قام الشيخان فهد بن هذال وعقيل بن مجلاد بالتعاون مع بطين بن مرشد من السبعة بغزوة ضد شمّر، إنتهت بهزيمة نكراء نزلت بهم قرب تبال «تيبال» (على مسيرة أربعة أيام غربي كربلاء). وسوف نتحدث عن عملية أخرى في فصل الرولة.

ينقسم العمارات إلى عمارات بالمعنى الضيّق (جبل). وهم قبيلتا صقور وسلقا اللتان يتزعمهما ابن هذال، والدهامشة بزعامة ابن مجلاد. يفتقر الجبل والدهامشة كلاهما إلى إرادة سياسية موحدة، وقد فصم شرخ تم خلال الحرب العالمية ما كان بينهما من عرى، حين التحق الشيوخ المعترف بهم فهد ابن هذال وجزاع بن (راكان) بن مجلاد بالانجليز، تبع ابن هذال آخر، هو فهد بن ضغيم، ومحمد بن (تركي) بن مجلاد الجانب التركي[2]. عندما نصب الانجليز بعد الحرب فهد بن هذال زعيماً على مجموع العمارات، هاجر فهد بن دغيم مع أنصاره وابنا مجلاد مع الدهامشة شمالاً، وانتقلوا في صيف عام1920م إلى منطقة الانتداب الفرنسية. ومع أنهم عادوا من جديد إلى ما وراء الحدود في الشتاء، فإنهم رجعوا عام 1921م مجدداً إلى البادية التدمرية. لكن حكومة العراق نجحت عام 1925م في إعادتهم إلى أراضيها[3].

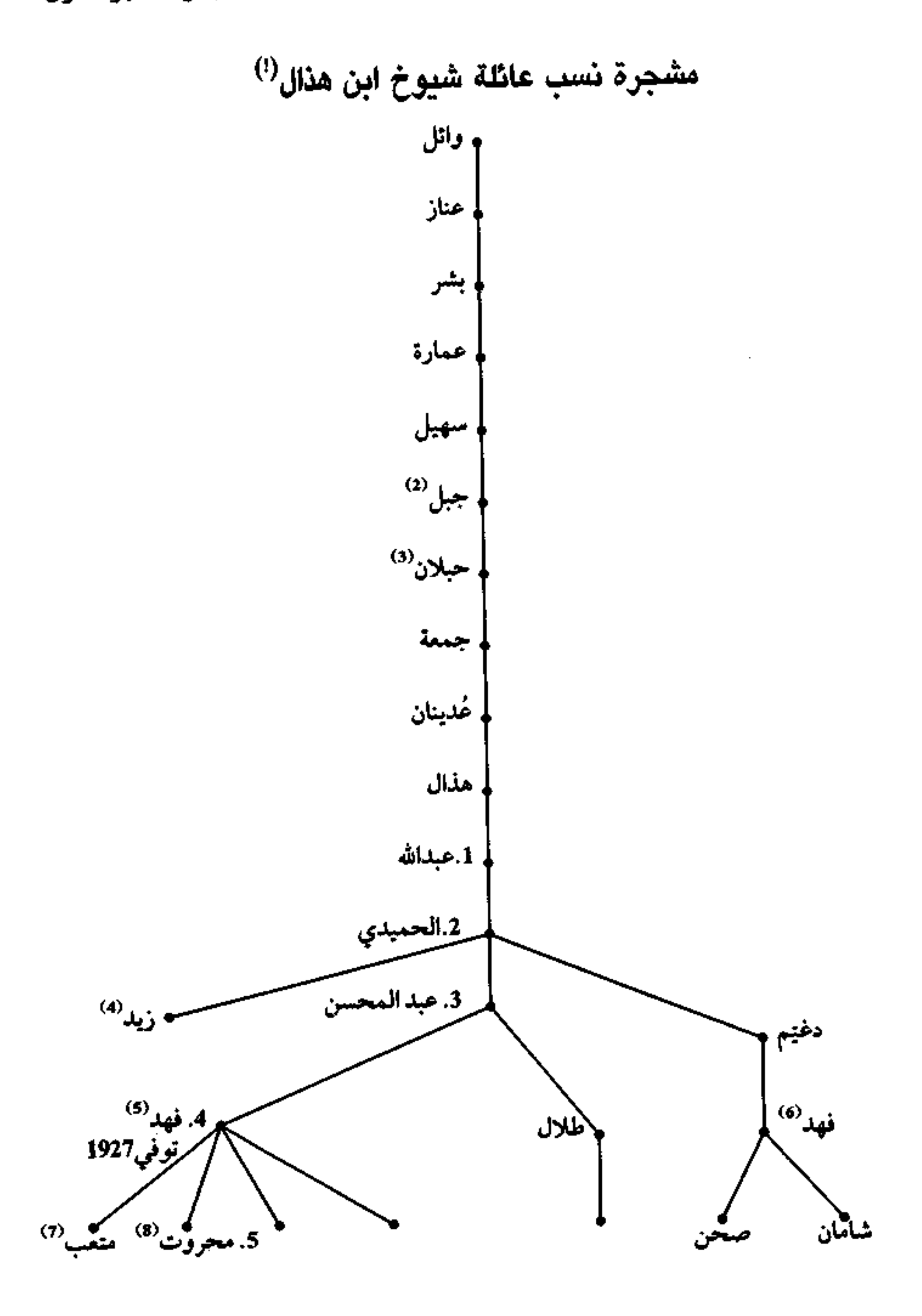
---

(1) قارن موزيل: رولة، ص521 و619.

(2) فيلبي، الجزء الأول، ص256. الملاحظة الأولى، ص369.

(3) لم يشأ محمد (التركي) ابن مجلاد الإنصياع للانجليز، أي لفهد بن هذال، وانضم إلى الوهابيين. وقد شن غزوات سلب ونهب على قبيلته، أحرجت آل سعود سياسياً فوجب عليه العودة من جديد إلى العراق. أنظر: أم القرى، رقم 161 و165.

مشجرة نسب عائلة شيوخ ابن هذال[1]



ملاحظات حول مشجرة نسب أسرة شيوخ ابن هذال

1 ـ وصلتنا شجرة النسب من مصدر ثانوي، لذلك أهملنا أعضاءها الذين لم يتأكد انتماؤهم إليها عبر استقصاءات أخرى، وهم: هذال بن عبد الله، صفوق بن ماجد بن عبد الله، فالح بن زيد، الأخوة جدعان، فرحان، مطلق، ومجول أولاد تامر بن الحميدي، وأخيراً نايف بن صقر بن دغيّم.

في ما يتعلق بالأجيال الأقدم، تقارن شجرة نسب العنزة.

2 ـ الأب الأول للجبل.

3 ـ الأب الأول للحبلان. (أ III 1 ألف)

4 ـ مذكور تحت عام 1818م/ 1819م في دوحة صفحة 318.

5 ـ ينحدر ابنه الأخير ـ عطاالله ـ من زواجه من قطنه، أخت مجحم ابن مهيد.

6 ـ موزيل: جزيرة العرب. يخلط موزيل بينه وبين ابن عمه فهد بن عبد المحسن، في الفهرس على الأقل.

7 ـ ذكره موزيل مراراً، لكنه توفي في الفترة المنصرمة.

8 ـ ليس "محروث"، كما يذكر من حين إلى آخر. أمه: بنت التمياط (تومان ـ شمّر).

أسرة شيوخ ابن هذال[1]

يرجع التاريخ المثبت لقبيلة ابن هذال إلى عام 1551م، فهي إذن قبيلة قديمة. أما منصب الشيخ، فيبدو أنه تم تناقله بالوراثة من الأب إلى الإبن خلال الأجيال الخمسة الأخيرة ـ وهذا حدث غير عادي أو مألوف إلى أبعد حد. عاش عبد الله في مطلع القرن التاسع عشر على الأرجح، وتظهره إحدى حكايات كتاب فريزر: رحلات في كردستان وبلاد الرافدين. . . الخ (الجزء الأول، صفحة 381) في واحدة من تنقلاته في منطقة الفرات الأعلى. وبينما تميز ابنه الحميدي كقائد جيش وهابي ضد المصريين عام 1812 ـ 1815م[2]، فإن عبد المحسن ابن الحميدي يدخلنا إلى عمق القرن التاسع عشر، ويصل ابنه فهد بنا إلى الزمن الحالي. كان فهد بيك سياسياً رصيناً وأريباً، عينه الأتراك، كأبيه قبله، قائمقاماً على الرزازة، حيث عاشت أسرته الموسرة[3]. وقد رافق عام 1905م حملة عسكرية تركية من النجف إلى القصيم، وقدم فيما بعد خدمات طبية إلى الانجليز، إلى أن مات يوم 28/ 8/ 1927م وهو في الثمانين من العمر[4].

---

(1) لا مكان لبعض أفراد الأسرة من القدماء في شجرة النسب، مثل جديع ابن هذال، الذي قتل عام 1781م في معركة ضد المطير، ومشعان بن مغيلت بن هذال، الذي قتل بعد أربعين عاماً في معركة ضد القبيلة ذاتها. أنظر روضة الفكر، 1195هـ، وديوان وسط جزيرة العرب، رقم 62. موزيل: شمال نجد، ص271.

(2) تابع بوركهاردت، ص309، عنوان، ص105. في شتاء 1818م/ 1819م نصب مضاربه أمام نجد. دوحة الوزراء، ص315.

(3) سالنامة بغداد 1324هـ، ص285. ليس موقع المكان بعيداً عن كربلاء.

(4) الشرق الحديث، الجزء السابع، ص506.

حسنة

الحسنة هي أول قبيلة من قبائل عنزة تحصل على حق المواطنة في سورية. حدث هذا في بادية تدمر، التي كانت خاضعة حتى ذلك الوقت لسيطرة الموالي. ورث الحسنه منطقة انتشار سابقيهم وحق فرض الضرائب على قوافل طريق البصرة ـ بغداد ـ دمشق، وحلب[1]، وورثوا حق تقديم الجمال إلى حجاج بيت الله الحرام[2]. هذه الموارد المتنوعة، إلى جانب تنظيمها العسكري الخاص[3]، مكنا الحسنه من تحقيق تفوق طويل الأمد على أبناء قومها، الذين جاؤوا المنطقة بعدها، قبل أن يلعب عدد القادمين الجدد دوراً رجح كفتهم بالتدريج، إلى أن نجح ولد علي حوالى عام 1790م والفدعان والسبعة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، في إزاحتها عن مواقعها[4]. منذ ذلك الوقت، إنحدرت الحسنة بسرعة، حتى انها اعتبرت في السبعينيات "خائفة" من الحكومة، وأوشكت أن تذوب قبل الحرب العالمية في قبيلة ولد علي، التي

(1) منذ عام 1760م تقاسموا هذا الحق مع البشر، وبالتحديد منهم الفدعان، وفيما بعد مع ولد علي والعمارات. أنظر بوركهاردت، ص5. روسو: ص123

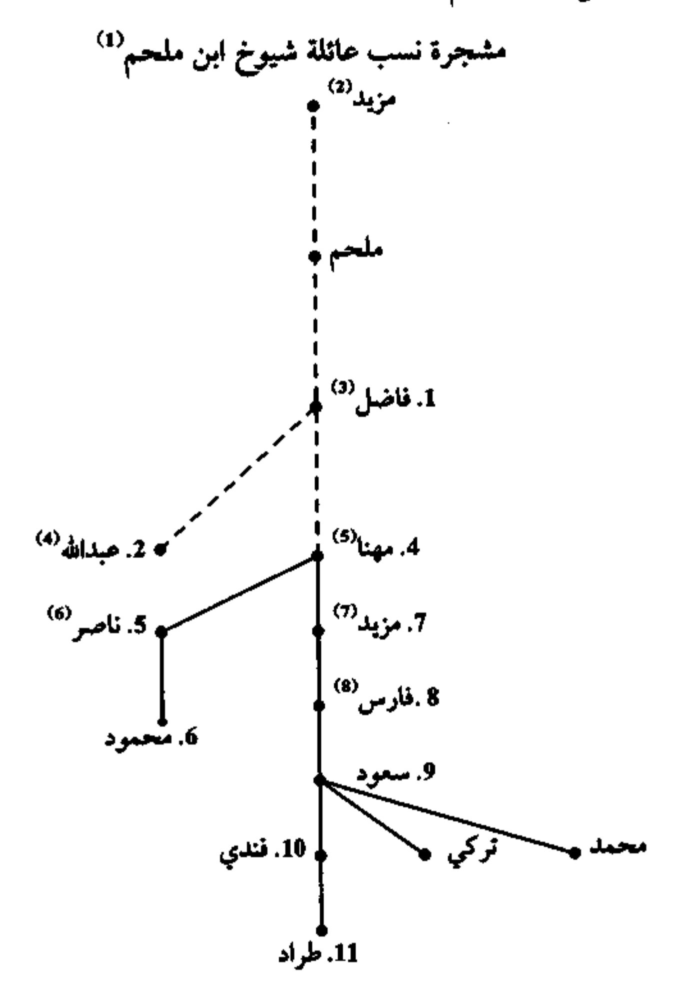
(2) عند داموازو، الجزء الثاني، ص117. بوركهاردت، ص308 يتحدث على كل حال عن صرة (مقدارها 50 كيساً = 1000 استرليني) بينما تذكر إيزابيل بورتون (1870م): الحياة الداخلية في سورية، فلسطين والأرض المقدسة، الجزء الأول، ص68، أن الحسنة يتلقون 180000 قرش، ظاهرياً مقابل تقديم 150 جملاً، وفعلياً بطريقة لا شرعية.

(3) كان المساليخ مرتزقة عند أسرة شيوخها. بوركهاردت، ص5.

(4) بوركهاردت، ص109 و249. رحلات السيدة استير ستانهوب، الجزء الثاني ص93 و175. ايربي ومانجلز: رحلات في مصر والنوبة، سورية وآسيا الصغرى، 255. يجد المرء صدى هذه المعارك في التقرير المدهش لحكاية فتح الله صغير، لامارتين ص299.

كانت تربطها بها صلة قرابة وثيقة. لكن الشيخ طراد الملحم، زعيم القبيلة النشيط، نجح في وقف أفولها، مستغلاً الأوضاع التي تغيرت آنذاك لصالح مربي المواشي الصغار. فيما بعد، توحدت قبيلتا الحجاج والمساليخ مع الحسنة من جديد، بعد أن كانتا تميلان إلى ولد علي. ومنذ عام 1923م انضم إلى طراد أقسام من النعيم والفواعرة، وكذلك أنصار عمر الملحم، لاعتقادهم أن حمايته لهم تقيهم من الغزوات. وفي رحلة الشتاء عام 1925م/ 1926م انضم إلى الحسنة الجزء الأكبر من هاتين القبيلتين، لكن هذا الدعم القوي خسرته القبيلة مرة أخرى عندما طالبهم طراد بدفع أتاوة مقابل حمايته لهم.

مشجرة نسب عائلة شيوخ ابن ملحم[1]



ملاحظات حول مشجرة نسب أسرة شيوخ ابن ملحم

1 ـ يشكل جدول ورد في كتاب رينود ومارتينه الموسوم: بدو دمشق (صفحة 15) أساس شجرة النسب التي بين أيدينا، ويضم أسماء أحد عشر شيخاً حاكماً من حسنه. ليست الفروع مذكورة، للأسف، في الجدول.

2 ـ لو لم يكن أقدم الشيوخ المعروفين، الشيخ فاضل، مذكوراً في روضة الفكر تحت اسم مزيد، لحاولنا ربط اسم الأسرة بالشيخ مزيد الأقل سناً. بالمناسبة، هل ينتمي بنو مزيد، الذين يذكرهم نيبور، إلى هذه الأسرة؟. (أنظر كتابه، صفحة 66).

3 ـ المقصود كابر عند هوفل ص274 (1778م)، وكذلك عند دوحة. ص226 (1800م)..

4 ـ لا يرد اسم عبد الله الفاضل إلا في جدول الشيوخ، أما من يليه، "عيدي القبلان الشهير بـ أخو مودي" فيصعب إدراجه ضمن الجدول. لذلك يسقط رقم 3 من شجرة النسب.

5 ـ مهنا الفاضل في جدول لامارتين. يذكر لأول مرة عام 1808م (روسو، ص123) ولآخر مرة عام 1818م (ايربي ومنجلس، ص260).

6 ـ تولى الحكومة في حياة أبيه، ويرجح أنه ذلك الشيخ الذي أعدم في الثلاثينيات إبان حكم إبراهيم باشا، واستبدل بابنه محمد. أنظر: دوكارامان، رحلة من حمص إلى تدمر (1837م) في مجلة الجمعية الجغرافية، باريس 1840م، صفحة 329.

7 ـ رحلات السيدة ايستر ستانهوب. الجزء الثاني، صفحة 123.

8 ـ قابل عام 1870م الليدي بورتون (حياة داخلية، الجزء الأول، صفحة 68) وعام 1878م بلنت (الجزء الثاني، ص92).

لا زال الحسنة في الطور الأول من التوطين. فهم رحل لكنهم يمتلكون قرى شرقي حمص، تزرع على يد أبناء القبيلة وبعض فلاحي الجوار. في الصيف، يقيم جزء من الحسنة في أراضيهم، وجزء آخر قرب بحيرة قطينة وإلى جوار بعلبك في البقاع. في أيلول، وعندما تكون المراعي قد استنفدت، ينقل هؤلاء خيامهم نحو الجنوب، إلى حسيه وصدد، ليغادروا بعد شهر أو شهرين المنطقة المزروعة إلى الحماد عبر الحوارين والقريتين وعين البارده والهلبا. عموماً، لا يتجاوز الحسنه منطقة الطنف جنوباً، وإن كانوا قد اصطحبوا أعوام 1925م/ 1926م و1929م/ 1930م الرولة إلى جبل عنازة.



سعود المزيد ـ شيخ مشايخ حسنه ـ عنزة (١٨٩٩م)

أسرة شيوخ الحسنة

تعتبر أسرة شيوخ الحسنة، التي يحمل أفرادها اسم ابن ملحم المزيد، قديمة جداً. وقد حافظت على احترامها وسمعتها الطيبة رغم التراجع الذي عرفته القبيلة. عاش الشيخ فاضل، الذي ترجع الأسرة إليه، في القرن الثامن عشر. وكان رجلاً بعيد النظر أدرك أهمية الوهابية في طور مبكر، وتواصل مع مؤسس مذهبها[1]. أما خليفته الثالث مهنا وأبناؤه، فعرفوا بفضل حكاية فتى الله (Fatalla) الصغير الرومانسية، التي أوردها لامارتين في "رحلته إلى الشرق"، وذكريات رحلة الليدي ستانهوب. بعد هؤلاء، يصعب إيجاد شيء يستحق الذكر حول شيوخ الأسرة، ذلك أن سعود ابن ملحم صار شخصاً حضرياً على وجه التقريب، لم ير الصحراء الداخلية إلا عندما كان فتى صغيراً، ثم مرة أخرى وهو شيخ، عند بدء الحرب العالمية[2]. ما زال فندي، ابن سعود، على قيد الحياة (1929م)، لكنه تنازل عن منصب الشيخ لطراد الشاب الذي سبق وتحدثنا عما قدمه للحسنة من خدمات جليلة. يعتبر طراد صديقاً للفرنسيين وقد انتخب عام 1936م نائباً في البرلمان.

---

(1) روضة الأفكار، الفصل الثالث.

(2) موزيل، الجزيرة العربية، ص388 وما بعدها.

ولد علي

ولد علي هي القبيلة الوحيدة من قبائل عنزة التي يمكن تحديد طريق ترحالها بدقة كبيرة. فقد تبعوا طريق الحج القديمة التي تمر بتيماء، وباير وأزرق[1]. وقد كانت معان أول الأمر حدهم الشمالي، الذي بلغوه حوالى عام 1700م[2]، ثم صار فيما بعد قلعة الزرقا[3]، وأخيراً سهل حوران، الذي بقي مقرهم الصيفي إلى يومنا هذا. يمضي ولد علي منذ وقت طويل الشتاء في الصحراء السورية، وكانوا يعودون من قبل إلى موطنهم القديم في هذا الوقت من العام. تفسر روابطهم هذه مع الحجازالمهمة التي تولوها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، أعني مرافقة قافلة الحجاج حتى مدائن صالح وتأمين الجمال اللازمة لذلك[4]. بهذا العمل

(1) تابع راسوان: مناطق القبائل وخطوط الهجرة لبدو شمال جزيرة العرب، المجلة الجغرافية، الجزء 20، ص498.

(2) شارك ولد علي بالتأكيد في الغارات المذكورة أعلاه، فيما بعد خيمت عشيرة الحمامدة بمفردها في معان. بوركهاردت، ص4. أيوب صبري: مرآة الحرمين، الجزء الثالث، ص269.

(3) يكتسب المرء من بوركهاردت، ص3 الإنطباع بأن قلعة الزرقا كانت الحد الجنوبي لولد علي، لكن صبري يذكر أن خيبراً كانت هذا الحد. هاتان المعلومتان أخذتا من مرجع (غير معروف) من القرن الثامن عشر، إستخدمه هذان المؤلفان في مجالات أخرى أيضاً. وقد حاول بوركهاردت التوفيق بين الملاحظة المعنية وبين ظروف عصره، التي شهدت تقدم ولد علي إلى حوران، بينما تركها أيوب صبري دون تغيير.

(4) هذا ما قاله أول الأمر مايو: البدو، الجزء الأول، ص122. تابع بوركهاردت، ص3.

المربح، وبحق الصره[1]، بقي ولد علي لوقت طويل القبيلة السائدة جنوب دمشق. ولكن في منتصف القرن التاسع عشر أدخل إلى منطقتهم شركاء جدداً هم الرولة، الذين سعوا إلى الحصول على حق الرعي في حوران. لا عجب إذن أن نشبت الحرب بين القبيلتين الصديقتين، اللتين ربطتهما صلة قرابة وثيقة أيضاً. في 19 تموز من عام 1858م حاقت الهزيمة بولد علي في موقعة تل الجوخدار بالجولان، لكنهم نجحوا بعد قليل في طرد العدو إلى ما وراء وادي اليرموك، بمساعدة سكان حوران[2]. مع ذلك، لم تجد القبيلة طريقة تحمي بها نفسها من الرولة، المتفوقة عددياً وتنظيمياً، فاضطرت أخيراً إلى الإعتراف بحقها في الرعي. بسبب ما ترتب على هذا الإعتراف، وعلى تعميم الزراعة، مما أدى إلى تقليص منطقة انتشارها، بدأت أعراض التدهور تظهر على ولد علي، فقد بدأت بالتخلي جزئياً عن تربية الجمال في السبعينيات، وبدأت تنتقل إلى الزراعة الحقلية في الثمانينيات[3]. وحين حرمها تشغيل خط الحجاز عام (1908م) من الإمتيازات المرتبطة بالحج، سقطت من صفوف قبائل الدرجة الأولى. ومع أن الشيخ رشيد ابن سُمير حاول إعادة إحيائها، فإن مسعاه ذهب أدراج الرياح. ثم فقدت القبيلة بعد موته تلاحمها، فلم يبق في رعايا أسرة ابن سُمير غير المستقرين من أبناء القبيلة، بينما تبع قسم آخر من رحلها أسرة الشيوخ الثانية، أسرة الطياروانضم قسم ثالث إلى الرولة.

تقع منطقة انتشار واستقرار ولد علي القديمة والحالية في النقرة، بين نوى ومزيريب، وتصل في الغرب إلى نهر الرقاد، أي إلى أراضي الجولان[4]، التي

---

(1) لاحظ معلومة بوركهاردت الغريبة (ص4)، التي تقول إن عشيرة طلوح كانت تتلقى الصرة من القسطنطينية مباشرة.

(2) فيتسشتاين: حوران، ص130. موزيل، الذي جمع التركة الشعرية لهذه الحقبة، يقول في كتاب الرولة إن الحرب دامت من عام1850م إلى 1864م تابع فون كريمر: وسط سورية ودمشق، ص201.

(3) بلنت، الجزء الثاني، ص121. تابع موزيل: صحراء جزيرة العرب، ص391 ـ شوماخر: عبر الاردن، ص110.

(4) شوماخر، ص104 والخارطة التي يوردها.

تنطلق منها في شهر آب، لتتبع أطراف اللجاة في طريقها إلى بحيرات المروج قرب دمشق، حيث يقام بين قريتي الكفرين والجديدة سوق بني سُمير، الذي يستمر طوال ستة أسابيع، فيعود بأرباح وافرة على التجار الدمشقيين، ولكنه يضايق الفلاحين إلى أبعد الحدود[1]. من جانبها، دأبت أقسام صغيرة من ولد علي، وخاصة منها الطيار، على قضاء الصيف في أراضي الحسنة، إلى الشمال من هذه المناطق. في وقتنا الحالي، تخيم مجموعة الطيار من جديد قرب الضمير، شمال شرق دمشق.

(1) فيتسشتاين: حوران، ص140.



سطّام الطيار ـ شيخ مشايخ ولد علي ـ عنزة (1899م)

أُسر شيوخ ولد علي

تمتلك ولد علي أسرتي شيوخ مختلفتين، مثلها في ذلك مثل الفدعان والسبعة والعمارات، هما ابن سُمير والطيار، اللتان لا تتعامل إحداهما مع الأخرىٰ بوصفهما قائدتين متساويتين لمجموعتين مستقلتين بهذا القدر أو ذاك، بل كشيوخ مشايخ وعقداء[1]. ذلك ما كان عليه الحال في السابق على الأقل. أما مؤخراً، فقد تطور لديهم تعايش شبيه بذلك الذي حدث عند القبائل الأخرىٰ.

يدين ابن سُمير بمكانتهم إلى علاقة وطيدة تربطهم بباشاوات دمشق عامة، وإلى العائدات التي يحصلون عليها من امتياز الحج خاصة. ليس بحوزتنا وصف للشيخ دوخي، أقدم شيوخ ابن سُمير. بالمقابل، توجد تفاصيل كثيرة عن ابنه محمد، الذي حكم ما يقارب نصف قرن[2]، أكثرها دقة ما كتبته الليدي بورتون (حياة داخلية، الجزء الأول، ص66) حول "تاليراند الأسود"، الذي كان في الجزء الأخير من عمره رجلاً مهيباً يبعث على الرهبة، فرض احترامه حتى على الموظفين الأتراك.

توفي محمد عام 1895م، ولحقه ثلاثة من أبنائه بسرعة إلى الموت. أما رابعهم، بندر، فقد تولى الحكم عام 1899م (رأيته يخيم آنذاك في النقرة، بجوار

(1) بوركهاردت، ص241.

(2) بلنت، الجزء الثاني، ص100. شوماخر: عبر الاردن، ص105.

الرولة). كان رشيد، خليفة بندر، على قدر عظيم من الاهتمام السياسي، وإن افتقر إلى حسن التقدير. وقد ألقى بنفسه بعد الحرب في أحضان الفرنسيين، دون أن ينجح في جعل قبيلته تحتل موقعاً قيادياً بالمقارنة مع قبيلة ابن الشعلان (الرولة). لذلك، إنسحب، تملاؤه الخيبة إلى عين ذكر، قرية أسرته في الجولان، حيث توفي عام 1922م. أما ابنه عناد، فليس اليوم أكثر من مجرد تابع لنوري ابن شعلان.

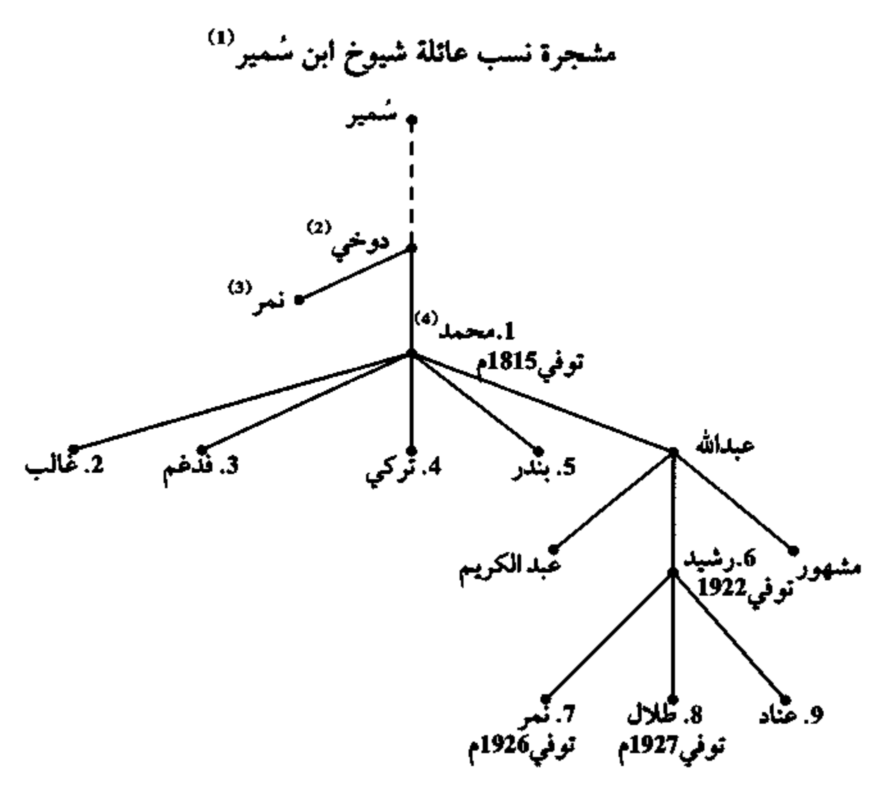
في عشرينيات القرن، حاولت أسرة الطيار إضعاف سلطة آل "ابن سُمير"، بعد أن استقلت بمجموعة خاصة بها من القبيلة: وفي نهاية التسعينيات، عبأ سطام ابن الطيار، الذي اختلف مع فدغم ابن سُمير حول اقتسام غنيمة حرب، قسماً من ولد علي. تدخلت الحكومة، عندئذ، وأجبرت سطام على التنازل عن مطالبه، وكلفته بمرافقة قافلة الحج بعائد قدره 60000 قرش[1]، على أن يتقاسمه مع أحد أقربائه[2]. وسقط سطام عام 1901م في معركة مع الدروز، تاركاً وراءه ولدين هما محمد وسلطان، مات أكبرهما بعد والده بقليل، فتولى ثانيهما مشيخة قبيلته.

أعطى تنظيم سورية الجديد بعد الحرب العالمية سلطان الطيار فرصة متابعة خطط والده. وقد اختار الوقوف إلى جانب الملك فيصل، وقاتل إلى خريف عام 1920م ضد الفرنسيين، لكنه لم يفز بأنصار كثيرين إلا بعد وفاة رشيد ابن سُمير (1922م). في عام 1925م، ألقي القبض عليه بسبب اشتراكه في ثورة الدروز، ثم أخلي سبيله بعد عام من ذلك.

---

(1) تسجيل من عام 1899م. موزيل: صحراء جزيرة العرب، ص390: 280 ليرة تركية (= 28000 قرش). تابع أيضاً معلومات أقدم، مثلاً لدى شوماخر: عبر الأردن، ص110 (300000 قرش). بورتون: الحياة الداخلية، الجزء الأول، ص68: 200000قرش (إسمياً من أجل تقديم 560 جملاً). بوركهاردت: ص308: 50 كيساً (25000 قرش).

(2) عبطان بن صالح هو، بحسب موزيل، أخ سطام. صالح كان حفيد الشاعر كنعان الطيار، الذي ورد اسمه لدى سيتزن.



ملاحظات حول مشجرة نسب شيوخ ابن سُمير

1 ـ الجيل الأخير بحسب تيرييه. الجيلان السابقان له حسب ملاحظات وضعت عام 1899م.

2 ـ بوركهاردت، ص3، جدول شبرنغر، رقم 145، جدول لامارتين.

3 ـ كان عام 1831م في خدمة إبراهيم باشا. أنظر كادالفين وبارو: تاريخ حروب محمد علي، ص149.

4 ـ بما أنه كان حاكماً في مطلع الخمسينيات، فإن تعاقب الشيوخ أخذ على الأرجح دون انقطاع الشكل التالي: دوخي، نمر، محمد.

رولة(*)

بعد أن غادر الرولة خيبراً[1]، إتخذوا من الطرف الشمالي لصحراء النفود الرملية، الممتد من تيماء في الغرب مروراً بواحة الجوف إلى بئر لين في الشرق، قاعدة انتشار لهم، شملت وادي السرحان وجنوب الصحراء السورية. وفي حين بقيت سورية مقفلة في وجههم أول الأمر، إنفردت قبائل محلف الثلاث (السوالمة، والعبدالله والأشاجعة)، المرتبطة بصلة نسب معهم، في الدخول إلى الحماد الشمالي. غير أن الحروب الوهابية دفعت بالرولة من جديد إلى الشمال. ومع أنهم اعتنقوا المذهب الوهابي حوالى عام1800م، شأن قبائل عنزة الأخرى، فقد حاولوا الفرار من جباة ضرائبهم، بأن جاؤوا المنطقة التركية أو عبروا الفرات[2]. إصطدمت الرولة عام 1809م، بينما كانت تعبر النهر، بقوة مسلحة تابعة لباشا بغداد وأبادتها عند مصب الخابور، ثم أرسلت الغنائم التي وقعت في أيديها إلى الدرعية، عاصمة الوهابيين، مما جعلهم يسارعون إلى قبولها من جديد بين رعاياهم. وفي العام

(*) يختلف لفظ وكتابة اسم الرولا أو رولة من منطقة إلى أخرى، ففي شمال الجزيرة العربية تلفظ بـ روّلة (روّالة) بتشديد الواو واظهار الهاء، أما في منطقة العراق الجنوبي وبعض أجزاء العربية فتلفظ وتكتب بـ رولة. ولمزيد من التفصيل راجع تقديم الطبعة العربيةص25. (شبّر).

(1) تابع حول قصة هجرة الرولة. بوركهاردت، ص249 و308. أيوب صبري، الجزء الثالث، ص270. جارماني: نجد الدنيا، ص195.

(2) أنظر على سبيل المثال روسو: ص58، 82.

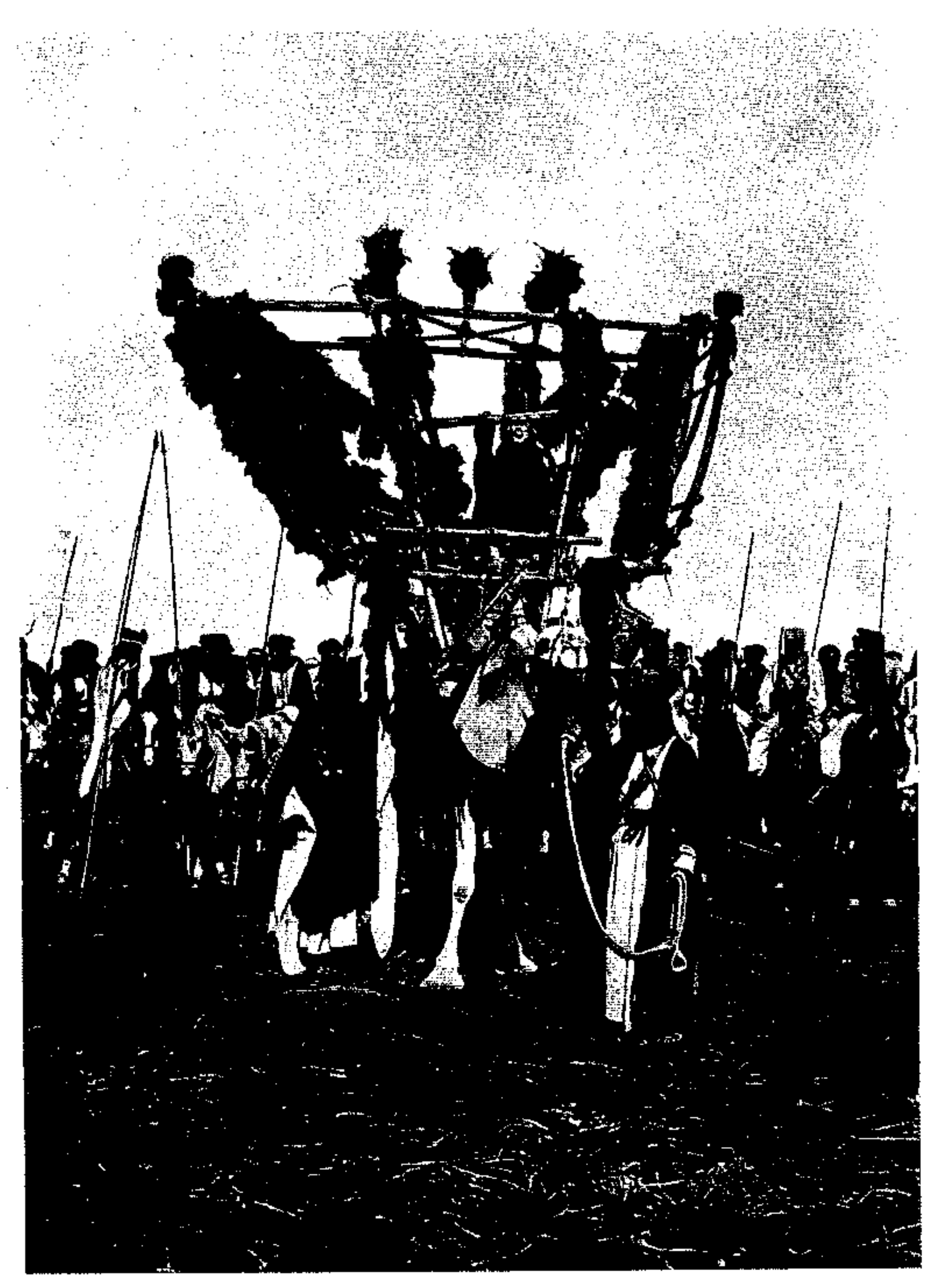
التالي، رافق الرولة آل سعود في غارة على حوران.

في العقود التالية، تزايدت حاجة القبيلة إلى مراعٍ جديدة، نتيجة تزايد قطعانها، خاصة بعد أن حالت هجرة العمارات بينها وبين الفرات. فأين يمكن العثور على مراعٍ كهذه؟. كانت أقرب المراعي تقع في النقرة، التي كانت الرولة تشتري مؤونتها الشتوية منها، حين كانت تنزل فيها فترة قصيرة من كل عام ضيفاً على ولد علي. بما أن بقية سورية كانت موزعة منذ وقت طويل: "البلقاء ممتلئة بأهل الشمال، وحوران بالزبيد، والمرج ينتشر فيه أكثر فأكثر النعيم والعقيدات، وأسعار الحبوب المرتفعة تؤدي إلى عمران القرى القاحلة، وقبائل ديرة الشنبل تحمي مراعيها بالرشاشات"[1]، وبما أن ولد علي كانوا يرفضون منح الرولة حقوقاً إضافية، وأبوا تقاسم منطقتهم معها، فقد نشبت بينهما حرب طويلة إنتهت بفوز الرولة بما سعت إليه. حققت الرولة بعض التقدم في سورية بهذا الأسلوب، ونجحت في حماية حدودها من شمّر داخل جزيرة العرب، حيث تفاقمت تناقضات القبائل بتفاقم التنافس بين أسرتي شيوخ أبناء شعلان وأبناء رشيد، الذين أجبروا واحات الجوف على دفع الضرائب، بمجرد أن أقاموا إمارتهم في حائل (1838)م، ثم ضموها إليهم عام 1853م، وعينوا عليها حاكماً من قبلهم. إعتبر أبناء الشعلان هذا الوضع انتقاصاً من حقوقهم القديمة، رغم أنهم ظلوا كما في السابق يتلقون الخوّة من هناك. في الستينات حاولوا استعادة الجوف ولكنهم لم يحققوا نجاحات دائمة[2]. وبقي الأمر كذلك إلى أن أتاحت لهم الظروف المذكورة في الصفحة 133 أعلاه الإمكانية لشنّ هجوم جديد.

عندما وصل نبأ مقتل الأمير سعود بن حمد بن رشيد في أيلول من عام 1908م إلى الجوف، فر حاكمها إلى الرياض، وأعلن أحد أكثر أعيان الواحة نفوذاً تأييد نوري ابن شعلان، شيخ مشايخ الرولة. رفض نوري التدخل، فما كان من ابنه

(1) كلمات شيخ من الرولة. فيتسشتاين: حوران، ص138.

(2) جارماني، ص196. بلنت: الحج، الجزء الأول ص118. موزيل: نجد الشمالية، ص288. فيلبي في الجزيرة الجغرافية، جزء62، ص243.



مركب (هودج) الرولة ـ عنزة (1899م)

نواف إلا أن لبى النداء، وذهب مع زمرة قليلة من الرجال إلى الجوف، ليحاصر حامية ابن رشيد التي تمترست في أحد الحصون. كان نوري لا يزال ينأى بنفسه عن التدخل، ولم يعلن الحرب على شمّر إلا بعد حصوله على مباركة آل سعود. تواصلت معارك الجوف طوال أشهر، وعندما احتل نواف المكان، كان الرولة قد غادروه منذ وقت طويل إلى مناطق انتشارهم الصيفية[1].

عانت الرولة كثيراً من غزوات شمّر خلال الشتاء التالي، فقرر نوري ابن شعلان القيام بإجراء حاسم، بعد أن ضمن مساعدة فهد ابن هذّال. وقد وضع خطة قامت على التقاء الرولة والعمارات عند ماء الجميمه، في منتصف الطريق بين النجف وحائل لانتظار قوة عسكرية من آل سعود. تلقى ابن رشيد، أو بالأصح الوصي على حائل زامل السبهان، أخباراً عن الخطة، فانقض دون إبطاء على مجنبة عنزة المتقدمة، وغنم قطعان جمال عديدة انتزعها من قبيلتي الصقور والكواكبة، اللتين كانتا جناح الحملة الخارجي. بدأت عنزة عندئذ مطاردتها له. وحين أبلغها رجال الإستطلاع في وقت متأخر من بعد الظهر أنه في وادي الفيحان، إقترح فهد شن هجوم ليلي، وقرر نوري الإنتظار إلى اليوم التالي، كي لا يتمكن العدو من الفرار. من جانبه، سحب ابن رشيد قواته من الوادي ونشرها في التلال. حين شنت هجومها مع الفجر، جوبهت عنزة بمقاومة شديدة من مواقع شمّر الجديدة، واضطرت إلى التقهقر بعد تكبدها بعض الخسائر[2].

تمسك نوري وابن هذال بخطة الحرب الأصلية وأصروا على تنفيذها، رغم كل شيء. يصف الجاسوس الانجليزي ليجمان[3]، الذي رأى جيش عنزة يوم 12 شباط من عام 1910م، إنطباعاته بالكلمات التالية: كانت الصحراء تعج بكتل متموجة من البدو تترامى على مرمى البصر. وقد روى له الشيوخ أنهم لا يستطيعون

(1) موزيل: صحراء جزيرة العرب، ص110 و162 و279 و283 و290 و298.

(2) محمد البسام، خريف 1915م.

(3) الجريدة الجغرافية، المجلد 37، ص267.

تذكر مناسبة أخرى خرجت فيها عنزة بقوة مماثلة إلى الحرب. وصل الجيش إلى بركة الجميمة في الخامس عشر من الشهر. بما أن قادته خشوا أن لا يكون الماء كافياً، فقد سمحوا باستسقاء الناس وجمال الركوب فقط، ومنعوا تقديم الماء إلى حيوانات الحمل. حين بلغهم أن ابن رشيد يقف على مسيرة يومين إلى جنوبهم، أعدوا معسكرهم للحرب. إنضمت إلى الجيش مجموعات قوية حسنة التسليح من المعدان، قدمت من وادي الفرات، فاستقبلوها بهجمات وهمية وطلقات البنادق. أما النيران الكثيفة، التي سمعت أصواتها بعد أيام قليلة من بلوغ الجميمه، وعزيت إلى وصول قوات جديدة، فقد أطلقها في حقيقة الأمر جيش ابن رشيد، الذي كان يقترب وعلى ظهر كل واحد من جماله رجلان. فوجيء العنزة، ووجدوا بالكاد الوقت لجمع جمالهم. وبعد أن فروا جماعات جماعات من المعسكر مخلفين وراءهم نساءهم وأطفالهم، تقدم العدو من الجهة الأخرى مقتحماً الممرات بين الخيام، وأحجم عن ملاحقة مقاتلي القبيلة، بسبب هبوط الظلام. نهبت شمّر المعسكر صبيحة اليوم التالي، وسقط عدد كبير من الأسرىٰ في يديها، بينها كانت تركية أرملة شيخ المشايخ السابق سطام باشا، التي أرسلها الوصي، زامل السبهان، مع كلمات استهزاء من نوري، إلى الجوف، مع النساء الأخريات اللواتي أعادهن إلى أزواجهن.

لم يغير انتصار ابن رشيد الوضع على الحدود[1]. واستمرت غزوات السلب والنهب المتبادلة بين الرولة والشمّر، إلى أن بلغت الحرب العالمية شمال الجزيرة العربية.

وقد وصفت في الصفحة 134 من هذا الكتاب الوضع السياسي وموقف الرولة خلال الحرب. فبعد استيلاء الوهابيين على حائل (تشرين الثاني 1921م)، إختفت مملكة شمّر التي تزعمها أبناء رشيد. وصارت جزيرة العرب، التي توحدت من

(1) أدى هجوم مباغت قام به ابن رشيد في مطلع عام 1914م ضد الجوف إلى احتلال دام أياماً ثلاثة لسكاكا، الواحة الثانية من حيث حجمها في المنطقة.

الآن فصاعداً تحت حكم آل سعود، جار الرولة الجنوبي. في هذه الظروف المتغيرة، إنقلبت علاقة الصداقة بين الجارين إلى نقيضها، وبما أن الشعلان لم يرضخوا عن طيب خاطر لآل سعود، صارت الحرب بينهما حتمية. باغت غزو وهابي، اجتاز في أيام قليلة مئات كثيرة من الكيلومترات تفصل مناطق جزيرة العرب الداخلية عن وادي السرحان، الرولة قرب واحة كاف صباح 16 أيار من عام 1922م، غير أنها صدته وكبدته خسائر فادحة. ذلك كان انتصاراً عابراً لم يمنع ضياع الجوف نهائياً في تموز من العام ذاته[1]، وسقوط كاف، والتنازل في اتفاقية حدّا (2 ـ 11 ـ 1925م) عن كامل أراضي قبيلة ابن الشعلان الجنوبية لآل سعود[2].

تتمتع الرولة بتماسك تفتقر إليه أية قبيلة أخرى من عنزة، يرجع إلى الشخصيات القوية التي أنجبتها أسرة شيوخها. لكن هذا التماسك تراخى في العقود الأخيرة، بسبب الدعاية الوهابية، التي أثرت على الرولة أيضاً وأدت إلى تمزقها السياسي. عام 1916م، إنضم الشيخ درزي ابن دغمي إلى آل سعود، وتبعته قبيلته، الدغمان ، عام 1922م، حين احتل الوهابيون الجوف. ومع أن الرولة إعتنقت جميعها الوهابية بعد عام 1926م، فإنها لم تستطع وضع حد لانقساماتها. منذ ذلك الوقت، لم يعد الدغمان إلى سورية من جديد[3]. ولم يقصد الكواكبة الشمال أبداً بعد عام 1925م، رغم المكانة الخاصة التي كانت لهم هناك ـ ولأسباب أخرى[4].

يبدأ ارتحال الرولة في شهر آذار من كل عام، ويتم بصورة بطيئة جداً. وقد درجت على بلوغ مناطقها الصيفية خلال شهر حزيران، ومغادرتها من جديد نحو الجنوب في شهر أيلول، حيث تبقى من تشرين الثاني إلى آذار من العام التالي. تستخدم القبيلة طريقين في ترحالها: واحدة يستخدمها في الآونة الأخيرة عدد قليل

(1) فيلبي في الجريدة الجغرافية، جزء 62، ص243.

(2) الشرق الحديث، جزء 6، ص14.

(3) تيربيه، ص21.

(4) أنظر تحت الملاحظة79 حول الجدول.

من أفخاذها، تقود إلى النقرة عبر وادي السرحان، وأخرى تمر بالحماد ثم تنقسم بمحاذاة دمشق وتذهب إما إلى الشمال نحو تدمر ومن هناك إلى القريتين ـ الضمير، أو نحو الغرب عبر الصيقل إلى خان الشامات ـ الضمير، لتبلغ كتلة الرولة الكبرى من هناك النقرة والجولان (الشيخ سعد ـ تل الجوخدار ـ فيق). بينما يقصد قسم صغير منهم مراعي حمص من القريتين مروراً بالفرقلس، ويتوغل من حين لآخر إلى داخل البقاع.

تراجعت تربية الجمال تراجعاً شديداً منذ نهاية الحرب لدى الرولة، لأن الطلب عليها تناقص بشدة. في السابق، كان الرولة يبيعون من ثلاثين إلى خمسة وثلاثين ألف جمل في الجولان. بينما باعوا عام 1927م قرابة اثني عشر ألفاً منها، قبل أن ينزل العدد إلى حوالي ثمانية آلاف فقط. أما الضرائب التي كانت تجبيها، فلدينا عنها رقمان هما: 3500 ليرة تركية عام 1907م، و2000 ليرة عام 1908م[1].

تسلحت الرولة في أعقاب الإنسحاب التركي (1918م)، ويمكن القول إنه يوجد في كل واحدة من خيامها بندقية حديثة الطراز، فضلاً عن ثلاث رشاشات تمتلكها القبيلة ذاتها[2].

ثمة عروة وثقى تشد المحلف، (السوالمة، والعبدالله، والأشاجعة) إلى الرولة. بل إن القبيلتين شكلتا إلى بداية القرن التاسع عشر قبيلة واحدة هي الجلاس. يخيم المحلف عادة إلى الشمال من الرولة.

---

(1) موزيل: الرولة، ص58. يرجع الفارق إلى أن قسماً من الرولة خيم في الأعوام الأخيرة مع العمارات، وتطبع بطباعهم.

(2) تيرييه، ص14 و24.



سطام بن شعلان ـ شيخ مشايخ الرولة ـ عنزة (1899م)

أسرة شيوخ الرولة

غدت أسرة ابن الشعلان أكثر أسر شيوخ شمال جزيرة العرب أهمية، وهي مكانة لا تعود إلى نبالة موروثة، بل ترجع إلى السمعة التي اكتسبها شيوخها فيصل، وسطام باشا، والنوري، خلال حكمهم الطويل.

هناك حكاية حول أصلها تقول[1]: كان شعلان راعياً فقيراً يعمل في خدمة المرعض (ب III 1). وبينما كانت الرولة تنصب خيامها ذات مرة قرب واحة في نجد تركت جمالها تلتهم الزرع ثم سرقوا خراف ومعز السكان، ولكن سكان الواحة إستولوا على الجمال وهددوا بتركها تموت جوعاً. أراد شيخ البدو تسوية الموضوع بالحسنى، لكن شيخ القرية رفض مفاوضة أحد غير شعلان، الذي كان من معارفه. وافق الأول على طلب الثاني وأعطى ختمه للراعي، الذي طلب ضمانات من الفرجة والربشان (ب III 3، 4 ح) بتنفيذ ما قد يتم الوصول إليه من اتفاق، وحصل عليها بعد وقت قصير. عندئذ، تم تبادل القطعان المسروقة، وتخلى الفلاحون عن التعويضات التي كانوا قد طلبوها عن حقولهم المخربة. لكن شعلان احتفظ بالختم، ثم تخلص بعد أربعة أعوام من الشيخ بمساعدة الفرجة والربشان وأهل الواحة، وتولى قيادة الرولة. بهذه الطريقة، إنتقلت المشيخة من القعقاع (ب III 4) إلى الشعلان.

تنقسم عشيرة الشعلان إلى خطين رئيسين: المشهور والعبدالله. وقد أزاح

(1) موزيل: الرولة، ص51 .

العبدالله المشهور في مطلع القرن التاسع عشر. ومع أننا لا نمتلك معطيات أكثر حول هذا الحادث، فإننا نعرف أنه سبب جفاءً عميقاً بين الأسرتين استمر إلى أيامنا، وتحول في منتصف القرن التاسع عشر إلى حرب دامية حسمتها موقعة تل الجوخدار (1858م)، التي أعقبها تخلي المشهور عن شيخهم الأكبر فيصل بن نايف ابن عبدالله، وانضمامهم في اليوم التالي إلى ولد علي. في هذه الأجواء، أمر فيصل بقتل برجس المشهور، ثم سقط هو نفسه عام 1864م ضحية عمل ثأري[1].

لم يعرف الشعلان تعاقباً وراثياً ثابتاً: فقد أعقب فيصلا ابنه طلال، ثم أخوه هزاع[2]، وأخيراً ابن أخيه سطام، الذي كان والده حاكماً قبل فيصل. عرف سطام، الذي حكم منذ أواسط السبعينيات، كيف يستخدم طريقته الرصينة للحفاظ على مصالح الرولة رغم تعاظم نفوذ الحكومة على البدو. وقد تلقى لقب الباشوية وبعض القرى هدية من السلطان عبد الحميد، وقد زرته شخصياً عام 1899م في النقرة. مات سطام باشا في شتاء عام 1901م في فروع الوديان، في منتصف الطريق بين دمشق ونجد، تاركاً وراءه أربعة أبناء، هم: مشعل ـ أمه ثقلا بنت فايز بن جندل[3] من شيوخ السوالمه ـ خالد وممدوح ـ والدتهما تركية أخت شيخ الفدعان تركي ابن مهيد، وطراد ـ أمه من قبيلة السرحان ـ. تولى مشعل، الإبن الأكبر، الحكم بموافقة الحكومة، رغم أنه تخطى أبناء هزاع، سلف سطام: فهد والنوري. كان مشعل يخيم حتئذ مع فهد ونوري، فانفصل الآن عنهما ولازم زيد والمجول، فخذي الشعلان، اللذين دعما ترشيحه بقوة. وقد أخفقت جميع مساعي فهد ونوري لاجتذابه من جديد إليهما.

ذهب مشعل، ذات يوم، إلى دمشق لأمر يخص القبيلة، يصحبه خمسة فرسان من الرويشدات، فتبعه نوري برفقة اثني عشر محارباً إلى أن أدركه في اليوم

---

(1) فيتشتاين: حوران، ص138 . جارماني، ص33 و197 .

(2) حوالى عام 1870م. تابع موزيل. الرولة، ص397 و577 .

(3) كانت متزوجة من سطام عم هزاع قبل ذلك. وكان لها من هذا الزواج ولد هو النوري، وهو أخ غير شقيق لمشعل.

الرابع عند الصيقل، على مسير ست ساعات من الضمير. سقط مشعل في تبادل إطلاق النار الذي تم بين الجانبين (1902م)، فسارع نوري إلى العودة كي يستولي على المركب، علامة المشيخة. لكن تركية، أرملة سطام، عارضته، بدعم من زيد ومجول، وأجبرته على الإنسحاب من المكان، ثم سافرت إلى دمشق كي تعين ابنها خالد في منصب الشيخ. من جانبهما، ذهب نوري وفهد إلى هناك لتمرير مطالبهما[1]. فوض الوالي ـ ناظم باشا ـ متصرف حوران ـ إبراهيم فوزي باشا ـ البتّ في الأمر، لأن الرولة كانت آنذاك في مقاطعته، فنظم استفتاءاً بين قادتها في الجوخدار، وقرر تعيين فهد شيخ المشايخ وألزمه بدفع 300 ليرة تركية سنوياً كتعويض إلى منافسه خالد.

بقي فهد أعواماً ثلاثة سيداً أوحداً للقبيلة. لكنه تشاجر عام 1904/ 1905م مع نوري، الذي سعى بدوره إلى الحصول على تعويض مرتفع منه. إتجه الرجلان، بمجرد أن قادهما الصيف من جديد إلى ضواحي دمشق، إلى الحكومة، حيث حاول كل منهما تقديم عرض ضريبي يغريها بمبالغ أكبر، علّه يكسب بذلك دعم الوالي، الذي حدد من جانبه عائداً ضرائبياً إجمالياً قدره ثلاثة آلاف ليرة تركية، جعلهما مسؤولين كلاهما عن دفعه مناصفة، وترك لهما اقتسام ما يفيض عنه من مدفوعات الرولة. بعد عودتهما إلى مضارب القبيلة، دعا نوري أخاه فهد، الذي كان قد أرسل أبناءه لجباية الضرائب، وأمر رميح ابن المعبهل بقتل فهد خارج الخيمة عقب تناول طعام الغداء. وكان نوري قد استولى في الليلة ذاتها على المركب ووضع يده على قطعان فهد، التي ضمت ثلاثة الآف جمل وأحد عشر حصاناً. فر أبناء القتيل إلى رشيد ابن سُمير، شيخ ولد علي في عين ذكر، وذهبوا من هناك إلى دمشق لإقامة دعوى قضائية. أجبر الوالي نوري على رد قسم من الممتلكات، لكن السلام لم يستتب بين أسرتي الأخوين، وقد حاول أبناء فهد مرات كثيرة الثأر من نوري، لكن محاولاتهم أخفقت أول الأمر[2]، ثم أدت إلى هزيمته بعد بضعة أعوام.

---

(1) طلب الحزبان عون وجهاء دمشق: تركي عون محمد باشا العظم، ونوري عون عبد الرحمن بيك اليوسف.

(2) كتب الفصل السابق والتالي وفق إخباريات قدمها محمد البسام في تشرين الأول عام 1915م. يقترب

إنفجرت عام 1909م انتفاضة درزية قمعها سامي باشا، الذي ألزم الدروز بتسليم أسلحتهم، ومنع، في الوقت نفسه، البدو من الإنقضاض عليهم، لأنهم أصبحوا شعباً أعزل. عندما اختطفت الرولة في شباط من عام 1910م عدداً من قطعان الدروز، وتعرض نوري للمساءلة، زعم أن برد الشتاء أودى بالقسم الأكبر من المواشي، وأنه لا يستطيع، لهذا السبب، رد القطعان المسروقة. عندئذ، أمر سامي باشا باعتقاله وتسليم قطعانه إلى الدروز، وعين فارس، الابن البكر لفهد شيخ مشايخ على الرولة. بعد موت سامي باشا، في العام ذاته، شعر فارس أنه لم يعد آمناً، ففر إلى رشيد ابن سُمير، الذي كان يتعاطف علناً مع أبناء نوري، الذين كانوا في هذه الأثناء قد تقربوا من أبناء سطام أيضاً، وجد فارس نفسه معزولاً كلياً. وأخيراً هرب وتخلى عن المركب "المشيخة"، لتعود قيادة القبيلة من جديد إلى نوري، الذي صالحه عندئذ. وكان قد صدر عفو عن نوري عام 1912م، قبل فترة قصيرة من نشوب حرب البلقان، توطدت مكانة نوري منذ ذلك الوقت ولم تتعرض لأي اهتزاز، بل إنه منح لقب الباشوية فيما بعد، ودأب في الآونة الأخيرة على أن يكنىٰ بـ"الأمير"[(1)].

جمع نوري ثروة خاصة كبيرة، رغم ضياع واحتي الجوف والكاف، فهو يمتلك بيتاً في دمشق وأراضي وسيارات عديدة. وقد قدم موزيل في مواضع كثيرة من كتابه الجديد حول رحلاته، وخاصة في البند الخاص بالرولة (الصفحة 58 وما يليها) معلومات دقيقة عن أوضاعه المالية قبل الحرب، تخبرنا أن مصادر دخله الرئيسة كانت واحة كاف، حيث يوجد وكيل ينوب عنه (هو من العبيد بطبيعة الحال)، يقدم له كل عام ضرائب تبلغ خمسمائة مجيدي، مع أنه ـ نوري ـ لا يملك، على ما يبدو، أرضاً في الواحة، بعكس أبناء عائلات الشعلان الأخرى كعائلة سطام وطلال. إلى هذا فرض نوري رسماً يعادل نصف سعر كل حمل ملح يصدر من كاف. وعادت الإضافة التي فرضها على ضرائب الحكومة بربح هائل

عرض موزيل في صحراء جزيرة العرب، ص 238، من عرض بسام، لكنه يظهر الميل إلى تبرئة نوري من مقتل أخويه مشعل وفهد.

(1) تيرييه، ص 22: «قدمنا له لقب أمير، الذي كان راغباً هو نفسه فيه».

عليه، قدرته مصادر رسمية بـ 12٪، لكنه رفعه إلى أن بلغ قرابة خمسين بالمائة من قيمتها، كما يقال، وهو سلوك يقال إن الشيوخ المحليين احتذوه فيما يتعلق بالضرائب التي تؤديها قبائلهم. تلقى نوري أيضاً بعض المال من الأتراك، الذين ما لبثوا أن زادوه كثيراً إبان حكم الملك فيصل. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن لا ننسى الخوّة المفروضة على المرور في وادي السرحان، ونصيبه من الغنائم، وعائدات قطعانه، التي كان يبيع منها كل عام من عشرين إلى ثلاثين جملاً، ومن أربعة إلى خمسة خيول. هذه الواردات قابلتها نفقات تصل إلى حوالى 1200 ليرة تركية، صرفت من أجل شراء مواد غذائية وعلف خيول وثياب وخيام وذخيرة، دون حساب نفقات الهدايا والضيوف. أخيراً، كان نوري يدفع حصصاً من الإضافات الضريبية تذهب إلى زعماء عائلات سطام (150 ليرة تركية) ومجول (20 ليرة تركية) ومشهور (50 ليرة تركية)[1].

رغم دخله المرتفع، عاش نوري حياة غير مريحة في الصحراء. ذلك أنه فقد سلطته على عائلته، بينما انهمكت نساؤه وعبيده في سرقته، فلم يبق لديه بالكاد أية فرصة لقضاء لحظة هانئة في خيمته، أو لتناول طعامه بهدوء[2].

إستقر نوري بعد الحرب العالمية في دمشق، حيث تعرضت صحة الشيخ الذي تخطى الثمانين إلى متاعب شديدة في سنواته الأخيرة، حتى أن المرض كان قد فتك به عام 1929م، عندما قابلته في بيته الدمشقي، الذي امتنع تماماً عن الخروج منه.

لم يبق من أخلاف نوري المذكور غير حفيده فواز، الذي كان في شبابه بدوياً حقيقياً[3]، ثم تعلم عادات أوروبا الحسنة والقبيحة، بعد أن زارها مرتين. وهو اليوم نائب الرولة في البرلمان.

يعتبر ابن أخ نوري مقحم بن محمد أكثر الشعلان اجتهاداً ونشاطاً.

---

(1) بما أن موزيل يقدر حصة نوري بـ 150 ليرة تركية، يمكننا استنتاج أنه لم يكن يحصل إلا على 12٪ من الضريبة التي كانت تبلغ 3000 ليرة.

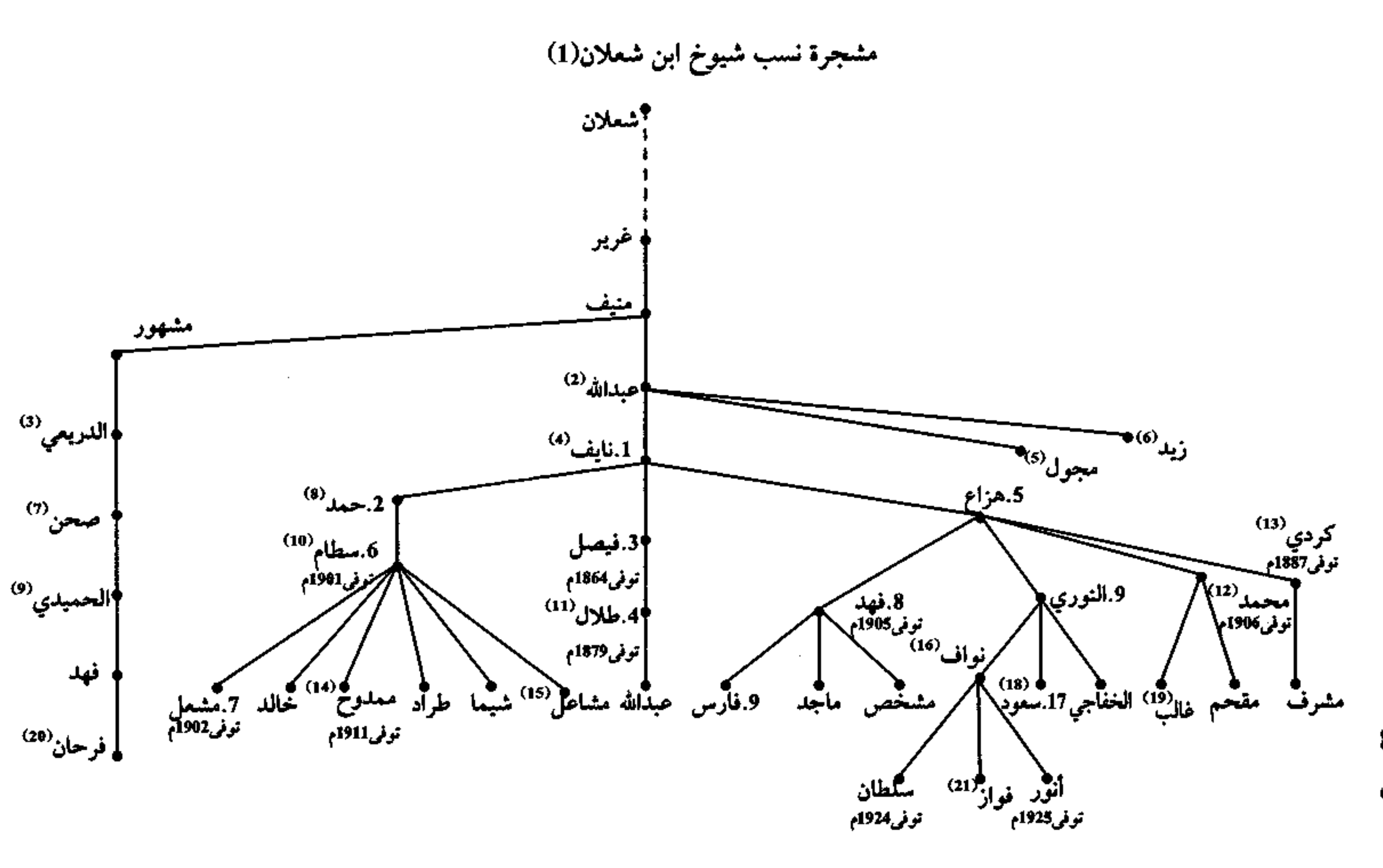
(2) صحراء جزيرة العرب، ص294 و316.

(3) راسوان: في أرض الخيام السود.



النوري بن شعلان، شيخ مشايخ الرولة ـ عنزة (1927م)

مشجرة نسب شيوخ ابن شعلان(1)



ملاحظات حول مشجرة نسب أسرة شيوخ ابن شعلان

1 ـ هو أساس شجرة النسب الموجودة عند تيربيه، لكننا صححناها وفق مصادر أخرى وملاحظات خاصة. تستند الأنساب الموجودة لدى ر. هارتمان في مجلة جمعية الشرق الألمانية، المجلد 84، الصفحة 269، إلى معطيات كتاب موزيل حول رحلته.

2 ـ "كان عبد الله ابن منيف أول شيخ قاد الرولة إلى حوران" (سُطام باشا).

3 ـ حكم أوائل القرن التاسع عشر. جدول لامارتين. شبرنغر، رقم 40.

4 ـ (اخو دنيا). موزيل: الرولة، ص589.

5 ـ موزيل. الرولة، ص53.

6 ـ ينتمي إلى أسرة زيد الشاعر خلف الأذن، الذي قتل شتاء عام 1913/ 1914م في معركة مع شمّر. موزيل: شمال نجد. ص110. أما تاريخ ابنه الغريب، فهو في: صحراء جزيرة العرب، ص240 وما يليها. ص236 وما بعدها والرولة.

7 ـ حدث خطأ في شجرة تيربيه بينه وبين ابنه حميدي، الذي ينتمي إلى جيل سطام، بينما يذكر صحن في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر. أنظر الصفحة 250. نجد الشمالية، ص271.

8 ـ موزيل: الرولة، ص 57.

9 ـ بلنت: الحج، الجزء الأول، ص 249.

10 ـ (أبو منصور). لعبت أرملة سطام تركية دوراً كبيراً في حياة أسرة الشعلان بعد موت عقيلها، لهذا يوصف أولادها دوماً بعيال تركية، أنظر الوصف الهام في صحراء العرب، 216.

11 ـ سقط في معركة ضد ولد علي، بلنت. الحج، الجزء الأول، ص 249.

12 ـ صحراء جزيرة العرب، ص 4.

13 ـ سقط في معركة ضد الفدعان. موزيل، الرولة، ص 597.

14 ـ سقط في معركة ضد شمّر. صحراء جزيرة العرب. ص 421.

15 ـ بنت تركية. تزوجت أول الأمر من محمد ابن هزاع، ثم من نواف ابن نوري، وأخيراً من فارس ابن فهد.

16 ـ تزوجت أول الأمر من نواف ابن نوري، ثم من شيخ الحسنه فندي بن ملحم.

17 ـ تيربيه، ص 23.

18 ـ سقط في معركة ضد الحويطات. الصحراء العربية، ص 421.

19 ـ تسلم مناصب عليا في شرق الاردن. أنظر: الشرق الحديث، الجزء الثاني، ص 110 ـ 229.

20 ـ تحت تأثير التوتر القديم، القائم بين عائلة مشهور وأسرة الشعلان الحاكمة، إنضم فرحان المشهور عام 1925م مع حوالى 150 ـ 200 خيمة إلى الوهابيين. وكان من معارضي سياسة السلام التي اختطها آل سعود، وشارك في الانتفاضة التي قامت ضدهم عام 1929م في نجد. فيما بعد، عاش كلاجئ سياسي في مملكة العراق، ويقال إن فواز، حفيد نوري، قتله قبل فترة (1935م) خلال إحدى الرحلات. أنظر: أم القرى، العدد رقم 170، 175، 236، 249؛ تيربيه، ص 19: الشرق الحديث، الجزء الخامس عشر، ص 212.

21 ـ تزوجت إحدى بناته من الملك عبد العزيز آل سعود عام 1935م، والثانية من ابنه سعود عام 1936م.

مشجرة نسب عنزة

إذا كانت المقاطع السابقة تخبرنا أن بعض أقسام عنزة تعيش حياة مستقلة تمام الاستقلال، فإنه سيكون من الخطأ استخدامها لإنكار وجود أية روابط بينها، تشدها بعضها إلى بعض. إن وعي الإنتماء المشترك لا زال حياً بين هذه الأقسام، رغم تناقضاتها الكثيرة. وتعتبر شجرة نسب القبيلة رمزاً لهذا الوعي، يظهرها بمظهر أسرة كبيرة واحدة.

تتميز شجرة نسب عنزة بقدر عظيم من البساطة، لأن تفريعاتها تشمل أجيالاً ثلاثة فقط، يرجع أصلها إلى عنّاز، الشخص الذي منح القبيلة اسمه. لسنا هنا إزاء جد أول اسمه عنزة[1] كذلك الذي نجده في أنساب العرب القديمة؛ هو أب يجهله أبناؤه الحاليون تمام الجهل، ولا يرون فيه خلفاً لأسد بن ربيعة، بل لشخص آخر اسمه وائل بن قريش. تعتقد عنزة إذن أنها ترتبط بصلة نسب مع قريش، صلة مختلقة في الواقع، تمليها عليها رغبتها في الإنتساب إلى نبلاء الإسلام، باعتبار أن النبي محمداً ينتمي هو أيضاً إلى قريش. أما اسم وائل، فهناك ما يسوغ إضافته إلى شجرة نسب القبيلة، بما أنه "أبو" قبيلة بكر في نظام الأنساب الكلاسيكي، التي كانت قد شكلت مع عنزة جماعة وحدة استمرت فترة طويلة، الأمر الذي نرى فيه

(1) إستبدل بـ"عناز" لأن اسم عنزة كاسم شخص كان خارج التداول. هاتان الكلمتان يجب فصلهما معجمياً عن بعض، ذلك أن عناز يأتي من عنز (معز) ويعني راعي المعز، بينما عنزة تعني السيخ، أو حيواناً شبيهاً بالنمس. ومن المرجح أن الاسم يعود إلى المعنى الثاني

دليلاً على وجود "قرابة" بين القبائل التي تقوم على الجامعة السياسية.

ومن الملاحظ أن أبا القبيلة المزعوم عنّاز بقي مجرد شبح، بينما توجد روايات كثيرة حول وائل، الذي أعطى عنزة اسمه، فسمي أبناؤها أولاد وائل أو وائليين[1]. يقول بوركهاردت: يروي البدو أن سلف عنزة الأول الشهير وائل عرف بمحض الصدفة موعد ليلة القدر (ليلة الخامس أو السابع والعشرين من رمضان)[2]، التي يستجيب الله القدير فيها إلى صلوات البشر. وضع وائل يديه على قسم معين من ناقته ومن شخصه، ثم تضرع إلى الله أن يبارك ما تحت يديه. إستجاب الله لصلواته، فمنحه أسرة كثيرة الأبناء والبنات، وصار أخلافه أغنياء بالجمال.

تنتهي شجرة النسب إلى قبائل عنزة المختلفة، فيمثل الجيلان السابقان الجماعات الأكبر، التي انتمت هذه القبائل إليها أو خرجت منها، وهي البشر، وضنا مسلم، وضنا عبيد، والعمارات، وبني وهب، والجلاس[3]، وهي مجموعات لا تظهر بصفتها هذه، بل تبدو كأحفاد أو أحفاد أول لمن منحوها أسماءهم. إلى هذا، فهي أيضاً تكوينات مختلفة النوع، بما أن البشر والعمارات وبني وهب والجلاس هم ـ أو كانوا ـ قبائل حقيقية، بينما الضنا مسلم، والضنا عبيد ليستا، حسب دلالة كلمة "ضنا" غير "أخلاف" يفتقرون إلى طابع قبائلي خاص بهما[4]. أخيراً، من الضروري تقويم من منحوها أسماءهم بطرق مختلفة: إذ يعتبر

---

(1) Zdmg، الجزء الخامس، ص11 والجزء 22، ص166. دوتي، الجزء الثاني، ص446.

(2) إنه بالأحرى «موعد ليلة القدر»، التي تقع في الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان. إنها الليلة التي أنزل فيها القرآن.

(3) العمارات معروفة. بالنسبة للبشر: أنظر الملاحظة رقم 34 من الجدول. أما بالنسبة إلى بني وهب، فانظر ص128 هامش 2 و3، والجلاس ص126.

(4) إكتسب مصطلح ضنا مسلم أهمية سياسية، رغم أنه لا يوجد أبداً قبيلة حملت هذا الاسم ـ إن التقسيم إلى "ذريات" موجود بالمناسبة ضمن قبائل عنزة المختلفة، مثل الفدعان وولد علي ـ، أما مصطلح ضنا وائل، الذي نقابله من حين لآخر، فيرجح أنه يصف مجمل قبائل عنزة.

الجد الأعلى الأصل الأول في حالة الضنا مسلم والضنا عبيد، لأنه أعطى الجماعة اسمها. في حين أخذ هو، في الحالات الأخرى، اسمه من القبيلة. بينما تعتبر أسماء كالمجلَس والعمار[1] مختلقة بالتأكيد، أو مركبة بطريقة مصطنعة من الجلاس والعمارات.

يختلف تراتب شجرة نسب عنزة إختلافاً جوهرياً عن التراتب السياسي المعمول به، المصور في الجدول التالي، الذي يذكر مجموعتي بشر (أ) وجلاس العليا (ب)، ويتجاهل المجموعات الدنيا عدا العمارات (أ III)، التي تكتسب الآن طابع قبيلة[2]. فيما عدا ذلك، تتطابق قبائل الجدول مع أعضاء النسق الأدنى من شجرة النسب، فالحجاج والمساليخ (ب I 3، 4)، اللتان تعتبرهما علوم النسب أنداداً للحسنه ـ تتبعان منذ وقت طويل، على كل حال[3]، إلى هذه القبيلة بالذات. كذلك يخلو الجدول من ولد سليمان (كقبيلة قائمة بذاتها على الأقل)، لأن كتلتها لم تشارك في الهجرة الكبيرة، بل بقيت في جزيرة العرب. هذه الفروق تجد تفسيرها الصحيح، إن افترضنا أن علم الأنساب يعكس الوضع الذي كانت عنزة تعيشه قبل الهجرة.

ثمة سبب آخر لظهور ولد سليمان في شجرة النسب، هو أنهم من أصل مغاير لأصل عنزة[4]، فجرى ضمهم إليها على أساس الإنتماء السياسي وحده. تمثل الحسنه، والمساليخ، والحجاج دخلاء من هذا النمط على الأرجح، وذلك لأن اسم النبهان[5] الجماعي، الذي حملته جميعها في الماضي، يصعب فصله عن اسم

---

(1) في شجرة نسب ابن هذال: عماره.

(2) ليس لفترة طويلة بعد. أنظر الملاحظة 34 العائدة للجدول.

(3) تابع بوركهاردت، ص4.

(4) حسب الموروثات: جعافرة، أحفاد جعفر بن أبي طالب وبالتالي أبناء عم النبي. أنظر مقالة: عنزة في قسم الحجاز.

(5) يسمون اليوم منابهة، موزيل: صحراء جزيرة العرب، ص84. تابع دوتي، الجزء الأول، ص229. يتضح تغير الاسم بطريقة جد غريبة: من نبهان اخترع اسم منبه، ثم تشكل منه فيما بعد اسم قبيلة جديد هو منابهة.



في خيمة سطام بن شعلان. المؤلف في وسط الصورة (1899م)

قبيلة أخرى تحمل الاسم نفسه جاورت "عنزة" طوال مئات السنين في جزيرة العرب. لكن هؤلاء النبهان ينتمون إلى قوم طي (في جنوب الجزيرة العربية)، ثم ذابوا فيما بعد في شمّر. وإذا كان هذا التخمين صحيحاً، فإن قسماً منهم يكون قد ذاب في عنزة[1].

ينتمي آل سعود، بيت الملوك والحكام الحاليين، إلى المساليخ. هذا ما روجت له عنزة وتبنته سائر المراجع الأوروبية الرصينة منذ بوركهاردت[2]، دون أن يقلل تبنيها من خطأ هذه الفرضية. تقول الأنساب الأصلية التي نشرتها جريدة أم القرى المكية الرسمية يوم 15 حزيران 1928م (العدد رقم 182) بمناسبة وفاة الإمام عبد الرحمن، إن آل سعود ينتمون إلى ربيعة فعلاً لكنهم ليسوا من عنزة، بل من

---

(1) ليس واضحاً ما إذا كان نبهان عنزة أم نبهان شمّر هم من حل عام 1172هـ/ 1759م محل واصف، الجزء الأول، ص149. إن ذكر النبهان هنا إلى جانب عنزة، لا يعني شيئاً.

(2) بوركهاردت، ص381: البدو، الجزء الثاني، ص441. موزيل: الرولة، ص46: شمال نجد، ص270. ريحاني: ملوك العرب، الجزء الثاني، ص152. هكذا أيضاً مجحم ابن مهيد.

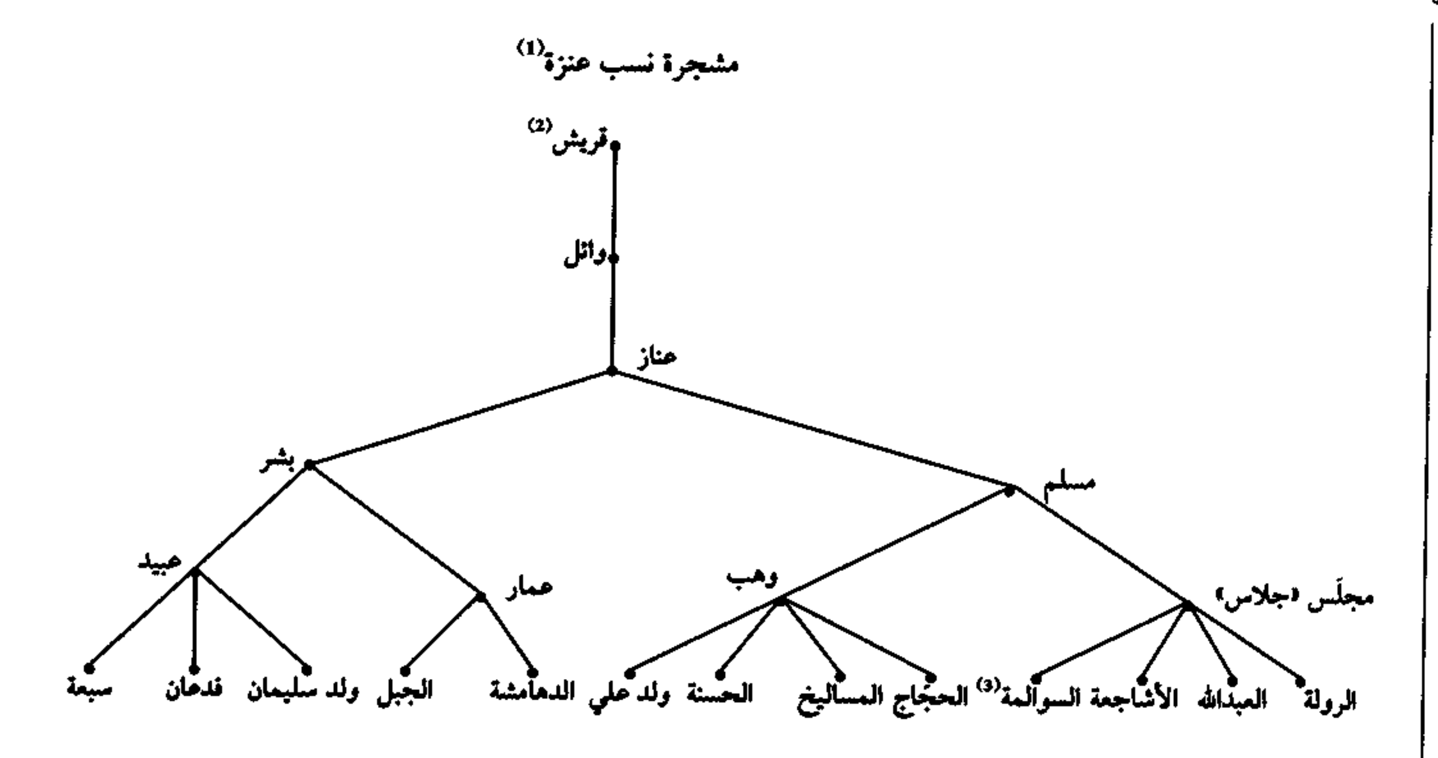
ذهل ابن شيبان من بكر ابن وائل[1](*). بالمقابل، هناك قرابة حقيقية بين عنزة وبين بعض بيوتات أمراء جزيرة العرب، مثل آل مهنا (أبا الخيل) من البريدة[2]، والصباح في الكويت، وآل خليفه في البحرين. يتحدر البيتان الأخيران من فروع بني عتبه التابعة لجميلة[3]، التي تنتمي إلى عنزة أواسط جزيرة العرب. راجع صفحة 120 أعلاه.

(1) أكده الأمير شكيب أرسلان. تابع أيضاً محمد شكري الآلوسي: تاريخ نجد، ص90. يعتبر الآلوسي منطقة «عنيزة» موطناً لآل سعود.

(*) لقد أكد انتساب آل سعود إلى ربيعة، راشد بن علي بن جريس الحنبلي المتوفى عام 1298هـ في كتابه مثير الوجد في أنساب ملوك نجد ص116 ـ 117، تحقيق محمد بن عمر العقيل. الصادر في الرياض ـ دار الملك عبد العزيز ـ 1999. (شبّر).

(2) مقحم «مجحم» ابن مهيد. ريحاني: تاريخ نجد، ص86. موزيل، الرولة، ص46.

(3) محمد بن خليفة النبهان، الجزء الأول، ص70 و116. بالمقابل، يعدهم مجحم ابن مهيد على البجايدة.



مشجرة نسب عنزة(1)
قريش(2)
وائل
عناز
بشر
مسلم
عبيد
عمار
وهب
مجلّس (جلاس)
سبعة
فدعان
ولد سليمان
الجبل
الدهامشة
ولد علي
الحسنة
المساليخ
الحجاج
السوالمة(3)
الأشاجعة
العبدالله
الرولة

ملاحظات حول مشجرة قبيلة عنزة

1 ـ سجل يوم 19 ـ 5 ـ 1913م. الراوي: مقحم بن مهيد. ترجع شجرة النسب التي يوردها تيربيه بدورها إلى مقحم. يقدم اوبتون أنساباً غير كاملة، ص229: أنساب الضنا مسلم: دوتي، الجزء الأول، ص229. عادات الفقرا، ص4. موزيل: صحراء جزيرة العرب، ص14.

يقارن بشجرة النسب تعاقب أسلاف ابن مهيد وابن هذّال، الذي يضم الأجيال القديمة من أجداد القبيلة. وكذلك سلسلة أجداد الفقرا، التي توجد في مقالة "عنزة" في قسم الحجاز.

2 ـ يرد اسم آدم في أنساب الفقرا. حسب دوتي، ولد وائل من اقتران "نشود الجمال" بقحطانية.

3 ـ تحشر أنساب الفقرا اسم منّبه بين حجاج ووهب.

عنزة (1)

آ ـ البشر(2)

I ـ الفدعان(3)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الوِلْد(4)	مقحم بن مهيد	صيفاً: أعالي الفرات والبليخ شتاءً: الصحراء السورية.	2925
أ ـ المهيد	مقحم بن مهيد		400
ب ـ الروس	شاشان الكره(5)		300
جـ ـ الشميلات	منادي بن منيخر(6)		400
د ـ العقاقرة «العجاجرة»	ابن حريميس(7)		750
هـ ـ الساري	جريب بن قاعد(8)		225
و ـ الحماتيش(9)	حمدان بن ضبيب		250
ز ـ الجراح(10)			200
حـ ـ الجدعان	حاكم بن قصير		200
ط ـ الكشور(11)			200
2 ـ الخرصة(12)	عبد العزيز بن تعيشيش	صيفاً: شرق البليخ شتاءً: صحراء سورية	1950

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أ ـ إمارة (المُوير)(13)			
ب ـ الجفل	عبد العزيز بن قعيشيش		
جـ ـ ملحود	عبد العزيز بن قعيشيش		
د ـ رمث	عبد العزيز بن قعيشيش		1000
هـ ـ المكاثرة	عبد العزيز بن قعيشيش		
و ـ الخدلات	عبد العزيز بن قعيشيش		
ز ـ الخشتة	عبد العزيز بن قعيشيش		
حـ ـ الغبين	عبيد بن غبين(14)		150
ط ـ العوّاد(15)	عبيد بن غبين		200
ي ـ الجدعة	ابن عرنان		

ملتحق بها(16):

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أ ـ جعافرة (ولد سليمان)	بدر العواجي(17)		100
ب ـ السلمات	ابن جبل الشقاوي(18)		100
جـ ـ الغضاورة			300
د ـ الخمشة	جهبل أبا زهرة		100

II ـ السبعة(19)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
اـ مجموعة ابن مرشد (القمصة)(20)		صيفاً: قرب سلميه	1150
أ ـ القمصة(21)	راكان بن مرشد	شتاء: الصحراء السورية	
1 ـ البطينات(22)	راكان بن مرشد		
2 ـ الرحمة	ابن سعيد(23)		

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
3 ـ الخمسان	هايس بن شلهوب		
4 ـ السحيب(24)	عزيز بن شتيوي(23)		
ب ـ المواهيب(25)			
جـ ـ الرسالين	ابن عيدة (26)		
1 ـ الشفيع	ابن بغداد		
2 ـ الهويشان	ابن مصلط		
3 ـ الجاسم	ابن نواق(27)		
4 ـ العجلان	ابن عيدة		
هـ ـ المصرب	صالح المصرب(28) راشد المصرب		
2 ـ مجموعة ابن هديب (العبدة)(29)		صيفاً: قرب سلمية	1100
أ ـ الموايفة «الموايجة»	برجس بن هديب(30)	شتاء: الصحراء السورية	
ب ـ العرفه			
جـ ـ الدوام(31)	هزاع الفققي(32)		
د ـ الوثرة:			
هـ ـ المسكة:	ابن جلادان(33)		
و ـ الرماح	ابن وايل(32)		
ز ـ العبادات	أحمد بن كردوش(32)		
حـ ـ الموينع			
ط ـ البيايعة	فرحان بن موينع(32)		

III ـ عمارات(34)
شيخ المشايخ محروت بن هذال

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الجبل(35)	محروت بن هذال	الصحراء السورية، الجزيرة	2000
ألف ـ الحبلان	محروت بن هذال		400
أ ـ الغشوم			
ب ـ الختارشة			
جـ ـ بسيسات			
باء ـ الصقور(36)			600
أ ـ الدهمان	حويك بن ضلعان(37)		
ب ـ الجلال	دريبي بن موجف(38)		
جـ ـ الزوين	ضبعان بن خضيري		
جيم ـ السلقا(39)			1000
أ ـ الشملان(40)	مرضى الرفدي(41)		250
ب ـ الحسنة	خشم بن تمران		150
جـ ـ المضيان	منضى بن دخيل		150
د ـ المطارفه	برجس أبو طيف(42)		250
هـ ـ البجايده(43)	صنهات بن شامان		200
2 ـ الدهامشه (العلي)(44)	جزاع بن مجلاد(45)	صحراء سورية وشمال جزيرة العرب	3120
أ ـ الزينة(46)	جزاع بن مجلاد		850
1 ـ الصرمة			
2 ـ العرايف			
3 ـ الركمان			
ب ـ الجميشات			200

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
جـ ـ السويلمات(47)	عايد بن بكر		375
د ـ السلاطين	ابن صبر		375
هـ ـ الوطبة	راضي الديدب		220
و ـ الجلاعيد	بنيدر بن جلعود		300
ز ـ المحلف(48)	ضاري بن ضبيان		800
1 ـ العراضة			
2 ـ الجعبان			

ب ـ ضنا مسلم

I ـ الحسنه(49)

شيخ المشايخ طراد ابن ملحم المزيد

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1ـ الشمسي			
2 ـ العويمر			
3 ـ الحجاج		صيفاً قرب حمص والشتاء في الحماد	40
4 ـ المساليخ(50)	ابن يعيش(51)		100
5 ـ الصقره(52)			60
قبائل ملحقة			
1 ـ عمور(53) الملحم			
أ ـ البرقع			
ب ـ آل عليوي			
جـ ـ عدوان			200
د ـ الفواعرة(53)			
هـ ـ نعيم(53)			

II ـ ولد علي(54)

العشيرة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
1 ـ مجموعة ابن شُمير(55)	ابن سمير	النقرة	
أ ـ آل عواض(56)	عناد بن سمير		50
ب ـ العطيفات(56)			100
جـ ـ المقيبل(56)			40
د ـ الدمجان	عناد بن سمير		150
هـ ـ الجذالمه	ابن دويخي		60
2 ـ مجموعة الطيار	سلطان الطيار	صيفاً: قرب الضمير شتاء: الحماد	
أ ـ المشادقة	سلطان الطيار		30
ب ـ الحمامدة(57)			50
جـ ـ الطلوح			30
د ـ الجبارة(58)			50

III ـ الرولة(59)

شيخ المشايخ نوري ابن شعلان

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
1 ـ المرعض	النوري بن شعلان(60)	صيفاً: النقره، الجولان، حمص شتاء: صحراء سورية وشمال الجزيرة العربية	1130
أ ـ النصير(61)	ابن نصير		250
ب ـ النصير	قرّيص بن نصير		150

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
جـ ـ المعبهل	ابن معبهل		150
د ـ الروضان	ابن صبر		200
هـ ـ العلمة	فدغاش بن جريبه		150
و ـ البنيّة	بشيتان بن بنيّه(62)		70
ز ـ الصبيح	فهد بن صبيح		80
حـ ـ السبتة	جرو(63) ابن سبتة		80
2 ـ الدغمان(64)	درزي بن دغمي	الجوف ووادي السرحان	700
أ ـ الدغمي	درزي بن دغمي		100
ب ـ الصوالحة	شبك بن سليمان		100
جـ ـ الهجشة	ظاهر بن حلاث		150
د ـ المهنا	رشراش بن مصلط		100
هـ ـ الدرعان(65)	جبار بن كنيفي		150
3 ـ الفرجة(66)	نجيم الصليبي الخضع	منطقة المرعض	800
أ ـ الخضعان	نجيم الخضع		60
ب ـ الفلته	مغيّر بن غازي الفلتي		100
جـ ـ الهطلان	معيطان بن حجي الهطل		40
د ـ البادي	هادي بن جرو		30
هـ ـ السمران	حمدان الحمودي		50
و ـ السباح(67)	مغيظ بن عيد		100
ز ـ المشيط	مريح بن برمان		80
حـ ـ الرماح	فرية بن البطران		150
ط ـ العزول	رحيل بن الصغيره		50
ي ـ الجدران	رشيد بن السعيدي		40

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
ك ـ السواحلة	دارك ابا سرير		100
4 ـ القعاقعه(68)	مراغ القعقاع	منطقة المرعض	1100
أ ـ المانع	مراغ القعقاع		150
ب ـ المطيه	المطارح بن عياط(69)		60
جـ ـ الرشيد	رخيص بن جفنان		50
د ـ الرشيدان	ابن عبادي		100
هـ ـ الغشوم	مشور بن جرمان بن غشم		200
و ـ الحماميد	فهد بن منور(70)		60
ز ـ الدبن	حشاش بن بطيحه		50
حـ ـ الربشان	مشاتل بن حنيان(71)		200
ط ـ المعيرير	بلهان بن ملاعب		60
ي ـ الوقيت(72)	المنفي بن سليمان		200
ك ـ الجرذي(73)	قعيشم بن سلامه		50
ل ـ العوينان	قليل بن حشاش(74		50
5 ـ الكواكبه(75)	خلف الكويكب	صحراء سورية وشمال جزيرة العرب	900
أ ـ الكويكب	خلف الكويكب		120
ب ـ الوكلان	ضيمان أبو الوكل		200
جـ ـ الخمسي	الشريفي		150
د ـ العرضان	متروك العريض		100
هـ ـ الوهيب	سلمان الوهيبي		150
و ـ الختام(76)	سعد بن حمد		130

IV ـ السوالمه(77)

شيخ المشايخ: عافت بن جندل(78)

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
أ ـ الجندل	عافت بن جندل		320
ب ـ الملحاق	قرم بن قويفل		
جـ ـ آل هليب		منطقة الرولة	180
د ـ الفراهدة			

V ـ العبد الله

شيخ المشايخ عبد الله بن مجيد(79)

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
أ ـ المجيد	عبد الله بن مجيد		100
ب ـ الحرزة	علي الحرزي	منطقة الرولة	50
جـ ـ القشوش(80)	هطيل النجدي		100

VI ـ الاشاجعة(81)

شيخ المشايخ: فرحان بن معجل(82)

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
أ ـ الحذاق	فرحان بن معجل		150
ب ـ البلاعيس(83)			300
جـ ـ المهيوب		منطقة الرولة	100
د ـ البدور			150
هـ ـ الخليفات			

ملاحظات حول جداول عنزة

1 ـ أثار تشكيل عنزة الإهتمام في مرحلة مبكرة، فقد قدم روسو في "رحلة من بغداد إلى حلب" (1808م) (الصفحة 118 وما يليها) جدولاً عشوائياً جعل عنوانه "العشائر المكونة لقبيلة عنزة"، وقدم في الصفحة 64 جدولاً بالجلاس جاء أفضل قليلاً من الجدول الأول. واستخدم الجدول الذي قدمه بوركهاردت في كتاب "ملاحظات حول البدو والوهابيين"، الصفحة 3 و307 وما يليها إستخدمه كثيراً منذ ظهوره، لأنه يعتمد على لائحة مراجع محلية (لائحة ضريبية)، نقلها بعد ذلك بوقت طويل أيوب صبري، مرآة الحرمين، الجزء الثالث، ص269. أما الجدول الذي وضعه محمد البسام عام 1818م، ونشره شبرنغر في مجلة جمعية المستشرقين الألمان (123)، الجزء السابع عشر، الصفحة 214 ـ 226، ففيه قسم من عشائر عنزة. ينطبق الشيء ذاته على الجدول الملحق ب "حكاية فتى الله صغير" في كتاب لامارتين "رحلة في الشرق". وفي بدايات الستينيات، يقدم كتاب لم يذكر اسم مؤلفه، الذي أصدره قنصل انجلترا آنذاك في حلب بعنوان "جولات في صحراء سورية"، الصفحة 162 وما يليها، توزيعاً موجزاً للقبائل. ثم تلاه كتاب جورماني (1864م) "تقاليد نجد" (il najd settentrionale). مع بعض الملاحظات على الصفحة 195. تتميز اللائحة التي نشرها مارتين هارتمان في مجلة ZDPV، الجزء 18، الصفحة 49 وما يليها، بالتفاصيل الوافية ولكن غير الموثوقة أبداً في كل ما يتعلق بالأسماء وأشكال كتابتها يلتقي كتاب "قبسات من الصحراء": لكاتبه ايتون (1874/ 1875م) في معطياته حول عنزة في جوانب كثيرة من الكتاب المعروف للسيدة آن بلنت، الصادر عام 1877م/ 1878م، والموسوم "قبائل البدو على الفرات"، الجزء الثاني، ص190 وما يليها. يقدم الكتابان تفاصيل تقتصر على الفدعان والسبعة(1). بالمقابل، يحتوي كتاب دوتي "رحلات في جزيرة العرب"، الجزء الأول، ص33 وما يليها، على لائحة مختصرة حول البشر والجلاس. بينما تعتبر لائحة تويدي في كتاب "الحصان العربي" (الصفحة 121) قليلة التفاصيل. بالنسبة للفترة السابقة مباشرة للحرب العالمية، توجد لائحة تفصيلية في الكتاب

الذي شاركت غيرترود بيل في تأليفه، وعنوانه "دليل الجزيرة العربية"، الجزء الأول، ص50، تتضمن أعداد الخيام وأسماء الشيوخ، ولكنها لا تحتوي على لوائح معدة بدقة علمية، مثل التي أرفقها موزيل بكتاب رحلاته الكبير. بالنسبة لحقبة ما بعد الحرب، تستحق اهتمامنا تلك الدفاتر التي أصدرها قسم الإستطلاع العسكري الفرنسي بعنوان «القبائل العربية في سورية»، و"القبائل الرحل ونصف الرحل"، التي نسبناها إلى مؤلفها تيرييه، واكتفينا باسمه عند ذكرها.

بالمقابل، يقدم رينود ومارتينيه "البدو في ريف دمشق"، ص10 وما يليها، معلومات قليلة غير معروفة.

ثمة بضعة تسجيلات عن العنزة ترجع إلى الأعوام 1897م، 1899م، 1913م، 1915م، 1925م، و1927م. فيما يتعلق بوضع الجدول، تمت الإستعانة من حين لآخر بموزيل وتيرييه.

2 ـ كتبت مرة واحدة تحت اسم بُشير، أوردها أيضاً شوماخر في كتاب "عبر الاردن" ص103 و328.

3 ـ أقدم توزيع للفدعان نجده في لائحة شبرنغر، رقم 140: آل غبين، خرصه، ولد، آل مهيد. الجدول الآخر: ابتون، ص235 وما يليها. موزيل: صحراء جزيرة العرب، ص55. رينود ومارتينيه، ص35 وما يليها، تيرييه، ص111 وما يليها، ولدى مؤلفين آخرين ورد ذكرهم في الملاحظة رقم واحد. ثمة تسجيل أجري يوم 28 حزيران من عام 1927م إتخذ كأساس للجدول، رواه مقحم بن مهيد، وهو لا يتضمن أية اختلافات جوهرية عن المعلومات الأقدم التي رواها عام 1913م ابن مهيد، وسليمان بن قعيشيش، وجوهر بن خيري، مربي مقحم.

ممتلكات الفدعان من المواشي هي20 ألف جمل و55 ـ 60 ألف خروف. صيحة الحرب: أنا أخو قطنه. وقطنه اسم امرأة يتكرر كثيراً في أسرة ابن مهيد، لكنه يعني هنا قطعان مواشي الفدعان (موزيل، الرولة، ص600). يجب فهم صيحات الحرب التي تتضمن كلمة "أخوات"... باعتبارها ضرباً من التماهي مع

قطعان الجمال. فالقبيلة تماهي نفسها بعض الشيء مع حيواناتها، كما يبدو من المعنى الذي تفصح عنه عبارة «أخوة قطنه» في أغنية ينشدها الفدعان، أورد موزيل نصها في كتابه.

4 ـ ينقسم الولد في رأي تيرييه إلى مجموعات نسب هي "ضنا منيع" (أ إلى ج) وضنا "فيريف" (د، هـ). أما عدد خيامها فهو 1200 خيمة، وهو رقم أقرب إلى الحقيقة من معلومات مقحم «مجحم» الموجودة في الجدول.

5 ـ أسلافه: أبوه جدوع الكره ـ للروس امتياز يعطيهم الأولوية لدى اختيار الأمهار التي غنمت في المعركة. أنظر: أبتون، ص235

6 ـ تيرييه: اهموخ بن حبيقان. موزيل: ابن حبيشان.

7 ـ أسرة شيوخ قديمة ومهمة، ذكرت لدى روسو (ص 123) وفي دوحة الوزراء، ص 318 ـ إنضم إلى العقاقره قسم من قبيلة الحوازمه المنبوذة.

8 ـ سلفه: فيحان ابن جاعد.

9 ـ موزيل: حناتيش.

10 ـ كانت الجراح ـ في السابق شيخ: ربيّع ابن جدوع ـ عشيرة تابعة للعمور في الأصل. يقارن بها المقال المتخصص في قسم سورية.

11 موزيل: قشور.

12 ـ علامة نسب خرصه هي ضنا ماجد (إستخدمت بطريقة مختلفة لدى بوركهاردت)، التي تنقسم إلى ضنا خريص (من أ إلى ز) وضنا كحيل (من حـ إلى ي). حسب تيرييه، ينقسم الضنا خرصة بدورهم إلى «ليدا» (أ إلى د) المكاشرة (هـ)، مزارعه (و إلى ز) وعربان. عدد الخيام بحسب تيرييه: 900 ـ صرخة الحرب لأبناء قعيشيش: "الروم!".

13 ـ للفروع من أ إلى ج مخاترة يختارهم شيخ المشايخ وهم بالتالي تابعون له مباشرة. هكذا سليمان ابن قعيشيش. تيرييه يقصر وجود المخاترة على الولد وحدهم.

14 ـ حفيد أول للحاكم الأخير للغبين، نايف. أنظر أعلاه ص142. يبدو أن أسرة ابن غافل تنتمي إلى الغبين، وكانت في السابق تقدم عقداء الجدعان ولا زالت تتولى اليوم أيضاً هذا المنصب من حين لآخر. أنظر: بوركهاردت: ص241. وقارن: موزيل: صحراء جزيرة العرب، ص28.

15 ـ أسرة شيوخ قديمة. أنظر: جدول لامارتين.

16 ـ القبائل المندمجة الأربع هي فروع من ولد سليمان. وهم لا يعتبرون جزءاً ثابتاً من الفدعان، بل إلتحقوا بها خلال العقود الأخيرة. عام 1913م، لم يكن قد بقي منهم في الشمال غير الجعافره والخمشه: إلى هذا، ويبدو أن أقساماً من ولد سليمان تنتقل غالباً إلى سورية وبلاد الرافدين «العراق الشمالي»، حيث تنضوي في الفدعان.

17 ـ يبدو أنه يقيم في نجد.

18 ـ وفق موزيل: الرولة. ص648. وعواجي أيضاً. لوصف الجبل، أنظر الملاحظة رقم 63.

19 ـ بما أن التسجيلات حول السبعه ترجع، باستثناء بعض الإضافات، إلى عام 1899م، فقد أخذت جداول موزيل وتيرييه بعين الإعتبار عند وضع الجدول. صرخة الحرب: خيال العرفه سبيعي!.

20 ـ عدد المواشي: 25000 جمل، 30000 خروف ـ وسم الإبن مرشد: ʕ (باكور) على الوجنة اليمنى.

21 ـ يستخدم موزيل قمصة كاسم مجموعة فقط، أما كعشيرة فلها اسم آخر هو عميره (لدى تيرييه هو فرع من قمصة) مع الفروع أ ـ د، والمواهيب (ب).

22 ـ يستخدم أيضاً كاسم لمجموعة ابن مرشد (القمصة).

23 ـ أثبت وجود أسرتي الشيوخ عام 1870م من خلال جدول هارتمان.

24 ـ موزيل: السحيم.

25 ـ بقي القسم الأكبر من المواهيب في جزيرة العرب، وانضم هناك إلى قبيلة بلي. أنظر: قسم الحجاز من هذا الكتاب.

26 ـ وسم: ✚ على لوحي الكتف. في جدول لامارتين هناك شيخ مشايخ للسبعه اسمه ابن عيده.

27 ـ أثبت ابتون وجود أسرة الشيوخ هذه عام 1875م (مجلة فريزر، الجزء15، ص442).

28 ـ ينتمي الشيخ مجول إلى أسرة مصرب، وقد تزوج في ستينيات القرن التاسع عشر المغامرة الجميلة ليدي ديجبي. تتجاوز إيزابيل بورتون عمداً اسم مواطنتها، عندما تتحدث في كتابها: "حياة سورية الداخلية" (الجزء الأول، ص127) عن ابن مجول. أما بلنش في كتابهما "رحلة إلى نجد"، فيكتبان عن نفسها بحرية أكبر. إن المنازل التي امتلكتها ليدي ديجبي في دمشق وحمص ما زالت قائمة، كما أن قبرها موجود في المقبرة البروتستانتية في دمشق. وسم المصرب: مشط على الوجنة اليمنى.

29 ـ يقسم موزيل المجموعة إلى موايقه (أ) والعبده (ب ـ د) ومسيكه (هـ ـ ي). عدد المواشي: 30000 جمل، و50000 خروف ـ وسم الابن هديب: على الورك الأيمن.

30 ـ توفي في شباط من عام 1936م. خليفته صالح ابن هديب.

31 ـ وسم على من الورك الأيمن.

32 ـ تثبت لائحة هارتمان أن الشيوخ الأربعة، الذين تنطبق عليهم هذه الملاحظة، كانوا أحياء عام 1870م.

33 ـ تيرييه: لكنه حسب التدوين ابن كردوش. وكذلك يرد عند بلنت.

34 ـ تقوم لائحة الجبل على تسجيل تم عام 1913م واستكمل عام 1925م، ويقوم جدول الدهامشه على تسجيل تم يوم 15 أيلول عام 1915م، رواه: محمد

البسام ـ وهناك لوائح خاصة بالعمارات لدى موزيل: جزيرة العرب، صفحة 52. وتيريه، ص50 (مصدرها شخص واحد على الأرجح)؛ رينود ومارتينيه، ص14. يعتبر بوركهاردت ودوتي (الجزء الأول، ص331) عشائر العمارات فروعاً من البشر، ويعرّفها بلنت وزوجته كـ "عنزة بن هذال" فقط. لم يندمج العمارات في قبيلة واحدة إلا في فترة حديثة، بينما شكلوا في السابق مجموعة نسب وحسب. ـ وسم الإبن هذال: على الجانب الأيسر من العنق. صرخة الحرب: أنا خيّال العليا!.

35 ـ الجبل هو مفهوم نسب، واسمها كجماعة سياسية هو العمارات. هذا يعني أن العمارات تستخدم بمعنيين: ضيق وواسع.

36 ـ يرد أقدم ذكر لها لدى روسو (1808م)، ص 65.

37 ـ موزيل: مطعان بن ضلعان.

38 ـ موزيل: رافع ابن "موزف".

39 ـ بوركهاردت، ص309 (قارن صفحة 7) لا يقصر فروع السلقا على الحسنه والمضيّان والمطارفه، بل يضم إليها ولد سليمان، وهو ما يبدو أنه كان متفقاً مع ظروف تلك الأيام.

40 ـ لائحة شبرنغر، رقم 75.

41 ـ يقتبس بلنت (الجزء الثاني، ص 192) من ابتون (مجلة فريزر، الجزء 15، ص441) معلومة تقول إن الرفيده هاجرت أول ما هاجرت حوالى عام 1866م. لكن رامبلس، ص276 و لايارد: نينوى وبابل، ص260، يدحضانها.

42 ـ موزيل وهاند بوك يكتبان اسم أسرة الشيخ: ابن وطيف. بالمناسبة، يذكر روسو بدوره المطارفه (يكتبها موستافيريه)، ويقول إن شيخها اسمه: ابن طيف.

43 ـ لا وجود لها لدى موزيل وفي الدليل. أنظر الملاحظة رقم 3.

44 ـ يسقط مفهوم الدهامشة من المصادر القديمة، شأنه في ذلك شأن

العمارات والجبل. بالمقابل، يذكر دوتي في الجزء الأول، ص331. كان العلي يملكون في السابق واحة حايط، غير البعيدة عن خيبر. لكنهم هاجروا في عهد حكومة طلال بن رشيد (1847 ـ 1868م) إلى الفرات. أنظر: هوبر: رحلة وسط جزيرة العرب، ص129. في الدليل يقال إن العلي عشيرة من عشائر الدهامشة.

45 ـ وسم ابن مجلاد هو الهلال ⊇. يرد ذكر ابن مجلاد في "ديوان من وسط جزيرة العرب"، رقم 35.

46 ـ يقسم موزيل الزبنه إلى: السبابيح (جزّاع بن مجلاد)، الصرمة: (برجس ولد صريم)، الجميزات (العربيدي).

47 ـ يقسم موزيل السوالمة إلى: السلاطين، المحيسن (مشعان ابن صابر)، الوطبة (مشعان ابن بكر)، الحماطره (عسكر الحميطري)، الهمل (جهيم بن دواي) الجلاعيد (ابن زعير).

48 ـ ويقسم موزيل المحلّف إلى: المحينات (أبا الروس)، آل شلخان (دهلوس الشليخي)، الذوايده (صنيدح الذايدي)، العياش (ضاري ابن ضبيان).

49 ـ بما أن تسجيل 1915م إعتبر الحسنة والمساليخ عشائر من ولد علي، وبما أن تسجيل 1897م تقادم ولم يعد صالحاً، وجب اعتماد تصنيف تيرييه (ص33) كأساس. وهو أمر معمول به منذ عام 1925م/1926م. إنه لا يتضمن من عشائر بوركهاردت السبع سوى ثلاث فقط (دون المسالخه). بذلك تكون بنية الحسنه قد تغيرت بصورة جذرية. عدد الخيام: 300 دون خيام المنضمين إليهم.

50 ـ موزيل: "مصاليح".

51 ـ عائلة الشيوخ القديمة الثانية هي الابن رشود.

52 ـ بحسب الأصل مساليخ.

53 ـ قارن: المقالات التي تحمل الاسم نفسه في قسم سورية.

54 ـ بسبب تراجع ولد علي في الآونة الأخيرة، غدت تسجيلات عامي 1899م و1915م قديمة. لذلك يتبع الجدول لائحة تيربيه (ص27)، التي تأخذ الظروف بعين الإعتبار منذ عام 1923م. يقدم موزيل في صحراء جزيرة العرب (ص84) تقسيماً للأنساب يشمل ولد علي الذين بقوا في الجزيرة العربية، مع مجموعات ضنا مفرج وآل آيده (أيده، أيدا). ثمة تطابق جوهري بين تقسيم بوركهاردت والتقسيم الراهن. هكذا تكون بنية ولد علي قد حافظت على نفسها رغم سقوطهم.

55 ـ إنتسب إليها قبل عام 1923م جميع العشائر باستثناء المشادقة. أنظر تيربيه، ص108، وكذلك بوركهاردت، ص3 ـ وسم الابن سُمير: Ψ على الورك الأيمن.

56 ـ جاءت القبائل الثلاث جميعها من عشيرة المشطة السابقة، التي لا تزال قائمة لدى ولد علي أواسط الجزيرة العربية، قارن: بوركهاردت، ص4، ومقالة "عنزة" في قسم الحجاز. وسم العطيفات (ب 1II ب)، الدمجان ب (1II د): باب ⌒ على الجانب الأيسر من العنق.

57 ـ يسمى أيضاً حماميد. عائلة شيوخهم كانت الآيدا (بوركهاردت)، التي لا تزال أسرة شيوخ ولد علي أواسط الجزيرة العربية.

58 ـ الوسم:)(على الورك الأيمن.

59 ـ بحسب تسجيلات من عامي 1915 و1925م. تنحدر الأولى من محمد النعمان، السكرتير السابق لشيخ المشايخ، وتنحدر الثانية من حمدان الحمودي (3 و). نجد تفاصيل قليلة حول ذلك لدى تيربيه، ص 21، وتفاصيل وافيه لدى موزيل: جزيرة العرب، ص14 وما يليها. عام 1915م، أعطي رقم أكبر بعض الشيء لعدد الخيام، الذي هو أصغر بكثير لدى تيربيه.

الوسم ╥ . صرخة الحرب: أنا خيّال العليا رويلي! . العليا هو اسم الأم الأولى لقطيع مؤلف من جمال بيضاء كانت تمتلكها الرولة (العليان هو "أمير الجمال").

60 ـ تعتبر أسرة الشيوخ فرعاً من المرعض. يقدر تيرييه عدد خيامها بـ 700، بينما يقدر عدد خيام المرعد بـ200. وسم ابن الشعلان ال (رديني)، بين الأذن اليمنى والعين.

61 ـ ربما كان يرتفع في التصنيف على (ب) وفرع آخر من النواصرة.

62 ـ ابن بنيّة هم أسرة عقداء الرولة.

63 ـ يكتب سكرتيري العربي جرو بحرف جيم (معطشة) چ.

64 ـ يرجع الدغمان والمرعض بنسبهم إلى جمعان بن مسلم، ويسمون أنفسهم جمع جمعان، وهذا لا يعني بطبيعة الحال "جمعية الجمعيتين"، كما يعتقد تيرييه، بل جماعة الجمعان. قارن: موزيل، الرولة، ص589.

65 ـ ورد ذكرهم عام 1915م كعشيرة وليس كفخذ، تحت قيادة الشيخ سالم ابن مسلط، أي تحت حكم أحد أعضاء أسرة شيوخ(د).

66 ـ يورد موزيل وتيرييه فخذاً من فريجه هو الجوفان.

67 ـ موزيل: "الصباح".

68 ـ يصنف موزيل القعاقعة ضمن المانع والربشان، فيضع تحت المانع (ب ـ د)، ويضع تحت الربشان (ط ـ ل).

69 ـ سلفه: أبوه عياط المطالع.

70 ـ 1915م: فظاخ الحمادي.

71 ـ إسم العائلة.

72 ـ موزيل: الوقيد (آل وقيد).

73 ـ موزيل: "الجرّي". تيرييه: «جيردي». تسجيل 1915م: "الجرزي".

74 ـ سلفه (أبوه) حشاش بن عوينان.

75 الكواكبه هم، حسب نسبهم، قحطانيون. وقد هاجروا في القرن الثامن

عشر من نجد إلى النفود، حيث اصطدموا بالرولة. بعد موقعة مناخ الزيرين الأسطورية، إنتهت الحرب بزواج ابنة شيخ الشريفي من شيخ الرولة فهد ابن معبهل. منذ ذلك الوقت، إلتحق الكواكب بالرولة، بينما التحق قسم صغير منهم (زياد) بالضفير. أنظر: موزيل: رولة، ص52، شمال نجد، ص168.

نلفت النظر إلى أن موزيل، الذي يعرف بدقة كيف يغلق القبيلة بعد تصنيفها بحرص، يعطي الكواكبه 150 خيمة فقط. بعد تجميع معلومات دقيقة، تميل أعداد الخيام دوماً إلى التناقص.

76 ـ موزيل: "الحطّام".

77 ـ يحالف تيريبيه الصواب، حين يرى في قبائل السوالمة والعبدالله والاشاجعة توابع تدور في فلك الرولة. إن التسجيل الذي بحوزتنا عنها يعود إلى عام 1915م، لذلك يراعي الجدول معطيات موزيل في جزيرة العرب (ص14) وتيريبيه 211 وما يليها. صرخة حرب السوالمة: خيال البلها.

78 ـ تعد أسرة ابن جندل واحدة من أقدم أسر شيوخ عنزة. تذكر لائحة شبرنغر (رقم 146) أفراد الأسرة، وكذلك تفعل لائحة لامارتين، وفيتسشتاين في كتاب: حوران، ص139، وجورماني، ص198، مجلة ZDPV، جزء 23، ص53.

79 ـ واحد من ابن مجيد. المرجع ذاته، ص54.

80 ـ موزيل: كشوش. ويسمون كذلك نجاده، طبقاً لأسماء أسرة شيوخهم.

81 ـ لقب: شنهاب. موزيل: الرولة، ص632. العشائر 1 ,2 ,4 مأخوذة عن جورماني، ص198.

82 ـ إبن عمه غضبان هو قائد غزوات معروف. يذكر جدول شبرنغر (رقم 147) أعضاء أسرة ابن معجل، وكذلك تفعل لائحة لامارتين. أنظر مجلة ZDPV، الجزء 23، ص53.

83 ـ يرد ذكره في لائحة لامارتين.



مشعل باشا، شيخ مشايخ شمّر (1929م)

شمّر

بدأت شمّر هجرتها، في الوقت نفسه تقريباً الذي بدأت فيه جارتها عنزة إنتقالها نحو الشمال. وفي حين قطعت عنزة خلال القرن الثامن عشر المسافة الهائلة بين خيبر وحلب، تقدمت شمّر إلى العراق فقط، قبل أن تحملها العاصفة الوهابية على عبور الفرات حوالى عام 1800م، والتقدم إلى سفوح جبال كردستان في سنوات قليلة. منذ ذلك الوقت، وشمّر تمثل ثاني أقوى قبيلة بدوية في الشمال، بعد عنزة. بالمقابل، تفوق أقسام شمّر التي بقيت في جزيرة العرب في عددها أقسام عنزة، أو إنها كانت تفوقها عدداً طوال فترة قيام إمارة نجد، التي أسستها أسرة شيوخها من آل رشيد (1838 ـ 1921م).

يقع موطن شمّر في الهضبة الوسطى من شمال جزيرة العرب، التي تبلغ ذروتها في جبلي أجا وسلمى، وتحمل اسم جبل شمّر على الخرائط. وقد ارتبط الاسم في الأصل بأجا، لأن أعيان القبيلة حصروا إقامتهم في العصر الوسيط في هذا القسم من الجبل. ترى المصادر التي أخذنا معلوماتنا عنها[1] بأن شمّر جزء من

---

(1) هو نشوان ابن سعيد (توفي عام 1107م) لدى موردمان ـ مولر: تماثيل سبئية، ص30. ياقوت (توفي 1229م)، الجزء الأول، ص887 ـ يعرف العارفون العرب بالتاريخ من أمثال الأمير شكيب أرسلان هذه الواقعة. تابع أيضاً Zdmg، الجزء 17، ص225. أما فرضية كايتاني في "حوليات الإسلام"، الجزء الأول، الفقرة31، ص63 (بالإيطالية) حول تكوّن شمّر فهي مرفوضة. تفتقر كذلك مزاعم بلغريف حول تكون شمّر في الجاهلية من اتحاد قبائل تغلب وعبس وهوازن وطي إلى أية أدلة.

بني زهير، وهؤلاء جزء من قوم طي في جنوب جزيرة العرب، أقام في تلك الجبال خلال القرنين الأولين الميلاديين. أما الجد الأول للقبيلة، فربما كان قيس ابن شمّر، الذي مدحه الشاعر الشهير إمرؤ القيس (في مطلع القرن السادس)[1]. من الثابت إذن أن شمّر عرب جنوبيون (طي)، وأن اسمهم عربي جنوبي بدوره. من هنا، فإن شمّر يرعش «يرعاش» ويهرعش في الكتابات تكوين معروف في الحكايات والتاريخ اليمنيين.

لم يتطور المتحد القبلي الحالي من بطون بني زهير المتواضعة وحدها بطبيعة الحال. ذلك يناقض جميع الملاحظات حول تشكل مثل هذه الإتحادات، ويتناقض مع سائر المرويات، التي ترى جميعها في شمّر قوماً مختلطاً، يمثل بالدرجة الأولى مجموعات ربطتها بها صلة قربى؛ حملت أسماء نبهان وربيعة وغيثُ، كانت ذات يوم لعشائر طي[2]، وتحملها اليوم أفخاذ شمّر[3].

يمتلك الشمّر أنفسهم نظرة غامضة تماماً حول نسبهم؛ نظرة تسمح عموماً باستنتاج رابطتهم مع طي[4]، بيد أن مفاهيمها تحجب في تفاصيلها هذه الرابطة. وذلك أمر لا يثير عجبنا، إذا ما أخذنا بعين الإعتبار الهوة الكبيرة التي تفصل أخبار العصر الوسيط عن العصر الحديث.

تضعنا المراجع، التي تبدأ مع القرن السابع عشر[5]، أمام مشكلة توسع شمّر نحو العراق. تتصف مقدمات هجرة القبيلة بالوضوح: فالعراق كان السوق الأقرب إلى جبل شمّر، وصار السوق الوحيدة، مذ أغلقت عنزة طريق سورية في مطلع القرن الثامن عشر. وكانت أرض العراق الخصبة تغري بالإقامة الدائمة، كما يثبت

---

(1) في طبعة ألورد للشعراء الستة، رقم20، البيت 57. تابع: إبن دريد، ص233.

(2) فوستنفيلد، جدول 6، 14 و15، تابع أيضاً مجلة Zdmg المجلد 65، ص176.

(3) أنظر مقالة شمّر في قسم جزيرة العرب.

(4) أنظر مقطع "نسب شمّر".

(5) تكتفي الملاحظة الأقدم بعض الشيء في جهان نامه، ص530، بالقول إن الجبل ملك شمّر.

وصف فالين[1] التالي، الذي نعتقد أنه يرجع إلى القرن السابع عشر، رغم أنه كتب أول الأمر في منتصف القرن السابق له: "يهاجر الأفراد والعائلات بصورة يومية تقريباً من هنا (جبل شمّر) إلى بلاد الرافدين، حيث يلتحقون بأقاربهم ويواصلون حياة الترحال على ضفاف الفرات ودجله، أو يستقرون تدريجياً في القرى". في سنوات الجفاف، تهاجر قبائل بأسرها إلى الشاميه، أي إلى إقليم العراق الواقع على هذا الجانب من الفرات، حيث يكون عليهم التفاهم مع سادة هذه الأراضي[2]. هذه القبائل تحمل اليوم اسم عنزة. وكان اسمها في القرن السابع عشر قشعم (غازيه). ليس مصادفة إذن أن أول تقرير وردنا عن شمّر في العراق يربط بينها وبين غازيه، ففي كتاب تاريخ بغداد لنظمي زاده[3] أن القبيلتين اجتازتا معاً عام 1696م الفرات عند الفلوجة ونهبتا الأرض، قبل أن يطردهما باشا بغداد. في السنوات التالية، تراكمت مثل هذه الأحداث، وأظهرت شمّر ميلاً خاصاً إلى القلاقل، حين هاجم نادر شاه العراق عام 1733م. كما وسعتْ غزْوَاتها إلى بغداد، حتى أثناء حكم سليمان أبو ليلى الشديد الصرامة (1749 ـ 1762م)[4].

للقيام بهذه الغزوات الدائمة، التي شهدتها مطالع القرن الثامن عشر، كان من الضروري أن تقوم أقسام من شمّر بتحركات متواصلة بين هيت وكربلاء في منطقة غرب الفرات. ذلك ما يؤكده، على كل حال، نيبور (1765م)[5]، الذي يطلق على هؤلاء شمّر العراق، تمييزاً لهم عن أخوتهم الذين بقوا في نجد. ويخص بالذكر منها عشيرتي الزقاريط والأسلم[6]، قبل أن يضيف: أن الزقاريط يسكنون اليوم

(1) Jrgs، الجزء 24، ص187.

(2) ليشمان في الجريدة الجغرافية، عام 1911م، ص265.

(3) نظمي زاده، ص116 تذكر أيضاً شمّر وغازية معاً في عام 1739م.

(4) گلشن ص13 (1725م/1726م) ودوحة الوزراء ص40 (1733م). لونكريك، ص156 (1736م). دوحة، ص49 (1739م) 148 (1756م).

(5) جزيرة العرب، ص392.

(6) يذكر الأسلم أيضاً في دوحة الوزراء، ص49، وعند كابر (قام برحلته عام 1778م) لدى هويل، ص262.

الشامية أيضاً، بينما ضم الأسلم إليهم في وقت لاحق ما يسمى بالجربا «الجربه»، وواصلوا ارتحالهم بصحبتهم إلى بلاد الرافدين (الجدول ب 2 ب). ويورد أن من بقايا شمّر العراق هؤلاء اسم شمّر طوقه سكان القسم الأدنى من مصب ديالى على الضفة الشرقية لدجلة[1].

بينما تلاشت موجة ترحال شمّر الأولى دون أن تترك آثاراً باقية، أعادت موجة ثانية صياغة خارطة بدو بلاد الرافدين بصورة جذرية. إنها هجرة شمّر الجرباء[2]، التي يبدو أن اسمها كان يعود بالأصل إلى الأسرة القائدة، لكنه امتد ليشمل جميع القبائل المشاركة في الهجرة، التي لا نستطيع فهمها ما لم نتجه بأنظارنا من جديد إلى نجد، حيث توسعت حركة الوهابيين الدينية، ومملكة آل سعود التي حملتها، منذ أواسط القرن الثامن عشر، وبقي الجبل خارج اهتماماتها، إلى أن وضع الوهابيون أقدامهم مع نهاية ستينيات القرن في منطقة القصيم، التي كان قسمها الشمالي منطقة ترحال شمّر. تذكر كتب التاريخ المعاصرة شمّر، أول ما تذكرهم، بالإرتباط مع أحداث القصيم، وتصفهم بأعداء الوهابيين (1780م أو 1782م)[3]. منذ ذلك الوقت، نجد شمّر بصورة متكررة محاطة بأعدائها، سواء كانت في ركاب بني خالد، أو المنتفق، أو شريف مكة الأكبر. تعرضت شمّر لحملات انتقامية منذ عام 1791م، حين كانت معسكرة عند آبار عدوا (على بعد قرابة 70 كيلومتراً جنوب حائل)، فباغتتها آل سعود وأنزلوا بها هزيمة نكراء، سقط خلالها قائدها الملقب بـ "حصان إبليس". وبعد أن استعاد البدو قوتهم، إنتقلوا إلى الهجوم المعاكس، جاعلين صفوف جمالهم حاجزاً يستترون وراءه. وقد تقدم مصلط[4]،

(1) سندرس في قسم العراق شمّر طوقة والزقاريط وغيرها من فروع شمّر المستقلة (مسعود)، وكذلك زوبع التي تتجول جنوب الفلوجة، التي انتمت جزئياً أول الأمر للجربة.

(2) تعني جربه «الجربانة»، ولا علاقة لها بكلمة جربوع.

(3) حول هذا الفارق، أنظر مقدمة قسم جزيرة العرب.

(4) لا زالت أبيات مصلط تروى اليوم أيضاً. أنظر مونتانيه: قصص بدوية شاعرية، 13، جريدة الدراسات الشرقية، الجزء الخامس.

ابن الشيخ مطلق الجرباء (الجربه ـ هذه أول مرة يذكر فيها اسم الأسرة في مرجع ـ، جماعته إلى معسكر الأعداء، حيث قتل بواسطة محراك خشبي لتقليب النار. غير أن تضحيته ذهبت عبثاً، لأن القبيلة هزمت من جديد[1]. عندما احتل الوهابيون بعد فترة قصيرة الجبل، إنصاع قسم من سكانه لهم بقيادة الشيخ ابن علي. أما مطلق الجرباء «الجربة»، وأتباعه فقد تركوا موطنهم وهاجروا إلى حدود الفرات، حيث استأنفوا قتال الوهابيين تحت الرايات التركية.

سقط مطلق عام 1798م[2]، فتولى القيادة أخوه الأصغر فارس، الأب الأول لأسرة الشيوخ الحاكمة حالياً، الذي تابع سياسة أسلافه، وسار عام 1801م على رأس حملة تركية انتظرت الوهابيين أمام كربلاء[3]. بعد ذلك، أي في مطلع العام التالي على الأرجح، عبرت شمّر الجرباء الفرات وتوغلت في الجزيرة. وفي شتاء عام 1802/ 1803م، وصلت أخبار عن وجودهم في منطقة جنوب سنجار[4]. مهما كانت الخدمة التي أداها عبور الفرات للقبيلة، فإنه كان تدبيراً حكومياً بالدرجة الأولى، كما يقول روسو عميل فرنسا في بغداد، في واحدة من ملاحظاته: "إنفصلت شمّر الجرباء قبل حوالى عام عن الوهابيين، هرباً من ضرائبهم المجحفة، وخضعت لحكومة بغداد، التي أذنت لها بعبور الفرات، كي تضمن انصياعها التام لها[5]، "وتقلع عن استفزاز الوهابيين"، كما يجب أن نضيف، آخذين بعين الإعتبار حادثاً مشابهاً، جرى مؤخراً في الموقع ذاته، عندما توغل الوهابيون مطلع عام 1920م في جبل شمّر، وفر قسم من عشائر المنطقة إلى عنزة (عمارات) في العراق. بعد حين، شن المهاجرون غزوات ضد الوهابيين، فرد عليهم هؤلاء بأعمال مشابهة حتى كادت تشتعل بينهم حرب حدود. عندئذ فكر

---

(1) عثمان ابن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، ص43 و45 و51. روضة الأفكار حول عام 1205. مانجان: تاريخ مصر في ظل محمد علي، الجزء الثاني، ص504.

(2) مانجان، ص516.

(3) دوحة، ص229.

(4) دوحة، ص239 (نهاية 1217هـ).

(5) وصف باشوية بغداد، باريس 1809م، ص141.

مفوض الإنتداب السامي في بلاد ما بين النهرين، السير بيرسي كوكس، بنقل شمّر إلى منطقة الحلة عبر الفرات؛ فخفف انتقالها التوتر بالفعل[1].

لقد أصبحت هجرة شمّر الجرباء إلى الجزيرة، سواء فيما يتعلق بتوقيتها أم بأسبابها واضحة. وأنه لأمر يثير العجب أن تستبدل جميع الأعمال الرصينة على وجه التقريب، بما في ذلك عمل وضعه خبير ممتاز ببلاد الرافدين هو لونكريك، هذه الوقائع الحقيقية بما ذكرناه في المقدمة عن عنزة (ص129) من أخطاء تاريخية تزعم أولاً باستيلاء شمّر على الصحراء السورية واحتلال تدمر في القرن السابع عشر، ثم بقيام عنزة بطردها إلى بلاد الرافدين في القرن الثامن عشر.

والأقل غرابة، أن الرواة وضعوا أيديهم على المادة الغنية المتعلقة بهجرة الجرباء «الجربة»، واختلقوا حولها أسطورة تروى اليوم أيضاً، بالطريقة ذاتها التي كان الكوماندر ج.ف. جونز قد سمعها عام 1848م[2]: غادرت عائلتان من شمّر نجد وسكنتا عند العبيد جنوب سنجار[3]. ذات يوم، دعا هؤلاء حُماتهم إلى وليمة عامرة قدموها على مسطح خشبي هائل الحجم. عندما عاد العبيد إلى خيامهم، كانوا عاجزين عن إيجاد الكلمات التي تستطيع وصف كرم الشمّر وقِدْرِهم العملاق. غير أن الشكوك ملأت نفس شيخ أشيب رفض المشاركة في الوليمة وطالب بقتل الغرباء، زاعماً أن القِدْر الكبير يقول ما فيه الكفاية، وهو أن أصابع غريبة ستمتد إلى قدر العبيد قبل أن يمر وقت طويل. لم يصغ أحد إلى نبي الشؤم. وبعد أشهر قليلة، تدفقت شمّر عشيرة إثر أخرى، إلى أن وجدت العبيد نفسها مجبرة على هجر مطارحها وتركها لهم.

---

(1) الشرق الحديث، الجزء الثالث، ص295 ـ هؤلاء الشمّر عادوا قبل سنوات قليلة إلى نجد.

(2) جونز: ذكريات، ص19.

(3) في تأليف حديث للحكاية تم استبدالهم بطي، الذين كانوا أقرب من العبيد إلى نفس الراوي، وهو شيخ كردي. وفي تأليف ثالث (الراوي عجيل الياور) الضيوف من طي والعبيد، والناصح الشيخ اسمه أمين بن ملحم، شيخ الجبور.

ثمة قدر كبير من الصحة في هذه الحكاية. فقد اضطرت شمّر أول الأمر إلى الإلتحاق بـ العبيد، أعظم قبائل بلاد الرافدين العراق، ثم أخذت الأحداث المنحى التالي: كان العبيد على وئام مع الحكومة، التي غالباً ما عملوا كميليشيا في خدمتها. لكن علاقتهم بها اضطربت واختلت عام 1802م. وفي العام التالي له، قامت القبيلة بثورة قمعتها الحكومة بواسطة شمّر. وفي عام1805م[1]، فاجأت شمّر العبيد عند مصب الخابور وهم يهمون بعبور الفرات هرباً من هجوم باشا بغداد، وأنزلوا بهم هزيمة ماحقة عجزوا عن استرداد قواهم بعدها، وأخيراً، إختفوا من الجزيرة[2]. منذ ذلك الوقت، إمتلكت شمّر المنطقة إلى الجنوب من سنجار، وتغلغلت في مرحلة مبكرة إلى أعالي بلاد الرافدين، حتى بلغ نفوذها البليخ عام 1809م، حيث أبادت تقريباً التركمان الذين كانوا هناك.

جاءت شمّر البلاد كحليف للأتراك، وقدمت لهم خدمات جليلة ومفيدة عامي1803م و1805م، إبان ثورة العبيد وغارات الوهابيين. لكنها سببت قلقاً واضطراباً دائمين في جو الجزيرة، الذي كان هادئاً إلى حد بعيد حتى ذلك الوقت، وفي العراق، حيث قصدت مقراتها الشتوية كل عام. وزادت متاعب الحكومة وحيرتها، التي ترتبت على علاقات القبائل الصعبة هناك. في ظروف كهذه، لا يثير العجب أن يرى عبد السلام أفندي، مؤلف تاريخ ماردين[3]، في شمّر عقاباً إلهياً كالطاعون والجراد (1828)م ـ بعث المظهر الخارجي للقادمين الجدد، الذين اختلف لباسهم وسلوكهم اختلافاً جلياً عن لباس وسلوك بدو الفرات، بعث الخوف والرعب في نفوس سكان المدن. وأفزع شيخ شمّر موزيل إلى حد أن الباشا أمر له بمرافقة عسكرية تحميه من مضايقات أبناء القبيلة[4].

(1) لونكريك، ص224، 1804. تابع كذلك دوحة، ص244.

(2) تابع فصل العبيد في مقالة الزبيد.

(3) مقتطفات مترجمة بحوزة وقفية ماكس فرايهر فون اوبنهايم.

(4) ريش: حكايات من مقر في كردستان، الجزء الثاني، ص110. تابع: وصف باشوية بغداد، ص142.

كان قد تكرس وضع طبيعي بين شمّر والحكومة، حين أخلّت إصلاحات السلطان محمود بالتوازن القائم. لتعزيز المركزية، سعى السلطان إلى الإطاحة بسلالة باشاوات ولاية بغداد، الذين حكموها، مع بعض الإنقطاعات، منذ بداية القرن الثامن عشر، بدعم من مماليك جورجيين. وبما أن داوود باشا (1817 - 1830م)، والي بغداد آنذاك، رفض إخلاء موقعه، تلقى خلفه المفترض علي رضا الأمر بإخراجه منه بقوة السلاح. عندئذ، إنضمت شمّر بقيادة الشيخ صفوق إلى القوة التأديبية. لكن علي رضا رفض إعطاءها المكافأة الموعودة، عقب احتلال بغداد (1831م)، فما كان منها إلا أن تمردت عليه. نزلت القبيلة قبالة بغداد خلال إقامتها الشتوية في العراق، وسدت الطرق والدروب المؤدية إليها. لجأ علي رضا إلى الوسائل التركية المألوفة، وأمر بتعيين بديل عن شيخها هو (شلاش ابن عم صفوق)، كما عبأ العنزة (العمارات) ضدها، عندما اجتازت الفرات في الخريف، جرياً على مألوفها. وهكذا انسحبت شمّر، لكن الحكومة وجدت نفسها مكرهة على تحمل إزعاجات عنزة طوال الشتاء؛ وقد بلغت حداً جعل بغداد تسمح بعودة شمّر إلى البلاد في العام التالي. غير أن عنزة لم تخل الساحة، بل استأنفت في الخريف التالي (1834م) إقامتها السنوية القصيرة في العراق[1] إستمرت اضطرابات شمّر في حياة الشيخ صفوق؛ وحين قتله الأتراك عام 1847م، إنفجر تمرد جدي عمّ بلاد الرافدين بأسرها، حتى لم يعد سكان المدن يجرؤون على الخروج من بيوتهم. أخيراً، أعدم عبد الكريم ابن الشيخ صفوق (حوالى عام 1870م)، فانهارت قدرة القبيلة على المقاومة.

إنقسمت شمّر في السبعينيات إلى مجموعتين: شمّر الغربية بزعامة الشيخ فارس، الذي اتخذ من منطقة نصيبين مقراً صيفياً له، وشمّر الشرقية بزعامة الشيخ

(1) تستند رواية هذه الأحداث على فريزر: رحلات في كردستان، بلاد ما بين النهرين... الخ، الجزء الأول، ص271 و317 و347. يصير تقرير فريزر ذا معنى إذا ما ربطناه بالترحال الشتوي للقبيلتين ـ لطفي، تاريخ، الجزء الثالث، ص127، الجزء الرابع، ص112، يعزو فشل الحكومة إلى غيرة باشا الموصل من زميله البغدادي.

فرحان، الذي خيم قرب الموصل[1]. هذا الإنقسام أدى إلى انهيار سريع في قوة شمّر، جعلها عاجزة عن القيام بأي تمرد. مع ذلك، عانت الحكومة الأمرّين عند جباية الضرائب[2]، وبدت غير قادرة (وربما غير راغبة) على منعها من الإقتتال مع جيرانها، الذي كثيراً ما كان يتكرر، لأن شمّر لم تكن بأي حال من الأحوال السيد الوحيد في الجزيرة. ومع أنها أخضعت أنصاف الرحل بين الخابور ودجلة، فقد بقي سنجار مغروساً كإسفين في منطقتها، وبقي سكانه من اليزيديين «الإيزيديين» المحاربين مستقلين بصورة دائمة تقريباً[3]. إلى هذا، ناصب الدليم الرحل في الجنوب شمّراً العداء، وشكلت الأقوام الكردية، التي سكنت منطقة لا يشاركها فيها أحد، حاجزاً على حافة الجبل في الشمال، حاولت شمّر تخطيه، دون جدوى في معظم الأحيان، إقتربت عنزة في الغرب من شمّر إلى درجة تنذر بالخطر، مذ احتل الفدعان المخروط الواقع بين الفرات والبليخ وتقدموا عبر الأخير نحو الشرق (في نهاية القرن الماضي). وإن كانت الجيرة الوثيقة قد أدت أحياناً إلى قيام صلات حميمة بين أقسام من القبيلتين المتعاديتين.

على خطئ الشيشان في ستينيات القرن التاسع عشر شكل القوقازيون عدواً جديداً لشمّر في منطقة الخابور الأعلى، قرب رأس العين، الموقع الذي كانت الحكومة قد أسكنتهم فيه. وكان القوقازيون، قوماً ألفوا الحرب في موطنهم الأصلي، فطاب لهم بسرعة طعم الأسلوب البدوي في خوضها، ألا وهو الغزو، خاصة وأن الحكومات أطلقت يدهم أو آزرتهم ضد القبائل. لكن شمّر أثبتت هنا

---

(1) تابع: زاخاو: رحلة في سورية وبلاد الرافدين، ص301. فرايهرفون اوبنهايم: من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، ص61، حيث تستبدل التفرقة المستخدمة هنا بين شمّر شمالية وجنوبية بشمّر شرقية وغربية، وهي الأصح.

(2) كان لا بد من تجهيز حملة لتحصيل التأديات المتأخرة عام 1911م. وقد باغتت شمّر الشرقية قرب خرائب الحضر وحققت النجاح المطلوب. أنباء جمعية الشرق الألمانية حزيران 1911م، ص38.

(3) على الأقل داخل الجبل، أما القرى على الحافة فقد دفعت خوة إلى الشمّر قبل الحرب العالمية.

أنها الأقوى. نورد في ما يلي واحداً من التقارير التي جمعناها خلال تنقيباتنا في تل حلف حول المعارك بينها وبين الشيشان، يعكس بدقة سلوكها حيالهم: في بداية الثمانينيات، توحدت مجموعتا شمّر ورابطتا قرب منبع السويدية (شرقي نصيبين)، لكن خلافات برزت بينهما، ففكر فارس، قائد شمّر الغربية، بالعودة مع جماعته إلى الجغجغ في الغرب، لتهيئة أنفسهم للحرب. طلب فارس مساعدة الشيشان، ثم تقدم في اتجاه أخوته من القبيلة، بمجرد أن وضع الشيشان قرابة مائة خيال ومجموعة من العرب تحت تصرفه. لكن العاصي، الإبن البكر لفرحان، الذي كان قد فارق الحياة في هذه الأثناء، وقائد شمّر الشرقيين، واجه الخطر من خلال إقناع فارس بخيانة حلفائه: حين أتت لحظة الصدام، تخلى شمّر فارس عن الشيشان، فسقطوا في الفخ وأصبحوا صيداً سهلاً لجماعة فارس، ولم ينج منهم غير قلة.

بين جميع أقوام الشمال الكردية، إنفرد إتحاد الملّي، المنتشرون من قرة داغ بين أورفة وماردين وحتى جبل عبد العزيز، بالتفوق على شمّر، بعد أن حولهم قائدهم إبراهيم باشا إلى قوات غير نظامية سميت الحميدية، زودتها الحكومة بأسلحة حديثة (قبل 1900م)[1].

وقد كانت لغزوة شمّرية قادها الشيخ علي الشيوخ ضد الملّية نهاية مخزية[2]، إذ سقط الشيخ أسيراً وسلمه إبراهيم إلى السلطات، التي أرسلته بدورها إلى القسطنطينية. بعد ذلك بفترة قصيرة أطلق سراحه، فاستعان لتوّه بابن عمه محمد الشيوخ من أجل شن حملة جديدة ضد الملّي في العام التالي. عرف إبراهيم باشا، الذي كان معسكره لصيقاً برأس العين، بالمخطط، فسار بقومه الليل بطوله وانقض صباح اليوم التالي على شمّر في تل حرمل (شرق رأس العين)، التي تخلى رجالها عن معسكرهم وقطعانهم وفروا مذعورين.

---

(1) أنظر مقالة الأفواج الملّية والحميدية في مقالة الأكراد، ص25.

(2) مصدر التقرير التالي هو محمد العقوب، أحد شيوخ حرب. أما التصحيحات فهي لعثمان آغا شيخ أكراد الخلديان (كيكي)، وكان شاهد عيانٍ على ما جرى. التسجيل من عام1913م.

عندئذ، تدخل شيخا شمّر الكبيران: العاصي وفارس، اللذان وحّدا قواهما وحشدا مجموعات مقاتلة من أكراد الدقوري والكيكي، ومن طي، والجبور، وحرب والشرابين[1]. وعندما تحرك جيشهما العرمرم بنسائه وأطفاله، خيامه وقطعانه، نحو الشرق، غطى الأرض من زرقان إلى الهلالية. وبما أن الوقت كان في الربيع (1901م)، فقد دمروا المحاصيل، ثم حاصروا ـ عبثاً ـ طوال ستة أيام قصر حصن القانجو في الهلالية[2]، وكان صاحبه زعيماً يزيدياً «إيزيدياً» اعتنق الإسلام وصار أقرب مساعدي إبراهيم باشا، الذي توجه، بمجرد أن بلغه نبأ وصول الجيش المعادي، إلى قرجه داغ، غير السالكة بالنسبة إلى البدو، والواقعة إلى الشمال من عاصمته ويرانشهر، حاشراً بذلك بين الحصن والأرض الوعرة القبيلة التي كانت تفكر بالإستيلاء على المدينة من الشمال. أصدر إبراهيم باشا أمر الهجوم، في اللحظة التي تحرك فيها معسكر شمّر نحو هدفه، وحسم المعركة بفضل الأرض الملائمة وتفوق أسلحة قواته النارية. هذا ما قاله محمد العقوب. أما في الحقيقة، فقد خسرت شمّر المعركة بسبب الخيانة، كما يروي عثمان آغا، الذي يعترف أنه اتفق وشيخ طي مع إبراهيم باشا، وأبلغاه بخطة الحرب وبمواقع قواتهما. عندما انتقل إبراهيم إلى الهجوم، ترك رجالهم مواقعهم دون أن يطلقوا طلقة واحدة، وتجنبوا الإنضمام إلى الملّية، كي لا يشك الشمّريون فيهم ويتعرضوا لانتقامهم ـ كانت الهزيمة رهيبة، ولاحق الملّية شمّراً إلى ما بعد رأس العين. بعد المعركة، إنصب حقد المهزومين على أبناء قبيلتهم من الثابت والفداغه، الذين كانوا قد رفضوا الإشتراك في الحملة.

كان لسلوك عشيرتي الثابت والفداغة ما يبرره، فقد أقامتا غرب الخابور،

---

(1) عثمان آغا: «كان الشمّر يعتزمون في سرهم نهب حلفائهم، بمجرد أن ينتهوا من إبراهيم باشا. لذلك تبعهم هؤلاء مكرهين».

(2) عثمان آغا: "توقف الجيش هناك ليلة واحدة فقط، لأن شيوخ شمّر كانوا يلحون على شن هجوم سريع على إبراهيم. إن القصر المنيع الذي بني فيما بعد في السهل لم يكن قد وجد بعد آنذاك، وكان يوجد بناء آجري على تل الهلالية".

بعيداً عن بقية الجرباء، وكانتا معرضتين لهجمات عنزة فدعان بالدرجة الأولى، المتقدمة نحو البليخ[1]. لم يكن بمقدور العشيرتين معاداة الملّية، حلفائهما الطبيعيين، فآثروا البقاء خارج المعركة وعسكروا أثناءها قرب قلعة شرقاط على نهر دجلة، بعيداً عن مراعيهم الأصلية.

بعد وقت قصير، جرت أحداث عزلت العشيرتين طوال سنوات عن أبناء قبيلتيهما: فقد توفي فارس، شيخ شمّر الغربية، في الشتاء عام 1901 ـ 1902م، دون أن يخلف وراءه أبناء يافعين. في الوقت نفسه تقريباً، إنفجر نزاع في بيت فرحان[2]، قاد في النهاية إلى قتال مفتوح بين العاصي وأخيه جارالله. إنحاز الثابت والفداغة، وقد جعلهما موت فارس دون رئيس، إلى جار الله، الذي ناصرته عشيرة العبدة، بينما ناصر باقي الشمّريين عاصي. دارت الأعمال العدائية بين الجانبين في منطقة نصيبين، وفشلت الغزوة الأولى التي قامت بها شمّر ضد المنشقين، لأن هؤلاء تلقوا عون الملّيه. في الإشتباك التالي، قتل الهادي، ابن عاصي، بيد محارب الفداغة عزو المحمود. ثم قتل بعد ذلك مباشرة فرد آخر من أسرة الشيوخ (شمّر الغرب) هو متعب ابن علي الشيوخ[3]، فألقى ثأر دموي بثقله على الثابت والفداغة، اللتين غادرتا نصيبين وعادتا إلى مراعيهما القديمة، حيث كانتا تتمتعان بالأمان تحت حماية إبراهيم باشا. بدوره، تصالح جارالله مع العاصي، فضمن السلام للعبده.

بعد سقوط قائد الملّية الكبير (1908م)، سعت الثابت إلى دعم الفدعان، إلا أن زعيم القبيلة الأخيرة، حاكم ابن مهيد، لم يكن راغباً في زيادة توتير علاقات عنزة وشمّر، وعمل عوضاً عن ذلك على مصالحة الثابت مع العاصي. وحين رفض مسعاه، ترك الأمور تأخذ مجراها. وكانت الثابت تشن غزوات ضد رفاقهم في القبيلة، جُرّت الفدعان شيئاً فشيئاً إلى النزاع. بهذه الطريقة، إنضوت الثابت في

---

(1) تابع. ابتون، ص222.

(2) تسبب به هادي ابن عاصي وابن عمه نايف ابن جارالله. تابع الملاحظة الخامسة حول شجرة نسب بيت محمد (الفرحان) ـ هنا تستكمل رواية الملّي برواية شمّر.

(3) أسقط من شجرة النسب.

جبهة عنزة، بينما تقربت الفداغة مجدداً من قبيلتها الأصلية، وإن بقي القائد عزو المحمود، المثقل بذنوب خاصة من الأحداث السابقة، مع أنصاره عند الملّية[1]. فيما بعد، عادت الفداغة أيضاً ومعها الثابت إلى شمّر.

إستجابت شمّر أول الأمر لنداء الجهاد الذي أطلقه الأتراك خلال الحرب العالمية. وشاركت وحدة منها في معركة الشعيبة (12/ 14 نيسان 1915م)[2]. ثم أخذت فيما بعد بسياسة ذكية ترمي إلى إقامة صلات مع الجانبين، فبقي الحميدي، شقيق عاصي وخريج مدرسة القبائل في القسطنطينية، على علاقة وثيقة مع الأتراك، بينما قدم شقيق آخر هو فيصل ولاءه إلى شريف مكة الثائر[3]. لم تحل أحداث الحرب، ولم يحل احتلال بغداد (11 آذار 1917م) بين شمّر وبين هجرتها الشتوية إلى العراق؛ فكانت تجتاز الجبهة في الخريف، بقوة ألفي خيمة، وتعود إلى المنطقة التركية في الربيع، رغم أنها كانت تتلقى معونات إنجليزية.

بعد الحرب، زار عدد من مشايخ القبيلة الموصل بناء على طلب إنجليزي، حيث تم احتجازهم أول الأمر. إنحاز حميدي وحده إلى جانب الانجليز، في حين فر الشيخ النافذ عجيل الياور وأعتبر خارجاً عن القانون. لم تخضع إذن شمّر الشرقية بأسرها، خاصة وأن زعيمها عاصي لم يكن يفكر أصلاً بربط نفسه بالانجليز. في أيلول من عام 1919م، باغتت شمّر قافلة كبيرة بين الموصل ودير الزور، ردت الحكومة عليها بتدابير عقابية لم تكن مؤثرة أول الأمر. ولكن بعد ذلك أرسل عاصي حفيده دهام إلى الموصل، وأعلن عزمه التخلي عن المشيخة لصالحه. فرض الانجليز غرامة على دهام، ووعدوه بأن يعترفوا به شيخ مشايخ بعد دفع الغرامة. لكن الأحداث السياسية، التي كانت تنذر بقدوم ثورة بلاد الرافدين الكبرى (11 كانون الأول 1919م وقع حادث دير الزور)، جعلته عازفاً عن الثقة

(1) مزيد من المعلومات في الملاحظة العاشرة حول الجدول.

(2) قرب بصرى.

(3) Review، ص42 ـ وصلت رسائل الشريف الكبير عام 1916م إلى شمّر، ولم يبق تصرف الأتراك العنيف ضد الوجهاء العرب في سورية دون أثر (عجيل الياور).

بالانجليز، وميّالاً إلى التردد في تنفيذ التزاماته حيالهم. أخيراً، إنتقل الرجل إلى الأراضي التركية.

إقتصرت مشاركة شمّر على المرحلة الأولى من الثورة، التي انفجرت مطلع عام 1920م، لأن نقطة ثقل المعارك سرعان ما انتقلت إلى العراق[1]. عندما تحولت، بعد خمود الحركة، منطقة الانتداب إلى مملكة وأعلن فيصل ملك سورية السابق حاكماً جديداً عليها (توج ملكاً يوم 23 آب من عام 1921م)، إنصاعت شمّر الشرقية دون مقاومة للظروف الجديدة[2]، ثم عاد الشيخ دهام عام 1922م إلى الأراضي العراقية، لكنه استبدل في العام نفسه بعمه عجيل الياور، الذي هو الآن الزعيم الأكبر لشمّر مملكة العراق جميعهم.

من جانبه، أبدى مشعل ابن فارس، شيخ شمّر الغربية، العداء حيال الانجليز، وشارك في الصدامات الأولى قرب البوكمال (بداية 1920م)، وأقام صلات مع البعثة العسكرية الفرنسية، التي وصلت عام 1920م إلى دير الزور. وتمتع حتى عام 1929م بثقة حكومة الانتداب ثم واجه صعوبات معها جعلته يجتاز الحدود عام 1930م إلى العراق. عام 1937م عاد من هناك، عندما تراخت السيطرة الفرنسية بعض الشيء، ليتولى شؤون مجموعته، التي كان يقودها في ذلك الوقت قريبه مزار ابن عبد المحسن.

يبدو أن تنظيم الجرباء كما يسمى شمّر بلاد الرافدين تميزاً لهم عن أبناء قبيلتهم الذين بقوا في جزيرة العرب، لم يشهد تبدلات كبيرة منذ الهجرة. أما أكثر عشائرهم أهمية فهي الخرصة، ذات الارتباط الوثيق بأسرة شيوخهم، ثم العبده والصايح والثابت والفداغة والعامود.

بالمناسبة، لا تلعب عشائر شمّر أي دور سياسي خاص، فذلك حق تحتكره

---

(1) Review، ص138.

(2) الشرق الحديث، الجزء الثاني، ص298 .

مجموعات القبيلة الكبيرة، التي تتمحور، بحسب مقتضيات الحال، حول واحد من شيوخهم. هذه الظاهرة ذات الطابع الخاص، ربما كانت ترجع إلى أن العشائر لم تهاجر بكاملها، بل هاجرت أجزاء منها فقط، مما منح القيادة وزناً أكبر مما لدى غيرها من القبائل، أمكنت ملاحظته منذ أول ظهور للجرباء في بلاد الرافدين، حيث آزرت شمّر بنيّة ابن عم فارس، وتقاسم صفوق سلطته في الجيل الثاني مع أبناء عمومته شلاش ونجرس. نشأت بعد موت صفوق مجموعات أربع قادها الأخوة فرحان، وعبد الكريم، وعبد الرزاق، فضلاً عن عمهم محمود الفارس. ثم أخذ تقسيم جديد يشق طريقه في السبعينيات، فتجمع شمّر الشرقيون حول فرحان وأخلافه، وتجمع حول فارس، الأصغر سناً منه، شمّر الغربيون، الذين يجب أن نحسب في عدادهم شمّر محمد الشيوخ وعلي الشيوخ: أخلاف مجموعات عبد الكريم وعبد الرزاق[1].

تجاوز شمّر الغربيون والشرقيون الحرب العالمية. ومنح رسم الحدود بين منطقة الانتداب الفرنسية ومنطقة الانتداب الإنجليزية، التي تحولت في وقت لاحق إلى مملكة العراق، منح مجاميعهما وزناً متعاظماً، خاصة بعد أن حملت شمّر الغربية الجنسية السورية وشمّر الشرقية الجنسية العراقية. سيكون من الأجدى، من الآن فصاعداً، التحدث عن شمّر سورية (جدول أ) وشمّر العراق (جدول ب)، مع أن الثانية أقوى بكثير من الأولى، التي فقدت منذ وقت طويل الحجم الذي كان لها في ظل فارس. ثمة مجموعة ثالثة (ج) تكونت بعد الحرب من شمّر شمال سنجار السورية، لكنها فقدت أهميتها بدورها منذ أن بدأ أفرادها يدفعون الضرائب للعراق، حيث يمضون الشتاء.

تنقلت شمّر سورية (شمّر الغربية) إلى ما قبل عقد من السنين على مقربة من الحدود التركية في الصيف (نص تل، على بعد45 كيلو متراً من حران ـ نصيبين). ويقال إنها أخلت المنطقة مؤخراً، وشرعت تقيم إلى الجنوب منها. أما في الشتاء،

(1) محمد هو ابن عبد الكريم، وعلي ابن عبد الرزاق.

فهي تنصب خيامها في منطقتي العقيق والروضة، جنوب غرب سنجار، بينما يجتاز معظمها الحدود العراقية.

تمتد منطقة الانتشار الصيفي لبقية شمّر من جغجغ، وتلتف حول سنجار لتصل إلى الموصل وتكريت. لكن عشيرة الصايح تجتاز معظم الأحيان دجلة وتتنقل من الزاب الأدنى إلى ديالىٰ. على أن منطقة انتشارها الشتوية تمتد من الجزيرة إلى ما بعد بغداد بكثير (بغيلة ـ ديوانية). وتتوغل العبدة أكثر من غيرها جنوباً، حتى إنها غالباً ما تنصب خيامها في الشامية (جنوب الفرات). تتم عودة بقية شمّر في وقت مبكر، فلا تأتي نهاية آذار إلا ويكون معظمهم قد بلغوا تل أعفر «تلعفر».

تل أعفر «تلعفر» ـ هي "بوابة شمّر"، وهي السوق الرئيسية للقبائل في الشرق وهناك سوق أخرى هي: بلد سنجار. وثمة أسواق أخرى على دجلة هي: الموصل وتكريت وسامراء، وعلى الفرات أسواق راوه، وعانه، والرمادي. وفي الأراضي السورية أسواق دير الزور، والحسكه، والقامشلي، التي حلت محل نصيبين، بعد ضمها إلى تركية.

ربما تكون مداخيل شمّر قد تراجعت كثيراً في ظل النظام الجديد. لقد مضت الأزمنة التي كانت فيها مناطق كحران ونصيبين وتكريت تدفع خوة[1]، وكانت رسوم القوافل تعطي عائداً مالياً كبيراً (سبعة قروش للجمل الواحد، حسب أرقام زاخاو (ص 306). إعترفت منطقة الانتداب البريطانية السابقة بحق أسرة عاصي في فرض الخوه، ما دام يقتصر على البدو (لا الفلاحين)[2]. أما المنطقة الفرنسية فلم تتخذ قراراً حاسماً في هذا الشأن. والحق، أن البقارة والشرابين لا زالتا تدفعان هذه الإتاوة، في حين ترفض قبائل الشيتي والمرسيني والكيكي الكردية دفعها منذ سنوات، وتفتقر أسرة مشعل إلى القوة اللازمة لتحصيلها.

---

(1) جونز: ص23 و26. زاخاو، ص128. فرايهر، الجزء الثاني، ص64.

(2) Review، ص52. كانت الخوة تبلغ خروفين ونعجتين ولأدتين، وأربعة حملان و6 مجيديات لكل قطيع غنم.

لم تتحقق إلى الآن رغبة الحكومتين السورية والعراقية في دفع شمّر إلى الاستقرار. صحيح أن شيوخ المشايخ (الكبار) يمتلكون أراضي واسعة، لكن هذه لا يزرعها أبناء القبيلة، بل فلاحون وأنصاف رحل.

يصعب كثيراً تقدير قوة شمّر العسكرية، وربما كان عجيل الياور يمتلك قوة تقترب من 20 ألف بندقية، لأنه ليس زعيم شمّر العراق وحدها، بل يطيعه شمّر سورية كذلك، وعلى أقل تقدير في الشتاء. يضاف إلى ذلك فلاحوه وبعض أنصاف الرحل كجبور دجلة، المرتبطين بشمّر.

أسرة شيوخ شمّر

يختلف تنظيم شمّر اختلافاً جوهرياً عن تنظيم العنزة. فبينما تنقسم الأخيرة إلى سلسلة عشائر مستقلة تخضع كل واحدة منها لشيخ خاص بها، يعترف شمّر بلاد الرافدين جميعهم بحكم أسرة شيوخ واحدة. لذلك، يبرز هنا الإنقسام إلى مجموعات تكونت بصورة مصطنعة بدل الإنقسام إلى وحدات نمت بشكل طبيعي، وترتكز المجموعات على رابطة شخصية تشدها إلى أعضاء مختلفين من أسرة شيوخ شمّر، أي إلى وقائع ترتبط بالظروف الخاصة التي تمت في ظلها هجرات شمّر، من جهة، وإلى احترام الشمّريين غير العادي لأعضاء أسرة شيوخهم من جهة أخرى، حتى "لو أن طفلاً منهم ضرب أرفع الشمّريين منزلة، لما رفع هذا يده دفاعاً عن نفسه" (زاخاو). هذا الموقع الامتيازي الذي تحتله الأسرة، يثير الاهتمام، خاصة وأنها لم تنبثق من صفوف شمّر نفسها.

ترجع أسرة شيوخ شمّر إلى محمد ابن فضل، فهي إذن من نسل الفضل، الذي كان يتولى قيادة طي السورية في العصر الوسيط[1]. صلة النسب هذه لا تعود إلى فترة بعيدة، كما يبدو للوهلة الأولى، لأن شيوخ الفضل سكنوا جبل شمّر خلال القرن الرابع عشر[2].

(1) أنظر فيما بعد شجرة نسب بيت محمد وسلسلة أخلاف عجيل.

(2) أنظر مقالة فضل في قسم سورية.



الشيخ عجيل الياور وولده احمد (1937م)

تحمل أسرة شيوخ شمّر اسم آل (بيت) محمد تيمناً بأبيها الأول. ويتكنى أعضاؤها بلقب الجرباء «الجربة» المعروف.

ليس هناك معلومات دقيقة حول الأجيال القديمة من الأسرة، لذا يبدأ تاريخها بالنسبة لنا مع الشيخ مطلق الجرباء، الذي سقط في نهاية القرن الثامن عشر خلال قتال ضد الوهابيين، فأسس شقيقه وخلفه فارس الفرع الحاكم حالياً من الأسرة[1].

أمضى فارس قسماً من حياته رهينة في الدرعية، عاصمة الوهابيين[2]، لأن آل سعود درجوا على ضمان ولاء البدو لهم بأخذ رهائن منهم[3]. مع وصول نبأ موت مطلق (1798م)، فر فارس إلى العراق، ثم تولى قيادة القبيلة المتبقية التي كانت تقيم آنذاك في الشامية. فيما بعد، مكنته ظروف ملائمة من إقامة علاقات وثيقة مع الحكومة: لدى تغيير الباشا عام 1802م، سقط مستشاره للشؤون البدوية محمد بيك شاوي زاده من قبيلة العبيد ضحية للصراع الوظيفي، فاختير فارس خلفاً له، لإلمامه الدقيق بالشؤون الوهابية، التي كانت على قدر خطير من الأهمية بالنسبة لولاية بغداد. عرف فارس كيف يوحد بمهارة مصالح الأتراك ومصالح قبيلته. إن حق شمّر في عبور الفرات هو أحد إنجازاته، وكذلك الحملة ضد العبيد، التي ضمنت حق شمّر في استيطان الجزيرة. وكذلك تحريض سليمان باشا الصغير، الذي كان فتى قليل الخبرة، على إرسال حملة إلى الشمال عام 1809م أوصلت حكم شمّر إلى البليخ، باعتبار أنها اخترقت منطقة سنجار من أجل تأديب اليزيديين. تلقى الباشا في هذا المكان نبأ انفجار تمرد في المنطقة بين ماردين وديار بكر، فاتجه بقوته الرئيسة نحو الشمال، تاركاً لفارس شرذمة صغيرة متحركة، إلى جانب جماعات دعم كردية وعربية، وأمره بمواصلة سيره إلى البليخ. بيد أن الحملة تحولت إلى

(1) أنظر لوحة النسب في مقطع: مشجرة نسب بيت محمد.

(2) دوكورانسيه: تاريخ الوهابيين، ص47 (بالفرنسية).

(3) تابع بوركهاردت، ص243.

كارثة، بسبب عجز قائدها التركي، الذي شتت البدو المعادون قواته[1].

لم يتأثر مركز فارس بهذا الفشل، وحافظ على منصبه في بغداد إلى أن تولى السلطة سعيد باشا (عام 1813م)، الذي رفعه شيخ قبيلة المنتفق القوية إلى سدة الحكم. ظهرت نتائج تجميد فارس شتاء عام 1814/ 1815م بسبب غارات شنتها شمّر، تلتها في الشتاء التالي عمليات نهب شملت ضفاف الفرات من الحلة إلى الديوانية، قامت بها في ركاب جيش تركي كان يقمع انتفاضة بدوية في العراق. إستعان سعيد باشا، عندئذ، بالمنتفق، فوحد هؤلاء قواهم وقوى الضفير، أعداء فارس، وهزموا شمّر والقبائل العراقية المتحالفة معها قرب لملوم[2]. بعد وقت قصير، وعلى أي حال قبل عام 1818م مات الشيخ فارس[3][4]، الذي لا شك في أنه كان أكثر ساسة أسرة شيوخ شمّر نجاحاً، رغم أن شهرة ابن أخيه[5] بنيّة الحربية عتمت في وقت مبكر على انجازاته.

هناك بضعة أخبار حديثة وسلسلة من القصص المتأخرة حول بنيّة، جمعها روس عام 1836م[6]، تمجد كرمه وشجاعته، وتضفي عليه، من جانب آخر، مسحة

(1) إن تاريخ رسول حاوي أفندي، الذي أخذ التقرير منه، يسمي الضفير كعدو لشمّر في هذه المعركة، وهي قبيلة هاجرت بدورها من نجد إلى الشامية. بينما يذكر مرجع آخر معاصر هو لغة العرب، 1911م، رقم3، ص97 إلى جانب الضفير عنزة أيضاً. يرجح أن تكون هذه المعركة هي التي تكللت بذلك النصر الذي أحرزته عنزة عام 1809م عند مصب الخابور على شمّر والأتراك (بوركهاردت، ص236، 308). فالتاريخ يتطابق تماماً والمكان تقريباً.

(2) دوحة، ص280. ثمة عرض تفصيلي لهذه الأحداث في قسم العراق.

(3) في الجدول الذي وضعه شبرنغر في العام ذاته يذكر اسم عمر الجربا كزعيم لشمّر، ربما كان الاسم منقولاً عن عمر أو عمير، تابع لوحة النسب في مقطع شجرة بيت محمد ولايارد: نينوى وبقاياها. الجزء الأول، ص93.

(4) دفن فارس في الخثال في نجد (خارطة موزيل: شمال الجزيرة العربية)، حيث أمضت شمّر من حين لآخر الشتاء هناك.

(5) المراجع المعاصرة صحيحة، دوحة، ص280. ريش، الجزء الثاني، ص110.

(6) Jrgs، الجزء التاسع، ص453.

من الوحشية تجافي عادة طبيعة البدوي. بين هذه القصص واحدة تستحق أن تساق هنا: كان بنيّة يجالس ذات مرة أبناء قبيلته في خيمة، عندما لاحظ عيوناً تنظر عبر الحصيرة التي تفصل قسم النساء عن قسم الرجال. فما كان منه إلا أن التقط مدق مهباج القهوة الحديدي، وتلاعب به للحظات ثم قذفه نحو الحصيرة، متظاهراً أنه يفعل ذلك بمحض المصادفة. تبع ذلك صيحة. وحين تبين القوم حقيقة الأمر، وجدوا زوجته ممددة وراء الحصيرة وقد تهشم رأسها. هناك أيضاً قصص أسطورية حقيقية حول شجاعته. فقد غطى انسحاب الأتراك في معركة مصب الخابور[1]، وقاد شمّر مراراً وتكراراً إلى انتصارات على عنزة: عدوها اللدود. قتل بنيّة في معركة لملوم (1815م)[2]، عندما انزلق حصانه على أرض بللها المطر الغزير. وقد عثر بعض مقاتلي المنتفق عليه مصاباً بجراح شديدة، فأعطاهم اسمه ورجاهم استدعاء شيخهم. غيرأن قائد المجموعة المعادية رفض رجاءه، لاعتقاده أن شيخه سيبقي عليه، وقتله بطعنة رمح، ثم قطع رأسه وأرسله إلى بغداد، حيث أمر الباشا بإلقائه إلى أسد، فلم يجرؤ على الإقتراب منه، بل تقافز كالمجنون في قفصه، ولم يعد إلى هدوئه إلا بعد أن أبعدوا الرأس عنه.

إنتقل التمجيد غير المحدود، الذي خصت شمّر بنيّة به أثناء حياته، إلى ابنته عبطه، التي كانت تعقد اجتماعات إستشارية كالرجال، وتفرض كلمتها كقانون.

خضعت شمّر خلال العقود الثلاثة التالية لحكم صفوق، ابن فارس، الذي لم يكن أقل أهمية من أبيه. تقرّب صفوق مجدداً من الحكومة، وقدم بعض العون لداوود، آخر باشا مملوكي في بغداد، كما فعل عام 1821م خلال غزوة فارسية للعراق[3]. وعندما عزل داوود عام 1830م، كان الشيخ قد انضم إلى علي رضا باشا، الذي ما لبث أن أزاح معارضيه بقوة السلاح، ورافق طلائع تركية إلى

(1) بوركهاردت، ص236.

(2) دوحة، ص280. وما يلي تبعاً لروس.

(3) لونكريك، ص245.

بغداد[1]، حيث سلكت سلوك المنتصرين في مدينة محتلة. رداً على ذلك، إنفجرت انتفاضة في المدينة استمرت إلى أيلول من عام 1831م. ويبدو أن علي رضا حمل الشيخ صفوق مسؤولية الأحداث، ورفض منحه مكافأة مالية كان قد وعده بها. إنتهى تمرد شمّر الذي تلى ذلك إلى تعيين شلاش، ابن عم صفوق، شيخاً للقبيلة بدلاً منه، لكنه استعاد مكانته سيداً أوحد لشمّر، عندما قتل شلاش في معركة ضد عنزة 1834م[2]، رغم أنه بقي رجلاً مشبوهاً في نظر الأتراك. وعندما حطم الوزير الأكبر السابق رشيد باشا سلطة كبار الاقطاعيين في أعالي بلاد الرافدين، إعتقل صفوق بين من اعتقل وأرسل إلى القسطنطينية (1836م)[3] . حين أطلق سراحه بعد حين، وانفجرت اضطرابات شمّرية جديدة[4]، لجأ نجيب باشا بغداد (وكان قد عيّن عام 1842م في هذا المنصب) إلى وسيلة مجربة ونصب شيخاً بديلاً اختاره من أبناء عمومته هو نجرس[5]، الذي انحازت أغلبية شمّر إليه، فلم يجد لايارد بصحبة صفوق غير عدد قليل من الأتباع، حين قام بزيارته عام 1846م.

حاول صفوق عبثاً الحصول على مساعدة باشا الموصل، وقد بلغت أحواله عام 1847م درجة من التردي أجبرته على الهرب إلى بدر خان بيك، زعيم حصن كيف الكردي، الذي كانت سمعته قد بلغت الحضيض بدورها، بسبب المذابح التي قام بها ضد المسيحيين عامي1843و 1846م. هنا، نجح صفوق في إقامة صلة مع نجيب باشا، وفي الحصول على اعترافه به كشيخ مشايخ. لذلك قرر التخلص مرة واحدة وإلى الأبد من منافسه، ودعاه إلى مداولات في خيمته. وحين لم يقدم، أمر ابنه فرحان باحضاره، فأبى هذا تنفيذ رغبة أبيه، إذا لم يَعِد بحماية ضيفه من أي سوء. إستجاب نجرس بتردد للدعوة، بسبب ثقته بحماية فرحان. أثناء الحديث في خيمة صفوق، حدثت مشادة نجمت عن استفزازات صفوق لضيفه. حاول فرحان عبثاً

---

(1) لونكريك، ص268.

(2) حول قبره، أنظر موزيل الفرات الأوسط، ص149.

(3) روس في Jrgs، الجزء التاسع، ص457.

(4) لايارد: مغامرات مبكرة، الجزء الثاني، ص199.

(5) ليست المرويات الحالية واضحة فيما يتعلق بدرجة القرابة.

الوقوف بين الرجلين، لكن صفوقاً شهر سيفه وانقض على نجرس ثم قتله، حين رفض قريب كان معه تلبية رجائه وتقديم حمايته له ـ أخرج انتهاك حقوق الضيافة شمّرا عن طاعة صفوق، الذي طلب عون نجيب باشا، عسى أن يساعده في استرداد سطوته، فأمده هذا بقوات غير نظامية قادها ضد قبيلته، لكنه قتل بعد ذلك في الطريق بأمر من الباشا نفسه[1].

على الرغم من عقوقه، لم يفتقر صفوق حتى في أشد اللحظات قتامة إلى أنصار مطيعين. وبينما صار فارس وبنيّة نصف منسيين، بقيت ذكريات صفوق الرهيب حية في أيامنا أيضاً.

شحنت عمشة، ابنة شيخ طي حسن وزوجة صفوق الرئيسة[2] في أعوامه الأخيرة، أبناءها الثلاثة منه: عبد الكريم وعبد الرزاق وفارس شحنتهم بالحقد على الأتراك، الذين اعترفوا بفرحان، بن صفوق البكر، المتحدر من زواج آخر وذي الطبيعة المسالمة، شيخاً للقبيلة[3]. لم يجد هذا غير قليل من الأنصار بين شمّر، لذلك آلت قيادة القبيلة إلى أخويه عبد الكريم وعبد الرزاق. مات عبد الرزاق وهو فتى: فقد أهانه حاكم ماردين وقتله عندما حاول الإنتقام لنفسه. هكذا كان على عبد الكريم الإنتقام لأبيه وأخيه. وقد فعل ذلك بطريقة حاسمة، ألقت بلاد الرافدين في حمأة اضطرابات دامت سنوات طويلة، فر في نهايتها إلى العراق طالباً حماية المنتفق. ويقال إن أخاه فرحان أخبر الأتراك بمكان إقامته، فأمروا بالقاء القبض عليه، وجلبوه إلى الموصل وشنقوه على جسر دجلة (حوالى عام 1870م)[4].

تعتبر ظاهرة عبد الكريم اللامعة فريدة بين تجارب الأجيال اللاحقة من الأسرة. إذا كان لنا أن نثق بالقصص المنتشرة حوله[5]، وجب علينا أن نرى فيه

(1) لايارد: نينوى وبقاياها، الجزء الأول، ص94 و111.

(2) المرجع ذاته، ص100.

(3) جونز: ص370.

(4) بلنت، الجزء الأول، ص317. زاخاو: ص302. حول التزمين، تابع ابتون: ص224 ومجلة Zdpv، الجزء 23، ص56.

(5) تم تقديم واحدة منها في الصفحة 143 أعلاه.

تجسيداً حقيقياً لفضائل ومُثل البدوي الرومانسية العليا، كما يلخصه حس البطولة، والنبل، والكرم.

بموت عبد الكريم، تمكن أخوه الأكبر فرحان من التمتع أخيراً بحقوقه. ومع أنه تلقى في السبعينيات لقب الباشوية وراتباً شهرياً من الحكومة، فإنه لم يحظ أبداً باحترام حقيقي في قبيلته. وزاد الطين بلة أنه واجه منافساً جديداً هو أخوه الأصغر فارس، الذي ترعرع بين شمّر نجد، حيث كانت أمه عمشة قد أرسلته إليهم بعد موت أبيه صفوق. عاد فارس عام 1875م، وسرعان ما كون مجموعة خاصة به، وأقام علاقات طيبة مع الأتراك، الذين عينوه قائمقاماً أول الأمر، ثم أنعموا عليه بلقب باشا، وجعلوه نداً لأخيه فرحان[1].

توفي فارس[2] عام 1319هـ/ 1901 ـ 1902م. بما أن أولاده كانوا فتياناً صغار السن، ذهبت السلطة إلى نسل فرحان، الذي سبق أن توفي بدوره عام 1880م، تاركاً وراءه عدداً كبيراً من الأبناء، الذين تقاتلوا فترة طويلة حول التركة، إلى أن تغلب في نهاية المطاف الأخ الأكبر عاصي، "المتمرد" الذي ينطبق معنى اسمه على أبناء فرحان جميعهم، كما تلاحظ غيرترود بل بحق[3].

يبدو أن الأتراك لم يعترفوا أبداً بمشيخة عاصي. أما هو، فلم يبذل بدوره أي جهد من أجل الحصول على اعتراف كهذا، ورفض إقامة أية علاقات مع السلطات، تاركاً لأقاربه مهمة تمثيل القبيلة عندهم. حتى عام 1917م، تولى أربعة من أخوته على الأقل مشيخة شمّر الشرقية، فضلاً عن واحد من أولاده اسمه هادي[4]. كان الحميدي بن فرحان آخر شيخ مشايخ اعترف به الترك. ثم نقل

---

(1) بلنت، الجزء الأول، ص320. فرايهر فون اوبنهايم، الجزء الثاني، ص41. لا يذكر ابتون، الذي قام برحلته عام 1875، فارس بعد. وقد زرت فارسا عام 1893م وهو في أوج قوته في مضرب شمّر في مقره الصيفي غير بعيد عن نصيبين.

(2) يقع قبره في الطايره غير بعيد عن نصيبين.

(3) Review، ص42.

(4) تظهر الأسماء وتتابعاتها في شجرة نسب بيت محمد (الفرحان).

الانجليز عام 1919م لقب الشيخ إلى دهام ابن الهادي، حفيد عاصي، ليحل محله عام 1922م، أي بعد فترة قصيرة من بداية حكم الملك فيصل، أحد أبناء أخ عاصي: عجيل العبد العزيز الفرحان.

يعتبر عجيل الياور[1]، زعيم شمّر العراق، أكثر شخصيات أسرة الشيوخ الحالية أهمية. فقد عرف كيف يتكيف بحنكة مع ظروف العصر ويجني موارد ضخمة عززتها إعانة حكومية شهرية تبلغ 150 ديناراً، حين كلفته الحكومات والشركات بحماية منابع وأنابيب النفط في بلاد الرافدين، وتجنيد عمال من أجل بناء السكك الحديدية بين ضفة دجلة اليمنى والموصل. تتكون ثروة عجيل من العقارات بالدرجة الأولى. فقد ورث أراضي واسعة عند قلعة شرقاط وتكريت، كان السلطان عبد الحميد قد أهداها إلى جده فرحان، فضلاً عن أراض اشتراها هو نفسه في منطقة تل أعفر «تلعفر»، وأخرى يمتلكها في بغداد والموصل، وبيوت في تل أعفر «تلعفر» وقرية قلعة شرقاط[2]، يسكن فيها من حين لآخر.

يقيم عجيل الياور مضاربه عادة قرب تلعفر، وأحياناً قرب بلدة سنجار أيضاً. ويتابع أعماله في الموصل بنفسه، بينما يمثله لدى حكومة بغداد[3]، إذا كان هناك ما يمنعه من القدوم إليها، ابن عمه مشعان بن فيصل[4]، المشرف على أملاكه عند قلعة شرقاط.

قام عجيل برحلة إلى أوروبا عام 1937م، قادته إلى حفل تتويج الملك في

(1) اطلق العاصي لقب الياور (وهي كلمة تركية تعني المرافق) على عجيل بينما كان لا يزال في سنوات شبابه الأولى. كان عجيل آنذاك محل ثقة عمه فيصل وكان غالباً ما ينجز أعماله لدى العاصي.

(2) وجدتُ عام 1893م في قلعة شرقاط بيتاً بناه فرحان بناء على رغبة السلطات التركية، ولم يستخدمه على الإطلاق تقريباً. تابع: فرايهر فون اوبنهايم، الجزء الثاني، ص209.

(3) يمثل شمّر في مجلس النواب عم عجيل الحميدي، الذي يعيش في أملاكه قرب سامراء، ومصدرها هدايا السلطان عبد الحميد.

(4) زرت والده فيصل عام 1893م قرب قعلة شرقاط، فرايهر أوبنهايم، ص207.

لندن وإلى المانيا، حيث ترك بقامته الباسقة، وكبريائه، وطريقته النبيلة والمحببة، انطباعاً عميقاً لدى كل من التقاه.

بالمقارنة مع عجيل، يبقى مشعل ودهام، زعيما شمّر سورية، محدودي الأهمية. يبلغ مشعل الآن الخامسة والخمسين. وقد وصفنا في مكان آخر سياسته الموالية للفرنسيين، التي عادت عليه بباشوية منحه إياها الجنرال غورو عام 1921م، وبوسام شرف ناله بعد ذلك. عام 1927م، انتخب مشعل ممثلاً لبدو الزور في الجمعية التأسيسية السورية، وانتسب إلى الحزب الوطني. ومع أنه كان صاحب قصر في الحسكة وأرض على الخابور، فإنه خسرهما بسبب مصاعب سبق ذكرها. أقام مشعل في العراق بين عامي 1930م و1937م، حين أصبح ميزر بن عبد المحسن، حفيد عبد الكريم، قائداً لشمّر سورية. وهو يتلقى الآن إعانة سنوية تبلغ 1800 ليرة سورية، بوصفه سياسياً قريباً من الوطنيين، بينما يحصل ميزر، الذي يلعب دوراً قيادياً في الحركة من أجل الحكم الذاتي، 2300 ليرة سورية[1].

يمتلك دهام، قائد المجموعة (جـ) منذ عام 1922م، قرية الشلاقة (على بعد 50 كيلومتراً إلى الشرق من نصيبين)[2]. ويمثل شمّر في البرلمان ويتلقى معونة مماثلة لمعونة ميزر. يخيم دهام آناً قرب ضمير كابو (الرميلان)، وآناً آخر قرب نصيبين/ القامشلي، وله من العمر سبعة وثلاثون عاماً.

كانت علاقات دهام وعجيل متوترة في الماضي، لكنها تحسنت كثيراً في الفترة المنصرمة. بينما يسود التفاهم صلات مشعل مع عجيل ويسود التنافس في علاقته مع دهام.

---

(1) ألف ـ باء. دمشق، 1 شباط، 1938م.

(2) مونتانيه: حكايات بدوية شاعرية.

مشجرة نسب بيت محمد

يستطيع شيخا مشايخ شمّر الغربيين والشرقيين، مشعل باشا وعجيل الياور، العودة بأسلافهما سبعة عشر جيلاً إلى الوراء. تتكون سلسلة نسب عجيل من عجيل ابن عبد العزيز بن فرحان بن صفوق بن فارس بن الحميدي بن مقرن بن مشعل بن قرينيس «گرينيس» بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن مشعل بن شلاش بن سالم بن محمد... ابن فضل... ابن معن[1]. ويتحدر معن، ككل شمّر، من قحطان: العرب الجنوبيين.

تتطابق معطيات مشعل حول سلسلة نسبه مع معطيات عجيل، إلا في نقطتين: فهو يضيف في نهاية السلسلة اسم عباس، الأب الأول للعباسيين (العرب الشماليين)، ويؤكد، ثانياً، أن موقع معن بين الأعضاء الأخيرين ليس أكيداً.

هذا التباين طبيعي، بسبب تداخل تصورين لدى مشعل: أولهما (الذي يتبناه عجيل وحده) حيث يتحدر بيت فضل، الذي يعود إليه آل محمد بنسبهم، من نسل طي بني معن القديم. وينحدر في التصور الثاني من العباسيين[2]. يرجع تصور شمّر الثاني إلى تاريخ قريب، وهو متأثر بالتقاليد المماثلة لأسر الشيوخ السورية (أبوريشة، فاعور)، التي ترجع نسبها إلى الفضل، شأنها في ذلك شأن آل محمد[3].

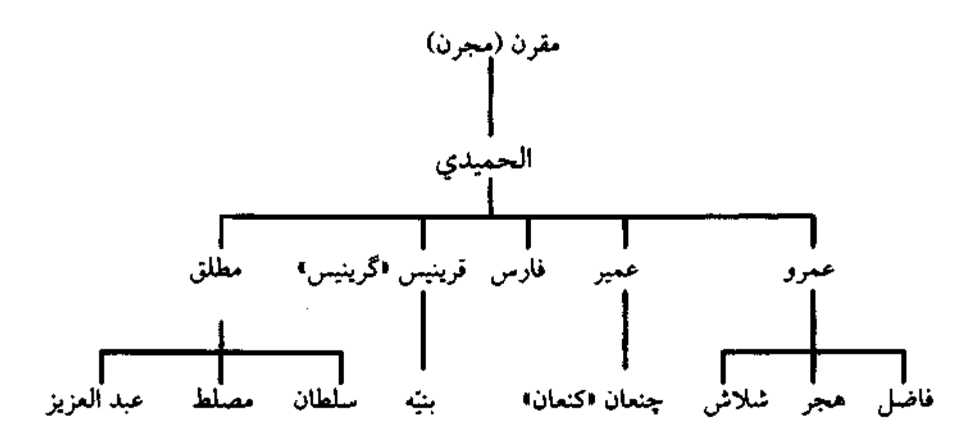
تعرف شمّر تفريعات بيت محمد بدءاً من حميدي. وهي تبدو على النحو التالي في الأجيال الأولى:

---

(1) عقيل بن عبد العزيز بن فرحان بن صفوق بن فارس بن الحميدي بن مقرن بن مشعل بن قرينيس بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن مشعل بن شلاش بن سالم بن محمد... ابن فضل... ابن معن.

(2) تم منذ العصر الوسيط إثبات كلا التصورين حول أصل الفضل. أنظر الملاحظة الثانية حول شجرة نسب آل فضل وآل علي في قسم سورية.

(3) مما يؤيد ذلك أن مجحم ابن مهيد، شيخ الفدعان، أعلن بأن آل محمد هم أخلاف للأبوريشه. أنظر زاخاو: ص300.



تبين شجرتا النسب كلتاهما ذرية فارس، وتظهران أن عبد العزيز ومصلط وبنيّه وچنعان وشلاش وهجر لم يرزقوا بأبناء، وأن ثمانية عشر خلفاً لفاضل وسبعة لسلطان ما زالوا أحياء، يحتل أهمية خاصة بينهم سطام بن كردي بن سميط بن فهد ابن سلطان.

أخذت معطيات المقطعين السابقين من شجرة نسب أرسلها إليّ من بلاد الرافدين بطريقة تستحق شكري عجيل الياور مع صفوق: إبنه البكر[1]، قبل طباعة هذا الكتاب مباشرة. لكن قصر الوقت المتاح حال، للاسف، بيني وبين التعامل النقدي مع شجرة النسب الجديدة، واضطرني للإكتفاء بطباعتها دون تغيير. تضم الشجرة تقريباً جميع أبناء حميدي بن مقرن الذكور، وعددهم كبير بدرجة مخيفة. من ذلك، على سبيل المثال، أن أبناء فرحان من جيل الهادي بن عاصي[2]، يعدون 114 عضواً (قتل أو مات منهم 38)، بينما يعد جيل دهام بن الهادي 123 عضواً (مات منهم تسعة)، ويضم الجيل الأخير (ليس موجوداً بعد في شجرة النسب القديمة) 16 عضواً.

تعتبر شجرة نسب شمّر الجديدة فريدة في طابعها التفصيلي. ويرجح أن

(1) درس صفوق سنوات عديدة في الجامعة الأميركية ببيروت.

(2) مشجرة نسب بيت محمد (الفرحان).

يكون تنظيمها قد تطلب الكثير من جهد واضعها. والحق، أنها شجرة مهمة، تسمي بطريقة مميزة أعضاء القبيلة الذين ماتوا ميتة طبيعية، أو سقطوا في المعارك، أو لا زالوا أحياء.

لم نعرج هنا على الفروق بين أشجار الأنساب التي نمتلكها وسلاسل الأنساب لدى مونتانيه (وهي غير كاملة)[1]. إن شجرة النسب التي رسمها هذا على قدر كبير من القيمة، لكونها تذكر قسماً كبيراً من الأمهات، اللواتي كن، بالمناسبة، شمّريات حصراً كما تذكر عضوات في آل فرحان كن في الغالب من الأسرة ذاتها.

ملاحظات حول مشجرة نسب بيت محمد (آل عمشة)

1 ـ ثمة معطيات تشير إلى أن شجرة نسب شمّر من وضع عبد الرزاق بن محمد الشيوخ (1913م). وقد زودها مشعل باشا عام 1929 بإضافات تتعلق بالجيل الأخير من عائلته. تنصب الأرقام، بدءاً من عبد الكريم، على شمّر الغربية وحدها. وضع رقم (6) بين قوسين لدى ميزر، لأن مشعل كان قد تولى المشيخة في هذه الأثناء. توفي 1937م.

2 ـ ينقسم بيت محمد، بدءاً من صفوق، إلى آل فرحان، الذي يتبعه أيضاً أخلاف عبد الرحمن والمعجون، وآل عمشة، وتنتمي إليهم أسر عبد الكريم وعبد الرزاق وفارس.

أنظر حول عمشة: الصفحة 239. كانت أم فرحان ابنة شيخ فداغة المقيم في بغداد. وكانت أم عبد الرحمن والمعجون ابنة شيخ الفضول (بني لام).

3 ـ ترك ذرية كثيرة العدد، بقي منها ولدان و13 حفيداً و14 ابن حفيد. وقد تزوجت واحدة من بناته بالتتابع شيخي السبعه سليمان وبطين ابن مرشد. بلنت: الجزء الثاني، ص 116.

4 ـ أنظر مشجرة نسب الفرحان.

---

(1) حكايات بدوية شاعرية، الملحق 2.

ملاحظات حول مشجرة نسب بيت محمد (آل فرحان)

1 ـ الراوي: عبد الرزاق ابن محمد الشيوخ. وقد سقطت منها أسماء كثيرة كأسماء بعض أبناء الشيخ شلال، واسم صبي ثالث لفيصل (مشعان). أنظر أيضاً الملاحظتين 3 و4. إلا أن ابن أخيه (من الدرجة الثانية) أحمد عجيل الياور يطالب بصفته وريث أبيه بهذا المنصب.

تنصب الأسماء على شمّر الشرقية، بدءاً من فرحان (وقد حشر اسم عبد الكريم هنا خطأ).

2 ـ ولد حوالى 1810م. أنظر أوشير ـ ايلوا، روابط السفر إلى الشرق، من 1830م إلى 1838م. الجزء الأول، ص116 وما يليها. ينحدر أبناء فرحان الثلاثة الأُول من زواجه بشمّرية من عشيرة عامود اسمها جزعة بنت لعيبي، ويتحدر الثلاثة الذين تلوهم مباشرة من درّة، ابنة شيخ طي سليمان، والثلاثة الأخيرون من فلْوِه، ابنة شيخ الزوبع محمود. أما أم سلطان فهي بهيمه بنت ابن قشعم، وأم مطلق هي نوير بنت العيط (الجرباء). وقد تزوجت أم الأبناء الخمسة الصغار الكردية فصل بنت سعدون الجرجاري، من فارس شقيق فرحان، بعد موت هذا الأخير. بما أن هذا الزواج بقي بلا أطفال، عادت عام 1893م إلى العيش من جديد لدى أبنائها من زوجها الأول.

3 ـ الأبناء: (1913م) سليمان، عبيد، محمد، علي.

4 ـ الأبناء (1913م) عماش، زيد، سالم، صعب.

5 ـ غير صحيح. إنهم أبناء عاصي ـ وقد قتل محمد بالرصاص خلال النزاع الذي أتينا على ذكره في ص228، وتسبب به نواف ابن الجار الله.

6 ـ لعجيل الياور الآن (1937م) ستة أبناء. صفوق (23 عاماً)، أحمد (12 عاماً) مشعل، محمد، حميدي، ومحسن. أم أحمد ومحمد هي آسيه بنت الحميدي ابن فرحان. وأم مشعل هي ابنة شيخ العبدة ابن عجل. أما الصبيان الأخيران فهما من منيفه بنت هايس بن فرحان.

أنساب شمّر

بعكس عنزة، تفتقر شمّر إلى نظام أنساب موحد. ربما كان نظام كهذا قد قام ذات يوم ـ سيكون في هذه الحالة قد دمر بسبب التمزقات التي أبعدت أجزاء القبيلة بعضها عن بعض ـ. وإن كان من المرجح أن شمّر افتقرت إليه دوماً، بدلالة أن محكياتها حول نسبها لا تختلف في بلاد الرافدين عنها في نجد وحسب، بل هي متناقضة بذاتها أيضاً.

تملأ محكيات شمّر نجد أشجار نسب ثلاثاً قام هوبر برسمها[1]، علينا، إذا كنا نريد فهمها، الإنطلاق من وجهة نظر عامة ترى أن نسب أية قبيلة يعكس غالباً تراتباً (سياسياً) قديماً، وفي الحقيقة أن هجرات شمّر في مجموعات مختلفة الحجم أدت إلى تمزقها. من هنا، يمكن للأسماء ذاتها أن تصف وحدات عليا في نجد ودنيا في بلاد الرافدين، وبالعكس.

مشجرة النسب الأولى:

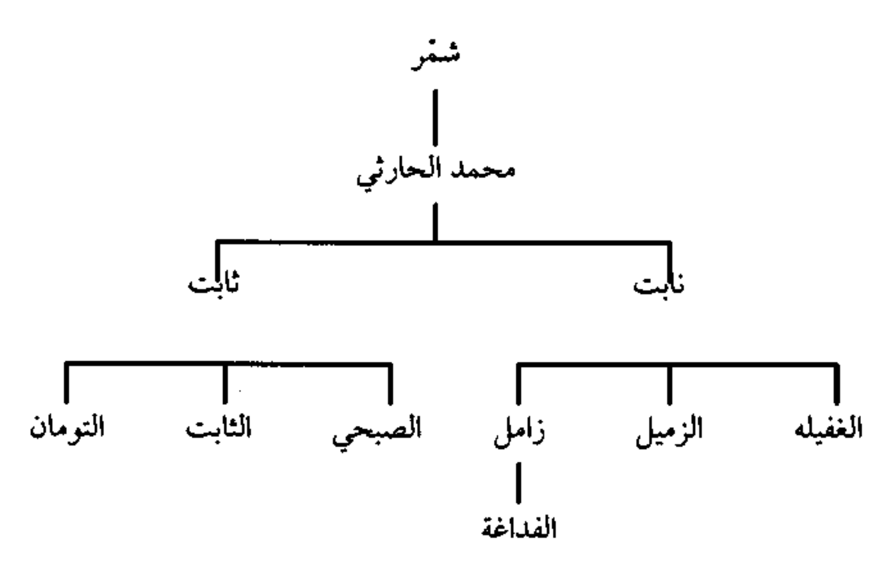


لا تظهر هذه الشجرة أي تراتب نسبي لأنها تمثل وضعية حديثة نسبياً، لأن

(1) تقرير عن رحلة في جزيرة العرب، 670، 232.

عبدة، سنجاره، وأسلم ليست غير الاتحادات الثلاثة الكبيرة التي تشكل شمّر نجد، بينما تمثل خرصة شمّر بلاد الرافدين[1]. ويتطلب إدخال الدغيرات في المشجرة حسب علاقات أقدم[2]، بالنظر إلى تبعيتها حالياً إلى العبدة. ينطبق الشيء ذاته على من أعطى القبيلة اسمه: شمر، وعلى اسم عناز في شجرة نسب عنزة: إنه اسم مختلق، وشمر[*]، كاسم شخص لم يستعمل منذ وقت طويل.

مشجرة النسب الثانية:



تعدنا هذه المشجرة بمعلومات أكثر، رغم أنها تنصب على قسم من قوم شمّر فقط. هنا أيضاً، يقف شمّر على رأس المشجرة. لكن أبا القبيلة الصحيح الأول هو محمد الحارثي، الرجل المعروف في بلاد الرافدين أيضاً، الذي لا نعلم ـ للأسف ـ

(1) يمكن أن يكون مقصوداً بذلك الأجزاء الباقية في نجد من القبيلة، المنضمة الآن إلى السنجارة.

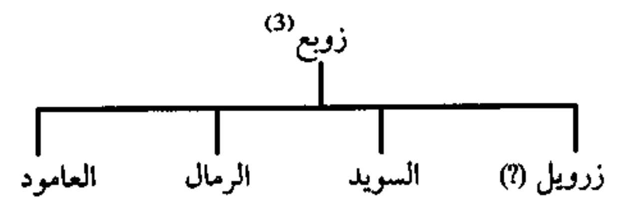
(2) حوالى منتصف القرن التاسع عشر، أنظر: جارماني، ص179.

(*) يذكر د. عبد العزيز نوار: أن شمّر سميت شمّر لأن رجالها كانوا يشمرون عن ساعد الجد خلال الأزمات. لكن قوله هذا ليس معللاً إلا إذا اعتبر أن كلمة شمّر هي اسم أو صفة مشتقة من فعل شمّر. (عبد العزيز نوار المنقول بواسطة أنور عبد الحميد في كتابه شمر وأمراؤها ص49) (شبّر).

عنه سوىٰ أنه "كان محارباً عظيماً زمن الإسلام الأول" (على حد قول الشيخ هجر ابو وتيد من الفداغة). أما في الصف الثالث، فإن ثابت يصبح الشخص الذي يمنح القبيلة اسمه. لكن نابت موجود بدوره، إن لم يكن في نجد ففي بلاد الرافدين، حيث يمثل عشيرة فرعية من الفداغة[1]. أخيراً، يعتبر أعضاء الصف الأدنى أجزاء من اتحاد سنجارة[2]، عدا الثابت وصبحي والفداغه، التي لا تعود أسماؤها تذكر في جدول الأخيرة. لأنهم ليسوا ممثلين تقريباً في نجد. إذا ما تأملنا السلسلة في علاقتها بتراتب شمّر الجرباء، نراها اكتسبت وجهاً آخر، فالثابت والفداغه قبيلتان قويتان في بلاد الرافدين، والزميلات والغفيلة قبيلتان فرعيتان من الفداغه، بينما ليس ثمة ذكر للتومان، في حين أن الصبحي تشكل قسماً من الصايح.

وبصرف النظر عن الصبحي، التي سنبين موقعها فيما بعد، تقدم لنا العلاقة بين شجرة النسب وتراتب القبائل حقيقة جلية، هي أن الأنساب تنطلق من وضع أساسه انفصال القبائل. في ذلك الوقت، كان في نجد اتحاد يتكون من التومان والثابت والفداغة والزميل والغفيله. ثم هاجرت الفداغه والثابت بقضهما وقضيضهما على وجه التقريب، وهاجرت أقلية وحسب من الزميل والغفيله، ما لبثت أن انضمت إلى قبيلة الفداغه الشقيقة. ذلك الإتحاد حمل اسم سنجارة، الذي ستسمىٰ به الثابت والفداغة في بلاد الرافدين أيضاً.

مشجرة النسب الثالثة:



(1) ليس من النادر أن تخضع مجموعات أعلى نسباً لمجموعات أدنى منها، أو أن تتساوى معها، من الناحية السياسية. هذه الظاهرة المستغربة لأول نظرة فسرها براونليش، دائرة المعارف الإسلامية، الجزء السادس، ص100.

(2) يعتبر التومان منذ وقت قريب اتحاداً قائماً بذاته.

(3) وضع هوبر نفسه علامة الإستفهام.

تنتمي الحلقات الثلاث من الصف الأدنى ـ الحلقة الرابعة مفقودة ـ بدورها إلى السنجارة[1]. وتعكس وضع الاتحاد الحالي، بمجرد أن نضيف إليها قبيلتي الزميل والغفيلة المذكورتين أعلاه، اللتين خرجتا من قبيلتي الثابت والنابت. ويبدو أن انقسام السنجارة إلى مجموعتي نسب أمر غريب[2]، وأشد إثارة للإستغراب أن علم الأنساب يخلو تماماً من تعبير السنجارة. بالمقابل، ليس الزوبع كياناً فارغاً على الأقل، فهناك قبيلة تحمل الاسم نفسه قرب بغداد، سنتطرق فيما بعد إلى علاقتها بشمّر.

سوف نتخذ من الآن فصاعداً نظام انتساب الجرباء[3]، الذي يقسم شمّر إلى ثلاثة أقسام[4]: "ضنا زايده"[5]، وضنا رضا، وضنا زوبع. تحسب إثنتان من قبائل الجرباء الست، هما خرصة وعامود على ضنا زايده، بالإضافة إلى صبحي، التي تشكل جزءاً من الصايح. هذا الترتيب لصبحي وعامود هو أقدم من الترتيب تحت الثابت والزوبع، الوارد في أشجار نسب نجد، فمن غير المقنع أن نفصل في بلاد الرافدين الصبحي والعامود عن الثابت والزوبع، طالما كانا في الأصل على علاقة بهاتين القبيلتين. بالمقابل، يصير موقعهما في نظام نجد مفهوماً على الفور، إذا ما أقمنا صلة بينهما وبين نظام انفصال القبائل: لقد كانت مجموعتا عامود وصبحي الباقيتان في نجد ضعيفتين، لذلك سعتا إلى الإلتحاق بغيرهما، وانضمت إحداهما (زوبع) إلى الرمال، وانضمت الأخرى في أغلب الظن إلى التومان (ثابت. بعد ذلك، عبرت الأنساب عن هذا الانضمام في صورة قرابة.

تتوزع بقية القبائل من شمّر بلاد الرافدين على ضنا رضا وضنا زوبع:

---

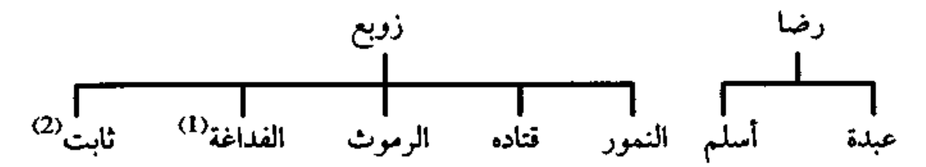
(1) العامود منضوون فيهم وحسب.

(2) خاصة عندما نأخذ بعين الإعتبار مكانة الرمال. فهم شيوخ الغفيلة وشيوخ مشايخ السنجارة.

(3) المصادر: مشعل باشا، عجيل الياور.

(4) تابع حول هذا التعبير مقطع: شجرة نسب عنزة "في المقالة السابقة".

(5) من الغرابة بمكان أن أبا شمّر ذاته يسمى زايد.



تشمل ضنا رضا بالإضافة إلى العبده[3] الأسلم أو القسم الثاني من الصايح (الأول هو الصبحي، الذي ينضوي في الضنا زايدة)[4]. هذا الوضع المتساوي للأسلم وعبدة يستحق الانتباه، لتطابقه مع التراتب الحديث لشمّر نجد، وإثباته أن هذا أقدم من انفصال القبيلة.

يتميز تركيب الضنا زوبع بقدر كبير من الخصوصية، فالرموث وآل قتاده (= المثلوثه) هما فخذان من الخرصة، بينما لا يمكن العثور على النمور على الأقل بين شمّر. لنتأمل الآن تنظيم قبيلة الزوبع، فإننا لن نجد هناك النمور وحدهم، بل كذلك الفداغه، والقتاده ونابت[5] ولهذا، فإن ضنا الزوبع وقبيلة الزوبع هما شيء واحد إلى حد بعيد من ناحية النسب.

لو قارنا الآن موضع ثابت والفداغة مع محكيات نجد، لعرفنا ـ أولاً ـ أن التعبير الأنسابي الزوبع يغطي تقريباً التعبير السياسي سنجارة[6]، ولتعزز ثانياً، إنطباعنا بأن انضمام الثابت/ نابت إلى شمّر حدث بصورة مصطنعة[7]، أو بكلمات أخرى، إن مجموعة زوبع/ سنجارة بأسرها لا تنتمي بالأصل إلى شمّر. وأن بوسعنا القيام بخطوة أخرى والقول: إن قبيلة زوبع لا تنحدر من شمّر، بل من طي. وبما أنه

(1) يحسبهم هوبر في الصفحة 600 على زوبع.
(2) المصدر السابق نفسه.
(3) يربط العبده بالعبيدة أيضاً، وهم عشيرة من قحطان الحديثة. دوتي، الجزء الثاني، ص37.
(4) ليس للصايح وجود من ناحية النسب. في موروثات أخرى يجب تصنيفهم في مرتبة أعلى من الزوبع والأسلم، ومساوية لمرتبة العبدة. هذه النظرة نجدها أيضاً لدى روبرت مونتانيه: (ملاحظات حول الحياة الإجتماعية والسياسية لجزيرة العرب الشمالية. شمّر نجد. باريس 1932م.
(5) أنظر صفحة 249 أعلاه.
(6) لدى مونتانيه يأتي ترتيب سنجارة (تومان) تحت الزوبع.
(7) لاحظ أن الانضمام غير موجود أيضاً في شجرة النسب الثالثة.



هجر ابو وتيد (في الوسط) رئيس فداغة ـ شمر (1911م)

يستحيل فصلها عن ضنا زوبع شمّر، فلا بد أن ينطبق الشيء ذاته على هذه الأخيرة. لذلك يبقى على الأقل أثر من الأصل الحقيقي لشمّر في تاريخ نسبها.

علينا أن نتتبع وبشكل خاص النسب الذي حصلت عليه شمّر الجرباء لدى شمّر الغرب[1]، يقسم هذا النسب شمّر إلى هاشميين (ضنا زايدة) وقحطانيين (ضنا رضا وضنا زوبع). ينتمي الهاشميون إلى فخذ هاشم، الذي انحدر منه النبي محمد، فهم إذن عرب شماليون، بينما القحطانيون[2] عرب جنوبيون. بما أن شمّر لا ترتبط بأي رابط مع الهاشميين، فإن أخذها بهذا المفهوم يعني، أول ما يعنيه، إستبدال النبالة البدوية بالنبالة الدينية/ الإسلامية[3] وهذه ظاهرة أصبحت ذات انتشار واسع في الأنساب الحديثة. يقترن إدعاء النسب الهاشمي بموروث يسعى إلى ربط أسلاف أسرة شيوخ الجرباء بسلالة بني العباس[4]، الذين كان أبوهم الأول ابن عم النبي، وبالتالي هاشمياً.

(1) المرجع: مشعل الباشا. أكده مجحم ابن مهيد شيخ الفدعان.

(2) يوجد في قسم جزيرة العرب شرح لعلاقة المفاهيم النسبية التي تربط قحطان مع القبائل الأحدث التي تحمل الاسم ذاته.

(3) أخذت عادة شكل الانتساب إلى أحفاد النبي (أشراف، سادة). أحياناً، تأخذ شكل انتساب إلى قريش، كما هو حال عنزة على سبيل المثال.

(4) تابع مقطع شجرة نسب بيت محمد.

شمّر(1)

أ ـ شمّر سورية (شمّر الغرب) (2)

شيخ المشايخ: مشعل باشا الفارس(3)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الثابت(4)	متعب الحدب(5)	صيفاً: الخابور شتاءً: الجزيرة السفلى	1600
أ ـ الجاسم	متعب الحدب		
ب ـ العمار	غربي بن محيثل		
	مطلق المجرش		
جـ ـ البقعة	ظاهر الرويسي		
د ـ الدجاره	شفق بن راضي(6)		
هـ ـ العبسان	عناد بن عزام(7)		
و ـ الكذيان(8)	علي بن كذيان(8)		
2 ـ الفداغة(9)	هجر ابو وتيد(10)	صيفاً: على الخابور شتاءً: جنوب سنجار	1500
أ ـ الغريب	هجر ابو وتيد		100
ب ـ المطعات	غربي الفديغي		100
جـ ـ السيد	سليمان بن جابر		100

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
د ـ النابت	مسهوج بن عيار		360
هـ ـ الزميلات	غضوى الحبيس(11)		500
و ـ الغفيلة	ثلاج الطويل		
ز ـ القدور	خليف بن عبهول		
حـ ـ الرثعة			
3 ـ العامود	حسن بن عامود	الصيف على الخابور الشتاء جنوبي سنجار	800
أ ـ الخلف	حسن بن عامود		
ب ـ الغضا	حسن الفند		
جـ ـ التجاغفه	شاشان بن مصيول		

ب ـ شمّر العراق (شمّر الشرق)

شيخ المشايخ: عجيل الياور(12)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الخرصة(13)		صيفاً: شمال سنجار شتاءً: الجزيرة الدنيا	1650
أ ـ البريك	قناع القعيط		450
1 ـ السعدي	متيوت بن صحن السعدي(14)		
2 ـ القعطه	قناع بن نصار القعيط		
3 ـ البهيمان	سباح البهيمان		
ـ الخضير	سباح البهيمان		
ـ الغربة	عقيدي بن غراب		

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
ب ـ الهضبة	بردان بن جليدان(15)		250
1 ـ السويحان	بردان بن جليدان		
2 ـ الكداية	عياده بن خدعان		500
جـ ـ المثلوثة(16)			
1 ـ الرموث(17)	متعب بن مطرود(18)		
2 ـ آل قتاده(17)	ثامر الذويلف(19)		
د ـ العليان	حسان بن دانس(20)		300
1 ـ العليان	حسان بن دانس		
2 ـ السبية	ذياب بن حواس السبيه		
هـ ـ الغشم	حاكم بن غشم		150
2 ـ الصايح(21)	كنعان الصديد(22)	صيفاً: غرب الموصل/ تكريت شتاء: جنوب بغداد، شرق دجله غالباً	3500
أ ـ الصبحي(23)			
1 ـ الشبيش	كنعان الصديد		600
2 ـ الحريره	بشير الزعيلي(24)		500
3 ـ الميامين	سليمان الصهيبي		500
4 ـ الخماس	عراك المعكي		400
ب ـ الاسلم			
1 ـ النبيقان	ذياب بن حسان(25)		600
2 ـ الجحيش	خلف بن عياده(26)		400
3 ـ البعيّر	مذري بن سراي		500
3ـ العبدة(27)	عقاب بن عجل(28)	صيفاً: غرب الموصل/ تكريت شتاء: جنوب بغداد	3000

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أ ـ الاحيا(29)	عقاب بن عجل		600
	عبيد بن ابي الميخ(30)		400
ب ـ الدغيرات	حواس بن هثمي(31)		
	كساب الدوح		
جـ ـ الجعفر	ابن علي		
د ـ العفاريت	تركي بن سوقي(32)		
ا ـ الويبار	تركي بن سوقي		600
أ ـ المفاضلة	تركي بن سوقي		200
ب ـ القعودات	دهام بن حريز(33)		
جـ ـ المجادعة	بصيلان بن رحيمان		200
2 ـ الساعد	العفين المجيحيم		
	صلال بن دخيّل الضفيري(34)		200
هـ ـ الجدي	نشمي بن طلاع(35)		400
1 ـ الجدي	نشمي بن طلاع		
2 ـ العنيزان	عياده بن عنيزان		

جـ ـ شمّر دهام ابن الهادي(36)

شيخ المشايخ: دهام ابن الهادي. منطقة الإنتشار: جغجغ/ دمر قابو

ملاحظات حول جداول شمّر

1 ـ توجد أقدم المعطيات الإحصائية حول شمّر لدى روسو (رحلة: 1808م، ص66 وما يليها)، حيث ترد أسماء الثابت والعبدة والصايح وسلسلة من العشائر. بعد ذلك، يأتي كتاب: «سياحت نامه وحدود» لخورشيد أفندي، الذي وضعه بالإرتباط مع أعمال اللجنة الدولية لترسيم الحدود بين تركيا وفارس (1850م). يختلف تقسيم خورشيد عن التقسيم الذي اعتمدناه في نقطة واحدة، وهي أنه يستبدل اسم الخرصة باسم الزيدان. عدا ذلك، نجده يورد بدوره اسم أسرة شيوخ (آل محمد) وعدد الخيام (200) بصورة مستقلة.

تثير الاهتمام أيضاً قائمة لايارد، التي وضعت في الوقت نفسه تقريباً، ونشرت في كتاب: "نينوى وبابل"، ص260، حيث يذكر خرصة وعامود بالتراتب نفسه، الذي هي عليه اليوم. بين أيدينا أيضاً جدول بيترمان من عام 1852م: "رحلات في الشرق"، الجزء الثاني، ص36 وما يليها، وهي تركيب عشوائي تقريباً من أسماء قبائل وأسر شيوخ، نجد بينها بعضاً من العنزيين أيضاً. يتضمن تعداد بلنت (الجزء الثاني، ص188)، أسماء الشيوخ وأعداد الخيام. ينطبق على الجدول التركي لمجلة ZDPV الجزء 23، ص57 وما يليها، الشيء نفسه، الذي قلناه حول جدول عنزة. بينما تتسم لائحة الدليل، ص80، بعموميتها. ويتعاطى تيرييه (ص 119) مع قبائل شمّر الموجودة في منطقة الإنتداب الفرنسي دون غيرها، في حين يراعي تقرير لجنة. . . دراسة الحدود بين سورية والعراق (سلسلة إصدارات جمعية الأمم 1932، الجزء السادس آ) المجموعة التي تعيش في مملكة العراق. من جانبه، يحاول مونتينه في "قصص بدوية شاعرية"، مجلة الدراسات الشرقية، المعهد الفرنسي بدمشق، الجزء الخامس (سنة الإصدار 1935م) تقديم كتابة صوتية للأسماء.

يرتكز جدولنا على تسجيل من صيف عام 1929م (الراوي: مشعل باشا)، تم تحسينه في آب من عام 1937م في ضوء معطيات قدمها لنا عجيل الياور. أما عدد الخيام، فقد اقتبسناه من تسجيل قديم يرجع إلى عام 1911م (الراوي: شيخ الفداغة هجر أبو وتيد). تمثل المجموعات (آ، ب، . . . الخ) وحدات عرضية تماماً،

يمكن أن تتغير بتغير الظروف السياسية الداخلية أو الخارجية. بالمقابل، تعتبر التقسيمات الأخرى (2,1. . . الخ) ثابتة.

عدد الخيام في جدول شبرنغر هو 3200 محارب. ولدى خورشيد أفندي: 3450. وفي مجلة ZDPV 5000، وعند بلنت 12000. أما عدد جدولنا فهو 12050، لكنه، فيما عدا الخرصة، عدد مبالغ به.

2 ـ يسميهم الفرنسيون "شمّر الزور".

3 ـ صيحة حرب أسرة شيوخ (آل محمد): سيافه، سيافه. ووسمهم: T محجان.

4 ـ وفق تسجيل من عام 1911م، ينقسمون إلى أربع فرق هي: نجم، (د، هـ، و)، عمار، ضراعه (أ، جـ)، الشمالات، يظهر منها هنا العمار وحدهم.

صرخة الحرب الثابت: جدعا! جدعا!

5 ـ المقصود باسم جزار الأحدب لدى بلنت أبوه جزّاع الحدب.

6 ـ يذكر التسجيل القديم بين شيوخ فرقة نجم شيخاً اسمه مشحن الراضي.

7 ـ متوفى. يذكر التسجيل القديم شيخاً اسمه عناد بن عزو تحت نجم.

8 ـ يورد التسجيل القديم شخصاً اسمه بن ثديان تحت نجم، لذا يجب قراءته «كذيان».

9 ـ صرخة الحرب: غوش! غوش!.

10 ـ إبنه محمد مثله، شخص نافذ. كان المحارب المذكور أعلاه (ص228 وما يليها) عزو المحمود، قريب هجر. بعد أن وجد ملجأ لدى الملّي، قام بغزوات سلب ونهب ضد الفدعان. لكنه أساء بذلك إلى الملّي، بعد أن وجدت السلطات نفسها مجبرة على التدخل، فاضطر الفدعان إلى دفع تعويض عن الأضرار التي تسبب بها، في حين بقي هو بمنأى عن العقاب[1]. وقد غادر عزو برفقة الهجر ابو وتيد إلى شمّر الشرق، الذين رفضوا استقباله، فانقلب عليهم وأخذ يغزوهم، كما

(1) مزيد من التفاصيل في مقال جيس.

سرق للصايح حصانين وأربعين جملاً (في كانون الثاني من عام 1913م). حمّل المعنيون هجراً مسؤولية ما جرى، إلا أنه فر ذات ليلة من المضارب، تاركاً وراءه خيمته وجماله، في حين ألقي القبض على ابنه، الذي كان رفيق غزواته. شن عزو عندئذ حملة جسورة انتزع خلالها جمال هجر من بين قطعان شمّر، ثم استعاد شيخ الفداغة بقية أملاكه بناء على تدخل عبد الرزاق (ابن محمد الشيوخ). قتل عزو فيما بعد خلال عملية غزو.

11 ـ يذكر الحبيس لدى بيترمان أيضاً.

12 ـ صيحة الحرب: عصلان! عصلان!.

13 ـ ليس للخرصة شيخ خاص بهم، لأنهم أقرب أقارب بيت محمد. يخيم مع الخرصة القسم المترحل من عشيرة الزويع، المرتبط بصلة قرابة مع شمّر. إلى هذا، يلاحظ تيرييه (ص 45) أن مجموعة من بني خالد، عدد خيامها مائة وخمسون، قدمت من نجد وانضمت إلى الخرصة. ربما تعلق الأمر هنا بأعضاء من العشيرة المحسوبة على الضفير.

صرخة حرب الخرصة: سيافه سيافه.

14 ـ السعدي أسرة شيوخ وقضاة قديمة. أنظر لايارد: نينوى وبابل، ص238، 261، 294، 305.

15 ـ هو ابن جليدان لدى بلنت.

16 ـ حول نسبها، أنظر أعلاه.

17 ـ الفرعان مذكوران كلاهما لدى روسو.

18 ـ 1911م: شاهين بن مطرود.

19 ـ 1929م: هميسان الضويلف.

20 ـ ضايس؟. أنظر: بن تايس عند بيترمان.

21 ـ صرخة الحرب: صبحي!. صبحي!.

22 ـ أسرة شيوخ قديمة.

23 ـ يلفظ أيضاً ضِبحي.

24 ـ 1911م: محسن الزعيلي.

25 ـ 1911م: جده جزاع بن حسان.

26 ـ 1929م: أبوه دليان بن عيادة.

27 ـ ينقسم العبدة، من حيث نسبهم، إلى إحيا وربيعية. يشمل الأولون الفروع من أ إلى ب، والأخيرون الفروع، ج، د، هـ، وكذلك الزغاريت، الذين يشكلون الآن عشيرة قائمة بذاتها أنظر صفحة 219.

صرخة حرب العبدة: سناعيس! سناعيس!

28 ـ هاجر قبل فترة قصيرة من نجد. قارن مقال شمّر في قسم جزيرة العرب. قبل ذلك، حكمت أسرة ابا الميخ. وقبلها بعقود بن شريّم من فخذ السنان.

29 ـ يكتبه تسجيل 1911م و1929م: «اليحيا». ويكتبه موزيل في كتاب شمالي نجد، ص30: "آل يحيا".

30 ـ أسرة الشيوخ مذكورة حتى عند بيترمان.

31 ـ ابن هثمي عند بيترمان.

32 ـ 1929م: أبوه مبرد. 1911م: جده مناور بن سوقي.

33 ـ 1929م: علي بن حريز.

34 ـ 1929م محمد الضفيري.

35 ـ سابقاً ابن جدي.

36 ـ تصفها المراجع الفرنسية بـ"شمّر الحدود". وهي تشمل جميع المنتمين إلى المجموعة ب، إذا كانوا ينصبون خيامهم في المنطقة السورية صيفاً. وهذا ينطبق بالدرجة الأولى على الخرصة.

طـي

طي قبيلة متوسطة الحجم تسكن منطقة شرق نصيبين، تتخطى شهرتها العالم العربي. وهي البقية الباقية من قوم يعتبر من أقدم الأقوام العربية وأكثرها قدرة على تكوين القبائل: تفرع عنها إلى جانب شمّر عدد كبير من القبائل. تدين طي بشهرتها إلى رجل نسجت الأساطير حول كرمه هو حاتم، يعتبر إلى جانب عنترة بطلاً قومياً عند العرب، عاش في بداية القرن السادس الميلادي. كان حاتم زعيم أسرة شيوخ معروفة وشاعراً ذا شأن، نسب إلى نفسه كرماً غير محدود في قصائد أسهمت أبياتها في نشر أخبار جوده، حتى تحول شخصه إلى أسطورة عكست التعليقات على ديوانه[1] حكايات لا زالت حية في الموروث الشفهي لزماننا، وبينها واحدة يمكن الرجوع إليها في مكتبة هيربلوت الشرقية (ص406)، ربما كانت تعود إلى قصة من الديوان تحمل الرقم 12: تعرض حاتم ذات يوم لغارة شنتها على مضاربه قبيلة غريبة، فسار القتال لغير صالحه، وتشتّت طي واضطر هو نفسه إلى الفرار. حين أعاد نصب مضاربه، جاء مبعوثو القيصر هرقل من بيزنطه ليشتروا منه فرساً ذائعة الصيت. بما أنه لم يجد شيئاً يؤكل في الخيمة، ولم يمتلك حيواناً آخر غير الفرس، فقد أمر بذبحها وتقديمها لضيوفه. بعد مرور بعض الوقت، أخبره الضيوف بطلبهم، فقال إن الفرس ليست للبيع. رفض الضيوف كلامه، وطلبوا منه أن يهديهم الفرس بموجبات

(1) فريدريش شولتهيس: ديوان الشاعر العربي حاتم طي.

حق الضيافة، فأخبرهم عندئذ أنه ذبحها وقدمها وليمة لهم[1].

دخل حاتم أدب الشعوب الشرقية بوصفه رمز الكرم والجود. ودخل كذلك أدب الشعوب الغربية عبر ديوان غوته الشرقي/ الغربي. من الطبيعي أن النموذج الذي مثله لقي مناهضة في الشرق، كما تؤكد حكاية أوردها سعدي الشيرازي، شاعر عصر الحروب الصليبية الفارسي، في "گلستان" «روضة الورد»: "سئل حاتم الطائي إن كان رأى أحداً أو سمع بأحد يفوقه نبلاً في العالم، أجاب: ذبحت، ذات يوم، أربعين جملاً وخرجت بصحبة أمراء العرب إلى مكان بعيد في الصحراء، حيث التقيت بجامع أشواك وقد كدس كومة من الشوك. خاطبته متسائلاً: لم لا تذهب إلى وليمة حاتم، الذي جمع الناس كلهم حول مائدته؟. أجاب: من يكسب خبزه بيديه، ليس بحاجة إلى حاتم الطائي. هذا الرجل هو أشد كبرياءً وأعظم نبلاً مني"[2].

تعرضت شخصية بطلنا إلى تحوير خاص في رواية حاتم الفارسية[3]: يخضع حاتم، وهو هنا ابن ملك جنوبي اسمه طي، لاختبارات سبعة، بينما كان يساعد صديقه الأمير منير على الزواج من الأميرة حُسنَ بانو، فتسدد خطاه أصوات خفية وتؤازره حيوانات متوحشة كسب ودها بنبله واستعداده للمساعدة. يكتشف حاتم حلول المسائل المطلوبة خلال قتاله ضد عمالقة وشياطين، ويفوز بالأميرة لصديقه، ثم يعود إلى وطنه، ليجد والده وقد تخلى له عن الملك. هكذا جعلت الحكاية هنا من الزعيم البدوي فارساً تائهاً، وعمقت المثل الأعلى للرجل العربي القديم من خلال أفكار العفة، والتضحية، والعمل من أجل الضعفاء: بشراً كانوا أم حيوانات.

نلتفت الآن إلى أشهر ممثل لقوم طي وهو طي نفسها:

يرى الموروث المحكي في طي واحدة من القبائل التي هاجرت من جنوب

---

(1) تحكى قصص مشابهة عن بنية وصفوق وغيرهما من شيوخ شمّر (بوركهاردت، ص276). وقد لفت ريشر في كتاب الإسلام، الجزء السادس عشر، ص154، النظر إلى تشابه هذه القصص مع قصص بوكاشيو.

(2) غراف: گلستان «روضة الورد» سعدي، ص145.

(3) مغامرات حاتم طي، ترجمة دانكان فوربس.

جزيرة العرب. وهو محق في ذلك[1]، فقد كان الطائيون في فجر الإسلام كهنة الإله يغوث في جُرش على حدود اليمن الشمالية[2]. هناك، في أرض مذحج، أقرباء طي، يجب البحث عن مكان سكن القبيلة الأصلي، الذي تنقله إلى الجوف جنوباً، حيث منخفض مأرب[3] حكاية تعتبر انهيار منشآت ري هذه المدينة السبئية الملكية القديمة سبب هجرة قبائل جزيرة العرب الجنوبية. تخبرنا الحكاية أن الطائيين تركوا موطنهم وساروا نحو الشمال الغربي، مقتفين أثر جمل كان يختلط كل عام بقطعانهم ثم يختفي. هذا الأثر قادهم إلى جبال أجا وسلمى، أو جبل شمّر الحالي في شمال نجد، فامتلكوا المنطقة التي حملت اسمهم، وعرفت منذ ذلك الوقت بـ"جبلي طي".

تمكننا أخبار مؤرخي العصر القديم المتأخرين من تحديد تاريخ هذه الهجرة، ووضعها في سياقها التاريخي الصحيح. في الحوار الشهير حول القدرة، الذي تركته لنا مدرسة الغنوصي السوري بارديسانيس الأدويسي[4] يذكر الطائيون، إلى جانب السارازين، باعتبارهم من أقوام شمال جزيرة العرب. ويظهر القومان كلاهما في الكتابات المسيحية القديمة[5] التي دونت في الألواح اليهودية، وفي "الأخبار العربية" لاورانيوس، التي يستشهد بها ستيفانوس البيزنطي[6]. بما أن هذه الأعمال ترجع إلى القرن الثالث بعد الميلاد، وكذلك حوار بارديسانيس الذي يعود إلى مطلع هذا القرن أيضاً، فإن علينا أن نعتبر هجرة الطائيين تعود إلى القرن الثاني، لاسيما وأنهم "كالسارازين" أقدم ممثلي الشريحة المهاجرة، التي تدفقت على

(1) من الجلي أن اسم طي (في الحقيقة: طيّء) عربي جنوبي. لذلك يسخر من الجهود التي يبذلها اللغويون المحليون للاشتقاق اللفظي.

(2) فيلهاوزن، بقايا، ص131

(3) فوستنفيلد: سجل، ص436. لا بل إلى شحر، ياقوت، الجزء الأول، ص127.

(4) كيرتون: خصائص سورية (باللاتينية)، ص16: طيبايه.

(5) وجد نسب طي في نقوش عربية شمالية قديمة أيضاً.

(6) ثمة خلاف حول عمر الجغرافي أورانيوس. تابع: موردتمان في موردتمان وميتفوخ: نقوش سبئية، ص7، ملاحظة رقم2.

شمال جزيرة العرب بعد انهيار مملكة النبطيين (106 ميلادية)، وامتصت القبائل الأقدم، الآرامية إلى هذا الحد أو ذاك، وأسست أول دول عربية نقية في الشمال. هذا كله أدى إلى استخدام اسم طي في بلاد الرافدين وفي المجال اللغوي السوري، مثلما استخدم اسم «سارازين» في الغرب، للتعبير عن "العرب" بوجه عام. ثم انتقل من السوريين بهذا الاستخدام إلى الفرس (تازي).

لم يكن موطن طي الجديد واسع الأرجاء، فقد اقتصر على أجا وسلمى والعوجا، الواقع إلى الغرب منهما (يسمى اليوم جبل مسما، ويقتصر الاسم القديم على نهايته الشمالية). لو رسمنا خطاً جعلناه يمر من مسما، عبر واحة جبة، الواقعة في القسم الجنوبي من النفود، إلى البقعا ثم يعود من هناك عبر فيد وسميرا إلى مسما ثانية، لحصلنا تقريباً على حدود طي، إنها أرض خصبة نسبياً، لا زالت تضم اليوم أيضاً سلسلة من المستوطنات وبعض مرافق الري، التي وجدت حتى في تجاويف جبل أجا[1]. لهذا، نجد قسماً من طائيي تلك الأزمنة مزارعين ومربي نخيل.

كان موطن طي جزءاً من دائرة مصالح ملوك الحيرة[2]، وبالتالي من دائرة مصالح الامبراطورية الساسانية. ثم خضعت في نهاية القرن الخامس الميلادي لحكم أمراء كنده في أواسط جزيرة العرب. لكن الوضع القديم سرعان ما عاد، مع انهيار مملكة كنده في مطلع ثلاثينيات القرن السادس، حتى أن أحد الطائيين، واسمه إياس بن قبيصه، حكم الحيرة بين عامي 602م و611م. إعتبر الغساسنة، أتباع البيزنطيين، الطائيين أعداء لهم[3]. بالمقابل، ليس لدينا معلومات كافية حول علاقة طي بالأقوام المجاورة لها: كلب في الشمال، غطفان في الجنوب الغربي، وأسد في الجنوب الشرقي، لأن موروثاتها المحكية ضاعت. وإن كنا نعلم أن طي كانت حليفة أسد في فجر الإسلام[4].

---

(1) دوتي، الجزء الأول، ص581.

(2) في نقوش قبر الملك امرؤ القيس لعام 328 لا يذكر الطائيون كرعايا له.

(3) عبيد ابن الأبرص، ديوان، رقم 18. حاتم: ديوان، رقم 24 و25.

(4) طبري، الجزء الأول، ص1889م.

إنقسمت طي إلى مجموعتين: الغوث والجديله. من قبائل غوث النبهان وبني ثعل، وقد سكنت الأولى السلما والأخيرة الأجا. أما أفخاذ بني ثعل فمنهم السنبس، عدي ابن أخزم (سبط حاتم) وسلامان[1]. لم تكن العلاقة طيبة بين المجموعتين، بل إن قتالاً نشب في نهاية القرن السادس بين غوث وجديله، اضطر أجزاء منهما إلى الهجرة موقتاً نحو الجوف وحوران[2]. من جانبه، سبب الإسلام انقسامات إضافية فيهما، إذ اختارت أغلبية القبيلة الدين الجديد، بينما رفضه آل عدي بن أخزم وغيرهم من الأقوياء، ممن لا نجد لهم تمثيلاً في الوفد الذي قاده زيد الخيل[3]، شيخ النبهان، إلى المدينة في العام التاسع للهجرة من أجل مبايعة النبي. بعد ذلك بوقت قصير، جاءت القوات لكسر مقاومة الأقلية وتحطيم صنم القبيلة «فلس»، الذي كان على شكل كتلة حجرية شبيهة بالإنسان ويعبد في أجا. فرّ عدي، ابن حاتم، الذي كان مسيحياً، إلى سورية، وأسرت أخته وأحضرت إلى النبي، فأحسن معاملتها وكرمها وأعادها إلى شقيقها، فما كان منه إلا أن قصد المدينة واعتنق الإسلام[4] وبذلك اكتمل خضوع القبيلة.

كانت مشاركة طي ضعيفة في جيوش الفتح الإسلامية[5]. أما هجرتها، فقد بدأت، بالتدريج، واستمرت إلى عتبة العصر الحديث، علماً بأن هدفها لم يكن العراق، بل سورية، حيث كان للقبيلة علاقات قديمة، على كل حال، ونشأ مستقر لها جنوب حلب منذ الحقبة ما قبل الإسلامية[6]، قد يفسر وجوده توجه قسم من هجراتها إلى منطقته[7]، حيث يرد ذكرهم هناك تحت حكم معاوية، ثم في ظل

(1) تابع لوحة النسب عند فوستنفيلد، جدول رقم 6 و7.

(2) ليست التلميحات المعنية في ديوان حاتم مفهومة، للأسف، بسبب الإفتقار إلى موروثات نثرية مطابقة. كما أن الشروح المذكورة في الحماسة (ص176 وما يليها) عن "حرب الفجار" لا تقدم شيئاً مفيداً.

(3) يظهر من اسمه "زيد الخيل" أن تربية الخيول لعبت في نجد آنذاك دوراً ما. لا يجوز أن يفكر المرء طبعاً بخيول كتلك التي كانت لابن رشيد في القرن التاسع عشر.

(4) ويلهاوزن: تخطيطات وأعمال أولية، الجزء الرابع، ص163.

(5) طي في معركة القادسية. أغاني، الجزء 16، ص51.

(6) البلادزوري «البلاذري»، ص145.

(7) حسب الهمداني، ص129، كان طريق الهجرة يقود عبر تيماء، وأبائر (باير) وحوران.

سيف الدولة الحمداني (توفي عام 967 م)[1] حيث كانوا من أتباعه.

مارست فلسطين الجنوبية جاذبية خاصة على طي، حيث نزلت قبائل سنبس وأقسام من سلامان، هي الدرما والزريق، والجرم المحسوبة على غوث. عام 1050م، نقل الفاطميون السنبس إلى البحيرة في مصر الدنيا، حيث شاركوا في حكم السلطان معز الدين آيبك (1250م ـ 1257م)، في ثورة قام بها عرب مصر، الذين رفضوا الخضوع لحكم "عبد". غير أن الإنتفاضة فشلت، وكادت السنبس أن تفنى في حملات القمع الدموي الذي تعرضت له ولكن كان ثمة بقايا منها وجِدت عام 1400م في إقليم الغربية[2]. أما بنو حارثة، وهم فخذ من السنبس، فقد بقوا في فلسطين، واستوطنوا فيما بعد شمال نابلس، في منطقة تحمل اسمهم إلى اليوم. بينما كانت أسرة شيوخهم القديمة، التي حملت لقب الإمارة، قد انقرضت قبل عقود قليلة.

إنتهى المطاف بالدرما والزريق إلى النزول بأرض مصر. بينما بقي الجرم في فلسطين، لكنهم فقدوا تماسكهم كقبيلة. وهم يواصلون وجودهم اليوم من خلال الجرامنة والعبيدية، وعبر بعض الأسر، التي انضمت إلى قبائل غريبة[3].

تدفقت، في زمن القرامطة (القرن العاشر الميلادي)، موجة الهجرة الثانية من جبال طي إلى مشارف سورية الجنوبية. وشارك فيها بنو معن بالدرجة الأولى، وهم من سلامان. هذه الشريحة من المهاجرين إتسمت بفاعلية سياسية عظيمة تحت قيادة بني جراح أولاً، ثم تحت قيادة الفضل. وسنعرج عليها بصورة منفصلة في القسم التالي تحت عنوان "فضل" (طي السورية).

شهد الطائيون الذين بقوا في نجد تبدلات هائلة في العصر الوسيط. فقد تمكنوا من توسيع مناطق انتشارهم توسيعاً غير محدود، نتيجة الفراغ البشري الذي

(1) إبن دريد، ص235: فرايتاغ مختارات من تاريخ حلب السابق، ص9 (باللاتينية).
(2) المقريزي: قبائل عربية، ص45. قلقشندي، ص245.
(3) البشاتوه وعباد على سبيل المثال.

أحدثته الهجرات، واتجهوا بصورة خاصة نحو الغرب، الذي انفتح أمامهم بعد اختفاء غطفان. وما إن حل القرن التاسع الميلادي، حتى بلغت منطقتهم طريق الحج الكوفي في شقوق (جنوبي زبالا) وبلغت منجم النقرة «نجرة» القديم، شمال شرق المدينة[1]. وغدت منطقة واحة الجوف في الشمال ملكاً لهم[2]، بعد أن أخلتها كلب وقصدت شمال غرب تيما[3] التي غادرها سكانها اليهود بقوة القانون الشهير الذي أصدره الخليفة عمر. بعد حين، تباعد الطائيون بعضهم عن بعض وتفرقوا في هذه الأرجاء الفسيحة، ونشأت سلسلة من العشائر الجديدة والمستقلة، كالغازية، الذين خرجوا من بني معن السابق ذكرهم، وبني لام، الذين انحدروا من أسرة شيوخ قديمة تحمل الاسم نفسه من قبيلة الجديله. هاتان العشيرتان تكونتا من بدو رحل، كانت الأولى تتنقل من شرق النفود إلى الفرات الأوسط، والأخيرة بين أجا والحجاز الشمالي ـ في وسط الحجاز، عند منطقة الأعلى، تشكلت قبيلتا الضفير وبني صخر، اللتان لم تحملا دماً طائياً صافياً. ولم يبق في موطن طي القديم غير النبهان وبقايا من السلامان، وخاصة الزهير، الذين خرجت شمّر منهم في بداية العصر الحديث والتي استعرضنا تاريخها في المقال السابق. هذه القبائل اختفت جميعها فيما بعد من جزيرة العرب، باستثناء شمّر نجد. لذلك، يسكن بنو صخر الآن شرق الاردن، والضفير أطراف الصحراء إلى الجنوب من الفرات الأدنى، في حين إجتازت الغازية الفرات، وبنو لام وآل كثير (النبهان) دجلة وتقدموا حتى حدود لُرستان.

لم تحافظ أية قبيلة من طي على اسمها الأصلي، باستثناء طي بلاد الرافدين (موضوع هذه المقالة)، التي تمسكت أيضاً بتقاليدها بصلابة تستحق الإعجاب، ولا زالت صيحة الحرب لديها: معن، وهي لفظة تشير إلى الجد القديم الشهير، الذي

(1) الاصطخري، الجزء الأول، ص22. فيما بعد إنتشروا إلى ما وراء شقوق. تابع فوستنفيلد: المدينة، ص66 (نقلاً عن بكري).

(2) ياقوت، الجزء الأول، ص122، الجزء الرابع، ص76. القريات تعني الواحات الثلاث: دوما (الجوف بمعنى الكلمة الضيق) وسكاكا والقارة.

(3) فوستنفيلد: سجل، أنظر طيي.

لا زالت ذكراه حية لديها بصور وأشكال متنوعة. وفي الحقيقة تستحقه عشيرة زبيد وحدها لأن زبيد هو الذي تقول الأنساب أنه ابن معن[1]. أما العشائر الأخرى كالسنبس وحريث فليست من بني معن (يرجح أن تكون الأخيرة من النبهان)[2].
ترجع ذكريات القبيلة التاريخية إلى زمن موغل في القدم. وقد روى لي عبد المحسن، شقيق شيخها الحالي، أن أسلافه جاؤوا إلى بلاد الرافدين، عندما كانت لا تزال تحت حكم الأميرين قريش ومقن من عبادة[3] ـ المقصود بذلك هما أميرا عقيل اللذان يحملان الاسمين نفسيهما[4]. هذا يعني أن هجرتهم حدثت بين عام 1051م و1061م (زمن حكم قريش). لكن الوقائع التاريخية تؤكد أن الهجرة أقدم من ذلك، لأن طي كانت موجودة خلال القرن العاشر في بلاد ما بين النهرين[5]، حيث كانت تغلب تسيطر هناك، قبل أن تضطرها عقيل إلى إخلاء مواقعها، بعد ذلك بفترة قصيرة. ما إن سقط أمراء عقيل في نهاية القرن الحادي عشر، حتى اختفت قبيلتهم بدورها من الجزيرة[6]، وسيطرت طي بمفردها على الساحة.

ستغيب طي بلاد الرافدين من الآن فصاعداً طوال نصف قرن عن أنظارنا، لتظهر في القرن السابع عشر من جديد في منطقتها القديمة. في هذه الأثناء، كان قد مر عليها أتراك ومغول، تركمان وأكراد، دون أن يزحزحوها عن أملاكها، وهي التي ترحلت من الخابور إلى ما وراء دجلة وصولاً إلى جبل حمرين، وجاءت أحياناً إلى بغداد ذاتها[7]. في نهاية عام 1623م، وبعد أن احتل الشاه عباس الكبير

---

(1) قلقشندي، ص224.
(2) يتكرر الاسم كثيراً في هذه القبيلة. أنظر إبن دريد، ص236 (مرتين). أغاني، الجزء 16، ص56.
(3) إن الإضافة الساذجة "خلال الحكم العثماني" معبرة عن مفهوم البدو للزمن.
(4) أنظر مقالة عقيل في قسم جزيرة العرب.
(5) عام 321هـ/ 933م، هزمت طي، التي كانت متحالفة مع أسد وبني ثعلبة (أي منهم؟) على يد بني مالك، العشيرة القيادية في تغلب، قرب الموصل. ابن الأثير، الجزء 8، ص203.
(6) حسب المحكيات القبلية، قتلت طي قريشاً ومقن، وطردت عبادة (عقيل).
(7) نظمي زادة: گلشن.

العراق، قام مائة من فرسان طي بغزوة على الفرس غنموا خلالها مائتي جمل وعدداً من أصائل الجياد عادوا بها إلى مضاربهم قرب ماردين[1]. ثم كلفت القبيلة في القرن الثامن عشر بحماية الطريق من ماردين إلى الموصل ضد يزيديي سنجار اللصوص، وسمح لها أن تفرض، مكافأة لها على عملها هذا، رسم مرور على المسافرين[2]. وشغل شيخ مشايخها منصب بيك سنجار (أو الخابور)، الذي تلاعب الأتراك بواسطته بزعماء العشائر الطامعين بالسلطة وضربوهم واحداً بالآخر[3].

شق تقدم شمّر في مطلع القرن التاسع عشر طي إلى مجموعتين، إقتصر وجود الأولى منهما على منطقة القبيلة الأصلية حول سنجار، والثانية على ضواحي أربيل، في الجانب الآخر من دجلة. سنتحدث الآن عن الأولى، التي تمضي الصيف بين خط سكة الحديد وأرض الجغجغ وصولاً إلى جدول دمير قابو، والشتاء عند أقدام جبل سنجار، والتي انصرف قسم منها إلى الزراعة منذ وقت طويل، فزرع القمح والشعير والأرز شرق وجنوب شرق نصيبين، حيث بنت عشيرة الغنّامة ثلاث قرى، ويعيش الطائيون أيضاً داخل مستوطنات أخرى في المنطقة، بينما تعيش عشيرة الجوالة حياة ترحل (الخريف: وادي الرميلان. الشتاء: سنجار، العجيج).

تقيم طي علاقات حسنة مع جيرانها، بمن فيها اليزيديون «الإيزيديون»، الذين كانوا يدفعون لها خوّة في الماضي[4]. غير أنها على عداء مع بعض شمّر العراق، وجيس حرّان، التي يعود عداؤها لها إلى أقدم الأزمنة.

---

(1) بتشوي: تاريخ، الجزء الثاني، ص396. إشترى المؤلف، الذي واجه آنذاك الفرس باعتباره بيلربيك للرقة، جزءاً من غنيمة طي، وحقق صفقة رابحة.

(2) نيبور: وصف رحلة، الجزء الثاني، ص38. حسب روسو: وصف باشوية بغداد، ص94 كانت طي معفاة من دفع أية ضرائب أو إتاوات؛ ولكن أنظر نيبور، نفس المصدر، ص384..

(3) راشد، الجزء الثاني، ص121. نيبور: جزيرة العرب، ص391.

(4) كامبانيلا: تاريخ منطقة كردستان، نابولي، 1818م، ص58 (بالإيطالية). مجلة الإدارة المدنية لبلاد الرافدين، ص50 و52 (بالانجليزية).

في سنوات الاحتلال الفرنسي الأولى، تحولت منطقة طي إلى بؤرة قلاقل، غذاها الأتراك بحمية وتصميم. لكنها خمدت عام 1928م، مع انتقال المتمردين، ومعظمهم من عشيرة الجوالة، إلى الأراضي التركية.

إذا ما نظرنا إلى طي نصيبين بمنظار تركيبها، وجدناها جماعة متعددة الألوان، ووجدنا أن عشائر العساف والزبيد والحريث وحدها تضم طائيين أقحاحاً، بينما يضم الآخرون أجزاء متناثرة من عشائر بلاد الرافدين المختلفة، كما سيظهر بجلاء في الملاحظات حول الجدول. يبدو أن هذا هو حال طي الشمامك، التي يقتصر الطائيون الأقحاح فيها على عشائر الحريث والسنبس واليسار[1].

ترجع أسرة شيوخ طي بلاد الرافدين نسبها إلى عساف ابن سياله[2]، وفي نهاية الأمر إلى حاتم الطائي. وتربطها علاقات مصاهرة مع أسرة شيوخ شمّر، وتمارس ضرباً من نفوذ أبوي على عشائر اليان وتشيتي الكردية المجاورة. من أجيال الأسرة الأحدث، التي يجب التوقف عندها هو الشيخ عبد الرحمن باشا، حاكم القبيلة منذ سنوات كثيرة، الذي كنا قد تعرفنا على شقيقته عمشه، زوجة صفوق شيخ شمّر[3]، ومات حوالى عام 1910م. خلال أعمال التنقيب في تل حلف، كان يتولى حكم القبيلة ابنه سليمان، الذي كان لا يزال حياً عام 1929م، لكنه فقد منصبه منذ وقت طويل لصالح أخيه محمد، الذي اختلف عام 1923م مع الفرنسيين، فنفوه إلى مدينة بانياس (على الساحل السوري) ثم سمحوا له بعد أشهر قليلة بالرجوع إلى قبيلته. في السنوات التالية، أحدث تذمره من الاعانة المقررة له صعوبات إضافية، إنتقل بسببها إلى الأراضي التركية في أيار من عام 1928م. عينت حكومة الانتداب عندئذ شقيقه طلال شيخاً للقبيلة، وحين توفي عام 1936م، طالب

---

(1) يوجد حريث ويسار في العراق أيضاً. وكذلك الفرير القدماء (فوستنفيلد، جدول رقم 6 و17، والشيء ذاته في منطقة المدينة، ص56 و157) ما زالوا موجودين بلاد الرافدين.

(2) سياله عند نيبور. جزيرة العرب، ص 391.

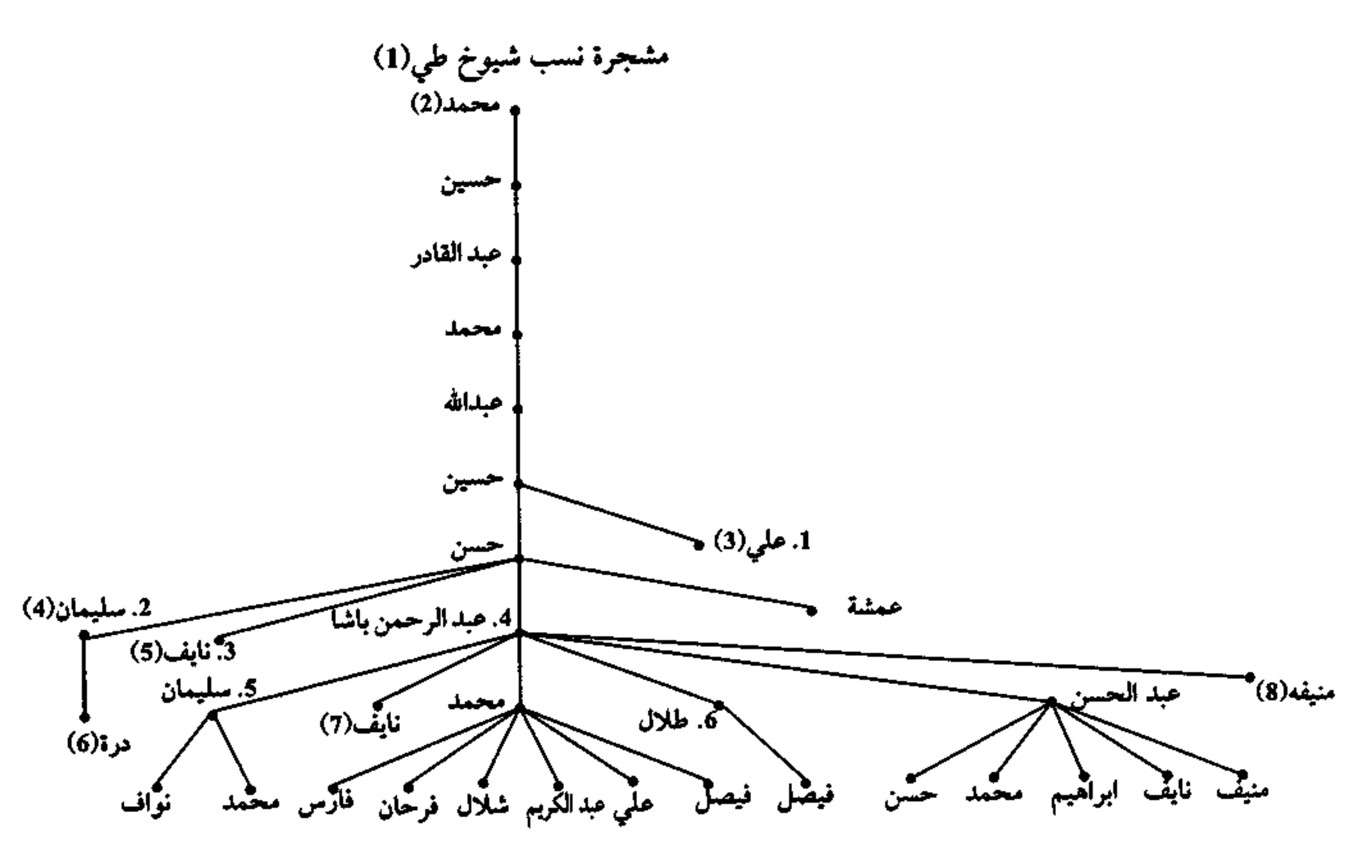
(3) أدلى عبد المحسن بملاحظة غدت محل افتخار طي تقول: «إن أبناءها عبد الكريم وفارس وعبد الرزاق هم أكثر كرماً من بقية شيوخ شمّر، لأن أقارب أمهم من طي!».

محمد بالقيادة، وعندما رجحت كفة ابن عمه حسن السليمان لدى الحكومة السورية الجديدة، إنضم إلى المطالبين بالإستقلال[1].

لا نعرف إلا القليل عن ظروف حياة طي شمامك، كما يسمى ذلك القسم من طي، المخيم قرب أربيل، والذي يذكره لايارد من حين لآخر[2]، ويمجد خورشيد (ص 237) شمائله الرقيقة.

(1) تيربيه، ص146 ـ الشرق الحديث، عام 1937م، ص377.

(2) نينوى وبابل، ص168.


مشجرة نسب شيوخ طي(1)
محمد(2)
حسين
عبد القادر
محمد
عبدالله
حسين
حسن
1. علي(3)
عمشة
4. عبد الرحمن باشا
2. سليمان(4)
درة(6)
3. نايف(5)
5. سليمان
نواف
محمد
نايف(7)
محمد
فارس
فرحان
شلال
عبد الكريم
علي
فيصل
6. طلال
فيصل
عبد الحسن
حسن
محمد
ابراهيم
نايف
منيف
منيفه(8)

ملاحظات حول مشجرة نسب أسرة شيوخ طي

1 ـ معلوماتنا حول نسب الخط الرئيس والجيل الأخير مأخوذة من عبد المحسن، شقيق شيخ المشايخ. أما الأعضاء الآخرون، فالمعلومات عنهم مأخوذة من مصادر مختلفة.

2 ـ يتماهى بالتأكيد مع شيخ طي محمد الذياب، الذي يخبرنا مؤرخ الامبراطورية راشد (الجزء الثاني، ص121) أنه عين عام 1127هـ/ 1715م بيكاً على سنجار.

3 ـ إستكملت وفقاً لبيترمان، الجزء الثاني، ص36 (هكذا يكون قد حكم عام 1853م).

4 ـ يبرز سليمان الحسن كشيخ لطي في الجدول الذي وضعه هوارت عام 1865م. قارن: سوسين ـ سستومه: ديوان من أواسط جزيرة العرب. رقم 112، حيث يجب أن نقرأ في البيت رقم 12 عمشه بدلاً من عمشر.

5 ـ إستقبل الزوجين بلنت عام 1878م.

6 ـ تزوجت من شيخ شمّر فرحان.

7 ـ عام 1929م، ألب نايف قسماً كبيراً من القبيلة على شقيقه محمد، فاتفق هذا مع الأتراك على سجنه وقتله في نصيبين. تيريه، ص146.

8 ـ تزوجت من شيخ شمّر عبد الكريم.

طــي

أ ـ طي نصيبين(1)

شيخ المشايخ: محمد بن عبد الرحمن(2)

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ العساف(3)	محمد بن عبد الرحمن	30
2 ـ الحريث	جاسم المقطف، محمد النهاب	300
3 ـ زبيد(4)	محمد الفارس	200
4 ـ الراشد(5)	محمد سعيد بن حسّو	500
5 ـ الجوالة(5)	سلوم الحميد(6)/ محمد الدندح	1000 (؟)
6 ـ حرب(7)	احمد العبد الله	400
7 ـ بني سبعة(8)	محمد الغنام/ اسعد الظاهر	600
8 ـ الغنّامة(9)	حمود اليوسف	200
9 ـ المعامرة(10)	أحمد العازل السموري	80
10 ـ البقارة(11)	سمعو الملوح	100
11 ـ البوعاصي(12)	سحل الجمعة	150

ب ـ طي الشمامك(13)

شيخ المشايخ: حنش الحمود

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ سنبس		200
2 ـ الحريث		100
3 ـ اليسار		100
4 ـ الراشد(14)		200

ملاحظات حول جدول طي

1 ـ سجل عام 1929م. الراوي: عبد المحسن، شقيق شيخ المشايخ. راعينا في الملاحظات تسجيلات أقدم تمت عام 1927م، وكذلك تيرييه، ص145، الذي تتفق معطياته إلى حد بعيد مع التسجيلات الجديدة. أما جدول عام 1865م، الذي نشره هوارت في الجريدة العلمية بعنوان "تدوينات حول القبائل العربية في بلاد الرافدين" (ص 11 وما يليها من الطبعة الخاصة) فلا يتضمن غير العشائر 2 و4 ـ 6 من جدولنا، الأمر الذي لا يعني شيئاً بالنسبة لوضع طي آنذاك، بما أن بيترمان، الذي قام برحلته عام 1853م، يورد على وجه التقريب أسماء جميع العشائر التي تظهر هنا. (الجزء الثاني، ص36). يتضمن الجدول الأقدم، الذي وضعه روسو (رحلة، ص60) إسم السياله. ويورد راشد، فضلاً عن ذلك، اسمي قبيلتين كرديتين.

أرجح أن أعداد الخيام مرتفعة جداً، لأن تيرييه يذكر ألفي خيمة، وهذا رقم لا يتفق مع العدد الذي يعطيه هو نفسه حول الرجال القادرين على حمل السلاح (1000)، أو مع أعداده الأخرى المختلفة (ومجموعها 2850).

2 ـ أي حسن السليمان.

3 ـ أسرة الشيوخ. يضاف إلى ذلك بحسب تسجيل عام 1927م عبيد الأسرة، السريج، مع 400 خيمة.

4 ـ يمكن إثبات وجودهم في منطقتهم الحالية منذ النصف الأول من القرن الثاني عشر. أنظر: ابن سعيد عند القلقشندي، ص224.

5 ـ نُعيم.

6 ـ إنتقل عام 1928م مع فرع البو شريف من قبيلته إلى الأراضي التركية.

7 ـ هي عشيرة الفارس من قبيلة حرب.

8 ـ زبيد. ليسوا بطبيعة الحال من نذكرهم في الجدول تحت رقم 3، بل قبيلة بلاد الرافدين الكبيرة.

9 ـ يسمون أيضاً حياليين تيمناً بأبيهم الأول حياله. يزعمون أنهم أخلاف الصوفي الشهير عبد القادر الجيلاني، فهم ينتسبون إذن إلى السادة، أي انهم من ذرية النبي.

10 ـ عبيد.

11 ـ بقارة الجبل، فخذ البوشِهاب. يعملون في أراضي شيخ المشايخ.

12 ـ بقارة الجبل.

13 ـ يتبع الجدول لائحة هوارت، إسم شيخ المشايخ وحده يرجع إلى استقصاءات شخصية.

14 ـ أنظر الملاحظة رقم 5.

في الختام، لا بد أيضاً من ذكر فخذ من طي، يزرع أراضي قرية سلوق (جنوب حران). إنه يسمي نفسه حييّ وكانت له 50 خيمة عام 1913م. وقد سكن الحييّ تلك المنطقة منذ عام 1880م، وكانوا قبل ذاك في خنيس من أعمال البليخ الأدنى، حيث لا زال لهم بعض خيام هناك. وقد عاشوا في خونيس منذ ثمانية أجيال، إلا أن إبراهيم باشا نقل بعض أسرهم من هناك إلى ويرانشهر. حسب اسمهم، يعتبر الحيّي بدورهم من بني معن. أنظر فوستنفيلد، الجدول 6، 24.

جحيش

الجحيش قبيلة تعيش في عدة مئات من الخيام[1]، تتنقل من المنحدر الشمالي كراجوك إلى الممالح الواقعة إلى جنوب سنجار، وتقيم صلات وثيقة مع طي نصيبين. يسكن الجحيش كذلك وراء دجلة، في قرى مثل النايفه والنمرود. ويخيم اليوم عدد كبير منهم قرب تل أعفر أما "المتيفيد" المذكورون في المجلة "ريفيو" ص53 فليسوا غير موالي الجحيش.

إلتقيت عام 1892م الجحيش بين سنجار ودجلة. وكان شيخهم آنذاك علو الصالح، وهو صغير القامة يكاد يكون قزماً، لكنه رجل قوي البنية[2]. وكان الجحيش آنذاك في عراك دموي مع اليزيديين «الإيزيديين»، وقد هاجموني ومن معي لاعتقادهم أننا ننتمي إليهم.

---

(1) ذكرها أول الأمر نيبور، جزيرة العرب، ص391، وقال إن لها 200 إلى 300 خيمة.

(2) تابع ماكس فرايهر فون اوبنهايم: من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، ص145.

زبيد

يرجع قسم كبير من بدو بلاد الرافدين، ومناطق شمال سورية وأراضي العراق المحاذية له بنسبه إلى زبيد جنوب جزيرة العرب. وتفخر قبيلة زبيد، التي تعيش في منطقة بغداد، بانتسابها إلى الأصل ذاته. هناك قبيلتان تحملان اسم الزبيد، تسكنان كلتاهما المناطق الطرفية الغربية من جزيرة العرب، في حوران و شمال فلسطين، يمكن إرجاع نسبهما إلى هذا الاصل[1]، أما بالنسبة إلى زبيد ضواحي مكة فمن المؤكد أنهم ينتسبون إليها. رغم تنوع الزبيد وانتشارهم الواسع، يصعب أن نعتبرهم قوماً واحداً، لأن قبائلهم تفتقر إلى علاقات تشدها بعضها إلى بعض، وإلى موروثات ومحكيات مشتركة، وهذا نقص يرجع بالتأكيد إلى أن الزبيد كانوا دائماً مستقرين، وبقوا كذلك في قسمهم الأكبر.

إنتسب الزبيد القدماء إلى مذحج[2] وعاشوا شرق ما يسمى اليوم بلاد عسير. وقد كانوا محاربين أشداء، وشنوا مع أقاربهم من القبائل الأخرى غزوات قادتهم إلى أواسط جزيرة العرب[3]. في فجر الإسلام، كان زعيمهم عمرو بن معدي

---

(1) لا يؤكد تماثل الأسماء وجود القرابة. إن الزبيد، الذين ينتمون إلى طي، لا تربطهم رابطة بقبيلتنا هذه.

(2) فوستنفيلد، الجدول 7 و15 أو 21 (إلى كهلان). تضع الأنساب البدوية الحالية حمير في مكانه.

(3) يوم الكلاب مثلاً. أنظر كوسان دون بيرسيفال، الجزء الثاني، ص582. يوم فيف الريح، نقائض جرير والفرزدق، الجزء الأول، ص469.

كرب، المحارب ذائع الصيت، الذي شارك في معارك حاسمة ضد البيزنطيين والفرس[1]، الجاهلي الوحيد الذي بقيت آثاره حية في محكيات الزبيد الحاليين.

يبدو أن حركة الهجرة الكبرى التي تلت غزوات الفتح، لم تشمل الزبيد أول الأمر، الذين غادروا موطنهم، أول ما غادروه، حوالى سنة 900 ميلادية، بصحبة حرب، القبيلة الأخرى من جنوب جزيرة العرب، التي شاركوها احتلال المناطق الخالية إلى الشمال من مكة[2] والتي بقوا فيها حتى اليوم. لكن قسماً من القبيلة بقي في مواضعه القديمة، إلى أن أبعد في وقت لاحق نحو ساحل عسير[3].

لا نستطيع متابعة هجرة الزبيد إلى مناطق الأطراف الشمالية لجزيرة العرب إلا مرحلة بعد أخرى، لأننا نجهل، على سبيل المثال، في أي تاريخ وعلى أي طريق بلغوا حوران ودمشق، وأين شكلوا عام 1200م تلك المجموعة التي كانت على قدر عظيم من القوة والبأس[4]، التي وصل المنتمون إليها في القرن الرابع عشر الميلادي إلى الرحبة على الفرات[5]. بالمقابل، ثمة معلومات تخبرنا أن تدفق

---

(1) أسلم عمر بن معدي كرب في العام التاسع أو العاشر للهجرة. لكنه ما لبث أن ارتد، لأنه شعر أنه أقل شأناً من زعيم مذحج آخر. ثم انضم إلى نبي دجال هو ذو الخمار الذي تمكن من إخضاع اليمن بكامله لبعض الوقت. عند استرداد النظام ألقي القبض على عمر وأرسل إلى المدينة، فأعفي عنه وأعيد لوقت قصير إلى موطنه، ثم انضم بعد ذلك إلى الجيوش الإسلامية. فوستنفيلد: سجل، ص75. فلهاوزن، تخطيطات، الجزء الرابع، ص168، والسادس، ص29 و32 و35.

(2) أخذ هذا التاريخ من الحمداني، ص120 و130، والاصطخري، ص22. صحيح أن الكلام يقتصر هنا على حرب، لكن الإعتقاد بقيام القبيلتين بهجرة مشتركة هو أمر لا غبار عليه، لأن الحمداني (الذي كان في النصف الأول من القرن الثالث عشر مهماندار في البلاط في القاهرة) عرف الزبيد باعتبارهم عضواً في اتحاد حرب. أنظر: صبح، الجزء الأول، ص341.

(3) كتاب الجيب، الجزء الأول، ص478.

(4) يذكرها أول الأمر الحمداني (صبح، الجزء الرابع، ص214)، ثم العمري وقلقشندي (نفس المصدر)، وأخيراً مؤلف المقصد (القرن 15). يؤكد القلقشندي أن من سبقوه لم يذكروا شيئاً عن أصل المجموعة، لكنه يشير إلى أنه هو نفسه يعتبر زبيد عرب الجنوب القبيلة الأم التي ينتسبون إليها. وتؤكد حكايات زبيد الرافدين هذا الرأي.

(5) قلقشندي، والعمري.

الزبيد على بلاد الرافدين تزايد حتى شمل أعداداً كبيرة من زبيد حوران، وتحوّل من بقي منهم هناك إلى حفنة صغيرة من قبائل الرعاة[1]، وتفرعوا في بلاد الرافدين إلى ست قبائل كبيرة هي الولدة، العفاضلة «العفادلة»، السبخة، وهي تشكل مجتمعة اتحاد البوشعبان، والجبور والدليم والعبيد، التي لم تعد وحدة واحدة، وإن ارتبطت بموروثات ومحكيات مشتركة.

إنتشرت زبيد بلاد الرافدين خلال القرون الأخيرة في الأراضي المجاورة أيضاً، حتى وصلت البوشعبان إلى ضواحي حلب، والجبور والدليم إلى العراق، وأقسام منهم إلى فلسطين[2] هي الزبيدات ولهيب وسمكية[3]. وتفتقر هذه العشائر الثلاث، الصغيرة، افتقاراً تاماً إلى مرويات، وإن كانت قرابتها مع زبيد بلاد الرافدين مؤكدة ولا شك فيها. إذ إن الزبيدات ولهيب تتبنيان صيحة حرب الجبور: (أولاد) جابر! ووسمها: ⊓ ؛ وصيحة حرب سمكية: "البوشعبان"!

من المنطقي أن ننسب قبيلة الزبيد، التي تسكن إلى الجنوب من بغداد، إلى زبيد منطقة بلاد الرافدين العليا، بالنظر إلى أن علاقات السكان في العراق، وخاصة تلك المتعلقة بمستوطنات الجبور والدليم الموجودة هناك[4]، تؤكد إمكانية وقوع هجرة كهذه. مع ذلك، هناك طريقة أخرى لتفسير نشوء القبيلة، ذلك أن العراق شهد خلال القرن السابع عشر ـ ليس الزبيد هناك من زمن أقدم ـ تنظيماً جديداً للعلاقات البدوية أدى إلى انبعاث قبائل كانت قد هاجرت إليه زمن الفتح، لكنها اختفت منذ وقت طويل. هذه الظاهرة الخاصة ستحظى باهتمامنا في القسم الخاص بالعراق، لذلك نكتفي هنا بالإشارة إليها لدى لونكريك: أربعة قرون من العراق الحديث، ص77.

بعد هذه اللمحة العامة عن انتشار الزبيد، نستطيع الآن تركيز اهتمامنا على

---

(1) أنظر مقالة عرب الجبل.

(2) ربما كان الإنفصال قد حدث في حوران.

(3) أنظر قسم فلسطين (الزبيدات مذكورون هناك تحت صخر وقبائل أصغر على الشاطئ).

(4) سنعرج عليهم في قسم العراق.

مجموعة بلاد الرافدين. يرجح أن يكون البوشعبان أولاد قبيلة الزبيد الأقدم (القرن الرابع عشر)[1]، أما الجبور والدليم والعبيد فمن المحتمل أن تكون قد هاجرت في زمن أحدث. يرجح ذلك ارتباطها بصلة قرابة وثيقة، ووجود أسطورة تجعل من ثلاثة أخوة ثلاثة أسلاف لها هم: جبر، وثامر وعبيد، أبناء معدي كرب الزبيدي[2]، تخبرنا الحكاية أنهم هاجروا من اليمن إلى نجد فالصحراء السورية، وأن أخلافهم انتقلوا من هناك إلى الفرات. وكذلك وجود مكان لصيق بموروثاتها المحكية هو: محيوز[3]: بئر في وادي حوران، الذي يؤكد موقعه الافتراض الشائع، وهو أن الزبيد انتقلوا إلى بلاد الرافدين عبر حوران.

يبدو أن القبائل الثلاث بلغت الفرات عند منطقة البوكمال، حيث بقي الدليم. بينما استقر الجبور إلى الأعلى، في اتجاه تيار النهر الصاعد، وتوغل العبيد إلى داخل الجزيرة. غير أن مواطنها هذه تغيرت بسبب هجرات البدو الكبيرة التي حدثت في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، فسكن الدليم منذ ذلك الوقت قرب الرميلان، والجبور على الخابور وقسم منهم على دجلة، والعبيد وراء النهر قرب كركوك.

(1) أنظر المقالة التالية.

(2) الجد الأول المقصود هو بالتأكيد عمر ابن معدي كرب.

(3) هذا ما يقوله هاند بوك على الأقل، ص53وهو يروي حكاية هجرة الدليم. بينما تذكر حكاية الجبور بئر هدّاج التي لا تزال ملكاً لها إلى اليوم. لكن هذا لا يساعدنا كثيراً، لأن الحداج هو البئر الشهيرة لواحة تيماء الواقعة في غرب جزيرة العرب، حيث لا وجود للجبور. هل بئر الحداج ـ خارطة موزيل في شمال جزيرة العرب ـ هي المقصودة؟ (إن البئر الموجودة بالاسم ذاته في بلاد الرافدين الشمالية ليست مقصودة على الإطلاق).

جبور

سكن الجبور بالأصل في مياذين، بين دير الزور والبوكمال، وجاوروا، نزولاً مع مجرى النهر، الدليم، قبيلتهم الشقيقة، وصعوداً على النهر: البوشعبان. وفي منتصف القرن الثامن عشر، فرضت نفسها على المنطقة الفاصلة بين الجبور والدليم قبيلة جديدة هي العقيدات، التي طردت الأولى في اتجاه الجنوب والثانية نحو الشمال. تموضع الجبور عندئذ، في منطقة الخابور، حيث وجدوا مأوى غير آمن إلى حد بعيد، بسبب تعرض المنطقة لغزوات عنزة المتواصلة. أخيراً، وفي مطلع القرن التاسع عشر، توجهت مجموعات من الجبور إلى دجلة في الشرق، كان أولها مجموعة شمطة، التي كانت تسكن في الأصل في دير الزور[1]، ثم لحقت بها، في الثلاثينيات، جموع القبيلة الكبرى. لم يجد غير قسم من المهاجرين الجدد مكاناً له في المستقر الجديد، فعاد القسم الآخر أدراجه إلى الخابور. في هذه الأثناء، كانت المنطقة قد امتلأت بالعقيدات، فقامت الجبور ببعض الجهد من أجل طردهم منها[2]. منذ ذلك الوقت، لازم الجبور أرض الخابور، وتراخت علاقاتهم مع من هاجروا من قومهم إلى دجلة، إلى أن انقطعت تماماً.

(1) كان ريش أول من أكد وجودهم على دجلة (1821م، الجزء الثاني، ص133. ذهب قسم آخر من الشمطة إلى منطقة ويرانشهر وأنضم إلى اتحاد الملّي.

(2) لايارد: نينوى وبقاياها، ص220. نينوى وبابل، ص175 و205 و215.



مسلط باشا مع عائلته، شيخ مشايخ الجبور (1929م)

يقطن جبور دجلة على ضفتي النهر، من مصب الزاب الكبير وحتى الزاب الصغير. وهم مستقرون وعازفون عن الحرب. وتخضع أقسام منهم لشيخ شمّر، عجيل الياور، الذي يزرعون أراضيه. من جانبهم، يمضي جبور الخابور نصف الرحل الصيف في حقولهم، التي تبدأ في وادي الجغجغ عند الحمدي، وتمتد على الخابور من تل الرمان ثم تماشي تيار النهر إلى الشيخ حمد (فوق الصوأر)، ويقضون الشتاء في السهب الممتد على جانبي النهر، دون أن يبتعدوا أكثر من مسيرة يومين عنه.

يشكل الجبور حالياً عنصر استقرار وأمن في الجزيرة (تيرييه)، مع أنهم عرفوا في الماضي كيف يدافعون عن أنفسهم ببسالة، مثلما حدث عندما وقع في نيسان من عام 1913م صدام بينهم وبين شمّر انتهى إلى هزيمتها. تواصل بعد الحرب العداء بين القبيلتين، إلى أن سوي آخر صدام بينهما في مؤتمر عقده زعماء القبيلتين عام 1929م في الحسكة، بدعوة من حكومة الإنتداب.

إكتسب شيخ مشايخ الجبور مصلط بن صالح المحمد أمين شهرة مدوية،

بسبب نشاطه المديد كشيخ للجبور، الذي جعل السلطان عبد الحميد يمنحه لقب باشا. وقد بلغ عمره عام 1929م ثمانين عاماً، فتولى منصبه في الحقبة التالية ابنه الثاني جميل. عرف من أسلافه محمد أمين بحسب لايارد[1]، الذي لم يكن على وفاق معه. هناك أيضاً أسرة شيوخ أخرى هي ابن عبد ربّه، يأتي لايارد على ذكر جدها الأول، ويبدو أنها انقرضت في هذه الأثناء أو فقدت مكانتها.

(1) نينوى وبقاياها، ص45 و216. نينوى وبابل، ص207. أنظر بخصوص قبر محمد أمين، كتاب: من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، ص22، وجون هوغ سميث في مارك سايكس، دار الإسلام، ص280.

دليم

الدليم هي القبيلة الأقوى بين قبائل الزبيد الثلاث، بل إنها القبيلة الأقوى في القسم الجنوبي من الجزيرة. يعيش ربع أعضاء الدليم تقريباً كبدو رحل، أما الباقون فمستقرون. لذلك يميزون بين دليم رُحّل (كوشر) ودليم الفلاليح (الفلاحين)[1]. أما المستقر الرئيس للقبيلة، فهو قلعة الرمادي على الفرات.

سكن الدليم بالأصل قرب القايم، لكن العقيدات أزاحوهم في نهاية القرن الثامن عشر عن مواضعهم[2]، وأجبروهم على الهجرة جنوباً، في اتجاه تيار النهر، فدفعوا بدورهم الإشجرية والجنابيين أمامهم ووصلوا إلى الفلوجه، حيث شعروا بوطأة قربهم من أجهزة الحكومة، التي أثقلت كاهلهم بمطالبها الضريبية، وكسرت مقاومتهم بالقوة، حين حاولوا المقاومة[3]، فقد جاءت عام 1799م قوات كبيرة من بغداد إلى جبّه (فوق هيت) واستولت على كثير من قطعانهم، فألقوا سلاحهم واستسلموا. غير أن شتاء عام 1819م/1820م شهد صداماً دامياً، عبأ الدليم قواهم

(1) كوشر هو كلمة تركية ومعناها رحل. فلاليح جمع فلاح.

(2) يقول خورشيد أفندي في سياحت نامه، ص191: "في ظل حكومة سليمان باشا الكبير في بغداد، أي بين 1780م و1802م".

(3) دوحة الوزراء، ص227 و306 و322. ضرائبياً تبعت الدليم عانة وبالتالي بغداد. خورشيد، ص191.

فيه من أجل معركة مفتوحة. عندما اجتاحت القوات الحكومية مواقعهم المحصنة، أنقذوا أنفسهم بعبور الفرات سباحة إلى الضفة السورية، تاركين وراءهم عدداً كبيراً من النساء والأطفال، الذين سقطوا في يد القوات التركية. يعتبر الدليم قبيلة خاضعة[1] منذ حكم نجيب باشا (حاكم بغداد من 1842م إلى 1849م)، وإن كانت الحقبة التالية لا تخلو من شكاوى حول امتناعهم عن دفع ما عليهم من ضرائب وقيامهم بنهب القوافل. أخيراً، في عام 1910م، حطم ناظم باشا قوتهم بصورة نهائية[2]، فلم يواجه البريطانيون صعوبات تذكر معهم، سواء عندما احتلوا منطقتهم في خريف عام 1917م، أو خلال ثورة العراق الكبرى عام 1920م[3].

تتكون الدليم، بالأصل، من أربع عشائر: البوعلوان، والبوفهد، والبوريديني، والمحامدة. وبعد تغيير مكان ديرتهم، إنضم إلى اتحادهم. البوعيسى والجميلة، اللتان كانتا تسكنان جنوب الفلوجة؛ فكان هذا التغير الوحيد الذي أصاب تركيبة القبيلة، والذي يمكن أن يحجب عنا الحقيقة، وهي أن أعداد البوريديني زادت منذ ذلك الحين كثيراً بالمقارنة مع أعداد الآخرين، وأن الزيادة جعلتها تتخطى إطارها كعشيرة[4]. ـ لا يتعين مجال نفوذ الشيوخ بحجم عشائرهم أو مجموعاتهم، بل بلحظة جغرافية هي موقعهم من الفرات الذي مارس البو ذياب (ب أولاً 4أ، ب) حردان العيثة ومطلق الشاوش، سلطتهما على ضفته اليسرى، وحكم علي بن سليمان البكر من البوعساف ضفته اليمنى ـ ينتمي هؤلاء الثلاثة جميعهم إلى البوريديني ـ. بالمقارنة مع هذه الوقائع على الأرض، لم يكن للفصل بين بدو رحل وبدو مستقرين، دليم رحل ودليم فلاحين، أية أهمية سياسية.

يسكن الدليم المستقرون ضفتي الفرات بين هيت والفلوجه، ويتخطون هذا

(1) خورشيد أفندي، ص192.

(2) هاند بوك، الجزء الأول، ص53.

(3) مجلة Review، ص34 و135 و147.

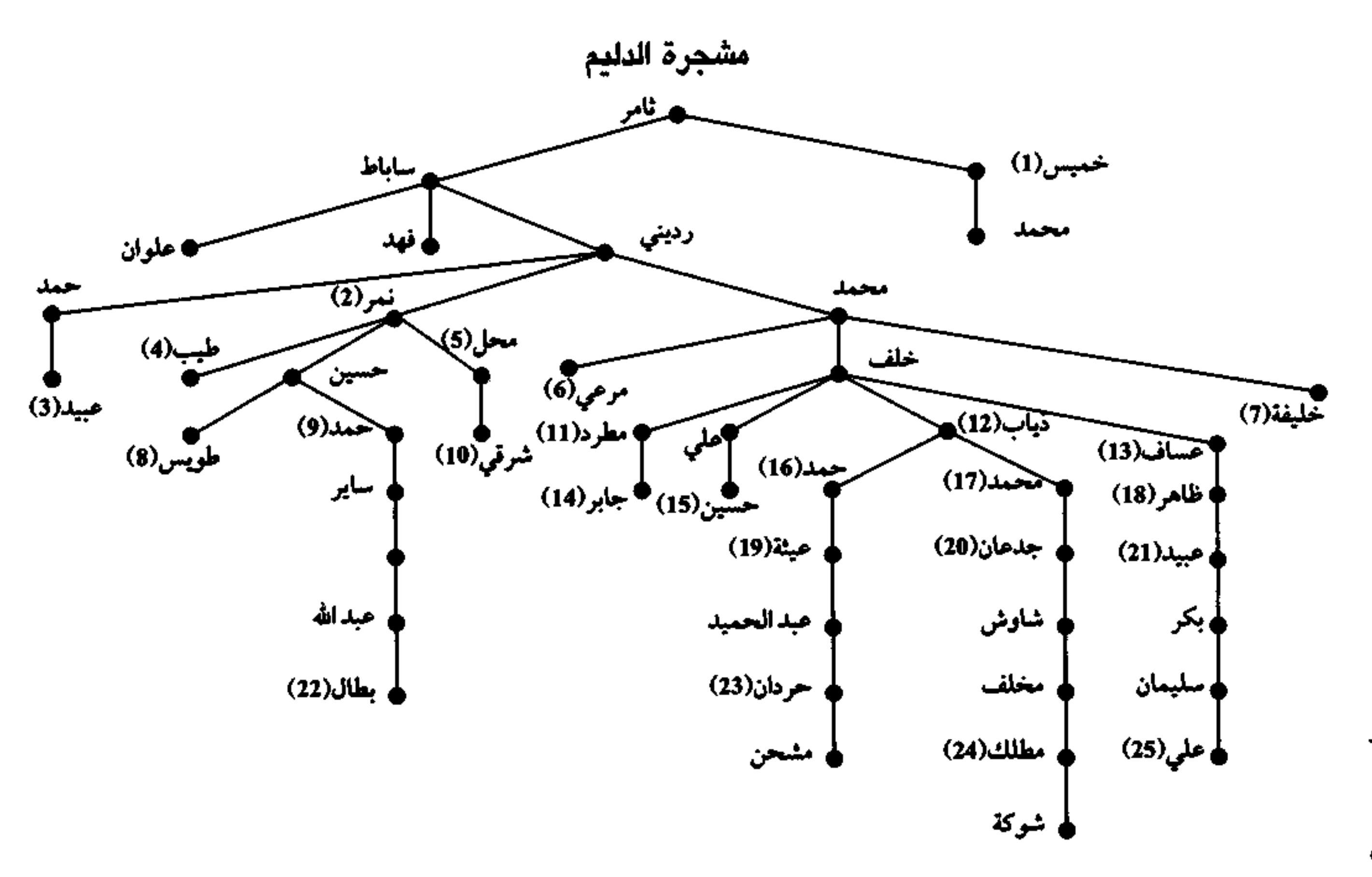
(4) لهذا توصف فيما سيلي كمجموعة، وكذلك الخمس الأخرى، رغم أن هذه الأخيرة لها أهمية العشائر لا أكثر.

المكان على ضفته اليمنى. وهم يبيعون منتجات اقتصادهم الزراعي في هيت وبغداد وواحات الشامية[1]. أما الدليم الرحل[2] ـ مربو الخراف في معظمهم[3] ـ، فهم يحتلون منطقة انتشار توسعت كثيراً بعد أن غادر العبيد الجزيرة (حوالى عام 1815م)، تبدأ في الغرب عند الفحيمي (جنوب عانه)، وتتجاوز في الشرق خط سامراء ـ الفلوجه، وتصل في الشمال إلى الحضر. وفي الربيع يخيم الدليم في الصحراء السورية أيضاً.

(1) المقصود هنا وفي النص التالي الولاية العراقية الواقعة على ضفة الفرات اليمنى مع مدينتي النجف وكربلاء.

(2) تشمل العشائر ب أولاً 1 . 3 من الجدول وكذلك أقساماً من البوعساف (6). لاحظ أيضاً الملاحظات: 22، 26، 33، 34.

(3) تابع هاندبوك (كتاب الجيب)، الجزء الأول، ص53. موزيل: البادية التدمرية، ص152.


مشجرة الدليم
ثامر
خميس(1)
محمد
ساباط
علوان
فهد
رديني
حمد
عبيد(3)
نمر(2)
طيب(4)
محل(5)
شرقي(10)
حسين
طويس(8)
حمد(9)
ساير
عبد الله
بطال(22)
محمد
مرعي(6)
خلف
خليفة(7)
مطرد(11)
جابر(14)
علي
حسين(15)
دياب(12)
حمد(16)
عيثة(19)
عبد الحميد
حردان(23)
مشحن
محمد(17)
جدعان(20)
شاوش
مخلف
مطلك(24)
شوكة
عساف(13)
ظاهر(18)
عبيد(21)
بكر
سليمان
علي(25)

ملاحظات حول مشجرة نسب الدليم

1 ـ يجب أن نشتق منه البوخميس أيضاً، الذين يخيمون اليوم في شمال سورية، لكنهم حسب حكاياتهم المتوارثة دليم. أنظر مقالة: عشائر حلب الرحالة الصغيرة.

2 ـ عنه أخذ البونمر ب أولاً 1 اسمهم.

3 ـ عنه أخذ البوعبيد ـ ب أولاً 5 اسمهم.

4 ـ عنه أخذ البوطيب ب أولاً 2 ب اسمهم.

5 ـ عنه أخذ البومحل ب أولاً 2 اسمهم.

6 ـ عنه أخذ البومرعي ب أولاً 11 اسمهم.

7 ـ عنه أخذ البوخليفة ب أولاً 10 اسمهم.

8 ـ عنه أخذ الطويسات ب أولاً 2 حـ اسمهم.

9 ـ عنه أخذ البوحمد الحسين ب أولاً 2 ب اسمهم.

10 ـ الجد الأول لأسرة شيوخ البومحل.

11 ـ عنه أخذ البومطرد ب أولاً 12 اسمهم.

12 ـ عنه أخذ البو ذياب ب أولاً 4 اسمهم.

13 ـ عنه أخذ البوعساف ب أولاً 6 اسمهم.

14 ـ عنه أخذ البومطرد والبوجابر اسمهم.

15 ـ عنه أخذ البوحسين العلي ب أولاً 3 اسمهم.

16 ـ عنه أخذ البوحمد الذياب ب أولاً 4 أ اسمهم.

17 ـ عنه أخذ البومحمد الذياب ب أولاً 4 ب اسمهم.

18 ـ قارن أولاً، ب.

19 ـ عنه أخذ فخذ البوعيثة من البوذياب اسمهم.

20 ـ عنه أخذ فخذ البوجدعان من البوذياب اسمهم.

21 ـ عنه أخذ البوعبيد ب أولاً 6 أ اسمهم.

22 ـ شيخ فرع للبوحمد الحسين.

23 ـ شيخ البوحمد الذياب.

24 ـ شيخ البو محمد الذياب.

25 ـ شيخ البوعساف وشيخ مشايخ الدليم.

ثمة عداوة بين الدليم وشمّر، التي تجتاز الجزيرة الدنيا في الربيع والخريف. والدليم على عداء كذلك مع جيرانهم في الجنوب: قبائل الشامية الشيعية كبني حسن. لكنها متحالفة، بالمقابل، مع العمارات ـ عنزة، الذين لهم حق الرعي في مناطقها.

يحكم علي بن سليمان البكر، أعظم شيوخ الدليم نفوذاً، منذ فترة ما قبل الحرب. وهو، بعكس أبيه، حريص على إقامة علاقات طيبة مع الحكومة أياً كانت. وقد وضع نفسه تحت تصرف الإنجليز بعد احتلالهم الرمادي، ودعمهم خلال الاضطرابات التي انفجرت شتاء عام 1919/ 1920م على الفرات، ومهدت لنشوب الثورة العراقية. بسبب نفوذ الشيخ، بقيت هيت هادئة آنذاك، مع أنها كانت قد أخليت من القوات العسكرية[1]. إستقر الشيخ في الرمادي، حيث يمتلك بيوتاً وبساتين نخيل[2].

(1) هالدن: عصيان في بلاد الرافدين عام 1920م. ص105.

(2) إرتقى المكان كثيراً بفضل مدحت باشا (في بغداد من عام 1869م ـ 1872م). قبل ذلك سميت الدائرة (أو بالأحرى السنجق)، الذي تكون الرمادي مركزه، الدليم. موزيل: الفرات الأوسط، ص33. خورشيد، ص189.

إنفرد الشيخ حردان العيثة دون شيوخ الدليم الكبار جميعهم بإثارة المتاعب في وجه الإنجليز. أما نجرس بن قعود «گعود»، شيخ البونمر (ب أولاً 1)، فبقي موالياً للأتراك حتى نهاية الحرب، مع أنه كان ألد أعدائهم في الماضي.

مشجرة نسب الدليم

توحد شجرة نسب الدليم أنساب الأشخاص والقبائل بالطريقة ذاتها التي توحدها بها أشجار النسب العربية القديمة. في الأسطر الثلاثة العليا يوجد نسب القبيلة الصرف، أما الأسطر الدنيا فتقدم لنا هيكلها الرئيس من خلال سلاسل أسلاف بعض شيوخها المهيمنين.

عرف أبو القبيلة ثامر بفضل حكايات الهجرة. بينما أعطى ساباط وخميس اسميهما لأولاد ساباط وأولاد خميس، وهي مجموعات لم تعد اليوم جماعات حية. لذلك لا تذكر في الجدول. تمثل أسماء الصف الثالث مجموعات الدليم الأربع الموجودة في أيامنا: البوعلوان، البوفهد، البورديني، والمحامدة. أما التفريعات اللاحقة على رديني بسبب أهمية المجموعة التي تحمل اسمه. هنا، تظهر معظم العشائر وعدد كبير من الأفخاذ التي أوردناها في الجدول تحت اسم آبائها الأوائل[1]. وكما في أشجار نسب القبائل التي سبق وناقشناها، لا يتطابق نظام النسب هنا أيضاً مع النظام السياسي. من الأدلة على ذلك، مثلاً، أن محل هنا هو ابن نمر، لكن مكانة البومحل تتساوى مع مكانة البونمر في الجدول. نرجح أن الأمر يتعلق في هذه النقطة بتطور حديث جداً، ما دام البومحل قد ذكروا عام 1912م باعتبارهم فخذاً من البونمر.

---

(1) أنظر الملاحظات حول مشجرة النسب. لا وجود لآباء الأفخاذ باء أولاً 3، 7، 9 (ولكن أنظر الملاحظة 29 العائدة للجدول و. 13.

عبيد

العبيد هم القبيلة الزبيدية الوحيدة التي تمتلك ماضياً عظيماً. إذا كان انتشارها يقتصر حالياً على ضفة دجلة الشرقية، فإنها كانت ذات يوم سيدة الجزيرة بأسرها، باعتبار أن صعودها تلازم مع تراجع الموالي من الفرات الأوسط (النصف الثاني من القرن السابع عشر)، وانحدارها مع قدوم شمّر.

يرد اسم عبيد، أول ما يرد، في تواريخ بغدادية[1] من عام 1119هـ/ 1707م. يبدو أن القبيلة كانت حينذاك على قدر من الأهمية عاد بلقب البيكوية على الشيخ عبد الله الشاوي، وأدخله في حاشية باشا بغداد، وجعل أخلافه وسطاء رسميين بين الحكومة وبين السكان المحليين، مما أضفى مكانة خاصة على قبيلتهم بالنسبة لبدو بلاد الرافدين، ومكنها من توسيع منطقة انتشارها توسيعاً كبيراً، ومدها من نهر الخابور إلى أبواب بغداد، ومن تكريت إلى الشامية، مع أنها لم تكن تضم في الأصل غير الأراضي الواقعة جنوب الخابور[2].

وبسبب مكانة الشاوي زاده ـ اللقب الذي أطلقه الأتراك على أسرة شيوخ العبيد ـ في بلاط باشا بغداد، كان من الطبيعي أن يستخدم الأتراك رجال قبيلته كقوات عسكرية غير نظامية[3]، ويشترك فوج منهم عام 1798م/ 1799م في الحملة

(1) دوحة الوزراء، ص50.

(2) تابع روسو: وصف باشوية بغداد، ص92 و114.

(3) يبدو أنهم كانوا لهذا السبب معفيين من الضرائب. تابع ليكلاما آنيخولت: رحلة في روسيا والقوقاز وفارس، الجزء الثالث، ص220.

التي أرسلتها بغداد ضد الوهابيين في شرق جزيرة العرب، وتكليف القبيلة بحماية الحدود عند اقتراب الخطر الوهابي[1]. وقد قاتل العبيد لآخر مرة دفاعاً عن الحكومة خلال الثورة الكبرى التي عاشها العراق عام 1816م[2].

يدين العبيد بصعودهم إلى علاقات شيوخهم بأصحاب الدولة في بغداد، مثلما يرجع تدهورهم إلى هذه العلاقات ذاتها. الشاوي زاده كانوا ككبار رجال الدولة العثمانيين يتعرضون لنوبات الرضى والغضب المفاجئة، فانعكست مصائرهم على القبيلة، التي كانت تنتفض ضد الحكومة كلما سقط شيخ من شيوخها ضحية مكيدة من المكائد الكثيرة، إلى أن نزفت قواها في هذه المعارك. كان شنق الشيخ عبد الله الشاوي عام 1769م إشارة على انطلاق أول انتفاضة قامت العبيد بها وانتهت بانتصار سهل حققه الأتراك عليها في العام ذاته. وعندما نقم الأتراك عام 1785م على ابنه حاجي سليمان، إنتفض العبيد للمرة الثانية، واتعبوا الباشا، حيث امتد ميدان الحرب هذه المرة من الدجيل إلى الشامية، وهدد البدو بغداد ذاتها لبعض الوقت. إنفجرت آخر ثورات العبيد[3] الكبيرة بعد شنق اثنين من أخوة سليمان شتاء عام 1802م/ 1803م. فقد حرض علي باشا، باشا بغداد أول الأمر أكراد الملّية[4]، أعداء العبيد القدماء، ضدها، حين كانت تقيم في منطقة الخابور. لكن الهزيمة حاقت بهؤلاء وعجز الباشا نفسه عن فعل أي شيء ضد العبيد، الذين عبروا الفرات إلى الصحراء السورية. وحين عاودوا الظهور عام 1805م على الخابور، تلقى أميران كرديان تابعان هما باشا شهرزور وكويسنجق، الأمر بطردهم، غير أن الخطة فشلت بدورها، لأن الأميرين الكرديين انتهزا الفرصة وشرعا يصفيان حساباتهما القديمة، فقتل باشا شهرزور زميله ودعا العبيد إلى كركوك للإستعانة بهم ضد حملة تأديبية

(1) لونكريك، ص215. دوحة، ص229. تابع أيضاً روس، ص447.

(2) دوحة، ص280.

(3) دوحة، ص240 ـ 245.

(4) يسكن الملّيه الجبال إلى الشمال من ويرانشهر، لكنهم يذهبون في الشتاء إلى الخابور في الجنوب الشرقي.

تركية تتهدده. عندما اقتربت الحملة، تخلى العبيد عن حليفهم وعادوا من جديد إلى الجزيرة، عاقدين العزم على عبور الفرات والبحث عن ملاذ في الصحراء السورية. عرف الباشا بالأمر، فأمر فصيلة من عقيل بقطع طريق انسحاب العبيد[1]، بمساعدة شمّر، التي كانت قد قدمت قبل سنوات قليلة من نجد، وعبرت الفرات وأقامت جنوب سنجار. أدركت عقيل وشمّر العبيد الهاربين بينما كانوا يهمون بعبور الفرات، وأنزلت بهم هزيمة ماحقة، قتل فيها شيخهم ضامن المحمد.

هذا الحدث، الذي جرى عام 1805م[2] كان حدثاً مهماً في تاريخ بدو بلاد الرافدين، لأنه يمثل يوم انتقال السيطرة من العبيد إلى شمّر. وقد حاول العبيد عبثاً إسترداد مكانتهم القديمة بمعونة الوهابيين[3]، قبل أن يجبروا على إخلاء الجزيرة بصورة نهائية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتنفك عشائر عديدة عن اتحادهم[4]، فتهاجر اللهيب إلى منطقة حلب، وتعيش الغرير على الفرات تحت الفلوجة، وتقصد البو حمد منطقة الموصل[5]، وتعبر جموع القبيلة ذاتها دجلة وتختار الإقامة في المنطقة التي يحيط بها الزاب الصغير ونهر العظيم.

في هذه الأرض، التي تسمى حويجة العبيد، تسكن القبيلة اليوم أيضاً، ويمارس قسم منها كعشيرة البوهيازع الزراعة الحقلية، بينما يعمل آخرون كمربي جمال أو كانوا كذلك إلى أمد قريب. بقي العبيد محاربين أشداء، وقد أوردت الصحف العراقية عام 1912م نبأ يقول إنهم قاموا بغزوة[6]، وإن مائة وخمسين رجلاً منهم لبوا نداء الجهاد عام1914م.

---

(1) وحدة غير نظامية مكونة من أهل نجد. أنظر المقالة المتعلقة بذلك في قسم جزيرة العرب.

(2) حسب دوحة؛ لونكريك: 1804م.

(3) نهب العبيد عام 1870م بقيادة لطوف بيك وفي ركاب الوهابيين بلدة عانة. أنظر باكينغهام: أسفار في بلاد الرافدين، الجزء الأول، ص243. (بالانجليزية).

(4) يظهر قوامها الأصلي من الملاحظة رقم 46 من الجدول.

(5) يعالج اللهيب في مقالة قبائل حلب المتجولة الصغيرة، والبوحمد في مقالة قبائل في وادي دجلة، والغرير في قسم العراق.

(6) عالم الإسلام، الجزء الثاني، ص37.

أسرة شيوخ العبيد

تذكرنا مكانة أسرة الشيوخ آل مشهد لدى العبيد[1] بمعنى من المعاني، بمكانة أسرة شيوخ بيت محمد لدى شمّر. فقد اضطر شيخ المشايخ السابق ـ حسين ابن علي ابن سعدون أن يتقاسم تدريجياً سلطته مع اثنين من أقاربه هما متعب بن عبد الله وجاسم بن محمد بن سعدون. حدث هذا، بخلاف ما عرفته شمّر (انظر صفحة 142، 144)، بسبب بروز جاسم ومتعب عند البوعلي وعند البو هيازع (ج4) كقادة إلى جانب الشيوخ المحليين. وقد نبعت مطالبتهما بالسلطة من السمعة التي كانت الأسرة قد كسبتها في الماضي.

تعرفنا قبل قليل على اسم أقدم شيخ تذكره المراجع هو الشيخ عبيد الله بيك الشاوي، الذي رافق عام (*)1707م باشا بغداد حسن في حملة تأديبية ضد زبيد العراق، إنتهت بانتصار باهر عاد الفضل فيه إلى جسارة الباشا[2]. غير أننا لا نعلم،

(1) في زمن أقدم، كما تؤكد المراجع الأدبية، كان اسمهم آل شاوي. هذا الاسم إقتصر لاحقاً على القسم المديني من الأسرة. أما الاسم المشترك بين الفرع البدوي والمديني فهو آل شاهر.

(*) تولى الوزير حسن باشا الحكم بين عام 1689م ـ 1690م أما باشا بغداد عام 1707م فهو حسن باشا الجديد. تميزاً عن حسن باشا الأول. (شبّر).

(2) لدينا تقرير عن ذلك من فم عبيد الله نفسه، إقتبسه المؤرخ عبد الرحمن السويدي في يومياته حديقة الوزراء:

"كنا نحن الأربعة، بمن في ذلك الباشا، منخرطين في حديث. وكانت قواتنا قد غابت عن نظرنا عندما اكتشفنا فجأة طلائع الزبيد. أردت العودة على الفور، لكن الباشا رفض

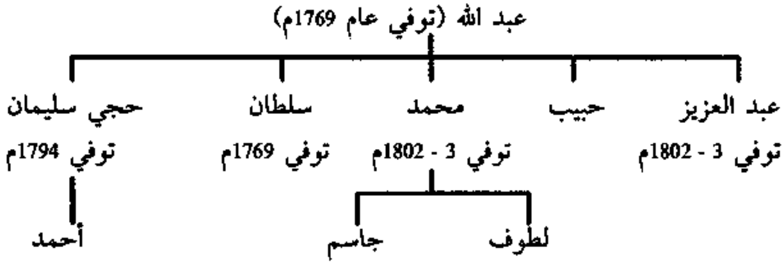
للأسف، شيئاً عنه أو عن أخلافه المباشرين.

إنقسمت الشاوي في منتصف القرن الثامن عشر إلى أسرتين تولت أقدمهما منصب المشيخة، بينما انتقلت الأخرى إلى بغداد، حيث خدم أفرادها طوال سبعين عاماً كـ"باب العرب"، أي كمفوضين للسكان الأصليين، حيث مرت قضايا البدو جميعها بين أيديهم، وقدموا مبعوثي القبائل إلى الباشا، وأداروا المفاوضات، وسووا الخلافات... الخ. كان مجال عمل الشاوي زاده كبيراً، لأن باشاوات بغداد كانوا يحكمون آنذاك مناطق تمتد من ماردين إلى البصرة، وإن كانت المناطق الخارجية المتطرفة لم تكن دوماً تابعة لهم من الناحية الرسمية. كان منصب باب العرب وفير العائد وخطيراً، يمكن أن يسقط شاغله في أي وقت ضحية دسائس وشكوك العثمانيين ضد العرب، أو ضحية قلة فهمهم لمستلزمات حياة البدو.

كان عبد الله بيك الأب الأول لشاوي زادة بغداد[1]، وهو أخ أصغر لشيخ مشايخ العبيد الحاكم. عندما مر نيبور ببغداد[2] كان عبد الله يحمل رتبة مقدم في اللاوند (ميليشيا) ويتمتع كمستشار سياسي باحترام يتخطى كثيراً منصبه، حتى إنه كلف عام 1768م بالتوسط بين حاكم البصرة وبين المنتفق، أقوى قبائل دائرته، ويعقد سلام بينهما. ومع أن مهمته حققت الهدف منها، فإن السلام لم يعمر

ذلك، وقفز لملاقاة الأعداء، الذين اعتقدوا أن القوات وراءه مباشرة، وولوا هاربين، فسادت الفوضى صفوفهم وأربكوا قوتهم الرئيسة. في هذه الأثناء، وصلت الوحدات وحسمت المعركة لصالحنا" (دوحة، ص50).

(1) تبدو لوحة نسبها على النحو التالي:



(2) وصف رحلة، الجزء الثاني، ص324.

طويلاً، لذلك انطلق باشا بغداد شخصياً عام 1769م على رأس جيش إلى منطقة المنتفق، يصحبه عبد الله. وفي الطريق أمر الباشا فجأة بالقبض عليه وشنقه، بتهمة أنه لم يسلك أفضل السبل خلال مفاوضات العام الماضي. سارع أولاد عبد الله حجي سليمان بك وسلطان بك إلى تعبئة قبيلتهم، وأثاروا الاضطراب في منطقة بغداد، فعاد الباشا بسرعة إلى عاصمته وشتتهم في معركة وقعت قرب المنطقة. فر حجي سليمان، لكن شقيقه سقط أسيراً في يد الأتراك، فقتله الباشا طعناً بالخناجر[1].

لم يدم السخط فترة طويلة على الشاوي. فقد استعادوا نفوذهم وزادوه إلى أن صار عظيماً خلال الاضطرابات التي هزت العراق بين عامي 1775م و1780م. كان الحكام يتبدلون آنذاك بسرعة، والمعزولون لا يسلّمون دوماً مراكزهم إلى الحكام الجدد. حين نشب عام 1777م/ 1778م قتال شوارع بين أنصار حزبين متنافسين، أراد كل واحد منهما إيصال وزير باشا سابق إلى كرسي الحكم، استدعي سليمان الشاوي كي يحكم في الأمر، فأخذ بتكتيك ناجح، ذكي ومفعم بروح الدعابة. في النهاية، عينت إسطنبول باشا جديداً وكلفت سليمان بأن ينوب عنه إلى حين وصوله. بما أن الباشا ما لبث أن لاقى بدوره مصير سابقيه، فقد كان على سليمان أن يحتل موقعه من جديد[2]، ريثما يُعين خلفٌ له. وكان الخلف سليمان باشا الكبير (1780م ـ 1802م)، الذي نال حجي سليمان ثقته طوال خمس سنوات من حكمه، قبل أن يسقط على يد أحد منافسيه، وتصادر ممتلكاته ويمنع من الإقامة في بغداد. إنسحب حجي سليمان إلى هور عقرقوف، غرب بغداد مباشرة، حيث حشد قبيلته. وحين أتت القوات لتفريق الحشد، ذهب إلى وشيل[3] جنوب الجزيرة، ثم لحق بالعبيد إلى الخابور، يتبعه أخوته، الذين كانوا حتى ذلك الوقت في بغداد. في الشتاء التالي (1786م/ 1787م)، عبر حجي بقبيلته إلى ضفة الفرات اليمنى إلى الشامية، وعندما بلغ النبأ الحكومة، إجتازت قوات تركية النهر بدورها،

(1) دوحة، ص160. يقع مكان المعركة فوق بغداد على نهر دجلة. تابع، جهان نامه، 464.

(2) لونكريك، ص180. دوحة، ص176.

(3) خارطة موزيل: الفرات الأوسط e10.

غير أن ابن حجي سليمان ردها على أعقابها في المنطقة الواقعة وراء الفلوجة. شعر حجي سليمان، عندئذ، أنه قوي بما فيه الكفاية، وأن عليه غزو الباشا في عاصمته. وهكذا، ظهر العبيد ذات مساء بالقرب من إمام موسى، الاسم الذي يطلقه الأتراك على الكاظميين، وتقدموا خلال الليل إلى قبر الحلاج في جانب الكرخ. سارع الباشا إلى جمع ما استطاع من قوات، ضغط بها بشدة على سليمان، الذي تخلى أخوته عنه ووجد نفسه مرغماً على الإنسحاب إلى الشامية، فيما وراء الفرات، حيث نصب معسكره في مخيم فوق شثاثة. لحق الجيش التركي بحجي سليمان، ثم نشب بينهما قتال لم يرجح كفة أي منهما. أدرك سليمان أنه لا يستطيع كسر شوكة الأتراك بقوى العبيد وحدهم، لذلك ترك قبيلته وذهب إلى المنتفق. إن الحشد العملاق، الذي عبأته هذه القبيلة في صيف عام 1787م كان من صنعه. لكنه هنا أيضاً لم يحقق نجاحاً دائماً، لأن المنتفق ما لبثوا أن هزموا في تشرين الأول، وفر هو نفسه إلى الصحراء. وبعد فترة من الزمن طلب حجي العفو، فناله وردت إليه ممتلكاته، بيد أنه ألزم بالإقامة في كرا اورمان «قره اورمان»، خارج بغداد[1]. وقد بلغ من ذيوع صيته أن إشاعة سرت أثناء التمرد تقول إنه كلف بمنصب رفيع.

إنخرط حجي سليمان مرة أخرى في صراع مع السلطات، عندما آوى فاراً كان قد عاث فساداً في بغداد قبل عام 1870م، ورفض تسليمه إلى الباشا. في النهاية، اضطر الشيخ إلى الفرار مع ضيفه والأتراك في إثره حتى بلغوا مصب الخابور. لكنهم لم يتمكنوا من إدراكه، واكتفوا بأسر عائلته واقتيادها إلى بغداد. ظهر حجي عام 1792م من جديد على حدود العراق، وفشلت محاولة جديدة للإمساك به. ثم حاول من جديد كسب أتباع له على الخابور، لكن العبيد رفضوا الإنصياع له فأصبح منبوذاً من الجميع، وقتل حجي سليمان عام 1794م على يد ابن أخ له ـ هو يوسف الحربي ـ وأبنائه[2]. فكان موته نهاية أعظم شاوي زاده.

(1) دوحة، ص199، 206. لونكريك، ص186، 201، 203، 205. ـ إن المكان الذي يسميه الأتراك قره اورمان هو، حسب خورشيد، ص189، بلدة بنّان (الواقعة تحت هيت مباشرة).
(2) دوحة، ص211.

في السنوات الأخيرة، تولى الأمور في بلاط سليمان باشا شقيقا حجي، محمد وعبد العزيز، وهما رجلان على قدر رفيع من الكفاءة السياسية، كان أولهما ديبلوماسياً في فارس، ثم قاد فيما بعد فوج العبيد، الذي شارك في الحملة ضد شرق جزيرة العرب، واعتبر أقوى عربي بين رعايا سليمان باشا (خلافاً لحال المماليك الجيورجيين والشركس)، والمرشح الأبرز لخلافته. لكن الخلافة نالها علي باشا، الشخص الذي بادله مشاعر الشك والكراهية منذ لقائهما الأول. إتهم علي باشا محمد بتأييد انتفاضة الإنكشارية، التي رافقت استلامه منصبه، وشرع يتحين فرص التخلص منه. أثناء زيارة قام بها في شتاء عام 1802/ 1803م إلى مقاطعات ولايته الشمالية، طلب إلى الشاوي زادة مرافقته خلالها، ثم ألقي القبض عليهم في تل أعفر «تلعفر» وشنق محمد وعبد العزيز، في حين فر جاسم، أحد أبناء محمد، إلى قبيلته، التي قدمت حمايتها له، وبذلك بدأت تلك الحرب الكبيرة، التي انتهت بطرد العبيد من بلاد الرافدين[1] «أي منطقة العراق الشمالي»[*].

حاول جاسم، وريث الشاوي زاده، دون جدوى استعادة مكانة آبائه. فقد تنقل طوال سنوات بين القبائل، محرّضاً على التمرد تارة وممثلاً لمصالح الحكومة تارة أخرى، قبل أن يختفي عام 1818م دون أن يترك وراءه أثراً[2].

بسقوط حكم المماليك (1831م)، فقدت الشاوي زاده أي أمل في الحصول على نفوذ سياسي جديد. وزاد من يأسهم تخلي الحكام الجدد، الذين عينتهم إسطنبول، عنهم كوسطاء مع البدو. ما زالت أسرة شاوي زاده تسكن بغداد إلى اليوم، وما زالت حريصة على رعاية ذكرى أسلافها العظام.

---

(1) دوحة، ص176، 229، 231، 240. قارن لونكريك، ص220، 223.

(*) إن المنطقة الممتدة من فلوجة إلى سامراء شمالاً وصولاً إلى نصيبين وماردين هي بلاد الرافدين، أما المنطقة الواقعة جنوبي الخط الممتد من فلوجة إلى سامراء جنوباً وصولاً إلى الخليج العربي فيسمّيها المؤلف العراق. (شبّر).

(2) دوحة، ص278، 280، 310. لونكريك، ص240. تولى في هذه الأعوام عبد الله الشاوي منصب باب العرب. دوحة، ص301، 307، 314.

زبيد(1)

الف ـ الجبور(2)

I ـ جبور الخابور(3)

شيخ المشايخ: جميل بن مصلط باشا(4)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ البوخطاب(5)	محمد العبيد الهلوش	الحمدي	280
2 ـ المعامرة	حمود المعروف	الحسكة	200
أ ـ العيادة	سالم الدريس		
ب ـ الشبلي			
جـ ـ العلوة			
د ـ العلي الجدعان			
3 ـ البقا	عقلي العبد الله	طابان	80
4 ـ الحسون	شهاب المسمار	طابان	90
	خلوف العطية		
5 ـ العلي الحمد(6)	سلطان العلي	عجاجة	100
6 ـ الهزيم	العيسى	عجاجة	170
	عبد الصويلح		
7 ـ البومانع(7)	حسين المشيح	أم رقبة	120

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
8 ـ البومهنا	شويش العثمان	الحمرا	90
	أحمد المدحي		
9 ـ المحاسن	حمود الإبراهيم	شدادة	200
	شيخ العوض	شدادة	
10 ـ معامرة الدندل(8)	علي العزاوي	العلوى	70
11 ـ أولاد الشيخ عيسى(9)	السيد أحمد العبد الله	الفدغمي	100
12 ـ الصبح	عليوي العبيد		120
	مذرى الخضير(10)	الشميساني	
13 ـ الحليبيين	صالح الخليف	الشميساني	150
	عليوي البلال		
14 ـ المحمد الحسوني	محمد العوض(11)	الدشيشة	200
15 ـ الجحيش	جلود المنديل الصليبي	مرقدة	150
16 ـ القضاة	مشلاة الحردان	الشيخ حمد	90
	علي الحمادة		

IIـ جبور دجلة(12)

على الضفة اليمنى(13)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ العجل	وقاع الزرزور	الشورى	500
	طابور الحسين	القيارة	100
2 ـ المعتوق	جاسم العبيد	الشحلة	100
3 ـ الامام	عبد الحمد	الجرناف الغربي	150

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
4 ـ لهيب(14)	زويد الحسين	الحورية	60
5 ـ الجميلة(15)	علي الحمادة	الحورية	100
6 ـ الحجاج	علي العبيد	الجمسه	60
	طه المسمار	الجرناف الشرقي	150
	خلف الفرج	بعاجة	40
	صالح الدخيل	(الشرقات)	70
	سيد موسى الخضران	الخانوقة	16
	شميل العبد الرحيم	النمل	12
	بنيان السلطان	المكحول	100
	خلف الحماد	المسحق	30
	خلف العلي	الخرنينة	200
	جاسم الحمادة(16)	الخرنينة	50
7 ـ أبو طعمة	محمد الحمد	الخرنينة	50

على الضفة اليسرى(13)

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
8 ـ الدويزات(17)	معيد	الحاج علي	20
9 ـ الخماسات	عقيل الشلال	قنعوص	120
10 ـ الرملي	حماد العنقود	سديرة	30
	صحن العبد الله	سديرة	
11 ـ البغزات	محمد الصالح	الشق	40
	عطية اليونس	شريعة(18)	50

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
12 ـ عكله	سعيد العليوي	الهيكل	120
	عيسى الترك	الحلوة	150
13 ـ الصقر	حسن المحمد	تل علي	80
	عبد الله الحسن المهيري	تل علي	250
14 ـ البوجبر	خلف العبس	غريب	120
	رجب المساعد	غريب	250

باء ـ الدليم(19)

شيخ المشايخ: علي بن سليمان البكر

أولاً ـ البورديني

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ البونمر	نجرس القعود	جنوب الجزيرة	380
أ ـ البوهلال		جنوب الجزيرة	
ب ـ البوحمد الحسين	فهد الهلال	جنوب الجزيرة	
جـ ـ الطويسات		جنوب الجزيرة	
د ـ البوغنام	تركي الدخيل(20)	جنوب الجزيرة	370
2 ـ البومحل(21)	عفتان الشرقي(22)	جنوب الجزيرة	
أ ـ البوعبد	عفتان الشرقي	جنوب الجزيرة	
ب ـ البوطيب	حسين العزبا	جنوب الجزيرة	
جـ ـ البو طعيمه		جنوب الجزيرة	

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
3 ـ البوعلي قاسم	أبو شوكة ابن مطلق(23)	جنوب الجزيرة	70
4 ـ البوذياب		ضفة الفرات اليسرى، مقابل الرمادي	
أ ـ البوحمد الذياب(24) التحق بها	حردان العيثة		450
1 ـ البوصقر(25)			
2 ـ القرطان(26)			
ب ـ البومحمد الذياب التحق بها	مطلق الشاوش		250
1 ـ البوفراج(27)			
2 ـ البومقبل(28)			
5 ـ البو عبيد(29)	نومان بن خلف	ضفة الفرات اليسرى تحت الرمادي	300
أ ـ البوبالي			
ب ـ "البوبادلي"			
6 ـ البوعساف	علي بن سليمان البكر		200
أ ـ البوعبيد			
ب ـ البوحديد الظاهر		ضفة الفرات اليمنى عند الرمادي	
جـ ـ البوسودا(30)			
د ـ القراغول(31)		ضفة الفرات اليمنى	60
7 ـ البوهزيم (30)		عند الرمادي	100
8 ـ البوحسين العلي			70
9 ـ البوكليب(32)			100

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
10 ـ البوخليفة		ضفة الفرات	200
11 ـ البومرعي(33)		اليمنى عند	160
12 ـ البومطرد		الرمادي	80
13 ـ الخلابسة(34)			160

التحق بها(35)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الجغايفة(36)		أسفل الجزيرة	1200
أ ـ البوعجاج	بطاح السلامة	أسفل الجزيرة	
ب ـ البوخلف	قرين السطم	أسفل الجزيرة	
جـ ـ البودعيكل	علي العياش	أسفل الجزيرة	
د ـ	عنتر ابن عاشق	أسفل الجزيرة	
2 ـ البوحيات(37)		أسفل الجزيرة	100
3 ـ الموالي(38)		أسفل الجزيرة	

ثانياً ـ البوفهد(39)

الشيخ: عبد المحسن الفرحان

منطقة الإنتشار: ضفة الفرات اليمنى تحت الرمادي

عدد الخيام: 600

ثالثاً ـ البوعلوان(40)

الشيخ: جاسم المحمد

منطقة الإنتشار: ضفة الفرات اليمنى عند الرمادي والفلوجه

عدد الخيام: 200

رابعاً ـ المحامدة(41)

الشيخ: حبيب الشلال

منطقة الإنتشار: ضفة الفرات اليسرى فوق الفلوجة

عدد الخيام: 600

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ البوعكاش	حبيب الشلال	ضفة الفرات اليسرى شمال الفلوجة	600
2 ـ البوشهاب(42)	حبيب الشلال		
3 ـ الشيحة	حبيب الشلال		
4 ـ الفلاحات	حبيب الشلال		
5 ـ البقارة(43)	حبيب الشلال		
6 ـ المصالحة	حبيب الشلال		

خامساً ـ الجميلة(44)

الشيخ: عباس الجسام

منطقة الإنتشار: ضفة الفرات اليمنى عند حصي

عدد الخيام: 400

سادساً ـ البوعيسى(45)

الشيخ: هراط الجاسم

منطقة الإنتشار: ضفة الفرات اليمنى عند حصي

عدد الخيام: 800

جيم ـ العبيد(46)

شيخ المشايخ: عاصي العلي(47)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الشاهر(48)	عاصي العلي	حويجة العبيد	500
	ملتحق بها		
أ ـ لهيب	حسين العلي	حويجة العبيد	
ب ـ الجوالة(49)	حسين العلي		1000
جـ ـ قراغول	حسين العلي		1000
2 ـ البوعلي(50)	إبراهيم الفدغم		
3 ـ العلقا(51)	شجاع العلي السبع		300
4 ـ البوهيازع(52)	عليوي المقرن	العيط/ دلتاوه	1500
5 ـ البومفرج(53)		كركوك/ دلتاوه	300
6 ـ البورياش(54)			200

ملاحظات حول جداول الزبيد

1 ـ جميع المراجع المتخصصة تذكرقبائل زبيد بلاد الرافدين منفردة.

2 ـ يرد ذكر الجبور في جملة من المراجع القديمة: نيبور: جزيرة العرب، ص393. بوركهاردت: ص25. هوارت: ص20، بلنت: الجزء الثاني، ص193. هاند بوك: الجزء الأول، ص53 فقط بصورة مختصرة. بالمقابل، يقدم تيرييه (ص125) جدولاً تفصيلياً، يتطابق تقريباً مع الجدول ألف 1، الذي يستند على معطيات قدمها محمد بك سلطان، أحد أبناء أخ مصلط باشا، في تموز من عام 1929م، ووردت في تسجيل يعود إلى عام 1912م. أما جدول موزيل: الفرات الأوسط، ص83، فقد أخفق، إذ إن عشراً من العشائر السبع عشرة المسجلة هناك أورد أسماءها بقارة، ويصعب التعرف إلا على عدد قليل من السبع الأخرى.

صيحة الحرب: جبر! جبر!، الوسم: ⊓ .

3 ـ مرتبة من الشمال إلى الجنوب. وإذا لم تظهر الأماكن على هذه الخارطة، فإنها توجد عند موزيل: جنوب بلاد الرافدين. وتوجد أم رقيبة والعلوا على خرائط قوات الشرق الفرنسية 1/ 500000، ومنطقة الحمرا على خارطة الإستطلاع دون غيرها: 1/ 200000. صفحة الحسكة.

4 ـ لأسرة الشيوخ، واسمها آل ملحم، خمسة فروع، أبرزها: الحريث (الحريف) وسلطان.

5 ـ صيحة الحرب: ملابيس!.

6 ـ 1911م في التنينير عند منتصف الطريق بين الحسكة وطابان.

7 ـ بقارة.

8 ـ هذا يعني الفرع المسمى الدندل من المعامرة ألف 1، 2، وقد سكن عام 1911م ألف 1، 2 في المجرجح قرب الحسكة.

9 ـ أسياد. الوسم: العلَم، وهو يأخذ شكل يد بأصابع ممدودة.

10 ـ 1912م: أبوه خضيّر الضاهر.

11 ـ شويش العوض.

12 ـ سجل يوم 7 أيار عام 1912م في قلعة شرقاط. يأخذ التسجيل بعين الإعتبار قسماً فقط من جبور دجلة. وهي تبدأ تحديداً، حسب التحقيقات التي أجريت عام 1893م على الضفة اليمنى قرب جهينة (على مسير خمس ساعات من جنوب الموصل)، على الضفة اليسرى قرب حميرا (على بعد أربع ساعات من الموصل) ويبدو أنها ما زالت ممثلة، فضلاً عن ذلك، في مناطق إلى الأعلى من المدينة عند اسكي موصل وحاوي زمار.

13 ـ مرتبة من الشمال إلى الجنوب، ولكن حورية تقع جنوب جرناف الشرقي. باستثناء حورية وجمسة ـ فإن جميع الأماكن مسجلة على الخارطة المرفقة أو على خارطة طريق رأس العين ـ الموصل ـ سامراء: 1/ 40000 ـ تجدر الإشارة إلى أن جبور دجلة لا يصنفون بحسب عشائرهم، بل بحسب زعماء قراهم.

14 ـ موجودون كذلك على الخابور.

15 ـ يضاف إلى هذا 30 خيمة على الضفة اليسرى.

16 ـ تسجيل: حمادة (الف 1؛ 16) والف 2؛ 5، 10.

17 ـ يضاف إلى ذلك 30 خيمة على الضفة اليمنى.

18 ـ يقع هذا المكان والأماكن الصغيرة التالية على الزاب الصغير، عدا الهيكل، الذي يجب البحث عنه تحت جنعوص على دجلة. أنظر: صحائف فتاة، قلعة شرقاط وشورا: خريطة بلاد الرافدين ـ فارس: 1/ 126720.

19 ـ المادة، الموجودة في تسجيلات ثلاثة (1912م ـ 1929م)، هي على قدر من الثراء فرض علينا إجراء انتقاء منها، كي لا يتضخم الجدول كثيراً. لهذا أوردنا فقط أفخاذ العشائر الأكبر، وأسقطنا تماماً بعض الأفخاذ الدنيا الموجودة.

حول الجداول الأقدم للدليم. أنظر: شبرنغر، رقم 122. خورشيد،

ص190. جونز، ص382. ومن الجداول الأحدث. أنظر: سالنامة بغداد (1324هـ) ص275/ 280. هاند بوك، الجزء الأول، ص54. موزيل: الفرات الأوسط، ص143. يقدم شبرنغر وخورشيد التقسيم الأساسي فقط، ويقدم جونز والجداول الأحدث تفاصيل أكثر إلا إنها لا تمكننا من معرفة بنية القبيلة. تتراوح أعداد الخيام بين 1760 (جونز) و5000 (شبرنغر)، بينما يقدم الجدول رقماً هو 5490 (دون الملتحقين بها). ـ بحسب موزيل، يتحدر ثلثا سكان هيت (5000 نسمة) من الدليم.

صيحة الحرب: أولاد ناصرا.

20 ـ 1912م: والده دخيل السهو.

21 ـ بقي قسم من هذه القبيلة إلى الأعلى من القائم في موطن الدليم القديم، حيث يمارس الزراعة.

22 ـ 1912م: أبوه فرحان الشرقي

23 ـ 1912م (أبوه) مطلق الحمزه.

24 ـ مع الملاحمة والبوطعيمه، حيث الأولون ردينيو الأصل، بينما الأخيرون محامدة (ب رابعاً).

25 ـ أصل غير مؤكد، بدو رحل في نطاق الثرثار. ثمة قسم آخر من البوصقر يبدو أنه مستقل.

26 ـ "قرطان" روسو (ص71) هم بقايا السكان ما قبل الدليم، من أصل قيسي (عرب شماليون). يعيش العدد الأكبر من القبيلة في العراق.

27 ـ عزة من شرق دجلة. أنظر: قسم العراق «الجنوبي».

28 ـ ولدة من الفرات الأعلى، أنظر المقالة التالية.

29 ـ يعيش نصف القبيلة كبدو رحل.

30 ـ يسكن قسم صغير على الضفة اليسرىٰ.

31 ـ ملتحقون فقط بالبوعساف. ستتحدث في قسم العراق بتفصيل أوسع عن القبائل التي تحمل الاسم التركي كراول (قراغول).

32 ـ ينتمون نسباً إلى البوحسين العلي، ويعدون منهم بين حين وآخر.

33 ـ آل «مرا»: في الخرائط الأقدم.

34 ـ تسجيل: حلبسة. أنظر موزيل.

35 ـ هذا يعني أنه تبع الشيخ علي بن سليمان البكر.

36 ـ سالنامة وموزيل: «جفايفة». يعتبر أبو القبيلة محمد أخاً لجابر، وثامر وعبيد، أجداد قبائل الزبيد الثلاثة. الجغايفة بدو رحل، إلا أنهم يزرعون الأرض عند سوسه (مقابل البوكمال).

37 ـ موزيل: "البوحياط". قارن خورشيد، ص214. بدو رحل، يمارسون بعض الزراعة في الجبه.

38 ـ فرقة من القبيلة السورية الشمالية، وصلت ذات مرة إلى منطقة عانه وحديثه.

39 ـ يسكنون في أملاك الدولة، ويسكن قسم صغير منهم على الضفة اليسرى للنهر. ليس للشيخ حول ولا قوة، أو هذا ما كان عليه زمن الأتراك على الأقل، حين كان ريع الأرض يذهب مباشرة إلى الشيوخ الفرعيين، وكان يخسر، بهذه الطريقة، المبلغ الإضافي المخصص له.

40 ـ يعملون جزئياً في أراضيهم الخاصة.

41 ـ يوجد قسم من القبيلة على الضفة اليمنى.

42 ـ البوشجيل، المذكورون في سالنامة بغداد، هم فخذ منهم.

43 ـ لديهم فخذ هو البوبدران. بما أن هذا الاسم يرد لدى بقارة أعالي بلاد

الرافدين، فإنهم بالتأكيد فرع من هذه القبيلة.

44 ـ لا يتمون نسباً إلى الدليم. لكن موزيل يعتبرهم عرباً جنوبيين.

45 ـ أفخاذ البوعيسى هم في جزء منهم عرب شماليون، وفي جزء آخر زبيد، وهؤلاء ليسوا أقارب صميميين للدليم.

46 ـ بحسب استقصاءات متنوعة، وإن كانت تنقصنا، للأسف الشديد، تسجيلات من فترة ما بعد الحرب. من الجداول الأقدم ـ روسو، ص67. شبرنغر، رقم 128. خورشيد، ص235. جونز: ص389 ـ يظهر تقسيم جونز (1854م) التوزيع نفسه تقريباً، الذي في جدولنا، في حين يعرض روسو (1808) تركيبة العبيد قبل انحلال اتحادهم، ويذكر بالإضافة إلى الأفخاذ 1، 3، 4 كلاً من اللهيب والعزير والبوحمد.

47 ـ سلفه: حسين بن علي بن سعدون بن مصطفى بن علي بن حمد بن ضامن بن نصيف بن ضاهر بن حمد بن مشهد بن شاهر ـ يذكر جدول هوارت (ص24) أبا حسين، علي، كشيخ للعبيد، ويرد اسم جده سعدون لدى كل من جونز واوشيه ـ ايلوى «رواية عن رحلة في الشرق من 1830 إلى 1838م، الجزء الأول، ص104. من أسلافه، يمكن أيضاً إثبات وجود علي الحمد، الذي حكم حوالى عام 1800. أنظر: دوحة، ص125، وروسو، ص67.

48 ـ فضلاً عن المشهد، وهم أسرة الشيوخ، يتصل نسب أربعة أفخاذ أخرى بشاهر، أحدها فخذ حربي، الذي التقينا به آنفاً.

49 ـ أنظر: الملاحظة 31.

50 ـ يمارس قسم منهم الزراعة على دجلة. قارن أيضاً: من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، ص213 وما يليها: مضرب البوعلي عند اللقلق.

51 ـ وضعها نيبور في الجدول رقم 61 من وصف رحلته إلى الشمال من

بغداد على ضفتي دجلة. خورشيد (ص191 وما يليها) وجدها بخيامها الأربعمائة في قيود عانه الضريبية.

52 ـ يجعلها نيبور إلى شمال القبيلة التي سبق ذكرها، ويقول خورشيد كان لها 600 خيمة (ص191). ربما كانوا هم القبيلة التي يسميها شبرنغر البوأهياً.

تقيم أقسام كبيرة من البوهيازع على دجلة، تحت الدور وفوق سنديه، وتقيم أقسام أصغر في الجزيرة. قارن: من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، ص218 و232.

53 ـ خورشيد، ص235 وما يليها. قارن، 215، 217، 227، يقدر عدد خيامهم بمائتين. في الماضي، حين كانوا تابعين لبغداد، طلبوا حماية العبيد من ابتزازات الباشا.

54 ـ جونز يضعهم في اللقلق. فهل تراهم يتماهون مع البورياش، الذين يجعلهم روسو (ص71) في منطقة الفرات الأعلى؟.

البو شعبان

البوشعبان إسم مشترك لقبائل ثلاث هي الولدة، والعفاضلة «العفادله»[*]، والسبخة، التي تقطن وادي الفرات الأعلى من شاش الكبير إلى تبني قرب دير الزور. ومع أن بعض القبائل المجاورة، كالبوبنا والفحل[1]، ترجع في أصولها إلى البوشعبان، فإنها لم تعد تحتسب اليوم في عداد اتحادها.

يعتبر البوشعبان أنفسهم زبيد، لكنهم لا يملكون معطيات أدق حول أصلهم. أما معلومات المصادر عنهم، فترجع إلى القرن الثامن عشر[2]، وإن كان ثمة براهين تثبت أنهم أقدم من ذلك بكثير. تعرفنا في فقرة سابقة (ص281) على قبيلة البوسمكية ـ التي تعيش في فلسطين، ويجب أن يعود نسبها إلى البوشعبان، بالنظر إلى صيحة الحرب التي تتبناها: عيال شعبان!، ووجود عشيرة اسمها البوبنا في صفوفها. وبالنظر إلى وجود مصادر تركية من القرن السابع عشر[3] تخبرنا أنه كان آنذاك قبيلة اسمها بني سَمِك في منطقة البوشعبان الحالية، لذلك يجب اعتبار هذه

(*) تلفظ عفادلة، حيث أن الضاد يخفى في اللفظ وقد سجلت بعض الكتب الحديثة عن الأنساب بـ عفادلة وليس عفاضلة كما هو الحال في كتاب عشائر الشام واعتقد لصعوبة لفظ الضاد. (شبّر).

(1) أنظر مقالة قبائل في وادي الفرات.

(2) نيبور، جزيرة العرب، ص393.

(3) جهان ـ نامه، ص445، 597. اوليا: سياحت نامه، الجزء الثالث، ص162.

الأخيرة القبيلة الأم للبني سَمِكية، والنظر إلى البوشعبان والبني سِمَك بوصفهما قبيلة واحدة، بغض النظر عن العلاقة القائمة اليوم بينهما. لا بد إذن من القول بوجود البوشعبان في القرن السابع عشر، والإعتقاد بأنهم كانوا جزءاً من أولئك الزبيد، الذين تذكر المراجع العربية وجودهم على الفرات في القرنين الرابع والخامس عشر الميلاديين (أنظر ص281)، وتقول إنهم سكنوا دائرة الرحبه، تحت الدير. وانتشر أخلافهم المحتملون من بني سِمك حتى عانه، ثم صعوداً مع تيار النهر إلى الرقة، وعلى ضفاف البليخ، وكانوا تابعين للموالي، وإن اعتبروا في الوقت نفسه ميّالين إلى الحرب ومسلحين أحسن تسليح[1]. ليس لدينا غير تخمينات وحسب حول اختفاء القبيلة ـ أو لنقل بحذر أكبر: إختفاء اسمها ـ الذي ربما نجم عن حرب نشبت بينها وبين الموالي، ومن الضروري أن يكون لدى البوشعبان ما يقولونه حولها.

تقلصت منطقة انتشار بني سِمك، أو البوشعبان، تقلصاً كبيراً مع هجرات البدو الحديثة. فقد فقدوا وادي الفرات تحت الدير في القرن السابع عشر(؟) لصالح الجبور والدليم والعبيد. وأخذت العقيدات منهم في القرن الثامن عشر المنطقة الواقعة بين تبني ودير. هذه الإنزياحات أدت إلى انفصال بعض القبائل كالبوشيخ والبوسبيع عن اتحادهم، وانتقالها إلى منطقة حلب[2].

تعيش القبائل الثلاث التي لم تغادر مناطقها: الولدة، والعفاضلة والسبخة، بسلام بعضها مع بعض، لكنها تفتقر إلى رابط سياسي يوحدها، وإن كان سوغان آغا[3]، شيخ السبخة، المتوفى أخيراً، كان له نفوذ على المجموعة بمجملها.

(1) إن الستة الآف بندقية، التي يزعم إوليا وجودها لديهم، هي كثيرة بعض الشيء. !

(2) أنظر مقالة قبائل مستقرة قرب حلب.

(3) صوّره بريستيد: أسلاف الرسم البيزنطي الشرقيون، ص73.

الولدة

يسكن الولدة[1] وادي الفرات بين شاش الكبير والرقة. وكانوا في السابق يسكنون إلى الشرق من النهر فقط، ثم عبر قسم منهم حوالى عام 1850م بحثاً عن ملجأ يرد عنهم أذى شمّر، التي كانت تطارد الشيخ محمد الغانم بسبب ثأر دموي[2]. بعد العبور، إنقسمت القبيلة إلى مجموعتين: ولدة الجزيرة وولدة الشامية، الذين لم تعد تربطهما أواصر قوية بعضهما إلى بعض. في الآونة الأخيرة، تشكلت مجموعة ثالثة بسبب تدابير إدارية فصلت العشائر القاطنة إلى الشمال من مسكنة عن الشامية، وضمتها إلى منطقة باب منبج. ثمة مجموعة رابعة استوطنت قبل مائة عام جنوب حلب، ليست على صلة مع المجموعات الأخرى.

الولدة نصف مستقرين. صحيح أنهم يسكنون الخيام في الشتاء، لكنهم لا يقومون بأية تحركات مكانية ذات شأن. تعد الزراعة أكثر ما تكون تطوراً لدى ولدة باب منبج، إلا أن أفراد هذه المجموعة بالذات لهم دائرة ارتحال واسعة تأخذهم إلى جبل البشري شتاء. ـ ثمة عداء مستحكم بين الولدة والملّية وجيس حوران، بينما كانت إلى ما قبل فترة قصيرة على تفاهم متين مع عنزة[3].

(1) أقدم من ذكر لهم نيبور، جزيرة العرب، ص389.

(2) رامبليس في سورية، ص14، 178 ـ 180.

(3) أنظر الصفحة 149 أعلاه.



سباط ـ الولدة (١٩١١م)

يحكم كل واحدة من مجموعات الولده الثلاث شيخ مستقل. ويحظى شيخا ضفة الفرات السورية، محمد الفرج (السلامه) و"فاسي" الجاسم المحمد الغانم، باحترام أعظم من ذاك الذي يحظى به "خاوك" البرصان على ضفة بلاد الرافدين؛ وينتمي الثلاثة إلى أسرة الدندل، التي يورد بوركهاردت اسمها في كتابه[1]. محمد وخاوك أولاد عم، أما "فاسي" فتربطه بهما قرابة بعيدة؛ كان جده محمد الغانم ابن أخ شيخ المشايخ سلامه الدندل[2].

من الضروري أن نسجل هنا وجود بقايا هجرات سابقة حافظت على نفسها بين الولدة. من ذلك الفخذ الذي يحمل اسم خفاجة، ويرجع في نسبه إلى قبيلة بدوية شهيرة كانت تتنقل خلال الحروب الصليبية على ضفة الفرات اليمنى بين

(1) ص25: تنقسم قبيلة الولدة إلى عرب الفحل وعرب الدندل ـ إستقل الأولون في الفترة المنصرمة، تابع ص315 وما بعدها.

(2) تابع أسماء شيوخ في الملاحظات 4 و10 و12 وكذلك رامبليس، ص15، ابتون في مجلة فريزر. الجزء 15، ص437.

الرصافة والكوفة. لذلك قد يكون هناك بعض الحقيقة أيضاً في ادعاء الولدة أن فخذ البوجابر ينحدر من قبيلة بني هلال. صحيح أنه من الصعب الاعتقاد بوصول بني هلال المعروفين إلى هذه المناطق، لكن توجد أدلة كثيرة تثبت أن أقاربهم "القشير" عاشوا في قلعة جعبر. وسوف نتناول بتفصيل أكثر خفاجة وقشير في مقالة العقيل وجيس.

العفاضلة

تلتصق منطقة العفاضلة بمنطقة الولدة. وتمتد من الرقة إلى تل الحميضة على ضفة نهر الفرات في العراق، حيث تبدأ البقارة. في حين تشمل على الجانب السوري قرى قليلة تقع مقابل الرقة. وتضم، فضلاً عن ذلك، البليخ الأدنى، حيث يشكل تل الحمام حدها الشمالي.

العفاضلة نصف مستقرين، يسكنون القسم الأكبر من السنة في السباط: وهي أكواخ تغطى بالقصب أو بالاثل. عانى العفاضلة كثيراً في الماضي من عنزة[1]، ما زالوا على عداء حتى اليوم مع الفدعان، لأنهم قتلوا ابن أخ مجحم «مقحم» ابن مهيد، لأنه أراد فرض الخوّة عليهم (1924م)[2].

ليست سلطة الشيخين بشير ومحمد مستتبة، رغم انتساب أسرتهما إلى أصول محترمة بالقياس مع مثيلاتها من أسر شيوخ أنصاف الفلاحين. أما شجرة نسبها فهي: بشير بن هويدي بن شلاش بن علي بن مشلب بن درويش بن محمد الذياب. يروي العفاضلة أشياء عجيبة عن سلطة وصيت شيخهم محمد الذياب، لكن شيخهم مصطفى حجي محمد، الذي زاره إليوت حوالى عام 1820م، كان صعلوكاً فقيراً.

---

(1) إليوت عند فريزر: رحلات في كردستان وبلاد الرافدين، الجزء الأول، ص370 و378 و381 ـ تخبرنا محكيات القبيلة عن معارك مع بني ربيعة، ينفرد نيبور وحده بذكرها في كتاب جزيرة العرب، ص394.

(2) تيربيه، ص129.

السبخة

يعتبر السبخة[1]، الذين يحتلون ضفة النهر السورية المقابلة للعفاضلة من الرقة إلى تبني، أكثر قبائل البوشعبان الثلاث تمدناً. ويثبت لقب الآغا، اللصيق بشيوخهم، أنهم كانوا على صلات وثيقة بالأتراك. وهم يعيشون في سلام مع جميع القبائل المحيطة بهم.

إنفكت عشيرة البوسبيع، مؤخراً، عن اتحاد السبخة، وأسست جماعة خاصة بها. والبوسبيع أنصاف رحل، يمضون الصيف في قريتي تبني ومعدان، ويعبرون الفرات شتاء فيصلون إلى الشامية (15 كيلو متراً إلى شمال شرق طوال العُباه) وجبل عبد العزيز (تيرييه، ص129 وما يليها).

(1) اقدم إشارة إليهم: روسو، فوياج ص70.

البوشعبان(1)

ألف ـ الولدة(2)

1 ـ ولدة الباب ـ منبج(3)

شيخ المشايخ "فاسي" الجاسم(4)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الغانم المحمد	فاسي الجاسم(4)		
2 ـ البومسرة	غنام ابن حمد العجوز		
3 ـ البوصالح(5)	الحاج أحمد	تحت الشاش الكبير	1500
4 ـ الوردات	محمد(6)		
5 ـ البوحسن	خلف الفرج(7)		
6 ـ الصعب	علي الأحمد(8)		

2 ـ ولدة الشامية(9)

شيخ المشايخ: محمد الفرج(10)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الحويوات			
2 ـ الخفاجة		سهل صفين	700

3 ـ ولدة الجزيرة(11)

شيخ المشايخ: "خاوك" البرصان(12)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الشفرات(13)	البرصان		
2 ـ البوجابر	احمد المبروك(14)		
3 ـ العلي(15)			
4 ـ المجيل(16)	محمد	من شمس الدين إلى الرقة	1800
5 ـ الجعبات	عمر اليوسف(17)		
6 ـ البوظاهر	مبروك السليمان		
7 ـ العامر			
8 ـ المرادات	المراد		

باء ـ العفاضلة(18)

شيخ المشايخ: بشير الهويدي(19)

محمد الهويدي

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الموسى الظاهر(20)	بشير الهويدي(19)	تل السمن	500
2 ـ الشبل	أحمد العبد الخلف(21)	الحلو	30
3 ـ الذياب(22)	بشير الهويدي	درعية	800
البوحمادي			20

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
4 ـ الغانم الظاهر	علي	الحسانية	200
5 ـ المدلج	مشلب الدرويش(23)	الحمرا	600
6 ـ البريج	يوسف الذيب	الفاطسة	1000
7 ـ الحوس	عبد الله العقيل(24)	الخس	1000

جيم ـ السبخة(25)

شيخ المشايخ: علي بن سوغان آغا

منطقة الإنتشار: ضفة الفرات اليمنى من الرقة إلى تبني

عدد الخيام: 1200

ملاحظات حول جدول البوشعبان

1 ـ يذكر شبرنغر البوشعبان في الجدول رقم134، ويقدر عدد مسلحيهم بـ700 رجل، إلى جانب الولدة والعفاضلة.

2 ـ توجد لوائح تفصيلية بالولدة لدى موزيل: الفرات الأوسط، ص188 (عام 1915م)، وتيرييه، ص104، 130 وما يليها. بما أن التسجيل تم عام 1911م فقد أصبح قديماً وأن جدولنا يعتمد على تيرييه. هناك مجموعة أخرى من الولدة سنعرج عليها في مقالة: قبائل حلب المستقرة.

صيحة الحرب: حرشا وأنا ابن ناحر!.

3 ـ عدد المواشي: 500 رأس إبل، 25000 رأس غنم، 200 ثور.

4 ـ 1911م: ناصر المحمد الغانم.

5 ـ موزيل: "البوصلاح".

6 ـ موزيل: خطّاب بن عبد الله. على العكس من موزيل، يسجل تيرييه وجود عشيرة اسمها الحطبة شيخها "حميدي الحطاب" إلى جانب الوردات.

7 ـ موزيل: فرج العبد القادر.

8 ـ 1911م: خلف الأحمد.

9 ـ عدد المواشي: 10000 رأس غنم، حوالى 100 حصان.

10 ـ 1911م احمد الفرج (الدندل). 1870: فرج السلامة (الدندل) صفحة ZDPU, Bd XXIII, 540. سالنامة حلب 1287هـ.

11 ـ عدد المواشي: 25000 رأس غنم، حوالى 100 حصان.

12 ـ 1911م: أحمد البرصان.

13 ـ تيرييه: أُميرات «عميرات» Omeirat.

14 ـ 1911م: مبروك السطام.

15 ـ عام 1911م، الشيخ نصر أحمد الراشد. وعند موزيل ابنه علي الناصر.

16 ـ موزيل: العقيل.

17 ـ 1911م: إبراهيم يوسف السيباط.

18 ـ يعود تسجيل العفاضلة إلى العاشر من تموز عام 1911م. الراوي: حسين الدرويش (قارن الملاحظة رقم 23). وقد تم استكمال أسماء الشيوخ بالإستعانة بتيرييه (ص127 وما يليها)، الذي لا يأتي على ذكر العشيرة رقم 3، ويقدم عوضاً عنها عشيرة "المجدم"، التي لا بد أن تكون هي ذاتها عشيرة المجادمة الواردة عند موزيل تحت الولدة. الجدول منظم وفق اعتبارات جغرافية، فتذكر أول الأمر عشائر البليخ ثم الفرات. تقع منطقة الحلو قرب تل سمن، درعية قرب الرقة، وكذلك الحسّانية.

تبدو أعداد الخيام مرتفعة بالنسبة لـ 3 و6 و7، ومنخفضة جداً بالنسبة لـ2.

تعطي أرقام تيربيه التفصيلية رقماً إجمالياً يبلغ 2250، وهو في اعتقادنا أقرب إلى الحقيقة من رقم 4150.

عدد المواشي: 200 جمل، 20000 رأس غنم.

صيحة الحرب: البوشعبان!

19 ـ 1911م: (أبوه) هويدي الشلاش. يبدو أن بشير استبدل في هذه الأثناء بابنه مجحم «مقحم». على أي حال فإن هذا (ومحمد الفرج) يمثلان بدو الرقة في البرلمان.

20 ـ تسكن مجموعة من الموسى الضاهر مقابل الرقة، على ضفة الفرات اليمنى. عدد خيامها 150.

21 ـ 1911م (أبوه) عبد الخلف الكنعان.

22 ـ سميت باسم الأب الأول لأسرة الشيوخ.

23 ـ 1911م: حسن الدرويش.

24 ـ 1911م (أبوه): عجيل الحمله.

25 ـ من عشائر السبخة الثلاث، التي يسميها تيربيه (ص129)، لا يذكر موزيل غير الزيارات (ص186) ـ يضاف إليها أيضاً البوسبيع، التي نمت في الآونة الأخيرة إلى قبيلة مستقلة تضم مضاربها 470 خيمة. عدد مواشي السبخة: 20000 رأس غنم وحوالى 100 حصان.

عقيدات «عگيدات»

يمثل العقيدات، سكانُ الفرات الأوسط، أكبرَ قبيلة في بلاد الرافدين، وهم، إلى هذا ميّالون جداً إلى الحرب ومحاربون أشداء، وسّعوا منطقتهم عبر حروب متواصلة، ودافعوا عن حريتهم ببسالة، ضد الأتراك أول الأمر، ثم ضد الانجليز والفرنسيين في الحقبة الأخيرة.

يلف الغموض عمر القبيلة، ونشأتها، وموطنها. يزعم تيريبه أن العقيدات تحدروا جميعهم من أسرة واحدة، وجاؤوا في منتصف القرن الثامن عشر[1] بقيادة عبد الله الهفل من نجد إلى بلاد الرافدين، لكن في زعمه كما يبدو قليلاً من الصواب، لأن القبيلة غدت بعد عقود قليلة من هذا التاريخ أكثر قبائل الفرات جبروتاً[2]، ولأن هناك ارتباطاً جلياً بين أسماء قبائل العقيدات وأماكن دير الزور (البوسرايا ـ البسيره ـ البوكمال ـ ابوكمال ـ الدميم ـ دميم ـ البوخابور ـ خابور)، يشير إلى كونهم من سكان المنطقة الأصليين. ويوجد، فضلاً عن ذلك، عقيدات في سورية، تدل تسمياتهم ومحكياتهم على أنهم يشاركون قبيلتنا دماءها[3]. يعتقد

(1) بودنا أن نعرف من أين أتى تيريبه بهذه الأرقام وما يشبهها. عندما يحدد البدو الأحداث زمنياً، فإنهم يفعلون ذلك بحسب الأجيال أو حسب أزمان عامة جداً مثل "قبل العصر العثماني" أو "في حكم السلطان مراد"، وهي معطيات تثير ترجمتها سوء الفهم على الدوام.

(2) يذكر جدول شبرنغر لعام 1818م حوالى 2800 مقاتل لها.

(3) أنظر مقالة: قبائل صغيرة في حماه وقبائل صغيرة في دمشق.

بوركهاردت (ص9) أن العقيدات موالي. يفسر هذا، إن كان صحيحاً، إنقسامهم إلى فرع يسكن سورية وآخر بلاد الرافدين، باعتبار أن الموالي أقاموا فعلاً على الفرات وفي سهب حماه. بغض النظر عن القرابة التي يزعمها بوركهاردت، يحسن بنا تصور عقيدات الأزمنة القديمة كواحدة من القبائل الصغيرة التي عاشت على الفرات تحت حكم أمراء الموالي. وللعلم، فإن معلومات تيربيه تندرج ضمن هذا السياق[1]، خاصة وأن منتصف القرن التاسع عشر لم يشهد تأسيس، بل صعود، القبيلة المفاجئ بقيادة أسرة هفل، القادمة من جزيرة العرب.

بدأ العقيدات توسيع منطقتهم بعد عام 1750م بفترة قصيرة: فطردوا الجبور من مياذين إلى الخابور، وأقسام البقارة والبوشعبان من الدير إلى حلب. وبلغوا خلال مائة عام حدودهم الحالية: تل الشيخ حمد على الخابور، حيث تماسهم مع الجبور، وتبني على ضفة الفرات اليمنى والحويجة الواقعة إلى الجنوب على ضفته اليسرى، حيث يجاورهم السبخة والبقارة.

ما إن انتهت معاركهم مع القبائل المجاورة، حتى اصطدم العقيدات بالحكومة، التي عززت في بداية الستينيات مواقعها على الفرات ببناء المعسكرات، ورفع دير الزور إدارياً إلى مرتبة سنجق (لواء)، الأمر الذي أجبر حكامها الجدد على خوض معارك عنيفة مع البدو، إستمرت إلى عام 1876م، عندما تم إخضاع العقيدات، غير أن انفجار الحرب العالمية أطلق أيدي القبائل من جديد، الذين تحالف الانجليز معهم، بالنظر إلى ضعف قواهم العسكرية المدافعة عن خط الفرات.

تحول دير الزور إلى ميدان اضطرابات عام 1919م، لعب العقيدات دوراً رئيساً فيها تحت قيادة رمضان شلاش[2]، سليل أسرة شيوخ البوسرايا المعروفة،

---

(1) هنا نصادف الحالة التي ينقل فيها موروث أسرة الشيوخ إلى القبيلة.

(2) بالنسبة إلى الأحداث التالية، نوجه عناية القارئ إلى الوصف الحي الذي قدمته لها السيدة بل في مجلة رفيو، ص133.

الذي كان ضابطاً في الجيش التركي، لكنه إلتحق خلال حصار المدينة بقوات الشريف حسين. وانضم إلى جمعية "العهد العراقي"، التي ضمت ضباطاً وموظفين ولدوا في بلاد الرافدين، حين أعلن الأمير فيصل حكومة وطنية في دمشق بعد دخول القوات الحليفة إليها. ظهر رمضان مطلع عام 1919م على الفرات، بتكليف من الجمعية، لتحريض العقيدات والقبائل المجاورة على المطالبة بضم السنجق إلى الدولة السورية الجديدة. وبينما كان فيصل يقيم في باريس، وكانت القوى الكبرى تتفاوض من فوق رأسه على مصير البلدان العربية، تلقى رمضان الأمر باحتلال الدير، فدخلها العقيدات يوم 11 كانون الأول، وتبعهم هو نفسه بعد حين. لم يفكر الضابطان، والعدد القليل من العرب الذين شكلوا القوة الانجليزية في المدينة، بالمقاومة، فأسروا وأبعدوا بعد أسبوعين إلى البوكمال. في هذا الوقت، إتفقت بريطانيا وفرنسا على اعتبار الخابور خط حدود بين منطقتي مصالحهما؛ وهو حلٌ شق منطقة العقيدات إلى نصفين، فما كان منها إلا أن ردت عليه بهجوم شنته في كانون الثاني عام 1920م على البوكمال، دفع الانجليز إلى احتلال الصالحية الواقعة، صعوداً مع مجرى النهر. وفي شباط، إجتاحت العقيدات البوكمال للمرة الثانية، ثم انتهت هذه الحرب الصغيرة باتفاق عقد يوم 5 أيار من عام 1920م بين مبعوثي فيصل ولجنة انجليزية، رسم حدوداً تمر على بعد ثمانية كيلومترات جنوب البوكمال، تلبي مطالب العقيدات.

بعد نصف عام، وجدت القبيلة نفسها إزاء عدو أقوى. فقد دخلت بعثة عسكرية فرنسية إلى دير الزور في تشرين الثاني من عام 1920م، وقد أحدث قدومها هيجاناً شديداً قامت بها العقيدات بدعم وتأييد القوميين الأتراك. وجدت حامية المدينة نفسها في موقف عصيب، ولم تنجح في صد هجمة عاصفة شنها عليها محاصروها (في كانون الثاني من عام 1921م) إلا بشق الأنفس. كما تكبدت خسائر فادحة خلال محاولة قامت بها يوم 10 أيلول لمغادرة المدينة. ثم، بعد أيام قليلة، سقط المطار بطائراته في أيدي القبيلة، مما أجبر الفرنسيين على الإنتظار إلى نهاية تشرين الثاني، قبل انتقالهم إلى الهجوم بواسطة قوات كانت قد وصلت المدينة حديثاً. قاتل العقيدات بشجاعة وحنكة، لكنهم اضطروا في النهاية إلى إخلاء آخر

مواقعهم في بسيرة والفرار عبر الخابور[1].

العقيدات أنصاف مستقرين، يقيمون صيفاً على ضفاف النهر، حيث حقولهم وأكواخهم. وينتشرون شتاء كالأشعة على البقاع الداخلية: فيتنقل عقيدات الخابور حتى أقدام جبل سنجار، وتترحل عشائر منطقة المياذين في جبل البشري، وتخيم أقسام من العشائر الأبعد على مجرى الفرات في منطقة الممالح، وأجزاء أخرى إلى الجنوب من خط البوكمال ـ عانه أي في المملكة العراقية.

ينقسم العقيدات إلى مجموعتي نسب: والبوكامل والبوكمال[2]، اللذين يرجعان في أصولهما إلى أخوين شقيقين هما كامل وكمال. حافظت عشيرة واحدة على اسم البوكامل، بينما لا يحمل أحد اسم البوكمال، الذي نراه مدوناً في الخرائط القديمة.

يمتلك شيخ المشايخ، جدعان الهفل، السمعة التي تليق بعراقة أسرته، لكن نفوذه السياسي لا يتعدى عشيرته.

---

(1) تابع دو فيجاريه: بلاد الرافدين، ص17 ـ 28 ـ كانت لرمضان شلاش علاقة بهذه الثورة أيضاً. في عام 1925م برز كذلك لدى نشوب ثورة الدروز. أنظر الشرق الحديث، الجزء الأول، ص414 و523 و595.

(2) يشمل الأولون، بحسب موزيل، العشائر 6 ـ 4، 1 من الجدول، والأخيرون 11 ـ 7 أما 2 و3 فيجملهما موزيل تحت اسم بكيّر.

العقيدات "العكَيدات"(1)

شيخ المشايخ: جدعان الهفل(2)

القبيلة	الشيخ	مكان الإقامة(3)	الأسر
1 ـ البوسرايا	فياض الناصر(4)	**ضفة الفرات اليمنى من تبني إلى دير الطريف**	500
	داموق البهلول	الطريف	
	حمود الشلاش	الشميطية	
	ريس العبد السلام	الشميطية	
	فياض الناصر	الشميطية	
	أحمد الصالح	الخريطة	
	توفيق الشلاش	عياش	
	سعود الحمد	البغيلية	
	علي العطيش	بقرص	
2 ـ البوخابور(5)	خزام العساف	**ضفة الفرات اليمنى تحت الدير :**	1000
أ ـ البومعيط	طراد بن فيحان	المريعية	
ب ـ البوعمر	جنيد الجاسم	العبد	
جـ ـ البوحليحل	خزام العساف	موحسن	
د ـ البوليل(6)	موسى الصالح	القطعة، الطوب	
3 ـ بكير	سليمان	ضفة الفرات اليسرى من الدير حتى بسيرة :	970
	شبل الجار الله(7)	الخشام	
	جدعان الحسين(8)	الجديد	
	سرور الدلي(9)	البريهة	

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	الأسر
		ضفة الفرات اليمنى	
		فوق مصب الخابور	
	حميدي العبد الجليل	الطوب	
	صالح العبد	سعلو	
	أحمد العلي	على الخابور:	
	فرحان الكسار(10)	البسيرة	
	هنيدي الخلف	الحريجية	
	محيمد الكريم	الحريجية	
	فرحان الملحم(11)	معيجل	
	رزق الشهاب	معيجل	
4 ـ البوكامل	جدعان الهفل	على (الخابور)(12):	2340
	دوش الزعال(13)	الحريجية	
	طابان الهفل(14)	المويلح	
	بطمان الدهام	غريبة	
5 ـ المشاهدة	عبيد الكلش(15)	الصبحة(16)	360
6 ـ الشعيطات(17)		تحت مصب الخابور حتى	1240
		البوكمال	
7 ـ العظار(18)	تركي بك بن علي	المكان نفسه	1750
	ابن نجرس(19)		
8 ـ الدميم	فارس بن صايح	على الفرات تحت مصب الخابور	500
9 ـ الحسون	مشرف بن دندل(20)	حتى البوكمال	1200
10 ـ البوحردان	عقلي بن سبيحان(21)		240
11 ـ المجاودة	سالم		140

ملاحظات حول جداول العقيدات

1 ـ كل ما يتعلق بالعشائر من 1 إلى 5 في هذا الجدول وضع بالإستناد إلى تسجيل يعود إلى عام 1911م. أما الباقي فمرجعه موزيل: الفرات الأوسط، ص73 وما يليها. وتيرييه، ص123. يحيد التسجيل عن غيره في نقطة رئيسة، فهو لا يقسم العشائر بحسب أفخاذها بل بحسب أماكن إقامتها أو زعماء قراها. هذا الترتيب تمت المحافظة عليه، لأنه يأخذ بالحسبان الاستقرار المتزايد للعقيدات، ويؤكد معطيات الجدول التركي من عام1870م، الذي نشره هارتمان في مجلةZDPV، العدد 23، ص37. يجب أن نضع في الاعتبار أن بعض الأسماء ربما تكون غدت قديمة، أما أسماء الشيوخ الفعليين فقد تمّ تدقيقها في كل مكان بما ينطبق والوضع الراهن. .

العدد بحسب تيرييه 9220 أسرة. عدد المواشي: 71800 رأس غنم، 1300 جمل.

صيحة الحرب: الأبرز!.

2 ـ يسكن في ذيبان مقابل المياذين.

3 ـ تذكر معظم الأماكن في خرائط موزيل: شمال جزيرة العرب وجنوب بلاد الرافدين. غير أن موزيل يقدم في حالات كثيرة أسماء مغايرة.

4 ـ إلى جانبه، يمتلك حمود الشلاش بعض النفوذ.

5 ـ إقتبسنا هذا المفهوم من تيرييه. صحيح أنه لا يسمّي الأفخاذ من أ إلى د، ومع ذلك فإن انتماءها إلى البوخابور جلي، يؤكده توافق المعطيات التالية: أولاً تماهي اسم الشيخ الذي ذكره تيرييه مع اسم شيخ الفخذ ج. ثانياً تتطابق معطيات مجلة ZDPV الجزء 23، ص37 بالنسبة لأماكن سكن البوخابور مع المعطيات الواردة في التسجيل حول الأفخاذ المقدمة.

6 ـ زبيد.

7 ـ موزيل: "صبين" ابن جار الله شيخ الخلف.

8 ـ شيخ المشرف (موزيل).

9 ـ شيخ كبيسة (موزيل).

10 ـ شيخ الشعبان (موزيل).

11 ـ شيخ الفرج.

12 ـ يبدو أن أقساماً أخرى من البوكامل تسكن على الفرات.

13 ـ شيخ الدعيشل (موزيل).

14 ـ شقيق شيخ المشايخ.

15 ـ سلفه: كلش الجاسم.

16 ـ على ضفة الفرات اليسرى فوق مصب الخابور.

17 ـ إلى جانبهم، يذكر تيربيه عشيرة باسم شعيط.

18 ـ هذا ما يقوله موزيل. تيربيه يذكر عوضاً عن ذلك "ثولتس".

19 ـ نائب في البرلمان. سلفه: علي بن محمد بن نجرس.

20 ـ سلفه: محمد بن دندل.

21 ـ سلفه: سليمان بن سبيحان.

جيس (قيس)

يعتبر جيس حوران أقدم القبائل التي تعيش حالياً في بلاد الرافدين، فهم أخلاف مهاجرين قدموا إلى هنا في القرن الأول الهجري، كما يمكن أن نستنتج من اسمهم، فجيس ليست غير طريقة عامية في نطق اسم قيس الكلاسيكي، القبيلة التي خرج منها قسم كبير من أقدم المهاجرين المسلمين.

سكنت قيس في فجر الإسلام وسط جزيرة العرب، بين جبال شمّر وطويق والحجاز واليمامة. وتبين جداول فوستنفيلد (د ـ هـ)[1] توزيعات أنسابها، وتذكر فيها أسماء تلك القبائل، التي صار لها علاقة مع الجيس اللاحقين، وهي عبس وذبيان وسليم، والقبائل التي تنسب نفسها إلى عامر (ابن صعصعة)، وهي : نمير، وكلاب، وعقيل وقشير. كانت قبائل قيس مستقلة سياسياً تمام الإستقلال بعضها عن بعض، الأمر الذي انعكس في سلوكياتها حيال النبي، وفي الردة الكبيرة التي انفجرت بعد موته مباشرة في جزيرة العرب. كما كان القيسيون أضعف تمثيلاً في جيوش الإسلام من سكان جنوب جزيرة العرب وقبائل الحدود الشمالية. وقد بدأت هجرة قيسية واسعة إلى سورية وبلاد الرافدين، بعد فتحهما، ثم انفصلت أسر متفرقة عن

---

(1) ثمة معلومات أدق حول تاريخ قيس الأقدم أيضاً في المقال الممتاز الذي كتبه آ. فيشر في مجلة الانسكلوبيديا الإسلامية.

قبائلها[1]، وواصلت سيرها نحو الشمال. إختارت عبس وذبيان غالباً أراضي سورية الجنوبية مكاناً لإقامتهما، بينما فضل العامريون والسلاميون منطقة قنسرين العسكرية، التي تعادل تقريباً ولاية حلب الحالية، وضفة الفرات. شرعت قيس في استيطان هذه المناطق منذ عام 638م، وواصلت استيطانها فيها بصورة منهجية فيما بعد. فكانت قرقيسياء[2] على مصب الخابور في الفرات، التي تتطابق مع منطقة البصيرة الحالية، مكان سكنها الرئيس، فضلاً عن أنها عاشت، فيما وراء الفرات، مع قادمين من قبيلتي تميم وأسد، اللتين تنتميان، مثلها، إلى مجموعة مضر العربية الشمالية[3]. أما في سورية فقد التقت قيس مع القبائل العربية التي كانت قد قدمت إليها قبل الفتح، وفي مقدمتها كلب، التي جعلت من تدمر منطقة سكن رئيس لها في العصر الإسلامي.

أحدثت الهجرة تبدلات عميقة في نظام المجتمع البدوي. إذا كانت قبائل قيس قد اتخذت في جزيرة العرب موقفاً يتسم بالغرابة، إن لم يكن بالعداء، بعضها حيال بعض، نتيجة لاختلاف مصالحها، فقد وجدت نفسها مجبرة على التوحد في مناطقها الجديدة، للدفاع عن نفسها في وجه القبائل المتماسكة القاطنة هناك، وهي كلب في سورية، وتغلب المسيحية في بلاد ما بين النهرين، التي نقلت منطقة انتشارها زمن الفتوحات من الفرات الأوسط إلى الجزيرة الشرقية. بقيت تغلب قليلة الشأن سياسياً، بينما برز نفوذ كلب على الدولة وقضاياها خلال حقبة الأمويين الأوائل، الذين ارتبطت معهم بعلاقة مصاهرة، وقدمت عدداً من كبار موظفيهم. أثار هذا الواقع غيرة قيس فرفضت عام 64هـ/ 683م مبايعة ابن الخليفة الأموي الثاني يزيد[*] وأعلنت تأييدها لابن الزبير، الذي أعلن نفسه منذ بضعة أعوام خليفة بديلاً

---

(1) بلد سوري، ص150 "أناس لم يكونوا على ملاك الجيش، إنفصلوا عن بدو قيس"، تابع المرجع ذاته، ص150 و178.

(2) الطبري، الجزء الثاني، ص72 بالنسبة إلى عام 45 للهجرة.

(3) لذلك سميت الأرض بين الفرات والبليخ ديار مضر.

(*) تولى يزيد بن معاوية الخلافة بعد أبيه عام 60 هـ. ثم مات عام 64 هـ. قتل الحسين بن علي(ع) عام 61 هـ، وعام 63 هـ استباح المدينة وتسمى واقعة الحرّة ثم بعدها حاصر الكعبة ورماها بالمنجنيق ومات والكعبة محاصرة. [تاريخ الخلفاء للسيوطي] (شبّر).

في مكة . بالمقابل، بقيت كلب موالية للأسرة الحاكمة القديمة . أخيراً، إلتقى الحزبان عام 64 للهجرة في مرج راهط قرب دمشق وسلاح كل منهما بيده . وقد قاتل إلى جانب ابن الزبير سليم وعامر وذبيان، وهم جميعهم قيسيون وافدون، وقاتل مع الأمويين كلب وغسان وتنوخ، وهي من قبائل سورية القديمة . إنتهت المعركة بهزيمة نكراء حلت بقيس[1]، وبذلك توطد حكم الأمويين في سورية لكن الحرب لم تنته . ذلك أن قائد القيسيين، ظفار بن الحارث، ذهب إلى قرقيسياء وصمد فيها حتى صيف عام 691م . ثم بادر، حين تركه الأمويون بسلام، إلى خوض حرب صغيرة ضد كلب، بدأها بهجوم على مستقر لها في الصحراء السورية قتل خلاله عشرين من رجالها . فما كان من كلب إلا أن ثأرت لنفسها بقتل ستين نميرياً ممن كانوا يشاركونها السكن في تدمر . بعد ذلك بفترة قصيرة، غادر بضع مئات من رجال سليم صفوف الجيش الأموي وانضموا إلى ظفار بن الحارث . إستقر الجمع عند الخابور الأعلى[2]، حيث انخرطوا في صراع مع تغلب : صاحبة المكان، فحل من الآن فصاعداً عراك دام سنوات كثيرة بين قيس وتغلب محل الحرب بين كلب وقيس . ولم يعد الهدوء إلى الصحراء، إلا بعد استسلام قيس في قرقيسياء عام 691 .

عندئذ، عقد قادة قيس سلامهم مع الأمويين، وحافظوا على ولائهم لهم[3] حتى عند سقوط سلالتهم (132هـ/ 750م) . لكن الكره القبلي بين قيس وكلب (يمنيون)[4] واصل تضخمه، وعبر عن نفسه لاحقاً من خلال الثورات التي عرفها النصف الأول من القرن التاسع في أواسط سورية وفلسطين لصالح أمويين حقيقيين أو مزيفين، من أمثال من يسمون بالسفيانيين[5] . هذا التناقض توارى وراء سمات

(1) فلهاوزن: الإمبراطورية العربية وسقوطها، ص106. وص125 بالنسبة إلى ما يلي أنظر. موزيل: بادية دمر، ص257.

(2) الهمداني، ص132 يذكر سُليم في أورفة وحران.

(3) إبن الأثير، الجزء الخامس، ص331.

(4) أي عرب جنوبيين. وكان منهم كلب وأتباعها وقد تبنوا تقاليد غساسنة جنوب الجزيرة العربية، الذين كانوا قبل الفتح على رأس القبائل السورية.

(5) السفيانيون هم ذلك الخط من الأمويين، الذي أزاحه المروانيون عام 64 هجرية. منذ ذلك

دينية/ سلالية، ثم بهت فيما بعد وتحول إلى مجرد تنافس صرف بين المجموعتين، اللتين سمّى أنصارهما أنفسهم قيسيين ويمانيين، دون أن يقصدوا من خلال هاتين الكلمتين سوى التعبير عن عداوة قديمة. حملت الأجيال القديمة هذا التناقض إلى الأماكن والأراضي التابعة لها، لذلك بقي حياً إلى اليوم في بعض مناطق فلسطين وسورية، منها لبنان على سبيل المثال، مع أنه انطفأ في الصحراء منذ العصر العباسي.

لا نعرف الكثير عن طريقة حياة قيسيي سورية وبلاد الرافدين في القرون الثلاثة الأولى للهجرة. ربما كان علينا أن نتصورهم، بطريقة ما، كأعيان مدن أو كملاّك أرض كبار، بدلالة السيطرة الأبوية التي كانت لأسرة من عقيل في الفرات الأعلى، حيث امتد نفوذها من مكان سكنها قرب سميساط إلى قرقيسياء. كان أعضاء هذه الأسرة أتباعاً أوفياء للأمويين، وظلوا حتى عهد المأمون[*] (813 ـ 833) يقاتلون من أجل الحفاظ على التركة الأرستقراطية "للإمبراطورية العربية" ضد ماهية العباسيين الفارسية[1]. وقد استسلم آخر أفرادها، ابن صفوان، عام 269هـ/ 882 ـ 83م في قرقيسياء[2]. أما رعاياها، قيس ديار مضر فقد عاشوا حياة متواضعة كمربي أغنام أنصاف رحل[3]، بينما كان قيسيّو سهوب ضفة الفرات الغربية قد تحولوا إلى بدو رحل حقيقيين. هذه الأنماط المختلفة من الحياة، عمقت من جديد الحدود الفاصلة بين القبائل، التي كانت قد امّحت منذ وقت طويل

الوقت دعا السفيانيون إلى حاكم منهم، منحوه، طبقاً لتقاليد العصر، منزلة دينية، وقالوا إنه المهدي المنتظر، الذي يقيم مملكة العدل ـ بعد انتصار العباسيين خرجوا من السرية. حدثت أول انتفاضة قام بها سفياني عام 132، والإنتفاضة الثانية في أعوام 195 ـ 198 هجرية، والثالثة عام 227 للهجرة. أنظر إبن الأثير، الجزء الخامس، ص332، الجزء السابع، ص172. الطبري، الجزء الثالث، ص1319.

(*) بويع الأمين بالخلافة سنة 193هـ ـ 809م وقتل عام 198هـ ـ 813م. أما المأمون فإنه بويع للخلافة عام 198هـ ـ 198هـ ـ 813م وتوفي عام 218هـ ـ 833م، مدة حكم المأمون 20 عاماً. (شبّر).

(1) إبن الأثير، الجزء السادس، ص216.

(2) أنظر التفاصيل في مقالة عقيل في قسم جزيرة العرب.

(3) إبن حوقل، ص155

لدى القيسيين الآخرين؛ فانقسم قيسيو سورية الشماليةفي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) إلى خمس قبائل مستقلة هي: نمير، كلاب، عقيل، قشير، والعجلان، عبرت معظمها الفرات في منتصف القرن الحالي وانتشرت في الجزيرة الشمالية. إنفردت كلاب بالبقاء في منطقتها بين حلب والرحبة، حيث ظهرت منها سلالة بني مرداس، التي حكمت حلب بين عامي 416هـ/ 1025م و472هـ/ 1080م[1]. إستمرت القبيلة إلى الحقبة الأخيرة من العصر المملوكي. وكانت قد امتزجت بعناصر تركمانية خلال الحروب الصليبية، وأخذت تتكلم باللغة التركية منذ القرن الثالث عشر، كما تولت حراسة حدود الدولة المملوكية ضد آسيا الصغرى، لما لها من بأس كقبيلة محاربة. في نهاية العصر الوسيط، كانت مضارب كلاب منتشرة في منخفض العمق غربي حلب، وعند قلعة جعبر على الفرات[2]. وربما تكون قد ذابت، آخر الأمر، في تركمان شمال سورية.

كان بنو نمير أول من عبر الفرات من القبائل الشقيقة لكلاب المذكورة أعلاه. عام 331هـ/ 942 ـ 943م، كان هؤلاء في منطقة الخابور الأوسط وعلى البليخ، حيث قدموا إلى هناك بدعوة من حكام محليين طلبوا مساعدتهم في قتال بعضهم بعضاً[3]. بعد وقت قصير، تبعهم العقيل والقشير[4]، ربما في سياق حملة تأديبية كبيرة قام بها سيف الدولة، أمير حلب الحمداني الشهير، ضد القيسيين في حزيران

(1) يزعم سوبرنهايم في الموسوعة الإسلامية، الجزء الرابع، ص120، دون وجه حق أن صالح ابن مرداس قاد كلاب في مطلع القرن الرابع (الصحيح الخامس) من العراق إلى حلب، لأن الحلة التي يورد اسمها في الموقع الذي اقتبسه(من ابن الأثير، الجزء التاسع، ص148) لا تعني المدينة المعروفة الواقعة على الفرات، التي بنيت أول مرة عام 1111م، بل "مضرب الخيمة"، أي أنه لا يصلح دليلاً على وجود أصل من بلاد الرافدين. علاوة على ذلك أثبت سوبرنهايم ذاته وجود كلاب في القرن الثالث قرب حلب (الموسوعة الاسلامية، الجزء الأول، ص243). وقد ارتكب موزيل في كتاب الفرات الأوسط الخطأ ذاته، ص347.

(2) جودفروا ـ دومومبين، ص219.

(3) إبن الأثير، الجزء الثامن، ص295.

(4) تابع إبن حوقل، ص. 155 نعلم لاحقاً عن القشير أن واحداً منها اسمه سابق الدين جعبر إستولى على قلعة دوسر على الفرات. وأنها أخذت فيما بعد اسمها منه فصار قلعة جعبر.

من عام 955م، وقادته من حلب إلى ما وراء تدمر في سبعة أيام[1]. بعد عقود من ذلك، تحددت الصورة النهائية لمناطق انتشار القبائل في الجزيرة، فاختار بنو نمير القسم الغربي من البليخ، والعقيل القسم الشرقي حول نصيبين. أما في الشتاء، فكانت القبيلتان تسيران كلتاهما نحو الجنوب، فتمر بنو نمير عبر الرقة مواكبة مجرى الفرات النازل، وتجتاز عقيل الجزيرة بالعرض في طريقها إلى العراق.

هذه الموجة القيسية الثانية من الترحال أحدثت أثراً سياسياً، نتيجة قيام قادتها انتزاع السلطة لأنفسهم في بلاد الرافدين. إن السلالة الحاكمة الأكثر شهرة، التي أسسها هؤلاء، هي سلالة العقيليين التي تنحدر من فرع مهنا للقبيلة العقيلية عبادة والتي حكمت انطلاقاً من الموصل الجزيرة الشرقية، وحكمت كذلك الجزيرة الغربية من حين لآخر: من سنة 380 هجرية/ 990 ميلادية إلى نهاية القرن الحادي عشر، عندما وضع السلاجقة حداً لحكومتها[2].

لم تحظ سلالتا بنو وثاب وبنو عطير بشهرة مماثلة، رغم أنهما خرجتا بدورهما من بني نمير، وحكمتا حران وأورفة في الفترة ذاتها[3]. كان وثاب ابن سابق النميري أبو السلالة الأولى. وقد توفي عام 410هـ/ 1019م في حران، فحكم ابنه شبيب حران وسروج إلى عام 431هـ، ثم حكم حفيده منيع ابن شبيب الرحبة أيضاً[4]. حافظ بنو وثاب على ملكهم حتى عام 474هـ/ 1081م ـ 82م، حيث أجبروا على إخلاء حران وتركها للعقيلي مسلم ابن قريش[5] ـ عاشت

---

(1) المتنبي، شاعر بلاط سيف الدولة، مدح هذه الحملة، ويقدم شراحه معلومات دقيقة عنها. أنظر دي ساسي: مختارات، الجزء الأول، ص331.

(2) أنظر مقالة عقيل في قسم جزيرة العرب.

(3) ثمة ملخص بأسماء الحكام لدى زامباور: معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص138.

(4) إبن الأثير، الجزء التاسع، ص281 و301 و316 و321 و164، الجزء العاشر، ص7.

(5) إبن الأثير الجزء العاشر، ص78. ليس صحيحاً أن محمد ابن الشاطر، الذي طرده ملكشاه بعد خمسة أعوام من حران، كان نميرياً، كما يزعم تسومباور. أنظر إبن الأثير، الجزء العاشر، ص97 و105.

سلالة النميريين في أورفة فترة أقصر من سلالة بني وثاب، ووجد مؤسسها عطير نفسه مجبراً بعد عام 416هـ بفترة قصيرة على الإقرار بتبعيته للمروانيين الأكراد في ديار بكر. بعد موته خلال عملية ثأر دموية وقعت مطلع عام 418هـ، قسمت أورفة إلى نصفين أعطي أحدهما إلى ابنه[1] والثاني إلى شخص يدعى ابن شبل النميري، فباع ابن عطير حصته إلى البيزنطيين عام 422هـ/ 1031م، واضطر ابن شبل إلى إخلاء المدينة. ـ ثم نجح النميريون في استعادة المدينة، لكن قلعتها صمدت في وجههم إلى أن فك جيش بيزنطي حصارها عام 427 ـ 429هـ. منذ هذا التاريخ، بقيت أورفة بيد الإغريق، الذين دفع بنو وثاب أيضاً الإتاوات لهم، وإن لبعض الوقت[2].

بقي أمراء النميريين في بداياتهم على الأقل، شأنهم في ذلك شأن أمراء العقيليين، بدواً أقحاحاً، رغم المنزلة التي احتلوها. لذلك سكنوا السهب بين قبائلهم ولم يقصدوا المدن إلا من أجل القيام بواجباتهم الحكومية. أما سندهم السياسي فكان بني مرداس في حلب، الذين ربطتهم بهم علاقات مصاهرة، واعترفوا مثلهم (ومثل المروانيين) بخليفة القاهرة الفاطمي سيداً أعلى لهم.

مع سقوط السلالتين (النميريين عام 1081م ـ والعقيليين عام 1096م) فقدت قبيلتاهما أيضاً، بنو نمير وعقيل، أهميتهما. ترجع آخر الأخبار التي وصلتنا عنهما من العصر الوسيط إلى العقد الأول من القرن الثاني عشر[3]، حين اقتصر وجود بني نمير على منطقة البليخ، وانحلت قبيلة عقيل تماماً. أما العشيرة القيادية عبادة فقد هاجر الجزء الأكبر منها إلى العراق، وانكفأ قسم صغير منها على نفسه وانسحب

---

(1) زامباور: سليمان.

(2) إبن الأثير، الجزء التاسع، ص244 و281 ـ في عام 476 يذكر مرة أخرى شخص اسمه ابن عطير بمناسبة ثورة في حران ضد مسلم ابن قريش. إبن الأثير، الجزء العاشر، ص83.

(3) أنظر بالنسبة إلى عقيل مقالة عقيل، وبالنسبة إلى بني نمير ابن الأثير، الجزء العاشر، ص242 و285 و324. عام 496هـ يقتل مسلم أحد أبناء عقيل قرب هيت بدافع الثأر. وفي عام 502هـ يحتل جوشان النميري الرقة. تابع مقامات الحريري رقم15.

إلى البليخ، حيث لا نزال نعثر اليوم أيضاً على عبادة ونمير، بوصفهما فخذين من الجيس.

يفترض هذا، أنه كان لا يزال في العصور الوسطى المتأخرة بقايا من مهاجري الإسلام الأول، حافظت على اسم قيس القديم (جيس)، واستطاعت استيعاب القبيلتين في صفوفها. هذه الفرضية يؤكدها تركيب الجيس الراهن، فهي تضم، إلى جانب عباده ونمير، أسد وعجل، المنحدرين من أصول ليست قيسية، لكنهما منتميان إلى أوائل المهاجرين المسلمين. يبدو كذلك أن أخلافاً لأقدم قيسيي بلاد الرافدين يعيشون بين قبيلتي السيّالة وبني يوسف[1].

يرد أول ذكر لاتحاد (جيس) في جهان ـ نامه، ثم لدى الرحالة التركي أوليا[2]، الذي زار حران في أواسط القرن السابع عشر. تمتد منطقة انتشار القبيلة اليوم من أورفة إلى البليخ الأوسط. وهي تقيم صيفاً في مثلث اورفه «الرها» ـ حران ـ تل أبيض أي في الأراضي التركية، وشتاء بين البليخ وجبل عبد العزيز. إلا أن قسماً منها فقط يعيش حياة ترحل، في حين تمتلك بقيتها قرابة عشرين قرية في منطقة حران.

بقيت الـ(جيس) ميّالين إلى الحرب حتى الوقت الحاضر: ويعتبرهم تيربيه "لصوصاً لا يمكن إصلاحهم". أما أعداؤهم الرئيسون فهم فدعان عنزة، الذين تقع مراعيهم الصيفية في أراضي جيس القديمة. أثناء الحفريات التي قمت بها في تل حلف (1911م ـ 1913م) وقعت مرات متعددة حوادث بين القبيلتين، وتوجد في ملفات البعثة الملاحظات التالية حول ذلك: "شارك بعض جماعة الجيس في حملات سلب ونهب شنها ضد الفدعان محارب شمّر عزو المحمود بدعم من الملّية" الأكراد. وبما أن عنزة لم تستطع القبض على عزو، الذي كان يفر إلى

(1) بلانسبة لأسد أنظر الصفحة 336 أعلاه. بالنسبة إلى بقية القبائل أنظر الملاحظات في الجدول.

(2) جهان ـ نامه، ص443. سياحت نامه، الجزء الثالث، ص161، الجزء الرابع، ص70 يذكرهم أوليا مرة أخرة في سهل سنجار وهذا مستبعد. يظهر الاسم عنده كيسى، أي جيس «قيس»، وهي لفظة ما زالت تتكرر الآن.

الجبال مع الملّية، فقد أغارت على فرع من جيس كان يخيم على البليخ الأوسط مع بعض من أكراد قبيلة كراجيتش. ومع أن عسكراً تركياً كان في الجوار، اضطر الجيس إلى الفرار من مضاربهم، وسقط عدد من القتلى من الجانبين. عندئذ، توجه الجيس والكراجيتش والملّية إلى الحكومة، وساعد أصدقاء في القسطنطينية على إيصال شكاواهم إليها، فأرسلت قوة عسكرية كبيرة من حلب ودير الزور وأورفة إلى المنطقة، أمضى منها مائة وأربعون فارساً والأربعون وبغالهم يومين في مخيمنا، بانتظار القبض على شيخ شمّر عزو، الذي كان قد أطلق ساقيه للريح منذ وقت طويل. بعد أن أجرت القوة تفتيشاً لدى الشيوخ المختلفين، طالبت الحكومة بمصالحة تجري بين المعنيين تقوم على تقديم تعويضات متبادلة عن الأضرار التي سببوها بعضهم لبعض. وافقت عنزة على إجراء مباحثات مع خصومها، إدراكاً منها لجدية وخطورة الأمور. وكنت بمحض الصدفة في الرقة، عندما اجتمع متصرفو دير الزور وأورفه ببعض شيوخ الفدعان وجيس وكراجيتش والملّية، ووصلوا بمداولاتهم إلى النتيجة المرغوبة: فقد تكفلت الملّية بإعادة الجمال التي سرقها عزو من العنزة، والتزم شيخ الفدعان حاكم «حاچم» بك بدفع 5500 ليرة تركية إلى جيس و700 ليرة إلى الكراجيتش، تعويضاً لهما عن الأضرار التي أنزلها بهما. وقد أنجز الملّية ما وعدوا به، في حين حاول حاكم «حاچم» بك التنصل من التزاماته. مثل هذه الأحداث تكررت بعد الحرب. وبما أن تسوية فرضتها حكومة الإنتداب عام 1927م لم تستطع إقامة سلام دائم، فقد منعت الحكومة الجيس من عبور الحدود.

لم يكن للجيس شيخ مشايخ. ولم تكن علاقة عشائرها بعضها ببعض على ما يرام دوماً. يعتبر شيخ عشيرة بني محمد الشيخ محمد الحسن أكثر شيوخها نفوذاً في أيامنا. أما قبل الحرب، فكانت الأرجحية لزعماء السياله محمد نايف العبد الله بك وصالح العبد الله العثمان. تصاهر شيوخ السيالة مع أسرة إبراهيم باشا، فقد تزوج إبراهيم نفسه من شمسه، أخت صالح العبد الله، بينما كان ابنه عبد الرحمن متزوجاً من ابنة عمه تركيه بنت حسين.

جبيس (قيس)(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ السيالة(2)	مصطفى الصالح حسين الصالح(3) بدر الحسين	نصار	500
2 ـ بني محمد(4)	محيمد الشيخ حسن	تل فدان	500
أ ـ بني محمد	محيمد الشيخ حسن	تل فدان	
ب ـ عبادة	عبد الله بن بنية	محرز	
جـ ـ طماح	شواخ بن علي العمر(5)		500
3 ـ بني يوسف(6)	مصطفى الخلف الصالح(7)	رجم الحمرا	
أ ـ بني يوسف	مصطفى الخلف الصالح	رجم الحمرا	
ب ـ بني اسد	عمر الخلو(8)	قراموخ	
جـ ـ بني نمير	محمد الابراهيم	عين خليل	
د ـ بني عجل(9)	محمد الجاسم	حران	
التحق بها			
1 ـ المشهور(10)		تل ابيض/ تل منبطح	100
2 ـ الجميلة(11)	عيسى بن حماد الهندي(12)	حران	

ملاحظات حول جدول جيس

1 ـ سجلت في حران يوم 9 كانون الأول عام 1911م. إستكمل جدول الشيوخ وفقاً لتيرييه، ص166 وما يليها. ليس في أدب الرحلات غير القليل من المعلومات.

عدد المواشي: 1500 جمل، 1200 رأس غنم. صيحة الحرب: زعب!.

نلاحظ ما يلي حول الأماكن، إن كانت غير مدونة على الخريطة: تقع نصار إلى الشرق من محيرز. تل فدان شمال غرب تل أبيض. الحمرا جنوبه وتل المنبطح غربه. عين خليل (الرحمن) هي ذاتها عين عروس.

2 ـ التسجيل: الصيالح أصلهم من سالم ابن صخر. يفهم من اسم صخر الشخص الذي منح اسمه لقبيلة بني صخر القاطنة شرق الاردن، وإن كانت هناك آراء أخرى، ترى في صخر بطلاً من أبطال العرب القدماء، هو: صخر ابن عمرو من قبيلة سليم، الذي بقيت ذكراه حية لفترة طويلة بفضل أشعار اخته الخنساء.

السيالة هم، في هذه الرواية، أخلاف سليم، التي قدمت في القرن الأول للهجرة إلى بلاد الرافدين. (أنظر صفحة 327).

3 ـ أبناء الشيخ صالح العبد الله العثمان.

4 ـ إسمهم عند نيبور (جزيرة العرب، ص393) آل محمد. وفي جدول شبرنغر (رقم 136) البومحمد، باعتبارهم قبيلة قائمة بذاتها. يسقط اسم جيس في هذين المرجعين كليهما.

5 ـ 1911م: أبوه علي العمر.

6 ـ ذكره أول الأمر نيبور (ص395). ثمة مجموعة منهم تمتلك مائتي خيمة تعيش في منطقة اعزاز التابعة لدائرة حلب. أما فخذ بني يوسف، الذي تحمل العشيرة اسمه، فيقال إنه يتحدر من عبس، أي إنه قيسي قح.

7 ـ 1911م: أبوه خلف الصالح.

8 ـ 1911م: أبوه خلف الخلو.

9 ـ هم بالتأكيد من بقايا عجل بن لُقيم من قبيلة بكر، التي قدم معظمها في القرن الأول بعد الهجرة إلى أعالي بلاد الرافدين (ديار بكر). يذكر عجل هنا (على دجلة) حتى في أواخر العصر الوسيط. صبح، الجزء الرابع، ص232.

10 ـ بقارة في نسبهم. قارن جدولهم أ 2 ج. وهم مستقرون وإن كانوا يمضون فترة من العام تحت الخيام. تعادوا مؤخراً مع الجيس. شيوخهم: نوري، حجو، أحمد الصحن، إبراهيم الجلّول.

11 ـ بقارة (ب 7). كانوا قبل ذلك في قطينة والجنيدية قرب رأس العين، ثم ارتحلوا من هناك.

12 ـ 1911م: مصطفى بن حماد الهندي.

يُعتبر التركمان القاطنون على البليخ من موالي الجيس، وسنعرج عليهم في الجزء الرابع من هذا الكتاب(*).

(*) لم يتم معالجة التركمان في الجزء الرابع ومن الأرجح أن هذا الفصل قد احترق أثناء الحرب العالمية الثانية. (ماجد شبّر).

البو عساف

تبع البوعساف في الماضي جيساً، ثم أحرزوا استقلاليتهم بعد الحرب العالمية. لكن الأعمال العدائية إستمرت بين القبيلتين حتى عام 1927م، عندما عقدت السلطات مصالحة بينهما. يعتبر خليل الأعرج شيخ مشايخ البوعساف، ويقع مسكنه في الطبّجية، غير أن حاكم القبيلة الفعلي هو ابن عمه موسى الحسين الأعرج. البوعساف مستقرون، لكنهم يمضون الصيف في الخيام، ويكسبون رزقهم من الزراعة ومن ثروة حيوانية تقدر بألفين إلى ثلاث آلاف رأس غنم. تقع معظم أماكن سكن القبيلة في الأراضي السورية، وهناك قسم صغير منها في تركيا. وهي تشمل مثلث تل أبيض ـ عين عيسى ـ شيخ حسن، حيث يمتلكون مجموعة قرى. ليس هناك معلومات دقيقة حول أصل القبيلة، وإن دلت أسماء تكويناتها على نسبها البدوي الأصيل.

البوعساف(1)

شيخ المشايخ: خليل الأعرج(2)

القبيلة	الشيخ	مكان التجوال	عدد الخيام
1ـ العجلان(3)	خليل الأعرج	الطبّجية	270
أ ـ الحبشان	خليل الأعرج	علي باجلية	70
ب ـ الخليفة	موسى الحسين الأعرج	صهلان	100
جـ ـ المطاردة		صهلان	60
د ـ الملاغفة		قراموخ	40
2ـ السالم الراشد(4)			290
أ ـ الفقرا	مصطفى العيسى	الهيشة/ صقيرو	90
ب ـ الواوي		عين عيسى	70
جـ ـ الظاهر	حمود الجاسم(5)	المنقلي	50
د ـ الرديني		شيخ حسن	80

ملاحظات حول جدول البوعساف

1 ـ تسجيل من عام 1913م، أسماء الشيوخ أخذت من تيربيه، ص128. لا يوجد على الخارطة أسماء الطبّجية، المنقلي، علي باجلية والهيشة. تقع الطبّجية وراء الحدود، ويقع المكانان الثاني والثالث على بعد كيلومترات قليلة جنوب غرب وجنوب صهلان. أما الهيشة فهي إلى الشرق من عين عيسى.

2 ـ 1913م: حسان الأعرج.

3 ـ أخلاف القبيلة القيسية التي تحمل الاسم نفسه (فوستنفيلد، جدول د 18)، والتي يرد ذكرها في شمال سورية خلال القرن العاشر.

4 ـ كان الشيخ عام 1913م هو جاسم المحمد بك.

5 ـ 1913م: جاسم العياش.

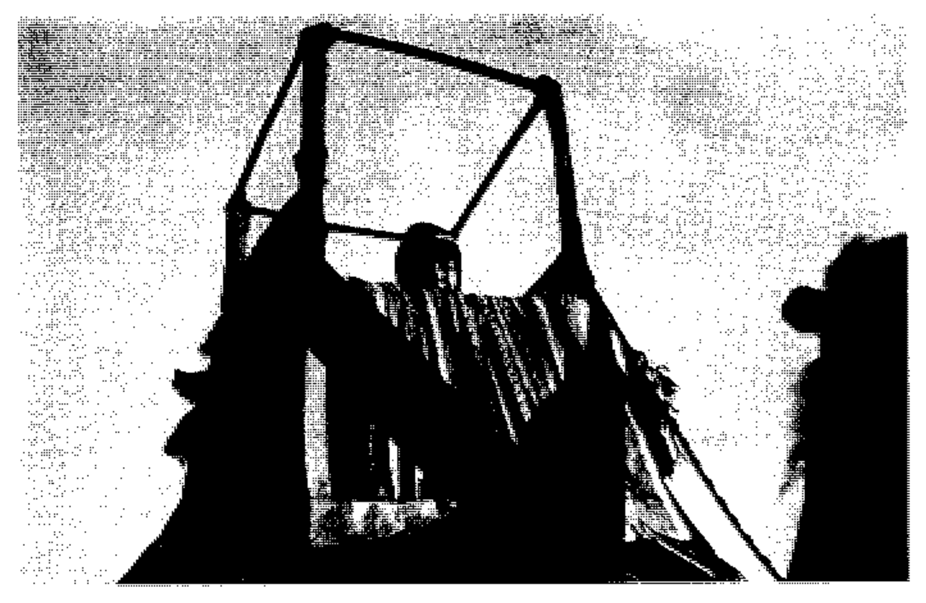
عدوان

يعيش في القسم الشرقي من حوض حران خليط متنوع من عرب وأكراد. يسيطر الأكراد على المنطقة، أما اتحادهم الأقوى فهو إئتلاف الملّية، الذي يتركز ثقله في ويرانشهر. تتبع هذا الإتحاد قبائل المنطقة العربية الصغيرة، كالحديدين والشمطا والنعيم والبقارة، والعدوان.

هناك حكاية حول قدوم قبيلة عدوان إلى المنطقة: كان عدوان، أبو القبيلة وسليل الحسين بن علي بن أبي طالب[1]، يعيش قرب بئر الهاداني في نجد، حيث تكاثرت ذريته إلى أن أصبحت قبيلة كبيرة. ذات يوم، إرتكبت امرأة من فخذ نعمات[2] خيانة زوجية أدت إلى قتلها وقتل من أغواها، ووقوع شقاق في القبيلة. أخيراً انفصل نعمات عن رفاقه في القبيلة، وانضم إليه واحد من أبناء أخيه اسمه ناصر. ترحل هؤلاء بخيامهم الأربعمائة إلى أن أقاموا في منطقة الموالي قرب حلب، الذين أرادوا التخلص منهم بالخداع. غير أن العدوان كانوا يقظين وردوا أعداءهم على أعقابهم بعد أن أدموا رؤوسهم. إلا أن القبيلة اضطرت، مع ذلك، إلى مغادرة المنطقة، فقصدت ضفة البليخ إلى جيس، التي تركتهم ينعمون بالهدوء أعواماً عديدة، قبل أن ينفجر بينهما صراع شديد هزم فيه العدوان. منذ ذلك

(1) ثمة شكل آخر مفعم بالخرافة لهذه المحكيات نقدمه في الملحق.

(2) إن التأرجح بين الشخص والقبيلة هو أمر نمطي في مثل هذه الحكايات.



خنيس (عدوان) زوجة محمود بيك، شيخ مشايخ الملّي (1929م)

الوقت، تسود بين القبيلتين عداوة لا زالت مستمرة إلى يومنا الحالي. ـ طفق العدوان يعيشون حياة التجوال من جديد، حتى قادهم الشريف عون[1] إلى ديرك، حيث وجدوا، أخيراً، ملجأً آمناً.

لا تقول الحكاية شيئاً كثيراً حول موطن العدوان ـ نجد منطقة واسعة جداً وبئر الهاداني (الهادانية) لا وجود لها على أية خارطة ـ. ولا تقول أيضاً أي شيء إطلاقاً حول أصلهم. وليس إرجاع نسبهم إلى أسرة إسلامية مقدسة إلا وسيلة يغطون بها افتقارهم إلى سيرة نسب حقيقية. صحيح أنه وجدت قبيلة قديمة جداً اسمها عدوان، عاشت في الجبال إلى الجنوب من مكة قبل أن تتم إبادتها في الحروب الوهابية التي شهدها مطلع القرن ما قبل الماضي (التاسع عشر). وصحيح أن قبيلة عدوان أخرى تكونت من جديد في العصر الوسيط، وسكنت ذات يوم في

(1) وفق محكيات أخرى، هاجر الشيخ نعمات نفسه إلى ديرك. وهو يبتعد أحد عشر جيلاً عن خلفه علي الأوزو (أنظر الملاحظة 7 عن الجدول).

شمال الحجاز ـ وتسكن اليوم شرق الاردن، كما تتناثر مزق منها في أماكن أخرى. ولكن إلى أي من هاتين القبيلتين انتسب المهاجرون؟. إذا كانت الحكاية لا تجيب على هذا السؤال، فإنها تقول شيئاً على الأقل عن الطريقة التي يفهم بها العدوان بناء قبيلتهم، فنعمات هو اسم أسرة شيوخ عشيرة الدحامسه، وناصر هو الشخص الذي منح اسمه للناصريين، الذين كونوا والنعمات شقي القبيلة الأصلية. أما الشريف عون، فهو كما يبدو الأب الأول للشرفاء المنضمين إلى العدوان.

تقع ديرك، المكان الذي أنهت الحكاية تجوال العدوان فيه، عند أقصى شمال منطقة انتشارهم ـ التي تصل في الغرب إلى البليخ، وفي الجنوب حتى جبل عبد العزيز. يمضي العدوان الصيف في الجبل شمال غرب رأس العين، ويذهبون في الشتاء إلى الجنوب الغربي ويصلون إلى تل أبيض. هكذا تقع أماكن إقامتهم الصيفية في الأراضي التركية، والشتوية في الأراضي السورية/ الفرنسية. وهم يجتازون الحدود بطريقة شرعية تنظمها اتفاقية عقدتها تركيا وحكومة الإنتداب. هناك قسم مستقر من العدوان، ويعيش عدد كبير من القبيلة في رأس العين.

تعود علاقات العدوان والملّية إلى القرن السابع عشر. وهم يرتبطون بعلاقة ولاء خاصة مع أسرة شيوخ الملية. لذلك، إنضمت العدوان إلى الدائرة الضيقة من القبائل، التي التفت بعد موت إبراهيم باشا (1908م) حول أبنائه، وبقيت وفية لهم رغم عواصف زمن ما بعد الحرب. هذه العروة الوثقى التي تشدهم إلى الباشاوات[1] أوهنت روابط القبيلة وأدت إلى تدني نفوذ قادتها، خاصة لدى عشيرتي الدحامسه والشرفاء، وأضعفت وحدتها، لأن أبنائها لم يتمكنوا جميعهم من اللحاق بالباشاوات عند هجرتهم من ويرانشهر إلى رأس العين.

ثمة تأثير كردي واضح على عادات وتقاليد العدوان[2]. ذلك أمر يبدو لنا طبيعياً، بعدما قلناه حول أماكن انتشارها وعلاقاتها مع الملّية.

---

(1) هكذا صار أبناء الباشا يسمون مؤخراً.

(2) تابع مارك سايكس: إرث الخلفاء الأخير، ص315.

العدوان(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
1 ـ **الناصريون(2)**	خلف العلو(3)	رأس العين	300
أ ـ الشاهر	خلف العلو		
ب ـ شناعة	شراف بن عبيد		
	خزيم العليص(4)		
جـ ـ المقن(5)	ابراهيم الحسين الحنظل		
د ـ الرديني	رحيل بن علي		
2 ـ **الدحامسه(6)**	عويد ابو شيبة	رأس العين	300
أ ـ نعمات	عويد ابو شيبة(7)		
ب ـ جداع	عويد أبو شيبة		
جـ	عياد الشولاق		
د ـ الجزامات	حمد الدريعي		
هـ ـ السيف الدين	نهيّر		
و ـ نصّية	عبيد العيسى		
ز ـ شبيل	براك بن قعود		
1 ـ العذه	براك بن قعود		
2 ـ العفارى	هليل الشويش		
3 ـ الوبر			
القبائل الملتحقة بها			
1 ـ الشرفا(8)	ثلاج بن هطليس		150
أ ـ الصبيحات	عبد الرحمن الصبيح(9)		
ب ـ الجفشم	شاوي المرو		
2 ـ البهيمة(10)	خليل العلو	ويرانشهر	100
أ ـ بني علي	خليل العلو		
ب ـ الساعدين			

ملاحظات حول جدول العدوان

1 ـ سجل أعوام 1913م، 1927م، 1929م (الراوي ـ بين آخرين ـ خلف العلو).

الفروع من ج د إلى و والتقسيم إنطلاقاً من 2 وليسا أكيدين تماماً. لا يرد اسم العدوان إلا نادراً في الأدبيات، من الأمثلة القليلة على ذلك ما نجده لدى روسو، ص71، الذي هو في الوقت نفسه أقدم ذكر لها. صرخة الحرب: ولاد علي! (وفي مصادر أخرى: العلوا!).

2 ـ يعيش 350 شخصاً من الناصريين كفلاحين في القرى شرق أورفة.

3 ـ يصف خلف نفسه كشيخ مشايخ العدوان، دون وجه حق، لأن الدحامسه والشرفا تابعون بصورة مباشرة للباشاوات، والبهيمة لا يخضعون له، كما تبين الملاحظة العاشرة. في السابق، كان لخلف منافس في شخص محمد (محمود) الحلو، الذي كان أبوه ـ حلو بن محمد بن عساف بن علي بن دجي بن محمد ـ عام 1913 شيخ الناصريين. أما خنيس، بنت خلف، فهي متزوجة من محمود بن إبراهيم باشا.

4 ـ إبن عم شرّاف.

5 ـ في التسجيل: المكن.

6 ـ يعيش مائتان من الدحامسه كفلاحين في ويرانشهر.

7 ـ إبن نعمات: 1913: علي العوزو (يسو) ابن محمد ابن نعمات؛ لم يبق حياً من هذا الفرع من العائلة غير شيخ واحد وهو رجب الحسّون، الذي يسكن في جديدة قرب ويرانشهر مع نيف وعشرين عائلة من القبيلة، يعملون في أملاكه.

8 ـ إلتحقت بالناصريين.

9 ـ كان أبوه برهو (ابراهيم) الصبيح شيخ مشايخ الشرفا عام 1913م.

10 ـ بسبب ارتباطهم بالملّية، فهم يعتبرون كقبيلة واحدة. يعيش أربعمائة من

البهيمة كفلاحين في ضاحية سوريك ـ لاحظ، بالمناسبة، اسم مكان قلعة البهيمة في تكتك.

ملحق

سمعت عام 1913م في ويرانشهر الحكاية التالية حول أصل العدوان: ذات يوم، جاء غريب إلى المدينة ونزل ضيفاً على علي ابن أبي طالب. لم يستطع علي تقديم الطعام له، لأنه لم يكن لدى أسرته ذاتها ما تأكله. عندما غادر الضيف فجر اليوم التالي، تبعه علي متنكراً وقد عزم على قتله، خشية أن يشهر بسوء ضيافته. أدركه علي، فسأله عن اسم الشخص الذي أمضى ليلته الأخيرة في ضيافته. أجاب الغريب أن اسمه كان علياً ابن ابي طالب، وأنه ذبح له خروفاً وخصه بكرم شديد. إنسحب علي تاركاً الرجل وشأنه، ثم عاد إليه وقد ارتدى ثياباً أخرى، وطرح عليه السؤال ذاته فتلقى الإجابة نفسها. بعد أن كرر محاولته للمرة الثالثة، أعلن عن نفسه وطلب إلى الغريب أن يبيعه كعبد، على أن يأخذ ثمنه كتعويض عن كرم الضيافة الذي لم يحظ به. ألح علي إلى أن وافق الضيف. بعد تجوال دام أياماً عديدة، بلغا مدينة كبيرة أظهر علي فيها قواه الخارقة، حين تصارع في سوقها مع أقوى رياضييها. إشتراه، عندئذ أمير المدينة بسعر مرتفع، بعد أن أعجب بقوته وسلوكه الرصين، واستقبله في قصره وزوجه من ابنته.

حملت الأميرة، لكن علياً أبى أن يبقى فترة أطول بصحبتها، وقال لها: "سأفارقك، لكنني سأترك لك هذه الأساور المرصعة بالأحجار الكريمة. فإن ولدت فتاة، كانت لك. أما إذا أنجبت صبياً، فضعي الأساور في معصميه حتى يمكن التعرف عليه بواسطتها، وقولي له إنه ابن علي العربي، وهو سيعرف كيف سيجد أباه ذات يوم". ثم قفل عائداً إلى المدينة.

ولدت الأميرة فتى قوياً أسمته محمد الحنيف، الذي تفوق على أقرانه، عندما كبر. ذات يوم، ضرب محمد ابن إحدى الأرامل، فعيرته قائلة: لو كنت تعرف أباك، لما كنت على هذا القدر من السوء تجاه أقرانك من الأطفال، يا ابن الأفاق والمغني الجوال.

ركض محمد الحنيف إلى أمه طالباً إخباره بحقيقة أبيه. إعترفت الأم أنه ابن علي العربي من المدينة. ثم وضعت الأساور في يديه، وأطلقته كي يبحث عنه.

تنقل محمد الشاب من مكان إلى آخر، إلى أن بلغ ضواحي المدينة، وقصد بستاناً يملكه علي ابن أبي طالب، الذي كان قد تسلق شجرة توت وأخذ يلقي بثمارها إلى ولديه الحسن والحسين. كان محمد الحنيف جائعاً، فأزاح الطفلين جانباً وانقض على حبات التوت. نزل علي غاضباً من الشجرة، وأمسكه من ساعديه. لاحظ أن للطفل قوة جسدية خارقة، فسأله من يكون ومن أين أتى. حكى محمد الحنيف قصته، وأخبره أنه غادر منزل أمه بحثاً عن أبيه علي العربي. سأله علي: وهل لديك علامة من أمك. أجاب الفتى: "هذه الأساور". عرف علي الحلي الذي كان قد أهداها إلى الأميرة، فأعطى الصبي طعاماً، ثم حمله على كتفيه وأخذ الحسن والحسين بين ذراعيه وعاد إلى المدينة.

عندما صار محمد الحنيف شاباً، خاض وأبوه الحروب ضد الكفار، الذين عجزوا عن قهرهما، ولم يجدوا بداً من القضاء عليهما بالخداع: فقدموا رشوة إلى إحدى جارات بيت علي، كي تحدث شقاقاً بين الأب وابنه. أخبرت المرأة الشريرة علياً في السر أن لصاً يأتي في الليل إلى بستانها ويسرق بذارها، وأضافت: "أنا أرملة فقيرة لا حامي لي غيرك، يا جاري". أعلن علي للتو إستعداده للسهر عند العجوز، وتخليصها من اللصوص. ذهبت المرأة إلى محمد الحنفية وروت له الحكاية ذاتها، فوعدها بدوره أن يحرسها في الليل.

بعد انتشار العتمة، ذهب الأب وابنه إلى البستان. حين التقيا في الظلمة، إعتقد كل منهما أن الآخر هو اللص الذي حدثته العجوز عنه. إنقض أحدهما على الآخر، دون أن يتبادلا كلمة واحدة، فاقتلع محمد الحنفية جذع شجرة ضرب علياً به وطرحه أرضاً. في اللحظة عينها، عرف أنه إنما ضرب أباه، فأقسم وهو يحس بالخجل من فعلته النكراء، أن يغادر المدينة إلى الأبد.

إنسحب الفتى إلى الصحراء وتزوج من ابنة بدوي، رزق منها بغلام أسماه

عدوان، صار الأب الأول للقبيلة التي حملت اسمه.

هذه الحكاية الخرافية، التي تتقدم هنا حكاية القبيلة، تنتمي إلى دائرة المغازي الأسطورية، التي تعود إلى العصر الوسيط والتي تدور حول حملات النبي[1]، التي بطلها شخصية تاريخية هو محمد ابن الحنفية: ابن علي من فتاة من قبيلة حنيفه.

يلعب محمد ابن الحنفية دوراً في الموروث البدوي، فهو الذي أسلمت على يديه تدمر وأرك، وهناك قبر في الموقع الأخير يقال إنه له، كما يرجع شيخ تدمر نسبه إليه. أنظر بلنت، الجزء الثاني، ص23، 38 وما يليهما. قارن أيضاً: رحلات الليدي استير ستانهوب، الجزء الثاني، ص138.

---

(1) جمعها ر. باريت في: أدب المغازي الأسطورية. بعض ملامح هذه الحكاية موجودة في القصة المروية في الصفحة 224 وما بعدها. «القتال ضد ملك الأشباح وحش الهندي». تشابهات أخرى نجدها في سيرة الظاهر، أنظر وانغلين، الكتاب الشعبي العربي عن الملك الظاهر بيبرس، ص264، 276.

بقارة

يستطيع المرء الإلتقاء بالبقارة في كل مكان بين حلب ودير الزور والموصل، رغم أن منطقتهم الأصلية كانت تقتصر على شمال وجنوب جبل عبد العزيز، باعتبار أن مستقراتهم بين حلب ومنبج كانت بمثابة مستوطنات خاصة بهم، بينما عاشت أجزاء القبيلة المخيّمة قرب حران وويرانشهر ونصيبين والخابور بين قبائل غريبة. ـ ينقسم البقارة إلى فرعين لا زالا على صلة وطيدة بعضهما مع بعض، مع إنهما لم يعودا يشكلان وحدة سياسية. هذان الفرعان يسميان: بقارة الزور، وبقارة الجبل (عبد العزيز).

يسكن الأولون على طول ضفة الفرات مقابل الدير، ويمارسون أنشطة زراعية مختلفة. وتصل أماكن انتشارهم صعوداً على النهر حتى تل الحميضه، وتعتبر عقلة مجحم آخر مواقعهم المائية في الأراضي الداخلية، حيث تعود ملكية بئر أبو مرير إلى العفاضلة. لو تبعنا مجرى النهر نحو الأسفل، لوجدنا مستقرات البقارة تختلط بمستقرات العقيدات، ولما عثرنا على حدود ثابتة تفصلهما. وتقع السعدوني، آخر قرى البقارة، على مسافة قريبة جداً من قرية العقيدات المسماة بصيرة. يغادر ملاك القطعان وادي الفرات في تشرين الثاني من كل عام ويتجهون شمالاً إلى جبلة البيضا (عين بيضا ـ أم مدفع). فإن وجدوا أن أبناء إبراهيم باشا وأتباعهم سبقوهم إلى الجبل أقاموا في منتصف الطريق في منطقة الذرو حتى حزيران، موعد رجوعهم إلى مناطقهم، فيما عدا البومانع (أ 1 الف ط) والبوشيخ (أ 3 جـ)، الذين لا يعودون إلى الفرات، بل إلى الخابور[1]. يشارك

(1) إنضم الأولون، البومانع، إلى جبور تلك المنطقة.



اسعد البشير. شيخ مشايخ البقارة . الزور (1929م)

شيخ المشايخ أسعد البشير في الترحال، علماً بأن مقره الصيفي موجود في الحوايج فوق الدير، حيث يمتلك أراضي واسعة.

قسمت منطقة البقارة إلى مديريتين تسهيلاً لإدارتها: ناحية الكسرة ويحكمها أسعد البشير وناحية مراط التي يديرها حسين الغنام. في غياب هذين، ينوب عنهما عبد الله السلمان وهنداوي المحمود القحيط.

يقيم بقارة الجبل شتاء في جبل عبد العزيز، وصيفاً في السهل الشمالي. ويمتلك شيخ مشايخهم أراضي قرب تل الرمان، يزرعها قومه. فيما عدا ذلك، يعيش هذا الفرع حياة بدو رحل. أما العشائر التي تسكن صيفاً على منحدرات الجبال الكردية، فقد انضمت إلى الملّية، بينما انفصل بعضها الآخر انفصالاً تاماً عن قبيلته الأم، مثل الجميلة والبوعاصي والبوشهاب.

محكيات البقارة فقيرة[1]. الشيء الوحيد المؤكد عنهم هو أنهم يسكنون منطقتهم الحالية منذ مئات كثيرة من السنين. وإن كانت إحدى حكاياتهم تخبرنا أن جدهم الأول سيد محمد قدم من الحجاز إلى الحسينية والشريعة[2]، وتزوج من امرأة من النعيم، بعد أن أتاه وحي عجيب أعلمه أنها مثله من نسل النبي. يجد النسابون في السيد محمد هذا محمد الباقر، إمام الشيعة الخامس الذي يقول رأي واسع الإنتشار في بلاد الرافدين إنه مدفون في دير الزور[3]. ربما أوحى رنين، تشابه لفظ، اسمَي باقر وبقارة بهذا التماثل[4]، على أنه لا بد من التمييز بين الأسمين، ما دام الباقر يعني "ذلك الذي ينقب عميقاً في الأرض"، في حين لا يعني اسم بقارة غير "رعاة البقر"[5]. لا

---

(1) سجلت فقط قصة واحدة هي قصة محمد المشهور وأمير الموالي.

(2) يشير الاسمان إلى موقعين مقابلين للدير.

(3) يماثل بأحد الأولياء المدعو أبو عابد، الذي يقع قبره في مقبرة الدير. ومن الملاحظ هنا أن شجرة نسب قبيلة البقارة تذكر لمحمد الباقر ابناً اسمه عابد.

(4) لا داعي لتقديم حجج لإثبات عدم صحة ما يقال هنا. ذلك أن محمداً الباقر توفي في العقد الرابع من القرن الثامن في الحميمه (بين العقبة ومعان)، ودفن في المدينة. وقد أخذ أحد الرواة هذا بالحسبان، عندما ذكر أن محمداً الباقر لم يهاجر إلى الشريعة، بل هاجر خلفاؤه.

(5) من الممكن، على كل حال، إشتقاق اسم بقارة من اسم شخص يدعى بقار، خاصة وانه يوجد قبر في جبل عبد العزيز لشيخ اسمه بقار.

يتفق اسم بقارة مع ظروف حياة القبيلة الراهنة[1]، التي لم تعد تربي غير الخراف والجمال. ولكن لعل الأمور كانت مختلفة عن ذلك في الماضي، إذ أن تربية الأبقار مورست منذ الأزل على الفرات.

يعيش البقارة في وئام مع معظم جيرانهم. لكنهم على عداء مع قيس وعنزة (الفدعان ـ العمارات)، الذين تبادلوا الغزو معهما خلال العقد الأخير. في حالات العسر، يلجأ البقارة إلى الملّية، الذين اتحدت أقسام منها معهم بشكل دائم. هؤلاء المتحدون مع الملية لا يدفعون إتاوات، بينما يدفع جميع البقارة الآخرون خوة زهيدة جداً تذهب إلى أسرة آل العمرو الشمّرية[2].

تعتبر علاقات البقارة مع حكومة الإنتداب السورية طيبة اليوم. في الزمن المضطرب، الذي أعقب الحرب العالمية، جرت حوادث ومصادمات[3] إنتقل خلالها عيسى السليمان، شيخ مشايخ بقارة الجبل، إلى الأراضي التركية. لكنه رجع بعد عامين، واستقبله الفرنسيون بحفاوة.

يوجد بين البقارة عدد من السادة، يعاملون كأولياء ويعيشون من إعطيّات أبناء قبيلتهم. يرجع نفوذ هؤلاء إلى اقتران شجرة نسب البقارة بالولي أبو عابد، أي بمحمد الباقر.

مشجرة نسب البقارة

للبقارة موروث أنساب غني. ويستطيع شيخ مشايخ بقارة الجبل ذكر 14 سلفاً له، والعودة بنسبه إلى محمد الباقر. كما أن أسلاف أسعد البشير وغيره من شيوخ العابد ـ عشيرة بقارات الزور ـ معروفون بقدر يمكننا من رسم صورة واضحة لعلاقاتهم النسبية. إلى هذا، توجد كذلك بين أيدينا شجرة نسب الشيخ مشهور (أ ـ 2 حـ)، الذي سنتحدث عنه فيما بعد.

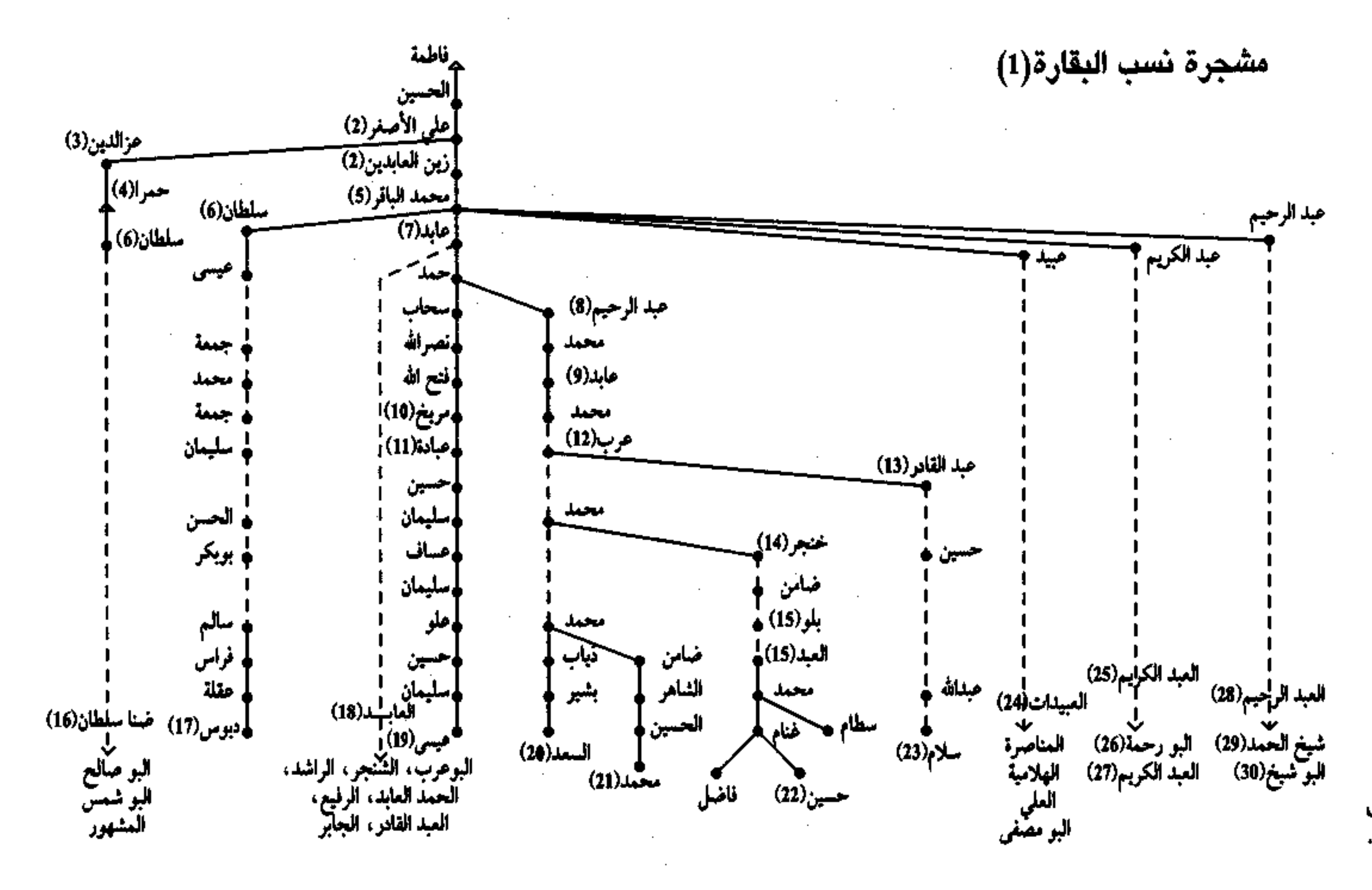
---

(1) خلاف ما هو موجود لدى بقارة السودان المصري، حيث يتطابق فعلياً الإسم والوظيفة. لا شأن لهؤلاء بقبيلتنا.

(2) أنظر إضافات وتصحيحات، حول الصفحة 245 و250 ـ 252.

(3) فيكتور مولر: في سورية مع البدو، ص142.

مشجرة نسب البقارة(1)



ملاحظات حول مشجرة نسب البقارة

1 ـ راوي نسب القبيلة ونسبه الخاص أيضاً هو عيسى السليمان. أما سلاسل أسلاف دبوس العقلة وأسعد البشير فهي من روايتهم ورواية أقاربهم.

لإبراز أنساب القبائل، طبعنا أسماءها بأحرف كبيرة، ورسمنا خطوط اتصال الأسلاف الذين منحوا القبائل أسماءهم، مع هذه القبائل بشكل منقط. بالنسبة للأنساب الشخصية، إعتبرنا سلسلة أسلاف عيسى السليمان كاملة، وأدرجنا انطلاقاً منها الأجيال الناقصة في شجرة النسب.

2 ـ علي الأصغر وزين العابدين هما في الواقع الشخص نفسه.

3 ـ يرى آخرون في عز الدين ابناً لزين العابدين.

4 ـ إحدى الحالات النادرة، حيث يتواصل النسب من خلال امرأة.

5 ـ هنا، أو بالأحرى مع سيد محمد (أنظر ص359 أعلاه)، تنتهي سلسلة أسلاف دبوس العقلة وأسعد البشير.

6 ـ السلطانان هما الشخص نفسه. أما إزدواجية اسميهما فتأتي من كون حامل النسب الشخصي، دبوس العقله، جعل أسلافه ينحدرون من سيد محمد (محمد الباقر) بدل أن ينسبهم إلى حمرا. (أنظر الصفحة 364).

7 ـ أنظر الصفحة التالية 364.

8 ـ الشخص الذي أخذ ضنا عبد الرحمن اسمهم منه (أ 1).

9 ـ الشخص الذي أخذ العابد اسمهم منه (أ 1 ألف).

10 ـ الشخص الذي أخذ المريخات اسمهم منه (ب 6).

11 ـ الشخص الذي أخذ العبادي اسمهم منه (ب 1).

12 ـ الشخص الذي أخذ البوعرب اسمهم منه (أ 1 ألف 1، ب).

13 ـ الشخص الذي أخذ العبد القادر اسمهم منه (أ 1 ألف جـ).

14 ـ الشخص الذي أخذ الخنجر اسمهم منه (أ 1 ألف جـ).

15 ـ ليس مؤكداً أن بالو والعبد اسمان لشخصين مختلفين.

16 ـ أ 2. في الجدول فرعان إضافيان. قارن ملاحظة رقم 26.

17 ـ شيخ المشهور (1 2 جـ).

18 ـ (أ 1 ألف)، الجدول فرعان إضافيان، لكننا لا نجد هناك الجابر، أي أعضاء أسرة أسعد البشير.

19 ـ شيخ مشايخ بقارة الجبل.

20 ـ شيخ مشايخ بقارة الزور.

21 ـ شيخ البوعرب.

22 ـ شيخ الخنجر.

23 ـ شيخ العبد القادر.

24 ـ أ 1 باء: في الجدول فرع إضافي.

25 ـ ليس في الجدول.

26 ـ يذكر في الجدول تحت اسم ضنا سلطان (أ 2 د، هـ).

27 ـ في الجدول تحت ضنا حمد (أ 3 ب).

28 ـ غير موجود في الجدول.

29 ـ غير موجود في الجدول.

30 ـ في الجدول تحت ضنا حمد (أ 3 حـ).

إلى جانب هذه الأنساب الشخصية، للبقارة شجرة نسب مشتركة يشبه بناؤها بناء شجرة نسب عنزة، فهي تتضمن ثلاث سلاسل فقط، يأتي على رأسها محمد الباقر، ثم يظهر في السلسلة الثانية ـ أبناء أب القبيلة الأول ـ أسماء من أعطوا العشائر اسمهم (عابد لدى العابد. . . إلى آخره) وفي السلسلة الثالثة العشائر ذاتها.

أما الفروع التي تنقسم هذه إليها، فهي تذكر بدورها، إلا أنها لا تشكل جزءاً من نظام الأنساب. إلا أن هذا يمكن مواصلته نحو الأدنى، لأنه يمكن العثور على الذين منحوا الفروع (الأفخاذ) أسماءهم (عرب لدى البوعرب... الخ) في أنساب الشيوخ. (أنظر الملاحظات من 12 إلى 14 حول شجرة النسب).

إن الاختلاف بين ترتيب الأنساب هنا وذلك المذكور في الجدول كبير إلى حدّ ما. وهذا أمر طبيعي لأن الشجرة تعكس وضعاً أقدم. من العشائر الخمس، التي يرد ذكرها فيه، لم يعد هناك غير ثلاث، وقد اندثرت أفخاذ والتحقت أخرى بالقبيلة... إلخ[1]. غير أن الفارق الأهم هو أن جميع عشائر بقارة الجبل لا وجود لها في شجرة النسب. هذه ظاهرة ترجع بالتأكيد إلى أن هذه العشائر تعامل في شجرة النسب وكأنها أفخاذ. إذا كان هذا الإفتراض صحيحاً، وجب أن نعثر على أسماء آبائها الأوائل في أنساب شيوخها. لكنه لا يوجد، للأسف، غير واحدة منها فقط، لكنها تحمل بالفعل أسمَي الأبوين الأولين لعشيرتين (أنظر الملاحظتين 10 و11 حول شجرة النسب).

بالمقابل، ليس مفهوماً لماذا لم تذكر شجرة النسب من المجموعات التي أدرجت في الجدول كعشائر مثل ضنا عبد الرحيم، ضنا سلطان، ضنا حمد سوى ضنا سلطان فقط. وتجدر الإشارة إلى أن ضنا سلطان لهم وضع خاص: فهم ليس لقبيلتهم جد أول وإنما جدة أولى (أم) هي حمرا بنت عز الدين[2] وعز الدين يظهر في شجرة النسب بصفته عم محمد الباقر. وبذلك فإن ضنا سلطان ليسوا من أبناء البقارة وإنما من أقربائهم. وبما أنه لا يعتد بالمرأة في النسب، قام الضنا سلطان برد نسبهم، بكل بساطة، إلى سيد محمد، أي إلى محمد الباقر، كسلف لهم، على حد قول دبوس العقله، شيخ المشهور[3]. لكن عيسى السليمان، أفضل نسابة

(1) التفاصيل في الملاحظات حول شجرة النسب.

(2) سيقابلنا من جديد كأب لقبيلة النعيم.

(3) ثمة تصوير لذلك في الأسطورة المذكورة عن زواج سيد محمد من امرأة النعيم. هذا ما أخبرنا به أيضاً دبوس العقلة.

القبيلة، ينكر هذا النسب من أصله.

في الجدول التالي، قمنا بمحاولة لإدراج شجرة نسب البقارة في أنساب شيوخها، مستعينين بمعطيات قدمها لنا عيسى السليمان؛ توصلنا بواسطتها إلى أن أب عشيرة العابد يظهر مرتين[1]: في السلسلة 6 كحلقة في نسب القبيلة[2] وفي السلسلة 10 كحلقة في نسب شخصي. وهذا تناقض يرجع إلى منهج ذكر الأنساب، حيث يذكر من منحوا القبائل والعشائر أسماءها كـ "أبناء" أو "أحفاد" أو "أحفاد أحفاد" لأب القبيلة، ويهمل عن عمد موازنتهم بعضهم ببعض.

البقارة

أ ـ بقارة الزور(1)

شيخ المشايخ: اسعد البشير

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ ضنا عبد الرحيم(2)			
ألف ـ العابد			
أ ـ البوعرب(3)	أسعد البشير(4)	الحوايج	40
ب ـ البوعرب(4)	محمد الحسين	الحسينية	40
جـ ـ الخنجر(5)	حسين الغنام(6)	مراط	100
د ـ العرب العلي(7)	حسين الغنام	مراط	100
هـ ـ الراشد(8)	هنداوي المحمود القحيط(9)	مظلوم	100

(1) يجب أن ينتج الشيء ذاته بالنسبة للعشائر الأخرى، لو توفرت أنساب شيوخها.

(2) للأنساب الشخصية أيضاً، في الظاهر. لكن هذا التطابق يقوم أولاً وأخيراً على غلطة ارتكبها نسابو البقارة، الذين ماثلوا جد القبيلة الأول مع اسم مشابه لابن محمد الباقر.

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
و ـ الحمد العابد	دعبول الخلف(10)	السفيرة	100
	سلطان الجاسم	السفيرة	100
ز ـ الرفيع(11)	ساير الكبش(12)	الطابية	50
حـ ـ العبد القادر	سلام العبد الله	أبو سفير	40
ط ـ البومانع(13)	حسين المشيح	أم رقيبة	60
باء ـ العبيدات			
أ ـ جاسم العبيد(14)	رجب الجاسم	الهرموشية	230
ب ـ المناصرة	عبد السالم(15)	الكسرة	120
جـ ـ الهلامية(16)	فريح الهامس السودا(17)	الزغيّر	90
د ـ العلي(18)	شلال الصالح الفارس		150
هـ ـ البومصعى(19)	عبد الله الخلف العساف	الحوايج	130
	عبد الله السلمان الخلف المصعاوي(20)	الحوايج	130
2 ـ ضنا سلطان			
أ ـ البوصالح(21)	بدر العبد الله	الكبر	300
ب ـ البوشمس(21)	شلال الحمد	الحلقة	40
جـ ـ المشهور(22)	دبوس العقلة(23)	الصعوة	50
د ـ البورحمة(24)	جاسم العبد الله السمين	الطابية	100
	حميد السليمان السهو	الطابية	100
هـ ـ البورحمة(24)	صالح المحمد الأويس	السعدوني	100
و ـ البوخير الله(24)	صالح الحمد الأويس	السعدوني	
التحق بها			
الملاك(25)	الحجي الحسين	الجزرة	50
3 ـ ضنا حمد(26)			

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أ ـ البوحسن(27)	فندي الحمد الذويخ(28)	حمار	40
ب ـ العبد الكريم	رياش الجاموس(29)	جديدة البقارة	250
جـ ـ البوشيخ(30)	علي الصالح الجضعان الزوري	الحسكة	300
	محيمد القناص	الطابية	
4 ـ البوحمدان(31)	نايف الغادو	الطابية	200
	واوي الشواش	الطابية	
5 ـ البومعيش32)	خالد الحمى الطلاع(33)	المعيشية	300
أ ـ العرايا	خالد الحمى الطلاع		150
ب ـ العبيديون	سلمان الدايح		70
جـ ـ البو غيث	هايس الخاير		70
6 ـ البوبدران(34)	ظاهر الملا عبد	حطلة	250

ب ـ بقارة الجبل(35)

شيخ المشايخ: عيسى السليمان

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
1 ـ العبادي	عيسى السليمان	صيفاً: رأس العين. تل الرمان. شتاءً: جبل عبد العزيز	
أ ـ السلمو(36)			100
ب ـ البليج(37)			60
جـ ـ السلاطين(38)			50
د ـ الهول			60

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
2 ـ الوسيلة(39)	عيسى السليمان	رأس العين، تل الرمان صيفاً وجبل عبد العزيز شتاء	150
3 ـ الحجو(39)	عيسى السليمان		40
4 ـ البوعاصي(40)	سميرا العاصي	جفجغ	140
5 ـ الحمدان	أحمد المحمد الذياب	رأس العين	80
6 ـ المريخات	رمو الحمادة		80
7 ـ الجميلة(41)	عيسى بن حماد الهندي	حران	
8 ـ البوشهاب(42)	علي الملوح	نصيبين	160
قبائل بقارة الجبل التابعة لأبناء ابراهيم باشا(43)			
9 ـ الفراجنة(44)	عزيز البطران	شمال شرق رأس العين صيفاً	
	عزيز البطران	جبل عبد العزيز شتاة	
أ ـ الفراجنة	عزيز البطران		50
ب ـ البومحمد	عزيز البطران		200
جـ ـ الروتان	إبراهيم الحسين		200
د ـ البساطات	علي الدرسو		100
10 ـ البوسلام(45)	صالح العزيز	ويرانشهر صيفاً جبل عبد العزيز شتاء	
أ ـ البوسلام	صالح العزيز		
ب ـ الصوفيان	صالح العزيز		100
جـ ـ الحمد الحسين	محمد الحسى	رأس العين	50
د ـ البوعلو	علي الجاسم		60
11 ـ العبيّة	اسماعيل بن محمد البكر	ويرانشهر	80

ملاحظات حول جدول البقارة

1 ـ سجل الجدول يوم 20 أيار عام 1929م. الراوي: خضر الديري من فخذ الراشد من عشيرة عابد من ضنا عبد الرحيم. وقد تم ضبط التسجيل واستكماله من حين لآخر عبر تسجيل تم تدوينه عام 1927م، رواه شيخ مشايخ بقارة الجبل عيسى السليمان. يعلمنا تسجيل سابق للحرب أن القبيلة لم تعرف منذ ذلك الوقت تغيراً جوهرياً، سواء فيما يتعلق بتراتبها أو توزيعها. إن قسماً من المستقرات[1] المذكورة في الجدول (؟)، يظهر في سالنامه حلب عام 1287هـ/ 1870م (مجلة Zdpv الجزء 23، ص37 وما يليها). يؤكد تيربيه الصحة التقريبية لعدد الخيام (3460) ويقول إنه كان 2500 خيمة. إذا قارنا هذا مع معطيات أقدم (نيبور: وصف رحلة، الجزء الثاني، ص419 :900 خيمة (ص124). جدول شبرنغر: 1500 مسلح للقبيلة كلها، لعلمنا أن البقارة شهدوا نمواً كبيراً.

صرخة الحرب: عايد ذباحه!.

2 ـ ليست ضنا عبد الرحيم، وضنا سلطان، وضنا حمد غير تجميعات مثالية مضمومة، إلى بعضها نظرياً على أساس النسب، دون أن يكون لها طابع قبائل حقيقية.

3 ـ الوسم: | على الأذن اليسرى، مع شق.

4 ـ سلفه: أبوه حسين الشاهر.

5 ـ الوسم: + على الساق اليمنى.

6 ـ 1927: أخوه فاضل. 1911م/ 1912م عمهما سطام.

7 ـ يذكر في تسجيل واحد فقط.

---

(1) الأماكن موجودة في خريطة موزيل (بلاد الرافدين الجنوبي) باستثناء سفيرا، مظلوم، الجديد، السعدوني. المكان الأول موجود فوق الدير والأماكن الأخرى تحتها.

8 ـ الوسم: ┼ على الساق اليمنى، و ┌ قرب العين اليمنى.

9 ـ 1912: محمود القحيط.

10 ـ 1912: أبوه خلف الحسن.

11 ـ الوسم ٩ على الجانب الأيمن من العنق.

12 ـ يسكن ساير نفسه عند الحوايج.

13 ـ = جدول الزبيد أ 1 ؛ 7.

14 ـ الوسم: ∩ على الأنف و | بين العين اليمنى والأذن.

15 ـ 1927م: أسعد العقيل. 1912م: أبوه عقيل الفهد. ظهر أن أسعد، الذي كانت أخته متزوجة من شيخ مشايخ بقارة الجبل، لا يصلح، فاستبدله الفرنسيون بعبد السالم.

16 ـ الوسم: || على الساق اليمنى.

17 ـ 1927م: ثري العلي.

18 الوسم: U| على الجانب الأيمن من العنق.

19 ـ الوسم | واحد على جانبي العين اليسرى.

20 ـ لا زال سلفه عياش الأسعد المصعاوي حياً، لكن القبيلة ترفضه.

21 ـ الوسم: ┼ على الساق اليمنى.

22 ـ القبيلة الأم لمشهور البليخ، الملتحقين بقيس. أنظر جدول قيس.

23 ـ سلفه: عمه علي رمضان. عينت الحكومة دبوس قاضياً على بقارة الزور جميعهم.

24 ـ الوسم: ┼ على جانب العنق الأيمن.

25 ـ تلفظ "ميلاتش"، وهو في الأصل من طي، وهم مندمجون منذ 8 ـ 9

أجيال عبر الزواج بالبوشمس والبوصالح، الذين يخيمون معهم أيضاً. لا يمتلكون أية جمال، لذلك ليس لديهم وسم.

26 ـ يُحسب مع الضنا حمد أيضاً البوفرج المقيمون في حي باب النيرب بحلب، والبوفاضل في حي الجوبه بالموصل.

27 ـ الوسم: | على جانبي العين اليمنى.

28 ـ ذويّخ؟.

29 سلفه: مفرّج الجاسم.

30 ـ في الماضي عند الحوايج، الآن على الخابور بصورة دائمة. الوسم: على الساق اليمنى.

31 ـ أصل غير مؤكد. الوسم: || على جانب العنق الأيمن. يوجد مجموعة ثانية من البوحمدان قرب الدحليه شرق عرّاضه يرأسها الشيخ داوود الحسن.

32 ـ عنزة بحسب أصلهم. إندمجوا بعد أحد عشر إلى اثني عشر جيلاً في البقارة. الوسم: X على الساق اليسرى.

33 ـ 1912م. أبوه حومه (فعلاً!) الطلاّع.

34 ـ يسكن فرع من البوبدران برئاسة الشيخ عبد الله ابن حمد العلّص (العليص؟) سبع قرى في سهل مقابل للموصل.

35 ـ سجل عام 1927م. الراوي: عيسى السليمان. صيحة حرب بقارة الجبل: عايد يا بقارة!.

36 ـ بعد وفاة الشريك السابق في المشيخة ملا علي السلمو خضع الفرع لعيسى السليمان مباشرة. يبدو أن علي بن محمد الحسن العلو يمارس نوعاً من نيابة الشيخ.

37 ـ 1912م، تمت قيادة الفخذين من قبل الأخوين سلطان وحسين الحمد.

وقد مات سلطان وأقصي حسين، بسبب تقدمه في السن.

38 ـ إنتقل قسم منهم إلى منطقة منبج وسكن هناك تحت اسم البوسلطان. أنظر: تيربيه: ص176.

39 ـ حل عيسى السليمان محل الشيوخ السابقين.

40 ـ جدول طي أ 11. مع مراعاة وجود تباين في أسماء الشيوخ.

41 ـ جدول جيس (قيس) قبائل ملحقة 2.

42 ـ جدول طي، أ 10.

43 ـ هذا يعني أنهم ينتمون إلى الدائرة الأوثق من الملّي، التي يمارس أبناء إبراهيم باشا سلطة حقيقية وليست اسمية عليها. بالمناسبة، كان عدد من انضموا من البقارة إلى الملّي أكبر قبل الحرب العالمية.

44 ـ كتبت قراجين في حالات كثيرة ص41. وهم يمتلكون قرية هيشري غير البعيدة عن زرقان.

45 ـ يسمون أيضاً البوسلامه. ويذكرون في اتحاد الملّي تحت اسم بقارة.

حــرب[1]

تشبه مجريات تاريخ حرب ما تعرفنا عليه من تاريخ العدوان. تنحدر حرب، كالعدوان، من غرب جزيرة العرب. وقد اخترقت، مثلها، سورية إلى أن بلغت منطقة منابع الخابور مروراً بحلب.

تعرف حرب قبيلتها الأم بدقة. إنها إتحاد حرب الحجاز القوي، الذي سكن بين مكة والمدينة منذ مطلع العصر الوسيط. تقول حكاية ترحال القبيلة إن محمّداً من أسرة الفرم وجه قبل أربعمائة عام ضربة قاتلة إلى قريب له، فخاصمه قومه[2] وأجبروه على مغادرتهم. أخذ محمد، الذي سمي منذ تلك اللحظة الطارق، عدداً كبيراً من العبيد وثلاثمائة جمل وخيمة بخمسة أعمدة[3]، ورحل بصحبة ولديه حمد ومحمد، إلى أن بلغوا حلب، حيث مات. بعد وفاته، حدث انشقاق آخر: فقد استقر محمد الصغير في منطقة حلب، حيث تمكن أحد خلفائه من اكتساب لقب شيخ عند عنزة وصار الأب الأول لعائلة ابن هديب، شيخ السبعة ـ العبدة. أما حمد فقد رحل مع جماعته إلى بلاد الرافدين وسكن في العرّاضة.

تستند هذه الحكاية إلى خلفية تاريخية ملموسة: فسلالة فرم ما زالت مزدهرة

(1) ونادراً بني حرب.

(2) حافز نمطي لقصص تأسيس القبائل.

(3) هذا هو حجم خيمة شيخ محترم، علماً بأنهم لا يحسبون غير الدعائم الوسطى في الاتجاه الطولي للخيمة.

حتى اليوم بين حرب نجد، والفرع الذي خلفه المهاجرون في حلب ما زال موجوداً بالفعل، حيث انضم قسم منهم إلى الحديدين المقيمين هناك. إلا أن تحدر آل "ابن هديب" من هؤلاء الحرب يبدو أمراً غير قابل للتصديق، إلا إذا كانوا قد قدموا إلى السبعة في القرن التاسع عشر، فترة قدوم هؤلاء إلى سورية. مع ذلك، ربما كان آل "ابن هديب" يتحدرون فعلاً من حرب، أو من فرم جزيرة العرب[1]: الموطن الذي عاش فيه الحرب والسبعة طوال قرون في جيرة وثيقة. لا تقول المرويات شيئاً حول أصل عشائر حرب بلاد الرافدين الثلاث: نصيل، والبوسالم، وفارس[2]. ذلك يضعنا أمام فارق جوهري بين حكاية حرب وحكاية هجرة عدوان، التي يشارك فيها أسلاف نصف القبيلة، بينما لا تعدو محكيات حرب أن تكون، في الحقيقة، محكيات أسرة واحدة هي أسرة شيوخ النصيل، التي تستمد نسبها من محمد الطارق[3].

تفتقر حرب إلى التماسك. كما فقدت أقسامها الثلاثة استقلاليتها، فانضمت فارس، التي تسكن منطقة نصيبين، إلى طي منذ فترة طويلة، وانضم البوسالم مؤخراً إلى قبيلة خليجان (من الكيكي) الكردية، التي تقع قريتهم بنياس (على الزرقان) في منطقتها، وتبعت النصيل، ومسكنهم الرئيس في العراضة، الملّية، أو كانوا تابعين لهم طوال فترة حكم إبراهيم باشا في أقل تقدير، الذي رافقه بعضهم أثناء موكبه الشهير إلى دمشق[4]. في ذلك الوقت قاد محمد العقوب، ابن أخ الشيخ عبد العزيز، بتكليف من إبراهيم باشا مفاوضات بالمراسلة مع زعماء حرب الحجاز، دون أن يهمل تذكيرهم، في هذه

---

(1) بالمناسبة، يوجد هناك أيضاً أسرة شيوخ ابن هديب.

(2) عدا الإرتباط مع قصص الترحال، يحكى من حين لآخر أن نصيل وسالم وفارس أخوة.

(3) أنظر الأنساب في الملاحظة الثانية من الجدول. وقد استنتج منها أن موعد الهجرة كان "قبل أربعمائة سنة"، لأن البدو يحددون كل جيل بأربعين سنة، بذلك مرت عشرة أجيال قبل أن نصل إلى محمد الطارق.

(4) أرسلت الحكومة إبراهيم باشا عام 1908م إلى جزيرة العرب، كي تتخلص منه، وتحمي خط حديد الحجاز من البدو. في اللحظة الأخيرة، أحس الرجل بالخطر ونجا بجلده، بأن عاد فجأة مع قومه من دمشق.

عبد العزيز شيخ حرب (1913م)

المناسبة، بالقرابة القديمة التي تربطهم بعضهم إلى بعض. كما أن الرباط الذي شد حرب إلى آل "ابن هديب" لم ينقطع أبداً، وحين عانى الحرب من هجمات وإغارات الكيكي، عرض العبدة نقل "أقاربهم" مع كل ما يملكون على جمالهم إلى سورية.

تمارس حرب تربية الأغنام. كما يعمل رجالها رعاة في خدمة غيرهم؛ كانوا يرعون عام 1913م قطعان وجيه من ديار بكر ومسيحيي تل أرمن. وقد عملوا، شأن بقارة الجبل والشرابين والنعيم، في حفريات تل حلف.

حرب (1)

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
1 ـ النصيل	أحمد العبيدو	زرقان	400
أ ـ السواديج(2)			
ب ـ الجريج(3)			
جـ ـ الطويلة			
د ـ البوجابر	اسماعيل الحجي		
هـ ـ الراشد(4)			
2 ـ البوسالم(5)	خليل العبود		500
أ ـ الزقيم		بنياس	
ب ـ الحيان		بنياس	
جـ ـ البومهنا		الهلالية	
3 ـ الفارس(6)	أحمد العبد الله الحاج(7)		
	عقوب	نصيبين	500
أ ـ الجمو الدرويش			
ب ـ السالم السليمان			
جـ ـ البوحمو			

ملاحظات حول جدول حرب

1 ـ سجل عام 1913م (الراوي: الشيخ عبد العزيز من النصيل). إستكمل عام 1927م و1929م. يرجح أن يكون عدد الخيام مبالغاً به. عام 1913 قدر عدد خيام النصيل بمائة والبوسالم بمائة وخمسين. صيحة الحرب: أخوات السودا!.

2 ـ 1913م: عبد العزيز بن يوسف بن محمد بن يونس بن يوسف بن حسن بن يونس بن علي بن نصيل بن حمد بن طارق محمد بن حمد.

3 ـ الجريج والطويلة هما على الأرجح أقسام من السواديج. عام 1913م، كان للثلاثة شيخ مشترك هو مبارك الحمشي.

4 ـ إنضمت إلى ملّية الخضر (الخضرقان).

5 ـ ذكرها نيبور: جزيرة العرب، ص393. هذا أقدم ذكر لحرب في بلاد الرافدين، وربما كانت الوحيدة في المراجع، فضلاً عن الحالات المذكورة في الملاحظة السادسة.

6 ـ ذكر الفارس في جميع تسجيلات حرب، مع انهم، من جهة أخرى، يذكرون دوماً في جداول طي تحت اسم عشيرة اسمها حرب (أ 6 في جدول طي). إن انتماءهم في النسب والسياسة يبدو في هذه الحالة على درجة واحدة من القوة.

7 ـ 1913م: عبد الله العقوب. يذكر عضو أقدم من العائلة، هو محمد العقوب، في أغنية موجهة إلى شيخ طي سليمان، ديوان من وسط جزيرة العرب، رقم 112، البيت 9.

شرابين

تشكل قبيلة الشرابين، المنتشرة على الخابور الأعلى وحتى دجلة، تركيباً شديد الهشاشة. وتعيش أقسامها متجاورة دون أية صلة بعضها مع بعض، ينقصها الميل إلى التضامن والتجمع. لذلك فشلت أسر شيوخها جميعها في فرض نفسها على دائرة واسعة، ويوجد غالباً عدد من الشيوخ المتنافسين داخل كل واحدة من عشائرها[1]، ويتقاسم عدد من الزعماء لا يقل عن ستة السلطة لدى الطاهات. تعاظمت انقسامات القبيلة مع تغلغل الطرق الأخويّة «تجمع ديني»، وبسبب المكانة المتميزة التي يحظى بها أبناء الأسر المنتمية إليها. ويبدو أن القبيلة تعيش منذ فترة طويلة في أوضاعها هذه[2]، لسبب غير معروف بعد. أمايجهل الشرابين أنفسهم فيجهلون كل شيء حول هذا الوضع، مثلما يجهلون كل شيء تقريباً عن ماضيهم. وأما حكاياتهم المتناقلة فلا تدل إلا على السهولة التي يمكن بها اختلاق أنساب لقبيلة تفتقر إلى تاريخ.

يقول الشرابين إنهم والجبور من أصل واحد. يرجع هذا إلى حقيقة أن كثيرين منهم يعيشون مع الجبور ويرتبطون بهم بهذا القدر أو ذاك. أما النظرة الواسعة الإنتشار، التي تنسبهم إلى قبيلة سعد بن بكر بن هوازن العربية القديمة[3]، فترجع

---

(1) ظاهرياً لدى الشرابين الغربيين وحدهم. ولكن إذا كان هناك تسجيل دقيق للشرابين الشرقيين، فإنه ستكون هناك النتائج ذاتها بالنسبة لهم أيضاً.

(2) تابع نيبور: وصف رحلة، الجزء الثاني، ص419.

(3) فوستنفيلد، الجدول ف 12.



الشرابين (1929م)

إلى قصة إسلامية تقول إن النبي محمداً أمضى سنوات عمره الأولى في القبيلة، لأن أمه سلّمته إلى مرضعة من سعد، جرياً على تقاليد أسر مكة العريقة[1]. حالياً، تحرص نساء الشرابين على قبول أطفال شيوخ غرباء أو وجهاء مدينيين لإرضاعهم مقابل أجر، وهو عرف غير مألوف لدى القبائل الأخرى ويتطلب تفسيراً. وقد فسرته القبيلة من خلال المثال الذي تقدمه الحكاية، واستنتجت من هذه الوظيفة المشتركة أصلاً مُشتركاً يجمعها إلى هوازن، وهو استنتاج لا سند له. ربما بدت هذه الفكرة البدوية مثيرة في نظر الشرابين، الذين يجعلهم تحدرهم من سعد أقرباء النبي ذاته، باعتبار أن قرابة الرضاعة تماثل عند العرب قرابة الدم.

هناك أيضاً قصة هجرة قصيرة تقول إن الشرابين أتت "قبل أكثر من مائتي عام" إلى بلاد الرافدين، واستقرت أول الأمر عند تل أبو بكر (غير بعيد عن

(1) بقي العرف لدى شرفاء مكة إلى الأزمنة الأخيرة. أنظر بوركهاردت، ص337.

الحسكة). عند إمعان النظر في هذه الحكاية، يتبين أن من قدموا لم يكونوا من الشرابين، بل من نسل الطفيحيين، وأن الأشخاص المذكورين في القصة، كالشيخ محمد (ابن الشيخ) عمر ابن. . . الشيخ[1] ابراهيم، والشيخ حسين والشيخ أحمد كانوا جميعهم من هذه الأسرة، التي يقع تل أبو بكر في منطقة سكنها، وأن تاريخ الهجرة تحدد انطلاقاً من شجرة نسبها[2].

يحتل الطفيحيون موقعاً دينياً واجتماعياً خاصاً بين الشرابين. فهم أعضاء في الطريقة الرفاعية ويعتبرون استمراراً لسلسلة معلميها وأساتذتها مروراً بيحيى الحياتي[3] وصولاً إلى مؤسسها ومنه إلى الحسين، حفيد النبي محمد. يرى الطفيحيون في هذه السلسلة شجرة نسب، ويعتبرون أنفسهم سادة، تحدروا من صلب النبي، وهذه صفة تضعهم فوق التجريح، وتقيهم من المشاركة في الغزوات، وتحمي أملاكهم من تعديات البدو الأغراب، وتجعل منهم أولياء صالحين. وقد ذاع صيت شيخهم حسين، الملقب أبو رويشات[4]، كرجل يصنع خوارق بسيفه الخشبي. وله مدفن قرب الحسكة لا زال يزار في أيامنا. كما لا زالت قبور أبناء آخرين من الأسرة محل توقير وتعظيم.

منذ بضعة أجيال يضيف أبناء أسرة الملالي أيضاً لقب سيد إلى أسمائهم، التي ترجع إلى ملا مصطفى، الجد الأول لشيخ الملالي الحالي هلوش، وابن بنت الشيخ حسين ابو رويشات، أي أن الأسرة تنتمي إلى الطفيحيين من جهة الأم.

---

(1) الشيخ يجب أن يفهم هنا باعتباره قائداً روحياً، لأنه في هذه الحالة وحدها يضاف اللقب إلى الاسم في الأنساب.

(2) خمسة أجيال لكل واحد منها 40 عاماً يعطي مائتي عام. تابع أعلاه، ص253.

(3) إوليا شلبي، الذي زار إبان القرن السابع عشر قبره في حران، جعله أحد كبار أولياء البدو. سياحت نامة، الجزء الثالث، ص161.

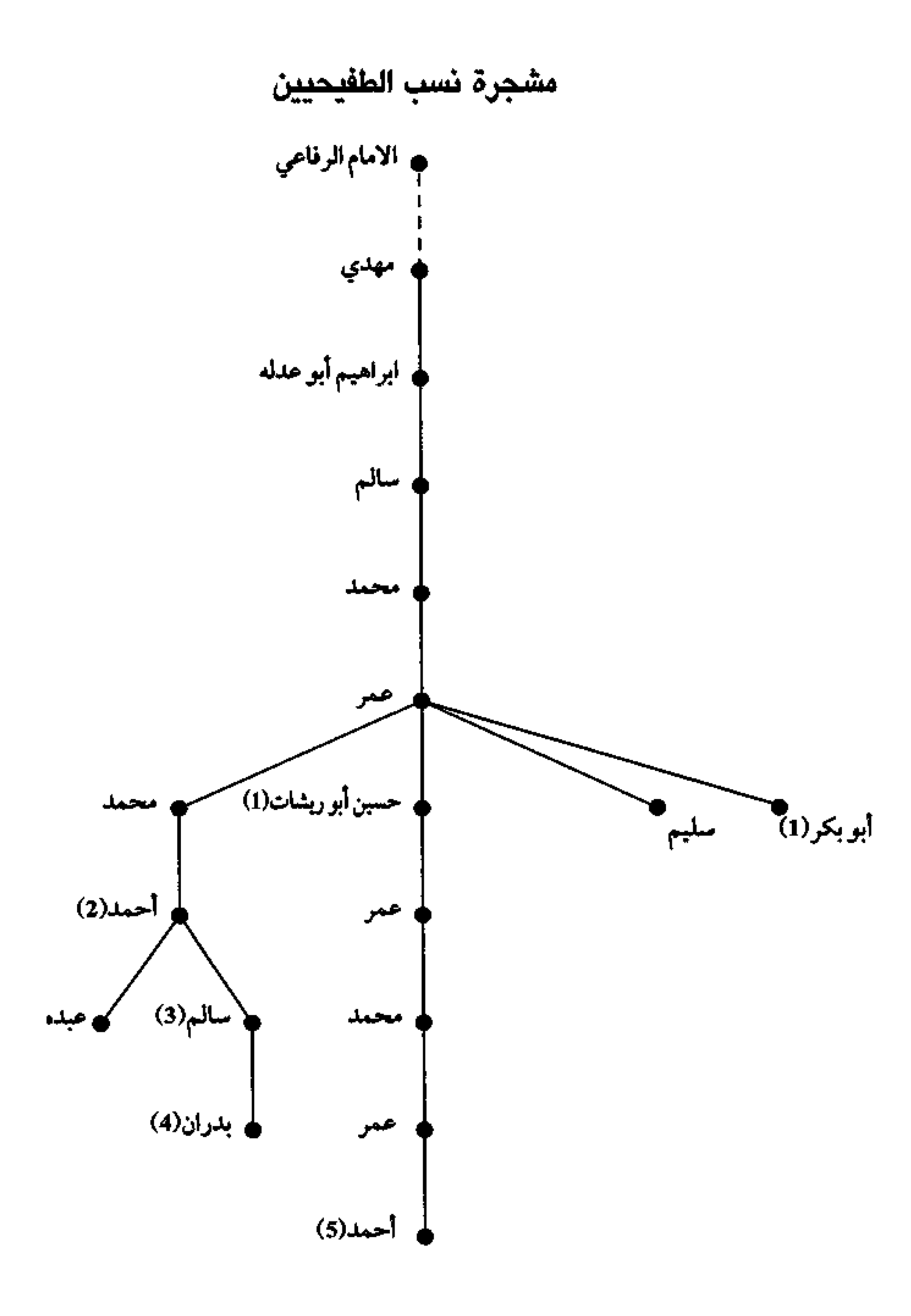
(4) "صاحب ريش صغيرة". هذا الاسم يرمز إلى لقب يقال إن باشا بغداد منحه إياه خلال الحرب ضد الفرس. لكن الاسم يسمح بتفسير آخر، لأن أبو رويشات هو أيضاً حيوان صغير ذو فراء، يؤكل لحمه (أرنب صغير).

يتوزع الشرابين على عدد من المناطق الصغيرة الحجم، يترابط جزء منها في بعض النقاط، وينعدم بالمقابل أي تواصل بين مناطق أجزائها الأخرى. بوسعنا، تمييز اثنتين من هذه المناطق في الغرب: تبدأ أولاهما غرب رأس العين وتشمل الحيز الواقع بين الخابور الأعلى وجبل عبد العزيز، وتمتد الثانية من جغجغ إلى ما بعد شبكة نهر الرد، فتلمس شرقاً منطقة شرابين حاوي زمار (على دجلة)وربما منطقة أخوتهم القبليين القاطنين في جزيرة ابن عمر. إلى أين تصل ترحالات الأقسام التي تعيش في الموصل وقلعة شرقاط فهو أمر غير معروف.

الشرابين أنصاف رحل، يدفع معظمهم خوّة إلى شمّر. وتتألف قطعانهم من حوالى 30000 رأس غنم، وعدة مئات من الجمال. وهم يمارسون الزراعة في تل الرمان وقرب طابان وسبع سكور (على الخابور تحت الحسكة) حيث جزء من الأراضي مُلكٌ شاشانيين يستأجرها الشرابين منهم.

هناك، أخيراً، مجموعة شرابين تتألف من ستين خيمة إنضمت إلى اتحاد الملّية.

مشجرة نسب الطفيحيين



ملاحظات حول مشجرة نسب الطفيحيين

1 ـ مدفون على الخابور، مقابل طابان.

2 ـ مدفون في أورفة، معاصر شيخ شمّر صفوق.

3 ـ مدفون في تل حياه في منتصف الطريق بين أورفة وسوريك.

4 ـ تقول بعض الروايات إن ابنه أحمد قام برحلة إلى الهند. وهو يعيش الآن في الصفح قرب رأس العين.

5 ـ شيخ أحمد، ساكن في كليبين (بين عراضة وماردين)، قدم لنا بمناسبة زيارة إلى تل حلف قام بها يوم 25 تموز عام 1913م المستندات اللازمة لشجرة النسب هذه.

الشرابين(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ البو محمد(2)	احمد الحسن ابراهيم الحسين خلف المحيمد(3)	صيفاً: رأس العين/ تل الرمان شتاءً: جبل عبد العزيز	500
2 ـ العبيد	سعيد العبيد الحزام	صيفا: سبع سكور شتاء: جبل عبد العزيز	100
3 ـ الطاهات(4)		طابان	700
أ ـ	سلمو العلي(5)	صيفا: ليلان ـ حاوي زمار شتاء: وادي الهول ـ الرد	
ب ـ	دحام الصحن العبوش(6)		
جـ ـ	خلف الدهام(7)		
د ـ	خلف الصحن العبوش		
هـ ـ	بطران الفيحان(8)		

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
د ـ الملالي	هلوش بن الشيخ محمد علي(8)	جفجغ	60
	يوسف بن الشيخ سليمان(8)	جفجغ	
4 ـ الطفيحيين(9)	صالح بن الشيخ علي	صيفاً: رأس العين/ جفجغ	
		شتاء: جبل عبد العزيز والحسكة	50
5 ـ البوعمر	شيخو الكرو	نصيبين	20
6 ـ البوصالح(10)	عبد الله النمر	جزيرة ابن عمر	150
7 ـ الحمدون(10)	حسن الاحمد	جزيرة ابن عمر	100
8 ـ الزعازعة	محمد الأحمد بن حمادي السليمان	حاوي زمار	75
9 ـ البوغوشي	محمد السليمان	الموصل	100
10 ـ السود	عثمان بن علي الفلتو	شرفات	125

ملاحظات حول جدول الشرابين

1 ـ تسجيلات عام 1912م (الراوي: محمد المحمد. أنظر ملاحظة رقم 3)، 1927م و1929م (محمد الطفيحي؛ محمد بك سلطان، ابن أخ مسلط باشا، شيخ الجبور). الفروق بين التسجيلات قليلة، باستثناء تلك التي تذكر في الملاحظتين 2 و.10 لم نضع في الجدول أربعة فروع صغيرة هي: السهم، البومسرة، الجردي، القواويس، لأنها ذكرت مرة واحدة دون تحديد مكان سكنها.

جاء أقدم ذكر للشرابين لدى نيبور: وصف رحلة، الجزء الثاني، ص419: 700 خيمة. روسو: ص70. تيربيه، ص132 وما يليها، يقدم العشائر من 1 ـ 4 و6.

2 ـ قبل الحرب عاش قسم من بني محمد تحت زعامة أسرة الحزقاوي وحملوا اسمها. وكان للشيخ الحزقاوي آنذاك نفوذ ما على القبيلة جميعها، في حين لم يستطع سلفه أحمد الحسن (الدرويش البوزو الحزقاوي) امتلاك أية سلطة تستحق الذكر. أما اليوم، فقد انهارت السلطة تماماً لدى البو محمد، فلا نفوذ إطلاقاً لابراهيم الحسين، ولا يساند خلف المحيمد غير خمسين خيمة.

3 ـ 1912م: (أبوه) محيمد المحمد البكر المنصور المحمد الخالد.

4 ـ صيحة الحرب: هجون!. للطاهات أراض زراعية قرب الصفرا على الرد.

5 ـ سلفه: علي العساف.

6 ـ 1912م: صحن العبوش.

7 ـ 1912م: دهام الحسين.

8 ـ أنظر صفحة 380 و381.

9 ـ يقال إن الاسم الأصلي للأسرة هو عباده.

10 ـ العشائر من 7 ـ 10 تسقط من تسجيلات ما بعد الحرب، وهذا ربما كان يعود فقط إلى النقص في معرفة الرواة. وربما كانت أسماء الشيوخ قد غدت قديمة.

نعيم

لم تتميز قبائل الصحراء بقدر كبير من الإهتمام الديني، في حين دخلت الحياة الدينية على شكل أخويّات إلى عالم أنصاف الرحل، المقيمين على أطراف المنطقة الحضارية. في الأحوال العادية، كانت عائلات أو أفخاذ متفرقة تنتمي إلى الأخويّات، وتتخذ لنفسها نتيجة لذلك لقب سيد، أي شخص من سلالة النبي. وكانت تصل من حين لآخر إلى قدر من القوة يكفي لفرض موروثها على القبيلة بمجموعها، وإحلال السلسلة ـ سلسلة المعلمين الدينيين ـ محل النسب ـ سلسلة الأسلاف ـ، مثلما حدث، على سبيل المثال، لدى الشرابين، وإلى حد ما البقارة. إلا أن تطوراً معاكساً حدث على ما يبدو عند النعيم، الذين يرجح انبثاقهم من طريقة أخويّة، بدلالة أن أقسام القبيلة وفروعها، المتناثرة بين سورية والحدود الفارسية، لا زالت على صلة وثيقة بالطرق الأخويّة، لا بل إن اسم النعيم يستخدم في فلسطين ببساطة كتسمية للبدو الذين ينتمون إلى إحدىٰ الطرق الأخويّة.

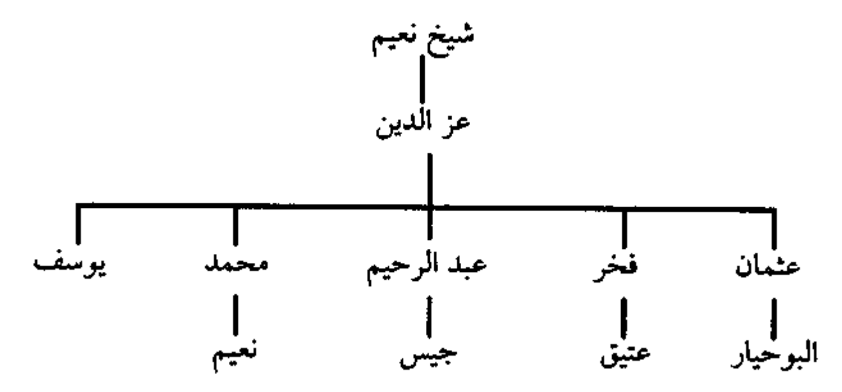
تبجل جميع مجموعات النعيم عز الدين أبو حمرا كأب روحي لشيوخهم وأب أول لقبيلتهم. وتعتقد أن نسبه يرجع إلى أسرة النبي وتعطيه التسلسل التالي، فهو: عز الدين بن زين العابدين (علي الأصغر)[1] بن الحسين بن علي بن أبي طالب[2]. وهو

(1) زين العابدين وعلي الأصغر هما في الواقع الشخص ذاته. يتكرر انقسام مشابه للشخص الواحد جديد لدى البقارة.

(2) نص يخاطب فيه عز الدين مع علي والحسين موجودة عند: موزيل: الرولة، ص404.

نسب يضعنا في دائرة مرويات البقارة ذاتها، التي تعيد شجرة نسبها إما إلى أحد أبناء زين العابدين واسمه محمد الباقر، أو إلى عز الدين نفسه، عبر ابنته حمرا.

يؤمن النعيم بوجود قبائل أخرى ترجع إلى عز الدين، كما توضح الترسيمة التالية، المأخوذة عن تيربيه.



هنا تبدو جيس وعتيق والبوحيار كأبناء عمومة للنعيم. وفي حين يبدو اسم البوحيار مفعماً بالغموض[1] فإن جيس معروفة إلى حد يجعل من المستحيل الحديث عن صلات قرابة تربطهم مع النعيم. لعل هذا الزعم يجد تفسيراً له في تبعية إحدى مجموعات النعيم، التي تسكن الآن منطقة حران، لجيس، وفي الحقيقة فإن قبيلة عتيق قد يكون لها مكان مناسب هنا أكثر من غيرها، فهي تشكل الآن قسماً من نعيم حمص ـ ويبدو عز الدين في شجرة النسب هذه "ابن" شيخ اسمه نعيم الرجل الذي منح القبيلة اسمه. وأضيفت صفة شيخ إليه كي يبدو زعيماً دينياً، بحيث أن هذا النسب أيضاً يؤكد الظن الذي تبنيناه أعلاه وهو أن أصل النعيم يعود إلى جماعة دينية.

تجمع المرويات على أن موطن القبيلة يقع في شمال سورية[2]: ويتذكر نعيم

(1) هل المقصود بذلك هم الموالي، الذين انحدر مؤسسوهم من أسرة حيار؟.

(2) لذلك فإنه من غير المحتمل، أن يكون للنعيم صلة ما بالنعيميين، الذين سكنوا خلال العصر المملوكي في منطقة الحدود الفلسطينية ـ المصرية، كما يعتقد جودفروا ـ ديمومبين (ص 197).

بلاد الرافدين أنهم قدموا من السعن والسعين، وهي موقع أثري يقع في السهب إلى الشرق من حماه. ويعتبر نعيم سورية بدورهم تلك الأراضي مسكنهم. ويقع هنا أيضاً قبر أو مزار أب قبيلتهم: عز الدين[1].

يرتبط انتشار النعيم الواسع بالنزوع إلى التجوال المصاحب للدروشة. لكن الروايات المتوارثة تذكر أسباباً محددة: امتياز ضريبي منحه أمير الموالي إلى النعيم أثار حسد جيرانهم وأدى إلى تفكك القبيلة. هذا ما يقال في سورية، بينما يعيد الناس في بلاد الرافدين سبب تفرقهم إلى شقاق مع أمير الموالي.

رغم ما في هذه المرويات من طابع غير دقيق[2]، فإنها تقدم لنا نقطة ارتكاز تعيننا على تحديد الفترة الزمنية لهجرة النعيم، التي يجب أن تكون قد بدأت في القرن السادس أو السابع عشر، لأن سلطة أمراء الموالي قد اقتصرت على في هذه الفترة.

ينقسم نعيم بلاد الرافدين[3] إلى مجموعتين، تتناثر الأولى منهما بين أورفة ونصيبين، والثانية بين كركوك وقزلرباط. أما الأب الأول للأولى فهو شخص اسمه وسيد فاضل المدفون في قرية خزان جنوب شرق حران، في حين يعتبر سيد آخر هو عبد الجليل المكي مؤسس الثانية.

يسكن العدد الأكبر من نعيم أعالي بلاد الرافدين في سهل حران، حيث سكنت هذه المجموعة أول الأمر، وإن ذهبت قلة تابعة لها إلى ويرانشهر ورأس العين. ينقسم نعيم المجموعة الأولى بدورهم إلى ثماني عشائر صغيرة جداً، تسكن معاً قرى متعددة يقع بعضها إلى الشرق من أورفة، وبعضها الآخر إلى الجنوب من حران[4]. يخضع هؤلاء لحكم جيس، أما نعيم ويرانشهر ورأس العين فينتمون إلى اتحاد الملّية.

---

(1) لا تمكننا المعطيات المتوافرة من البت في ما إذا كان المزار موجوداً في المكان الذي يحمل الاسم نفسه (عز الدين) والمرسوم على الخارطة (جنوب شرق حماه)، أم في عز الدين التي أوردها موزيل في كتاب شمالي جزيرة العرب (شمال شرق حماه).

(2) يمكن أن يكون هناك شيء حقيقي في الإعفاء الضريبي، بالنظر إلى مكانة النعيم الدينية.

(3) بخصوص النعيم السوريين أنظر القسم التالي.

(4) لم يكن ممكناً التعبير عن ذلك في الجدول.

هاجرت المجموعة الأخيرة في ستينيات القرن التاسع عشر. آنذاك، جاء القوقازيون ـ الشيشان ـ إلى منطقة منابع الخابور. لضمان إمداد هؤلاء المهاجرين المميزين بالغذاء، طلبت السلطات من أنصاف الرحل المجاورين ممارسة الزراعة في منطقة رأس العين. إستجاب عدد كبير من نعيم حران للطلب، فآزرتهم الحكومة في السنوات الأولى، ثم قدم لهم الشيشان المنعمون البذار وساعدوهم على شراء المواشي. غير أن هذه العلاقة ما لبثت أن تراخت من جديد، لأن الشيشان سرعان ما فقدوا سلطتهم، تحت وطأة الحروب والأمراض. في هذه الفترة، تحول النعيم إلى أتباع لإبراهيم باشا، واضطر شيوخهم إلى اللحاق به في عاصمته ويرانشهر.

يزرع نعيم رأس العين الأراضي الواقعة إلى الغرب من تل حلف (خربة عنتر ـ تل حربه)[1]. ويسكنون الخيام طوال فصل الصيف، في حين يقوم بعضهم بترحالات قصيرة.

ليس لزعماء نعيم بلاد الرافدين غير القليل من النفوذ، لأن الشيوخ الدينيين يستأثرون بالنصيب الأكبر منه. خلال تنقيب أعوام 1911م ـ 1913م في تل حلف، كان صالح بن عز الدين ابن محمد أبي كرش كبير الشيخ الأكثر أهمية بين هؤلاء، ومسكنه في عامودا إلى الغرب من نصيبين. وفي عام 1927م كان الشيخ سليم بن حسين بن علي بن طالب بن أحمد بن عبد الوهاب بن عمر بن فاضل بن معروف. . . ابن عز الدين، الذي جاء من حويجة العبيد[2]، رفيع المقام.

ينتسب جميع شيوخ النعيم الدينيون إلى الطريقة الرفاعية، وإن انتسب بعضهم إلى طرق أخوّية أخرى أيضاً.

---

(1) إدعى النعيم ملكية أرض تل حلف قبل الحفريات.

(2) S.O.S. 191

النعيم

ألف ـ نعيم الجزيرة(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الغضية(2)	عيسى بن سرحان(3)	ويرانشهر ورأس العين	150
2 ـ المطايرة	محمد بن الشيخ جاسم(4)	حران(5)	180
3 ـ البويين	محمد بن الشيخ جاسم	حران	
4 ـ المنصور		أورفة (الرها)(6)	100

باء ـ نعيم جبل حمرين(7)

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
توبلس(8)	عبد الله بن أحمد(9)	شبيكة/ ديالى	370

ملاحظات حول جدول النعيم

1 ـ سجل عام 1911م، 1927م، 1929م. لاحظ جدول طي. الملاحظة 5. الوسم: ○ (على قبور النعيم في تكتك).

2 ـ تظهر في اتحاد الملّي تحت اسم نعيم. وهي موجودة أيضاً قرب حران.

3 ـ إبن عيسىٰ ابن سرحان ابن ذياب ابن خلف النعيم. يسكن في حصُيوه إلى الجنوب من ويرانشهر.

4 ـ ابن السيد احمد. محمد شيخ سياسي وديني.

5 ـ قرى: خزان، الذيبة، رسم الصيد (غرب الأولى). في الشتاء يذهبون

إلى السهب نحو الجنوب الشرقي ويصلون إلى طوال العباة.

6 ـ قرى: الشيخ ريح، الذيبة، خربة يحيى، وغيرها. تقع على الحد الغربي لتكتك.

7 ـ ذكرها أول الأمر جونز (ص385).

8 ـ تعرف نيبور على هذا الاسم الغريب وذكره بوصفه اسم قبيلة تسكن قرب حلب. أنظر: جزيرة العرب، ص394. (التوبليس).

9 ـ إبن محمد العبد الجليل المكي: سليل مؤسس هذه العشيرة.

حديدين[1]

يتقاسم الحديدين بعضاً من الصفات التي جعلت النعيم والشرابين مختلفتين عن النمط المألوف من أنصاف الرحل من البدو. ينقسم الحديدين إلى مجموعات متعددة، تتناثر على مساحات واسعة بين بلاد الرافدين وسورية، وتفتقر إلى تنظيم صارم. وهم أقرب إلى رعاة في خدمة آخرين منهم إلى ملاّكي قطعان. وليس للحديدين أي ميل للحرب. ويبدو أنهم لا يفتقرون كلياً إلى العنصر الديني، المميز بقوة عند النعيم والشرابين[2]. ومما يثير العجب أن لهم أيضاً بعض المشتركات مع قبيلة الصيادين المسماة الصليب، فالحمار عندهم، كما عند هؤلاء، حيوان الحمل والنقل، أو هكذا كان الأمر في السابق[3] على الأقل. وإذا كانوا غير منبوذين مثلهم، فإنهم لا يحظون، في الوقت نفسه، بأي احترام حقيقي. ويبدو أنهم مارسوا في الماضي وظيفة الصليب، فهم يذكرون أن أسلافهم عملوا في الماضي صيادي غزلان لدى أمير الموالي[4].

---

(1) بالأصل: حديديين، وكذلك حديدية. موزيل: حديديين.

(2) يزعم باكنغهام: ، أسفار في بلاد الرافدين، الجزء الأول، ص295، أن حديديي شمال بلاد الرافدين من ذرية النبي، وأن عماماتهم الخضراء دليل على ذلك.

(3) مايو، الجزء الأول، ص134: أسفار الليدي استير ستانهوب، الجزء الثاني، ص104. خورشيد، ص236.

(4) لاحظ اسم أبو صليبي، الذي يحمله فرع من الحديديين السوريين ـ عندما يقول دوبوخمان في



خيمة صالح الجرخ «الكرخ»، شيخ مشايخ الحديدين (1899م)

عدا هذا، يبدو أنه لم يبق هناك محكيات يمكن أن تفيدنا في تقويم تاريخ القبيلة. ولا تنفعنا كثيراً في هذا السياق شخصية الشيخ حديد أيضاً، الذي يعتبره الحدادون أبا قبيلتهم، وأخذوا اسمهم عنه، لسبب بسيط هو وجود عدد من الأولياء يحملون هذا الاسم. من المؤكد أن الشيخ حديد، الذي يقدس قرب حماه، ينتمي إلى الحديدين. ويرجح أن ينتمي إليهم أيضاً ذلك الشيخ، الذي ينتصب مقامه على الثرثار جنوب شرق هترة، حيث المنطقة التي يجب البحث فيها عن موطنهم الأول، بدلالة ليس فقط محكيات حدادي سورية، بل كذلك توزعهم السابق. صحيح أن الفرع السوري من القبيلة كان موجوداً حوالى القرن الثامن عشر، إلا أن كتلتها الكبرى كانت تعيش جنوب سنجار في الجزيرة[1]، حيث عثر خورشيد أفندي (ص191 وما يليها) عام 1850م على هذه المجموعة وعددها 2000 خيمة في

مجلة الدراسات الإسلامية، سنة 1934م، ص36، إن الحديديين أخلاف طائفة من الحدادين - شأنهم في ذلك شأن الحديديين المراكشيين، فإنه لا يأتي بأي مستند يؤكد قوله.

(1) نيبور: وصف رحلة، الجزء الثاني، جدول 55. جزيرة العرب، ص390 و395.

سجلات عانة الضريبية. الحقيقة أن المجموعة كانت قد تشتتت آنذاك، فراراً من ضغوط شمّر وغزوات عنزة[1]. فصحب قسم منها العبيد في رحلتهم عبر دجلة، ووجد قسم آخر موطناًجديداً في أراضي سنجار الشرقية، بينما استوطن قسم ثالث بين أورفة ونصيبين. وبذلك وصلت القبيلة إلى التوزع القائم حالياً.

يسكن حديدين منطقة سنجار، الذين كان اينسورث أول من لاحظهم عام 1840م[2]، بين الجبل ونهر دجلة، ويمارسون بعض الزراعة في وادي القصب، مثلاً، كما يرعون أغنام أصحاب القطعان الأغنياء من سكان الموصل[3]. ويذكر جدول هوارت أنه كان لهم 800 خمية.

ويسكن حديدين شمال بلاد الرافدين ـ رعاة أورفة ـ صيفاً في جبل تكتك، حيث تمثل بئر أم الصلابيخ أكبر موقع مائي لهم، ويقطنون شتاء جبل عبد العزيز أو إلى الشرق منه، وينتمون إلى عشيرة البوحيات[4] وينتسبون إلى اتحاد الملّية الكردي. تتراوح الأرقام حول عددهم بين ثمانين ومائة وخمسين أسرة.

تتوطن مجموعة الحديدين الثالثة، التي كان خورشيد أول من أشار إليها (ص228، 235) في كركوك. فقد استقر عدد كبير منها منذ عام 1850م في هذا المكان، وتنقل آخرون (80 خيمة) بحماية العبيد في المنطقة، وهم اليوم في كراتشوك (شمال الزاب الأدنى).

---

(1) تابع: دوحة، ص307. باكنغهام (1816م) المرجع ذاته.

(2) أسفار وأبحاث، الجزء الثاني، ص175.

(3) زاخاو: رحلات في سورية وبلاد الرافدين، ص368. مجلة، ص53.

(4) هل تكون القبيلة المنضمة إلى الدليم، التي تحمل الاسم نفسه، من الأصل ذاته؟.

قبائل في وادي الفرات
بين بيره جك والفلوجة

يسكن الأكراد على ضفتي نهر الفرات قرب بيره جك، موقع انحداره من جبال آسيا الصغرى. وتقع الحدود التي تفصلهم عن السكان العرب على جسر جرابلس تقريباً، فهي تتطابق إذن مع حدود سورية السياسية. بعد جرابلس، يتوزع وادي النهر بين سلسلة قبائل صغيرة، قبل أن تبدأ عند منحنى مسكنة مناطق السكن المترابطة للإتحادات القبلية الأكبر، وبالتحديد البوشعبان (ولده، عفاضلة، سبخه) والعقيدات «العگيدات» والدليم. هذا التوزيع الواضح نسبياً حديث العهد[1]، ويرجع بالأخص إلى التوسع الذي بدأته العقيدات «العگيدات» عقب نهاية القرن الثامن عشر. قبل هذا التاريخ، تقدم خارطة القبائل صورة كثيرة الألوان. إذ إن روسو يذكر عام 1808م أسماء ما لا يقل عن سبع قبائل كانت تعيش في البقعة التي تفصل عانه عن هيت؛ ثلاث منها هي أشجيرية والجنابيين والقرطان دفعت في اتجاه مجرى النهر نحو العراق[2]، بينما اختفت القبائل الأخرى كلياً كما يبدو. عرف دير الزور الحدث نفسه، فقد غادر آخر الجبور قبل بضعة عقود ضفة الفرات اليسرى وقصدوا دجلة[3]،

(1) ومع ذلك، تشكلت في الماضي وحدات أكبر في وادي الفرات، مثل بني سمك والزبيد. هذا التطور دوري إذن.

(2) تابع جدول الزبيد.

(3) المجلة الجغرافية، الجزء 35، ص532 (غيرترود بل).

في حين بقيت الظروف مستقرة في المنطقة إلى الأعلى من الدير، كما تؤكد مقارنة الوضع الراهن مع مشاهدات الرحالة القدماء (نيبور، روسو، بوركهاردت). وإن كان قسم من السكان قد غادر المنطقة إلى حلب غالباً، بينما انساب بعضهم فرادى إلى دجلة.

يخضع القسم الأعلى من الفرات لأكراد البرازي من سروج. وتهيمن عنزة بدءاً من مسكنة، وشمّر من دير الزور، بينما الدليم مستقلون.

معظم قبائل الفرات قبائل أنصاف رحل، فهي إذن قبائل مربي أغنام[1]، يقودها الترحال الشتوي من وادي النهر إلى السهوب ذات الموقع الأعلى، مواكبة بوجه عام مجرى النهر. أما الزراعة، فهي تتم غالباً بالري الاصطناعي، حيث تستخدم، تبعاً لشدة التيار، إما دواليب متح الماء التي تعمل ذاتياً ويسمونها ناعورة، أو روافع مياه ـ جرد ـ تحركها الحيوانات. ليست علاقات الملكية واضحة هنا، في المنطقة إلى الأعلى من مسكنه، تعود الأرض التي تقطنها القبائل إلى وجهاء في حلب، وفي البليخ يبرز شيوخ العفاضلة كملاك، ويمتلك قسماً من الأرض في الجنوب سكان مدن يقطن أراضيهم فلاحون حقيقيون[2].

---

(1) بالعربية: شوايا «شاوية»، وفي جزيرة العرب شواوي. هذه الكلمة اعتبرها زاخاو اسم قبيلة خطأً، مع أنها تعني رعاة الاغنام. وإن كان من الصحيح أن هذا المصطلح لصيق في منطقتنا بقبائل معينة كالبني سعيد. والبو خميس، والبوعساف، والعفاضلة والبقارة.

(2) موزيل: الفرات الأوسط، ص162: "هذه الكفور (فوق عانة) تعود ملكية القسم الأكبر منها إلى مواطنين أغنياء من كربلاء وبغداد وحتى حلب، الذين اشتروا الأرض بطريقة شرعية من الدليم، أو استولوا عليها بمنتهى البساطة، فطردوا منها الدليم وأقاموا فيها دواليب الري وبنوا الأكواخ، ثم أجّروا الأرض إلى فلاحين من القرى الأخرى، على أن يدفع المستأجر جميع الضرائب ويعطي المالك ثلث المحصول".

قبائل وادي الفرات بين بيره جك والفلوجه(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الأسر
1 ـ عون(2)		قلعة نجم	
		تل أحمر/ سرين	200
2 ـ البوبنا(3)		الصندلية	500
3 ـ الفحل(4)		سرين	
4 ـ العميرات(5)		الشاش الصغير	150
5 ـ الجريفة(6)		القائم/ عانة	

ملاحظات حول جدول قبائل الفرات

1 ـ باستثناء القبائل التي سبق أن تعرفنا عليها، وهي الولدة والعفاضلة والسبخة وبقارة الزور والعقيدات والدليم، فإن المعلومات المتوافرة حول غيرها من القبائل قليلة جداً. إن الجداول القديمة التي وضعها بوركهاردت وروسو ذات قيمة تاريخية فقط. وتعاني أسماء شيسناي، التي اقتبستها الخرائط اللاحقة، من عيوب وأخطاء كثيرة، فالجبور يصيرون فيها جيبول واللهيب الهيبه والبومعيط البويض.

2 ـ قارن: تيربيه، ص170 وما يليها. قرى تحت حماية كدكان والبيجان، الذين ينتمون إلى اتحاد البرازي الكردي. يسكن فرع من العون ـ قرابة مائة وعشرين أسرة ـ أربع قرى شمال منبج. خرج العون من بني سعيد. أنظر مقالة: قبائل مستقرة قرب حلب.

3 ـ قارن تيربيه. ص103 = 178. عدد المواشي 10000 رأس غنم، 600 رأس بقر. وقد استقرت مائة وخمسون أسرة أخرى في دائرة اعزاز شمال حلب. خرج البوبنا من البوشعبان.

4 ـ روسو: ص70. بوركهاردت، ص25. خارطة شيسناي 11. هم أنفسهم

"الفهد" في مقالة غيرترود بل: "الضفة الشرقية للفرات من تل أحمر إلى هيت".
خرج الفحل من الولده.

5 ـ قارن تيرييه، ص100: خمس قرى تحت حماية الكيدكان، على عداء مع جيس. نصف مستقرين.

6 ـ أو جرايفة. بلنت، الجزء الثاني، ص190: 500 خيمة. من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي». الجزء الثاني، ص72، حدث خلط واضح بينها وبين الجغايفة (دليم). يحسب موزيل صفحة 74 و144. جزءاً منها على العقيدات وجزءاً آخر على الدليم.

قبائل وادي دجلة

من جزيرة ابن عمر إلى سامراء

لا يوجد سكان عرب على ضفة دجلة اليسرى إلا بدءاً من المنطقة الواقعة تحت نينوى القديمة، في حين يوجدون على الضفة اليمنى بدءاً من اسكي موصل، ويتناثرون في مجموعات متفرقة إلى الأعلى قرب حاوي زمار وجزيرة ابن عمر. يضم هؤلاء أكثر العناصر البشرية اختلافاً[1]. حتى خروج دجلة من جبل حمرين يشكل الجبور الأكثرية وهم يعيشون ككتلة متراصة بين الزاب الكبير والصغير، لكنهم موجودون أيضاً بصورة متفرقة على امتداد النهر نحو الأعلى وفي داخل العراق[2].
في جنوب منطقة الاختراق، يستوطن الضفتين سكان ينتمي معظمهم إلى سامراء، تحولوا من مدينيين إلى أنصاف رحل وامتزجوا بعناصر بدوية. إلى جانب السوامرة يعيش الدوريون: أبناء الدور الذين يخيمون على الضفة اليسرى للنهر، ويذكرهم روسو عام 1808م.

---

(1) لا يعبر هذا عن نفسه بصورة تامة في الجدول. عام 1852م إلتقى جونز (ص475) في سهل نمرود بفروع من ستة قبائل هي شميطة، العگيدات، الحديديين (الذين يسكنون الآن قرية قره شور)البوبدران (بقارة) البوسلمان، الجبور ـ الذين بحثوا هنا عن ملجأ من الاضطهاد أو من الثأر.

(2) لا يتعلق الأمر هنا فقط بالقبيلة التي درسناها تحت اسم الزبيد، بل وأيضاً بجماعات من جبور العراق، وينتمي إليهم على سبيل المثال البونجاد، الذين كان هورت (ص21) قد ذكرهم في ضواحي الموصل.

باستثناء شبه القبيلتين هاتين، عرفت خارطة بدو منطقة دجلة تغيرات كبيرة. فقد قدم الجبور في السنوات المائة الأخيرة من الفرات. وفي الفترة نفسها استقر قسم من العبيد (البو علي، البو هيازع) على دجلة. وتوطن البو حمد، وهم بالأصل جزء من العبيد، في منطقة الموصل، وإن كانوا يعودون بين فينة وأخرى إلى مناطق قبيلتهم الأم[1]. ويحافظ البو حمد على حياة بدوية صرفة رغم قلة عددهم. فقد كانوا في الماضي لصوصاً مرهوبي الجانب في كل مكان. في الآونة الأخيرة، ذاع صيت زعيم العصابة بلبيل آغا، العبد السابق الذي أطاح بشيخ العشيرة الشرعي[2].

خضعت ضفة النهر اليمنى في الماضي لشمّر، الذين فرضوا الخوّة قبل الحرب على جميع القبائل القاطنة هناك، باستثناء قبيلة البوحمد المحاربة. تفتقر قبائل دجلة إلى أهمية اقتصادية تستحق الذكر، إذا ما قارناها مع قبائل النهر المجاور، لأن السهل الخصيب المقابل للموصل مسكون جزئياً فقط بالبدو، وأرض الغرين[3] التي يكونها دجلة، لا تبلغ عرض تربة الطمي الموجودة في وادي الفرات.

يعتبر جميع لسكان المجاورين لدجلة مستقرين بهذا القدر أو ذاك[4]، تتكون قراهم من بيوت ثابتة قرب الموصل، في حين تسود الخيام، التي تستبدل صيفاً بأكواخ من الخوص والقش، كلما اتجهنا إلى الجنوب.

(1) تابع: من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، ص217.

(2) مجلة رفيو، ص53. الشرق الحديث، الجزء الثالث، ص298.

(3) تصف كلمة حاوي، أرض الطمي التي كثيراً ما نعثر عليها في أسماء الأماكن على دجلة.

(4) إلا أن موزيل يضع الجبور في خارطته حول شمال الجزيرة العربية في وسط الجزيرة، وهو ما قد يشير إلى ترحالهم الشتوي.

قبائل وادي دجلة بين جزيرة ابن عمر وسامراء(1)

القبيلة	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ البوسلمان(2)	تحت الموصل على الزاب الأعلى	
2 ـ البوحسين(3)	على الضفتين تحت الموصل	
3 ـ البوحمد(4)		
4 ـ البيجات(5)	تكريت	60
5 ـ البوعيسى(6)	العاشق، بلد	200
6 ـ السوامرة(7)		
أ ـ البوعقيل(8)	دور	80
ب ـ البونيسان(9)	ابو دلف	150
جـ ـ البوبدري	سامراء	200
د ـ البودراج(10)	الضفة اليمنى تحت سامراء	300
هـ ـ البوباز	سامراء/ الصعيوية(11)	200
و ـ البواسود	الصعيوية	40
7 ـ البوعباس(12)	مقابل تكريت/ شناص، تحت سامراء	300

ملاحظات حول جدول قبائل دجلة

1 ـ مع استبعاد القبائل التي سبق لنا الحديث عنها كالشرابين والجبور والجحيش والعبيد ـ يقوم الجدول على استقصاءات مختلفة تم بعضها عام 1893م (من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي». الجزء الثاني، ص198 ـ 220). تقدم الأدبيات القديمة معطيات قليلة فقط. يستحق الذكر هنا نيبور: جزيرة العرب، ص390، والخرائط المرفقة بالجزء الثاني من وصف رحلته. روسو، رحلة، ص71. هوارت: قبائل عربية، ص18 وما يليها.

2 ـ زبيد؟ (هذا ما يقوله لايارد). ـ نيبور: وصف رحلة، الجزء الثاني،

الجدول رقم 65 يضعهم في عمق الجزيرة. ريش (الجزء الثاني، ص135) ذكر أن قبر أبي قبيلتهم يقع على دجلة مقابل مصب الزاب الكبير، وأنه عثر إلى الأدنى منه على مخيم للقبيلة. يذكر لايارد البوسليمان بصورة متكررة، مثلاً في كتاب: نينوى وبقاياها، ص35، 242. ويقول جونز: ص385، إن عدد خيامهم هو 200. ليس معروفاً بشكل أكيد سلوكهم تجاه السلمان الذين تذكرهم سالنامه بغداد 1324 ص280 في عانه، لكنهم حسب المجلة الجغرافية الجزء 36، ص532، هاجروا إلى الخابور.

3 ـ غرير. نيبور يجعلهم داخل الجزيرة. ريش: الجزء الثاني، ص137) على ضفة دجلة اليسرى إلى الأعلى من شرقاط. هوارت على الزاب.

4 ـ روسو، ص67. جدول شبرنغر رقم128 (يذكرهم في الموقعين تحت العبيد). ريش، الجزء الثاني، ص143. جونز: ص385. هوارت.

5 ـ قبيلة مختلطة الدماء، تصاهرت مع الشاوية. يذكر موزيل أنها في الفرات الأوسط، ص55، 63.

6 ـ دليم. تذكر في الصفحة 251 من سالنامة بغداد 1324م.

7 ـ تذكر قبائل سامراء الخمس في سالنامة بغداد أيضاً (ص251). أما البومحمد الذين سجلوا عام 1893م تحت اسم العيادي فهم عزة بالنسبة للسالنامة. (أنظر قسم العراق).

8 ـ في سالنامة بغداد، وترد كذلك عند موزيل، ص55، في جزيرة كيوان تشيوان قرب تكريت.

9 ـ دليم. وكذلك البونمر، الذين يسكنون قرب عيث، هم أيضاً دليم من حيث أصلهم.

10 ـ عزة.

11 ـ حول الموقع. أنظر: من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي». الجزء الثاني، ص230.

12 ـ تذكرهم سالنامة بغداد.

قبائل في عمق الجانب الشرقي لنهر دجلة

لا يسكن العرب سوة الطرف الغربي من الأرض الواقعة بين الزاب الكبير والحد الشمالي لولاية بغداد السابقة، الممتدة تقريباً على خط تكريت ـ قزلرباط. أما إلى الشرق من ذلك، فالسكان أكراد، في حين يسود التركمان في مدن التون كبرى، كركوك، تاووك "طاووق"، طوزخرماتو، كفري، وضواحيها[1]. في ذلك القسم من الأرض، المسكون بالعرب، تقدم التضاريس الأرضية في رقعتين مجالاً كافياً لسكن القبائل الكبيرة، وهما سهل شماميك الخصيب إلى الغرب من أربيل، وفي "الجزيرة"، المحاطة بالزاب الصغير ودجلة ونهر العظيم. لذلك توجد هنا فقط القبيلتان المهمتان الوحيدتان طي والعبيد، حيث تسكن الأولى شماميك منذ العصر الوسيط، بينما تمتلك العبيد وتابعوها ـ حديدين، البومفرج ـ منذ قرابة مائة عام فقط حويجة العبيد، التي تحمل اسمهم. قبل ذلك، كانت المنطقة ملك الغرير والشهوان[2]، الذين ما زالوا يسكنونها، في حين اختفى الغرير منها نهائياً، بعد انضمامهم إلى العبيد، وبعد أن نالوا نصيبهم من الهزيمة القاضية التي ألحقتها شمّر بهذه القبيلة (العبيد) عام 1805م. ليس هناك عرب رحل في ما وراء العظيم، وإن

(1) ما تقدم خارطة السكان في كتاب لونكريك: أربعة قرون من العراق الحديث، تصوراً واضحاً عن الظروف.

(2) گلشن خلفاء: آل غزير. نيبور: جزيرة العرب، ص390.

كان فلاحو المنطقة من أصول بدوية[1]، بل هم بالأحرى مزق من قبائل عراقية مشتتة كانت قد صعدت ذات يوم إلى هنا من ديالى. ولذلك كانوا في منتصف القرن التاسع عشر ما زالوا خاضعين لسلطات بغداد.

قبائل في عمق الجانب الشرقي لنهر دجلة(1)

القبيلة	منطقة الإنتشار	عدد الخيام
1 ـ شهوان(2)		
2 ـ البوحمدان(3)	الزاب الصغير	
3 ـ الكروية(4)	جبل حمرين بين قره تپه وقزلرباط	200
4 ـ بني عز(5)	قرب كركوك وتووك وكفري	100

ملاحظات حول الجدول

1 ـ مع استبعاد القبائل التي عالجناها حتى الآن، وهي طي، وعبيد، وحديدين ونعيم. يقوم الجدول على استقصاءات مختلفة. بالنسبة للمصادر المكتوبة، يستحق الذكر كل من جونز، ص385 وخورشيد أفندي، ص224 ـ 229. يذكر الأخير مزقاً كثيرة من قبائل فلاحية، سنصادفها مرة أخرى في قسم العراق. بغض النظر عن بني زيد، الذين يتألفون من 80 مسكناً، ينصب الأمر هنا بمجموعات جد صغيرة، تتناثر في منطقة كبيرة جداً.

2 ـ بعد جونز (200 خيمة) لم يذكرها أحد. ولكن لاحظ اسم المكان «شهيوان» قرب طوزخرماتو على صفحة كفري من خارطة بلاد الرافدين/ فارس 1: 126720.

3 ـ خورشيد، ص235: 250 خيمة. إنتمى البوحمدان سابقاً إلى اتحاد العبيد

(1) تابع لونكريك، ص224.

(خورشيد، ص237. لونكريك، ص224). يذكر أول مرة عام 1737م أنها تسكن جنوب غرب الموصل (لونكريك، ص156). يذكرها نيبور في المنطقة ذاتها، ويقول روسو (ص71) إنها على دجلة، وهوارت (ص23) على الزاب. وكانت مستقرة في منتصف القرن الماضي.

4 ـ جونز: 300 خيمة. خورشيد: 250 خيمة، فضلاً عن ثلاثين أخرى على قناة الخالص، أي في أراضي بغداد. ليكلاما آ نيهولت: الجزء الثالث، ص221: 930 خيمة. إسم القبيلة عند خورشيد: كروي إ جديد، لتمييزها عن قبيلة «كروي عتيق» التي يقال إنها تسكن قرب خانقين وشهربان على الحدود مع فارس. بالمناسبة، يرد اسم القبيلة في جدول شبرنغر رقم 126، لكن الاسم يلفظ هناك "الكرومة"، وتكتبه لائحة هوارت "إكرويّة".

من أصل قيسي (عربي شمالي). مستقرة.

5 ـ قارن: خورشيد، ص209، 212، 226 وما يليها. تصل مجموعات صغيرة من بني عز إلى داخل العراق.



الجزء الأول

القسم الثاني

ســـــوريـــة



مدخل

تكتسب سورية تكوينها المميز من خلال سلسلة جبال لبنان الموازية للشاطئ، بامتداداتها الشمالية والجنوبية. تفصل لبنان عن داخل البلاد سلاسل لبنان الشرقية والحرمون. وتتوغل في الجنوب الشرقي براكين حوران الخامدة بعمق داخل السهب، بينما ينفتح الشمال الشرقي على الأراضي الواقعة وراءه، المندغمة في الصحراء العربية الشمالية، التي لا تفصلها عنها حدود طبيعية.

تنبسط سهول خصبة بين السفوح الشرقية للجبال الساحلية والسهب، وتبلغ أقصى اتساع لها عند حلب، فهي تصل هنا إلى الفرات، وتتخطى في الشمال نهر الساجور، الذي يشكل خط الفصل بين الشعب العربي والكردي/ التركي، بينما تنتهي في الجنوب عند بحيرة ملح "الجبول"، وجبل الحص ومنخفض المطخ المستنقعي. وراء المطخ يبرز العلاه وهو هضبة بركانية تغطيها بقايا أثرية من العصر القديم، وتقع عند أقدامها بلدة سلمية ذات الأهمية الفائقة في تاريخ البدو. هنا يبدأ سهل حماه/ حمص، الذي يصل شرقاً إلى مرتفعات الشمّرية والبلعاس وجنوباً إلى سفوح جبال لبنان الشرقية.

تقع حمص وحماه على نهر العاصي، القادم من البقاع، وهو واد واسع يقع بين جبل لبنان وسلسلة جبال لبنان الشرقية ويمتد في الجنوب إلى الحرمون. يميز العرب بين بقاع العزيزي جنوب طريق بيروت/ دمشق وبين منطقة بعلبك إلى الشمال منه.

تقع دمشق عند أقدام جبال لبنان الشرقية، وهي محاطة بأراضٍ كثيرة الأشجار تسمى الغوطة، تمتد نحو الشرق مراعٍ تحمل اسم المرج، ثم تبدأ الصحراء بعد مضيق الضمير. إلى الجنوب من دمشق تمتد منطقة جيدور إلى حوران. يشكل الكتلة الأساسية لحوران جبل بركاني يسمى باسم سكانه الحاليين جبل الدروز. في الشمال الغربي تمتد أمامه هضبة بركانية، اللجاه، تسقط حافتها بانحدار شديد نحو سهل حوران، الأعمق منها بخمسة عشر متراً. في الشمال الشرقي من جبل الدروز، تنهض أراض وعرة أخرى، يسمونها "ديرة التلول"، ويسمون أقسامها غير السالكة الصفاه[1]، وكانت على مر الأزمنة مكاناً تلجأ إليه العناصر اللصوصية. يشكل اللجاة وجبل الدروز الحد الشرقي لسهل حوران الخصيب، الذي يسمونه: النقرة العربية، ويتلاشى غرباً في مراعي الجولان الأكثر ارتفاعاً، بسلسلة براكينها الخامدة (وهي ما يسميه بوركهاردت جبل هيش). تشكل مستنقعات الحولة، والاردن الأعلى وطبريا حدود الجولان مع فلسطين. وتوجد أيضاً خارج حوران منطقة طمي بركاني أخرى هي حرّة الراجل، التي تنتمي جغرافياً إلى جزيرة العرب.

تقسم سلسلة المرتفعات، الممتدة من دمشق إلى الفرات، والمنتهية في جبل البشري، سورية الداخلية إلى قسمين: شمالي حمل في العصر القديم اسماً ما زال يستعمل إلى اليوم هو البادية التدمرية، وإن كان البدو يسمونه "ديرة الشنبل"[2]. وجنوبي يتكون من الصحراء السورية التي تبدأ من سلسلة المرتفعات، وتبرز فيها منطقة مرتفعة وحيدة هي عنازة، تقع بين الحماد في الغرب ووديان في الشرق، أخذت اسمها من بضعة وديان تنحدر نحو الفرات أهمها وادي حوران. تمثل الوديان وحوران سهباً ذات غطاء نباتي فقير، شأنها في ذلك شأن القسم الشرقي من البادية التدمرية، لذلك يعيش فيهما البدو الرحل. أما في الغرب فتتأرجح حدود الزراعة، التي تقدمت في العصر القديم إلى عمق المنطقة التدمرية، وتراجعت في عصور الدول الضعيفة كالعصر العثماني حتى جبال الساحل[3]. يمارس منبسط حوران جاذبية

(1) من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الأول، ص213.

(2) الشنبل وحدة كيل حبوب مألوفة في هذه المنطقة.

(3) تحدد اليوم من خلال نقاط مسكنة، اندرين، سلمية، الفرقليس، القريتين، جيرود.

خاصة على البدو الرحل، إذ ينمو في أرضه البركانية المتفككة أفضل قمح سوري، يعطي محاصيل مذهلة في ارتفاعها، إن تمت حمايتها من البدو. وقد قدر أحد الخبراء المتميزين، ج. شوماخر محصول المنطقة من القمح عام 1885م بمائتين إلى مائتين وأربعين ألف طن، بيع قسم منها في دمشق وصدر الباقي عبر مرفأ عكا/ حيفا.

ثمة عدد قليل يستحق الإهتمام من طرق سورية، بالنسبة لتاريخ البدو، يأتي في مقدمتها طريق الجنوب/ الشمال، التي تحيد قليلاً عن سكة الحديد الآتية من حلب إلى حماه ـ حمص عبر معرة النعمان[1]، والذاهبة إلى دمشق مروراً بالنبك، البلدة الواقعة إلى الشرق من جبال لبنان الشرقية. تنقسم الطريق في دمشق إلى طريق تجاري/ حربي قديم جداً يذهب إلى القنيطرة، بوابة الجولان الرئيسة، وصولاً إلى جسر الجولان المسمى جسر بنات يعقوب، وأخيراً إلى فلسطين ومصر. بينما يواصل طريق الحج مساره نحو الجنوب، ليبلغ حدود الأردن الحالية عبر مزيريب. تغيرت طرق سورية، ذات الأهمية الفائقة بالنسبة إلى التجارة مع الشرق الأقصى، مرات عديدة في مجرى الأزمنة، وإن بقيت نقاط انطلاقها: مدن حلب وحمص ودمشق، ثابتة لا تتغير. صارت حلب المركز التجاري السوري الأول في العصر العثماني، حين انتهت فيها الطريق الآتية من البصرة وبغداد، التي بلغت الأراضي السورية عند الطيّبة من أعمال البادية التدمرية، بعد أن تفرع عنها طريق جانبي إلى السخنة فدمشق.

تغلغل العرب في وقت واحد داخل سورية وبلاد الرافدين[2]. ترجع أقدم الأدلة على ذلك إلى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، عندما تكونت في الحرمون دولة الايتوريين، وهم قبيلة عربية تقدمت من أرض شرق الاردن عبر الجولان إلى البقاع الجنوبي. في القرن التالي، كان هناك سلالة عربية تحكم في أمسا (حمص)، واحتلت قبائل عربية رحل عرفت باسم سكنيتن «سكنتن»، السهب السورية الشمالية

(1) هنا يصب طريق حجاج آسيا الصغرى، الذي يمر عبر أنطاكية ـ جسر الشغور ـ قلعة المضيق (آفاميا) بموازاة نهر العاصي.

(2) لا تؤخذ المناطق الخلفية بعين الإعتبار، لأن العرب كانوا هنا منذ عام 853 قبل الميلاد كحلفاء لملك دمشق.

وصولاً إلى خط أفاميا/ ثابساكوس (منحنى الفرات عند مسكنة). بعد عام 88 قبل الميلاد، إمتدت دولة النبطيين التجارية، ومركزها بترا، إلى حوران، واحتلت دمشق لبعض الوقت. إلى جانب مملكة الأنباط، تحولت تدمر في القرن السابق للميلاد إلى مركز للتجارة مع الشرق الأقصى، وبلغت أوج ازدهارها بعد سقوط بترا وإقامة إقليم العرب الروماني (106 بعد الميلاد)، وحكمت خلال أعوام 261 ـ 271م الأقاليم الشرقية من الإمبراطورية الرومانية. بينما كان العرب حملة المملكة النبطية، حكم العنصر الآرامي تدمر، فلم تنم المسحة العربية فيها إلا في زمن متأخر، مما جعل آخر أسرها الحاكمة، تلك التي انتمت الملكة الشهيرة زنوبيا إليها أيضاً، تحمل أسماء عربية صرفة.

عرفت الصحراء السورية في القرن الثالث شريحة جديدة من المهاجرين العرب، يسميها علماء المسلمين قضاعة، أقدم ممثليها التنوخيون، الذين أتوا من شرق جزيرة العرب على طريق البدو القديم، وساروا بمحاذاة الفرات، وأمضوا الصيف في سورية والشتاء على حدود العراق، حيث تركز ثقل القبيلة ـ وأسس ملوك منها مملكة الحيرة. فيما بعد، تفككت تنوخ إلى قسمين، إستقر أكبرهما شمال سورية وأصغرهما في الحيرة. تنتمي قبيلة صالح إلى هذه الشريحة من المهاجرين، التي توغلت من الجنوب إلى سورية واستولت على منطقة حوران.

بفضل الصالح، غدت حوران، العربية السكان منذ قرون، مركز العرب السوريين السياسي، بعد أن كانت قبل ذلك مركزاً حضارياً لهم، وبالنسبة للعروبة إتخذت حوران في الغرب أهمية مماثلة لأهمية الحيرة في الشرق. لم يول حكام البلاد البيزنطيون هذا الواقع أية أهمية أول الأمر، فلم يعترفوا بشيوخ الصالح (الضجعم) إلا كأمراء قبائل (نهاية القرن الرابع) ولم يرفعوهم فوق غيرهم من حملة هذا اللقب. هذا الحال استمر حتى قدوم أخلافهم الغساسنة (نهاية القرن الخامس وحتى بداية القرن السابع)، الذين منحهم الرومان حقوقاً أكبر، ليحولوهم إلى ثقل يوازن ثقل ملوك الحيرة، أتباع الفرس من العرب.

هاجر الغساسنة من جنوب جزيرة العرب. ويبدو أن عناصر عربية جنوبية

كانت تعيش آنذاك بين سكان حوران، وهذا أمر طبيعي بالنظر إلى العلاقات التجارية التي كانت تربط بصرى، عاصمة حوران، مع الجنوب.

ما إن حل القرن السادس الميلادي، حتى كانت القبائل الرحل قد تحولت جميعها إلى أنصاف رحل. وسقطت منطقة انتشار تنوخ القديمة في يد تغلب، وسكنت إلى الغرب منها قبائل البهرا[1]، وكلب، علماً بأن الأولى تنقلت بين حمص والصحراء السورية، في حين واصلت كلب ترحالها نحو الجنوب.

قاتلت القبائل السورية إبان الفتح الإسلامي تحت رايات البيزنطيين. لكن معاوية، الخليفة الأموي الأول، إستمالها إلى جانب الدولة الجديدة. في هذه الأثناء، كانت كلب قد غدت القوة الأولى بين القبائل السورية، بعد أن نقلت مناطق سكنها إلى الشمال وجعلت تدمر مركزاً لها. بمصاهرتها للسلالة الأموية الحاكمة، شكل رجال القبيلة القوات العسكرية وقسماً من كبار الموظفين، فأثارت مكانتها حسد القبائل الأخرى، التي قدمت حديثاً إلى سورية، سواء ضمن جيوش الفتح أم في ركابها، وانتمت في معظمها إلى قيس من أواسط جزيرة العرب. أخيراً، إنفجر التوتر بين كلب وقيس في معركة مرج راهط683م، عندما قاتل فيها كلب وغسان وتنوخ إلى جانب الأمويين، وقيس إلى جانب الخليفة البديل عبد الله ابن الزبير، وانتهت إلى هزيمة رهيبة نزلت بقيس، جعلتها تتبنى منذ ذلك الوقت سياسة الحروب الثأرية. إستمر تنامي الحقد بين القبيلتين، حتى بعد عودة الهدوء بينهما على يد الخليفة عبد الملك ابن مروان. إجتمعت القبائل المعادية للأمويين تحت كلمة "قيس"، وجمعت كلب أنصارها تحت شعار "يمن" (عرب جنوبيون)، لأنها اعتبرت نفسها وريثة عرب الجنوب الغساسنة[2]. توارث سكان سورية المستقرون تناقضات القيسيين واليمانيين، رغم أنها كانت قد أفرغت من مضامينها

(1) ما زال اسمها يتردد في جبل بحرا (شمال غرب حمص).

(2) في نظام الأنساب الذي نشأ في هذا الوقت، نسبت جميع قبائل سورية المستقرة إلى قحطان، الجد الأول لعرب الجنوب.

الأصلية منذ وقت طويل، باعتبار أن القرى والمناطق اعتبرت نفسها قيسية أو يمانية حسب الانتماء القبلي لسكانها العرب الأوائل، وليس لأن هؤلاء كانوا قيسيين أو يمانيين حقاً. كما وفي لبنان ما زال هذا الإنقسام التحزبي حياً إلى اليوم.

وإن كانت سورية قد عاشت فترة تألق وعظمة في العصر الأموي، فإنها بدأت تتدهور مع سقوط السلالة الأموية750م، إلى أن تحولت إلى مجرد مقاطعة وحسب. وقد شعر السكان بالمرارة حيال هذا التغير، وعلقوا آمالهم على ظهور "سفياني" يعيد الحرية إليهم والأمويين إلى الحكم. وبالفعل، عرف النصف الأول من القرن التاسع سلسلة انتفاضات فاشلة قادها "سفيانيون"، لكن سورية أفلتت في النصف الثاني من القرن من حكم الخلفاء العباسيين المباشر، وتنازعها ولاة طامحون.

عرف العالم الإسلامي، قبل عام 900م بفترة قصيرة، حركة القرامطة السياسية/ الدينية السرية، التي دعت إلى ثورة مفتوحة ضد النظام القائم، وتمكنت دعايتها عام 901م من نفوس السوريين، حتى سقط ضحية لها بنو أُلَيْس وغيرهم من قبائل كلب في الصحراء. صحيح أن الحركة قمعت في السنوات التالية، لكن مملكة قرمطية كانت قد نشأت في هذه الأثناء شرق جزيرة العرب، قيض لها أن تتحول إلى مصدر رعب للخلافة، وأن توجه هجماتها ضد سورية أيضاً، التي كانت تدار آنذاك من مصر. في حمأة هذه التطورات، إستقل فرع من حمدانيي بلاد الرافدين عام 944م بشمال سورية، كان سيف الدولة ممثله الأشهر، الذي أقام بلاطاً زاهراً في مدينة حلب.

في هذا الوقت، كانت قبائل سورية البدوية القديمة قد ذابت في السكان المستقرين، باستثناء كلب، وقسم من تنوخ كان قد أبقى على اسم قبيلته القديم ولعب دوراً مهماً بين دروز لبنان حتى العصر الحديث. ومع أن كلب حافظت على مناطق انتشارها، فإننا نجد إلى الشمال منها سلسلة من القبائل القيسية، التي انبثقت عن مهاجري القرن السابع[1]، أهمها على الإطلاق قبيلة كلاب.

(1) يقال إنهم نقلوا إلى شمال سورية اسمي جبلي نجد الحص وشبيث.

تعرضت سورية لاختبار رهيب خلال القرن العاشر الميلادي، فقد ترنحت مملكة الحمدانيين بعد موت سيف الدولة (967م) بسبب هجمات البيزنطيين في الشمال وتقدم الفاطميين في الجنوب؛ وهم أصحاب مذهب باطني قريب من القرمطية، كانوا قد احتلوا مصر عام969م إنطلاقاً من شمال أفريقيا. وكان الجنوب يتعرض آنذاك لموجات جديدة من غارات القرامطة، أنزلت ضرراً شديداً بدمشق، التي تعاقبت فيها الثورات واحتلها الفاطميون وأخلوها مرات متكررة. إعتبر السوريون الفاطميين غزاة أجانب، وكان بعضهم يرى أنه حتى حكم المسيحيين أفضل من حكم هؤلاء الأفارقة المتوحشين. وزاد الطين بلة تحركات بدو قبيلتي طي وعُقيل الرحل، الذين دفعت آخر موجة قرمطية بهم نحو الشمال، فاحتلت طي شرق الأردن وجنوب فلسطين، وعملت عُقيل من أجل تحويل وسط سورية إلى موطن لها، لكنها، كما يبدو، لم تبلغ هدفها، لأننا لم نعد نسمع عنها شيئاً في الأوقات اللاحقة. بعد سقوط الحمدانيين (1003/ 1004م)، توحدت سورية تحت حكم خليفة الفاطميين في القاهرة، دون أن تتخلص من الاضطرابات والقلاقل. من ذلك أن ثلاثة من قادة البدو الكبار هم صالح بن مرداس (كلاب) وسنان بن عليّان (عقيل؟) وحسان ابن المفرج (طي) أقاموا عام 1021م تحالفاً من أجل اقتسام سورية. بما أن صالح إنفرد باحتلال الحصة المقررة له، فقد أسس عام 1025م مملكة مرداسية في حلب، إستمر حكمها ـ مع بعض الانقطاعات ـ إلى عام 1079م. وأخذ الأتراك السلاجقة موطيء قدم في سورية خلال الربع الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي، ثم تقاسمها قادتهم، فلم يبق في يد الفاطميين غير بعض مدن الساحل.

إختفت كلب في هذه الفترة بالذات من صفوف القبائل الرحل، وإن كانت أقسام من سكان حلب وشيزر وتدمر وغيرها من المستقرات الأبعد شرقاً قد حافظت على أصلها الكلبي حتى القرن الرابع عشر. لا نعرف الجهة التي أخذت مكان كلب في الصحراء السورية، لكننا نعرف أن بدواً رحلاً غير عرب، هم التركمان، تغلغلوا في الشمال برفقة السلاجقة، وتمكنوا، بفضل وحدة الدم التي جمعتهم إلى حكام سورية هؤلاء، من إقامة وجود دائم لهم هناك، وامتصاص قبائل عربية كاملة ككلاب.

مكنت الأحداث والمجريات الهامة التي شهدتها سورية منذ عام 1096م، وصراعات الصليبيين ضد السلاجقة والأيوبيين، البدو من التدخل في الأحداث السياسية، على أن يكون معلوماً أن مواقفهم تحددت بمصالحهم الأسرية والقبلية وليس بمصالح إسلامية مشتركة أو عامة تماماً كما كان الحال خلال الهجمات البيزنطية في عامي 968 و969م ثم في عام 1031م ـ يحتل أهمية فائقة في هذا السياق قدوم مجموعة تنتمي إلى طي من شرق الاردن، حملت اسم ربيعة، وانقسمت إلى فرعين هما المرا والفضل، إختار الأول حوران مكاناً لإقامته، والثاني المنطقة الواقعة بين حمص وحماه (حوالى عام 1200م).

شهد عصر الحملات الصليبية نشوء أقوام خاصة كدروز لبنان والنصيرية (العلويين)، والإسماعيليين في الجبال الشمالية والمتاولة(*) على حدود فلسطين وفي بعلبك، ميزت نفسها عن عالمها من خلال انتمائها الديني، واعتصمت بمناطق سكنها الجبلية لتصارع طوال قرون من أجل استقلالها الذاتي ـ دون أن تتمكن من بلوغ هدفها.

أحدثت الحقبة الأخيرة من الفترة الصليبية فوضى عامة في سورية. فقد تصارع خلفاء صلاح الدين من أجل الحكم، وارتسم الخطر المغولي في الشمال، في حين تأسست في الجنوب سلطنة المماليك القاهرية (1250م). واصطدمت القوتان العظميان: المغول والمماليك عام 1260م عند عين جالوت في الجليل، فأنقذ انتصار السلطان اللاحق بيبرس البلاد من التتار، وإن كان لم يقض تماماً على خطرهم، ولم يمنع جيوشهم من عبور الفرات مراراً وتكراراً. مع سقوط الموانئ التي كانت في أيدي الصليبيين 1291م صارت سورية بأسرها مملوكية، وتبعت القاهرة لأكثر من قرنين، فكانت دمشق وحلب أعظم ولايات المملكة، وإن كانت مرتبة والي الأولى أعلى بدرجة واحدة من مرتبة والي الثانية. على أن الولاة كانوا كثيراً ما يتغيرون، لخوف الحكومة المركزية من أن يقيموا علاقات خيانية مع

(*) المتاولة اسم يطلق في لبنان على الشيعة الإثني عشرية. وهم موجودون في تلك المنطقة قبل الحملات الصليبية. المصدر [التشيع بين جبل عامل وإيران، علي مروة، دار الريس]. (شبّر).

المملكة الكبيرة المجاورة: دولة المغول في العراق.

تحولت قبيلتا طي، الفضل والمرا، إلى سادة بدو سورية الرحل، إبان العصر المملوكي: الأولى في السهب والثانية في منطقة حوران. وقد بلغتا هذه المكانة رغم ضعفهما العددي، ذلك أن الحكومة كانت تنصب شيوخ مشايخهما أمراء على البدو المحيطين بهما. ومع أن السلطات منحت فيما بعد لقب أمير إلى شيوخ مشايخ القبائل الأخرى، فقد حافظت قبيلتا طي على أرجحية معينة، خاصة وأن جيرانها من القبائل كانوا قد اعترفوا في هذه الأثناء بحكمها. ـ تبنى سلاطين المماليك في هذه التعيينات عرفاً أخذ به الأيوبيون قبلهم، وإن كان لقب أمير قد اكتسب الآن أهمية أعظم، لأنه أدرج البدو في المراتبية العسكرية: الحامي الحقيقي للدولة المملوكية. وجاء بأمرائهم إلى الخدمة العسكرية، شأنهم في ذلك شأن المماليك، ومنحهم مثلهم إقطاعات أرضية. هكذا حصل عيسى ابن مهنا من قبيلة الفضل على منطقة سلمية عرفاناً بانجازاته في معركة عين جالوت، ومنح حق توريثها إلى أخلافه. وعززت أسرة أمراء الفضل نفوذها فيما بعد عبر إقامة علاقات مع حكام المغول، الذين كانت تتصل كل عام بمناطقهم خلال ترحالها الشتوي.

أصاب شيء من الجمود مملكة المماليك في ظل السلالة المملوكية الثانية (1382م ـ 1517م)، فوجد تيمورلنك سورية دون حماية حين هاجمها خريف عام 1400م. وإذا كان قد تخلى بعد حين عن دمشق التي احتلها دون قتال، فإنه لم يفعل ذلك خوفاً من هجوم معاكس، بل لأن خططه كانت تتخطى كثيراً ما أنجزه. كان أمير الفضل نُعير واحداً من الرجال القلائل، الذين تجرأوا آنذاك على مواجهة الخطر. ـ لم تشهد ظروف سورية تبدلات ذات شأن في هذه الحقبة الزمنية، وإن كان من الضروري ملاحظة النمو السكاني الكبير للتركمان، الذين أسسوا في القرن الرابع عشر دولة خاصة بهم على أراضي سورية/ آسيا الصغرى في مملكة ذو القدر«ذوعاقدر».

بدأ نظام الدولة المملوكي يتراخى مع نهايات القرن الخامس عشر، فلم تعد المناطق الخارجية من ولاية دمشق تدار بصورة مباشرة، بل أوكلت إدارتها إلى

وجهاء محليين، فبرزت أسرة ابن الحنش[1] في البقاع، ووصلت سلطة أمراء المرا إلى أوسع انتشار لها في منبسط حوران. كان نظام المماليك العسكري يتعرض بدوره للإنهيار. فلا عجب إن كانت مملكتهم ناضجة للفتح العثماني.

دخل السلطان سليم دمشق دون قتال، بعد انتصاره عام 1516م في مرج دابق. ثم وضع في السنوات التالية لعودته من القاهرة الأسس الضرورية لإدارة سورية. رغم فشل محاولة توحيد المنطقة بأسرها، فيما عدا حلب، في يد جانبردي غزالي، آخر حكام المماليك في دمشق، بقيت أقسام واسعة بهذا القدر أو ذاك من فلسطين وشرق الاردن خاضعة لباشا دمشق. كما نما نفوذ الأعيان، الذي كان ملحوظاً في الحقبة الأخيرة من الحكم المملوكي، نمواً كبيراً في ظل العثمانيين. وتزايدت أهمية موكب الحج بالنسبة إلى البدو، بعد أن نظمه السلطان سليمان بطريقة أضفت عليه الكثير من الأبهة، لأول مرة منذ العصر الأموي، قام السلطان نفسه بإيفاد بعثة الحجيج السوري وتجهيزها، وأقام القلاع لحماية طريقه نحو المدينة، وحدد الصرّة، الرسم الذي كان يدفع إلى البدو، مقابل السماح بمرور قافلته في مناطقهم، ونظم حق مرافقته، فخص أقوى قبائل حوران بالمسافة الأولى منها، حتى إن زعيمها نال لقب شيخ الشام وصار منذ القرنين السابع والثامن عشر قائداً محلياً لموكب الحجيج، إلى جانب أمير الحج.

أدى تبدل انتماء دولة سورية الى تغيرات معينة في عالم البدو، فحل المفارجه في حوران محل المرا، واختفى الفضل من الصحراء، وكانوا قد انسحبوا أول الأمر إلى البقاع ثم إلى الجولان، فاحتلت مواقعهم قبيلة أخرى هي الموالي، حافظت، رغم ذلك، على استمراريتهم، لأن شيوخها (البوريشة) تحدروا منهم وورثوا ألقابهم ومخصصاتهم. إلى هذا، أدى تدهور الزراعة آنذاك إلى تقلص عائد سلمية[2] حتى صار قليلاً بالمقارنة مع مداخيل ألبوريشة من التجارة مع البلدان

---

(1) من أصل بدوي، ولكن من قبيلة غير معروفة.

(2) أصبح أبو ريشة كسنجق بيك لسلمية.

الأخرى، ومن حكمهم في عانة.

وجد الطموح الإستقلالي لشعوب جبل لبنان تعبيراً مميزاً عنه في السياسة الجسورة لأمير الدروز فخر الدين، الذي حكم لبعض الوقت المنطقة الساحلية وأقساماً واسعة من سورية الداخلية. ثم طرده الأتراك عام 1613م، لكنه عاد عام 1616م إلى وطنه واستعاد مركزه القديم من جديد، إلى أن أسقط بصورة نهائية عام 1633م. إنتقل النزاع بين فخر الدين والحكومة إلى البدو. وتركز الصراع بين الدولة العلية والأمير على حوران والمناطق المجاورة لها، حتى وجدت القبائل نفسها مجبرة على اتخاذ موقف صريح منه: فأيدت المفارجة فخر الدين، وقاتل إلى جانب الأتراك قبيلتان ذكرتا لأول مرة بهذه المناسبة هما السرديه والفحيلي. أحدثت نتيجة الحرب تبدلاً تاماً في علاقات القوة داخل حوران، فنقلت السيطرة من المفارجة إلى السردية، وبرز إلى جانبهم الفحيلي بصفة أمراء اللجاة.

عانت سورية، كغيرها من أقاليم الأمبراطورية العثمانية، الأمرّين من التغيير السريع لكبار الموظفين، إلى أن كان عام 1725م، الذي شهد تبدلاً مهماً تجسد في إضفاء طابع إقطاعي على الإدارات العليا، جعل من بيت العظم المزدهر إلى اليوم أسرة حاكمة، أمسكت بمقاليد الأمور حتى عام 1783م في دمشق، واحتل أفراد منها أو من عملائها مراكز السلطة في الأقاليم المجاورة أيضاً. راقب الباب العالي هذا التطور بقلق. وقام أخيراً بعزل أسعد باشا العظم عام1757م، غير أن خليفته حسين باشا مكي زاده فشل في قيادة قافلة الحج، حتى إن البدو هاجموا الجردة، قافلة الإمداد التي تهرع إلى ملاقاة الحجيج، والقافلة ذاتها، ونهبوهما. اتهمت القسطنطينية أسعد باشا بتحريض العرب على شن الغارة، لكي يثبت أنه شخص لا يمكن الإستغناء عنه.

إرتبطت ظاهرة أخرى بالاقطاعية هي صراعات الأحزاب التي ضجت بها دمشق وحلب في القرن الثامن عشر. بدأت إضطرابات حلب، التي شارك فيها الموالي أيضاً، خلال الحرب الروسية/ التركية عام 1769م، واستمرت إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عندما تمكنت السلطات من استعادة الأمن والنظام

بواسطة أعمال قمعية رهيبة. وتم في جنوب سورية إخضاع مناصري الأحزاب والبدو بفضل قبضة أحمد باشا الجزار الحديدية، الذي حكم دمشق أربع مرات بين 1784 و1804م.

بدأت ملامح التوزيع الحالي للبدو ترتسم في سياق القرن الثامن عشر. فقد انكفأ الموالي إلى منطقة حلب وحماه، عقب اهتزاز مكانتهم مع تراجع التجارة مع البلدان الأخرى، واستولت عنزة على موقعهم في الصحراء، وتقدم الفدعان والحسنة حتى حلب وحمص، واحتل ولد علي منبسط حوران، ولذلك انتقل في النصف الثاني من القرن حق مرافقة قافلة الحجيج من السردية إليهم. ثم تبعث الرولة هذه القبائل، ومكثت أول الأمر في الحماد ولم تتقدم إلى سهل حوران حتى منتصف القرن التاسع عشر. إلى هذا، أدت الحركة الوهابية إلى قدوم موجة قوية ثانية من عنزة إلى الشمال، تكونت من السبعة والعمارات، فذهب الأولون إلى البادية التدمرية والأخيرون إلى منطقة الفرات.

حاول السلطان محمود منذ عام 1812م إزالة الإقطاع من سورية، مثلما حاول في ولايات الإمبراطورية الأخرى. لكن إجراءاته لم تحقق هنا كامل أغراضها، لأنها فجرت صراعاً بين الباب العالي ومصر كان يهدد بالإنفجار منذ وقت طويل. كان محمد علي، خصم محمود، قد قرر عام 1831م الإستيلاء بالقوة على الأقاليم السورية التي رفض السلطان منحه إياها. بعد احتلال عكا على يد ابنه إبراهيم باشا، سقطت سورية في يد المصريين، واعترف صلح كتاهيا (أيار من عام 1833م) بملكية محمد علي لها. كان حكم المصريين دكتاتورياً وعسكرياً صرفاً، حسّن أحوال الشعب مادياً بفضل إلغاء الأعباء والإمتيازات القروسطية، إلا أن مصادرة الأسلحة وإلزام الناس بالخدمة العسكرية وبالعمل من أجل الغرباء إعتبرا ضرباً من الإضطهاد. في النهاية، إنفجرت عام 1834م تمردات قمعت بطريقة دموية، في حين أخفقت حملة تأديبية أرسلت لإخضاع الدروز وبدو اللجاة (1838)م. بعد عامين من ذلك، وجد إبراهيم باشا نفسه مجبراً على إخلاء سورية تحت ضغط القوى العظمى، رغم انتصاره عند نزب.

جاء الإحتلال بعنصر بدوي جديد إلى سورية هم الهنادي، الذين تحدروا بالأصل من مصر، ورافقوا إبراهيم باشا كفرسان غير نظاميين، ثم بقوا في البلاد بعد انسحابه منها، وسكن معظمهم منطقة حلب. لم يكن الهنادي أول أفارقة يأتون إلى سورية، فقد تكرر منذ عهد الفاطميين إلى وقتنا الحالي قدوم مجموعات صغيرة وكبيرة من المصريين، وقبل كل شيء من المغاربة (أبناء شمال غرب أفريقيا). جاءت الغزوة المغربية الكبرى عام 1855م، عندما اختار الأمير عبد القادر، بطل الدفاع عن الجزائر، دمشق سكناً له، واشترت أسرته ملكية كبيرة في الجولان، مكنتها من ممارسة تأثير عظيم على بدوه. وخدم أتباعها حراساً لقلاع طريق الحج، شأنهم في ذلك شأن قادمين مغاربة آخرين، سبقوهم إلى القيام بهذه المهمة في القرن السابع عشر.

تمثل مذابح المسيحيين، التي حدثت عام 1860م، علامة فارقة في تاريخ سورية. فقد تدخلت الحكومة فيها بطريقة أدت إلى تحسين سمعتها، وأشعرتها أنها تمتلك القوة الكافية لفرض طاعتها في سهب سورية الشمالي، الأمر الذي دفعها إلى إقامة مراكز عسكرية على خط دمشق ـ تدمر ـ دير الزور (1870)م، تمكنها من تحقيق هدفها. هكذا تقدمت المنطقة الزراعية في كل مكان على حساب مناطق الرحل، وبرز شركس الجولان، الذين كانوا قد استقروا فيه عام 1878م، كمزارعين جيدين. ترك بناء السكك الحديدية في التسعينيات أثراً مماثلاً، بلغ ذروته في بناء خط سكة حديد الحجاز، الذي دشنت مرحلته الأولى عام 1908م. هذا التقدم الذي يستحق الإعجاب من وجهة نظر البلاد ككل، حدّ من موارد معاش البدو، خاصة وأن إلغاء مواكب الحج أفقدهم دفعات الصرّة ذات الأهمية الهائلة بالنسبة لحياتهم. ومع أنه تمت تهدئة قلقهم بالموافقة على إعطائهم أجوراً مقابل قيامهم بحماية خط السكة الحديدية، فإنهم علموا علم اليقين أن هذا لن يكون غير تدبير موقت.

خضعت جميع القبائل المقيمة خارج الصحراء للحكومة قبل الحرب، باستثناء قبائل حوران، التي توطن فيها الدروز منذ نهاية القرن الثامن عشر، وخاصة بعد عام 1860م، وبقيت مركز اضطراب دائم.

حين دخلت تركيا الحرب العالمية عام 1914م، إنسحبت القبائل البدوية إلى أكثر مواقع الصحراء بعداً عن المراكز الحضرية، فراراً من ضرائب وأعباء الحرب. وشاركت في الإنسحاب القبائل التي كانت قد عزفت تماماً عن التجوال. ولم تتخذ موقفاً إلا بعد أن حسمت الحرب لصالح الحلفاء، فدخل شيخ الرولة نوري ابن شعلان دمشق في الأول من تشرين الأول عام 1918م بصحبة الجيش العربي/ الإنجليزي. وتكونت بعد ذلك مباشرة حكومة وطنية عربية في دمشق، بموافقة البريطانيين وقيادة فيصل، ابن كبير أشراف مكة ومارست الحكم داخل البلد، بينما خضع الساحل وكيليكيا لجيش الشرق الفرنسي. أبقت مصالح القوى الكبرى المتقاطعة مصير سورية في غياهب المجهول قرابة عام كامل، وقيل إن استفتاءً شعبياً أجري من قبل الأميركان في تموز من عام 1919م أخفق في تقديم صورة واضحة عن رغبات الأهالي. ثم اتفق في تشرين الأول من العام ذاته على جعل البلد منطقة انتداب فرنسي، على أن تشكل سورية الداخلية دولة خاصة بها تحت قيادة فيصل، ويدار لبنان ككيان منفصل عنها. أخيراً، تم في نهاية تشرين الأول تعيين مفوض سام فيها هو الجنرال غورو، وانسحبت القوات الإنجليزية. صحيح أن فيصل وافق على الإتفاق، لكن المناطق الحدودية شهدت صدامات بدأت في مديرية مرجعيون شمال بحيرة الحولة، وتفاقمت بعد السابع من تموز عام 1920م، يوم إعلان فيصل ملكاً على سورية. ومع أن حكومة فيصل قبلت إنذاراً فرنسياً، فقد دخلت جيوش الجنرال غورو يوم 24 تموز الأراضي السورية، واحتلت مدينة دمشق بعد اشتباك عند خان ميسلون، منهية بذلك حكم الملك العربي في سورية، قبل أن تحتل البلاد في الأشهر التالية. أسس الفرنسيون في الأول من أيلول من عام 1920م دولة لبنان الكبير، التي ضمت الحرمون والبقاع، إلى جانب المناطق التي حملت في ذلك الوقت اسم لبنان. ثم قسموا سورية ذاتها إلى دول هي دمشق (تتبعها حمص وحماه والمنطقة الدرزية المستقلة ذاتياً)، وحلب (تتبعها دير الزور وإسكندرونة) ودولة العلويين مع جبال الساحل الشمالية. فيما بعد، وحدت دمشق وحلب من جديد، بينما استمرت الدولتان اللبنانية والعلوية، واستمر الإستقلال الذاتي لجبل الدروز. بعد إقرار معاهدة نهاية عام 1936م، التي أريد بها إعطاء

سورية الحرية، أعيد دمج العلويين والدروز في الوطن الأم.

في البداية، رحب قسم من مشايخ البدو بالسيطرة الفرنسية، مثل رشيد ابن سُميرَ (ولد علي) ومجحم ابن مهيد (فدعان). كما تأقلم نوري ابن شعلان مع الظروف الجديدة، بعد سقوط فيصل. بالمقابل، إتخذ زعماء القبائل المستقرة، التي تداخلت مصالحها بقوة أكبر مع مصالح وجهاء المدن، موقفاً مضاداً من الإنتداب، فشارك شيخ الفضل محمود الفاعور في اضطرابات مرجعيون، واتهم لاحقاً بالمشاركة في محاولة اغتيال تعرض لها الجنرال غورو. وواجه الفرنسيون مقاومة شديدة في حوران، حيث خاض البدو المعارك إلى جانب الدروز، وحولوا منطقتهم إلى مركز للثورة السورية العامة التي نشبت عامي 1925م/ 1927م، وأصابت عدواها في الشمال الموالي قبل غيرهم، الذين انخرطوا في حمأة اضطرابات كبيرة بعد الحرب. حالياً، هدأ البدو بوجه عام، بينما يتواصل تذمر وغضب سكان المدن.

يرتبط تاريخ البدو في سورية بحقيقة أن المنطقة الزراعية، الواقعة بين الفرات الأعلى وسلسلة جبال لبنان الشرقية، ليست محمية بأية عوائق طبيعية، بل توجد مداخل مريحة إليها استخدمها القادمون من جزيرة العرب، هي ممر دمشق، ووادي السرحان وطريق الحج. من جانبه، قدم الداخل السوري مجالاً هائلاً إتسع لعديد من القبائل البدوية، التي كانت تتقدم نحو الأراضي الزراعية بعد الحصاد، وتقصد الصحراء السورية في الخريف، حين تكون الأمطار قد غطتها بنباتات مختلفة. هذه القبائل اقتصرت منذ قرابة مائتي عام على عنزة، أو بالأصح الفدعان، الذين اتخذوا من منطقة حلب مستقراً صيفياً لهم ـ إلى ما قبل فترة قصيرة على الأقل ـ، والسبعة، الذين تركزوا في حماه، والرولة قرب حمص ودمشق ومنطقة حوران، علماً بأن الحدود الشتوية للقبيلتين الأوليين تقع تقريباً قرب وادي حوران، بينما تقع حدود (الرولة) عند صحراء النفود الرملية شمال جزيرة العرب. إحتل الموالي في مطلع العصر الحديث مناطق الفدعان ـ السبعة، التي كانت قبلهم للفضل، وفي مطلع العصر الوسيط لكلاب وسواها من القبائل القيسية. لا نعرف من سكّان منطقة الرولة

الحالية كسكان سابقين غير كلب، التي كانت تنصب مضاربها في الصحراء السورية خلال العصر الجاهلي.

قدمت سورية منذ الأزل مقومات العيش لملاك الجمال وعدد كبير من مربي الحيوانات الصغيرة. في الصيف تكون مقراتهم داخل المنطقة الزراعية. وفي الشتاء تقصد قبائل حلب وحماه البادية التدمرية، بينما تتوغل القبائل القاطنة إلى الجنوب منها في الحماد الشمالي. وكان هناك، إلى ما قبل عقود قليلة، تنقلات قبلية بين الجولان ـ شتاء ـ والبقاع، أو سلسلة جبال لبنان الشرقية، صيفاً. هذا ما ألفت القيام به قبائل الفضل، والنعيم، والعقيدات. أما قبائل مربي الأغنام الكبيرة في الشمال، فهي حديدين حلب وبني خالد، التي تمضي منذ قرون كثيرة الصيف قرب حمص. عرجنا في مقدمة بلاد الرافدين على اثنتين من أهم الطرق، التي كان البدو يستخدمونها عند قدومهم من جزيرة العرب، وهي الطريق التي تقود من شرق جزيرة العرب إلى حلب وتمر بمحاذاة الفرات، وتلك التي تقود من غرب جزيرة العرب إلى دمشق فحمص عبر الحماد. إستخدمت البهرا وكلب الطريق الأخيرة في العصر القديم، إنطلاقاً من موطنهما في الحجاز، واستخدمها بعد ذلك بعض العنزة والرولة في العصر الحديث. أما الطريق الأولى فقد سلكتها تنوخ القديمة إلى شمال سورية. وللعلم، فإن وصول قادمين من الجنوب إلى سورية نادراً ما حدث بصورة مباشرة، أقله عندما كان الأمر يتعلق بقبائل رحل، باستثناء مثال واحد مؤكد هو الولد علي[1]. بالمقابل إمتلأت حوران بسكان من أنصاف رحل شرق الأردن، ممن قدموا إليها عبر هذه الطريق.

شكل السفح الشرقي للجبال الساحلية الحدود التي توقفت عندها موجات الهجرة البدوية. بسبب ضغط من لحقوا بهم، أقلع هؤلاء بين حين وآخر عن العودة شتاء إلى الصحراء، وقصروا حركتهم على السهوب المجاورة، لا بل إن بعضهم

(1) تحولت ربيعة (الفضل والمرا) في سورية أول الأمر إلى بدو رحل. أما الصالح فلا تتوفر لدينا معلومات موثوقة عنها.

كانوا يتحولون إلى ممارسة الزراعة، كما حدث للموالي، وفي العصر القديم لتنوخ. عندما كانت القبائل تجد في نفسها قدراً من القوة يمكنها من تفادي هذا المصير، كانت تكتفي بعبور الفرات إلى أعالي بلاد الرافدين، كما فعل القيسيون في مطلع العصر الوسيط وفدعان عنزة في الآونة الأخيرة. عموماً، ثمة ضغط سكاني ذو اتجاه شمالي/ جنوبي داخل سورية وفي بلاد الرافدين. يؤكد وجود هذا الضغط انزياح الفضل وغيرهم من بدو الجولان الحاليين من منطقة حمص ـ حماه إلى الجنوب، وحدوث انسياب بشري دائم من الجولان إلى شمال فلسطين.

يمثل الغاب، وهو منخفض مجرى العاصي الواقع إلى الجنوب من جسر الشغور، منطقة انكفاء نموذجية، وجدت فيها مزق من جميع القبائل مستقراً لها. واضطرّ بعض البدو إلى الوصول حتى جبال الساحل حيث عملوا كرعاة في خدمة وجهائها وأثريائها.

عندما يقصد البدو المنطقة الحضرية في مطالع الصيف وقد أضناهم العطش والجوع، تركز الحكومات السورية جهودها على حماية الأراضي المزروعة منهم. وقد استخدمت الحكومة التركية في الماضي قبيلة الهنادي لحماية سهل حلب. وكانت حماية محصول حوران، الذي توقف إمداد دمشق بالغذاء عليه، واحداً من أهم التزامات الوالي. وتتضمن حوليات دمشق تقارير مهمة حول هذا الموضوع، وضعها ابن طولون، وكذلك مستندات القرن السابع عشر التركية. وفي العصر الحديث وصف شوماخر مراراً انطباعاته حول تدابير الحكومة المكرسة لحماية المحاصيل.

حقق توطين البدو، الذي شجعته السلطات وحفزه التطور المفاجئ للبلاد، تقدماً كبيراً منذ عام 1860م، خاصة في المنطقة الواقعة بين حلب وحماه وفي الجولان. ثمة تغير آخر مهم هو تحول البدو من تربية الجمال إلى تربية الأغنام. وأخيراً، فإن الأراضي والقرى التي أهداها السلطان عبد الحميد إلى شيوخ البدو، ما لبثت أن زادت من اهتمام هؤلاء بحماية الزراعة.

بينما تمكن طرق المواصلات الحديثة الحكومة في أيامنا من ممارسة رقابة

سهلة نسبياً على عنزة وغيرها من قبائل الصحراء، فإن هذا ليس هو الحال بالنسبة إلى أنصاف الرحل. وعلى سبيل المثال، فإن الحرب التي دارت طوال سنوات في منطقة حماه بين الحديدين والموالي، لم تبلغ بعد نهاية أكيدة، ولم تتم كذلك تهدئة النزاعات القائمة بين بدو حوران وجيرانهم الحدوديين في شرق الأردن، رغم مساعي السلطات. بالمقابل، تمكنت الحكومة من تسوية نزاع نشب بين قبائل عنزة (1929م).

بذلك، يصل حديثنا إلى العلاقات السياسية القائمة بين القبائل البدوية، التي تتعين بالدرجة الأولى بالتناقض بين مجموعتي عنزة: بشر (فدعان، سبعة، العمارات) وضنا مسلم (الرولة، ولد علي، حسنه)، والذي يعود أيضاً إلى النزاع الذي ذكرناه قبل قليل. هذا التناقض يعبر عن نفسه في انحيازات قبائل السهب الشمالي الصغيرة: حيث يقف الحديدين والبني خالد إلى جانب الفدعان/ السبعة، ويقف أعداؤهم الموالي والفواعرة إلى جانب الضنا مسلم. في الجنوب تخضع حياة القبائل للعداء بين شعب حوران بمجموعه، سواء كان من أصول بدوية أو درزية من جهة، وبين عنزة من جهة أخرى.

سنتبع في ترتيب القبائل في هذا القسم مواقع القبيلة انطلاقاً من الشمال إلى الجنوب: حلب، حماه، حمص، دمشق، حوران، الجولان. ويحتل السردية ذيل القائمة فيه، لأنهم ينتمون في الحقيقة إلى شرق الأردن. ويجب أن نتذكّر أن أكبر قبيلة سورية، العنزة، قد عولج في قسم بلاد الرافدين.

قبائل مستقرة قرب حلب

يتسم السهل السوري الشمالي، الواقع بين حلب والفرات وصولاً إلى جبال آسيا الصغرى، بدرجة كبيرة من الكثافة السكانية. فقد استقر فيه، إلى جانب شعب من فلاحين قدماء، بدو يعيشون كفلاحين، لكنهم حافظوا على تنظيماتهم القبلية. يعيش هؤلاء حول منبج وباب، وهناك بعض الوجود المتفرق لهم في دائرة اعزاز أيضاً، يمتد في الشمال الشرقي حتى نهر الساجور، حيث يجاورون قبائل كردية وتركمانية، ويبلغ في الشمال الغربي جوار كلّز، وفي الجنوب بحيرة الجبول الملحية وجبل الحص، قبل أن تتجه مستقراتهم من هناك نحو الغرب متخطية سكة الحديد وصولاً إلى طريق حلب/ إدلب. قدم العدد الأكبر من هذه القبائل المستقرة من وادي الفرات، مثل بني سعيد، وابو سبيع، وفردون، والبوشيخ والولدة. وجاءت كذلك إلى هنا مزق من قبائل عراقية مثل بني جميل وبني زيد. يعتقد تيرييه أن هؤلاء جميعاً ارتحلوا إلى هذه المنطقة في القرنين الثامن والتاسع عشر؛ وبالفِعل فإن نيبور ينسب بني سعيد والفردون وكذلك البوسالم إلى أورفة ـ الرقة.

تركز ثقل البوسعيد في منبج، قبل أن تبادر الحكومة إلى توطين الشركس فيها بعد الحرب الروسية/ التركية عام 1877م/ 1878م. تراجع عدد البوسعيد مقارنة بالماضي، لكنهم بقوا أقوى قبائل المنطقة، تليهم الولده (جنوب حلب)، فخذ قبيلة البوشعبان التي تحمل الاسم نفسه ولم تزل لهم علاقات مع أخوتهم على الفرات.

قبائل مستقرة عند حلب(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة السكن	عدد الأسر
1 ـ "الجلاد"(2)	حسن جاسم العيسى	منبج	120
2 ـ بني سعيد(3)	شلاش بن ابراهيم الدرويش(4)	ساجور/ الباب	1220
أ ـ المقادمة(5)	عيسى الظاهر		
ب ـ القنايم وبني سعيد	شلاش بن ابراهيم		
جـ ـ البوبطوش(6)	يونس العبد المجيد		
3 ـ ولد علي(7)		منبج	90
4 ـ أبو سبيع(8)	حسن الحاج حسين	الباب	70
5 ـ فردون(9)	محمد بن مصطفى الخلف	نهر الذهب	400
6 ـ بني جميل(10)	احمد بن عثمان	جبول	400
7 ـ بني زيد(11)	محمد العيسى	حلب	300
8 ـ السكن(12)		الأحص	250
9 ـ الولدة(13)		حلب	450
أ ـ الحويرات	جميل العيسى		180
ب ـ الصعب	فرج العلي		120
جـ ـ المسرة	شريف الحسين		100
10 ـ البوشيخ(14)	عبد الكريم الحاج حسن(15)	حلب	440
أ ـ البوشيخ			120
ب ـ الواكد			100
جـ ـ الشاهر			70
د ـ البوسالم(16)			40

ملاحظات حول جدول القبائل المستقرة قرب حلب

1 ـ يقتصر الجدول على قبائل أصبحت مستقرة في أغلبيتها أو معظمها. للحصول على نظرة عامة تبين مواطن البدو في منطقتنا، يستحسن الأخذ بما جاء في الملاحظات رقم 6 من جدول جيس، و38 من جدول البقارة، و1 من جدول الحديدين (سورية) و5 من جدول قبائل حلب المتجولة الصغيرة، و1 من جدول النعيم (سورية). كما أننا لم ندرج هنا سكان الفرات، المذكورين في نهاية القسم السابق. ينضوي الهنادي جغرافياً ومن حيث نمط حياتهم هنا، لكننا خصصناهم بمقالة خاصة بسبب تاريخهم المميز.

يستند الجدول إلى تيربيه، لكننا أهملنا العجيل (إلى الجنوب من كلّز)، الذين يرد ذكرهم في الصفحة 185 من كتابه.

2 ـ ابتون، ص219. تيربيه، ص175.

3 ـ نيبور: جزيرة العرب، ص393. جدول شبرنغر، رقم 137: 4500 مسلح. إليوت عند فرازر، الجزء الأول، ص366. شيسناي: الجزء الأول، ص421. ابتون، ص218. ساخاو، ص150: 2000 ـ 3000 خيمة. تيربيه، ص181 وما يليها.

4 ـ 1897م: عابد بن ثامر. يذكره ساخاو أيضاً. ويذكر ابتون أباه.

5 ـ ابتون: ص219.

6 ـ فخذ من البوبطوش، يضم 140 أسرة يسكنون اخترين وغيرها من قرى دائرة اعزاز. عشيرة أخرى صغيرة من بني سعيد (22 أسرة) تسكن آق برهان جنوب غرب كلّز.

7 ـ تيربيه، ص103 يذهب قسم من القبيلة شتاء إلى البشري. يدعي تيربيه أن الولد علي هم فخذ من عشيرة عنيزة التي تحمل الاسم ذاته. لكن هذا ليس مؤكداً.

8 ـ تيربيه، ص101. يحسب الأبوسبيع أنفسهم على البوشعبان. إنهم أنصاف

رحل ويقضون الشتاء قرب العنز.

9 ـ نيبور: جزيرة العرب، ص393: الفرادنة. رامبليس، ص269. ابتون، ص218. تيرييه، ص178. ميسورون نسبياً، من البوشعبان على ما يظن.

10 ـ تيرييه، ص101. قبيلة فقيرة.

11 ـ تيرييه، ص91: ترسل القبيلة قطعانها في الشتاء إلى شرقي بحيرة الملح.

12 ـ نيبور: ص395: سجن. حسب بوركهاردت، ص9 من أصل غير عربي. لا وجود لهم عند تيرييه، لكنهم ذكروا عام 1897م.

13 ـ تيرييه، ص82. بعض الخيام تترحل في الشتاء. خمس قرى على بعد 30 إلى 40 كيلو متراً جنوب حلب.

14 ـ البوشعبان. ابتون: ص219. تيرييه، ص85. في تحالف مع ولدة حلب. بعض الخيام تترحل في الشتاء مع قطعان القبيلة. القرى: زربة، برقوم، القناطير، كماره. (خارطة بلاد الرافدين وسورية 1: 400000).

15 ـ متزوج من حلبية، يمضي الشتاء في حلب.

16 ـ نيبور، ص393. ابتون، ص219.

هنادي

قدم الهنادي في ثلاثينيات القرن التاسع عشر من شمال أفريقيا إلى سورية، وهم قبيلة صغيرة توطنت بين حلب والفرات ـ يسكن قسم آخر منها في فلسطين، تعيش قبيلتها الأم في مصر إلى اليوم، وترجع نسبها عبر هند[1] بنت سلام إلى الذيب وسعده، الأبوين الأولين لمجموعتي البدو المصريتين الكبيرتين: سعادي وسلالمه[2]. حافظ هنادي سورية أيضاً على شجرة نسبهم هذه، كما تبين صيحة الحرب لديهم: أخوة سعده. هذا النسب من الممكن أن يكون مختلقاً وحديث العهد، لأن مؤرخي العصر المملوكي، الذين يعتبرون السلام قبيلة ليبية والبوديب شيوخاً لبني جعفر الموجودين هناك أيضاً، لا يعرفون شيئاً عن القرابة بين هاتين القبيلتين[3]، اللتين قد تكونان من أصول بربرية، كما يؤكد كتاب المماليك بالنسبة إلى بني جعفر.

ليس في حوزتنا أية معلومات حول تاريخ الهنادي الأقدم، وإن كنا نعلم أنهم

---

(1) إشتق هنادي من هذا الاسم، النسبة: هنداوي، رامبليس، ص2. بلور: هنيدوي. أنظر: وصف مصر، الجزء 16، ص131.

(2) أنساب قبائل السعادي والسلالمة، مخطوط بالانجليزية والعربية جمعه براملاي، رئيس دائرة بدو مصر، في العام 1910م نقلت المعلومات عن عدد من الشيوخ.

(3) المقريزي: قبائل عربية في مصر، ص85. إبن خلدون: برير، الجزء الأول، ص8.

سكنوا في منتصف القرن الثامن عشر مقاطعة البحيرة المصرية من أعمال الدلتا الغربية، وطردهم أولاد علي، القبيلة الأكثر أهمية في تلك المنطقة، عبر النيل إلى مقاطعة الشرقية، فانتشروا من هناك بمحاذاة مجرى النيل إلى بني سويف وجرجه[1]، حيث تحولوا إلى الإستقرار بعد أن حطم محمد علي سطوتهم. ما إن جاء عام 1898م، حتى كان استقرارهم قد قطع شوطاً بعيداً، فلم يجد مصنف السكان المصري غير 137 شخصاً من البدو الرحل من بين أبنائهم الـ27103. جنت أسرة شيوخ الهنادي ثروات كبيرة، وهي تمتلك داراً جميلة في القاهرة.

هاجر الهنادي، منذ بداية القرن التاسع عشر، فرادى إلى فلسطين وسورية. ثم رافقت أعداد كبيرة منهم الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا، الذي احتل سورية عام 1832م. رابط قسم من قوات القبيلة قرب غزة[2] في فلسطين، كما تبعهم فيما بعد الشيخ عقيلة آغا إلى الجليل[3]، بينما وطن إبراهيم باشا قسماً آخر منهم بين حلب وبحيرة الملح في الجبول، سعياً منه لإقامة حاجز يصد عنه غارات البدو[4]. هؤلاء الهنادي استخدموا فيما بعد ضد الأتراك، وقادهم شيخهم حجي بطران بعد معركة نزب (24 حزيران 1839م) إلى سورك ورأس العين، لكن شمّر ردتهم على أعقابهم[5].

بقي الهنادي في سورية، عندما غادرها الجيش المصري في السنوات التالية. وقد أدخلتهم الحكومة التركية في خدمتها، واستخدمتهم كشرطة ضد البدو، لكنهم عجزوا عن حماية الفلاحين منهم إلا في حالات نادرة. حبذا لو قرأ المرء

---

(1) بوركهاردت، ص318 ـ مايو، الجزء الأول، ص43. وصف مصر، الجزء 16، ص131، ج. ف. موري: أبناء إسماعيل، لندن 1935م، ص294.

(2) روبنسون، الجزء الثاني، ص654.

(3) تابع مقالة هنادي في قسم فلسطين.

(4) أنظر رامبليس 1 ـ 25، ص155 و274.

(5) أينسورث: أسفار وبحوث في آسيا الصغرى، بلاد الرافدين، خالدية وأرمينيا، الجزء الأول، ص318، الجزء الثاني، ص103 و165.

الملاحظات الصائبة عنهم في كتاب رامبليس "في صحراء سورية"[1]، الذي وضعه مؤلف مجهول هو سكين، القنصل الانجليزي في حلب ـ بعد أن صحب مرات عديدة خلال عامي 1859 ـ 1860م شيخ الهنادي حجي بطران في أسفاره. عام 1860م، ألقى فؤاد باشا، الذي كان قد أرسل إلى سورية مزوداً بصلاحيات غير محدودة من أجل قمع الحركة المعادية لمسيحييها، ألقى القبض على حجي بطران، وأوكل منصب "حاكم الصحراء" الذي كان يتولاه هو إلى أحد أعيان حلب. واصل الهنادي فيما بعد التطوع في الجيش والدرك التركيين. فكان الشيخ حسان آغا، الذي قابلة زاخاو عام 1880م، برتبة مقدم في الجيش، وكان أخوه أحمد ملازماً في الدرك.

يسكن الهنادي الآن شمال الجبول[2]، ويعملون في الزراعة وتربية المواشي واستخراج الملح. وقد تراجعت أعدادهم تراجعاً كبيراً بالمقارنة مع الماضي، إذ قدر عدد القادرين منهم على حمل السلاح بـ1700 رجل عام 1860م، وألف رجل عام 1880م[3]، ولم يبق منهم عام 1930م غير 50 أسرة فقط. (تيرييه، ص100): شيخهم: جنيد البطران[4].

قدمت أسر عديدة في التسعينيات من القرن التاسع عشر من مصر إلى سورية، وسكنت قرب حماه، حيث انضم إليها مهاجرون من طرابلس، قدموا إلى هناك بعد الحرب التركية/ الايطالية.

---

(1) انظر ص 1 ـ 25، 155، 274.

(2) قابلت الهنادي أيضاً في أرض أبو جلجل (شرق الباب).

(3) رامبليس، ص2 ـ زاخاو: رحلة في سورية وبلاد الرافدين، ص143.

(4) ينتمي البطران إلى عشيرة البراعصة. أسعد منصور: تاريخ الناصرة، ص75.

حديدين[1]

كان الحديدن السوريين مثل أقربائهم في بلاد الرافدين، متفككين إلى مجموعات صغيرة من الرعاة المسالمين تعيش على أطراف المنطقة الزراعية، ثم تدامجوا في العقود الأخيرة أكثر فأكثر بعضهم مع بعض، وتبنّوا نمط حياة أنصاف الرحل. يدين الحديدين بهذا التطور إلى أسر شيوخهم، التي عرفت كيف تستغل فرص تراجع البدو الرحل، وتفيد من تطورات حقبة ما بعد الحرب. نجحت الأسرة، أول الأمر، في تجميع نواة قبيلة البوكنش وأتباعها من حولها، ثم أخضعت بقية العشائر لسلطتها، فحل التنظيم السياسي الصارم محل روابط الدم الواهية ـ عدد الحديدين الأقحاح في القبيلة قليل جداً ـ، وتنامت ملكيات القبيلة بسرعة وتوسعت مناطق انتشارها، فزاد قطر دائرتها إلى أكثر من الضعف بين عامي 1880م و1914م. وأصبحت القبيلة شبيهة بالبدو الأقحاح في عاداتها وتقاليدها وحتى في لغتها.

شهدت حقبة ما بعد الحرب بداية تطور معاكس، تسارع مع سنوات الجوع عامي 1932م و1933م، التي جعلت الحديدين ينتقلون إلى الزراعة، ولكن دون أن يفقدوا شيئاً من تماسكهم وقوتهم القتالية، لأن المؤثرات التفكيكية، التي تصاحب استقرار البدو عادة، لم تحدث عندهم، لأنهم استقروا غالباً في أراضي شيوخ

(1) أنظر حول تاريخها المقالة التي تحمل الاسم ذاته في قسم بلاد الرافدين.

مشايخهم، أو بقوا تابعين لهم بسبب ما كانوا يقدمونه لهم من سلف مالية[1].

غيّر صعود الحديدين السريع توازن القوى في ديرة الشنبل وسبب نشوب صراع مفتوح مع الموالي، الذين كانوا يعتقدون أنهم لا زالوا سادة تلك الأرض، وكان الحديدين يدفعون لهم الإتاوات في الماضي. وقد قدمت حادثة تافهة المناسبة المطلوبة: فقد تشاجر رعاة الأبرز (1 ط) ورعاة من عشيرة لهيب التابعة للحديدين حول استخدام بئر ماء، فما كان من اللهيب إلا أن طلبوا الإنضمام إلى الموالي، لاعتقادهم أن حقوقهم قد انتهكت، فكان جواب الحديدين على هذا الانفصال إعلان الحرب على الموالي. بدأت الأعمال العدائية عام 1920م، وكانت ستنتهي دون شك بهزيمة الحديدين، لو لم تتدخل سلطات الانتداب لإنقاذهم. سددت قوات الحكومة ضربات شديدة ومتكررة إلى الموالي، فتوقفت الحرب تدريجياً بين القبيلتين، ثم استعرت عام 1930م من جديد مع مقتل الأمير عبد الرزاق. الحكومة مدت يد الحماية هذه المرة أيضاً إلى الحديدين، فلم تحدث عملية ثأر دموي. ولكن، لم يتم عقد السلام إلى الآن.

يقيم الحديدين في الصيف بين حلب وحماه إلى الشرق من خط السكة الحديد[2]، حيث يزرعون أراضيهم، ويعملون كعمال زراعيين أو يقومون بأعمال نقل على جمالهم. أما في الشتاء، فهم يتنقلون في السهب السوري الشمالي بين اسريا والرصافة والسخنة، ويتوغلون أحياناً إلى عمق الصحراء (وادي المياه). تقع مستقرات الحديدين على بعد خمسين كيلو متراً إلى الجنوب من حلب. وقد تمت عام 1928م تسوية نزاعات الملكية بينهم وبين الموالي، حين رسمت لجنة حكومية حدود مناطق سكن القبيلتين، وتمت مبادلة المناطق المتداخلة لكل واحدة منهما لدى الأخرى.

تعتبر أسرة شيوخ الحديدين ـ آل إبراهيم ـ من أصول غامضة. ويقال إن أباهم الأول كان علوياً (نصيري) يعمل ساقي قهوة لدى أمير الموالي. وقد تسامت مكانتها منذ

---

(1) أنظر الملاحظات الممتازة حول التنظيم السياسي والاجتماعي للقبيلة لدى البرت دو بوخمان: مدونات حول صراعات قبيلتين تربيان الأغنام في سورية: الموالي والحديديين. باريس 1934م.

(2) مؤخراً إلى الغرب منها أيضاً.

ستينيات القرن الماضي بفضل الشيخ شرخ[1]، وارتقت بسهولة لأسباب منها افتقار القبيلة إلى التقاليد. ثم رفع صالح، إبن شرخ، سمعة الأسرة بزواجه من أخت أمير الموالي عبد الكريم[2]. وواصل الشيخ الحالي، نواف الصالح (ولد حوالى عام 1888م)، عمل آبائه، وهو ربيب مدرسة القسطنطينية البدوية، وكان ضابطاً في الجيش التركي واحتفظ برتبة وراتب المقدم، حين تولى المشيخة (حوالى عام 1915م)[3]. رغم ماضيه هذا. سعى نواف بعد الحرب العالمية إلى الالتحاق بالحكومة الجديدة، وحصل على ما أراد، فصار فارس جوقة الشرف وعضو الجمعية الوطنية السورية لعام 1928م[4].

أبدى نواف براعة كبيرة في سياساته العائلية كما في قيادة قبيلته. وقد تصاهر مع السبعة والموالي واشترى ممتلكات واسعة. واستأجر مناطق شاسعة قرب الخرايق من إدارة الأراضي، أصلح مرافق ريها المعطلة واشترى لفلاحتها محراثين يعملان بالمحركات. إلى هذا، عمل نواف قاضياً بنجاح وقرّب الحديدين بإحداث هذا المنصب الذي كان غير موجود لديهم حتى ذاك الحين، من البدو الأقحاح. إختار نواف، من أبنائه الاثني عشر، ابنه سطام خلفاً له.

الحديدين(1)

شيخ المشايخ: نواف الصالح

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ القومة(2)	نواف الصالح	الخرايق، صيفاً	2350
أ ـ أبو كنش(3)	أحمد الصالح	ديرة الشنبل، شتاءً	130
ب ـ أبو صليبي			200
جـ ـ ابو جميل			150

(1) أبتون: ص216.

(2) منذ ذلك الوقت إرتفع سعر دم ومهر الأسرة. بالنسبة لتقويم وضع القبيلة السابق هناك تصريح للأمير يعبر عن ذلك أفضل تعبير: "يوجد الآن خمسة فرسان لدى الحديدين هم أبناء شقيقتي"، (بالفرنسية).

(3) تيرييه، ص80. كخليفة لأبيه. دوبوخمان، ص41: كخليفة لأخيه شامان.

(4) إنه الآن نائب من جديد ويتلقى عوناً بالليرات السورية. 1934م.

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
د ـ آل جوالي			70
هـ ـ آل مراسة			100
و ـ الجميلة(4)			70
ز ـ أبو كعيران			90
حـ ـ ابو فاتلة			50
ط ـ الأبرز(5)	حمدي المشعل		500
ي ـ ابو شهاب الدين(5)	محمد حسين ابو جاسم		300
قبائل ملتحقة بها(6)			
أ ـ حرب			40
ب ـ نعيم			20
جـ ـ بقارة			60
د ـ البومانع			50
هـ ـ البوسرايا			20
و ـ أبو عاصي			40
ز ـ البو عيسى			150
2 ـ الغناطسة	محمد السفوق الرجو(7)	صيفاً: مسكنة/ جبول شتاءً/ ديرة الشنبل	335
أ ـ ابو عطيري			75
ب ـ التويمات			60
جـ ـ ابو تابن(8)			45
د ـ الجفاطين(9)			30
3 ـ البوحسن	ابن سرحان	سلمية صيفاً	
	خليف بن ابراهيم	تدمر شتاءً	500
4 ـ آل جملان(10)		تدمر	350

ملاحظات حول جدول الحديدين

1 ـ يستند الجدول إلى تيريه، ص80 وما يليها. وموزيل: بالميرينا، ص151. يتفق المخطط البياني عند دوبوخمان، ص38، تمام الإتفاق مع الجدول. عدد الخيام لدى موزيل 2000، وفي معلومة أقدم 800 فقط. تعيش مائة وخمسون عائلة منفصلة عن القبيلة، في خمس قرى إلى الجنوب الغربي من منبج (تيرييه، ص176). عدد المواشي: 500 حصان، 8000 جمل، 10000 ـ 15000 رأس غنم الوسم: (حية).

2 ـ يستخدم دوبوخمان التعبير قوم نواف، لأن كلمة قومة القديمة (تقرأ: قوامة) النادرة الاستعمال تصف ببساطة القبائل الرحل التي تعيش في السهل الواقع إلى الشرق من حماه.

3 ـ هم "الكنافوشة" في جدول روسو، ص69. دوبوخمان يوسع المفهوم كي يشمل الأفخاذ من ب إلى ز.

4 ـ ينتسب إلى الفرع الذي يحمل الاسم ذاته، الملتحق بجيس من البقارة.

5 ـ شاوية.

6 ـ الثلاث الأولى هي طبعاً مزق من القبائل المعروفة التي تحمل هذه الأسماء، البومانع، هم أيضاً بقارة، البوسرايا هم عقيدات، أما القبيلتان التاليتان فهما بوخميس وولده.

7 ـ ولد عام 1900م، تبع عام 1925م والده صفوق. وهو غني لكنه بخيل ويخضع لتأثير شيخ الفدعان مجحم بن مهيد.

8 ـ عند موزيل: تيرييه يسميه تابت.

9 ـ عند موزيل. تيرييه: "شغاتين".

10 ـ يظهرون عند نيبور ـ في كتاب جزيرة العرب ـ، بين القبائل التابعة للموالي. يسمون أيضاً أولاد جملان، ويقع مدفن أبي قبيلتهم الأول الشيخ فرج إلى الشمال من سلمية.

قبائل حلب الرحل الصغيرة

ترافق الحديدين كل عام أربع قبائل صغيرة من سهل حلب إلى جبل البشري، تسمى: كيار، وهب، البوخميس ولهيب. يشق الكيار واللهيب، اللتان تخيمان قرب حلب، طريقهما عبر إسرية، وتأخذ القبيلتان الأخريان، اللتان تمضيان الصيف في منطقة الباب، طريقاً يقع إلى الشرق يمرّ عبر عنز. تتبع القبائل الأربع الحديدين، وتدفع خوّة لهم وللفدعان. لا نعرف شيئاً دقيقاً عن أصل الكيار ووهب، بينما البوخميس[1] واللهيب من الزبيد، علماً بأنهما انتميتا في السابق إلى العبيد، وقدمتا إلى سورية عندما دمرت شمّر اتحادها (بداية القرن التاسع عشر). ما زال اللهيب إلى يومنا هذا محاربين أشداء، وكانوا في الماضي لصوصاً مرهوبي الجانب.

(1) أنظر الملاحظة الأولى حول شجرة نسب الدليم في مقالة الزبيد.

قبائل حلب الرحل الصغيرة(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة تجوال	عدد الخيام
1 ـ كيار(2)	نجم بن الياس(3)	صيفاً: اخترين شتاء: الرصافة	270
أ ـ "الاود"	نجم بن الياس		45
ب ـ الحمران			50
جـ ـ البوعبد الله	مضحى السلوم		35
د ـ غرانطة(4)	ناصر الخلف		30
2 ـ وهب(5)		صيفاً: الباب / شتاء: البشري	280
3 ـ البوخميس(6)	علي الحسين الراشد	صيفاً: جبول/ شتاء: البشري	350
أ ـ المحسن	علي الحسين الراشد(7)		80
ب ـ الجدعان			60
جـ ـ الهزيم			80
4 ـ لهيب(8)	اسعد العاشق(9)	حلب/ بشري	275
أ ـ الزيارة	أسعد العاشق		
ب ـ البوحسن	سطام الجدعان		
جـ ـ الفرج	حمد الاسماعيل		
د ـ الزامل	أحمد الإبراهيم		
هـ ـ العوابدة	نزال الدرويش		
و ـ الرشيدات	رحيل		
ز ـ الغانم	نهار الغانم		

ملاحظات حول الجدول

1 ـ وضع الجدول وفق معطيات تيربيه. ووضع قسم من الملاحظات وفق استقصاءات شخصية.

2 ـ سجل: كيار، قارن: موزيل: بالميرينا، ص151. تيربيه، ص83: "كيلر". نيبور، جزيرة العرب، ص395: الكيار "يدفعون ضريبة إلى أصحاب الممالح" (في الجبول). عدد مواشيهم: 2500 جمل، 25000 رأس غنم ومعز.

3 ـ 1897م: إلياس.

4 ـ يذكرهم نيبور (ص394) بين القبائل التابعة لأمير الموالي.

5 ـ تيربيه، ص86. عدد المواشي: 2300 جمل، 22000 رأس غنم، 2400 رأس معز. ولديهم خمس قرى في الأملاك الأميرية.

6 ـ بلنت: الجزء الثاني، ص193. ساخاو، ص132، 252. تيربيه، ص83. عدد الماشية: 2000 جمل، 25000 رأس غنم ومعز. سكنوا في الماضي على البليخ الأعلى، لذلك لم يزالوا إلى اليوم على عداء مع جيس.

7 ـ يتلقى دعماً مالياً من الحكومة (1938م : 512 ليرة).

8 ـ بلنت: الجزء الثاني، ص 193. ساخاو، ص127. ملاحظة رقم1. تيربيه، ص88 وما يليها. عدد الماشية: 10000 رأس غنم. لديهم بعض القرى جنوب شرق محطة القطار، المسماة الحميدية.

9 ـ سلفاه: عاشق الملّي (تيربيه، ص74) 1897م. سلوم الملّي، الذي كان عام 1887م في منصبه (ZDPV Bd. XX 111.5.75).

موالي

قبل تغلغل عنزة في الصحراء السورية، إمتدت منطقة الموالي من حلب إلى الخابور ومن بيره جيك إلى حدود العراق. ومنحتها سيطرتها على طرق التجارة المنطلقة من حلب مكانة فريدة بين القبائل العربية في القرنين السادس والسابع عشر. غير أن وجودها يقتصر اليوم على الرقعة بين معرة النعمان والبادية التدمرية، ولم يعد لديها ما يذكّر بأهميتها القديمة غير لقب الأمير أبو ريشة الذي يحمله شيوخها، وحكاية خرافية خبت أصداؤها، تنسب تأسيسها إلى أحد الأمويين أو العباسيين، يرويها الزوجان بلنت[1] على النحو التالي: حظي أمير أموي بحب زوجة القيصر تيودورا، عندما كان مبعوثاً في قصر جوستيان. وعندما غادر بيزنطة، زودته هذه بعُدد كثيرة، وأهدته عدداً كبيراً من العبيد من الذكور والإناث مما يمكنه من تأسيس مركز مستقل في وطنه. ترحّل الأمير مع عبيده في الصحراء، وأسس قبيلة سميت موالي نسبة إلى أفرادها، الذين كانوا عبيداً وهبوا الحرية. ويورد رامبليس الحكاية في صورة مغايرة ضمن كتاب "صحراء سورية"، ص160، تقول إن السلطان التركي مراد؛ رابع السلاطين الذين حملوا هذا الاسم وفاتح بغداد، هو الذي غمر بعطاياه الأمير الأموي. هنا يختفي النفس الرومانسي المرتبط بحب زوجة القيصر للأمير

(1) بلنت الجزء الأول، ص73. ثمة شيء مماثل تماماً لدى ابتون: توضيحات، ص212، ولكن مؤسس القبيلة هنا عباسياً.



الأمير عبد العزيز بن ابراهيم شيخ الموالي (1899م)

العربي، وتدور القصة في القرن السابع عشر وليس السادس ـ توجد الصورة الأقدم للحكاية في جهان نامه[1] لحجي خلفا (توفي عام 1658م): قدم حمد أبو نُعير من أسرة حيار، جد أبوريشه الأول، خدمة جليلة لسلطان مصر إبان إحدى الحملات، فأهداه هذا ضمامة ريش يزين بها عمامته، عادت عليه بلقب أبو ريشه، كما قدم له آلاف القطع النقدية الذهبية، كي يشتري عبيداً طيعين يضمن بهم سيطرته على قبيلته. وقد سمي أبناء هؤلاء العبيد بأسم الموالي، أي من لا يقدرون أن يصبحوا أمراء.

بدل الأمير، يظهر هنا شيخ حمد أبو نُعير من أسرة حيار، الذي يحميه سلطان من مصر وبهذا نصل إلى أرضية تاريخية، فالحيار[2] إسم أمير من الفضل

(1) انظر جهان نامه ص 591.

(2) هذا هو الاسم وفق المعلومة الحرفية لابن بطوطة، الجزء الأول، ص409. جودفروا ـ دومومبين، ص190. الملاحظة 2 تسمية حيار، بالاشارة إلى المشتبه، ص193، حيث يذكر النص حَيّار، وتقول الأحاديث حَيار. وعند ابن خلدون، قلقشندي (وكذلك في

(توفي عام 777هـ/ 1375م). ونُعير لقب ابنه الشهير محمد، حليف المماليك في الدفاع عن سورية ضد تيمور. تجعل الحكاية الأخيرة مؤسس القبيلة من الفضل[1]، وتشرح لماذا تعتبره سليل خلفاء: ألم يرجع أمراء الفضل نسبهم ـ وإن على غير وجه حق ـ إلى اقتران أميرة عباسية بجعفر البرمكي[2].

إذا كانت الحكاية تتضمن شيئاً من الحقيقة، وجب تصديق ما تحكيه أيضاً حول تركيب الموالي، خاصة وأنه يوجد منذ العصر الوسيط المتأخر قبائل تتكون من عبيد أو معتقين (موالي). يخبرنا كتاب المماليك[3] عن قبيلة موالي اسمها آل بشار تسكن جبل الحص، غير بعيد عن حلب والجزيرة بعد الفرات، في مناطق سيطر عليها الموالي لاحقاً. كان البشار اتحاداً قوياً منذ القرن الرابع عشر، غير أن انقسامهم حال بينهم وبين التفوق على الفضل، سادة الصحراء السورية آنذاك. ومن أجل التخلص من نقطة ضعفهم هذه، بحث البشار إبان القرن الخامس عشر عن قائد، ووجدوه في عضو من بيت أمراء الفضل[4]، تهمل المراجع، للأسف، اسمه، وهو بالتأكيد حمد ابو نُعير، الذي تورد الحكاية اسمه وكان ينتمي حقاً إلى الفضل. هكذا يكون بحوزتنا تقرير تأريخي عن نشوء الموالي، يخبرنا أن هؤلاء خرجوا من قبيلة عبيد آل بشار في القرن الخامس عشر.

عرف الموالي نهوضاً مفاجئاً بقيادة أسرة شيوخ الأبوريشة، التي أسسها حمد

صبح) وحجي خلفا: خيار، جبار، كذلك يفعل هامر: تاريخ الإليخان، الجزء 2، ص89 وحبار. يتذبذب أبو المحاسن (ابن تغري بردي) الجزء 5 بين جيار، حيّار وحيار.

(1) ليس بوسعنا قول المزيد موقتاً، لأنه لا ذكر لأحمد أبو نُعير بين أمراء الفضل المعروفين.

(2) لذلك يقول محبي، الجزء الثاني، ص222 عن أمير موالي من القرن السابع عشر: يزعم أنه من ذرية جعفر البرمكي.

(3) الحمداني عند القلقشندي، ص84.

(4) تابع: عمري (توفي عام 1341م)، في صبح، الجزء الرابع، ص232 مع مقصد (القرن 15) لدى جودفروا ـ دومومبين، ص221 بحسب المقتصد، قدم البشار حوالى 200 شخص كعبيد في إسطبلات سلاطين المماليك.

أبو نُعير، ونجحوا في طرد الفضل من السهب والحلول محلهم. يبدو أن هذا حدث زمن استيلاء العثمانيين على سورية، وربما كان يرتبط أساساً به، باعتبار أن الموالي انحازوا إلى العثمانيين في حين بقي الفضل على ولائهم للمماليك: سادة البلد القدماء.

تحولت أراضي حماه ووادي الفرات إلى ما وراء عانة إلى مواقع ارتكاز رئيسة للموالي، الذين وصلوا في الشمال إلى بيره جك وحران[1]، وفي الشرق إلى الخابور. وتكونت منهم مجموعتان في أقل تقدير، إنتشرتا في منطقتين مختلفتين، تنقلت إحداهما بين الخابور ـ صيفاً ـ والسلمية ـ شتاءً ـ[2] والثانية بين حماه والبادية التدمرية[3]. ولا يزال الترحال الشتوي للقبيلة يجري في الاتجاه ذاته، ولكن دون أن تتخطى السهب الشمالي، بينما كانت تصل في الماضي إلى الوديان[4]، في عمق الصحراء السورية. باستثناء التركمان[5]، الذين كانوا آنذاك أوسع انتشاراً بكثير منهم اليوم، خضع أنصاف البدو الرحل في شمال سورية دون أي استثناء للموالي، وخاصة منهم قبيلة بني سَمِك القوية، أسلاف قبيلة البوشعبان الحديثة، التي كانت تعيش حول إدلب وعلى الفرات، حيث لا تزال سيطرة الموالي في الذاكرة إلى اليوم.

أسس أبو ريشة دولة في وادي الفرات، إمتدت بين قلعة جعبر وحديثة واتخذت عانة عاصمة لها، كما ضمت قلعة نجم[6]، ومواقع البغيلية إلى الأعلى من الدير، والرحبة وعشارة، في حين بقيت الرقة والدير وقلعة عانة بيد الأتراك[7].

(1) ماوندريل: جرد حساب للرحلة بين حلب ونهر الفرات... الخ (1699)، ص4 (بالانجليزية) - إيوليا، الجزء الثالث، ص161.

(2) جهان نامه، ص444. التوقيت لافت جداً، بينما كان يجب علينا توقع العكس.

(3) تابع: أخبار الأعيان، ص311 و327.

(4) هكذا أيضاً في زمن بوركهاردت (ص307).

(5) تابع: أخبار الأعيان، ص299.

(6) إحتلها الأتراك عام 1570م. في هذه الأثناء، أخذ أكبر أبناء "الملك"، أي الرجل الحاكم من أسرة أبو ريشة، إلى القسطنطينية، حيث يزعم أنه قطع رأسه. راوفولف (1575م)، ص153.

(7) راوفولف، ص161 و163 و182 و184 و194 و200.

يخبرنا رحالة أوروبيون من تلك الفترة، أولهم سيزار فريدريجي (1563م) وآخرهم ترافينييه[1] (1638م)، عن سلطة الأبوريشة، أمراء عانة، الذين يسمونهم ملوك العرب.

تزامنت فترة ازدهار مملكة الموالي مع الحقبة التي أغلق البرتغاليون فيها البحر الأحمر، فصار على تجارة الهند أن تبحث لنفسها عن طريق بري يقود إلى الغرب، وما لبثت أن وجدته في عانة، النقطة المركزية في شبكة طرق قوافل واسعة الانتشار، التي التقت فيها طرق البصرة وبغداد والموصل، وانطلقت منها إلى حلب (طيبة) وطرابلس ودمشق[2]. وكانت عانة مركز سلطان أبي ريشة الجمركية، المنفصلة عن الجمارك التركية في الطيبة (بالنسبة لحلب) والسخنة (بالنسبة لدمشق وحمص وطرابلس)[3]. أما رسوم السفن التي كانت تمخر الفرات نزولاً، فكان الأبوريشة يجبونها في مكان يقع بين بيره جك وقلعة جعبر[4].

إعترف الأتراك بدولة الموالي، وعينوا حاكم الأبوريشة بيكاً على سنجقي دير

(1) رحلة قيصر فريدريك، تاجر البندقية، في الهند الشرقية وبين الهنود. في هاكلويت، لندن 1599م، ص214. تابع: رالف فيتش (1583م)، وكذلك ص251. وجون الدريد (1583م) ص. 271 وكذلك كاسبارو بالبي (1580م). تيكسيرا (1604م)، طبعة سنكلير وفرغسون، ص80 وما يليها. ديللا فيلا (1616م) وصف رحلة، جنيف، 1674م، الجزء الأول، ص187. تافيرنييه: وصف ست رحلات، جنيف 1681م، ص64.

(2) تيكسيرا (1604م)، ص86 و88. تظهر أهمية المدينة الاقتصادية من واقعة وجود 120 بيتاً لليهود فيها (ص84).

(3) تيكسيرا، ص85 و103. كانت المكوس في عانة تبلغ خمس دوكاتات لكل عبوة من السلع العالية القيمة (أقمشة، توابل) ودوكات واحد بالنسبة للعبوة قليلة القيمة (تمر، عصف). وقد ارتفعت الرسوم إلى الضعف بسبب الابتزازات، يضاف إليها إتاوة صغيرة تذهب إلى الأتراك. جون الدريد: هاكلويت، الجزء الثاني، ص271 تقدر رسوم البوريشة بأربعين ليرة استرلينية على حمل كل جمل (1583م).

(4) راوفولف (1575م)، ص154.

الرحبة وسلمية[1] وكذلك عانة والحديثة[2]، ورصدوا له مبلغاً مالياً سنوياً[3]، وقدموا الهدايا الشرفية المألوفة عند تعيينه. ليس في المراجع معلومات وافرة عما كان يقدمه أمراء الموالي من الضرائب، لكننا نعلم أنهم أرسلوا، من آن لآخر، هدايا مالية وخيولاً أصيلة إلى السلطان[4]. من جانبهم، توقع العثمانيون أن يمدهم الموالي بالعون العسكري قبل كل شيء: وبالفعل، طلب السري عسكر عام 1578م من الأبوريشة تأجيره ثلاثة إلى أربعة الآف جمل، وإمداده بعلف الخيول وغير ذلك من المؤن، من أجل الحملة على جورجيا[5]. غير أن حاجة الدولة إلى الموالي كانت كبيرة بالدرجة الأولى في العراق وذلك بسبب ما كانت تهدده من ثورات متكررة[6]. وقد نجح أمير الأبو ريشه مدلج في طرد قوات الشاه من عانة والطيبة، في بداية احتلال الفرس للعراق (1623م)، وأحرز نصراً متألقاً على ناصر بن مهنا، أمير الغازية وتابع الفرس[7]. ولكنه اضطر فيما بعد إلى الرضوخ للسيطرة الفارسية وتعرض لهذا السبب لانتقام الأتراك. لم يكن إمداد جيش السلطان مراد الرابع، الذي حاصر بغداد، إنجازاً قليل الأهمية بالنسبة إلى القبيلة، حيث يقال إن عشرة آلاف جمل كانت تنقل الطعام إلى المعركة كل يوم[8]. في فترة لاحقة أيضاً، خدم الأبوريشة الحكومة في العراق: فهزم المنتفق في شتاء عام 1665م/ 1666م عند كوت

(1) هذا عنوان الوثيقة الصادرة حوالى عام 1700م (جور، الجزء التاسع، ص2151). كانت دير رحبة آنذاك مساوية لسنجق دير الزور الحديث. تابع: تيكسيرا، ص103، حيث يقال إن الأمير يمتلك طيبة وسخنة كسنجق في ظل السيادة التركية. ـ بخصوص سلمية: جهان نامة، ص591.

(2) نعيمه، الجزء الثاني، ص17.

(3) راوفولف، ص171: 60000 دوكات (!). تابع: نعيمه، الجزء الرابع، ص100 واوليفييه: رحلة، الجزء الرابع، ص163.

(4) نعيمه، الجزء 4، ص105.

(5) عالي: نصرت نامه، فيينا، رقم 1017.

(6) نعيمة، الجزء الثاني، ص17 لونكريك، ص36 و157.

(7) ديللا فيلا، الجزء الرابع، ص177.

(8) جور، الجزء الخامس، ص243. لونكريك: ص70.

المِعَمّر فصيلة من الموالي تقدر بثلاثمائة فارس. إلا أن حسين بيك العباس حقق عام 1107هـ/ 1696م نجاحاً أكبر ضد الغازية[1].

رغم الخدمات التي قدموها للقضية التركية، تصرفت السلطات بقسوتها المعهودة ـ التي يدينها، بالمناسبة، حتى المؤرخون العثمانيون من أمثال "نُعِمة" ـ ضد الموالي، الذين ردوا عليها بإغارات سلب ونهب. هذه الأحداث تكاثرت في النصف الثاني من القرن السابع عشر، حتى صار تعيين وعزل أمراء الموالي أمراً عديم الأهمية، فكان هذا من علامات انهيار سلطة القبيلة، التي ارتبطت دون شك بتراجع التجارة عبر البر. وقد ألحق غياب الرسوم قدراً من الضرر بالموالي وتحولوا بذلك إلى قبيلة للسلب والنهب. وما إن حل عام 1720م، حتى كانت الحكومة قد أعدت ضربة ماحقة لهم، إرتكزت على عزم باشا الرقة (اورفه) بدعم حشود من كرمان وحلب، وباشا بغداد بدعم من ديار بكر، والموصل وشهرزور بالإنقضاض عليهم[2]، وهي خطة لم تنفذ بسبب الحرب التي بدأت عام 1723م ضد الفرس. لكن قوة الموالي ما لبثت أن تحطمت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، على يد عنزة.

تربط الحكايات انفجار الحرب بين القبيلتين بعمل مشين هو قتل أفراد من عنزة حلوا ضيوفاً على الموالي. منذ ذلك الحين، يوجد مثل يقول: "بيت الموالي بيت العيب"[3].

قطع تقدم عنزة الموالي عن الفرات، وحصرهم في شمال سورية[4]، واضطرهم إلى تقليص قطعانهم والانصراف إلى الزراعة. هذا التبدل في شكل

---

(1) گلشن، ص95 و116.

(2) رشيد: تاريخ، الجزء الثالث، ص70.

(3) يخلط بوركهاردت، ص9. رامبليس، ص159. بلنت، الجزء الثاني، ص178 وابتون، ص213 بين شمّر وعنزة، حيث يضعون خطأ شمّر في محل عنزة.

(4) بقي قسم صغير منها هناك. أنظر جدول زبيد، نهاية الجزء الأول.

الإقتصاد أضر بهم أول الأمر، لكن مستوى معيشتهم إرتفع مع تعاظم العناية بالأرض وزراعتها. بعد الحرب، أكدت الأحداث أنهم استعادوا أيضاً قوتهم القتالية.

تفرغ الموالي لصراعهم مع الحديدين، المستمر منذ عام 1920م، فأنزلوا أضراراً فادحة بهم. بما أن حكومة الانتداب الفرنسية حمت الحديدين، خاض الموالي عام 1921م قتالاً ضد الفرنسيين، ولم يستسلموا إلا بعد مقاومة باسلة. ثم عاودوا الاشتباك مع الحكومة خلال ثورة الدروز، فدخل ليلة الرابع من تشرين الأول 1925م موالي وثائرون آخرون بقيادة فوزي بيك القاوقجي[1]، الضابط السابق في الجيش السوري/ الفرنسي، إلى حماه، حيث أحرقوا المباني الحكومية وفتحوا أبواب السجون ونهبوا المدينة. ثم هاجموا في الخامس والسادس من الشهر ذاته وحدة فرنسية قرب المعرة. وأمضوا الشتاء وراء الحدود في حماية الفدعان، هرباً من انتقام الحكومة، غير أنهم تعرضوا لملاحقات دامية على يد القوات الفرنسية، بعد عودتهم إلى المنطقة الزراعية، وكانوا قد تكبدوا أيضاً خسائر فادحة أنزلتها بهم الطائرات الفرنسية أثناء توجههم إلى جبل بلعاس. أخيراً، حصل الموالي على السلام، عندما دفعوا فدية قدرها 5000 ليرة وسلموا ألفاً ومائتي بندقية، وذهب قائدهم الأمير شايش والشيخ فارس العطور إلى السجن[2].

إستمرت الحرب مع الحديدين، رغم خضوع الموالي. وتقول التقارير إن آخر ما وقع بينهم من صدامات حدث في شتاء عام 1932م/ 1933م.

ينعكس تاريخ الموالي الكثير التنوع في التركيب المزركش لاتحادهم. والحق، أن عنصر الموالي الأصلي قد استنزف تقريباً في مجرى القرون، وحلت محله عناصر انحدرت من قبائل مغلوبة، يشكل الرعية[3]، أنصاف البدو الرحل

(1) كان عام 1936م أحد قادة الثورة في فلسطين.

(2) دو بوخمان، ص29. الشرق الحديث، الجزء الخامس، ص523 و639.

(3) رعية (الكلمة العامية لراعية) «رعاة» هو المصطلح الذي أطلقه عليهم البدو الرحّل. أما هم فيسمون

المحليين مجموعتها الرئيسة، بالإضافة إلى الشاوية[1] وطي بلاد الرافدين، والعبيد وعناصر أخرى عصية على التعريف. رغم اختلافها في الأصل والسمعة، في العادات والأعراف، في القدرات القتالية والاعداد، بقيت هذه الوحدات متماسكة بفضل صيت أسرة الأمراء الموروث، التي أوصل أسلافها ذات يوم راياتهم إلى ضفاف الفرات، وديرة الشنبل.

ينقسم اتحاد الموالي إلى مجموعتين: شمالية وقبلية[2]. يعتبر القبليون، الذين يقودهم الأمير شايش، الحماة الأقحاح للتقاليد. وهم أشد تماسكاً وأكثر قوة من الشماليين، الذين تكبدوا خسائر كبيرة في الحروب الأخيرة. تشكل عشيرة الجماجمة نواة القبليين، الذين يتكون قوامهم الرئيس ـ ثلاثة أفخاذ ـ من الدليم. بينما تنحدر الأفخاذ التسعة الأخرى من دليم، وأكراد، وشاوية، ونعيم، وطي (أخوة وضحة). يضم الشماليون ثلاث قبائل رعاة: مشارفة، بني عز وطوقان. ويعترفون إسمياً بالأمير عابد، وفعلياً بشيخ المشارفه فارس العطور زعيماً لهم[3].

حافظ الموالي على مكانتهم السياسية بفضل نظام تحالفات يضم قسماً من قبائل حماه وحمص هي البشاكم والعقيدات والفواعرة والنعيم. قبل الحرب، كان أمراء القبيلة يتلقون خوّة من بعض واحات البادية التدمرية، ويرون فيها إشارة إلى حقوقهم القديمة كحكام. وهم يتلقونها ـ اليوم أيضاً ـ في بعض قرى المنطقة الزراعية، وسط صمت وتجاهل الحكومة.

تمتد مقرات الموالي الصيفية من معرة النعمان في الجنوب الشرقي إلى مرتفعات العلاة. وتقع مقراتهم الشتوية في القسم الجبلي من ديرة الشنبل، وتصل

أنفسهم شرقيين تمييزاً لأنفسهم عن الفلاحين، وأهل الديرة تمييزاً لأنفسهم عن البدو الرحل. أنظر موزيل الرولة، ص44. دو بوخمان، ص17. وفون كريمر: سورية الوسطى، ص219 و223.

(1) أنظر أعلاه، ص396، 397.

(2) لم تعد هذه العلاقات متناغمة مع وضع منطقتي الترحال المتبادلتين.

(3) تابع المخططات الجغرافية لـ دوبوخمان، التي تقدم صورة واضحة عن بنية القبيلة.

هنا من جبل بلعاس إلى بئر قديم.

كانت ممتلكات القبيلة في الماضي أكبر بكثير منها الآن. في عام 1899م كان يوجد على هذا الجانب وحده من خط سكة الحديد (اللاحق) قرى الموالي التالية: قطرا (تملكها أسرة الأمير)، كفريا، السيادة، أبو شرجة، الصرمان، حران، الهلوبا، السرج، كرسنتا، تل دم، البريصا، الرفا، البرج، تل الخزنة، أم طويبة، الفرجا، الخوين، أبو دالية، ام الخلاخيل، النيحا، أم صهيليج، أبو عمرو، أم توينة، تل خنزير، تل مرق، طامة، الطليسية[1]. ـ في هذه الأثناء ـ إنتقلت أراضي موالي كثيرة إلى أيدي ملاك أراضي من المدن، تسديداً لديون أصحابها. وهناك أيضاً بعض القرى التي انتقلت ملكيتها إلى الحديدين إما عن طريق المصادرة أو عن طريق المبادلة.

أبوريشة، أسرة شيوخ الموالي

ينتمي الأبوريشة، أو بالأصح أبناء أبي ريشه، إلى أكثر أسر الصحراء احتراماً، رغم أنهم فقراء حالياً. يرجع الاسم ـ المألوف في حالات أخرى أيضاً ـ[2] إلى امتياز يعتقد هؤلاء أن سلطاناً مملوكياً خص به جدهم الأول، عضو أسرة أمراء الفضل، ولذلك لم يزل أخلافه يحملون لقب الأمير. وحملوا إضافة إلى ذلك حتى القرن التاسع عشر صفة رسمية تركية هي سنجق بيك، ولقب أمير الصحراء.

خارج المعلومات التي تقدمها لنا حكاية القبيلة، ليس هناك غير خبر وحيد عن شيخ الموالي الأقدم؛ نجده في عمل بيوغرافي حول مشاهير الحلبيين في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، حفظه محبي، الجزء الثاني، ص222، وإن بصورة مشوهة، للأسف. غير أن المصادر تتنوع وتصير أكثر ثراء بالنسبة لنهاية

---

(1) أنظر الخارطة في أنباء بيترسمان الجغرافية، عام 1911م، الجزء الثاني، لوحة 11 (فون اوبنهايم) وخارطة بلاد الرافدين وسورية 1 ـ 400000، 1c حماه.

(2) على سبيل المثال عند مؤسس أسرة شيوخ حويطات التهمة. بورتون: مدين، الجزء الأول، ص168. يفسر الاسم هنا بالطريقة عينها التي فسر بها اسم أمراء الموالي.

القرن السادس عشر، حيث يرد في سبعينيات ذلك القرن ذكر ابن مدلج البدوي باغي ابن أبي ريشه[1] ومحمد ابن أبي ريشه ابن الأمير 1578م[2]، ثم الأخوين ظاهر ابن مدلج واحمد (أو حمد حسب الصيغة التي يستعملها البدو[3]). وقد قتل أحمد ظاهراً حين نزل ضيفاً في خيمته. يرد ذكر أحمد بصفته الأمير الحاكم في الأعوام 1604م و1607م ـ 1608م. بعد موته، إستولى ابنه شديد على خيمة الحرب، علامة على ترأسه على القبيلة[4]. بيد أن حكمه لم يدم طويلاً، فقد قتله عام 1018هـ/ 1609م[5] ابنا عمه فياض ومدلج، اللذان تولى أولهما الحكومة أول الأمر، وسط معارضة شديدة من الأسرة قادها أخوه دندن وابن عمه عباس بن أحمد، بتأييد من أمير الدروز فخر الدين. إحتفظ فياض بعلاقات طيبة مع الأتراك، وقد عاش حياة البدو الرحل، مع أنه كان يملك بيتاً جميلاً في عانة. ويخبرنا ديلا ڤيلا (الجزء الأول، ص187) أن حاشيته ضمت كاثوليكياً اسكوتلندياً اسمه جورجيوس ستراخانوس، زعم أنه كان طبيباً حظي باحترام عظيم. عندما توفي فياض بين 1618م و 1621م خلفه حسب اتفاق مسبق ابن عمه مدلج[6]، الذي سعى إلى خطب ود فخر الدين، ولكن دون أن يتمكن من إقناعه إزاحة منافسه حسين ابن فياض، الذي كان في حماية الأمير الدرزي. ولم يتخل فخر الدين عن حسين إلا حين لاحظ أنه هو نفسه يتقرب من مدلج[7]. إستأنف حسين، الذي غدا مصيره المتقلب موضوعاً للأحاديث في وقت مبكر، دوره كمطالب بالزعامة وذهب إلى حلب يحدوه الأمل بالحصول على المنصب من الباشا. لكن هذا قبض عليه استجابة لرغبة مدلج، وأمر بقتله فيما بعد مقابل 25000 قرش. سقط مدلج بدوره على يد

(1) محمد راغب الطباخ: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، الجزء الثالث، ص213.
(2) عالي: نصرت نامه، ص27.
(3) مراجع لما سيلي أيضاً. محبي، الجزء الثاني، ص101، 222. نعيمة، الجزء الثاني، ص117. تيكسيرا، ص84.
(4) تابع أيضاً نعيمة، الجزء 4، ص102.
(5) حجي خلفا فذلكة يذكر خطأ أن أحمد كان لا يزال أميراً حاكماً عام 1616م.
(6) لونكريك، ص67: مطلق.
(7) أخبار الأعيان، ص284، تابع 261 و295 و297 و300 و308 و311 و327.

الأتراك بعد مقاومة أولية، وتحول رغماً عنه إلى تابع للفرس. وفي عام 1630م إستهدفته حملة تأديبية تركية، سقط أثناء فراره منها مع حصانه فدق عنقه. بموته، تولى الإمارة سعيد ابن فياض، فعادت من جديد إلى أسرته[1].

ثمة أمراء موالي ثلاثة آخرون من القرن السابع عشر هم: عساف، ملحم وحسين العباس. يخبرنا المؤرخ التركي نعيمه[2]، وكان أبوه شاهداً على الأحداث، أن عسافاً نجا عام 1644م بصعوبة من محاولة قتل دبرها باشا حلب، الذي كان قد دعاه إليه، لكنه رفض تلبية الدعوة، لأنها لم تصله عن طريق أحد الوجهاء، كما كان مألوفاً في مثل هذه الحالات. أخيراً، تمّ الإتفاق على نقل اللقاء إلى مكان يبعد مسيرة خمس ساعات عن حلب، واتخذت إحتياطات كبيرة شارك فيها أبناء المدينة. ظهر الأمير مع حاشية كبيرة من الفرسان المدرعين، وقد وضع إذن المرور، الذي كان الباشا قد أرسله إليه، على صدره، ولف الخرقة التي وافاه بها حول عنقه، كدليل على منحه الأمان. وبوصوله إلى المكان، نزل عن حصانه وسار نحو الباشا يصحبه نفر من المسلحين. في اللحظة عينها، أطلق ثلاثة رجال النار عليه، فأنقذت حياته القمصان المدرعة، التي كان يرتديها بعضها فوق بعض. وضعه مرافقوه، عندئذ، على فرس، وفروا من المكان، ليعودوا بعد قليل بصحبة قوة كبيرة. نجا الباشا وحاشيته، لكن الحلبيين دفعوا ثمناً باهظاً: فقد نهبهم رجال الأمير قبل أن يعيدوهم إلى المدينة.

ثمة حادث مماثل وقع عام 1682م. لكن الأمير ملحم كان أقل حظاً من سابقه وسقط في أيدي الأتراك، الذين أعدموا مرافقيه في حلب بعد تعذيب رهيب، ولم ينج منهم غير شاعر البلاط، أما الأمير فقد أرسل إلى ادريانوبل وقتل هناك[3].

---

(1) نعيمة، الجزء الثالث، ص60.

(2) المصدر ذاته، الجزء الرابع، 100.

(3) كامل ابن حسين الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب، الجزء الثالث، ص288. تابع دافريو (كوبنهاغن ولايبزيغ1753 ـ 1756م) الجزء السادس، ص137 و221. الرحالة الانجليز مذكورون لدى ريتر، الجزء 17، ص1437.

يتكرر ذكر الأمير حسين العباس منذ عام 1691م[1]. لكن وثيقة تركية تذكر أنه عين عام 1704م أميراً على الصحراء، بعد أن أرسل ابنه رهينة إلى القسطنطينية.

ثمة بضعة أمراء آخرين يمكننا تقصي أخبارهم خلال القرن التاسع عشر[2]، أجدرهم بالذكر هو محمد الخرفان، الذي ما زال اسمه حياً لدى الموالي إلى يومنا[3]. يليه ابن مجهول الاسم، ثم شقيقه الكنج، الذي كان رجلاً مهاب الجانب، قتله باشا حلب عام 1813م في القسم الحريمي من خيمته، وعين محله ابنه وكان في السادسة عشرة من عمره في منصب "حامي صحراء حلب"[4].

انتقلت القيادة في القرن التاسع عشر إلى فرع الأسرة، التي تتولى الآن قيادة مجموعة القبليين، ويمكن التعرف على أسماء أمرائهم وتعاقبهم من شجرة النسب المرفقة. كان أحمد بيك عقيد القبيلة في حياة أخيه عارف وعملاقاً ذا قوة بدنية خارقة، قتل عام 1875م خلال إحدى المعارك عن عمر يقارب الأربعين عاماً. لم يكن خلفه محمود، الذي أمضى بضعة أعوام في القسطنطينية، محبوباً من قبيلته، فانتظر القوم بلوغ ابن أحمد (عبد الكريم)، وكان عام 1877م فتى في الرابعة عشر من العمر، السن الضروري لتعيينه شيخاً للقبيلة بدلاً منه[5]. أما شايش بن عبد الكريم، شيخ القبيلة الحالي، المولود عام 1890م، فهو رجل عليل ونصف أعمى، لكنه لا يخلو من موهبة سياسية.

---

(1) الرحالة الانجليز لدى ريتر، الجزء العاشر، ص1072 و1095، الجزء 17، ص1438 و1441. موندريل، ص4. تابع أيضاً ستيفان شولتز عند باولوس: مجموعة الرحلات الغربية إلى الشرق، الجزء السابع، ص81 و84.

(2) "حمد القيس" و(طاهر) عبد العزيز عام 1700م. جور، الجزء التاسع، رقم 2151 و2662 و3090 و3100 و3116 ـ فياض، خورشيد، ص185 ـ حسان، ستيفان شولتز عن باولوس، الجزء السادس، ص232

(3) يبدو أنه أفاد من الظروف الفوضوية التي سادت شمال سورية في الربع الأخير من القرن الثامن عشر. تابع طباخ، الجزء الثالث، ص352 جودت : تاريخ، الجزء الثالث، ص55.

(4) روسو: رحلة، ص162. بوركهاردت، ص311 ـ يقال إن هذا الخط من نسب البو ريشة قد انقرض. ولكن يا ترى، ألا ينتمي إليه الأمير الذي يذكره دوبوخمان، ص52، وهو دهام بن فياض الكنج؟.

(5) ابتون، ص214 بلنت، ص38.

هناك فرع آخر من الأبوريشة يتولى قيادة الشماليين: مجموعة الموالي الثانية. إنه فرع مستقل عن السلالة الرئيسة، وإن كان يعترف لها بالأولوية وببعض النفوذ على الإتحاد بمجموعه. يسمى أمراء الشماليين الثلاثة الأخيرون: فجر (حوالى 1900م) وإبراهيم وعابد. كان إبراهيم نشطاً جداً في آخر ثورة قام بها الموالي، وقد قتلته قنبلة ألقت بها طائرة في 25 آذار 1926م. أما ابنه عابد فلم تكن له أهمية تذكر[1].

يتلقى الأمير شايش معونة مالية بلغت عام 1938م: 346 ليرة سورية. ويتلقى فارس العطور من الشماليين معونة تبلغ (341 ليرة سورية).

الموالي(1)

شيخ المشايخ: الأمير شايش بن عبد الكريم

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أولاً ـ الشماليون	الامير عابد ابن إبراهيم باشا	صيفاً: معرة النعمان/ العلاة شتاءً بلعاس	1280
1 ـ المشارفة(2)	فارس العطور		140
أ ـ الخزعل			
ب ـ الخزيمات			
جـ ـ آل حسن			
د ـ العشوش			
هـ ـ البقار			

(1) تدعي أسرة وجهاء العابد السورية، التي يتتمي إليها هولو باشا (محي الدين أبو الهول) وابنه عزت العربي، صاحب الحظوة النافذ لدى السلطان عبد الحميد، أن لها صلة قرابة مع البو ريشة.

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
و ـ العبدلية			
2 ـ آل خليفة(3)			60
3 ـ الدولة(4)			80
4 ـ بني عز(5)	أحمد الخليفة		350
5 ـ الدواونة(6)	أحمد المر		50
6 ـ آل غازي	أحمد المفضي		150
7 ـ القلقل(7)			80
8 ـ الشريف(8)			50
9 ـ الحسو			20
10 ـ الشليوة(9)			40
11 ـ الطوقان(10)			60
ثانياً ـ القبليين	الأمير شايش بن عبد الكريم	صيفاً: معرة النعمان/ العلاة شتاء: بلعاس	480
أ ـ أبو ريشه(11)			50
ب ـ الجماجمة			200
جـ ـ الشويرتان			100
	قبائل ملتحقة بها		
بني خالد(12)			305

ملاحظات على جدول الموالي

1 ـ يراعي الجدول قائمة موزيل، بالميرين، ص47 وتيرييه، ص76 وما يليها. وكذلك ملاحظات دوبوخمان، ص25 وما يليها. أعداد الخيام، التي أخذت من تيرييه، مرتفعة جداً. يقدم تسجيل خاص أخذ عام 1897م رقماً للخيام هو 600

للشماليين و200 للقبليين. موزيل يقدرها بـ800. ودوبوخمان بـ1000 ـ 1200 (للشماليين) و400 للقبليين. عدد الماشية: 2000 ـ 3000 حصان، 6000 جمل، 5000 رأس غنم.

2 ـ يعيش المشارفة في أربعين خيمة بصورة مستقلة في منطقة حماه، وهم يوصفون بالمشارفة الراعية تمييزاً لهم عن المشارفة المندمجين في الموالي. قارن: ريموند مارتينيه، ص20. تيرييه ودوبوخمان.

3 ـ طي بحسب أصلها. يذكرهم نيبور: جزيرة العرب، ص395. الوسم: (محجان). إستوطن قسم منهم في الغاب على العاصي.

4 ـ لقطاء تحدّروا من جنود أتراك، بحسب الروايات المحكية.

5 ـ يسميهم بوركهاردت "بني عز" يعيش قسم منهم بصورة مستقلة كرعاة غربي حماه (صيفاً). ويسمى هؤلاء ببني عز راعية.

6 ـ شمّر. شيخهم قاض معروف.

7 ـ زنوج عبيد للأمراء.

8 ـ شاوية.

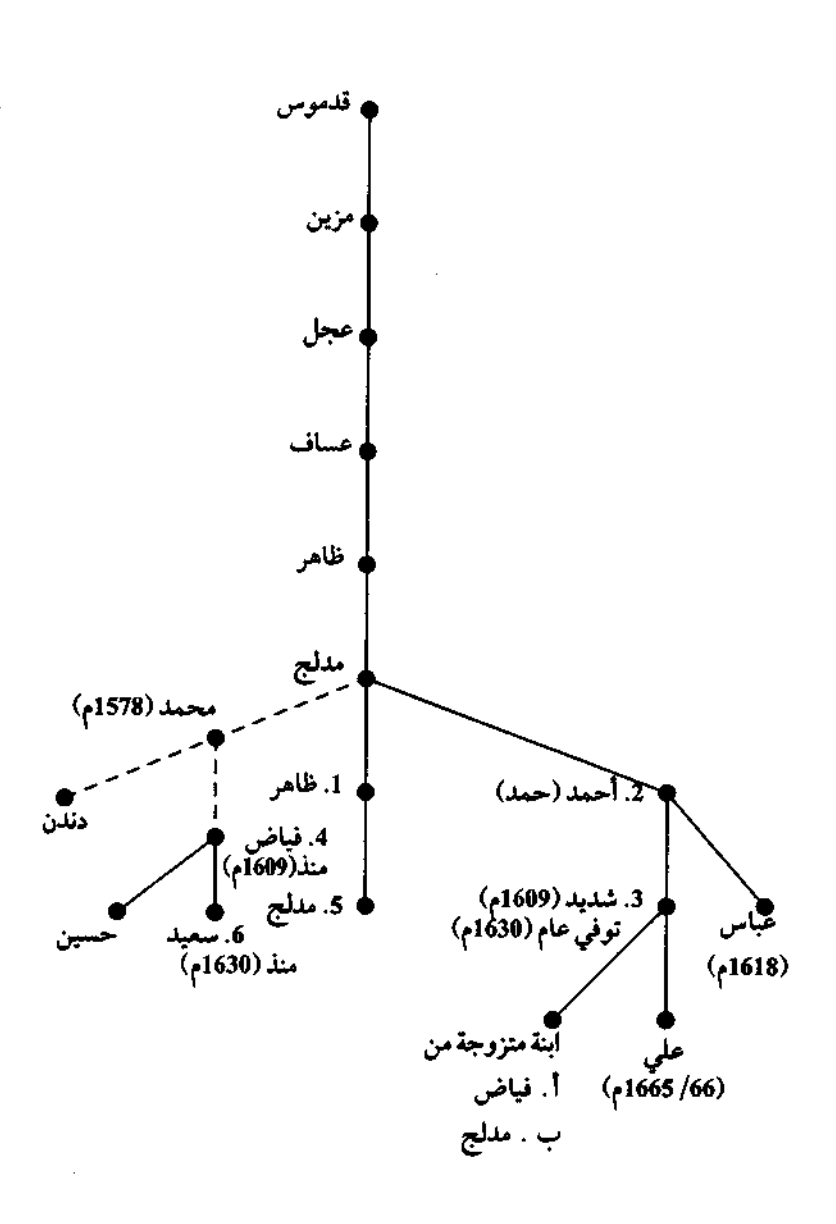
9 ـ عبيد عند الغازي.

10 ـ يسميهم نيبور بني طوق. وكذلك يفعل بوركهاردت. كانت القبيلة عام 1618م عضواً في اتحاد الموالي. أخبار الأعيان، ص284. أحد أفخاذ الطوقان استقر في الغاب.

11 ـ مع قواويسهم (عبيدهم). الوسم: ✝ (صليب)، وكذلك لدى الجماجمة.

12 ـ عامل زراعي في مزارع جبل شحشبو.

مشجرة نسب الابوريشه من القرنين 16 و17



ملاحظات حول مشجرة نسب الأبوريشة في القرنين 16 و17

لا يمتلك هذا النسب غير صلاحية مؤقتة، وخاصة بالنسبة للأجيال الخمسة الأولى، ولم يذكر سوى في مكان واحد فقط لدى محبي، الجزء الثاني، ص222، يقول فيه عن الشخص رقم واحد في شجرة النسب، الذي يوصف بالأمير ظاهر: هذا الظاهر هو ابن مدلج، الذي تتحدث عنه "الكواكب السائرة"[1]. ويقول إن نسبه: ظاهر بن عساف بن عجل بن مظين[2] بن قدموس. . . وأنه مات موتاً طبيعياً عام (945هـ/ 1538 ـ 1539م). هذا قول غير مفهوم، لأن ظاهر بن مدلج وظاهر بن عساف يجب أن يكونا شخصين مختلفين، لا سيما أن ظاهر بن مدلج لم يمت بصورة طبيعية، بل قتل على يدي أخيه أحمد حوالى عام 1600م. لهذا السبب جعلنا في شجرة النسب ظاهر بن عساف أقدم بجيل واحد من مدلج.

بوجه عام، تعتبر الأجيال التالية لابن مدلج مؤكدة النسب، من خلال المصادر المذكورة في المقالة المكرسة لشيوخ الأسرة. وإن كان محمد محل شك في الجيل الأول، لأن اسم الأب لم يرد أبداً لدى دندن وفياض، في حين تعد قرابتهما مع الأسر الأخرى وكذلك اسم جدهما مدلج مثبتين. إلا أن اسم محمد يغري بإيراده، بفضل ملاحظة حاجي خلف، التي تقول إن البوريشة ينقسمون إلى فخذي المحمد والحمد (أحمد)، وواقعة وجود محمد ابن أبي ريشه في الفترة المذكورة.

ليس أكيداً أيضاً تصنيف علي ابن شديد في الجيل الأحدث.

(1) لا يتضمن الاستشهاد المقتبس من هذا العمل، الموجود في مخطوط الوردت رقم 9891 في برلين، المقالة المقصودة.

(2) مظين إصدار فيتسشتاين من لايبزيغ، الجزء الثاني، ص291. (نظيرة بن قدموس).

مشجرة نسب ابو ريشة (أمراء القبليين) (1)

حمد العباس(2)

محمد أبو ريشه

محمد باشا

1. عارف بيك(3)

2. أحمد بيك توفي 1875م

4. عبد الكريم باشا

محمد (متوفي)

5. شايش

عبد العزيز

حبيب

فواز

أحمد

طويريج(4)

نواف

مجر

ابراهيم بك

محمد(2)

عبد العزيز

تركي

حمد

عبد الرزاق(5)

صفوق

ضامر

عبد الرزاق

ملاحظات حول مشجرة نسب الأبوريشة (أمراء القبليين)

1 ـ سجلت عام 1930م، كما يبدو. إن أبناء الجيل الأحدث ما زالوا بعد في عمر الطفولة، باستثناء سفوق ابن عبد الرزاق. الإسمان اللذان أسقطا من الجيل الأسبق يظهران في الأصل تحت صيغتين غامضتين هما " ـ جحجاح ـ وتسوز".

2 ـ في التسجيل: «تحدّر من منطقة بغداد، أحد أسلاف العباسيين». إسمه في روايات أخرى محمد العباس ـ يبدو أن شخصين يتداخلان هنا هما: حمد أبو نُعير أنظر ص442، وأمير لاحق ربما كان أخاً للأمير حسين العباس. المذكور في الصفحة 454 أعلاه.

3 ـ مات دون أن ينجب.

4 ـ صعَّد طويريج الخلاف مع الحديدين، عندما اختطف فتاة كان شقيق شيخهم قد طلبها، وقتل أباها وجرح أخاها. إنتقم الحديدين لهذه الإهانة من عضو آخر في البيت الأميري هو عبد الرزاق ابن حمدو.

5 ـ إشتهر عبد الرزاق كقائد غزو خلال اضطرابات الموالي الأخيرة. واضطر إلى ترك قبيلته منبوذاً عام 1926م. لكنه ما لبث أن عاد بعد قليل، بعد تدخل شيخ الحديدين نواف. بعد الحادثة المذكورة في الملاحظة السابقة، سقط ضحية عمل ثأري قام به الحديدين (تشرين الثاني من عام 1930م).

قبائل حماه الصغيرة

لم تشهد خارطة بدو منطقة حماه غير تغيرات طفيفة منذ بوركهاردت. فقد انضم إلى بني خالد الرطوب والشقرة ورزيق من القبائل الصغيرة، والتحقت الجماجمة وطوقان بالموالي من جديد. بالمقابل، بقيت البشاكم وتركي مستقلتين[1]، علماً بأن أولاهما تتكون من بدو نصف رحل، وثانيتهما من بدو رحل في معظمها. عام 1899م، وجدت تركي في قرية طيبة دون غيرها من قرى العلاة، في حين ذكرت لي أسماء قرى البشاكم في الطرف الشمالي من هذه الهضبة، وهي أم قلق، الفان التحتاني، والوسطاني، والفوقاني، قصر البروج، وابو سمرا. في الفترة المنصرمة، طرد البشاكم من هناك، وسكنوا قرى جديدة إلى الشرق من الحمراء[2]. تخيم القبيلتان مع الموالي في الشتاء، وكانتا في السابق منتميتين إلى اتحادهم. وقد كان لعلاقتهما بهم نتائج سياسية أيضاً، ذلك أن تركي بقيت على الحياد خلال الحرب

(1) من القبائل الأخرى التي يذكرها بوركهاردت، ص10، إنضم بنو عز إلى الموالي، والخراشين إلى التركي. أما "الهويرون" (= فواعرة)، و"البوعزي" و"غنمات التل" فلم نتمكن من تحديد هويتها بدقة.

(2) ثمانية في أراض عامة، واحدة في أرضها الخاصة. أما أسماؤها فهي مشوهة لدى تيرييه وفي خريطة الخدمات الجغرافية التابعة للجيش 1/ 200000، حماه، إلى درجة تجعل من غير المجدي ذكرها. أما قرى البشاكم القديمة فهي موجودة على خريطة بلاد الرافدين وسورية 1/ 400000، حماه.

بين الموالي والحديدين، رغم أنها كانت متحالفة مع الأخيرين.

خلافاً للبشاكم وتركي، جاء العقيدات (البوليل) عام 1860م إلى المنطقة. وهم فرع من عگيدات الفرات، كما يتضح من الاسمين المذكورين: البوليل والبوحليحل. "العقيدات" ـ البوليل مستقرون بنسبة ثلثيهم، تقع قراهم[1] في الأملاك الأميرية، إلى الغرب من منخفض المطخ. أما القسم المترحل من القبيلة فهو يرافق الموالي في الشتاء. لذلك يتجمع في تشرين الثاني قرب الحمراء، ثم يسلم قياده إلى شيخ البوحليحل.

ثمة مجموعتان من العقيدات «العگيدات» قدمتا إلى هذه الأرض قبل البوليل هما العقيدات حمص وعقيدات الغوطة، الذين سنعرج عليهما في مقالة: قبائل دمشق الصغيرة. أما عقيدات حمص فلا يوجد، للأسف، معلومات إحصائية كافية عنهم. تحمل العشيرة الأكثر أهمية من عقيدات حمص اسم الدهامشة، ويتزعم خيامها المائة الشيخ أحمد ريان، الذي يدعي وجود قرابة بينه وبين قبيلة عنزة التي تحمل الاسم ذاته، ويتبنى فعلاً الوسم نفسه الذي تتبناه، ويقيم معها علاقة أبناء عمومة[2]. يقال إن بقية العشائر تمتلك حوالى 500 خيمة. هؤلاء العقيدات لا يقصدون شتاء الصحراء، بل يبقون على أطراف المنطقة الزراعية بين الشومرية والقريتين، ويمضون الصيف بجوار حمص[3].

---

(1) زمار، جزرايا، العثمانية، تل علوش، الثانية مرسومة هنا أما الأخريات فعلى خارطة بلاد الرافدين وسورية 1/ 400000، حماه.

(2) حول هذا المفهوم. أنظر جوسان: عادات العرب في بلاد مؤاب (بالفرنسية).

(3) تابع ريموند ومارتينه، ص19. تيرييه، ص89.

قبائل حماه الصغيرة

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ العقيدات		المطخ صيفاً	
(البوليل)(1)	الحاج مصطفى الشعيطية	بلعاس شتاء	255
أ ـ البوليل	الحج مصطفى الشعيطية		95
1 ـ البو عقيل	عبد الله بن شحاذه		25
2 ـ فواضلة	خميس الدبوس		25
3 ـ البو جماعة	خلف المصطفى		15
4 ـ البوثامر	عابد الأحمد		10
ب ـ البو حليحل	دلبش الخرفان		85
2 ـ البشاكم(2)	أحمد الدندل		250
3 ـ تركي(3)			
أ ـ تركي	سرحان العلوش	صيفاً: الحمرا شتاء: بلعاس	170
ب ـ خراشين		صيفاً: العلاة شتاء: بلعاس	120

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب استقصاءات تمت عام 1934م. توجد تفاصيل أقل لدى تيربيه، ص90. عدد الماشية: 100 ـ 150 جملاً. 4000 رأس غنم. 30 حصاناً، 100 بغل، 200 حمار.

2 ـ تيربيه، ص86. الماشية: 1500 جمل، 10000 رأس غنم.

3 ـ تيربيه، ص87. الماشية: 26000 رأس غنم.

بني خالد

كان بنو خالد على الدوام أكثر اتحادات القبائل الرعوية أهمية في منطقة حمص ـ حماه ـ سلمية. وهم يعيشون من تربية قطعان أغنامهم الكثيرة، وينتمون إلى أكثر بدو سورية ثراء.

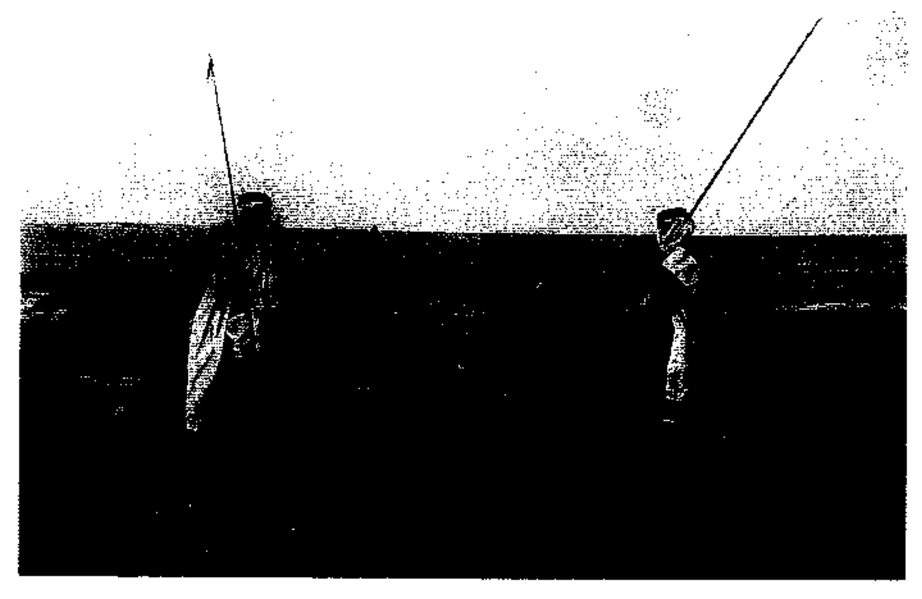
يرجع بني خالد نسبهم إلى خالد ابن الوليد[*]، أعظم قادة جيوش الفتح الإسلامي، الذي يقع مدفنه في مدينة حمص[1]. وهو نسب واجه اعتراضات قوية منذ مطلع العصر الوسيط، لأن ذرية خالد انقرضت في مرحلة مبكرة[2]. وهناك أيضاً قبيلتان تزعمان أن خالد بن الوليد هو الجد الأول لهما، هما بني خالد في شرق الاردن وبني خالد في الاحساء (على الخليج العربي). لا داعي للقول إن هاتين القبيلتين أيضاً ليستا محقتين في مزاعمهما، لأن أولاهما ترجع في نسبها إلى طي، وثانيتهما إلى أصول عربية جنوبية، رغم هذا، يعتبر اليوم انحدار القبائل الثلاث من خالد ابن الوليد مسألة محسومة، وينظر إليها كقبائل من أرومة واحدة[3]. بتأثير هذه النظرة، قامت أخيراً أفخاذ عديدة من بني خالد شرق الأردن بالإنضمام إلى أقربائهم

(1) صورت عام 1899م الشكل القديم للمسجد الذي دفن فيه. بعد أعوام من ذلك أمر مواطن حمصي غني بإعادة بنائه.

(2) الحمداني في القلقشندي، ص204. عمري في صبح، الجزء الرابع، ص214.

(3) تابع بوركهاردت، ص40 وأيوب صبري، الجزء الثالث، ص319.

(*) هناك تصحيح لهذه المعلومة من قبل المؤلف في الجزء الثالث ص197 يرجى مراجعتها لأهميتها بهذا الخصوص. (شبّر).



عبد الكريم باشا (على اليمين) ـ شيخ مشايخ بني خالد (1899م)

المزعومين قرب حمص. ونسبت قصص تحكي عن حملات حربية قام بها بني خالد من الاحساء في الصحراء السورية، إلى بني خالد ـ حمص[1]. لا يكاد التاريخ يأتي على ذكر بني خالد السوريين، باستثناء ما تورده حولية ابن طولون ص33 عام 895هـ/ 1490م حول ثورة قام بها "عرب خالديه"، وقد هيجهم اعتقال شيخهم قرقماس البدوي. تذكر الحولية أن هؤلاء قاموا أول الأمر بعمليات نهب في

(1) هذا النقل أضل تيربيه (ص40)، حيث نقرأ لديه ما يلي: «توغل بني خالد في سورية عند نهاية القرن السابع، وظلّت المنطقة الزراعية طوال ألف عام وخلقة في وجوههم. في نهاية القرن السابع عشر تكللت جهودهم بالنجاح، بعد معركة استمرت ستة أشهر مع الموالي، الذين هزموا في جب الصفا (مكان يحمل هذا الاسم إلى الشرق من حلب)، وأجبروا على العودة إلى دير الزور. بعد هذا الملخص التاريخي يورد تيربيه أسطورة تقول: إن بني خالد انتقلوا بسبب نبوءة من الأحساء إلى تدمر، لكن الموالي إنتصروا عليهم واضطروا إلى العودة إلى موطنهم ـ ثم يقال إن المهزومين عادوا بعد زمن طويل، واستولوا بعد معارك دامية ليس على تدمر فقط بل كذلك على منطقة حمص وحماه. وهذا زعم لا علاقة له بالحكاية السابقة، ويراد به إقامة صلة قربى بين بني خالد في حمص وبين القبيلة الموجودة في شرق جزيرة العرب.

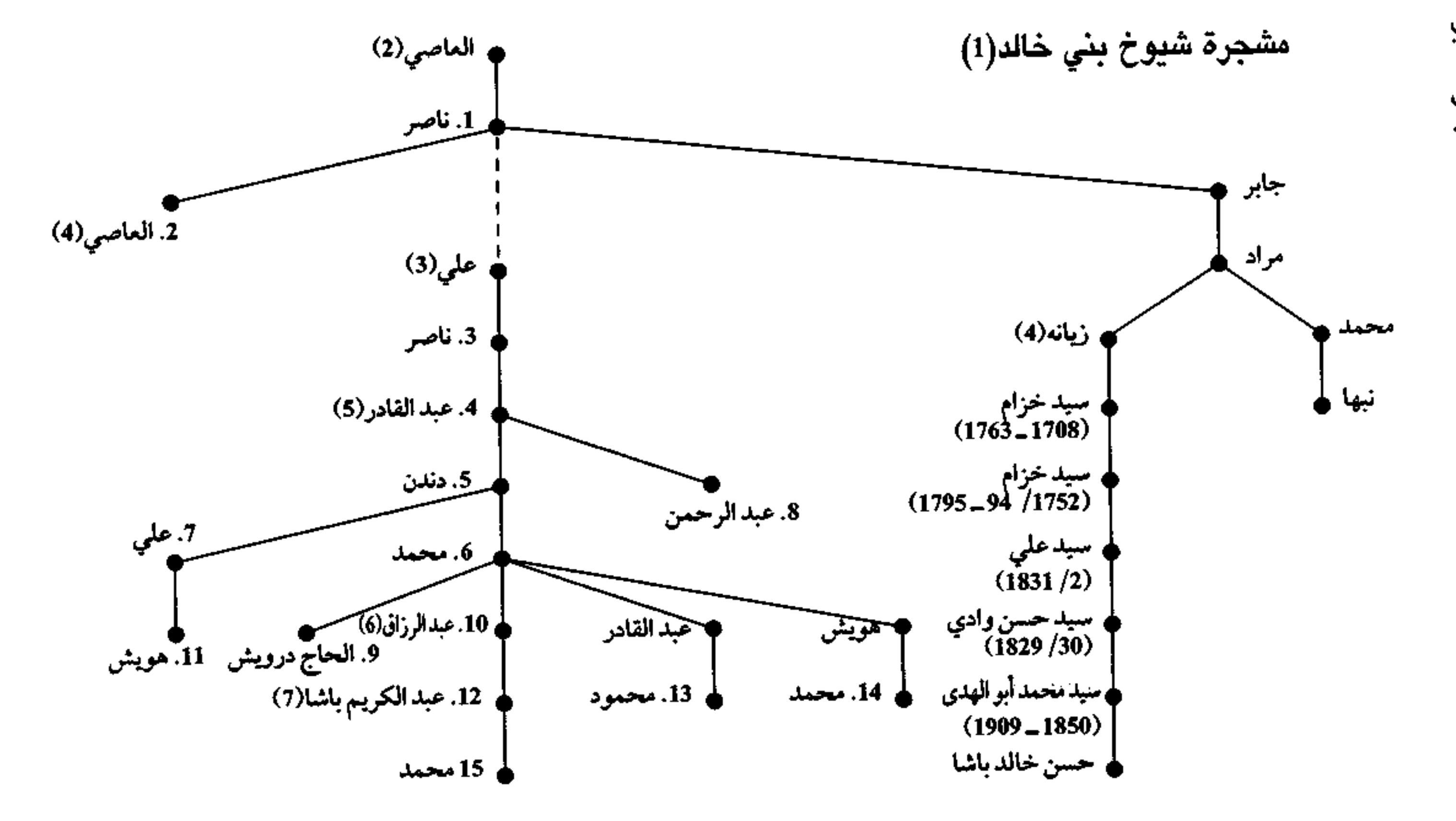
منطقتي حماه وحلب، ثم توجهوا جنوباً، وأنزلوا خسائر كبيرة بتجار دمشق. في العصر المملوكي، حيث كان بني خالد حلفاء للفضل، تعرض هؤلاء لضغوط واضطهادات مارسها عليهم الموالي، الذين بقوا في حالة صراع معهم إلى فترة غير بعيدة. أما في القرن التاسع عشر، فقد ارتبطت القبيلة بالسبعة والفدعان ودفعت لهم الخوّة إلى ما قبل سنوات. وكانت معظم الوقت في عراك مع منافسيها من قبائل حمص وحماه الصغيرة، التي تربي المواشي. وأخيراً أرغم بنو خالد على عقد اتفاقات سلام مع الفواعرة والنعيم وتركي تحت ضغط الفرنسيين.

برز في صفوف بني خالد أبو الهدى، شيخ الرفاعية الشهير، الذي توفاه الله عام 1909م. وكان قد لازم قبيلته حتى بلغ سن الشباب، ثم تدروش وساح في البلاد، إلى أن حالفه الحظ في القسطنطينية، حيث أقام علاقات مع عبد الحميد قبل توليه الحكم، وأصبح مستشاره الديني وصاحب نفوذ حاسم على سياسته العربية. وكان وراء لقب الباشوية الذي منحه السلطان عبد الحميد إلى عبد الكريم: شيخ مشايخ بني خالد.

إستقرت أقسام من قبيلة بني خالد منذ وقت طويل. وقد عثرت عام 1899م في بُقيع إلى الغرب من حمص على قرى يسكنها بنو خالد، يملكها الدنادشة[1] ومصطفى بيك أنجة، قريب أبو الهدى. حالياً، يزرع بني خالد أراضي في العلاة وجبل الشومرية أيضاً، حيث أن قسماً منهم ملاكون والقسم الآخر مستأجرون. في الخريف، تتحد العشائر، باستثناء من يبقى منها في القرى، ويسيرون في اتجاه جنوبي/ شرقي عبر بادية تدمر نحو الحماد، إلى أن يبلغوا طنف أو القعره[2]. هذا التنقل يبدأ في تشرين الثاني، إلا إذا هطلت أمطار مبكرة في شهر تشرين الأول. ثم تعود في مطلع العام إلى قراها لتساعد في الحصاد، قبل أن تطلق قطعانها، التي كانت ترعى إلى الآن على حدود المنطقة الزراعية، في الأراضي المحصودة، وتبدأ تجارة نشطة مع تجار ووجهاء المنطقة الذين تبيعهم منتجات اقتصادها الحيواني.

(1) عائلة تعيش قرب تل كلخ غير معروفة الأصل.

(2) يمر الطريق عبر جبب حبل ـ بيار جحار ـ البيضة ـ الينابيع الواقعة في منطقة البخرة ـ العليانية.



مشجرة شيوخ بني خالد(1)
العاصي(2)
1. ناصر
2. العاصي(4)
علي(3)
3. ناصر
4. عبد القادر(5)
5. دندن
6. محمد
7. علي
8. عبد الرحمن
9. الحاج درويش
10. عبد الرزاق(6)
11. هويش
12. عبد الكريم باشا(7)
15 محمد
عبد القادر
13. محمود
هويش
14. محمد
جابر
مراد
محمد
نبها
زيانه(4)
سيد خزام (1708ـ1763)
سيد خزام (1752/ 94ـ1795)
سيد علي (1831 /2)
سيد حسن وادي (1829 /30)
سيد محمد أبو الهدى (1850ـ1909)
حسن خالد باشا

ملاحظات حول مشجرة نسب أسرة شيوخ بني خالد

1 ـ تستند شجرة العائلة إلى تيرييه، ص45 وما يليها (= رينو ومارتينيه، ص18) وأيوب صبري الجزء الثالث، ص320 وما يليها. يقدم تيرييه جدولاً بستة عشر شيخاً حاكماً، يظهر منهم في شجرة النسب خمسة عشر شيخاً فقط، لأن أولهم (خصيبة) أو غصيبة (رينو ومارتينيه)، لم يضم إليهم. يذكر أيوب صبري تسلسل أسلاف الشيوخ 9 و10 صعوداً إلى خالد بن الوليد. أما الأعضاء الأحد عشر، الذين يأتون في رأس هذه السلسلة، فقد ظهر أنهم مجرد تلفيق تم بمساعدة أسماء من الفضل، ولم يدرجوا بالتالي في الجدول. أما الثلاثة الذين يلونهم، عبد القادر بن ناصر بن العاصي فإن التسلسل عبد القادر بن ناصر مؤكد بفضل اللائحة الفرنسية، لذلك يجب افتراض وجود ثغرة بين هذين الاسمين وبين العاصي، كما يظهر من اللائحة ذاتها. إن تتابع الشيوخ الذي تسمح به اللائحة، وهو 1: ناصر، 2: عاصي الناصر، 3: ناصر العلي، لا يسمح للأسف بحل مرضٍ لهذه المسألة.

يبدو أن كلا الناصرين مؤكدان على كل حال، لأننا إذا تتبعنا أيوب صبري، وجعلنا من عبد الكريم ابن ناصر وجابر ابن ناصر أخوين، إنزاح خط القرابة الثانوي ثلاثة أجيال إلى الأسفل بالمقارنة مع خطها الرئيس.

2 ـ حملت العائلة بعده اسم العاصي.

3 ـ أنظر ملاحظة رقم 1.

4 ـ بفضل زواجها من سيد حسين برهان الدين الصيادي، شيخ الرفاعية الآتي من البصرة، أصبحت زيانه أم أسرة من زعماء الأخوية، محمد أبو الهدى العضو الأخير فيها. قارن: أيوب صبري. وقبل كل شيء أبو الهدى: كتاب ذخيرة المعاد في ذكر السادة بني الصياد، ص48 وما يليها، الذي يتكئ على كتاب أسفار السويدي (1692م/ 1760م) الموسوم: النفحة المسكية. بروكلمان، الجزء الثاني، ص377 وعلى عبد المنعم العاني: قاموس العاشقين، ومجموعة الشيخ محمد الوفائي. عاشت الأجيال الأولى من أبناء سيد حسين وزيانه بين ظهراني بني خالد،

أقرباء أمهم. دفن سيد علي خزام وابنه خزام في قرية الحيش قرب معرة النعمان. وسكن السيد حسن وادي في خان شيخون، حيث يوجد قبر ابيه سيد علي، وأسس زاوية رفاعية. لم يغادر حسن وادي مقر إقامته وينتقل إلى حلب إلا بعد تولي ابنه منصب نقيب الأشراف فيها. وقد توفي في بداية تسعينيات القرن المنصرم. أما ابن ابو الهدى (توفي عام 1936م)، فكان بين 1926 و1931م رئيس وزراء شرق الاردن.

5 ـ أخذت العائلة منه اسم آل عبد القادر.

6 ـ هذا ما يقوله أيوب صبري. رينو ومارتينيه وتيرييه يسمونه زرّاك، وهو اسم يظهر مرات متعددة في جدول لامارتين. قارن كذلك بورتون: "الحياة الداخلية في سورية"، الجزء الأول، ص101.

7 ـ حكم عبد الكريم باشا منذ عام 1895م، واضطر عام 1918م إلى ترك منصبه والعودة إلى حماه، بسبب إصابته بشلل. وقد تولى الحكم بعده ابن أخيه محمود العبد القادر، الضابط التركي السابق، الذي درس في مدرسة البدو بالقسطنطينية. إستبدل محمود عام 1923م بابن عمه محمد الهويش، الذي تنازل بعد عام للشاب محمد ابن عبد الكريم. بما أن هذا عرف أنه أضعف من أن يستطيع ممارسة الحكم، فقد اعتمد على سابقيه كليهما، اللذين استغلا الفرصة لاستعادة ما كان لهما من نفوذ.

بني خالد(1)

شيخ المشايخ: محمد بن عبد الكريم باشا

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ الناصر (العاصي)(2)	محمد بن عبد الكريم	العلاة	50 (7)
2 ـ الطعمة		جب الجراح	30 (25)
3 ـ القيسات(3)	أحمد الفياض القيسي(3)		20
4 ـ العليان	جاسم المحمد العليوي	العلاة	20 (15)
5 ـ الحصوة(4)	خضر الحصوة		8 (8)
6 ـ الغنايم	خالد العموري(5)	أم حارتين	30 (15)
7 ـ النجاجير	حسن الفارس(6)	الطرفاوي	25 (15)
8 ـ البريكات		المصعدة	13 (13)
9 ـ العقاقرة(7)			5 (5)
10 ـ العقارشة	محسن الهزاع(8)	مصياف	20 (20)
11 ـ البياطرة	خضر الحمد	جب الجراح	25 (25)
12 ـ البطة		مصياف	28 (15)
13 ـ الجبور(9)			18 (18)
14 ـ النهود(9)		الشومرية	30 (20)
15 ـ الشكر(10)	جدعان ابن قنبر(11)		30 (20)
16 ـ الشقرة(12)		العلاة	30 (15)
17 ـ الرزيق	محمود الحسين	الشومرية	100 (60)
18 ـ الرطوب (13)			150 (100)

ملاحظات حول جدول بني خالد

1 ـ وضع الجدول بالإستعانة بتيرييه، ص42 وما يليها، وأخذ معطيات موزيل بعين الإعتبار: بادية تدمر، ص43 (1908)م. الأماكن مرسومة جميعها على الخارطة باستثناء أم حارتين والطرفاوي، اللتين نجدهما في خارطة موزيل: جزيرة العرب الشمالية، حيث تقع إحداهما جنوب شرق سلمية والأخرىٰ جنوب مسعدة. ـ الأرقام التي بين قوسين تعطي عدد خيام البدو الرحل. بوركهاردت (ص10) قدر عدد الخيام بمائتي إلى ثلاثمائة خيمة، وعدد خيام كل واحدة من العشائر المرقمة 15 و16 و17، المستقلة آنذاك، بـ50 إلى 100 خيمة. عدد الماشية: 15000 جمل، 150000 رأس غنم مع خيول جميلة!.

2 ـ يسمى تيرييه العشائر من 1 إلى 9 الزمول (1) (والزمول[1] اسم خاص بفرع واحد من العشيرة عند موزيل) وهي تدفع مبلغاً شهرياً لشيخ المشايخ مقابل "حق الإختباء" (الدخالة). وهي، في الواقع، نواة القبيلة، لأن العشائر من 13 ـ 17 من أصول غريبة.

3 ـ هكذا يجب فهم "جيزات" و"غيسي" تيرييه. الجيسات منضوية في الطعمة.

5 ـ موزيل. خضر العموري.

6 موزيل (أبوه) فارس الرخيّص.

7 ـ حسب تيريه، من نفس الأصل كالعشيرة التي تحمل نفس الاسم والمنتمية إلى الفدعان.

8 ـ موزيل: (أبوه) هزاع البطيحش.

9 ـ بني خالد في شرق الاردن،انضم الجبور إلى القبيلة عام 1917م.

10 ـ بني حسن من شرق الاردن. إنضموا منذ وقت طويل إلى بني خالد.

---

(1) العشائر 10، 11 منضمة إليها.

11 ـ موزيل: (أبوه) قنبر.

12 ـ بني حسن أيضاً.

13 ـ إنشق البوادة بخيامهم المائة والخمسين عن الرطوب.

إنفكت مجموعات من بني خالد عن القبيلة الأم كلياً، يقدر عددهم بأربعين خيمة، يعيش أصحابها رعاة في دائرة مصياف، و250 خيمة إنضمت إلى الموالي. ثمة وجود لبني خالد بين السكان شبه المستقرين في جبل الحص والغاب.

فواعرة

لا وجود للفواعرة في جدول بوركهاردت حول بدو حماه. وسبب ذلك أن الفواعرة لم يتكونوا إلا مطلع القرن التاسع عشر على يد الأمير حسن الفاعور من قبيلة الفضل، الذي كان قد أجبر على مغادرة موطنه بسبب نزاع عائلي، واحتمى أول الأمر بالموالي، حيث تجمع حوله بالتدريج رهط من المغامرين. عندما بلغ هؤلاء درجة كافية من القوة، ترك الأمير الموالي واختار منطقة تقع حول سلمية موطناً لقبيلته الجديدة، التي سميت باسمه. وقد أفلت زمام الحكم من يدي ابنه، فتولاه مولى اسمه شبلي، بينما سافر حفيده في التسعينيات إلى أميركا وفُقد هناك[1].

بغض النظر عن افتقارهم إلى التقاليد، يمثل الفواعرة اليوم قبيلة موحدة بكل معنى الكلمة، أسهم أعظم الإسهام في وحدتها عداء جيرانها لها، الذي اجبرها على فرض نفسها عبر معارك لم تنته إلا منذ أمد قريب. وإن كانت بعض أحداث الحقبة الأخيرة تشير إلى ضعف أصاب تضامنها. لم يقبل الفواعرة تقديم تعويض إلى عشيرة الحناحنة، التي كانوا قد سلبوها كل ما تملك خلال غزوتين شنوهما عليها عامي 1922 و1929م، إلا تحت ضغط الحكومة. بسبب صفاتها هذه، وجد

---

(1) نشأت فيما بعد شكوك قوية في صحة هذا العرض المستند إلى تيربيه. إذ إن نشوء قبيلة بهذا الحجم خلال هذه الفترة القصيرة يبدو بعيد الحدوث، بل إنه مستحيل تماماً إذا كان الفواعر المذكورون في قائمة لامارتين التي تعود إلى العقد الثاني أو الثالث من القرن التاسع عشر (600 خيمة) هم نفسهم قبيلة الفواعرة التي ندرسها.

الشيخ طراد الملحم، شيخ الحسنة، في القبيلة ميداناً مناسباً لطموحاته[1]، وكان الفواعرة جميعهم على وجه التقريب قد وضعوا أنفسهم تحت تصرفه خلال ترحال 1924م/ 1925م الشتوي. لكن القسم الأكبر من هؤلاء "الرعايا" الجدد تخلى عنه، عندما طلب منهم رسوم حماية.

يتعزز تراخي الإتحاد بسبب افتقاره إلى قائد، ذلك أن الحكومة تأبى الإعتراف بالشيخ الشرعي محمد الشبلي، الربيب السابق لمدرسة البدو في القسطنطينية، لأنه يعيش بصورة دائمة في حمص. أما درويش الشبلي[2]، الشخص الذي يليه في الأحقية، وكان فيما مضى دركياً تركياً، فهو يعيش الوضع ذاته. صحيح أنه يقود عشيرة البهادلة، لكنه يوكل صلاحياته في الصحراء إلى أحد المخاتير. وهناك أخيراً سفوق العفنان، شيخ العشيرة الأقوى المسماة بالعلقويين، الذي لا يصلح لمنصب شيخ المشايخ، لعيوب في شخصيته.

الفواعرة بدو رحل، يتجمعون في الفرقلس، جنوب شرق حمص، عندما تبدأ أمطار الخريف، ويقصدون في الحماد مواقع ماء القمقم، الباردة، البصيره، وسبع بيار، ليعاودوا الظهور في الفرقلس خلال شهر نيسان، ويتقدموا قبل نضوج القمح في مجموعات صغيرة إلى الأرض الزراعية، حيث تمس الحاجة إليهم من أجل نقل المحاصيل. ثمة بضعة عشرات الخيام ترفض الترحل مع القبيلة، لأن أصحابها يتدبرون عيشهم كعمال زراعيين في الحقول الواقعة إلى الشرق والجنوب من حمص. بينما تسكن عشرون أسرة مدينة حمص ذاتها.

تمتلك الفواعرة ثروة حيوانية مهمة، كثيراً ما أثارت طمع حتى القبائل البعيدة. وتتعرض بدورها خلال ترحالها السنوي إلى خسائر تتسبب بها سرقات يقوم بها سكان الحرة. للقبيلة كذلك أراض في جبل الشومرية. وكان لها حتى عام

---

(1) أنظر مقالة عنزة/ . فصل حسنة.

(2) مثل محمد هو حفيد الدرجة الثانية أي ابن ابن ابنه لمؤسس أسرة الشيوخ، وسلسلة أسلاف الاثنين هي: درويش ابن حميد (شيخ المشايخ 1908م) ابن حمود بن شبلي ومحمد بن شبلي بن نايف بن شبلي.

1905م أربع قرى في العلاة، تخلت عنها خلال حرب مع الموالي، ثم انتقلت ملكيتها بعد ذلك بطريقة غير نظيفة إلى أسرة البرازي في حماه.

يتمتع الفواعرة بحماية ضنا مسلم، ولذلك فهم ممقوتون من ضنا عبيد (الفدعان، السبعة). عدا ذلك، يُحدد موقعهم السياسي بصراعهم الطبيعي مع بني خالد: جيرانهم الأقوياء. وهم على عداء مع الحديدين ولهيب، وصداقة مع الموالي و«العقيدات» والنعيم.

الفواعرة(1)

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ العلقويون	سفوق العفنان(2)	120
2 ـ الحناحنة(3)	سليمان العواض(4)	70 [15][*]
3 ـ المعيديين	محمد المصيطف	25 [4]
4 ـ الطريجة	عبيد السليم	30 [4]
5 ـ البهادلة	درويش الشبلي	35 [3]
6 ـ التويمات(5)	قدور العزاوي(6)	40 [4]
7 ـ الزيادنة	حميد الدرويش	12 [3]
8 ـ الارامنة	حجاج الفياض	15 [5]
9 ـ الهنادزة(7)	مشرف العدلان(8)	22 [3]
10 ـ العبيد(9)	حميدي	12

ملاحظات حول جدول الفواعرة

1 ـ وضع الجدول استناداً إلى موزيل: بادية تدمر، ص37 (1908)م وتيرييه، ص36. يذكر موزيل عشيرتين لا يردان عند تيرييه، الذي يذكر أفخاد كل واحدة من

(*) لم أستطع معرفة المقصود بالرقم (15) هنا حيث لا يوجد هامش أو ملاحظة لها رقم 15 لذا تركتها كما هي ولغرض التنبيه فقط (شبّر).

العشائر، لكننا لم نستطع إيرادها بسبب عدم وضوح أسمائها. عدد الخيام: 450. تشير الأرقام التي بين قوسين إلى عدد خيام البدو المستقرين. عدد الماشية: 80 حصاناً، 2500 جمل، 50000 رأس غنم ثلثاها فقط ملك القبيلة.

2 ـ سلفه: سلامة بن عفنان.

3 ـ موزيل: "حنانمه".

4 ـ سلفه: عقله العواض.

5 ـ لهم 15 خيمة عند راكان بن مرشد من السبعة.

6 ـ سلفه: سلامه العزاوي.

7 ـ أعلنت العشيرة استقلالها عام 1921م، لكنها عادت من جديد إلى نصب خيامها مع الفواعرة، ويبدو أنها تميل إلى الدخول مجدداً في اتحادها.

8 ـ سلفه: علي العدلان.

9 ـ عبيد الحناحنة.

نعيـــم

تقدر خيم النعيم في سورية بحوالى ألفي خيمة، أي أكثر بكثير من عدد خيامهم في بلاد الرافدين. لم يصل النعيم إلى هذه القوة الواضحة إلا في القرن التاسع عشر، عبر ضم عناصر غريبة كبعض قبائل الجولان الصغيرة، التي كان بوركهاردت قد ذكر أسماءها باعتبارها قبائل مستقلة[1]. كما أن ظروف القبيلة الأخرى تغيرت أيضاً خلال هذه الفترة: كانت في أيام بوركهاردت تشكل مجموعة واحدة تمضي الصيف في البقاع الجنوبي والشتاء في الجولان، بينما تنقسم اليوم إلى مجموعات ثلاث، تمضي الصيف قرب حمص/ حماه ودمشق والجولان، ويقصد أجزاء منها السهب الشرقي في الشتاء[2]. يتساوى نعيم سورية في نمط حياتهم مع نعيم بلاد الرافدين، فقسم منهم مُستقر (عمال زراعيون وملاك أراضي في حالات نادرة)، والقسم الآخر رعاة متنقلون. يفتقر النعيم أيضاً إلى تماسك داخلي قوي ضمن تشكيلاتهم.

بعد نعيم الجولان، يشكل نعيم حمص، حماه أقوى مجموعات القبيلة. إلا أنهم، منقسمون حالياً، لأن فروع حماه لم تعد تعترف بشيخ المشايخ سعود الحسين، وتريد وضع جاسم الحسين مكانه، بينما تريد الحكومة تعيين "متقل

(1) وهيب، أبو حية، بكار(؟) شراحين، ربيعيين.

(2) يمكن أن تكون مجموعة رابعة تسكن قرب منبع متحدرة من زمن كانت القبيلة لا تزال تسكن فيه شمال سورية. أنظر مقالة نعيم في قسم بلاد الرافدين.

البخن"، الذي مثل حتى الآن مصالح القبيلة في حمص، لكنه يميل إلى استئناف حياة الترحال، إذا ما أسندت المشيخة إليه.

يعيش نعيم حمص ـ حماه في سلام مع القبائل المحيطة بهم، باستثناء بني خالد. ويعتبر الفواعرة مقربين جداً منهم، إلى درجة أن الأقسام المترحلة من النعيم ترافقهم إبان تجوالهم الشتوي[1]. يمتلك النعيم أربع قرى على أطراف السهب، بينها قرية عز الدين، التي تحمل اسم أبي القبيلة، ولديهم الرغبة في شراء أراضٍ إضافية. يحدد تيربيه عدد مواشيهم بـ90000 رأس غنم و3300 جمل، بالإضافة إلى قطعان أسر أعيان حمص كالأتاسي والدروبي والجندي والرفاعي، التي يوكلون أمرها إليهم.

بقي نعيم الغوطة قرب دمشق في فترة كانت القبيلة تتأرجح فيها بين البقاع والجولان. ويقال إنهم انفصلوا عنها قبل ثلاثة أجيال فقط، وهم يمضون الشتاء جنوب الهيجانة.

ليس لنعيم الجولان[2] أهمية تذكر، رغم قوتهم العددية. فهم يعملون رعاة في خدمة ملاك الأرض العرب والشركس وكبار تجار دمشق، ويتناثرون في مجموعات صغيرة بين الكسوة في الشمال ونوى في الجنوب، وتشمل منطقتهم عدا القسم الأوسط من الجولان الشرقي أرض الجيدور وغرب سهل حوران. لم تعد بعض قطاعات النعيم تغادر محيط قرى معينة، ولا يقوم العدد الأكبر منهم بأية رحلات مكانية ذات شأن. في سنوات الجفاف، يحدث أن ينضم النعيم إلى الرولة ويرافقونها إلى خبرة سيقل، شرق دمشق. هذا النمط من العيش أدى إلى تراخي المجموعة تماماً. وإذا كان الشيخ ما قبل الأخير بركات الطحان (حتى 1921م) قد نجح في إعادة توحيدها تحت سلطته، فإن ابنه عبد الله، المغامر الجسور، الذي تجرأ على تحدي الدروز وقبائل اللجاة وبني خالد شرقي الأردن، فقد السلطة لكونه أجبر على الإبتعاد سنوات كثيرة عن موطنه، بعد أن شارك في اضطرابات عام 1920م، وحكم عليه بالإعدام. ولكن لم ينفذ الحكم، لأن أسقف حوران الملكي، نقولا القاضي،

---

(1) حيث يرحلون إما إلى منطقة الباردة ـ البصيري ـ تدمر أو إلى الحماد (طنف ـ خبرا صلبيّه ـ مرقيّه).

(2) أقدم ذكر لدى مايو، الجزء الأول، ص113.

توسط لدى السلطات وحصل على عفو له صدر عام 1925م. حين مات عبد الله عام 1926م أضيف إلى العوامل الطبيعية التي حالت دون تماسك القبيلة، عامل آخر تمثل في نشوب نزاع داخل أسرة الشيوخ: فقد كان صالح أخو عبد الله الخليفة الشرعي، لكن السلطة هي في يد ابن عمه ممدوح.

أ ـ النعيم(1)

شيخ المشايخ: سعود الحسين(2)

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ نعيم	قاسم الحسين(3)	سلمية	180 (94)
	متقل البخن(4)	سلمية/ حمص	120 (60)
	سعود الحسين	حمص	80 (40)
2 ـ وهيب(5)	أحمد الوهيبي	حمص	20 (6)
قبائل ملتحقة بها			
1 ـ معاجير	أحمد الأحمد	حمص	70 (10)
2 ـ شقيف	يوسف الأحمد	المنزول/ القصير	100
3 ـ العتيق	علي الأحمد	القصير/ تل كلخ	
4 ـ أبو عيد(6)			
5 ـ الطويلة(7)		القصير/ نبك	30 (5)

ب ـ نعيم الغوطة(8)

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ حرب(9)	سلامة الحسن		80
2 ـ الشقاقين(10)			20
3 ـ الصياد(11)			150
4 ـ الحمامرة(12)			20.

جـ ـ نعيم الجولان(13)

شيخ المشايخ: صالح بن بركات الطحان: ممدوح الطحان(14)

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ البوّيين(15)	محمد علي	أم سعسع	200
2 ـ العضرا		الكسوة أم سعسع	60
3 ـ أبو حية(16)	محمد الخلف	الكسوة/ تل الحارة	50
4 ـ أبو المي(17)		تل مرعي/ الرقاد	90
5 ـ البكار(18)	محمد العقال	تل الحارة/ الرقاد	200
6 ـ الغرا	صالح الطحان	تل الحارة/ الرقاد	150
7 ـ الطحان		كودنة/ الجوخدار	20
8 ـ المقابلة(19)			40
9 ـ العفاضلة	حازم المحسن	تل الفرس	100
10ـ الشراحين (الشراحيل)(20)	شهاب المحمد		150
11 ـ الهوارين		جنوب العفاضلة	50
12 ـ الربيعيين(21)			30
13 ـ الفواشرة(22)			20
14 ـ السبارجة(23)		الرمنسية	20
15 ـ القصيّرين(24)	فاعور الطحان	تل الفرس/ خسفين	80.

ملاحظات حول جداول النعيم

1 ـ فضلاً عن المجموعات التي ورد ذكرها في الجدول، لا بد أيضاً من ذكر نعيم منبج ـ ستون أسرة في أربع قرى ـ الأرقام الموضوعة ضمن قوسين تدل على عدد الرحّل.

2 ـ وفق استقصاءات أقدم وبعد استخدام تيريبه، ص50 وما يليها. وهو يذكر

أيضاً "هاسيكات"، وعدد خيامهم 30 (5) وعز الدين 30 (10) خيمة. وعز الدين هم ملاك القرية التي تحمل الاسم ذاته، وهم ينحدرون من سكان مستقرين. الأماكن مرسومة على الخريطة باستثناء المنزول (22 كيلو متراً جنوب حمص) وتل كلخ (37 كيلو متراً إلى الغرب من حمص).

3 ـ ذكرها موزيل: بادية تدمر، ص127.

4 ـ عشيرته عند تيربيه "هزومين".

5 ـ قارن مقالة "قبائل صغيرة في شمال فلسطين".

6 ـ لا توجد لدى تيربيه، إلا إذا كان يقصد بهم «الخابوت». إنهم بالتأكيد متماثلون مع العبيد، الذين يذكر بوركهاردت وجودهم في الهرمل، وهم مسجلون في الجدول الرسمي للقبائل التي تمضي الشتاء في الجولان، والتي يذكرها شوماخر «الجولان».

7 ـ أنظر كذلك مجلة الرابطة الألمانية (ZDPV). الجزء 23، ص14.

8 ـ سجل في تموز 1925.

9 ـ تيربيه، ص58: 45 خيمة. عدد الماشية: 2000 رأس غنم. بوركهاردت، ص117، يوردهم أيضاً عند بعلبك وفي الجولان، باعتبار أن الأخيرة منطقة الشتاء بالنسبة لهم (ومنطقة الحمامرة كذلك)، كما يتضح من جدول الرسمي عند شوماخر.

10 ـ تيربيه، ص54، من نعيم الجولان.

11 ـ تيربيه: ص26، من السلوط. قارن تيربيه، ص56 ـ إعترف الصياد والحمامرة عام 1925 بسلطة عبد الله الطحان (نعيم الجولان).

12 ـ تيربيه، ص58، من عقيدات الغوطة.

13 ـ سجل في تموز عام 1925م. أسماء الشيوخ أخذت من قائمة تيربيه، ص54، التي تحسب حساباً للتبدلات السياسية التي حدثت منذ1926م. عدا ذلك،

ليست الفروق بين معطيات تيرييه ومعلوماتنا الخاصة كبيرة. يلفت النظر غياب الصيكات، المذكورين في الجدول الرسمي، والنميرات لدى الراوي. الأماكن مرسومة على الخارطة باستثناء كودنه (15 كيلو متراً جنوب شرق القنيطرة) والرمسنية (11 كيلومتراً ونصف الكيلومتر جنوب القنيطرة).

الوسم: | O على العنق؛ بعض الاختلافات عند شوماخر، الجولان، ص90.

14 ـ تخضع لصالح عشائر غرا والسبارجة، وتخضع لممدوح أبو حية، والعفاضلة، وشراحين، ونميرات و"الحسيكات".

15 ـ تيرييه. عدد الخيام: 20.

16 ـ بوركهاردت، ص18: الجدول الرسمي.

17 ـ منقول ربما عن ابوعاصي؟. قارن: الابوعاصي في الجدول الرسمي وتيرييه: "الابو حسي".

18 ـ الجدول الرسمي. تيرييه: عدد الخيام 20! فهل هم متطابقون مع "بقارة" بوركهاردت؟.

19 ـ فلاحو أسرة الشيوخ، الذين لديهم أملاك في كودنه والرفيد.

20 ـ بوركهاردت: الجدول الرسمي.

21 ـ هم كما يبدو من يسميهم بوركهاردت بني ربيعة، المنتشرين أيضاً في شمال فلسطين.

22 ـ تيرييه: "فواخر".

23 ـ الجولان، ص90. هناك فخذ يسكن قرب الناصرة.

24 ـ يحسبهم شوماخر وتيرييه على الفضل.

قبائل صغيرة قرب دمشق

فضلاً عن مجموعة نعيم التي ذكرناها أعلاه، تقيم قبيلتان صغيرتان أخريان بصورة دائمة في محيط دمشق هما الجملان والعقيدات. أما الجملان، الذين أخذوا اسمهم عن شيخ اسمه جميل، فيقال إنهم قدموا قبل وقت طويل من وادي الفرات، بينما لم يقدم العقيدات إلى هنا إلا منذ وقت قصير. وهم فرع من عقيدات حمص، الذين كانوا يتنقلون فيما مضى بين البقاع والجولان، شأنهم في ذلك شأن النعيم[1]. تعمل هاتان القبيلتان، كنعيم الغوطة، رعاة قطعان لتجار وملاكي أراضي دمشق وفلاحي ضواحيها أيضاً. يقيم العقيدات في الغوطة خلال الصيف ويمضون الشتاء في مثلث الضمير وخبرة سيقل وخان منقورا، في حين يتابع الجملان طريقهم نحو الجنوب، ليقضوا الصيف بين الكسوة ـ العتيبة في الشمال وصنمين ـ المسمية في الجنوب، ويذهبون عادة في الشتاء إلى شرق "بحيرات المراعي" من دكوة وحتى المكحول وسيس، وإلى الحماد في السنوات المجدبة. غير أن نصف خيام القبيلة تبقى في قرى معينة، يعمل سكانها رعاة وعمالاً زراعيين، بل إن بعضهم يمتلك أرضاً عند البلي.

---

(1) تابع بوركهاردت، ص9، يفهم من القائمة الرسمية لدى شوماخر، الجولان، أن العقيدات كانت تمضي الشتاء في الجولان حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر. أما وجود العگيدات قرب دمشق، فهو يذكر لأول مرة لدى كريمر: سورية الوسطى، ص191 169.

يدفع الجملان رسم رعي للفلاحين الذين يدخلون أراضيهم، (حمل أو نصف مجيدي على كل مائة رأس ماشية) ويقال إنهم آمنون ضد الغزوات، مع أنه لم يسبق لهم أن دفعوا خوّة في أي وقت. رغم طبيعتهم المسالمة، إشترك الجملان في الثورة السورية، فتم نزع سلاحهم عام 1928م.

قبائل صغيرة قرب دمشق(1)

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ جملان	ظاهر المسعود(2)	صيفاً: وادي العجم شتاء: ديرة التلول	110
أ ـ العودة	حسن الناصر		20
ب ـ الحمود	عقلي العبد ربه		20
جـ ـ الشواهنة			23
د ـ الناصر	محمد السميرا		15
2ـ عقيدات(3)		صيفاً الغوطة/ شتاءً شرق الضمير	160
أ ـ الزامل	محمد بن جاسم		40
ب ـ حمود	جاسم الجابر		28
جـ ـ المشاهدة	علي بن خلف		20

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب تيرييه، ص55 وما يليها.

2 ـ ينتمي إلى أسرة حمد المحترمة، التي صارت فقيرة معدمة.

3 ـ هناك حي في الضمير يسكنه العقيدات، وآخر يسكنه النعيم. موزيل: بادية تدمر، ص113.

عمور

قدم العمور قبل حوالى مائتي عام إلى بادية تدمر، من موطنهم في شرق الجزيرة العربية. أما قبيلتهم الأم فهي الفضول[1]، الاتحاد الذي اندثر بسبب عواصف الحركة الوهابية. عندما تركت أولى موجات عنزة موطنها العربي، إنضم قسم من العمور إلى الحسنة ورحلوا معهم إلى سورية، ولذلك دفعوا لهم خوّة في الموطن الجديد[2]. أما القسم الذي بقي في موطنه، فذاب لاحقاً في الضفير. وتعتقد مجموعتا عمور نجد وعمور سورية أن قرابة تجمعهما.

إنهار اليوم اتحاد عمور سورية، فانضمت بعض أفخاذه إلى عنزة، وانضم الجراح إلى الفدعان ـ الولد، والبرقع والعليوي إلى الحسنة، حيث سموا عمور الملحم نسبة إلى شيخهم. لا يزال عمور الديرة[3] والمهارشة مستقلين، يسكن الأولون منهم سلاسل الجبال الذاهبة من جبال لبنان الشرقية إلى الشمال الشرقي، حيث تسمي خارطة قديمة أحدها جبل عمور. ويتنقل المهارشة في منطقة أبعد إلى الشمال مع السبعة. تفتقر هاتان المجموعتان إلى رابطة سياسية، وحتى أفخاذ عمور

(1) يذكرها روسو في هذا الموقع، رحلة (1808م)، ص67.

(2) تيرييه، ص92 ـ بوركهاردت، ص12.

(3) أي عمور دمشق. الديرة تعني في الشمال السوق الرئيسي لبدو منطقة ما، أما في جزيرة العرب فتعني منطقة ترحال قبيلة ما.

الديرة نفسها فإنها تعيش مستقلة بعضها عن بعض كلياً.

إنحاز العمور عام 1925/ 26م إلى جانب ثوار النبك. لكنهم استسلموا للفرنسيين في الأول من نيسان عام 1927م، وعملوا منذ ذلك الوقت كحراس حدود.

العمور(1)

أ ـ عمور الديرة

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ نجاد(2)	خلف الناير	صيفاً: نبك/ ضمير شتاءً: تدمر	60
2 ـ بدور(3)	خلف العطية		70
3 ـ أبو حربا(4)	منصور التلي(5)		120
أ ـ الخرسان(6)	معجل السند		
ب ـ عناترة(7)			

ب ـ مهارشة

شيخ المشايخ: الياس

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ الخرسان(6)		مثل السبعة ـ عبده	60
2 ـ فراع(7)		مثل السبعة ـ عبده	60
3 ـ عمري		مثل السبعة ـ عبده	60
4 ـ السعد		مثل السبعة/ قمصة	60

ملاحظات على الجدول

1 ـ وضع الجدول بالاستعانة بموزيل، ص24 (1908م) وتيرييه، ص59 ,92. يتضمن جدول موزيل العشائر التي انبثقت من العمور وهي غياث الصفاه، وكذلك الجراح وعمور الملحم، الذين ينضوون هنا في الفدعان والحسنة.

2 ـ شتوبل، مجلة الرابطة الألمانية (zdpv) العدد 12، ص300: انقاد. إستقرت إحدى الأسر قرب النبك.

3 ـ رعاة جرود.

4 ـ رعاة تدمر والسخنة. يذكر لامارتين ألبو حربا مع شيخ يسميه ابن "نجد" والمقصود هو دون شك نجاد.

5 ـ شيخ للعمور اسمه مزهور التلي. بادية تدمر، ص136.

6 ـ يذكرهم نيبور (جزيرة العرب، ص396) بين قبائل دمشق. ربما كانوا يتماهون مع من يسميهم القلقشندي بالخرسان، ص115. وهم مثل ألبو حربا إنضموا إلى العمور أي أن الانضمام حدث في سورية وليس قبل ذلك.

7 ـ يحسبهم موزيل، ص151، على الحديدين، الذين يقيم العمور بالفعل علاقات سياسية معهم.

(*) الجرود: هي كلمة تطلق على المناطق والسفوح الجبلية التي تكون قليلة الزرع. (شبّر).

عرب اللجاة (السلوط)

يسكن البدو هضبة الطفح البركاني المسماة اللجاة. وهم يسمون تارة عرب اللجاة وطوراً باسم السلوط[1]، إحدى قبائلهم الفرعية، حيث نجد الاسم الأول أولاً في جهان نامه (ص585)، وتظهر إحدى قبائله ـ المدلج، (المدالجه) ـ حتى في العصر المملوكي[2].

تسود اللجاة شروط غير ملائمة للحياة، لكنها تقدم، في الوقت نفسه، حماية مؤكدة من الهجمات، إن لم يحتل العدو مواقع المياه فيها. لذلك، تمكن قوم السلوط الصغير من المحافظة حتى الآونة الأخيرة على استقلالهم تجاه حكام البلاد، ودحروا أكثر من مرة قوات نظامية وردّوها على أعقابها. لم يغامر العثمانيون بدخول اللجاة، بل تركوا تحصيل الضرائب إلى قبيلة الفحيلي[3]، التي مارست السلطة حتى القرن التاسع عشر في مناطق حوران الشمالية. عندما ثار السلوط مع الدروز عام 1838م ضد إبراهيم باشا، توغلت الوحدات المصرية في اللجاة إلا أن حملتها أخفقت، مثلما أخفقت حرب تركيا ضد الدروز عام 1852م[4]. بدورهم، اضطر الفرنسيون عام 1920م إلى التغلب على مصاعب هائلة في هذه المنطقة، ولم يتمكنوا من ترسيخ حكمهم إلا بعد أن نجحوا في فك تحالف السلوط التقليدي مع الدروز،

---

(1) تلفظ صلوت أيضاً.

(2) صبح، الجزء الرابع، ص209. ابن طولون، ص37.

(3) 10 ـ 60 قرشاً للخيمة. بوركهاردت، ص15.

(4) كاياردو في مجلة مصر، الجزء الثالث، ص65. فيتسشتاين، حوران، ص83.

وفي دفعهم إلى القتال ضد حليفهم السابق (1925)م.

عرف عرب اللجاة في الماضي كلصوص سيئي السمعة الجانب. ولا عجب في ذلك، إذا ما تذكرنا فقر موطنهم، الذي يسمح بتربية الأغنام دون غيرها، وببعض الزراعة في الرقع الخالية من الحجارة والصخور. تعتبر أراضي اللجاة أملاكاً أميرية في الشمال، وأملاكاً للبدو في الجنوب، يدفع عرب اللجاة 22,5٪ من محاصيلهم في الشمال و12,5٪ في الجنوب، كضريبة. يتصدر شيخا مشايخ المجموعتين، اللتين ينقسم إليهما عرب اللجاة، وهما آل حمد وبني عمرو، موقعيهما (كقائم مقامين) وكمديرين لدائرتيهما: الأول في جنوب اللجاة والثاني في شماله.

عرب اللجاة (السلوط)(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة السكن	عدد الخيام
1ـ آل حمد	طلال بن سعد الدين	جنوب وغرب اللجاة	
	أبو سليمان الحمد(2)		
أ ـ اللزوق	حامد الزغيمان(3)		400
1 ـ العوران(4)	طلال ابو سليمان		
2 ـ الرمّاح(4)			
ب ـ المدالجة(5)			250
1 ـ الحلف			
2 ـ القريط			
جـ ـ السلوط			150
د ـ الظهرة(6)			100
2ـ بني عمرو(عمر)	أحمد بن زعل الغصين	شمال وشرق اللجاة	
أ ـ المراشدة	أحمد الغصين		300
ب ـ الصوابرة			200
جـ ـ الحجرة			300
د ـ السيّالة			200

ملاحظات حول الجدول

1 ـ سجل يوم 26 تموز عام 1925م. الراوي: عيفان الحمد، أحد أعمام الشيخ طلال.

يبدو أن مجموعتي الحمد وبني عمرو، اللتين تسمت أولاهما باسم أسرة شيوخها، حديثتا التكوين، بينما ترد أسماء العشائر جميعها في مراجع أقدم، هي: بوركهاردت: ص15. قارن أيضاً كتابه: رحلات في سورية والأرض المقدسة، ص111. روبنسون: فلسطين (1838)م، الجزء الثالث، ص915، حيث تبدو قبائل عرب اللجاة كرعايا للفحيلي. شتوبل (1882)م، في مجلة zdpv، الجزء 12، ص300. رينو ومارتينيه، ص26. في هذه الجداول أسماء أكثر ممّا في جدولنا، ولكننا لا نجد منها لدى تيرييه، ص61، سوى الشرعة والفواخرة و"الزهران" «الزعران».

يرجح أن تكون أعداد الخيام في الجدول مرتفعة جداً، وأن رقم 700 الذي يورده تيرييه هو الأقرب إلى الصواب. تظهر أرقام بوركهاردت ـ 150 خيمة لكل من 1. ب وج، إن عدد القبيلة لم يتكاثر في هذه الأثناء.

2 ـ حكم والده سعد الدين حوالى عام 1900م، وجده سليمان أبو عودة حوالى عام 1870م. أنظر: بورتون، الحياة الداخلية، الجزء الأول، ص69. داسو: بعثة في المناطق الصحراوية من سورية الوسطى، ص17.

3 ـ تيرييه: صالح.

4 ـ تعتبر فرعاً من عشيرة في جداول أخرى.

5 ـ مايوكس، الجزء الأول، ص112. لدى بوركهاردت وروبنسون: مدلج.

6 ـ يسميهم بوركهاردت "ظوهرة" ("ظويهرة") قارن الشكل المزدوج: "ظوهرة" و"ظهرة" لدى شتوبل.

عرب الجبل[1]

يظهر اسم عرب الجبل أول مرة في جهان نما (ص585)، والمقصود هم بدو جبل حوران وهم شريحة قديمة جداً من المهاجرين. ينطبق هذا، على الأقل، على الزبيد، الذين سكنوا المنطقة منذ القرن الثالث عشر، وانتشروا في العصر الوسيط من صلخد على السفح الجنوبي للجبل إلى غوطة دمشق، ووصلوا في الشرق حتى أم اوعال والرويشدات[2] وراء حرّة الراجل ـ خلال ترحالهم الشتوي بطبيعة الحال. ويبدو أنهم كانوا على قدر من الأهمية آنذاك، لأن شيوخهم كانوا يحملون لقب المقدم، لا بل ولقب الأمير[3].

فيما بعد، أضعفت الهجرة إلى فلسطين وبلاد الرافدين الزبيد، حتى فقدوا استقلالهم وخسروا قسماً كبيراً من منطقتهم، ورضخوا، أخيراً، لسيطرة الفحيلي، ودخلوا في تبعية اقتصادية لفلاحي الجبل، يصفها بوركهاردت على النحو التالي: "إنهم رعاة الفلاحين في أرض حوران، الذين يرعون أغنامهم ومعزهم بين صخور الجبل. وهم يعيدون القطعان إلى أصحابها في الربيع، فيحتفظ بها هؤلاء طوال

---

(1) هي بالتأكيد لفظة حضرية، لأن اللفظة البدوية هي أهل (أهالي) الجبل.

(2) هذا ما يقوله القلقشندي، نهاية، ص224، خلافاً لصبح، الجزء الرابع، ص214 وجودفروا ـ دومومبين، ص200.

(3) صبح، الجزء 12، ص137، أعيد اللقب إلى مقدم الزبيد من أسرة نوفل.

ثلاثة أشهر، حيث يحلبونها ويصنعون زبدة من حليبها ويبيعون صغارها في دمشق. ينال هؤلاء العرب لقاء عملهم دفع الولادات الجديدة من المواشي وربع محصول الزبدة" (ص14).

هذا الوضع بقي على حاله، ما عدا أمراً واحداً، هو أن السكان القدماء المستقرين غمرتهم في الفترة المنصرمة موجات من دروز لبنان، حتى أن بعض عشائرهم الصغيرة تحولت إلى خدم لدى أسر الشيوخ الدرزية، مثلما هو حال المداحلة عند الأطرش.

منذ أن اختفت الفحيلي من حوران (أواسط القرن الماضي؟)، إنتقلت القيادة السياسية أيضاً إلى الدروز، الذين قاتلت "الزبيد"، في السابق رعايا باشا دمشق المسالمين، إلى جانبهم ضد الأتراك وفي ثورة 1925/ 1927م الكبرى ضد الفرنسيين.

لا نعرف أي شيء حول أصل المجموعة الأخرى من عرب الجبل، التي تحمل اسماً غريباً هو وسامة الباهل، وإن كنا نعرف أنها أكثر تماسكاً من الأولى، ومستقلة اقتصادياً، لأنها تعيش حياة بدو رحل. سياسياً، تتبع هذه المجموعة أيضاً الدروز. وتمتد منطقة انتشارها في الشتاء من وراء حدود تل اصفر[1]، بعيداً إلى الجنوب، وحتى حرّة الراجل ومنطقة قصر الازرق. يعيش هؤلاء في عداء مع الرولة وبني صخر، وأهل العيسى والسرحان والشرارات. وقد فشل مؤتمر دعت السلطات إليه في تشرين الثاني من عام 1928م وعقده زعماء القبائل المختلفة في إربد، في تجاوز ثارات الدم القائمة بين مجموعاتها[2].

(1) لا يجوز الخلط بينه وبين التلة التي تحمل الاسم ذاته، التي تشكل الحد الشمالي للزبيد.

(2) تيريبه، ص193 و195. وكذلك الشرق الحديث، الجزء العاشر، ص152، والجزء 11، ص301.

عرب الجبل(1)

زبيد(2)

القبيلة	الشيخ	الإقامة	عدد الخيام
1 ـ الحسن(3)	مفلح بن خضير	صيفاً: السعنة	200
		شتاء: الكراع/ الرحبة(4)	
2 ـ الجوابرة		صيفاً: شهبة/ المجيدل	100
		شتاء: تل الاصفر	
3 ـ الشنابلة		السويداء	50
4 ـ العتايقة(5)			
5 ـ الحواسنة		صيفاً: عاهرة	
		شتاء: تل الاصفر	50

ب ـ وسامة الباهل(6)

القبيلة	الشيخ	منعة التجول	عدد الخيام
1 ـ المساعيد(7)	ابن فريوان السرور	صيفاً: صلخد	300
		شتاء: تل اصفر	
أ ـ العصافير			
ب ـ الغنيم			
ج ـ الغوانم			
2 ـ المظمات(8)	مفلح بن هليل		
3 ـ الشرفات	عواد بن عنيزان(9)	مثل المساعيد	100

ملاحظات حول الجدول

1 ـ التسجيل مأخوذ عن الراوي ذاته الذي قدم معلومات عن عرب اللجاة. يقدم تيرييه، ص193 وما يليها أرقاماً أكبر بعض الشيء حول عدد الخيام. تشير المقارنة مع جداول أقدم: (بوركهاردت، ص14. روبنسون، الجزء الثالث، ص915. بورتون وتيرويت دراك: سورية المجهولة، الجزء الأول، ص148. شتوبل، ص301)، إلى أنه لم تحدث تقريباً أية تغييرات في أوضاع عرب الجبل، باستثناء اختفاء السمارات، التابعين إلى المجموعة ب، بينما يعتبر الفواخرة والشرعة الآن من عرب اللجاة.

2 ـ يقتصر وجود هذا التعبير على فيستشتاين (ص33)، وشتوبل وتيرييه (1)، ص121. لكن شتوبل يوسعه كي يشمل عرب الجبل جميعاً. ويجعله فيستشتاين يضم عرب اللجاة أيضاً. يقدم روبنسون قبائل هذه المجموعة بين رعايا الفحيلي.

3 ـ يقدم تيرييه تسع عشائر، تحمل جميعها تقريباً أسماء أسر شيوخها، باستثناء الهدية، التي هي قبيلة مستقلة، بحسب المصادر القديمة. عدد الماشية: 1000 جمل.

4 ـ حوالى 5 كم جنوب غرب السويداء.

5 ـ يعتبرهم شتوبل من السلوط.

6 ـ لا وجود لهذا التعبير في جميع الجداول التي وضعت إلى الآن، لكن موزيل: صحراء العرب، ص383، 388 يستخدمه في صيغة وسامة الباهل. يورد روبنسون قبائل هذه المجموعة باعتبارها رعايا للسردية ـ عدد الماشية: 4000 رأس غنم، 6000 رأس معز، 400 جمل (يمتلكها الشرفات). يقدم التسجيل كذلك عشائر الضاهر والمرشد، التي ليس لها تصنيف أكيد.

7 ـ ذكرت لدى فون سيتزن: رحلات، الجزء الأول، ص103.

8 ـ يسمون بنو عظام في الجداول الأقدم.

9 ـ تيرييه: ملّوح بن عنيزان.

عرب الصفاه[1]

كان الصفاه، جبل الطفح البركاني المتدرج الصعود، الذي يشكل النتوء الشمالي / الشرقي لمنطقة حوران البركانية، وكذلك منخفض الرحبة الذي يمتد أمامه، ملجأ تأوي إليه العناصر المنبوذة والخارجة على الأعراف الاجتماعية والتي تدرج جميعها تحت اسم عرب الصفاه، الذين ينقسمون إلى غياث وشتاية، والأولون[2] بالأصل عشيرة من العمور، بينما الشتاية بقايا سكان كانوا مستقرين، كما يقال.

ثمة قرابة أربعين عائلة لا تغادر دائرة الصفاه، تعيش على عائد المعز القليل الذي تمتلكه. بينما يقوم الآخرون بانتقالات أوسع بعض الشيء، فيترحلون شتاءً بين دكوا في الشمال والنمارة في الجنوب، ويذهبون، حين تجف مياه الرحبة بسبب حرارة الصيف، إلى السفح الشرقي لجبل الدروز، حيث منطقة السعنة. كما يزرعون في الرحبة وفي الفوهات البركانية المتفرقة في الصفاه بعض الحبوب كالذرة والشعير[3].

(1) هي بالتأكيد صفة حضرية، أما هم فيسمون أنفسهم عرب السعيدة. ليست اشتقاقات هذا الاسم مقنعة عند فيتسشتاين: حوران، ص34 وشتوبل، ص299. الأصح أنه جاء من قبيلة سعيده، التي سكنت في العصر الوسيط المتأخر في منطقة نفوذ آل مرا أي غير بعيد عن حوران (صبح، الجزء الرابع، ص209. إبن طولون، ص32).

(2) فيتسشتاين وشتوبل: "غيباث".

(3) تابع: أوبنهايم من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الأول، ص215 ـ 249. فيتسشتاين، ص14 ـ 19 ـ 30 ـ 34.

ليس لعرب الصفاه مشتركات مع القبائل المحيطة باستثناء الدروز، الذين يتلقون حصة من الغنائم التي يعود هؤلاء بها من غزواتهم ضد عنزة وقبائل جنوب حوران كالسردية والسرحان. يشارك هؤلاء الدروز في الشيخ سراق[1]، الذي يقع مدفنه على المدخل الجنوبي للرحبة ويتمتع بحرمة تجعله مصاناً من الانتهاك.

لوضع حد لهجوم الغياث، الذين فرضوا قبل ذلك الخوّة على القرى الواقعة إلى الشرق من دمشق، عين الأتراك عام 1912م واحداً من شيوخها هو قاسم بن نُعير قائداً لحرس الحدود المرابط في الضمير[2]. ثم فرض الفرنسيون في أول نيسان عام 1927م استسلاماً رسمياً للقبيلة.

لا نعرف شيئاً أكيداً حول تنظيم الغياث[3]، فهم يفتقرون إلى شيخ مشايخ، ويقدر عدد خيامهم بـ330 خيمة.

(1) يرى الأمير عادل أرسلان فيه صحابياً هو سراقة الجذامي.

(2) موزيل، صحراء العرب، ص382.

(3) من العشائر المذكورة لدى شتوبل في مجلة Zddv، الجزء 12، ص299 يتكرر عند رينو ومارتينه، ص25 القبائل التالية: الصوانة، المظلوم (تابع موزيل: صحراء جزيرة العرب، ص384) الهواش، الحريره، الروسه (رواسه)، العتيقة (عتقا). ثم الورعان والخضر أيضاً إذ ما افترضنا أنهما هما المقصودان بـ "الأودان" و"الكدر".

فضل (طي السورية)

يسكن الفضل شمال غرب الجولان بين القنيطرة وبحيرة حولة. إن من يرى وضعهم الراهن، لا يصدق أنهم سيطروا ذات يوم على الصحراء السورية، وأثروا بطريقة حاسمة في تاريخ الدولة المملوكية؛ فقد تحولوا اليوم إلى فلاحين، وانخفض عدد خيامهم إلى بضعة مئات قليلة، وإن كانت أسرة شيوخهم، أو بالأصح أمرائهم، ما زالت تعد بين البيوتات الأكثر احتراماً في سورية.

خرج الفضل من قبيلة طي السورية. لذلك سندرسهم في إطارها. تكونت طي في القرن الحادي عشر من أتباع ابن الجراح، أسرة الشيوخ التي برزت عبر القرامطة، تلك الفرقة التي حكمت جزيرة العرب بأسرها ذات يوم، وأرعبت غزواتها البلدان المجاورة، على غرار ما يفعله وهابيو الزمن الحديث. توطن بطن من أبناء "ابن الجراح" في نجد[1]، وأوكل القرامطة قيادة البدو السوريين[2] إلى بطن آخر، سكن، أول الأمر، شرقي الأردن (الشراه)[3]، لكنه ما لبث أن انتقل إلى

(1) إبن الأثير، الجزء التاسع، ص48، 145. عام 379هـ/ 989م أوقف أحد أبناء ابن الجراح قافلة الحج (الكوفية) بين سميرا وفيد وقد ابتز منها 300000 درهم. وفي عام 397هـ منع نهائياً قافلة الحج عن المرور.

(2) نفس المصدر، الجزء الثامن. ص469: "حسان بن الجراح، أمير العرب بالشام".

(3) إلى هذه الفئة من القبائل الرحالة، ينتمي شيخ طي وردان بن ربيعة، الذي التقاه الشاعر المتنبي عام 957م في حسمه، بين معان والعقبة، أثناء رحلته من حلب إلى القاهرة. (حققه ليشرش).

جنوب فلسطين، حيث كان لطي تمثيل قوي بين السكان (أنظر "طي في قسم بلاد الرافدين" من هذا الكتاب).

قدم أبناء "ابن الجراح" خدمات جليلة إلى القرامطة خلال حملتهم الأولى على القاهرة (360هـ/ 970م). لكنهم انصاعوا، في حملتهم الثانية التي حدثت بعد أعوام ثلاثة، إلى إغراءات الذهب الفاطمي، فقد فرّت مجموعة البدو التي كانوا يقودونها من المعركة واضطر القرامطة بسبب ذلك إلى التراجع. من الآن فصاعداً أعلن ابن الجراح ولاءهم للفاطميين، الذين أطلقوا يدهم أول الأمر في فلسطين.

إلا أن المفرج بن دغفل بن الجراح، زعيم الأسرة الطموح، كان يتطلع إلى تأسيس دولة مستقلة تكون عاصمتها الرملة. وكانت الظروف ملائمة لذلك، لأن الحكم الفاطمي اقتصر على بعض المدن الساحلية من جهة، ولأن الداخل السوري كان يغلي من جهة أخرى، بسبب كره السكان للمغاربة: قوات الفاطميين من الأفارقة. في هذه الأجواء، سعى مفرج في بادئ الأمر إلى كسب ثقة الفاطميين، وازاحة المنافسين الذين لديهم خططاً مماثلة لخططه[1]. وقد نجح في تحقيق هدفيه كليهما، فتم تعيينه حاكماً على الرملة (369هـ/ 979 ـ 980م)، وأزاح كلاً من الفتكين التركي[2] (367 هجرية) وأبا تغلب الحمداني، الذي كان قد جاء إلى سورية مصحوباً بقوات من العبيد، كي يؤسس مملكة جديدة فيها، بعد أن خسر بلده (369)هـ[3]. ولكن بعد عام واحد من ذلك التاريخ تبيّن أن مفرج ليس قادراً على إنجاز مهمته، وأنه عاجز عن السيطرة على البدو التابعين له. حين تم تنظيم حملة تأديبية ضده،

---

(1) ليس هناك أي ذكر لهذا الكلام في أي مرجع، لكنه يمكن قراءته بين السطور لدى ابن الأثير، وخاصة في الجزء الثامن، ص515.

(2) إبن القلانسي، ص19. إبن الأثير، الجزء الثامن، ص487 وما يليها. إستولى الفتكين، عميل البويهيين، على دمشق. وحين ضغط عليه جيش فاطمي، دعا القرامطة إلى البلاد، إلا أنه تعرض وحلفاؤه لهزيمة ماحقة. أثناء هربه، وقع في أيدي المفرج، الذي سلمه إلى الفاطميين.

(3) التواريخ حسب ابن الأثير، وهي تختلف لدى ابن القلانسي.

أرسل قوة بدوية كبيرة من الرملة لملاقاة قوات القاهرة، ومعظمها من القبائل القيسية، المعادية لطي اليمانية. حاقت الهزيمة بمفرج، رغم أنه كان يقود قوات عسكرية مدربة، ففر إلى الخارج، إلى أنطاكية، التي كانت آنذاك في أيدي البيزنطيين، ثم ما لبث أن رجع بعد قليل إلى الأراضي الإسلامية، ولجأ إلى الرقة[1]، حيث لا نعود نعثر له، منذئذ، على أثر، ولسنوات طويلة.

في عام 368هـ/ 986م توفي العزيز، أكثر خلفاء الفاطميين أهمية، فخلفه الحاكم، الصبي الذي لم يكن قد بلغ سن الرشد بعد. في حمأة الفوضى والقلاقل التي رافقت انتقال الملك، ظهر مفرج من جديد وشرع يتابع مسعاه القديم. إتخذت الحكومة تدابير فعالة ضده بعد عودة الأوضاع الطبيعية، أجبرته على الفرار إلى نجد، ثم أصدرت عفواً جديداً عنه (387 هجرية)[2]، قبل أن تتخذ، عام 390 هجرية، تدابير جديدة أبعدت طي عن الرملة، وأدت إلى احتلال قلاع "أبناء الجراح" في الشراه[3]. ركنت طي، عندئذ، سنوات عديدة إلى الهدوء، قبل أن تعد نفسها للقيام بضربة رئيسة هدفها الإطاحة بحكم الفاطميين وتنصيب شريف مكة الكبير خليفة في القاهرة. كانت الخطة، التي وضعها أبو القاسم ابن المغربي، إبن الوزير الذي قتله الحاكم، على قدر كبير من الإحكام، وقامت على استغلال غضب المصريين على نظام الحاكم المجنون. لكن المشروع فشل، لأن الحاكم اشترى أبناء "ابن الجراح"، فتمت إعادة شريف مكة إلى الحجاز (402هـ)، بعد أن كان قد اعتبر أميراً للمؤمنين في الرملة[4] ـ أخيراً، مات مفرج عام 404هـ/ 1013م ـ 1014م

---

(1) إبن القلانسي، ص22 ـ 25، 29 وما يليها. إبن الأثير، الجزء الثامن، ص514 وما يليها. الجزء التاسع، ص5. يختلف المرجعان اختلافاً كبيراً بعضهما عن بعض.

(2) إبن القلانسي، ص50.

(3) إبن الأثير، الجزء التاسع، ص86 وما يليها.

(4) الذهبي لدى ابن القلانسي، ص86. سنوك هوغرانية: مكة، الجزء الأول، ص.٥٩ سلفستر دو ساسي: ملخص دين الدروز، الجزء الأول، ص350. فوستنفيلد: تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص193. ابن الأثير الجزء التاسع، ص86، ومن بعده دوساسي وفوستنفيلد اعتبروا خطأ هذه الحادثة السبب في الحملة التأديبية التي ذكرناها قبل قليل.

بسم أمر الحاكم بدسه في طعامه[1]، كما قيل. تظهر خطورة مفرج بالنسبة للفاطميين من النصيحة التي قدمها الوزير الشهير ابن كليس وهو يحتضر إلى سيده الخليفة العزيز[2]: "حافظ على السلام مع الحمدانيين. أما إذا سقط مفرج في يدك، فإياك أن ترحمه".

واصل حسان بن مفرج سياسة والده الاستقلالية، وكان قد أسهم إسهاماً كبيراً في مشاريع أبيه خلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة من حياته. لذلك، ما إن نشبت الإضطرابات بعد موت الحاكم (411هـ/ 1021م)، حتى عقد حلفاً مع قائدين بدويين سوريين هما صالح بن مرداس من كلاب، وسنان بن عليان، يمكّنهم من اقتسام سورية فيما بينهم، فيأخذ صالح منطقة حلب إلى عانة، وسنان أواسط سورية وحسان فلسطين، من الرملة إلى مصر[3] إنفرد صالح وحده بتحقيق هذا الهدف، فأسس السُلالة المرداسية في حلب (1025)م، بينما اضطر حسان إلى الإكتفاء بتحقيق بعض النجاحات الحربية. بما أن الفاطميين كانوا يستطيعون قبول استقلال حلب، لكنهم كانوا يرفضون رفضاً باتاً قيام دولة مستقلة بين القاهرة ودمشق. أخيراً، وفي عام 420هـ (1025م) طرد حسان من البلاد، فذهب، كأبيه بالأمس، أول الأمر إلى الاغريق، ليظهر بعد عامين مع قوات بيزنطية في شمال سورية، ويحتل أفاميا تحت راية الصليب، ويقاتل بعد ذلك في سبيل الروم، إنطلاقاً من أورفة (الرها). عندما اعتلىٰ المستنصر الضعيف العرش الفاطمي (427هـ/ 1036م) عاد حسان إلى موطنه، حيث استعاد مكانته القديمة لبعض الوقت[4]، قبل أن تختفي أخباره نهائياً.

---

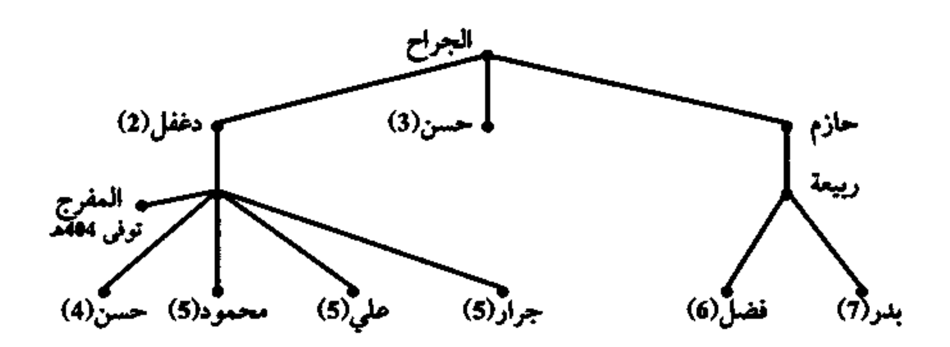
(1) إبن خلدون: البربر، الجزء الأول، ص16. تابع إبن الأثير، الجزء التاسع، ص87.

(2) إبن الأثير، الجزء التاسع، ص54.

(3) إبن الأثير، الجزء التاسع، ص162.

(4) إبن القلانسي، ص72. إبن الأثير، الجزء التاسع، ص286.

مشجرة نسب شيوخ ابن الجراح(1)



ملاحظات حول مشجرة نسب اسرة شيوخ ابن الجراح

1 ـ ينحدر أبناء "ابن الجراح" من بطن من طي معروف هو بنو معن(*). ويوجد نسبهم في صبح الأعشى، الجزء الأول، ص324، حيث يرد على النحو التالي: جراح بن شبيب بن مسعود بن سعيد بن حرب بن السَّكن بن ربيع بن علقى ابن حوط بن عمرو بن خالد بن معبد بن عدي بن أفلت(1) بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن بن عتُود بن عنين(2) بن سلامان بن ثُعَل بن عمرو بن الغوث بن طي. بذلك يشمل النسب 25 عضواً يضم جدول فوستنفيلد رقم 6 الأعضاء الأحد عشر الأخيرين منهم.

2 ـ ترك خلال حملة القرامطة الأولى ضد مصر كقائد مرحلة في الرملة. ابن القلانسي، ص2.

3 ـ خان القرامطة خلال حملتهم الثانية على القاهرة. ابن القلانسي، ص19. إبن الأثير، الجزء الثامن، ص469.

4 مدح الشعراء المعاصرون، كالتهامي، حسانا. إبن خلكان (ترجمة) الجزء

(*) استناداً إلى هامش 2 في الجزء الثالث ص581 فإن معن هو جدهم وليس هم بنو معن. (شبَّر).

(1) يضيف سويدي في الصفحة ستين من (أنساب عدي بن افلات) «ابن سلسلة بني عمرو»، لكن هذا ليس صحيحاً حسب إبن دريد، ص232.

(2) في النص "عُنيز".

الثاني، ص316 وقيل إنهم مدحوا أحد أبنائه. إبن الأثير، الجزء العاشر، ص40.

5 ـ إبن خلدون: البربر. الجزء الأول، ص16.

6 ـ مسبّحي (توفي عام 420هـ/ 1029م) يعتبر عند ابن خلدون، البربر، الجزء الأول، ص16، الفضل بن ربيعة بن حازم ابن الجراح وأخاه بدراً أقارب لحسان ابن مفرج.

7 ـ نقرأ عند ابن القلانسي، ص51، أن بدر ابن ربيعة كان قائداً لطلائع الجيش الفاطمي، الذي طرد مفرج من الرملة عام 387هـ (يخلط فهرس الحولية بينه وبين بدر العطار). فيما بعد، شارك في المؤامرة التي سعت إلى تنصيب شريف مكة الكبير خليفة بديلاً للحاكم. دوساسي: دين الدروز. الجزء الأول، ص351.

* * *

مع حسان، إختفى أبناء ابن الجراح من حقل نظرنا. ويحتمل أن يكونوا قد عادوا إلى ملاذهم في أرض شرق الأردن، خاصة وأن بني ربيعة، بطن طي، الذين يظهرون هناك في مطلع القرن الثاني عشر لم يكونوا غير خلفائهم الشرعيين، إذا لم يكونوا أخلافهم المباشرين بالذات[1].

لم يكن أبناء ربيعة قبيلة بالمعنى الصحيح للكلمة، بل كانوا شريحة من السادة[2]، احتلوا مكانة ورثها عنهم أخلافهم من الفضل، وقد امتد إقليمهم آنذاك من وادي موسى ـ بترا ـ إلى عجلون[3]، لكنهم تركوه في النصف الثاني من القرن الثاني عشر[4] وهاجروا إلى حوران[5]، حيث انقسموا إلى بطنين هما الفضل

(1) ستناقش مشكلة النسب في الملاحظة الثانية حول شجرة نسب الفضل.

(2) مفيد في هذا الصدد اسامة بن منقذ، طبعة ديرنبورغ، النص، ص20.

(3) ياقوت، الجزء الثالث، ص332 (يشير المقطع إلى عام 1115م) ولدى ابن الأثير، الجزء العاشر، ص390 وما يليها إلى العام 1119م.

(4) بعد 1154م، لأنه في هذا العام إلتقى اسامة ابن منقذ أميراً من ربيعة هو منصور ابن دغفل في وادي موسى. يظهر اسم دغفل في الطبعة ك عدفل، ويقرأوه ديرنبورغ جُدافل.

(5) ربما كانت هذه الإزاحة ترتبط بانتقال قسم من سكان حوران إلى وادي التيم (في الحرمون)، في آخر أيام حكومة نور الدين (توفي عام 1176م). تابع: من البحر الأبيض إلى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الأول، ص145.

والمرا، وأعقب انقسامهما انفصالهما المكاني، فتوغل الفضل في منطقة حماه، وبقي المرا في حوران. أما الموعد الدقيق لهجرة الفضل هذه فهو عام 615هـ/ 1218 ـ 1219م، حيث يرد ذكرهم في الشمال أول الأمر[1]. في نهاية القرن الثالث عشر أضيف بطن ثالث إلى الفضل والمرا هو العلي، الذي كان قد خرج من الفضل وخيم إلى الشرق من دمشق.

منذ أن انفتحت الصحراء السورية أمام ربيعة، تطور هؤلاء إلى بدو رحل تصح مقارنتهم بقبيلة عنزة، التي ظهرت فيما بعد، دون أن يكون عددهم في أي يوم مقارباً لعددها، لكنهم فاقوها كثيراً من حيث السلطان[2]. يرجع ذلك في جانب منه إلى ظروف العصر، التي خصت ربيعة بدور مهم في الصراع بين سورية المملوكية والعراق المغولي، وفي جانب آخر إلى نظام الحكم المملوكي، الذي دمج زعماء البدو الكبار في المراتب الرسمية بعد منحهم لقب أمير، وربطهم بالدولة عبر منحهم إقطاعات واراضي، وهو ما ينطبق على الفضل قبل غيرهم.

تعينت حدود موطن الفضل الصيفي في سورية الداخلية بملّوحة على بحيرة الجبول الملحية وجسر العاصي في الرستن، في منتصف الطريق بين حماه وحمص، وبقلعة جعبر والرحبة على نهر الفرات. في حين كانت أماكن سكنهم الشتوية داخل جزيرة العرب[3]. هذه المعلومة الأخيرة ليست ضرباً من المبالغة، فقد أخبرنا ابن بطوطة في الجزء الأول من كتابه، ص409، أنه قابل أميري الفضل فياض وحيار إبان رحلته الصحراوية من مكة إلى العراق عام 1326م. ويقدر دليل الدولة الذي وضعه خليل الظاهيري (1410 ـ 1468م) عدد الفضل بأربعة عشر ألف رجل قادر على حمل السلاح[4]، وهذا رقم، إذا ما قبلناه واعتبرنا أنه ليس من وحي الخيال، فيجب أن تدخل فيه قبائل كثيرة كانت تابعة للفضل أو متحالفة[5] معها مثل قبيلة كلاب حلب

(1) كمال الدين: تاريخ حلب. ترجمة، بلوشيت، ص156.

(2) تابع: صبح الأعشى، الجزء الرابع، ص204.

(3) العمري لدى جودفروا ـ دومومبين، ص186. إبن خلدون: البربر، الجزء الأول، ص12.

(4) ص 105

(5) هنا تعني كلمة حلف "علاقة خوّة" ولا تعني تحالفاً.

وبشار الصحراء التدمرية، والغازية شرق النفود وغيرها كثير.

حملت أسرة شيوخ الفضل اسم العيسى: فقد أسسها عيسى ابن مهنا، معاصر بيبرس العظيم (1260 ـ 1277م)، الذي استحق مكانته بفضل الخدمات التي قدمها للمماليك إبان صد الغزو المغولي. أما ابنه مهنا فقد عزز سلطته عبر سياسة تأرجح ذكية بين هاتين القوتين العظميين في شرق ذلك الزمن.

ظهرت علامات تشير إلى انحدار الفضل، منذ تولت السلالة المملوكية الثانية الحكم (1382)م. صحيح أن أسرة شيوخهم أنجبت في نُعير بن حيار، الحفيد الأول لعيسى، واحداً من أكثر رجالاتها أهمية، إلا أن هذا كان أقرب إلى قائد حربي منه إلى قائد قبلي. وقد بدد أخلافه من بني نُعير[1] قواهم جميعها في مشاريع عقيمة. إلا أن واحداً منهم فقط كان له تأثير واسع النطاق لكن الفائدة منه لم تعد للفضل وإنما إلى قبيلة جديدة هي الموالي، الذين تولوا تركة الفضل التي اختفت من الصحراء السورية، في الوقت نفسه تقريباً، الذي سقط فيه المماليك.

إذ ما كانت الصحراء السورية بأسرها قد انفتحت منذ القرن الثالث عشر أمام الفضل، فإن قبيلة المرا، القبيلة الشقيقة لها، امتلكت أفضل منطقة رعي في سورية وهي أراضي حوران، حيث تنقلت من الجدور في الشمال إلى عجلون، ومن الجولان إلى أقدام جبل حوران، وكانت تصل في بعض الأحيان إلى الحجاز الشمالي[2]، الذي كانت قبائله: الضفير وعدوان وعنزة متحالفة معها، شأنها شأن قبائل المدلج وسعيدة والمفارجة والزبيد في حوران، وبني حراثة في أراضي غرب الأردن. وهي قبيلة أضعف عددياً من الفضل ويقدر خليل الظاهري (ص 105) قوتها العسكرية بعشرة آلاف رجل، وهذا رقم يجب أن نقومه بالطريقة عينها التي قوّمنا بها عدد رجال الفضل.

---

(1) اسم كان يطلق على الفضل أيضاً في القرن الخامس عشر. خليل الظاهري، ص105.

(2) إذا كان العمري يجعل مناطقهم تصل إلى أبواب مكة، فإن هذا لا يعدو أن يكون مبالغة صرفة. ابن خلدون، بين آخرين يحصرها في المنطقة الزراعية وحدها.

يختلف مسار تاريخ المرا عن مثيله لدى الفضل، الذين تداعت سلطتهم منذ حوالى سنة 1400 ميلادية، بينما ارتقت مكانة المرا عند نهاية العصر المملوكي، عقب انحدار مؤقت أصاب المكانة التي بلغوها إبان القرن الثالث عشر[1]. يروي الايطالي فارتيما، الذي رافق عام 1503م موكب الحج من دمشق متنكراً، قصصاً عجيبة عن انتشار قوتهم[2]. يرتبط الصعود الثاني للمرا بإهمال منطقة سورية الخارجية آنذاك، الذي تقدم صحائف ابن طولون الدمشقية غير المطبوعة شهادات حية عنه: لم تعد مناطق كثيرة تدار بصورة مباشرة، بل وهبت إلى وجهاء وأعيان محليين، وتركت مناطق أخرىٰ كلياً لأهلها، فلم يزرها حاكم دمشق غير مرة واحدة في العام: من أجل جباية الضرائب. تلك ظروف تناسب البدو وتحابيهم. إلا أن حوران كانت تحظى باهتمام الحكومة أكثر من أية منطقة أخرى، لأن إمداد العاصمة بالخبز ارتبط بمحصولها، لذلك، كانت تسارع إلى التدخل، حين كانت قطعان البدو القادمين من السهب تدخل حقول القمح الناضج، أو كان القتال بين القبائل يسد الطريق إلى حوران[3] أمام تجّار الحروب.

أسس أحمد بن حجي[4] بن يزيد بن شبل البرمكي[5] أسرة أمراء المرا في العصر المملوكي الأول، فحملت بعده اسم آل حمدان. وكان لأحمد هذا حظوة عظيمة لدى السلطان بيبرس وخلفه قلاوون. كما كان المؤرخ ابن خلكان (قاضي دمشق الأول منذ عام 1261م)، الذي طالما تباهى بأصله البرمكي، صديقاً له. عاش

(1) لنقارن الجمل الحماسية التي يتحدث فيها العمري عن المرا مع شروحات ابن خلدون، نفس المصدر السابق.

(2) دروب لودفيغ فارتما. بولونيا 1885، ص20

(3) إبن طولون. ف15.

(4) يظهر الاسم في جميع الصياغات الممكنة: أبو الفدا، الجزء الرابع، ص80: حجى (بالعربية). المقريزي، الجزء الثاني (القسم الثالث) ص11: "حجر"، ص19. "جهي"، الطبعة الرابعة، ص66 "حجي". صبح الأعشى، الجزء الرابع، ص209 حجى (جودفروا ـ ديمومبين، ص192 "هوجا". قلقشندي، ص97: حاجى.

(5) تريد إذن أن تنتسب إلى أسرة وزراء البرامكة، الشهيرة بفضل ألف ليلة وليلة.

أحمد ـ لبعض الوقت ـ علاقة تتسم بقدر كبير من التوتر مع عيسى ابن مهنا، أمير الفضل حينذاك. قبل أن يموت عام 1283م. يوجد في حوزتنا أسماء بعض الأمراء من القرن التالي[1]، بعد ذلك بقيت المراجع صامتة حتى نهاية القرن الخامس عشر، حيث نجد عدا معلومات وافية لدى ابن طولون[2]، منها أن أمير المرا مقلد توفي عام 1481م فحل ابنه عامر محله، لكنه اصطدم بمنافس هو جانباي البدوي، سليل خط آخر من الأسرة. وقفت الحكومة إلى جانب جانباي لكن عامر رفض التنحّي، وهكذا شهد عاما 1488 و1489م سلسلة صدامات بينهما تدخلت قوات الحكومة فيها من أجل حماية محصول حوران. بعد عشرة أعوام، تم برئاسة نائب دمشق ومشاركة القاضي الإتفاق على تقسيم المنطقة بين مهنا ابن عامر ابن مقلد وجانباي.

لا يرد اسم مقلد في تاريخ ابن طولون غير مرة واحدة فقط (1505)م، أما اسم جانباي وأحد أبنائه ـ ابن جانباي ـ فقد ذكر بصورة متكررة بين عامي 1501م و1516م[3]. أما أكثر الأنباء إثارة للإهتمام عنهما فتردنا بين عامي 907هـ/ 1502م و911هـ/ 1505م، لتخبرنا أن من مهامهما التعاون مع النائب لحماية الحجيج إبان المرحلة الأولى من طريقه، وأنهما يرافقان ـ بصحبة حاكم القدس ـ الحجاج العائدين من الإحساء، أي من حدود الكرك الجنوبية إلى مكان وجود النائب ـ (في مزيريب؟). هذه أخبار مهمة، فهي أقدم دليل على هذا العرف الذي أصبح فيما بعد مؤسسة ثابتة في ظل العثمانيين، وهو حق مرافقة موكب الحج ومنح هذا الحق إلى أقوى قبيلة في حوران. كما إنه ليس من المصادفة أن يحمل ابن جانباي ذلك اللقب الذي ارتبط فيما بعد ارتباطاً وثيقاً بهذا الحق، ألا وهو لقب أمير ـ أو شيخ ـ

---

(1) نجاد ابن أحمد (توفي عام 750 للهجرة)، قتادة (صبح الأعشى، الجزء الثاني عشر، ص132 يورده خطأ "قناة" إبن نجاد؛ وسطه ابن عمرو ابن توبه ابن سليمان ابن أحمد (أبو الفدا، الجزء الرابع، ص80؛ العمري في صبح هنا وهناك): عنقا ابن شطى، توفي في الرابع من محرم عام 794 (أبو المحاسن، الجزء الخامس، ص616).

(2) إبن طولون، قارن أيضاً هارتمان، شذرات من تاريخ ابن طولون في مكتبة توبنغن، ص100.

(3) إبن طولون، 64.

الشام[1]، الذي زاد دون شك من نفوذ وثروة[2] أمراء المرا. كان الجانباي سادة كباراً عمل في خدمتهم خازن خاص، وأقاموا علاقات مصاهرة مع أبناء ابن حنش، وهي واحدة من أكثر الأسر السورية احتراماً، وصاحبة الأملاك الواسعة في البقاع الجنوبي. قبل سقوط حكم المماليك مباشرة، وبينما كان السلطان سليم على مشارف حلب، تلقّى ابن جانباي التفويض الذي كان ما زال ينقص مركزه كأمير تابع، عندما خوله النائب جانبردي الغزالي "الضمانة"، التي تعني حق فرض الضرائب في بلاد حوران والمرج[3]. وهذا آخر ما نعرفه عن أمراء المرا. كيف انتهى الجانباي؟. هل تورطوا في تعقيدات كارثة المماليك؟. أم هل قضى عليهم، كما قضى على الحنش[4]، وليّ نعمتهم السابق جانبردي الغزالي: أول حاكم عثماني لدمشق؟. هذا ما لا نعرفه، لأن المراجع اللاحقة لا تذكرهم بأية كلمة على الإطلاق[5].

إتخذت قبيلة آل علي، ثالث قبائل ربيعة وأصغرها، من المرج وغوطة دمشق مقراً صيفياً لها. وكانت تمضي الشتاء على الحافة الغربية للنفود، من سكاكا[6] وحيانية[7] إلى تيماء.

حمل بطن "آل علي" اسم علي ابن حديثة، ثالث أمراء الفضل، الذي انفصل عنهم عام 659هـ/ 1261م، العام الذي انتقلت فيه الإمارة إلى ابن أخيه عيسى

---

(1) إبن طولون 52v و51v. أ إبن جانبية (فعلاً) 81 و69v وr 64 بمقارنة المقاطع المستشهد بها يتضح أن جانباي ليست هنا غير طريقة تعبير كسولة للمؤرخين، وأن الحديث يدور في الحقيقة في كل مكان حول ابن جانباي دون غيره. وورود الاسم عند فارتما بالصيغة "زامباي" لا يتعارض مع ما ذكرناه.

(2) إبن طولون. لاحظ أيضاً لقب، أمير البلاد، الذي كان لصيقاً بجانباي . ف 15.

(3) هناك مبالغة كبيرة في رقمي الـ50000 حصان والـ300000 جمل، اللذين يوردهما فارتما.

(4) إبن طولون. يبدو هنا وكأن الأسرة، (بالأحرى المقلد)، كان لها هذا الحق ذات مرة.

(5) سعد الدين: تاج التواريخ، الجزء الثاني، ص382 وما يليها.

(6) لا يجوز أن تضللنا هنا، كما في حالات أخرى كثيرة، الجهان نامة (ص554). يتبنى حاجي خلفه غالباً أقوال كتّاب المماليك، حتى وإن كانت غير صحيحة حتى بالنسبة لزمنه.

(7) هكذا يجب أن تقرأ الأسماء المشوهة تماماً في صبح الأعشى، الجزء الرابع، ص210، (جودفروا ـ ديمومبين، ص194) الجزء الثاني عشر، ص124، وقلقشندي، ص93.

ابن مهنا مع تجاوز أبناء علي ابن حديثة وحرمانهم من هذا الحق.

ثم أسس أحد أحفاد علي، محمد ابن أبي بكر، إمارة مستقلةخاصة بآل علي: ففي عام 1280م قسمت إمارة الفضل وحصل محمد بن أبي بكر على نصف عائدات الاقطاعية ومرتبة مقدم. التي تلي في المنزلة مرتبة الأمير[1]. وبذلك ترسخ انفصال آل علي والفضل. صحيح أن إمارة الفضل آلت فيما بعد إلى محمد بصورة موقتة، لكن ذلك لم يؤد إلى إعادة توحيد القبيلتين، وبقي خلفاء محمد أمراء لآل علي وحدهم، أما آخر أمير معروف منهم فهو عيسى بن زيد، حفيد الدرجة الثانية لمحمد، الذي كان معاصراً للسلطان برقوق (1328/ 1398م). أما القبيلة فقد ذكرت عام 1511م لآخر مرة في أماكن سكنها القديمة قرب دمشق[2].

بينما اختفى المرا وآل علي، إستمر وجود الفضل إلى وقتنا الحاضر. فقد انسحبوا في بداية القرن السادس عشر من السهب إلى سورية الداخلية، وحلّوا مطالع القرن السابع عشر في البقاع الجنوبي (بقاع العزيزي)[3]، حيث وجد بوركهاردت (ص11) قسماً صغيراً منهم، لأن كتلتهم الرئيسة كانت تعيش آنذاك في الجولان. ـ إتخذ الفضل، شأن القبائل الأخرى في هذه البلاد، من الجولان مقراً شتوياً لهم أول الأمر، ثم جعلوه موطناً دائماً. وعاشوا حياة متواضعة، أيام بوركهاردت، من بيع الحليب ولحم الضأن والجذوع الخشبية في دمشق. بيد أن أحوالهم تحسنت كثيراً، منذ ذلك الوقت. وحين زار شوماخر بلادهم (في الثمانينيات)، وجدهم فلاحين وزرّاع كرمة. وهم اليوم أغنى قبائل الجولان. ومع وما زالوا يعيشون صيفاً في الخيام، لكنهم لا يقومون بجولات مكانية ذات شأن. تمتد منطقة انتشار الفضل من بانياس إلى طريق القنيطرة ـ جسر بنات يعقوب، وتصل إلى منخفض الحولة وحتى ما وراء الحدود بين منطقتي الإنتداب الإنجليزي والفرنسي. ويتخطى نفوذهم السياسي هذه المنطقة، بعد أن انضمت إليهم قبائل كبيرة مجاورة. وزاد صيت أسرة شيوخهم، منذ جعل الأمير محمود الفاعور من نفسه مناضلاً ضد السيطرة الأجنبية.

---

(1) المقريزي، الجزء الثاني (القسم الأول)، ص23. صبح، الجزء الثاني عشر، ص128.

(2) إبن طولون. ف41، قارن أيضاً ف 15.

(3) أخبار الأعيان، ص309 بالنسبة لـ 1623.

أسرة شيوخ الفاعور وأسلافها

الفاعور هم أخلاف أمراء الفضل من العصر الوسيط، ويحملون، لهذا السبب، لقب الأمير. ومع أن معلوماتهم عن أسلافهم غامضة، فقد حافظوا على قصص عديدة حول أصلهم العباسي، شأنهم في ذلك شأن أمراء الموالي، الذين ينحدرون مثلهم من الفضل. ترجع حكايات الفاعور إلى العصر الوسيط، وترتبط بقصة زواج جعفر البرمكي السري من الأميرة العباسة. يروي الحكاية الطبري والمسعودي[1]، وهي مروية عند الأخير كما يلي: كان هارون الرشيد يحب شقيقته العباسة إلى درجة جعلته يسمح لها بمشاركته الولائم الليلية التي دأب على إقامتها مع وزيره جعفر. غير أن تحقيق رغبته لم يكن سهلاً، لأن العرف كان يمنع المرأة من الظهور في حضرة رجل غريب. في النهاية، فكر الخليفة بتزويجها من جعفر، على أن يحجم عن معاشرتها كزوجة. لم يعجب هذا الشرط الأميرة، التي نجحت في تحقيق رغباتها بمساعدة أم جعفر. كانت العباسة تتنكر في ثياب جارية، فتقودها الأم إلى ابنها، الذي كان سكراناً. بعد تسعة أشهر، وضعت العباسة صبياً أخذ سرّاً إلى مكة. لكن أخبار الحدث تسربت إلى الخليفة، الذي غضب وأمر بقتل جعفر وأسرته جميعاً.

ليس للفضل ذكر في هذه الحكاية، التي نشأت مباشرة تحت تأثير سقوط أسرة الوزير القوي المفعم بالأسرار. لكن العمري وابن خلدون يذكران لأول مرة أن أسرتي

(1) مروج الذهب، الجزء السادس، ص386 وما يليها.

الفضل والمرا يرجعان نسبهما إلى ابن جعفر والعباسة[1]، وهو ما كانت تصدقه أوساط واسعة، وجعل الفضل يتباهون بنسبهم العباسي، والمرا يضيفون بافتخار لقب البرمكي إلى اسمهم. كان العلماء يعرفون حقيقة شجرة النسب هذه، ذات الطابع القصصي/ الأسطوري، التي رفضها العمري وابن خلدون، المؤرخان اللذان نسبا الفضل والمرا، عبر ربيعة، إلى ابن الجراح، أسرة شيوخ طي السورية الأولى، بأن لاحظنا أن الإنتساب إلى طي، "أكثر العرب نبلاً"، أمر لا يقل مكانه عن الإنتساب إلى الفرس البرابرة. وقد يكونا صائبين في ذلك، لكن فرضيتهما لا تتفق مع حكايات القبيلة. يمكن قراءة التفاصيل في الملاحظة رقم (2) حول شجرة نسب الفضل.

عاصر أبو عمران فضل ابن ربيعة، جد الفضل الأول، الحملة الصليبية الأولى. وأقام، شأن شيوخ البدو الآخرين، علاقات ظرفية مع الفرنجة، إعتقد أنها تخدم مصلحة قبيلته، بما أن "أرض ربيعة"[2]، الواقعة في شرق الأردن، كانت خاضعة لرقابتهم. لكن علاقات الشيخ أضرت بالمصالح العامة للمسلمين إلى درجة جعلت صاحب أراضيه السلجوقي توغتكين «توغتكن» (1103 ـ 1128م)) يطرده من دمشق. إتجه أبو عمران عندئذ إلى العراق، حيث لجأ إلى الفارس مزيد بن صدقة، أمير الحلة وزعيم قبيلة أسد. وعندما انخرط هذا في نزاع مع سيده السلطان السلجوقي، غادر فضل حاميه إلى بغداد، التي استقبلته بأذرع مفتوحة. وبما أنه كان يرفض إشهار سلاحه في وجه مضيفه، فقد تحاشى الإشتراك في حرب السلطان ضد صدقة (1107م) من خلال الحيلة، قبل أن يختفي فيما بعد من بلاد الرافدين[3]، وتنقطع الأخبار حول مصيره اللاحق.

يبدو أن أخلاف فضل قاتلوا الصليبيين تحت رايات الأيوبيين. فقد عين الملك العادل (1199 ـ 1218م)، شقيق صلاح الدين، أحد أحفاد الفضل، حديثة بن عقبة، أميراً[4]. هذا التاريخ أصبح مهماً إلى أبعد حد، لأنه كان، بحسب العمري

(1) صبح، الجزء الأول، ص324. إبن خلدون: البربر، الجزء الأول، ص14.

(2) ياقوت، الجزء الثالث، ص332

(3) تابع: إبن الأثير، الجزء العاشر، ص308

(4) صبح، الجزء الرابع، ص206

الخبير في مثل هذه الأمور، أول مرة يقلد فيها زعيم بدوي لقب أمير بقوة التقليد ـ صحيح أن المؤرخين كابن الأثير، على سبيل المثال، وحتى الكتاب المعاصرون كاسامة ابن منقذ، يخبروننا عن أمراء بدو من شيوخ طي وربيعة خاصة، أحرزوا لقبهم قبل حديثة بزمن طويل، إلا أنه كان في هذه الحالات جميعها مجرد لقب تكريمي يخلع على أي قائد جيوش أو زعيم أصغر، دون أن يتضمن تسمية تجعل منه منصباً. ـ بمنحهم رتبة أمير، دخل شيوخ البدو في الارستقراطية المملوكية العسكرية، التي أصبحت خلال وقت قصير الحامل الوحيد لسلطة الدولة. وتلقوا، شأن قادة المماليك، مع الرتبة الأميرية اسماً تكريمياً إرتبط بالدين، مثل: حسام الدين، شريف الدين، شهاب الدين، وأضافت السلالة المملوكية الثانية إليه لقب أمير العربان[1]. كان التعيين في منصب أمير يتم بواسطة تقليد (مرسوم شريف)[2] تصحبه في العادة أعطية شرفية هي عباءة. أما الشيوخ الأصغر، فكانوا يمنحون لقب مقدم. كانت رتبة الأمير على درجات، عبرت كل واحدة منها عن نفسها في الشكل الخارجي وفي نص مرسوم التعيين. من ذلك أن أمراء الفضل كانوا يحتلون مرتبة مساوية لمرتبة النائب (في صفد أو غزة على سبيل المثال)، تعطيهم الحق في أن يبلغوا عبر مبعوث خاص بموت السلطان واعتلاء خلفه العرش[3]. هذه الحقوق الفخرية، ربما كانت أقل تأثيراً على شيوخ البدو من المزايا المادية التي ترتبت على منصبهم الجديد، كمنحهم أراض في صورة اقطاعات. ماذا كان أمراء البدو يقدمون مقابل لقب الإمارة؟. بعد تلقيهم مرسوم التعيين، كان عليهم ضمان الأمن في منطقتهم بالدرجة الأولى. وكانوا ملزمين بتقديم القوات عند نشوب الحرب، وبتأمين الجمال لنقل الإمدادات[4]. ليس هناك شيء محدد حول جباية الضرائب، لكننا نستطيع الافتراض أنه كان عليهم ضمان تأدية ضرائب قبائلهم إلى الحكومة،

(1) أبو المحاسن، الجزء الخامس والسادس، في أماكن متفرقة.

(2) ثمة استمارات لمثل هذه التعيينات حفظت في صبح الأعشى، الجزء الثاني عشر، ص118. وفي تعاريف العمري، ص79.

(3) كمثال: إبن إياس، الجزء الأول، ص317.

(4) أنظر على سبيل المثال: صبح الأعشى، الجزء الرابع، ص232

على غرار ما كان يقوم به شيوخ البدو في العهد العثماني. إضافة إلى ما سبق، كان هناك أيضاً نفقات المرسوم المألوفة، والهدايا المقدمة للوجهاء والسلطان، المكونة من خيول أصيلة وجمال وصقور صيد وما شابه[1]. بالمقابل، كان الأمراء يحظون باستقبال خاص في البلاط، بل إن السلطان تنازل ذات مرة وأمر بإرسال هدايا إلى أمير مخلص بمناسبة زفاف ابنته[2]. لا نستطيع تقديم جواب واضح على سؤال يطرح نفسه هو: هل لبى الأمراء البدو الآمال المعلقة عليهم؟. لا مفر من الإعتراف بأن أمراء البدو دعموا المماليك بقوة لدى قيامهم بصد المغول، وأنهم أبدوا التسامح والتفهم حيال مهامهم التمدينية. ومع ذلك، لا يجوز تجاهل الحقيقة، وهي أن اضطرابات البدو بقيت رائجة بكثرة تحت حكمهم، وأن رتبة الأمير لم تستطع سد النقص المزمن في السلطة، الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بطريقة حياة البدو الرحل ونظامهم الإجتماعي.

ليس في المراجع غير معلومات قليلة حول أميري الفضل الأولين: حديثة ابن عقبة[3] ومانع ابن حديثة (الذي ذكر أول مرة عام 615هـ/ 1218م ـ 1219م. ومات عام 630هـ/ 1232 ـ 1233م)[4]. لكنها تقدم لنا صورة أوضح حول الأمير الثالث، علي بن حديثة[5]، وتبرز صفاته العنيفة تجاه رعاياه، التي تبدو غير بدوية إطلاقاً،

(1) أمثلة: جودفروا ـ ديمومبين، ص188. أبو الفداء، الجزء الرابع، ص93. هامر: تاريخ الإليخان، الجزء الثاني، ص226. بمثل هذه الهدايا كان يمكن تحقيق بعض الأشياء، وخاصة لدى السلطان الملك الناصر محمد، الذي كان مهووساً بالخيول.

(2) كمثال: المقريزي، الجزء الثاني (القسم الثالث)، ص146.

(3) قلقشندي، ص88. إبن خلدون، البربر، ص20، يعتبر عيسى ابن محمد ابن ربيعة الأمير الأول. لكنه لا يرد أي ذكر لإمارة هذا الرجل في استشهاد مأخوذ من إمام الدين (إبن خلدون، ص15).

(4) كمال الدين: تاريخ حلب، ص156، 168. تابع: صبح الأعشى، الجزء الرابع، ص206، 232، حيث يبرز إلى جانب مانع شخص اسمه غنام ابن طاهر كأمير.

(5) تؤكد مقاطع من كمال الدين، ص209 و213، أن النويري وأبا المحاسن (اقتبس عنه كاترمير في المقريزي، الجزء الثاني، القسم الثالث، ص78) كانا على حق في مخالفتهما للقلقشندي الذي يقول: أبو بكر بن علي (ص88). أما حديث ابن خلدون عن مهنا بن مانع فهو خاطئ بالتأكيد.

ومتناقضة مع المعطيات التي جعلت من بدو زمانه قوماً جامحين وعصيين على الإنقياد أكثر من أي وقت مضى. مهما يكن من أمر، كان الأمير محارباً باسلاً، هزم مطلع عام 1241م قرب الرصافة المرتزقة[1] الذين عاثوا فساداً في الشرق الأدنى، بعد قضاء المغول على مملكة خوارزم. ويقال إنه انضم عام 659هـ/ 1261م مع أربعمائة فارس إلى الخليفة العباسي المزعوم المستنصر، الذي تفاهم آنذاك مع السلطان بيبرس ودخل إلى العراق على رأس قوة صغيرة من أجل بعث الخلافة من جديد[2]. من المعروف أن المشروع فشل وأن المستنصر قتل (1262م)، وربما يكون علي بن حديثه قد سقط خلال المعركة أيضاً، لأن أخباره انقطعت تماماً بعد تلك الموقعة[*].

قبل بضعة أعوام من ذلك، كان ابن أخيه الأكبر عيسى بن مهنا قد انتزع رتبته منه. من المؤكد أن عيسى هذا قدم خدمات جليلة عند صد الغزوة المغولية الأولى (658هـ/ 1260م)، لأنه أقطع منطقة سلمية[3] بعد معركة عين جالوت الحاسمة ـ شمال غرب بيسان ـ ومنح لقب "أمير سائر العربان"[4] عقب عام من وقوعها. تبددت مزايا عيسى كذلك في مناسبة سياسية من طراز رفيع، فقد ظهر نهاية عام 660 هجرية عباسي جديد في القاهرة، أطلق على نفسه اسم أحمد وقال إنه من صلب الخليفة المسترشد، وقد أوحى ظهوره لبيبرس بفكرة تجديد الخلافة في القاهرة، من أجل إضفاء الشرعية على الحكم المملوكي. لم يكن هناك دليل على صحة مزاعم المرشح، لكن عيسى،

---

(1) تابع: موزيل: الفرات الأوسط، ص318.

(*) كان سقوط الخلافة العباسية في بغداد عام 1258م 656هـ، وقد قتل الخليفة العباسي عبدالله المستعصم بالله عام 656هـ بعد أن حكم 15 سنة وثمانية أشهر ويومين، أما الخلافة العباسية في مصر فتبدأ من عهد المستنصر بالله أحمد عام 661هـ وتنتهي في عهد المتوكل الثالث الذي تولى الخلافة عام 923هـ. المصدر: زامبارو «السيوطي، تاريخ الخلفاء» (شبّر).

(2) المقريزي، الجزء الأول (القسم الأول)، ص. 167 تابع: ب. موريتز: الخلافة العباسية في مصر. الشرق الجديد، السنة السادسة، ص153 وما يليها.

(3) المقريزي، الجزء الأول (القسم الأول)، ص108. أخطأ ابن خلدون، ص20، لأن سلمية كانت تنتمي حتى ذلك الوقت إلى إمارة حماه.

(4) المقريزي، الجزء الأول (القسم الأول)، ص169.

الذي ادعى أنه زار بغداد في شبابه، قدم هذا الدليل، حين أكد صحة مزاعم العباسي[1]. أثبت عيسى، خلال حياة بيبرس، أنه أحد رعاياه المطيعين، فاشترك في جميع حملاته ضد المغول وفرض نظاماً أمثل على البدو التابعين إليه. بعد موت بيبرس، تورط في مؤامرة حاكها حاكم دمشق ضد السلطان قلاوون، إنتهت بإعفائه من منصبه. بيد أنه استعاد، على ما يبدو، مكانته بعد وقت قصير، فقد أقيمت له في دمشق الصلاة التي كانت تقام لأصحاب المناصب الرفيعة، عندما توفي في التاسع من ربيع الأول من عام 1284م/ 683هـ[2]. ضمن عيسى للفضل موقعاً ريادياً بين بدو سورية ولأسرته المكانة الأولى بين الفضل. أما الإمارة واقطاعية السلمية، فحصر توريثهما من الآن فصاعداً في المتحدرين من صلبه، لذلك سما أبناؤه بقوة فوق الظروف البدوية، حتى إن خلفه الأول، ابنه مهند، أقام مشفى في سرمين[3]، وبنى ابنه هبه مسجداً صغيراً في معبد الشمس بتدمر وجد فيه موريتس كتابة بخط يده[4]، وقدم حديثة وحفيد عيسى سليمان ابن مهنا معلومات إلى المورخ أبي الفداء حول مجرى الفرات ودجلة ومناطق شبه جزيرة العرب الداخلية[5].

عندما تولى مهنا ابن عيسى إمارة الفضل (1284)م، واجه وضعاً سياسياً مختلفاً عن الوضع الذي كان أبوه قد واجهه قبل خمسة وعشرين عاماً. كان المغول قد رسخوا وجودهم داخل العراق، فكان على البدو التقيد بهذه الحقيقة أثناء تنقلاتهم الشتوية، التي كانت تقودهم إلى هناك. من جانبه، إعتقد مهنا أن من الحكمة إقامة علاقة مع "عدو البلاد". هذه السياسة زادت قوته زيادة هائلة في بلاد الرافدين، وإن كبدته بعض الخسارة في سورية، لأنه صار مشبوهاً في نظر المماليك، الذين

---

(1) إبن إياس، الجزء الأول، ص102. ب. موريتز: ص154.

(2) المقريزي، الجزء الأول (القسم الثاني)، ص77، 99، 101، 123 و139 ـ وكذلك الجزء الثاني (القسم الثالث)، ص11 و19 و21 و23 و74 و77. تابع: هامر "الإليخان"، الجزء الأول، ص307، الجزء الثاني، ص91.

(3) أبو الفداء، الجزء الرابع، ص120.

(4) مويتس، المصدر السابق.

(5) جغرافية أبي الفداء، الجزء الأول، ص19، والجزء الثاني، ص65 و105.

اعتقلوه خلال مقابلة مع السلطان خليل جرت عام 1293م، وأرسلوه إلى القاهرة، حيث وضع عاماً كاملاً في السجن[1] ثم أطلق سراحه. في السنوات الخمس عشرة التالية، تعاظم نفوذ مهنا تعاظماً مضطرداً، لأسباب منها افتقار الحكومة إلى الاستقرار (تغير الملوك خمس مرات بين 1293 و1309م). حتى إنه تجرأ وساعد الأمير المملوكي «قر سنقر» قره سنكر ـ حاكم مدينة حلب ـ على الفرار عبر الحدود العراقية (1312م)، رغم أن السلطان الملك ناصر محمد أمر باعتقاله. لم يحتمل السلطان خيانة مهنا، فعزله من الإمارة[2]. إنتقل هذا عندئذ يصحبه قسم من قبيلته إلى المنطقة المغولية، حيث استقبله الإليخان أولدياتو ـ خدابندة في ديار بكر، وغمره بإنعامات أميرية، بينها لقب مغولي وثلاثة آلاف حمل من الحبوب خصصت لأفراد قبيلته، ثم وهبه، بعد وقت قصير، الحلة والكوفة وواحة شثاثة مع ضرائبها[3]، فكان هذا كله تعويضاً مجزياً عن السلمية نصف القاحلة. بقي مهنا سنوات عديدة في العراق، ثم عاد بعد موت الإليخان (1316م) إلى سورية، بعد مفاوضات مع القاهرة ضمنت له حسن الاستقبال. لم تؤد عودة مهنا إلى وقوع قطيعة بينه وبين المغول، واقتصرت نتائجها على تغيّر زعيم القبيلة حيث حلّ محل مهنا أخوه فضل[4]، وهو نفس الفضل الذي كان يتولى في غياب مهنا إمارة سورية ـ بالتفاهم مع شقيقه دون أي شك. فهمت الحكومة المملوكية لعبة مهنا، وقررت تحويلها إلى عبرة له ولسواه، فبادرت في الثاني من جمادي عام 720هـ/ 10 حزيران عام 1320م، إلى طرد آل عيسى من سلمية، وإجبرتهم قوة تابعة لها من العسكر والبدو على اجتياز الحدود قرب

---

(1) المقريزي: الجزء الثاني (القسم الثالث)، ص148. تسيرستين: إسهامات في تاريخ سلاطين المماليك. النص، ص22. إبن خلدون، البربر، ص21.

(2) أخذ مكانه شقيقه فضل. صبح الأعشى، الجزء الثاني عشر، ص118.

(3) مزن هامر: الإليخان، الجزء الثاني، ص226. من المؤكد أن خدابنده كان يرمي من وراء هذا الكرم الحاتمي. الحصول على المساعدة في الحملة التي كان قد خطط لها ضد الرحبة، حصن المماليك في الفرات الأوسط.

(4) في عام 718 للهجرة. أصبحت البصرة اقطاعية له، أنظر: أبو الفداء، الجزء الرابع، ص85، 87.

عانة[1]، ثم جعلت من أسرة العلي بديلاً لهم، وعينت مقدمها محمد ابن أبي بكر أميراً. بعد عامين من ذلك، نجح فضل، شقيق مهنا، في خطب ود شخصية نسائية من البلاط المملوكي[2]، كانت عائدة من الحج، واستغل علاقته بها للإطاحة بغريم أسرته محمد بن أبي بكر. بقي مهنا، هذه المرة، عشرة أعوام كاملة في العراق، ولم يعد إلى موطنه إلا عام 734 هجرية بطلب من أمير حماه، تاركاً وراءه عدداً من أبنائه مع خمسة آلاف خيمة. ولم يعودوا إلى سورية إلا عقب وفاة أبيهم يوم 18 ذي القعدة عام 735هـ (11 تموز من عام 1335م) بعد أن عاش نيفاً وثمانين عاماً، وزار القاهرة قبل وفاته، ولقي استقبالاً رائعاً لدى السلطان[3].

من بين أعمال الشيخ المجيد تصرفه حيال قره سنكر الذي ترك أعظم الأثر في معاصريه. وقد سمع ابن بطوطة[4]، الذي ساح عبر سورية أثناء حياة مهنا، قصة روائية الشكل حول ما حدث:

عندما اضطر الأمير قره سنقر إلى الفرار هرباً من انتقام السلطان المملوكي محمد، الذي اتهمه بقتل شقيقه خليل، توجه إلى الفضل في الصحراء، ليطلب الحماية له ولأبنائه وممتلكاته. قدمت أم الفضل، زوجة مهنا، الحماية له، ووافق الشيخ عليها دون أن يعي خطورة ما التزم به ـ فقد كان أطفال الهارب لا يزالون في حلب، وكذلك كنوزه التي بقيت في قلعتها. لم ينكث مهنا بوعده، حين عرف الحقيقة. ولم يزعزع إحساسه بواجبه حيال قره سنكر محاولات أصدقائه ثنيه عن حمايته، بل قام يصحبه أفراد قبيلته من البدو بالتوغل في حلب واقتحم قلعتها وعاد بالكنز[5] والأطفال إلى ضيفه، قبل أن يرافقه إلى العراق.

---

(1) أبو الفداء، الجزء الرابع، ص91 مع إضافة ذات دلالة هامة بالنسبة لظروف البلاد الحدودية: "بقي الجيش في الرحبة إلى أن تم جني المحصول وجلبه إلى القلعة".

(2) أبو الفداء: الجزء الرابع، ص94: الآدر السلطانية.

(3) تسيرستين، ص188 وما يليها. أبو الفداء، الجزء الرابع، ص117، 119.

(4) المرجع ذاته: الجزء الأول، ص168.

(5) في هذه الحكاية بعض الحقيقة فيما يتعلق بفضل مهنا في إخراج ثروة قره سنقر من حلب. أنظر: فايل: تاريخ الخلفاء، الجزء الرابع، ص308.

لم يخلف مهنا ابن عيسى أي ند له. فقد خطف الموت أبناءه الأوائل، وافتقر أبناء أخوته إلى السمعة الضرورية من أجل الحفاظ على منصبهم. في الفترة الفاصلة بين عامي 735 و781 للهجرة، أي بين وفاة مهنا وتولي حفيده نُعير الحكم، تغير حامل الإمارة نيفاً وسبع عشرة مرة، كما يوضح الجدول التالي:

موسى بن مهنا[1]	736 ـ 742هـ (وفاة)
سليمان بن مهنا	742 ـ 743هـ
عيسى بن فضل[2]	743هـ
سليمان بن مهنا	743 ـ 744هـ (وفاة)
سيف بن فضل	744 ـ 746هـ
أحمد بن مهنا	746 ـ 748هـ
سيف بن فضل	748هـ
أحمد بن مهنا	749هـ (وفاة)
فياض بن مهنا[3]	749 ـ 762هـ (وفاة)
حيار[*] بن مهنا	762 ـ 770هـ
زامل بن موسى	770 ـ 771هـ
معيقل بن فضل	771 ـ 775هـ
حيار بن مهنا	775 ـ 777هـ (وفاة)

(1) تسيرستين، ص190. إبن خلدون: البربر، الجزء الأول، ص23 ـ بقية المعطيات حسب أبي الفداء: الجزء الرابع، ص142، 144، 148، 151، 158.

(2) مات عام 744هـ في القريتين، ودفن في مقبرة مسجد خالد بن الوليد (في حمص)، إبن خلدون.

(3) أبو الفداء، الجزء الرابع، ص158. إبن خلدون (توفي عام 760هـ حسب صبح الأعشى، الجزء الرابع، ص207.

(*) في صبح الأعشى الجزء الرابع مذكور جبار وليس حيار وقد أوضح المؤلف سبب هذا الاختلاف في هامش 2 ص443. من هذا الجزء (شبّر).

قارا[*] بن مهنا	777 ـ 781هـ (وفاة)
زامل بن موسى	781هـ
معيقل بن فضل	781هـ
نُعير بن حيار[1]	781هـ

من السهل تصوّر النتائج التي ترتبت على هذا التبدل الدائم، ذلك أن الأمراء المعزولين لم يسمحوا بدفعهم جانباً دون مقاومة. كما عززت مصادرة كثر من الاقطاعات البدوية، التي قامت بها الحكومة عام 746هـ، عززت بدورها التذمر، فانفجرت عام 874هـ حرب معلنة داخل العائلة، أنزلت ضرراً فادحاً بالزراعة في المنطقة الواقعة بين المعرة وحماه. لم يستتب الأمن والهدوء إلا في حكم الأمير فياض، رغم أن ماضيه كان يوحي بأرجحية حدوث العكس[2]. أما خلفه حيار فقد سبب الكثير من المتاعب للحكومة. وعندما عزلته عام 770هـ، ذهب إلى ضاحية حلب ووجد بسرعة أنصاراً كثيرين بين كلاب وقبائل المنطقة. إنبرى النائب كوشتمير عندئذ لقتاله، لكنه هزم وقتل بيد نعير ابن حيار، الذي فر إلى الصحراء وبقي فيها، إلى أن تصالح، بعد بضعة أعوام، مع الحكومة، وتخلّى ابن عمه معيقل عن الإمارة له دون مقاومة، فتولاها إلى أن وافته المنية. أما خلفاؤه، فليس بينهم من يستحق وقفة مطولة باستثناء نُعير.

يعتبر محمد[3] نُعير بن حيار (781هـ/ 1380م ـ 809هـ/ 1406م) أعظم محارب أنجبه الفضل. وقد انخرط في جميع الصراعات الدامية التي امتلأ بها حكم السلطان برقوق (1382هـ ـ 1398م)، فوقف مع مينتاش[4]، حاكم ملاطيه، على رأس الحزب

(*) عند القلقشندي قنارة (شبّر).

(1) الأخيرون حسب ابن خلدون، ص23. تابع أبا المحاسن، الجزء الخامس، حيث لا أثر لمعيقل.

(2) إعتمد فياض على قطع الطرق، بعد أن سحب منه إقطاعه عام 744هـ.

(3) هكذا ابن خلدون، وإلا يكتفي بالاسم نعير.

(4) ليس مملوكاً بل تركماني حر.

الذي عمل لعزل السلطان، ثم نجح في عزله فعلاً عام 791هـ/ 1389م. في السنوات التالية، غيّر محمد مواقفه مرات كثيرة، فكان يقوم تارة بأعمال نهب دون أن يكترث بأحد، ويخضع تارة أخرى للسلطان، ليقاتل بعد حين ضده. حين سقطت أسرته في الأسر المملوكي، سَلّم صهره ميتناش إلى الحكومة لكي ينقذها ثم أعيد مقابل ذلك إلى الإمارة (795هـ/ 1392 ـ 1393م)[1]. مكنت موجة الغزو المغولي الثانية نُعير من وضع مؤهلاته الحربية في خدمة الدولة من جديد، فقد رافق عام 796هـ السلطان أحمد بن أويس في طريق عودته إلى العراق[2]، وكان قد لجأ إلى القاهرة لأن تيمور طرده من بغداد[3]. عندما انقض تيمور عام 1400م على سورية وتوغل فيها، كان نُعير بين قلة تصدت بشجاعة للخطر. وفي حين كان السلطان المملوكي يجلس دون حراك في دمشق، عبأ قوة بدوية محاربة من قبائل الجنوب، معظمها من بني حارثة. وعندما تم إخلاء العاصمة، دعا سكان جبل نابلس في منطقة فلسطين الوسطى الجبلية، المدربين على القتال، إلى حمل السلاح[4]. ومع أن السلام المشين الذي عقد بعد وقت قصير من ذلك مع تيمور وضع حداً لجهود نُعير الحربية، فإن هذا ما لبث أن خاض في السنوات اللاحقة قتالاً لا هوادة فيه ضد المغول[5] والتركمان[6]

(1) أبو المحاسن، الجزء الخامس في مواقع مختلفة والسادس، ص4. والسخاوي، الجزء العاشر، ص203. إبن إياس، الجزء الأول، ص295 و297. فايل: تاريخ الخلفاء، الجزء الرابع، ص549، 561، 565، والجزء الخامس ، ص5 وما يليها. كان عثمان بن قره وشقيقه محمد أميرين بدلاء، ويضيف ابن خلدون إليهما موسى ابن عساف.

(2) من بيت جلائر، الذي حل محل أول سلالة مغولية في العراق.

(3) أبو المحاسن، الجزء الخامس، ص552، 561. فايل: الجزء الخامس، ص55، 57. لاحظ أيضاً الخبر في المرجع عينه، ص79.

(4) أبو المحاسن، الجزء الرابع، ص72. إبن اياس، الجزء الأول ص329، 331.

(5) شرف الدين علي يزدي. ظافر نامه، الجزء الثاني، ص554. ميرخوند: روضة الصفا، طهران 1270 الجزء الرابع، ص64، حيث يتم تحوير اسم نُعير إلى مغيرة.

(6) أبو المحاسن، الجزء الخامس، ص162. غازي: نهر الذهب في تاريخ حلب، الجزء الثالث، ص219.

على حدود الفرات. أخيراً، ختم الرجل حياته بموت لائق، فقد سقط خلال ثورة ضد حاكم، والي حلب، الذي أعلن نفسه سلطاناً بعد عام واحد، غير أنه قتل في العام ذاته (809)هـ أثناء اشتباك مع تركمان قرة قوينلو، فسعد عجل بن نُعير بإرسال رأس قاتل أبيه إلى القاهرة[1].

رغم الشهرة الشخصية التي كانت لنُعير، لم تترك أعماله غير القليل مما يعتد به لقبيلته. ينطبق الشيء ذاته على خلفائه، الذين واصلت الإمارة حياتها في حكمهم، دون مراعاة للأفخاذ الأخرى من العيسى، وتورطوا مثله في نزاعات وصراعات إمارات سورية المملوكية، وسقط عديدون منهم في ساحة الحرب. بما أن الوقائع لا تعطينا صورة واضحة عن شخصيات هؤلاء، فإننا نكتفي بالجدول التالي بأسمائهم:

العجل بن نُعير[2]	809 ـ 816هـ (وفاة)
عذرا بن علي بن نُعير[3]	831هـ (وفاة)
مدلج بن علي بن نُعير[4]	831هـ ـ 833هـ (وفاة)
قرقماس بن عذرا	833 ـ 840هـ (وفاة)
الغادر بن نُعير[5]	842هـ
عجل بن نُعير[6]	869هـ (وفاة)

(1) أبو المحاسن، الجزء السادس، ص283. إبن إياس، الجزء الأول، ص351.

(2) أبو المحاسن، الجزء السادس، ص227، 331. لاحظ السخاوي، الجزء الخامس، ص146.

(3) هكذا السخاوي، الجزء الخامس، ص146. والجزء العاشر، ص150. يسميه أبو المحاسن في الجزء السادس، ص800، أمير الملا "فارس الصحراء" وهو لقب سنعثر عليه لاحقاً لدى أمراء الموالي.

(4) سقط في القتال ضد ابن عمه قرقماس (بن حسين)، قاتل أخيه عذرا، سخاوي، الجزء العاشر، ص150.

(5) أبو المحاسن، الجزء السادس، ص817، 845، والسابع، ص95 و98.

(6) سخاوي، الجزء الخامس، ص146.

إشتهر سيف بن علي بن نُعير، أحد أبناء أخ العجل هذا، بفضل ثورة كبرى حدثت عامي 883هـ ـ 885هـ (1478م ـ 1480م). بعد أن هزم سيف حاكم حماه، أرسلت القاهرة حملة تأديبية ضده. ولكن حين دخلت سورية، كان سيف قد عبر الفرات في طريقه إلى منطقة أورفة، التي كانت ملكاً لـ آق قوينلو، حيث قتل هناك بعد عامين بيد أحد أبناء عمومته، لثأر كان بينهما. أما آخر ابن نُعير بلغتنا أخباره، فهو ابن سيف، الذي عين عام 902هـ/ 1497م أميراً للفضل[1].

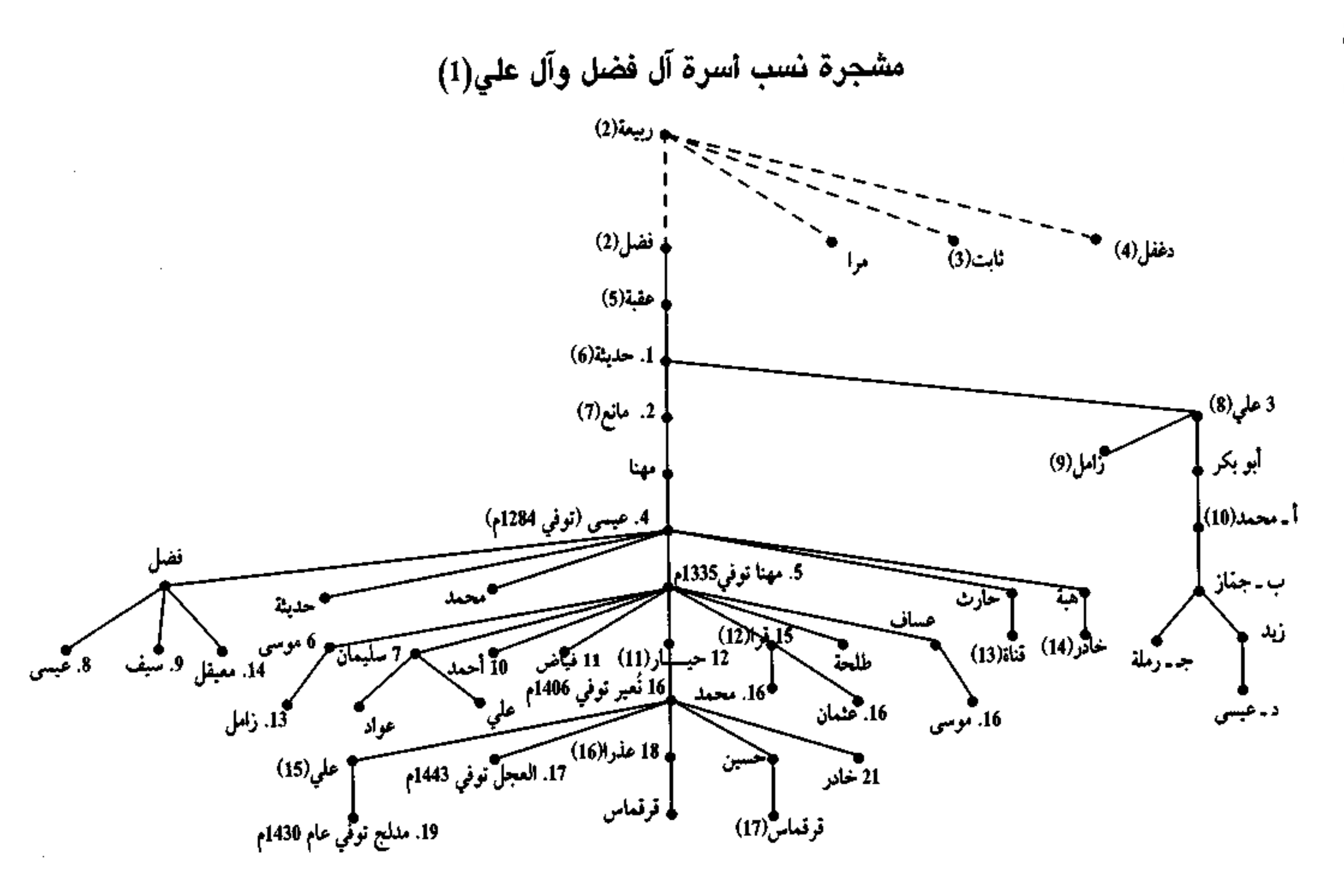
ترجع مرويات الفاعور، أسرة أمراء الفضل الحاليين، إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر فقط. ولا تخبرنا المراجع المتخصصة إلا باسم قديم تنسبه إلى واحد من أمرائها هو حسن[2] (سيتزن، الجزء الأول، ص332). لا شك في أن الأمير محمود هو أكثر شخصيات الأسرة شهرة، فقد قاد الفضل من حوالى عام 1906م إلى 1927م. بعد موت أبيه، نازعه عمه دهام وابن عمه نايف على المشيخة، لكنه نجح في الحصول عليها. بعد الحرب، لعب محمود دوراً سياسياً أكبر، لأنه كان نصيراً متحمساً لفيصل وبالتالي عدواً لدوداً للفرنسيين. وقد اتهم مع آخرين بالمسؤولية عن الأحداث الدامية التي وقعت عام 1919م في قضاء مرجعيون، إلى الشمال من بحيرة الحولة، أثناء احتلال الفرنسيين للمنطقة الساحلية. في العام التالي، وقعت في منطقة الفضل محاولة لاغتيال القائد الأعلى الفرنسي الجنرال غورو، جرح خلالها مرافقه حقي العظم (حاكم دمشق) المؤيد للفرنسيين وقتل سائقه. إتهم محمود بتدبير المحاولة، وحكمته محكمة عسكرية بالإعدام، لكن الحكم لم ينفذ، بل صدر قرار بالعفو عنه وبإعادته إلى المشيخة. غير أن محمود ترك موطنه وذهب عام 1923م إلى الأمير عبد الله في شرق الأردن. إلا أنه عاد عام 1925م من جديد إلى سورية، ولزم الهدوء إبان ثورة الدروز. عام 1927م، مات محمود وخلفه فاعور "الذي ورث عن أبيه الإباء ورهافة الحس" (تيرييه).

(1) سخاوي، الجزء الثالث، ص228. إبن إياس، الجزء الثاني، ص183، 194، 198، 213، 316. إبن طولون: ص170، 168، 167.

(2) أمير يحمل الاسم ذاته، في الصفحة 474 أعلاه.

جمع فاعور الفاعور، الذي انتخب عام 1936م نائباً في البرلمان السوري، نموذج الشيخ البدوي والإقطاعي الكبير في شخصه. فقد سكن قصراً في واسط، على بعد ساعتين شمال غرب القنيطرة، لكنّه حرص على استقبال ضيوفه في خيمة فخمة، نصبت أمام القصر. إلى جانب ذلك تمتلك أسرة الفاعور أراضي كبيرة، قدرت مداخيلها السنوية قبل الحرب بمائة ألف فرنك ذهبي[1].

(1) تابع أيضاً: الشرق الحديث، عام 1937م، ص479 والمقاطع المذكورة هناك.


مشجرة نسب أسرة آل فضل وآل علي(1)
ربيعة(2)
مرا
ثابت(3)
دغفل(4)
فضل(2)
عقبة(5)
1. حديثة(6)
2. مانع(7)
مهنا
4. عيسى (توفي 1284م)
3 علي(8)
زامل(9)
أبو بكر
أ ـ محمد(10)
ب ـ جمّاز
زيد
جـ ـ رملة
د ـ عيسى
فضل
8. عيسى
9. سيف
14. معيقل
حديثة
محمد
5. مهنا توفي1335م
6 موسى
13. زامل
7 سليمان
عواد
علي
10 أحمد
11 فيّاض
12 جبـار(11)
16 نُعير توفي 1406م
15 قرا(12)
16. محمد
16. عثمان
طلحة
عساف
16. موسى
حارث
قناة(13)
هبة
خادر(14)
علي(15)
19. مدلج توفي عام 1430م
17. العجل توفي 1443م
18 عذرا(16)
قرقماس
حسين
قرقماس(17)
21 خادر

ملاحظات حول مشجرة نسب الفضل وآل علي

1 ـ المراجع الرئيسة: إبن خلدون، الجزء السادس، ص6 وما يليها (البربر، الجزء الأول، ص12 وما يليها). مقالات القلقشندي ذات الصلة في: صبح الأعشى، الجزء الأول، ص324 وما يليها. الجزء الرابع، ص203. تواريخ أبو الفداء، أبو المحاسن وإبن إياس.

2 ـ بين لأنساب الخمسة التي وضعها كتاب مملوكيون عن ربيعة، أو فضل ابن ربيعة، ترجع ثلاثة منها أصلهم إلى ابن الجراح، أقدم أسرة شيوخ لطي سورية وهي:

أ ـ فضل بن ربيعة بن حازم بن الجراح. ابن الأثير. الجزء العاشر، ص308. إبن خلدون: البربر، الجزء الأول، ص16.

ب ـ فضل بن ربيعة بن علي بن المفرج بن دغفل بن الجراح. مصدر غير مذكور لدى ابن خلدون، ص17.

جـ ـ فضل بن ربيعة بن حازم بن علي بن المفرج بن دغفل بن الجراح. العمري في صبح، الجزء الأول، ص324، والقلقشندي، ص86.

يماهي كتاب إبن الأثير، الذي يتبنى ابن خلدون معلوماته، الفضل مع شخصية تحمل الاسم ذاته من أسرة فرعية لابن الجراح (أنظر شجرة النسب). وهذا مستحيل تعاقبياً، لأن الفضل بن ربيعة بن حازم بن الجراح هو حسب ابن خلدون (ص16) معاصر لابن المسبّحي (توفي عام 420هـ/ 1129م)، ولأن هذه المعلومة تتوافق مع عام وفاة ابن عمه مفرج (404هـ/ 1013م ـ 1014م). أما جد الفضل الأول فكان معاصراً لـ«توغتكن» توغتكين الدمشقي (497هـ/ 1103م ـ 525هـ/ 1128)م.

لن نناقش هنا إن كان مؤلف هذه الأنساب يعرف فعلاً أصل الفضل من ابن الجراح، أو إذا كان قد استنتج ذلك من الأحداث التاريخية وحدها، علماً بأن الإحتمال الثاني هو الأرجح في اعتقادنا.

يرتبط تسلسلا النسب الثاني والثالث بالتسلسل الأول. وفي حين يحسب

الثاني حساباً للتسلسل الزمني، عندما يصل الفضل ابن ربيعة بالجيل الأخير من خط القرابة الرئيس لبني جراح، نجد أن الثالث ليس غير خليط من الأول والثاني.

وبينما تعتبر هذه الأنساب الثلاثة (أ، ب، حـ) من صنع العلماء بهذه الدرجة أو تلك، يقوم نسبان آخران على مرويات القبيلة (في القرن الثالث عشر)، كما يتبيّن من الكلمات التقديمية للمؤرخين. أنظر صبح الأعشى، الجزء الأول، ص324، وابن خلدون، الجزء السادس، ص7، والبربر، الجزء الأول، ص14، والسخاوي، الجزء الخامس، ص146.

د ـ فضل بن ربيعة بن سالم بن شبيب بن حازم بن علي بن جعفر بن يحيى بن برمك ـ هكذا يكون علي بن جعفر هو ابن العباسة.

هـ ـ فضل بن بدر بن ربيعة[1] بن علي بن مفرج بن بدر بن سالم بن عقبة بن بدر بن سميع ـ حسب ادعاءات بعض الشيوخ يكون سميع هو ابن العباسة. وبصورة عامة تنتهي سلسلة الأنساب هنا إلى سميع.

بينما نلاحظ أن السلسلة د متأثرة بما جمعه العلماء (حازم بن علي، كما في حـ)، فإن السلسلة الخامسة (هـ) متحررة كل التحرر من تأثير كهذا، باستثناء التنازل الجزئي المتعلق بالعباسة. بذلك تكون هي الرواية الوحيدة التي يجب علينا أخذها بالحسبان، إلى جانب الرواية رقم أ. وعلى كل حال، فإن علينا اختيار واحدة منهما، لأنهما لا تقبلان التوفيق بعضهما مع بعض. بعد ما قلناه حول أ، يجب علينا تفضيل رقم هـ، دون أن نكون بحاجة، لهذا السبب، إلى إيلاء وزن خاص للأسماء. ذلك يسقط، بطبيعة الحال، الفرضية حول أصل ربيعة من ابن الجراح.

سنعرج بسرعة على مسألة أخرى. إن جميع الأنساب التي ذكرناها تفهم علاقة فضل وأخوته بربيعة باعتبارها علاقة أخوة بأب. لكن ربيعة في ملاحظة ياقوت، الجزء الثالث، ص332، المنصبة على عام 1115م، زمن فضل ابن ربيعة،

---

(1) هكذا تقرأ عند الإسطنبولي دامات إبراهيم باشا، ص867، الذي تفضل بالاطلاع عليه نيابة عنا السيد هـ. ريتر، وعند سخاوي، الطبعات لا تذكر بن ربيعة.

لا يبدو كاسم شخص، بل كاسم قبيلة أوأسرة. لذلك من الممكن أن يكون بعض الأعضاء (الحلقات)بين فضل، وأخوته، وبين ربيعة قد سقطوا، الأمر الذي عبرنا عنه في شجرة النسب من خلال رسم خطوط الوصل بصورة منقطة.

3 ـ الحمداني في صبح، الجزء الأول، ص325.

4 ـ المرجع ذاته. ربما كان يتماهى مع أبي منصور ابن دغفل المذكور في الحاشية 4 ص503 أعلاه.

5 ـ هكذا صبح، الجزء الأول، ص325. الجزء الرابع، ص206. يذكر اسم غضبة. القلقشندي، ص87 فضل، ص88 فصل. ابن خلدون، الجزء السادس، ص7، ص9 عصية[1] البربر، ص14، 20 "غدية". المقريزي، الجزء الثاني (القسم الثالث) ص74 «اسا»، ص77 «اسيا»، أبو الفداء، الجزء الرابع، ص91 عصبة. هذا يعني أن الاسم غير أكيد إطلاقاً.

6 ـ المقريزي، حذيفة، زيترستين: سلاطين المماليك: حديثة.

7 ـ صبح الأعشى يذكر خطأ اسم ماتع.

8 ـ الجدّ الأول لآل علي.

9 ـ بسبب خلع الإمارة على عيسى ابن مهنا، أبدى زامل ابن علي أكثر أشكال العداء مرارة حياله. صحيح أن السلطان بيبرس صالح الرجلين بعضهما مع بعض في القاهرة، ومع ذلك قام زامل باعتداء خياني ضد ابن عمه (1264م)، بينما هما في طريق العودة إلى ديارهما. تقول الروايات إن زامل ألقى بنفسه بعد ذلك في أحضان المغول، وتحول إلى قاطع طريق قبل أن ينتهي أخيراً إلى السجن في القاهرة. وقد ذهب ما كان في حوزته من اعطيات إلى أخيه أبي بكر. أنظر، المقريزي، الجزء الأول (القسم الأول)، ص170.

10 ـ تبدأ معه مقدمية ثم امارة آل علي.

11 نفس المصدر، ص443 وما بعدها.

---

(1) هكذا أيضاً السخاوي، الجزء الخامس، ص146. ذكره ناشر ابن خلدون تحت اسم عصبة وبعدها مباشرة قصبة بدلاً من عقبة المذكور في شجرة النسب رقم 5.

12 ـ هذا ما يقوله أبو المحاسن، الجزء الثاني، ص342، 434، 548، والجزء السادس، ص4. وصبح، الجزء الرابع، ص208: عنقا. وابن خلدون، الجزء السادس، ص10: قارى. البربر (النص) الجزء الأول، ص13، وابن خلدون، الجزء الخامس، ص440: قارة. وفي اقتباس خلدوني من صبح الأعشى، الجزء الرابع، ص207: قنارة.

13 ـ قناة (= قتادة؟).

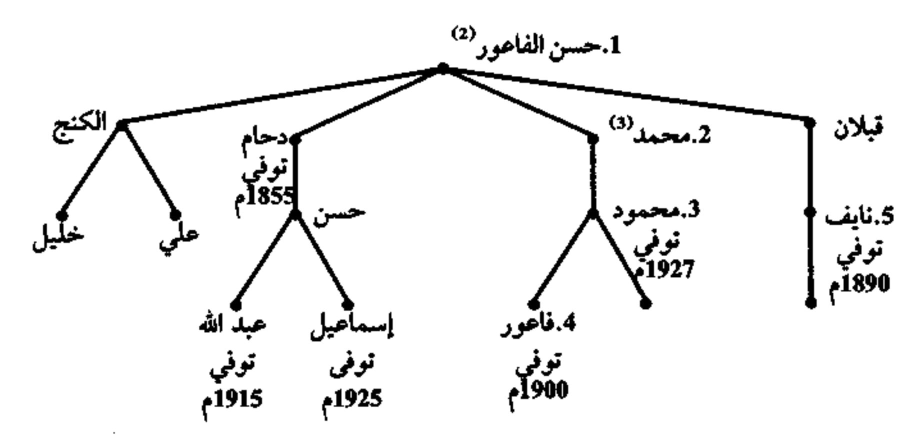
14 ـ هاجر سيف الدين قدا (غدا) بن هبة لله بن عيسى ابن مهنا إلى الهند وعثر على سعادته في بلاط سلطان دلهي. ذكره ابن بطوطة واجتمع معه مراراً.

15 ـ فايل، تاريخ الخلفاء، الجزء الخامس، ص6.

16 ـ يجعله السخاوي، الذي يرى فيه أخاً لمدلج، أصغر بجيل، وبالتالي يكون غادر أحدث بجيل إلى جيلين.

17 ـ هزم عام 1433م حاكم حلب قبالة قلعة جعبر، الذي غادر كان قد خرج إليه بقوات كبيرة. أنظر: أبو المحاسن، الجزء السادس، ص662.

مشجرة نسب أمراء شيوخ الفاعور[1]



ملاحظات حول مشجرة نسب أمراء الفاعور

1 ـ بحسب تيربيه. ملحق رقم5.

2 ـ إيزابيل بورتون: حياة سورية الداخلية. . . الخ، الجزء الثاني، ص365.
ـ كان حسن الفاعور مشهوراً كخبير خيول، وهي صفة ترتبط بها في سورية طبابة الحيوانات والقدرة على حسم المسائل القانونية المتعلقة بها.

3 ـ توفي محمد عقب حادثة مؤسفة، فقد أصابه الأمير علي، ابن عبد القادر الجزائري، خلال لعبة قتالية بجرح أدى إلى وفاته.

الفضل(1)

شيخ المشايخ: الأمير فاعور الفاعور

القبيلة	الشيخ	منقطة تجوال	عدد الخيام
1 ـ الفواعرة(2)	فاعور الفاعور	شمال غرب القنيطرة	200
2 ـ الهوادجة	نمر بن عبد العزيز(3)		
	ابن شحادة	غرب القنيطرة	200
3 ـ البحادرة(4)	ظهر بن عرسان الشديد		
	مظهور بن عرسان الشديد		300
4 ـ عجرمة	زعل بن سلوم(5)	جنوب غرب القنيطرة	100
عرب المنافي(6)	أحمد الدخيل	جنوب شرق القنيطرة	20

ملاحظات حول جدول الفضل

1 ـ سجلت عام 1925م: الراوي: عيسى النوري، وهو محارب قديم عاش طوال عقود في القنيطرة. إستكملت القائمة باسمي شيخين من جداول تيربيه

(ص63 وما يليها). إن أعداد الخيام أصغر لدى تيرييه، حيث يبلغ مجموعها 670 خيمة. بوركهاردت، ص13 يعطي رقم 250 ـ 300 خيمة. شوماخر: الجولان، ص86 وما يليها، يقدم رقم 380 خيمة، وهو يقصر معلوماته على عشيرة الهوادجة، في حين يتحدث بوركهاردت عن العجرمة فقط وعن "الاروك" غير المعروفين لدى غيره.

2 ـ هذا يعني أسرة الفاعور، تيرييه يسميها الفضل. هنا، تتماهى أسرة الشيوخ والقبيلة بمعناها الضيق كما في العصر الوسيط.

3 ـ إلى جانب نمر، ثمة أسرة نافذة أخرى تسكن قرية حجر هي العفّاش.

4 ـ مع قريتي الدلوة وخواخه.

5 ـ صهر الأمير السابق محمود. وكان ينوب عنه خلال غيابه.

6 ـ موجودون أيضاً في الجدول الرسمي لدى شوماخر، ص304. تيرييه، ص54 يضمهم إلى النعيم.

قبائل صغيرة في الجولان

تقلص، في مجرى القرن التاسع عشر، عدد القبائل التي كانت تتخذ من الجولان مقاماً دائماً لها، إلى جانب النعيم والفضل[1]. وقد هاجرت بعض هذه القبائل، مثل المحمدات ولهيب وسمكية ووهيب[2] في وقت مبكر إلى شمال فلسطين، المنطقة التي انصب فيها بصورة طبيعية فائض سكان الجولان، في حين اختفت قبائل أخرى مثل الكبايره والعتبه والعزي والدهيوات والشام. ومع أن القبائل الأخيرة ذكرت في الجداول الرسمية التي ألحقها شوماخر بكتابه عن الجولان، ولكن بعدد أقل من ربع عدد الخيام المذكورة لدى بوركهاردت، وشوماخر نفسه لم يعثر لها على أثر. ثمة حالة واحدة تخبرنا أن تعقيدات حربية أدت إلى القضاء على إحدى القبائل، وهي قبيلة الكلابات (المكلوب، بني كلاب)[3] التي يذكرها بوركهاردت ومايو (الجزء الأول، ص107) فقد أبادتها الرولة قرب بلعمه (عجلون)[4]. فيما عدا ذلك، يرتبط تراجع القبائل البدوية إلى أجراءات

---

(1) أنظر جداول بوركهاردت حول قبائل الجولان وجبل هيش. مع ملاحظة أن قسماً من القبائل المذكورة عند بوكهاردت يحسب اليوم على النعيم، وقسماً آخر ينتمي سياسياً إلى فلسطين كالسياد على بحيرة الحولة والرقيبات على الضفة الشرقية لطبرية.

(2) إنضم قسم آخر من هذه القبيلة إلى النعيم.

(3) يذكر دوتي في الجزء الأول، ص14، أسرة شيوخهم تحت اسم "إبن الطوبي" (ابن التوبيّ، ابن التبعي؟).

(4) شتويرناجل ـ شوماخر: العشلون، ص243.

حكومية كتوطين الشركس شمال شرق الجولان (1878)م، الذي حرم البدو من أفضل مراعيهم[1].

تقتصر منطقة القبائل اليوم على غرب الجولان وأقصى جنوبه "وادي اليرموك". وهي تبدأ في الشمال مباشرة قبل طريق القنيطرة ـ جسر بنات يعقوب، أي على الحد الجنوبي للفضل، وتصل في الشرق إلى السلسلة البركانية التي يسكنها الشركس والنعيم، وفي الجنوب إلى وادي السمك. أما منطقة الزاوية بين نهر العلان وطبرية فيقطنها غرب الرقاد سكان فلاحون، بينما تعيش وراء هذه النهر عنزة (ولد علي).

ترتبط القبائل الشمالية (من 1 إلى 4) بالفضل، وتحسب عليها من حين لآخر. في حين نجد نفوذ ملاك الأرض الكبار قوياً في الجنوب، وخاصة منهم ورثة أحمد عبد الرحمن باشا اليوسف[2]، الذين تنخرط قبائل التلاوية والذياب في نزاعات قانونية لا نهاية لها معهم.

كانت قبائل الجولان بدواً نصف رحل بالأصل[3]، لكن تناقص مناطق الرعي أجبرها على الإنتقال إلى الزراعة، وربطها بالبيت والأرض. مع ذلك، تسكن القبائل عادة في خيام، تفارقها في الأحوال الجوية السيئة إلى أكواخ بائسة، تستخدمها عادة لتخزين مؤونتها وغلالها.

---

(1) شوماخر: الجولان، ص51.

(2) كان عبد الرحمن باشا أحد أكثر الأعيان السوريين احتراماً في العصر التركي، وبقي سنوات طويلة أمير الحج، وصار نائباً في مرحلة لاحقة. قتل في تموز من عام 1920م في خربة الغزالة، عندما أراد تهدئة الجماهير الشعبية الغاضبة على الفرنسيين.

(3) يعطي بوركهاردت قسماً منهم اسم شوايا (رعاة غنم)، وهي صفة سبق لنا أن تعرفنا عليها لدى قبائل الفرات الأوسط.

قبائل صغيرة في الجولان(1)

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ المرازقة(2)	عبد الله	دبورة	40
2 ـ النعارنة(3)	عواد العيد	دير السراس	90
3 ـ الأويسية	صالح الفرس	علمين، العسلية	
(الويسيه)(4)		المجامع، قصرين	
4 ـ الجعاثين(5)	محمد بن جاسم	سلوقية/ وادي جرماية	100
5 ـ التلاوية(6)	رحال	البطيحا	400
6 ـ الذياب(7)	أحمد بن مطلق الفرج	وادي جرماية/وادي المسك	
7 ـ المناضرة(8)		نهر الرقاد/ شريعة المناضرة	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ يقوم الجدول على معطيات أخذت عن تيرييه واستقصاءات شخصية أجريت عام 1925م. أما المراجع الأقدم فهي، عدا بوركهاردت، الجدول الرسمي لدى شوماخر في كتابه الجولان. خرائط شوماخر عن شرق الأردن تذكر هذه القبائل، لكنها لا تحمل أسماء جميع الأماكن والمناطق، وعلى سبيل المثال فقد رسم واديي الجرماية والسمك دون أن يذكر اسميهما.

2 ـ القائمة الرسمية: 50 خيمة. تيرييه، ص64: فلاحون، ولكنهم يملكون ثلثي الأراضي التي يزرعونها.

3 ـ شوماخر، الجولان، ص.89 تيرييه، ص64: فلاحون.

4 ـ بوركهاردت، ص17 وما يليها. القائمة الرسمية، الجولان، ص92 وما يليها. تيرييه، ص64. كان اللويسية في الثمانينيات مربي ماشية وخاصة منها الأبقار، وهم لا يمارسون الزراعة اليوم أيضاً إلا بصورة جزئية. وينتقلون في

سنوات الجفاف نحو حدود الجيدور (كوم الويسية قرب جبا). وقد وجد شوماخر قسماً منهم في تل الفرس وسط النعيم، الذين يدفعون لهم مقابل حق الرعي.

5 ـ مايو، ص118. بوركهاردت، ص18: الجولان، ص87 وما يليها. وكانوا يصنعون في السابق سجاداً فاخراً.

6 ـ الجولان، ص91. تيرييه، ص67. قدم التلاوية في مطلع القرن التاسع عشر من غور بيسان (في فلسطين)، لذلك لا نعثر لهم على أثر لدى بوركهاردت. ثمة قسم آخر من القبيلة يسكن سهل الغوير على الضفة الغربية لبحيرة طبريا. زاد عدد التلاوية زيادة كبيرة منذ ثمانينيات القرن (من 50 إلى 400 خيمة)، بسبب ملائمة الأرض في منطقتهم. يقدر تيرييه ثروتهم الحيوانية بألف وأربعمائة جاموسة وخمسمائة رأس بقر وخمسين حصاناً.

7 ـ بوركهاردت، ص15، الجولان، ص86 (120 خيمة). تيرييه، ص69 (350 أسرة). حسب تيرييه، قدم الذياب من اللجاة، ويقال إن قبر أبيهم الأول ذياب موجود في جبل الدروز. ماشيتهم: 2000 رأس بقر، 2000 رأس غنم ومعز، 50 حصاناً.

8 ـ بوركهاردت، ص15 من كتاب: الجولان. ص86. شوماخر: عبر الاردن. ص12 تيرييه، ص66 (100 أسرة). فلاحو الأمير سعيد الجزائري. المواشي: 1000 رأس معز، 200 رأس غنم، 600 رأس بقر.

سردية

لقبيلة السردية الصغيرة ماض مجيد. فقد كانت على قدر عظيم من الجبروت في حوران والمناطق المحاذية لها جنوباً، وامتلكت حق مرافقة قوافل الحجيج وغيره من الامتيازات، إلى أن سلبتها عنزة مكانتها هذه في نهاية القرن الثامن عشر.

ليس هناك معلومات مؤكدة حول أصل السردية، مع أن صيحة المعركة لديهم "شمّا بنجا!" تشجع على القول بوجود صلة ما بينهم وبين آل (بني) شمّا، الذين سكنوا حوران في العصر الوسيط المتأخر[1]، حيث نقابل السردية هناك لأول مرة في بدايات القرن السابع عشر.

آنذاك، كانت حوران تحكم على يد المفارجه[2]، القبيلة التي لا نعرف عنها غير أنها كانت تابعة ذات يوم للمرا أنظر 505 وما بعدها، وأن زعيمها عمرو البدوي حمل لقب شيخ حوران ومارس استقلالاً جزئياً، ودان بمكانته للأمير فخر الدين الدرزي[3]،

---

(1) أصل غامض بدوره. أقدم شاهد، الحمداني (قلقشندي، ص252) يسميهم حلفاء ربيعة (طي السورية). إحتسبوا فيما بعد على هذه، على آل عامر (سبائك الذهب)، ص61. أو على المرا، (قلقشندي، ص91، 97).

(2) قلقشندي، ص97 مفارجة: جهان ـ نامة، ص554، 584: مفالجة، نيبور، جزيرة العرب، ص396: مفارقة.

(3) محبي، الجزء الرابع، ص433. تابع الجزء الثالث، ص137.

الذي كان له نفوذ كبير في سورية تلك الأيام. عندما قررت الحكومة عام 1613م الإطاحة بفخر الدين، بدأت بعزل أنصاره في الأقاليم، ومنهم عمرو البدوي، الذي سُلّم منصبه لشيخ السردية رشيد.

بعد انفجار الأعمال العدائية، قاتل السردية إلى جانب الأتراك، بينما قاتلت المفارجة إلى جانب الدروز[1]. وقد دارت رحى الحرب بين القبيلتين في عجلون، ومع أن السردية نجحوا في دحر أعدائهم بعيداً إلى الجنوب، حتى قصر شبيب[2] وقلعة الزبيب[3]، فإن المفارجة أفلحت آخر الأمر في التغلغل شمالاً، إلى أن بلغت موطنهم من جديد، بعد أن تاهت بها الدروب فترة طويلة[4].

بالنظر إلى أن الحرب كانت قد حسمت لغير صالح الدروز في هذه الأثناء، فإن عودة القبيلة لم تغير شيئاً في علاقات القوى داخل حوران. ولكن ما أن عاد فخر الدين إلى الحكم (1618م) حتى سحب لقب شيخ حوران من شيخ السردية رشيد، وأحلّ عدوه عمرو محله. فلجأ رشيد إلى أمير الموالي مدلج، وظهر عام 1623م من جديد في عجلون. أخيراً، عجز رشيد عن الصمود في وجه المفارجة، فأعلن خضوعه لفخر الدين، الذي منحه مبلغاً كبيراً من المال[5].

بعد سقوط فخر الدين عام 1633م عاد الحلف القديم ـ السردية مع الأتراك والمفارجة مع الدروز ـ إلى الظهور من جديد. أما حقيقة أن المفارجة اختفت منذ تلك اللحظة من التاريخ (لم يذكرها أحد بعد ذلك باستثناء نيبور)، فتفسر بواقعة أنها قاسمت أمير الدروز مصيره.

هذا التبدل الجديد في علاقات القوة، نقل امتيازات المفارجة إلى السردية،

---

(1) أخبار الأعيان، ص255.

(2) حسب دوتي، الجزء الأول، ص13 = قصور بشير شمال شرق الكرك.

(3) خان الزبيب في الخارطة. يذكر في أخبار الأعيان، ص260 باسم قصر الزين.

(4) في تدمر، رجوا أمير الموالي فياض منحهم حق الإقامة في منطقته، فوافق شريطة تسليم الأمير علي ابن فخر الدين الموجود معهم. رفض المفارجه طلبه، وساروا نحو الغرب، فنهبوا معسكر تركمان قرب القريتين، وفروا إلى اللجاة بعد اشتباك مع القوات التركية.

(5) أخبار الأعيان، ص285، 297، 303، 305، 315، 318، 326.

التي وحد شيخها من الآن فصاعداً لقبي شيخ حوران[1] وشيخ الشام[2] في شخصه. ويبدو أنه كان بوسعه فرض ضرائب بصفته شيخ حوران[3]، في الوقت الذي كان فيه بصفته شيخ الشام، القائد الطبيعي لقافلة الحج، التي قدم لها الجمال بسعر محدد، وقادها إلى أعماق الجنوب (معان ومدائن صالح)، مقابل الصرة والعطاءات الشرفية المألوفة[4]. هذان المنصبان ليسا، بالمناسبة، مستحدثين في القرن السابع عشر، فقد تمت بالتأكيد وراثة حقوق سيادة البدو على حوران من أمراء المرا، التي كان من بينها أيضاً بدايات حق مرافقة قافلة الحج.

بقدر ما أعطى هذا الحق من نفوذ لحامله، بقدر ما كان خطراً عليه، لأن السلطات كانت تحمّل شيخ الشام مسؤولية الإعتداءات التي تتم في منطقته. ولا ندري بأي حق يحملونه هذه المسؤولية تجاه جشع الموظفين وضعف أمانة البدو. ولا بد أن أسباباً وجيهة دفعت حمد بن رشيد ـ حفيد أول زعيم معروف للقبيلة ـ إلى الإعتداء على قافلة الحج، رغم أنه كان صديقاً لقائدها، الذي غضب جداً إلى درجة ترك معها مركزه وعبأ جيشاً بامكاناته الخاصة لمحو العار الذي لحق به. لكنه هزم في الزرقا وقتل في المعركة (1081هـ ـ 1670م). أما حمد بن رشيد، الذي أمعن في ندب خصمه القتيل[5]، فقد فقد طبعاً منصبه لكنه نجا من جميع الملاحقات

(1) بوركهاردت: ص13، شيخ الحوران. روبنسون، الجزء الثالث، ص915: شيخ عرب حوران. لابل إن مرادي، الجزء الثاني، ص63 يسميه: أمير بلاد حوران.

(2) أرشيف عثمان باشا، رقم 64. راشد، الجزء الأول، ص255. مايو، الجزء الأول، ص110 (لأن عرب البادية الرضية هم طبعاً السردية). قارن ألقاب أمير بادية الشام، محبي: الجزء الثاني، ص133، وشيخ عرب الشام، جور، الجزء السابع، ص67.

(3) حتى زمن بوركهاردت، كانت ضرائب بعض قرى حوران تمر بين يديه (رحلات في سورية، ص302).

(4) أرشيف عثمان باشا رقم 64. راشد: الجزء الثاني، ص43 و68 وفولني: رحلة إلى سورية ومصر في أعوام 1783م، 1784م، 1785م، الجزء الثاني. ص205 ـ بلغت الصرة 18300 قرش عام 1676. عند راشد يحمل شيخ الشام أسماء غريبة: سائمة شيخى وصالمة شيخى. يورد بوركهادرت تفاصيل حول اللقب الأول في رحلات في سورية، ص245.

(5) وثيقة من عام 1089هـ/ 1678م، أرشيف عثمان باشا رقم 60، تذكر شيخاً اسمه الشيخ واكد (النص: واكت) في منصبه. المرجع ذاته رقم 50 يذكر اسم ابن أخ لرشيد اسمه كنعان.

التركية. إلا أنه قتل بعد تسعة أعوام أثناء رحلة إلى بغداد[1].

يبدو أن التدبير الذي اتبع حيال الشيخ كليب، أحد أخلاف حمد[2]، أشد إثارة للإستنكار، فقد اتهم بتنظيم غزوات تعرض الحجاج لها في سنوات القرن الثامن عشر الأولى (1112، 1113، 1115 للهجرة). لكن التهمة كانت ظالمة، كما يخبرنا مؤرخ الإمبراطورية راشد (الجزء الثاني، ص43 و68) وكما يتبيّن من سلوك أمير الحج، الذي رفض المشاركة في سعي باشا دمشق(فراري حسين) إلى القبض على كليب. نفذ الباشا ما كان قد عزم عليه، إلا أنه فقد حياته خلال ذلك، لأن قواته تخلت عنه (1705)م. إنتقم الأتراك عام 1709م لموته، فقتلوا كليب دون سابق إنذار، خلال مفاوضات سلمية كانوا يجرونها معه. فيما بعد، بقيت أسرته موضع شك، واتهم أخلافه بالمشاركة في الكارثة التي نزلت عام 1757م بالحجيج[3].

لا نعـرف للأسف أحوال القبيلة آنذاك ومنطقة انتشارها، وإن كنا نرجح أنها كانت تقضي الصيف في النقرة، والشتاء بعيداً إلى الجنوب، وأن غزواتها قادتها إلى الحجاز[4]، حتى إن بني صخر في البلقاء والحمايدة في الكرك دفعوا خوّة لها.

إستمر موقع القوة الذي كان للقبيلة قرابة مائة وخمسين عاماً. لكن بني صخر نفضوا نيرها عنهم في وقت مبكر. وحين سكنت عنزة سهل حوران، كان مصير القبيلة قد حسم، فانتقل حق مرافقة قافلة الحجيج والمهام المرتبطة به إلى ولد علي حتى قبل عام 1800م[5]. ورغم أن زعماء السردية حافظوا أول الأمر على لقب شيخ

---

(1) محبي، الجزء الرابع، ص434 وما يليها.

(2) فان اجموند ان هايمان، رحلات (بالهولندية)، الجزء الثاني، ص33. جور، الجزء السابع، ص67، وكذلك في المرجع ذاته فهرس الوثائق رقم 2154.

(3) نقولا الصباغ: تاريخ الشيخ ضاهر عمر، ص78.

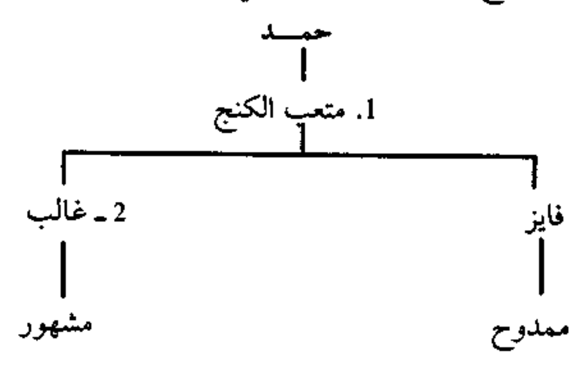
(4) جهان ـ نامة، ص570: حتى العلا.

(5) جدول غير صحيح لدى شبرنغر، رقم150.

حوران، وتلقوا عباءة شرفية وأسلحة خلال الاحتفالات السنوية بتجديد منحهم اللقب، وقدموا بالمقابل فرساً إلى والي دمشق مشفوعاً بتعهد يلزمهم تقديم قوات محاربة عند الضرورة، وواصلوا أخذ الخوّة من قرى النقرة، والجولان، وعجلون، وبعض قبائل جبال حوران[1]، فإن هذه الحقوق جميعها ضاعت في مجرى القرن التاسع عشر، وتقلص عدد السردية أكثر فأكثر، إلى أن سحقوا أخيراً بين الرولة وبني صخر.

يخيم السردية الآن في مداخل حوران الجنوبية من أم الجمال إلى الأزرق والحرة شتاء. ويأتي قسم منهم صيفاً إلى الحد الغربي من منطقة الدروز، أي إلى منطقة الإنتداب الفرنسية، وقسم آخر إلى وادي الأردن والبلقاء. وتعتبر بصرى سوقهم. وهم يعيشون الآن بصحبة بني صخر، بينما تقوم عداوة قديمة بينهم وبين الرولة.

ليست أسرة شيوخ السردية معروفة إلا في أجيالها الأحدث[2].



(1) بوركهاردت، ص13، وكذلك رحلات في سورية، ص307. روبنسون، الجزء الثالث، ص915.

(2) إلى جانب الشيوخ المذكورين في النص نستطيع معرفة أسماء بعض الشيوخ الأقدم (جدول لامارتين على سبيل المثال. وموزيل: الرولا (الرولة)، ص532. وايزابيل بورتون: الحياة الداخلية، الجزء الأول، ص69). لكنه من غير الممكن مع ذلك وضعها ضمن سياق مترابط من النسب.

قتل متعب الكنج، الذي عرف بقوته البدنية الخارقة، في معركة ضد بني صخر. وهو يلعب دوراً غامضاً في قصة حب بطلاها شقيقته قطنة وشيخ من بني صخر هو طراد بن زبن[1].

ترجع المشيخة الآن إلى مشهور، حفيد متعب. لكن خلف الكليب، الوصي حالياً عليه، هو الذي يتولى الحكم.

(1) معروضة بطريقة تخيلية لكنها جذابة لدى سيبروك: مغامرات في جزيرة العرب، نيويورك 1927م، الفصل السابع "من أجل عيون قطنة".

الفحيلي

كانت قبيلة الفحيلي الصغيرة على صلة وثيقة في الماضي مع السردية وقد تحدثنا عنها في مقال عرب اللجاه وعرب الجبل. ظهر الفحيلي بدورهم أول مرة عام 1613م، ونعتقد أن الحقوق الضريبية، التي كانت لهم حتى في بداية القرن التاسع عشر على قبائل اللجاة[1]، هي العطاءات التي منحهم إياها الأتراك مقابل خدماتهم ضد الأمير فخر الدين. ويبدو أن الفحيلي طردوا في أواسط القرن الماضي من حوران، لذلك لم يعثر ستوبل (1882م) عليهم هناك. ويقال إن أسرة أمرائهم انقرضت[2]، وأن بقية منهم تقدر بأربعين خيمة تسكن الزاوية، إلى الجنوب من فيق[3]

(1) بوركهاردت، ص13. روبنسون، الجزء الرابع، ص915. يقدر بوركهاردت عدد فرسان الفحيلي بمائتي فارس.

(2) ثمة ملاحظة على جانب من الأهمية ترد في الحولية المذكورةفي الصفحة 223 أعلاه، تقول إن أمير اللجاة طلي بيكه (1234هـ/ 1819م) وقف إلى جانب الحكومة بمناسبة الاضطرابات التي انفجرت في ديار بكر. هذا الأمير لابد أنه كان منفياً إلى هناك.

(3) ف. ج. بيكه: تاريخ شرقي الاردن وقبائلها، ص236، 271.

السردية(1)

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ الكنجة (الكليب)(2)	ممدوح ابن فايز	مداخل حوران الجنوبية	150
2 ـ العون	كليب العون		
3 ـ الفواز(3)	مشهور ابن غالب		

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تابع: تيرييه، ص196 وما يليها. ـ التقسيم الأقدم: الظاهر والواكد. سيتزن، الجزء الأول، ص46. بوركهاردت، ص13، جرماني، ص141: صرخة الحرب: شما بنجا!.

2 ـ هذا يعني بالتأكيد أخلاف (متعب) الكنج، أي أسرة الشيوخ. أما الاسم الثاني، الكليب، فهو مشتق من اسم شيخ مشهور يعود إلى القرن الثامن عشر.

3 ـ يشكلون نواة القبيلة (العون هم من الضفير). أما فواز الذي أعطاهم اسمه، فيجب اعتباره لهذا السبب أباً أول لقبيلة السردية (أنظر مقالة صقر في قسم فلسطين).

إضافات وتصحيحات

أثناء طبع الكتاب صدر في بغداد (1937م) الجزء الأول من كتاب شامل بعنوان «عشائر العراق» لعباس العزاوي. وهو يحتوي عنزة وشمر وقبائل أخرى. من الناحية المبدئية لا يضيف عزاوي أي جديد على ما جاء في الكتاب الذي بين أيدينا، لا إلى الجانب التاريخي، الذي لا يحظى باهتمام كبير عند العزاوي[1]، ولا إلى تقسيم القبيلة وتفريعها. لكنه يضيف بعض التفاصيل التي حصل على بعضها باستطلاعاته الشخصية وعلى بعضها الآخر بالاستفادة من مراجع لم تكن متوفرة لنا، ومنها: مطالع السعود[2] لعثمان بن سند، وهو كتاب يعالج تاريخ العراق من عام 1188هـ/ 1774م حتى عام 1242هـ/ 1826م.

استعمل العزاوي أيضاً مخطوطات وأعمالاً غير مطبوعة هي: قائمة شبرنغر الأصلية، مشروع كتاب بعنوان تاريخ بغداد لمحمد شكري الألوسي (توفي 1924م)، قائمة للقبائل العراقية أعدها سيد مهدي القزويني (توفي 1883م)، وكتاب عنوان المجد في تاريخ بغداد والبصرة ونجد (اكتمل عام 1875) لابراهيم فصيح الحيدري، الذي تبين أن مقاطعه ذات الصلة بموضوعنا ما هي إلا تحسين فاشل

(1) بخصوص المسائل التاريخية يحيل العزاوي قراءه إلى كتابه: تاريخ العراق بين احتلالين، الذي صدر منه حتى الآن جزءان.

(2) أصدره أمين بن حسن الحلواني المدني (بومباي 1903م) في حلقات وصلت حتى عام 1831م.

لكتاب القلقشندي عن البدو وتدقيقه العلمي على يد السويدي.

الصفحة 159 ملاحظة رقم 1 سطر 3: من شجرة نسب العزاوي، الجزء الأول ص292، التي طبعت للأسف بطريقة غير ناجحة، لا وجود للثلاثة، إلا أنه يوجد خط جانبي للأسرة اسمه آل عبد الله (نفس المصدر، ص268)، سمي باسم عبد الله بن ماجد بن عبد الله بن هذّال.

الصفحة 159 ملاحظة رقم 1 سطرة 4، 5: الأخوة الثلاثة الأخيرون يؤكدهم عزاوي (ص268 = آل تامر).

الصفحة 158، السطر 6 «سهيل»: يؤكدها عزاوي.

الصفحة 158، السطر 9: بدلاً من جمعة يذكر عزاوي، ص291، انظر 268: جعثين، جد فرع من حبلان يحمل الاسم نفسه.

الصفحة 157 ، المقطع الثالث: جزاع بن مجلاد يقيم الآن دوماً في نجد، عزاوي ص277.

الصفحة 160، السطر 18: حسب العزاوي، ص290، لا يتعلق الأمر بعبد الله المذكور في شجرة النسب (الواردة عندنا) وإنما بحفيد له ذكرناه قبل قليل، وهو عبد الله بن ماجد بن عبد الله.

الصفحة 187: عزاوي، ص278: فرحان بن فهد بن برجس [. . .] بن مشهور.

الصفحة 200، باء 1 حويّك: عزاوي، ص281: حويكم.

الصفحة 202 211أ المشادقة: موزيل، صحراء العرب، ص84، أيضاً "المشاذة"؛ عزاوي، ص287 المشاذجة.

الصفحة 203، III 2: تقرأ السرحان بدلاً من وسرحان).

الصفحة 204، III 4 ل تقرأ العيوينان (بدلاً من عوينان).

الصفحة 208 ملاحظة 12 «لايدا»: عزاوي، ص266: الحيدة.

الصفحة 210 السطر 4 ضع بعد «خليفته»: (بدلاً من6).

الصفحة 212 ملاحظة 46، 48: حسب العزاوي، ص273، يشمل العلي الأفخاذ أ، ب، ز. (الصرمة، الجميزات).

الصفحة 244 ، السطر 4 من الأعلى؛ العزاوي، ص145: قرينس، ص148، قارن ص133: گرينص.

الصفحة 245، السطر 2: أخلاف فاضل يسمون نسبة إلى أبيه آل عمرو، عزاوي، ص143، 167.

الصفحة 245 السطران 3 ـ 4: أخلاف سلطان يسمون آل فهد، عزاوي، ص133، 168 (فهد هو عند العزاوي ليس ابن سلطان وإنما أبوه).

الصفحة 247، الملاحظة 3: أخلاف محمد يسمون آل فارس، عزاوي، ص168 وما يليها. عندما تأخذ الخطوط الرئيسية للعائلة أسماء خاصة بها كما هو الحال هنا مع آل عمشا وآل فرحان، يبقى غالباً اسم الجد الأول ملتصقاً بخط فرعي.

الصفحة 254، (أ، ب) مجرّش: عزاوي، ص184، عجرش.

الصفحة 255 ـ غضوىٰ: عزاوي ، ص185: غديف أبو ألوأ (بالوأ).

256 ـ (ب 1 جـ 2) قتادة: عزاوي، في أماكن متفرقة: چداده.

الصفحة 257 ب3 د1: عزاوي، ص221: الوبير.

الصفحة 258، السطر6: الزيدان هم خط جانبي قديم من آل محمد، عزاوي، ص153، 167 وما يليها.

الصفحة 270، المقطع الأول: لا نجد مكاناً مناسباً لتصنيف شيخ اسمه بهيج، يعتبره السنبس جدهم الأول. في روايات شمر يرد ذكره كصاحب حصن

في وادي عقده (جنوب غرب حايل) وينسب مرة إلى العبيد ومرة أخرى ببساطة إلى الزبيد. انظر مونتانيه.

في مجلة الدراسات الشرقية الجزء الخامس، ص43، 47، 67؛ عزاوي، ص129. من الممكن أن لا يكون بهيج شخصية حقيقية وإنما شخصية روائية مأخوذة من قصص بني هلال أو من قصص مشابهة لها. وقد ذكر مونتانييه، نفس المصدر السابق، ص64، معلومات قيمة عن تأثير هذه القصص على ما يرويه البدو عن أنفسهم وعن تاريخ قبائلهم.

الصفحة 281، المقطع 2: لاحظ مونتابيه، نفس المصدر السابق، ص45، 57:

dentaires qui Veulent pe donner une origine honorable se¦Les Sewi - s
.﴿Zobeid﴾ sentent comme des¦pr

الصفحة 308، جيم: عاصي العلي: يقال إنه قتل في 20 ـ 2 ـ 1939م على يد شيخ شمر سعدون بن الحميدي[1]، الذي أراد بذلك الانتقام لأخيه ضاهر الحميري الذي قتل عام 1921م. وفي هذه الأثناء راح رجل آخر ضحية هذه الثارات هو شيخ شمر فيصل الفرحان (انظر الصفحة 241 أعلاه) الذي قتله العبيد بعد وقت قصير من مقتل عاصي العلي.

الصفحة 422، تعبير عرب الجبل يرد ذكره عند ابن طولون، ص41.

عن الخريطة "مناطق تنقل البدو"

في الخريطة تركنا الأسماء التالية: عزاز، تل عفر، سامرّا، دياله، مكتوبة بالطريقة المألوفة ولكن غير الصحيحة. أما في النص فقد استعملنا الطريقة

(1) انظر الصفحة 241 أعلاه (والملاحظة 3، ص242 أعلاه). كلاهما مذكوران في مشجرة النسب الكبيرة لأسرة شيوخ شمر. أما اسم أبوهما الحميدي فقد سقط سهواً ولم يذكر في النسخة الأصلية، وبالتالي، ولا في المستنسخة أيضاً.

الكلاسيكية: اعزاز، تل أعفر، سامراء، ديالا. بدلاً من كنّسرين إقرأ قنسرين، بدلاً من خن شيخون، إقرأ خان شيخون، بدلاً من سلميّا إقرأ سلميّة، بدلاً من الراق إقرأ الرواق، بدلاً من البُلي إقرأ البُلَيْ، بدلاً من الكعره إقرأ القعرة، بدلاً من وادي هوران إقرأ وادي حوران، بدلاً من إربل إقرأ إربل، بدلاً من العيث إقرأ العيط، بدلاً من خبره (شرح الرموز والاختصارات) إقرأ خبرا.

Schreibweise in Arabisch fast exakt ablesen kann.

Trotzdem erforderte es grosse Aufmerksamkeit bei der Wiedergabe der Namen in Arabisch.

Herr Shubber hat alle Namen und alle von Oppenheim selbst in Arabisch geschriebenen Texten (Dichtungen, Sprüche, Kriegsrufe, usw.) kontrolliert und sich von der Richtigkeit der Wiedergabe überzeugt.

Abschliessend kann man sagen, dass das Buch in bester Form in Arabisch erscheinen wird.

Sprache zu veröffentlichen. Er hat u.a. fogende Arbeiten geleistet.

1.Kontrolle und Übersetzung der vom Autor benutzten Quellen und angeführten Zitate in Fremdsprachen, derjenigen in englicher und arabischer Sprache Selbst, in anderen Sprachen (wie Französisch, Türkisch, Persisch) mit Hilfe von Kennern der jeweiligen Sprache.

2.Hinzufügung von Fussnoten und Kommentaren,

insbesondere in den Bänden II, III und IV, um viele Begriffe zu erläutern und für den arabischen Leser ver-

ständlich zu machen.

3.Korrektur der im Originaltext unzutreffenden Angaben

(die allerdings nur selten vorkommen) durch Fussnoten

mit der Erwähnung der dies bestätigenden Quelle.

Herr Shubber hat ferner eine ausführliche Einleitung geschrieben, die für das Verständnis und die Handhabung des Werkes in arabischer Sprache von grosser Bedeutung ist. Die Einleitung besteht, zusammengefasst, aus folgenden Hauptpunkten:

1)ausführliche Vorstellung des Verfassers und seines Werkes.

2)Erläuterung der hervorragenden Stellung des Werkes unter den anderen Büchern über die Beduinen.

3)Erklärungen zur Handhabung und Verständlichkeit des Werkes, sowie der Zusammenhänge der verschiedenen Stämme. Dafür war besonders die genaue und mühsame Wiedergabe der Karten und Stammbäume erforderlich.

Max Freiherr von Oppenheim hat, wie kein anderer vor ihm (oder nach ihm), eine grosse Leistung vollbracht, in dem er die Namen aller Stämme und ihrer Scheiche, sowie ihrer Wandergebiete in einer Form (in lateinischen Buchstaben) umschrieben hat, dass man davon die richtige Aussprache und

Damaskus. Seit 1987 lebt er wieder in Deutschland. In dieser Zeit hat er sich besonders mit Übersetzungen von der deutschen in die arabische Sprache befasst. Er übersetzte mehrere Sachbücher, darunter:

-Totem und Tabu (Sigmund Freud).(gemeinsam mit

-Bu Ali Yassin)

-Im Anfang war der Wasserstoff (Hoimar v. Ditfurth).

-Abdulla Al-Qassimi: vom Fundamentalisten zum

-Atheisten (Jürgen Wasella).

Seit 1990 übersetzte er Publikationen des Bundespresseamtes der Bundesregierung in arabischer Sprache, vor allem:

-die zweimonatige Zeitschrift "Deutschland".

-das jährlich erscheinende Buch "Tatsachen über

-Deutschland"

-andere Publikationen der Bundesregierung und des

-Auswärtigen Amtes (in den 90er Jahren).

3.Majed N. Shubber (Schriftsteller und Forscher aus dem Irak, lebt in London). Herr Shubber hat mehrere Bücher in arabischer Sprache veröffentlicht, u.a.

-Volksdichtung im Irak.

-die irakische Volksmusik (Folklore).

-Volkserzählungen im Irak.

-die Revolution des 14.Juli und ihre sozialen

-Auswirkungen

Er ist der Fachmann für die Folklore und volkstümliche Literatur, vor allem bei den Beduinen. Seit 20 Jahren beschäftigt er sich intensiv mit ihrer Geschichte, Abstammung, Lebensweise, usw. Die Tatsache, dass er als eine Kapazität auf diesem Gebiet gilt, hat entscheidend dazu beigetragen, dass der arabische Verlag es wagte, dieses grosse Werk in arabischer

Kurzgefasste Vorstellung des Buches, seiner Übersetzung und wissenschaftlicher Bearbeitung sowie seiner Übersetzer in die arabische Sprache

Keine Beschreibung des Buches wäre treffender als die seines Verfassers selbst. Im Vorwort des 1.Bandes schreibt Max Freiherr von Oppenheim: "Das vorliegende Buch "die Beduinen" stellt das Ergebnis vierzigjähriger Arbeiten und persöhnlicher Aufnahmen an Ort und Stelle dar". Und selten hat sich jemand mit dem Orient beschäftigt wie Oppenheim. Jahrzehntelang verbrachte er in der Region und sammelte an Ort und Stelle Material und Erfahrungen für seine Bücher, vor allem für "die Beduinen". Trotzdem wurde sein einmaliges Werk in die arabische Sprache bislang nicht übersetzt.

An der Übersetzung, Kontrolle und wissenschaftlicher Bearbeitung des Werkes beteiligten sich mehrere Personen, die sowohl in der Übersetzung als auch im Verständnis beider Kulturen (der arabischen und der westlichen bzw. deutschen) langjährige Erfahrungen haben. Von diesen Personen sind vor allem folgende hervorzuheben:

1.Michel Kilo (übersetzte Band I gemeinsam mit M.Kabibo), syrischer Journalist, lebt in Damaskus (Syrien). Herr Kilo studierte in den 60er Jahren an den Universitäten Kairo und Münster (Westfalen) politische Wissenschaften, sowie Journalismus an der Universität München.

2.Mahmoud Kabibo (übersetzte Band II, III und IV und teilweise Band I). Herr Kabibo studierte an der Rheinischen Friedrich-Wilhelms-Universität Bonn (1963 - 1968) Volkswirtschaft. 1969-1987 arbeitete er in Syrien und übersetzte Studien, Presseberichte usw. für verschiedene Zwecke und Stellen u.a. für die Botschaft der Bundesrepublik Deutschland in

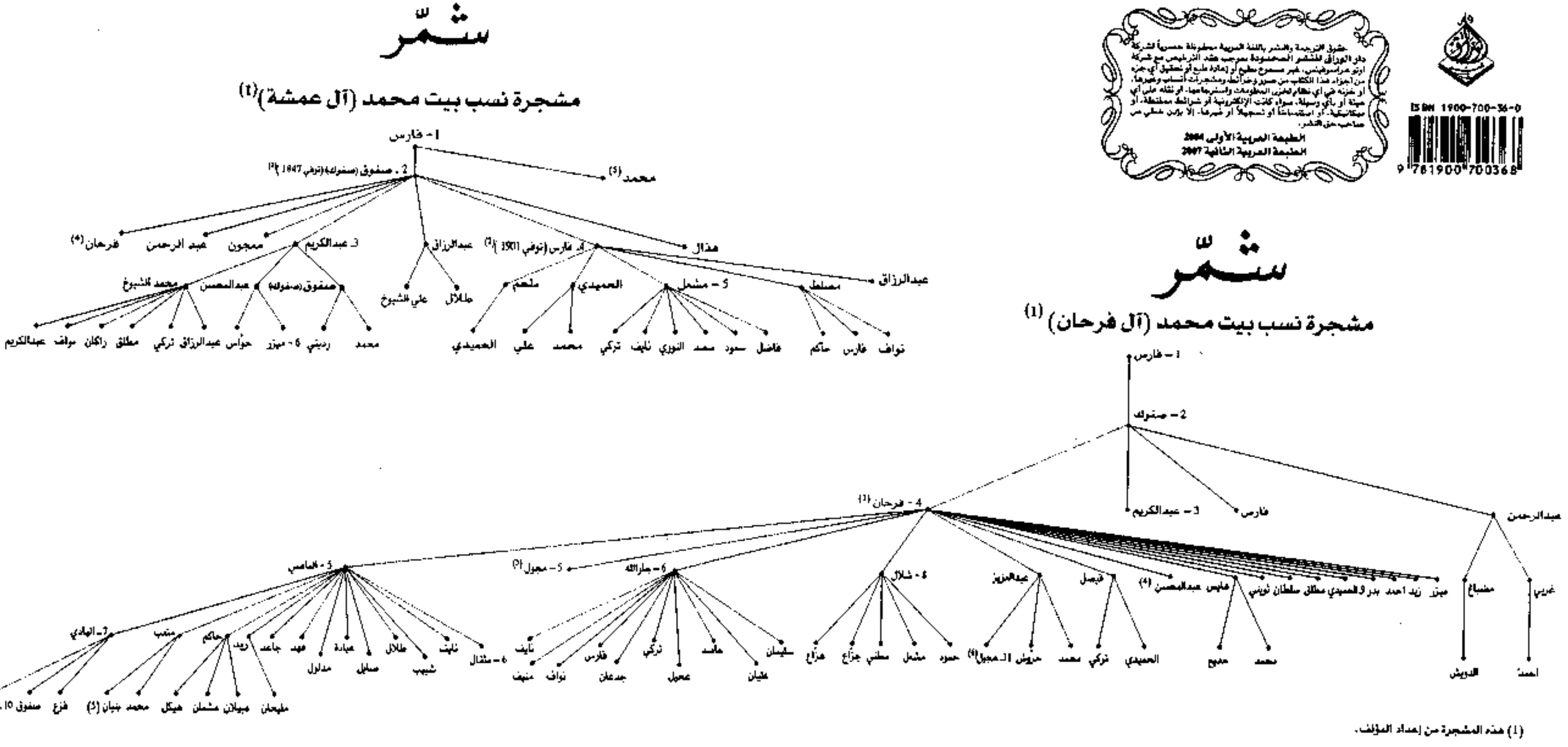


في خيمة سطام بن شعلان. المؤلف في وسط الصوره (1899م)

مسلط باشا مع عائلته ، شيخ مشايخ الجبور (1929م)

هجر ابو وتد (في الوسط) شيخ فداغة - شمّر (١٩١١م)

سباهل - الولدة (١٩١١م)



الطبعة العربية الأولى 2004
الطبعة العربية الثانية 2007
ISBN 1900-700-36-0
9 781900 700368

الفهرس الجزء الأول

القسم الأول

بلاد ما بين النهرين «العراق الشمالي»

القسم الثاني

سورية

البدو

الجزء الثاني

فلسطين - سيناء - الأردن - الحجاز

تأليف

ماكس فرايهير فون أوبنهايم

آرش برونيلش و فرنر كاسكل

ترجمة : محمود كبيبو

تحقيق وتقديم ماجد شبّر

شركة دار الوراق للنشر المحدودة

المملكة المتحدة - لندن

الطبعة العربية الأولى

لشركة دار الوراق للنشر المحدودة ـ المملكة المتحدة
First edition Published in Arabic by Al Warrak publishing Ltd. UK in 2004
ISBN (Volume two) 1 900 700 41 7

الطبعة العربية الثانية 2007

التـوزيـع

Al Warrak publishing Ltd.
56 Gloucester Road
Suite 500
London SW7 4UB -UK
Tell. 00 44 208 723 2775
Fax. 00 44 207 281 9213
www.alwarrakbooks.com
e-mail: warraklondon@hotmail.com

الفرات للنشر والتوزيع
ص. ب 6435 ـ 113 بيروت ـ لبنان
هاتف: 750054 - 1 - 961
فاكس: 750053 - 1 - 961
e-mail: Info@alfurat.com

البَدْوُ

Max Freiherr von Oppenheim

Die Beduinen

Unter Mitarbeitung von

Erich Bräunlich und Werner Caskel

Band II

Die Beduinenstämme in

Palastina, Sinai, Trans Jordanien, Hedjaz

OTTO HARRASSOWITZ
1943 Leipzig

First edition Published in Arabic by Al Warrak publishing Ltd. UK in 2004
Second edition 2007

The Publication of this work was supported by a grant from the Goethe-Institut Inter nationes

ساهمت مؤسسة غوتا ـ إنترناسيونس مشكورة في بعض تكاليف هذه الترجمة

ISBN (Volume two) 1 900 700 41 7

المساهمون في الجزء الثاني

* تحقيق ومراجعة وتدقيق: ماجد شبّر.
* ترجمة: محمود كبيبو.
* مراجعة القسم الأول والثاني: إبراهيم الحيدري.
* التصحيح اللغوي: عبد الحسن دهيني - عبد الرزاق الدجيلي.
* التنضيد والصف والإخراج: زهرين - بيروت.
* المتابعة والإشراف: ماجد شبّر.
* إعداد وتصميم بعض مشجرات القبائل: ماجد شبّر.

الفهرس

القسم الأول

فلسطين

القسم الثاني
سيناء

القسم الثالث
شرق الأردن

القسم الرابع

الحجاز

مدخل

تحدثت في الجزء الأول (ص 51 ـ 74) من هذا الكتاب بالتفصيل عن نشوء وتطور كتاب البدو. ولذلك لن أضيف هنا سوى القليل إلى ما كتبت:

خلال إقامتي في القاهرة كعضو في ممثليتنا الدبلوماسية هناك جمعت أخباراً ومعلومات عن القبائل البدوية في فلسطين وشرقي الأردن وسيناء والحجاز التي ستعالج في هذا الجزء، ثم تابعت توسيعها وتطويرها خلال قيامي بالتنقيب في تل حلف وخاصة خلال الحرب العالمية. وبعد الحرب أيضاً تمكنت من الحصول على المزيد من المعلومات والحقائق بواسطة سكرتيري العربي الواسع الخبرة إلياس معلوف وبمساعدة أبناء القبائل، وخاصة قبائل الحجاز، الذين قدمهم لي في دمشق صديقي محمد بن بسام. وأنا مدين بالشكر في الحصول على كثير من التفاصيل الهامة في هذا الجزء أيضاً لصديقي الوفي الأمير شكيب أرسلان.

إلا أنه بدا من الضروري تجديد المعلومات المسجلة عن عدد من القبائل أو استكمالها. في هذا الصدد أنا مدين بشكل خاص بالشكر الجزيل للسيد عمر صالح البرغوثي، وهو محام في القدس دلني عليه السيد البروفسور برونيلش الذي كان قد تعرف عليه خلال رحلة في فلسطين. في عام 1929م تحدثت بالتفصيل مع السيد برغوثي عن مستلزمات كتابنا عن البدو فأرسل لي أحدث البيانات اللازمة لجداولنا وبعض المعلومات عن تاريخ القبائل المذكورة بالإضافة إلى مجموعة من الصور

المنشورة في هذا الجزء[1]. جميع المواد الجديدة عن فلسطين والجزء الأكبر من المواد المتعلقة بشرقي الأردن حصلت عليها منه. والسيد البرغوثي باحث بارز يعرف تاريخ بلده جيداً ولقد كتب عنه دراسات علمية مختلفة، نذكر منها على سبيل المثال: Traces of the Feudal System in Palestine و Judical Courts among the Bedouin of Palestine وكلاهما منشور في: Journal of the Palestine Oriental Society. بالإضافة إلى: تاريخ فلسطين، القدس 1923م.

ويعود الفضل في تعميق المواد علمياً، وخاصة من الناحية التاريخية، للسيد البروفسور برونيلش والدكتور كاسكل. إلاَّ أن البروفسور برونيلش لم يستطيع المشاركة في العمل إلاَّ في المرحلة الأولى لأنه منذ بداية الحرب يقف في ساحة المعركة وهو الآن برتبة رائد. وأنا أغتنم هذه المناسبة لأعبر لهذين السيدين، وخاصة للسيد الدكتور كاسكل، مرة أخرى عن جزيل شكري وامتناني.

وفيما يتعلق بهذا الجزء أيضاً أود لفت انتباه القارئ إلى ما ذكرته من معلومات عن "طبيعة البدو" (الجزء الأول، ص 75 ـ 93). ولا يغير في الأمر شيئاً أن يكون جزء كبير منهم قد استقر الآن كلياً أو جزئياً، وذلك لأن روح البداوة القديمة ما زالت حية فيهم جميعاً ـ على عكس المدنيين أو الفلاحين العرب الذين لا ينحدرون من قبائل بدوية قديمة. وتجدر الإشارة إلى أن القبائل المعالجة في هذا الجزء، كما على سبيل المثال في جنوبي فلسطين وفي شبه جزيرة سيناء وشرقي الأردن، يوجد لديها ظواهر محلية خاصة بها، منها الإيمان، المنتشر على نطاق واسع بالمزارات والقبور والأشجار. وسوف أتحدث في (الجزء الخامس)[*] من هذا الكتاب عن هذه الظواهر.

من أجل فهم الأحداث خلال الحرب وفهم الظروف الناجمة عنها، وبصورة

(1) صورة الملك علي بن الحسين تكرمت بتقديمها لي الآنسة ليلي مولتان، برلين.

(*) لم يصدر من الكتاب سوى أربعة أجزاء فقط. وقد احترقت أقسام من الكتاب أثناء الحرب العالمية الثانية (ماجد شبَّر).

عامة من أجل فهم شؤون القبائل البدوية في الحجاز، كان من اللازم أن نتحدث ببعض التفصيل عن تاريخ أحفاد النبي محمد، ليس فقط في الأزمنة القديمة وإنما أيضاً في القرن الحالي.

وكما ذكرت في مقدمة الجزء الأول: «نشوء وتطور كتاب البدو» ص 56، قضيت خلال الحرب العالمية وقتاً طويلاً في تركيا لأنني نُقِلت إلى السفارة الألمانية في القسطنطينية. ولقد أتيحت لي الفرصة هنا لأن أتدخل في المفاوضات التي جرت في ربيع عام 1915 بين الحكومة التركية والأمير فيصل، الابن الثالث والأهم بين أولاد الشريف حسين الكبير، الذي أرسله أبوه إلى اسطنبول لتسوية بعض المصاعب البادئة بالظهور. كما أتيحت لي الفرصة أيضاً لأن أطلع على الصعوبات والمشاكل القائمة بين الأتراك والعرب وذلك من خلال مرافقتي جمال باشا في رحلة إلى حلب وعين صوفر ودمشق والقدس دامت عدة أشهر. وسأشير إلى هذه الرحلة في الفصول اللاحقة من هذا الكتاب بالخطوط العريضة على الأقل.

الجزء الثاني

القسم الأول: فلسطين

مقدمة: قسم فلسطين

منذ الحرب العالمية تعودنا على أن فلسطين لم تعد تعني كامل أرض الميعاد وإنما فقط الضفة الغربية للأردن، ونحن سنستعمل الكلمة بهذا المعنى حصراً.

فلسطين منطقة جبلية يقسمها انهدام عميق وتصعد بهدوء من البحر نحو الأعلى ثم تنحدر فجأة نحو الشرق باتجاه وادي الأردن. إلى الشمال من الانهدام تقع منطقة جبلية، تنحدر نحو الجنوب على شكل مدارج، هي منطقة الجليل القديمة التي تتصل بواسطة ممر مع السهول المرتفعة الواقعة بين لبنان والحرمون (مرجعيون). وتتألف هذه المنطقة من الجليل الأعلى وفيه مدينة صفد العالية والجليل الأدنى حول مدينة الناصرة. ويفصل هاتين المنطقتين عن بعضهما سهل البطوف.

يتشكل الانهدام (الوادي) بواسطة سهل يسريل (مرج ابن عامر) الذي يمتد من جهة إلى ثابور Thabor في جبال الجليل ومن جهة إلى جنين في جبال السامرة، ويتصل في الغرب مع السهول الساحلية وفي الشرق مع وادي الأردن بواسطة تل بيسان.

يحد السامرة، وهي منطقة هضبية تتخللها وديان خصبة، من الشمال الغربي جبل الكرمل ومن الشمال الشرقي جبال جلبوع Gilboa؛ في الجنوب لا يوجد حدود طبيعية بينها وبين يهودا(*) Judäa. ويطلق العرب على السامرة اسم جبل

(*) يهودا هي جزء من منطقة الضفة الغربية حيث تقسم الكتابات الإسرائيلية منطقة الضفة=

نابلس أو جبل النار بسبب الثورات التي تندلع مراراً وتكراراً في هذه المنطقة منذ العصور الوسطى.

وبينما تتحول جبال الجليل والسامرة إلى سلاسل عرضانية تتجمع في يهودا على شكل ظهر ضيق تقع على قمته القدس والخليل. ويشكل سقفها الشرقي صحراء يهودا(*)، "وهي منطقة مرتفعة قليلة الأمطار، وبالتالي قاحلة، تتخللها وديان عميقة وتنتهي بجدار شديد الانحدار نحو البحر الميت وسهل الأردن لا يمكن صعوده إلا من مواقع قليلة" (دالمان). وتتألف منطقة يهودا المرتفعة من جبل القدس وجبل الخليل.

المنطقة الحدودية من جهة سيناء منطقة سهلية مرتفعة تصعد من بئر السبع شيئاً فشيئاً نحو الجنوب والشرق حتى ارتفاع جبل المقراه ثم تنحدر من هنا بقوة إلى صحراء التيه ووادي العربة، الامتداد الجنوبي للبحر الميت. وفي الغرب تنتهي الأراضي إلى صحراء تغطيها الرمال من جهة البحر وفي الداخل أيضاً. ويبدو واضحاً هنا تشكل الصحراء خلال عصور متأخرة. فهناك العديد من المواقع الأثرية وبقايا حضارات قديمة تدل على أن هذه الأراضي كانت في يوم من الأيام شديدة الخصوبة. ويشكل وادي العريش الحدود الطبيعية، لكن الحدود الفعلية تمر إلى الشمال من رفح عبر منطقة عين قديس الغنية بالينابيع وتتجه إلى الذروة الشمالية لخليج العقبة.

تضيق السهول الساحلية شيئاً فشيئاً كلما اتجهنا نحو الشمال، إذ يبلغ عرضها عند غزة 25 كيلومتراً بينما يتراوح بين 5 و10 كيلومتر عند عكا. وفي موقعين تتقدم الجبال حتى البحر، على الكرمل عند حيفا وعلى رأس الناقورة إلى الشمال من عكا

الغربية إلى يهودا والسامرة. يهودا هي المنطقة المحدودة بين جنوب شرق القدس وإلى منطقة الخليل وشمال النقب. (ماجد شبّر).

(*) صحراء يهودا: حسب التعبير الإسرائيلي هي المنطقة الصحراوية التي تمتد من شرق القدس حتى البحر الميت ومن البحر الميت حتى جبال الخليل. (ماجد شبّر).

حيث تبدأ منطقة الانتداب الفرنسي. ويخترق السهول الساحلية عدد من المجاري المائية أبعدها في الجنوب وادي غزة القادم من منطقة بئر السبع وأغزرها نهر العوجا إلى الشمال من يافا. وبين هذين النهرين يجري نهر روبين الذي يصب في البحر إلى الشمال من يمنية (يبنا). عبر مجراه الأعلى، ووادي الصرار، الذي لا تجري فيه المياه بصورة دائمة، يمر خط القطار المؤدي إلى القدس. ومن بين الجداول المائية الواقعة شمال العوجا نذكر فقط وادي الحوارث القادم من منطقة طولكرم. السهول الساحلية صالحة للزراعة ما لم تكن تغطيها الرمال أو المستنقعات. وفي الآونة الأخيرة استوطن الصهاينة في الجزء الواقع شمال العوجا كما اشتروا أيضاً الأراضي الواقعة على خليج عكا.

يُقسم نهر الأردن بواسطة البحيرات التي يمر فيها إلى ثلاثة مقاطع. يمر مجراه الأعلى عبر أرض الحولة المستنقعية وبحيرة الحولة التي تسمى أيضاً بحر الخيط بعد أرض الخيط الواقعة جنوبها. والمجرى الأوسط بين بحيرة الحولة وبحيرة طبرية شديد الانحدار وأهم معبر في هذا المقطع جسر بنات يعقوب. وقبل دخول نهر الأردن في بحيرة طبرية ينفتح على يساره سهل البطيحة الصغير الذي تعرفنا على سكانه، التلاّويّة، في القسم السابق. والبحيرة محاطة بجبال عالية تنحسر فقط شمال طبرية فاسحة المجال لتشكل سهل الغوير. وعند مخرج النهر من البحيرة يبدأ غور الأردن الذي يصل حتى البحر الميت. يتراوح عرض الغورين 4 و20 كيلو متراً وينخفض عند أريحا إلى حوالى 390 متراً تحت سطح البحر. وفي هذا المنخفض ينقطع وادي الأردن الحقيقي البالغ عرضه كيلو متر واحد عدة مرات. إذ يصب في الأردن قادماً من الغرب نهر جالود عند بيسان، ووادي فارعة، ووادي العوجا، وسواقي أريحا. أمّا المعابر الرئيسية لنهر الأردن إلى الجنوب من بحيرة طبرية فهي: جسر المجامع، الدامية، وجسر اللنبي عند أريحا. ويحمل وادي الأردن في مقاطع مختلفة أسماء مختلفة. فهو يسمى جنوب بحيرة طبرية غور بيسان، وعند أريحا غور سيسبان. وكان الغور بكامله في العصور الوسطى العربية مزروعاً وعامراً، أمّا اليوم فلم يعد يُزرع على مساحات متصلة إلا من بحيرة طبرية حتى مصب اليرموك،

إلى الجنوب من ذلك وفي نقاط متفرقة فقط. وإلى الجنوب من البحر الميت يتابع غور الأردن سيره في وادي العربة الصحراوي إلى خليج العقبة.

لم تكن فلسطين أبداً بلداً بدوياً بالمعنى الحقيقي للكلمة. ففي الجبال كان السكان المستقرون على الدوام هم المسيطرون، فقط في السهول كان البدو يحتلونها في الأوقات التي تضعف فيها سلطة الحكومة، وخاصة سهل يسريل (مرج ابن عامر) الذي كان منذ القدم يجذب البدو الذين يعيشون على الجانب الآخر من نهر الأردن. يشذ عن ذلك جنوبي البلاد حيث كانت الحدود بين منطقة البدو والمناطق الزراعية تتغير دائماً بسبب مجاورتها للصحراء.

بسبب موقع فلسطين كمعبر بين آسيا وإفريقيا تتمتع طرقها بأهمية خاصة. وكان أهم هذه الطرق في الماضي "طريق ماريس" «Via Maris» التي تأتي من دمشق وتعبر نهر الأردن عند جسر بنات يعقوب وتصل إلى سهل مرج ابن عامر مارة قرب الخانات التي تعود إلى العصر المملوكي: جب يوسف، ومنية، وخان التجار. وعلى مقربة من لجون تدخل مرة أخرى في الجبال ثم تسير بعد ذلك موازية للشاطئ عبر قلنسوة واللد والرملة إلى غزة ثم إلى العريش. وهناك طريق قديمة ثانية تأتي من دمشق أيضاً وتعبر نهر الأردن جنوبي بحيرة طبرية عند جسر المجامع؛ تمر قرب بيسان وجنين ثم تصل بعد ذلك عبر نابلس إلى القدس والخليل. أمّا في الجنوب فتشكل بئر السبع أهم عقدة مواصلات؛ من هنا تتجه عدة طرق إلى سيناء وشبه الجزيرة العربية. وهناك طريق كانت في الماضي مطروقة كثيراً لأغراض التجارة والترحال هي طريق غزة البتراء.

بعد ما ذكرناه أعلاه يصبح مفهوماً أن البدو لعبوا في تاريخ فلسطين دوراً أضعف من دورهم في المناطق الأخرى المجاورة لشبه الجزيرة العربية. وبالنسبة للعصر القديم يظهر هذا واضحاً في التوراة حيث لا يرد ذكر البدو إلاّ كجيران بعيدين لإسرائيل.

كان الإسرائيليون محميين من القبائل البدوية الشرقية بواسطة الشعوب

المستقرة في شرقي الأردن وهي الأمونيون والمؤابيون والإدوميون. إلا أن هذا السد كان يخترق في بعض الأحيان. ففي الفصول 6 ـ 8 من كتاب القضاة يصف إحدى الهجمات البدوية النموذجية على المنطقة: كان المدينيون والأملكيون و"أبناء الشرق"[1] يعبرون نهر الأردن في أعوام متتالية ويفلتون جمالهم في الحقول الزراعية ثم يعودون إلى الصحراء، إلى أن ألحق بهم جدعون في سهل يسريل هزيمة نكراء بأن قام بإغلاق طريق عودتهم عبر نهر الأردن. أمّا في جنوب فلسطين فلم تكن هناك حدود ثقافية أو قومية ضد سكان سيناء. إذ إنهم لم يكونوا يشكلون خطراً على إسرائيل لأنهم كانوا نصف رُحل ولم يكونوا مضطرين إلى البحث في أعوام القحط والجوع عن مراعٍ لقطعانهم في المناطق الزراعية.

في العهد الإغريقي والروماني كانت الحدود الحضرية في شرقي الأردن قد تقدمت بعيداً نحو الشرق بحيث إن فلسطين لم يعد لها أي تماس مباشر مع البدو. أمّا في العهد البيزنطي فقد تراجعت الحدود مرة أخرى في الجنوب كما في الشرق بحيث أصبح شرقي الأردن في القرن الخامس الميلادي مليئاً بالقبائل البدوية التي كانت مواطنها في شمال الحجاز، في مدين القديمة. وكانت التجمعات القبلية الكبيرة تسمى: عاملة، وجذام، ولخم، وهي تجمعات نسبت جميعها في وقت لاحق إلى عرب الجنوب. وفي القرن نفسه تسرب بعض البدو إلى فلسطين ذاتها. فشكلوا في مخيمات في صحراء يودا مستوطنات مسيحية لكن هذه المستوطنات أخليت في بداية القرن السادس نتيجة تعرضها لهجمات بدو غرباء. وفي المدن أيضاً كان يوجد عرب. إذ إن تميم الداري وهو أحد الصحابة المعروفين ومن قبيلة لخم كان من مواليد الخليل حيث كان أحفاده يتولون في وقت لاحق خدمة المقام الإبراهيمي.

بدأ الفتح الإسلامي لفلسطين في عام 13هـ/ 634م. وقام قائد الجيش عمرو بن العاص بتنفيذ عملياته انطلاقاً من أيله حيث تقدم في بادئ الأمر على امتداد وادي

(1) هذه الأسماء تعني هنا الأقوام البدوية حصراً.

عربة حتى نبع الغمر. ومن هنا تقدم نحو الشمال الغربي إلى السهل الواقع بين القدس والساحل. وبعد أن تلقى دعماً من الجيش الأكبر الموجود في شرقي الأردن والمكلف بمهاجمة دمشق سلّم قيادة الجيش لخالد بن الوليد الذي حقق في معركة اليرموك (بين القدس وغزة) نصراً حاسماً. على إثر ذلك انسحب الجيش البيزنطي من فلسطين ورجع إلى ما وراء نهر الأردن. لكن المسلمين تبعوه عبر وادي بيسان وعبروا الوادي على الرغم من أنه كان غير صالح للعبور بسبب غمره بالمياه نتيجة تفجير السدود. ثم هاجموا الجيش البيزنطي عند فحل على الجانب الآخر لنهر الأردن وأجبروه على متابعة انسحابه إلى دمشق. لم يفتح المسلمون مدن فلسطين إلاّ بعد أعوام من معركة نهر اليرموك (636م) التي حسمت مصير سورية بكاملها.

قام المسلمون بتقسيم فلسطين إلى منطقتين عسكريتين هما: جند فلسطين وجند الأردن. كانت المنطقة الأولى تضم يهوذا والسامرة وعاصمتها الرملة التي أسسها العرب، والمنطقة الثانية تضم الجليل وسهل يسريل (مرج ابن عامر) وعاصمتها طبرية.

وكما في جميع المناطق المفتوحة كان الجيش في فلسطين أيضاً يشكل الكتلة الأساسية للسكان العرب الجدد. وكانت القوات الموجودة هنا تتألف بمعظمها من أبناء القبائل الموجودة في شرقي الأردن الذين كان بعضهم يقاتلون في الأصل على الجانب المسيحي. ثم قام هؤلاء بجلب الجزء الأكبر من أبناء قبائلهم شيئاً فشيئاً إلى المنطقة. واستوطن العاملة في الجليل الأعلى وفي الجبل الواقع إلى الشمال منه والذي يحمل اسم جبل عامل تكنياً بهم، واستوطن الجذام في الجليل الأدنى وبمجموعات صغيرة في الجنوب. أمّا لخم فقد تقدموا من عربة إلى غزة واحتلوا السهول الساحلية من جهة الشمال ومن جهة الجنوب حتى مصر. وبينما حافظ لخم إلى حد ما على حياتهم البدوية فإن القبيلتين الأخريين تخلتا عن حياة البداوة وأصبحتا مستقرتين. بالإضافة إلى هذه القبائل المستوطنة في المناطق المجاورة لفلسطين جلب الإسلام إلى فلسطين بدواً كانوا يقيمون في مناطق بعيدة عنها، ومنهم على سبيل المثال أبناء تجمعات قيسية. وفي وقت مبكر جاء أيضاً الطائيون

عبر وادي عربة؛ وكانوا ينتمون إلى قبائل سنبس، ودرما، وزريق، وجرم.

نتيجة اختلاط القبائل وبسبب القرب من عاصمة المملكة دمشق انتقلت الصراعات على السلطة عام 664م والتناقضات التي نجمت عنها بين كلب وقيس، عرب الجنوب وعرب الشمال، على الغور إلى فلسطين (انظر الجزء الأول، ص 335 وما بعدها و412 وما بعدها). وظلت الكراهية المتبادلة قائمة حتى بعد زوال أسبابها المباشرة؛ وكما في سورية حدثت في فلسطين أيضاً ثورات سفيانية. ففي عام 227هـ/ 841م ـ 842م ثار أبو حرب في دور السفياني ضد العباسيين. وظلت ذكرى هذه الأحداث ماثلة في أذهان الكعابنة في الخليل. وما زال التناقض قيسي ـ يمني باقياً حتى اليوم في كثير من المناطق والقبائل البدوية في فلسطين.

بعد سقوط الحكم الأموي عام 750م ونقل عاصمة الدولة إلى بغداد عاد النفوذ القديم الذي كان لمصر على فلسطين. فمنذ النصف الثاني من القرن التاسع أصبحت فلسطين تحكم غالباً من حكام مصر شبه المستقلين. ولذلك قام الفاطميون بعد احتلال القاهرة (969م) مباشرة باحتلال فلسطين. وقد اصطدموا هنا ليس فقط بأنصار الحكم القديم، الذين كانوا يلتفون حول المطالبين بالسلطة من أمثال التركي ألفتكين «ألفتكن»والحمداني أبي تغلب، وإنما أيضاً بالقرامطة. وكان القرامطة قد دعموا في الأصل تقدم الفاطميين من تونس نحو الشرق عن طريق القيام بغارات في سورية. لكنهم غيّروا موقفهم بعدما سقطت القاهرة في يد حلفائهم وقاموا بحملتين في فلسطين ضد مصر (970م و973م). وفي عام 978م/ 979م جاء القرامطة لآخر مرة إلى فلسطين لكنهم هزموا وعادوا إلى شبه الجزيرة العربية بعد الحصول على مبلغ سنوي.

أدى ظهور القرامطة إلى تنشيط القبائل البدوية في فلسطين. وبرزت على رأس هذه القبائل عائلة ابن الجراح من طي. وكانت هذه العائلة تقف في الأصل مع القرامطة لكنها انتقلت إلى الفاطميين في الوقت المناسب. لا بل إن مفرج بن دغفل ابن الجراح (توفي 1013م/ 1014م) وابنه حسن حاولا إقامة إمارة خاصة بهما في جنوب فلسطين. إلا أن الحكومة الفاطمية نجحت في إفشال هذه المحاولات

المتكررة واعتمدت في محاربتها لها على القيسيين الذين كانوا ضد طي باعتبارها من اليمنيين (انظر الجزء الأول، ص 417 و498 وما بعدها). ومن أجل إضعاف العنصر البدوي قامت الحكومة في عام 1050م بترحيل الجزء الأكبر من السنبس إلى مصر. وأن يتجرأ البدو آنذاك أيضاً، وحتى قرب العاصمة الرملة، على القيام ببعض أعمال السطو والنهب فهذا ما يثبته هجومهم قرب الرملة على أربعة أساقفة ألمان كانوا عام 1065م على طريق الحج إلى القدس.

وبينما كان الحكم الفاطمي قد جلب الأمن والهدوء للبلاد، وإن كان بمقدار محدود فقط، فقد سادت مع مجيء السلاجقة (منذ 1071م) أوضاع مضطربة في فلسطين. ونتيجة صراعات بين الأمراء السلاجقة عادت القدس عام 1098م إلى سلطة الفاطميين، وفي 15 يوليو/تموز 1099م استولى عليها الصليبيون. وأدت الفترة السلجوقية القصيرة إلى مجيء مهاجرين غير عرب إلى فلسطين هم التركمان. وإذا ما كانت تلك الموجة من المهاجرين التركمان لم تصمد أمام الحكم الصليبي فقد تبعتها في وقت لاحق موجات أخرى حافظت على نفسها حتى اليوم. وسوف نتحدث عن ذلك بشكل أكثر تفصيلاً في الجزء الرابع.

تحت الحكم الصليبي اختفت، على ما يبدو، الحياة القبلية في فلسطين الأصلية كلياً. وقد تحالف بدو جنوب البلاد، ومنهم الدرما والزريق، جزئياً مع الفرنجة. ولذلك نقلهم صلاح الدين إلى مصر. وبعد معركة حطين (1187م) واستيلاء صلاح الدين على فلسطين كلها، باستثناء بعض المدن الساحلية، أعيد تقسيم البلاد على أسس جديدة مما أدى إلى حدوث انزياح كامل في الصورة السكانية. وينعكس هذا التغير، حسبما يقول برغوثي مصيباً في كتابه عن تاريخ فلسطين، في تقسيم البلاد إلى مديريات أو أقاليم تقسيماً لم يزل قائماً حتى اليوم. ويسمى عدد كبير من هذه الأقاليم باسم قبيلة أو عائلة، ، من مثل: بني مالك، بني حارث، بني زيد، بني سالم عند القدس، بني عمير عند الرملة، بني صعب عند نابلس، بني حارثة عند جنين واللجون. للأسف ليس معروفاً أصل هذه العائلات إلا في حالات قليلة: يعتقد أن بني حارث جاؤوا من وادي موسى (البترا)، وأن بني

حارثة هم سنبس (طي) وكذلك بني عمير، من جرم.

تابع أوائل حكام مصر من المماليك الإجراءات التي بدأها صلاح الدين: بعد احتلال آخر المدن التي كانت لما تزل في يد الصليبيين أجروا تقسيمات إدارية جديدة. فشكل الجليل محافظة صفد، وألحق الجنوب بكامله في بادئ الأمر بدمشق لكنه رفع بعد ذلك إلى درجة محافظة مستقلة، محافظة غزة، بعد فصل القدس عنها. وكما في سورية تشكلت خلال العهد المملوكي في فلسطين أيضاً مناطق تحكمها عائلات نبيلة كانت متعادية فيما بينها مما تسبب في حدوث اضطرابات دائمة. وفي هذا الإطار رفع مرة أخرى شعار التناقض قيسي ـ يمني. وبالمقارنة مع هذه العناصر الإقطاعية لعب البدو دوراً ثانوياً، في الشمال على الأقل. أمّا في الجنوب فكان على الحكومة أن تحسب لهم حساباً وخاصة لقبيلة جرم (الجرامنة) القوية التي كانت تقيم قرب القدس.

بعد انتقال السلطة إلى العثمانيين (1516م) حدث انزياح للقوى بين بدو فلسطين. إذ فقد الجرم أهميتهم السياسية؛ ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنهم ظلوا عند احتلال فلسطين موالين للحكومة السابقة. وأصبح بنو حارثة، الذين أعلنوا فوراً ولاءهم للمنتصرين، أهم قبيلة في فلسطين. ومنح أمراء حارثة الأراضي المقيمين فيها ملكاً متوارثاً تحت اسم سنجق اللجّون. ووفرت الرسوم الجمركية على الطرق في اللجّون وجنين دخلاً كبيراً. أمّا في الجنوب فقد استمرت الحركة الجارية هناك منذ زمن طويل والتي أدت إلى مجيء قبيلتا السوالمة وعايد من مصر إلى ساحل فلسطين. وفي الوقت نفسه وصلت طلائع بدو بئر السبع الحاليين بهيئة بني عطية. وجميع هذه القبائل انجرت إلى النزاع الذي نشب عام 1520م بين أقوى رجلين في المناطق العثمانية الجديدة، وهما جان بردي غزالي حاكم دمشق وخاير بك حاكم القاهرة. لكن الصراع لم يصل إلى درجة الحرب المكشوفة لأن جان بردي الذي كان يراهن على عودة الحكم المملوكي عزل في العام التالي.

وضع السلطان سليم فلسطين وكامل جنوب سورية تحت سلطة حاكم دمشق ولكن نطاق حكم الباشا الموجود هناك قُلص في وقت لاحق. إذ ضم شمال

فلسطين إلى باشاوية صيدا المشكلة حديثاً ووزع جنوب فلسطين بين سنجق غزة وسنجق القدس (وفي وقت لاحق سنجق نابلس أيضاً) وعومل من الناحية الإدارية معاملة مختلفة.

في بداية القرن السابع عشر مد الأمير الدرزي فخر الدين سلطته إلى فلسطين لكنه واجه هناك مقاومة من الأمير أحمد بن طرباي من بني حارثة. وعندما أرسلت الحكومة عام 1613م قوة عسكرية لمحاربة فخر الدين اشترك أحمد في العمليات العسكرية وساهم أيضاً في إسقاط الأمير الدرزي عام 1633م. أدى هذا الحدث إلى حدوث انزياحات بين بدو حوران (انظر الجزء الأول ص 419) انتقلت إلى فلسطين حيث هاجرت قبيلة صقر إلى الجليل، وحلت هنا في القرن الثامن عشر محل بني حارثة. وفي جنوب فلسطين ظهر في القرن السابع عشر مجمع بدوي جديد هو مجمع الأحيدات المنحدر من بني عطية والقادم من شرقي الأردن.

في فلسطين النائية بدأت سيطرة النظام الإقطاعي على الإدارة في وقت أبكر من بقية أجزاء الإمبراطورية العثمانية. ففي سبعينات القرن السادس عشر تشكلت في غزة أسرة موظفين حكمت نحو 100 عام. وكان مؤسسها أحمد بك رضوان أوغلو الذي كان أبوه وجده قد توليا إدارة غزة لفترة مؤقتة. وفي القرن الثامن عشر كانت صيدا فترة طويلة من الزمن في يد عائلة العظم (انظر الجزء الأول، ص 418 و419 وما بعدها). وفي الوقت نفسه وصل تعسف النبلاء إلى ذروته في المناطق النائية وخاصة في جبل نابلس الذي كانت تسوده القلاقل منذ زمن بعيد. فكانت الحروب بين العائلات والقرى المختلفة لا تتوقف. في خضم هذه الفوضى برزت منذ عام 1730م شخصية قيادية متميزة هي الشيخ ظاهر العمر الزيداني الذي سيطر تحت عنوان جباية الضرائب على منطقتي طبرية وصفد وتمكن من الاحتفاظ بهما على الرغم من الإجراءات العسكرية المضادة. وبعد استيلائه على عكا (1749م) أصبح عملياً حاكم شمال فلسطين بالكامل. وقد انتشرت سمعته كإداري بارع في كل مكان وأخذ مسيحيون ومسلمون يهاجرون إلى منطقته قادمين من أماكن بعيدة. وكما فعل في السابق فخر الدين مع صيدا رفع ظاهر العمر عكا من قرية بائسة إلى

المرفأ الأول في فلسطين كلها. وظل في السلطة أكثر من عشرين عاماً. ولكن عندما تدخل في السياسة الدولية، بأن اتصل بعلي بك في مصر الذي كان ثائراً منذ عام 1768م وبمجموعة من السفن الروسية كانت عام 1770م ـ 1772م تتحرك في البحر المتوسط، تبين أن الوسائل المتوفرة لديه غير كافية لتلبية متطلبات هذا الموقف. وما لبث أن تخلى عنه حلفاؤه وقصفه الأسطول التركي عام 1775م ثم قام جنوده المرتزقة أنفسهم بقتله أثناء الحصار. وكان ظاهر العمر قد اعتمد في بداية صعوده على قبيلة صقر البدوية ولكن علاقته بهم تغيرت عندما أصبح صاحب أراضي واضطر إلى حماية الفلاحين ضدهم.

من عام 1776م حتى عام 1804م كانت عكا مقراً لأحمد جزار باشا الذي اشتهر عالمياً بسبب دفاعه عن المدينة ضد نابليون (1799م). وقد سيطر فترة طويلة على فلسطين كلها لأنه جمع عدة مرات باشاوية صيدا وباشاوية دمشق في يده. ونتيجة لذلك وبسبب طبعه الظالم تمكن من إخضاع البدو الذين يمارسون أعمال السلب والنهب من أمثال صقر وزعماء جبل نابلس المشاكسين.

في نهاية القرن الثامن عشر وصل استيلاء البدو على فلسطين بصورة عامة إلى نهايته. فمعظم القبائل الحالية كانت قد سيطرت على مناطقها الحالية. إلا أن المجمعات القبلية الكبيرة في منطقة بئر السبع، وعلى رأسها الترابين والتياحا والجبارات، كانت لما تزل قيد التشكيل ولذلك كانت لما تزل تحت حكم شيوخ الأحيدات.

كان نظام حكم إبراهيم باشا خلال فترة الاحتلال المصري لفلسطين (1831م ـ 1840م) التدخل الأول في حرية البدو وامتيازات النبلاء. وعبر السكان عن غضبهم بثورة عام 1834م التي كانت مراكزها في جبل نابلس والخليل. وشارك في المعارك من القبائل البدوية قبائل البحر الميت وقبيلة الجبارات.

بعد انسحاب المصريين شهدت فلسطين فترة شديدة الاضطراب. فقد انتعشت من جديد الصراعات بين زعماء العشائر المتنافسين وخاصة في المنطقة الواقعة بين

قرية العنب، مقر عائلة أبو غوش السيئة السمعة، وبيت جبرين. وحاول كل طرف كسب تأييد البدو له، وحتى قبائل شرقي الأردن، ومنها عدوان، عبرت النهر لنجدة حلفائها. وفي الجليل نصّب عقيلة آغا من قبيلة هنادي، والذي كان قد بدأ في الخدمة التركية قائداً لمجموعة من المتطوعين، نفسه زعيماً محلياً وتمكن من المحافظة على سلطته هنا، مع بعض الانقطاعات، حتى الستينات.

مع نهاية حرب القرم حدث تحسن ظاهر في نظام الإدارة في فلسطين. فقد نجحت قوات سريّا(*) باشا حاكم القدس (1857 ـ 1864م) ليس فقط بإخماد حماس النبلاء والزعماء المحليين بل فرضت أيضاً سلطة الحكومة وهيبتها بين قبائل الجنوب. ومع تحسن الحالة الأمنية توسعت رقعة الأراضي الزراعية. ففي عام 1865م كان المرج، سهل يسريل، لما يزل منطقة بدوية بحتة، لكنه في عام 1872م كان قد أصبح منطقة زراعية. وهناك ملاحظة للقنصل البروسي آنذاك في القدس جورج روزن تبين التقدم الكبير الذي حققته البلاد في هذا المجال في الثلث الأخير من القرن الماضي: "في عهد تيتوس وجد الرومان فلسطين خضراء مثل إيطاليا. وفي عهد الصليبيين كانت الملكية الزراعية في البلاد ذات قيمة كبيرة. وفي العصور الوسطى المتأخرة أصبح كثير من المناطق صحراء صخرية قاحلة. وعندما غادرت القدس وبيت لحم في عام 1867م كانتا كذلك. ولكن عندما عدت إلى البلاد بعد حوالي 24 عاماً، في خريف 1890م، وجدت غربي القدس الصخري القاحل، وخاصة المنطقة الجنوبية الواقعة بين القدس وبيت لحم، قد تغيّرا تغيّراً كلياً. فقد أزيلت الكتل الصخرية من الأراضي وزرعت أشجار الزيتون والتين والعنب والحقول المثمرة".

أمّا النهوض الاقتصادي الذي شهدته فلسطين تحت الإدارة الإنجليزية نتيجة الهجرة الصهيونية وتدفق كثير من رؤوس الأموال فهو أمر معروف. ولكن هذا التطور شكّل كارثة بالنسبة للبدو تتجلى في الإحصائيات التالية: في عام 1922م كان في فلسطين 103,000 بدوي، أمّا في عام 1931م فلم يكن هناك سوى 60,000.

أمّا الأحداث الرهيبة التي وقعت في فلسطين منذ عام 1929م والمقاومة

(*) ذكر المؤلف سريّا، والصحيح هو ثريا باشا. (ماجد شبّر).

الضارية التي أبداها العرب بقيادة المفتي الأكبر الحاج محمد أمين الحسيني ضد سيطرة الغرباء على بلادهم، ونضالهم البطولي في سبيل الحرية والقمع الوحشي لثوراتهم، فهذه أمور لا يمكن معالجتها في هذا الكتاب.

يسود بين قبائل فلسطين اليوم نموذج الحياة نصف البدوية. وبصورة عامة لم تكن البلاد أبداً مكاناً للإقامة الدائمة لمجموعات بدوية كبيرة، وحتى الدخول المؤقت لرعاة الجمال القادمين من الشرق أصبح جزءاً من الماضي. وفي الجليل يتوزع البدو بمجموعات صغيرة في مختلف الأرجاء لكنهم يفضلون سهل الغوير وسهل البطوف. وهم يتحركون بحرية كاملة في وادي الأردن الأسفل لكنهم في السهول الساحلية بدأ المستوطنون اليهود الجدد يطردونهم شيئاً فشيئاً. أمّا في صحراء «يهودا» وفي منطقة بئر السبع فليس لهم منازع.

ومن العلامات المميزة في فلسطين الجماعات المسماة الغوارنة الذين يعملون في تربية الجاموس في مستنقعات منطقة الحولة وبأعداد صغيرة في المناطق المحيطة بعكا. وكلمة غوارنة تعني لغوياً سكان الغور، وهي تستعمل أيضاً بهذا المعنى في وادي الأردن الأسفل، غير أنها تتضمن بعض الاحتقار الناجم بالتأكيد عن أن العبيد استوطنوا في منطقة أريحا(*).

وتجدر الإشارة إلى أن الجغرافي الإدريسي (منتصف القرن الثاني عشر) يتحدث عن سكان الغور ذوي البشرية الداكنة.

جاء معظم بدو شمال فلسطين الحاليين من منطقة حوران، ومن هؤلاء على سبيل المثال الصقر والصبيح. وفي الجنوب كانت الطريق الساحلية تستعمل في كثير من الأحيان كبوابة للدخول. وعبر هذه البوابة جاءت إلى فلسطين مراراً وتكراراً قبائل من شمال سيناء وشرقي مصر، ومنها: الجبارات والسواركة، والعايد

(*) من الجائز القول إن الغُوارنة ينظر إليهم نظرة دونية لأنهم من مربي الجاموس، كحال المعدان في العراق. (ماجد شبّر).

والسوالمة، والنفيعات، والكشوك، وكثير من الجماعات الصغيرة ذات الأصول المختلفة. أمّا الهجرات القادمة من شرقي الأردن فقد جاءت عموماً على الطرق التي تقطع عربة جنوب البحر الميت وتؤدي إلى سهول غزة الغنية بالحبوب. وقد جاءت إلى هنا طي في مطلع العصر الإسلامي ثم الأحيدات والحويطات في العصر الحديث. وبين الهجرات الشمالية والهجرات الجنوبية يشكل الكرمل حدوداً لم تُتخط إلا نادراً.

لم يبق من الهجرات الإسلامية الأولى سوى بعض البقايا القليلة ومنها: الجراوين (جذام) في مجمعي الترابين والتياها، ومن هجرات طي المتأخرة قبيلتا الجرامنة والعبيدية.

كما أن جزءاً من سكان البدو الحديثين يجري في عروقهم دم جذام، ومنهم: العايد (حالياً ضمن مجمع الجبارات) والمساعيد. وقبيلتا العزازمة والظلّام المقيمتان عند بئر السبع ينحدران من قطاعة المقيمة في الحجاز. والنصيرات (على البحر الميت). وسوف نتحدث عن هذه القبيلة وغيرها من القبائل في الجزء الرابع. وكثير من القبائل تضم فروعاً كانوا في الأصل فلاحين لكنهم تركوا قراهم في أوقات الأزمات الاقتصادية والتحقوا شيئاً فشيئاً بالمجتمعات الجديدة.

وكما ذكرنا أعلاه فقد تأثر البدو في فلسطين أيضاً بالتحزب قيسي ـ يمني. ولكن هذا التحزب كان في حالات قليلة فقط، كما في حالة عرب الأمير الحارثي، وراثياً. أمّا في أغلب الحالات فقد كان يستند إلى علاقات الجوار أو الصداقة. ولذلك لا يتطابق الانتماء النَّسَبي مع الانتماء الحزبي بل هناك قبائل من أصل واحد موزعة على الحزبين. نجد الحالة الأولى عند قبيلة الجرامنة الموالية لقيس على الرغم من أنها من طي أي من عرب الجنوب، ونجد الحالة الثانية عند قبيلتي الكعابنة والأحيدات. وأن يكون الانتماء الحزبي مرتبط بالجيرة فهذا ما يتضح من تجمعات قبائل صحراء يودا «يهودا» حيث ينتمي النصيرات والتعامرة، المجاورون للعشيرة اليمنية الوادية، إلى اليمنيين، بينما الرشايدة والكعابنة الجنوبيون والجهالين

مثل ناحية الخليل قيسيون[1]. كما أن مجمع الجبارات المجاور للخليل من جهة الغرب يعتبر نفسه من القيسيين. أمّا في منطقة بئر السبع البدوية الخالصة فلا وجود لهذا التحزب، ولكن القبائل الموجودة هناك متحالفة بصفتها حزب الجنوب ضد الجبارات، حزب الشمال. وأمّا التياها والترابين وكذلك الجبارات فهم بالفعل ليسوا قبائل موحدة وإنما اتحادات. ومثل هذه الاتحادات كانت موجودة هنا في أزمنة سابقة، ومنها على سبيل المثال: الوحيدات، وربما طي في العصور الوسطى.

لا يوجد في الوقت الحاضر سياسة خاصة بالبدو في فلسطين. ولم يتضح بعد مدى مشاركة القبائل في الصراعات الدائرة منذ عام 1929م. ولكن هناك بعض الشيوخ مثل أبو كشك (كشوك) وفريح أبو مدين (حناجرة) المتحمسون جداً للفكرة القومية.

سنعالج في هذا الفصل في البداية قبائل شمال فلسطين ثم في وقت لاحق قبائل وادي الأردن. وبعد ذلك سننتقل إلى الساحل ومنه إلى قبائل صحراء يودا وقبائل غزة وبئر السبع.

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن القبائل الفلسطينية تذكر عادة في الأدلة السياحية والخرائط مع إضافة كلمة "عرب"، أي "بدو" أو "انصاف بدو"، إلى اسمها. فيقال على سبيل المثال عرب السيّاد، وعرب الحمدون، والخ... ولكن يبدو أن الأمر يتعلق بتعبير لغوي يستعمله الفلاحون وأبناء المدن. أمّا نحن فلن نستعمله إلا مرة واحدة وذلك في حالة "عرب الأمير الحارثي" حيث إن استعماله هنا صحيح لأن الأمر لا يتعلق بقبيلة حقيقية وإنما بأتباع الأمير المذكور.

(1) العشيرة اليمنية العرقوب التي تشكل اليوم جزءاً من ناحية الخليل كانت في السابق تابعة للقدس.

في شمال فلسطين

م يعد يوجد في شمال فلسطين قبيلة بدوية
ت متناثرة هنا وهناك. وتزداد كثافتهم على
علي، وخاصة في أرض الحولة في الشمال
حيرة الحولة. وهناك مركز تجمع آخر للبدو
بحيرة طبرية، بينما الضفة الشرقية للبحيرة،
يش عليها سوى قبيلة واحدة هي قبيلة

طين من منطقة حوران، وخاصة من منطقة
إلى فلسطين في القرون الأخيرة وقد تركت
علي، ومنها على سبيل المثال: السيّاد (أ 1)
وينتمي بعض القبائل القادمة من الجولان
قبيلة منضمة اليوم إلى النعيم.

نيل قليل، وفرع الحناحنة من المزاريب (جـ

الأول)، ص 483 الملاحظة 13، 21، 23 وهنا

4)، وربما أيضاً الوهيب (د 5). ويُعيد الـ
الدين، الجد الأول للنعيم. ويعتقد بأن المحـ
ذلك وسمهم أيضاً. ويتفرع منهم الخرانبة
الحرب، الحمدون أيضاً[1]. وكان المحمد
تقلصوا اليوم إلى عدد قليل من الخيام وكا
الصيف من صفد عبر حاصبيا إلى البقاع العز

يمثل ربيعةَ الجولانِ في شمال فلسطين
ـ وتجدر الإشارة هنا إلى أن المزاريب يتألفو
الفرعية الحناحنة من نعيم، والعبيدات من ر
قديمة في شرقي الأردن[3].

بعض القبائل المذكورة تحولوا إلى فلا
كرعاة. ولم يعد سوى القليل منهم يقوم ب
نذكر على سبيل المثال: الحمدون الذين ير
نحو الغرب إلى سفوح جبل عامل، بينما
(ب 1 ـ 3) بين الساحل (في الشتاء) ومنطقة
على ضفاف بحيرة الحولة وفي المناطق الـ
هذه المناطق المستنقعية[4].

نتيجة ضعفهم اقتصادياً لم يكن لـ

(1) إلا أنهم ينتمون حسب البرغوثي إلى بني ...
تريبه، ص 203 يعتبرهم من اللهيب.
(2) إلا أن أشكنازي قبائل نصف بدوية في شمال ...
Palestine du Nord ص 237 يعتقد أنهم ينحدر
(3) انظر مقال عدوان.
(4) روبنسون، فلسطين، الجزء الثالث، ص 886
أشكنازي. الخريطة الأخيرة تذكر الغوارنة أيـ

الحمدون فقط يسببون أحياناً بعض المتاعب للسلطات بما يقومون به من أعمال السلب والنهب. ولا يتمتع بمكانة اجتماعية محترمة إلاّ الحجيرات (حـ 1) وعائلة الأمراء المواسي (د 1) المنحدرة من آل فضل الجولان المعروفين.

تجدر الإشارة إلى أننا سنعالج القبائل الفلسطينية الشمالية اللهيب، والشمالنة، والسمكية، والصبيح، بصورة مستقلة بسبب الأهمية التي تمتعت بها في أزمنة سابقة، على الرغم من أن مكانها الطبيعي حسب قوتها الحالية هو في هذا المقال.

قبائل صغيرة في شمال فلسطين(1)

أ ـ قضاء صفد(2)

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ السياد(3)	متعب بن مزعل(4)	جب يوسف	100
2 ـ الحمدون(5)	اسماعيل الخليل	قدس	12
أ ـ الرحايلة	ساري على الرحال		7
ب ـ بيت أحمد	محمد الظاهر		5
جـ ـ بيت محمد	اسماعيل الخليل		9
3 ـ النميرات(6)	رمضان الحسون	الخيط؛ جب يوسف	8
4 ـ المحمدات(7)	رمضان النميرات(8)	الوقاص؛ جب يوسف	14
5 ـ الصويلات(9)	صالح العوض	بين الحوله ـ بحيرة طبرية	
أ ـ محامدة	محمد الحمد		10
ب ـ صوالحة	صالح العوض		10
6 ـ القديرية(10)	خالد بن معجل	على الحدود	

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
أ ـ المناصرة	خالد بن معجل (11)		20
ب ـ البدارنة	خليل أبو شنة		19
جـ ـ الدلايزة	أحمد اليوسف		3
7 ـ **السواعد(12)**	ناعس المحمودة/	ميرون؛ أرض الخيط	5
	محمود الصالح		2

ب ـ قضاء عكا (13)

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ العرامشة(14)	مثقال المغيص	شمال البصة	30[16]
أ ـ طبايشة			
ب ـ قرديين			
جـ ـ حنينات			
د ـ بيت صويلح			
هـ ـ بيت أبو سارة			
2 ـ القليطات(15)	نايف أبو دلة (17)	شمال البصة	[illegible]
أ ـ القليطات			
ب ـ الخريشات			
3 ـ السمنية(18)	[illegible]	البصة جنوب	40
أ ـ المطاعطة			
ب ـ المناصرة			

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
جـ ـ القريعات			
د ـ الفواعرة			

جـ ـ قضاء الناصرة

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ الحجيرات(19)	عبود الرملي	البطوف	
أ ـ الصوالحة	عبود الرملي		32
ب ـ الغدايرة	حسين مصطفى الحاسر		40
2 ـ الجنادي(20)	محمود الجنداوي	صفورية	10
3 ـ الجواميس(21)	محمد حسن الجيسي	صفورية + عيلوط	20
4 ـ المزاريب	محمد الحسين الحاج	عيلوط + معلول	
أ ـ الحجاجة(22)	[illegible]		25
ب ـ العبيدات (23)	محمد الحسين [illegible]		12
جـ ـ القرينات (24)	[illegible]		2
5 ـ الغزاليين(25)	حسن الكريم	الناصرة	15
6 ـ السيارجة(26)	[illegible]	جنوب الناصرة	[illegible]

د ـ قضاء طبرية

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ المواسي(27)	الأمير محمد العجاج	سيبانة ؛ ياقوق	
أ ـ الزهران(28)			
1 ـ الطاهات	حسين الطه		9
2 ـ القواسمة	أحمد القاسم		[illegible]
3 ـ الدوالي	إبراهيم الدالي		8
ب ـ العيسات(28)	قاسم العيسات		16
جـ ـ العوايدة(28)	عبده النادر		11
د ـ البطاطخة			
1 ـ الطوالة(29)	خالد الحمادة		20
2 ـ الهياشة(29)	خميس المصطفى		10
3 ـ المرايمة(29)	أحمد الموسى		14
4 ـ الدواعرة(30)	محمود المحمد		22
هـ ـ الامارة	الأمير محمد العجاج		[illegible]
2 ـ التلاوية(31)	خميس القوطاني	الغوير	
أ ـ قواطنة			[illegible]
ب ـ شنانية			[illegible]
جـ ـ جوابرة			[illegible]
د ـ دراوشة			[illegible]
3 ـ السمايرة(32)	حسين المحمد	الغوير	15
4 ـ الخرانية(33)	عبد الله محمد الجمعة	الغوير	[illegible]

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
أ ـ الغوانم	عبد الله محمد الجمعة		8
ب ـ الصوالحة	حسين جمعة		8
5 ـ وهيب(34)	نزال المحمد	وادي الحمام	
أ ـ الدوابشة(35)	نزال المحمد		15
ب ـ قطيعات	علي محمد الفاعور		15
جـ ـ طرافي	فضيل الأحمد		25
د ـ مرعاوي	عايد العبد		6
هـ ـ خمايسة(36)	هلال المصطفى		7
و ـ حميدة(36)	ذيب محمود العرابي		15
6 ـ الدلايكة(37)	محمد الخطيب	طبرية	
أ ـ العيسى	محمد الخطيب		12
ب ـ الشحادات	حسن شحادة		5
جـ ـ المحمد	موسى الإبراهيم		12
د ـ الدرويش	سليمان الشبلي		6
7 ـ الخوالد	محسن الهندي	جنوب طبرية	12
8 ـ المشارقة(38)	علي الذيب	سارونة ـ المنارة	20
9 ـ الرقيبات(39)	حسن بن عبد الله(40)	النقيب	20

ملاحظات حول الجدول

1 ـ مواد إحصائية من زمن أقدم موجودة عند روبنسون، **الجزء الثالث**، ص 886. عدد من القبائل مذكور في خارطة آرمسترونغ. وتذكر قائمة أشكناري عدداً آخر من القبائل الصغيرة. وليس من المجدي التطرق إلى الاختلافات بخصوص

الشيوخ وعدد الخيم. ولكن سنكتفي بالإشارة إلى أن أشكنازي يذكر (أ 3) مع 54 خيمة، و (د 2) مع 118 خيمة، و (د 5) مع 29 خيمة.

2 ـ يذكر برغوثي بالإضافة إلى القبائل المذكورة هنا الزبيدات وعرب الجسر ولكنه لم يعالجهم.

3 ـ روبنسون، بوركهاردت، ص 18. بوركهاردت يذكرهم على الضفة الشرقية لبحيرة الحولة حيث لم يزل يوجد منهم حتى اليوم 100 خيمة؛ انظر أيضاً شوماخر، الجولان، ص 91؛ أشكنازي، ص 204. الوسم: Λ (الفاجح) على الساق الخلفية اليمنى. صيحة الحرب: عيال أبو يوسف!

4 ـ الشحادة بن عوض بن السيف.

5 ـ خريطة آرمسترونغ؛ تربية، ص 203. صيحة الحرب: عيال محمد! من أقرباء الحمدون يوجد 10 خيام منهم عند زمّارين في ناحية حيفا بزعامة الشيخ بشير الشحادة.

6 ـ وصف مصر، باريس 1820 ـ 1829م، الجزء السادس عشر، ص 124؛ مايو، الجزء الأول، ص 102؛ بوركهاردت، ص 11. صيحة الحرب: راعي العليا!

7 ـ وصف مصر، ومايو، نفس المصدرين السابقين؛ بوركهاردت، ص 18 (الجولان). الوسم: O | على الفخذ الأيمن؛ صيحة الحرب: عيال محمد!

8 ـ نتيجة الصلة الوثيقة بين المحمدات والنميرات يمكن أن يكون هو نفس الشيخ السابق.

9 ـ روبنسون؛ خريطة آرمسترونغ. الوسم ⊥ على الجهة اليمنى للرقبة و / على الأنف؛ صيحة الحرب: عيال الشايب!

عائلات صويلات أخرى:

إبراهيم الحلوح	9 خيام	عند الكابري شمال شرق عكا
أحمد القاسم	6 خيام	عند حيفا
محمد الحمد	خيمة واحدة	في ماروس
ذياب الصالح	خيمتان	ـــــ

10 ـ خريطة آرمسترونغ. عند جب يوسف أيضاً. يزعم القديرية أنهم من أقرباء القديرات (تياها). خلال الاحتلال المصري حاربت القبيلة مع الأتراك وتعرضت نتيجة ذلك لاضطهاد إبراهيم باشا. الوسم: X على الفخذ الأيمن؛ صيحة الحرب: عيال علي!

11 ـ ابن منصور بن ناصر بن هولة.

12 ـ روبنسون. الوسم: X على الفخذ الأيسر. أشكناري رقم 59 يضعهم بين عكا وحيفا.

13 ـ يذكر برغوتي بالإضافة إلى القبائل المذكورة هنا: الغوارنة، والسويطات، وعز الرمل، ولكن دون أن يعالجها.

14 ـ خريطة آرمسترونغ؛ تريبه، ص 203. الوسم: X على الفخذ الأيمن؛ صيحة الحرب: محمدات! وهم يرجعون أصلهم إلى بني صقر.

15 ـ العدد 50 يتألف من 30 خيمة و20 بيت مجموع ساكنيها 220 شخصاً.

16 ـ الوسم وصيحة الحرب مثل رقم 14 (مثل العرامشة). أشكنازي رقم 54 يضعهم بين عكا والكرمل.

17 ـ تسكن على أرض سورية.

18 ـ خريطة آرمسترونغ. الوسم وصيحة الحرب مثل العرامشة والقليطات.

القبائل الثلاث تربطها علاقات قربى.

19 ـ تربطها صلة قربى مع الكعبية في ناحية حيفا. حوالي 200 نسمة. الوسم: |○ على الفخذ الأيمن: صيحة الحرب: كعابنة!.

20 ـ خريطة آرمسترونغ. يزعمون أنهم حمدون. الوسم: ⊥ الجتادي محتقرون.

21 ـ يزعم أنهم من أقرباء الصبيح (انظر أدناه)، يبدو أنهم ينحدرون كالصبيح من اللجاه. الوسم: / (مطرق) على الخد الأيمن؛ صيحة الحرب مثل الصبيح: إخوة صبحة!

22 ـ الوسم: |○ على الجهة اليمنى من العنق (الحيوانات الصغيرة على الأذن).

23 ـ الوسم الآن مثل الحناحنة، في السابق: ∧ على العنق؛ صيحة الحرب: راعي الكحيلة!

24 ـ الوسم مثل الحناحنة.

25 ـ في الأصل فلاحون في عين غزال جنوب حيفا.

26 ـ الوسم سابقاً: |○؛ صيحة الحرب: راعي المريطة!

27 ـ خريطة آرمسترونغ. صيحة الحرب: عيال العيسى! تقيم مجموعة من القبيلة عند جب يوسف، ناحية صفد، 12 خيمة للعوايدة بزعامة أحمد العلي وخيمة واحدة للبطاطخة.

28 ـ الوسم: ∩ على الفخذ الأيسر و ــ (مطرق بالعرض) على الساق الأمامية اليسرى و / بين العين اليسرى والأذن.

29 ـ الوسم: ⅂ على الورك الأيسر.

30 ـ الوسم: X كرمالي «كرماله» على الفخذ الأيمن، وهو وسم

السمنية، أقربائهم من جهة الأم.

31 ـ روبنسون؛ انظر الجزء الأول، قبائل صغيرة في الجولان 5. صيحة الحرب: عيال جمعة!.

32 ـ الوسم: على الكتف الأيمن

33 ـ روبنسون؛ خريطة آرمسترونغ. الوسم. X على الفخذ الأيسر.

34 ـ بوركهاردت، ص 18 يذكرهم على الضفة الشرقية لبحيرة الحولة، وهم من أقرباء قبيلة النعيم التي تحمل نفس الاسم (الجزء الأول، ص 480). صيحة الحرب: راعي العليا!

35 ـ الوسم: O—O (مبزاز؟) على الورك الأيمن.

36 ـ الوسم: // على الخد الأيمن.

37 ـ يقولون إنهم ينحدرون من الموالي. صيحة الحرب: عيال داخول!.

38 ـ صيحة الحرب: أولاد علي!.

39 ـ بوركهاردت ص 18 "بركيات"؛ شوماخر، الجولان، ص 90. يعيدون نسبهم إلى الصحابي عبد الرحمن بن عوف. وتربطهم علاقات مصاهرة مع العائلتين السيلتين الطبري والفاهوم في الناصرة. صيحة الحرب القديمة: راعي الصفرا! 12 خيمة بزعامة الشيخ خليف الجديع موجودة عند بني حسن في شرقي الأردن.

40 ـ ابن قاسم بن محمد بن حسن.

لهيب

مر معنا اسم لهيب سابقاً بين قبائل حلب. واللهيب الموجودون هناك تربطهم صلات قربى وثيقة مع القبيلة الفلسطينية، وكلاهما ينحدر من الزبيد الذين وجدوا في العصور الوسطى موطناً جديداً لهم في حوران. ولم يعد لدى لهيب فلسطين سوى ذكريات مشوشة عن هذا الأصل ولكن صيحتهم للحرب ووسمهم يؤكدان ذلك بصورة قاطعة. وان يكونوا قد جاؤوا من الشرق يتبين من أن بوركهاردت (ص 18) كان قد سجلهم في الجولان. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يزل يوجد في الجولان لهيب انضموا إلى الفضل والنعيم.

ينقسم اللهيب إلى الرساتمة والعيثة[1]. يسكن الرساتمة شمال غرب صفد ويمتدون عبر الحدود إلى بلاد بشارة، وفي الشتاء ينزلون إلى ضفاف الحولة. ويسكن العيثة في خربة طوبى (عند صفد) التي أجرهم إياها أحمد باشا الجزار باشا.

وهناك قبيلة لهيب ثالثة تتبع اللهيب الفلسطينية هي لهيب اللقلوق في لبنان. وقد وصف بوركهاردت طريقة حياتها[2]: في الصيف يعيشون على قمم الجبال العالية بين بشرّي والعاقورا، وفي الشتاء بين جبيل وطرطوس على الساحل. وهي

---

(1) هذا الاسم النادر نجده أيضاً عند عائلات زبيد، بين الدليم على سبيل المثال.

(2) ص 11: "الهيب"؛ انظر أيضاً نفس المصدر، ص 333.

الوحيدة التي عبرت لبنان ووصلت حتى

هيب(1)

	منطقة التنقل	عدد الخيام
	علما؛ الرأس الأحمر؛ ماروس	
		8
		10
		8
	صفورية؛ البطوف	20
	خربة طوبى	25

حول الجدول

الثالث، ص 885؛ ترييه، ص 65 وما بعدها؛
13 (1) و 270 (2) نسمة.

لوسم: على الجهة اليمنى من العنق.

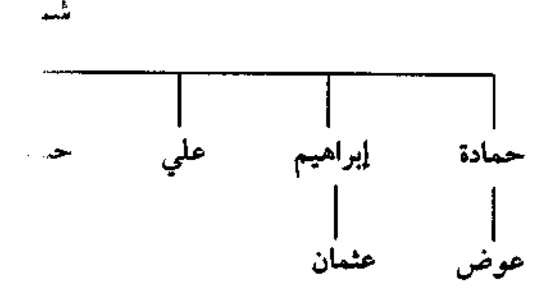
الوسم: | O على الجهة اليمنى من العنق.

ان لصاً شجاعاً ومحدّثاً رائعاً، أشكنازي ص

عكار (في المنطقة الواقعة خلف طرابلس) وعددهم
وعددهم 50 خيمة.

الشمال

الشمالنة، الذين يسكنون عند مصب نه
الفلسطينية الوحيدة التي حققت الدعاية الص
مؤقتاً فقط. وكان الشمالنة قد سُلبوا أراضيه
إلى المستوطنين اليهود طلباً للحماية، لا بل
اليهودية. وكان شملون جد الشمالنة قد
مصر. وأبناؤه وأحفاده هم أجداد الفخذ الحا



(1) قارن أشكنازي، ص 207.

الشمالنة(1)

الشيخ الأكبر: أحمد الشرقي

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الخلايلة	فلاح المحمود	15
2 ـ الحجاحجة	أحمد الشرقي	19
3 ـ الحساسنة	موسى العلي	7
4 ـ أولاد علي	شحادة العقلة	5
5 ـ العثامنة	علي العثمان	9
6 ـ العوضات	حامد المحمود	2
القبائل الملحقة		
1 ـ السوالمة(2)	رشيد الموسى	15
2 ـ الريّات(3)	يوسف العلي	5

ملاحظات

1 ـ أشكنازي رقم 19، كنسوس 1931م: 551 نسمة، 108 خيام. صيحة الحرب: عيال شملون!.

2 ـ صيحة الحرب: عيال سالم! الوسم: ⌒ على الورك الأيمن.

3 ـ صيحة الحرب: عيال ريّا!.

السمكية

يلي الشمالنة على الشاطئ الشمالي للبحيرة عند تلحوم السمكية. وهم على صلة وثيقة مع بني سمك الذين كانوا في القرنين السادس عشر والسابع عشر يسكنون على الفرات وينتمون، من ناحية النسب، مثل هؤلاء إلى البو شعبان[1] (زبيد). وفي يوم من الأيام كان السمكية مهمين وكان زعيمهم يحمل لقب "شيخ عرب صفد". وبما أن هذا اللقب أصبح في القرن الثامن عشر من نصيب شيوخ الصقر فإن العصر الذهبي للسمكية يجب أن يكون في زمن أسبق. وكانت منطقة تنقل السمكية تصل سابقاً حتى الجولان، ولم يزل أقرباؤهم يعيشون هناك حتى اليوم، وبالتحديد في قرية خوخة التابعة لأملاك ورثة عبد الرحمن باشا اليوسف[2].

---

(1) انظر الجزء الأول ص 315.

(2) انظر الجزء الأول ص 533.

السنكية (1)

المختار: أسعد السعيد

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ القطي (العلوشي)	علي المحمد	5
2 ـ [illegible]	محمد العلي	9
3 ـ البكار	أحمد القاسم	4
4 ـ الظواهرة	إبراهيم [illegible]	5
5 ـ [illegible]	أسعد السعيد	4
6 ـ [illegible]	جمعة الموسى	4
7 ـ [illegible]	عطا الله [illegible]	6
8 ـ الحمرانة	محمد [illegible]	9
9 ـ [illegible]	حسين [illegible]	3
10 ـ [illegible]	[illegible]	5
11 ـ [illegible]	[illegible]	3

ملاحظات

1 ـ [illegible]، الجزء السادس عشر، ص 120 وما بعدها. روبنسون، الجزء الثالث، ص [illegible]، أشكناري رقم 20. كنسوس 1931م: 290 نسمة. الوسم: (خطام) على الخد؛ مسحة [illegible]. عبال شعبان!.

صبيح

في بداية القرن التاسع عشر كان الصبيح، الذين تقتصر منطقتهم اليوم على مساحة ضيقة حول ثابور، ثاني أهم قبيلة في شمال فلسطين[1] بعد الصقر (اليوم في وادي الأردن). ويعتقد أنهم ينحدرون من اللجاه في منطقة حوران[2]. وفي منتصف القرن الثامن عشر كانوا خاضعين للشيخ ظاهر العمر حاكم عكا[3]. وفي وقت لاحق تبعوا قائد القوات غير النظامية عقيلة آغا الذي كان له بين عام 1850م و1870م نفوذ كبير في شمال فلسطين (انظر المقال التالي). وكانت تنشب بين حين وآخر عداوة بين الصبيح والصقر. وفي إحدى المعارك قتل شيخ الصقر شوباش ابن ملاّك عندما حاول حماية قرية كفر مصر جنوب الثابور من الصبيح.

تمتد منطقة الصبيح من الشجيرة في الشمال عبر الثابور وحتى وادي الشرار في الجنوب. صيحة الحرب: إخوة صبحة![4].

(1) سيتزن، الجزء الثاني، ص 154.

(2) يعتبرون بني خالد قبيلتهم الأم.

(3) نيقولا الصباغ، تاريخ الشيخ ظاهر العمر، ص 33.

(4) انظر أسعد منصور، تاريخ الناصرة، ص 77.

الصبيح(1)

شيخ المشايخ: عثمان الشهاب(2)

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الشديدة(3)		
أ ـ الشكور	مفضي البرجس	15
ب ـ الشبلي	حسين الأسعد	40
جـ ـ الحمدان	عثمان الشهاب	50
د ـ الموالي	عليق المحمد	15
قبائل ملحقة		
أ ـ المقطرن(4)	محمود حسن الرشدات	50
ب ـ السنيدات(5)	محمود ذياب	20
جـ ـ الظهري	حسين خليل السلامة	30
د ـ النجيدات(6)	أحمد شتيوة	20
	محمد السمير	

ملاحظات

1 ـ وصف مصر، الجزء 16، ص 124 (Description de L'Égypte)؛ أشكنازي رقم 37. كنسوس 1931م: 716 نسمة.

2 ـ في عام 1857م كان شهاب الحمد شيخاً؛ تاريخ الناصرة، ص 77.

3 ـ الوسم //O (مطرقين وفتخة).

4 ـ الوسم (للقبيلة التالية أيضاً) / (مطرق).

5 ـ السنيدات، والظهري، والنجيدات ينحدرون أيضاً من اللجاه. وبالفعل يوجد ظهرة بين فروع السلوط الموجودين هناك (الجزء الأول، ص 490).

6 ـ ، وسمهم نفس وسم الشديدة.

الهنادي[1]

أصبح الهنادي الفلسطينيون في منتصف القرن الماضي مشهورين بسبب شهرة زعيمهم عقيلة آغا. وكان أبو عقيلة، موسى الحاسي، قد جاء عام 1814م من مصر إلى غزة حيث وجد المأوى عند رجل من قبيلة البراعصة اسمه محمد نجا[2]. وبعد رحلات طويلة توفي موسى هناك عام 1830م. وقد رزق من زواجه من امرأة تركمانية من عائلة الشقيرات ولدان: عقيلة وصالح. خلال فترة الاحتلال المصري خدم عقيلة عند إبراهيم باشا[3]. وفي بداية الأربعينات دخل في خدمة أحد نبلاء الناصرة، لكن بعد وقت قصير جمع حوله عدداً من الأنصار. وفي عام 1845م تدخل في نزاع نشب بين المسيحيين اللاتينيين في الناصرة مما جعله مكروهاً عند الحكومة واضطر في النهاية إلى الهرب إلى شرقي الأردن واللجوء إلى بني صخر هناك. ولكن نفوذه كان قد قوي إلى درجة أن حاكم عكا قرر في عام 1847م تسليمه قيادة مجموعة من الجنود غير النظاميين تضم 75 رجلاً من الهنادي والهوارة[4]. في

(1) انظر المقال الذي يحمل الاسم نفسه، الجزء الأول، ص 431 وما يليها.

(2) نعتمد، حين لم نذكر ما يخالف ذلك، على التقرير الوارد عند أسعد منصور في تاريخ الناصرة، ص [illegible] وما يليها الذي يستند إلى مصدر معاصر (ميخائيل قعوار).

(3) لانج، تقرير عن بعثة الولايات المتحدة إلى الأردن والبحر الميت، ص 143.

(4) كان الهوارة (الشكانزي) رقم 80) فرقة خيّالة. غير نظامية من شمال إفريقيا ومصر عملت منذ عام 1780م في خدمة الباشاوات السوريين؛ انظر سيتزن، الجزء الأول ص 275، والجزء

بادئ الأمر استقر عقيلة مع هؤلاء الرجال في عبّلين، [illegible] عمرو[*]، لكنه قرر بعد ذلك العيش حياة بدوية. وخلال [illegible] جزء كبير من الجليل، من شفا عمرو عبر الناصرة وحتى غور [illegible]

في عام 1852م كُلّف عقيلة بحماية شمال فلسطين من [illegible] حوران. وعلى الرغم من تحقيقه بعض النجاحات في الجو[illegible] الثوار ثم ألقي القبض عليه وأرسل إلى حصن فيدين في بلغاريا [illegible] آنذاك (1853م). وبعد عام تمكن من الفرار بطريقة مغامرة. [illegible] طريق حلب حيث تلقى دعماً من أبناء قبيلته البطران[1]. وفي هذه الأثناء [illegible] اندلعت حرب القرم وكان أخوه صالح قد التحق بالجيش ومع [illegible] سمعوا بعودة عقيلة فروا من الخدمة والتحقوا به. وبما أن [illegible] كانت خالية من القوات العسكرية بسبب الحرب رأى باشا بيروت أنه من الأفضل إعادة عقيلة إلى العمل في خدمته (1855م).

في هذا الوقت ازداد الهنادي قوة بانضمام جماعات [illegible] مصر. في عام 1854م انضم إليهم شيخ الطيحاوي المشهور ثم [illegible] أجزاء جديدة من البراعصة والحرابي بقيادة أبو كريم. بدا [illegible] للقوة خطيراً إلى درجة أنها حرضت قائد القوات غير النظامية [illegible] ابن شمدين آغا ـ الذي لعب في وقت لاحق دوراً مؤسفاً عندما [illegible] 1860م في دمشق ـ ضد عقيلة. وفي عام 1857 (أو 1858م) حدثت في [illegible] المعركة القديمة المشهورة مع الصليبيين، معركة بين القائدين [illegible]

الثاني ص 150. وفي وقت لاحق انتقلوا إلى إبراهيم باشا، انظر [illegible] تاريخ سورية في عهد محمد علي باشا، ص 78 وما بعدها Arabic [illegible] [illegible] Documents Relating to the History of Syria emder Mehemet Ali Pascha, 5 - 78 f.

يعد اسم قبيلة وإنما اسم وحدة عسكرية.

(*) شفا عمر وتكتب أيضاً شفا عمرو في أغلب المصادر. (ماجد [illegible])

(1) انظر الجزء الأول، ص 301.

الذي دعمته القبيلتان البدويتان صقر وصبيح، انتصاراً حاسماً[1]. وبذلك تعززت مكانته من جديد. وظل محتفظاً بهذه المكانة حتى الإصلاح العسكري عام 1863م الذي ألغيت بموجبه القوات غير النظامية.

بسبب نشوب الاضطرابات البدوية عام 1864م اضطرت الحكومة إلى إعادته إلى الخدمة مؤقتاً. ومع ذلك لم يشعر عقيلة بالأمان، ففر إلى الكرك حيث كانت له علاقات طيبة من أوقات سابقة[2]. إلاّ أنه تبين مجدداً أن عقيلة لا يمكن تعويضه، وبعد استدعائه وعودته نجح في فرض نفسه ولكن اللعبة القديمة تكررت مرة أخرى: إذ حاول هولو باشا[3]، Holo حاكم نابلس آنذاك، اعتقاله لكن عقيلة تمكن من الفرار وذهب إلى الصلت ومعه 250 خيالاً من أتباعه.

ثم عاد مرة أخرى إلى وطنه وتولى منصبه القديم لكنه لم يستعد بعد ذلك نفوذه السابق أبداً. توفي في عام 1870م وهو مدفون مع أخيه صالح في عبلين[4].

كان عقيلة شخصية هامة دون شك. ولقد ترك أعظم الانطباع عند المسافرين الأوروبيين الذين عمل معهم مراراً وتكراراً بصفة دليل. ويصفه لانج بأنه "أجمل كائن بشري رآه في حياته". وأن تكون طموحاته السياسية قد فشلت فإن السبب في ذلك يعود إلى الظروف. فلو جاء مائة عام قبل ذلك لأصبح ظاهر عمر ثان. إن التهمة التي وجهها له الأمير شكيب أرسلان بأنه أجرى اتصالات مع قوى أجنبية من أجل تحقيق أهدافه، قد تكون صحيحة. ولكن الشيء المؤكد هو أنه خلال ملاحقة المسيحيين عام 1860م استخدم نفوذه لصالحهم.

عمل قويطين آغا، ابن عقيلة، في خدمة الحكومة أيضاً. وعندما وضع جنوب شرقي الأردن تحت الإدارة المباشرة (1893م) ذهب بمهمة رسمية إلى الكرك

(1) هذا الحدث لم يزل الناس يتناقلون روايته حتى اليوم، انظر أشكنازي، ص 202 وما بعدها.

(2) انظر لانج، ص 224. موزيل، البتراء العربية، الجزء الثالث، ص 89.

(3) انظر الجزء الأول، ص 455.

(4) الخبران الأخيران غير موجودين في Palestine Exploration Fund، كما أن تاريخ وفاته جاء 1866م أو 1867م.

وعاش ابنه عقيلة في العبيدية جنوب بحيرة طبرية[1].

الهنادي اليوم مشتتون. يعيش جزء منهم في الدلهمية غير بعيد عن العبيدية. ويعيش آخرون في شرقي الأردن وفي المنطقة السورية.

الهنادي(1)

شيخ المشايخ: محمد سعيد الحاسى أحمد الهجرس

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ عبيدات	محمد الشامخ	الدلهمية	8
2 ـ عواقير(2)	محمد الشامخ	الدلهمية	16
3 ـ براعصة(3)	محمد الشامخ	الدلهمية	8
4 ـ ولد علي(3)	عيسى البطران	الدلهمية	7
5 ـ الحاسي	محمد سعيد الحاسي	الدلهمية	12
6 ـ دمه(4)	محمد سعيد الحاسي	الدلهمية	7
قبائل ملحقة			
ـ بيت قنيش		غابة شفا عمرو	

ملاحظات

1 ـ انظر أشكنازي رقم 79.

2 ـ جزء منهم موجود في سورية.

3 ـ لديهم أقرباء بين هنادي حلب.

4 ـ جزء منهم يعيش قرب عمان.

---

(1) تصريح للأمير شكيب أرسلان.

البشاتوة

تمتد منطقة البشاتوة على جانبي نهر الأردن من الدلهمية حتى منطقة بيسان. هم معروفون منذ نهاية القرن الثامن عشر، ويعتقد بأن اسمهم مشتق من اسم قرية المسرة[1]. يشكل البشاتوة تجمعاً يتألف من أجزاء من قبائل عديدة مختلفة المنشأ؛ ليس لهم قيادة مركزية معترف بها إلا أن الشيوخ ظاهر المثقال ومفضي السعيد ومرزوق السعد لهم نفوذ أكبر من نفوذ زملائهم.

يعتبر المجمع نفسه يمنياً وهو متحالف مع جيرانه الجنوبيين، الصقر.

---

(1) [illegible] ص 209.

البشاتوة(1)

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ الشحيمات(2)	ظاهر المثقال		[illegible]
2 ـ البكار(3)	مفضي السعيد		20
3 ـ العمري(4)	توفيق السعد		[illegible]
4 ـ الشمالي(5)	علي الشمالي		5
5 ـ الحوافظة(6)	توفيق السعد		[illegible]
6 ـ الشكور(7)	سليمان المفلح		[illegible]
7 ـ الصهابنة(8)	إبراهيم المحمود	وادي البيرة	
8 ـ الفوارس(9)	عيد أبو فارس	أم تونة	[illegible]
9 ـ الفضيين(10)	فياض الأحمد	زور الرزية	
10 ـ العرامشة(11)	حمد النهار		
11 ـ عليميين(12)	محمد العليمي		
12 ـ الفروخ(13)	موسى الفروخ		
13 ـ الطوافشة(14)	علي السالم		
14 ـ قوم المطلق(15)	نجيب المطلق		
15 ـ الحوارنة(16)	رجا الحسن		

ملاحظات

1 ـ مايو الجزء الأول، ص 109 وما بعدها. وصف

122 وما بعدها؛ سيتزن، الجزء الثاني، ص 149؛ بوركهارد

1931م: 1176 نسمة، 247 خيمة.

2 ـ أكراد أيوبيون. صيحة الحرب: أهل العليا! الوسم: O| على الخد الأيمن.

3 ـ نعيم. صيحة الحرب: إخوان عمشا! الوسم: / على الخد الأيمن.

4 ـ جرامنة. صيحة الحرب: إخوان صبحا! الوسم: X على الأذن اليمنى.

5 ـ بني مهدي. الوسم: O على الخد و/ خلفها.

6 ـ جرامنة من البلقا. صيحة الحرب: إخوان «صبحا!».

7 ـ فلاحون من حوران؛ يزعمون أنهم من بني هلال.

8 ـ "زوايدة" Zwajede.

9 ـ غنيمات من البلقا.

10 ـ فلاحون من نابلس.

11 ـ من القبيلة التي تحمل نفس الاسم شمال عكا ب1. قبائل صغيرة في شمال فلسطين.

12 ـ يزعمون أنهم من أحفاد الخليفة عمر.

13 ـ سردية.

14 ـ فلاحون من قرى البلقا وعجلون.

15 ـ من فرع الفاعور في المشالخة، انظر فصل شرقي الأردن.

16 ـ من قرية طفس في حوران.

الصقر

في القرن الثامن عشر كان الصقر، الذين يعيشون اليوم في غور بيسان، القبيلة السائدة في شمال فلسطين. وهم قريبون جداً من السردية (الجزء الأول، ص 535 وما يليها) إذ يفترض أن جدهم ملاّك وجد السردية فواز كانا أخوة.

يقول الصقر أنهم كانوا في الماضي يسكنون في سهل حوران. ونتيجة حرب مع قبيلة شقيقة نفتهم الحكومة إلى جنوب فلسطين وقتلت شيخهم جبر. وفي وقت لاحق قادهم الشيخ قعدان عائداً بهم إلى الشمال وطرد السردية إلى نجد ثم استوطن مع قبيلته حول بيسان. بقي في جنوب فلسطين فرع الفرجات فقط الذي انضم هناك إلى الترابين ـ هذه الرواية أسطورية ولكنها تتضمن بعض الجوانب الموثقة تاريخياً.

يوجد في سلسلة نسب "شيخ المشايخ" الحالي ما يؤيد ذلك: فاضل بن يوسف بن عرسان بن مطلق بن سعيد بن سعد بن كعدان[1] بن رسلان بن جبر بن سليمان بن حسن بن رباح بن صقر[2] بن ملاّك. الحلقة الثالثة في شجرة النسب هذه، رباح، هي "الملك ريبا"[3] العربي الذي ورد ذكره مراراً عند روجيه (كتب

(1) سيتزن (الجزء الثالث، ص 380): "سعد الشادان".

(2) في شجرة نسب شيخ الصقر الذين انضموا إلى الترابين يوجد بين صقر وملاّك حلقتان: بن حسن بن حمد.

(3) روجيه، Roger, La Terre Sainte, Paris 1964، ص 225، 232، 343، انظر الصورة على الصفحة 231.

في ثلاثينيات القرن السابع عشر؛ والذي يسميه ماريتي[1] "رباك". كان رباح يحكم في منطقة حوران وفي الجولان[2]، وكان يشكل هناك سنداً للزعيم الدرزي فخر الدين الذي التجأ إليه قبل وقت قصير من سقوطه عام 1633م. ولعل موقف رباح هو مصدر الرواية التي تنشرها حكايات القبيلة عن عداوة الصقر مع السردية؛ لأن السردية كانوا خصوم فخر الدين ومتحالفين مع الأتراك. وفي وقت لاحق اضطر الصقر إلى النزوح من منطقة حوران، وفي بداية القرن الثامن عشر نجدهم على هذا [illegible] أي على الأرض الفلسطينية. كانوا آنذاك تحت قيادة الشيخ [illegible][3]، وفي وقت لاحق، حوالي 1730م ـ 1760م، تحت قيادة [illegible] الذي كان يحمل لقب شيخ عرب صفد[4].

في هذا الوقت بدأ صعود الشيخ ظاهر العمر الذي أصبح فيما بعد سيد عكا. وكان الشيخ ظاهر [illegible] في بادئ الأمر مع الصقر لكن القبيلة تحالفت في وقت [illegible] واضطروا في عام 1735م إلى الهرب [illegible] لاحقة قتل الشيخ الأكبر راشد الجبر [illegible] على أرجح الظن، الشخص المذكور [illegible] حالي[7]. وبعد ذلك تمّ التوصل إلى

[illegible] 270.

[illegible] لنهر الرقاد الأسفل: حامي صقر.

[illegible] Van Egmond en [illegible]، لا يدن 1758م، الجزء [illegible] حدثت الرحلتان في الأعوام 1700م ـ 1709م [illegible] الرحلة الأولى لأن الشيخ كليب المذكور [illegible] 538). ولا يرد ذكر اسم قبيلتهم هنا إلا [illegible]

[illegible] وما يليها.

[illegible] تتحدث عنها حكايات القبيلة.

[illegible]

السلام مع ظاهر العمر تحت تأثير [illegible] فعندها [illegible]
توسطت بين الفريقين[1]. وفي وقت [illegible] شوكة القبيلة
وحطم قوتها القتالية.

في الوقت الحاضر انصهر مجمع [illegible] إلى عدد [illegible]
العشائر، إلا أنها تضم عدداً كبيراً [illegible] المختلفة [illegible]
القرن التاسع عشر، ولربما خلال [illegible][2] [illegible]
وادي الأردن حيث كانوا قبل ذلك [illegible]
الصيف في غور بيسان ونحو الداخل [illegible] وفي [illegible]
البقيعة ووادي فارعة.

في عهد السلطان عبد الحميد [illegible] أراضي [illegible]
تولى السلطان دفع الضرائب العقارية [illegible]
على الصقر أن يدفعوا، بالإضافة إلى العشر [illegible]
أيضاً، أي إن عليهم دفع 20 بالمائة [illegible]
لاستعادة الأراضي بشروط أقل تكلفة [illegible]
درجة أنها اضطرت إلى بيع جزء من الأراضي [illegible]

ينتسب الصقر إلى اليمنيين. [illegible] أهل [illegible]
الشام! ولقد حافظت عائلة الشيوخ [illegible]
"مثل عطاء ابن ملاك" قولاً يضرب [illegible] عن الكرم.

لا يقوم الملاك وبعض عائلات [illegible] الأخرى [illegible] (*) [illegible]

---

(1) الصباغ، ص 84 وما بعدها، 54.

(2) سيتزن، الجزء الثاني، ص 380. كنعان [illegible] الجزء [illegible]
1936، ص 25.

(*) هي من أكلات بلاد الشام المشهورة [illegible]
وبعدها يطبخ. (ماجد شبّر)

الحليب المحفوظ) الأمر الذي يعد بالنسبة لهم امتيازاً. ويبدو أن الأمر يتعلق هنا بموقف كان سائداً قبل الإسلام؛ إذ إن الخمس، القبائل التي كانت لها علاقة وثيقة مع المقدسات في مكة، لم يكونوا يجففون الحليب المحمض.

العائلات الخمس التي انبثقت عن أسرة الشيوخ القديمة تثبت ريشة نعامة على الخشبة الأمامية لخيمها. وهذه علامة افتخار يستعملها أيضاً شيوخ البدو في الصحراء الكبرى[1].

الصقر(1)

شيخ المشايخ: فاضل العرسان

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الملاك(2)	فاضل العرسان	25
2 ـ ابن مرويع(3)	عارف الحمد	12
قبائل ملحقة		
1 ـ ابن مريخ(4)	حسن أخو شوحة	12
2 ـ القظام(5)	فارع القظام	8
3 ـ البشيرات(6)	عبد الله البشيري	7
4 ـ الغنيّة(7)	شامخ الغنيّة	5
5 ـ الخوالد(8)	طريخم الحجيرة(9)	11
6 ـ الزبيدات(10)	علي الفارس	70
7 ـ البلدية	محمد الحسين	40

(1) راكوف وكاسكل، الخيمة البدوية، أرشيف بيزلير «Baessler»، 1938م، ص 63.

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
8 ـ الوادي(12)	فايز الوادي	35
9 ـ المهادوة(13)	موسى المهادوة	5
10 ـ الأمير العبادي(14)	الأمير مرعي الحسن	4
11 ـ القروط(15)	حسين الأحمد	20
12 ـ الحمود (15)		20
13 ـ البدندية(16)	مفلح العمر	12
14 ـ العبيد	قاسم العبيد	3
15 ـ الويسات(17)	محمد الويس	2
16 ـ الموالي(18)	عبد الله الموالي	8
17 ـ المعادين(19)	سالم الحصاحصة	12
18 ـ العرجات	لافي العرجات	4
19 ـ القشوش	صالح القشوش	6
20 ـ العليات (العلايا)(20)	لافي العليات	6
21 ـ البشكمة(21)	حسن البشكمي	4
22 ـ الزيدان(22)	راجي الزيدان	4
23 ـ الشهاب(22)	شهاب الأحمد	4
24 ـ المساليخ(23)	موسى جلّوط	5
25 ـ القلايع(23)	حامد الرجلة	7
26 ـ القماوشة(23)(24)	محمد أبو دية	5
27 ـ النعيمات(25)		5

عَبيد(*)

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ العبيد(25)	عبيد العدوان	5
2 ـ الغرير(26)	فضل الغرير	4
3 ـ الدوامسة(27)	فالح الدوامسة	5
4 ـ الثليجة(28)	بخيت النمر	15
5 ـ هميل(29)	عمرو الهمّيل	15
6 ـ الدواليب	حسين الرويض	7
7 ـ أهل الصفرا	حسن الصفرا	5
8 ـ الحصيد	حصيد الفريوان	5

ملاحظات

1 ـ ت. كنعان، (الصقر بدو بيسان) مجلة الجمعية الآسيوية الملكية لندن، الجزء 16، 1936م، ص 21 ـ 32 يذكر بدلاً من فرعي صقر الأصليين[1] المذكورين عندنا 5 عائلات يجمعها معاً تحت اسم شيوخ، المهادوة مع فرعين آخرين غير موجودين عندنا بصفة أمراء. كنسوس 1931م: 2115 نسمة، 418 خيمة مقابل 402 في الجدول.

2 ـ صيحة الحرب: راعي العشوا، لكن عائلة الفياض: راعي الرعلة! الوسم ┌┴┐ على الورك الأيسر و / (مطرق) على الورك الأيمن. لهم أقرباء في

(*) عبيد المقصود بها هم العبيد وليس كما يبدو منها أنهم عُبيدَ حيث الكلمة الألمانية تسمهم Sklaven ما يقابلها Slave في اللغة الإنكليزية. (ماجد شبّر).

(1) لا تذكر صراحة ولكن شيخهما، عارف.

بصرىٰ إسكي شام في حوران.

3 ـ صيحة الحرب: راعي العليا! الوسم: / على الخد الأيسر و / على الأذن اليمنى.

4 ـ صيحة الحرب: راعي المريطة! (الشرّادة)! الوسم: | O على الفك الأيسر. وهم ينحدرون من ولد علي (عنزة).

5 ـ صيحة الحرب: راعي الهرشا! الوسم: ≠ على الورك الأيمن و على الخد الأيسر. ينحدرون من السرحان، انظر المقال الخاص بذلك في فصل شرقي الأردن.

6 ـ صيحة الحرب: راعي المليحة (خيّالة الحصن)! ينحدرون من عرب المسيّك، انظر مقالة عمرو في فصل شرقي الأردن.

7 ـ الوسم: / على الخد الأيمن. ينحدرون من بني غاني (؟).

8 ـ صيحة الحرب: راعي الحيزا! ينحدرون من بني خالد (العجلون؟).

9 ـ "كنعان": "حضيري".

10 ـ صيحة الحرب: راعي البويضة (عيال جبر، عيال حمير)! الوسم: ⊓ على الفخذ الأيمن و— على الأذن. الاسم وصيحة الحرب والوسم تشير إلى أن القبيلة تنحدر من زبيد الموجودين في أماكن أخرى في فلسطين.

11 ـ "كنعان": "بلادية" مع الشيخ علي محمد حسين. أي ابن الشيخ المذكور هنا. صيحة الحرب: رخوين المحازم!

12 ـ صيحة الحرب: راعي العليا! الوسم: ⊓ على الفخذ الأيمن و U على الأذن. ينحدرون من الأسرة الدرزية المعروفة شهاب.

13 ـ بني مهدي، انظر مقال عدوان في فصل شرقي الأردن.

14 ـ صيحة الحرب: حيدرية! الوسم ∠ على الأذن اليمنى و / على الخد الأيمن. ينتمون إلى أسرة تزعم أن لها أصل شريف، ولكن في الحقيقة فهي تنحدر على الأرجح من الأسرة الحاكمة القديمة العقيليين.

15 ـ "كنعان" : "قروط" . صيحة الحرب: أهل القرطة! الوسم: ــــ على الأذن اليمنى و / على الخد الأيمن. تركمان.

16 ـ "كنعان" : "بداندية" . صيحة الحرب: راعي المليحة! الوسم: ∠ على الأذن اليمنى و / على الخد الأيمن. ينتمون إلى أتباع الأمير العبادي.

17 ـ من أحفاد الصحابي أويس القرني(*).

18 ـ فرع من القبيلة الحلبية التي تحمل الاسم نفسه.

19 ـ من قرية خرما قرب القدس.

20 ـ فهيدات، انظر: قبائل صغيرة عند أريحا.

21 ـ الوسم: / على الخد الأيمن وــ على الأذن اليمنى. ينحدرون من البشاكمة: تركمان في حماه.

22 ـ نعيم، ينتمون إلى رابطة أخويّة.

23 ـ الوسم: ┌ على الجهة اليسرى من الرقبة. خوارنة ولذلك محتقرون.

24 ـ "كنعان" : «قهاوشة».

25 ـ موزعة في القبيلة.

26 ـ "كنعان" : "عبيد" عند الشيخ عيد. عبيد للملاّك.

27 ـ عبيد الوادي (8).

28 ـ كانوا في الأصل عبيداً للأمير الهارثي وانتقلوا بعد انقراض هذه العائلة إلى الصقر.

29 ـ كنعان: "همويل" . في الأصل عبيد عند شيوخ بني مهدي. صيحة الحرب: عبيد شما!

(*) أويس القرني هو ليس صحابياً بل هو أحد الزهاد المشهورين. (ماجد شبّر).

المساعيد

يعد مساعيد وادي فارعة من أشهر قبائل فلسطين؛ ويحمل شيوخهم لقب أمير. صيحة الحرب عندهم: بني عقبة! وبناء على ذلك فهم ينتمون إلى هذا الفرع من جذام السكان القدامى لشمال غرب شبه الجزيرة العربية. وبالفعل فإن حكاية ترحال المساعيد تشير أيضاً إلى الساحل الشرقي لخليج العقبة؛ ولم تزل تعيش هناك حتى اليوم بقايا القبيلة[1]. حكاية ترحال المساعيد وهجرتهم موجودة عند شقير، تاريخ سيناء، ص 117، ريفو بيليك 1905م، ص 412 وما بعدها، (ب. ديسّارد) واستناداً إلى نفس المصدر عند موزيل أيضاً: البتراء العربية، الجزء الثالث، ص 72[2]: في يوم من الأيام ذهب شيخان من بني عقبة، داوود المتاريك والمسعودي[3] من العربة إلى غزة لكي يشتريا الحبوب. وفي الطريق نشب بينهما خلاف دام حول فتاة جميلة من قبيلة مُطير كانت تعيش تحت حمايتهما. أدى الخلاف إلى افتراق الشيخين. ذهب المسعودي، وبالتالي المساعيد الذين تميع صورتهم مع جدهم في الحكاية، إلى غزة[4]. وهناك تعين عليهم أن يقدموا لحاكم

---

(1) انظر مقال الحويطات، الملاحظة 26.

(2) انظر أيضاً بيكه، ص 265.

(3) يسميه شقير أمير المساعيد.

(4) هنا تتوقف الحكاية عند ب .ديسارد وموزيل.

المدينة كل عام حصاناً أصيلاً إلى أن رفض الأمير سليمان المنطار في يوم من الأيام أداء هذه الضريبة. نتيجة لذلك نشبت حرب بينهم وبين الأتراك قتل فيها الأمير؛ ولم يزل قبره حتى اليوم يحظى بالتكريم[1]. على إثر ذلك انقسم المساعيد إلى ثلاث مجموعات: رحلت الأولى نحو الشمال وهي القبيلة الموجودة في وادي فارعة، ورحلت الثانية نحو الغرب وهي مساعيد العريش الذين ينحدر منهم أيضاً أولاد سليمان في مصر. أمّا المجموعة الثالثة فهم مساعيد الحجاز الذين ينتسب إليهم أيضاً الأحيوات الموجودون في سيناء.

من الصعب تحديد الزمن الذي وقعت فيه أحداث هذه الحكاية. كل ما يمكن قوله هو الزعم بأن هذه الهجرة حدثت في وقت حديث نسبياً لأن هجرة بني عقبة إلى الكرك، التي تلي في الحكاية الهجرة الأولى مباشرة، حدثت، بالدليل الثابت، في القرن السابع عشر[2]. ومن ناحية أخرى يجب أن تكون قد حدثت قبل المرحلة العثمانية لأن أبناء عائلة شيوخ المساعيد يحملون لقب أمير، وهو لقب لم يعد يمنح، حسب علمنا، بعد مجيء الأتراك[3].

حسب بوركهاردت (ص 21) يعني لقب أمراء المسعودي: أمير القدس، وهذا بالتأكيد لا يعني أمير مدينة القدس وإنما أمير منطقة جبل القدس. فقد خلفوا في هذه المنطقة أمراء الجرم[4]. ولم تزل عائلة الأمراء غنية ومحترمة.

تقتصر الآن منطقة سكن المساعيد، التي كانت في بداية القرن التاسع عشر تصل حتى البحر الميت، على وادي فارعة الذي يمارسون في جزئه الأسفل (القراوىٰ) العمل الزراعي. وفي الصيف يرحلون أحياناً مع قطعانهم إلى الجبال

(1) تل المنطار يكرم أيضاً كونه قبر شمشون.

(2) انظر مقال عمرو في فصل شرقي الأردن.

(3) إذا لم يكن اللقب مشتقاً من إمارة بني عقبة. تحت كلمة "الأتراك" (الصفحة 69 أعلاه) يكون المقصود في هذه الحالة المماليك.

(4) انظر مقال الجرامنة أدناه.

الواقعة شرق نابلس.

المساعيد(1)

شيخ المشايخ(2): الأمير عبد الله بن ضامن بن بركات بن خليل

العائلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الإمارة(3)			
أ ـ عيال بركات(4)	الأمير عبد الله الضامن	وادي فارعة	8
ب ـ عيال دريعي(5)	الأمير سعود الدريعي		7
2 ـ الحناحنة(6)			
أ ـ الشريتح	حسن الشريتح		6
ب ـ الحليتم	عبودة الحليتم		6
جـ ـ أبو الحمايل	ذياب بن كابد		3
د ـ الخليفات	عقلة الخليفات		3
هـ ـ عبلات	عيد العبلات		4
و ـ البنادقة	أحمد السلامة		
ز ـ الصفيات	رحيل الصفيات		5
ح ـ الفقير (مضيات)	عقلة بن مضيات		5
ط ـ الحروب	محمد الباير		
عائلات ملحقة			
1 ـ الفحيلي(7)	ساكت الفحيلي		3
2 ـ الطلوح(8)	صالح العرزوق		2

عبيد(*)

1 ـ السميرات (المقابلة)(9)	خليل السميري	وادي فارعة	
2 ـ الشطي(10)	خضر النواتي		

ملاحظات

1 ـ وصف مصر، الجزء 16، ص 116، 122؛ انظر أيضاً مايو، الجزء الأول ص 94. روبنسون، أبحاث توراتية جديدة في فلسطين (1852م)، ص 400: 100 رجل على الخيول و100 رجل على الأقدام. ياوسن Coutumes des Arabes ص 403: 80 خيمة.

2 ـ بركات يذكر جد الأمير في: Palestine Exploration Fund، السنة 1906م، ص 36. ويذكر ياوسن ابنه ضامن.

3 ـ الوسم: O على الخد الأيمن و ــــ على الأذن.

4 ـ صيحة الحرب: خيال الوادي!

5 ـ صيحة الحرب: راعي الراشدة (أحمدي)!

6 ـ جزئياً بني عقبة.

7 ـ انظر الجزء الأول، ص 541 و542.

8 ـ عنزة.

9 ـ صيحة الحرب: عبيد صبحة! الوسم ــــ على الخد الأيمن، وكذلك التاليون.

10 ـ صيحة الحرب: عبيد الأميرة!

(*) راجع هامشنا ص66 الجزء الثاني (ماجد شبّر).

قبائل صغيرة في أريحا

يسكن في الغور الجنوبي عدد من القبائل الصغيرة التي توصف عموماً بأنها هتيم[1] وبالتالي لا تحظى بمكانة خاصة. وفي الحقيقة العرينات فقط هم من الهتيم، بينما البقية هم جماعات صغيرة متفرقة من قبائل أخرى ومن اللاجئين والعبيد. فقد كان الدوك والنويعمة، على سبيل المثال، عبيداً للجرامنة في أحد الأيام عندما كانت هذه القبيلة لم تزل تحكم الغور الأسفل. وبعد طرد الجرامنة انتقلوا إلى ملكية قبائل أخرى، إذ كان الدوك من نصيب الفهيدات والكعابنة، والنويعمة من نصيب النصيرات. وعندما تراجعت سلطة أسيادهم الجدد أصبحوا مستقلين.

الفهيدات هم أحفاد بني فهد الذين كانوا في العصور الوسطى يعيشون تحت حكم جرم[2] جنوب فلسطين وهم من ناحية النسب ينتمون إلى الزبيد[3]. وكان الفهيدات في القرن الثامن عشر قبيلة كبيرة تصل حتى غور بيسان[4] حيث يحافظ

(1) ستيزن، الجزء الثاني، ص 246 وما يليها.

(2) هذه هي القبيلة الأم للجرامنة.

(3) قلقشندي، صبح الأعشى، الجزء الأول، ص 322؛ مقريزي، قبائل عربية في مصر، ص 48. قارن أيضاً أسامة بن منقذ، درنبورغ، ص 20 وما بعدها (هجوم بني فهد عند البترا).

(4) وصف مصر، الجزء 16، ص 122.

اسم ناحية صحراء بني فهيد على ذكراهم هناك. كما أنهم تركوا هناك مجموعة انضمت إلى الصقر تحت اسم العليات.

يرجع الكعابنة شجرة نسبهم إلى كعب بن زهير، وهو شاعر في صدر الإسلام أصبح مشهوراً بقصيدته في مدح النبي (بانت سعاد). ولعل الأصح اعتبارهم جزءاً من كعابنة الخليل. إلا أن كعابنة الخليل قيسيون بينما كعابنة أريحا يعتبرون أنفسهم يمنيين. ويعود الفضل في حصولهم على أرضهم إلى هدية قدمها لهم أمير المساعيد.

وأخيراً يوجد بين بدو أريحا بعض المنفيين والمطرودين الذين جاؤوا من مصر، ألا وهم الصعايدة والسمنة. واسم الصعايدة مشتق من الصعيد في مصر العليا. ويقال إن جدهم جاء من هناك هرباً من ثأر للدم ثم استوطن في هذه المنطقة بعد تعرضه لبعض المخاطر.

ليس مؤكداً ما إذا كان للصعايدة علاقة بمن يسميهم شوماخر "عرب الصعيد". هؤلاء كانوا قبيلة في عجلون أبادها الأتراك في القرن الماضي حتى آخر رجل[1].

(1) مجلة الجمعية الألمانية ـ الفلسطينية، لايبزغ، العدد 38، ص 130، يوجد صعايدة في شمال فلسطين، أشكنازي، رقم 53.

قبائل صغيرة في أريحا(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العرينات(2)	عودة السويلم	الشتاء الغور ـ وادي فارعة الصيف ـ بيت لحم؛ الوادية	
أ ـ القطعان	سليمان أبو الدبس		2
ب ـ المطاحيل	عودة السويلم		1
جـ ـ الشهبان	رشيد الشهبان		7
د ـ الطلايبة	محمد الفريج		3
2 ـ الدوك(3)	سلامة العواد	الشتاء ـ الدوك الصيف ـ دير ديوان	50
3 ـ النويعمة(4)	محمد سليم العواطلي		50
4 ـ الفهيدات(5)	حجاج أبو فهيد(6)		5
قبائل ملحقة			
ـ النويرات(7)	سالم العزام		7
5 ـ الكعابنة(8)	سعد النجوم	الشتاء ـ أريحا الصيف ـ دير جرير	
أ ـ النجوم	سعد النجوم		5
ب ـ الفريجات(9)	عبد الله اليوسف		3
جـ ـ عطيفات	محمد الحماد		5
هـ ـ نصيرات(10)	عبيد الحفيظ بن نصير		2
و ـ الجماعات(11)	أحمد الجماعات		1
6 ـ الصمايدة(12)	أحمد		8

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
قبائل ملحقة			
السمنة (دبيسات)(13)	موسى الجدعان		15

ملاحظات

1 ـ بعض القبائل التالية مذكورون في قائمة تورويت Palestine Exploration Fund, London 1875م، ص 28.

2 ـ انظر جدول تياها في فصل سيناء. الوسم: —— على الخد الأيمن و O—ـا خلف الأذن اليمنى؛ وهذا الوسم الأخير مشتق من وسم لقبيلة الشرارات التي ينحدر منها العرينات، والوسم هو: O—+.

3 ـ صيحة الحرب: عبيد مريم! الوسم: / على الفخذ (لا يستعمل بسبب عدم وجود جمال لديهم).

4 ـ يجب فهمهم بين عبيد قائمة تورويت. صيحة الحرب: عبيد مريم! الوسم: T (لا يستعمل بسبب عدم وجود جمال لديهم).

5 ـ الوسم: —— على الأذن اليمنى و / على الأذن اليسرى. صيحة الحرب: راعي الجديعة! في حالات الفرح ينشدون: نوخت حيران عبس بين ظل وبين شمس.

6 ـ قاض معروف، البرغوثي، محاكم عدلية بين بدو فلسطين، ص 11.

7 ـ بلاونة من غور أبو عبيدة، انظر فصل شرقي الأردن. صيحة الحرب: إخوة دلعب! الوسم: (على الأذن اليمنى.

8 ـ صيحة الحرب: صبيان الكعابنة! وسم النجوم غير معروف، وسم بقية الفروع: / على الخد الأيمن.

9 ـ ينحدرون من فرع الترابين الذي يحمل نفس الاسم (هـ ا جـ).

10 ـ من نفس القبيلة التي تحمل الاسم نفسه وستعالج في المقال القادم.

11 ـ من أصل غريب أيضاً.

12 ـ الوسم: / على الأنف والخد الأيمن.

13 ـ الوسم: / على الخد الأيمن؛ صيحة الحرب: دبيسات!

النصيرات

يستحق النصيرات اهتماماً أكبر مما تستحقه القبائل الصغيرة السابقة. صحيح أن الرحالة القدامى[1] لا يعتبرونهم من الطبقة الأولى ولكنهم بالرغم من هذا يتمتعون بسمعة دينية مباركة. وهذا ما يعبر عنه أيضاً شكل عملهم؛ فالفرع، الدواعرة (أبو يمين)، منظم على شكل رابطة أخوية دينية. وكما في أيام روبنسون، حيث كان الشيخ مصطفى أبو يمين[2] يمنح البركة، فإن الشيخ بركات أبو ميثا يعطى اليوم هذه البركة؛ وهو يتمتع بحق إعطاء الاسم في قبيلته. وعن جد الدواعرة تروى الحكاية التالية:

قبل 300 سنة قرر شريف من الحجاز اسمه ختمي الحج إلى القدس برفقة عبده. وفي مدائن صالح فقد المسافران جمليهما. ورفض مرافقوهما السماح لهما بالركوب على جمالهم وسخروا منهما. فجلس ختمي وعبده على حجر وقام الحجر بنقلهما إلى البقيعة على البحر الميت، إلى الشرق من بيت لحم. ولم يزل

(1) سيتزن، الجزء الثاني، ص 246 وما يليها، 266 وما يليها. سيتزن يتحدث فقط ... دون أن يذكر اسم قبيلة النصيرات. ولكن الانتماء يظهر من أسماء الشيوخ. انظر روبنسون، الجزء الثاني، ص 558: "المخيمان أبو يمين وأبو ناصر يشكلان معاً قبيلة ...".

(2) روبنسون الجزء الثاني، ص 531 وما بعدها.

الحجر موجوداً هناك حتى اليوم؛ وله شكل الجمل مع مكانين لجلوس شخصين، وهو يحمل للذكرى اسم حجر الدواعرة[1]. وبعد ذلك تابع الشيخ ختمي وعبده رحلتهما إلى القدس. وهناك قام حاكم المدينة بزجهما في السجن، ولكن أبواب السجن انفتحت لهما تلقائياً. وهنا عرف الناس أنهما من الأولياء الصالحين وأهدوهما قرية صور باهر الواقعة في منتصف الطريق بين القدس وبيت لحم. وحظي الشيخ ختمي بتكريم عظيم من الناس. وكان له رسول خاص يوفده إلى رؤساء الفرق الصوفية لتبادل الرسائل. وهذا الرسول هو جد النصيرات[2].

من الواضح أن خاتمة هذه الحكاية ترمي إلى إقامة صلة وثيقة بين فرع النصيرات (أبو نصير) وفرع الدواعرة الذي أسسه الشيخ ختمي، ولكن هذه الصلة هي بالتأكيد ليست أصلية، كما أن الأصل المزعوم يتناقض مع الحكاية.

يسكن النصيرات في الصيف في المرصّص وفي الشتاء في أريحا والعديا الواقعة شمالها. ولهم أقرباء يعيشون في عجلون، وبالتحديد في قريتي الحصن والناطفة التابعتين لمنطقة بني عبيد[3].

في مطلع القرن التاسع عشر تراجع عددهم تراجعاً كبيراً. وكانوا في السابق محاربين أشداء شاركوا أيضاً في ثورة عام 1834م. ولقد استقلت اليوم العناصر الزنجية التي كانت في السابق موجودة بينهم[4]، انظر الصفحة 73 أعلاه. والنصيرات يمنيون.

(1) إلى هنا تصل الحكاية في Palestine Exploration Fund, London، 1874م، ص 68.

(2) هناك رواية أخرى تقول بأنهم أحفاد أحد أخوة الشيخ ختمي.

(3) ولكن هؤلاء لا يعترفون بهذه القرابة، انظر بيكه، ص 289.

(4) روبنسون، الجزء الثالث، ص 373؛ سيتزن، الجزء الثاني، ص 247، 297.

النصيرات

شيخ المشايخ : عايد الحلو

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الدواعرة (الفهود)(1)	بركات أبو ميثا	أريحا	3
2 ـ النصيرات(2)	عايد الحلو	أريحا	15

ملاحظات

1 ـ صيحة الحرب: راعي الحريدة! الوسم: / على الأنف و على الخد الأيمن.

2 ـ صيحة الحرب: إخوة وطفة! الوسم: / على الخد الأيمن وجرح في الأذن اليمنى.

النفيعات

في قضاء حيفا الذي يمتد على الساحل باتجاه الجنوب حتى وادي الحوارث تقريباً يوجد قبيلة عربية كبيرة وحيدة هي قبيلة النفيعات. وهم، شأنهم شأن غالبية بدو المنطقة الساحلية، جاؤوا من الجنوب. وكانت قبيلتهم الأم تعيش في العصور الوسطى في سيناء[1]، لكنها هاجرت في وقت لاحق، باستثناء فرع واحد، إلى مصر[2].

يسكن النفيعات حول الخضيرة، وقد ورد ذكر لهم هناك منذ عام 1799م[3]. وكان شيخهم آنذاك الشيخ عبد الله السُّراب، الذي ما زالت عائلته حتى اليوم تتولى الحكم. وتنحدر عائلة السُّراب من أصل يختلف عن أصل النفيعات. فهي تنتمي إلى بني عقبة، وهم قبيلة من جذام لها وجود قوي بين سكان فلسطين وشرقي الأردن. والسُّرابات قوم محترمون ويعتنون بنسبهم النبيل.

(1) ورد ذكرها في عام 1001هـ/ 1593م، انظر شقير، تاريخ سيناء، ص 110.

(2) اليوم في محافظة الشرقية (1897م) Recensement Général de L'Égypte، الجزء الثالث، ص 13.

(3) وصف مصر، الجزء 16، ص 116 وما بعدها.

النفيعات

شيخ المشايخ: نمر حسن السيد؛ علي عبد الله

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ السرابات(1)	نمر حسن السيد؛ علي عبد الله		400
قبائل ملحقة			
1 ـ الشيخ حلو(2)			
2 ـ الحصيوات	سالم الإبراهيم		16
3 ـ العكاشة	محمد العكاشة	الخريبة	28
قبائل ملحقة			
1 ـ الحجاب(3)	العبد الحاجبي		54
2 ـ الدبلة(4)	محمد العطبة		20
3 ـ الحنوص(5)	محمد الأسعد		11
4 ـ المباركين(6)			

ملاحظات

1 ـ صيحة الحرب: راعي العليا! الوسم: C على الجهة اليسرى من الرقبة وجرح في رأس الأذن اليسرى.

2 ـ ينتمون إلى فرقة دينية تقوم بمعالجة المضطرين عقلياً والمصابين بمرض الكلب. وهم ينتسبون، مثلهم مثل كثير من قبائل الدراويش، إلى نعيم الجولان.

3 ـ بني مرة، والمعني بذلك سكان قرية تحمل الاسم نفسه واقعة قرب القدس.

4 ـ من الكرك.

5 ـ عبّاد من البلقاء.

6 ـ عبيد سود للحاجبي.

عرب الأمير الحارثي

في السهل الساحلي إلى الغرب من طولكرم، في وادي الحوارث، وجد أتباع أمير قبيلة حارثة، الذي كان في يوم من الأيام شخصاً بالغ الأهمية، ملاذاً. وكان بنو حارثة قبيلة من طي تنتمي إلى مجموعة سنبس[(1)] التي هاجرت إلى فلسطين في فجر الإسلام. وعندما قامت الحكومة الفاطمية في عام 442هـ/ 1050م بنقل السنبس إلى مصر[(2)] بقي بنو حارثة في فلسطين. وكانوا في العهد المملوكي يقيمون في منطقة جنين. ولم تزل المنطقة الواقعة جنوب خط جنين ـ بيسان تحمل حتى اليوم اسم "بلاد (بني) حارثة". كانوا آنذاك قابعين لآل مرا القبيلة الطائية الحاكمة في جنوب سورية[(3)]. وفي عام 803هـ/ 1400م قدموا قوات للفرقة العسكرية التي قدمها نعير، أمير الفضل، للسلطان المملوكي لمواجهة تيمور.

ورد ذكر عائلة شيوخ بني حارثة، ابن طرباي (طربية)، لأول مرة في بداية

(1) الحمداني عن القلقشندي، ص 188، لا يذكر هذا الانتماء، ولكن ابن خلدون يذكره، البربر، الجزء الأول، ص 13. وفي القرن السابع عشر كانت عائلة الأمراء تعيد نسبها إلى السنبس، محبي، الجزء الأول، ص 334، واليوم تعرف القبيلة على الأقل أصلها من طي وتعتبر نفسها من اليمنيين.

(2) المقريزي، قبائل عربية، ص 49.

(3) الحمداني عند القلقشندي، ص 188. ابن خلدون، البربر، الجزء الأول، ص 13؛ انظر الجزء الأول، ص 505 و504 وما يليها، نفس المصدر، ص 519.

القرن السادس عشر. وكانت تشيد بالسلطان سليم في غزة عندما كان في نهاية عام 1516م يزحف على مصر[1]. وكان رئيسهم آنذاك يشغل منصب "أمير الدربين"، أي أنه كان مسؤولاً عن أمن الطريقين العسكريين الكبيرين[2]. وبهذه الصفة كان أول من استقبل نبأ انتصار الأتراك قرب القاهرة. وهو الذي قدم أيضاً الخدمة للسلطان عند عودة الجيش إلى دمشق[3]. ويبدو أن هذا الأمير هو نفسه قراجا بن طرباي الذي قام جان بردى الغزالي[*]، أول حاكم عثماني لدمشق، عام 925هـ/ 1519م باعتقاله وشنقه مع شيوخ آخرين من جبل نابلس[4]. وانجرّ ابنه طرباي بن قراجا إلى الصراع الذي نشب عام 1520م بين جان بردى وأول حاكم عثماني لمصر، سيّىء السمعة خاير بك. فقد كان جان بردى، الذي كان قبل ذلك موظفاً مملوكياً كبيراً، يريد الاستقلال في سورية لكنه لم يلق الدعم من خاير بك، ثم انتقل النزاع بين الرجلين إلى القبائل البدوية الموجودة في المنطقة الحدودية السورية المصرية: السوالم (السوالمة) غربي غزة وبنو عطا في شرقي الأردن وبنو عطية في سيناء وقفوا إلى جانب دمشق، بينما وقف طرباي، طبعاً،

---

(1) فون هامر، تاريخ الدولة العثمانية، الجزء الثاني، ص 495.

(2) وهما الطريق المصرية المؤدية إلى القدس عبر لجوّن والطريق المؤدية إلى القدس عبر جنين. وعلى كلا الطريقين كان ابن طرباي وما زال حتى في القرن الثامن عشر يجبون رسم مرور، أنظر أدناه.

(3) ر. هارتمان، الشذرات التوبنغية من تاريخ ابن طولون، برلين 1929م، ص 120، 126.

(*) ولى السلطان سليم العثماني جان بردىٰ الغزالي أمر وحكم بلاد الشام بما فيها نابلس والقدس والكرك وغزة. وجان بردىٰ هذا هو من مماليك (الأشرف قايتباي) اشتراه وأعتقه، ثم عين مأموراً لقرية مصر تعرف باسم "منية غزال" فنسب إليها، وأخيراً كان قائداً عاماً للجيش الذي أرسله «طومان باي» لقتال السلطان سليم فانهزم في معركة غزة وفرّ وبعدها خان ملكه والتحق بالسلطان سليم وكان له عوناً على قهر "طومان باي" وفتح مصر وكافأه لخدمته فولاه السلطان العثماني ولاية الشام. (المصدر الأردن في التاريخ) (ماجد شبّر).

(4) ابن إياس، الجزء الثالث، ص 191، 244.

ضد جان بردى قاتل أبيه[1]. وعند سقوط جان بردى (1521م) ارتفعت أسهم طرباي عند الحكومة. وفي عام 938هـ/ 1531م ـ 1532م نفذ بناء قلعة أخيضر (الآن: الأخضر) التي ينبغي لها أن تحمي طريق الحج جنوب تبوك من هجمات بني لام[2].

كانت أراضي بني طرباي في القرن السادس عشر تشمل، بالإضافة إلى منطقة القبيلة، بلاد حارثة، وهي منطقة جنين وبيسان. تسمى هذه المنطقة عادة سنجق لجّون وكانت ممنوحة للطرباي وراثياً مقابل الولاء اوجا قلق[3].

وفي القرن التالي وسّعوا منطقتهم حتى البحر. وبعد أن ضاعت سلسلة الحكام فترة من الزمن عادت إلى الظهور لمجيء الأمير طرباي بن علي الذي توفي عام 1010هـ/ 1601م ـ 1602م[4]. وقد وسع ابنه أحمد (1601/ 1602م ـ 1647م) سلطة العائلة توسيعاً هاماً بأن استغل الاضطرابات السياسية التي حدثت في سورية آنذاك بسبب مطامح العائلات الأميرية المحلية من أمثال جانبولاد[*] في كلّس وابن صيفا في طرابلس وزعماء الدروز. وكان خصمه الرئيسي أمير لبنان، فخر الدين. وشارك أحمد عام 1613م مشاركة فعالة في التحالف الكبير الذي أدى إلى طرد فخر الدين من البلاد[5]. وبعد عودته عام 1618م حدثت مصالحة ولكن أحمد عقد عام 1622م

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) جهان ـ نما، ص 523 وبعده محمد أديب، مناسك الحج، ص 75. كتب الاسم في الكتابين بشكل غير صحيح "طربان بن قراجا" ثم قام موزيل في كتابه "شمال الحجاز" ص 230 بتحويره مرة أخرى وسماه طربان بن فرّاج.

(3) جهان ـ نما، ص 554، 569.

(4) استناداً إلى محبّي، خلاصة الأثر، الجزء الأول، ص 221 وما بعدها؛ المقال المقصود نشره مرة أخرى فوستنفلد في كتابه: فخر الدين الأمير الدرزي ومعاصروه، الفصل 151.

(*) جانبولاد: أسرة كردية الأصل تحول اسمها إلى جانبلاط، وجانبولاد «تعني النفس الفولاذية» والذي حوِّر إلى جانبلاط واشتهر من هذه الأسرة حسين باشا بن جانبلاط الذي عين حاكماً على كلّس. [بلاد الشام ومصر] عبد الكريم راخو دمشق 1967 ص 201. (ماجد شبّر).

(5) استناداً إلى «أخبار الأعياني في جبل دبنان Dubnan» ربما يكون لبنان! ص 259 ـ 326.

مرة أخرى حلفاً مع بشير قانصوه، أمير عجلون، ضد الزعيم الدرزي. لكن فخر الدين كان يقظاً واضطر خصومه إلى الهرب إلى الرملة. فتبعهم إلى هناك، إلاّ أنه انهزم. وفي العام التالي تكررت لعبة مشابهة. وبعد ذلك عقدت اتفاقية سلام تعهد بموجبها فخر الدين بهدم الحصن الذي كان قد بناه في حيفا وتعهد أحمد بن طرباي بحماية الطرق. ومنذ بادية الثلاثينات عاد أحمد مرة أخرى إلى العمل على إسقاط خصمه القديم[1]. وعندما سقط فخر الدين فعلاً عام 1633م وسّع أحمد منطقته نحو الغرب حتى حيفا وإلى ما وراء الكرمل. ونحو الجنوب وصل نفوذه إلى الكرك. وقدرت وارداته بحوالي 170,000 ليرة كان يدفع منها للسلطات المالية 24,000 ليرة[2].

حافظ الأمير أحمد على المناقب البدوية: فعندما طلب منه علي بن أحمد بن جانبولاد قتل يوسف بن صيفا الذي لجأ إليه والاستيلاء على الكنوز الهائلة التي كانت في حوزته، رفض الطلب وقال لضيفه إنه ليس لديه ما يقدمه له هدية سوى فرس أصيل لم يمتطيه أحد بعد وفاة أبيه.

توفي الأمير أحمد عام 1647م عن عمر يناهز الثمانين عاماً. وخلفه في الحكم ولداه زين[3] (1647م ـ 1660م) ومحمّد (1660م ـ 1671م). ولم تكن أهمية محمد تقل عن أهمية أبيه، حسبما يستخلص المرء من وصف المندوب الفرنسي دارفيو[4] الذي قضى عنده في الستينات وقتاً طويلاً وعمل أحياناً سكرتيراً له. فقد عرف أحمد كيف يحافظ على السلطة التي أسسها أبوه وذلك عن طريق إقامة علاقات جيدة مع الموظفين الأتراك. وكان لديه حسب تقدير دارفيو أكثر من 5000 خيال

---

(1) روجيه، La Terre Sainte، باريس 1664م، ص 350 وما بعدها؛ انظر ص 346.

(2) دارفيو، رحلة، كوبنهاغن ولايبزغ، 1753م ـ 1756م، الجزء الثالث، ص 133؛ روجيه، ص 80 وما بعدها؛ أخبار الأعيان، ص 330 وما بعدها؛ تاريخ الناصرة، ص 46.

(3) حسب دارفيو، الجزء الثالث، ص 133، محبّي: «زين».

(4) دارفيو، الجزء الثالث، ص 85.

وكثير من الفلاحين. كما أن مكانته داخل عائلته التي كانت كثيرة التفرع ـ يذكر دارفيو 18 أميراً ـ كانت قوية أيضاً. عاش محمد مثل أبيه[1] على الطريقة البدوية في المخيم وكان يكره المدن. علماً بأنه لم يكن بأي حال معادياً للمدنية، بل بالعكس فقد كان رجلاً مثقفاً ومحبّاً للناس. توفي في جمادى الثاني عام 1082هـ/ 1671م ودفن في جنين[2]. حكم بعده ابن أخيه زبن. وبعد ابن زبن جاء يوسف بن علي، وهو آخر أمير مستقل في لجون؛ ففي عام 1677م سحب السنجق ونقل إلى سلطة أحمد باشا ترزي[3].

حافظت العائلة، طبعاً، على نفوذها الموروث في لجون وجنين؛ ففي عام 1697م كان الأمير شبلي لم يزل يجبي رسوم مرور على الطريق في المنطقتين، وفي عام 1726م كان الطرباي لا يزالون يملكون الكرمل[4]. ومذاك تختفي أخبار العائلة، فقد فقدت أهميتها في القرن الثامن عشر. وفي الوقت الحاضر نجدها في وادي الحوارث حيث وحدت بعض قبائل الساحل، مثل البلاونة والزبيدات، تحت سلطتها. وكان آخر أمير حارثي قد قتل عام 1870م على يد حسن الملحم من قبيلة الزبيدات. وبعد مقتله نشب خلاف حول إرثه بين أمير السردية الذي تربطه مع العائلة صلة قربى وبين الشيخ يوسف من قبيلة الكشوك المجاورة. فقد أجبر مجحم، أمير السردية، صبحا، البنت الوحيدة للأمير المقتول، على الزواج منه رغماً عنها لكن صبحا هربت مع الشيخ يوسف أبو كشك الذي خطفها بالقوة. وعلى إثر ذلك حدثت عدة معارك بين الطرفين انتهت أخيراً لصالح الشيخ يوسف بعد تدخل أمير المساعيد، سطم الفايز من بني صخر، والحاكم التركي المسؤول. وبعد ذلك تزوج أبو كشك صبحا واستولى على وادي الحوارث. لكن الأراضي

---

(1) سانديز، Sandys, Travailes, London...(رحلات)، لندن 1658م، ص 158.

(2) يبدو أن القبر لم يزل موجوداً حتى اليوم.

(3) مرادي، سلك الدرر، الجزء الرابع، ص 166.

(4) موندرل، رحلة من حلب إلى القدس، أوكسفورد، 1732م، ص 57 وما بعدها، 111؛ ب .آ .م. مايلر، وصف رحلة، فيينا ونورنبرغ، 1735م، ص 96.

انتقلت بعد ذلك إلى أيد أخرى عن طريق البيع وفي عام 1926م إلى الصهاينة. وأخيراً طرد السكان القدامى في يوليو/ تموز عام 1933م من أراضيهم بالقوة.

في عام 1928م لم يكن عرب الأمير الحارثي يضمون سوى ثلاث عائلات صغيرة، بالإضافة إلى أحفاد عبيد سابقين وبعض الأحرار من قبائل أخرى. كانوا وما زالوا يعيشون في الخيام، لكنهم يمارسون العمل الزراعي. وكان لديهم نحو 2000 شاة و 1000 جمل.

عرب الأمير الحارثي(1)

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الخرمات		2
2 ـ السرحان (غريفات)	حسن السرحان	3
3 ـ الكلبي(2)		1
قبائل ملحقة		
1 ـ دار عامر(3)	عبيد الله العامر	10
2 ـ دار غانم(3)	ذياب الغانم	10
3 ـ العوفية(4)	رحيم العوفي	20
4 ـ الطحامرة(5)	حمد أبو طحمير	5
5 ـ السروجية	فهيد السروجي	12

ملاحظات

1 ـ وصف مصر، الجزء 16، ص 118 وما بعدها، Palestine Exploration Fund 1873م، ص 105.

2 ـ هناك عائلة أخرى، عائلة مهنا، انقرضت.

3 ـ عبيد سود للأمير الحارثي.

4 ـ في الأصل عبيد، وفي وقت لاحق لاجئون عند الأمير ناصر الحارثي.
صيحة الحرب: داخون!.

5 ـ الوسم: ٢ على الجهة اليمنى من الرقبة.

الكشوك

الكشوك هو اسم عائلة شيوخ تسكن في كفر سابا وبيار عدس مع أتباعها. ويعيد الكشوك شجرة نسبهم إلى طي، لكنهم في الحقيقة من أصل تركي[1] جاؤوا من مصر، بعد إقامة طويلة في بئر السبع، إلى المنطقة حيث التحقوا في بادئ الأمر بقبيلة المجانين.

يؤكد البرغوثي على الشكل الجميل لأبناء العائلة وعلى ذكائهم وسلوكهم المحترم. وهم يعتبرون أنفسهم قيسيين.

أمّا حماتهم السابقون، المجانين، فقد تقلصوا اليوم إلى عائلتين تسكن إحداهما عند الكشوك والأخرى عند النفيعات، لكنهما ما زالتا تتمتعان بمركز محترم لأنهما أقدم في المنطقة. كانت للمجانين في السابق علاقات وثيقة مع الأمراء الحارثيين. وبطلهم هو الشيخ حسن الصالح الذي يحفظ اسمه تل صغير قرب ملبّس. عاش قبل حوالي 120 عاماً ودخل في حرب مع الكشوك، الذين كان قد اختلف معهم، ومع السواركة في العوجا.

(1) برغوثي يعتقد بوجود قرابة مع الشيخ محمد بن كشك المذكور عند ابن إياس، الجزء الثالث، ص 28.

الكشوك(1)

شيخ المشايخ: شاكر بن محمد أبو كشك(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ عيال محمود			8
2 ـ عيال يوسف			20
3 ـ عيال زبن			6
قبائل ملحقة			
1 ـ الزوايرة(3)	عيسى بزور		8
2 ـ اللبود(4)	موسى أبو لبد		7
3 ـ العرايشة(5)	محمد عودة		50
4 ـ الخولية(6)	إبراهيم الخولي	كفر سابا؛ بيار عدس	5
5 ـ العجاجرة(7)	حسن العجوري		15
6 ـ القرعان(8)	إبراهيم العويص		40
7 ـ المساطوة(8)			15
8 ـ المهور(9)	محمود المهر		
9 ـ الشوابكة(10)	حسن الشوبكي		30
10 ـ أبو قنديل(11)	يونس أبو قنديل		
11 ـ الخمايسة(12)			2
12 ـ الزواتين(12)			12

ملاحظات

1 ـ وصف مصر، الجزء 16، ص 116 وما بعدها؛ قارن 120 وما بعدها. صيحة الحرب: يا خيالة الرحمن! العائلات الكشوكية الأصلية الثلاث تستعمل الصيحة: خيّال الخيل! الوسم: Z على الفخذ الأيسر.

2 ـ سلسلة النسب: شاكر بن محمد بن فارس بن أسعد بن يوسف بن أحمد بن زيد بن سليمان بن صالح بن إبرهيم بن عيسى.

3 ـ من دير الزور.

4 ـ من يبنا.

5 ـ اسمهم يشير إلى أنهم من العريش ولكنهم يقولون إنهم أحيدات (انظر مقال ترابين).

6 ـ من غزة.

7 ـ من قرية عجور قرب الخليل.

8 ـ صيحة الحرب: عيال القرعة! الوسم: ∧ على الورك. وهذا هو وسم الحويطات الذين يزعمون أنهم ينحدرون منهم (من الحويطات). قارن جدول الحويطات د 9).

9 ـ من بني سهيلة عند خان يونس، يزعمون أنهم من طي. صيحة الحرب: راعي الشقرا! الوسم: T على الفخذ.

10 ـ من شوبك. الوسم: □ على الورك.

11 ـ هناك من يقول إنهم من قطيا، وآخرون يقولون جرامنة.

12 ـ عبيد للكشوك.

السوالمة

السوالمة في العوجا هم آخر جزء من قبيلة مهمة كانت تسكن في نهاية العهد المملوكي في المحافظة المصرية الشرقية وإلى الأبعد نحو الشرق حول العريش. وقد ورد ذكرهم أول مرة خلال الاضطرابات التي حدثت في فترة حكم السلطان ملك ناصر محمد القصيرة (1495م ـ 1498)[1]. وعندما كان السلطان سليم (1516م) في طريقه إلى مصر بايعه جزء من القبيلة قرب غزة[2] بينما بقي جزء آخر في خدمة المماليك وقام بمضايقة الجيش العثماني المتقدم. وفي عام 1520م ثار السوالمة بسبب تدابير غير لبقة اتخذها محافظ الشرقية؛ أخمدت الثورة بعد تدخل شخصي من خاير بك حاكم مصر[3]. ولذلك وقف السوالمة في النزاع الذي نشب بين خاير بك وجان بردى غزالي حاكم دمشق إلى جانب الأخير. وبعد ذلك بوقت قصير هُجِّر السوالمة، كما يبدو، إلى فلسطين إذ إنهم كانوا في بداية القرن السابع عشر القبيلة السائدة بين يافا والرملة[4].

(1) ابن إياس، الجزء الثاني، ص 324. هناك ورد الاسم "سواملة" وفي مكان لاحق "سوالم"، الصحيح في الجزء الثالث، ص 94.

(2) غور GOR، الجزء الثاني، ص 495، الملاحظة، انظر ص 524.

(3) ابن إياس، الجزء الثالث، ص 94، 210 وما يليها.

(4) أخبار الأعيان، ص 304، 318.

في هذه الأثناء تقلص السوالمة كثيراً لكنهم ما زالوا يتمتعون بشيء من الاحترام. وفي الآونة الأخيرة انخفض عددهم أكثر بسبب تفشي مرض الزهري بينهم.

السوالمة(1)

شيخ المشايخ: ابن ذوقان

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ ابن ذوقان	صبري بن محمود ذوقان	10
القبائل الملحقة		
1 ـ الحويطات		5
2 ـ ابن كعبة(2)	سعد بن كعبي	15
3 ـ جماعة درويش السالمي(3)	ضيف الله السالمي	12

ملاحظات

1 ـ صيحة الحرب: عيال سليم!.

2 ـ كعابنة.

3 ـ يزعمون أنهم ينحدرون من السليم في نجد، لكنهم في الحقيقة فلاحون من حمامة (شمال المجدل).

الجرامنة[1]

الجرامنة هو الاسم الجديد لقبيلة الجرم التي جاءت إلى فلسطين مع الهجرات القديمة جداً (طي). وقد ورد ذكرهم هنا في أيام الحروب الصليبية وكانوا آنذاك يسكنون من غزة نحو الداخل وحتى الخليل[2]. وفي العهد المملوكي أصبح الجرم القبيلة السائدة في جنوب فلسطين. وكان شيخهم يحمل في البداية لقب "مقدم" ثم أصبح يحمل لقب أمير. وكان مقر هؤلاء الأمراء في قرية قباب الساوية[3] في وادي الملح إلى الشرق من بئر السبع. في الغرب كان نفوذهم يصل إلى غزة وفي الشمال

---

(1) المقريزي، قبائل عربية في مصر، ص 47؛ حمداني في صبح الأعشى، الجزء الأول، ص 322. هنالك قبيلة ثانية تحمل نفس الاسم كانت تسكن جنوب الكرك، لكنها تنتمي من ناحية النسب إلى قضاعة.

(2) ابن فضل الله العمري (توفي 1341)، تعريف، ص 80، يسمي عائلة الشيوخ آل فضل ابن حمى (صبح، الجزء الرابع، ص 211: حجى). في عهد السلطان برقوق (1382م ـ 1398م) كان اسم المقدم علي بن فضل، صبح، الجزء الرابع، ص 212، وفي وقت لاحق: عمر بن علي بن أبي بكر. Gaudefroy - Demombynes، ص 196.

(3) الإنس الجليل، الجزء الثاني، ص 430. الاسم الذي يزعم أنه مشتق من عائلة الأمراء بني ساوة، مشكوك فيه. ترجمة سوفير Sauvaire (تاريخ القدس والخليل، ص 231) تكتب: الشاورية وبني شاور. واليوم تسمى تلك القرية الواقعة بين الأنقاض ببساطة خربة القباب، موزيل، البتراء العربية، الجزء الثاني، ص 194.

حتى جبل نابلس[1]. وعندما حاول في عام 894هـ/ 1489م الأمير غير الراشد أبو العويس[*]، أو بالأحرى "وزيره" (الذي كان يسمى "الحاجب")، فرض ضريبة على فلاحي جبل القدس[2] باءت محاولته بالفشل بسبب تدخل كبار شيوخ المسلمين لدى الحكومة. وفي عام 899هـ/ 1494م حدث خلاف بين حاكم القدس وحاكم غزة حول تعيين أمير جديد. كان مرشح حاكم القدس محمد بن إبراهيم الود ياتي، el wed Jati، وكان مرشح حاكم غزة أبو العويس بن أبي بكر. واعتبرت القاهرة المسألة مهمة جداً إلى درجة أنها طلبت عقد اجتماع في غزة يحضره الحاكمان وقاضيا المدينتين. وهنا حصل الود ياتي على المنصب بعد أن كفل حاكم القدس جباية الضرائب المطلوبة ودفع مبلغ إضافي فوقها[3].

بعد وقت قصير من ذلك التاريخ يبدو أن إمارة الجرم فقدت شيئاً من أهميتها. فلم يرد ذكر لأمراء الجرم بين شيوخ البدو الذين زاروا السلطان سليم عند مروره قرب غزة في طريقه إلى مصر.

لا نجد في المراجع أي شيء عن الجرم في العهد العثماني. ولذلك فنحن مضطرون إلى الاعتماد على حكايات القبيلة حصراً. ولقد حافظت هذه الحكايات على ذكرى إقامة الجرم في وادي الملح. وتقول إن القبيلة هاجرت من هنا على ساحل البحر الميت وفي وادي الأردن إلى وادي فارعة. وليس هناك شك في أنها أقامت في تلك المناطق، إذ إن كثيراً من القبائل الموجودة هناك، ومنها الكعابنة والجهالين، تحتفظ بذكرى سيادة الجرم. وكان الدوك والنويعمة في أريحا عبيداً عند الجرم، وكان الفهيدات، هناك أيضاً، تحت حمايتهم[4]. أمّا العبيدية إلى

(1) ابن إياس، الجزء الأول، ص 342.

(2) في قرية الوادية نفسها لم تزل ذكرى الجرم حية.

(3) الإنس الجليل، الجزء الثاني، ص 676 وما بعدها، 698 وما بعدها.

(*) أبو عويسر كما يذكره (الإنس الجليل، الجزء الثاني، ص 346، ط 1973م/ دار الجيل (ماجد شبّر).

(4) انظر مقال: قبائل صغيرة في أريحا.

الشرق من بيت لحم فهم الذين خلفوهم[1]. وحتى وراء هذه المنطقة، عند عبّاد البلقا وعند البشاتوة إلى الجنوب من بحيرة طبرية، توجد بقايا من الجرامنة.

وحسب حكاية القبيلة انتهى حكم الجرم في وادي الأردن بسبب ثورة قامت بها القبائل الخاضعة بقيادة أمير المساعيد. فطرد الجرم نحو الساحل واستوطن جزء منهم في عوجا شمال يافا وجزء آخر جنوباً في وادي الصرار. لكنهم فقدوا في وقت لاحق الجزء الأكبر من هذه المنطقة لصالح جيرانهم الكشوك ـ المجانين في الشمال والجبارات في الجنوب. وعندما تمّ في نهاية القرن الماضي تسجيل جميع الملكيات العقارية في السجل العقاري (الطابو) تقاعس الجرامنة، بدافع الحذر من الاحتكاك بأجهزة الدولة كما هو الحال لدى جميع البدو، عن تسجيل أملاكهم ولذلك فقدوا حقوقهم فيها. ولم يبق لهم اليوم سوى القرى رأس العين، ومجدل يابا، ودير بلوط، والفجة، والمويلح إلى الشرق من يافا. وهم يسكنون في بيوت من حجر.

لا يوجد جرامنة أصليون إلا الفرعان السناقرة والدواقرة، اللذان لديهما نفس صيحة الحرب: عيال ضيغم. وهم لا يزوجون بناتهم للمجموعات الملتحقة بهم، وإنما يتزاوجون فقط مع العايد الذين نسبهم نقي أيضاً. وعلى الرغم من ذلك فقدوا قيادة القبيلة وأصبحت في يد الزررة.

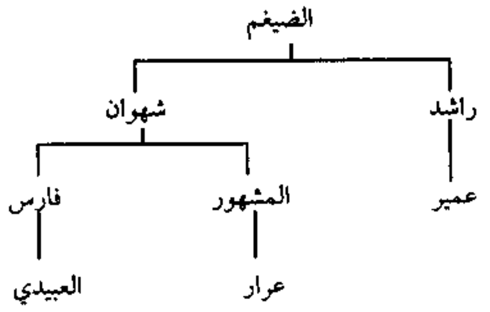
يعتبر الجرامنة أنفسهم قيسيين متجاهلين أصلهم العربي الجنوبي.

(1) لاحظ بوركهاردت، ص 21، الذي يذكر بقية من الجرم عند أريحا نفسها.

عائلتا الأمراء العرارات العويسات

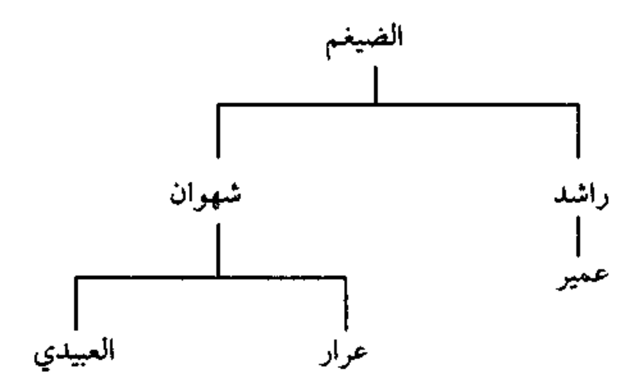
حافظت عائلة أمراء الجرم القديمة على نفسها لكنها فقدت صلتها بالقبيلة. وهي تتفرع إلى خطين حملا منذ زمن طويل لقب الشيخ في قريتي بني عمير ووادي الصرار التابعتين للرملة وتعيد الروايات المتناقلة أصلهم على الشكل التالي[1] إلى البطل الأسطوري الضيغم[2].

(1) عند البرغوثي تختلف هذه الشجرة بعض الشيء:



وإذا ما قارنا هذا مع ما كتبه بوركهاردت ص 192 (انظر أيضاً ص 326): "كان لدى سعود درع قديم ومشهور كان في يوم من الأيام لعرار الضيغمي الشهير، صاحب الحصان مشهور، وهو بطل معروف جداً في التاريخ العربي" فإننا نجد أنفسنا مضطرين إلى الظن أن البرغوثي وقع في خطأ بأن ظن أن "عرار فارس المشهور" هو اسم لثلاثة رجال هم: عرار وفارس ومشهور. وبناء على ذلك صححنا شجرة النسب أعلاه.

(2) قارن أيضاً بيكه، ص 260، حيث يجب قراءة ضيغم بدلاً من ضغيم.



لم يزل الضيغم، أو بالأحرى أحفاده الضياغمة، موجوداً في حكايات نجد أيضاً[1]. من العبيدي ينحدر العبيدية (انظر المقال الخاص بهم أدناه). وعرار هو جد خط العرارات الذين حكموا في وادي الصرار، وعمير هو جد العويسات السادة السابقين لمنطقة بني عمير. ولا شك في أن العويسات لهم صلة بالأمير أبو العويس المذكور في الصفحة 96 أعلاه، هذا مع صرف النظر عن موقف أبو العويس من عمير وشجرة النسب. وبما أنه كان هناك منذ القدم نوع من التوتر بين العويسات والعرارات مشابه للتوتر بين أبو العويس ومنافسه الود ياتي في العهد المملوكي، فإن البرغوثي لا يخطئ عندما يعتبر العرارات أحفاد الود ياتي.

كان العويسات يملكون إلى جانب منطقة بني عمير[2] منطقة بني حمار المجاورة لها شمالاً، لكنهم فقدوها في وقت مبكر لصالح العائلة النبيلة المعروفة "أبو غوش" من "قرية العنب". وكانوا يسكنون سابقاً في الخيم ثم استوطنوا قبل حوالى 60 عاماً في البرج وفي بير أماعين. وهم لم يعودوا اليوم يختلفون في المظهر عن محيطهم لكنهم ما زالوا يحملون لقب أمير.

---

(1) انظر الملاحظة السابقة ومقال شمر في فصل شمال ووسط شبه الجزيرة العربية (الجزء الثالث).

(2) يقع الجزء الأكبر من المنطقة شمال وادي الصرار، من برفيليا شرق الرملة حتى بيت نيتف في الجنوب.

يسمي العرارات أنفسهم الآن عيال الأمير ويعيشون عند العمارين الذين هم فرع من الجبارات. اسم أميرهم: سلامة بن الأمير يونس. وهم بالتأكيد المقصودون بـ "عرب الأمارة" الذين يذكرهم كتاب حملة نابليون، الجزء 16، ص116 وما بعدها، بين الرملة واللد بزعامة شيخ سلامة الأمير وهم يرافقون الحجاج في طريقهم إلى القدس، معلومة يقارن بشأنها نيبور، الجزيرة العربية ص 397.

الجرامنة

المختار: جمعة أبو زرّ

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ السناقرة(1)	محمد المصطفى	شرق يافا	7
2 ـ الدواقرة	حسن اسماعيل		3
القبائل الملحقة			
1 ـ الوردات(2)	محمد أبو وردة		10
2 ـ الزررة(3)	جمعة أبو زرّ		6
3 ـ العايد(4)	سالم العايدي		3
4 ـ أبو علوش(5)			4
5 ـ عبيد الوردات			3
6 ـ البخايتة			6

ملاحظات

1 ـ وصف مصر، الجزء 16، ص 118 وما بعدها، يذكرهم بين يافا ونابلس.

2 ـ في الأصل فلاحون من عرّابة قرب جنين.

3 ـ في الأصل فلاحون من بيت جبرين.

4 ـ انظر مقال الجبارات.

5 ـ الفروع الثلاثة الأخيرة عبيد زنوج ويتبع إلى أبو علوش للسناقرة، النجايتة للدواقرة.

السوطرية

يعيش السوطرية، الذين يسمون أيضاً السطرية، قرب الرملة. وهم ينحدرون في الأصل من خربة سطر الواقعة قرب خان يونس جنوب غزة والتي منها أخذوا أيضاً اسمهم. وقد بقيت مجموعات صغيرة منهم في الوطن حيث تعيش تحت حماية الترابين. وهناك فرع من السوطرية، الحطوب، لم يعد يعيشون في الخيام بل بنوا لأنفسهم قرية عند أبو الفضل قرب الرملة. أمّا البقية فيعيشون إلى الجنوب من منطقة السدرة. السوطرية يمنيون.

السوطرية(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحطوب(2)	الحاج حسين عبد القادر	أبو الفضل	
أ ـ جماعة حسين عبد القادر			25
ب ـ الدواهيد	سلمان أبو داهود		10
جـ ـ عيال أبو حطب	حسن أبو حطب		24
د ـ عيال الحاج موسى	حسن أبو موسى		12
هـ ـ عيال محمود أبو عليان	أحمد أبو ديّة		12
و ـ الحميدات	إبراهيم أبو حميد		24
ز ـ عيال أبو حمدة	سليمان الشيخ أحمد		8
2 ـ الصيامات	حسين أبو سليمان	السدرة	40
3 ـ النقيرات	الحاج إبراهيم سالم		
أ ـ المصالحة	مصلح خليل		12
ب ـ عيال الحاج إبراهيم	الحاج إبراهيم سالم		
جـ ـ عيال سليمان حسن	سلمان بن حسن		8
د ـ عيال حسين أبو سالم	حسن أبو سالم		6

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
هـ ـ العيدة	الحاج محمود أبو عيد		12
و ـ النقيرات	مصلح أبو نقرة		20
ل ـ عيال برهم	برهم أبو نقيرة		16
قبائل ملحقة			
1 ـ الحمايدة(3)	الحاج سلمان الحاج سليم	السدرة	
أ ـ الخلايلة	صالح أبو عليان		15
ب ـ الشقاقرة	سلمان الحاج سليم		15
جـ ـ عيال عطية	جبر بن سلمة		9
د ـ عيال الحاج حسن	حسن أبو سليمان		11
هـ ـ المطور	عبد الله أبو مطر		14

ملاحظات

1 ـ على خريطة آرمسترونغ إلى الجنوب من يافا.

2 ـ الوسم: |O| على الجهة اليمنى من الرقبة.

3 ـ الحمايدة لا يتزاوجون مع السوطرية الحقيقيين.

قبائل صغيرة على الساحل

سنجمع في هذا المقال عدداً من القبائل التي تعيش أيضاً على الساحل بين حيفا ويافا ولكنها لا ترقى إلى مستوى القبائل التي عالجناها سابقاً، لا من ناحية العدد ولا من ناحية الأهمية التاريخية. وهي مثل هذه القبائل جاء معظمها من الجنوب.

بجانب وادي الحوارث تعيش قبيلتان كانتا سابقاً تتبعان الأمراء الحارثيين هما الزبيدات والبلاونة.

البلاونة فرع من قبيلة بلي المعروفة التي وطنها الأساسي في الحجاز ولكن لها أيضاً ممثلين في سيناء وجنوب فلسطين وفي وادي الأردن. ومن الممكن أن يكون بلاونة وادي الحوارث جاؤوا من سيناء لأن مجموعة من السواركة المقيمين في سيناء ملحقة بهم. تخيم القبيلة في الوادي في الشتاء فقط، أمّا في الصيف فتخيم عند أم خالد.

الزبيدات هم الجماعة الأبعد نحو الجنوب من الزبيديين الذين خرجوا من حوران وعالجناهم في فصل ما بين النهرين «العراق الشمالي». وهم ما زالوا يستعملون صيحة الحرب القديمة التي كانت تستعملها زبيد وهي: أولاد جبر!، وإلى جانبها الصيحة التي يستعملها أقرباؤهم عند الصقر: راعي البويضة! كان الزبيدات يعيشون في السابق، مثل حماتهم بني طرباي، في جبل نابلس[1]، وهم

(1) وصف مصر، الجزء السادس عشر، ص 118 وما بعدها.

يسكنون حالياً في وادي الحوارث وفي بعض الأحيان في كفر صور وكفر زيباد جنوب شرق طولكرم. وبعد مقتل آخر أمير حارثي اضطروا إلى الهرب من الوادي، لكنهم أعيدوا إليه في وقت لاحق. وهم يعملون في الزراعة وتربية المواشي.

القطاطوة أيضاً، كالبلاونة، مهاجرون جاؤوا من الجنوب. والبدو الذين يحملون هذا الاسم منتشرون كثيراً بين قبائل الجنوب. وهم جميعاً ينحدرون من قطية (غرب العريش) في سيناء. ولم يزل للقطاطوة الذين نتحدث عنهم هنا علاقات مع أبناء قبيلتهم الموجودين عند بئر السبع. وهم يسكنون بين وادي الحوارث وبيارة حانون.

في قرية بيارة حانون وإلى الجنوب منها قرب قلنسوة وفرديسية تعيش جماعتان صغيرتان من الحويطات الذين هاجروا قبل حوالي 150 عاماً من موطنهم قرب معان. تسمي الجماعة الأولى نفسها حويطات وهي تنتمي إلى فرع المناجعة من القبيلة الأم (ب 6) لكنها استقبلت أيضاً بعض أبناء الطقاطقة (آ 6 جـ) والحويطات المصرية. أمّا الجماعة الثانية فتسمى الهزاهزة. وهي منبعثة عن قبيلة فرعية من حويطات ابن جازي (آ 3 ب) تحمل الاسم نفسه «أنظر 436 ـ 438 من هذا الجزء».

تبدأ منطقة نفوذ الجرامنة السابقة عند قلنسوة. ولم تزل القبيلة الصغيرة المقيمة هناك، قبيلة الملالحة، تستعمل صيحتهم للحرب: آل ضيغم! وهم يعيشون حالياً تحت حماية الكشوك الذين انضمت إليهم منهم 8 خيام. يسكن الجزء الرئيسي من الملالحة جنوب حيفا وهم يعاملون بين القبائل الموجودة هناك معاملة خاصة.

وبينما أصبح الملالحة فلاحين فما زال جيرانهم الرميلات يتنقلون في منطقة واسعة بين طولكرم والعوجا. وبين وقت وآخر يزورون أقرباءهم الذين يعيشون مع السواركة في منطقة العريش.

هناك مجموعة من السواركة أنفسهم تقدمت أيضاً حتى العوجا. ويعتقد بأنها موجودة في البلاد منذ حوالي 150 عاماً. يعمل السواركة اليوم بصفة عمال زراعيين في المستوطنات اليهودية لكن ذكريات الماضي ما زالت حية في نفوسهم كما هي

طبيعة البدو الأصلاء. فهم يروون القصص عن حرب نشبت قبل حوالى 120 عاماً بين الكشوك والمجانين (انظر ص 88 أعلاه) قاتلوا فيها هم أنفسهم إلى جانب الكشوك. وهناك قصة أخرى مشهورة من تاريخهم هي قصة النزاع بين القبيلتين الفرعيتين الحققة والدلادمة. بدأ النزاع بمحاولة بدوي من الحققة الاعتداء على شرف فتاة من القبيلة الشقيقة، وانتهى بهجرة الحققة فترة من الزمن إلى وادي عارة شمال طولكرم.

السواركة قيسيون. وفي الحرب يطلبون العون من جد القبيلة بالنداء: يا جدّنا عكاشة!.

قبائل صغيرة على الساحل(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ السويطات(2)		الخريبة ـ الكرمل ـ	10
2 ـ الهياكلة(3)	شتيوي أبو هيكل	طولكرم	2
3 ـ الزبيدات	علي الخالد	وادي الحوارث	15
أ ـ عايلة أبو جاسر	فياض أبو جاسر		
ب ـ ملحم	حسن الملحم		
جـ ـ خالد	علي الخالد		
قبائل ملحقة			
1 ـ الزعيرات(4)			
2 ـ الجماعنة(5)			
4 ـ البلاونة(6)	سالم أبو عودة	طولكرم	20
أ ـ السحمة	سالم أبو عودة		25

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
ب ـ غثامين (الزبالة)	ظاهر الغثامين		
جـ ـ الهروف	محمد أبو اللوى		25
د ـ القواعين	سعد أبو جمعة		10
هـ ـ قرينات	سد أبو جمعة		4
قبائل ملحقة			
1 ـ الدلاخات(7)	عوض أبو دلاخ		4
2 ـ جهينة	حسن الجهيني		1
5 ـ القطاطوة(8)	سالم أبو حسين	طولكرم	15[10]
6 ـ الحويطات(9)	نصر الله أبو جرادة	طولكرم	8[11]
7 ـ الهزاهزة(9)	إسماعيل بن سلمى الهزهوزي	طولكرم	8
8 ـ الملالحة	علي أبو ملوح	قلنسوة	
9 ـ الرميلات	سليمان أبو عتيق	طولكرم ـ العوجا	14
10 ـ السواركة	حماد دلدوم	العوجا	
أ ـ الدلادمة(12)	حمّاد دلدوم		28
ب ـ الحققة(13)	سالم أبو حق		8
جـ ـ العدايسة			
د ـ الزيادات			
هـ ـ الكوزة			
و ـ البريصات			

ملاحظات

1 ـ القبائل مرتبة من الشمال إلى الجنوب.

2 ـ السويطات ممثلون أيضاً في قضاء عكا، انظر مقال: قبائل صغيرة في شمال فلسطين، الملاحظة 13، روبنسون، الجزء الثالث، ص 885؛ أشكنازي رقم 57.

3 ـ 15 من أبناء القبيلة و20 عبداً! كان الهياكلة في الأصل فلاحين في قرية الحمامة قرب المجدل. وهناك صلة قرابة بينهم وبين عائلة دار الهيكل في يافا.

4 ـ انقرضوا عام 1929م.

5 ـ عبيد عند الزبيدات، وهم يسمّون باسم جد القبيلة جمعة.

6 ـ الوسم: ∩ على الورك الأيمن. صيحة الحرب: راعي العليا!

7 ـ من فرع العردات التابع لسواركة سيناء.

8 ـ الوسم: X .

9 ـ الوسم: Λ على الفخذ الأيسر؛ صيحة الحرب: إخوة صالحة!

10 ـ 50 نسمة.

11 ـ 36 نسمة.

12 ـ من فرع العردات التابع لسواركة سيناء؛ الوسم: / (عامود) على الورك الأيسر.

13 ـ من سواركة ـ الزبيدات؛ الوسم: ▽ (زناد) على الورك الأيسر.

السواحرة

عندما نتحول أخيراً إلى البحر الميت نجد في الجزء الشمالي من صحراء يودا «يهودا»، بين أبو ديس والبقيعة، السواحرة الذين أخذوا اسمهم من قرية "خربة ساحور". وهم فرع منفصل عن بني عقبة. وهم يستعملون أيضاً عبارة "بني عقبة"! كصيحة حرب.

تقول حكايات القبيلة أن السواحرة تركوا الحجاز لأنهم ضاقوا ذرعاً بالضرائب العالية التي فرضها عليهم الشرفاء هناك. وبعد إقامة طويلة في الكرك في شرقي الأردن هاجروا مرة أخرى وجاؤوا في نهاية المطاف، بقيادة عليّان الأقرع وأحمد الهلسة[1]، إلى خربة بيت ساحور قرب بيت لحم. وقد أصبحوا فلاحين.

وهناك قرابة بين السواحرة والعائلتين القدسيتين «من القدس»، الدزدار والعسلي.

السواحرة(1)

شيخ المشايخ: حمدان موسى(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الجعافرة	حمدان موسى		
أ ـ عيلة خليل	محمد الأعرج		10
ب ـ عيلة جعفر	عبد القادر حسن		10
جـ ـ الجعابيص(3)	حمدان موسى		8
د ـ مشهور	حسن المشهور		8
هـ ـ العويسات	داود المعلى	أبو ديس ـ البقيعة	10
2 ـ الهلسة			
أ ـ الشقيرات	إبراهيم حسن شقير(4)		
1 ـ شقير	إبراهيم حسن شقير		5
2 ـ مطر	إبراهيم مطر		15

(1) هؤلاء هم أجداد القبيلتين الفرعيتين الجعافرة والهلسة، اللتين تتألف منهما القبيلة. وقبل هذين الشيخين تذكر الحكايات أن شيخاً آخراً كان قد تولى القيادة هو الشيخ أبو مرقّعة.

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
ب ـ العبيدات	مهنا أسعد(5)		
1 ـ الجمال	محمد داود		4
2 ـ عيلة مهنا	مهنا اسعد(5)		9
جـ ـ الهلسة	حجازي محمد		
1 ـ عدوي	موسى صوان	ابو ديس ـ البقيعة	5
2 ـ حجازي	حجازي محمد		4
د ـ الزعاترة	محمد أبو حديد		
1 ـ عيلة زرعي	عيد المسعود		10
2 ـ عيلة كنعان	محمد أبو حديد		

ملاحظات

1 ـ غارماني، ص 135 وما بعدها Il Neged Settentrionale الص 28، Liste Tyrwhitt, Palestine Exploration Fund, London, 1857.

2 ـ في السابق كانت تحكم عائلة حسين حجازي (2 جـ 2)؛ الوسم: \ على الخد الأيسر وجروح معينة لكل عائلة.

3 ـ يجب أن يكون جعباص هو دزدار (قائد قلعة) القدس الذي تنحدر منه عائلة دزدار.

4 ـ الآن: علي الشخير.

5 ـ الآن: علي أسعد.

العبيدية

جنوب السواحرة في وادي النار، خلّف الجرم وراءهم، عندما اضطروا إلى الخروج من هذه المنطقة، مجموعة صغيرة تحمل اسم العبيدية نسبة إلى جدها العبيدي[1]. وحسب الروايات المسيحية تسكن القبيلة هنا منذ القرن الخامس عشر. فقد ظلت فترة طويلة من الزمن تخيف دير تيو دوسيوس ودير القديس سابا[2]. وتزعم حكايات الرهبان[3] أن العبيدية كانوا في الأصل "عبيداً" (وحراساً) لدير سابا، لكن هذا الزعم يتناقض مع الحكايات العربية.

أصبح العبيدية اليوم مستقرين، وهم يقيمون في قرى نذكر منها، على سبيل المثال، قرية "دير ابن عبيد"، لكن نسبهم الرفيع معروف على نطاق واسع، وبناتهم ذكيات وجميلات ومرغوبات للزواج. صيحة الحرب عندهم: صبيان الضياغمة! ولهم أقرباء يسكنون في عرابّه وسيلة قرب جنين.

---

(1) قارن مشجرة النسب ص 99 أعلاه. العبيدي مدفون في عين الرقيق.

(2) هناك رسالة من البطرك دوسيتيوس إلى شيوخهم (1690م) يشكو فيها من إلحاقهم ضرر بدير سابا، لم تزل موجودة.

(3) أيضاً Palestine Exploration Fund 1875م، ص 28.

العبيديّة(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ عصاة(2)	محمد عودة الله(3)		
أ ـ دراوشة	حسين الحمدان		12
ب ـ عيال خلفة	محمد عودة الله		12
جـ ـ الربابعة	عطية العليان		30
2 ـ الردايدة(2)	عوض العبد الله		
أ ـ مراعنة	جدوع المحمد	وادي النار	10
ب ـ الردايدة	علي الحسن		10
3 ـ الحساسنة	عوض الله العبد الله		
أ ـ عيلة محيسن	يوسف الخطيب		12
ب ـ عيلة صالح	عوض الله العبد الله		11
4 ـ السرحان(4)	حمدان المصلح		12

ملاحظات

1 ـ مايوه، الجزء الأول، ص 79 وما بعدها. سيتزن، الجزء الثاني، ص 212.

2 ـ الوسم: / على الأنف والخد.

3 ـ الآن: موسى عودة اللّه.

4 ـ الوسم: \ على الأنف والخد.

الرشايدة

لم يزل الرشايدة، في المنطقة الواقعة خلف عين جدي، متمسكين بعادات البدو وطريقة حياتهم، لكنهم لا يتمتعون باعتبار كبير. ولا يعود السبب في ذلك إلى نسبهم وإنما إلى حادث تاريخي ما[1]. إذ إن صيحة النصر عندهم "صبيان عبس!" تدل على أنهم من ناحية النسب قيسيون. ومن الناحية السياسية أيضاً ينتمون، على عكس جيرانهم، إلى حزب قيس.

(1) حسب البرغوثي! ولكن العبس الحاليين ـ قارن صيحة الحرب ـ انظر بوركهاردت، ص 323.

الرشايدة(1)

شيخ المشايخ : حمد أبو قرينات

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الصقور(2)	حمد أبو قرينات		
أ ـ صقور			8
ب ـ قرينات			7
2 ـ جريات(3)	جدوع السعيدات		
أ ـ جريات		عين جدي	2
ب ـ سعيدات			3
3 ـ الرشايدة(4)	محمد الصانع		
أ ـ رشايدة			4
ب ـ بصايصة			3

ملاحظات

1 ـ أقدم ذكر للقبيلة : سيتزن (1806) الجزء الثاني، ص 220 وما بعدها. المقصود بذلك التترابين (الجزء الرابع، 1، 115). الإسم مأخوذ من حكاية عن انفصالهم عن عبس (في الواقع ذبيان) الذين انتهكوا في يوم من الأيام معاهدة صلح وتسببوا في نشوب حرب بين أبناء القبيلة الواحدة (الجزء الرابع، 1، 137، 4) أيوب صبري، 3، 247).

2 ـ الوسم : | على الصدغ (السالف) الأيمن، بالإضافة إلى | على الأذن اليمنى و || على الأذن اليسرى.

3 ـ الوسم : | على الأذن اليمنى.

4 ـ الوسم : / على الجهة اليسرى من الأنف.

التعامرة

التعامرة، المجاورون للعبيدية، هم الآن من أكبر قبائل فلسطين إذ لا يقل عدد خيامهم عن 700 خيمة. وفي عام 1838م لم يكن عددهم يزيد على 300 شخص[1]، وهذا يعني أنهم تزايدوا تزايداً كبيراً في هذه الأثناء. ويعود هذا الحدث غير العادي، من الناحية الأولى، إلى توسع الزراعة، ومن الناحية الثانية، إلى التزايد الذي نجم عن انضمام أجزاء من عمرو شرقي الأردن إلى التعامرة.

والتعامرة هم في الأصل، مثل بدو فلسطين الآخرين، فلاحون مقيمون في بيت (خربة) تعمور عند أسفل فريديس جنوب شرق بيت لحم[2]. ومن هذه القرية حصلوا على اسمهم التعامرة. وهم يعيدون نسبهم إلى قبيلة في وادي موسىٰ (البترا) هي قبيلة بني حارث[3]. ولذلك تقول صيحتهم للحرب: صبيان بني حارث!.

شارك التعامرة في الثورة الكبرى التي حدثت عام 1834م، لكن الحكومة نزعت أسلحتهم وأجبرتهم على دفع الضريبة التي فرضها إبراهيم باشا وقدرها 100 قرش على كل رجل[4].

---

(1) روبنسون، الجزء الثاني، ص 400 وما بعدها. كنسوس 1931م: 4108 نسمة.

(2) سيتزن، الجزء الثاني، ص 221.

(3) غارماني، ص 133.

(4) روبنسون، نفس المصدر السابق.

طريقة حياة القبيلة فقيرة مثل بقية قبائل صحراء يودا. وليس للتعامرة مكان إقامة ثابت. في الصيف ينصبون خيامهم في الجبل وفي الشتاء على ساحل البحر الميت.

التعامرة يمنيون ولهم أقرباء في الطفيلة (شرقي الأردن) وفي برير قرب غزة.

التعامرة(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ السعدة			
أ ـ شرايعة(2)	سليمان إسماعيل حماد		
1 ـ زواتين	حسن القاضي		75
2 ـ مساعدة	عبد النبي العبد الله		75
ب ـ شوادرة(3)	حمدان مسلم		
1 ـ عيلة صلاح	سالم الخطيب(4)		70
2 ـ شوادرة	عبد الله الدرعاوي(5)	في الصيف: الفريديس في الشتاء: الغور	80
2 ـ العبيات	سليم سليمان الحميدة؛ سليمان الوحش		
أ ـ حسينات(6)	عبد المحسن أبو دية(7)		50
ب ـ النوادرة(6)	موسى الحمد		50
جـ ـ المحاربة(8)	إبراهيم السلامة		100
3 ـ الحجاحجة(9)	حسن بن محمد بن صفي ابن مصطفى الزير		

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
أ ـ عيلة سالم	يوسف السليمان		100
ب ـ العساكرة	الحاج محمد السعيد	في الصيف: الفريديس في الشتاء: الغور	40
جـ ـ الصلاحات	سليم الحاج		60

ملاحظات

1 ـ أقدم ذكر لهم عند مرادي، الجزء الرابع، ص 95، بداية القرن الثامن عشر. القبائل الفرعية الثلاث ذكرت عند غارماني، ص 134 وما بعدها.

2 ـ الوسم: \ على الخد الأيمن.

3 ـ الوسم: ○ على الخد الأيمن.

4 ـ أحد أحفاد الخطيب المذكور عند روبنسون، الجزء الثاني، ص 402 (المتحدث باسم القبيلة أو كاتبها).

5 ـ تجمع العائلة في يدها منصب قاضي المنشد (للخلافات المتعلقة بالملكية) ومنقع الدم (للأذى الجسدي والقتل).

6 ـ الوسم: \ على الخد الأيمن.

7 ـ تتولى العائلة منصب العالِم (انظر مقدمة فصل شرقي الأردن في نهايته).

8 ـ الوسم: / على الخدين.

9 ـ عمرو من الكرك.

الجهالين

بينما كانت القبائل السابقة تنتمي إلى ناحية بيت لحم يتبع الجهالين لقضاء الخليل. فهم يسكنون في وادي سيّال في منطقة مصفرة «مسفرة»، وفي الصيف يرحلون شمالاً حتى يطّا (جنوب الخليل). يعمل الجهالين في تربية المواشي ويمارسون بعض الأعمال الزراعية. ويتزودون بالمياه من أحواض اصطناعية لتجميع مياه المطر. وعندما تنضب هذه الأحواض في أواخر الصيف تساق الحيوانات إلى ينابيع كرمل، التي للجهالين حصة فيها كجيرانهم الكعابنة[1].

يعتبر الجهالين منطقة حسما في شمال الحجاز وطناً لهم ويزعمون أنهم جاؤوا إلى منطقتهم الحالية في بداية العصر الإسلامي.

خاضت القبيلة حروباً كثيرة مع سكان قرية يطّا. وقد اضطرت مرة إلى ترك منطقتها والهرب إلى بئر السبع لعند التياها. لكنها حققت، بصورة عامة، كثيراً من الانتصارات؛ إذ إن يطّا اضطرت في النهاية إلى التخلي لهم عن منطقة خشوم بيوض قرب عراد.

في النصف الأول من القرن التاسع عشر كان الجهالين ما زالوا محاربين أقوياء وكانوا يغزون البلقا وسيناء ومنطقة غزة. وكانوا يقدمون للرحالة الأوروبيين خدمات

(1) روبنسون، الجزء الثالث، ص 7.

إرشادية (أدلاء)[1]. وهم ينتمون إلى "حزب" قيس.

الجهالين(1)

شيخ المشايخ: عبد العزيز أبو داهوك(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الدواهيك(3)	عبد العزيز أبو داهوك		29
أ ـ الدواهيك	عبد العزيز أبو داهوك		
ب ـ الغوانمة	محمد بن حمّاد		14
جـ ـ الكرشات	حسن بن صباح		7
قبائل ملحقة			
ـ النعرات			3
2 ـ الصرايعة(4)	سليمان بن هذلان سلامة الفقير	في الشتاء: وادي سيال/ في الصيف: يطّا	
أ ـ الهذالين	سلمان بن هذلان		12
ب ـ التبنة	حسن بن زايد		15
جـ ـ الفقرا(5)	سلامة الفقير		15
د ـ الحمّادين	حسن الحمّادين		10
3 ـ السلامات(6)	علي أبو غالية إبراهيم الهرش(7)		45

(1) سيتزن، Irby und Mangles، روبنسون، لانج، دي سولسي، تريسترام، Due de Luynes، غراي هيل.

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
أ ـ الهروش	إبراهيم الهرش(7)		
ب ـ البيسات	إبراهيم البيس	في الشتاء: وادي سيال	45
جـ ـ الغوالية	علي أبو غالية	في الصيف: يطّا	45
د ـ السيايلة	بنية بن علي		

ملاحظات

1 ـ روبنسون، الجزء الثالث، ص 5 وما يليها: 150 رجلاً، 22 حصاناً، 200 جمل. تتولى عائلات الشيوخ الأربع: أبو داهوك، والهذالين، وأبو غالية، والهرش، منصب قاضي النزاعات الناجمة عن الأذى الجسدي والقتل، ولذلك تسمى مخاطيط الدم.

2 ـ الآن: موسىٰ أبو داهوك. عائلة الشيوخ أبو داهوك يذكرها الرحالة منذ الستينات.

3 ـ صيحة الحرب: إخوة رمحة، راعي المليحة! الوسم: على الجهة اليمنى من رقبة الجمال وعلى الأذن اليسرى للغنم، بالأضافة إلى ـــ على الصدغ.

4 ـ صيحة الحرب: إخوات صبحة؛ الوسم: / على الخد و على الرقبة.

5 ـ ينتمون إلى جماعة دينية.

6 ـ صيحة الحرب: إخوة رمحة! الوسم: على رقبة الجمال وعلى الأذن اليمنى للغنم؛ بالإضافة إلى / على الخد الأيمن.

7 ـ الآن: سالم الهرش.

الكعابنة

كعابنة ناحية الخليل هم، على عكس القبيلة التي تحمل الاسم نفسه عند أريحا والمسماة كعابنة المصفرة، قبيلة غير مؤكدة الأصل؛ فهم أنفسهم يقولون إنهم ينحدرون من كعابنة بني صخر، إلا أنهم في الحقيقة قد يكونون من قبيلة الفلاحين التي تحمل نفس الاسم والموجودة في البلقا[1].

تعود ذكريات الكعابنة إلى الوراء حتى العهد العباسي المبكر. وهم يقولون إنهم حاربوا في رجوم اللغمة بقيادة جد عائلة شيوخهم ابن نجدي مع ابن بيهس زعيم اليمنيين[2]. وبالفعل ما زال الكعابنة حتى اليوم ينتسبون، مثل الجزء الأكبر من منطقة الخليل، إلى حزب قيس. وتتحدث حكايات القبيلة عن حكم الضيغم؛ والمقصود بذلك هم أمراء قبيلة الجرم التي كانت تحكم فعلاً في العهد المملوكي في هذه المنطقة.

في القرن التاسع عشر انضم إلى الكعابنة مثل التعامرة جماعات من عمرو من الكرك، من بينهم: البسايطة، والهتيميين، والطعيمات (1 ز، ح، ط، من الجدول).

---

(1) حسب غارماني، ص 4. قارن الصفحة 238 أدناه.

(2) شارك ابن بيهس في ثورة أبو حرب الذي ثار عام 227هـ/ 841م ـ 842م في فلسطين ضد العباسيين. وكانت الثورة ذات صبغة دينية، إذ كان أبو حرب يرتدي حجاباً مشابهاً للحجاب الذي يرتديه النبي المعروف في لالا روخ في خراسان، وقد كانوا يعتبرونه السفياني، أي المهدي الذي ينتظر مجيئه بنو أمية، الطبري، الجزء الثالث، ص 1319 وما يليها.

الكعابنة نصف رُحّل. في الشتاء ينصبون خيامهم في منطقة المصفرة، وفي الصيف قرب يطا. أما القبيلة الفرعية الظويعيين فتخيم حول بني نعيم. وتتقاطع منطقتهم في بعض المواقع مع منطقة الجهالين الذين تنشب أحياناً عداوات بينهم وبين الكعابنة.

الكعابنة(1)

شيخ المشايخ: سليم بن نجدي

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ زويديين(2)			
أ ـ رشيدات(3)	هبيشان أبو رشيد		9
ب ـ عمرين	سليمان عويظة		5
جـ ـ أبو غويرية(3)	سلمان أبو غويرية		3
د ـ ظويّعين(4)	سلمان ظويعين		8
هـ ـ بريدات(4)	محمد البريدات		3
و ـ خلايفة(4)	مسلّم الخلايفة		4
ز ـ البسايطة	عودة البسايطة	المصفرة	4
ح ـ الهتيميين(5)	بنية بن صالح الهتيم		2
ط ـ الطعيمات(5)	عودة الله الطعيمات		5
2 ـ الفرجات(6)			
أ ـ ابن نجدي	سليم بن نجدي		15
ب ـ البراقة	عايد البراقة		10
جـ ـ المليحات			12
د ـ القرب			15

ملاحظات

1 ـ قارن قائمة توررويت، Palestine Exploration Fund 1875م، ص 28؛ جدول آرمسترونغ.

2 ـ صيحة الحرب للجميع باستثناء الفروع (ز، ح، ط:): راعي المليحة!

3 ـ الوسم: على الرقبة.

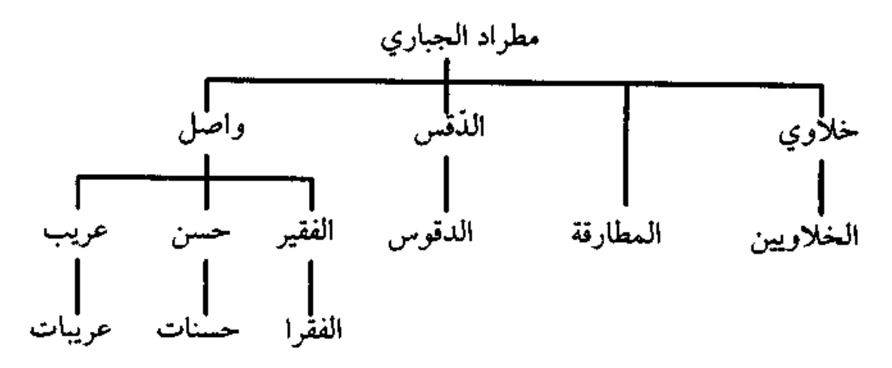
4 ـ الوسم: على الرقبة.

5 ـ صيحة الحرب: بني عقبة! الوسم: على أذن الأغنام وعلى رقبة الجمال.

6 ـ صيحة الحرب: عيال ريمه! الوسم: على الرقبة.

الجبارات

يعيش الجبارات حول عَراق المنشية (شمال شرق غزة) وهم اتحاد حر ضعيف الارتباط، الأمر الذي يعد نموذجياً بالنسبة لجنوب فلسطين ـ قارن تركيب مجمعي الترابين والتياها. ويقفون كحزب، أو صف، الشمال في مواجهة حزب الجنوب، أي قبائل بئر السبع. وهم يتألفون من الجبارات الأصليين والقبائل المتحالفة معهم. أمّا شجرة نسب الجبارات الأصليين فيه على الشكل التالي:



يقول الجبارات إن وطنهم الأصلي هو وادي ليف في الحجاز. وأنهم هاجروا من هناك عن طريق أرض العراية[1] إلى الساحل شرقي العريش[2]. وعندما تقدم الترابين المقيمون في سيناء إلى غزة لكي يجدوا لأنفسهم مخيمات صيفية جديدة،

(1) على طريق الحج بين حالات عمّار وتبوك، انظر بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 659. خريطة موزيل، شمال شبه الجزيرة العربية 1926م، خطأ: "العرايد".

(2) شقير، ص 108.

انشطر الجبيرات إلى مجموعتين بقيت إحداهما على الساحل بين رفح وشيخ زويّد، بينما دفعت الأخرى إلى منطقة القبيلة الحالية[1]. وفي وقت لاحق تبعتها المجموعة الأولى إلى هناك.

في بداية القرن التاسع عشر هدأت الحرب التي نشبت بين الجبارات الذين بقوا على الساحل وبين الترابين والتي استمرت 20 عاماً (الأماكن التي دار فيها القتال: العمرو جنوب شرق العريش، والمويلح الواقعة إلى الجنوب منها، بالإضافة إلى الحسنة ووادي المغارة بعيداً إلى الغرب). وفي النهاية تمكن الترابين بمساعدة أخوتهم المصريين من إجبار الجبارات على مغادرة مقرهم القديم. وعندئذٍ انتقلت الحرب إلى جبارات غزة وانتهت بانتصار الترابين في وادي الشريعة. وفي معاهدة السلام التي تلت ذلك اعتبرت طريق قنان السرو شرقي غزة الحدود الجنوبية للجبارات[2]؛ أمّا الحدود الشمالية فقد ظلت وادي الصرار.

شارك الجبارات في الثورة الكبرى التي اندلعت عام 1834م ضد المصريين ومنوا بخسائر فادحة في الحملة التأديبية التي شُنت عليهم بعد ذلك[3]. ومنذ ذلك الحين أصبحوا غير محاربين وفقدوا كثيراً من عاداتهم البدوية. والجبارات قيسيون.

من بين القبائل المتحالفة مع الجبارات نذكر أولاً السوراكة (و) والرتيمات (هـ) والعمارين (ز). والسواركة هنا هم جزء من سواركة العريش. والرتيمات ينحدرون من نفس المنطقة التي كانوا ولا يزالون يسكنون فيها حتى عام 1830م[4]. وبعد وقت قصير طردهم الترابين مع الجبارات إلى فلسطين. واسم الرتيمات مشتق

(1) حسب شقير، ص 108، 580 وما بعدها لم يأت الجبارات إلى هناك إلاّ بعد عام 1830م. ولكن هذا غير ممكن لأنهم ذكروا هناك في عام 1799م، انظر وصف مصر، الجزء 16، ص 114 وما بعدها. ونحن نعتقد أن ما حدث في ثلاثينيات القرن الماضي هو فقط هجرة المجموعة الثانية.

(2) شقير، ص 580 وما بعدها.

(3) روبنسون، الجزء الثاني، ص 649.

(4) في هذا العام هاجموا هناك قافلة كانت في طريقها من غزة إلى مصر؛ شقير، ص 580.

من قرية الرتمة. وكان لجدهم عقيلي[1] ثلاثة أبناء: صايح، وزايد، ورمضان. وقد أعطى الاثنان الأولان (صايح وزايد) الاسم لفرعي الصوايحة والزيود. أمّا أحفاد رمضان، الرماضين، فهم غير متحالفين إلى الجبارات وإنما انضموا إلى مجمع التياها.

كان العمارين مرتبطين مع الجبارات منذ عام 1799م[2]. وهم ينحدرون من قرية أبو شوشة (جنوب شرق الرملة)، أي إنهم جاؤوا من الشمال. وتعيش عندهم عائلة عيال الأمير، الشيوخ السابقون لوادي الصرار[3].

كما أن القلازين (الثوابتة) كانوا كالعمارين مرتبطين مع الجبارات في عام 1799م[4]. لكن ارتباطهم مع الجبارات أقدم من ارتباط العمارين؛ إذ إن القلازين جاؤوا أيضاً من وادي ليف، الموطن الأول للجبارات[5].

---

(1) انظر فصل شمال ووسط شبه الجزيرة العربية، مقال عقيل في الجزء الثالث.

(2) وصف مصر، الجزء 16، ص 114 وما بعدها.

(3) انظر الصفحة 101 أعلاه.

(4) وصف مصر، الجزء 16، ص 114 وما بعدها.

(5) هناك جزء آخر من القلازين انضم إلى التياها.

العايد

تعد العايد[1]، بعد الأحيدات (ل) الذين عالجناهم في مقال الترابين، أهم القبائل المنضمة إلى الجبارات. وهم ينحدرون من جذام شمال غرب شبه الجزيرة العربية واستوطنوا في العصور الوسطى في منطقة "الشرقية" المصرية وكانوا مسؤولين عن حماية قافلة الحج على الطريق بين القاهرة والعقبة[2]. في بداية العهد العثماني كان العايد، إلى جانب السوالمة (انظر الصفحة 94 أعلاه)، القبيلة الرئيسية في منطقة الحدود المصرية الفلسطينية[3]. وعندما هاجر السوالمة إلى فلسطين تبعهم العايد ما لم يكونوا قد بقوا في مصر. ومثلهم مثل السوالمة قاتلوا عام 1623م عند يافا تحت راية ابن طرباي ضد الأمير الدرزي فخر الدين[4].

وفي الوقت اللاحق تفرقت القبيلة وأصبح العايد موجودين ليس فقط عند الجبارات وإنما أيضاً بين الجرامنة والترابين والتياها. وتنتسب إلى العايد العائلتان النبيلتان: العزة في بيت جبرين والأباظة في القاهرة.

(1) في الأصل: عائذ.

(2) المقريزي، قبائل عربية في مصر، ص 54، 85؛ صبح الأعشى، الجزء الأول، ص 333؛ ابن خلدون، البربر، الجزء الأول، ص 10؛ قلقشندي، ص 272؛ قارن شقير، ص 108.

(3) ابن إياس، الجزء الثالث، ص 211 وما بعدها، 240.

(4) أخبار الأعيان، ص 320.

الجبارات(1)

أ ـ عريبات

شيخ المشايخ: حسن أبو جابر

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ أبو جابر			20
2 ـ ابن جرّار			15
3 ـ ابن حسين		وادي الحسي؛ بايرة أبو جرار/ وادي قنيطرة	5
4 ـ المكحل			18
5 ـ ابن هضيبة			4
6 ـ ابن حسن			3
قبائل ملحقة			
1 ـ الشلايطة(2)			5
2 ـ البراصات(2)			6
3 ـ الظوافلة(3)			10
4 ـ النواجية(2)			10

ب ـ حسنات

شيخ المشايخ: محمد الطوابقة بن صباح

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ ابن صباح			6
2 ـ العواودة			5
3 ـ أبو ضبيع			3
4 ـ أبو معيلي		تل النجيلة	2
5 ـ العكر			2
6 ـ أبو مريفي			2
قبائل ملحقة			
1 ـ عبيد سود			15
2 ـ الحاوي(2)			3
3 ـ الرباعنة(4)		تل النجيلة	5
4 ـ أبو الغطاس(2)			5

جـ ـ الفقرا

شيخ المشايخ : محمد هويدي بن مشرف(5)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ ابن مشرف			20
2 ـ أبو ربيلة			6
3 ـ أبو رزيق		الشلالة؛ وادي الصرار	4
4 ـ أبو فريخ			5
5 ـ ابن باز			2
قبائل ملحقة			
1 ـ النواجية(2)			10
2 ـ عبيد سود			15

د ـ الدقس(6)

شيخ المشايخ : حسين الدقس(7)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الدقس	حسين الدقس		50
2 ـ الخلاويين	سليمان أبو روّاع		60
أ ـ أبو رواع		وادي الحسي؛ الفالوجة ـ بربر ـ الجمّامة	8
ب ـ أبو رشود			6
جـ ـ أبو دعيج			6
3 ـ المطارقة	حمّاد بن علي		13

هـ ـ الرتيمات(8)

شيخ المشايخ: نمر العدوس

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الصوايحة	نمر العدوس		
أ ـ العدوس	نمر العدوس		10
ب ـ الشباية	صالح أبو شبيب		6
جـ ـ العشيبات	سالم أبو عشيبة		2
د ـ الحليوات	جدوع أبو حليوة		4
هـ ـ الدوامسة	إبراهيم أبو دامس		4
2 ـ الزيود	جمعة الهبيدي		
أ ـ الهبيدي	جمعة الهبيدي	صيفاً: سقرية شتاء: وادي الصرار؛ جليا؛ ذنبة	4
ب ـ أبو خضرة	إبراهيم أبو خضرة		2
جـ ـ أبو غانم	إبراهيم أبو غانم		1
د ـ علي العبيد(9)	مسلم العبيد		2
قبائل ملحقة			
1 ـ الحلف(10)	عاصي الضويمر		
أ ـ الضويمر(11)	عاصي الضويمر		5
ب ـ الدحيلات(12)	سليم أبو دحيلة		6

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
جـ ـ الكتيفي	موسى الكتيفي		6
د ـ أبو شلفة	حسان أبو شلفة	صيفاً: سقرية شتاء: وادي الصرار؛ جليا؛ ذنبة	4
هـ ـ الرواجفة(13)	سعيد بن عوّاد		14
و ـ الرزيقات	عيد أبو ربيع		12

و ـ سواركة(14)

شيخ المشايخ: حسين الدقس

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المنابعة(15)			
أ ـ القرعان	سليمان الأقرع		3
ب ـ الشراتحة	موسى الشراتحة		15
جـ ـ الرتمات	سلمان أبو نار	وادي الدقس	20
2 ـ الروافعة(16)			
أ ـ الروافعة	سليمان بن سليمان		10
ب ـ الرغمات	غيث أبو مغيث		2
جـ ـ النميلات	محمد أبو نصر الله		6

ز ـ العمارين(17)

شيخ المشايخ: سليمان بن عجلان

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحليصات	سليمان بن عجلان		
أ ـ الحليصات	سليمان بن عجلان	بير ابن عجلان في الربيع بيت أولاً، أم برج	40
ب ـ المذاكير	خلف الدغداشي		8
2 ـ الرويكبية	سلمان الراعي		15
قبائل ملحقة			
1 ـ الفراجين(18)	سالم سلامة		8
2 ـ السماحين(19)	محمد بن راشد		4
3ـعيسى الجهلاني(20)	عيسى		2
4 ـ عيال الأمير	الأمير سلامة بن يونس	خربة الامارة	8

حـ ـ الثوابتة (القلازين)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الثوابتة	بركة بن ثابت	وادي الحسي؛ الحرشان	10
2 ـ القلازين	بركة بن ثابت		

ط ـ الولايدة(21)

شيخ المشايخ: حماد أبو سلعة(22)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ أبو سلعة		وادي الحسي، الحشران	6
2 ـ أبو سعيفان			4
3 ـ أبو يحيى			4
4 ـ أبو الحسين			4

ك ـ العشيبات(23)

شيخ المشايخ: حسين الدقس

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الأحرار (الحجيج)	محمد بن صقر الحجاج	مثل الدقس	5
2 ـ العبيد	محمد بن سليم العبيد		10

ل ـ الوحيدات

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
الوحيدات	حسين الوحيدي	وادي الندى؛ سكرير؛ فطّاطة	30

م ـ السعادنة(24)

شيخ المشايخ: حسين الوحيدي

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ أبو جريان	محمد أبو جريان	وادي الحس	20
2 ـ النويري	محمد بن سعيد النويري(25)	وادي الحس	15

ن ـ العايد(26)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العايد	سالم العايدي		6

ملاحظات

1 ـ غارماني، ص 23 (300، أو 150 مسلحاً)؛ ياوسن، ص 412؛ عارف العارف، ص 30 وما يليها. عدد الخيام عند عارف أعلى منها هنا بعدة مئات (766). صيحة الحرب: مبركة الحصن، صبيان الجبارات! الوسم، ما لم يذكر شيء آخر: ┌┐ على الجهة اليمنى من الرقبة.

2 ـ مصريون.

3 ـ يزعمون أنهم من أحفاد الصحابي جعفر الطيار.

4 ـ بني عطية.

5 ـ الآن ابنه خليل.

6 ـ المطارقة والخلاويون ملتحقون بالدقس، على الرغم من أنهم في شجرة النسب يصنفون مثلهم في نفس المكانة. إضافة إلى ذلك تحكم عائلة شيوخ الدقس أيضاً السواركة (و)[1] والعشيبات (ك). ونتيجة لذلك هناك نوع من التعارض بين الدقس وقبائل الجبارات الأصلية الثلاث الأخرى (آ، ب، حـ).

7 ـ كانت عائلة الشيوخ تتولى في الأصل منصب القليد مع حق رفع العلم، أي إعلان الحرب والسلم.

8 ـ الوسم: /// على الصدغ الأيمن.

9 ـ عبيد لأبو غانم.

10 ـ ويسمون أيضاً "الأحلاف".

11 ـ يقال إنهم "مسيحيون من روم".

12 ـ جاؤوا من قرية صرفند (غرب الرملة) أو إنهم معازة (بني عطية).

13 ـ من وادي الرجف.

14 ـ روبنسون، الجزء الثاني، ص 656.

15 ـ الوسم ╥╥ على الرقبة.

16 ـ رفايعة؟ الوسم: خلف الأذن اليمنى، والشيء نفسه على الورك الأيمن وعلى الساق الأمامية اليمنى.

17 ـ روبنسون، الجزء الثاني، ص 656.

18 ـ عند ابن عجلان.

---

(1) قبل وقت قصير أصبح السواركة مستقلين (الشيخ سليمان)، وكذلك (د 2) بقيادة سلاّم أبو رواع.

19 ـ عند السواركة.

20 ـ عند الراعي؛ من ناحية الأصل: جهالين.

21 ـ عزازمة.

22 ـ الآن: ابنه سليمان.

23 ـ يتألفون من أحرار وعبيد ويعيشون تحت حماية الدقس.

24 ـ على خريطة آرمسترونغ، ويلسون، كوندر، مسجلون شرق أسدد.

25 ـ الآن: سليمان النويري.

26 ـ العايد الموجودون عند القصار (ترابين) يعدّون 15 خيمة بزعامة الشيخ سلمان أبو زيدان. الوسم: // على الجهة اليمنى من الرقبة و \ بين العين اليمنى والأذن. والعايد الموجودون عند الحقوق (تياها) يعدّون 3 خيام بزعامة الشيخ سالم أبو درويش.

الحناجرة

الحناجرة في منطقة مصب وادي غزة هم "سكان محليون نصف فلاحين"[1]. وتروى حول هذه القبيلة حكايات كثيرة مختلفة الأشكال تتسم واحدة منها، على الأقل، بطابع غير عربي حيث تقول إن جدهم جاء على ثور أبيض من وراء البحر. ويقال بأنه كان مسيحياً، ولكن لعل هذا الاعتقاد ناجم عن أن بعض فروع الحناجرة تستعمل الصليب وسماً لها. وتبدو أكثر أصالة القصة التي تروى عن العرابي جد قبيلة العرابين: كان العرابي معتقلاً عند قافلة الحج. وحدث بالمصادفة أن حُبس معه مجْوِل بن شيخ السواركة لأنه سرق جملاً. فطُلب من أبيه تعويضاً عن الجمل المسروق لكي يطلق سراح ابنه. ولكن عندما جاء بالجمل وأرادوا إطلاق سراح ابنه وجدوه ميتاً. فطلب عرابي من مجول استخدام الجمل لصالحه. وهذا ما حدث فعلاً. ومنذ ذلك الحين يحمل العرابين اسم "شروة مجْوِل السويركي"[2].

وممن لهم صلة وثيقة بالحناجرة النصيرات الذين جدهم الأول القديْم مدفون في مكان قريب من دير البلح[3].

(1) موزيل، البتراء العربية، الجزء الثالث، ص 28.

(2) يعتقد برغوثي أن القصة تتعلق بالعربيات، فرع من حرب في الحجاز.

(3) موزيل، الجزء الثالث، ص 29 وما بعدها.



فريح ابو مدين، شيخ شيوخ الحناجرة (1929م).

الحناجرة(1)

أ ـ العرابين

شيخ المشايخ: فريح أبو مدين(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العرابين(3)			100
أ ـ الملالحة	عبد ربه أبو عيادة		
ب ـ أبو عيادة			
جـ ـ العرابين	سلامة بن عريبان		
د ـ أبو حجير	عليان أبو حجير		140
2 ـ البدارين(4)	فريح أبو مدّين		
أ ـ النباهين الشراقة	سليمان أبو سالم	وادي غزة؛ تل جمّة	
ب ـ النباهين الغرابة	سليمان أبو سالم		
جـ ـ أبو خوصة	حماد أبو خوصة		
د ـ أبو سعيد	موسى أبو سعيد		
هـ ـ ابن عواد	سلامة بن عواد		
و ـ أبو مدّين	فريح أبو مدّين		
قبائل ملحقة			
ز ـ أبو فياض(5)		وادي غزة؛ تل جمّة	
3 ـ النعيمات(6)	نبهان العروقي		100
أ ـ خطاطبة	حماد أبو حلو	وادي ملحة؛ وادي حنانيس	
ب ـ العراقدة	الحاج نبهان العروقي		

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
جـ ـ الحسينات	هويشل أبو هويشل		
د ـ القطشان	رشيد أبو دحروج		
4 ـ النخالات(7)	محمد أبو زكرى	وادي ملحة؛ وادي حنانيس	40
أ ـ أبو مريحيل	عبد الله أبو مريحيل		
ب ـ أبو زكري	محمد أبو زكري		
جـ ـ الحسامين	محمد أبو زكري		

ب ـ حمدات(8)

شيخ المشايخ: سليم السميري

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحمدات	سليم السميري		120
أ ـ أبو حجاج	مبارك أبو حجاج		
ب ـ المناديل	سلامة أبو منديل		
جـ ـ أبو مهنا	الحاج عبد الله أبو مهنا		
2 ـ الظواهرة(9)	أحمد أبو ظاهر	خان يونس؛ دير البلح؛ الشيخ حمودة	60
أ ـ المساعدة	أبو مساعد		
قبائل ملحقة			
1 ـ أبو سليسل(10)			4
2 ـ أبو حليب(10)			6

جـ ـ نصيرات(11)

شيخ المشايخ: عايش المصدر

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الكرشان	عايش المصدر		40
أ ـ المصدر	عايش المصدر		
ب ـ الزوايدة	زايد أبو زايد		
جـ ـ الغدايرة	موسى بن شلط		
2 ـ الفقيريين	سليمان أبو غرابة		60
أ ـ أبو غرابة	حسن أبو غرابة		
ب ـ ابن سعيد	سلامة بن سعيد		
جـ ـ أبو غلية	سلامة أبو غلية		
قبائل ملحقة			
1 ـ التلابنة(12)			10
2 ـ قوم الحاطي			4
3 ـ الطرهوني			4
4 ـ الهيلب			5

ملاحظات عن الحناجرة

1 ـ وصف مصر، الجزء 16، ص 112 وما بعدها؛ غارماني، ص 23؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 28؛ ياوسن، ص 409؛ عارف العارف، ص 28 وما بعدها. كنسوس 1931م 3756 نسمة. صيحة الحرب: براقع الخيل، صبيان

الحناجرة! لكنها أصبحت منسية اليوم.

2 ـ قومي متحمس، أنطونيوس "يقظة العرب"، ص 225 وما بعدها.

3 ـ الوسم: □ (مربع) على الورك الأيمن وبين العين اليمنى والأذن.

4 ـ جد القبيلة: نبهان الأشيقر. الوسم: | بين العين اليسرى والأذن و + على الأذن اليسرى.

5 ـ سوالمة.

6 ـ ينتمي النعيمات إلى جماعة دينية تعالج الأوجاع العصبية. الوسم: □ على الورك الأيسر و | بين العين اليسرى والأذن.

7 ـ النخيلات؟ الوسم مثل النعيمات. يرد ذكرهم عند موزيل تحت اسم الزكاروة، أبو زكريا، انظر اسم شيخ المشايخ. وهم ينتمون من ناحية النسب إلى كعابنة الخليل.

8 ـ جد القبيلة: السميري من مواليد قرية الشيخ حمودة. الوسم: + على الورك الأيسر و | على الورك الأيمن، وهناك مصدر آخر يقول إن الوسم الأخير يوضع بين العين والأذن.

9 ـ تحسب الآن مجموعة مستقلة.

10 ـ بلي.

11 ـ انظر غارماني، ص 23. الوسم: | بين العين اليمنى والأنف، ونفس العلامة خلف الأذن اليمنى، وحسب مصدر آخر: | O على الرقبة.

12 ـ مصريون.

الملالحة

(عرب أبو سويرح)

تصنيف الملالحة غير واضح. موزيل يعتبرهم من الحناجرة، بينما يشير مكان إقامتهم، خربة سكرير بين يافا وغزة، إلى أنهم من الجبارات. الاسم[1] مشتق من أبو ملّوح لكن جد القبيلة هو الصحابي المشهور أبو هريرة المدفون في يبنا[2]. وتقول حكايات القبيلة إن الملالحة حصلوا في زمن الحروب الصليبية على خربة سكرير من معز بن صالح حاكم يبنا (= معز عز الدين أيبك السلطان المملوكي الأول؟). وفي ظل الحكم العثماني تمتعوا بامتيازات مختلفة. وهم في مرحلة وسطى بين القرويين والبدو. وهناك فئات منهم موجودة عند الترابين وعند القلنسوة (انظر ص 107 أعلاه).

الملالحة[3]

(عرب أبو سويرح)

الشيخ: سلامة بن أحمد أبو سويرح

عدد الخيام: 20

---

(1) مايوه، الجزء الأول، ص 77، فسّر الاسم بعبارة «باعة الملح».

(2) ياقوت، الجزء الرابع، ص 1007.

(3) غارماني، ص 23؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 30. الوسم ☐ على الورك الأيمن.

الترابين

الترابين هم أقوى مجمع قبلي في منطقة الحدود المصرية الفلسطينية. يعيش الجزء الرئيسي منهم في الزاوية الجنوبية الغربية من فلسطين لكنهم يمتدون إلى وراء الحدود، إذ يعيش جزء صغير في شبه جزيرة سيناء شرقي السويس، وتعيش مجموعات صغيرة أخرى على خليج العقبة وأخيراً تخلى عدد كبير من الترابين عن حياة البداوة واستقروا في مصر.

يتألف الترابين الفلسطينيون، الذين سيقتصر حديثنا عليهم وحدهم في هذا المقال، من اتحاد لعدة قبائل. ومن بين هؤلاء ثلاث فصائل فقط ترابين أصليون وهم: الغوالية، والنجيمات، والنبعات. أمّا حكاياتهم عن نسبهم فهي غير موحدة. في مصدر من القرن السادس عشر، درر الفرائد، يوصفون بأنهم بنو عطية[1]. وإذا ما كانت هذه المعلومة صحيحة، يجب البحث عن أقدم مقر للترابين جنوب غرب العقبة حيث يوجد ضريح الشيخ عطية الذي يزوره الترابين الموجودون هناك في كل ربيع ويذبحون له الذبائح[2].

وتقول حكايات سكان سيناء إن الترابين حاولوا التقدم من خليج العقبة نحو الغرب باتجاه السويس لكنهم اصطدموا بمقاومة التياها الذين يسكنون في التيه،

---

(1) شقير، ص 117، وأيضاً بوركهاردت، رحلات إلى سورية، ص 560.

(2) شقير، ص 115 وما بعدها. ليس لدينا إثبات على أن هذا الشيخ هو الجد لقبيلة بني عطية.

الهضبة المركزية من سيناء. وبعد معركة قرب عين سدر (جنوب شرق السويس) عقدت اتفاقية (معاهدة النخل) حصل بموجبها الترابين على المثلث: جبل الراحة وجبل الحلال وجبل المغارة بين السويس والعريش[1]، بينما احتفظ التياها بهضبة التيه.

إلا أن المنطقة الجديدة لم يبق فيها على المدى الدائم سوى جزء من الترابين، أمّا المجموعة الرئيسية فقد امتدت نحو الشرق، متبعة "درب مصري" المؤدية من السويس إلى غزة، وأقامت مقرات صيفية لها قرب غزة. وشيئاً فشيئاً نقل هؤلاء الترابين إقامتهم الشتوية أيضاً إلى حدود فلسطين. فوجدوا هنا على الساحل قبائل الجبارات والحناجرة، وفي الداخل العزازمة وأيضاً، مرة أخرى، التياها. وقد توصلوا سلمياً إلى اتفاق مع الحناجرة والعزازمة لكنهم اختلفوا مع الجبارات ونشبت حرب بينهم. وتقول الروايات إن السبب المباشر للحرب قيام جباري بخطف فتاة من الترابين؛ وقد تحدثنا عن نتيجة هذه الحرب في الصفحة 128 أعلاه: طرد الجبارات إلى ما وراء طريق غزة ـ بئر السبع.

على الرغم من أن أكثرية الترابين هاجروا إلى فلسطين ظلت العلاقات قائمة في بادئ الأمر مع أبناء القبيلة الذي بقوا بين السويس والعريش. لكن هذا كلف صراعات طويلة مع قبائل ساحل العريش. وفي منتصف القرن الماضي حددت أخيراً الحدود بين قبائل الساحل والترابين على الشكل التالي: الدرب المصري من حجر السواركة (على مسافة قريبة غرب الحدود الفلسطينية) ـ البواطي ـ رجم القبلين (جنوب العريش) ـ ريسان عنيزة ـ رجوم العمرات غرب جبل المغارة. وبذلك لم يبق للترابين في شرقي سيناء سوى شريط ضيق بين التيه والسهل الساحلي. وبما أن الترابين قاموا في وقت لاحق ببيع هذه المنطقة للسواركة، ضعفت الروابط بين مجموعتي القبيلة.

---

(1) حسب الأسلوب الأدبي للبدو تميز الحكايات بين المنطقتين بأن تسمي الأولى "أرض الجلد" (أي القاسية الصخرية)، والثانية "أرض الدمث" (أي الرملية الرخوة).

كانت الحدود الغربية للترابين تسير من حجر السواركة نحو الشمال إلى رفح مباشرة. وكان جيرانهم هنا الرميلات الذين كانوا في الأصل يسكنون في القرارة شمال خان يونس لكن الترابين طردوهم من هناك. ولذلك كان الرميلات ينتظرون الفرصة المناسبة لكي يستعيدوا منطقتهم القديمة وعرفوا كيف يستميلون السواركة إلى جانبهم. وفي عام 1848م اندلعت الحرب وبدأت بغزوة ناجحة قام بها السواركة، ما يسمى "يوم الحناجرة". وفي عام 1855م شن الرميلات والسواركة حملة ثانية على الترابين الذين انضم إليهم هذه المرة شيخ من السواركة. سيطر الحلفاء مرة أخرى على الموقف وتمكنوا من محاصرة الترابين في خان يونس (يوم القرارة الثاني). ظل الأمر كذلك حتى صيف العام التالي حيث قرر الترابين، الذين كانوا يخوضون حرباً ضد التياها أيضاً، القيام بهجوم معاكس. فساروا على الطريق الساحلية حتى شيخ زويّد حيث قدموا الأضاحي للولي الصالح، بينما كان السواركة متمركزين غرباً في الخروبة. وبعد مفاوضات فاشلة بين الفريقين قسم عقيد(*) الترابين، أبو ستة، جيشه إلى ثلاث مجموعات وتقدم. وقبل الخروبة، عند القرية التي حصلت فيما بعد على اسم المكسر، اشتبك الترابين من العدو وحققوا نصراً كبيراً: اضطر السواركة إلى ترك قطعانهم والهرب إلى العريش.

بعد ذلك عقدت اتفاقية سلام بوساطة شيخ من الحناجرة احتفظ الترابين بموجبها بالقرارة. ثم تعزز هذا السلام في 25 ربيع الأول 1301هـ/ 1 يناير/ كانون الثاني 1886م بواسطة عودة بن سويلم بن جرمي، شيخ النبعات المقيمين في هذه المنطقة الحدودية. ومنذئذ تسود عموماً حالة من التفاهم بين الترابين وجيرانهم في الغرب؛ حدثت مناوشات صغيرة في عامي 1889م و1904م سوّيت ودياً بتدخل السلطات المصرية[1].

أمّا على حدودهم الشرقية فلم تحدث نزاعات تستحق الذكر. لا بل إن

(*) العقيد هو الذي يعقد الراية ويقوم بهذا العمل على الأغلب شيخ القبيلة. (ماجد شبّر).

(1) يستند العرض إلى شقير، ص 581 وما يليها.

الترابين تحالفوا في بعض الأحيان مع العزازمة، ومع التياها الذين هاجروا مثلهم من سيناء إلى فلسطين لم تحدث أي مصادمات لأن منطقتي القبيلتين لم تكونا متجاورتين إلا في مسافة قصيرة. إلا أن الترابين تدخلوا عام 1856م في حرب أخوة بين التياها أنفسهم، وفي عام 1875م دخلوا في حرب مباشرة معهم انتصر فيها الترابين بقيادة حمد (حمّاد؟) الصوفي (ب 2). في الوقت الحاضر لم يعد الترابين يقومون بالغزو وهم يعيشون في سلام مع جميع القبائل المحيطة بهم.

تمتد منطقة القبيلة في الشمال الشرقي حتى طريق غزة ـ بئر السبع ولكن دون أن تمس أياً من المدينتين، وفي الجنوب حتى الوادي الأبيض. أمّا في الغرب فقد ظلت الحدود القديمة رفح ـ حجر السواركة قائمة.

أصبح الترابين منذ زمن طويل نصف مستقرين. فهم يستوطنون بكثافة عالية إلى حد ما في السهل الخصب المحاط بوادي غزة، الشلاّلة[1]، شناق[2] وبوادي سبع في قوس مفتوح نحو الشمال. ويسكن هذه المنطقة بصورة رئيسية ترابين غير أصليين إلى جانب الغوالية والنجمات، بينما تملك قبيلة الترابين الأصلية الثالثة، النبعات، المنطقة الرملية الواقعة على الحدود.

أكثر شيوخ الترابين نفوذاً هو الشيخ حمّاد الصوفي.

من بين القبائل التي لا تنتمي في الأصل إلى الترابين تنسب قبيلة القصاد (د) نفسها أيضاً إلى الشيخ عطية. أمّا فيما يخص النعيمات (هـ) فلعلهم ينحدرون من النعيميين الذين ورد ذكرهم في هذه المنطقة في العهد المملوكي[3]. وأمّا الجراوين (و) فهم أحفاد القبيلة الجذامية بني جرا التي كانت تسكن في القرن التاسع الميلادي

(1) منتصف وادي غزة.

(2) الجزء الأعلى من وادي غزة.

(3) غودفروي ـ ديمومبونس، ص 197 Gaudefroy-Demombynes.

على ساحل سيناء[1]. وهذا يعني أن هذه القبائل، باستثناء القصار، هي من سكان المنطقة القديمين الذين أخضعهم الترابين القادمين من الخارج. ويتخذ الأحيدات (ح)، الذين سنعالجهم في الفصل ما بعد القادم، مكاناً وسطاً.



حسين ابو ستة، شيخ الترابين (1929م).

(1) الهمداني، ص 129؛ ياقوت، الجزء الثالث، ص 383. بنو جرا ممثلون عند التياها أيضاً (آ ا ب).

نَسَبُ الترابين

إذا ما كان حديثنا السالف عن نشوء الترابين قد اقتصر على التلميح فقط فإن السبب في ذلك يعود إلى أن حكاياتهم عن نَسبهم متباينة جداً. فهناك رأي يقول بأن قبائل الترابين الأصلية الثلاث: الغوالية، والنجمات، والنبعات، هي أحفاد غالية، ونجمة، ونبعة، البنات الثلاث لصلدم الذي تشير صيحة الحرب: عيال صلدم! إلى أنه الجد الأول.

وهناك رأي آخر يقول بأن الترابين ينحدرون من نجم بن عطية[1]. ولكن بينما يبقى الآباء مهملين في حكاية النسب الأولى، تبقى أُمّا القبيلة، غاليّة وزارعة، في الظل في حكاية النسب الثانية. إذ إن هاتين الفتاتين حصل عليهما نجم كجزء من الدية التي دفعت له ثمناً لدم ابنه المقتول، والنساء اللواتي يتزوجن بهذه الطريقة تكون لهن مكانة أقل اعتباراً[2]. وفي هذه الحالة تكون غالية، كما في الحكاية الأولى، جدة الغوالية، وتكون زراعة (ظارعة) جدة عائلة الشيوخ صانع، شيوخ النجيمات؛ أمّا النبعات، القبيلة الترابينية الثالثة، فتبقى دون ذكر.

وهناك حكاية أخرى عن أصل الترابين، الذين بطلهم نجم بن عطية أيضاً،

---

(1) بشأن عطية انظر ص 148 أعلاه.

(2) بخصوص هذا الشكل من الزواج انظر: هيلما غرانكنيست، شروط الزواج في قرية فلسطينية، باسم.

تروي ما يلي: في أحد الأيام جاء نجم مع رجل اسمه الوحيدي، من نسل الحسن حفيد النبي محمد، إلى سيناء ونزلا عند شيخ بني واصل. وكان للشيخ ابنتان إحداهما جميلة والأخرى قبيحة(*). فأخذ نجم الذميم ولكنه الشجاع، البنت القبيحة زوجة له، وأخذ الوحيدي الجميل البنت الأخرى. ولذلك أصبح الوحيدات، أحفاد الوحيدي، جميلين وفخورين، وأصبح الترابين قبيحين ولكنهم شجعان[1].

وإذا ما كانت أحداث حكايات النسب هذه تدور في سيناء فهناك حكاية رابعة تشير إلى أن وطن الترابين هو في داخل شبه الجزيرة العربية. في هذه الحكاية يشتق اسم الترابين من بلدة تُرَبَة الواقعة على مسافة قريبة من الطائف. وهناك أغنية كان الجبارات ينشدونها خلال حربهم مع الترابين تقول: "يا ترباني، يا من جئت من التربة...". ومن الممكن أن يكون هذا النسب فيه فعلاً شيء من الصحة، لأن القبيلة الفرعية نجيمات الصانع تحمل أيضاً اسم بقمان. لكن هذا الاسم، أو بالأحرى بقوم، هم اسم قبيلة لم تزل حتى اليوم تخيم في منطقة التربة.

(*) هناك إرباك في النص الألماني لذا فالنص الأصلي يقول: وكان نجماً فارساً مقداماً ولكنه قبيح المنظر أسمر اللون وكان الوحيدي شاباً جميل الوجه أبيض اللون تزوج نجماً بنتهُ القبيحة الوجه وزوج الوحيدي بنتهُ الجميلة فكان نجم جدّ الترابين وهم مشهورون بالبسالة وقبح الصورة، والوحيدي جدّ الوُحيدات وهم مشهورون بالكياسة وحسن الصورة، شقير ص116. (ماجد شبّر).

(1) شقير، ص 116.

الوحيدات

ينتمي الوحيدات إلى مجمع الترابين منذ 100 سنة تقريباً. وقبل ذلك كانوا مستقلين، لا بل القبيلة السائدة في جنوب فلسطين. وطن الوحيدات هو شمال الحجاز. أمّا نسبهم فتدور حوله، كما عند الترابين الأصليين، روايات مختلفة. في الحكاية التي رويناها قبل قليل يوصفون بأنهم من نسل النبي، وهذه الرواية منتشرة أيضاً على نطاق واسع. أمّا هم أنفسهم فيزعمون أنهم من أقرباء عائلة الأمراء المشهورة عائلة فضل الفاعور[1]. لكن هذا الزعم بعيد الاحتمال ولا سند له سوى أن أحد أجداد الوحيدات كان اسمه فاعور. وهناك مصدر قديم[2] يقول بأن الوحيدات هم من بني عطية مثل الترابين.

تذكر الحكايات المتناقلة شفهياً الحجاز، واذروح في شرقي الأردن، وغزة، كمحطات على طريق هجرة الوحيدات. وهناك مصادر مكتوبة تؤيد صحة هذه المعلومات. أقدم هذه المصادر[3]، من عام 955هـ/ 1548م، تقول بأن الوحيدات وأخوتهم الرشيدات كانوا مكلفين بحماية طريق الحج عند نقب العقبة[4]. ومن هنا

(1) انظر الجزء الأول، ص 510 وما يليها.

(2) انظر الملاحظة التالية.

(3) درر الفرائد عند شقير، ص 108.

(4) الممر الذي يؤدي من الخليج إلى هضبة سيناء.

انتشروا في جنوب الأردن وكانوا عام 1634م، كما يتبين من تاريخ الأمير الدرزي فخر الدين، قد وصلوا إلى الكرك: كان فخر الدين ينظر منذ زمن طويل بعين الحسد إلى قلعة الكرك التي كانت آنذاك بيد ابن طرباي من بني حارثة. ولكي يحصل على المدينة دخل ابنه علي في مفاوضات مع شيخ الوحيدات كانت قد توفرت شروط مناسبة لها لأن ابنه (ابن شيخ الوحيدات) كان مسجوناً في نابلس. فوعد الشيخ ابن طرباي بتسليم الكرك في حال فك أسر ابنه. وتقدم الوحيدات نحو المدينة لكنهم اصطدموا هناك بمحض الصدفة مع قافلة كانت تنقل المؤن إلى الحامية. ونشبت معركة بين الطرفين قتل فيها قائد القافلة الأمير أحمد بن طرباي[1]. ولا يذكر هذا المصدر أي شيء عن مصير الكرك بعد ذلك[2]. ولكن حكاية قبيلة عمرو في الكرك تقول إن الوحيدات استولوا على المدينة في وقت لاحق. ففي هذه الحكاية يرد ذكر الشيخ الوحيدي معيّش، والحاكم التابع له طرفيش، في الكرك.

في النصف الثاني من القرن السابع عشر اضطر الوحيدات إلى التخلي عن منطقتهم في شرقي الأردن لصالح عمرو[3]. وكانوا في السابق أيضاً، كما كان الحال دوماً لدى قبائل جنوب شرقي الأردن، يقضون أحياناً فترة الصيف على الجانب الآخر من العربة، والآن نقلوا مقر إقامتهم كلياً إلى فلسطين. ويذكرهم جهان ـ نما (ص 554) بين قبائل غزة، بينما جاء في قائمة صرة تركية تعود لعام 1676 أنهم ما زالوا (وقتها) مقيمين جنوب الكرك[4].

في القرن الثامن عشر انتزع الوحيدات القيادة من قبائل غزة وبئر السبع. وحتى النصف الأول من القرن التاسع عشر كان الجبارات تحت قيادة عائلة الدايمي الوحيدية، بينما كان الحناجرة والترابين والتياها تابعين لعائلة الشيوخ الحالية ابن

---

(1) ليس الأمير الحاكم الذي يحمل الاسم نفسه؛ انظر عرب الأمير الحارثي.

(2) أخبار الأعيان، ص 330 وما بعدها.

(3) انظر مقال عمرو في فصل شرقي الأردن.

(4) أرشيف عثمان باشا، رقم 44.

عايش. وكانت عائلة الدايمي من المتحمسين لحزب القيسيين في الخليل، بينما كان بنو عايش من مؤيدي الحزب اليمني[1].

كانت القوة العسكرية الهامة، التي تمكن الوحيدات من حشدها تحت رايتهم، قد جعلتهم خصوصاً خطيرين بالنسبة لحاكم غزة. وقد قتل حسين باشا مكي زاده في معركة معهم (1765م)[2]. وفي الثمانينات انتقم آغا غزة لوفاة سلفه بأن أمر بقتل شيخ الوحيدات[3].

فقد الوحيدات هيمنتهم على قبائل جنوب فلسطين خلال فترة الاحتلال المصري. وبعد اشتراكهم في ثورة عام 1834م عوقبوا عقاباً مؤلماً وأجبروا، جزئياً، على التوطن[4]. ولم يتبق لهم من سلطتهم السابقة سوى ظل: في كل عام يستقبل شيخهم في عيد الأضحى تهاني زعماء الترابين[5].

(1) وصف مصر، الجزء 16، ص 112 ـ 115؛ Palestine Exploration Fund، عام 1906م، ص 33 وما بعدها.

(2) السجل العثماني، الجزء الثاني، ص 211، الذي يؤكد تاريخه نيبور في: وصف رحلة، الجزء الثالث، ص 87. مرادي، الجزء الثاني، ص 62، يكتب خطأ: 1197هـ/ 1783م.

(3) فولني، الجزء الثاني، ص 250؛ انظر الجزء الأول، ص 459.

(4) روبنسون، الجزء الثاني، ص 649.

(5) شقير، ص 116.

الترابين(1)

آ ـ الغوالية(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ أبو ختلة	إسماعيل أبو ختلة	الشيخ نوران؛ الشلالة	20
2 ـ أبو عمرة(3)	سلامة أبو عمرة	النخرور	50
3 ـ أبو بكرة	جمعة أبو بكرة	وادي حنافيش	20
4 ـ أبو شلهوب(3)	سالم أبو شلهوب	وادي حنافيش	30
5 ـ أبو الحصين	عبد ربه أبو الحصين	غرب الشلالة	
أ ـ أبو الحصين	عبد ربه أبو الحصين		25
ب ـ أبو مغيصيب	حماد أبو مغيصيب(4)		14
جـ ـ أبو خمّاش	سالم أبو زين		13
د ـ أبو عواد	مسلّم أبو عون		8
قبائل ملحقة			
أ ـ التعابين(5)	جندي التعابين		18
ب ـ أبو جاموس(6)	محمد أبو جدعان		10
6 ـ أبو ستة	حسين أبو ستة(7)	المعين؛ أبو ستة؛ المعلّقة	
أ ـ أبو ستة	حسين أبو ستة		30
ب ـ أبو تيلخ	فريح ولد سلمان		15
جـ ـ الصقور	حسين أبو ستة		15
د ـ الحسينات	حسن أبو حمّاد		10
و ـ العوايضة	عبد الرحمن بن غيث		10

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
قبائل ملحقة			
أ ـ الضباعين(8)	عبد العال		10
ب ـ عايلة أبو حسين(9)	عطية أبو حسين		10
جـ ـ النجايدة(9)	حماد أبو عرام		20
د ـ عيلة أبو داود(8)	داود أبو سالم		15
هـ ـ الطعيمات(10)	سليمان بن عودة		15
7 ـ الزريعي	عبد الكريم الزريعي(11)	النخرور؛ تل جمة	
أ ـ العمور	عميرة بن سالم بن عمرو		30
ب ـ العويليين	عبد الله العويليين(12)		30
جـ ـ الزريعي	عبد الكريم الزريعي		40
د ـ العدينيين	عبد الله بن حسن العديني		10
قبائل ملحقة			
أ ـ المريفات(13)	سليمان أبو مريفي		15
ب ـ الملالحة			50
1 ـ الزرقان	سليم الأزرق		
2 ـ ابن خميس			
3 ـ الرومي			

ب ـ النجمات(14)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ نجمات الصانع(15)	حمد الصانع	وادي غزة؛ السويلمة	
أ ـ الصانع	حمد الصانع		50
ب ـ أبو شباب	محمد أبو شباب		20
جـ ـ أبو روّاع	عبد العزيز أبو روّاع		8
د ـ الدهيني			10
قبائل ملحقة			
هـ ـ المحافظة(16)	محفوظ أبو محفوظ		20
2 ـ نجمات الصوفي	جدوع الصوفي(17)	بير الصوفي؛ وادي غزة	
أ ـ الصوفي	جدوع الصوفي		40
ب ـ ابن عياش	حماد بن عياش		15
جـ ـ الدباري	منصور الدباري		12
د ـ السنايمة	سلمة السنيمي		12
قبائل ملحقة			
أ ـ الفوايدة؛ أبو خفاجة(18)	سالم أبو خفاجة		15
ب ـ نجادية(19)			4
جـ ـ رميلات(20)			3
د ـ سوطرية(21)			2
هـ ـ عبيد سود(22)			3

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
3 ـ نجمات أبو صوصين	محمد أبو صوصين	تل الفارعة؛ قاعة أبو صوصين	
أ ـ أبو صوصين	محمد أبو صوصين		20
ب ـ المصاطفة(23)	الحاج مصطفى		50
جـ ـ الخلفات(23)	ابن خلف الله		
4ـ نجمات أبو عاذرة	عودة أبو عاذرة	شناق	40
قبائل ملحقة			
أ ـ شيوخ العيد(24)			30
ب ـ نمور	أبو نمر		7
جـ ـ سعود			7
د ـ مصريون(23)			15

جـ ـ النبعات(25)

شيخ المشايخ: مصلح بن جرمي

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ عيال ابن جرمي	مصلح بن جرمي	البريصة العجرا؛ القرن	30
2 ـ الدلح	عودة الدلح		30
3 ـ ابن جهامة (الجهامات)(26)	مسلم القصيّر		30
4 ـ البحايصة			25
5 ـ ابن مبارك			18
6 ـ ابو عذيف			20

د ـ القصار(27)

شيخ المشايخ : عميرة العرجاني

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ عرجان	سلمان العرجان		20
2 ـ دراوشة	ضيف الله الدراوشة		6
3 ـ جرابعة	محمد بن سليمان	العجرا	20
4 ـ لوالحة	حسين اللولحي		10
5 ـ عناقوة(24)	أبو عنقا		10
6 ـ المطير			30
7 ـ النقيزات	سالم النقيز		30
8 ـ الخلاوية			10

هـ ـ النعيمات(28)

شيخ المشايخ : محمد أبو صهيبان

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ النعيمات			
أ ـ القاضي	حمدان القاضي		15
ب ـ السلاطين(29)	شريقي السلاطين	أبو صهيبان	10
جـ ـ الفريجات	عبيد أبو كليب		20

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
د ـ معاتقة	محمد المعاتقة		8
2 ـ الضوابحة			
أ ـ أبو جليدان	صبح بن ضيف الله		25
ب ـ أبو صهيبان(30)	محمد أبو صهيبان	أبو صهيبان	25
جـ ـ أبو محيزع	محمد أبو صهيبان		10
د ـ ابن حسن	محمد أبو صهيبان		10

و ـ الجراوين(31)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1ـ جراوين أبو غليون	سلمان أبو غليون		25
أ ـ أبو غليون			20
ب ـ أبو غنيم		أبو غليون	18
جـ ـ أبو عويضة			18
د ـ أبو جويعد			16
2ـ جراوين أبو يحيى	فرحان أبو يحيى		100
قبائل ملحقة			
أ ـ أبو سبيتان(32)		أم عجوة؛ أبو يحيى	30
ب ـ أبو راضي(33)			18
3 ـ جراوين أبو صعيليك	منصور أبو صعيليك	قوز البصل	100

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
أ ـ أبو صعيليك			25
ب ـ أبو سرحان		قوز البصل	25
جـ ـ أبو عودة			10
قبائل ملحقة			
أ ـ ابن عودة(34)			20
ب ـ ابن صبح(35)			15
جـ ـ سطرية(36)			6
د ـ قلاعية(37)			4

ز ـ الحسنات

شيخ المشايخ: موسى أبو معيليق

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحسنات(38)	أبو صباح		6
2 ـ المعالقة(39)	موسى أبو معيليق		40
3 ـ العوامرة(40)	حسين أبو عويمر		6
قبائل ملحقة			
4 ـ عبيد سود			20

ح ـ الوحيدات(41)

شيخ المشايخ: نمر الوحيدي(42)
مكان السكن: البرجلية
عدد الخيام: 40

ملاحظات

1 ـ غارماني، ص 23 وما بعدها؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 32 ـ 34؛ ياوسن، ص 411. عارف العارف (ص 8 ـ 15) تختلف مقدمته عما جاء في جدولنا أنه يضم النبعات (حـ) أيضاً إلى الخوالية، ويضم إلى النجيمات (ب) القصار (د) والنعيمات (هـ). عدد الخيام عند عارف العارف يساوي تقريباً ضعف العدد عندنا (1782م). كنسوس 1939م: 16,329 نسمة.

2 ـ صيحة الحرب: إخوان غالية! الوسم: O | على الجهة اليمنى من رقبة الجمال وعلى ذقن الغنم.

3 ـ صوالحة من مصر.

4 ـ في أوقات سابقة جاء العقيد أحياناً من العائلة.

5 ـ شراكسة.

6 ـ عبيد سود.

7 ـ يعتقد رأي شائع بأن أبو ستة جاؤوا من صقر؛ قارن ص 35 أعلاه. وهم يسمون أيضاً الفرجات. وبناء على ذلك تكون سلسلة النسب: حسين بن دهشان بن صقر بن دهشان بن صقر بن دهشان بن حمد أبو ستة بن حسين بن حماد بن صقر بن حسن بن حمد بن الملاّك. حصل حمد أبو ستة على اسمه "أبو ستة" من ستة عبيد كانوا يرافقونه دوماً. في عام 1290هـ/ 1873م اضطر أبو ستة إلى الاحتماء بالتياها لأن دهشان بن صقر بن دهشان بن حمد أبو ستة قتل الشيخ محمد بن

حمدان الصوفي (ب 2). وخلال وجودهم في المنفى برز صقر (بن دهشان) أبو ستة كقائد لغزوات مدروسة بعناية. كما أن ابنه دهشان، أبو شيخ المشايخ الحالي، كان أيضاً عقيداً مشهوراً.

8 ـ سوالمة من مصر.

9 ـ عايد من مصر.

10 ـ عبيد سود.

11 ـ توفي عام 1931م. خليفته: محمد أبو زريع الزريعي.

12 ـ وهذه أيضاً عائلة عقداء. قصار أبو عويلة برز في حرب الجبارات الأولى.

13 ـ حويطات.

14 ـ صيحة الحرب: إخوة زانه! الوسم: / خلف الأذن اليمنى (عند النجيمات الصانع: على الخد الأيمن) و ـــ على جانب الذقن الأيمن (عند النجيمات الصانع على الجانب الأيمن من الرقبة أيضاً).

15 ـ عائلة العقداء أبو شوشة غير موجودة بين فروعهم.

16 ـ من صالحية في مصر.

17 ـ الآن: أحمد الصوفي. الصوفي عائلة شيوخ هامة. أشهر واحد فيهم حمّاد الصوفي الذي برز في بداية الأمر في الحرب مع التياها (انظر ص 151 أعلاه). واشترك في حملة سيناء وتوفي بعد الحرب العالمية بعدة أعوام.

18 ـ بياضيين، قارن مقال قبائل قطيا في فصل سيناء.

19 ـ مصريون.

20 ـ ملحقون بالسنايمة.

21 ـ انظر الصفحة 104 أعلاه. ملحقون بابن عياش. «لا يوجد ابن عياش بل يوجد ابن عايش. م. شبّر»

22 ـ عبيد الصوفي.

23 ـ مصريون.

24 ـ ينتمون إلى فرقة دينية.

25 ـ الوسم: / خلف الأذن اليمنى.

26 ـ عائلة شيوخ قديمة، انظر بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 462؛ شقير، ص 586.

27 ـ الوسم: — على الجانب الأيمن من الذقن و // خلف الأذن اليسرى.

28 ـ الوسم: / على الجانب الأيمن من الذقن و | على الأذن اليمنى.

29 ـ قام نابليون بتعيين جدهم «سلطان غزة» لأنه عمل دليلاً مع الجيش الفرنسي.

30 ـ حسب موزيل ينتمي إلى النجيمات.

31 ـ الوسم: ▽ على الجانب الأيمن من الرقبة.

32 ـ من العريش.

33 ـ من دير البلح.

34 ـ كعابنة.

35 ـ مسيحيون سابقون من بيت لحم.

36 ـ انظر الصفحة 104 أعلاه.

37 ـ يسمى سكان خان يونس قلاعية، انظر موزيل ص 31.

38 ـ يزعمون أنهم بني حسن من شرقي الأردن، الوسم: ﹏ على الجانب الأيمن من الرقبة.

39 ـ لياثنة من وادي موسى (البترا «البتراء»)، انظر فصل شرقي الأردن. الوسم مثل المذكورين آنفاً (38).

40 ـ حويطات من القبيلة الفرعية السلالمة، انظر الجدول: حويطات سيناء. الوسم القديم: ∧ (راجح)؛ الوسم الجديد: مثل المذكورين آنفاً.

41 ـ يسمون أيضاً فواعير تكنياً بجدهم. الوسم: على الجانب الأيسر من الرقبة. موزيل، ص 38، يحسبهم مع مجمع التياها.

42 ـ الآن ابنه حسن بن نمر بن واكد بن عايش الوحيدي. يرد ذكر عايش في Palestine Exploration Fund، لعام 1906م، ص 33 وما بعدها. أحد أعضاء أسرة الشيوخ، جابر، درس في العهد التركي في مدرسة القبائل في القسطنطينية وأصبح بعد ذلك ضابطاً ويعيش الآن في غزة. وقد فتح عدة مدارس لقبائل بئر السبع، أشكنازي، ص 31.

التياها

جاء اسم القبيلة، التي يسمى هذا المجمع باسمها، من التيه، الهضبة الداخلية من صحراء سيناء، حيث لم تزل تعيش مجموعة منه. ويعيد التياها نسبهم إلى قبيلة بني هلال الشهيرة: عندما كانت قافلة بني هلال تعبر سيناء في طريقها من نجد إلى مصر خرج ثلاثة شبان وثلاث فتيات عن الطريق بحثاً عن الماء في وادي سدره وضاعوا (تاهوا) في الصحراء. ولم يتمكنوا بعد ذلك من اللحاق بالقافلة ولذا بقوا في سيناء[1].

بينما تنطلق هذه الحكاية من الاسم تياها، تنطلق حكاية أخرى عن أصل القبيلة من أسماء القبائل الفرعية وتقول[2]: جاء التياها من الشرق واستوطنوا في صحراء التيه. وكان زعيمهم اسمه ربّاب وكان له خمسة أبناء: عمري، جد عائلة عيال عمري (ح)، وحُقّ، جد الحقوق[3] (أ)، وعلم، جد العلامات (حـ)، ومصلح، جد البدينات (هـ)، وقدير، جد القديرات العثمان (د)[4].

من صحراء التيه انتقل التياها بقيادة عمري بن ربّاب إلى منطقة بئر السبع حيث

---

(1) والين، Journal of the Royal Geographical Society, London، 1854م، ص 117.

(2) موزيل، الجزء الثالث، ص 34 وما يليها.

(3) ولكن جدهم اسمه، حسب البرغوثي، سعيد.

(4) عند موزيل، ص 39، اسم جدهم هو: "عثمان بن ربّاب الذي يزورون قبره عند عسلوج".

كان يسكن آنذاك الحناجرة، والعزازمة، وبنوخاميس[1]. وعمري مدفون في الوادي الأبيض قرب العوجا حيث يصب وادي الحفير. وما زال هذا القبر حتى اليوم مسرحاً لطقوس غريبة عجيبة. إذ يقوم الناس برمي الحصى على كومة الحجارة وهم يشتمون الشيخ عمري. وهذه الطريقة في تكريم الأولياء الصالحين المنتشرة في العالم الإسلامي بصورة رئيسية في شمال إفريقيا[2] ترمي في الأصل إلى اتقاء القوى الخطيرة المنطلقة من الميت. لكن التياها يفسرونها بطريقة مختلفة تماماً حيث يقولون: في قديم الزمان كانت تقدم الضحايا على قبر عمري في احتفال كبير. وفي أحد هذه الاحتفالات، حيث كان مجتمعاً جزء كبير من القبيلة، هطل فجأة مطر غزير وامتلأ الوادي بالمياه. وجاء الطوفان بسرعة كبيرة بحيث إن التياها لم يتمكنوا من النجاة إلا بصعوبة. وفي الفوضى التي نشأت عند الهروب جرح كثير من الناس وجرفت السيول الأغنام والماعز. فحمّل التياها عمري المسؤولية عن هذه المصيبة لأنهم كانوا يعتقدون أنه لن يصيبهم أذى طالما هم في حمايته. ومنذ ذلك الحين صار التياها يشتمون جدهم.

كما أن مجيء التياها إلى منطقة بئر السبع لا يمكن تحديد تاريخها التقريبي. يشير البرغوثي بهذا الخصوص إلى ملاحظة عن التياها وجدها في كتاب "كشف النقاب"، وهو كتاب لم يطبع بعد عن تاريخ غزة للشيخ عثمان الطباخ، لكنه لم يذكر أي معلومات عن ذلك الكتاب ولا عن تاريخ تأليفه[3]. إلا أن البرغوثي يقول إن الطقوس المشار إليها أعلاه على قبر العمري مذكورة في الإنس الجليل" (المكتوب عام 1495م)[*]؛ لكننا لم نتمكن من إيجاد المكان الذي وردت فيه هذه

(1) لم تعد القبيلة موجودة اليوم، لكن الاسم ظل موجوداً وهو اسم وادي يقع شرق غزة.

(2) دوتبه، مراكش، ص 57 ـ 108.

(3) عارف العارف استعمله وذكر اسم المؤلف: أحمد بن شعبان بن سالم بن يوسف بن أحمد بسيسو.

(*) الإنس الجليل بتاريخ القدس والخليل تأليف قاضي قضاة أبو اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي. ولد بالقدس عام 860هـ. (ماجد شبّر).

المعلومة، ولكن حتى لو كان الخبر صحيحاً فإن الاحتمال يبقى قائماً بأن الأمر يتعلق بطقوس محلية قديمة جداً تبناها التياها فيما بعد وصاروا يمارسونها.

في القرن الثامن عشر كان التياها أيضاً، كالحناجرة والترابين، منضمين إلى مجمع الوحيدات (انظر ص 100 أعلاه). وعندما انحل هذا المجمع في بداية القرن التاسع عشر تولت عائلة ابن عطية (العطاونة)[1] من النتوش (و) قيادة التياها. وفي خمسينات القرن الماضي كان الشيخ عودة بن سليم العطاونة، من أحفاد عيد بن عطية، أهم شيخ في منطقة بئر السبع. وقد حدثت عداوة بين عودة وأخيه عامر. فطلب عامر المساعدة من الترابين. واصطدم الطرفان مرتين قرب البطيح على نهر الشريعة (1856م). فقتل عامر في إحدى المعارك وقدّم، إثر ذلك، ابنه سليمان الولاء لعمّه. لكن الشيخ عودة توفي بلا أولاد ولم يتمكن أبناء أخيه من فرض أنفسهم وتولي الزعامة. ونتيجة لذلك انتقل الحكم من عائلة ابن عطية إلى عائلة الهزيّل (الحقوق). فأمر الشيخ سلمان بن علي الهزيّل، جد الشيخ الحاكم حالياً، بقتل معظم أفراد بيت عطية. على إثر ذلك تدخلت الحكومة التركية وألقي القبض على الشيخ سلمان ثم قطع رأسه في دمشق[2]. وبذلك تنقطع الأخبار التاريخية عن القبيلة؛ أمّا حرب الترابين عام 1875م فقد تحدثنا عنها في الصفحة 150 و151 أعلاه.

إلى جانب القبائل الخمس المذكورة في حكاية أصل القبيلة يحسب أيضاً إلى التياها الأصليين كلاً من النتوش والرواشدة. ومن بقية قبائل المجمع سبق وتعرفنا على القلاوزين عند الجبارات (ح)؛ والرماضين هم قبيلة شقيقة للرتيمات (جبارات هـ).

أمّا بني عقبة (م) فيحفظون اسم وتقاليد قبيلة ممثلة بقوة بين بدو فلسطين

(1) ذكره لأول مرة سيتزن، الجزء الثالث، ص 49؛ قارن الصفحة 7، 32، وذلك كفرع من بني عقبة (م). بوركهاردت (ص 312)، الذي يشتق التياها من بني عطية، خلط خطأ بين عائلة الشيوخ ابن عطية وبين قبيلة بني عطية.

(2) موزيل، الجزء الثالث، ص 36؛ شقير، ص 586. الحكايات عن هذه الحرب أخذت من "تاريخ بئر السبع"، ص 175 وما يليها.

وشرقي الأردن ولم تزل بقية منها تعيش في موطن القبيلة القديم على خليج العقبة. وأمّا مجموعة بني عقبة المنضمة إلى التياها فقد جاءت إلى فلسطين مع الوحيدات، أي في النصف الثاني من القرن السابع عشر.

تقع منطقة التياها في قوس شمال بئر السبع. وتصل في الغرب حتى أبو هريرة تقريباً، وفي الشرق حتى خربة الملح. وتبدأ في الشمال عند خويلفة وزانوتا. في الأزمنة السابقة كان التياها يتجمعون كل عام في الخريف عند بئر الملح. وكانوا يرسلون جمالهم في الشتاء إلى غور الصافي عند النهاية الجنوبية للبحر الميت، بينما كانوا هم أنفسهم يذهبون إلى نهر الشريعة لكي يبذروا البذور الشتوية[1]. ولربما تخلوا في وقت لاحق، بعد تنامي الزراعة، عن هذه الرحلات التي كانت تتكرر كل عام.

أمّا تحزب القبائل إلى قيسي أو يمني فيصل إلى بئر السبع، عند الحدود الجنوبية. ولم يدخل في هذا التحزب من التياها إلا الحقوق والعلامات، إذ تبنى الحقوق الحزب اليمني والعلامات الحزب القيسي.

---

(1) روبنسون، الجزء الثالث، ص 182.

التياها(1)

آ ـ الحقوق(2)

شيخ المشايخ : سلمان الهزيّل(3)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1ـحقوق الهزيّل(4)	سلمان الهزيّل		
أ ـ الهزيّل			20
ب ـ الجريات (بني جرى)			25
قبائل ملحقة			
أ ـ فراجات(5)			40
ب ـ قطاطوة(6)	الحاج حسن أبو عيدة		100
1 ـ أبو عيدة			
2 ـ أبو موسى		الشريعة؛ وادي فطيس	
3 ـ أبو شريعة			
4 ـ الغشاترة			
5 ـ الصبرة			
6 ـ الدعابسة			
7 ـ الكواشفة			
جـ ـ المسعوديين(7)	الحاج حسن الزيادة		50
1 ـ زيادنة			
2 ـ قواعية			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
هـ ـ عبيد سود(8)	بركات العبد		40
2 ـ الحمامدة(9)	حسن الفرنجي		
أ ـ الطلالعة(10)	محمود الطلالعة		70
ب ـ عبيد سود	محمد العبيد		30
3 ـ العمارات(11)	سليمان الأسد؛ محمد أبو عبدون(12)	الشريعة؛ وادي فطيس	
أ ـ السمارة	سليم السمارة		20
ب ـ أبو عبدون	أبو عبدون(12)		20
جـ ـ أبو حامد	محمد أبو حامد		20
د ـ الأسد	سليمان الأسد		60
قبائل ملحقة			
أ ـ يسفة(13)	الحاج سلمان أبو سيف		40
ب ـ قلاعية(14)	صالح الملاحي		20
4 ـ الجلمان(15)	سليم البريقي(2)		
أ ـ البريقي	سليم البريقي(2)		50
ب ـ العتايقة	سليمان العتايقة		30
جـ ـ أبو ناجع	محمد أبو ناجع		10
د ـ عبيد سود	موسى العبيد		15

ب ـ بلي(16)

شيخ المشايخ : هلّيل الصهابين

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ صهابين	هلّيل الصهابين		30
2 ـ هروف	عبد الله الهرفة	أم دبكل	30
3 ـ أبو ليمون (لوامين)	حسين أبو مضيات		15

جـ ـ علامات(17)

شيخ المشايخ : سلامة أبو شنار(18)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ البواطلة			
أ ـ البواطلة	حسن بن محيسن البواطلة		30
ب ـ العبيدات	سلامة أبو شنار(18)		40
جـ ـ العصايبة	محمد العصيبي		10
قبائل ملحقة		الخويلفة، المليحة، البطيحة	
أ ـ الطورة (19)	حسن أبو جرار		10
1 ـ اخارسة			4
ب ـ القطاطوة	سلامة أبو أحمد		5
1 ـ قريناوية			4

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
2 ـ الجقيمات	عطا أبو جقيم	الخويلفة؛ المليحة؛ البطيحة	
أ ـ الجقيمات	عطا ابو جقيم		30
ب ـ الزوايدة	حسن أبو سكوت		40
3 ـ المزاغيل	سلامة أبو لبة		
أ ـ الشلوح	سلامة النقيز		50
ب ـ المزاغيل	سلامة أبو لبة		60

د ـ القديرات(20)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ أبو كف	حسين أبو كف	وادي الخليل؛ خربة حورة	
أ ـ أبو كف			30
ب ـ أبو أطرش			15
جـ ـ الحمدي			5
قبائل ملحقة			
أ ـ أبو سبيلة			2
ب ـ البطون			18
2 ـ الصانع(21)	إبراهيم الصانع	خربة الليقة؛ الشريعة؛ أبو هريرة	
أ ـ الصانع			20

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
ب ـ النبّاري			20
جـ ـ الوكيلي			20
د ـ أبو سبيت			15
قبائل ملحقة			
هـ ـ الصبابرة			3
3 ـ أبو رقيّق	حرب أبو رقيّق	بير أبو رقيق؛ الشريعة	
أ ـ أبو رقيّق			20
ب ـ أبو صلب			20
جـ ـ أبو عصا			20
د ـ أبو نادي(22)			10
4 ـ الأعصم	سالم الأعصم(23)	وادي الخليل	
أ ـ الأعصم			50
ب ـ أبو هويشل			40
جـ ـ الحميدي			35
قبائل ملحقة			
أ ـ العلاقمة	صالح السعيد		4
ب ـ السعيديين(24)	صالح السعيد		

هـ ـ البدينات

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ البدينات	عطية بن خطّاب	الشريعة؛ غزالة	40
قبائل ملحقة			
أ ـ مصريون			6
ب ـ قريناوية			4

و ـ النتوش(25)

شيخ المشايخ: حسن بن علي العطاونة(26)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ ابن عطية	حسن العطاونة		
2 ـ أبو شارب			15
3 ـ الحمادين			10
4 ـ الطلالقة			10
قبائل ملحقة			
1 ـ مصريون			6
2 ـ قطاطوة			6
3 ـ قريناوية			5
4 ـ نعيمات			4
5 ـ أبو رضاف(27)			

ز ـ الرواشدة(28)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
الرواشدة	سليمان أبو راشد	وادي الجمّامة؛ الحمام	25
قبائل ملحقة			
1 ـ قطاطوة			4
2 ـ مصريون			3
3 ـ قريناوية			2

حـ ـ عيال عمري (العرور)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
عيال عمري	سليم العر	المحرّفة	30
قبائل ملحقة			
1 ـ قطاطوة			6
2 ـ مصريون			3
3 ـ قريناوية			1

ط ـ القلازين

شيخ المشايخ: عبد الله أبو الغصين

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الجعيثني		الجمّامة؛ وادي الشريعة	20
2 ـ أبو الغصين		الجمّامة؛ وادي الشريعة	20
قبائل ملحقة			
قطاطوة			6

ك ـ الرماضين

شيخ المشايخ: حسن بن إبراهيم المسامرة

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المسامرة	حسن المسامرة	بير السقاطي؛ الخويلفة	40
2 ـ الشعور	سلامة الشعور	بير السقاطي؛ الخويلفة	40

ل ـ الشلالين(29)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
الشلالين	محمد أبو غيث	تل المليحة؛ سعوة	60
قبائل ملحقة			
1 ـ سعادنة			10
2 ـ طورة			8
3 ـ قطاطوة			6
4 ـ مصريون			11

م ـ بني عقبة(30)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
بني عقبة	الحاج محمد العقبي	أم البقر	20
قبائل ملحقة			
1 ـ قطاطوة			8
2 ـ طورة			6

ملاحظات

1 ـ غارماني، ص 23 موزيل، الجزء الثالث، ص 38 ـ 41؛ ياوسن، ص 410. عارف العارف، ص 20 وما يليها، قريب جداً من جدولنا. ذكرت لأول مرة عند بوركهاردت، ص 313. كنسوس 1931: 14,193 نسمة.

2 ـ الكتابة تتأرجح بين «ق» و «ك».

3 ـ سلسلة النسب: سلمان بن علي بن سلمان بن علي بن عزام.

4 ـ صيحة الحرب: راعي البلها! الوسم: // بين الأذن اليمنى والعين و —// بين العين اليسرى والأذن.

5 ـ مصريون.

6 ـ القطاطوة، قوم من قطيا، ممثلون في كثير من قبائل التياها الفرعية. وقطاطوة الحقوق جاؤوا حديثاً إلى بئر السبع وحصلوا هناك على أراض؛ ولم يزل المالكون البدو السابقون مسؤولون عن دفع ضرائب هذه الأراضي.

7 ـ من البصيرة قرب الكرك.

8 ـ عبيد الهزيّل.

9 ـ الوسم وصيحة الحرب مثل حقوق الهزيّل.

10 ـ مصريون.

11 ـ صيحة الحرب: راعي المليحا! الوسم: / على الخد الأيمن و // بين العين اليسرى والأذن.

12 ـ الآن: عديسات أبو عبدون.

13 ـ قطاطوة.

14 ـ من العريش، ليس من خان يونس، كما في ص 163/ 168 أعلاه.

15 ـ صيحة الحرب: راعي البويضة!

16 ـ ينتمون من ناحية النسب للقبيلة المعروفة في الحجاز. تاريخ هجرتهم والشروط التي قبلتهم التياها على أساسها موجودة عند ياوسن، ص 119. سياسياً مرتبطون بالحقوق. الوسم: ʃ على الجهة اليسرى من الرقبة.

17 ـ الوسم: \ على الخد الأيمن، عمود على الجهة اليمنى من الرقبة و // بين العين اليسرى والأذن.

18 ـ الآن: موسىٰ أبو شنّار ولكنه لم يعد يحكم سوى جـ1. عائلة الشيوخ ورد ذكرها عند سيتزن، الجزء الثالث، ص 37.

19 ـ الطورة اسم للقبائل الموجودة حول جبل الطور في سيناء.

20 ـ أقدم ذكر لهم عند سيتزن، الجزء الثالث، ص 43. إذا ما كنا قد نسبنا أعلاه القديرات إلى التياها الأصليين فإن صحة هذا النسب تبقى نسبية وضمن شروط؛ فالبرغوثي يستثني الصانع، بينما يعتبر موزيل القديرات العثمان فقط (أبو كف أو الأعصم) أصليين. وسم القديرات (باستثناء الصانع): + على الجهة اليمنى من الرقبة و // خلف الأذن.

21 ـ الوسم: ـــ على الذقن الأيمن و // خلف الأذن اليمنى. وبناء على ذلك تكون هناك قرابة بين القبيلة الفرعية والصانع الترابين.

22 ـ ينتمون من ناحية النسب إلى أبو كف.

23 ـ الآن: جدوع العصم.

24 ـ مصريون.

25 ـ الوسم: / على الخد الأيمن و // بين العين اليسرى والأذن. ويقال بأن عائلة النتشة في الخليل تنحدر من النتوش.

26 ـ سلسلة النسب: حسن بن علي بن سليمان بن سالم بن سليم بن عواد بن واقد بن عطية. وكان علي العطاونة قد وقف إلى جانب الإنجليز منذ ما قبل الحرب العالمية بتأثير لورنس وغرترود بّل. وكان ابنه فريد، الذي درس في مدرسة القبائل في القسطنطينية، يعمل عام 1917م لصالح الإنجليز ثم أصبح في وقت لاحق موظفاً في بئر السبع؛ ستيوارت إرسكاين، فلسطين العرب، 1935م، ص 203؛ أشكنازي، ص 31.

27 ـ حويطات من مصر.

28 ـ ينتمون من ناحية النسب إلى التتوش. الوسم: / على الخد الأيمن.

29 ـ يعتقد بأن الاسم مشتق من وادي الشلاّل.

30 ـ عارف العارف يقسمهم إلى: قريش وصبيحات. الوسم: |٧ على الورك الأيمن.

العزازمة

يسكن العزازمة جنوب وجنوب شرق بئر السبع. وإقامتهم في فلسطين أقدم من إقامة التياها والترابين. وهم ينتمون من ناحية النسب، كما تثبت صيحتهم للحرب "صبيان قضاعة!"، إلى قضاعة وهم قوم كانوا منذ ما قبل الإسلام يسكنون في شمال الحجاز والبادية السورية ثم نسبوا لاحقاً إلى العرب الجنوبيين (انظر مقال بلي في فصل الحجاز).

كان على التياها، الذين هم اليوم جيران العزازمة في الشمال، أن يعبروا منطقة العزازمة عند قدومهم من سيناء. وقد احتفظت حكاية أصلهم بذكرى عن معارك في ذلك الوقت. ومع الترابين، المجاورين لهم من جهة الغرب، دخل العزازمة في وقت مبكر في علاقات تحالفية وشاركوا في حملاتهم الحربية[1]، ولكن في عام 1887م حدث شقاق بين الفريقين بسبب خلاف على ملكية منطقة السرّ. أصيب العزازمة في الحرب مع الترابين بخسائر فادحة. ولذلك طلبوا من بطرك القدس اليوناني الوساطة، وتمكن البطرك بمساعدة الحكومة من تحقيق صلح بين الخصمين.

أصبح العزازمة اليوم أضعف قبيلة حول بئر السبع. ومنطقتهم عبارة عن هضبة

(1) شقير، ص 586 وما بعدها.

في الصحراء تنحدر بتضاريس حادة نحو الغرب والجنوب والشرق وتصعد باتجاه الجنوب. وهي تجاور من جهة الجنوب الغربي منطقة تياها سيناء عند بيرين وعين القديرات ووادي العسلي. وفي الغرب تجاور منطقة الترابين عند الخلصة والرحيبة. وفي الجنوب الشرقي يصل العزازمة حتى العربة حيث يتقاسمون مع السعيديين الينابيع: حصب، وعين الويبه، ميمليحة.

في الصيف تخيم القبيلة الفرعية المسعوديين بعيداً إلى الشمال وتصل حتى الرملة.

العزازمة بدو رُحل لا يمارسون الزراعة إلا قليلاً في الجزء الشمالي من منطقتهم. في الشتاء يستعملون مياه الأمطار التي تتجمع في الوديان الموجودة هناك وتبقى فترة من الزمن. وفي الصيف يستعملون الأحواض التي تعدّها كل عشيرة قرب مخيمها. أمّا في الخريف فيخيمون قرب الينابيع القليلة أو الآبار التي يعود بعضها إلى العهد البيزنطي[1].

(1) انظر كنعان، بدو العزازمة ومنطقتهم، في: مجلة الجمعية الألمانية ـ الفلسطينية، الجزء 51، ص 89 ـ 118.

العزازمة(1)

القبيلة	الشيخ	المنطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الصبحيين	فريج بن حمد(2)	الرحيبة؛ الخلصة؛ وادي الأبيض؛ العوجا؛ بيرين	
قبائل ملحقة بهم			
أ ـ عرايشة			10
ب ـ قلاعية			10
2 ـ محمديين	سليمان بن جخيدم(3)	الخلصة؛ العوجاء	
أ ـ بو شيتة	درويش بن نصر الله		10
ب ـ عرون(4)	حمدان سلام		12
جـ ـ جخادمة	سليمان بن جخيدم		12
د ـ شياحين(5)	مسلم أبو شنيم		12
هـ ـ مصافير	رمضان المصافير		8
و ـ عويمرات	عبد الله العويمر		11
ز ـ عوايشة(6)	مسلم بن محسن		20
ح ـ معامير(7)	حسن المعمار		8
ط ـ ملاطعة	عبد الله الملاطعة		6
ي ـ عمرات	جمعة		10
ك ـ شماعلة	سلاّم		3
ل ـ قطاطوة	سليمان		8
م ـ رسوس	سلام أبو رسيس		3
س ـ زيلان	الحاج سالم زيدان		9

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
ع ـ مواضية	عبد الله المواضية		7
ف ـ دغيمات	عبد الله المواضية		
ص ـ قلاعية			20
3 ـ السواخنة(8)	عودة أبو الخيل(9)	المويلح؛ الشقيب؛ وادي المشاش؛ المديفي	
أ ـ العوضات	سالم بن عوض		12
ب ـ الزوايدة	سلمان بن زايد		8
جـ ـ الفقيّر	سلما الفقيّر		7
قبائل ملحقة			
أ ـ العمران(10)			4
ب ـ احيوات(11)			3
جـ ـ سهيلاوية(12)			5
د ـ بلي			7
هـ ـ قلاعية			6
4 ـ المسعوديين	سلامة بن سعيد	في الشتاء: وادي مرطبة في الصيف: الفالوجة؛ وادي الصرار؛ الرملة	
أ ـ الفضلات	سلامة بن سعيد		22
ب ـ المغون	سلمان المغون		11
جـ ـ العدسيين	عياد الشاعر		7
د ـ الحمامدة	حسين بن حماد		18

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
قبائل ملحقة			
أ ـ الرياطية(13)	عبد القادر حسن		15
ب ـ قلاعية(14)	محمد القلاعي		18
5 ـ المريعات	سلمان الحولي (15)	رميلة حامد؛ قاعة مقبولة	
أ ـ الحوالي	سلمان الحولي		12
ب ـ أبو رجيلة	مسلّم أبو رجيلة		10
قبائل ملحقة			
أ ـ قلاعية			10
ب ـ ملالحة			10
6 ـ الصبيحات	سالم أبو سمرة	الخلصة؛ قاعة مقبولة	20
أ ـ قلاعية			5
ب ـ ملالحة			5
7 ـ الزربة(16)	عيد بن ربيعة	بير السبع؛ بير تركيا؛ الشقيب	
أ ـ البتاترة (قوم بتّور)	عيد بن ربيعة		8
ب ـ العوايضة	عيد العوّيض		12
جـ ـ الشرايفة	سليمان أبو شريفة		12
د ـ عبيد سود			4
قبائل ملحقة			
أ ـ رميلات			6

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
ب ـ سواركة			8
جـ ـ قلاعية			16
د ـ ملالحة			6
8 ـ سراحين(17)	سليم بن سعد(18)	وادي الاجـــرام؛ وادي الخراشة؛ وادي رمان؛ جبل النفخ	
أ ـ عيال سلمة	سليم بن سعد		25
ب ـ عيال سويلم	سالم الايتم		22
جـ ـ عويضات	سالم بن سليمان		20
د ـ الوريدات	عوده بن عيادة		20
هـ ـ الخواطوة	عودة بن ميزن		20
9 ـ الفراحين(19)	علي بن خضير(20)	عصلوج؛ بير السبع	
أ ـ الخضيرات	سليمان بن خضيرة		19
ب ـ الغزّان	عواد الطويل		15
جـ ـ النواصرة	عودة بن صبح		15
د ـ الجلقان(21)	سليمان بن غدّير		12
قبائل ملحقة			
أ ـ المعازة(22)	سليمان السعيداني		6
ب ـ القلاعية	سلمان المليطي		12
جـ ـ شيخ العيد	محمد شيخ العيد		2
10 ـ العصيات	سليمان النميلي أبو عصا(23)	وادي عصلوج؛ رخمة؛ المديفي؛ عبدة؛ العين المرّة	

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
أ ـ الهبيرات	سليمان النميلي		8
ب ـ عيال سليمان	سليمان النميلي		4
جـ ـ السماحين	سويلم أبو عصا		7
د ـ الصبيحات	سويلم أبو عصا		6
هـ ـ الزيادين	سلام أبو حباك		18

ملاحظات

1 ـ سيتزن، الجزء الثالث، ص 45 وما يليها؛ بوركهاردت، ص 313؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 42 وما بعدها؛ ياوسن، ص 412؛ مجلة الجمعية الألمانية الفلسطينية، الجزء 51، ص 113؛ عارف العارف، ص 16 وما بعدها. يقدر البرغوثي العدد الإجمالي بـ 7500 نسمة، عارف العارف يقدر العدد بـ 8600 نسمة. الوسم: [رمز] على فخذ الرجل الخلفية اليمنى.

2 ـ ابن كريشان؟ تاريخ بئر السبع، ص 98: سلّام بن عيد بن مسلّم بن كريشان.

3 ـ تاريخ بئر السبع، ص 98: ابنه عودة أبو جخيدم.

4 ـ وسم إضافي: / على الرقبة وعلى الأذن اليمنى.

5 ـ الوسم: [رمز] على الفخذ الأيسر.

6 ـ الوسم: [رمز] على الفخذ الأيسر.

7 ـ الوسم: ∧ على الجهة اليمنى من الرقبة للذكور وتحت [رمز] على الورك للإناث.

8 ـ الاسم مأخوذ من اسم جد القبيلة سلمان أبو ساخنة. وسم إضافي:

/ على الجهة اليمنى من الرقبة.

9 ـ يعود اسم العائلة إلى الوراء إلى نصر أبو الخيل "أفضل خيّالي العزازمة" (كنعان، نفس المصدر السابق، ص 114).

10 ـ ينتسبون إلى عمران شرقي الأردن (الجدول: حويطات جـ).

11 ـ من القبيلة التي تحمل نفس الاسم في سيناء.

12 ـ هكذا يسمى فلاحو قرية بني سهيلة قرب خان يونس. انظر موزيل، ص 30 وما بعدها.

13 ـ الوسم: V| على الجهة اليمنى من الرقبة. وهذا هو وسم النعيمات التابعين للترابين[1] والذين كان الرياطية يسكنون معهم سابقاً. أمّا الرياطية فكانوا في الأصل فلاحين.

14 ـ موزيل وعارف العارف يقولان: قلوع.

15 ـ تاريخ بئر السبع، ص 98: سالم بن سويلم بن سلامة بن صبح الأزرق.

16 ـ موزيل يحسبهم مع السراحين (انظر الملاحظة التالية). الوسم: أو (باب وعمود) على الجهة الداخلية من الفخذ الأيمن.

17 ـ السراحين تربطهم علاقة قرابة وثيقة مع قبيلتي الفراحين والعصيات. وهم، حسب موزيل، لا ينتمون في الأصل إلى العزازمة. قبر جدهم سويلم موجود إلى الجنوب من العوجا وهو مزار يحظى بالتكريم.

وسم السراحين: (باب وشليق) على الورك الأيسر و // على الجهة اليسرى من الرقبة.

18 ـ سلسلة النسب: سليم بن عودة بن سعد بن سالم.

(1) هكذا يقول برغوثي في كلامه عن العزازمة. ومما يلفت الانتباه أنه يعطي النعيمات عند الترابين اسماً آخر.

19 ـ وسم إضافي: / على الجهة اليمنى من الرقبة.

20 ـ تاريخ بئر السبع: عيد بن مسلّم بن سلامة بن خضيرة.

21 ـ عارف العارف: جليقات.

22 ـ بخصوص تعبير "المعازة" انظر مقال بني عطية في فصل الحجاز.
الوسم: / على الورك الأيمن و‍ ╫ على أسفل الساق الأمامية اليسرى.

23 ـ يلعب دوراً في حكايات العزازمة سويلم أبو عصا "أمير الصحراء الطيب" كنعان، نفس المصدر السابق، ص 114).

الظلّام

إلى الشرق من العزازمة يسكن الظلّام. وهم من الناحية السياسية على صلة وثيقة مع التياها، أمّا من ناحية النسب فهم قضاعة مثل العزازمة. وهم ينتمون إلى بلي، القبيلة المستوطنة في شمال الحجاز والتي هاجرت منها منذ الإسلام أجزاء كبيرة نحو الشمال.

جد الظلّام اسمه مهنا، وقبره في وادي الحفير يكرم في الخميس الرابع عشر[1] من كل عام بتقديم الأضحيات[2]. وتمتد منطقة تنقّل الظلّام من الكسيفة شمال وادي الملح نحو الجنوب حتى عبده وتل قيطوم حيث تتقاطع مع منطقة العزازمة. وفي السابق كان الظلاّم يقومون بغزوات يصلون فيها حتى جنوب سيناء[3].

(1) في أبريل/نيسان.
(2) موزيل، ص 44.
(3) شقير، ص 570.

الظلاّم(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ ظلام أبو ربيعة(2)	محمد قبوعة	صيفاً كسيفة شتاءً: كحلة؛ منطرة الهندي	
أ ـ الربيعات	سليمان أبو ربيعة		40
ب ـ القرعان	سلامة أبو عيادة		45
جـ ـ المحمديين	محمد قبوعة		35
2 ـ ظلام الكشخر(3)	الحاج سليمان الكشخر(4)	صيفاً: عبدة شتاءً: المطردة؛ المرّة	
أ ـ الكشاخرة	سليمان الكشخر		15
ب ـ الوجوج	معتق الوجّ		20
3 ـ أبو جويعد(5)	محيسن أبو جويعد	صيفاً: مطهر شتاءً: عرعرة	
أ ـ ابن رحال	محيسن بن رحال		25
ب ـ الصرايعة	الحاج عيد		25
جـ ـ خليل المعابدي	خليل الظالم		25
4 ـ أبو قرينات(6)	سلامة أبو قرينات	صيفاً: بير عرعرة شتاءً: أبو التلول؛ كرنب	
أ ـ الغنامين	صبيّح بن صباح		15
ب ـ عيال سليمان	سلامة بن صبيح		15
جـ ـ القرينات	سلامة أبو قرينات		15
د ـ الغولة	سلامة أبو قرينات		10

ملاحظات

1 ـ غارماني، ص 23؛ موزيل، ص 44. ياوسن، ص 410؛ عارف، ص 24، 27. ياوسن وعارف يذكرا أنهم مع التياها.

2 ـ الوسم: ///_

3 ـ الوسم: ‾///‾ يسمون أيضاً: الجنابيب.

4 ـ الآن: عودة الكشخر.

5 ـ الوسم: ////.

6 ـ الوسم: ///// على الخد الأيمن مثل جميع القبائل المذكورة آنفاً.

السعيديين

السعيديين هم القبيلة الوحيدة في فلسطين التي تعيش حياة بدوية خالصة وكانت حتى قبل وقت قصير لما تزل تقوم بالغزو. ومنطقتهم على شكل شبه منحرف يمتد من وادي مرزبة وجبل النفخ في الشمال ماراً عبر العربة وحتى غرندل وخربة دلاغة. وقد أرغمت القبيلة على التراجع إلى هذه المنطقة الوعرة خلال القرن التاسع عشر. وهناك مقبرة قديمة عند عرعرة تدل على مقر سكنهم الأصلي[1]. ومنذ فصل فلسطين عن الأردن (سياسياً) انقسمت القبيلة إلى قسمين. ونحن نعالج هنا فقط القسم الأكبر الذي بقي في فلسطين، الغرابة، أمّا القسم الأصغر المخيّم قرب البتراء فسنعالجه في فصل شرق الأردن.

السعيديين هم من ناحية النسب حويطات. ويعيشون في عداوة مع بني عطية. وفي حالات الشدة يتلقون المساندة من العزازمة الذين أعطوهم حق المشاركة ببعض ينابيعهم.

(1) روبنسون، الجزء الثالث، ص 181.

السعيديين(1)

شيخ المشايخ(2): ابن حميطة

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الحمايطة(3)	سويلم بن حميطة	6
2 ـ الرمامنة(4)	سويلم بن رمان	12
3 ـ المذاكير(5)	علي بن ذكر	15
4 ـ السويات(5)	سليمان السويات	10
5 ـ النقوز(6)	علي نقيز	8
6 ـ الرويضات(6)	سالم بن رويضة	5
قبائل ملحقة		
1 ـ المطيري(7)		8
2 ـ ابن رشود(7)		3
3 ـ الدغافقة(8)		8
4 ـ الحربي(8)		5
5 ـ ابن طليحان(8)		5

ملاحظات

1 ـ أول ذكر لهم عند سيتزن، الجزء الثالث، ص 101. يوجد قوائم عند موزيل، ص 46؛ عارف العارف، ص 33 وما بعدها. صيحة الحرب: صبيان الحويطات.

2 ـ ريشتر: ابن رمّان وابن ذكر.

3 ـ الوسم: | على الفخذ الأيمن و ∧ (مشلوق).

4 ـ الوسم: | على الفخذ الأيمن، — على الجهة اليمنى من الأنف، ومطرق خلف الأذن ومطرق بين العين اليمنى والأذن.

5 ـ الوسم: | على الفخذ الأيمن، ∧ ومطرق خلف الأذن.

6 ـ الوسم: | على الفخذ الأيمن، و | على الجهة اليمنى من الأنف.

7 ـ الوسم: مطرق خلف الأذن، ومطرق على الخد. المطيري وابن رشود منضمون إلى الحمايطة.

8 ـ منضمون إلى الرمامنة.



الجزء الثاني

القسم الثاني: سيناء

مدخل

تنقسم شبه جزيرة سيناء إلى ثلاثة مناطق مختلفة: السهل الساحلي حول العريش، وهضبة التيه، ومرتفعات سيناء. يجاور الشريط الساحلي الرملي الصحراء المصرية السفلى ويتابع امتداده إلى فلسطين. ويواجهه في الجنوب جبل المغارة المعزول وفي الشرق جبل الحلال. وتشكّل الهضبة الداخلية في الغرب والجنوب حافة نصف دائرية شديدة الانحدار، جبال التيه، يفصلها عن الجبال العالية واد رملي عميق. وتحتل جبال التيه باستثناء سهل الطور كامل جنوب شبه جزيرة سيناء. وفي وسط التيه يبرز جبل عجمة القاحل والفقير بالمياه، ويسمى الامتداد الشمالي لجبال التيه مقابل السويس جبل الراحة.

تجري مياه التيه نحو البحر المتوسط عبر منظومة وادي العريش. وتنبع الوديان التي تنتهي في سهل خليج العقبة، وهي وادي سدر، ووادي وردان، ووادي غرندل، في السفح الغربي للهضبة. وفي الجبال العالية في سيناء فإن أهم وادي هو وادي فيران الذي يصب شمال الطور. ويصب في خليج العقبة وادي العنب (وادي وتير). وفي هذا الوادي يوجد قبر الشيخ عطية الذي يعتبر جدّاً لقبائل كثيرة. وعلى مقربة من الفروع الشمالية لمنابع الوادي يقع ظهر المرتفع الفاصل بين سفحين (خط تقسيم المياه)؛ الوادي الذي ينبع من الجهة الأخرى لهذا الخط، وادي الجرافي، يتجه إلى البحر الميت.

تقع على ساحل خليج العقبة واحات النخيل الصغيرة، نويبع، وذهب، ونبك، وعند أسفل سيناء الأعلى الواحة الكبيرة فيران. وفيما عدا ذلك لا يوجد سوى عدد قليل من المستوطنات الثابتة، في الجنوب مرفأ طور وفي الشمال العريش. وفي وسط شبه الجزيرة تقع النخل مع قلعة لحماية الطريق من السويس إلى العقبة. إذ كان الحجاج المصريون يستعملون هذه الطريق في العهد الإسلامي الأول ثم، بعد انقطاع، منذ عام 1268م[1] إلى أن تخلوا عنها عام 1885م واستعملوا الطريق البحري.

تمر عبر شمال سيناء أهم الطرق العسكرية في منطقة البحر المتوسط، وهي تؤدي من مصر إلى غزة عبر قطيا والعريش. وإلى الجنوب قليلاً نحو الداخل يمر "الدرب المصري" من الإسماعيلية أو السويس إلى غزة. وأخيراً نذكر الطرق القديمة التي كان الحجاج المسيحيون يستعملونها عندما كانوا يذهبون من الخليل أو غزة إلى دير القديسة كاترينا. يقع هذا الدير عند أسفل جبل موسى الذي هو، حسب الرواية الدينية، جبل التشريع الإلهي. وقد بناه حوالي عام 540م القيصر يوستينيان وظل زمناً طويلاً مركزاً للنشاط الديني. وكان له تأثير واضح على حياة البدو إذ أدت حركة الحجاج إلى التخفيف من قسوة العيش في تلك المنطقة القاحلة.

يتحدث الكُتّاب القدماء عن العديد من الأقوام العربية في سيناء ولكن هذه الروايات لا تقدم صورة عن علاقات النسب أو العلاقات التاريخية. وينطبق هذا أيضاً على السراسنة[2] الذين ظهروا هنا في القرن الثاني بعد الميلاد وأطلق اسمهم فيما بعد على جميع العرب.

أدى الفتح الإسلامي إلى مجيء لخم وجذام من شبه الجزيرة العربية إلى

---

(1) خلال فترة الانقطاع (منذ حوالي 1060م) كان الحجاج يذهبون إلى الحج عن طريق البحر من مرفأ عيذاب على البحر الأحمر.

(2) يرى ب. مورتيس أن قبيلة السواركة الحالية في العريش أخذت اسمها من اسمهم. لكن هذا يتناقض مع أن السواركة ليسوا قبيلة قديمة وليسوا من قبائل شبه جزيرة سيناء.

سيناء. ولم تزل بقايا من هاتين القبيلتين موجودة حتى اليوم بين قبائل قطيا. وفي العصور الوسطى جاءت قبيلتان جذاميتان أخريان هما: العايد الذين كانوا يسكنون المنطقة الممتدة من العقبة حتى الحدود المصرية، وبنو واصل الذين استطونوا في منطقة طور. وكلاهما هاجرتا في وقت لاحق إلى مصر. وفي آخر العهد المملوكي ظهر في شبه جزيرة سيناء مجمع بني عطية لكنه اختفى بعد ذلك بسرعة. ومن هذا المجمع خرج الترابين. وفي بداية العصر الحديث تشكل مجمع الطور الذي سيطر وحده على منطقة طور بعد انسحاب بني واصل وقبائل قديمة أخرى. وأحدث المهاجرين القادمين هم الأحيوات الذين جاؤوا في القرن الثامن عشر من مدين إلى التيه.

جاءت الهجرات من شبه الجزيرة العربية حصراً. ولم تكن سيناء الهدف النهائي للمهاجرين إلا نادراً، بل كانت غالباً مجرد معبر على الطريق إلى مصر أو فلسطين. وقد اختفت قبائل العصور الوسطى من هناك إما كلياً مثل العايد، أو جزئياً بأن خلفت عدداً قليلاً من الخيام فقط مثل بني واصل. ومن القبائل الجديدة انتقل الجزء الأكبر من التياها والترابين إلى فلسطين، بينما انتقلت أجزاء كبيرة من الطورة إلى مصر. في الجزء الشمالي من شبه جزيرة سيناء حدثت حركة معاكسة حيث انتقلت قبائل مصر السفلى شيئاً فشيئاً إلى غزة. وقد أشرنا إلى هذه الظاهرة في مدخل فصل فلسطين. وقد تولدت هذه الحركة مع انتعاش الاستيطان في فلسطين في عهد صلاح الدين ثم استمرت بفعل الجهود التي كانت الحكومة المصرية تبذلها بين حين وآخر لإبعاد البدو عن الدلتا. وفي منتصف القرن الماضي توقفت هذه الحركة بسبب إجبار بدو جنوب فلسطين على التراجع، ثم أعيقت نهائياً بسبب حفر قناة السويس. فلقد أقامت قناة السويس حدوداً في مكان كان الناس يتحركون فيه قبل ذلك دون إعاقة، وفصلت قبائل المنطقة المصرية الشرقية وقبائل قطيا التي كانت قبل ذلك تشكّل وحدة واحدة.

الطبقة المنبوذة من الهتيم ممثلة ببعض الجماعات الصغيرة في شمال سيناء، وينسب إليها أيضاً البدو الغريبون الذين يعملون في صيد السمك والذين يوجد

مقرهم الدائم في الجزر الواقعة أمام خليج العقبة. وهناك بعض السكان المعزولين كلياً، والذين يعتبرون من بقايا سكان المنطقة قبل الإسلام، نذكر منهم البدارة الذين وجدوا ملجأ لهم في هضبة عجمة الوعرة، وبعض المجموعات الفلاحية في فيران وواحات أخرى.

وبما أن تربية الماشية وزراعة الواحات لا تكفي لمعيشة القبائل الموجودة في سيناء، فإن هذه القبائل مضطرة للبحث عن مصادر أخرى للعيش. ومن هذه المصادر مرافقة ونقل الحجاج المسلمين إلى مكة والحجاج المسيحيين إلى سيناء. وكانت قبائل طور تعيش في شراكة مصلحية وثيقة مع دير كاترينا إذ لم يكونوا يتولون مهام النقل والتموين المتعلقة به وحسب، بل كانوا يتقاضون منه صدقات وتعويضات حماية أيضاً. وتستند هذه الحقوق إلى اتفاقيات قديمة تعود حسب سجلات الدير إلى عام 800م بعد الميلاد. وفي الواقع لم تكن هذه الاتفاقيات تستطيع دوماً حماية سكان الدير من هجمات البدو ولذلك كان الرهبان يضطرون في كثير من الأحيان إلى طلب الحماية من الحكومة. فقد أصدر السلطان المملوكي قايتباي (1469م ـ 1496م) وحده تسعة مراسيم لحماية الدير. الاتفاقيات الحديثة بين الدير والبدو موجودة في كتاب الأم الذي استعمله نعّوم شقير في كتابه تاريخ سيناء. وهو نسخة من كتاب قضاة طور الذي كان مستعملاً من عام 1001هـ/ 1592م حتى عام 1276هـ/ 1851م.

من الناحية السياسية كانت سيناء في العهد الإسلامي تابعة دوماً لمصر. لكن الحكومات المختلفة لم تكن تعير المنطقة أي اهتمام إلا عندما تجعل الظروف شبه جزيرة سيناء مهمة عسكرياً. كانت الطرق وحدها تلقى بعض العناية، وخاصة الطريق الساحلي وطريق الحج. وكانت العناية تقتصر على تحسين الآبار بين حين وآخر، وعلى تحسين حالة الممر الصعب فوق العقبة، وبناء قلعة نخل (في عهد السلطان قانصوه الغوري). وكانت حماية الطرق مسندة كالعادة للقبائل المجاورة لها، وهي: العايد في العصور الوسطى المتأخرة، وفي العصر الحديث: الطورة على المقطع الممتد من عجرود (غربي السويس) حتى جبيل حسن، والتياها حتى

نخل، والأحيوات حتى مرتفع ممر العقبة.

كانت الضرائب المفروضة على بدو سيناء، أو على الأقل على الطورة، تتحدد استناداً إلى كمية الفحم الخشبي التي كانت تعرضها هذه القبائل للبيع في القاهرة عندما كانت سيناء لما تزل غنية بالأشجار. ولذلك لم تكن المحافظة على النظام تسبب أي صعوبات لأن الحكومة كان في وسعها الاعتماد على أقرباء قبائل سيناء المقيمين في مصر. وكانت تعتمد بصورة خاصة على عائلة ابن شديد. وعائلة ابن شديد هي عائلة شيوخ الفرع المصري من الحويطات والتي كان لها، بفضل تضامن مجمع الحويطات المنتشر على مساحات واسعة، نفوذ على جميع قبائل سيناء.

عندما يعيش كثير من القبائل على مساحة ضيقة وعلى أرض غير خصبة يكون حفظ السلام حاجة لا غنى عنها. وكان السلام متحققاً بواسطة نظام متشابك من الأحلاف: بين الحويطات، والأحيوات، والترابين، والطورة، يوجد حلف قديم، وبين كل من هؤلاء الخصوم من جهة والتياها من جهة أخرى تسود حالة سلم بموجب معاهدة (قلد)، وقد تحولت حديثاً بين التياها والترابين إلى حلف، وهناك "قلد" بين الترابين والسواركة، وكذلك بين السواركة من جهة والتياها والأحيوات من جهة أخرى. وتعود هذه التركيبة، جزئياً، إلى تقسيم قديم لقبائل سيناء إلى سعد وحرام. وكانت سعد وحرام في الأصل تشكيلين قبليين ضعيفي التماسك أخذا اسميهما من قبيلتين من جذام. وفي العهد المملوكي تتطورا إلى مجموعات سياسية تفككت مرة أخرى في وقت لاحق لكنها ورثت أحفادها الاسم والتقاليد. ينتسب إلى حرام: الحويطات، والأحيوات، والترابين، والطورة، وينتسب إلى سعد: التياها، والسواركة، وغالبية قبائل قطيا.

أدى الوعي الحقوقي والقانوني، المتمثل في الاتفاقيات المبرمة مع الدير وفي الاتفاقيات المبرمة بين القبائل فيما بينها، إلى نشوء قضاء فريد من نوعه في عالم البدو، من ناحية تنوع مناصبه وأساليبه، وانتقل إلى المناطق المجاورة وخاصة إلى جنوب فلسطين. وكانت القضايا المختلفة تعرض على قضاة مختصين حسب كون القضية تتعلق بقضية طلاق، أو خلاف على الملكية، أو قضية قتل أو اعتداء، أو

إهانة تمسّ الشرف وهي مسألة كانت عقوبتها قاسية. وفي القضايا المعقدة كانت هناك محكمة دنيا مهمتها تحديد القاضي الذي من صلاحيته النظر فيها. وهناك وظيفة قديمة هي وظيفة "المبشّع" الذي يثبت الحقيقة بأن يضع على لسان المتهم قطعة حديد حامية ويتبيّن ما إذا كان لسانه يحترق أم لا؟ فإن احترق اعتبر المتهم مذنباً. وهناك مبشّع واحد في شبه جزيرة سيناء يورث منصبه لأبنائه من بعده. جميع المناصب الأخرى يمكن أن يشغلها أناس مختلفون، وإن كان هناك بعض العائلات أو القبائل التي تتمتع بحقوق امتيازية. ومن الوظائف العامة الأخرى نذكر أيضاً وظيفة "الحسيب" (القليد) الذي يعقد الأحلاف واتفاقيات السلام ويحافظ عليها، وهي وظيفة قابلة للجمع مع منصب الشيخ، لكنها غير مرتبطة به بالضرورة. ليس مستبعداً أن تكون هذه الأعراف القانونية تعود إلى عصور قديمة جداً. ما علينا إلا أن نتذكر الإصحاح الثاني 18، 13 ـ 27[*].

(*) الإصحاح الثاني 18، 13 ـ 27 ينص:

(13) ولمّا كان الغد جلس موسى ليقضي للشعب فوقف الشعب أمامه من الغداة إلى العشي. (16) إذ كانت لهم دعوى يأتونني فأقضي بين الرجل وصاحبه وأعرّفهم فرائض الله وشرائعه. (25) فاختار موسى أناساً أقوياء من جميع إسرائيل فجعلهم رؤساء عن الشعب رؤساء فئات بين ألفٍ ومئة وخمسين وعشرةٍ. (26) فكانوا يقضون للشعب في كل وقتٍ وكُلَّ دعوى صعبةٍ يرفعونها إلى موسى وكل دعوى يسيره يحكمون هم فيها... (العهد العتيق/ طبعة اليسوعية/ 1882م). (ماجد شبّر).

قبائل قطيا

يسكن الجزء الغربي من منطقة العريش حول قطيا عدد كبير من القبائل الصغيرة. وهي دون استثناء تقريباً ممثلة أيضاً في المحافظتين المصريتين "الشرقية" و"القليوبية" ولكن بأعداد أكبر جداً هناك. وكان بدو قطيا قبل فتح قناة السويس تابعين إدارياً أيضاً لهاتين المحافظتين. وبعضهم ينتمي إلى موجات قديمة جداً من المهاجرين، ومنهم البيّاضيون والأخارسة[1]. ولخم وجذام ممثلون هنا بقوة: لخم ممثلون هنا بالقبيلتين المذكورتين آنفاً[2]، وجذام بقبيلتي السماعنة[3] والمساعيد. والدواغرة ينسبون إلى طبقة ملتحقة بالمطير. والبلي مهاجرون قادمون من الحجاز. والعيايدة أيضاً جاؤوا من الجنوب؛ وكانوا يسكنون سابقاً عند طور، وكان الشيخ سليمان بن غانم العيادي يملك حتى عام 1905م بستان نخيل في وادي فيران[4]. أما أولاد علي فقد جاؤوا من الغرب. وقبيلتهم الأم التي تحمل الاسم نفسه هي، كما هو معروف، أهم مجمع في المحافظات المصرية الغربية وفي

---

(1) همداني (توفي 334هـ/ 945م ـ 946م)، ص 129 وما بعدها: بياضة عند العريش؛ المقريزي، قبائل مصرية، ص 79. الأخارسة والبيّاضيين عند قطيا، انظر قلقشندي، ص 158.

(2) لكن البيّاضيين هم، حسب همداني، من جذام.

(3) فرع من بني مهدي، قلقشندي، ص 120.

(4) شقير، ص 109 وما بعدها. يرد ذكر القبيلة عند بوكوك (1739م)، وصف بلاد المشرق، إرلانغن 1754م ـ 1755م، الجزء الأول، ص 220.

الصحراء الليبية[5].

بين جميع هذه القبائل يتمتع فقط العيايدة والمساعيد ببعض الأهمية. ويرتبط العيايدة بحلف مع السواركة، بينما يرتبط البياضيون بحلف مع السماعنة. وكان الدواغرة في السابق ملزمين بدفع خوة لجيرانهم، لكنهم الآن يعيشون تحت حماية الحكومة.

عربان برّ قطيا(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الدواغرة	عيد سويلم؛ سالم مسبّح	الزقبة	300
2 ـ البياضيين(2)	إبراهيم سليمان مرزوق(3)	الزقبة	700
3 ـ السماعنة(4)	محمد خضير؛ حسين شبانة	الزقبة	150
4 ـ السعديين(5)	مقبول نصر		190
5 ـ الأخارسة(6)	إبراهيم عطيّة؛ عبد العال محمد	الزقبة ـ بير النصف ـ بير الدوادار	250
6 ـ القطاوية	سعيد أبو بطيحان	قطيا	
7 ـ أولاد علي	عمر أبو رايات	قطيا ـ بير النصف	120
8 ـ بلي البررة(7)	جذوع شبلي(8)	قطيا ـ بير النصف	120
9 ـ العقايلة(9)	عطوان سعدان	قطيا ـ بير النصف	26
10 ـ العيايدة(10)	مسلم أبو السباع	القنطرة ـ إسماعيلية ـ جبل المغارة	260
11 ـ المساعيد(11)	عودة عطية	شمال المذكورين أعلاه	100

(1) ب. كاله: أولاد علي بدو الصحراء الليبية مجلة الإسلام، الجزء الرابع، ص 355 وما يليها.

ملاحظات

1 ـ حسب شقير، ص 120 وما بعدها. أسماء الشيوخ والأعداء استناداً إلى موري: أبناء إسماعيل، 1935م، ص 252، 244، 251، معدلة. أرقامه أعلى جداً بالنسبة للبياضيين (2)، وأدنى جداً بالنسبة لبلي (8) والعيايدة (10) والمساعيد (11)، من أرقام:

Recensement général de l'Égupte، القاهرة 1898م، الجزء الثالث، ص 8 وما يليها التي أخذنا منها معلوماتنا عن قوة أجزاء القبائل الموجودين في مصر.

2 ـ في الشرقية والقليوبية: 1312 نسمة.

3 ـ شقير: الحاج علي سالم الهرش.

4 ـ في الشرقية: 6106.

5 ـ في الشرقية: 6998.

6 ـ في الشرقية: 356.

7 ـ في الشرقية والقليوبية: 2714.

8 ـ تاريخ بئر السبع، ص 115: حسين بن طحيمر.

9 ـ في الشرقية: 791.

10 ـ سيتزن، الجزء الثالث، ص 102؛ بوركهاردت، ص 316، ياوسن، ص 416، وموري يذكرون 4 قبائل فرعية، يقدر ياوسن عدد جمالها بـ 600 جمل. في هذه القبيلة يوجد أحد منصبي المبشع الموجودَيْن في شمال شبه الجزيرة العربية؛ شقير، ص 399؛ أوستين كينث، القضاء البدوي، ص 111؛ عارف العارف، كتاب القضاء بين البدو، ص 95 وما بعدها؛ موري، ص 232 وما يليها.

11 ـ إلى هذه القبيلة ينتمي أشهر "منشد" في سيناء (المنشد هو القاضي الذي ينظر في قضايا التعدي على الشرف)، شقير، ص 398.

السواركة

تبدأ منطقة السواركة عند الحدود الفلسطينية وتصل في الغرب حتى بير العبد قبل قطيا وفي الجنوب حتى خط حجر السواركة ـ رجم القبلين ـ ريسان عنيزة ـ جبل المغارة. والسواركة هم، من الناحية العددية، أقوى قبيلة في شبه جزيرة سيناء لكنهم من الناحية السياسية فقدوا كثيراً من نفوذهم بسبب حروبهم مع الترابين التي تحدثنا عنها في الصفحة 150 أعلاه. وكانوا في الماضي يقومون بغزوات ضد قبائل التيه. وأشهر يوم عندهم يوم جبل ألبني (1846م) الذي انتصروا فيه على التياها[1].

لا نعرف شيئاً مؤكداً عن أصل السواركة ومنشأهم. والقبيلة نفسها تنسب نفسها إلى عكاشة أحد صحابة النبي[2]. كان لعكاشة ولدان، نصير ومنصور، هاجرا نحو الشمال ونزلا عند رجل من قبيلة بلي في وادي الليف[3]. فتزوج منصور من بنت ظروة أي "الشايبة" «التي خالط الشيب سواد شعرها». ويسمى أحفادها، الأفخاذ 2 ـ 5، أولاد الظروة، بينما يحمل أحفاد نصير اسم عردات وإليهم تنتسب عائلة الشيوخ[4].

(1) شقير، ص 580.

(2) يظهر عند المؤرخين عدة رجال بهذا الاسم.

(3) في حكاية أخرى للقبيلة يذكرها البرغوثي تعتبر ضانا الواقعة شمال شوبك موطن القبيلة.

(4) شقير، ص 121.

يحمل الشيخ عند السواركة اللقب المصري "عمدة". وإلى جانب العمدة يقف الحسيب أو القليد، وهو الذي يعقد معاهدات السلام ويضمن المحافظة عليها. وهذا المنصب يتوارثه أبناء عائلة أبو عيطة: القليد سبيتان أبو عيطة قتل عام 1856م في معركة مكسر ضد الترابين (انظر الصفحة 150 أعلاه)، فقام بعد ذلك ابنه سالم البكر بعقد اتفاقية السلام. وعند وفاة سالم بعد عامين من ذلك التاريخ خرج المنصب من العائلة لكنه عاد إليها عام 1886م عندما عُهد إلى صبح، أخي سالم، بعقد اتفاقية سلام جديدة.

السواركة(1)

شيخ المشايخ: سلاّم عرادة(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العردات(*) 2 ـ الدهيّمات أ ـ الجربُرات 3 ـ المحافيظ 4 ـ الفلافلة 5 ـ الخناصرة		رفح ـ بير العبد	4000

ملاحظات

1 ـ الجدول حسب شقير، ص 121. موري، ص 253، يذكر بضعة أفخاذ أخرى. والبرغوثي يذكر القبيلتين الفرعيتين: العردات والزيادات، ويذكر من العردات الفرعين: العردات والمقاطعة. أما الزيادات فيقسمهم على الشكل التالي:

أ ـ الزيود.

ب ـ الزويديين.

جـ ـ الزيادات.

د ـ المنصوريين.

هـ ـ الظوارعة.

(*) عمدتها الشيخ سلاّم عرادة من العردات (شقير ص 121). (ماجد شبّر).

و ـ الدهيمات (مع 3، 4، 5، من الجدول كفروع).

قوائم غارماني، ص 24؛ وموزيل، البتراء العربية، الجزء الثالث، ص 32 وما بعدها؛ وتاريخ بئر السبع، ص 149، تختلف عن قوائم شقير وعن قوائم البرغوثي. بخصوص أجزاء القبيلة في فلسطين انظر مقال الجبارات ومقال قبائل صغيرة على الساحل. وسم العردات: / على الورك الأيمن، ووسم الزيادات "الزناد" ▽ في نفس المكان.

2 ـ أحد أسلافه كان عم أبيه سلامة عراده (حوالي عام 1850م).

الرميلات

الرميلات مرتبطون سياسياً بالسواركة. ومنذ أن طردهم الترابين من مقرهم الأصلي قرب خان يونس، سكنوا حول رفح. والرميلات والسواركة هما القبيلتان الوحيدتان في سيناء اللتان تربيان الخيول.

الرميلات

سليمان معيوف أبو صبيع

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ البسوم			
2 ـ الشرطيين			
3 ـ العوابدة		رفح	
4 ـ السننة			100
5 ـ العجالين			100

الترابين

يسكن الترابين في ذلك القطاع من سيناء الذي يصل بين منطقة العريش الغنية بالكثبان الرملية وهضبة التيه، ويمتد من جبل الراحة في الجنوب الغربي حتى البرث والجورة في الشمال الشرقي. وهنا يتصلون بالترابين الفلسطينيين. هذا الاتصال وسيطرتهم على طريق السويس غزة[1] يجعلانهم أهم قبيلة في سيناء. وبينما كانت الحدود الجنوبية لمنطقتهم محددة منذ زمن طويل بموجب اتفاقية مع التياها. فقد ظلت حدودهم الشمالية زمناً طويلاً موضع خلاف ولم تحدد إلا في منتصف القرن الماضي بعد معارك عنيفة مع العيايدة والسواركة[2].

ظل الترابين فترة طويلة غير خاضعين لسلطة الحكومة. وحتى في عام 1883م لم يتمكن الإنجليز من إلقاء القبض على أبناء القبيلة الذين شاركوا في قتل المستشرق المعروف بالمر. وقد قدّر هاينس(رجل يصيد في الصحراء) (Man-Hunting in the Desert) (ص 203) عام 1883م عدد المحاربين عند ترابين جبل الراحة ومنطقة قطيا بخمسمائة رجل، بينما حدد موري (ص 255) عددهم جميعاً بـ 565 نسمة فقط. وهناك مجموعة ثانية منهم تسكن في المنطقة الأصلية للقبيلة على خليج العقبة في النويبع وفي وادي الشيخ عطية؛ يبلغ عددها حوالي 140 نسمة.

---

(1) بوركهاردت، رحلة في سورية، ص 467.

(2) انظر مقال الترابين في فصل فلسطين.

الترابين(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحررة	خضر الشنوب(2)	شرق وادي العريش	
2 ـ الحسابلة	سلامة بن جازي	غرب وادي العريش	565
3 ـ الشبيتات	عودة الباسلي	غرب وادي العريش	

ملاحظات

1 ـ فيما عدا قائمة شقير، ص 116، التي اعتمد جدولنا عليها، تؤخذ بعين الاعتبار فقط معلومات ياوسن (Coutumes des Arabes، ص 415) وموري، ص 254 وما بعدها. لكن ياوسن لم يسجل إلا الحسابلة. أما الحررة فيظهرون عنده بين الترابين الفلسطينيين كجزء من النبعات (جـ). ومن هؤلاء ينحدر حسب موري جميع ترابين سيناء. وفي مصر (محافظة الجيزة) يسكن ترابين يبلغ عددهم 3000 نسمة، Recensement، ص 13.

2 ـ من الواضح أنه هو نفسه الشيخ خضر الشنيبات الوارد ذكره عند شقير، ص 582. والآن وضع مكانه "شهدة الدلدول" الذي كان يتولى المنصب خلال فترة الاحتلال التركي في الحرب العالمية، موري.

التياها

تمتد منطقة تياها سيناء من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي عبر هضبة التيه. وتبدأ عند جبيل حسن شرقي السويس. وتتبع الحدود أطراف التيه حتى ممر نقب الراكنة وتمتد من هناك نحو الشمال الشرقي حتى عريف (عرايف) الناقة. وبعد ذلك تسير على امتداد الحدود الفلسطينية حتى تنعكف بين بئر عين القصيّم والعمرو نحو الجنوب الغربي وتعود عبر جبل الحلال إلى نقطة الانطلاق.

وهكذا يتجاور التياها في الجنوب الغربي مع الطورة، وفي الجنوب الشرقي مع الأحيوات، وعلى امتداد الحدود مع العزازمة، وفي الشمال مع الترابين. والحدود مع الترابين محددة منذ زمن قديم بموجب اتفاقية النخل[1]. ومنذئذ لم تحدث سوى حرب واحدة بين هاتين القبيلتين (1875م). لا بل إنما قد أصبحا مؤخراً حليفين[2].

كانت هناك عداوة قديمة بينهم وبين الأحيوات لم تزل ذكراها حية في بعض الأغاني: قام تيهي اسمه لقلوق بخطف ابنة سليم قردود من الأحيوات (خناطلة). وعلى إثر ذلك قام الأحيوات بقتل شيخ التياها حمد بن عامر رمياً بالرصاص. فشن التياها حملة ثأر على الأحيوات في بير الثمد (في منتصف الطريق بين نخل والعقبة)

---

(1) انظر الصفحة 149 أعلاه.

(2) شقير، ص 405.

لكنها باءت بالفشل لأن الأحيوات كانوا قد لجأوا إلى الطورة في وادي فيران. عندئذ قام الأحيوات بغزوة على قطعان التياها التي كانت ترعى في هضبة عجمة، لكن ابن نصير شيخ الطورة، الذي كانوا في حمايته، أجبرهم على إعادة الغنائم التي أخذوها. بعد ذلك ذهب الأحيوات إلى السويس وطلبوا المساعدة من شيخ الحويطات فرج أبو طقيقة. ومن السويس شنوا غزوة جديدة ضد التياها فطاردهم هؤلاء على طريق العودة ولحقوا بهم عند وادي الراحة. لكن الأحيوات عرفوا كيف يتخلصون من مطارديهم وعادوا بغنيمتهم سعداء إلى مصر. وعندئذ طلب شيخا التياها المتضرران، ابن ناصر وابن كيله، بدورهما المساعدة من شيخ الحويطات. فقام شيخ الحويطات بإجبار الأحيوات على إعادة نصف الجمال المسروقة. وعلى إثر ذلك عقدت في خيمته معاهدة سلام بين الشيخين القياديين مسمح بن نجم[1] وحمد بن عامر[2].

تحاربت التياها مرة ثانية مع الأحيوات، وذلك عندما قدم هؤلاء عام 1875م المساندة للترابين[3].

يملك التياها قطعاناً كبيرة من الجمال والماعز، وهم يمارسون الأعمال الزراعية في الجزء الشمالي الشرقي من منطقتهم وفي وديان الصرام والصبحة والقصيّم وكذلك في وادي العريش. وكانوا في أوقات سابقة يحصلون على عائدات لقاء حماية طريق الحج في المقطع الممتد من جبيل حسن حتى نخل، وكانوا يقبضون رسماً على البضائع التي تُباع خلال موسم الحج في سوق نخل[4]. علاوة على ذلك ما زال شيخ الصقيرات[5] حتى اليوم يحتكر النقل على الطريق بين نخل

(1) انظر الملاحظة 2 في جدول الأحيوات. بناء عليها يجب أن تكون الأحداث قد وقعت بعد عام 1850م.

(2) هكذا يقول النص! بينما قيل أعلاه إنه قتل رمياً بالرصاص.

(3) شقير، ص 587.

(4) شقير، ص 264. المبلغ الدقيق للصرة مذكور عند إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، الجزء الثاني، ص 339، تحت "الشقيرات" (المقصود الصقيرات)، الشيخ مصلح بن أحمد.

(5) شقير، ص 330. انظر ريتر، الجزء 14، ص 869، 877، 964.

وغزة. فإذا لم يجد المسافرون، القادمون من السويس أو من دير سيناء إلى نخل يرفقه أدلاء من الطورة، خلال 24 ساعة أدلاء من التياها، عندئذ يحق للطورة الاستمرار في مرافقتهم ولكن لقاء دفع ما يسمى رسم التخريج للتياها ورسم الأرضية لشيخ المشايخ ابن عامر.

التياها(1)

شيخ المشايخ: حمد مصلح بن عامر(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الصقيرات(3)	حمد مصلح	العمر ـ نخل	
2 ـ البنّيات(4)	عيد حمد أبو خليفة	المويلح ـ جبل البني	
أ ـ أبو جرّة	عودة أبو جرة		30
ب ـ الدهيني	عيد السليمان		30
جـ ـ أبو خليفة	عيد حمد أبو خليفة		50
د ـ العنازين	عيد العنازين		85
3 ـ الشتيّات(5)		جبل الحلال	
4 ـ القديرات		وادي القديرات	
5 ـ البريكات(6)	مضعان العضيضي	المويبح؛ ما بين	
قبائل ملحقة(7)			
العرينات(7)		جبل الحلال	

ملاحظات عن التياها

1 ـ قوائم القبيلة موجودة عند ياوسن، ص 414؛ شقير، ص 115؛ موري، ص 256. أما موزيل، الجزء الثالث، ص 40 وما بعدها، فقد ذكر تياها سيناء وتياها فلسطين معاً. وأقدم المواد عن القبيلة موجودة عند ريتر، الجزء الرابع عشر، ص 961 وما يليها. يستند الجدول إلى قائمة شقير، إلا أن معلومات البنيات (2) تعتمد على البرغوثي. كان عدد أفراد القبيلة عام 1911م، 900 رجل.

2 ـ يرد ذكر أبيه مصلح أبو قردود عند شقير، ص 582. تحمل عائلة الشيوخ اسم العوامرة. وقد ظهر مؤخراً منافس لحمد مصلح هو سالم العوامري الذي يتزعم التياها المقيمين في الشمال.

3 ـ يذكر موزيل ثمانية فروع يرد اسم اثنين منهم عند ياوسن أيضاً. . الوسم: // على الخد الأيسر و \ على الخد الأيمن.

4 ـ فروع موزيل تختلف اختلافاً كلياً عن الفروع المذكورة عندنا. الوسم: ١٨ على الخد الأيسر و | على الخد الأيمن.

5 ـ الوسم: ǂ على الخد الأيسر، / على الخد الأيمن.

6 ـ البريكات في الأصل ليسوا تياها. جدهم اسمه بريك وقبره موجود عند ماين وهو مزار يحظى بالتكريم، موزيل، نفس المصدر السابق. الوسم: // على الخد الأيسر، = على الخد الأيمن؛ وكذلك المذكورون آنفاً.

7 ـ ملحقون بالبنيّات. وهناك آخرون على الساحل يعملون في صيد السمك. ويعتبر العرينات، الذين تعرفنا على المجموعة منهم عند أريحا، من الهتيم.

الأحيوات (اللحيوات)[1]

يسكن الأحيوات في القطاع الجنوبي الشرقي من التيه وفي عربة، وهم أحدث قبائل سيناء. وتبدو العادات البدوية عندهم أقوى منها عند جيرانهم. فما زال شعورهم بعلاقات النسب قوياً وكانوا حتى ما قبل وقت قصير يقومون بغزوات يتوغلون فيها إلى عمق شبه الجزيرة العربية.

ينحدر الأحيوات من الساحل الشرقي لخليج العقبة. ولقد روينا في الصفحة 41 أعلاه حكاية القبيلة التي تعيد أصلهم إلى المساعيد من البدع. وكانوا في القرن السادس عشر منضمين إلى مجمع بني عطية[2]. ويُقال بأن اسمهم جاء من اسم نبتة الحوي التي عاشوا عليها في زمن المجاعة[3].

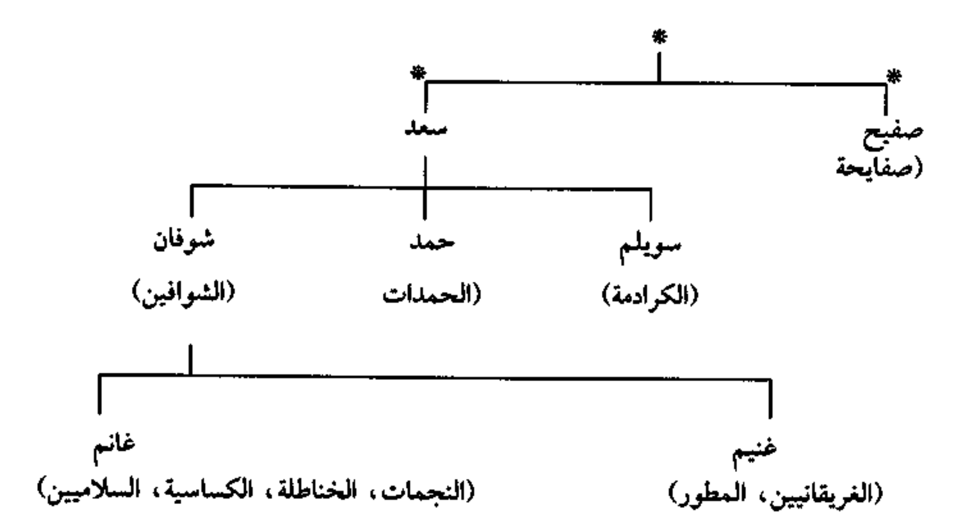
احتل الأحيوات في سيناء في بادئ الأمر وادي الجرافي الواقع غرب العربة. وكان زعيمهم سعد صادق الوعد. وإذا ما كانت المعلومات المعروفة عن نسبهم، والتي يظهر فيها سعد بصفة جد القبيلة، صحيحة إلى حد ما، فإنهم يجب أن يكون قد جاؤوا إلى المنطقة في القرن الثامن عشر.

---

(1) يسمون أيضاً "اللحيوات" و"الحيوات".

(2) درر الفرائد، عند شقير، ص 117.

(3) تاريخ الأحيوات حسب شقير، ص 117 وما بعدها.



تبدأ منطقة القبيلة شرقي التياها وتمتد من نخل حتى العربة ومن جبل الأحيقبة حتى العقبة. فقط الفخذ الصفايحة يسكن في وسط الترابيين في الشمال الغربي بين جبل البضيع وجبل المغارة. وتجيء أجزاء أخرى من القبيلة إلى هذه المنطقة في مواسم القحط[1].

يعيش الأحيوات بسلام مع جيرانهم في سيناء[2]. إلا أن علاقتهم مع المعازة (بني عطية) على الجانب الآخر من العربة كانت سيئة دوماً. وتعود ذكريات المعارك معهم إلى بداية القرن التاسع عشر: في عام 1820م كان الأحيوات متجمعين عند بئر القريص (على طريق الحج بين نخل والعقبة) للاحتفال بمناسبة ختان[3]، فمر أمامهم رجال من المعازة العائدين من غزوة ومعهم بعض الجمال المسروقة والعائدة للتياها. فأجبرت الأحيوات اللصوص، حسب العرف السائد هناك، على إعادة

---

(1) موزيل، الجزء الثاني، 1، ص 237.

(2) حلف مع الحويطات، والترابين، والطورة؛ وعن معاهدة السلام بينهم وبين التياها انظر ص 219 + 220 أعلاه، ومع السواركة انظر شقير، ص 405، 579 وما بعدها.

(3) كان بين الصبيان المشتركين في الغزوة سليمان القصيّر الذي أصبح شيخاً فيما بعد وتنازل عن منصبه في نهاية القرن التاسع عشر عن عمر ناهز الثمانين عاماً. ويبدو أن شقير استنتج التاريخ من هذه المعلومة.

الجمال إلى أصحابها. ولكن تسليم الجمال لم يكن ممكناً دون قتال حيث قتل رجل من النجمات (1). وقد قررت النجمات أخذ الثأر، ولكن أحد شيوخهم، عيد بن حسين، خلص من طالبي الثأر بالحيلة المعازة الذين كانوا قد لجأوا إليه طلباً للحماية. وفي عام 1840م وقع حادث مشابه قتل فيه فريج أبو طيرين، زعيم معازة الكرك، في وادي أبو عجارم برصاصة أطلقها جمعة رضوان من السلاّميين. ثم دارت بين الطرفين في عام 1885م في وادي العقفي (بين العقبة والجرافي) معركة دامية هجم فيها 200 رجل من المعازة على 30 رجلاً من الأحيوات وقتلوا منهم 14 رجلاً. تلا ذلك عدّة حملات من جانب الأحيوات إلى أن عقدت أخيراً اتفاقية سلام بوساطة الشيخ محمد بن نجاد (جاد) من العلاوين (الحويطات).

كما أن الأحيوات قاموا أيضاً بغزوات ضد الشرارات في شمال شبه الجزيرة العربية، وفي وقت سابق ضد السواركة أيضاً. ويتحدث شقير (ص 576 وما بعدها) عن غزوتين ضد الشرارات وقعت الأولى في عام 1873م. وشارك في الغزوتين مئات من ركاب الجمال، ولكنهم لم يكونوا من الأحيوات وحدهم وإنما أيضاً من قبائل سينائية أخرى. وصلت الغزوة الأولى حتى وادي سرحان، أما الثانية فوصلت إلى منطقة طبيق فقط. في الذهاب سلك المهاجمون طريق الحج عند سورغ[1] بينما اتبعوا في الإياب طريقاً واقعة إلى الشمال. وتجدر الإشارة إلى أن الغزوتين باءتا بالفشل: في الغزوة الأولى استعاد الشرارات من اللصوص عند ودعات (شرقي معان) الغنائم التي أخذوها، وفي الغزوة الثانية لم يصل الأحيوات إطلاقاً إلى العدو، وفي طريق العودة مات جزء منهم عطشاً.

لم يزل الأحيوات يعيشون حياة بدوية. في الربيع ينصبون خيامهم في العقبة لكي لا يرهقوا أنفسهم دون لزوم خلال تبديل المرعى كل يوم تقريباً[2]. وتملك

---

(1) قديماً: سرغ، قلعة المداورة.

(2) تفعل الشيء نفسه قبائل سيناء الأخرى أيضاً، فالّين، في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1854م، ص 119.

عائلة شيوخهم بساتين نخيل في العقبة[1].

تكريم الأولياء والأجداد عادة متطورة عند الأحيوات وخاصة عند مجموعة الشوافين: يكرم النجمات قبر حمدان في وادي الردّادي في نقطة غير بعيدة عن نقطة تفرع (مفرق) الطريق المؤدية من العقبة نحو الغرب، ويقدس المطور قبرين في وادي الهاشة (الشيخ مسلّم والشيخ صبيح) الواقع إلى الشمال قليلاً، ويقدس السلاّميون "قبر الحج" في نخل وقبر أبو ديب في وادي ماين.

الأحيوات(1)

شيخ المشايخ: علي العليان القصير

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ النجمات(2)	علي العليان		
2 ـ الخناطلة			
3 ـ الكساسية			
4 ـ السلاّميين(3)		الجنوب الشرقي من التيه	
5 ـ الفريقانيين(4)			
6 ـ المطور			
7 ـ الكرادمة			
8 ـ الحمدات			
9 ـ الصفايحة	أبو صفيح	جبل المغارة	
10 ـ الخواطرة(5)			
11 ـ الخلايفة(6)	محمد الخليفي	العربة	

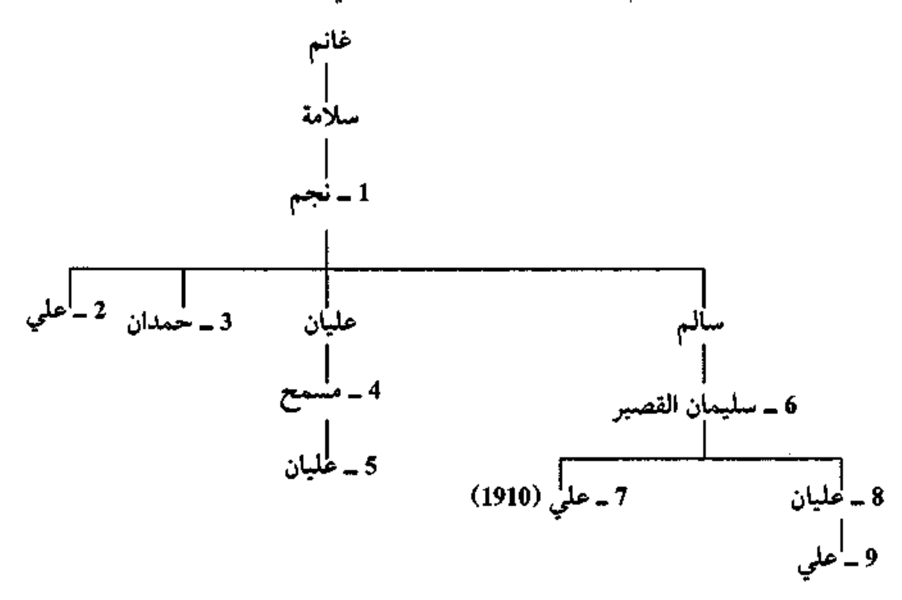
(1) موزيل، الجزء الثاني، 1، ص 259.

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
قبائل ملحقة			
البدارة(7)		العجمة	25

ملاحظات

1 ـ استناداً إلى قائمة شقير، ص 117، التي استُكملت استناداً إلى معلومات البرغوثي، قوائم جوسان، ص 414، وموزيل، ص 45 وما بعدها، تختلف عنها اختلافاً طفيفاً فقط يوجد لدى موزيل تقسيم أوسع للنسب إلى شوافين، وحمدات، وخلايفة. الوسم: / بين العين والأذن، الصفايحة يضيفون إلى ذلك X على الورك الأيسر، بقية الفروع ــــ على الجهة اليسرى من الذقن. حدد عدد الأحيوات في "ريسنسمان" (الجزء الأول، ص 138) بـ 1682 رجلاً و2659 امرأة، ويقدر هاينس (ص 203) عدد المحاربين بـ 650 رجلاً.

2 ـ النجمات هم عائلة شيوخ القبيلة. شجرة نسبهم، التي ذكرنا في شجرة نسب القبيلة أعلاه. أقدم أعضائها على الشكل التالي:



كان نجم أول من حصل على الصرة لحماية طريق الحج[1]. علي قتل خلال زيارة للقاهرة نتيجة سوء تفاهم، وعلى إثر ذلك زادت الحكومة المصرية الصرة. برز في معارك القبيلة مع السواركة التي حدثت في بداية القرن التاسع عشر. الشيخ مسمح سائد الترابين في معركة مكسر ضد السواركة (1856م). توفي بعد حكم طويل عن عمر ناهز الثمانين. أما ابنه عليان فلم يعش سوى 50 عاماً. وتخلى الشيخ سليمان عن الحكم في الثمانين من عمره لصالح ابنه علي الذي يرد ذكر أخيه عليان عند شقير بصفة شيخ.

3 ـ يبدو أن منصب العقيد موجود في هذا الفرع، وبالتحديد في عائلة رضوان. وكان جمعة رضوان (حوالي 1840م)، وسليمان بن رضوان (حوالي 1873م)، وسلامة بن رضوان (توفي عام 1906م)، من قادة الغزو المشهورين، شقير، ص 575 وما بعدها.

4 ـ أبو غريقانة، شقير، ص 579.

5 ـ اسمهم باسم جدهم خاطر من قبيلة مزينة.

6 ـ من أصل غريب أيضاً.

7 ـ ينتمي البدارة إلى جماعة قديمة جداً، حسب شقير، ص 107، قبل الإسلام. يسكنون في هضبة العجمة وهم منضمون إلى الصفايحة. وكانوا في زمن سابق متحالفين مع التياها. ولهم أيضاً علاقات مع الطورة (عليقات). وقد ذكروا لأول مرة عند سيتزن ، الجزء الثالث، ص 101؛ انظر أيضاً ريتّر، الجزء 14، ص 945. ولقد عادوا الآن إلى حماتهم القدامى التياها، موري، ص 245.

(1) المبلغ مذكور في مرآة الحرمين، الجزء الثاني، ص 339. (الشيوخ: سليمان السالم النجم، قاسم المصلح الخليفي).

الحويطات

وأخيراً بقي أن نذكر بين قبائل التيه الحويطات الذين جاء جزء منهم من مصر وجزء آخر من شبه الجزيرة العربية. وهم ضعيفون من ناحية العدد إلا أنه لهم سند قوي من جهة عائلة شيوخ الحويطات المصرية. وتمتد منطقتهم من الإسماعيلية حتى وادي غرندل ومن السويس وباتجاه الداخل حتى جبيل حُسن. وجميع عائلات حويطات سيناء هم، باستثناء الشوامين (3)، أجزاء من قبائل فرعية تحمل نفس الاسم من الحويطات المصرية (1، 2، 5، 6، 7، 8) أو حويطات شبه الجزيرة العربية (2؟ 5؟ 6، 7). وأبو طقيقة هم خط فرعي من عائلة شيوخ الأخيرين تحمل نفس الاسم والتي سنتحدث عنها بتفصيل أوسع في الفصل القادم.

في قبيلة الحويطات يوجد منصب الضريبي، وهو الشخص الذي يحدد في حال الخلاف القاضي الذي تندرج الدعاوى ضمن صلاحياته[1].

(1) حسب شقير، ص 393. أمّا عارف العارف (ص 95 وما بعدها) فيقول إن الضريبي يتمتع بصلاحية النظر في الدعاوى المتعلقة بسرقة المواشي.

الحويطات(1)

شيخ المشايخ: سعد أبو نار(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ السريعين	سعد أبو نار		
2 ـ الغناميين			
3 ـ الشوامين(3)			
4 ـ الطقيقات	عودة بن بنية أبو طقيقة(4)	جبل الراحة	255
5 ـ السلالمة			
6 ـ العبيات			
7 ـ الجرافين			
8 ـ الدبور(5)			

ملاحظات

1 ـ حسب قائمة موري، ص 246، ولكن بدون "السلميين"، بينما يضيف إليهم جوسان، ص 415، القبائل الفرعية 3 و4.

الوسم: /// على الورك الأيسر.

2 ـ خلال الحرب العالمية الأولى وضع الأتراك مكانه "عيد الشلة". أما سعد نفسه فقد ظل معتقلاً عند الإنجليز إلى أن سلمهم رجلاً من قبيلته يعمل جاسوساً لصالح الأتراك.

3 ـ ورد ذكرهم عند سيتزن، الجزء الثالث، ص 101.

4 ـ حسيب القبيلة.

5 ـ ورد ذكرهم عند سيتزن. يبدو أنهم فرع من دبور شرقي الأردن؛ انظر الملاحظة 16 عند الحويطات في فصل شرقي الأردن.

الطورة[1]

الطورة اسم قديم لقبائل منطقة الطور التي لا تشكل وحدة متجانسة من ناحية النسب لكنها تشكل فعلاً وحدة سياسية وإدارية.

يتألف الطورة من ثلاث قبائل هي: الصوالحة، والعليقات، ومزينة. وهناك قبيلة رابعة، الجبالية، سنعالجها في مقال مستقل. وقد ذكر الرحالة الأوروبيون قبائل الطورة منذ بداية القرن الثامن عشر، وفي "كتاب الأم" يرد ذكرهم كثيراً في وثائق القرن السابع عشر، وهناك وثائق أخرى تشهد على وجودهم تعود إلى القرن الخامس عشر.

هناك صعوبة، كما هي الحال في أغلب الأحيان، في تحديد نسب هذه القبائل. الصوالحة هم، حسب وثيقة تعود إلى عام 1514م، أولاد علي، ولكن هذه المعلومة لا تساعد على معرفة أصل القبيلة[2]. والعليقات يسمون أنفسهم باسم عائلة ابن عليق التي ورد ذكرها في وثيقة تعود إلى عام 1491م. وهذه الوثيقة هي مرسوم صادر عن السلطان المملوكي قايتباي وتهدف إلى حماية دير سيناء من تعديات الشيخ عبد القادر بن عليق الذي كان يتولى، استناداً إلى حق مكتسب

---

(1) المفرد: طوري.

(2) شقير، ص 114، يعتبرهم حرب من الحجاز؛ أمّا بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 263، فيقول إنهم جاؤوا من الشرقية.

قديم، الإشراف على الجامع الموجود هناك[1]. أما نسب ابن عليق، وبالتالي العليقات، فهو أيضاً غير معروف، وكذلك موطنهم الأصلي فلا توجد عنه سوى تكهنات غير مؤكدة[2]. وأما القبيلة الطورية الكبيرة الثالثة، المزينة، فهي تنحدر من قبيلة مزينة العربية القديمة التي تنسب اليوم إلى قبيلة حرب الحجازية.

يوجد لدى الطورة كم كبير من الحكايات والقصص التاريخية[3]. وهم يعتبرون الحماضة، الذين ما زالوا يعيشون بينهم بأعداد قليلة حتى اليوم، أقدم سكان منطقة طور. وبعد ذلك جاء بنو واصل، المنحدرون من بني عقبة، من الحجاز واستولوا على المنطقة حتى وادي فيران. ثم تبعهم بنو سليمان[4]. وكان الحماضة وبنو واصل يتقاسمون عائدات الحج إلى الدير لكنهم اختلفوا على الحصص ودخلوا في صراعات وحروب فيما بينهم أدت إلى إضعاف الطرفين. واستغل هذا الوضع مهاجرون جدد لكي ينتزعوا منهم حقوقهم، وكان هؤلاء المهاجرون الجدد الصوالحة والنفيعات. لكن النفيعات لم يبقوا طويلاً في سيناء بل تابع جزء منهم طريقه إلى مصر والجزء الآخر إلى فلسطين. وحلّ محلهم حلفاؤهم العليقات. وهكذا أصبح الصوالحة والعليقات حماة الدير. وكما حدث في الماضي بين الحماضة وبني واصل فقد نشب أيضاً بين الصوالحة والعليقات نزاع حول توزيع العائدات. وفي معركة وقعت في وادي الحمّام (قرب طور) هزم العليقات ولكن توازن القوى ما لبث أن تغيّر سريعاً لصالحهم نتيجة مجيء المزينة[5]. وكان المزينة قد طلبوا في بادئ الأمر من الصوالحة السماح لهم بالإقامة، لكن الصوالحة

---

(1) موريتس، مقالات عن تاريخ دير سيناء، ص 46 وما بعدها.

(2) شقير، ص 110، يقول إنهم من الحجاز. أمّا بوركهاردت، نفس المصدر السابق، ص 558، فيقول إنه الحدود المصرية، لكن مقرهم الأصلي هو البادية السورية. وحديثاً صار العليقات يزعمون أنهم من بني عقبة، موري، ص 263.

(3) موجودة عند شقير، ص 107 وما يليها.

(4) بوركهاردت، نفس المصدر السابق، ص 558 وما بعدها: أولاد سليمان. هاجروا إلى مصر في وقت لاحق.

(5) قارن اعتباراً من هنا بوركهاردت أيضاً، المصدر السابق، ص 559.

اشترطوا عليهم دفع خوة لقاء حمايتهم. على إثر ذلك توجه المزينة إلى العليقات الذين استقبلوهم بالترحاب. نتيجة انضمام المزينة لهم أصبح العليقات أقوى من الصوالحة وحصلوا بالتالي منهم على حقوقهم كاملة. من أجل تحديد تاريخ هذه الأحداث يقدم لنا عقدان بين الدير والطورة، مذكوران عند شقير، ص 514 وما بعدها، نقطة ارتكاز. العقد الأول، المبرم أمام قاضي القاهرة ويشهد عليه المُلاّ[*]، يعود إلى عام 1540م ويذكر الصوالحة فقط كطرف في العقد؛ وهذا يعني أنه أبرم قبل انتصار العليقات. أما العقد الثاني، الموقع من الشيخ منصور بن صيام من العايد بصفة كفيل يضمن حسن التنفيذ، فيرد فيه ذكر العليقات أيضاً. وهو مؤرخ في عام 1643م. وبهذه الأحداث ينتهي جوهرياً تاريخ الطورة. إذ كانت النتيجة اتحاد الصوالحة[1] والعليقات[1] والمزينة في مجمع تتولى قيادته عائلة شيوخ الصوالحة القبيلة الفرعية من القرارشة.

العصبية القبلية قوية جداً عند الطورة، والخلافات حول توزيع واردات الحج لم تتوقف، لكنها تسوى سلمياً باللجوء إلى التحكيم[2]. يعيش الطورة منذ زمن طويل بسلام مع القبائل المحيطة بهم. منطقتهم صعبة المسالك وهم لا يملكون قطعان جمال كبيرة يمكن أن تغري جيرانهم لغزوهم. في الماضي كانوا متخاصمين مع المغّازة المصريين لأنهم كانوا يقومون دوماً بأعمال نقل من السويس إلى القاهرة ويعتدون بذلك على حقوقهم. وقع آخر هجوم للمغّازة على الطورة في عام 1808م في وادي وردان، جنوب شرق السويس، تلته غزوتان للثأر شنها الطورة على المنطقة المصرية[3]. وتتحدث حكايات القبيلة أيضاً عن حرب بين الطورة

(*) وشهد عليهم محمد محمد الدميري. شقير ص155 (شبّر).

(1) يبدو أن البنية الهيكلية لهاتين القبيلتين كانت آنذاك متطابقة مع البنية الحديثة، وذلك كما يتبين من وثائق القرنين السادس عشر والسابع عشر. نضيف إلى ذلك الأمثلة المذكورة في الملاحظات المتعلقة بالجدول: أولاد مسلّم (أ 2 جـ) كأحفاد محمد بن أحمد بن مسلم (العقد، عام 1540م).

(2) روبنسون، الجزء الأول، ص 228 وما بعدها؛ شقير، ص 314 وما بعدها.

(3) بوركهاردت، المصدر السابق، ص 471؛ روبنسون، الجزء الأول، ص 229 وما بعدها؛ شقير، ص 572.

وجيرانهم الشماليين التياها في "زمن الشيخ نصير". وانتهت الحرب بعقد حلف بين القبيلتين لا يزال نافذاً حتى اليوم[1]. ومع حويطات التهمة على الجانب الآخر من خليج العقبة كان الطورة يخوضون حرباً عام 1812م[2]، لكنهم عقدوا في وقت لاحق حلفاً مع هؤلاء أيضاً. إلا أن هذا الخلف لم يكن فعّالاً دائماً. فعندما نشبت عام 1904م حرب بين الحويطات وجيرانهم الجنوبيين، بلي، تخاذل الطورة وحصدوا لقاء ذلك قصيدة هجاء ساخرة[3]. وفي عام 1932م، عندما ثار الحويطات ضد آل سعود، أراد الطورة أداء التزاماتهم التحالفية ولكنهم لم يسمح لهم بعبور الحدود. فقط شيخ المزينة، سالم، شارك في المعارك[4].

في العهد العثماني لم تعر السلطات الطورة أي اهتمام. إلا أن هذا الوضع تغيّر عندما أصبحت سيناء تشكّل مرحلة هامة في الحملات العسكرية لمحمد علي باشا. عندئذ كلف الطورة بحماية الطريق وحصلوا لقاء ذلك على مبلغ يومي ضئيل. وعندما انتهت الحرب توقف دفع المبلغ فقام الطورة بنهب قافلة كانت متوجهة من السويس إلى القاهرة. ولقد أجبرهم الجيش على إعادة البضائع المسروقة أو دفع تعويض عنها، لكنهم نجوا من العقاب بفضل لباقة شيخهم صالح[5]. وفي وقت لاحق أنقذ موسى، حفيد صالح، قومه من عواقب وخيمة في وضع صعب يشابه: عام 1882م، خلال الثورة المصرية، قرر الطورة قتل المسيحيين في طور[6]، لكن موسى ردهم عن ذلك معرّضاً حياته للخطر[7]. في الحرب العالمية نجح الأتراك

(1) شقير، ص 571، يناقض هنا ما قاله في الصفحة 405.

(2) بوركهاردت، المصدر السابق، ص 451.

(3) شقير، ص 572.

(4) موري، ص 259.

(5) روبل، رحلات في النوبة، كردفان والبتراء العربية، ص 192، Rüppel, Reisen in Nubien 204؛ روبنسون، الجزء الأول، ص 134 وما بعدها؛ شقير، ص 571 وما بعدها.

(6) في الجلسة الحاسمة قدم أحد الحاضرين اقتراحاً بالمحافظة على حياة أحد النبلاء لكي يشرح للطورة "الكتاب الأم".

(7) شقير، ص 551.

في كسب بعض شيوخ الطورة إلى جانبهم. ولكن هؤلاء لم يفعلوا شيئاً بعد إصابة الأتراك بخسائر فادحة في معركة قرب طور (فبراير/ شباط 1915م)[1].

تشمل منطقة الطورة الزاوية الجنوبية من سيناء. في الغرب لا تتجاوز كثيراً وادي غرندل، وفي الشرق تصل حتى حجر علوي القريبة من العقبة. وفي الشمال تمتد حتى الشريط الرملي الذي يفصل سيناء العليا عن هضبة التيه. يقع مركز منطقة العليقات في سرابيت الخادم، المنطقة الجبلية المشهورة بآثارها القديمة، وتبدأ منطقة المزينة جنوب الطور، ويسكن الصوالحة في الوسط.

باستثناء عدد قليل من واحات النخيل فإن منطقة الطورة جرداء وقاحلة عموماً ولذلك قطعانهم محدودة جداً. وكثير من رجال القبيلة لا يملكون جمالاً إطلاقاً، وحتى عند أغنى شيخين في القبيلة لم يجد بوركهاردت سوى ثمانية جمال لكل واحد[2]. وتبعاً لذلك تشكّل محاصيل الواحات، وأهمها الواحة الموجودة في وادي فيران، القاعدة الاقتصادية للقبيلة. ويملك الصوالحة الجزء الأكبر من هذه الواحة، لكن القبائل الأخرى لها أيضاً حصة فيها[3]. وهناك واحات أخرى صغيرة في عد النصب (يملكها النفيعات المصريون[4])، وفي نبك (يملكها المزينة)، وفي ذهب على خليج العقبة (يملكها المزينة والعليقات)، وفي عين حدرة[5] (ويملكها العليقات). وهناك مصدر آخر للدخل هو تصنيع الفحم الخشبي وبيعه في القاهرة، وتصنيع أحجار الرحى والطواحين التي كانت تصل في الماضي بواسطة الجيران الشماليين حتى الخليل[6]. ويمارس المزينة علاوة على ذلك صيد السمك.

---

(1) شقير، ص 750.

(2) شقير، نفس المصدر السابق، ص 561.

(3) بوركهاردت، المصدر السابق، ص 602؛ شقير، ص 54؛ فليندرس بتري، أبحاث في سيناء، ص 248.

(4) أي إن الحقوق القديمة ظلت قائمة رغم الهجرة (انظر ص 234 أعلاه).

(5) شقير، ص 228؛ بوركهاردت، المصدر السابق، ص 535، 524.

(6) بوركهاردت، المصدر السابق، ص 497؛ وصف مصر، الجزء 16، ص 185 وما بعدها.

في الماضي كان الطورة يحصلون على مبالغ كبيرة لقاء حراسة الدير (خفراء أو غفرا الدير). وبهذه الصفة كانوا ملزمين بحماية الدير وساكنيه والأراضي التابعة له وزواره. وكانوا الوحيدين الذين يحق لهم نقل الرهبان والحجاج والبضائع من القاهرة (السويس) وطور إلى الدير. حسب الاتفاقيات القديمة كان الصوالحة والعليقات يحتكرون هذه المهمة ويتقاسمون العائدات مناصفة، وكان المزينة محرومين منها. وفي داخل الصوالحة كان القرارشة يتقاضون 4/9 (أربعة أتساع)[1] وأولاد سعيد 3/9 والعوارمة 2/9. وكان العليقات والمزينة يملكون حق نقل المسافرين على الطريق الممتدة من شرم إلى الطور[2] والتي كانت تستعمل غالباً من حجاج مكة على طريق العودة[3]. وحتى بداية القرن التاسع عشر كان الطورة يحتكرون نقل البضائع التجارية (غالباً قهوة) من السويس إلى القاهرة. وكانوا يقدمون في هذا المقطع من الطريق 80 جملاً لقافلة مكة[4]. وفي القرن السابع عشر كان الصوالحة يتقاضون رسماً على البضائع التي تحمّل على السفن في طور[5]. وكانت السويس وطور تدفعان خوّة للطورة[6].

لم يزل الطورة يحتكرون النقل من الطور، ولكن حقوق القبائل المنفردة تغيّرت مراراً وتكراراً في عهد نظام الحكم الجديد في مصر ثم حددت أخيراً في اتفاقية تعود إلى كانون الثاني عام 1909م بطريقة معقدة جداً[7].

---

(1) حسب شقير، ص 313، خلافاً للمصادر الأقدم، التي نجدها عند ريتر، الجزء الرابع عشر، ص 624، 939.

(2) كان العليقات يمنحون المزينة هذا الحق أحياناً، استناداً إلى التحالف المذكور في الصفحة 234 إعلاه.

(3) بوركهاردت، المصدر السابق، ص 528. بخصوص رسوم أخرى انظر نفس المصدر، ص 491، ورحلات في شبه الجزيرة العربية، الجزء الثاني، ص 365.

(4) وصف مصر، الجزء 16، ص 186 وما بعدها؛ بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 459.

(5) حسب وثيقة من عام 1645م مذكورة عند شقير، ص 145.

(6) بوركهاردت، المصدر السابق، ص 466 وما بعدها؛ ريتّر، الجزء الرابع عشر، ص 446.

(7) شقير، ص 316 وما يليها.

وأخيراً ينبغي أن نذكر أيضاً الصدقات التي كان الدير يوزعها قبل ظهر كل يوم وكان الطورة أيضاً يستفيدون منها عندما يكونون على مقربة من الدير. ولقد ورد ذكر هذه الصدقات في الاتفاقية المذكورة سابقاً والتي تعود لعام 1643م.

يختلف الطورة عن البدو الآخرين بطريقة الحياة وبالملابس أيضاً. فهم يلبسون العمامة ويصنعون أحذيتهم من جلد السمك. أهم أوليائهم الصالحين الشيخ صالح الذي يحتفلون سنوياً بذبح الأضاحي على قبره في وادي الشيخ.

الطورة(1)

شيخ المشايخ(2)

أ ـ الصوالحة(3)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العوارمة	مبارك بن سعيد(4)		59
أ ـ الفوانسة			
ب ـ الرديسات(5)			
جـ ـ النواصرة			
د ـ المحاسنة(6)		الطور	
2 ـ أولاد سعيد(7)	فتاح بن صالح		88
أ ـ العوامرة(8)	"فتيح" بن صالح		
ب ـ الزهيرات			
جـ ـ أولاد مسلّم			
د ـ أولاد سيف			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
قبائل ملحقة			
الرزنة(9)			
3 ـ القرارشة(10)	الحاج حمدان أبو زيت(11)		95
أ ـ النصيرات		الطور	
ب ـ أولاد تيهي			
قبائل ملحقة			
بني سليمان(12)			
بني واصل(13)			11

ب ـ العليقات(14)

شيخ المشايخ: زيدان بن مدخّل

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ أولاد سلمي(15)	زيدان بن مدخّل		
2 ـ التليلات			
3 ـ الحمايدة(16)			
4 ـ الخريسات(17)		سرابيت الخادم	269
قبائل ملحقة			
1 ـ الحماضة(18)			
2 ـ السواعدة(19)			

جـ ـ مزينة

شيخ المشايخ(20) عويد بدر

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العويصات 2 ـ العلاونة 3 ـ الشذاذنة 4 ـ أولاد علي **قبائل ملحقة** العزايزة(21)		ساحل خليج العقبة	600

ملاحظات عن الطورة

1 ـ توجد قوائم الطورة عند جميع رحالة سيناء. أقدمها موجود عند إنمان Reza i Orienten 1711م ـ 1712م، الجزء الثاني، ص 78، وإغموند وهايمان: Reyzen (1700م ـ 1723م) الجزء الأول، ص 161. أهم هذه القوائم تلك الموجودة عند بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 557 وما بعدها، وروبنسون، فلسطين، الجزء الأول، ص 219 وما يليها. وجميع المواد القديمة مجموعة عند ريتر، الجزء الرابع عشر، ص 934 وما يليها. نحن أنفسنا نستعمل قوائم شقير، ص 112 وما بعدها، ص 128، ونحدد عدد الخيام وأسماء الشيوخ استناداً إلى موري، ص 259 وما بعدها. وحسب معلومات تعود لعام 1939م يبلغ عدد العوارمة 480 نسمة، وأولاد سعيد 500 نسمة، والقرارشة 200 نسمة، والعليقات 900 نسمة والمزينة 2500 نسمة.

2 ـ حتى الحرب العالمية كان شيخ المشايخ من عائلة الشيوخ ابن نصير

(النصيرات) من فخذ القرارشة في قبيلة الصوالحة. وجدهم الأول هو الشيخ نصير ابن سويعد بن مسعود القرارشة المذكور في اتفاقية عام 1540م (شقير، ص 514). وكان أهم أعضاء هذه الأسرة الشيخ صالح بن زهير الذي حكم في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، والشيخ موسى بن نصير أبو شيخ المشايخ الأخير. وقد رسم هاينس، رجل يصيد في الصحراء، ص 95 وما بعدها، وارن، نفس المصدر، ص 297 وما بعدها وكذلك موري، ص 260 وما بعدها، صورة ظريفة لشخصية الشيخ موسى، الذي كان يتمتع بسلطة أخلاقية كبيرة في سيناء. وقد توفي عام 1912م عن عمر ناهز الثمانين بعد حكم استمر 37 عاماً. جاء بعده ابنه نصير الذي وقف خلال الحرب العالمية إلى جانب الحلف الألماني التركي، ولذلك عزل من منصبه. ومنذ ذلك الحين لم يشغل منصب شيخ المشايخ بل ظل شاغراً.

3 ـ إضافة إلى الأفخاذ المذكورة عندنا، يذكر بوركهاردت أيضاً "الرحمي". لكنهم كانوا قد اختفوا عام 1838م، روبنسون، الجزء الأول، ص 220. ويرد ذكر ابن رحمة، أحد أجداد الرحمي، في اتفاقية عام 1540م. وقد استوطن جزء من المصالحة في مصر السفلى، ريسنسمنت، ص 20.

4 ـ حارب سلفه سليمان بن غنيم في الحرب العالمية إلى جانب الحلف الألماني التركي. وقد توفي خلال الحرب في فلسطين.

5 ـ وصف مصر، الجزء 16، ص 193؛ سيتزن، الجزء الثالث، ص 101.

6 ـ عند بوركهاردت "بنو محسن". وهم يشغلون منصب العقيد عند الصوالحة وبالتالي الطورة.

7 ـ يرد ذكر شيخين من أولاد سعيد في وثيقة تعود لعام 1648م، شقير، ص 145. وكان أولاد سعيد يشغلون منصب شيخ المشايخ الثاني للطورة (بوركهاردت).

8 ـ هذه هي عائلة الشيوخ ابن عامر.

9 ـ سيتزن، الجزء الثالث، ص 101. يتولى الرزنة خدمة الجامع الصغير الموجود في الدير والمبني في العهد الفاطمي (تنظيف وإضاءة خلال شهر

رمضان). ويتقاضون لقاء ذلك من الرهبان أجوراً عينية بصيغة مواد غذائية؛ شقير، ص 214، 217. ويرد ذكر خدام الجامع، الذين يعدّ وجودهم نوعاً من الحماية للرهبان، في وثيقة تعود لعام 1491م. وقد عثر بوركهاردت (ص 543) على ملاحظة عن أصلهم. تفيد هذه الملاحظة بأن سكان الدير سمحوا في عام 783هـ/ 1381م لبعض حجاج مكة القادمين من مصر العليا بالبقاء في الدير شريطة القيام بخدمة الجامع.

10 ـ أقدم ذكر لهم يرد في وثيقة تعود لعام 1540م. يوجد في الكتاب الأم عقد زواج لشخص اسمه مضياف بن مطلق القراشي الصالحي يعود لعام 1640م.

11 ـ بما أنه متقدم في السن وضعيف جسدياً ينوب عنه ابنه مسعود.

12 ـ لم يبقَ من هذه القبيلة التي هاجرت إلى مصر سوى خيمة واحدة.

13 ـ بقي من هذه القبيلة القديمة في سيناء 20 خيمة، أما في مصر فيبلغ عددهم 4080 نسمة. وفي اتفاقية عام 1643م تمّ الاتفاق على أن الطورة لا يحق لهم منع بني واصل من بيع السمك للدير.

14 ـ استوطنت أجزاء من العليقات في مصر العليا، ويبلغ عددهم 11989 نسمة. وقد أصبحوا مؤخراً يسمون أنفسهم في كثير من الأحيان عقيلات.

15 ـ في وثيقة تعود لعام 1648م يرد ذكر أحد أجداد عائلة الشيوخ أولاد سلمي واسمه صبيح بن سلمي العليقي؛ شقير، ص 145. وكان أبو الشيخ الحالي، مدخَل ابن سليمان قد تولى الحكم في الثمانينات بعد أن كشفت قبيلة الخريسات (4) تورط سلفه عودة الزميلي في اغتيال بالمر (1882م). وكان مدخُل في بداية الحرب العالمية الشيخ الوحيد في سيناء الذي يقف إلى جانب الإنجليز؛ شقير، ص 549؛ موري ، ص 261، 263.

16 ـ لجأوا إلى المزينة هرباً من عملية ثأر للدم.

17 ـ قام بتوقيع اتفاقية عام 1540م شخص اسمه سالم بن موسى بن خريش

(الصحيح: خريس ؟).

18 ـ الحماضة (40 خيمة) هم من أقدم سكان سيناء، وكانوا في الماضي يستغلون واحة فيران. أما اليوم فيتولى استثمارها قبيلة التبنة القديمة جداً أيضاً (انظر بوركهاردت، ص 602) التي تتقاضى لقاء عملها ثلث المحصول. ويقوم المواطرة، وهم من أقرباء التبنة (سيتزن، الجزء الثالث، ص 101)، بنفس الأعمال في حديقة الحمّام عند طور. وقد ورد ذكرهم باسم فلاحي الدير في اتفاقيتي عام 1592م وعام 1985م.

19 ـ هم بقية من النفيعات.

20 ـ قبل الحرب العالمية: خضر بن عامر فرحان، لاحقاً "جيلي بريك"، الذي وقف خلال الحرب إلى جانب الأتراك. وقد عزل عام 1928م لأنه تسبب في نشوب عداء مع عمران (حويطات)، موري، ص 265.

21 ـ صيادو سمك ومزارعو نخيل قرب النويبع.

الجبالية

يعمل الجبالية ("سكان الجبال")، الذين يسمون أيضاً "صبيان الدير"، في خدمة الدير وهم يسكنون إلى جانبه مباشرة أو في البساتين العائدة له. وهم حسب تاريخ دير سيناء[1]، الموثق لأول مرة عند بطرك الإسكندرية أو تيخيوس سعيد بن بطريق (نهاية القرن التاسع الميلادي)، أحفاد عبيد مصريين ويونانيين قدمهم الامبراطور يوستينيان (527م ـ 565م) هدية للدير[2]. ومن الممكن أن تكون هذه المعلومة صحيحة؛ إذ إن الظروف السكانية في جنوبي سيناء تشهد استقراراً عجيباً مما يجعل من الممكن المحافظة على بقايا أولئك المهاجرين القادمين حتى يومنا هذا. ويسجل أوتيخيوس، الذي يطلق على الجبالية اسم "بني صالح"[3]، اعتناقهم الدين الإسلامي[4]. وأقدم وثيقة تثبت وجودهم هي الاتفاقية المذكورة في المقال السابق والمبرمة بين الدير والطورة في عام 1643م. وهي تمنع الطورة من التدخل في الخلافات بين الرهبان والصبيان ومن مضايقة الصبيان عند مجيئهم من فيران إلى الدير لغرض التجارة.

---

(1) نصوص من تواريخ مختلفة للدير، لدى شقير، ص 493 وما يليها.

(2) انظر المواد الموجودة عند ريتر، الجزء الرابع عشر، ص 22 وما يليها.

(3) يضاف إلى ذلك الملاحظة: "ينتمي إليهم اللخميون".

(4) لكن بعضهم ظل معتنقاً الديانة المسيحية، وقد توفيت آخر مسيحية منهم عام 1750م، بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 564.

في العقد الثاني من القرن التاسع عشر كانت تقوم علاقات وثيقة بين الجبالية والقرارشة[1]. وقبل ذلك كانوا يتمتعون بحماية فرع المحاسنة من قبيلة العوارمة، حسبما يتبيّن من وثيقة محفوظة في الدير[2]. وفي عام 1831م حاول شيخ الطورة صالح وضع الجبالية تحت سيطرته ولكن الدير اشتكى إلى محافظ السويس وتمكن من المحافظة على حقوقه[3].

يتقاضى الجبالية من الدير أجراً لقاء أعمالهم، ولهم، علاوة على ذلك، الحق في مرافقة الحجاج في المحيط المباشر للدير. ولقد حصلوا مؤخراً على حصة من نقل الحجاج[4] لا توجد علاقات زواج بينهم وبين بقية الطورة.

الجبالية(1)

شيخ المشايخ: عودة بن مسعود

القبيلة	العدد
1 ـ الحمايدة 2 ـ السلايمة 3 ـ الوهيبات 4 ـ أولاد جندي	420

(1) بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 563.

(2) شقير، ص 495.

(3) روبنسون، الجزء الأول، ص 224 وما يليها.

(4) شقير، ص 314 وما يليها.

ملاحظات

1 ـ من الرحالة القدامى يرد ذكرهم عند: بيلون Observations de plusieurs Singulartez... Paris, 1588, S. 286?، إنمان، الجزء الثاني، ص 80، إغموند وهايمان، الجزء الأول، ص 161. انظر ريتر، الجزء الرابع عشر، ص 931 وما يليها. القائمة الموجودة في "وصف مصر"، الجزء السادس عشر، ص 194، تتطابق مع البيانات المستعملة هنا من قبل شقير، ص 114. شيخ المشايخ حسب موري، ص 266، السابق: عطية أبو غنيمان.

الجزء الثاني

القسم الثالث

الأردن



مدخل

يعتبر شرقي الأردن من الناحية الجغرافية جزءاً من سورية لكن له كثيراً من الخصائص المتميزة التي تجعل من الممكن معاملته كمنطقة خاصة حتى لو لم تكن قد نشأت فيه بعد الحرب إمارة شرقي الأردن.

يمتد شرقي الأردن من اليرموك، الذي يفصله عن الجولان، حتى العقبة الحجازية[1] حيث يشكل الانحدار الشديد للهضبة السورية ذات الصخور الكلسية حدوداً طبيعية مع السهول الصخرية الرملية لشمال شبه الجزيرة العربية. وتمتد حدود الإمارة[*] إلى مسافة أبعد: فهي تبدأ على خليج العقبة وتتقاطع مع طريق الحج، أو سكة حديد الحجاز على مسافة ميلين إنجليزيين جنوب محطة مدورة ثم تسير بخط مستقيم نحو الشرق إلى ما قبل نقطة تقاطع خط الطول 38 درجة شرقاً مع خط العرض 29,25 درجة شمالاً حيث تنعطف نحو الشمال. تنتهي الأراضي

(1) يجب عدم الخلط بينها وبين ميناء العقبة ـ العقبة الشامية.

(*) لقد حصلت إمارة شرق الأردن على الاستقلال وأصبحت المملكة الأردنية الهاشمية في 25/ مارس 1946. حصلت على استقلالها من بريطانيا في ضوء الاتفاق بين إمارة شرق الأردن والمملكة المتحدة والذي تمّ التوقيع عليه في لندن بتاريخ 22 آذار 1946 من قبل رئيس الوزراء الأردني إبراهيم هاشم والسير أرنست بيفن وزير الخارجية البريطاني والمستر أرثر كويتش جونز الوكيل البرلماني لوزير المستعمرات ـ وبموجب عقده معاهدة صداقة وتحالف بدلاً من الانتداب وقد ألغيت المعاهدة عام 1957 في عهد الملك حسين. (تاريخ الأردن في القرن العشرين/ منيب الماضي وسليمان موسى طبعة 1959م. (ماجد شبَّر).

الطبيعية لشرقي الأردن عند وادي سرحان، بينما تمتد حدودها السياسية في الشمال الشرقي إلى أبعد من ذلك؛ فهي تشكل ممراً إلى (المملكة) العراقية يشمل الجزء الأكبر من حرّة الراجل ومن الشريط الصحراوي الرويشدات. كما أن الحدود الشمالية للإمارة مرسومة، قبل أن تصب في وادي اليرموك، بصورة اعتباطية.

يتألف شرقي الأردن من هضبة عالية ترتفع قليلاً على شكل قبة في الغرب ثم تنحدر بشدة إلى غور الأردن والبحر الميت والعربة. تروى هذه الهضبة بواسطة وديان عميقة تقسمها إلى أربع مناطق مختلفة، العجلون بين اليرموك ويبّوك (نهر الزرقاء)، والبلقاء بين الزرقاء وزرقاء ماعين مع منطقة الجبال المجاورة لها جنوباً والكورة، ومنطقة الكرك بين أرنن (موجب) ووادي الحسا (سيل القراحي)، وأخيراً المنطقة الجنوبية التي تتألف من منطقة الجبال ومنطقة الشراة. في الجبال والشراة يصل ارتفاع الجبال إلى أكثر من 1600 متر، والمناخ في الشتاء قارس، كثيراً ما تسقط الثلوج. وهناك بعض المواقع التي تغطيها الغابات ومنها، على سبيل المثال، الهيشة. وكلا المنطقتين غنيتان بالمياه إلى حد ما، ولكن الوديان عميقة جداً في أغلب الأحيان إلى درجة أنه لا يمكن الاستفادة منها للري. إضافة إلى ذلك فإن الأراضي الصالحة للزارعة غير واسعة ولا تزرع اليوم إلا الأراضي المجاورة للمستوطنات الثابتة القليلة (طفيلة، وبصيرة، وشوبك). أمّا سهول حسما الرملية، الواقعة في الجنوب الغربي أمام جبال الشراة، وكذلك الجبال الغربية الواقعة أمامها، فهي قاحلة تماماً. وفي الشرق أيضاً تدخل الجبال مباشرة في الصحراء التي تشكل فيها معان، عاصمة المنطقة الجنوبية، واحة. وفي موقع أبعد نحو الشمال تتراجع الصحراء بعض الشيء؛ ولذلك تزداد رقعة المساحات الزراعية ولكنها تبقى محدودة بسبب الطبيعة الصخرية للأرض. وتقع جميع المدن الثابتة تقريباً إلى الجنوب من مدينة الكرك التي أعطت المناطق المجاورة لها اسمها. وفي هضاب البلقاء ـ العاصمة وحتى قبل بضعة عقود المكان الوحيد المسكون بصورة دائمة: الصلت[1] ـ توجد مراعي خضراء وحديثاً، كما في العصر القديم، حقول قمح

(1) في السابق كانت تكتب "السلط" أيضاً.

غنية. وفي عجلون تصعد الجبال مرة أخرى إلى ارتفاعات أعلى. في الغرب حيث يوجد كثير من الوديان تتوفر فيها إمكانات جيدة للزراعة، وفي الشرق تتوفر إمكانات جيدة لتربية المواشي.

ليس للمناطق الخلفية الأردنية سمات شديدة التمايز. في الشمال توجد عتبة أرضية تشكل مفرق الماء بين وادي الأردن وبحر الميت من جهة ووادي السرحان من جهة أخرى. وفي الجنوب الغربي تنخفض الأرض إلى منخفض الجفر الذي تصب فيه وديان الصحراء والجبال المجاورة. وبالقرب من حدود المملكة العربية السعودية ترتفع جبال الطبيق ذات الطبيعة الجرداء الموحشة التي تشبه سطح القمر، ألواح وبروزات من الصخور الرملية التي تغطيها اللافا (الطفح البركاني). والمناطق الواقعة شرقاً صحراوية أيضاً تغطيها أحياناً الحجارة الصوانية (أرض الصوان)، وتبقى صحراوية حتى قرب الحدود السورية حيث تتخذ طابع البادية الغنية بالأعشاب.

ولذلك لم تمارس الزراعة بصورة متواصلة وعلى نطاق واسع إلا في عجلون وفي البلقاء. أمّا الجنوب فقد كان يعيش بصورة رئيسية من التجارة وحركة الحجاج. وعلى الرغم من ذلك فقد نشأت هنا بالذات الدولة الوحيدة التي كانت ذات أهمية تاريخية وثقافية على الأرض الأردنية ألا وهي الدولة النبطية. أمّا المناطق الزراعية في الشمال فلم تنشأ فيها سوى دويلات غير ذات شأن. لم يصبح سكان الأردن معروفين إلا في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد. وكانوا آنذاك من الكنعانيين[1]. حول ربات أمّون، عمان الحالية، كان يسكن الأمونيون، وفي البلقاء الواقعة في الجنوب وحول الكرك كان يسكن الموآبيون، وكانا كلاهما مختلطين مع الإسرائيليين وتابعين لهم في بعض الأحيان. وعلى الجانب الآخر من وادي الحسا كان يبدأ الإدوميون الذين كانوا يصلون عبر العربة إلى جنوب فلسطين. أمّا المناطق الخلفية فكان يسكنها العرب. ومن بين الأقوام العربية التي ورد ذكرها في التقارير

---

(1) العموريون الذين جاؤوا في زمن سابق من وسط سورية إلى أمون هم أيضاً من الكنعانيين.

الحربية الآشورية العائدة للقرنين الثامن والسابع وفي العهد القديم، نود أن نضع ثلاثة أقوام في شرق الأردن وهم: الكدري (كور)، والنبابتة (نبايوت) والتيور (الإتيوريون) راجع الجزء الأول، ص 411.

أدى احتلال الآشوريين والبابليين للغرب إلى اختفاء السكان الكنعانيين في شرقي الأردن[1]. فبعد سقوط ممالكهم ـ إدوم، وموآب، وبيت أمون ـ امتصهم في الشمال الآراميون وفي الجنوب العرب (الأنباط). وكان الآراميون العنصر الحامل للثقافة بينما كان العرب العنصر المشكّل للدول. فقد أصبحت اللغة الآرامية لغة الكتابة في المملكة النبطية التي امتدت في أوج ازدهارها (في النصف الأول من القرن الأخير قبل الميلاد) من الحجاز حتى دمشق ومن الصحراء الشرقية حتى جنوبي فلسطين. وكان النبطيون جاؤوا إلى البلاد بصفة بدو رحل لكن أقدم رواية عنهم متوفرة لدينا (نهاية القرن الرابع ق.م) تفيد بأنهم كانوا يعملون، بالإضافة إلى تربية الجمال والغنم، في التجارة؛ كانوا آنذاك يبيعون الإسفلت المستخرج من البحر الميت إلى مصر. كان موقع منطقة الأنباط عند نهاية طرق التجارة العربية القادمة من الجنوب والشرق يوفر لهم إمكانات كبيرة، وقد استغلوا هذه الإمكانات فعلاً بحيث أصبحوا قبيل بدء التاريخ الميلادي أكبر شعب تجاري في الشرق الأوسط. وتشير دولة الأنباط وحضارتهم، كما تظهر في القطع المعدنية النقدية وفي الكتابات الأثرية والأنقاض الباقية وخاصة في عاصمتهم البتراء، إلى وجود آثار عميقة للتأثير الهيليني (الإغريقي). لكن هذا التأثير يمس الأسماء والأشكال أكثر مما يمس الأشياء والمضامين؛ تحت الطلاء الهيليني يبرز في كل مكان الجوهر السامي.

في شمال شرقي الأردن كان تأثير الهيلينية، التي كانت في القرن الثالث قبل الميلاد تحت الحكم البطوليمي وفي القرن الثاني تحت الحكم السلوكيدي، أعمق وأطول: فقد تأسست آنذاك مدن جديدة واتخذت مدن سامية قديمة مثل ربات أمون

(1) يجب ألاّ ننخدع عن هذه الحقيقة باستمرار الأسماء القديمة، الأمونيون، وغيرها.

وجراسا (جرش) أسماء إغريقية ـ فيلادلفيا، أنتيوخيا ـ وبدأت تتخذ شيئاً فشيئاً مظهراً إغريقياً. هذه المنطقة، التي توحدت مع ديكابوليس (عصبة المدن العشر)، أصبحت في عام 63 قبل الميلاد رومانية، بينما ظلت المملكة النبطية مستقلة إلى حد ما إلى أن احتلتها روما في عام 106 بعد الميلاد. في القرن الثاني بعد الميلاد حققت مدن شرقي الأردن ـ المحمية من هجمات البدو بواسطة حصون على حدودها الغربية، والمرتبطة مع بعضها ومع البلدان المجاورة بواسطة طرق جيدة أهمها الطريق المنطلقة من البصرة (انظر الجزء الأول، ص 412). عبر فيلادلفيا/ عمان والبتراء إلى آيلا/ العقبة ـ نمواً مدهشاً لكنها ما لبثت أن تدهورت في القرن الثالث بسرعة كبيرة. وفي عهد يوسنينيان (527م ـ 565م) ازدهرت هذه المدن، وكذلك البتراء، مرة أخرى ولفترة قصيرة.

في تلك الأثناء تبدل سكان البلاد من جديد. فقد أصبح الأنباط آراميين (كان التحول كبيراً إلى درجة أن العرب صاروا في وقت لاحق يسمون جميع فلاحي الشرق الأدنى الناطقين بالآرامية أنباطاً)، ولكن موجة جديدة من المهاجرين العرب كانت قد انضمت إليهم. وكانت هذه الموجة تتألف، كما ذكرنا في مقدمة الفصل المتعلق بفلسطين، من القبائل الثلاث المعروفة: لخم، وجذام، وعاملة. ويبدو أن الهجرة حدثت في القرن الثالث الذي تراجعت فيه السلطة الرومانية في منطقتنا تراجعاً كبيراً. لا نعرف بالضبط كيف توزعت هذه القبائل في البلاد، ولكن يبدو أن العاملة سكنوا في الشمال، وجذام في الجنوب، بينما سكن لخم على امتداد وادي عربة. وفي وقت لاحق انضم إلى هذه القبائل الثلاث، التي تربطها صلة القربى، بعض فروع قضاعة التي كان موطنها يقع شمال المدينة (المنورة). وكان القين (بلقين) يتنقلون من الطبيق عبر بطن السر (= وادي سرحان) إلى الحرة، وكذلك في وقت لاحق البهرا (انظر الجزء الأول، ص 412) وبلي. ولعل بلي لم يأتوا إلى شرقي الأردن إلاّ لفترة مؤقتة، الأمر الذي لم يزل يحدث حتى الآن لدى هذه القبيلة التي حافظت جزئياً على مقراتها القديمة في الحجاز.

هذه القبائل التي هاجرت بعد الميلاد ظلت عربية. ولم تتعامل مع الحكم

الروماني ثم البيزنطي بصورة مباشرة وإنما بواسطة "أمرائها". ولقد ثارت في نهاية القرن الخامس ضد هؤلاء الأمراء عائلة جفنة من قبيلة غسان (انظر الجزء الأول، ص 412) التي كانت، حسب قول شاعر معاصر (حسان بن ثابت)، تحكم جميع القبائل "من الحرمون حتى خليج آيلا". ولقد انتهى حكم هذه الأسرة على يد الفرس الذين احتلوا دمشق عام 613م والقدس عام 614م. وما إذا كانت بيزنطة أعادتها إلى الحكم فهذا أمر مشكوك فيه. إذ إننا لا نعرف ما إذا كان الأمير الغساني، الذي قاد عام 635م العرب السوريين والأردنيين في خدمة القيصر ضد المسلمين، أميراً حاكماً أم لا.

وما أن انتهى الاحتلال الفارسي (629م) حتى تعرض شرقي الأردن لهجمات من شبه الجزيرة العربية: ففي صيف ذلك العام أرسل النبي محمد غزوة قوية من المدينة نحو الشمال وصلت بسرعة كبيرة إلى منطقة الكرك بعد توقف لمدة يومين في معان. وهناك واجه الغزوة جيش متفوق كان ممثل القيصر قد جمعه من حراس الحصون، بالإضافة إلى قوة عربية قوية مساندة تتألف من: لخم وجذام وقين وبهرا وبلي. ونتيجة هذا التفوق تراجع المسلمون لكنهم حوصروا عند مؤتة(*) وهزموا. في الصيف التالي قاد النبي محمد نفسه حملة إلى الشمال. وعلى الرغم من أنها أوقفت في تبوك فقد كان لها نتائج سياسية هامة: إذ خضعت المدن الواقعة خارج خط التحصين البيزنطي القائم آنذاك وهي: مقنا، وآيلا (العقبة) وأذرح. رغم ذلك ظلت فكرة الثأر لمعركة مؤتة تشغل بال النبي، وقد أمر قبيل وفاته بإرسال حملة جديدة إلى الشمال. وقام الخليفة أبو بكر (632م ـ 634م) بتنفيذ رغبة النبي رغم الخطر الذي كان يتهدد المدينة آنذاك بسبب ارتداد كثير من القبائل. إلا أن الروايات الإسلامية عن هدف هذه الحملة ونتائجها متباينة.

(*) هي غزوة مؤتة التي بعث بها الرسول ﷺ سنة ٨هـ واستعمل عليها زيد بن حارثة وقال إذ أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة وقد استشهد القادة الثلاثة. لقد كان عدد المسلمين ٣٠٠٠ فيما بلغ عدد البيزنطين وحلفائهم أكثر من ١٠٠,٠٠٠ ألف. الطبري. (ماجد شبّر).

بعد ذلك بوقت قصير (634م) زحفت الجيوش الإسلامية على سورية. حشد البيزنطيون قواتهم في فلسطين حيث دارت المعارك الحاسمة الأولى، أمّا شرقي الأردن فكان ساحة حرب ثانوية. وللأسف لا توجد لدينا معلومات كافية عن المعارك التي دارت في شرقي الأردن ولا عن علاقتها بالتحركات الدائرة في فلسطين والتي انتقلت عبر نهر الأردن بمعركة الفحل (انظر الصفحة 24 و25 أعلاه). ويبدو أن المسلمين قد تقدموا مباشرة إلى حوران؛ إذ إن حصون شرقي الأردن، عمان، وجرش، وأرندله/ غرندل (قرب بصيرة)، لم يستول عليها إلا بعد سقوط بصُرىٰ.

كما أنه لا تتوفر لدينا معلومات دقيقة عن اعتناق هذه القبائل الدين الإسلامي. ويقال بأن أحد شيوخ جذام، فروة بن عمر، اعتنق الإسلام في حياة النبي وقتل شهيداً على يد البيزنطيين. على أي حال فإن قبائل شرقي الأردن لم تكن واثقة من انتصار المسلمين على رغم الانتصارات التي حققوها عام 634م و635م. فعندما زحف البيزنطيون في العام التالي على الجولان كان بين صفوفهم مقاتلون من لخم وجذام وقبائل أخرى. أمّا العدد القليل الذي التحق من القبائل بجيش المسلمين فقد ولى الأدبار عندما حميت المعركة. ولكن بعد معركة اليرموك (636م) صار الناس يتسابقون إلى اعتناق الإسلام.

لم يتأثر شرقي الأردن بالحروب الأهلية. فالأمويون الذين كانوا يحبون الإقامة خارج دمشق، كانوا يقضون كثيراً من الوقت في شرقي الأردن. كانوا يحبون المنطقة الواقعة شرقي البلقا وقد بنوا هناك، كما في فلسطين القريبة وفي البادية السورية، حمامات وقصوراً على طارز الحصون الدفاعية الرومانية والبيزنطية[1]. كما أن الأسرة النبيلة العربية الأخرى، العباسيين، التي قضت في وقت لاحق على الأمويين، اختارت شرقي الأردن، إذا ما فهمناه بحدوده الحالية، مكاناً لإقامتها. فقد نزلوا في الحميمة (بين معان والعقبة) على مقربة من الطرق الكبيرة التي كان

(1) أشهر هذه المباني قصر "المشتى" الموجودة واجهته في متحف في برلين.

دعاتهم يتنقلون فيها من أجل الدعوة لإسقاط الأمويين، ولكن مع ذلك في مكان بعيد عن مراكز الإسلام آنذاك بحيث لا تثير مطامحهم أي شبهة.

تركت إقامة هاتين الأسرتين في شرقي الأردن آثارها الواضحة على السكان. فقد كان أتباع الأمويين والعباسيين يبقون على الدوام في البلاد، أتباع الأمويين في معان، وأتباع العباسيين في أذرح، المدينة الرئيسية آنذاك في الشراة.

فيما عدا ذلك كانت البلاد قد أصبحت خالية من السكان خلال حروب الفتح. فقد رحلت عاملة وجذام ولخم إلى فلسطين وسيناء ومصر، واستقرت بلقين وغسان في جُبَال. وفي عمان كان يسكن في القرن التاسع الميلادي قيسيون هم بالتأكيد أحفاد الحامية الإسلامية الأولى، بينما كان سكان بقية المدن القليلة الأخرى (فحل وجرش في عجلون وكذلك مآب) خليط من عناصر مختلفة. في بادئ الأمر لم تؤثر حركة القبائل، التي حدثت في شبه الجزيرة العربية نتيجة حروب الفتح، على قبائل شرقي الأردن؛ لأنها حدثت على الطريق المؤدية من تيما عبر ثجر (= فجر) و وبير (= باير)، أو عبر وادي سرحان، إلى حوران. ولم يصبح شرقي الأردن بلداً بدوياً مرة أخرى إلا في عهد القرامطة (القرن العاشر الميلادي): كانت التحركات إلى شبه الجزيرة العربية يغلب عليها بنو كلاب القادمون من قلب نجد، وإلى الشراة عائلة ابن الجراح المنحدرة من طي والتي تحدثنا عنها في الجزء الأول، ص 159 وما بعدها، وص 504. وظل خلفهم، بنو ربيعة، في شرق الأردن حتى النصف الثاني من القرن الثاني عشر.

في هذه الأثناء كان شرقي الأردن قد انتقل من تحت الحكم العباسي إلى تحت الحكم الفاطمي. وكلا الحكمين أهملا شرقي الأردن لأنه لم تكن له بالنسبة لبغداد ولا بالنسبة للقاهرة الأهمية التي كانت له بالنسبة لدمشق عندما كان الأمويون يحكمون الدولة العربية من هناك. ولكن هذه الظروف تغيرت فجأة في عهد الحروب الصليبية ففي اللحظة التي احتل فيها الفرنجة فلسطين اكتسب شرقي الأردن أهمية كبرى لا مثيل لها قبل ذلك ولا بعده؛ فمنذئذ لم يعد يوجد اتصال بين دمشق والقاهرة إلاّ من وراء نهر الأردن.

ومن أجل حماية البلاد من الهجمات القادمة من القدس شيّد المسلمون قلعة الصلت ولكن القلعة سقطت في الحملة الثانية التي وجهها الصليبيون ضد شرقي الأردن (عام 1107م، الحملة الأولى عام 1100م). وقد رأى "طغتكين"، أمير دمشق عام (1103م ـ 1128م) مضطراً لأن يشتري السلام بإعطاء بالدوين ملك القدس جزءاً كبيراً من ضرائب البلاد[1] (1110م). ولكي يضمن بالدوين حقوقه بنى حصناً على اليرموك ولكن هذا الحصن انتزع منه بعد عامين. ولكن في عام 1115م شمخت في جنوب البلاد قلعة ضخمة، قلعة مونتريال، وتسمى بالعربية قلعة الشوبك، مكنت الصليبيين من السيطرة على إدوم القديمة. كما أن بناء الكرك (اكتملت عام 1142م) جعل موآب أيضاً تقع تحت سيطرتهم؛ ويبدو أن العجلون التي دمر الصليبيون عام 1121م قلعتها جرش[2] كانت تعتبر آنذاك غير تابعة لأي من الطرفين. وقد شهد جنوب شرقي الأردن تحت الحكم المسيحي عدة عقود من الازدهار. كان يزرع هناك آنذاك قصب السكر وحشيشة النيلة للصباغة والتمور والعنب.

أدى سقوط الفاطميين وتأسيس مملكة إسلامية تضم سورية ومصر على يد صلاح الدين إلى انتهاء تلك الفترة الطويلة من الهدوء: كان سقوط العقبة (1170م) مقدمة لإعادة احتلال البلاد الذي اكتمل بالاستيلاء على الكرك (1188م) والشوبك (1189م).

حُكم شرقي الأردن بعد ذلك أكثر من 70 عاماً من الأمراء الأيوبيين، خلفاء صلاح الدين. وقد فعلوا الكثير للبلاد وخاصة في الجنوب الذي كان الصليبيون قد طوروه؛ يقال بأن شوبك أصبحت في عهد الملك معظم عيسى (1218م ـ 1227م) تضاهي دمشق. ولكن زحف المغول (1266م)، الذين وصلوا في شرقي الأردن

(1) وهذا يعني البلقا وعجلون التي كانت تسمى آنذاك جبل (بلاد) بني عوف؛ ويبدو أن الجنوب لم يكن آنذاك قد بقي لديه أي عائدات ضريبية.

(2) لكن المدينة سكنت في وقت لاحق ثانية، وذلك حسبما تثبت نتائج التنقيبات وحسبما جاء في تقرير كتبه عام 1300م العالم الجغرافي الدمشقي.

حتى الصلت، أنهى حكم الأسرة الأيوبية في الشمال الذي أصبح تابعاً لمماليك مصر بعد انتصارهم في معركة عين جالوت التي وقعت في نفس العام؛ وبعد أعوام قليلة استولى المماليك على الكرك أيضاً، آخر ملك للأيوبيين في شرقي الأردن.

على الرغم من أن شرقي الأردن فقد كثيراً من أهميته بعد إنهيار حكم الفرنجة في فلسطين فقد حظي بعناية كبيرة في عهد السلاطين المملوكيين الأوائل. انطلق الحكم الجديد من الوضع الذي كان سائداً في عهد أواخر الأيوبيين: أصبحت كرك عاصمة لمنطقة خاصة تابعة لها، بينما بقيت العجلون (في وقت لاحق البلقا أيضاً) تابعة لدمشق. وقام السلطان بيبرس بإعادة بناء القلاع التي دمرها المغول وهي: قلعة ربض[1]، وقلعة عجلون التي بنيت في عهد صلاح الدين، وقلعة الصلت؛ كما أن جسر المجامع على نهر الأردن هو من إنجازاته. كانت هذه الأعمال موجهة ضد الخطر المغولي القادم من العراق. وعندما زال هذا الخطر تُرك شرقي الأردن شيئاً فشيئاً للبدو. وبقي للكرك وحدها بعض الأهمية بفضل قلعتها القوية التي استخدمت عدة مرات مكان إقامة طوعية أو إجبارية لأولياء العهد.

كانت أقوى قبيلة بدوية في الجنوب آنذاك قبيلة بني عقبة. وهي قبيلة من جذام من شمال الحجاز، المصدر القديم لسكان شرقي الأردن. وصل بنو عقبة خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي في الشمال حتى الكرك، بينما نزلوا في الجنوب حتى ساحل البحر الميت. أمّا البلقا والسهول المجاورة لها فقد استولى عليها بنو مهدي ـ وهم أيضاً من جذام. وأمّا الشمال فقد كان خاضعاً لمرا، وهم قبيلة منحدرة من ربيعة كان مقرها الحقيقي في سهل حوران (انظر الجزء الأول، ص 507 وما يليها).

لا تتوفر لدينا معلومات كافية عن وضع شرقي الأردن في نهاية العهد المملوكي. كانت تحكم في العجلون آنذاك عائلة ابن ساعد، نصف البدوية، التي

(1) تسمى اليوم "قلعة ما قبل المدنية"، أي عجلون؛ كانت آنذاك تحمل اسم "عجلون" الذي أطلق في وقت لاحق على المدينة ثم على سلسلة الجبال وأخيراً على المنطقة.

عرفت في وقت لاحق باسم أمراء الغزاوي.

بعد احتلال سورية (1516م) ومصر (1517م) سقط شرقي الأردن في يد العثمانيين تلقائياً. لم يكن هناك حسب معرفتنا سوى إجراء واحد لفرض هيبة السلطة الجديدة ألاّ وهو الحملة التي انطلقت عام 1516م من دمشق إلى بلاد ابن ساعد، أي إلى عجلون. ولم يهتم الحكام الجدد بشرقي الأردن إلا نظراً لكونه معبراً على طريق الحج، أمّا البلد كبلد فقد ظل بالنسبة لهم عديم الأهمية. كانت المنطقة بكاملها تابعة إسمياً لباشا دمشق، أمّا في الواقع فكانت عجلون فقط تخضع لإدارة منتظمة ضعيفة، أحياناً على يد موظفين عثمانيين، وفي أغلب الأحيان على يد زعماء محليين كانوا في البداية أمراء الغزاوي. وأمّا الكرك فكانت في الأصل سنجقاً، لكنها ما لبثت أن سقطت في يد العرب. وفي عام 1677م أعيدت لها مرتبة السنجق وأجّرت لسيد من نابلس مدى حياته. وأرسلت إلى قلعتها حامية تضم بين عناصرها عدداً من الجنود الإنكشاريين الدمشقيين وكلفت أيضاً بحماية محطة قطرانة الواقعة على طريق الحج. لكن هذه الحامية سلمت القلعة للعرب. وفي العام التالي (1679م) أعاد عثمان باشا، حاكم دمشق، الكرك إلى السلطة التركية. لكن هذه السلطة كانت هذه المرة أيضاً غير فعالة على الصعيد العملي. فالجنود الإنكشاريون، الذي ظلوا فترة من الزمن يرسلون كل عام من دمشق إلى القلعة، كانوا أسرى أكثر منهم حراساً. لا بل إن بعضهم بقوا هناك واختلطوا مع السكان المحليين.

على عكس ذلك فقد فعل العثمانيون الكثير لتوفير الأمان على طريق الحج. ولقد كانت هذه المسألة ملحة جداً لأن الحج من سورية إلى الديار المقدسة كان مهدداً في كثير من الأحيان في أواخر العهد المملوكي، وقد توقف نهائياً أربعة أعوام (912 ـ 915 هجرية). وفي عهد السلطان سليمان بنيت قلعتا القطرانة ومعان؛ ولم تنته أعمال البناء على طريق الحج حتى أواخر القرن الثامن عشر. وبعد ذلك شهدت معان، التي كانت تقام فيها منذ القديم سوق للحجاج[1]، ازدهاراً هائلاً،

(1) كانت المدينة قد هجرت فترة من الزمن بعد طرد الصليبيين.

بينما تراجعت المدن الأخرى في البلاد.

خلال هذه الفترة طرأت تبدلات كثيرة على السكان البدو. في الشمال حل في البداية المفارجة محل المرا. لكن المفارجة دحروا في النصف الأول من القرن السابع عشر على يد قبيلة السردية التي وصل نفوذها في بداية القرن الثامن عشر جنوباً إلى ما بعد البلقا (انظر الجزء الأول، ص 535 وما يليها). وأصبح بنو مهدي، الذين كانوا في يوم من الأيام القبيلة السائدة في شرق وجنوب البلاد، مقتصرين على البقا وحدها. وتفرق تجمعهم القبلي بينما ظل لعائلة أمرائهم، التي حصلت على لقبها في العهد المملوكي، بعض الامتيازات إلى أن انتزعها منهم العدوان في القرن الثامن عشر. وفي القرن نفسه ظهر على الطرف الشرقي للبلقا بنو صخر (صخور)، الذين كانوا قد جاؤوا في القرن السابع عشر من الحجاز إلى جنوب المنطقة الخلفية من شرقي الأردن. فقضوا على نفوذ السردية في السهل ودحروا العدوان في البلقا. إلا أن التبدل كان على أشده في المنطقة الجنوبية: محل بني عقبة تشكل عند العقبة مجمع بني عطية الذي كان في فترة الاحتلال العثماني يهيمن على جنوب فلسطين وسيناء. وفي القرن السادس عشر انحل هذا المجمع. وهاجرت إحدى قبائله، الأحيدات، نحو الشمال ووصلت في بداية القرن السابع عشر إلى الكرك التي خضعت لها بعد وقت قصير. وتبع الأحيدات بنو عمر وهم من ناحية النسب ينحدرون من بني عقبة من ساحل البحر الأحمر. واختاروا في تنقلهم على امتداد طريق الحج منطقة شمال القطارنة لتكون منطقة ترحالهم. وفي نهاية القرن السابع عشر اضطر الأحيدات إلى الهرب منهم إلى جنوب فلسطين. عندئذٍ تقاسمت عمر في الجنوب والسردية في الشمال السلطة في البلاد. وفي هذه الأثناء جاءت من العقبة إلى الشراة والصحراء المجاورة لها قبيلة جديدة كانت في الماضي منضمة إلى مجمع بني عطية هي قبيلة الحويطات التي وصلت في القرن الثامن عشر إلى وادي الحسا وضايقت عمر بالتعاون مع سكان الكرك.

كانت العجلون المنطقة الوحيدة التي سلمت إلى حدٍ ما من زحف البدو.

وكانت هذه المنطقة تتألف آنذاك من سبع نواحٍ[1] تمثل عدداً مماثلاً من الجماعات السياسية. وكانت أقوى القبائل في العجلون في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي الفريحات والشريدة، وما زالا كلاهما مزدهرين حتى اليوم. إلا أن حالة مدن وقرى الجنوب تعكس بشكل أقوى من الشمال أشكال المجتمع البدوي. ففي الصلت والكرك والطفيلة وشوبك ومعان كان السكان يتألفون من قبائل وكانوا يعيشون أحياناً في خيم في الأرياف. وكانت العلاقات بين المدن والبدو عويصة ومعقدة، علاقات خوة وعلاقات صداقة وعداوة حسب الحال. في بعض الأحيان كانت تتشكل جمهوريات صغيرة، ولكن في بعض الأحيان كانت إحدى العائلات تستأثر بالسلطة كما هو الحال مع المجالي في الكرك الذين ما زالوا أقوياء حتى اليوم.

لم يكن السكان يشعرون بوجود الإدارة التركية. وحسبما يقول سيتزن (1806م) وبوركهاردت (1812م) كان حق باشا دمشق في جباية الضرائب ينتهي عند موجب، إلا أن الصلت كانت معفية من الضرائب. وكانت الضرائب تجبى مرة كل عام من قبل الجنود. في العجلون فقط كانت الحكومة توكل جباية الضرائب إلى الزعماء المحليين الذين كانوا يحملون لقب شيخ مشايخ عجلون. في أواخر القرن الثامن عشر كانت عشيرة فريحات المذكورة أعلاه تتولى هذا المنصب؛ وفيما عدا ذلك كان السكان متروكين وشأنهم. وفي حال نشوب نزاعات بين العشائر أو

(1) عدد هذه النواحي اليوم ثمان: الكفارات، السرو، الوسطية مع عاصمتها الطيّبة، ويسميان معاً بني كنانة، بنو جهما مع إربد، الكورة مع تبنة، بنو عبيد مع الحصن، جبل عجلون مع عجلون وكفرنجة، المعراض مع سوف. وكما نرى فإن أسماء بعض هذه النواحي هي في الوقت نفسه أسماء عشائر ولكن يبدو أن الروايات المتناقلة الحالية لا تعرف شيئاً عن حملة الاسماء. هناك شيخ معروف من عهد فخر الدين هو الشيخ أحمد الكناني الذي كان في هذه المنطقة. العشائر الرئيسية في هذه النواحي هي اليوم (مذكورة بنفس التسلسل الذي ذكرت فيه النواحي):

العبيدات، الروسان، العزام، البطاينة، الشريدة، الخصاونة والنصيرات ـ هذان الاثنان في بني عبيد، الفريحات. وفي المعراض تتصارع عدة عائلات على الزعامة. وتجدر الإشارة إلى أن ناحية الرمثا تابعة أيضاً لمحافظة عجلون والعشيرة السائدة فيها هي عشيرة الزعبية.

القبائل كانت ترسل بين وقت وآخر بناء على طلب أحد الطرفين المتنازعين قوات إلى العجلون أو البلقا. ولكن هذه الحملات لم تكن تسفر عن شيء دائم. فقط أحمد الجزار، الذي كان بين عام 1784م وعام 1804م أربع مرات باشا دمشق وكان يحكم غرب شرقي الأردن بصفته باشا عكا، كان يقمع هنا أيضاً العناصر المشاغبة.

استمر هذا الغياب المريح للسلطة حتى مرحلة متقدمة من القرن التاسع عشر؛ فالوهابيون، الذين كانت طريق جيشهم إلى سورية تمر في وادي سرحان، أي خارج شرقي الأردن، لم يتدخلوا في ظروف البلاد بل اكتفوا بتعيين شيخ الكرك أميراً للبدو بين دمشق والبحر الأحمر. ولكن هذا الشيخ لم يأخذ واجباته الدينية على محمل الجد، حسبما يتبين من استمرار المعتقدات البدائية والطقوس التي يرفضها الوهابيون لدى بدو شرقي الأردن.

أبدى المصريون اهتماماً أكبر بشرقي الأردن على الرغم من أن احتلالهم له لم يحدث بصورة مخططة مسبقاً وإنما بمحض الصدفة. خلال الثورة الفلسطينية عام 1834م هرب جزء من الثوار من الخليل إلى الكرك. فتبعهم إبراهيم باشا إلى هناك. فاستسلمت الكرك بعد الهجمة الأولى وسقطت الصلت دون قتال. وعلى الطريق حوصر بنو صخر، الذين كانوا قد هاجموا الجيش المصري، وأجبروا على الاستسلام. وخلال الحكم المصري (1834 ـ 1840م) اتخذ عدد من الإجراءات لحماية الزراعة. وقد تمّ آنذاك إعمار العديد من قرى البلقا انطلاقاً من الصلت. ودخل إبراهيم باشا البلاد مرة أخرى على طريق انسحابه من سورية (بداية عام 1841م). وكان مضطراً إلى المرور في شرقي الأردن لأن فلسطين كانت بمعظمها محتلة من الأتراك. وقد تمكن سليمان باشا ("كولونيل" سيف Sève)، الذي أرسله إبراهيم باشا أمامه إلى سيناء، من نقل المدفعية بسلام، عبر ممر العقبة الشديد الانحدار، إلى مصر؛ وتمكن جزء آخر من قواته (قوات إبراهيم باشا) من التحرك بسلام من الكرك إلى غزة وذلك بسيره في بادئ الأمر إلى الغرب من نهر الأردن ثم بالانعطاف في مناورة خادعة نحو القدس. ولكن إبراهيم باشا نفسه أصيب في سيره على هذه الطريق بخسائر فادحة بسبب الإعياء والجوع والعطش وغارات البدو؛ إذ

إن الدليل الذي أخذوه معهم من الكرك قاد الجيش على طريق خاطئة!

بعد انسحاب المصريين عادت البلاد إلى حالتها السابقة. فقد فشلت محاولة الأتراك ترسيخ أقدامهم في معان التي كانت تنعم بنوع من الرخاء الاقتصادي نتيجة تجارتها مع البدو. في الستينات بدأ الأتراك يحققون نجاحاً في تقدمهم الحذر نحو البلقا معتمدين في ذلك على مساندة قبيلة بني حسن المقيمة في شرقي العجلون. وفي عام 1867م استولوا على الصلت وأذلوا آل عدوان. وبتأسيس مستوطنات شركسية[1] في عمان وجرش (1878م) بدأت عملية إعادة التوطين في البلقا التي استمرت بعد ذلك دون توقف. وبالاستيلاء على كرك (1893م) واحتلال المناطق الجنوبية (1894م) انتهت مرحلة غياب السلطة في شرقي الأردن التي استمرت أكثر من خمسمائة سنة.

في القرن التاسع عشر لم تحدث تقلبات كبيرة بين القبائل. بسبب دخول الأتراك اضطر بنو صخر (صخور) إلى الخروج من عجلون التي كانوا في السابق يزورونها كل عام. وفي البلقا وسعوا منطقتهم على حساب العدوان، بينما في الشمال لم يتمكنوا إلا بصعوبة من الوقوف أمام العنزة. ومنذ نهاية القرن تحوّل بنو صخر جزئياً إلى الحياة شبه البدوية بينما استوطنت العدوان بصورة متزايدة.

أدى بناء خط سكة حديد الحجاز[2] الذي وصل إلى معان عام 1902م، إلى شعور القبائل بالقلق لأنهم خشوا أن يخسروا الأرباح المرتبطة بقوافل الحج. إلا أن المبالغ السنوية التي تقرر دفعها لبني صخر والحويطات لقاء حماية الخط الحديدي هدّأت من قلقهم. وقد تمّ قمع الثورتين اللتين قامتا في شوبك (1905م) والكرك (1910م) دون صعوبات كبيرة.

(1) ستتحدث بتفصيل أوسع في الجزء الرابع عن الشركس وعن الجماعات التركمانية في شرقي الأردن. ومن العناصر الغريبة نذكر مجموعة سنوسية من شمال إفريقيا استوطنت قبيل الحرب في الطفيلة. أمّا الأرمن الذين نقلوا إلى هناك أثناء الحرب فلم يعودوا موجودين الآن.

(2) منذ وقت قصير أصبحت عمان متصلة مع بغداد بطريق سيارات.

لعبت قبائل شرقي الأردن دوراً مهماً في الحرب العالمية. فالنجاحات التي حققها الحلفاء هناك لم تكن ممكنة أبداً لولا المساعدة التي قدمها لهم شيخ الحويطات عودة أبو تايه. بدأت الحرب[1] بالنسبة لشرقي الأردن في ربيع عام 1917م عندما اشترك أبو تايه مع الشريف ناصر ولورنس في تلك الحملة الشهيرة التي تحركت من وجه على ساحل البحر الأحمر عبر وادي سرحان إلى العقبة. فقد أصبح ميناء العقبة في أغسطس/آب من ذلك العام القاعدة العسكرية للجيش الشريفي الذي يقوده فيصل ولمساعديه البريطانيين والفرنسيين، بينما حشد الأتراك قواتهم على الخط الحديدي حول معان. لكي يتمّ صرف نظر العدو عن العقبة قامت قوات عربية بقيادة مولود مخلص[2] باحتلال وادي موسى (البتراء) وأرسلت اللياثنة المقيمين هناك للاستيلاء على النقليات التركية الصغيرة التي تمر من هناك. فرد الأتراك على ذلك بمهاجهة الموقع العربي واحتلوه، لكنهم انسحبوا منه في نفس الليلة (أكتوبر/تشرين الأول 1917م). وبينما كانت القوة العربية الرئيسية تقترب من معان وتحاول عزلها عن طريق تفجير الخط الحديدي، تقدم الشريف ناصر، على الرغم من شدة البرد القارس، في الشراة واستولى في يناير/كانون الثاني على الطفيلة. قام الأتراك بهجوم معاكس انطلاقاً من الكرك ولكن الهجوم فشل. غير أنهم تمكنوا في مارس/آذار من طرد العرب.

في نفس الشهر أصبحت البلقا ساحة حرب حيث أن الإنجليز عبروا نهر الأردن وهاجموا عمان (معركة الصلت الأولى)، ولكن عبثاً. كما أن معركة الصلت الثانية (أبريل/نيسان ـ مايو/أيار 1918م) انتهت بانسحاب الإنجليز إلى وراء النهر؛ وقد تبين أن الأمل الذي علقوه على مشاركة بني صخر مشاركة فعالة هو أمل خادع؛ صحيح أن بني صخر شاركوا في معارك صغيرة في الصحراء لكنهم لم

---

(1) بخصوص الحملة التي سبقت ذلك في الحجاز انظر مقدمة الفصل الخاص بالحجاز.

(2) ضابط الخيالة التركي آنذاك، وهو من تكريت، والذي أسر في الشعيبة (انظر الجزء الأول، ص 229)، هو منذ أعوام طويلة رئيس البرلمان العراقي.

يكونوا مستعدين إطلاقاً لتعريض عائلاتهم وقطعانهم للخطر بالمشاركة في ثورة مكشوفة.

في هذه الأثناء كانت قوات خفيفة من الجيش العربي قد اتخذت من خط الجفر ـ باير ـ أزرق إلى الشرق من الخط الحديدي قاعدة لعملياتها؛ كانت الحويطات والصخور والسراحين (قبيلة منطقة الأزرق) يحمون هذا الخط ضد أي مفاجآت، بينما بدأت في الوقت نفسه قبائل صغيرة غربي الخط الحديدي بالتحرك. في سبتمبر/أيلول قُسمت الكتلة الرئيسية للجيش العربي المحتشد أمام معان إلى قسمين. تابع جعفر العسكري[1] محاصرة المدينة بينما توجه نوري السعيد[2] إلى الأزرق. وكانت هذه الحملة مقدمة الهجوم الإنجليزي في فلسطين الذي بدأ في التاسع عشر من هذا الشهر. بعد ذلك خلق هذا الجناح الشمالي للعرب لعملياته في منطقة درعا ارتباكاً مخيفاً في ظهر الجبهة التركية وحوّل الانسحاب التركي، بالتعاون مع الإنجليز المتقدمين عبر نهر الأردن، إلى كارثة حقيقية.

منذ نهاية سبتمبر/أيلول 1918م أصبح شرقي الأردن يُعدُّ جزءاً من «المملكة العربية» المقبلة وكان من المقرر أن يدار من قبل حكومة فيصل التي شكلت في دمشق. أمّا في الحقيقة فقد عادت البلاد، التي خرجت منها القوات الإنجليزية في نهاية عام 1919م، إلى حالة من الفوضى وغياب السلطة. وعندما سقط العرش السوري لفيصل في نهاية يوليو/تموز 1920م اتخذت حالة الفوضى هذه أشكالاً مزرية: في العجلون وحدها تشكلت أربع حكومات!

هكذا كان الوضع عندما وصل عبد الله أخو فيصل في بداية مارس/آذار

(1) ضابط تركي سابق من العراق حارب في شمال إفريقيا مع السنوسيين ضد الإنجليز ووقع في الأسر. تولى منذ عام 1920م عدة مناصب وزارية في العراق وأصبح رئيساً للوزراء. اغتيل عام 1936م.

(2) ضابط تركي سابق من بغداد، أسر أمام البصرة. منذ عام 1920م وزير ورئيس للوزراء عدة مرات.

1921م، على رأس قوة صغيرة، إلى عمان قادماً من الحجاز بهدف محاربة الفرنسيين. وبعد بضعة أسابيع وصل إلى دمشق وزير الخارجية الإنجليزي آنذاك تشرشل وعيّن عبد الله مسؤولاً عن إدارة شرقي الأردن على شرط أن يتخلى عن الدخول إلى سورية. وبذلك تأسست إمارة شرقي الأردن (وعاصمتها عمان) فعلياً؛ ولا نريد التطرق هنا إلى الجانب القانوني من المسألة.

على الرغم من أن شرقي الأردن كان دولة تحت الحماية البريطانية، بصفته جزءاً من منطقة الانتداب فلسطين، فقد مرّ وقت طويل إلى أن تمكن الإنجليز من فرض نفوذهم هناك. وقد سّهل هذه العملية أمران: الأول هو الضائقة المالية التي كانت تشهدها البلاد بسبب الفجوة الكبيرة بين وارداتها المالية المتواضعة من جهة ومتطلبات الإدارة العصرية للدولة من جهة أخرى، والثاني هو الضغط الذي كان إخوان آل سعود يمارسونه على شرقي الأردن. ففي عام 1922م وصلت غزوة من الإخوان إلى الطنيب (على بعد 16 كيلو متراً جنوبي عمان)، وفي عام 1924م وصلت غزوة ثانية إلى نقطة لا تبعد سوى 11 كيلو متراً عن عمان. ولم يتوقف الخطر القادم من شبه الجزيرة العربية إلاّ في نهاية عام 1925م بعقد اتفاقية الحدّة التي حددت الحدود الشرقية لشرقي الأردن؛ أمّا واحة كاف الواقعة في وادي سرحان والتي كان الأردن قد استولى عليها عام 1922م بعد غزوة طنيب فقد كانت من نصيب آل سعود. وظلت قضية الحدود الجنوبية، أي تابعية العقبة ومعان (الشراة)، مفتوحة. كانت العقبة على الدوام، والشراة منذ سقوط فيصل، "تدار" من الحجاز. عندما استولى آل سعود عام 1924/ 1925م على الحجاز احتل الإنجليز العقبة ومعان كجزء مزعوم من منطقة الانتداب البريطاني في شرقي الأردن على الرغم من أنهما أعلنا حيادهما في الحرب بين الشريف حسين وآل سعود. وما زال آل سعود حتى اليوم يطالبون بهذه المنطقة. ومنذ أن اعترفت الحكومتان، حكومة شرقي الأردن وحكومة السعودية، كل منهما بالأخرى (1933م) ساد الهدوء على الحدود. ولكن حتى ذلك الحين كانت الغزوات وغارات السلب والنهب لا تتوقف، كما أن الأمير عبد الله وأقرباءه قدموا الدعم للثورة التي اندلعت في الحجاز

عام 1932م. وليس معروفاً مدى تأثر قبائل شرقي الأردن بالدعاية الدينية الوهابية.

لم يلق تشكيل حكومة في شرقي الأردن أي ترحيب لدى القبائل وحتى في ذلك الوقت حيث كان النفوذ الإنجليزي غير ذي شأن. فقد حدثت عام 1921م في العجلون (الكورة) وفي الكرك والطفيلة اضطرابات استمرت عاماً كاملاً حيث قمعها بعد ذلك الجيش الأردني الصغير. أمّا ثورة العدوان عام 1923م فقد خنقت في مهدها بتدخل الطائرات البريطانية. وبعد ضم المنطقة الجنوبية تمرد اللياثنة في وادي موسى. ولكن هذا التمرد أيضاً أخمد بدون جهد كبير.

في الأعوام الخمسة عشر الأخيرة وقع شرقي الأردن أيضاً تحت تأثير الحركة السياسية الناهضة في جميع أرجاء العالم العربي. وتدور هذه الحركة، من الناحية الأولى، حول الصهيونية التي تحاول إيجاد موطئ قدم لها على الجانب الآخر من نهر الأردن، ومن الناحية الثانية، حول القضية العربية أي حول حلها بالمفهوم القومي أم بالمفهوم الإنجليزي. وبينما قرر الأمير عبد الله السير في ركب الإنجليز كان الشباب المتعلمون يريدون الحل القومي. كان عدد هؤلاء الشباب قليلاً جداً ولكنهم أخذوا يكسبون شيئاً فشيئاً تأييد جزء من السكان الحضر، وخاصة في العجلون، وتأييد البدو أيضاً. وفيما يتعلق بالبدو فإن الموقف السياسي يتأثر جزئياً بالعداوات القديمة بين القبائل. فعندما يكون العدوان مؤيدين للحكومة يكون الغنيمات، الذين يتنافسون معهم منذ القدم على الزعامة في البلقا، مؤيدين للخط القومي. في الكرك يقف آل المجالي إلى جانب الحكومة بينما يقف خصومهم الطراونة ضدها. أمّا شيوخ البدو الكبار فيبتعدون قدر الإمكان عن السياسة، لكن مثقال باشا من بني صخر يعدّ صديقاً لمفتي القدس، وحمد الجازي من الحويطات يؤيد الأمير عبد الله.

وعلى الرغم من أن العداوات بين القبائل ظلت مستمرة فقد فَقَدَ تكتل قبائل شرقي الأردن القديم في ثلاث مجموعات: أهل الشمال وأهل البلقا وأهل القبلي، كثيراً من وزنه. وقد كان هذا التكتل، كما يتضح من اسمه، ذا طبيعة جغرافية أكثر منها سياسية. ويعني تعبير أهل الشمال قبائل منطقة حوران الذين ينسب إليهم بنو

صخر أيضاً لأنهم كانوا في السابق يأتون إلى سهول حوران بصورة منتظمة. ويقابلهم أهل البلقا بقيادة العدوان، وأهل الجنوب وعلى رأسهم الحويطات.

إذا ما ألقينا مرة أخرى نظرة على ظروف وأحوال البدو في شرقي الأردن تتبين لنا الحقائق التالية:

تشكل سهول شرقي الأردن مثلثاً يشكل قاعدته خط العقبة ـ الطبيق ويشكل ضلعيه أطراف المرتفعات في الغرب ووادي سرحان. وتكفي هذه السهول لتوفير سبل العيش لقبيلتين كبيرتين تجد إحداها المراعي الصيفية في الشراة والأخرى في البلقا أو في سهول حوران. وحسب تركيبة الأرض ينبغي على القبيلة المتمركزة في البلقا أن ترحل في الخريف نحو الجنوب، والأخرى نحو الشرق لكي تجد المراعي اللازمة. هاتان القبيلتان هما اليوم بنو صخر والحويطات. وكانا قبل ذلك السردية وعمر، وفي العصور الوسطى بنو مهدي وبنو عقبة.

أمّا أطراف المرتفعات ذاتها فهي في الجنوب ضيقة جداً بحيث أنها لا توفر أي مأوى لقبائل أخرى فيما عدا البدو الرُحل الذين يبحثون هنا عن المرعى في الصيف. أمّا في الجبال، في الكرك وخاصة في البلقا، فهناك مكان وافر لقبائل صغيرة. وهم بدو يربون الأغنام ويحرثون الأرض ويستقرون فيها عندما توجد يد قوية تحمي الزراعة. وتجد القبائل الصغيرة والجماعات المتفرقة ملجأ لها في الغور أو في العربة، كما أن الحرة إلى الشرق من الأزرق هي منطقة نموذجية للانسحاب والاختباء.

بينما يشكل نهر الأردن حاجزاً بالنسبة لرحيل القبائل فإن مثل هذه الحدود غير موجودة في الشمال ولا في الجنوب. فالسردية والسرحان ـ وهما اليوم منبوذتان في الحرة القاحلة ـ وقبلهما المفارجة والمرا، كانوا يخيمون في حوران وفي سهول شرقي الأردن على حد سواء، وكان لبدو الجنوب على الدوام أقرباء يسكنون في شمال الحجاز. وهذه الحقيقة تشير إلى حدوث هجرة معاكسة للهجرة التي انطلقت عموماً من شبه الجزيرة العربية باتجاه الشمال. ويتعلق الأمر هنا ببني عطية الذين

أعيد جزء منهم إلى شبه الجزيرة العربية. فيما عدا ذلك فإن القبائل ترحل إلى هذه الجهة أو تلك حسب حاجتها إلى المراعي المتبدلة بين الصيف والشتاء. وينطبق هذا على شرقي الأردن أيضاً. فقد جاء بنو مهدي إلى البلقا وانحدروا هناك إلى بدو نصف رُحل وفلاحين. ويواجه بنو صخر مصيراً مماثلاً؛ لأن نهر الأردن يشكل عائقاً لا تستطيع اجتيازه ذهاباً وإياباً إلى فلسطين ومنها إلا مجموعات صغيرة. أمّا وادي عربة فإن بدو الشراة يعبرونه عندما يضيق بهم المكان نتيجة مجيء قبائل أخرى ويرحلون إلى مراعي غزة المباركة التي توفر لقطعانهم الكلأ في أعوام الجفاف والقحط: وقد مرّ على هذه الطريق في الماضي الأحيداث وبنو عطية وبنو عقبة ولخم. وكانت هجرات قبلية مشابهة قد حدثت في الماضي عند امتداد الدولة النبطية والدولة الإدومية إلى جنوب فلسطين.

نسبة البدو إلى مجموع السكان هي في شرقي الأردن أعلى كثيراً منها في سورية أو العراق، ناهيك عن فلسطين. يبلغ عدد سكان شرقي الأردن حالياً نحو 320,000 نسمة، منهم 30,000 نسمة بدو رُحل و100,000 بدو نصف رُحل و190,000 حضر إقامتهم ثابتة. إلاّ أن هؤلاء الحضر يعتبرون بمعنى ما بدواً أيضاً؛ إذ إن سكان المدن والفلاحين جنوب العجلون يشاركون البدو لغتهم وعاداتهم وشؤونهم القبلية[1]؛ علماً بأنهم ليسوا جميعاً من أصل قبلي بل إن جزءاً كبيراً منهم كان في الأصل من الحضر الذين انتقلوا شيئاً فشيئاً إلى حياة البداوة. وهذه ظاهرة لا مثيل لها بهذا الحجم في أي بلد من البلدان التي عالجناها حتى الآن. ومما يلفت الانتباه أن هذه العملية شملت المسيحيين أيضاً. ففي الصلت ومأدبا والكرك ينتظمون في قبائل ولا تقل قدراتهم القتالية عن قدرات جيرانهم المسلمين. وهذه الحقيقة يجب على المرء أخذها بعين الاعتبار إذا ما أراد معرفة أهمية البداوة بالنسبة لشرقي الأردن.

ومن ناحية أخرى كان لاحتكاك البدو مع الحضر ـ هناك تزاوج بين

---

(1) يستثنى من ذلك طبعاً المدن الجديدة مثل عمان.

المستوطنين والرُحل ـ تأثيره الواضح على البدو. ونذكر من أشكال هذا التأثير الإيمان بالمزارات والأشجار والقبور، وهو اعتقاد منتشر في شرقي الأردن بين البدو كانتشاره بين الفلاحين. ويجود أيضاً لدى قبائل شرقي الأردن تشكيلات لا يجدها المرء لدى القبائل الأخرى، نذكر منها، على سبيل المثال، أن عبّاد البلقا وبني صخر والحويطات ينقسمون في حالة الحرب إلى عدة أعلام على رأس كل منها عليم[1] بالوراثة.

يوجد لدى شرقي الأردن منذ عام 1930م وحدة عسكرية بدوية، خفر الصحراء، بقيادة الميجر غلوب باشا الذي يسميه العرب بسبب جرح في ذقنه "أبو حنيك". كان عدد أفراد هذه الوحدة عام 1937م نحو 800 رجل. وهي تتولى إضافة إلى المهام العسكرية والشرطية، شؤون القضاء وجباية الضرائب والشؤون المدرسية في الصحراء.

سنبدأ هذا الفصل بقبائل منطقة حوران مع الإشارة إلى أن السردية قد سبق وعالجناهم في فصل سورية. وبعد ذلك سننتقل حسب التسلسل الجغرافي إلى عجلون، والبلقا، والجبال، من الشمال إلى الجنوب.

(1) لسنا متأكدين من معنى الكلمتين العربيتين "علم" و"عليم"؛ إذ إن "علم" تعني حسب الزركلي، "عامان في عمّان"، ص 24، «النسق الحربي» ("الصف في المعركة") وتُقرأ عِلْم وليس عَلَم.

العيسى(1)(*)

تقتصر اليوم منطقة إقامة العيسى على الحرّة في جنوب شرق جبل الدروز، وكانوا في الماضي يصلون في الشمال إلى خط القوافل دمشق ـ بغداد ـ البصرة وفي الجنوب إلى منطقة الشرارات(2).

كان العيسى يحسبون في الماضي مع أهل الشمال أي مع بدو منطقة حوران. وكانت هذه المجموعة تشمل في الأصل بالإضافة إلى العيسى كلاً من السرحان والسردية والفحيلي. وبعد أن قام السرحان بإبعاد السردية من سهول حوران حلّ محلهم بنو صخر(3). ولقد فقد تعبير أهل الشمال في المائة عام الأخيرة أهميته لأن

---

(1) يسمون أيضاً: أهل عيسى.

(*) العيسى بطن من الفضل من عرب الشام من آل ربيعة من طي وكما يذكرها مؤلف كتاب تاريخ شرق الأردن وقبائلها. فردريك ح بيكه. عن القلقشندي وبلوغ الأرب والسويدي سبائك الذهب فهل هم نفس العيسى؟ وما يذكره المؤلف أوبنهايم عن البرغوثي عن وثيقة قديمة أنهم من طي أيضاً. ويذكر فردريك بيكه بأنهم تكوين من أربعة بطون هي: 1 . السويلم. 2 ـ العلي. 3 ـ الحويطة. 4 ـ الحريز. (ماجد شبّر).

(2) بوركهاردت، ص 20؛ ياوسن، ص 228 وما بعدها؛ انظر أيضاً: أوتينغ، الجزء الأول، ص 37، و107.

(3) وردت المجموعة بهذا التركيب عند روبنسون (1838م)، الجزء الثالث، ص 915. لا يمكن التحدث عن حلف أهل الشمال كما يقول بيكه ص 234 وما يليها، على الرغم من أن القبائل كان لها بطبيعة الحال مصالح مشتركة. وتجدر الإشارة إلى أن بوركهاردت يفهم تحت اسم «أهل الشمال» البدو السوريين عموماً.

الفحيلي اختفوا، والسردية أصبحوا عديمي الأهمية، وبني صخر أصبحوا مقتصرين على شرقي الأردن. إلاّ أن العيسى ما زالت تربطهم علاقات وثيقة مع بني صخر.

العيسى(1)

شيخ المشايخ: صقر بن ماضي(2)

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الماضي(3)	صقر بن ماضي(2)	130
2 ـ العلي(4)	جلاد بن هدبان	80

ملاحظات حول الجدول

1 ـ يذكرهم شبرنغر تحت رقم 153 مع 800 خيال و1500 راجل، وهناك قائمة تفصيلية موجودة عند بيكه، ص 238.

2 ـ تيريه: بدر ابن ماضي وعواد ابن ماضي، موزيل، الجزيرة العربية، ص 413: عناد ابن ماضي. ويذكر سيتزن (الجزء الأول، ص 405) من شيوخ العيسى القدامى الشاعر محمود ابن ماضي، ويذكر باوسن، ص 407:

رتعان بن ماضي. وتعتقد العائلة النبيلة ابن ماضي الموجودة في ناحية حيفا أن لها صلة قرابة مع رتعان بن ماضي. ولكن وثيقة قديمة موجودة عند البرغوثي تشير إلى أن عائلة ابن ماضي حيفا جاءت من غزة وهي تنحدر من بني هرماس (طي) الموجودين هناك.

3 ـ الوسم: ☰ بين العين والذقن و / على الذقن الأيسر.

4 ـ الوسم: CCC تحت العين و \ على الذقن الأيمن.

سرحان[1]

سرحان هي أقوى قبيلة في جنوبي حوران بعد بني صخر. ويعتقد بأنهم أخذوا اسمهم من وادي سرحان الذي ما زالوا حتى الآن يذهبون إليه في الشتاء والذي يتألف سكانه المقيمون في كاف وإثرا من بني سرحان.

لا توجد أي معلومات مؤكدة عن أصلهم. وليس لهم علاقة بفرع السرحان من قضاعة الذي يظهر في الأنساب العربية القديمة بين سليح وتنوخ أي أنه يعود إلى العصر القديم، وإنما ربما بسراحين القلقشندي (ص 96). ويقول بوركهاردت (ص 20) أنهم جاءوا من بلاد ما بين النهرين، لا بل إن أحد مصادرنا يعتقد أنهم جاؤوا من دبّي (على ساحل القراصنة قرب عُمان). إلا أننا في الوقت الحاضر وحتى إشعار آخر مضطرون إلى اعتبار وادي سرحان موطنهم الأصلي.

تدل الحكايات التي يتناقلها السرحان على أن القبيلة حاولت دوماً الخروج من هذه المنطقة القاحلة بالتوجه تارة نحو الشمال الغربي وتارة أخرى نحو الجنوب الشرقي: وفي بداية القرن السابع عشر[2] نجح السرحان في احتلال مركز قيادي في

(1) الجمع: سراحين، سراحنة.

(2) حكاية القبيلة المعروضة بالتفصيل عند بيكه، ص 234 وما يليها، موجودة عند بوركهاردت، ص 19، بالخطوط العريضة. فيما يتعلق بالتاريخ انظر المصدر نفسه: «قبل 200 عام».

حوران[1]. ولكنهم بعد وقت قصير طردوا من هناك على يد السردية. فعادوا على أعقابهم ووصلوا إلى الجوف حيث استولوا على هذه الواحة[2] التي لم يزل يوجد بين سكانها جماعات من السرحان حتى اليوم[3]. إلا أنهم بعد عقدين من الزمن طردوا نحو الشمال على يد العِنزة الذين كانوا آنذاك في طريقهم إلى سورية.

في القرن الثامن عشر شكل السرحان مجموعة تابعة للسردية، وفي القرن التاسع عشر لبني صخر الذين كانوا قد تلقوا دعماً منهم خلال قتالهم مع العِنزة.

يضم مجمع السرحان بعض الأجزاء الغريبة، من شمر والغازية، وهؤلاء الأخيرون (الغازية) هم بقايا قبيلة تعيش اليوم في العراق بينما كانت في العصور الوسطى تعيش في النفود وجبل شمر.

كان السرحان حتى وقت يعيشون رحّلاً. إلا أنهم كانوا قبل الحرب العالمية (الأولى) يقطنون في ثلاث قرى بين درعا والمفرق. ومنذ عام 1925م، حيث فقدوا الجزء الأكبر من قطعانهم في حملة سلب ونهب شنها عليهم الوهابيون، ما عادوا يرحلون سوى ثلاثة أشهر خلال فصل الشتاء إلى أرض الشامة وهي ظهر المرتفع المحاذي لوادي سرحان الأعلى من جهة الشمال الشرقي (موقع الماء الرئيسي: عين البيضا).

يبدو أن عائلة شيوخ السرحان، عائلة ابن رملة، التي يعتبر جدها عذية بن رملة[4] جدَّ القبيلة أيضاً (انظر أيضاً صيحات الحرب في الملاحظة 1)، قد انقرضت. أمّا عائلة الشيوخ الحالية، ابن كعيبر، فهي عائلة حديثة؛ إذ إن الرجل

(1) هذه المعلومة لا تتطابق مع المعطيات التاريخية التي لا تذكر قبل السردية سوى المفارجة كقبيلة سائدة في حوران؛ انظر الجزء الأول، ص 419، 420.

(2) هذه القصة تؤكدها حكايات عمرو في الكرك؛ انظر موزيل، الجزء الثالث، ص 74 وما بعدها.

(3) فالين، مجلة الجمعية الجغرافية، لندن، 1854، ص 141؛ موزيل، ص 126.

(4) انظر موزيل، الجزء الثالث، ص 75.

الذي أخذت العائلة اسمه، كعيبر ابن "منكد"، تولى الحكم بعد عام 1870م[1].

السرحان(1)

شيخ المشايخ: شبيب بن كعيبر

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الراشد(2)	ذوقان بن خثمان	160
أ ـ النوافلة(3)		
ب ـ الحمدان	شافي بن معيوف	
جـ ـ البعيج(4)	ضامن بن رافع	
د ـ الغنّام	حامد الجذمة	
هـ ـ المجاشعة(3)	يحيى بن مسروك	
2 ـ الهجل(5)	شبيب بن كعيبر	70
3 ـ الحباب(6)	هجوج بن بالي	130
أ ـ المسافر	مبادر بن بالي	
ب ـ بني سالم	سحم الحدب	
جـ ـ الدليم	محمد الدليم	
4 ـ العصم(7)	عقلان بن عنيزان	30

(1) إزابيل بورتن، الحياة الداخلية في سوريا The Inner Life of Syria، الجزء الأول، ص 69. يذكر لورنس ـ، ص 411، مطير بصفة شيخ المشايخ، ومفلح ابن "بني" (= بالي) بصفة العقيد.

ملاحظات

1 ـ الفروع 1 ـ 4 موجودة عند غارماني، ص 141. بوركهاردت، ص 19، يسمي فروع ابن رملة (انظر النص)، ابن رافع، وابن البالي (1 حـ، 3) وكذلك «الهبيلي». صيحة الحرب(*): راعي البويضة، ولد العذي! وحسب معلومات أخرى: بيضا عذيوي!

2 ـ الوسم: /// على الجهة اليمنى من الرقبة.

3 ـ شمر.

4 ـ بيكه: البعايجة. زعماً غضاورة (عنزة)، بما أن الإسم لا يرد حسب علمي في مكان آخر، لذا أضافهم مع السرحان. «لمزيد من التفصيل مراجعة ص503 ج3»..

5 ـ الوسم: على الجهة اليمنى من الذقن أو على الجهة اليمنى من الرقبة.

6 ـ الوسم: بين السالف الأيمن والعين.

7 ـ الوسم: على الجهة اليمنى من الذقن أو على أعلى الرقبة.

(*) تستعمل كلمة نخوة بمعنى صيحة الحرب وكما هو الحال في العراق تستعمل النخوة في الحرب وكذلك عندما تكليف شخص بمهمة أو طلب عون وتقول له أنا أنخيك أي من النخوة ويقول العزاوي، أن أصل الكلمة هو (انا أخوة) ومنه اشتقت (النخوة). (ماجد شبّر).

بني خالد

يرجع بني خالد شرقي الأردن أصلهم إلى قبيلة بني خالد الموجودة قرب حمص. وقد غادروا موطنهم الحمصي في القرن التاسع عشر بسبب نزاعات مع النعيم، وتوجهوا إلى الجولان حيث أقاموا فترة من الزمن تحت حماية الفضل، ومن هناك إلى منطقتهم الحالية شرقي العجلون[1]. ومما يؤكد هذه الرواية أن القبيلتين الفرعيتين الجبور (1) والنهود (3) ـ الأولى عام 1917م ـ عادتا إلى حمص[2].

وتجدر الإشارة إلى أن قبيلة بالاسم نفسه كانت تعيش في العجلون في العصور الوسطى. وقد هاجمها الصليبيون في عام 513هـ/ 1119م. وينسبها ابن الأثير (المجلد العاشر، ص 390) إلى طي[3]. أمّا المؤرخون اللاحقون فيعرفون بني خالد كفرع من بني مهدي في البلقا[4].

---

(1) حسب بيكه، ص 213.

(2) انظر الملاحظة 9 المتعلقة بجدول بني خالد، الجزء الأول، ص472 وما بعدها.

(3) انظر قلقشندي، ص 204: "بنو خالد فرع من الغازية" (طي)؛ انظر أيضاً جهان نيما، ص 553.

(4) حمداني في صبح، الجزء الرابع، ص 213. حسب مصادر أخرى ينتمي هؤلاء لبني خالد إلى بني عقبة. وليس معروفاً كيف ينظرون إلى بني خالد الحجاز (صبح، الجزء الرابع، ص 205، 284).

تمتد منطقة بني خالد من درعا حتى سيل الأزرق ومن الغور حتى الفدين. وتمارس القبيلة الفرعية هديان الأعمال الزراعية في خربة حوشة (أربع ساعات جنوب درعا)، بينما يعيش بقية القبيلة حياة البدو الرُحل ويرافقون بين حين وآخر الروله إلى الصحراء. ويربي بني خالد الإبل لأغراض النقل الخاص بهم ولتجارة الملح التي تشكل مصدراً مالياً هاماً لبني خالد وبني صخر والسرحان. ويقوم البدو المشتركون في تجارة الملح برحلتين كل شهر إلى قرى الملح في وادي سرحان (ومنها قرية بليدات التي لا تسمى كما هو مألوف قريات الملح) تستغرق كل رحلة (ملحة) ستة أيام سيراً على الأقدام، ويتقاضون فيها مجيدياً واحداً لقاء حمولة الجمل الواحد (10 مدّ، 9 أرطال). ويباع الملح في قرى حوران وعند البدو وحتى في دمشق.

سوق بني خالد هي إربد. ويخيم شيخ القبيلة منصور بن فارس غالباً في منطقة الزمل جنوب درعا. وهو يتمتع بسمعة رفيعة كحكم لحل الخلافات ويحمل لذلك لقب "البتّور"، أي الرجل ذو القرار القطعي.

يعتبر بني خالد(*) في شرقي الأردن أنفسهم كأبناء عمومتهم في حمص من أحفاد خالد ابن الوليد (انظر الجزء الأول، ص 465). لا بل إنهم يقدمون له الأضحيات: يقوم صاحب كل قطيع بذبح خروف واحد تكريماً لخالد بن الوليد ويوزع لحمه على الفقراء. ويصل عدد هذه الأضحيات إلى 500 أضحية كل عام.

(*) بني خالد ينتمون إلى عقيل وكما هو حال أبناء عمومتهم بني خالد في الجزيرة العربية، وليس لهم علاقة نسب بخالد بن الوليد. راجع ص197 الجزء الثالث من هذا الكتاب (ماجد شبّر).

بني خالد(1)

شيخ المشايخ: منصور بن فارس القاضي

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الجبور			150
أ ـ الحديان والقضاة	منصور القاضي		
ب ـ الدعّاس(2)	ذياب الدعّاس		
جـ ـ السليم	عقيل السليم		
د ـ المبيّض	ذياب إسماعيل؛ سليمان الكنج		
هـ ـ السعيد	باير السعيد		
و ـ الطرشان		الجولان	
ك ـ النبيط	سليمان الظاهر		
2 ـ الصبيحات			140
أ ـ العطين(3)	بخيت العطين		
ب ـ النميّم	رشراش النميّم		
جـ ـ الغبية	ذياب الغبية		
3 ـ النهود			130
أ ـ الحسين	حوران الحسين		
ب ـ الرملي	ذياب الرملي		
4 ـ النعير(4)	أحمد بن صالح بن نعير	الغوطة	

ملاحظات

1 ـ إضافة إلى ما جاء عند البرغوثي هناك معلومات من عام 1925م. ويذكر بيكه، ص 213 وما بعدها، عدداً من الفروع الأخرى. صيحة الحرب: راعي البويضة! الوسم: ؟ تعلّم الأغنام، كما هو الحال لدى نعيم الجولان، بجروح أو ما شابه، ولكن على الأذن اليسرى (عند نعيم على الأذن اليمنى). أمّا أهم العلامات فهي التالية: ثقب بسيخ حام (فتخة)، جرح في الزاوية الحادة (جاز)، جرح على طول الأذن شقة)، قصّ نهاية الأذن (قطشة). إضافة إلى ذلك هناك علامتان تشبهان الوسم: // (مطاريق) و H (داغ).

2 ـ انظر جدول بني خالد في فصل سورية.

3 ـ بيكه: العطنة.

4 ـ هاجروا في نهاية القرن الماضي بقيادة صالح بن نعير إلى الغوطة.

صخور الغور

لقد عالجنا في الفصل السابق قبائل الغور الأعلى من نقطة خروج نهر الأردن من بحيرة طبرية حتى خط العرض بيسان، وذلك لأن الضفة الشرقية للنهر تابعة أيضاً على هذا المقطع لفلسطين (سياسياً). ولكننا لـم نتطرق إلى صخور الغور لأنهم، جزئياً على الأقل، يعيشون على أراضي شرقي الأردن.

يعدّ صخور الغور اليوم فرعاً منفصلاً عن بني صخر صخور[1]. ولكن هناك شهادات[2] تثبت وجودهم في العجلون في عام 905هـ/ 1499م، بينما لم يأت أبناء عمومتهم في البلقا إلى شرقي الأردن إلا بعد قرنين من ذلك التاريخ. وما وصلنا من أخبار لاحقة عن صخور الغور يعود إلى نهاية القرن الثامن عشر[3]. في عام 1850م كانوا من أتباع عقيلة آغا[4].

القرى الرئيسية للقبيلة هي الشونة والعدسية (القرية الشتوية) الواقعة إلى

(1) انظر، على سبيل المثال، بيكه، ص 311، الذي يضعهم مع الخرشان (ب 2) والغيالين (ب 1 ـ ب).

(2) ابن طولون، 47، 58. عمري يعرف بني صخر بين حلفاء مرا الذين يخيمون في حوران.

(3) مايو، الجزء الأول، ص 108؛ وصف مصر، الجزء 16، ص 124؛ انظر سيتزن، الجزء الأول، ص 346؛ بوركهاردت، ص 21؛ تريسترام، بلاد إسرائيل، ص 491.

(4) انظر ص 55 وما يليها أعلاه.

الشمال منها، وفي زمن سابق كانوا يسكنون أيضاً في الدلهمية على نهر الأردن[1].

صخور الغور(1)

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ اللبون(2)	مشوّح ابو اللبن	45
2 ـ الطهيرات(3)	سالم العبدالله	25
3 ـ الوذيان(4)	محمد الجبر	5
4 ـ المراونة(4)	مطر عبد الوالي	20
5 ـ القضاة(4)	فليّح العلى	10
6 ـ القيّام(4)	خليل الحامد	12
7 ـ العدسية(5)	توفيق فياد الشمدين	38

ملاحظات

1 ـ صيحة الحرب: البواسل! عدد المواشي: 7000 شاة.

2 ـ الوسم: على الخد الأيمن.

3 ـ الوسم: على الخد الأيمن.

4 ـ الوسم القديم: على الورك الأيمن. الوسم الجديد: جروح مختلفة.

5 ـ الوسم: /// على الجهة اليمنى من الرقبة.

(1) شتويرناغل ـ شوماخر، العجلون، ص 226 وما يليها.

الغزاوية[1]

يحمل الغزاوية اسم عائلة شيوخهم الذين يحملون منذ القدم لقب أمير. وحسب روايتهم المتناقلة جيلاً بعد جيل جاءت العائلة من غزة ـ ومن هنا جاء الاسم حسب زعمهم ـ قبل عدة قرون إلى صخرة في العجلون ثم انتقلت من هناك إلى الغور قبل حوالي 250 عاماً. وتتألف سلسلة نسب الأمير الحالي من الحلقات التالية: بشير بن حسن بن ظاهر بن عبد الله بن يعقوب بن محمد بن يعقوب بن نعيم بن حمد بن قانصوه ابن الأمير الغزاوي[2]. ويقال بأن جد العائلة حصل على لقب أمير من السلطان سليم. ولكن هذا اللقب يعود في الحقيقة إلى ما قبل العهد العثماني، حسبما جاء في تاريخ ابن طولون. كما أن الغزاوية ليس لهم أي علاقة بغزة، إذ إن ابن طولون[3] يحدد صراحة كتابة اسمهم بحرف (ز). ومن تاريخه ومن المصادر المتعلقة بتاريخ الزعيم الدرزي فخر الدين نحصل على الصورة التالية للأمراء الغزاويين منذ أواخر القرن الخامس عشر وحتى بداية القرن السابع عشر:

كان الغزاوي في القرن الخامس عشر معروفين تحت اسم العائلة: ابن ساعد.

---

(1) غزاوي هي النسبة من غازية، اسم قبيلة مرّ معنا من الصفحة 284 وما بعدها.

(2) تعرف شجرة نسب أمراء الغزاوي المذكورة عند بيكه، ص 312، نفس سلسلة النسب، لكنها تنتهي عند حمد.

(3) الحلقة 41.

وكانوا يحكمون العجلون والمناطق المحيطة بها. في عام 1498 حاول حاكم دمشق كسر نفوذهم ببناء حصن في صخرة. ولكن نتيجة هذا الإجراء لم تلب التوقعات: فقد خرجت من دمشق عدة حملات إلى بلاد ابن ساعد، وهي التسمية التي كانت تطلق على العجلون آنذاك، ولكن دون جدوى. وأخيراً عقد صلح (1511م) بين الحكومة وناصر الدين محمد ابن الأمير أبو سيف. . . ابن ساعد الغزاوي. وكان لناصر الدين علاقات جيدة مع كبار رجال الدين في دمشق. فقد كان يعدّ رجلاً تقياً ومحباً لفعل الخير، واشتهر بصورة خاصة برعايته للحجاج.

عندما احتل العثمانيون دمشق عام 1516م أرسلوا قوات إلى بلاد ابن ساعد[1]. وتشير حكاية القبيلة، التي تقول بأن السلطان سليم منح جدها لقب أمير، إلى أن الغزاوي رضخوا للظروف الجديدة دون معارضة. وعلى أي حال فقد احتفظوا بسلطتهم في العجلون: في بداية القرن السابع عشر كان يحكم هناك الأمير حمدان بن قانصوه[2] بن ساعد الغزاوي. وكانت له علاقات وثيقة مع الأمير الدرزي فخر الدين. وعندما قرر حافظ أحمد باشا حاكم دمشق في عام 1612م مهاجمة فخر الدين كان أول فعل قام به هو عزل الأمير حمدان. فحاول فخر الدين مساعدته على استعادة سلطته ولكنه تعرض هو نفسه في عام 1613م لضغط شديد من الأتراك اضطر على أثره إلى مغادرة موطنه. وليس معروفاً ما حدث مع حمدان بعد ذلك. وعندما عاد فخر الدين في عام 1618م قدم له ابن حمدان، أحمد ـ المسمى في سلسلة النسب أعلاه حمد بن قانصوه ـ الولاء وطلب منه مساعدته على استعادة منصبه، الأمر الذي توصل إليه فخر الدين فعلاً. وعلى الرغم من أن فخر الدين عيّن لبعض الوقت ابنه حاكماً لسنجق عجلون فإن علاقته الجيدة مع الأمير أحمد لم تتعكر. وقد قاتل الأمير أحمد وفخر الدين معاً ضد رجل ثالث يطالب بأحقيته في

---

(1) ابن طولون: 45، 68، 74، 71، 41، 76.

(2) بناء على ذلك يجب قراءة محبي، الجزء الرابع، ص 478، بدلاً من فارس «قانصوه»، أمير الحج فترة طويلة من الزمن، وأمير عجلون والمناطق المجاورة للكرك، نفس المصدر، الجزء الأول، ص 188، هو أبوه.



امير بشير الحسن، شيخ مشايخ الغزاوية (الى اليسار)، امير حسن الظاهر، (الى اليمين) شيخ الغزاوية، في الوسط احد العبيد (1919م).

الحكم هو الأمير بشير قانصوه، أحد أعمام أحمد، الذي تمكن عن طريق علاقته مع الحكومة من تثبيته عدة مرات حاكماً على عجلون (1621م ـ 1623م). وأخيراً تمّ التوصل إلى صلح بين الطرفين على شرط أن يعمل الأمير بشير نائباً لفخر الدين في العجلون. ومنذئذ لم يعد يرد ذكر الأمير أحمد[1].

لا تتوفر عن تاريخ العائلة بعد ذلك سوى بعض الملاحظات غير المترابطة. كان مقرهم الرئيسي في قلعة صخرة التي يوجد قربها اليوم مقبرة للقبيلة. وعلى القمة العليا لجبل عجلون، راس هرقلا، توجد كومة من الحجارة، تسمى رجم عبد العزيز، تذكر باغتيال أحد أفراد العائلة[2]. وكما ذكرنا أعلاه غادر الغزاوية الجبل قبل 250 عاماً ونزلوا إلى وادي الأردن. وحسب حكاية يرويها بيكه[3] حدث هذا تحت ضغط حلف كان يقف على رأسه ابن سعيفان شيخ المشالخة.

في الوقت الحاضر يسكن بعض الغزاوية في غور الأربعين بين وادي الطيّبة ووادي اليابس، ويسكن بعضهم الآخر على الضفة المقابلة. ويذكرهم في وادي الأردن لأول مرة بوركهاردت (ص 21).

حدثت قبل بعض الوقت نزاعات بين غزاوية غربي الأردن والصهاينة إلا أن الخلافات سويت فيما بعد.

صيحة حرب القبيلة: صبيان المرافيل[4]. يوجد لديهم نحو 2500 شاة و200 رأس من الإبل و70 رأساً من الخيول.

---

(1) أخبار الأعيان، ص 255 وما يليها، 279، 285، 294 ـ 298، 300 ـ 305، 318، 324 وما يليها ـ تولى إدارة العجلون في وقت لاحق باشا عثماني، جهان ـ نوما، ص 570.

(2) شتويرناغل ـ شوماخر، العجلون، ص 177، 255.

(3) يسمي بيكه الشيخ الذي هاجر الغزاوية بقيادته إلى الغور جبل بن أسدم (في شجرة العائلة "جبل" فقط، انظر ص 284 أعلاه، الملاحظة). ويبدو أن "جبل" خطأ مطبعي بدلاً من حمد، وأسدم ربما هو قانسوح، أو قانصوح.

(4) قد يكون هذا الاسم اسم أب ناصر الذي كان ناقصاً في الصفحة 284 أعلاه، وهو غير مقروء عند ابن طولون.

الغزاويّة(1)

شيخ المشايخ: الأمير بشير الحسن الغزاوي(2)
منطقة السكن: غور الأربعين، غوربيسان

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ اليعقوب(3)		
أ ـ ناصر	الأمير نصار الشامخ	10
ب ـ كنعان	الأمير عبد الله الكنعان	8
جـ ـ ظاهر		12
2 ـ البدر	الأمير بشير الحسن	6
3 ـ الكليب		8
4 ـ الدبيس(4)	أحمد الشهاب	5
5 ـ الرباحنة(5)	محمد السليمان	30
6 ـ الكفارنة(6)	هزاع بن رحيّل	15
7 ـ العباسية(7)	ذياب أبو عطية	20
8 ـ قويسم (الراسية)	موسى الخشان	20
9 ـ الطويسات(8)	سليمان الحمود	15
10 ـ الحراوية	صالح بن حسن العواد	20
11 ـ الزينات	عبد الكريم أبو زينة	
قبائل ملحقة		
1 ـ الوهاب(9)	محمد الزناتي	15
2 ـ الجواهرة	عبيد الهنادي	30
3 ـ البواتي(10)	أحمد بن محمد السويركي	

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
4 ـ الهديبات(11)	سليمان الخليل	7
5 ـ العودات	معقاد بن عبد الله	5
6 ـ الشوبات(12)	محمد بن الزين	8

عبيد(13)

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ المشاعلة	سليمان أبو طوخ	20
2 ـ الطوخة	سليمان أبو طوخ	

ملاحظات

1 ـ دي برتو (1839م) عند ريتر، الجزء الخامس عشر، ص 439: الأمير بشير "الكساوح"، أي "قانصوه"؛ لونتش (1848م)، ص 99: الأمير ناصر عرار الغزاوي، انظر الصورة على الصفحة 146؛ روبنسون، أبحاث توراتية جديدة في فلسطين (1852)، ص 400: 310 خيالة وعدد مماثل من الراجلين. ياوسن، ص 403: 100 خيمة، الشيخ محمد.

2 ـ حل محله في هذه الأثناء الأمير محمد الصالح، أمّا غزاوية غربي الأردن فيقودهم محمد الزناتي (القبائل الملحقة 1). أشكنازي، ص 214.

3 ـ هذه هي عائلة الأمراء التي تتألف من فرع ظاهر (بن عبد الله بن يعقوب بن محمد بن يعقوب بن نعيم والخ...)، وفرع كنعان بن يعقوب بن نعيم، وفرع ناصر. وقد يتبعهم أيضاً بدر (2) وكليب (3). صيحة الحرب: راعي البلها، ولد الأمير! الوسم: [وسم] على الخد الأيمن.

4 ـ القبائل 4 ـ 7 من الغوارنة، صيحة الحرب: راعي البلها، صبي الأمير! وسم الدبيس: | (عمود) على الورك الأيسر.

5 ـ بيكه: من ريحا (أريحا). الوسم: ↑ على الورك الأيمن.

6 ـ بيكه: من غور الكفرين. الوسم: ╥ على الجهة اليمنى من الرقبة.

7 ـ بيكه: العبيسيّة، من قرية عبسي على الحولة. الوسم: | على الفخذ الأيسر.

8 ـ علامة o على الرقبة وعلى الكتف.

9 ـ هم نفس الوهايب المذكورين عند مايو، الجزء الأول، ص 96، ووصف مصر، الجزء 16، ص 122؟ ينحدر الوهاب، الذين يسميهم بيكه أولاد الزناتي، من النعيم أو من الحسن في حوران. صيحة الحرب عند الوهاب والجواهرة (2): راعي البويضة! وقد أخذت القبيلتان وسم الأمراء.

10 ـ مقيمون في الغور قبل الغزاوية. يرد ذكرهم عن بوركهاردت، ص 21، كقبيلة مستقلة. الوسم: / على الفخذ الأيسر.

11 ـ ينحدرون من السرحان، صيحة الحرب عندهم وعند العودات: البويضة!

12 ـ ينحدرون من فرع الجبور في قبيلة بني صخر.

13 ـ أحفاد عبدين اسمهما أبو مشعل وأبو طوخ أهداهما السلطان سليم للأمير الغزاوي الأول.

المشالخة

كان المشالخة، الذين أجبروا على التراجع اليوم إلى الزاوية الواقعة بين نهر الأردن والزرقا، يسيطرون في الماضي على مساحات واسعة من العجلون. وكان أحد شيوخهم، سعيفان[1]، يتمتع بحق جباية الضرائب في هذه المنطقة. وكان يملك قلعة الربض، وهي قلعة ضخمة بناها صلاح الدين ثم وسعها خلفاؤه من بعده، إلى أن انتزعها منه الفريحات[2] والخطاطبة[3].

ينتمي المشالخة، كما يتبين من صيحتهم للحرب "بني عقبة!"، إلى قبيلة من جذام بنفس الاسم. وهم يقولون أنهم هاجروا إلى المنطقة في فترة الفتح الإسلامي وينتسبون إلى جدهم الأول المنشلخ. وتزعم عائلة شيوخهم الفاعور أن لها صلة

(1) هل ابن سعيفان المذكور في الصفحة 286 أعلاه هو ابنه؟ وما هي علاقتهما، كليهما، بعائلة الشيوخ عمرو التي تحمل الاسم نفسه والتي جاءت إلى الغور في نهاية القرن السابع عشر؟ انظر الصفحة 368 أدناه. وتجدر الإشارة إلى أن السعيفات يرد ذكرهم في قائمة بيكه كقبيلة فرعية من الشالخة.

(2) بيكه، ص 297 وما بعدها: من بريح، جد هذه العائلة. أصبح الفريحات منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر يحملون لقب شيخ مشايخ العجلون ويملكون قلعة الصخرة (سيتزن الجزء الأول، ص 387). وما زالوا حتى اليوم أهم عائلة في جبل عجلون.

(3) الخطاطبة، في السابق في خربة الوحادنة واليوم في كفرنجة، كانوا قبل الفريحات العائلة السائدة في جبل عجلون، بيكه، ص 294.

قرابة مع فاعور الجولان (فضل) المشهورين.

المشالخة(1)

شيخ المشايخ: محمد سعيد الفاعور
المنطقة: غور الدامية

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الفاعور(2)	محمد سعيد	10
2 ـ الضميدات	عبد الله الذيّاب	10
3 ـ الربيع(3)	بندر الربيع(4)	
أ ـ عيلة صقر	بندر الربيع	8
ب ـ القبلان	هزاع النمر	4
قبائل ملحقة		
1 ـ الديّات(5)		
أ ـ الشحادات	محمد سليمان	10
ب ـ الرميضات	صالح السكر	15
جـ ـ الديّات	أحمد محمد النعيم	18
2 ـ الشطي(6)	عيسى السالم	20
3 ـ النجاروة(7)		
أ ـ المشاهرة	قاسم أبو نجرة	15
ب ـ المحسن	على المحسن	10
4 ـ العلاقمة(7)		
أ ـ العلاقمة	على الناصر	6

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
ب ـ العودات	حسن العلي	6
5 ـ الغراغير(8)	أحمد السلمان	
أ ـ الغراغير	أحمد السلمان	10
ب ـ الدروب	علي الخلف	5
6 ـ العوازم(9)	غايظ العوازم	10
7 ـ الجحيشات(10)	عودة الجحيشات	5

ملاحظات

1 ـ مايو، الجزء الأول، ص 94؛ شتويرناغل ـ شوماخر، العجلون، ص 227؛ بيكه، ص 270.

2 ـ صيحة الحرب: راعي الصبحة!

3 ـ صيحة الحرب: راعي العميشة!

4 ـ يعد منافساً قوياً لشيخ المشايخ.

5 ـ الوسم: [وسم] على الورك الأيمن. وهم أقرباء الحوارات الموجودين قرب عبّاد. جاء اسمهم من جدهم «أبو ديّة» الذي قطع له أخوه يده لأنه أراد الزواج من فتاة من العلاقمة المحتقرين كونهم من الغوارنة.

6 ـ كانوا يسكنون جنوباً في غور عدوان ولذلك يسمون غوارنة.

7 ـ الوسم: [وسم] على الخد الأيمن.

8 ـ الوسم: [وسم] على الورك الأيمن.

9 ـ يعملون لدى الفاعور.

10 عبيد سود للضميدات.

البلاونة

إلى الشمال من أبو عبيدة، حيث يوجد قبر القائد العسكري العربي القديم أبو عبيدة ابن الجراح، يحمل منخفض وادي الأردن اسم غور البلاونة نسبة إلى قبيلة ينتمي أجدادها إلى قبيلة بلي المقيمة في الحجاز. وقبل أن يستوطنوا في منطقتهم الحالية كانوا يسكنون أبعد شرقاً في قريتي المجدل والجزازة، وقبل ذلك في غور غرين عند العدوان. ولذلك لم تزل لهم علاقات مع قبائل البلقا الذين كثيراً ما يذكرون معهم[1]. البلاونة قبيلة مستقرة؛ لديهم 9000 رأس من الغنم، و80 رأساً من الإبل، و60 رأساً من الخيول، و2190 رأساً من الثيران والحمير. صيحتهم للحرب: صبيان بلي!

(1) بوركهاردت، ص 21؛ سلمان، عند ترير، ص 219.

البلاونة

شيخ المشايخ: موسى السلمان

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المخالدة(1)	موسى السلمان	شفا الغور	50
أ ـ العمارات			
ب ـ الزنيمات			
2 ـ الخناطلة(2)	محمد الذوقان	عمّتا؛ راجب؛ كفرنجة	50
3 ـ الفقرا(3)	محمد الفقير	عمّتا؛ راجب؛ كفرنجة	50
4 ـ الرياحنة	فلاح الخلف	عمّتا؛ راجب؛ كفرنجة	20
5 ـ العلاونة(4)	أحمد الرويعي		20
قبائل ملحقة			
1 ـ النعيم(5)			5
2 ـ القريشات(6)			6
3 ـ العوشة(7)			8
4 ـ الموايحة(8)			

ملاحظات

1 ـ بيكه، ص 294: المخادلة. الوسم: C على الخد الأيمن.

2 ـ الوسم: /O (مطرق وفتخة) على الفخذ الأيسر، الغنم على الأذن اليسرى.

3 ـ كانوا في السابق من الدراويش وكانوا بالتالي يتمتعون بشيء من القداسة.
الوسم: // على الجهة اليمنى من الأنف.

4 ـ عبيد سود للفقرا انضم إليهم عدد من عبيد الفايز، عائلة شيوخ بني صخر.

5 ـ من القبيلة المعروفة في الجولان.

6 ـ عناجرة.

7 ـ من العائلة النبيلة المعروفة دار أبو غوش في قرية العنب قرب القدس.

8 ـ من فرع الشوابكة في البلقا الذي يحمل الاسم نفسه. كانوا في السابق من أتباع ابن فريح؛ انظر المقدمة الخاصة بالمشالخة.

بني حسن

يشغل بني حسن المنطقة الواقعة جنوبي العجلون. وهم أكبر مربّي الأغنام في شرقي الأردن، لكنهم يعملون في الزراعة أيضاً. ويقدر عدد مواشيهم بـ 100,000 شاة و2000 رأس إبل و600 رأس من الخيول. وكانت القبيلة تخيم في السابق على الجانب الآخر أيضاً لنهر الزرقا؛ وقد التقى بها باكينغهام (عام 1816م) في وسط البلقا[1]. كما أن مزارهم الرئيسي "الولي حضرة الشمعوني" يقع جنوبي الزرقا[2].

بني حسن خليط غير متجانس من مختلف العائلات ذات المنشأ القروي والتي تنحدر غالباً من جنوبي البلاد. يقال بأن الحراحشة (آ 1) جاؤوا من قرية طفيلة. وتزعم القبيلة الفرعية الخوالدة (من عيمة) أنها تنتسب إلى جعفر الطيار الذي قتل في العام الثامن للهجرة في معركة مؤتة ضد البيزنطيين؛ ومن الممكن أن يكون لصيحة الحرب عند بني حسن: "جعافرة!" علاقة بهذا النسب. وتزعم قبيلتان فرعيتان آخريان، وهما العموش والمشاقبة، أنهما تنتسبان إلى شاعر النبي حسان ابن ثابت. وقد، جاء أجدادهم من نفس القرية التي جاء منها الحراحشة. سياسياً يبدو أن بني حسن مؤيدين للروله[3].

---

(1) باكينغهام، رحلة ما بين القبائل العربية، Travels among the Arab Tribes، ص 86.

(2) شتويرناغل ـ شوماخر، العجلون، ص 231.

(3) بهذا الشكل يمكن تفسير أقوال شوماخر التي فهمها شتويرناغل خطأ (نفس المصدر، ص 231 وما يليها).

تنقسم القبيلة إلى مجموعتين هما: الهليل والثبتة. الوسم عند الهليل: الهلال ں. وعند الثبتة: ╲ .

بنى حسن(1)

آ ـ الهليل

شيخ المشايخ: محمد العيطان الحرحشي

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحراحشة(2)	محمد العيطان	ققفقا؛ جبا؛ رحاب؛ قصير الحلابات	
أ ـ الحراحشة(3)	منصور الحرحشي		180
ب ـ الفقرا (البلاليط)(4)	باير الفقير		70
جـ ـ الدلابيح	فواش العبد		60
د ـ الزبون	طحان السليم		140
هـ ـ العكاليك(5)	منصور المطر		70
2 ـ الخزاعلة(6)	محمد الكايد أخو رشيدة	الدجينية؛ المصطبة	
أ ـ الشوحة	توفان اخو شيحة		180
ب ـ القرعان	طلاع الاقرع		100
جـ ـ رشيدات	محمد الكايد		80
د ـ العراقبة	سلامة العلى		80
3 ـ الخوالدة(7)	عليان بن حسين العلى		80
أ ـ الخوالدة	سالم الصالح		150

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الفيفلى			
2 ـ الحرازنة			
3 ـ الخليل			
4 ـ الغصون			
5 ـ الضيافلة			
6 ـ الرديسات			
ب ـ الزواهرة	مسعود العلي		160
1 ـ الجوامسة			
2 ـ الأحمد			
3 ـ القوادرة			
جـ ـ الخلايلة(8)	مكيد الشرقى		240
1 ـ المعمّر			
2 ـ الربابعة			
3 ـ الفلاح			
4 ـ القطيفات			
قبائل ملحقة			
العناجرة			

ب ـ الثبتة

شيخ المشايخ: مرزوق بن قلاب

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العموش(9)	مرزوق القلاب	المدور؛ البويضة؛ العالوك	
أ ـ القلاب	مرزوق بن قلاب		90
ب ـ الموسى	سليم الداود		
جـ ـ العويسات	موسى المقبل		
د ـ الحسبان	خليل الساري		40
2 ـ المشاقبة(10)	شهوان الدغمي	بلعمة: البويضة قصير الحلابات	400
أ ـ عيال سمير	مغير الطالب		
ب ـ السلوق	مطلب السلقي		
جـ ـ السويلم	سويلم الشريد		
د ـ العليمات	راشد الحسين		
هـ ـ الثوابتة	راشد الحسين		
و ـ العمارين			
1 ـ القوعان	علي بصوص		
2 ـ البصايصة	علي بصوص		
3 ـ الجرايدة	علي بصوص		
4 ـ الفليحات	علي بصوص		
5 ـ السمامقة	علي بصوص		

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
6 ـ الحوامدة	سالم الأحمد		
3 ـ الزبود(11)		بلعمة؛ البويضة؛ الازرق	
أ ـ النواصرة(12)	سعود الحمدان		180
ب ـ الغويريين(13)	ذيب الخلف		160
جـ ـ الصغيّريين	عواد الصالح		
د ـ الجنادي(14)	قبلان الحمد		
هـ ـ المعلى(15)	سلمان المجبّل		
و ـ الشديقات	الياس أبو شديق		150
1 ـ الحماد			
2 ـ العبدالله			
3 ـ الدعاس			
قبيلة ملحقة			
نوابلسي			

ملاحظات

1 ـ يرد ذكر القبيلة في "وصف مصر"، الجزء 16، ص 126. وهناك قوائم موجودة عند شتويرناغل ـ شوماخر، العجلون، ص 238 وما بعدها. ياوسن، ص 402؛ تريير، ص 217؛ بيكه، ص 333 وما بعدها.

2 ـ صيحة الحرب: خيال الصفر !1

3 ـ الوسم: / على الخد الأيسر و ○ على الأذن اليسرى.

4 ـ بيكه: بلّوط الفقير، المنحدر من كثربة.

5 ـ بيكه: أبو عكليك، المنحدر من موته.

6 ـ وسم إضافي: ○ على الأذن اليسرى. صيحة الحرب: راعي العليا!

7 ـ صيحة الحرب: الصعبة!

8 ـ من جبل الخليل، أي من جبال مدينة الخليل.

9 ـ صيحة الحرب: راعي المليحة! جد القبيلة: عمشي (بيكه: عمش).

10 ـ صيحة الحرب كالسابقين. جد القبيلة: مشاقب (بيكه: مشقب)، أخو عمشي.

11 ـ يزعمون أنهم من بني زيد الذين تسمى المنطقة الواقعة شمال القدس باسمهم. صيحة الحرب: راعي الدعمة! وتروى عن ذلك القصة التالية: كان جد القبيلة يركب في معركة الانتصار على العدوان فرساً دغماء، أي فرساً رأسها بلون أغمق من بقية الجسم.

12 ـ بيكه: من قرية في حوران. الوسم، وأيضاً للفرعين حـ، د: (ن) على الجبهة.

13 ـ بيكه: من غور الصافي. الوسم: ♀ على الأذن اليمنى.

14 ـ بيكه: الحناده.

15 ـ الوسم: / على الجبهة اليمنى من الأنف وعلى الأذن اليمنى.

العدوان

يتزعم العدوان قبائل البلقا، وهم مجمع حديث التشكل. وقد نشأ هذا المجمع من عائلة شيوخ بنفس الاسم استوطنت في القرن السابع عشر في البلقا ثم تولت في القرن الثامن عشر حكم هذه المنطقة.

أصل هذه العائلة غامض. قد يميل المرء إلى نسبها إلى قبيلة بنفس الاسم كانت تسكن في العصور الوسطى في شمال الحجاز[1] وهي اليوم منضمة إلى ضفير التي تتنقل اليوم على حدود نجد والعراق (انظر المقال الخاص بذلك في الجزء الثالث). وبالفعل فإن الخبراء المحليين في شؤون البدو كالبرغوثي، وأحد مصادر بيكه. يتبنون هذه الفرضية. ولكنها رغم ذلك فرضية مرفوضة لأنها تتناقض مع روايات العدوان أنفسهم ومع المراجع القديمة[2]. ويروي العدوان عن أصلهم ما يلي[3]:

(1) حمداني عند القلقشندي، ص 289؛ صبح، الجزء الرابع، ص 209؛ راجع هنا الجزء الأول، ص 505.

(2) كما أن قبيلتنا هنا لا علاقة لها بالعدوان الذين عالجناهم في فصل بلاد ما بين النهرين، الجزء الأول، ص 356 ـ 349.

(3) بيكه، ص 166 وما يليها؛ وبالتفصيل مع بعض الاختلافات عند كوندر (1881/1882م)، Health and moab، ص 318 وما بعدها؛ وبعض الأفكار المنفردة عند البرغوثي الذي يتجاهل القضية الرئيسية لأنها تتناقض مع فرضيته المذكورة أعلاه، بينما يعرضها بيكه في القسم الإحصائي من كتابه (ص 268 وما بعدها) دون أن يتعرض إلى تناقضها مع رواية القبيلة.

عندما كان المهداوي يحكم البلقا هاجر إلى هذه المنطقة أخوان، فايز وفوزان[1]، وسكنا قرب السامك (شرقي حسبان) بين قبيلة القرضة[2]. أحد الأخوين توفي باكراً، أمّا الآخر[3] فقد تزوج ابنة شيخ القرضة ورزق منها ابناً سماه عدوان[4]. تزوج عدوان فتاة من عائلة المهداوي[5]. فولدت له ولدين: حمدان وصبح. دخل حمدان في حاشية الأمير جودة المهداوي وشارك في حملاته الحربية. وقد برز في خدمته إلى درجة أنه أصبح له بعد وقت قصير حاشية خاصة به تتألف من رجال سمّوا حكم الأمير[6]. ولم يمض وقت طويل حتى نضجت في ذهنه فكرة إسقاط سيده.

ولفهم الحكاية يجب أن نتحدث قليلاً عن عائلة الأمراء تلك: جاء اسمها، المهداوي، من بني مهدي وهم قبيلة من جذام كانت في العصور الوسطى تتنقل من

---

(1) كوندر يذكر بدلاً من الأخين: "فوزان بن السويت" من قبيلة ضفير في نجد. ومن الممكن أن يكون هذا الاسم ("سويت") قد اشتقه خبراء النسب البدو من صيحة الحرب القديمة للعدوان: صويتات! وهذا يبدو شرق أردني. إذ إن صويت هو اسم قديم (ذكره الدمشقي عام 1300م) للبادية المحاذية للعجلون من جهة الشرق، وما زال سكان هذه المنطقة حتى اليوم يستعملونه كصيحة حرب (بيكه، ص 301: الصويت، صيحة الحرب عند أهالي الرمثا. وإنه لأمر طبيعي أن يكون النسابون البدو قد ألصقوا اسم "السويت" بالضفير، لأنهم بذلك ينسبون العدوان إلى عائلة شيوخ الضفير المشهورة التي تحمل هذا الاسم: السويط.

(2) بيكه: "كنده" (!). تحوير اعتباطي، انظر هذه الصفحة (303)، الملاحظة 6.

(3) بيكه: فايز؛ كوندور طبعاً: فوزران.

(4) كوندر: ولدان، صالح وجديد. أي أن اسم عدوان غير موجود.

(5) هذه القرابة مختلقة أيضاً؛ إذ إن كوندر يقول (نفس المصدر السابق) أن أجداد شيخ العدوان نمر بن قبلان (توفي 1822/ 1823م) لم يتزوجوا إلا من القرضة وأن نمر كان أول من تزوج فتاة من بني صخر، أي من خارج القبيلة. وراجع أيضاً سيتزن، الجزء الثاني، ص 304: انظر ص78 أعلاه، يتصاهرون مع "العدوان"، والمثال المذكور هناك، وكذلك وصف مصر، الجزء السادس عشر، ص 124: ... أو العدوان)!

(6) بيكه: "هؤلاء هم القرضة". وبما أن هؤلاء قد أضيفوا الآن إلى الرواية، فقد استعيض عنهم أعلاه (الملاحظة 2، ص 303) بـ "كنده".

البلقا حتى باير[1]، والصوان، والطبيق. ويجب أن يكون اتحادهم قد ضعف في وقت مبكر، إذ إن الإمارة وزعت فيما بين الشيوخ الأربعة في النصف الأول من القرن الرابع عشر[2]. في العهد العثماني كانت منطقة بني مهدي تقتصر على البلقا[3]. وفي القرن السابع عشر، الذي تدور فيه أحداث قصتنا، لم يبق للقبيلة أي وجود، ولكن الذي بقي هو عائلة الشيوخ، أو بالأحرى عائلة الأمراء. سمت العائلة نفسها المهداوي[4] (المهادوة) وحكمت قبائل البلقا التي كان بينها بعض القبائل التي كانت تنتمي في الماضي لمجمع بني مهدي، ومنها العجارمة.

يظهر جودة المهداوي في الحكاية كحاكم ظالم: في أحد الأعوام طلب من رعيته كالعادة أن يحرثوا له أرضه. فجاء الرجال ومع كل منهم زوج من الثيران، لكن رجلاً واحداً كان معه ثور واحد فقط. فغضب الأمير غضباً شديداً وأمر بربط الرجل محل الثور. وتروى نهاية الطاغية على الشكل التالي: كان جودة يريد الزواج من ابنة القس المسيحي فحيص[5]. فتردد الأب في بادئ الأمر. وأخيراً ذهب إلى العدواني[6] وطلب منه النصيحة. فاقترح العدواني على القس أن يتظاهر بتلبية رغبة الأمير ويطلب منه طلب يد الفتاة رسمياً حسب العرف والعادة. وعندئذٍ سيتم قتله. قبل القس الاقتراح. فجاء جودة مع رجاله بصفة خاطب إلى الجماعة (الاجتماع

(1) صبح، الجزء الرابع، ص 213: باس.

(2) صبح، نفس المصدر السابق: علم: أعفر. التطابق مع طبيق يستخلص من ياقوت، ثجر، بسيطة، وقعبة العلم.

(3) جهان ـ نما، ص 553، ولكنهم هنا خلطوا مع الطرابية (بني حارثة). لاحظ أيضاً الاسم "جبل بني مهدي"، الدمشقي، ص 292.

(4) في قصر خزّانه توجد كتابة منقوشة من شخص اسمه عمر بن حامد المهداوي؛ وللأسف التاريخ غير مقروء. ياوسن وسافينياك، بعثة أثرية في البلاد العربية، الجزء الثالث، ص 104.

(5) "هنا توجد بقايا بناية ضخمة كان المسيحيون في بعض الأحيان يصلون فيها"، بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 356.

(6) بيكه، الذي يذكر نفس القصة مع بعض الاختلافات الطفيفة، يذكر لهذا الغرض عدوان بن حمدان. لكن هذه العلاقة ليست أصلية.

الذي كان يجب عليه أن يقدم نفسه فيه للعدواني) وقتل أشنع قتلة قبل أن يلامس الطعام.

استمرت الحرب بين العدوان والمهداوي حسب حكايات القبيلة[1]، ثلاثة أجيال. قاتل حمدان ضد جودة وسقط في المعركة. لكن انضمام العجارمة إلى العدوان رجح الكفة لصالحهم، وطرد المهداوية ـ بقيادة ضمان بن جودة ـ إلى الغور الأدنى. وأخيراً اضطروا إلى اللجوء إلى البلاونة. وعندما هزم العدوان البلاونة غادر المهداوية شرقي الأردن[2].

يبدو أن آخر أحداث هذه الحرب قد دارت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر؛ صحيح أن القائمة الموجودة في كتاب حملة نابليون (وصف مصر، الجزء 16، ص 126) تضع عرب المهداوي في البلقا، لكن رواية القبيلة تحدد طردهم في عهد الشيخ دياب الذي قتل أخوه الأصغر صالح، وهو أقدم رئيس للعدوان مثبت في المراجع الأدبية، في عام 1780م.

في هذه الأثناء كان قد ظهر على الساحة خصم جديد: بنو صخر. في بادئ الأمر كانوا يدفعون للعدوان رسوم رعي عندما كانوا يخيمون في الصيف في البلقا، ولكنهم بعد وقت قصير شعروا بأنهم أقوياء بما فيه الكفاية للامتناع عن الدفع[3]. ومنذ تلك اللحظة بدأت خلافات بين القبيلتين بلغت في عام 1810م درجة من الشدة والعنف جعلت باشا دمشق يرسل قوات إلى البلقا لتهدئة الوضع. تحت ضغط هذه

(1) تستمد هذه الحكايات مادتها من أسماء الأماكن. فتطلق اسم "شجرة المهداوي" على المكان الذي قتل فيه جودة، و"ضرسة مشهور" على المكان الذي توفي فيه مشهور بن ضمان، و "تل السعدية" على المكان الذي خيم فيه ضمان تحت حماية شيخ البلاونة، و"مخاضة كنعان" على معبر في الزرقا حيث قتل رجلان من عدوان، والخ....

(2) يسكن بقايا بني مهدي قرب طولكرم، وكذلك عند سقر والبشاتوة في وادي الأردن، وأيضاً في العجلون.

(3) ليس معروفاً كيف توصل بيكه إلى تاريخ هذا الحدث وحدده بعام 1730م. بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 368، يحدد تاريخ الحدث بعد ذلك بفترة طويلة.

القوات عقد صلح بين العدوان وبني صخر. ولكن بينما كانت القبيلتان تخيمان قرب عمّان أقنع الشيخ حمود الصالح الحاكم التركي والرولة المخيمين في الجوار بشن هجوم مشترك على بني صخر. إلا أن بني صخر صدوا الهجوم ولم يتكبدوا سوى خسائر طفيفة. وقد كلفت هذه الخيانة العدوان مركزهم: فقد تكاتفت غالبية قبائل البلقا مع بني صخر، وحتى الشيخ الثاني للعدوان، نمر، الذي كان قد تزوج فتاة من بني صخر، وقف أيضاً مع هؤلاء. وفي عام 1812م طرد العدوان عن طريق الزرقا إلى العجلون؛ وبدا آنذاك وكأنهم قد طردوا إلى الأبد من موطنهم[1]. لكن التبدل السريع، الذي تتميز به الظروف السياسية في البادية، أعطى هنا أيضاً مفعوله: قامت قبيلة عبّاد، المتحالفة مع بلدة الصلت، والتي مارست الحكم في البلقا في الأعوام التالية، بشن حملة للسلب والنهب ضد قرى حوران. فطلب المتضررون المساعدة من العدوان. فنصحهم شيخ العدوان آنذاك، دياب بن حمود، بأن يطلبوا من أهالي الصلت التوسط لهم عند العبّاد. قبل أهالي الصلت القيام بالوساطة. وعندما رفض العباد رغم ذلك إعادة القطعان المسروقة إلى أصحابها استغل دياب الاستياء الذي نتج عن ذلك في الصلت ضد حلفائه لكي ينفصل عنهم ويلتحق بالحلف الذي عقده مع بني حسن. عندئذٍ اضطر العباد إلى مغادرة البلقا، وعاد العدوان إليها. ولكن بعد وقت قصير تغيرت الظروف مرة أخرى بحيث أرغم العدوان على اللجوء إلى أعدائهم التاريخيين بني صخر. ووقفوا إلى جانبهم خلال الاحتلال المصري أيضاً[2]. رغم ذلك ظل هذا الحلف مجرد مرحلة عابرة في العلاقات بين القبيلتين.

(1) بوركهاردت، نفس المصدر السابق، ص 368.

(2) بيكه، ص 182.



مخيم عدوان عند نمرين

في عام 1867م قرر الأتراك تولي إدارة البلقا، معتمدين في ذلك على بني حسن. فدخلت قوات تركية إلى المنطقة، وفي نفس الوقت عبر بني حسن الزرقا. احتل الأتراك الصلت وأصلحوا القلعة الموجودة هناك وبنوا في نمرين وحسبان بيوتاً من الخشب لكي يسكن فيها بني حسن. ولكن ما ان غادرت القوات المنطقة، باستثناء حامية صغيرة في الصلت، حتى هاجم العدوان بني حسن. فتدخل الأتراك مرة أخرى واعتقل دياب شيخ العدوان[1]. ومنذئذ لم تتهدد سلطة الأتراك في البلقا مع أن الحرب بين القبائل ظلت مستمرة.

في بداية الثمانينيات انجر العدوان إلى حرب بين الأخوة دارت داخل قبيلة بني صخر. وبما أن شيخاً من بين صخر، سطم، قتل على يد رجل من العدوان، فقد

(1) منظمة اكتشاف فلسطين، لندن (الجزء الأول)، 1869م ـ 1870م، ص 299؛ في نفس المرجع، تقارير بقلم تشارلز وارن، ص 35 وما يليها، 67. نفس الكاتب في نفس المرجع، ملاحظات عن رحلة حتى نهر الأردن (1868م) ص 6.

ظل الارتياب القديم بين القبيلتين قائماً. وبعد الحرب العالمية تلقى وقوداً جديداً: قام الأمير عبد الله بدفع مبلغ كبير لمثقال باشا، شيخ مشايخ بني صخر، كتعويض عن الخسائر التي تكبدها عند صد الوهابيين عام 1922م. وقد أثار هذا الأمر حساسية زعماء القبائل الآخرين وخاصة سلطان باشا العدوان. فالتف حوله عدد كبير من العناصر غير الراضية عن النظام الجديد وحرضوه على الثورة. وبالفعل اندلعت الثورة في سبتمبر/أيلول 1923م ولكنها أخمدت على الفور بمساعدة الإنجليز[1].

انحصرت منطقة العدوان بين الأردن الأدنى في الغرب والزرقا في الشمال. وفي الشرق أصبحت محددة بخط يمتد من قلعة الزرقا عبر الكهف واليادودة والسامك حتى ماعين، ولكن المناطق المحاذية للحدود الشرقية كان بنو صخر أيضاً يطالبون بها. في الشتاء يرحل العدوان إلى الغور وفي الصيف يتجمعون حول الصويلح وحسبان.

يمارس العدوان الأعمال الزراعية أيضاً منذ قديم الزمان وخاصة في البقيعة[2]، وهي منطقة خصبة تقع شمال الصويلح. وهم اليوم في صدد الانتقال كلياً من الحياة نصف البدوية إلى الحياة الفلاحية المستقرة. وتشكل قطعان الأغنام الجزء الرئيسي من ملكياتهم[3].

في السابق كانت الصلت تدفع خوة للعدوان[4]، وكانوا يتقاضون أيضاً رسوماً عن السوق التي تقام في الخريف عند مزار النبي يوشع حيث كان تاجر من نابلس يشتري كربونات الكالسيوم التي يستخرجها البدو من رماد الخشب[5].

(1) الشرق الحديث، الجزء الثالث، ص 291 وما يليها.

(2) بوركهاردت، نفس المصدر السابق، ص 362، 396.

(3) استناداً إلى حجم ضريبة الماشية، سيتزن، الجزء الثاني، ص 330؛ بوركهاردت، نفس المصدر السابق، ص 369.

(4) تريسترام أرض إسرائيل، لندن 1866، ص 560.

(5) كان التاجر يدفع لشيخ العدوان خمسة قروش عن كل حمولة جمل، وقرشين لكاتبه وقرشين لعبده. بوركهاردت، نفس المصدر السابق، ص 354 وما بعدها.

لقد تراجعت قوة العدوان تراجعاً كبيراً حسبما يتبين من مقارنة بين عدد الخيام الحالي (310، بدون القبائل الملحقة 222) والأرقام التي يذكرها سيتزن (الجزء الثاني، ص 329 وما بعدها): 90 خيالاً من حملة الرماح، و1400 راجل.

عندما زرت العدوان عام 1897 برفقة دوق مقاطعة سكسونيا ـ كوبورغ وغوتا آنذاك، كانوا ما زالوا أقوياء[1]؛ وهم ما زالوا أغنياء حتى اليوم.

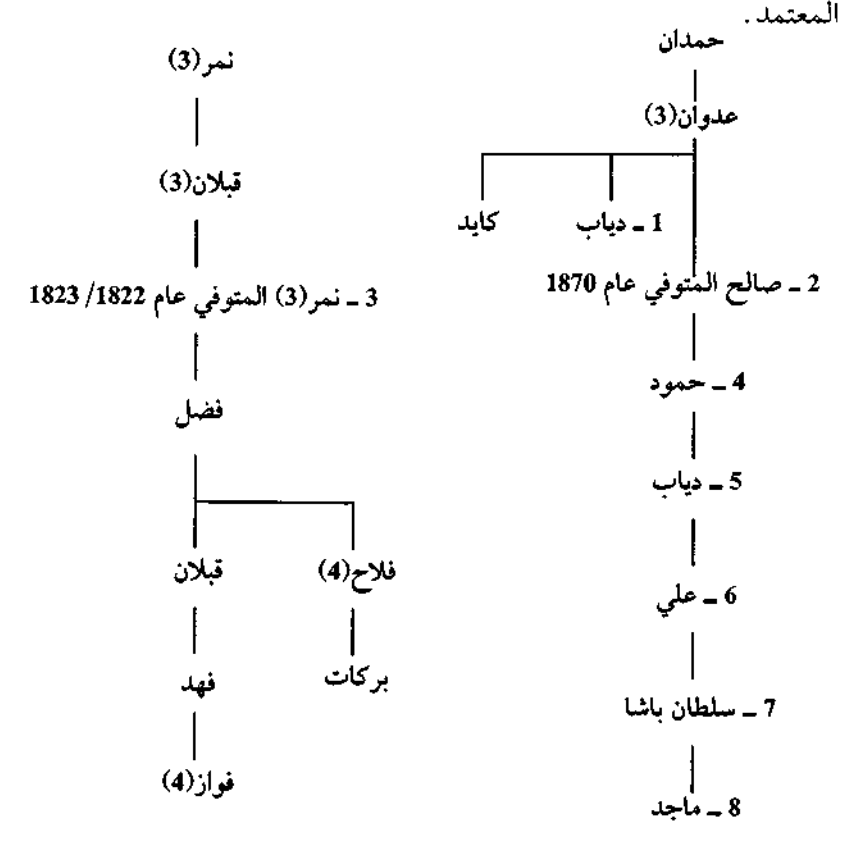


المعظم، احدى محطات الحج، القلعة ومورد الماء.

(1) انظر ماكس فرايهر فون أوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، ص 69.

مشجرة عائلة شيوخ العدوان[1]

تتألف عائلة شيوخ العدوان من خطين هما الصالح والنمر، إلا أن الخط الثاني فقد أهميته منذ نصف قرن. ونحن نضع في السلسلتين التاليتين الشخصيات التي سلسلة نسبها مؤكدة، وذلك بأن نعطي كل شيخ رقماً حسب تسلسل الزعامة المعتمد.



(1) حكايات العدوان عن نسبهم فيما يتعلق بالأجيال الأقدم متناقضة جداً إلى درجة تجعلنا نضطر إلى الاستغناء عنها. لا يوجد تطابق في الأقوال حتى ولا عن العلاقة بين الخطين الرئيسيين. فهما يلتقيان في شجرة بيكه عند حمدان؛ أمّا عند كوندر إحصاء شرق فلسطين Survey of Eastern Palestine، ص 392، فلا يلتقيان إلا عند الجد الأول فوزان، انظر ص 303 أعلاه، الملاحظة 1.

يظهر حمدان في حكايات القبيلة بصفة المؤسس. أمّا ابنه عدوان فلا يذكر عنه أي شيء ملموس. وصالح العدوان هو الجد الذي أخذ منه الخط القديم اسمه، ودياب العدوان تؤكد وجوده قصة حرب الأخوة التي ستتحدث عنها فيما بعد والتي لا يمكن أن تكون مختلفة. أمّا كايد، الجد الذي أخذت منه القبيلة الفرعية الكايد[1] اسمها، فمن المشكوك فيه أن يكون ترتيبه هنا حسبما جاء عند بيكه؛ من الممكن جداً أن يكون منتمياً إلى جيل أقدم[2].

في عهد دياب احتل الصلت رجل من أتباع ظاهر العمر (انظر الصفحة 28 أعلاه) كان الفريق الأضعف بين الفريقين اللذين تتألف منهما هذه المدينة قد أتاح له الدخول إليها. واضطر دياب، الذي حاول عبثاً مقاومة الزيادنة ـ هذا هو اسم جماعة ظاهر العمر نسبة إلى اسم عائلة شيوخهم ـ إلى الانسحاب إلى الجنوب. إلا أن أخاه صالح كان أوفر حظاً في مقاومته للمهاجمين الغرباء. لا بل إنه نجح بعد انسحابهم في أن يصبح سيد الصلت. لكن هذه النجاحات أثارت غيرة أخيه دياب. وعند هزيمته أمام صالح في ساحة المعركة ذهب إلى دمشق وعاد مع قوات تركية. ظلت الصلت محاصرة إلى أن أرسل سكانها إلى القائد العسكري التركي رأس صالح العدوان[3]. وبعد وقت قصير قتل دياب في ساحة المعركة.

عندئذ انتقل منصب الشيخ إلى الخط الأحدث[4]؛ في عام 1807م، عندما قام

(1) عند كوندر، نفس المصدر السابق، هذه الأسماء محوّرة ـ على الأرجح في الطباعة.

(2) كوندر، Heth and Moab، ص 319، 334؛ غراي هيل، ص 249.

(3) على هذا الشكل تبتدى الأحداث عند مقارنة حكايات القبيلة (بيكه، ص 169) مع مرادي، سلك الدرر، الجزء الرابع، ص 101، وبوركهاردت، رحلات في سورية، ص 349، سيتزن، الجزء الأول، ص 399. سيتزن (1806) يضع تاريخ وفاة صالح "قبل حوالي 20 عاماً"، ويضعه مرادي في عهد محمد باشا والي دمشق (الولاية الثالثة 1187هـ/ 1773م ـ 1197هـ/ 1783م).

(4) بيكه، ص 169: "وهرب رجاله (رجال دياب) إلى جبل الدروز. وبعد ستة أشهر عادوا بقيادة نمر بن "حمدان". وحكم نمر البلد 20 عاماً إلى أن تخلى عن منصب الشيخ لحمود الصالح". لكن هذا غير ممكن إطلاقاً؛ لأنه بما إن نمر ابن قبلان ولد عام 1760م فلا يمكن

سيتزن برحلته الثانية إلى شرقي الأردن، كان أبو فارس نمر بن قبلان يتولى المنصب. وبعد بضعة أعوام طرده، كما يبدو، حمود بن صالح الذي، كما رأينا في الصفحة 306 أعلاه، كان عام 1810م يتزعم العدوان.

كان نمر العدوان، وهذه هي الكنية التي تطلق عادة على جميع أفراد العائلة؛ محارباً قوياً ولكنه لم يكتسب شهرته في هذا الحقل وإنما في حقل آخر: فهو أهم شاعر بدوي في القرن التاسع عشر. ولم تزل قصائده مشهورة حتى الآن. يجب أن يكون قد ولد عام 1760م وتوفي عام 1238هـ/ 1822م ـ 1823م. قبره موجود قرب ياجوز ولم تزل تنحر عنده الأضحيات حتى اليوم تكريماً له[1].

في هذه الأثناء تولى دياب العدوان، ابن حمود، القيادة. وخلال فترة الاحتلال المصري أمضى عدة أعوام في السجن في حمص[2]. وبمناسبة الاحتلال التركي للبلقا (1867م) اعتقل مجدداً، كما رأينا أعلاه. ومنذئذ صار يقف إلى جانب الأتراك. لكنه لم يكافأ على هذا الموقف. فعند تلبيته مع أبنائه لدعوة من هولو باشا (انظر الصفحة 56 أعلاه) أمر هولو باعتقاله (1880م) في نابلس. في عام 1888م كان دياب لا يزال حياً لكنه كان قد تخلى منذ زمن طويل عن منصبه لابنه علي[3].

قبلان، الرجل المعاصر لدياب وآخر زعيم مهم للخط الحديث من العدوان،

أن يكون جده نمر قد حكم حتى القرن التاسع عشر، ولا يمكن أيضاً أن يكون قبلان بن نمر قد عاصر أبناء عدوان، كما يقول بيكه (ص 168).

(1) سيتزن (1807م)، الجزء الثاني، ص 327 وما بعدها (يقدره بـ 40 ـ 50 سنة)؛ بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 368؛ فراوبرغر، من عمان إلى جرش، غلوبوس، الجزء 63 (1893م) ص 11. مسبور، مجلة جمعية الاستشراق الأميركية، بوسطن، المجلد 1، 1843م، مجموعة قصائد له نشرت من قبل والين في مجلة جمعية المستشرقين الألمان، المجلد 6. وكذلك نشرت له من قبل سبور في ديوان سوسين من أواسط آسيا بمشاركة إلياس نصر الله حداد قصائد في مجلة المستشرقين الألمان، المجلد 66، انظر أيضاً مجلة الساميات والمناطق المجاورة، المجلد 7 و9.

(2) بيكه، ص 170.

(3) كوندر، ص 117 وما بعدها، 332؛ بيكه، ص 171.

كان قائد الفريق المعادي للأتراك في البلقا. وكان محارباً لا يهاب الموت وعدواً لدوداً لبني صخر، لكنه قدم لكثير من الرحالة الأوروبيين خدمات الدلالة[1].

يعتقد أن سلطان العدوان، ابن علي، قد تولى الحكم عام 1900م. وبعد ثورة عام 1923م هرب إلى جبل الدروز لكن الشريف حسين، الذي قضى عام 1924م بضعة أسابيع في شرقي الأردن، عفا عنه. توفي في بداية عام 1935م عن عمر يناهز الخامسة والسبعين. فخلفه ابنه ماجد الذي يعد من الموالين الأوفياء للأمير عبد الله، إلاّ أن أحد أخوته يقف في صف القوميين.

العدوان(1)
شيخ المشايخ: ماجد العدوان

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الصالح(2)	ماجد العدوان	في الصيف حسبان في الشتاء شونة نمرين	80
أ ـ العباس			
ب ـ المنديل			
جـ ـ الحمود			
د ـ اليعقوب			
هـ ـ الكايد			
2 ـ النمر(3)	بركات الفلاح	في الصيف: حسبان/ في الشتاء: غور الكفرين	70
أ ـ الفاضل			
ب ـ الشبيب			

(1) كوندر، ص 214 وما بعدها، 217 وما بعدها؛ غراي هيل، مع البدو، ص 292 وما يليها.

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
جـ ـ الحمايل			
د ـ الفندي			
هـ ـ الحبيب			
3 ـ الكايد(4)	عايد المعارك عبد الله الدرداح	في الصيف: ياجوز في الشتاء: غور الرامة	
أ ـ السعيد			
ب ـ الذيابات			
جـ ـ الايوب			
د ـ الكايد			
4 ـ العساف(5)	عبد ربه الكايد		25
5 ـ السكر(5)	سالم العلي		20
6 ـ الوريكات(6)	عواد الفاضل		25
قبائل ملحقة(7)			
1 ـ اللوزيين(8)	عبد الرحمن اللوزي		40
2 ـ الحجاج(9)	باجس الحمد		20
3 ـ الثوابية(10)	عيد الحسين		30
4 ـ السلامات(11)	نهار بن سالم السعد		15
5 ـ المسالمة(12)	بادى المسلم		8
6 ـ الغوارنة(13)	نزال أبو جعارة		40
7 ـ الجعارات(13)	نزال المنيزل		30
8 ـ الغويلات(14)	سالم أبو غويلة		15
9 ـ عنيزات(15)	رضوان أبو عنيزة		30

ملاحظات تتعلق بالعدوان

1 ـ قوائم العدوان موجودة عند موزيل، الجزء الثالث، ص 111 وما بعدها؛ ياوسن، ص 401؛ تريير (حسب سليمان)، ص 218؛ بيكه، ص 269. صيحة حرب قديمة: صويتات! صيحة الحرب الجديدة: راعي الضبطا! والضبطا هو اسم ناقة أصيلة كان عدوان قد غنمها في إحدى الغزوات (بيكه، ص 166: حمدان).

2 ـ الوسم: على الخد الأيمن، صيحة الحرب: أخو شيخا!

3 ـ الوسم: على الخد الأيمن، صيحة الحرب: مهرة!

4 ـ الوسم: على الخدين الأيمن والأيسر، صيحة الحرب: أخو صبحا!

5 ـ ينتمون من ناحية النسب إلى النمر (بيكه يخالف ذلك في شجرة نسب القبيلة)، وينتمون سياسياً، حسب موزيل، إلى الكايد، انظر عند العسّاف اسم الشيخ: عبد ربّه الكايد.

6 ـ ينتمون من ناحية النسب إلى الصالح، سياسياً، حسب موزيل، إلى الكايد.

7 ـ القبائل التالية، باستثناء 3، تحمل اسم القرضة، انظر الصفحة 208 أعلاه.

8 ـ من عيمة بين الكرك وشوبك. الوسم: على الأذن اليسرى و على الأنف.

9 ـ من الطفيلة.

10 ـ من الكرك، ولكن حسب بيكه بعضهم من عيمة، والبعض الآخر من الطفيلة. الوسم: (باب العين) على الأنف، صيحة الحرب: جعافرة!

11 ـ لهم أقرباء في الكرك. الوسم: (فجل) على الجهة اليسرى من الرقبة، صيحة الحرب: راعي الملحا!

12 ـ من أصل مسيحي.

13 ـ من غور الصافية. الوسم: جرح على الأذن. الاسمان يعبران عن نفس الشيخ.

14 ـ من برما. الوسم: جرح على الأذن.

15 ـ سنوسيون. من شمال إفريقيا من منطقة السلّوم.

قبائل صغيرة في البلقا

يعيش في منطقة العدوان عدد من القبائل التي تصنف تحت اسم البلقاوية. من ناحية النسب ينتمي بعضهم إلى سكان البلد القدامى من جذام، وبعضهم يذكرهم الكتّاب المملوكيون في مناطقهم الحالية. وقد انضم إلى هذه الجماعات الأساسية في وقت لاحق كثير من العناصر الأخرى، وخاصة من الهتيم[1] الذين وجودهم هنا مثبت في أواخر العصور الوسطى. ولذلك يقول بوركهاردت (ص 25) أن عرب البلقا ينحدرون من الهتيم. وبطبيعة الحال يحاول البلقاوية إخفاء كل علاقة لهم بهذه القبيلة المنبوذة. من الناحية السياسية تتبع جميع هذه القبائل العدوان وقد شاركت بالتالي تحت قيادتهم في الثورة التي هزت عام 1923م الدولة الأردنية الفتية.

ومن القبائل الأكبر نسبياً الدعجة عند عمان، والعجارمة حول حسبان، والغنيمات عند مأدبا. والدعجة هم نفسهم الدعجيون الذين كانوا في مطلع العهد المملوكي يشكلون فرعاً من بني صخر الكرك؛ أي أنهم من جذام[2]. وينطبق الشيء نفسه على العجارمة الذين كانوا في الماضي ينتمون إلى مجمع بني مهدي[3]

---

(1) سيمالجون في الجزء الرابع.

(2) حمداني عند القلقشندي، ص 257.

(3) صبح، الجزء الرابع، ص 213: "ينتمي إلى بني مهدي العجارمة من بني طريف (جذام)"، وهذا يعني أن العجارمة لم يكونوا ينتمون إلى بني مهدي وإنما كانوا ملتحقين بهم فقط. وهذا يتفق مع الحكاية الحالية التي تقول بأن العجارمة جاؤوا إلى البلقا قبل بني مهدي.

(انظر الصفحة 303 أعلاه).

أمّا الغنيمات فتفيد حكاياتهم بأنهم جاؤوا إلى البلقا قبل حوالى 500 عام. وقد نافسوا العدوان في بعض الأوقات على حكم البلقا وخاضوا حروباً ناجحة ضد بني صخر. وكان شيخهم عبد المحسن عام 1810م أقوى رجل في منطقة البلقا[1]. ولم يزل العدوان حتى اليوم لا يستطيعون دعوة القبائل الصغيرة إلى الحرب إلا بواسطة الغنيمات لأن أولئك متحالفون مع هؤلاء. يعمل عرب البلقا في تربية الأغنام، لكنهم يمارسون الزراعة أيضاً، وفي الشتاء ينزلون مع قطعانهم إلى الغور.

البلقاوية (عرب البلقا)(1)

آ ـ الدعجة(2)

شيخ المشايخ: مخيمر أبو جاموس

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الرشايدة(3)		شمال عمان	100
أ ـ الجواميس	مخيمر أبو جاموس		
ب ـ الهبايلة(4)	مطلق المجلد		
قبائل ملحقة			
أ ـ عيال عيسى(5)	مخيمر أبو جاموس		
ب ـ العبوس(6)	علي العبوس		
جـ ـ العايد(7)	إبراهيم العايد		
د ـ صليلات(8)			

(1) بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 368.

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
2 ـ الشبيكات(9)	جظعان الهبارنة	شمال شرق عمان	160
أ ـ الهبارنة	جظعان الهبارنة		
ب ـ الشوارية	علي أبو شوراب		
جـ ـ البشر	عايش البشر		
د ـ البنيّان	نويران البنيّان		
هـ النصر	هلال النصر		
3 ـ الخصيلات(10)	عبطان الغرير	في الصيف: أمّ قصير/ في الشتاء: العليا؛ الحقو	38
أ ـ المليفي	مغير الهملان		
ب ـ الغرير(11)	عبطان الغرير		

ب ـ اللديّات(12)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحديد(13)	شاهر بن حديد	العليا؛ أبو علندة	
أ ـ الجراونة (الحنيطيين)	إبراهيم بن راشد		40
ب ـ الحديد (المبرزين)	شاهر بن حديد		30
جـ ـ الزبرة(14)	خلف العبكل		6
2 ـ الرقاد(15)	عواد الرقاد		

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
أ ـ الرقاد(16)	عواد الرقاد		25
ب ـ المراشدة(17)	هلال اليتيم		15
3 ـ الدبابية(18)	مرجي الدبابية	العليا	40
4 ـ الشوابكة(19)	عبد الله دعيبس	في الصيف: رجم الجازي/ في الشتاء: سويمة	
أ ـ المصالحة	سلمان الحسين		40
ب ـ المرايحة	فهد بن محمد		40
جـ ـ المطايبة	عبد الله دعيبس		60
د ـ الخواة(20)	عبد الله دعيبس		
5 ـ المراشدة (السيوف)(21)	عطوان أبو سيف	في الصيف: شمال ماديا/ في الشتاء: الغور	25
أ ـ البطنان	عطوان أبو سيف		
ب ـ العبيد			

جـ ـ العجارمة(22)

شيخ المشايخ فضيل الشهوان(23)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المطيريين(24)	عبد الهدي المطر/ عقيل العقيل	المشقّر	50
2 ـ العقيل	عبد المهدي المطر/ عقيل العقيل		
3 ـ الشريقيين	كريّم البراري	حسبان	60
4 ـ الحرافيش والمناعسة	غيث حسين المناعسة	القنافذ؛ العال	80
5 ـ الشهوان (الأسفة)(25)	فضيل الشهوان	أم الخنافيس	70
6 ـ السواعير(26)	أحمد البركات	السكر	30
7 ـ العفيشات	فهد بن عبد العزيز	3 ساعات جنوب عمان	
8 ـ المرعى	سليم أبو ودن		35

د ـ الغنيمات(27)

شيخ المشايخ: سالم أبو الغنم(28)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العلى	محمد المغاور(29)	في الصيف: الكفيرات/ في الشتاء: الغور	7
2 ـ العبد الله	مطلق السالم	في الصيف: الكفيرات/ في الشتاء: الغور	12
3 ـ الحمد	سالم أبو الغنم	في الصيف: الكفيرات/ في الشتاء: الغور	5
قبائل ملحقة			
1 ـ المساندة(30)	السماعيل الصالح		30
2 ـ الوخيان(31)	سليمان العودة		20
3 ـ القعاقعة(32)	محمد		3

هـ ـ الشواكرة(33)

شيخ المشايخ: على الشخاترة

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الشخاترة(34)	على الشخاترة	صيفاً: الكفيرات/ شتاء: سويمة	40
2 ـ الغليلات	سعيد أبو غليلة	صيفاً: الكفيرات/ شتاء: سويمة	
3 ـ السعيدات	عقلة الجديع	صيفاً: الكفيرات/ شتاء: سويمة	40
4 ـ العساف		صيفاً: الكفيرات/ شتاء: سويمة	25
5 ـ العبيد(35)	غافل البشير	صيفاً: الكفيرات/ شتاء: سويمة	

و ـ العوازم(36)

شيخ المشايخ: أبو ستة بن وندي(37)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الونديين	أبو ستة	صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	15
2 ـ الحميمات	أحمد الحميمات	صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	20
3 ـ السليم	عيد السليم	صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	15
4 ـ الجفيرات	على الجفيرات	صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	20

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
5 ـ النجادة	عبد الكريم بن سالم	صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	15
6 ـ السنيّان	سلامه السنيّان	صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	
7 ـ الحلاقيين		صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	

حـ ـ الازايدة(38)

شيخ المشايخ: حماد السليمان

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الشروقية	حماد السلمان		60
أ ـ حلايبة		صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	
ب ـ طرمان		صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	
جـ ـ الفساطلة(39)		صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	
د ـ المعاعية(40)		صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	
2 ـ القرينيين	إبراهيم الخواطرة	صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	
أ ـ خواطرة		صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	60
ب ـ عبابسة		صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	
جـ ـ الحبابسة(41)		صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	

ط ـ الزففة(42)

شيخ المشايخ: راشد العميان

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العميان	راشد العميان	صيفاً: جادا/ شتاء: المشتى	20
2 ـ العراقبة(43)	هنداوي الحجيري	صيفاً: جادا/ شتاء: المشتى	40

ملاحظات

1 ـ هناك قوائم موجودة عند بوركهاردت، ص 20 وما بعدها، موزيل، ص 108 وما يليها؛ ياوسن، ص 398 وما يليها؛ تريير (حسب سلمان) ص 218 وما بعدها؛ بيكه، ص 250 وما يليها، 257 وما يليها، 265 وما يليها.

2 ـ بوركهاردت: موزيل، تريير، بيكه، ص 257 وما بعدها. ياوسن، ص 402 لا يذكر إلاّ بعض القبائل الفرعية والفروع، بينما التعبير نفسه غير موجود عنده. الوسم: ∧ (كعام) (موزيل: ناتح) على الأنف و / (سحلة) على الأذن اليمنى. صيحة الحرب: المونيات! صيحة الفرح: الغواه!

3 ـ صيحة الحرب: راعي المليحة!

4 ـ موزيل: هباهبة.

5 ـ أهل عيسىٰ.

6 ـ شمّر؟

7 ـ راجع الصفحة 130 أعلاه.

8 ـ باريا.

9 ـ الوسم: / (سحله) على الأذن اليسرى. صيحة الحرب: راعي العليا!

10 ـ الوسم: (باكور) على الخد الأيمن. صيحة الحرب: راعي البويضة!

11 ـ شمّر؟

12 ـ (الأديات) بوركهاردت: "بديات". عند ياوسن، وتريير، وبيكه، التعبير غير موجود. عند موزيل يشمل القبيلتين الفرعيتين 2 و5 فقط. صيحة الحرب: راعي الحرد 1! إضافة إلى ذلك يستعمل اللديات، وكذلك القبائل الصغيرة الأخرى بصفتها حليفة للغنيمات، صيحة حرب خاصة: حطبية! وهي كلمة تظهر عند سيتزن (الجزء الأول، ص 409) وبوركهاردت كإسم قبيلة ومما يعبر عن وضعهم بشكل واضح أنه لا يوجد لديهم وسم مشترك؛ فاللديات ليسوا قبيلة موحدة.

13 ـ اسمهم عند موزيل حنيطيين (آ)، وهم يضمون عند بيكه (ص 257) أيضاً القبيلتين الفرعيتين 2 و3 والزففة (ح)؛ ياوسن يذكر الفرعين (آ) و (ب) تحت عرب عمّان. الوسم: | على الخد الأيمن. وهما يعيدون أصلهم إلى الشيخ رسلان، وهو درويش من دمشق، مدفون في حي الشاغور[1]. وكان له ابنان: فيد وفياد لم يزل ضريحاهما ـ إلى الغرب من الرصيفة ـ يزاران حتى اليوم. وأولاد فياد، حديد، وحمود، وجرو، هم أجداد الفروع الثلاثة: حديد، وزيرة، وجراونة.

14 ـ موزيل: "الزيارة".

15 ـ يزعمون أنهم من شمر، ولكن في الحقيقة هم (شرارات؟).

16 ـ الوسم: // على الخد الأيمن.

(1) هي في دمشق.

17 ـ الوسم: > (صريمة) على الخد و / (سحلة) على الأذن اليمنى.

18 ـ بيكه: من دبين في العجلون. الوسم: ⊓ على الورك الأيمن و على الأنف. صيحة الحرب: راعي العليا! (حسب اسم المكان).

19 ـ عند موزيل وياوسن وبيكه قبيلة قائمة بذاتها، ولكن بيكه يذكر علاوة على ذلك أيضاً شوابكة عند الحديد (1). من شوبك. جاؤوا في النصف الأول من القرن التاسع عشر. تملك القبيلة قرية قبر عبد الله. عدد الماشية: 3054 شاة. الوسم: على الجهة اليمنى من الأنف، صيحة الحرب: صبيان قيس! (انظر الصفحة 256 أعلاه).

20 ـ موزيل: ضوات.

21 ـ عند ياوسن قبيلة قائمة بذاتها. هم (شرارات؟). الوسم: // على الفخذ الأيسر.

22 ـ بوركهاردت، ياوسن، تريير، بيكه. في التصنيف الحربي يقف الإسفة (5) مع فروعهم الشهوان والفقرا والفليح والحلاحلة مقابل الحرافيش والشريقيين والمطيريين والسواعير والعفيشات ومرعي. 4000 شاة. صيحة الحرب: صبيان (عيال) الصباح!

23 ـ سلفه: نايف بن شهوان، ياوسن، ص 399. شارك أحد أبناء الأسرة، قبلان، في المؤتمر القومي في بلودان واعتقل عند عودته، الشرق الحديث، 1937م، ص 523.

24 ـ هم، كما يتبين من تطبيق الحكاية المذكورة في الصفحة 69 أعلاه عليهم (بيكه، ص 265). الوسم: > (صريمة) من الأنف نحو الأعلى، وكذلك علامة 3 و4.

25 ـ الوسم: على الأنف والخد الأيسر.

26 ـ عجارمة أصليون، اسمهم مشتق من اسم قرية رجم الساعور (بيكه). الوسم: على الخدين الأيمن والأيسر؛ وكذلك علامة 7.

27 ـ أيضاً غنمات، أبو الغنم. بوركهاردت، ياوسن، موزيل، بيكه. عدد الماشية: 2700 شاة، 20 رأساً من الخيول. يملكون القرى: الكفيرات، والمخيّط، ورجم الجازي. الوسم: ، الغنم على الأذن اليمنى، الإبل والبقر على الورك. إضافة إلى ذلك: (مطرق) على الورك الأيسر. صيحة الحرب: إخوة دلعب!

28 ـ شارك سالم في ثورة عام 1923م. وقضى بعد ذلك ستة أشهر في السجن حيث تعلم القراءة والكتابة. ثم شارك عام 1937م في مؤتمر بلودان وحكم عليه بعد عودته بالإقامة الجبرية ستة أشهر في العقبة. فيما عداه يبدو أن مطلق أبو الغنم يلعب دوراً مهماً، الشرق الحديث، 1933م، ص 311، 467؛ 1937م، ص 523.

29 ـ مغاور كان عقيداً في زمن شيخ العدوان دياب.

30 ـ من فلسطين.

31 ـ لبابدة.

32 ـ يزعم أنه من فرع الرولة المشهور.

33 ـ موزيل؛ ياوسن. بيكه لا يذكر إلاّ الشخاترة (1).

34 ـ الوسم: على الأذن اليسرى.

35 ـ صيحة الحرب: عبيد صبحة!. عبيد سود للغنيمات.

36 ـ بوركهاردت، موزيل (مقسمين إلى عوازم ومداينة)، بيكه. وهم يملكون قرية ماعين. عدد الماشية: 2937 شاة. الوسم: (فتخة) على الأذن اليمنى ومطرق. صيحة الحرب: صبيان (أولاد) سالم! صيحة حرب قديمة: ريدان!

37 ـ ياوسن: علي أبو وندي.

38 ـ ياوسن، موزيل، بيكه. الوسم: ـــ على الأذن اليسرى؛ موزيل يختلف عنهم، صيحة الحرب: صبيان قيس!

39 ـ دراويش من الحجاز.

40 ـ على أرجح الظن مسيحيون سابقون من مادبا.

41 ـ غوارنة.

42 ـ بوركهاردت، ترير ("زفقة"). يماكون قرية خريبة السوق. الوسم: /ᑐ على الخد الأيمن و \ فوق العين. صيحة الحرب: راعي الحردا!

43 ـ عبيد سود.

عبّاد

يتقاسم العباد أيضاً مع العدوان منطقة التنقل والرعي، إلا أنهم لا ينتسبون إلى حزب قبائل البلقا ولا إلى خصومهم أهل الشمال، وإنما متحالفون مع صقر والتياها البعيدين جداً، وكذلك مع الكعابنة (بني صخر). تنحدر الكتلة الأساسية منهم من جذام[1] وبالتحديد من فرع طريف، حسبما تثبت صيحتهم للحرب: الطرايفة! يضاف إلى هذه الكتلة الأساسية جميع العناصر الأخرى الممكنة، كما يتبين من الملاحظات العائدة للجدول. تنقسم القبيلة إلى "رايتين" تحمل الأولى اسم الجبورية وتشمل البقور (2) والفقها (15) والزيادات (13) والرحامنة (11) والزيود (12) والجيرة (10). عليمهم (عليم)[2] هو أبو بقر وكفيله (نائبه؟) أبو مهير. أمّا "الراية" الثانية فتتألف من القديرية[3] ويتزعمها ابن ختلان أو أبو نعيم. وينتمي إليها الختالين (1) والنعيمات (4) والمناصير (14) والرماضين (3) والغنانيم (6) والحجاحجة (7) والمعادات (8) والبازجيين (9) والحوارات (5).

المركزان الرئيسيان للعباد هما ماحص وعراق الأمير، ويذهبون نحو الشمال

---

(1) مسالك الأبصار، الجزء الثاني، ص 24 وما بعدها (برغوثي). حسب هذا المصدر كانوا يسكنون عند الكرك.

(2) انظر الصفحة 270 هامش 1 أعلاه.

(3) بيكه، ص 260: الجرومية.

حتى العرضة ونحو الغرب حتى الغور، وفي الجنوب يتبع لهم وادي السير.

يملكون 20,000 شاة. وسم القبيلة: /// (مطارق) على الورك الأيمن، وفي بعض الأحيان على الخد الأيمن أيضاً.

عبّاد(1)

شيوخ المشايخ: أحمد العبد ابن ختلان ـ محمد باشا الكايد أبو بقر

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الختالين(2)	فلاح أبو حسين	عراق الأمير	45
2 ـ البقور(3)	محمد الكايد	ماحص	40
قبائل ملحقة			
أ ـ الشنيكات			
ب ـ صلاحيين			
3 ـ الرماضين(4)	هديري أبو داهوك	العرضة	
4 ـ النعيمات(5)	يعقوب الموسى(6)	العرضة	10
5 ـ الحوارات(7)	سليمان الفزاع	العرضة	6
6 ـ الغنانيم(8)	فياض القويدر	العرضة	14
7 ـ الحجاحجة(9)	رضوان أبو خريس	العرضة	30
8 ـ المعادات	محيجين الأسود (10)	العرضة	30
9 ـ اليازجيين	شهاب الحمد	العرضة	25
10 ـ الجيرة(11)	حسين الفارس		40
11 ـ الرحامنة(12)		عيرا؛ برقا	15
أ ـ العبيد	علي الموسى		

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
ب ـ الدبوش	فياض العباس		
12 ـ الزبود		وادي السير	
أ ـ الدويكات(13)	سالم المجلى		8
ب ـ الشراب(14)	سلامة ألمَاس		60
13 ـ الزيادات	نمر باشا لعريق	عيرا؛ برقا	
أ ـ العلوان(15)			10
ب ـ العوامرة(16)			5
جـ ـ العلاوين(17)			10
د ـ الخرارية(18)			30
هـ ـ الطواهية(19)			5
14 ـ المناصير(20)			110
أ ـ المناجلة	عواد العرايفة		
ب ـ الضميدات	عواد العرايفة		
جـ ـ مناصير العرضة	سعد الخلف		
د ـ النصاصرة (المسالمة)	عواد الناصر		
قبائل ملحقة			
العونة(21)	كريم النهار		25
15 ـ الفقها(22)		وادي السير	
أ ـ السكارنة	عبد الله السعد		
ب ـ السليحات	محمد السليمان		

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
قبائل ملحقة			
أ ـ الحسامية(23)	فلاح الذيب		
ب ـ المحاميد(24)	باير		
جـ ـ المهيرات	طلب الصالح		
1 ـ نعيرات			
2 ـ حررة			
ب ـ شرايعة(25)	فلاح الصباح		

ملاحظات

1 ـ مايو، الجزء الأول، ص 97. وصف مصر، الجزء 16، ص 124. يوجد قوائم عند موزيل، ص 110 وما بعدها؛ ياوسن، ص 401 وما بعدها؛ تريير (حسب سلمان) ص 217؛ بيكه، ص 260 وما يليها، مجلة جمعية الاستشراق الفلسطينية، القدس، الجزء السادس عشر، 1936، ص 22 كنعان.

2 ـ جرامنة. صيحة الحرب: راعي الغزالة!

3 ـ هكذا تسمى نسبة إلى عائلة أبو بقر. وتعيد هذه العائلة شجرة نسبها إلى محمد الباقر، الإمام الخامس عند الشيعة: فلاح بن صالح بن كايد بن قبلان بن محسن بن مصلح بن عبيد. ويقال بأن عبيد جاء إلى البلقا من مصر. وقد كانت هناك فعلاً عائلة شيوخ مصرية اسمها أبو (ابن) بقر، وكانت تتولى قيادة البدو في منطقة الشرقية في بداية الحكم التركي، وكانت قبيلتها تسمى بنو عبيد؛ قلقشندي، ص 282 وما بعدها؛ ابن إياس، الجزء الثالث، ص 128، 137، 155، 177 وما بعدها، 244، 258، 260، 298. ولذلك من الممكن جداً أن يكون أبو بقر منحدرين من البقور وأن تكون الرواية المتعلقة بالأصل المصري صحيحة. أمّا الانتساب إلى

محمد الباقر فلا أساس له؛ إذ إن العبيد المصريين كانوا من جذام. وسم البقور: V على الأنف والخد الأيمن. صيحة الحرب: راعي البويضة!

4 ـ بيكه: الرماضنة. جهالين. الوسم: O على الفخذ الأيمن.

5 ـ نعيم من الجولان.

6 ـ كنعان: موسى عبد الرحمن اليعقوبي.

7 ـ أحفاد الأمير الحواري.

8 ـ جد القبيلة: أبو غنّوم. أتباع طريقة دينية.

9 ـ الوسم: O على الأذن اليسرى.

10 ـ كنعان: ابنه موسى.

11 ـ كنعان: "جبرا". عرب الضيغم، انظر مقال الجرامنة في فصل فلسطين. صيحة الحرب: الضيغم!

12 ـ بني رحمان من شمال إفريقيا. الوسم: ♀ على الأذن اليمنى والفخذ الأيمن.

13 ـ من بيتا شرقي نابلس. الوسم: ⊓ على الأذن والفخذ الأيمن.

14 ـ من خان يونس. الوسم: Λ على الأنف.

15 ـ من طيبة ابن علوان في ناحية الوسطية (عجلون).

16 ـ طراونة. الوسم: / على الأذن اليمنى.

17 ـ من قبيلة حويطات التي تحمل نفس الاسم. الوسم: / على الخد الأيمن.

18 ـ من خربة فاعور، بيكه له رأي آخر.

19 ـ نفيعات، ولكن حسب بيكه عمرو من الكرك.

20 ـ الوسم: ـــلـــ على الأنف. صيحة الحرب: راعي العوجا!

21 ـ بلاونة.

22 ـ الوسم: V على الورك الأيمن وعلى الفخذ الأيمن.

23 ـ بني مهدي، بيكه له رأي مختلف.

24 ـ عمرو من الكرك، بيكه له رأي مختلف.

25 ـ من جبل الدروز.

بني صخر (الصخور)

بني صخر هم القبيلة البدوية السائدة في المنطقة الخلفية من شمال شرقي الأردن. وهم حسب أسلوب الحياة يقفون على الحدود بين البدو وانصاف البدو. ولا يمكن تحديد نسبهم بشكل قاطع ودقيق. يعتقد بأن لهم صلة بقبيلة قديمة كانت تحمل نفس الاسم وتنسب إلى طي، ولكن الشعور بهذه الصلة فُقد. ويعود السبب في ذلك إلى أن أهم مجموعة في القبيلة، الطوقة، هي ذات منشأ غريب.

في مطلع العصور الوسطى كان بني صخر يسكنون في شمال الحجاز بين العلا ومدائن صالح وتيما[1]. وكانوا لا يزالون هناك حتى العهد المملوكي[2]. وكان يجاورهم آنذاك بنو لام في الشمال وعنزة في الجنوب. وقد أرسلوا مع هؤلاء (مع عنزة) في عام 666هـ/ 1267م وفداً إلى القاهرة حاملاً عرضاً إلى الحكومة بأن يدفعوا لها ضرائب (انظر الجزء الأول، ص 126، الملاحظة 1).

(1) همداني، ص 131؛ ياقوت، الجزء الثالث، ص 738؛ انظر موزيل، شمال نجد، ص 129، الملاحظة. بنو صخر الذين يذكرهم ياقوت، الجزء الأول، ص 736، غير مشمولين هنا.
(2) المراجع المعاصرة لذلك الزمن تفصلهم بحق عن قبيلة جذام التي تحمل نفس الاسم عند الكرك؛ ابن سعيد عند ابن خلدون، البربر، الجزء الأول، ص 14 (بعد ذلك قلقشندي، ص 257، وسويدي، ص 60)؛ حمداني عند قلقشندي، ص 257؛ صبح، الجزء الأول، ص 334.

وأن يكون بنو صخر هؤلاء أجدادَ القبيلة الموجودة الآن في شرقي الأردن فهذا ما يتضح من حكايات البدو؛ إذ إن بني صخر يروون في قصصهم أنهم جاؤوا من "مصر" قرب العلا[1] فهل هذه "المصر" التي لم تفسر حتى الآن بشكل مرضٍ هي اسم ناحية مأخوذة من المستوطنة المينية (مصر) في الحلا: ديدان (حوالى 300 ـ 150)؟، وأن المواهيب والفقرا، وهما قبيلتان من عنزة قرب مدائن صالح، يتذكرون أن هذه المنطقة كانت تابعة قبلهم لبني صخر. ولم يزل سكان تبوك حتى اليوم ينتسبون إلى الكعابنة (بني صخر). وقد كان لبني صخر هنا وفي العلا وحتى القرن التاسع عشر حق استيفاء خوّة[2].

بصرف النظر عن بعض التغيرات الطفيفة، ومنها انتقال ملكية واحتي العلا ومدائن صالح إلى عنزة، يبدو أن الظروف القبلية في هذه المنطقة ظلت دون تغيير حتى انسحاب بني لام (منتصف القرن السادس عشر). فقد فتح هذا الانسحاب لبني صخر وعنزة الطريق نحو الشمال. إذ تقدما كلاهما إلى الأمام بين طريق الحج والنفود، بنو صخر في الغرب، وعنزة في الشرق[3]. في عام 1700م كان بنو صخر قد وصلوا إلى المناطق الواقعة خلف معان، كما يتبين من التقارير التركية عن الهجمات على طريق الحج والتي سنتحدث عنها فيما بعد. ويبدو أن مقرهم الرئيسي كان آنذاك في الطبيق التي ظلت زمناً طويلاً مقرهم الشتوي. أمّا في الصيف فكانوا يرحلون عبر العربة إلى جنوب فلسطين[4] أو إلى السهوب الأردنية. وبين حين وآخر كان رعاتهم يصلون حتى حوران التي يعودون منها في الخريف محملين

---

(1) موزيل، الجزء الثالث، ص 113. ليس معروفاً ما الذي تعنيه هذه الـ "مصر"، ولكنها بالتأكيد لا تعني الدولة مصر؛ وهذا ما يفترضه ياوسن، ص 314، والبرغوثي ومحمد شفيق مصطفى، "في قلب نجد والحجاز"، القاهرة 1927م، ص 47. قد يكون للاسم علاقة مع دفع بني صخر ضرائب للقاهرة.

(2) دوتي، الجزء الأول، ص 126، 287، 147 وما بعدها، 529.

(3) قائمة الصرة التركية لعام 1087هـ/ 1676م، في أرشيف عثمان باشا رقم 44، تذكر بني صخر على هذا الجانب من بئر الأخضر.

(4) تفيد الحكايات المتناقلة بأن بني صخر (بقيادة محمد الخريشة) كانوا يخيمون في غزة عندما طلب منهم السرحان المساعدة ضد عنزة (ولد علي)؛ انظر الصفحة 274 أعلاه.

بالحبوب. لا بل إنهم وصلوا في سنة الجوع 1152هـ/ 1739م مع السرحان إلى حدود العراق[1].

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر استقر بنو صخر في شرقي الأردن[2]. كانوا في الربيع يتفرقون إلى مجموعات صغيرة تنتشر في أرجاء البلاد من البلقا حتى العجلون وحوران، وكانوا في كثير من الأحيان يجتازون نهر الأردن ليخيموا في سهل يسريل (مرج ابن عامر). وفي الصيف يتجمعون في البلقا، بينما يعودون في الشتاء إلى الطبيق.

عندما جاء بني صخر إلى شرقي الأردن وجدوا هناك السردية (انظر الجزء الأول، ص 535 وما بعدها) يسيطرون على السهوب هناك. ولذلك توجب عليهم دفع خوة لهم. وهناك بعض الحكايات التي تتحدث عن كيفية تخلص الصخور من هذا العبء وعن المعارك التي خاضوها مع السردية وزعيمهم "الأمير" محفوظ[3].

من الممكن اعتبار غارتي بني صخر على قافلة الحج جزءاً من هذه الحرب، لأن السردية كانوا في القرن الثامن عشر يتولون حماية القافلة في شرقي الأردن. وقد حدثت هاتان الغارتان في عامي 1112هـ/ 1700م و1115هـ/ 1703م، الأولى على أرض الجزيرة العربية[4] والثانية عند المغارة، على مسافة ساعة ونصف قبل معان[5]. وقد شارك في الغارتين، إضافة إلى قبيلة عنزة أيضاً. إلا أن مسبّبي

(1) رسول حاوي أفندي، دوحة الوزراء، ص 49 أدناه.

(2) حسب قول بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 368، بأن بني صخر لم يصلوا إلى البلقا إلا تحت الضغط الوهابي، غير صحيح؛ إذ إن الخريطة الموجودة عند فولني (حوالي عام 1785م) تضعهم في الشمال حتى حوران.

(3) الحكاية التي يذكرها بيكه، ص 218، والتي بطلها سليمان بن حنيف الخريشة، تبدو أكثر بدوية من حكاية الطويق المذكورة أدناه في الملاحظة 2 المتعلقة بشجرة نسب الطوقة.

(4) انظر الجزء الأول، 126، الملاحظة 3.

(5) هـ. س. برلين، رقم 216، 231 وما بعدها؛ انظر GOR، الجزء السابع، ص 67؛ راشد، الجزء الأول، 276. فشل الهجوم لأن البدو وضعوا بين فكي كماشة، بين القوة المرافقة للجردة من جهة والحجاج من جهة أخرى.

الكارثة التي أحلت بالحجاج في عام 1757م كانوا بني صخر وحدهم: في 20 ذي الحجة 1170هـ هوجمت في بادئ الأمر الجردة (القافلة التبادلية) قبل معان ونهبت، وقد مات الجردجي موسى باشا المعراوي على طريق الهرب إلى درعا[1]. وفي صفر من العام التالي حاصر البدو القافلة الرئيسية نفسها لمدة 22 يوماً في تبوك، وعندما تابعت سيرها هاجموها في ذات سنة الحج ونهبوا كل ما فيها[2]. وبصعوبة بالغة تمكن أمير الحج حسين بن مكي (مكيزاده)، باشا دمشق، من الهرب إلى تبوك، أثارت هذه الأحداث غضب القسطنطينية التي حمّلت باشا دمشق السابق، أسعد باشا العظم، (انظر الجزء الأول، ص 418) المسؤولية عنها. وقررت الرد عليها بمنتهى العنف، وتمكنت فعلاً جردة العام التالي المعززة بقوة إضافية من صد هجوم للصخور، عند قلعة الحسا، بقيادة الشيخ قعدان الفايز الذي كان انتصار العام الماضي قد شجعه على الهجوم مرة أخرى. وبعد وقت قصير أرسلت حملة تأديبية قضت على كل رغبة في شن هجمات أخرى[3] لدى بني صخر وشركائهم في الهجوم، عنزة ونبهان.

أدت هذه الغارات إلى جعل الأتراك يفقدون الثقة فعلاً بالسردية (انظر الجزء الأول، ص 537). وقد ظل السردية والصخور أعداء إلى أن وحدهم مرة أخرى في نهاية القرن الثامن عشر عداؤهم المشترك لعنزة. وكانت المناوشات بين بني صخر عنزة (ولد علي) قد بدأت عندما هاجرت القبيلتان من الحجاز نحو الشمال. وقد عقد بنو صخر حلفاً مع السرحان الذين كانوا يملكون آنذاك الجوف. وبما أن ولد علي كانوا يعتبرون هذا الواحة حقاً لهم، نشبت حرب بين الطرفين كان الحلفاء،

---

(1) ميخائيل بريك في نقولا الصباغ، تاريخ الشيخ ظاهر العمر، ص 76 وما يليها؛ واصف، تاريخ، الجزء الأول، ص 99 وما يليها؛ مرادي، الجزء الثاني، ص 61 وما بعدها.

(2) المحمل، وهو صندوق مربع الشكل، أعلاه على شكل هرم، ملفوف بالبروكار، وهو رمز قافلة الحج، فُقد أيضاً في الغارة. وقد باعه البدو في وقت لاحق في دمشق بسبعمائة قطعة ذهبية.

(3) واصف، الجزء الأول، ص 134.

بني صخر والسرحان، الطرف الخاسر فيها. ويقال سليمان الخريشة، زعيم الصخور، قد حطم يومها العطفة بسبب استيائه الشديد من مقتل عدد كبير من المحاربين دفاعاً عن هذه العلامة التي تميز بين المتحاربين في ساحة المعركة[1].

وعندما استقر ولد علي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في سهول حوران وحصلوا على حق مرافقة قافلة الحج (انظر الجزء الأول، ص 167 ـ 168) انفجر الصراع مجدداً بين القبيلتين. وبدأت بينهما حرب على شكل غارات سلب ونهب متبادلة كان الحظ فيها مرة حليف هذا الطرف وأخرى حليف الطرف الآخر. وكان بنو صخر يتلقون المساعدة من السردية وبقية أهل الشمال: السرحان والعيسى. ظل الأمر كذلك إلى أن حصلت الرولة في منتصف القرن التاسع عشر على حق الرعي في حوران مما جعل التوازن يختل لصالح عنزة[2].

لقد استعرضنا في الصفحة 305، 306 وما بعدها أعلاه معارك بني صخر مع العدوان. وقد تحاربوا أيضاً مع قبائل أخرى في البلقا ولم يكن النصر دوماً حليفهم. إلى الشرق من سامك ما زالوا حتى اليوم يؤشرون إلى موقع معقر العطف حيث دمر الغنيمات عطفتي الزبن وابن زهير (آ 2، ب 1 أ).

لم يحدث في القرن الثامن عشر احتكاك يستحق الذكر بين بني صخر والأتراك، إلا في إطار قافلة الحج. وكان جباة الضرائب الوهابيون يقصدونهم بين حين وآخر منذ حوالي عام 1800م[3]. وعندما كان إبراهيم باشا عام 1834م في طريقه من الكرك إلى الصلت هاجمه الصخور. فردهم على أعقابهم ولاحقهم وحاصرهم في زيزا حيث اضطروا إلى الاستسلام بسبب نقص الماء[4].

---

(1) إذا ما حطمت العطفة أو استولى عليها العدو، فلا يجوز صنع عطفة جديدة.

(2) تتحدث حكايات القبيلة أيضاً عن معارك بين بني صخر والضفير، سنستعرضها في تاريخ هذه القبيلة في الجزء الثالث.

(3) سيتزن، الجزء الثاني، ص 323.

(4) بيكه، ص 180. حول هذه الحادثة تدور حكاية الفتاة البطلة عالية، انظر، مثلاً، موزيل، الصحراء العربية، ص 8.

بعد أن دخل الأتراك إلى البلقا حاولوا في البداية الضغط على البدو وتخويفهم: فقد اعتقلوا فندي الفايز، شيخ مشايخ بين صخر، وقتلوا واحداً من أبنائه (1877م)[1]. وبعد ذلك لجأوا إلى الوسيلة المجرّبة وهي بث التفرقة بين القبائل. وبالفعل حققوا غرضهم: فقد تحالف قسم من بني صخر مع العدوان وقسم آخر مع الرولة، واشتبك الفريقان عام 1881م في معركة تكبدا فيها خسائر كبيرة[2]. أي أن بني صخر، نتيجة إضعافهم، لم يسببوا للأتراك خلال العقدين التاليين أي مصاعب وخاصة بعدما حاولوا كسب تأييد الشيخ بمنحهم الألقاب والدعم المالي.

أثار بناء خط سكة حديد الحجاز بعض المخاوف لدى بني صخر، وقد تبين فيما بعد أن هذه المخاوف لها ما يبررها. ففي عام 1906م توقف الدعم الحكومي لشيخ المشايخ طلال باشا. إضافة إلى ذلك أعلنت المناطق الواقعة غربي الخط الحديدي مناطق حكومية. على إثر ذلك اضطربت القبيلة إلى درجة جعلت الحكومة تضطر إلى دفع دعم مالي جديد لها مقابل قيام بني صخر بحماية المقطع الواقع بين زيزا وقطرانة[3].

خلال الحرب العالمية قدم الصخور دعماً فعالاً للجيش العربي ومستشاريه من الإنجليز. فقد قام "رفا" الخريشة بتقديم خدمات الدلالة، وشارك الأخوان فهد وعذب الزبن مع رجالهما في تفجير الخط الحديدي. لكن فهداً أوقع الجيش البريطاني في فلسطين في ورطة وخيمة بأن وعده بدعمه بقوة قوامها 20,000 رجل من الصخور. وقد انطلت الكذبة على قيادة الجيش البريطاني ـ مع العلم بأن الزبن لا يستطيعون تجنيد 400 رجل ـ وشنت الهجوم الثاني على الصلت الذي انتهى إلى

---

(1) بيكه، ص 132.

(2) انظر كوندر، هيث ومواب، ص 118؛ 317 وما بعدها.

(3) ياوسن، ص 123؛ موزيل، تدمر، ص 18؛ هاندبوك، الجزء الأول، ص 56. بخصوص العلاقات الضريبية انظر ياوسن، ص 121.

فشل ذريع لأن بني صخر ظلوا قابعين في خيامهم، باستثناء من كان منهم مشتركاً مع الجيش العربي في الجنوب[1].

بعد الحرب العالمية قدمت القبيلة، التي كانت أكثر المتضررين من غزوات الإخوان الوهابيين في خريف 1922م و1924م، للأمير عبد الله خدمة جليلة في حماية الحدود ضد الوهابيين[2]. وفي الداخل أيضاً قدم بنو صخر الدعم للأمير ضد العناصر الساخطة التي كان يقودها أعداؤهم القدامى، العدوان (انظر الصفحة 308 أعلاه). إلا أن أحداث فلسطين أدت إلى حدوث فتور في هذه العلاقة.

خلال الخمسين عاماً الأخيرة تقلصت منطقة تنقل بني صخر تقلصاً كبيراً في جهة الغرب. ولم يبق للقبيلة سوى علاماتها القديمة التي تذكّر بإقامتها في العجلون الذي كانت تزوره بانتظام حتى عام 1890م[3]. كما أنهم اختفوا أيضاً منذ زمن طويل من ضفاف نهر الأردن الأسفل وشواطئ البحر الميت. تسير حدودهم الغربية اليوم على طرف العجلون من عين رحوب إلى الدهما والخناصرة. ومن هنا تتقاطع مع منطقة بني حسن باتجاه عمّان. وفي البلقا وإلى أبعد نحو الجنوب تتبع خطاً يسير من يادوده شمال شرق حسبان بخط مستقيم إلى الدعجانية شمال معان. وهنا تنحني نحو الجنوب الشرقي ثم تنعطف إلى وادي سرحان وتعود من هنا إلى نقطة الإنطلاق[4].

---

(1) لورنس، ص 409، 417، 432 وما بعدها، 436، 513، 525.

(2) فيلبي، الجزيرة العربية، ص 289، 308.

(3) سيتزن، الجزء الأول، ص 363؛ تريسترام (1863م)، بلاد إسرائيل، ص 491 وما بعدها؛ شتويرناغل ـ شوماخر، العجلون، ص 179، 240. ليس معروفاً ما إذا كان صخور العلا (80 خيمة = 300 نسمة) المذكورين في نفس المصدر (ص 226، 228) لعام 1885م قرب كفر أسد يمثلون بقية من قبيلتنا أم إنهم ينتمون إلى صخور الغور.

(4) العجلون، ص 240، 353؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 112؛ انظر الخريطة عند رسوان: مناطق القبائل، مراجع الجغرافية، Raswan, Tribal Areas, The Geographical Review, 8d. XX، الجزء العشرون، ص 501. لكن الخريطة لا تشمل سوى منطقة الطوقة.

داخل هذه المنطقة يتنقل الكعابنة (ب) في الجزء الشمالي حتى قرب عمان، والطوقة (آ) في الجزء الجنوبي. الاتجاه الرئيسي لحركة، الطوقة على الأقل، هو شمال جنوب؛ في الشتاء يرحلون إلى منطقة الصوان، حيث يجدون الماء في منخفض الجفر وعند بئر باير، وفي الصيف يرحلون إلى البلقا شرقي مادبا. في الشرق كان بنو صخر يجتازون أحياناً وادي سرحان، كما حدث في شتاء 1914/ 1915م عندما أرادوا إنقاذ إبلهم من تدخل الحكومة[1]. وفي الشمال أصبحت الحدود الدولية الآن تعيق حركتهم، بينما كانوا في السابق يتوجهون في أحيان كثيرة إلى حوران. يعيش الخضير (آ 4) حياة نصف بدوية قرب عمان وكذلك الجبور (ب 1).

منذ نهاية التسعينيات تملكت عائلة شيوخ بني صخر مساحات واسعة من الأراضي في شرقي البلقا يقوم بحراثتها فلاحون فلسطينيون[2]. وبعد بناء خط سكة حديد الحجاز ارتفعت قيمة هذه الأراضي ارتفاعاً كبيراً وأصبحت تعطي عوائد كبيرة. إلا أن مصادر أخرى للدخل انعدمت بسبب التطور المتواصل ومن بينها الصرة لقاء مرافقة الحجاج من مزيريب إلى معان والتي يقول ياوسن (ص 123) أنها كانت تبلغ 500 مجيدي بالإضافة إلى بعض الأشياء العينية. كما أن الخوة التي كان بنو صخر يتقاضونها في السابق من بعض المدن والقرى كالصلت والكرك[3] فقد توقفت طبعاً. ولم يكن يدفع لهم خوة قبل الحرب وكانت هذه الخوة تجبى بدورة تناوبية مدتها أربع سنوات حيث يتقاضاها مرة الزبن، ومرة بن قاعود، ثم الزبن والهقيش معاً، وأخيراً السحيم[4] (انظر الملاحظة 4 المتعلقة بشجرة نسب الطوقة). أمّا تحضير كربونات الكاليوم (من رماد الخشب) ونقل

(1) هاندبوك، الجزء الأول، ص 57؛ انظر الصفحة 341 أعلاه.

(2) ياوسن، ص 241 وما يليها، 136 وما بعدها؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 117.

(3) بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 352؛ بيكه، ص 173. بخصوص القرى الأخرى الملزمة بدفع الخوة انظر موزيل، الجزء الثالث، ص 117.

(4) ياوسن، ص 163: كل خيمة مجيدي واحد.

الملح من كاف (انظر الصفحة 287 والصفحة 308 أعلاه) فقد أصبحا جزءاً من الماضي.

علاقات الصخور متوترة مع جميع جيرانهم. وقد أدى خلافهم مع العدوان إلى حدوث اضطرابات استمرت إلى ما بعد الحرب ولم تسوّ إلاّ في عام 1924م[1]. ومع الرولة الذين تدخل منطقتهم عند قلعة الزرقا إلى عمق مراعيهم، ظل الصخور يعيشون في عداوة دائمة حتى الحرب العالمية. ومن الأحداث المشهورة بشكل خاص الحرب التي اندلعت، حسب حكاية القبيلة، بسبب وقوع طراد بن الزبن في غرام الفتاة الجميلة كستنا، أخت متعب شيخ السردية. وقد وصف بالتفصيل مراحل هذه الحرب كل من شوماخر (مصادمات عند النعيم وجرش في صيف 1897م) وموزيل (حرب مواقع عند لبيّن جنوبي عمان 1902م)[2]. إلا أن العلاقة بين القبيلتين تحسنت في وقت لاحق نتيجة عدائهما المشترك للوهابيين. وينطبق الشيء نفسه على علاقة الصخور مع جيرانهم الجنوبيين الحويطات. مع هذه القبيلة أيضاً كانت تقوم عداوات منذ زمن طويل. وتذكر حكايات القبيلة "معارك" القريقرة[3]، وأبو الظهور (؟)، وباير، التي تكبد فيها بنو صخر خسائر فادحة (في بادية القرن الحالي)؛ ويتحدث بوركهاردت وياوسن عن عداوات أقدم (1812م، 1885م)، بينما يتحدث موزيل عن عداوات أحدث (1909م)[4]. وفي الشمال كان الصخور متعادين مع الدروز وعرب الجبل. والعلاقات مع الكرك كانت متبدلة، ولكن منذ بعض الوقت تقوم علاقة صداقة مع المجالي، عائلة شيوخ المدينة[5]. وكانت

(1) الشرق الحديث، الجزء الثالث، ص 230، 292؛ الجزء الرابع، ص 498.

(2) العجلون، ص 242؛ موزيل الرولة، ص 603 ـ 618.

(3) برغوثي، الفريفرة. وهذه قرية قرب الحسا. ولكن وبما أنها يجب أن تكون قرية واقعة بين الحسا والقطرانة، فإن الفريفرة هي خطأ كتابي، والمقصود هو القريقرة. انظر خريطة موزيل، شمال الحجاز.

(4) بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 398. ياوسن. ص 41؛ موزيل، شمال الحجاز، ص 36.

(5) ياوسن، ص 152؛ بيكه، ص 175 وما يليها.

غزوات الصخور تصل قبل الحرب إلى ديرة الشنبل في الشمال (1905م) ومدائن صالح في الجنوب[1]. وبعد الحرب أصبحت هذه الغزوات موجهة ضد الوهابيين.

ينقسم بنو صخر إلى مجموعتين هما: الطوقة والكعابنة[2]. تضم المجموعة الأولى ثلاثة زعماء هم رؤساء العائلات الثلاث: الفايز، والنوفل، والمور، وتضم الثانية زعيمين هما ابن زهير والخريشة، أي شيخ القبائل الفرعية: الغبين والزبن والهقيش من جهة، وشيخ الجبور والخرشان من جهة أخرى.

(1) دوتي، الجزء الأول، ص 350.

(2) لا علاقة لهم بقبيلة الكعابنة نصف الفلاحية الموجودة على الطرف الجنوبي للبلقا. انظر روبنسون، الجزء الثالث، ص 104. غارماني، ص 17 وما يليها، 136؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 120؛ بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 158.

عائلات شيوخ بني صخر

يقود المجموعتين اللتين يتألف منهما بنو صخر، وهما الطوقة والكعابنة، عائلتا شيوخ هما: الفايز والخريشة. والخريشة أقدم من الفايز، وقد ذكرنا اثنين من أعضاء هذه الأسرة من النصف الأول من القرن الثامن عشر، وهما محمد وسليمان، في الصفحة 337 أعلاه. وهناك سليمان ثان ـ كان عام 1807م شيخ مشايخ بني صخر[1] ـ يعتقد أنه من الخريشة أيضاً.

إلا أن الفايز أصبحوا منذ وقت طويل أقوى من الخريشة وهم يدعون اليوم لنفسهم الحق في قيادة القبيلة كلها. وأقدم عضو من الأسرة، مثبت بأدلة خارج حكايات القبيلة، هو قعدان، ابن فايز الجد الأول للعائلة (انظر الصفحة 338 أعلاه، وكذلك شجرة نسب الطوقة والملاحظات العائدة لها). وتذكر حكاية القبيلة نفسها دبيس الموح[2]، أخا قعدان؛ الذي يرد ذكر ابنه، ولد الموح ابن فايز، في قصيدة سجلها البرغوثي عند العدوان.

الشيخ المعروف التالي، فندي[3]، يأتي بعد أربعة أجيال. وقد كان يحكم في

---

(1) سيتزن، الجزء الثاني، ص 320.

(2) انظر أيضاً بيكه، ص 216.

(3) غورماني، ص 141، والصفحة 343 أعلاه؛ بلونت Blunt, A Pilgrimage، الجزء الأول، ص 41 (1879م).

ستينات وسبعينات القرن التاسع عشر. بعد وفاة فندي انشق أبناؤه إلى فريقين، فريق بقيادة سطم تحالف مع العنزة (رولة)، والآخر تحالف مع العدوان. وعندما قتل سطم في مايو/ أيار 1881م في المعركة، تصالح الأخوة واعترفوا بسطّام زعيماً لهم (بصفة شيخ المشايخ). تقرب سطّام من الأتراك[1] واتبع أخوه وخليفته طلال (1890 ـ 1909م) نفس السياسة. وحصل لقاء ذلك على لقب باشا وعلى دعم مالي سنوي. كان طلال حاكماً حذراً ولبقاً[2]. ولم يزل القرار الذي اتخذه في خلاف بين ابن عمه وصهره رميح، وعائلة أبي جابر المسيحية الغنية، والذي جاء ضد ابن عمه، مشهوراً حتى اليوم[3].

أصبح خليفة طلال، فواز السطام (1909 ـ 1917م) قائمقام الجيزة (= الزيزا، الزيزية) وبالتالي موظفاً عثمانياً، لكنه كانت له علاقات مع القوميين العرب. لم يدعم خططهم بصورة فعالة ومباشرة ولكنه حاول خيانة لورنس والعمل ضده مع الأتراك. وقد "توفي" بعد ذلك مباشرة[4]. ومنذئذ يقود القبيلة ابن أخيه مثقال باشا الفايز[5].

التقيت مع مثقال باشا في مايو/ أيار 1939م في دمشق. وكان آنذاك في طريقه

---

(1) كوندر، ص 317 وما بعدها، 118. توفي سطام عام 1890م، غراي هيل، ص 249.

(2) غراي هيل، ص 251، 259؛ ياوسن، ص 123، 135 وما بعدها. موزيل، تدمر، ص 18؛ شمال الحجاز، ص 36؛ صورٌ له لدى موزيل، الجزء الثالث، ص 115، 129.

(3) صالح أبو جابر، مسيحي من الناصرة، جاء إلى البلقا في السبعينات بصفة تاجر، وسكن في قرية يادودة التي حصلت على اسم أبو جابر نسبة له، وتعاون مع سطام. تعيش العائلة اليوم في الصلت؛ حصل سعيد، حفيد صالح من الأمير عبد الله على لقب باشا. وقد تكررت بعد الحرب الخلافات مع شيوخ بني صخر. معلومة من الأمير شكيب أرسلان، يراجع بشأنها ياوسن، ص 244، الشرق الحديث، الجزء الأول، ص 659، وبيكه، ص 249.

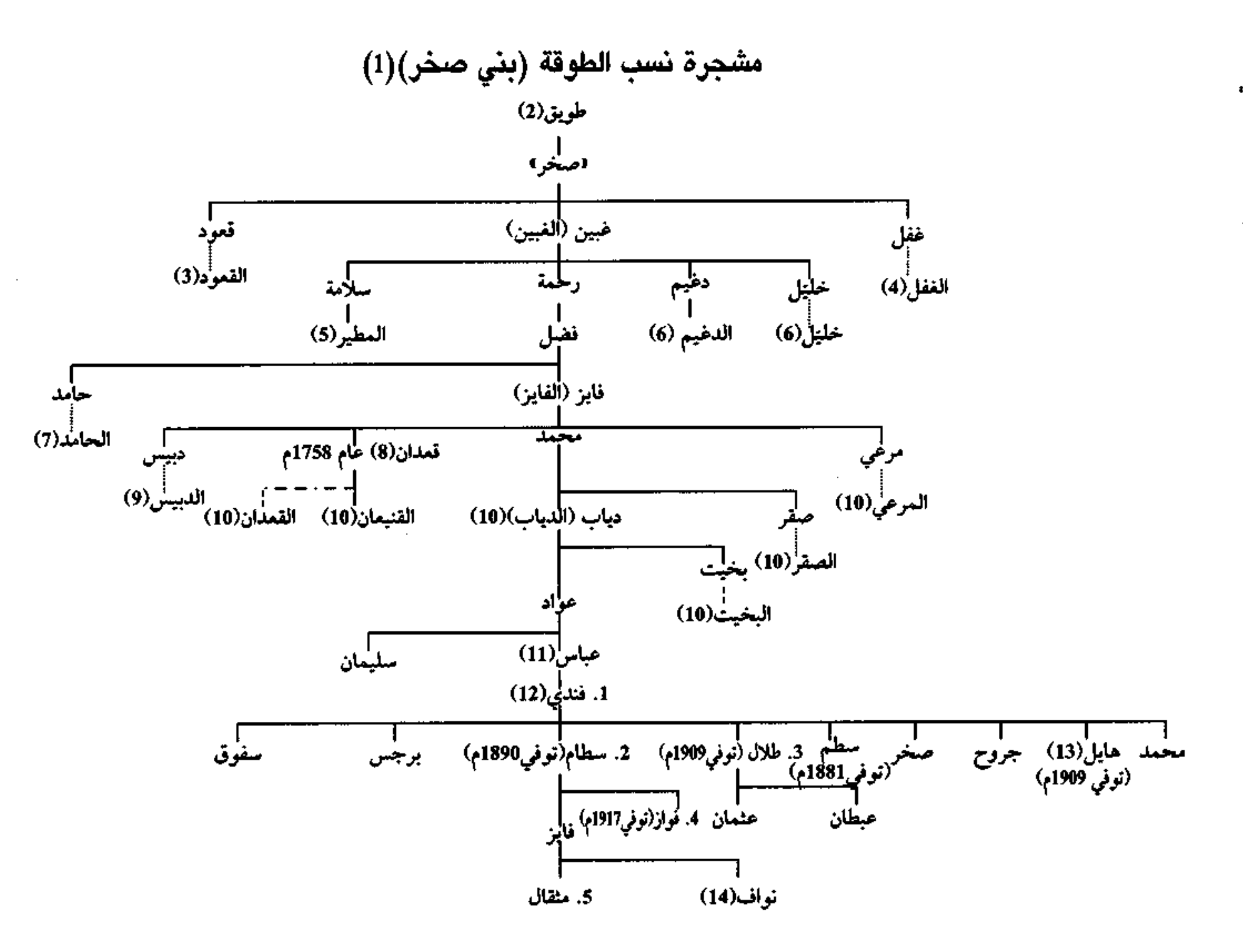
(4) لورنس، ص 532.

(5) لقد روى عن حياته العائلية أحاديث رائعة ل. ف. كلاوس في كتابه "بدوي بين البدو" (باللغة الألمانية) وفي الطبعة الموسعة للكتاب «ساميو الصحراء فيما بينهم». ونلفت الانتباه بشكل خاص إلى الصور الرائعة وتفسيرها.

إلى بغداد للمشاركة في حفل تأبين (ذكرى أربعين) الملك غازي. وللأسف لم أتمكن من تلبية دعوته لي لزيارته بعد عودته.



مثقال باشا الفايز، شيخ مشايخ بني صخر (1939م).



مشجرة نسب الطوقة (بني صخر)(1)
طويق(2)
«صخر»
قعود
القعود(3)
غبين (الغبين)
غفل
الغفل(4)
سلامة
المطير(5)
رحمة
دغيم
الدغيم (6)
خليل
خليل(6)
فضل
حامد
الحامد(7)
فايز (الفايز)
محمد
دبيس
الدبيس(9)
قمدان(8) عام 1758م
القمدان(10)
القنيمان(10)
دياب (الدياب)(10)
صقر
الصقر(10)
مرعي
المرعي(10)
بخيت
البخيت(10)
عواد
سليمان
عباس(11)
1. فندي(12)
سفوق
برجس
2. سطام(توفي 1890م)
3. طلال (توفي 1909م)
سطم (توفي 1881م)
صخر
جروح
هايل(13) (توفي 1909م)
محمد
4. فواز(توفي 1917م)
فايز
عثمان
عبطان
5. مثقال
نواف(14)

ملاحظات عن مشجرة نسب الطوقة

1 ـ وضعت شجرة النسب حتى فندي استناداً إلى معلومات موزيل، الجزء الثالث، ص 116. بشأن خلفاء فندي اعتمدنا على كوندر، وغراي هيل، وكذلك: ياوسن، ص 128، 148؛ موزيل، قصير عمرة، الجزء الأول، ص 78.

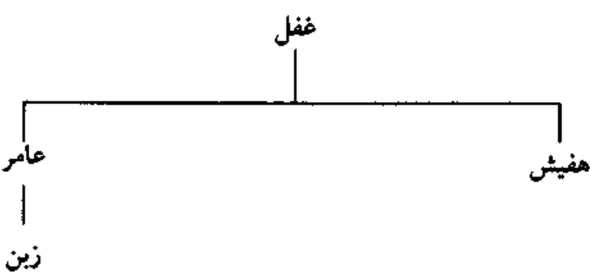
2 ـ حكاية الطويق حسب ياوسن، ص 107: بدوي اسمه دهمش وجد في الصحراء طفلاً متروكاً. فأخذ إلى منزله واحتفظ به. أطلق على الطفل اسم "لقطة دهمش"، إلا أنه استعيض عن هذا الاسم في وقت لاحق باسم "طويق" (سلسلة عنق صغيرة) نسبة إلى الطويق الذي كان يحمله حول عنقه. بعد عدة أعوام زوج دهمش طويق من ابنته. فرزق الزوجان أربعة أبناء يعتبرون أجداد أسر الصخور الأربع: غفل، سحيم، غبين، قعود.

حكاية الطويق حسب موزيل، الجزء الثالث، ص 113: في أحد الأعوام رافق أحد الباشاوات قافلة الحج وبات ليلة في خيمة شيخ الدهامشة. وفي الليل سرق ابنته وهرب معها. فتبعهما أخوها وظل يلاحقهما إلى أن اتيحت له في أحد الليالي الفرصة لقتل الباشا وتحرير شقيته المخطوفة. لكن الفتاة كانت حاملاً وولدت طفلاً أراد أخوها طمره في الرمل. إلا أن الأم لم تسمح بذلك وظل الصبي على قيد الحياة. فسماه الأخ "طويق" وأهداه الجنين الموجود في بطن ناقته التي ولدت أنثى. وعندما أصبح عمره 3 سنوات جاء السردية وطلبوا من الدهامشة دفع الخوة. فأعطاهم الدهامشة عدة أشياء من بينها ناقة طويق، لكن السردية رفضوا أخذ الناقة. عندئذ تسلل طويق إلى جمال السردية وقص قطعة من شفتها السفلى ورسم عليها وسم قبيلته. عندما اكتشف السردية في الصباح هذا الاعتداء ظنوا أن الدهامشة قد ثاروا عليهم، هرعوا إلى ظهور جمالهم لكي يهربوا. ولكن ما أن تحركت الجمال حتى سقط الخيالة إلى الأرض لأن طويق كان قد حل أحزمة السروج. وهكذا اندلعت الحرب بين القبيلتين، وعندما كبر طويق قاد عملية الدفاع.

ومنذ ذلك اليوم لم يعد الدهامشة يدفعون خوة.

في وقت لاحق تزوج طويق فتاة من الدهامشة ورزق منها صبياً سماه صخر. رزق صخر ثلاثة أبناء: قعود، وغبين، وغفل، وهم أجداد الأسر الثلاث التي تحمل هذه الأسماء.

كلا الحكايتين تثبتان أن الطوقة من أصل غير معروف، وأن نسب المجموعة، والذي أصبح مرغوباً مؤخراً، إلى الأحامدة ـ حرب (بيكه، ص 214) مختلف لا أساس له. ومن ناحية أخرى يتبين من الحكايتين أن الدهامشة (آ 1 هـ) أقدم من الطوقة الحقيقيين وهم على أرجح الظن بني صخر أصليين. ولذلك لا يظهرون في شجرة النسب التي وضعناها، شأنهم شأن الجحاوشة (آ 1 د) والخضير (آ ع) الذين هم، حسبما ذكرنا في الملاحظة العائدة لذلك في الجدول، من أصل غريب. وكذلك الزبن (آ 2) والهقيش (آ 3)، غير الموجودين أيضاً، ينسبون عند ياوسن، ص 108 (انظر تصنيف بيكه، ص 220) إلى غفل، "ابن" طويق على الشكل التالي:



ولكن هذا النسب هو حسب موزيل، الجزء الثالث، ص 119، ليس النسب الأساسي الأول، وأن كلا القبيلتين أقدم من الطوقة الحقيقيين. ولذلك لا تحتوي شجرة القبيلة إلاً الفرع آ، ب، حـ من الغبين (آ 1) وعدداً، غير مذكور في الجدول، من عشائر هذه القبيلة الفرعية أو بالأحرى فرعها فايز (في شجرة القبيلة موضوعة بين قوسين أو موصولة مع الجد بخط منقط).

يجب الانتباه إلى أن الجد الذي ينتسب إليه بني صخر قد وضع في شجرة القبيلة باعتباره ابن طويق، عند موزيل على الأقل، ولكن ليس عند ياوسن (ولذلك وضع ضمن علامتي اقتباس)!

3 ـ أسرة من الغبين. الوسم: ┌┐ (باب) على صفحة الكتف.

4 ـ أسرة من الغبين. الوسم: ┌ محجان على القدم الأمامية. عند ياوسن، ص 108، يوجد أيضاً أسرة أخ رابع، أو بالأحرى أخ رابع، سحيم.

5 ـ آ 1 حـ.

6 ـ أسرتان من غبين. الوسم: ٨ (شاهد) على الرقبة، أو على الأنف.

7 ـ آ 1 ب.

8 ـ انظر الصفحة 339 أعلاه. ضريحه قرب باير يزار ويحظى بالتكريم؛ موزيل، الجزر الثالث، ص 116.

9 ـ يبدو أن هذه الأسرة من الفايز تسمي نفسها اليوم النمر، انظر ياوسن، ص 156 وما بعدها، موزيل، الجزء الثالث، ص 118، وبيكه، ص 220.

10 ـ أسرة من الفايز، انظر موزيل، الجزء الثالث، ص 118؛ ياوسن، ص 405، بيكه، ص 220.

11 ـ مع اللقب أبو جنيب.

12 ـ قبره في الغور يزار أيضاً؛ ياوسن، ص239، 315 وما بعدها. يقدر ياوسن (1907م) خلف فندي الذكور بسبعين شخصاً.

13 ـ قتل في شعيب حدرج ضد الحويطات، موزيل، شمال الحجاز، ص36.

14 ـ لورنس، ص 531 وما بعدها.

في إطار شجرة نسب الطوقة ثم شرح سؤالين آخرين. كالطواقة يدعي حديثاً الكعابنة (ب) أيضاً بأنهم من أقرباء حرب؛ بيكه، ص 214 وما بعدها. وعن هذا الموضوع لا يمكن قول الكثير بعد أن تمّ أعلاه تقديم البرهان على الصلة التاريخية مع بني صخر العصور الوسطى. ولكن هذا لا ينفي بطبيعة الحال أن يكون حرب قد انضموا إلى مجمع بني صخر عندما كانوا لا يزالون يسكنون في الحجاز.

هناك مسألة أخرى أكثر أهمية: حسب موزيل، ص 116، جاء الخرشان (ب 2)، الذي يسمّون بني محمد أيضاً، من دير الشعر على الفرات؛ وهذه هي حسب نفس المؤلف، الفرات الأوسط، ص 1، دير الزور. هذه المعلومة الغريبة والتي، من الناحية التاريخية، عديمة القيمة طبعاً، تجد كما يبدو سنداً لها في أنه يوجد في دير الزور عشيرة اسمها الخرشان. وقد قال لي خلّوف الصبّاغ، زعيم هذه العشيرة، الذي نزلت عنده عام 1929م في دير الزور، أن عائلته تربطها صلة قربى مع خرشان بني صخر (ب 2)؛ وكلاهما ينحدر من «صخر بن حرب بن قريش»!

بني صخر(1)

شيخ المشايخ: مثقال باشا الفايز

أ ـ الطوقة(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الغبين(3)	مثقال باشا الفايز	صيفاً: الجيزة شتاء: وادي سرحان؛ الصوان	
أ ـ الفايز(4)			
ب ـ الحامد(5)			
جـ ـ المطيرات(6)			
د ـ الجحاوشة(7)			
هـ ـ الدهامشة(8)			
2 ـ الزبن(9)	سلامة النوفل(10)	صيفاً: الجيزة شتاء: وادي سرحان؛ الصوان	
أ ـ النوفل			
ب ـ العبد القادر			
جـ ـ المحارب			
د ـ الشموط			
هـ ـ العثمان			
و ـ النعام			
3 ـ الهقيش(11)	خلف المور(12)	صيفاً: أم الرصاص؛ الثمد شتاء: الصوان؛ وادي سرحان	

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
أ ـ المهنا			
ب ـ البشير			
جـ ـ الزبدان(13)			
د ـ السالم			
4 ـ خضير(14)	مثقال باشا الفايز	عمان؛ قرية سالم؛ قصر الخرانة	
أ ـ البراذعة	ابن عقل		
ب ـ المزاهيف			
جـ ـ الفضول			
د ـ(15)			
هـ ـ الحبة(16)	ابن الحبة		
و ـ الحصامنة(17)			
ز ـ الهليل			

ب ـ الكعابنة(18)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الجبور(19)	ذوقان بن زهير(20)	عمان	
أ ـ الزهير(21)	ذوقان بن زهير		
ب ـ الغيالين(22)	بشير بن ذبلان		50
جـ ـ الفريجات	مزوادة بن زهير		

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
د ـ العكمة(23)	جويعد بن فضل		60
هـ ـ الدهام	النوري		
و ـ الخضر			
ز ـ الجهينة(24)	طاهر قشيش		40
ح ـ الديكة	عواد الفرحان		
2 ـ الخرشان(25)	حديثة الخريشة(26)	صيفاً: عمان شتاء: وادي الراجل	
أ ـ الحنيف	حديثة الخريشة		
ب ـ القضاة			
جـ ـ الحماد	مجلي الكليب(27)		
د ـ الحمد	عارف الحمد		
هـ ـ الثمد	عافت الثمد		
و ـ العيط(28)	شاهر العيط		
ز ـ الصالح	فدعوس الصالح		
ح ـ الغدرة(29)	عيطان الغدور		
ط ـ السليمان	طراد السليمان		
قبائل ملحقة			
1 ـ السلايطة			20
2 ـ السعيدات(30)			
3 ـ النجادات(30)			
4 ـ السعادنة(31)			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
5 ـ العوازم(32)			100
6 ـ السبيلة			25
7 ـ الشرعة(33)			50
8 ـ القطيفات(34)			15

ملاحظات

1 ـ قوائم القبيلة موجودة عند بوركهاردت، ص 19؛ غارماني، ص 141؛ مجلة الجمعية الألمانية ـ الفلسطينية، لايبزغ، الجزء 24، ص 28 وما بعدها (ليتمان)؛ ياوسن، ص 400 وما بعدها (404 وما بعدها تصحيحات لقائمة ليتمان)؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 117 وما يليها؛ هاندبوك، الجزء الأول، ص 58؛ ترير، ص 216 وما بعدها، حسب سلمان؛ بيكه، ص 220 وما بعدها.

عدد الخيام: 1200 ـ 1500. عدد الماشية: 12,000 ـ 15,000 رأس من الإبل، 500 رأس من الخيول.

2 ـ طوقة؟ في شجرة النسب يذكر عدد من عشائر الطوقة غير المذكورة هنا.
الوسم: (طويجي) على الظهر. صيحة الحرب: البواسل رعاة العرفا!

3 ـ صيحة الحرب: أخو بلها! قصة انضمام الغبين إلى الصخر، ليتمان، حكايات بدوية عربية، رقم 4، ليس لها سند تاريخي.

4 ـ الوسم: صيحة الحرب: بلها الفنا!

5 ـ صيحة الحرب: عشما! قبل حوالي خمسين عاماً حاول الشيخ قطفان ابن حامد تشكيل قبيلة خاصة به، ولكن أتباعه، الذين كانوا يتألفون من الصخور والشرارات والحمايدة، تفرقوا بعد وفاته؛ ياوسن، ص 115.

6 ـ صيحة الحرب: عليا!

7 ـ ياوسن، ص 113؛ ينتمون إلى الأزايدة وقد هربوا إلى عند الفايز قبل 80 عاماً تقريباً بسبب قضية ثأر. وما زالوا لا يتزاوجون مع بني صخر. بوركهاردت، ص 20، يذكرهم بين قبائل البلقا.

8 ـ صيحة الحرب: عليا!

9 ـ مذكورون عند بوركهاردت. الوسم: [وسم]. صيحة الحرب: أخو وضحا! الزبن يقدسون قبر أسعد عند باير؛ ياوسن، ص 267، 314، 318؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 116؛ لورنس، ص 407.

10 ـ 1925م كان محمد المفلح، أثناء الحرب العالمية وأبوه مفلح (من فرع شلاش النوفل؟) كان شيخ مشايخ الزبن، وقبله فالح بن شلاش. وينتمي إلى فروع أخرى من العائلة مناور بن فهّار (بداية التسعينيات) ودريبي بن زبن (آخر السبعينيات) (لورنس، ص 403؛ ياوسن، ص 400، 172؛ موزيل، ص 117؛ بلونت، الحج، الجزء الأول، ص 72). الأكثر شهرة هو طراد بن قمعان بن عودة بن مفاور بن هديرس بن نوفل بن فرج بن زبن، الذي كان في حرب الرولة في نهاية القرن عقيد بني صخر. توفي عام 1902م (موزيل، ص 119؛ ياوسن، ص 167)، وورث ابناه فهد وعذب منصب أبيهما، انظر الصفحة 342 أعلاه.

11 ـ مذكورون عند بوركهاردت. الوسم: مثل وسم الزبن.

12 ـ ياوسن، موزيل: ضيف الله المور.

13 ـ مذكورون عند بوركهاردت.

14 ـ قبل حوالي 150 سنة ضمهم الطوقة بصفة طنيب (جيران الخيام) إلى صفوفهم. ثم تزوج زعيمهم فتاة من الغبين؛ موزيل، ص 120. الوسم: [وسم] على الفخذين.

15 ـ برغوثي: الفقرة؛ موزيل: "القنوع"؛ بيكه: القنوة.

16 ـ بيكه: اللحية.

17 ـ بيكه : الحصاينة.

18 ـ هاندبوك : 500 خيمة.

19 ـ الوسم : ┳ على الورك الأيمن. صيحة الحرب : خيال العرفا يا سلمى [يا سلمي؟] (أولاد باسل)!

20 ـ ياوسن : سالم بن زهير.

21 ـ مذكورون عند بوركهاردت.

22 ـ يقال بأنهم من شمر.

23 ـ يزعمون أنهم حرب من خيبر.

24 ـ من القبيلة المشهورة في الحجاز.

25 ـ الوسم : ⊡ (صندوق). صيحة الحرب : أخو فلوى!

26 ـ سلسلة النسب : حديثه بن علي بن عبد الله بن الحميدي بن خلف بن سالم بن سليم بن محمد. السابق : علي الـ (خريشة)، 1870م، إزابيل بورتون، الحياة الداخلية لسورية وفلسطين والأراضي المقدسة، لندن 1875م، الجزء الأول، ص 69؛ عبد الله الخريشة، 1864م، غارماني، ص 141.

27 ـ حسب موزيل، ص 121، الكليب منضمون إلى الخرشان.

28 ـ بيكه : العطية.

29 ـ بيكه : القدور.

30 ـ من غزة.

31 ـ جبارات.

32 ـ أوتينغ (الجزء الأول، ص 82) التقى بهم في كاف.

33 ـ ينتمون إلى زبيد حوران، انظر الجزء الأول، ص 492، 495.

34 ـ بني حسن.

السلايطة

يسكن السلايطة على الطرف الشرقي للبلقا من وادي الثمد حتى اللجّون. في الماضي كانوا يقيمون في منطقة أبعد إلى الجنوب عند شوبك[1]. وقد انتقلوا حديثاً إلى الزراعة ولهم أراض زراعية في المشيرفة واللهون. وهم مرتبطون باتحاد مع بني صخر.

السلايطة(1)

شيخ المشايخ: معزّى الغثيان

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الرجيلات	نوفل أبو رجيلة	شتاء: قصور بشير/ صيفاً أم الرصاص؛ الثمد	58
2 ـ الغيثان	معزّى الغثيان	شتاء: قصور بشير/ صيفاً أم الرصاص؛ الثمد	42
3 ـ الشبيكات	ضفدع الشبكي	شتاء: قصور بشير/ صيفاً أم الرصاص؛ الثمد	

(1) موزيل، ص 106.

ملاحظات

1 ـ بوركهاردت، ص 22. يوجد قوائم عند ياوسن، ص 396، وموزيل، ص 106. صيحة الحرب: بني مسلط! الوسم: ـــ (شارب) على الخد الأيسر، وسومات أخرى عند موزيل.

الحمايدة

تقع منطقة الحمايدة على الجانب الشرقي للبحر الميت وتمتد من الزرقا ماعين في الشمال حتى وادي بني حمّاد في الجنوب، أي أنها تشمل منطقة الجبال والكورة وجزءاً من منطقة الكرك. ينتمي الحمايدة إلى جماعة قديمة من السكان الفلاحين يطلق عليهم اسم بني حميدة وكانوا ينتشرون حتى البترا[1] ولا يزالوا ممثلين حتى اليوم في المناطق الواقعة جنوب وادي الحسا.

تاريخ الحمايدة متشابك مع تاريخ الكرك. فقد كانت لهم هناك ملكيات عقارية، لكن العمرو طردوهم من هذه المنطقة في النصف الأول من القرن الثامن عشر (انظر المقال المقبل). وعندما عادوا بموافقة أهالي الكرك تمكّنوا من استعادة جزء من أملاكهم. إلا أن الشيخ يوسف، شيخ الكرك، حرض ضدهم العمرو ثم انقض عليهم بعد إضعافهم نتيجة صراعهم مع العمرو وطردهم إلى وراء وادي بني حماد. وقد حاولوا عبثاً استعادة أراضيهم عند الكرك وكانت آخر محاولاتهم الفاشلة التماس قدموه عام 1929 للأمير عبد اللّه[2].

---

(1) موزيل، شمال الحجاز، ص 321 (حسب سيتزن) يعتقد أنهم موجودون في تبوك أيضاً، لكن الحميدات (عند بوركهات، رحلات في سورية، ص 659: "حميّدة") الموجودة هناك هم حسب فالّين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1851م، ص 313، من كعب، أي كعابنة (بني صخر).

(2) انظر موزيل، الجزء الثالث، ص 84؛ سيتزن، الجزء الأول، ص 415، بيكه، ص 173 ـ 176.

وفي الشمال أيضاً كان الحمايدة يعملون منذ القدم في الزراعة، وخاصة في سهل الكورة[1]. وتحظى القبيلة بسمعة سيئة جداً عند الرحالة الأوروبيين الذين جاؤوا إلى المنطقة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. لكن الأتراك أخضعوها تماماً في التسعينات وصارت منذئذ تدفع 3000 ضرائب[*] كل عام) كان الشيوخ الصغار مسؤولين عن جمعها.

ولعل هذا الوضع الضريبي هو الذي جعل أعضاء المجمع يتشرذمون إلى حد كبير، كما يتبيّن من الملاحظات العائدة للجدول. وعلى أي حال فإن العنصر المتبقي تشكله عائلات الشيوخ الثلاث: ابن طريف، وأبو بريز (1)، وأبو ربيحة(2)، ويتمتع شيخ المشايخ ابن طريف بنفوذ واسع عند حمايدة الكرك فقط، أما في الجبال والكورة فلا يطيعه إلاّ الجماعين والضرابعة والرواحنة (3 آ، ب، هـ).

الحمايدة(1)

شيخ المشايخ: سليمان بن طريف(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الفواضلة(2)	شهوان أبو بريز(3)		180
أ ـ الهواوشة(4)	حسن الهواوشة	الكورة	
ب ـ الحمادين(5)	حسن الهواوشة	الكرك	
جـ ـ القبيلات(6)	رفيعة بن صالح	الجبال	
د ـ الشقور(5)	رفيعة بن صالح	الكرك	
هـ ـ العجالين	خلف العجالين/ فياض الطوالبة	الجبال	

(1) سيتزن، الجزء الثاني، ص 335.

(*) 3000 ليرة تركي أو عملة أخرى لم نتأكد من معرفتها (ماجد شبّر).

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
و ـ الطوالبة(7)	خلف العجالين/ فياض الطوالبة	الجبال	
ل ـ المواضية(5)			50
1 ـ الخمايسة			
2 ـ المطارقة			
ك ـ البريزات(8)	شهوان أبو بريز		
2 ـ اللبادنة(9)	ساري أبو ربيحة	الكورة	
أ ـ الحواتمة (الزعيرات)(10)	سليم بن عيد		
ب ـ اللوانسة(11)	محمد أبو خروب		
جـ ـ الشراونة(12)	حسن الشراونة		
د ـ القواسمة	نجيب الرواشدة		
هـ ـ الربيحات	هديان الربيحات		
3 ـ النهضا(13)			300
أ ـ الجماعين(14)	عبد الله بن مبارك	الجبال	
ب ـ الضرابعة(15)	تايه بن مصطفى	الكرك؛ الجبال	
جـ ـ الحيصة(16)	فالح بن عودة	الجبال	
د ـ الديارنة(17)	عبد الله الديارنة		
هـ ـ الرواحنة	داوود الرياحنة	الكورة	
و ـ الكواملة	يوسف الكواملة		
ز ـ الشخانبة(17)	عيد بن عليان	الجبال	

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
4 ـ التوايهة(18)		الجبال	200
أ ـ الهروط	خلف الهروط		
ب ـ الربطة	نبيه بن مسلم		
جـ ـ الشورة	مفلح بن سليم		
د ـ القعايدة	نوري البشير		
هـ ـ الفقها	مصلح العبد ربه		

ملاحظات

1 ـ يتطابق الجدول إلى حد كبير مع بيكة، ص 253 وما يليها. موزيل، الجزء الثالث، ص 103 وما يليها، وياوسن، ص 397 وما بعدها، يقسمان الحمايدة إلى ثلاث قبائل فرعية: الطرفا (ابن طريف)، والشراونة (أبو ربيحة)، والفواضلة (أبو بريز). ويبدو أن القبيلة الأولى قد تفككت في هذه الأثناء[1]، تظهر فروعها عندنا تحت: الفواضلة (1) والنهضا (3): أما القبيلة الفرعية الثانية (الشراونة) فهي تتطابق مع اللبادنة (2) عندنا.

2 ـ صيحة الحرب: **العمور!**

3 ـ **الشرق الحديث، 1933م**، ص 362، يذكر عبد العزيز أبو إبريز = بريز.

4 ـ يوجد هواوشة **أيضاً** بين الشراونة. الوسم: // على الخد الأيمن.

5 ـ موزيل وياوسن عن الطرفا، انظر بيكه، ص 358. وسم الحمادين والشقور: ⋂ على الخد الأيمن.

---

(1) بعض أجزائها متحدون عند بيكه في جدول ثان (بني حميدة الكرك، انظر الملاحظة 5).

6 ـ الوسم: ﴿٢﴾ (ناطح؟، أقرب إلى الشعبة، موزيل). صيحة الحرب: أخوات فتنة!

7 ـ الوسم: ﴿٢﴾ على الخد الأيمن.

8 ـ الوسم: ﴿٢﴾ على الخد الأيمن. صيحة الحرب: ابن برزة!

9 ـ عند موزيل، كما ذكرنا أعلاه، شراونة، ولكنه يطلق على وسمهم (على الخد الأيمن) اسم «اللبدي»؛ إضافة إلى ذلك يوجد لديه فرع اللبدة الذي يشمل الرواشدة (الذين هم هنا اسم عائلة شيوخ القواسمة د)، وهم مذكورون عند بيكه أيضاً.

10 ـ صيحة الحرب: أخو حربه!

11 ـ موزيل: "إوانسة"؛ ياوسن: "ونسة". صيحة الحرب: أخوات سلمى!

12 ـ صيحة الحرب: راعي المليحة، شروي!

13 ـ التعبير يرد عند البرغوثي فقط. بيكه يذكر بدلاً منه: المطارفة. عنده وعند موزيل يشكل آ، و، ز الفرع د (الديارنة). الذي يضعه مويزل، بالإضافة إلى الفرعين ب، هـ، مع الطرفا، على الرغم من أنه يخيم مع التوايهة (4).

14 ـ الوسم: O على الأذن اليمنى.

15 ـ الوسم: ﴿ш﴾ على الأنف.

16 ـ موزيل يضعهم تحت الديارنة (3 هـ)، ياوسن مع الطرفا مباشرة، وبيكه مع الشراونة ـ اللبادنة! الوسم: O يساراً.

17 ـ الوسم ﴿ں﴾ على الصدغ الأيمن.

18 ـ موزيل وياوسن يضعاهما مع الفواضلة. صيحة الحرب: أولاد تايه!

العمرو

لقد جمع حكايات العمرو عن العصر الذهبي للقبيلة كل من ب. ديسّار[1] وموزيل[2] (ويتضح من النص أنهما اعتمدا على المصدر نفسه). سنحاول فيما يلي رسم صورة لتاريخ القبيلة مشيرين إلى أن التسلسل الزمني يسبب كالعادة بعض المصاعب.

العمرو هم بنو عقبة، أي جذام. وبعد خلاف مع القبيلة الشقيقة المسالمة[3] تركوا موطنهم قرب مويلح على البحر الأحمر وهاجروا نحو الشمال تابعين مجموعات أخرى من عقبة. وتذكرهم قائمة الصرة التركية لعام 1676م[4] على هذا الجانب من الكرك، وتذكر حكاية القبيلة أن منخفض الجفر كان إحدى قواعدهم. وكانوا ينطلقون من هنا بقيادة شيخيهم هزاعل نصيري وأبو عرينة لشن غزوات سلب ونهب ضد الأحيدات في الغرب، الذين كانوا آنذاك يمتدون من الكرك حتى الشراه، وضد السرحان في الشرق الذين كانت واحدة الجوف في حوزتهم[5]. وفي

(1) ريفو بيبليك، 1905م، ص 410 ـ 425 (مسجلة عام 1898م).

(2) الجزء الثالث، ص 70 وما يليها. .

(3) فالين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1851م، ص 300.

(4) أرشيف عثمان باشا، رقم 44. راشد، الجزء الأول، 255، يقرأها خطأ "المعمور".

(5) موزيل يضيف هنا مقطعين يظهر فيهما العمرو سادة الجوف.

نهاية القرن السابع عشر اضطر الأحيدات إلى الرحيل إلى غزة هرباً من العمرو. وعندئذ أحتل العمرو بقيادة الشيخ ابن قيصومة (ديسّار: ابن قيصوم)، وبموافقة القبيلتين المحليتين الحمايدة والحجايا، منطقتي الكرك والطفيلة (جبال)، بينما احتفظ العمرو التابعين لابن ثبيت بمنطقة القبيلة القديمة على امتداد طريق الحج من الخمّان (قرب عمّان) حتى القطرانة. وقامت مجموعات منفردة من العمرو، ومنها المزيّك وابن سعيفان[1]، بالدخول إلى البلقا ذاتها وإلى وادي الأردن.

وبذلك كان العمرو في بداية القرن الثامن عشر[2] ثاني أهم قبيلة، بعد السردية، في شرقي الأردن. وكانت منطقتا نفوذ القبيلتين تتقاطع في بعض المواقع: كان العمرو يتقاضون خوة من قرى في جنوبي حوران، وكان السردية يتقاضون خوة من الحمايدة قرب الكرك. ولذلك لم يكن بدّ من حدوث خلافات فيما بينهم. وقد أدت النزاعات التي وقعت بين عمرو الكرك والحمايدة[3] إلى جعل ابن قيصومة يطلب النجدة من ابن قبيلته ابن بثيت. وتدخل السردية لصالح الحمايدة الموجودين تحت حمايتهم ولكن تدخلهم جاء متأخراً. فقبل أن يتمكن مبعوث شيخ السردية المحفوظ من تقديم اعتراضه كان ابن ثبيت قد دخل عبر لجّون إلى منطقة الحمايدة وهزمهم عند شيحان. فهرب الحمايدة مع نسائهم وأطفالهم عبر الموجب إلى وادي الأردن. وفي وقت لاحق حاول السردية عبثاً إعادة الحمايدة إلى ديارهم: فقد تجمعت القبيلتان في لجّون بينما تجمع العمرو وحلفاؤهم عند القصر، ونشبت معركة هزم فيها العمرو. ولكن عندما هجم المنتصرون على

(1) بشأن المزيك قارن الملاحظة 6 الخاصة بصقر في قسم فلسطين ص67، وبشأن ابن سعيفان مقال المشالخة.

(2) الشيخ ظاهر الذي تقول حكاية القبيلة أنه كان في هذا الوقت زعيم النقرة، يمكن أن يكون هو نفس شيخ الصقر الذي يحمل الاسم نفسه (انظر ص 61 ـ 62 أعلاه).

(3) حسب حكاية القبيلة وقعت هذه الأحداث والأحداث اللاحقة في عهد خليل المجالي، أي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. وهذا التاريخ يتطابع أيضاً مع أقوال بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 381.

معسكر المهزومين عند مدّين للاستيلاء على الغنائم انقلب الوضع رأساً على عقب وتحوّل المطارِدون إلى مطارَدين.

بعد هذا النصر يبدو أن العمرو من جماعة ابن ثبيت أيضاً استوطنوا في منطقة الكرك. فاستولوا مع مجموعات ابن لصيم وأبو عرينة على الأراضي الواقعة جنوب المدينة، بينما استولى على المدينة نفسها وعلى منطقة الشمال حتى وادي بني حمدان ابن قيصومة وابن عون وابن ياسر. وبعد ذلك بوقت قصير اختفت مجموعة الشمال: فقد انهزم ابن قيصومة في نزاع حول المراعي الشتوية في غور المزرعة أمام ابن ثبيت.

وهكذا كانت القبيلة قد ضعفت عندما ظهر لها بين سكان الكرك خصم جديد في نهاية القرن الثامن عشر: عندما دخل العمرو إلى منطقة الكرك (في بداية القرن الثامن عشر) كانت الكرك نفسها في يد الإمامية، أحفاد جنود أتراك، وكانت الأراضي الزراعية في يد الحمايدة. وقد طلب هؤلاء من ابن قيصومة طرد سكان الكرك منها. وعندما اندلعت الحرب بين العمرو والحمايدة أمل أهالي الكرك في العودة إلى ديارهم. ولم يحقق لهم ابن قيصومة أمنيتهم لكن ابن ثبيت أخذ على عاتقه حماية "الفلاحين الفقراء" ومكّنهم من العودة. ولكنه وقع بذلك في خطأ جسيم. فخلال وقت قصير أصبح "الفلاحون الفقراء" بقيادة عائلة شيوخهم الجديدة، عائلة المجالي، جيراناً خطيرين لعمرو[1]. فقد تحالفوا مع الحويطات، الذين كانوا في هذه الأثناء قد تقدّموا إلى وادي الحسا، وطردوا العمرو إلى البلقا (حوالي عام 1775م). نزل العمرو في بادئ الأمر عند العدوان، وفي وقت لاحق على الجانب الغربي من البحر الميت[2]. وبما أنهم لم يتمكنوا من إيجاد مقر دائم

(1) حكايات القبيلة تصل إلى هنا فقط، من الآن فصاعداً سنعتمد على بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 381. حكايات أهالي الكرك تضع بني صخر مع الحمايدة والحجايا محل الحويطات (انظر أدناه)، راجع بيكه، ص 172، وكذلك ديسار، المصدر السابق نفسه.

(2) من ذلك الزمن يأتي العمرو الموجودون اليوم في قبائل العبّاد والتعامرة والكعابنة.

لهم في أي مكان، فقد اضطروا عام 1805م العودة إلى ديارهم بالقوة. وعند مسيرهم حول الزاوية الجنوبية للبحر الميت تكبدوا خسائر فادحة على يد الترابين، لكن الشيخ يوسف، شيخ الكرك، سمح لهم بالبقاء في منطقته. وكانوا في هذه الأثناء قد تراجعوا من 1000 خيمة إلى 200 خيمة. وفي الوقت الحاضر لا يزيد عددهم على 80 خيمة. وهم يسكنون اليوم شمال الكرك قرب دفعة وقرب البالوع جنوب الموجب. وقد تخلوا عن حياة البداوة.

العمرو(1)

شيخ المشايخ: غافل أبو ثبيت

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الزواملة	سالم بن هادي	البالوع	30
2 ـ الفوايدة (الردوس)(2)	وادي الفوايدة	البالوع	8
3 ـ الغشاشمة	رشيد الغشاشمة	البالوع	4
4 ـ اللصايمة	رشيد اللصايمة	البالوع	5
5 ـ الشلالحة(3)	حسين الشلالخة	شمال وادي بني حماد	15
6 ـ الجرادات(3)	حسين الشلالخة	شمال وادي بني حماد	
7 ـ اللحاوية	فلاح الحاوي		5
8 ـ الثبيتات	غافل أبو ثبيت		5
9 ـ العرينات	سالم بن هادي		8

ملاحظات

1 ـ من القبائل الفرعية التي ذكرت في وقت سابق يظهر هنا الثبيتات (ابن ثبيت) واللصايمة (ابن لصيم) والعرينات (أبو عرينة). يقسم موزيل، الجزء الثالث، ص 84، القبيلة إلى: ثبيتات (من 1 حتى 8) وعرينات (9). صيحة الحرب: بني عقبة، عيال زندع! الوسم ⌒ على الخد الأيمن.

2 ـ انظر مقال بني عقبة، الملاحظة قبل الأخيرة في الفصل القادم.

3 ـ ينحدرون من القشعم، الذين يسكنون اليوم في العراق، ولكنهم كانوا سابقاً في الجزء الجنوبي من البادية السورية.

الكرك

إن الظاهرة المتميّزة لوجود حياة البداوة والحضر جنباً إلى جنب في عدد قليل من التجمعات السكنية جنوب الزرقا، هي في الكرك متجلية بأوضح صورها. "يقوم سكان الكرك بزراعة السهول في الجبال المجاورة، وترعى ماشيتهم في الأماكن غير المزروعة. ويخيم ثلث السكان طيلة العام على بعد ساعتين أو ثلاث من المدينة لكي يحرسوا قطعانهم. أما البقية فلا يخيمون هنا إلا في أوقات الحصاد. . . . وعندما يكونون هنا يعيشون كالبدو تماماً، في الملبس والمأكل واللهجة"[1]. وقد نشأت هذه الظروف المتميّزة لأن المدينة وما حولها تركت وشأنها على مدى عدّة قرون. في العهد المملوكي كانت الكرك عاصمة المنطقة، وقد أهملها الأتراك مما جعلها تقع بعد وقت قصير تحت سيطرة حكام محليين. ففي النصف الأول من القرن السابع عشر كانت المدينة في يد أمراء الطرباي، وفي وقت لاحق في يد قبيلة الأحيدات. صحيح أن عثمان باشا حاكم دمشق احتل المدينة عام 1090هـ/ 1679م ولكنها لم تبقَ سوى فترة قصيرة تحت الإدارة التركية[2]. ومع احتلال سورية من قبل المصريين (1831م) بدأ بالنسبة للكرك أيضاً

(1) بوركهاردت، رحلات في سورية، 387 وما بعدها.

(2) انظر الشرح المفصل ص 261 ـ 262 أعلاه. المصادر: جيهان نُما، ص 570؛ أرشيف عثمان باشا رقم 46؛ 33، 36 وما بعدها. إن ادعاء ابن جمعة، المصدر السابق، نفسه، ص 10، بأنه حتى الآن، أي حتى 1156هـ/ 1734م، كانت تأتي من دمشق كل عام مجموعة من الجنود

عصر جديد: فقد أمر إبراهيم باشا باحتلال المدينة. صحيح أن السكان تمكّنوا من التغلب على الحامية المصرية ولكن عندما ظهر إبراهيم باشا شخصياً عام 1834م أمام المدينة استسلمت المدينة بعد معركة قصيرة. وفي عام 1841م انسحب المصريون، ولكن بعد ذلك بوقت قصير بدأت حملات جباية الضرائب التركية تزور المدينة التي احتلتها بعدئذ القوات الحكومية عام 1893م[1].

تعود الروايات التاريخية التي يتناقلها أهالي الكرك إلى القرن الثامن عشر، إلى الفترة التي تمكن فيها، الكركيون بقيادة عائلة الشيوخ المجالي من انتزاع استقلال المدينة من القبيلتين البدويتين العمرو والحمايدة. في بادئ الأمر كان الكركيون في وضع سيئ. فمع طردهم إلى جبال الخليل بدا أنهم قد فقدوا موطنهم نهائياً (منتصف القرن الثامن عشر). إلا أن المعارك التي دارت بين العمرو والحمايدة مكنتهم من العودة، وبعد عودتهم مباشرة بدأ نهوض المدينة المفاجئ. وفي السبعينات أجبر العمرو على مغادرة البلاد، وفي القرن التاسع عشر واجه الحمايدة المصير نفسه. وبالطرق السليمة أيضاً وسّع الكركيون أملاكهم: كانوا في الأصل يستأجرون الأراضي، وشيئاً فشيئاً أصبحوا مالكين لها حيث اضطر البدو المثقلون بالديون إلى التخلي عما لهم من أراض هناك[2]. وفي بداية القرن الحالي وصلت

الإنكشاريين لتبديل حامية الكرك، هو ادعاء صحيح، ولكن هذه الحامية كانت تعيش تحت رحمة الكركيين. وعلى أي حال، فإن الحكايات المحلية (عند بيكه، ص 163)، التي لم تزل تحتفظ ببعض الذكريات عن الأوضاع السائدة بين عام 1677 ـ 1679م، لا تذكر شيئاً عن حكم عثماني بعد ذلك الوقت.

(1) موزيل، الجزء الثالث، ص 90؛ بيكه، ص 176، 1892م.

(2) تجدر الإشارة إلى أن نظام الملكية العقارية غير الموزعة على الأفراد ظل سائداً في الكرك زمناً طويلاً. كانت الأراضي تقسم كل عام إلى ثلاثة أقسام حسب المجموعات السكانية الثلاث: الشراقة والغرابة والمسيحيين. وكان هؤلاء يوزعون بعدئذ الأراضي على القبائل والعائلات بالقرعة. لم يكن يوجد حق شخصي إلا في الأراضي التي تستصلح جديداً؛ كان يسمح لمن يستصلحها بزراعتها ثلاث مرات قبل ضمها إلى الملكيات العامة (أي ملكية القبيلة) وفي الوقت الحاضر يتسع نطاق الملكيات الخاصة.

أملاكهم في الشمال إلى الموجب، وفي الجنوب إلى العينة، وفي الغرب إلى بثينة، وفي الشرق إلى لجّون.

ينقسم سكان الكرك إلى ثلاث مجموعات: الشراقة، والغرابة، والمسيحيون. حصلت المجموعتان الأوليان على اسميهما من موقع الحي الذي تسكنه كل منهما "شرقي" و"غربي". وليس لهذا التقسيم أي معنى نَسَبي (من ناحية النسب) ولكن له أهمية سياسية واقتصادية (انظر الملاحظة 2 ص374 أعلاه). ومن مرحلة قديمة تنحدر مجموعة الإمامية الموزعة اليوم بين الشراقة والغرابة. وقد كانت تحكم الكرك قبل العمرو[1]، وهي حسب الحكايات المتناقلة محلياً من أصل تركي، وهذا افتراض تؤكده أسماء بعض قبائل الإمامية، ومنها على سبيل المثال، قبيلة الأغوات. فهم أحفاد جنود إنكشاريين انقطعت صلاتهم مع مراكزهم وبقوا هنا، وهذا ما حدث أيضاً في وقت لاحق مع جنود إبراهيم باشا الذين استوطنوا في منطقة الكرك. كما أن بقية السكان جاؤوا إلى المدينة في وقت حديث نسبياً، وقد جاء معظمهم من فلسطين (الخليل ونابلس)، وجاء جزء صغير منهم حوران ومن الجنوب (الجبال، الشراه). وينطبق هذا أيضاً على غالبية القبائل المسيحية، بينما هناك قبائل أخرى، ومنها العزيزات مثلاً، قد تعود إلى ما قبل العصر الإسلامي[2].

القبائل المسيحية هي ظاهرة خاصة بالكرك. وهي متساوية من الناحية القانونية مع القبائل الإسلامية ولا تقل عنها كفاءة من ناحية المقدرة القتالية. ولكن بينما يذكر بوركهاردت 150 عائلة مسيحية مقابل 400 عائلة مسلمة، فقد تغيّرت هذه النسبة حديثاً لصالح المسيحيين بسبب هجرة ثلاث قبائل إلى مادبا الأمر الذي أزعج المجاليين الذين كانوا يعتبرونهم أفضل سند لهم. ينتمي المسيحيون، فيما عدا بعض الاستثناءات القليلة، إلى الغرابة.

(1) بصفتهم مالكين سابقين للأراضي لا تقبل شهادتهم رمام المحاكم في القضايا المتعلقة بالملكيات العقارية، لأن القرار سيكون عندئذ دائماً لصالحهم.

(2) انظر د. هارتمان، في الإسلام، الجزء الثاني، ص 137.

تمتد الكرك منذ زمن طويل مع شوبك ومعان الشامية وبني عطية ضد جبال (طفيلة) التي تتحالف بدورها مع الحويطات[1]. وقد أدى التناقض بين هاتين القوتين في أحيان كثيرة إلى نشوب صراعات دامية، نذكر منها معركتي زوبر ووادي موسى 1873 و1876م اللتين ما زالتا حيتين في الذاكرة حتى اليوم. كان الكركيون في كثير من الأحيان خصوصاً أنداء للبدو، ومع ذلك كانت بعض قبائل الكرك ترى أنه من الأفضل ضمان سلامة المدينة ضد بني صخر والحجايا والحويطات عن طريق دفع خوة.

---

(1) انظر أيضاً بيكه، ص 176.

المجالي (المجالية) عائلة شيوخ الكرك

جاء المجالي من الخليل. وهم يرجعون نسبهم إلى عائلة تميم الداري المقيمة هناك منذ فجر الإسلام. أما اسم المجالي[1] الذي يعني "المهاجرين" فيقال أنهم حصلوا عليه أثناء الاضطرابات التي حدثت في الخليل في عام 1473م[2] وأدت إلى معاقبة أو نفي نبلاء المدينة. وفي عام 1700م جاء إلى الكرك رجل من المجالي كان يجمع صدقات لمزار الخليل، فتزوج هناك وأقام عند الداوودية (صرايرة)[3]. وخَلَفَهُ خليل هو الرجل الذي يعود له الفضل في حصول المجالية على مركزهم[4]. فقد برز بداية خلال عيش الكركيين في المنفى في جبال الخليل حيث تزوج ابنة رجل نبيل هناك. وبعد العودة قاد السياسة التي أدت في النهاية إلى تحرير المدينة من نير السلطة البدوية. وتابع هذه السياسة من بعده خليفته يوسف الذي كان متفوقاً على مواطنيه بقدراته الجسدية والذهنية (بوركهاردت). توفي يوسف عام 1832م[5]

(1) انظر بيكه، ص 173.

(2) البرغوثي لا يضع تاريخاً، ولكن انظر (الإنس الجليل»، الجزء الثاني، ص 632.

(3) موزيل، المصدر السابق نفسه، ص 76.

(4) رواية بيكه (ص 173) التي تعيد الفضل في إخضاع العمرو إلى أخوي خليل، حمد وسالم (انظر الملاحظة 1 العائدة لشجرة نسب المجالي)، تتناقض مع حكايات العمرو.

(5) دوك دي لوين à l'epoque de la Prise de Saint-Jeam L'Acre par Ibrahim-pacha، الجزء الثاني، ص 121.

فخلفه ولداه إسماعيل وعبد القادر؛ الأول (إسماعيل) أخذه إبراهيم باشا أسيراً وأعدمه في القدس (مع ابن أخيه صالح بن عبد القادر). وكان محمد بن عبد القادر، الذي حكم من عام 1856م حتى عام 1888م، شخصية بالغة الأهمية. تقارير الرحالة تجعل منه رجلاً مخيفاً؛ ولكن المسؤولية عن الخلاف مع الأوروبيين لا يتحمل مسؤوليته محمد نفسه وإنما المترجمون، حسبما أثبت آبيه ديسّار (Abbé Dissard)[1]. أما ابنه صالح فقد كان من النوع الذي لا يستطيع الوقوف في وجه أقربائه، وقد أصبحت الكرك في عهده تركية.

وفي عام 1910م ثار عبد القادر، ابن صالح، ضد الأتراك لأنه أراد تفادي المخططات التركية لنزع سلاح القبائل وفرض التجنيد الإلزامي. إلا أن الثورة فشلت لأن الحامية تلقت دعماً من سامي باشا الذي كان آنذاك موجوداً في جبل الدروز (انظر الجزء الأول، ص 185). تمكن عبد القادر من الفرار وأعفي عنه فيما بعد لكنه استدعي إثر ذلك إلى دمشق وتوفي هناك ـ يقال بأنه مات مسموماً[2].

يعدّ رئيس المجالية الحالي، رفيفان باشا[3]، من الأتباع المخلصين للأمير عبد اللّه بينما يقود المعارضة القومية شيخ الطراونة (أ II 1)، حسين باشا الطراونة[4].

---

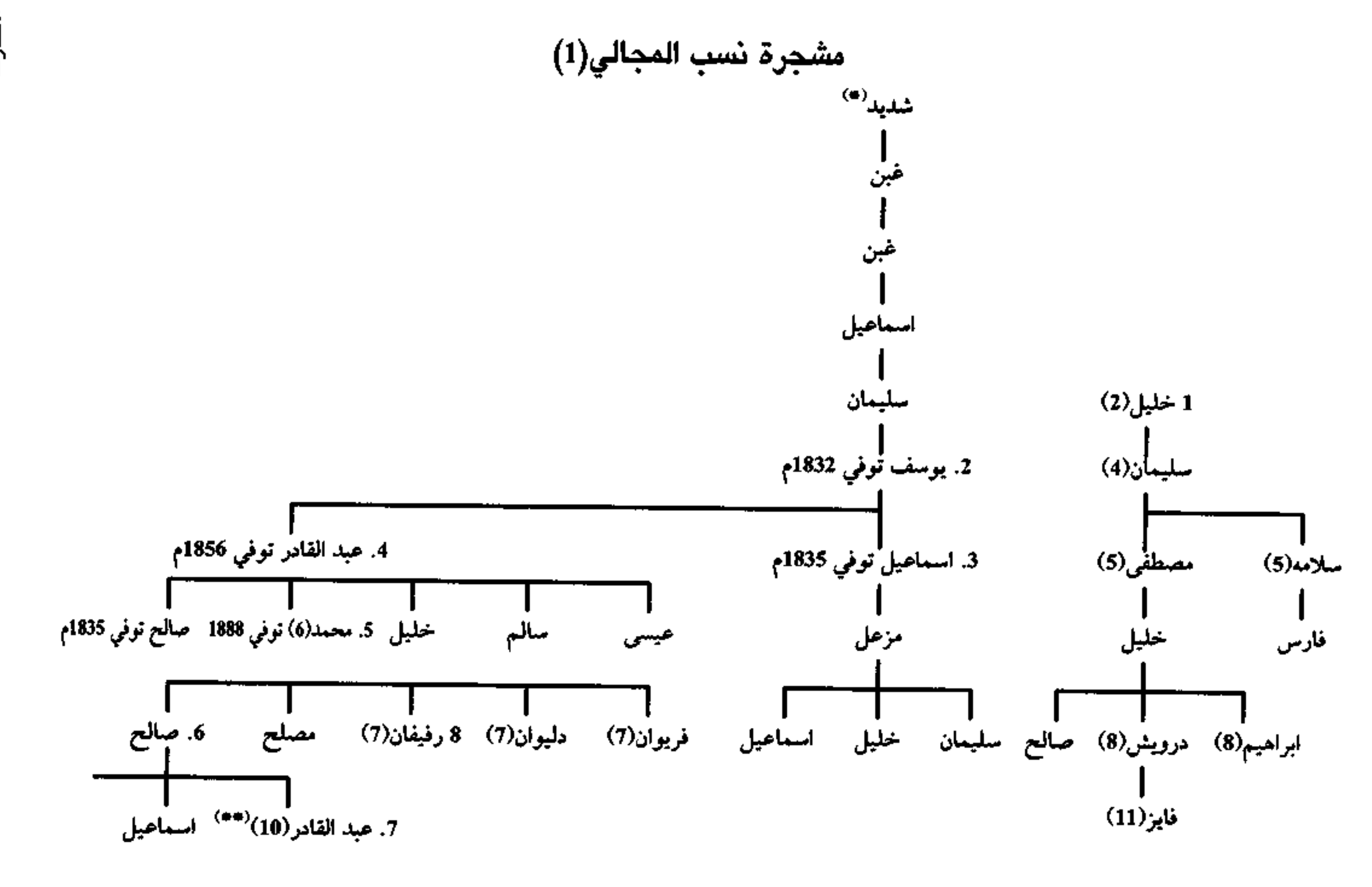
(1) ريفو بوبليك، باريس 1905، ص 424 Revue Biblique.

(2) بيكه، ص 184 وما يليها. .

(3) حسب الشرق الحديث، 1937، ص 148، يبدو وكأن ليس رفيفان باشا وإنما جميل المجالي، ابن عطوي (في النص: عطوني) باشا المتوفى (انظر الملاحظة 9 العائدة لشجرة النسب، ب1 ـ 1أ من الجدول)، هو شيخ مشايخ قبائل الكرك. ولكن هذا غير صحيح.

(4) الشرق الحديث، بسيم.

مشجرة نسب المجالي(1)



(*) لو نظرنا إلى شجرة النسب التي يقدمها فردريك ج بيكه في كتابه تاريخ شرقي الأردن وقبائلها يجد الفرق الكبير مع شجرة التي يقدمها أوبنهايم حيث يذكر فردريك مثلاً أن تسلسل الذي يأتي من شديد الخليلي كالآتي:

شديد ← جلال ← أحمد ← سالم ← محمد

محمد: غابن، سالم، خليل، حمد

غابن ـــ الغبن

سالم: سليمان، جبر

(ماجد شبَّر).

(**) يذكر فردريك بيكه أن أبناء عبد القادر هم اثنان عطوى وقدر. (ماجد شبَّر).

(***) لا يوجد هامش رقم 3 على المشجرة ويبدو أنها سقطت بالطباعة. (م. شبَّر).

ملاحظات عن مشجرة نسب المجالي

1 ـ وضع الخط الرئيسي من الشجرة، اليوسف، إستناداً إلى دوك دي لونيه (1869م)، الجزء الثاني، ص 116، و121. (شجرة بيكه، ص 348، تختلف اختلافاً كبيراً عن هذه الشجرة. فهو يسلسل أجداد يوسف على الشكل التالي: يوسف بن سليمان، : بن سالم بن محمد بن سالم بن أحمد بن جلال بن شديد). ووضع الخط الفرعي، السليمان، استناداً إلى أخبار متفرقة عند موزيل، الجزء الثالث، وكلا المجموعتين اليوسف والسليمان موجودتان أيضاً في الجداول (ب1 ـ 1 أ، ب). والغبون (جـ) المذكورون هناك مشتق اسمهم من غبن، كما يثبت لقب "قوم الجد".

2 ـ حسب شجرة بيكه يكون خليل وأخواه حمد و"غابن" أعمام يوسف، وحسب ديسّار، المصدر السابق، ص 421 يكون خليل أخا يوسف، وحسب بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 381، يكون خليل عم يوسف (هذا إذا ما كانت الجملة الواردة عنده تتعلق به فعلاً، حيث يقول: "اتفق عم شيخ الكرك الحالي، يوسف، مع الحويطات وهاجم معهم بني عمرو".

3 ـ يقدر إربي ومانغلس عمره في عام 1818م بـ60 عاماً. ويبدو أنه كان في الحكم عام 1799 (دوك دي لوتيه).

4 ـ سليمان هو حسب بيكه أخو يوسف، وحسب موزيل، ص 67، ابن خليل، ولكن خليل، حسب بيكه، ص 174، توفي دون أن يخلف أي ولد. ولكن انظر ديسّار، ص 422: له ولدان محمد وسالم.

5 ـ نستنتج مما قيل أن سليمان أب، لأن موزيل يقول إن عيال مصطفى وعيال (أولاد) سلامة هم فروع من السليمان. أما بيكه فقد وضع في شجرة النسب "سلامة بن مصطفى بن سليمان" واعتبر، تبعاً لذلك، في قائمته: عيال سلامه وعيال خليل أفخاد من المصطفى.

6 ـ تاريخ الوفاة حسب غراي هيل، ص 198، خلافاً لديسّار الذي يقول: عام 1885م.

7 ـ انظر زركلي، ص 89.

8 ـ غراي هيل، ص 209، درويش وأخوه صالح مع اثنين من أبناء عمومتهم (محمد وعبد الرحمن) قتلوا في معركة ضد بني صخر بقيادة طراد الزبن.

9 ـ عند الزركلي وبيكه: عطوي، الجزء الرابع، 2، 3، تستكمل إبراهيم الخليل.

10 ـ انظر أيضاً موزيل، ص 411.

11 ـ انظر الشرق الحديث، 1933، ص 467.

الكرك(1)

شيخ المشايخ: رفيفان باشا المجالي

أ ـ الشراقة(2)

I ـ (غاسلة) غيسول

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الضمور(3)	عبد العزيز بن خليل	الكرك؛ وادي الغوير	
أ ـ عيال طه	عبد العزيز بن خليل		60
ب ـ العظايلة	سالم العظايلة		30
جـ ـ الربيع	مرزوق بن ذياب الربيع		40
قبائل ملحقة			
1 ـ الجراجرة	سليمان القيحصي		20
2 ـ الصعوب(4)	حطاب الصعوب	الكرك؛ الثنيّة	40
3 ـ المبيضين(5)	مطلق بن يوسف	الكرك؛ الثنية؛ صيفاً: دليقة: موتة/ شتاء: البطراء وإلى الشرق	
4 ـ السحيمات(6)	عطاء الله بك السليمان(7)		30

II ـ الحوش(8)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الطراونة(9)	حسين باشا الطرونة(*)	جنوب الكرك	
أ ـ أولاد جبريل	سالم بن محمد	صيفاً: جعفر/ شتاء: الفريفرة	68
ب ـ أولاد جبران (عيال السليمان)	محمد بن طاعة		28
جـ ـ المجامعية	علي بن خلف	أم حماط	40
د ـ الحجوج	محمد الصويصي	رجم الصخرى	25
هـ ـ أولاد عودة	عبد المنعم بن سلمان	دليقة	30
2 ـ النوايسة(10)	إبراهيم بن مشوّح	مدين	40
3 ـ القطاونة(11)	محمد بن منيزل		
أ ـ أولاد موسى	حمود بن مطلق	صيفاً: مجرى شتاء: وادي الحسا	20
ب ـ أولاد علي	مطيع بن يوسف	صيفاً جعفر شتاء: وادي الخريم	35

(*) حسين باشا الطرونه: انتخب عضواً من المجلس العالي لحكومة منطقة الكرك في 19 أيلول 1920م، وقد انتخب رئيساً للهيئة الإدارية للميثاق الوطني في 25 تموز 1928، وانتخب عضواً في المجلس التشريعي الثاني في عام 1931. [تاريخ الأردن من القرن العشرين/منيب الماضي وسليمان موسى م1959] (ماجد شبّر).

II ـ الحوش

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الصرايرة(12)	علي بن يحيى	جنوب الكرك	
أ ـ أولاد الداود	علي بن يحيى	صيفاً: موتة/ شتاء: شرق مكة الحجاز	70
ب ـ أولاد العلي	سلامة بن إبراهيم	صيفاً: سول شتاء: غرب سكة الحجاز	60
جـ ـ أولاد مقبل	صالح بن مرزوق	صيفاً: الدويخلة شتاء: وادي الحسا	25
2 ـ القضاة(13)		محي	
أ ـ القضاة	خلف القضاة		20
ب ـ الكركين	سليمان الكركي		5
3 ـ البشابشة(13)	فارس البشابشة	الكرك	5

ب ـ الغرابة(14)

I

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المجالية(15)	رفيفان باشا المجالي		
أ ـ اليوسف	عطيوي باشا(16)	صيفاً: الربة: القصر شتاء: الغويطة	60
ب ـ السليمان	فايز بن درويش	القصر؛ البالوع	60

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ أولاد سلامة			
2 ـ أولاد داود			
3 ـ أولاد خليل			
جـ ـ الغبون (قوم (الجدّ)	عبد المهدي الغبون	مدين	30
2 ـ المعايطة(17)	سلامة باشا المعايطة	شمال شرق الكرك	
أ ـ الزقايلة	سلامة باشا المعايطة	صيفاً ادر شتاء: القبيات	40
أولاد مطلق	سليم بن أحمد		35
ب ـ الرشايدة	موسى بك ساهر	صيفاً: بتير شتاء: وادي بني حماد	86
عيال خليل	أحمد بن سالم		30
3 ـ البيايضة(18)	فرحان بن جعفر	مدين	40
4 ـ العبيد(19)		سكة	20
5 ـ العبيسات(20)	فلاح العبيسات	سمرة	20
6 ـ الجلامدة(21)	حمود الجلامدة	الكرك	20
7 ـ الاغوات(22)	ذياب الطاهر	سمرة	30
8 ـ الطنشات(23)		الكرك	15

ب ـ الغرابة

II

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحباشنة(23)	عطوة الجعافرة	صيفاً: راكين شتاء: وادي الكرك	
أ ـ الجعافرة	عطوة الجعافرة		80
ب ـ العرود	سلمان العرود		30
جـ ـ الرماضين	عبد المهدي الرماضين		35
د ـ العساسفة	محمد العلاوي		20
هـ ـ العويسات	متّم العويسات		30
2 ـ الذنيبات(24)	عبد المهدي الذنيبات	الموجب	45
3 ـ الكفاويين(25)	حامد الكفاويين	اللجون	15
4 ـ الشمايلة(26)	غازي الشمايلة	قرية الافرنج	
أ ـ الشمايلة	غازي الشمايلة		80
ب ـ المحادين(27)	خلف بن رمضان		50
جـ ـ المدادحة	سالم بن حماد		30
1 ـ عيال حمدان			
2 ـ البقيرات			
قبائل ملحقة			
د العلاوية(28)	عبد المهدي العلاوي		12
5 ـ السايدة (المصاروة)(29)	حسن بن زينب	شيحان	14

جـ ـ المسيحيون(30)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الهلسة(31)	إبراهيم القسوس	الكرك؛ حمود	130
أ ـ القسوس			
ب ـ العمارين			
جـ ـ العودات			
د ـ الشرايحة			
هـ ـ أولاد عيد			
و ـ أولاد يوسف			
ز ـ عيال سعد			
ح ـ الخيطان			
2 ـ الحدادين(32)		ماعين	40
أ ـ بدبدبون	إبراهيم الحدادين		
ب ـ أولاد جريس	جريس الحميدي		
3 ـ العكشة		البالوع	20
أ ـ الزيادين	حنا الزياديني		
ب ـ العكشة	عبد الله العكشة		
4 ـ الحجازيون(33)	جريس الصلاعين	البالوع؛ الكرك	44
أ ـ صلاعيين			
ب ـ شتيويين			
جـ ـ قلانزة			
د ـ متاروة			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
5 ـ المدانات(34)	سليمان المدانات	الكرك	12
6 ـ الزريقات(35)	مترى باشا الزريقات	الربة؛ الكرك	15
7 ـ البقاعيون(36)	عواد البقاعين	الكرك؛ ادر	25
أ ـ الضويحيون			
ب ـ كواليت			
جـ ـ صمايمة			
قبائل ملحقة			
أ ـ مصاروة			
ب ـ عبابسة(37)			
8 ـ العزيزات(38)			10
9 ـ الصناع(39)	أيوب الصناع	الكرك	8

ملاحظات

1 ـ المعلومات الواردة عند زركلي، "عامان في عمان"، ص 84 وما يليها، تتطابق عموماً مع الجدول أعلاه، كما أن جداول موزيل، ص 97 وما يليها، وياوسن، ص 394 وما يليها، تتطابق مع جداولنا. تظهر القبائل، فيما عدا بعض الاستثناءات القليلة، عند دوك دي لونيه، الجزء الثاني، ص 116 وما بعدها. انظر بيكه، ص 347 وما يليها.

صيحة حرب الكركيين: أهل الجردا!

2 ـ أسماء فرعي الشراقة: غيسول والحوش، موجودة فقط عبد البرغوثي. ولكن ياوسن أيضاً (وكذلك بيكه) يذكر قبائل الغيسول الأربع، ولكنه لا يجمعها

تحت اسم غيسول وإنما تحت اسم ضمور ويضع الطراونة محل الحوش. وغيسول هي صيحة حرب القبائل المعنية.

3 ـ لهم صلة قربى مع عائلة دار ضمرة في مزارع النوباني (ناحية بني زيد قرب القدس). الوسم: ــO (خدمه) على الخد الأيمن وعلى الأذن اليمنى.

4 ـ من حوران؟ الوسم: ــΛــ (خطام) عرضانياً فوق الأنف وعلى الأذن اليمنى.

5 ـ جعافرة من الخليل؟ الوسم: مثل المذكورين آنفاً.

6 ـ من البلقا، ملتحقون بالضمور.

7 ـ كان عضواً في الغرفة الأردنية(*)، الشرق الحديث، 1929م، ص 125، 469؛ 1930م، ص 69.

8 ـ صيحة الحرب: عيال الحصان!

9 ـ من الشراه: إما رفايعة من شوبك أو نعيمات من دبدبة في وادي موسى، جاءوا قبل 300 عام (بيكه: في أواخر القرن الثامن عشر). الوسم: ∩ (الباكور) على الخد الأيمن وــ على الأذن اليمنى.

10 ـ من وادي موسى (بيكه: من فلسطين). الوسم: مثل المذكورين آنفاً.

11 ـ ينحدرون من قطية وجاءوا إلى الكرك عبر الطفيلة في زمن حكم الإمامية (القرن الثامن عشر). يقال بأن جدهم كان بيك في سنجق تركي. الوسم: مثل المذكورين آنفاً.

12 ـ متصاهرون مع المجالية وكان لهم في الماضي دور هام. وما يزال قاضي الفصل في جرائم القتل (المنشد) يُختار منهم حتى اليوم.

(*) عضو في المجلس التشريعي الثاني لعام 1931م والذي استمر لمدة ثلاث سنوات، راجع هامش صفحة (384) (ماجد شبّر).

13 ـ ينتمي القضاة والبشابشة إلى جماعة سكانية قديمة، الإمامية، انظر الصفحة 375 أعلاه. صيحة الحرب لكلا القبيلتين: عيال الحصان! الوسم: (شُعبة) على الخد الأيمن. لصوص!

14 ـ ينقسمون عند البرغوثي إلى قسمين ولكنه لا يذكر أي تفاصيل.

15 ـ الوسم: الناطح باب العين | ، ولكن موزيل أصح: . صيحة الحرب: أخوات خضرا!

16 ـ متوفى. خليفته: ابنه جميل، انظر الصفحة 378 أعلاه.

17 ـ من طفيلة؟ موزيل وبيكه من منطقة الخليل. معظمهم بدو. الوسم: مثل المذكورين آنفاً. صيحة الحرب: حُكام صبحة!

18 ـ في الحقيقة فرع من المعايطة ولكن حتى عند دوك دي لونيه مستقلون.

19 ـ في الأصل عبيد عند الرشايدة.

20 ـ من مداين صالح؟ حسب الوسم وصيحة الحرب ينتمون إلى المعايطة، هذا ما يراه أيضاً موزيل وبيكه.

21 ـ يقال إنهم كانوا مسيحيين سابقاً.

22 ـ ينتمون إلى الإمامية (انظر الملاحظة رقم 13). أخذوا وسم وصيحة حرب المجالية.

23 ـ جاء اسمهم من اسم خربة جيش الواقعة جنوب الكرك. فيسيون (من الخليل؟)؛ ولذلك أيضاً صيحة الحرب: صبيان قيس! الوسم: ـــــ من الأنف إلى الخد الأيمن.

24 ـ حسب الوسم وصيحة الحرب ينتمون إلى المعايطة، وهذا ما يراه أيضاً موزيل وبيكه، ولكنهم عند دوك دي لونيه مستقلون لهم أقرباء في قرية بني مرة بالقر من القدس.

25 ـ ينتمون عند موزيل وبيكه إلى الذنيبات، ولكنهم عند دوك دي لونيه مستقلون. يستعملون صيحة حرب الحباشنة، وأيضاً صيحة حرب المعايطة.

26 ـ من تل شهاب في حوران. الوسم: مثل الحباشنة. صيحة الحرب: أخوات سلمى!

27 ـ يقال إنهم عبيد سابقون. الوسم: ┻ على الأنف.

28 ـ صيحة الحرب والوسم: مثل المعايطة!

29 ـ يعود أصلهم إلى جنود إبراهيم باشا، انظر أيضاً بيكه، ص 359. وبناء على صيحة حربهم: صبيان زندع يمكن القول أنهم كانوا تابعين لعمرو، انظر الصفحة 372 أعلاه وكانوا مستقلين سابقاً.

30 ـ (النصارى). نذكر أيضاً بين القبائل المسيحية: الكرادشة والمعاعية الذين هاجروا عام 1875م مع العزيزات إلى مادبا، موزيل، ص 106 وما بعدها. ياوسن، ص 403؛ بيكه، ص 251 وما بعدها.

وسم المسيحيين: + (صليب). صيحة الحرب: صبيان حلُس!

31 ـ حسب الحكايات المتناقلة فرّ جدهم قبل حوالي 400 ـ 500 عام من مصر ونزل في الكرك حيث تزوج فتاة من الحدادين. واستوطن إخوته في الفحيص قرب الصلت وفي الطيّبة (مزرعة بني سالم قرب القدس). ومنهم ينحدر العكارشة والديوك. بعض عائلات الهلسة رحلت إلى ماعين ومادبا. صيحة الحرب: عيال المصري!

32 ـ كان لهم في السابق نفوذ واسع، ولكنهم في الأوقات الأخيرة عانوا من جيرانهم المسلمين، وكانت آخر معاناة لهم في عام 1919م، حيث تركوا نتيجة لذلك منطقة الكرك.

33 ـ روم كاثوليك.

34 ـ من مدّين. صيحة الحرب: لهؤلاء وللقبيلتين التاليتين: أخوات مريم!

35 ـ من حوران.

36 ـ يعتقد أنهم من البقاع، ويؤيد ذلك أيضاً الاسم ضويحي (جـ 7 أ) المنتشر بين المسيحيين في شمال سورية.

37 ـ لهم قرابة مع الفواخرية في الصلت.

38 ـ حكاية قبيلة العزيزات تعود إلى الوراء حتى العهد البيزنطي. موطنهم الأصلي موته (مؤتة) التي يقولون أن جدهم فتح أبوابها للمسلمين في بداية الإسلام. بسبب خلافات مع جيرانهم المسلمين، وأيضاً المسيحيين، تركوا الكرك في عام 1880م بقيادة المبشر المسيحي الكاثوليكي دون ألِسّاندور ماكانيو وأسسوا في مادبا موطناً جديداً لهم. وقد روى ياوسن، الملحق جـ، قصة هجرة العزيزات، استناداً إلى الحكايات المحلية، بطريقة مؤثرة. قارن أيضاً أخبار موزيل، ص 93 وما بعدها. في وقت لاحق عادت مجموعة صغيرة إلى الكرك. وهي تنتمي إلى أسرة المسنّات.

39 ـ الصناع يعملون في التجارة، وهذا ما يوحي به أيضاً اسمهم؛ وهم في الأصل من دمشق.

قبائل مرتبطة بالكرك

يمتد نطاق سلطة الكرك من الموجب حتى وادي الحسا، وفي الشرق حتى فحيرص. وتضم هذه المنطقة ثلاثة تجمعات سكنية قديمة في جنوب شرق الكرك، هي: الكثربًا، والعَراَق، والخنزيرة؛ يضاف إلى ذلك الغوارنة، والنعيمات وبعض القبائل الفلاحية الأخرى. كما أن بدو هذه المنطقة ـ الحمايدة، والعمرو، وبني عطية ـ مرتبطون سياسياً بالكرك.

لا نعرف سوى القليل عن تاريخ المراكز السكنية الثلاثة المذكورة أعلاه. أصيبت العَراَق ـ في نهاية القرن الثامن عشر؟ ـ في حرب مع الكرك بخسائر كبيرة، فأرسل المجالي على إثر ذلك إلى هناك عائلة المواجدة المنحدرة من سعر في جبل الخليل، والتي تولت منذئذ القيادة في العَراَق. في عام 1908م ثار العراَقية ضد الأتراك وفي عام 1919م قاوموا جباة ضرائب فيصل. كانت علاقة هذه القرى مع الكرك منظمة بأشكال مختلفة. كانت الخنزيرة الواقعة على حدود الجبال لا تدفع ضرائب، وكانت كثربًا تدفع خوة للمسيحيين والمعايطة ولأحد زعماء الحجايا أيضاً، وكان عليها بالإضافة إلى ذلك تلبية طلبات المجالية غير المحددة.

بين القبائل الفلاحية المرتبطة بالكرك يحظى الغوارنة بأكبر اهتمام؛ إذ يبدو أنه يوجد بينهم بقايا من سكان البلاد قبل الإسلام، وخاصة بين بني ماهلة الذين يُعدّون من السكان الأصليين، بينما جاء بقية الغوارنة، حسبما يعتقد، من أريحا. يعيش

الغوارنة في الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر الميت (غور الصافية) وفي الزاوية التي تشكلها شبه جزيرة اللسان مع الساحل (غور المزرعة). وهم يسكنون في أكواخ من القصب ويمتازون بأنهم مزارعون ماهرون. وقد حافظوا على صناعة صبغة النيلة التي كانت في العصور الوسطى موجودة هنا. وكانوا بسبب موقع منطقتهم معرضين على الدوام لجميع الاعتداءات، وكان عليهم دفع خوة "لكل من تطلع عليه الشمس"؛ في الشتاء كان سكان السهول العالية يهبطون إلى الغور مع قطعانهم ويشكلون عبئاً عليهم، وفي الربيع كانوا يتعرضون لغارات القبائل البدوية القادمة من الصحراء. نتيجة هذه المضايقات هاجرت بعض عائلات الغوارنة نحو الشمال إلى موطنهم القديم حيث هم اليوم منضمون إلى العدوان[1].

البصيروية هم من بني حميدة وينحدرون من بصيرة (جبال). وقد طردهم الحويطات قبل 100 عام[2] من ديارهم، وهم يخيمون منذئذ تحت حماية ابن طريف (حمايدة) والمجالية إلى الجنوب من الموجب.

كان الخرشة في الأصل تابعين لعمرو وما زالوا لهذا السبب يستعملون وسمهم.

الفقرا ينتمون إلى قبيلة عنزة المشهورة (وسط الجزيرة العربية) والتي تصل أحياناً، مثل جيرانها بني عطية، بحثاً عن المرعى إلى هذه المنطقة البعيدة شمالاً[3].

(1) انظر الملاحظة 13 العائدة لجدول العدوان، وروبنسون، فلسطين، الجزء الثالث، ص 32.

(2) أيضاً ياوسن، ص 124.

(3) انظر الصفحة 480.

قبائل مرتبطة بالكرك(1)

أ ـ البطوش(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العثامين	دياب البطوش	خنزيرة	2600
2 ـ الحجوج	عبد القادر البطوش	خنزيرة	

ب ـ العَرَاقية

شيخ المشايخ: عطا الله

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المواجدة(3)	عطا الله	العَراَق، القرية الفوقانية	400
2 ـ الخطبا	حسن الخطبا	العَراَق، القرية التحتانية	400
3 ـ الحطيبات	عبد الله بن ضيف الله	العَراَق، القرية التحتانية	280
4 ـ اليتمة	حسن اليتمة	العَراَق، القرية التحتانية	280

جـ ـ البرارشة(4)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الرماضنة	عبد المهدي الرماضنة		
أ ـ رواشدة	أحمد بن سالم	كثربا	430
ب ـ خثاثنة	محمد بن سالم	كثربا	350
جـ ـ مطارنة	خليفة بن عقيلان	كثر	150
د ـ كساسبة	موسى الكساسبة	كثربا	175
هـ ـ جوازنة	سليم الحروب	جوزة	400
2 ـ القرالله(5)	محمود البرارشة	كثربا	1700
أ ـ الطريمات	محمد إبراهيم		
ب ـ عيال محمد	عبد القادر بن رشيد		
جـ ـ مهماينة وسلمات	سلامة بن جدوع		

د ـ الغوارنة(6)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الغوارنة	محمد العجالين	غور المزرعة	120
2 ـ بني ماهلة		غور المزرعة	
3 ـ الغوارنة	خوخان	غور الصافي	90

هـ ـ البصيروية(7)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الركابات	عودة أبو ركاب		
2 ـ اللحون	مبارك اللحون	خربة فقوعة	140
3 ـ الدهيسات	محمد الدهيسات		

و ـ الخرشة(8)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ السعيداوية (الوادي)	نجم بن وادي	شتاء: على سكة حديد الحجاز/ صيفاً ذات رأس؛ محي	40
2 ـ الجبيلات(9)	سعيد الدرارجة	شتاء: على سكة حديد الحجاز/ صيفاً ذات رأس؛ محي	32

ز ـ النعيمات(10)

شيخ المشايخ: محسن البركات

القبيلة	الشيخ	منطقة	عدد الخيام
1 ـ الأحامدة	محسن البركات	شتاء: على سكة حديد الحجاز/ صيفاً ذات رأس؛ محي	65
2 ـ الجعافرة	سليمان العساسفة	شتاء: على سكة حديد الحجاز/ صيفاً ذات رأس؛ محي	60
3 ـ العبادلة	رشيد العبادلة	شتاء: على سكة حديد الحجاز/ صيفاً ذات رأس؛ محي	60

ح ـ الفقرا(11)

ملاحظات

1 ـ يوجد قوائم عند موزيل، الجزء الثالث، ص 65 ـ 70، وعند بيكه، ص 354 ـ 359. ويقسمهم بيكه إلى أهل الناحية، ويشملون آ، جـ، د من الجدول، وبدو الكرك، ويشملون هـ، حـ، و، ز، بمن فيهم العمرو، وحمايدة الكرك، والمصاورة (جدول الكرك ب2، 5).

2 ـ قيسيون من جبل الخليل. صيحة الحرب: صبيان قيس!

3 ـ تكنياً بجدهم سليمان الماجودي.

4 ـ صيحة الحرب: بني برّيش، إخوة جوزة! لاحظ حكاية الأصل، بيكه، ص 354.

5 ـ موزيل: قرالية، المفرد: كرلّي «قرلّي».

6 ـ صيحة الحرب: صبيان عياش! الوسم: ـــ (شارب).

7 ـ موزيل، ص 105، ينسبهم إلى الحمايدة. صيحة الحرب: صبيان السياح! الوسم: | (هتام).

8 ـ صيحة الحرب: ترك حسما! الوسم: ∩ على الخد الأيمن.

9 موزيل: جبيلات، بيكه: الجيلات.

10 ـ عند بوركهاردت: بني نعيم.

11 ـ بيكه: البلاونة والفقرا في دمنة.

بني عطية

جاء بني عطية إلى الكرك من الحجاز حيث توجد القبيلة الرئيسية التي تحمل الاسم نفسه. وحسب علمنا لم يذكرهم من الرحالة الأوروبيين إلا موزيل[1]. وهم بدو رحل يربون الإبل والغنم (نحو 2000 رأس من الإبل، و10000 رأس من الغنم). وكانوا يوجهون غزواتهم ضد مناطق وراء العربة. وقد مرّ ذكرهم معنا بصفتهم معّازة الكرك في حكايات الحرب التي يرويها أحيوات سيناء. صيحة الحرب: إخوة حذيفة، المزايدة!.

الوسم: | (ذراع) على الورك الأيمن.

---

(1) الجزء الأول، ص 156، انظر الجزء الثالث، ص 123[*].

(*) عند التحقيق وجدت أن هذا الهامش ليس صحيحاً وذلك عند مراجعة الجزء الأول والثالث من الكتاب وعند مراجعة كتب موزيل وجدت أن بني عطية مذكورين في ص156 من كتاب شمال الحجاز. (ماجد شبّر)

بني عطية(1)

شيخ المشايخ: سليم أبو دميك(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحياينة	حامي الأصفر		66
2 ـ الخمايسة	خضر بن عيسى		60
3 ـ المزايدة	سليم أبو دميك(2)		70
4 ـ الرباعنة	سالم الربيعي		40
5 ـ العقيلات	جخيدم	شتاء: الغور	70
6 ـ الهرامسة(6)(*)	هليّل بن هرماس	ربيعاً: القطرانة؛ قصور بشير	70
7 ـ الربيلات	مسلم الربيلات	صيفاً: الكرك	80
8 ـ البصابصة	عبد الله بن بصبص		60
9 ـ السبوت	أحمد بن فرحان		70
10 ـ الخضرة	محمد الخضرة		45
11 ـ العضدة	خضر بن مقبول		50

ملاحظات

1 ـ في جدول بني عطية الحجاز توجد القبائل الفرعية: 2، 5، 7، 9، 10.

وهي فرع من السويلميين المذكورين هناك في الملاحظة رقم 1، وتظهر 3، عند أويتنغ، الجزء الثاني، ص 172 (في الحجاز)، و6 هي عائلة شيوخ العقيلات، و8 فرع من المراقين.

2 ـ مذكور في أم القرى رقم 164؛ راجع الشرق الحديث، 1936م، ص 148،

(*) هذا الرقم لا يوجد له ملاحظة ويبدو أنه خطأ مطبعي (ماجد شبّر).

قبائل الجبال

كما هو الحال في منطقة الكرك تمكن أيضاً السكان المستقرون ونصف المستقرين جنوبي وادي الحسا من الصمود نسبياً في وجه البدو. أكبر قرية هنا هي الطفيلة التي كان شيخها في السابق يعدّ زعيماً لمنطقة الجبال على الرغم من أن السلطة الحقيقية كانت في يد الحويطات[1]. خلال الحرب العالمية كانت القرية مقسمة؛ أعلن الشيخ وقوفه إلى جانب فيصل، بينما وقفت عشيرة محيسن (آ 3 أ) إلى جانب الأتراك[2].

يسمى سكان الطفيلة جوابرة، أو عيال جابر وهي صيحة حربهم كذلك. إلى الشمال من الطفيلة تقع قرية عيمة التي يسكنها الثوابية. إلى الجنوب من طفيلة، في القرى صنفحة وبصيرة وضانا، ينتمي السكان إلى بني حميدة الذي سبق وتعرفنا عليهم في منطقة الكرك. ويسمى بنو حميدة في البصيرة "مسعوديين". ويقال بأنهم ينحدرون من خربة شمخ إلى الجنوب من شوبك، وهذه رواية يؤكدها بوركهاردت (رحلات في سورية، ص 419)[3].

(1) بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 402، 422.

(2) لورس، ص 472.

(3) انظر الآن بيكه، ص 362.

قبائل الجبال(1)

آ ـ الطفيلة(2)

شيخ المشايخ: صالح باشا العوران

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الحميدات(3)		580
أ ـ العطيوي	حسن العطيوي	
ب ـ العوران	صالح العوران	
2 ـ الحوامدة(4)	محمد بن عبيد	249
أ ـ الجرابعة		
ب ـ المهايرة		
جـ ـ اللحاوي		
3 ـ الكلالدة(5)	مصطفى المحيسن(6)	537
أ ـ المحيسن		
ب ـ الخلفات		
4 ـ الهلالات(5)	عبد ربه الشبيلات	489
أ ـ قطيْطات		
ب ـ الشبيلات		
5 ـ وهيبات(7)	صالح الربابعة	151
أ ـ الربابعة		
ب ـ الشرايدة		
6 ـ بحرات	إبراهيم المحمود	719

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
أ ـ هريشات		
ب ـ مراهفة		
7 ـ قطيفات	موسى الفريجات	469
أ ـ مرايات		
ب ـ غبابشة		
جـ ـ خريصات(8)		
د ـ فريجات		
8 ـ عبيديين	صالح المحاسنة	850

ب ـ عيمة

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الثوابية(9)		
أ ـ الرعود		
ب ـ السعود	محيسن بن ثنيان	
جـ ـ العكايلة	عبد المطلب العكايلة	2000
2 ـ الحراسيس	عبد ربه الحراسيس	
3 ـ الربيحات	ذياب بن عمار	

جـ ـ صنفحة

محمود الشباطات(10)

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الشتيات	خليف الهواملة	
2 ـ العمور (السوالقة)	محمد بن عباس	
3 ـ الشباطات	محمود الشباطات	860
4 ـ الطباشات (القطاميين)	عواد الطباشات	
5 ـ الحساسنة	عواد الطباشات	

د ـ بصيرة(11)

شيخ المشايخ: فلاح الشراري

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ عيال سلمان	فلاح الشراري	
2 ـ المسيعديين	حرب بن مساعد	1000
3 ـ الرقوع	عودة بن سالم	
4 ـ السفاسفة	ثلجة بن الحسين	

هـ ـ ضانا

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
المطاعطة	تلجة المطاعطة	1000
أ ـ عيال حسين	ثلحة المطاعطة	
ب ـ الخصبة	إبراهيم بن حمد الكربنيين	
جـ ـ النعانعة	عيد بن محمد	
د ـ الخوالدة	عليان بن محمد	

ملاحظات

1 ـ هناك قوائم تفصيلية موجودة عند موزيل، الجزء الثالث، ص 61 وما يليها، وعند بيكه، ص 342 وما يليها، وهناك قائمة إجمالية عند كنعان، دراسات في طبوغرافيا وفلولكلور البترا، ص 82.

2 ـ موزيل يصنف القبائل التالية في مجموعتين: محمديين وكلاالدة؛ وهؤلاء مذكورون أيضاً عند كانان.

3 ـ الوسم: ᴧᴧ على الأنف والخد، ومطرق على الأذن.

4 ـ يصنفهم موزيل وبيكه تحت الحميدات (1)، وهم يستعملون وسمهم.

5 ـ الوسم: ᒋ على الخد الأيمن.

6 ـ الآن باشا، انظر الشرق الحديث، 1933م، ص 466.

7 ـ وسمهم ووسم القبائل التالية: | (ناتح) على الأنف و ┼ على الأذن اليسرى.

8 ـ موزيل: "حريصات"، بيكه: خريسات.

9 ـ يزعمون أنهم من أحفاد جعفر الطيار. صيحة الحرب: صبيان الجعافرة!

10 ـ كنعان: موسى الشباطات.

11 ـ الوسم: ـــ^ـــ (خطام) "أفقياً" فوق الأنف؛ صيحة الحرب: صبيان السياح! ولكن حسب بيكه: النعيمات ـ عيال الأقعر!

الحجايا

البدو الوحيدون الذين يتنقلون دوماً في جبال هم الحجايا، وبئرهم الرئيسية هي هنا التوانه شرقي بصيرة، وهم يصلون في الشمال عبر وادي الحسا حتى اللجّون. في الماضي كانوا يسكنون في مكان أبعد نحو الجنوب على الطرف الشرقي للشراه حيث كانوا جيراناً لبني مهدي. هذا الوضع كان قائماً في العصور الوسطى؛ إذ إن بني مهدي كانوا في بداية العصر الحديث قد اختفوا من هذه المناطق (انظر ص 303، 304 أعلاه). يربي الحجايا الأغنام والإبل (13000 رأس من الغنم، 800 رأس من الإبل). في الماضي كانت خيولهم مطلوبة[1].

حتى ما قبل بضعة عقود كان الحجايا يخيفون المنطقة، كانت غزواتهم تصل إلى المناطق الواقعة وراء العربة وأحياناً حتى القدس[2]. وكانت الطفيلة وقرى جبال الأخرى تدفع لهم خوة، وكذلك نعيمات الكرك.

---

(1) فالين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1854م، ص 133.

(2) سيتزن، الجزء الثاني، ص 322.

الحجايا(1)

شيخ المشايخ: غيث بن هداية(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الشحاذات	دميثان بن شحاذة		60
2 ـ العليين	غبي بن هداية	شمال وادي الحسا	100
3 ـ المحموديين(3)	حمد المحموديين		40
4 ـ المناعين(4)	سليمان المناعين	جنوب وادي الحسا	
أ ـ المراغية(5)	عجرمة المراغية		60
ب ـ الصواوية	حمد الصوا(6)		50
جـ ـ المسعوديين	حمد بن عباطلة		40
د ـ العقّار(7)	جراد العقّار		50

ملاحظات

1 ـ موزيل، الجزء الثالث، ص 64 وما بعدها، يجمع 1 ـ 3 في قبيلة واحدة يسميها هدايات؛ ويضم بيكه، ص 226، الشحاذات (1) إلى العليين (2). صيحة الحرب: إخوة شرهة! بني حجيّة! الوسم: ☐ (باب) على الورك الأيمن.

2 ـ تمارس عائلة الشيوخ العمل الزراعي. صيحة الحرب: راعي العليا!

3 ـ مذكورون عن دوك دي لونيه، الجزء الثاني، ص 118، 133، 163.

4 ـ الوسم: ⊏ على الخد الأيسر.

5 ـ انظر فالين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1854م، ص 129.

6 ـ في السابق كان شيخ المشايخ من هذه العائلة، فالين، المصدر السابق.

7 ـ يصنفهم موزيل تحت المسعوديين، انظر أيضاً فالين، نفس المصدر السابق: سالم بن "عقر"، شيخ المسعوديين.

الشوبك[1]

يسكن في المنطقة الواقعة حول شوبك، والتي تشكل الحدود بين جبال والشراه، بعض القبائل الفلاحية التي تعترف بالحويطات أبو رشيد (الرشايدة) كأسياد، وهي: الملاحيم، والهباهبة، والرفايعة[2]. يُضاف إلى ذلك العمارين، وهم رعاة يتنقلون في الجزء الشمالي من الشراه، الهيشة، وينزلون أيضاً إلى العربة. جاء العمارين من منطقة حقل على خليج العقبة. ولم يزل عدد من عائلاتهم يخيمون في الموطن القديم مع العمران (حويطات)[3]. ويمكن أن نحسب إلى شوبك العسيفات أيضاً الذين ينتمون من ناحية النسب إلى بني عطية. كان العسيفات يخيمون في بداية القرن الحالي مع قبيلتين صغيرتين أخريين، المناجعة والمساعيد، كان الحويطات قد طردوهما من منطقتهم في العربة وكانوا لصوصاً ذوي سمعة سيئة[4].

---

(1) بخصوص التاريخ، انظر بيكه، ص 163.

(2) جميع القبائل الثلاث مذكورة عند بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 416 وما يليها.

(3) روبنسون، الجزء الثالث، ص 105؛ موزيل، شمال الحجاز، ص 101؛ انظر أيضاً: البتراء العربية، الجزء الثالث، ص 58.

(4) موزيل، الجزء الثالث، ص 60.

الشوبك(1)

القبيلة	الشيخ	المنطقة
1 ـ الشقيريين	سالم الشوايكة	الشويك
2 ـ الملاحيم	سلمان الملاحيم	الشويك
3 ـ الهباهبة(2)	محمد الهباهبة	خربة أبو محطوب
4 ـ الرفايعة	محمد الرفايعة	خربة بير الرفايعة
5 ـ الطورة(3)	نجم بن ناصر	خربة الطورة
6 ـ الغنيميين	سالم بن مريحيل	خربة المقارعية
7 ـ العصيفات	سليم بن سليمان	
8 ـ العمارين	سالم أبو شوشة	
9 ـ الغوافلة(4)	حمد أبو شنب	

ملاحظات

1 ـ بخصوص القبائل 1 ـ 6 انظر موزيل، الجزء الثالث، ص 61؛ زركلي، ص 25؛ بيكه، ص 362 وما يليها.

2 ـ جزء منهم ينتمي إلى نعيمات الشراه (الجدول الحويطات آ ملحقون 2).

3 ـ هم مع الملاحيم (2) أقدم سكان شوبك.

4 ـ من الرشايدة (حويطات)، موزيل، الجزء الثالث، ص 60.

اللياثنة

يحمل السكان المقيمون في وادي موسى المحيط بآثار البترا اسم اللياثنة ويتألفون من أربع قبائل: الشرور، والعبيديين، والعلايا، وبني عطا. في الأصل كان يسكن هنا بني حميدة. ويقال بأن عائلات الشرور الرئيسية الثلاث: الرواضية (راضي)، والخليفات (خليف)، والخلايفة (خليفة)، هم ثمرة زواج بدوي من حرب وفتاة من حميدة. أما العبيدية فيعدّون من السكان المحليين. إلا أن بني عطا أقدم من كلا القبيلتين؛ فهم فرع من بني مهدي (انظر ص 303 ـ 304 أعلاه) وكانوا معروفين لدى الكُتّاب المملوكيين[1].

المقر الرئيسي لللياثنة هو قرية الجي والمنطقة المجاورة لها. وهم يملكون أعداداً كبيرة من الخيول والبغال والحمير والأبقار والأغنام. وهم يختلفون في مظهرهم وعاداتهم اختلافاً كبيراً عن بقية السكان. ويلاحظ المرء عندهم كثرة تكرار الاسمين التوراتيين موسى وهارون. ولقد أثبتوا قدراتهم العسكرية في شتاء 1917م في معارك الطفيلة، طبعاً على الجانب العربي[2].

في فبراير/شباط 1926م ثار اللياثنة ضد الحكومة الأردنية بسبب تخوفهم من

(1) قلقشندي، ص 296؛ ابن إياس، الجزء الثاث، ص 244؛ انظر، 256، 258.

(2) لورنس، ص 344، 471.

شق طريق معان ـ البترا ومد خط هاتفي. لكن الثورة أخمدت على الفور[1].

اللياثنة(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الشرور	فلاح السعيدات	شتاء: الطيبة/ صيفاً: الجي	73
أ ـ السعيدات			
ب ـ الرواضية			
جـ ـ الخليفات			
د ـ الخلايفة			
2 ـ العلايا	معمر بن بشير	شتاء: مغائر البترا صيفاً: الجي	45
أ ـ نوافلة			
ب ـ الشماسين(2)			
جـ ـ العمارات(3)			
3 ـ العبيديين	محمد الحسنات	شتاء: الجي صيفاً: شمال وادي موسى	70
أ ـ الهلالات(4)	خليل الهلالي		
ب ـ الحسنات(5)	محمد الحسنات		
جـ ـ النصرات(6)	خليل الهلالي		
د ـ الطويسات(7)	خليل الهلالي		
و ـ المشاعلة(8)			

(1) بيكه، ص 205 وما بعدها.

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
4 ـ بني عطا أ ـ فرجات ب ـ السلامين جـ ـ الفلاحات	ضيف الله أبو فرج	مثل العلايا	30

ملاحظات

1 ـ يتطابق الجدول مع قائمة كنعان، ص 79، والمعلومات متشابهة تماماً مع بيكه، ص 364 وما يليها، ومع موزيل، ص 57 وما بعدها.

2 ـ هاجر قسم من عائلة الشماسين إلى منطقة غزة حيث يحمل هناك اسم الحمادين.

3 ـ يسكن قسم منهم في الفارعة شرقي خان يونس.

4 ـ الهلالات مصريون. وهم ممثلون في فلسطين أيضاً تحت اسم الخوالدة.

5 ـ قسماً منهم في شمال بئر السبع.

6 ـ من أذرح.

7 ـ قسم منهم قرب غزة.

8 ـ بعضهم في يطّا جنوبي الخليل.

السعيديين

يخيم السعيديين الأردنيون[1] في الصيف جنوب وادي موسى، وفي الشتاء ينزلون إلى العربة. ويعيش تحت حمايتهم الرواجفة الذين أخذوا اسمهم من مكان سكنهم، سيل الراجف.

السعيديين(1)

شيخ المشايخ عفنان بن سرور

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ السروريين	عفنان بن سرور	50
2 ـ الزوايدة	سلامة بن زايد	40
3 ـ قوم ابن مفرّج	سالم بن مفرّج	20
قبائل ملحقة		
الرواجفة	عيد بن سليمان؛ جمعة بن فزاج	25

(1) انظر مقال السعيديين في فصل فلسطين.

ملاحظات

1 ـ انظر كنعان، ص 81. الوسم: / على الفخذ الأيسر.

معان

تضم واحة معان مستوطنتين: معان المصرية ومعان الشامية (المغارة). يعيش السكان بصورة رئيسية من التجارة مع البدو وينقسمون منذ القدم إلى عدد من القبائل (فالين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1854م، ص 121 ـ 126).

معان الحجازية(1)

شيخ المشايخ: حامد باشا الشراري

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الكراشين	فارس بن أحمد كريشان	1200
2 ـ عيال أمّ خطاب	حامد باشا الشراري	950
3 ـ الفناطسة	هويمل الخطيب	1000
4 ـ البزايعة	هويمل الخطيب	

معان الشامية(1)

شيخ المشايخ: سليمان العوجان

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ عيال الحصان	سليمان المطر	550
2 ـ		
أ ـ الخورة		
ب ـ المحاميد	داوود بن رشيد	
جـ ـ القرامسة		600

ملاحظات

1 ـ أكثر تفصيلاً عند موزيل، ص 56 وما بعدها، وعند بيكه، ص 360 وما يليها. زرلكي، ص 22، يذكر العلائلات نفسها مثلنا.

الحويطات

يحتل الحويطات مكانة متميزة بين القبائل العربية. فهم محاربون أشداء يخشاهم الناس في كل مكان من مصر حتى الجوف ومن البحر الميت حتى أعماق الحجاز، ومع ذلك يعانون من عيب لم يفارقهم أبداً، وهو أن جدهم، حويط، لم يكن بدوياً حراً وإنما مصري.

يقال أن حويط جاء في رحلة إلى العقبة. وهناك أصيب بالمرض ونزل عند رجل من عطيوي. وبعد ذلك بقي في العقبة. وكانت قبيلة الرجل الذي حل ضيفاً عليه، بنو عطية، تتولى ضمان وصول الحبوب من سورية إلى محطة الحج هناك. وتمكن حويط عن طريق الحيلة من انتزاع هذه المهمة لنفسه. وبهذه الطريقة أصبح رجلاً قوياً، وبعد وقت قصير طرد بني عطية من البلاد(1). تحتوي هذه الحكاية على شيء من الحقيقة: لا ينكر خلف حويط أصلهم لا في مظهرهم ولا في سلوكهم ولا في طريقة عيشهم. لم يصبحوا إلا في وقت لاحق تجاراً وأصحاب إبل ومزارعي نخيل على ساحل البحر الميت، وفلاحين في الحسما والشراه، ولم يصبحوا بدواً رحلاً إلا جزئياً(2). أما العلاقة التي تقيمها الحكاية بين جد القبيلة

(1) راجع الروايات المختلفة لحكاية القبيلة: برتون: "أرض مدين" The Land of Midian، الجزء الأول، ص 162 وما بعدها؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 51. بيكه، ص 228 وما يليها.

(2) انظر فالين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1854م، ص 131؛ دوتي، الجزء الأول، ص 37، 45، 234؛ موزيل، شمال الحجاز، ص 20.

وبني عطية فتؤكدها مصادر قديمة: في منتصف القرن السادس عشر كان الحويطات ينتمون إلى مجمع بني عطية، وفي القرن السابع عشر أصبحوا مستقلين[1].

انتشرت القبيلة الجديدة بسرعة كبيرة في الأراضي الواقعة وراء العقبة. وعلى ساحل البحر الميت تفوقت على بني عقبة؛ واضطر بنو عطية، الذين تشكل منهم معظم الحويطات[2]، إلى الانسحاب إلى الحسما هرباً منهم. وفي الشمال احتلت القبيلة الشراه وتوغلت من هنا في الصحراء الغربية حيث وقفت في وجه بني صخر وعنزة. وجاءت مجموعات صغيرة من الحويطات من شرقي الأردن إلى جنوب فلسطين. وحتى إلى شمالها أيضاً، بينما ذهبت مجموعات أخرى من العقبة عن طريق سيناء إلى مصر.

يعود السبب في الانتشار السريع والواسع للحويطات إلى تجارة القوافل الواسعة التي يمارسونها منذ زمن طويل. ففي بداية القرن التاسع عشر كانت تذهب كل عام من الشراه إلى القاهرة قافلة تتألف من 4000 جمل، وحتى قبل وقت قصير كان تجار الحويطات يذهبون من واحده إلى ثلاث مرات كل عام في مجموعات صغيرة تتألف من 5 ـ 20 شخصاً من السويس إلى الحجاز ثم يعودون إلى مصر ومعهم قطعان كبيرة من الماشية. وهذه ظاهرة معروفة[3].

كان الحويطات زمناً طويلة متعلقين بمصر بسبب هذه العلاقات التجارية من جهة وبصفتهم حماة طريق الحج عند العقبة من جهة أخرى. ففي عام 1812م تم تجنيد حويطات الشراه لكي ينقلوا القوات المصرية إلى شبه الجزيرة العربية، وحتى عام 1830م كانت هذه المجموعة من القبيلة مسجلة في القاهرة[4]. فقط خلال فترة

---

(1) درر الفرائد (955هـ/1548م) عند شقير، ص 117 ـ جيهان نما، ص 526، 541. أقول هذا المرجع عن البدو غير دقيقة التواريخ.
(2) بوركهاردت، ص 312؛ شقير، ص 108.
(3) بوركهاردت، ص 23؛ شقير، ص 267.
(4) بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 417؛ روبنسون، الجزء الثالث، ص 106؛ انظر أيضاً فالّين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1854م، ص 132.

الاضطرابات، التي حدثت في مصر بين انسحاب الفرنسيين وتولي حكومة محمد علي باشا زمام الأمور، نراهم يتعاملون مع دمشق بدلاً من القاهرة: في عام 1218هـ/ 1803م تكفلوا بضمان وصول الحبوب التي وعد عبد اللّه باشا بإرسالها عن طريق العقبة إلى الحجاز التي كان الوهابيون يضايقونها[1].

منذ القرن الثامن عشر ينقسم الحويطات إلى المجموعات التالية: ابن جازي في الشراه، علاوين وعمران في محيط العقبة، حويطات التهمة على ساحل البحر الأحمر، السعيديين في العربة، حويطات سيناء[2]، الحويطات المصريين. وعلى الرغم من وجود عداوات وثارات دم فيما بينهم فإنه يوجد بين مختلف فئاتهم بعض الترابط الذي تساهم، بالدرجة الأولى، عائلة (ابن) شديد في القاهرة، في إبقائه قائماً.

(1) جودت، تأريخ، الجزء السابع، ص 352.

(2) انظر بخصوص المجموعتين الأخيرتين المقالات الخاصة بهما في فصول شرقي الأردن، وفلسطين، وسيناء.

حويطات ابن جازي

تمتد منطقة هذه المجموعة من العربة حتى وادي سرحان. وفي الصحراء يجاورهم من جهة الشمال بنو صخر الذين يتقاسمون معهم بئر الجفر وبئر باير. وفي الجبال تمتد مواقع مياههم من الجربا حتى أبا اللسل على نقب الشتار ولكنهم في الشمال يصلون أحياناً حتى وادي الحسا، وفي الجنوب حتى دم (إرم) (قبيلة فرعية من الزوايدة). وفي الصحراء تمر الحدود جنوب الطبيق. هنا يجاورهم بنو عطية، وفي الشرق عنزة. الجهة الرئيسية لتنقلهم هي غرب شرق، فهم يقيمون في الشتاء في الصحراء، وفي موسم الحصاد في الجبل، وفي الأعوام الصعبة، أيضاً في شبه جزيرة سيناء وجنوب فلسطين[1]. يعمل حويطات الشراة في تربية الإبل؛ المراعية فقط فلاحون.

كانت القبائل الصغيرة الموجودة بين الطفيلة ومعان تدفع خوة للحويطات. حتى الجانب الآخر من وادي الحسا لم يكن لهم ند إلا المجالي، وفي معان كانت الضريبة فخرية فقط[2]. وفي الصحراء كان الكاف والجوف والتيما يدفعون لهم

(1) سيتزن، الجزء 3، ص 10، 31، 40؛ بوركهاردت، ص 23؛ روبنسون، الجزء 1، ص 300؛ موزيل جـ2/1، ص 237.

(2) موزيل، الجزء 3، ص 52؛ ولكن لاحظ الجزء 2/1، ص 272، حيث جاء أن سكان معان يستأجرون الأراضي من البدو.

خوة. وكانوا مسؤولين عن حماية طريق الحج بين معان وتبوك[1]، وفي وقت لاحق عن حماية سكة الحديد من القطرانة حتى معان.

للحويطات علاقات وثيقة مع بني عطية، أما علاقاتهم مع بني صخر وعنزة فقد كانت متوترة. وكانت غزوات الحويطات تصل إلى سلمية في شمال سورية (1908م)، ويقال أنها كانت تصل في الجنوب إلى وادي الدواسر، وفي الشرق حتى الفرات. وكان أحياناً يغزون البلي، ولكن ضحيتهم الرئيسية كانت الشرارات الذين كانوا يتعرضون للأذى من جميع القبائل المحيطة بهم[2].

وحسبما تثبت الصحيفة الوهابية الرسمية أم القرى، الأعداد: 164، 166، 183، 199 (1927/ 1928م)، لم يطرأ على هذا الوضع تغير يستحق الذكر ضمن الظروف الجديدة[3].

خلال العقود الأخيرة حدث في تنظيم الحويطات تغير جوهري. فقد نشأت مجموعة جديدة، عِلْمٌ ثانٍ بقيادة أبو تايه، ظلت فترة من الزمن تحتل مكانة متساوية مع عائلة الشيوخ القديمة، الجازي. وتعود بدايات هذا التطور إلى زمن بعيد في الماضي: عندما توغل الأتراك في عام 1894م عن طريق الكرك نحو الجنوب، اعتقل شيخ الحويطات آنذاك عرار بن جازي. وخلال فترة اعتقاله الذي دام سنتين كان الأتراك يحرضون بصورة مخططة الزعماء الصغار ضد عائلة الشيوخ. وهكذا تمكن حرب أبو تايه من تجميع قبيلة خاصة به. وعندما توفي حرب في عام 1904م خلفه ابنه ربيّع، وفي عام 1907م ابنه الثاني عودة[4].

إن عودة أبو تايه، الذي يرسم عنه لورنس في الفصل 38 من كتابه "أعمدة

---

(1) ياوسن، ص 123.

(2) فالين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1851م، ص 323 ـ موزيل، شمال الحجاز، ص 13، 21 وما بعدها؛ ياوسن، ص 176 وما يليها.

(3) انظر زركلي، ص 23، كانت تضم القبيلتين القرعيتين 2 و4.

(4) موزيل، شمال الحجاز، ص 7 وما يليها، الصحراء العربية، ص 435 وما يليها.

الحكمة السبعة" صورة لا تنسى، هو من أغرب الشخصيات التي ظهرت حديثاً في شبه الجزيرة العربية. كان يعيش مثل أبطال الأزمنة الغابرة. جُرح 13 مرة. وكان له 75 خصماً ـ من العرب، أما الأتراك فلم يكن يعدّهم ـ وقتل في المبارزة رجل لرجل، وخلال 30 عاماً خسر أكثر من نصف رجاله وقتل أمام عينيه معظم أقربائه. ولكن وفاة ابنه عِنَاد (عَنّاد؟) فقط هي التي حطمت قلبه. كان تعامله مع الناس بسيطاً وفي غاية اللطف ولكنه كان في حالة الغضب الويل كل الويل لمن يعترض طريقه، وكانت تنتابه في المعركة حالات من الغضب الهائج حقاً[1]. وكان كريماً جداً يوزع كل الغنائم التي يحصل عليها في معاركه. وكان يحب الحديث عن أفعاله بطريقة ملحمية وينظم الشعر. وكان شأنه شأن كثير من الشعراء العرب القدامى لا يستطيع دوماً السيطرة على لسانه. وقد جاء يومه عندما اندلعت الحرب العالمية. فهو وحده الذي مكّن الجيش العربي من نقل الحرب إلى شرقي الأردن.

في عهد عودة توترت العلاقات بين جازي وتايه. وفي عام 1908م قطع عودة بسبب قضية ضرائب صلاته مع السلطات الحكومية في معان. فحرضت هذه السلطات منافسة عبطان بن جازي ضده. وفي وقت لاحق قُتل عبطان على يد عناد ابن عودة، ثم سقط عناد نفسه في المعركة. ومنذئذ صار عودة يكره الأتراك. وفي نيسان/ أبريل 1917م ذهب إلى معسكر فيصل في وجه، وبعد محاولات طويلة من جانب فيصل لكسب تأييده، وفي مايو/ أيار قاد الشريف ناصر ولورنس عن طريق وادي سرحان إلى العقبة التي احتلت بهذه الطريقة من الخلف.

أما أخو عبطان وخليفته حمد بن جازي فقد ظل في بادئ الأمر مؤيداً للأتراك. لكن قبيلته، المطالقة، انضمت إلى الصف العربي بعد أن نقل الجيش العربي مركز عملياته إلى العقبة. ومنذئذ يسود السلام بين القبيلتين الشقيقتين وإن كانت الغيرة القديمة ما زالت تتفجر بين حين وآخر[2].

---

(1) أن يكون قد روى تعطشه للدم بشرب دماء أعدائه المقتولين، كما يقول موزيل، شمال الحجاز، ص 7، فهذه أسطورة لا تمت إلى الواقع بصلة؛ انظر ياوسن، ص 177.
(2) لورنس، ص 282، 348، 472 وما بعدها.

ظل عودة وفياً لفيصل بعد الحرب أيضاً. وكان من بين أتباع الملك القلائل الذين وقفوا في وجه الفرنسيين في يوليو/ تموز 1920م على طريق زحفهم على دمشق. أما مع الأمير عبد اللّه والإنجليز فقد كانت له خلافات أدت في نهاية المطاف إلى اعتقاله عام 1922م. لكنه هرب من السجن والتحق بمعسكر الوهابيين الذين كانوا آنذاك بالذات (1923م) ينفذون هجومهم الأول على الكاف. وفي خريف العام نفسه تصالح مع عبد اللّه بوساطة من فيصل، لكنه توفي بعد ذلك بوقت قصير في 22 يوليو/ تموز 1924م[1]. ولم يتمكن ابنه محمد أبو تايه، عمره 36 عاماً تقريباً، من المحافظة على مكانة العائلة. فهو يهاجم الأمير عبد اللّه، بينما يقدم له حمد بن جازي الولاء والطاعة.

(1) الشرق الحديث، الجزء الأول، ص 418؛ الجزء الثاني، ص 231، الجزء الثالث، ص 93، 429؛ الجزء الرابع، 620.

العلاوين[1]

تقع منطقة هذه القبيلة على جانبي الطريق المؤدية من الشراة إلى العقبة، من دلاغة في الشمال حتى خط يسير من العقبة عبر قليب المرصد إلى برة. العلاوين نصف بدو، وهم يزرعون الشعير ويخزنونه في الخرائب الأثرية الرومانية الكثيرة[2].

كان العلاوين يستلمون في السابق من الحويطات قافلة الحج المصرية عند رجم الدرك على ارتفاع معبر العقبة[3]. وكانوا حتى تسليم هذه القرية للأتراك في عام 1892م مرتبطين بمصر. وفيما بعد أيضاً ظل النفوذ المصري قوياً إلى درجة أن الأتراك وجدوا نفسهم مضطرين إلى متابعة دفع الصرة القديمة للعلاوين وقدرها 500 جنيه[4].

(1) = حويطات ابن نجاد.

(2) موزيل، شمال الحجاز، ص 59 وما بعدها، 69. دوتي، الجزء الأول، ص 46، 234.

(3) شقير، ص 204؛ روبنسون، الجزء الأول، ص 436.

(4) موزيل، الجزء الثالث، ص 52. معلومات دقيقة عن الصرة التي كان يستفيد منها ليس فقط العلاوين والعمران وإنما أيضاً ابن رشيد (انظر الملاحظة 4 التابعة للجدول) وابن جازي، شاركوا فيها أيضاً، موجودة في "مرآة الحرمين"، الجزء الثاني، ص 338، 340.

العمران

يتبع العمران إلى المملكة الوهابية. وتجاوز منطقتهم في الشمال منطقة العلاوين وتمتد بطول 60 كيلومتراً وبعرض 45 كيلومتراً حتى الدبر في الجنوب. وفي الأوقات الماضية كان يصلون إلى مسافة أبعد شمالاً حتى الدلاغة[1]. وتملك عائلة شيوخهم، ابن مقبول، بساتين نخيل في العقبة[2].

كان العمران في السابق لصوصاً ذوي سمعة سيئة، وحتى محمد علي باشا لم يتمكن من إخضاعهم. وفي العهد الحديث كانت الحكومة التركية تدفع لهم كل عام 250 جنيه. ولم تتوقف غزواتهم ضد الأحيوات إلا بعد الاحتلال الإنجليزي الأردني للعقبة (1925م)[3].

(1) موزيل، شمال الحجاز، ص 798؛ فالين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1854م، ص 121، انظر 129.

(2) وكذلك عائلة ابن نجاد، عائلة شيوخ العلاوين؛ موزيل، الجزء الثاني 1، ص 259.

(3) بوركهاردت، ص 312 وما بعدها؛ شمال الحجاز، ص 79؛ موري، ص 248.

حويطات التهمة

تسكن هذه المجموعة كما يوحي اسمها في ساحل وجبال التهمة[1]، أي في المنطقة المنحدرة من طرف الجبال حتى البحر. التهمة منطقة قاحلة. كما أن الوديان الكثيرة، وهي أخاديد قليلة العمق عريضة ورملية تنحدر من الجبال متجهة نحو الجنوب الغربي، لا ينبت فيها سوى الأكاسيا التي يستخرج منها السكان المطاط وفحم الخشب. ولذلك لا يملك الحويطات الموجودون هنا سوى عدد قليل من الإبل، وبالمقابل كثيراً من الماعز والغنم في الجبال والبقر في الساحل[2].

بالإضافة إلى ذلك تملك القبيلة واحات النخيل: العينونة، والخريبة، والشرمة. ومن أكبر الملاكين هنا عائلة الشيوخ أبو طقيقة، يبدو عن طريق الوراثة من أجدادهم لأمهم، بني عقبة. ويتولى استثمار هذه الأملاك والعناية بها فلاحون، حسب الطريقة المألوفة. المركز الرئيسي للقبيلة ومقر عائلة شيوخها هو ضبا. يصل الحويطات في الجنوب حتى وادي أزلم[3]. حيث يجاورون البلي. وهذه المنطقة

(1) الاسم المحلي للتهامة الكلاسيكية؛ انظر فالين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1851م، ص 201، 305 وما بعدها.

(2) موزيل، شمال الحجاز، ص 141. في سنة الجوع 1910م اضطرت عائلة الشيخ إلى إرسال خيولها إلى مصر وإبلها إلى عمق الداخل لكي تنقذها من الموت. المصدر نفسه، ص 128.

(3) يرد الاسم "أزنم" أيضاً.

بكاملها كانت في السابق، حتى وادي الدامة على الأقل، تابعة لبني عقبة ثم أخذها منهم الحويطات، بعضها بالطرق السلمية وبعضها الآخر عن طريق الحرب[1].

أدى تغيير طريق الحج المصرية في عام 1885م وانتقال السيادة على المنطقة من مصر إلى تركيا (1892م) إلى حدوث استياء كبير لدى الحويطات[2]. وخلال الحرب العالمية وقفوا بعد الاستيلاء على وجه إلى جانب الشريف حسين[3]. وبعد سقوط مكة في عام 1924م انضموا إلى الدولة الوهابية، لكن شيخ مشايخهم أبو طقيقة، أمير الضبا، هرب عام 1928م إلى الأمير عبد اللّه في شرقي الأردن. وفي عام 1932م دخل مع شيخ من البلي إلى شبه الجزيرة العربية لكي يسقط حكم آل سعود في الحجاز. لكن المحاولة فشلت. أما هو نفسه فقط بقي في المعركة[4].

تسود علاقة عداء بين حويطات التهمة وأقربائهم في الشمال، العمران. وفي عام 1929م أصبحوا ضحية العديد من الغزوات التي شنها بنو عطية[5].

نتيجة الظروف المعيشية الفقيرة في منطقة التهمة حاول الحويطات إيجاد موطن جديد لهم في سيناء. وقد نجحت أقسام من القبيلتين الفرعيتين، العبيات والجرافين (د 6، 13)، في ذلك في زمن سابق. لكن الفحامين (د 12) طردوا عام 1906م من جبل حلال وأعيدو إلى شبه الجزيرة العربية. وخلال الحرب العالمية وبعدها نزلت مجدداً عائلات من الفحامين والقرعان (د 9) في خليج العقبة لكي تتفادى الجوع. وقد أدى مجيئهم إلى هناك إلى حدوث خلافات مع الطورة[6].

---

(1) برتون، بلاد ميدين، الجزء الأول، ص 168، الجزء الثاني، ص 11، 93.

(2) شمال الحجاز، ص 130 وما بعدها.

(3) لورنس، ص 173.

(4) أم القرى العدد 184 لا تذكر اسمه (الأول)؛ الشرق الحديث، 1932م، ص 347 تسمية محمود أبو طقيقة. وليس معروفاً ما هي علاقة القربى التي تربطه بالشيخين المذكورين عند موري، ص 248، وهما: شاذلي عليّان وأحمد أبو طقيقة.

(5) شمال الحجاز، ص 93؛ أم القرى، العدد 238.

(6) موري، ص 247 وما بعدها؛ شقير، ص 120؛ انظر موزيل، الجزء الثالث، ص 49.

حويطات مصر

بما أن الصلات بين مجموعات المجمع المختلفة لم تنقطع تماماً، نود في الختام ذكر بعض الأخبار عن الفرع المصري للحويطات.

كان عدد حويطات مصر في عام 1897م نحو 10000 نسمة[1]، وتقع منطقة تنقلهم جنوبي خط القاهرة السويس حتى جبل غلاله. لعائلة شيوخها (ابن) شديد أملاك في القاهرة وفي أج هور الصغرى (محافظة القليوبية). الشيخ الحالي اسمه إسماعيل بيه شديد، وهو يعيش قرب بلبيس. وقد تمّ التمكن من معرفة الشخصيات التالية من أسلافه: عبد الكريم وسعد بن شديد، الأخر الأكبر لسعد، سلامة، وأبوهما إبراهيم المتوفى عام 1882م. في الثلاثينيات كان الحكم في يد منصور بن شديد، وكان واحد من أبناء شديد يقود البدو المصريين، التسن، الذين رافقوا ابن محمد علي باشا عام 1811م خلال حملته إلى شبه الجزيرة العربية[2].

كان حويطات مصر يقدمون في السابق، مع قبائل محافظة القليوبية الأخرى، كل ثاني عام الجمال التي تحتاجها قافلة الحج المصرية. لكنهم كانوا وحدهم يقدمون قائد القافلة ودليلها[3].

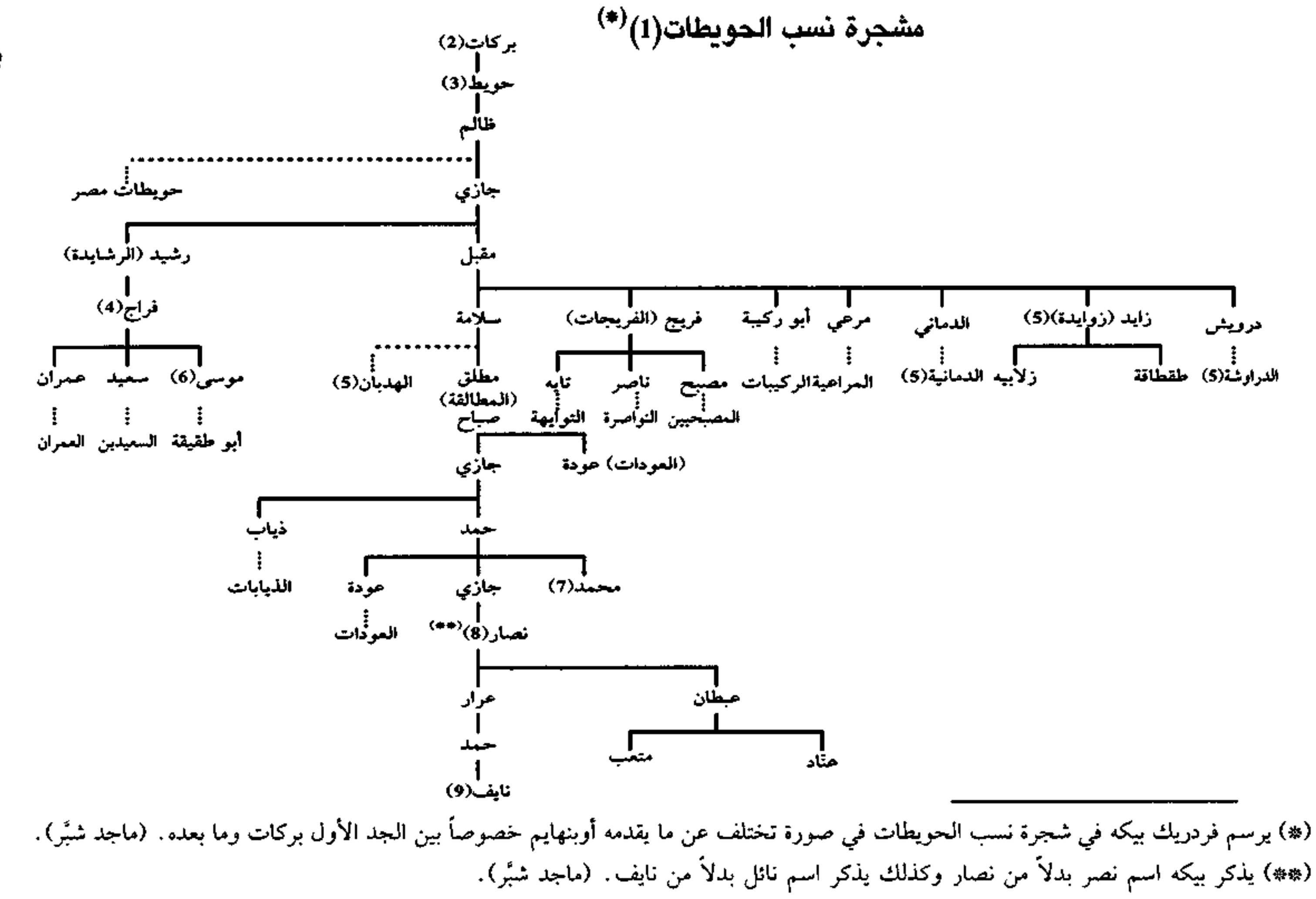
---

(1) الإحصاء العام في مصر، القاهرة، 98.

(2) موري، أبناء إسماعيل، ص 245 وما يليها؛ شقير، ص 120؛ الشرق الحديث، 1926م، ص 497؛ هاينس، رجل يصطاد في الصحراء Man - Hunting in the Desert، ص 153؛ روبنسون، الجزء الثالث، ص 106؛ الجبرتي، الجزء التاسع، ص 11.

(3) شقير، ص 263 وما بعدها.

مشجرة نسب الحويطات(1)(*)

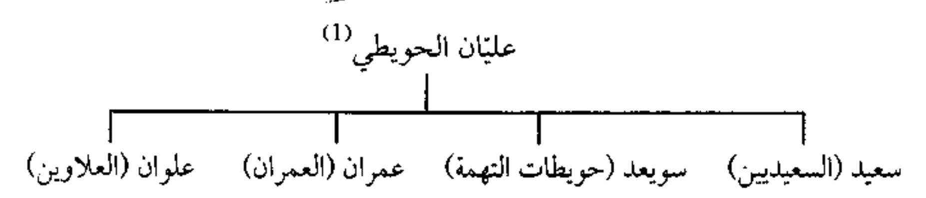


(*) يرسم فردريك بيكه في شجرة نسب الحويطات في صورة تختلف عن ما يقدمه أوبنهايم خصوصاً بين الجد الأول بركات وما بعده. (ماجد شبَّر).

(**) يذكر بيكه اسم نصر بدلاً من نصار وكذلك يذكر اسم نائل بدلاً من نايف. (ماجد شبَّر).

ملاحظات عن مشجرة نسب الحويطات

1 ـ من الواضح أن شجرة النسب وضعت من وجهة نظر عائلة الجازي. فالقبائل الفرعية لحويطات ابن جازي تظهر في جميعها تقريباً وكتفريعات من أسرة الشيوخ. وحتى العمران، والسعيديين، وحويطات التهمة (أبو طقيقة) نراهم هنا ينحدرون من جازي، بينما تعطي هذه القبائل نفسها (بورتن، ميدين، الجزء الأول، ص 162) شجرة النسب التالية:



شجرة النسب عند بيكه (ص 236) تحاول توحيد الشجرتين في شجرة واحدة.

2 ـ اسم نموذجي من أسماء الشرفاء. عند بورتن أيضاً (المصدر السابق نفسه) توجد إشارات إلى علاقات الحويطي مع الشرفاء.

3 ـ هناك تفسيرات عديدة لهذا الاسم موجودة في (حكاية القبيلة، انظر الصفحة 421 أعلاه)؛ ياوسن، ص 108 وما بعدها.

4 ـ يبدو أنه يمثل أيضاً الجد الأول للفرّاجين (علاوين، انظر الملاحظة 13 العائدة للجدول).

5 ـ القبائل الفرعية المنحدرة من هذا الجد هي من ناحية النسب ليست حويطات! انظر الملاحظة العائدة للجدول.

6 ـ يظهر موسى هنا كجد لعائلة شيوخ حويطات التهمة (أبو طقيقة). أما في

(1) موري، ص 246، يذكر بدلاً من عليان الحويطي: عليان أبو طقيقة؛ قارن بهذا الخصوص الملاحظة 21 العائدة للجدول.

الحقيقة فهو جد الموسة (د ـ 7) الذين يعتقد أن عائلة شيوخ حويطات مصر تنحدر منهم (بورتن، مناجم الذهب في مدين، الجزء الأول، ص 335).

7 ـ أضيف استناداً إلى بيكه. وهو يعود إلى سبعينيات القرن الماضي؛ بورتن، مدين، الجزء الأول، ص 335.

8 ـ كان نصار يحكم في ستينيات القرن الماضي (دوك دي لونيه، الجزء الثاني، ص 135).

9 ـ حسب بيكه.

الحويطات(1)

آ ـ حويطات ابن جازى(2)

شيخ المشايخ: حمد بن جازى

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المطالقة	محمد بن جازى		360
أ ـ الذيابات(3)			
ب ـ العودات			
2 ـ التوايهة	محمد أبو تايه		400
أ ـ الفريجات			
ب ـ النواصرة			
جـ ـ السميحيين(4)			
د ـ المصبحيين(5)			
هـ ـ الفتنة(6)		صيفاً: الشراة شتاء: الجفر؛ الطبيق	
3 ـ الرشايدة(7)	علي بن مصطفى		36
أ ـ الرشايدة			
ب ـ هزاهزة			
جـ ـ عصابنة			
4 ـ ولد سليمان	صباح أبو نوير		430
أ ـ الركيبات			
ب ـ العثامنة			
جـ ـ اللوافي			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
د ـ دقادقة			
5 ـ المراعية	عودة أبو عجيل		500
أ ـ مراعية الشمالية	سالم بن حماد		
ب ـ مراعية الجنوبية	دبور الرصاعي		
جـ ـ العجول	عودة العجيل		
6 ـ الزوايدة(8)	محمد بن مفلح	صيفاً: الشراة شتاء: الجفر، الطبيق	360
أ ـ الزوايدة			
ب ـ الزلابية			
جـ ـ طقاطقة			
7 ـ الدراوشة(9)	بخيت الدراوشة		180
8 ـ الدمانية(10)	قاسم أبو دميك		180
9 ـ الهدبان(11)، البطونية	جمعة الهدبان		40
قبائل ملحقة			
1 ـ العطون	هويمل العطنى		
2 ـ النعيمات(12)	نهار السبوع	صيفاً بسطة شتاء: إلى الشرق في الصحراء	190
أ ـ السبوع	نهار السبوع		32
ب ـ السلالمة	سلامة أبو شتان		58
جـ ـ العلادية	نجم بن سليمان		55
د ـ العراقدة	جدعان بن خلف		40

ب ـ حويطات ابن نجاد (العلاوين)(13)

شيخ المشايخ: حسن بن نجاد(14)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ النجادات	حسن بن نجاد		150
2 ـ السياحيين(15)	محمد النخيري		100
3 ـ الموسى			
4 ـ الصويلحيين			
5 ـ الحساسين			
6 ـ المناجعة		الطرف الشمالي للمسمى بين الشراة ـ حسمى ـ ارم	
7 ـ القلاعيين	هليل بن عثمان		90
8 ـ القدمان	عيد القديم		60
9 ـ السلمان	إبراهيم بن شطيط		
10 ـ الخضيرات	زعل بن سالم		
11 ـ الدبور(16)	حمد الدبري		80
12 ـ البدول(17)	إبراهيم بن زيتون		

جـ ـ العمران(18)

شيخ المشايخ: ابن مقبول(19)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الشمسان	ابن مقبول	شرق وجنوب العقبة	85
2 ـ شيخان	ابن هليل	شرق وجنوب العقبة	
3 ـ النخير	محمد النخيري	شرق وجنوب العقبة	
4 ـ الحميدات	عيد بن ذياب	شرق وجنوب العقبة	
5 ـ الناصر	هليّل العصابين	شرق وجنوب العقبة	65
6 ـ الربعيين	شكشك بن حمّاد		
7 ـ العصبان	ابن عصبان		

د ـ حويطات التهمة (حويطات أبو طقيقة)(20)

شيخ المشايخ: أبو طقيقة(21)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العميرات(22)		الولي سمعول؛ البدع: المقلة	100
أ ـ الفوايزة			
ب ـ الحروق			
جـ ـ الشهابيين			
د ـ النصيرات			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
هـ ـ الغدايرة			
و ـ الرواشدة			
ز ـ الفوسة		عينونة	
2 ـ الذيابين		عينونة	
3 ـ الزماهرة		عينونة	
4 ـ الطقيقات(21)		ضبا	
أ ـ ذوي سلامة			
ب ـ ذوي عميرة			
جـ ـ ذوي عليان			
5 ـ سليميين			
أ ـ الدقايقة			
ب ـ الأربنيات(23)			
جـ ـ الطقاطقة		البديع	
د ـ السوبّات			
6 ـ العبيات(24)		الازلم	
أ ـ اللهابية			
ب ـ النويجعات			
جـ ـ الطراطحة			
7 ـ الموسة			
أ ـ القدود		وادي الصر	
ب ـ النجامات		شغب	

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
جـ ـ سباتين		شغب	
د ـ الحفا		شغب	
8 ـ المشاهير			
أ ـ الحطايعة			
ب ـ النصابرة			
جـ ـ المكاكوة			
د ـ البدون			
9 ـ القرعان			
أ ـ الرواشدة		الأزلم	
ب ـ ذوي براهيم		وادي مرة	
جـ ـ الجلاوية		وادي مرة	
د ـ النصيرات		وادي مرة	
هـ ـ ذوي حمود		وادي مرة	
10 ـ الجواهرة			
11 ـ القبيضات		ضبا	
أ ـ الطوايرة			
ب ـ عيال نويفل			
جـ ـ الجواسرة			
12 ـ الفحامين(25)			
أ ـ أولاد سعيد			
ب ـ الحمادات			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
13 ـ الجرافين(24)		وادي ضبا	
أ ـ الفطوح			
ب ـ البسة			
قبائل ملحقة			
المساعيد(26)			
أ ـ البداعين		البدع	
ب ـ الفراحين		القيال	20

ملاحظات

1 ـ يضم الجدول جميع مجموعات الحويطات باستثناء، حويطات مصر والحويطات الذين سبق وعالجناهم، أي حويطات سيناء والسعيديين. عدد الخيام: ابن جازي: 2486 (دون القبائل الملحقة)، ابن نجاد 530، على الأرجح صحيحة، بريمون (الحجاز في الحرب العالمية، ص 121): ابن جازي 400، ابن نجاد 200، أبو طقيقة 200، يبدو قليلاً جداً. زركلي (ص 23): "أكثر من 4000 محارب عند ابن جازي"، رقم عال جداً.

2 ـ قوائم تفصيلية موجودة عند موزيل، الجزء الثالث، ص 53 وما بعدها؛ زركلي، ص 23 وما بعدها؛ تريير (استناداً إلى سلمان) ص 213؛ ياوسن، ص 392 وما بعدها يذكر 5 قبائل فرعية، بضعها يظهر عند لورنس، ص 295، 353، 359.

صيحة حرب ابن جازي: أخو صيتة! صيحة حرب أبو تايه: إخوة عليا! بالإضافة إلى ذلك هناك صيحة حرب مشتركة: إخوة صالحة، خيّالة الصفحة! (الصفحة تعني الجزء الجبلي الغربي من الشراه، موزيل، الجزء الثاني، ص 228).

وسم الجوازي: ∧ على الورك الأيسر. أبو تايه يستعملونه بشكل متغير قليلاً: .

3 ـ مذكورة عند فالين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1854م، ص 129.

4 ـ حسب بيكه، ص 233، من أصل غريب.

5 ـ قائد غزوات مفلح بن مصبّح، أم القرى، العدد 199 (1928م).

6 ـ الشيخ علي أبو فتنة، لورنس، ص 264.

7 ـ تسمى القبيلة عند المؤرخين القدامى حويطات أبو رشيد. وعند موزيل أيضاً تظهر كمجموعة مستقلة تستعمل وسم الجازي. تولى محمد بن رشيد حماية إربي ومانغلز عند زيارتهما للبترا عام 1818م (ص 382 وما يليها).

8 ـ حسب بيكه من أصل غريب.

9 ـ حسب موزيل، بلي.

10 ـ حسب بيكه، بني عطية.

11 ـ بني عطية. هم، كما يبدو = العطانة الذين كانوا في عامي 1927/ 1928م يشنون بقيادة عودة العطانة غزوات ضد الوهابيين، أم القرى، العدد 164، 166، 170، 181. عودة يظهر عند زركلي، ص 23، بصفة شيخ العطون.

12 ـ قبيلة مستقلة، انظر موزيل، ص 55؛ روبنسون (الجزء الثالث، ص 106): بني نعيم. نعيمات الشراة فلاحون وهم يتبعون في الحرب الجازي. صيحة الحرب: صبيان الحرانة! الوسم هو نفس وسم الجازي (الفاجح) أو النقرة على الأنف وخط على الأذن اليسرى.

13 ـ بورتن، موزيل، ص 54 وما بعدها، لورنس (ص 309)، شقير (ص 120) وآخرون يكتبون ابن جاد. من القبائل الفرعية الواردة في قائمة موزيل نذكر

هنا الفراجين لأن اسم جدهم مذكور في شجرة نسب القبيلة. صيحة الحرب: إخوة صالحة! الوسم هو وسم الجازي نفسه.

14 ـ معروف من أسلافه: سالم بن حماد 1910م، حسين بن محمد 1902م، محمد بن حسين (توفي 1900م) الذي كان يحكم منذ السبعينات، حسين وأخوه سالم في الثلاثينات، أحمد رشيد 1828م؛ موزيل شمال الحجاز، ص 65؛ البتراء العربية، الجزء الثاني، 2، ص 192؛ الجزء الثالث، ص 52؛ بورتن، مدين، الجزء الأول، ص 233؛ ريتر، الجزء الرابع عشر، ص 976 وما بعدها.

15 ـ بوركهاردت "سيايهه" (ص 313)، .

16 ـ الدبور، وكذلك البدول، هم في الأصل قبيلة مستقلة، انظر بوركهاردت، ص 313؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 47. في "شمال الحجاز"، ص 79، يعتبرهم من العمران.

17 ـ كانت القبيلة في السابق تحكم في وادي موسى. وللرحالة الأوروبيين تجربة سيئة مع عائلة شيوخها أبو زيتون. في الوقت الحاضر يعيش بدول وادي موسى منفصلين عن رفاقهم من القبيلة وهم 25 أسرة فقيرة يحتقرهم جيرانهم ويعتبرونهم من النور «الغجر». شيخهم سلامة بن جمعة.

18 ـ أو العُمران. أقدم قائمة موجودة عند روبنسون، الجزء الأول، ص 300، حيث يرد ذكر القبائل الفرعية الواردة عندنا تحت 4، و6، و7. وقائمة موزيل، ص 48، يتجاوزها الكاتب نفسه في كتابه «شمال الحجاز»، ص 79. والفضول الذين يذكرهم هناك ـ 20 خيمة قرب حقل ـ يرد ذكرهم أيضاً عند روبنسون. يشترك العمران في صيحة الحرب مع ابن نجاد، أو بالأحرى ابن الجازي، إلا أنه لهم وسم مختلف: ┬ على الجهة اليسرى من الرقبة.

19 ـ عائلة الشيوخ مذكورة عند روبنسون. بورتن، مدين، الجزء الأول، ص 87، يذكر خضر وإبراهيم بن مقبول، موزيل (1910م) عمران السالم المقبول. أما قاسم الهليّل، الذي يعتبره شقير، ص 120، شيخ مشايخ القبيلة، فهو ينتمي، ربما

إلى عائلة أخرى، انظر ياوسن، ص 109، وهنا حـ 2.

20 ـ توجد قوائم عند فالين مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1851م، ص 302؛ بورتن، مناجم الذهب في مدين، ص 152 وما بعدها. تعتمد الجداول على قوائم موزيل، الجزء الثالث، ص 48 وما بعدها، شمال الحجاز، ص 129، انظر أيضاً 101، مع تغييرات طفيفة. يُضاف إلى ذلك، حسب بورتن، القبيلتين الفرعيتين، الغناميين والسلالمة، الممثلتين أيضاً في مصر وسيناء.

21 ـ ترجع عائلة أبو طقيقة شجرة نسبها إلى سلامة الذي كان يلقب بأبي ريش. من زواجه من ابنة أحد مشايخ العقبة رزق ولداً اسمه عيد. وحصل بن عيد، عليان، على لقب "أبو طقيقة" بسبب أثر جرح بالسيف (طقيقة؟) على جبينه. ونسبة له تسمى المجموعة حويطات عليان. وهناك عليان آخر كان يحكم في ثلاثينات القرن التاسع عشر، وفي وقت لاحق ياسين بن عليان. فلشتيد (1833م)، الجزء الثاني، ص 115، 171؛ بورتن، مدين، الجزء الأول، ص 168 وما بعدها؛ ياوسن، ص 109؛ شكيب أرسلان، الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، ص 276؛ انظر الصفحة 434، الملاحظة 1، أعلاه.

22 ـ ممثلون في مصر أيضاً، موري، ص 246 (عميرات).

23 ـ فالين: عرينات.

24 ـ ممثلون أيضاً في مصر (وفي سيناء)، موري.

25 ـ موزيل، الفحامين.

26 ـ يرتبط المساعيد مع الحويطات برابطة ضعيفة، ولا توجد بينهم أي قرابة من ناحية النسب، بل يعتقد بأن لهم صلة قربى مع بني عقبة؛ انظر الصفحة 69 أعلاه. وهم يعتبرون وادي ليف موطناً لهم، الذي يرد ذكره في حكايات كثير من القبائل؛ فالين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1851م، ص 303 وما بعدها؛ موزيل، شمال الحجاز، ص 102، 117 وما بعدها.

المساعيد هم القبيلة الأم لمساعيد وأحيوات سيناء ولمساعيد الغور.



الجزء الثاني

القسم الرابع

الحجاز



مدخل

يبدو أن اسم "الحجاز" كان يطلق في الأصل على سلسلة الجبال الواقعة بين المدينة ومكة والتي تفصل بين الهضبة الداخلية نجد والسهل الساحلي تهامة، ولكنه توسع في وقت مبكر ليشمل كامل المناطق المحيطة بالمدينتين. وبما أن حدود هاتين المنطقتين تغيرت مراراً وتكراراً في الشمال والشرق، فقد كان هناك منذ القديم خلاف حول حجم منطقة الحجاز.

ونحن سنستعمل هنا التعبير بأقصى اتساع له وسنعني به المنطقة الساحلية الواقعة في غرب شبه الجزيرة العربية، من رأس خليج العقبة حتى حلي.

هذه المنطقة لها في الشمال حدود طبيعية هي جبال الشراه، أما في الجنوب فلها حدود سياسية فقط: فقد كانت حلي منذ زمن طويل النقطة الواقعة في أقصى جنوب إمارة مكة، وهي تشكل الآن في مملكة آل سعود الحدود بين الحجاز وإمارة تهامة.

الشريط الساحلي للحجاز غير مضياف، فالشعاب المرجانية والكتل الرملية القريبة من سطح البحر تعيق الرسو على الشاطىء. ولا يحتوي السهل الساحلي، الضيق في الشمال والذي يزداد عرضه كلما اتجهنا نحو الجنوب، على مناطق خصبة إلا في شمال وجنوب جدة، ميناء مدينة مكة. أما المنطقة الداخلية فهي منطقة عالية قاحلة تحتوي على عدد قليل من الواحات. وفي الشمال تنبثق من

المنطقة الساحلية جبال منفردة يصل ارتفاعها إلى ما يزيد على 2000 متر. وخلف هذه الجبال يبرز الطرف الحاد (الجلس، الشفا)، وهو سهل مرتفع ينحدر نحو الشرق ويقع في الشمال تحت مستوى الجبال الساحلية، بينما يصل بعد ذلك إلى ارتفاعات تزيد على 1500 متر. وقد تفتتتُ تربة هذا السهل المرتفع في الشمال الغربي، في منطقة حسما، وتحولت إلى رمل، بينما يغطيها في الجنوب الشرقي ركام بركاني يشكل الصحرائتين الصخريتين حرّة الرحا وحرّة العويرد. وبعيداً في الشرق تعود المنطقة إلى الصعود لتتصل بعد ذلك دون حدود طبيعية مع الهضبة الداخلية. وإلى الجنوب من حرة العويرد تفقد الأرض تضاريسها المتميزة وعند ينبع، ميناء المدينة (المنورة)، يشمخ جبل رضوى (1800 متر)، ويمتد خلفه سهل مرتفع يزيد ارتفاعه على 1000 متر، لكنه ينخفض على مقربة من المدينة إلى 500 متر.

أما المنطقة الواقعة بين المدينة ومكة، المغلقة أمام غير المسلمين، فهي بجزء كبير منها "أرض مجهولة". وإلى الجنوب الغربي من المدينة تبدأ جبال تتخللها وديان عميقة وتتحول في الشرق والجنوب، حسبما يتبين من الخرائط، إلى سهل مرتفع.

إلى الجنوب من مكة تغير الطبيعة وجهها، فتتقلص الجبال إلى شريط ضيق مرتفع (السراه، يسمى اليوم: العقبات) تتفرع عنه باتجاه البحر والصحراء سلاسل جبلية أخرى وينابيع امتداده عبر عسير إلى اليمن.

ومن الخصائص المتميزة لغربي الجزيرة العربية المناطق المغطاة بالصخور البركانية (الحرّة) والتي تشكل بعضها في العصر التاريخي. فقد حدث آخر انفجار بركاني في عام 654هـ/ 1256م قرب المدينة. ولقد سبق وذكرنا الحرّتين الشماليتين. أما أكبر الحرات فهي حرّة خيبر، شمال المدينة، التي تشكل قمتها مفرق المياه بين البحر الأحمر والخليج العربي.

يتصل سهل المدينة بعدد من المناطق البركانية الصغيرة التي تمتد نحو الجنوب

وتتصل بالسهل العالي الذي تغطيه فوق مكة حرة أخرى. وعلى مسافة أبعد في الشرق، في منطقة تابعة لنجد، تبدأ مجموعة من المناطق البركانية الأكبر التي تتوجه طبقاتها نحو الجنوب الغربي وتقترب أيضاً من مكة.

لا يوجد في الحجاز إلا واديان كبيران هما: وادي الحمض ووادي فاطمة ينبع وادي الحمض، الذي كان يسمى قديماً وادي إضم، في الجنوب من حرة خيبر وينعطف في المدينة نحو الشمال الغربي ويصل إلى البحر جنوب مرفأ الوجه. ويصب فيه في مجراه الأسفل وادي الجزل الذي ينبع بعيداً في الشمال بين حرة الرحا وحرة عويرد، ووادي عيص القصير من الجنوب. أما وادي فاطمة (اسمه الكلاسيكي بطن مرّ، مر الظهران، ويسمى في مكة منذ قديم الزمان ببساطة "الوادي") فيسير شمال مكة ويصب إلى الجنوب من جدة. وإلى الشمال الغربي من مكة تظهر فيه المياه الجوفية في ينابيع أو آبار مما يتيح المجال لزراعة البساتين وأشجار النخيل. كما أن المجرى المتوسط للوادي، والمسمى وادي ليمون، مزروع أيضاً، لا بل توجد زراعات متفرقة في بعض مواقع المجرى الأعلى، المسمى وادي الشاميَّة (التسمية الكلاسيكية: نخلة الشامية)، وفي وادي اليمانية (نخلة اليمانية) المرتبط به.

فيما عدا ذلك فإن الحجاز فقير بالمياه. فالشمال لا يحتوي سوى ثلاث واحات كبيرة هي: تبوك، حيث تتجمع في حوض كبير المياه المنحدرة من سفوح الجبال المجاورة ومن الهضاب الشرقية، والعلا عند أسفل حرة عويرد، وخيبر. ويعود الفضل في خصوبة خيبر إلى ينابيع اخترقت الطبقة البركانية وفتتت الصخور وحولتها إلى طبقة من التربة الخصبة. وفي الجنوب تتميز سهول الطائف المرتفعة بمناخها اللطيف وبغناها بالمياه ـ فهي تقع في مجال الرياح الموسمية المطرية.

جميع المراكز السكنية الكبيرة الأخرى لا يعود الفضل في وجودها إلى الشروط الطبيعية وإنما إلى العاملين اللذين يحركان تاريخ الحجاز وهما: الدين والتجارة.

هناك طريقان للتجارة والحج تخترقان البلاد من الشمال إلى الجنوب. الطريق السورية تنحدر عند بطن الغول جنوبي معان إلى السهل الذي ينبسط على امتداد الطرف الشرقي لسلسلة الجبال. وإلى الجنوب من تبوك تعبر امتداداً جبلياً لتدخل عند العلا في السهل الذي يصل إلى المدينة. والطريق المصرية التي تدخل عند العقبة (أيلة) إلى الحجاز ثم تغادر عند حقل شاطىء الخليج، لكنها تعود بعد وقت قصير إلى البحر. وإذا ما كان المرء في العصور الوسطى يريد الذهاب إلى المدينة كان ينعطف، قبل الوصول إلى البحر، نحو الداخل ويذهب عبر بلدتي شغب وبدا إلى العلا[1]، وفي وقت لاحق كان المرء يسير على الساحل حتى الوجه ويصل إلى الطريق السورية في نقطة بعيدة تحت العلا قرب شجوة ومن المدينة توجد عدة طرق إلى مكة. ثلاث منها تنحدر عبر ممرات صعبة نحو الجنوب الغربي إلى السهل الساحلي عند رابغ (180 ـ 200 كيلو متر): الطريق الرئيسية، درب السلطاني، تؤدي عبر بير عباس وممر الخيف الجديّدة إلى مستورة التي يمكن الوصول إليها أيضاً على طريق أقصر تنعطف قبل بير عباس وتمر في خلص، أو على طريق ملتفة ومسلوكة كثيراً تمر في بدر. أما الطريق الثانية، درب الفرعي (المسماة على اسم منطقة الفرع التي كانت مزروعة جيداً في الماضي)، فتمر في نقطة أبعد إلى الشرق عبر بير رضوان إلى رابغ. وأما الطريق الثالثة، الواقعة بين الطريقين السابقتين، درب الغائر، فهي أقصر طريق إلى رابغ، ولكن لا يمكن أن تمر فيها إلا الحيوانات المحملة حمولة خفيفة. أما المقطع الممتد من رابغ عبر خليص وعسفان إلى مكة (180 كم) فلا يحتوي على أي صعوبات. وهناك طريق رابعة (400 كم)، تسمى درب السلطاني أيضاً، تتفادى المرور في الجبال وتصل إلى مكة من جهة الشرق فهي تحتوي على صعوبات طبيعية أقل من الطرق الثلاث الغربية، لكنها في الصيف لا تحتوي على الماء. وهناك طريقان تؤديان من مكة إلى اليمن، الأولى على امتداد الساحل والثانية عبر وادي يمانية بمحاذاة الطائف.

---

(1) أو السقيا التي كانت تقع بعيداً إلى الأسفل في وادي الجزل.

وبينما كانت الطرق التجارية مسلوكة منذ قديم الزمان، فإن السفر عبر البحر لم يبدأ إلا بعد ظهور الإسلام. والمرافىء الحالية، باستثناء مرفأ جدة، مؤسسة جميعها في زمن حديث. فالوجه، مرفأ الشمال، هو مدينة قديمة حقاً ولكنه لم يصبح مرفأ إلا في العهد العثماني. وينبع، التي تسمى ينبع البحر لتمييزها عن واحة ينبع الواقعة في الداخل والمسماة ينبع النخل، لم تصبح مرفأ للمدينة إلا في أواخر العصور الوسطى، وهي متصلة مع المدينة بطريقين: الطريق العادية التي تلتقي عند الحمرا مع درب السلطاني، والطريق المسماة طريق طريف التي تمر في ينبع النخل. أما قنفذة، وهي مرفأ كبير نسبياً جنوبي مكة، فهي تعود إلى العصر الحديث.

لا تتوفر لدينا سوى معلومات شحيحة عن تاريخ الحجاز قبل الإسلام. وتستند هذه المعلومات إلى أسماء بعض الشعوب في الإنجيل وفي أخبار الحروب الآشورية، وإلى بعض الملاحظات القليلة لكتّاب العصور القديمة والكتابات المنقوشة على الصخور الموجودة في بعض محطات الطرق القديمة. على مدى مئات السنين كانت قوافل الشعوب العربية الجنوبية المعينيون والسبأيون، تعبر الحجاز لكي تنقل منتوجات بلاد البخور، حضرموت، والبضائع الهندية إلى موانىء البحر المتوسط. وكانت لهذه القوافل محطات تجارية كان أهمها محطة ديدن (العلا). وفي النصف الثاني من الألف الأولى قبل الميلاد بدأت تنتشر في هذه المنطقة الحضارة الآرامية المنطلقة من تيما. ويظهر تأثير هذه الحضارة، إلى جانب الحضارة العربية الجنوبية الأكثر قوة، لدى اللحيان الذين خلفوا المعينيون في ددان ـ العلا. وقبل الميلاد بفترة قصيرة استولى الأنباط (انظر مقدمة قسم شرقي الأردن) على شمال الحجاز. عندئذ أصبحت الحجر (إقرا، وفي وقت لاحق مدائن صالح)، الواقعة شمال العلا، المركز التجاري للجزء الجنوبي من المملكة النبطية، كما كانت البتراء في الشمال. وعندما استولت الأمبراطورية الرومانية على الجزء الشمالي من المملكة النبطية في عام 106 بعد الميلاد، نهض في الجزء الجنوبي شعب ثمود الذي ذكر لأول مرة في التقارير الحربية الآشورية في القرن الثامن قبل

الميلاد، ثم ورد ذكره في أسماء الفيالق العسكرية الرومانية المتأخرة، وأخيراً في القرآن الكريم كشعب قديم أباده الله. وتنسب إلى هذا الشعب كتابات منقوشة على الحجر عثر عليها بأعداد كبيرة في المنطقة الممتدة من تبوك حتى العلا ومن ساحل البحر الأحمر حتى جبل شمّر.

ليس من الممكن التعرض في إطار هذا العمل إلى التطورات التي أدت إلى انقراض الحضارات القديمة في شبه الجزيرة العربية. حدثت تلك التطورات في القرنين الرابع والخامس تقريباً وكانت نتيجتها انتشار الحياة البدوية في جميع أرجاء البلاد بما في ذلك المدن. ويلاحظ هذا الوضع بأجلى صوره في مكة: فقد كانت هذه المدينة في القرن السادس وبداية القرن السابع تعيش حياة بدوية محضة. وإذا ما اعتبرنا مكة هي نفسها ماكورابه التي يذكرها بطليموس فإنها تكون مدينة أسسها العرب الجنوبيون. والأماكن المقدسة في المدينة، الكعبة والحجر الأسود في جدارها، والأماكن المقدسة في المنطقتين المجاورتين منىٰ وعرفات، قديمة جداً ولكن قريش هي التي جعلت المدينة المركز الديني والتجاري الأول في شبه الجزيرة العربية، وذلك بإحيائها لتجارة الترانزيت عبر غربي الجزيرة وحرصها في الوقت نفسه على تلبية حاجات البدو المقيمين في المناطق المحيطة بمكة.

عند النظر إلى خريطة قبائل الحجاز في القرن السادس وبداية القرن السابع الميلادي نجد في الشمال، في مدين القديمة، القبيلتين الشقيقتين اللتين سبق وتعرفنا عليهما في فصل فلسطين وشرقي الأردن وهما لخم وجذام اللتان تعتبران من السكان الأصليين على الرغم من أنهما نسبا في وقت لاحق إلى "عرب الجنوب". وبعد ذلك جاءت ثلاث قبائل من مجموعة قضاعة وهي: بلي التي كانت تنتشر حتى وادي إضم/ الحمض، وعذرة التي كانت تسكن بين حرة عويرض وحرة خيبر، وجهينة التي كانت تنتشر من وادي إضم حتى ما بعد خط ينبع ـ المدينة. وكان يجاورهم على الجانب الآخر من طريق الحج قبائل غطفان، وهم قيسيون ينتمون إلى نزار/ معد في وسط الجزيرة العربية (انظر الجزء الأول، ص335)، وفي جنوب شرق المدينة قبائل مزينة الأقل أهمية. وكانت المدينة

نفسها، وكانت تسمى آنذاك يثرب، تسكنها قبيلتان شقيقتان متعاديتان هما الأوس والخزرج، أقرباء الغساسنة الحاكمين في سورية (انظر ص253 من هذا الجزء إلى الجنوب من جهينة كانت تبدأ خزاعة، وهي قبيلة من أصل غير أكيد، اختلطت شيئاً فشيئاً مع كنانة، القبيلة الأم لقبيلة قريش. تنتمي كنانة إلى نزار/ معد الذين تنتمي لهم أيضاً هذيل التي كانت تسكن في الجبال الواقعة شمال وشرق مكة. وفي المنطقة الواقعة تحت مكة كانت تسكن قبيلتان قيسيتان هما فهم وعدوان، الأولى جنوب السراه والأخرى شمالها. كما أن كامل الجزء الشرقي من المنطقة الواقعة بين المدينة ومكة كان في يد قبائل قيسية، في الشمال كان بنو سُليم الأقوياء يليهم نصر جشم الأقل قوة. وكان يتحالف معهم أيضاً سكان الطائف الذين ينتمون من ناحية النسب إلى قبيلة إياد التي ضاعت في بلاد الرافدين (انظر الجزء الأول، ص105).

وفي شمال الحجاز بكامله، في قرية صيادي السمك مقنا على خليج العقبة، وفي وادي القرى، الاسم الذي كان يطلق آنذاك على منطقة ددان ـ العلا، وفي خيبر والمدينة، وفي الواحتين المجاورتين لنجد تيما وفدك (اليوم: حويّط)، كان يعيش يهود كانوا قد جاؤوا إلى تلك البلاد مع الأنباط. وكانوا يعملون في الزراعة وبعضهم في الحرف اليدوية. وكانوا قد تبنوا النظام القبلي العربي وانضم إلى صفوفهم العديد من العرب، ولكنهم ظلوا رغم ذلك عنصراً غريباً.

وفي المجال السياسي أيضاً كان الحجاز مفتوحاً أمام المؤثرات الغريبة. كانت القبائل الشمالية خاضعة للامبراطورية البيزنطية التي كان أتباعها الغساسنة يسيطرون على المنطقة ويؤكدون سلطتهم بشن غزوات بين الحين والآخر تصل حتى خيبر. ولم تسفر الحملة التي شنها عام 560م نائب ملك الحبشة انطلاقاً من اليمن ووصل بها إلى مكة والمدينة عن أي نتيجة، شأنها شأن الحملة التي كان قد شنها قبله إليوس غالوس (عام 24 قبل الميلاد).

هكذا كانت الظروف عندما أعلن محمد بن عبد الله، المنحدر من عائلة قرشية فقيرة متأثرة بالديانة المسيحية ـ كانت المسيحية تتوغل في شبه الجزيرة العربية منذ

القرن الرابع ـ دعوته. وبما أنه لم يلق قبولاً واسعاً لدى بني قومه المحافظين، وأصبح الوضع شيئاً فشيئاً غيرمحمول بالنسبة لجماعته الصغيرة، فقد هاجر من مكة خفية في عام 622م. وتوجه إلى المدينة بدعوة من الأوس والخزرج الذين كانوا قد تعبوا من الصراع فيما بينهم واعتقدوا أنهم وجدوا فيه الرجل المناسب لإعادة السلام إلى مدينتهم. وبالفعل فإن محمد لم يخيب أملهم. فخلال عام واحد نظم في المدينة دولة شُكل نواتها المهاجرون المكيون ومن اعتنق الإسلام من أهالي المدينة (الانصار، وهو اسم حل بعدئذ محل اسم الأوس والخزرج). وما أن انتهى من تنظيم مجتمعه الجديد حتى بدأ نوعاً من الحرب التجارية ضد مدينة أجداده مكة. في عام 624م توجه مع بضع مئات من رجاله لمهاجمة قافلة قادمة من سورية على الطريق المؤدية من وادي القرى شرقي الرضوا «رضوى» إلى السهل الساحلي. تمكنت القافلة من الإفلات ولكن محمد شن بالعدد القليل من رجاله هجوماً على جيش قريش الذي كان عدده أكبر ثلاث مرات وكان مجهزاً بمعدات أفضل وحقق عليه نصراً باهراً في موقع بدر الشهير. اكتسب محمد بعد معركة بدر سمعة كبيرة جداً إلى درجة أنه تمكن من تجاوز الهزيمة التي ألحقتها به قريش في العام التالي عند جبل أحد، شمال المدينة، دون إلحاق ضرر بقضيته.

وعندما نجح في العام الخامس للهجرة في إسقاط تحالف بين قريش وغطفان، كان قد أدى إلى محاصرة المدينة فترة قصيرة، أصبح في مركز آمن تماماً تجاه الخارج. ولكن في المدينة نفسها كانت تشكلت في هذه الأثناء معارضة اعتمدت في المقام الأول على اليهود. كان محمد يأمل في أن يعترف به اليهود نبياً، لكنه واجه رفضاً ساخراً وساءت العلاقة بسرعة كبيرة إلى درجة أنه وجد نفسه مضطراً بعد معركة بدر إلى طرد أضعف قبيلة من القبائل اليهودية الثلاث من المدينة. وبعد معركة أحد واجهت القبيلة الثانية المصير نفسه. وبينما كانت الأولى قد توجهت إلى سورية فقد ذهبت الثانية إلى خيبر. وعندما تبين خلال حصار المدينة المذكورة قبل قليل أن القبيلة اليهودية المتبقية تميل إلى التحالف مع العدو، قام محمد بالقضاء عليها دون رحمة: ثم قتل جميع الرجال وبيع النساء والأطفال عبيداً. وبعد احتلال خيبر وفدك في السنة السابعة للهجرة، قضي نهائياً على النفوذ

اليهودي في الحجاز. وفي وقت لاحق أصدر الخليفة عمر (634م ـ 644م) مرسوماً يقضي بطرد اليهود من الحجاز كلياً. ولكن يبدو أن المرسوم لم ينفذ بشكل دقيق؛ إذ إن قرح، البلدة الرئيسية في وادي القرى في فجر الإسلام، كان معظم سكانها في بداية القرن العاشر الميلادي لا يزالون (أو إنهم أصبحوا مرة أخرى؟) من اليهود.

في هذه الأثناء اضطرت مكة، تحت ضغط جيش قوامه ألف رجل قاده محمد في عام 6هـ/ 628م متوجهاً إلى مكة لكي يؤدي فريضة الحج، التي كانت قريش منعته عن أدائها، بالقوة إذا لزم الأمر، إلى القبول بهدنة مدتها عشر سنوات لم تعترف بموجبها به كنبي ولكنها اعترفت به كرئيس دولة متكافئة مع قريش. وقد تبين أن نتائج هذا الصلح، الذي اعتبره أنصار محمد القصيرو النظر تعبيراً عن الضعف، ملائمة إلى حد بعيد. إذ إن قبائل الحجاز التي كانت حتئذ تتردد في الالتحاق بمحمد، مراعاة لسمعة مكة ومقدساتها، أخذت بعد الصلح تنضم إليه بالجملة. وعندما انفجر من جديد النزاع القديم بين خزاعة وكنانة، حيث كانت الأولى متحالفة مع المدينة والأخرى مع مكة، اعتبر النبي ذلك بمثابة انتهاك لاتفاقية السلام من جانب المكيين. وفي عام 8هـ/ 630م دخل مكة دخول الفاتح المنتصر، ولم يلق سوى مقاومات منفردة لا تستحق الذكر، إذ إن الأرستقراطية المكية كانت قد استسلمت للأمر الواقع. وفي معركة حنين (بين مكة والطائف) حالفه الحظ في الدفاع عن انتصاره ضد قبائل البادية المتحالفة ضده. وفي العام التالي شن حملة على تبوك وأكمل بذلك إخضاع المناطق الحدودية الشمالية. وعندما رضخت الطائف طوعاً (العام التاسع للهجرة) أصبح الحجاز بكامله موحداً تحت راية الإسلام.

في عهد الخلفاء الثلاثة الأوائل ظل الحجاز نواة الدولة العربية وظلت المدينة عاصمتها. ولكن في عهد الخليفة الرابع علي، ابن عم النبي وزوج ابنته، فقد الحجاز هذا المركز لأن علي انتقل عام 656م إلى الكوفة في العراق. ومنذ ذلك الحين تراجع دور الحجاز إلى الظل. في عام 61هـ/ 680م ـ 681م حاول عبد الله ابن الزبير، ابن أحد الصحابيين الأوائل، انتزاع الخلافة من الأمويين في دمشق

(661م ـ 750م) وحكم العالم العربي من مكة، لكن محاولته باءت بالفشل. وقد حوصر في عام 692م في مكة وسقط في القتال. أما المدينة التي كانت قد تمردت أيضاً على الأمويين فقد أدبتها قوات سورية بطريقة مؤلمة في عام 63هـ/ 682م ـ 683م (معركة الحرة).

على الرغم من ذلك شهد الحجاز في هذه المرحلة ازدهاراً ثقافياً لا مثيل له من قبل ولا من بعد. فقد قام كثير من أصحاب النبي باستثمار الأموال التي حصلوا عليها نتيجة الفتوحات الإسلامية في شراء الأراضي التي أصبحت صالحة للزراعة بعد حفر القنوات المائية وإقامة السدود لاحتجاز مياه الوديان. وانتشرت هذه الثروات بشكل خاص في المناطق القريبة والبعيدة المحيطة بالمدينة: في وادي القرى، وينبع، وفي ناحية الفرع؛ وحتى في السهل الصخري المرتفع على درب السلطاني الشرقية كان يوجد آنذاك 8 قرى، لم يبق منها اليوم إلا اثنتان هما: السوارقية والصفينة. وحول مكة أيضاً ازدهرت الزراعة. فقد قام القريشيون بتأسيس مستوطنات جديدة في منطقة الطائف وعلى الشاطىء وفي منطقة عسير. وانتقل بعض الملاكين إلى هذه المستوطنات للعيش في مزارعهم. أما العمل الزراعي فكان يقوم به غالباً عبيد زنوج. وكان هذا بداية أولئك السكان الزنوج الذين لم نزل نجدهم اليوم في واحات الحجاز الجنوبي وفي المناطق المجاورة لنجد (خيبر، حناكيّة، خرمة، تربة).

في بادىء الأمر فقدت مكة في ظل الإسلام كثيراً من أهميتها، لأن العناصر الفعالة انتقلت إلى المدينة وفي وقت لاحق إلى الأقطار العربية. وفي العهد الأموي أصبحت مدينة للهو والمتعة، وفي وقت لاحق أصبح معظم سكانها من الغرباء الذين كانوا يبقون هناك بعد أداء فريضة الحج. وفي المدينة حدث تطور مشابه. فقد قضت معركة الحرة على ازدهار الطبقة النبيلة من الأنصار والمهاجرين. وحل محلها شيئاً فشيئاً العدد الكبير جداً من أحفاد علي من بنت النبي فاطمة ومن أحفاد أخيه جعفر. وازدهر في المدينة أيضاً فن الشعر والغناء، وفي الوقت نفسه الاهتمام الكبير بالعلوم الدينية: ففي المدينة وضعت أسس الفقه الإسلامي وعلم الشريعة.

ويجب ألا ننسى أن أحد العوامل التي ساهمت في هذا الإزدهار الثقافي الفريد في الحجاز هو الضعف الذي أصاب البدو بسبب حروب الفتح.

فقد لبى جميع شباب القبائل الدعوة إلى الجهاد. وقامت القبائل الشمالية لخم وجذام، التي كانت أجزاء منها قد انتقلت سابقاً إلى شرقي الأردن وفلسطين بالرحيل في هذا الإتجاه وباتجاه مصر. وتبعتهم أجزاء من بلي وجهينة، بعضهم بناء على طلب الحكومة وبعضهم الآخر بمحض إرادتهم. وبهذه الطريقة اختفت شيئاً فشيئاً لخم وعذرة بصورة كاملة من الحجاز. وبين مكة والمدينة أيضاً تقلص عدد السكان الأصليين: فقد استقر جزء من خزاعة وكنانة في المستوطنات الجديدة وتفرق الجزء الآخر في جميع أرجاء العالم الإسلامي؛ ولم تبق سوى مجموعة صغيرة من كنانة لم تزل تعيش حتى اليوم على ساحل عسير. وبصورة بطيئة وغير ملحوظة حدث التطور بين القبائل المقيمة على الطرف الشرقي للحجاز على الطريق العسكرية الكبيرة المؤدية إلى سورية: فقد قدمت غطفان قوات للجيش السوري استوطن جزء كبير منها فيما بعد في حوران. ثم تبعت القبيلة شيئاً فشيئاً هذه المجموعة الطليعية وانتقلت عبر تيماء نحو الشمال. أما فصائل الجيش السوري من قبيلة سُلَيْم فقد عثرنا عليها في منطقة ما بين النهرين العليا (الجزء الأول ص335). وبسبب البعد الكبير لم يتشجع الجزء الباقي من القبيلة على الالتحاق بتلك المجموعة التي استوطنت في العراق. إلا أن جزءاً من سُليم ومن جيرانهم الجنوبيين لبى في النصف الأول من القرن الثامن دعوة الحكومة للاستيطان في مصر. وقد لعب هؤلاء المهاجرون، الذين كان بينهم أيضاً بنو هلال الذين ينتمون إلى قبيلة كانت في الأصل تعيش في المناطق الواقعة خلف الطائف، دوراً بالغ الأهمية في التاريخ. ففي منتصف القرن الحادي عشر الميلادي توجهوا متوحدين في تجمع بني هلال وسُليم، إلى غرب الشمال الإفريقي وسيطروا على برقة وطرابلس وتونس، ثم تقدموا في القرن الثاني عشر الميلادي إلى الجزائر ومراكش. أدى هذا الغزو إلى جعل شمال إفريقيا بلداً بدوياً وبلداً عربياً أيضاً؛ إذ إن العنصر البربري تراجع منذ ذلك الحين إلى المرتبة الثانية.

خلّد بنو هلال ذكرى هذه الحملة في كثير من الأناشيد والحكايات. وفي أواخر العصور الوسطى قام رجل مدني بتأليف ملحمة عن بني هلال لا علاقة لها إطلاقاً بالواقع تتألف من ثلاث مراحل تدور أحداث المرحلة الأخيرة منها في شمال إفريقيا. وبهذه الصيغة عادت القصيدة البطولية مرة أخرى إلى البدو. ففي كل مكان في الصحراء، من جبال كردستان حتى حضرموت، يتحدث الناس عن بني هلال وعن بطولاتهم وعدد لا حصر له من الأماكن والمواقع سمي باسم أبطال تلك الحكاية[1]

في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي جاءت إلى المنطقة الواقعة بين المدينة ومكة، والتي أصبحت خالية بعد هجرة سُليم وبني هلال، قبيلة حرب قادمة من الجنوب وقد قامت حرب خلال القرون التالية بامتصاص القبائل القديمة الموجودة في هذه المنطقة (ميزينة/ مزينة وسُليم)، وهي تشكل وحدها اليوم جميع السكان حتى مسافة قريبة من مكة.

لقد استبقنا في السطور السابقة الأحداث، ولذلك سنعود الآن إلى نقطة انطلاقنا، القرن الثامن الميلادي. كان انتقال السلطة إلى العباسيين ونقل العاصمة من دمشق إلى العراق مضراً بمصالح الحجاز. ذلك أن علماء الدين الذين كانوا يتخذون موقفاً رافضاً من الأمويين ذوي الميول الدنيوية، انتقلوا الآن إلى البلاط العباسي، وأما الشعر فكان قبل ذلك قد وجد موطناً له في العراق. وبذلك انتهت الحياة الثقافية الناشطة في الحجاز. أما الحياة المادية فقد عانت من الطموحات السياسية للعلويين: فقد طالب أحفاد الحسن والحسين، ابني علي، بالخلافة في وقت مبكر تحت إلحاح حزب سياسي ديني قوي. وأدى استيلاء أبناء عمهم العباسيين، الأدهى سياسياً، على الحكم إلى استيائهم الشديد وإلى لجوئهم في النهاية إلى الفعل. ففي عام 145هـ/ 762م ـ 763م فشلت ثورة علوية كبيرة في

(1) هناك حكاية عن بني هلال قمت بتسجيلها في قلعة جعبر سأعرضها في الجزء الرابع(*) من هذا المؤلف.

(*) لم تذكر هذه الحكاية في الكتاب وأعتقد من ضمن الأشياء التي احترقت في الحرب (ماجد شبّر).

الحجاز، ولكن الاضطرابات لم تنته. وإذا ما كانت الثورات اللاحقة (169هـ/ 786م، و815م و865م) لم تعد ترمي إلى تحقيق الهدف السياسي الكبير، الاستيلاء على الخلافة، فإنها ألحقت مع الحملات التأديبية التي تبعتها ضرراً بالغاً بالزراعة في الحجاز. وضمن هذه الظروف ليس مستغرباً أن يبدأ البدو أيضاً بإثارة الاضطربات. ففي أربعينات القرن التاسع (الميلادي) ثارت جميع القبائل الموجودة على حدود نجد: غطفان، وسُليم، وبنو هلال، وبدأت بتهديد المدينة. لكن جيشاً قوياً أخضع فيما بعد المتمردين في سلسلة من الحملات التي وصلت إلى عمق وسط الجزيرة العربية. إلا أن هذه الحملات لم تحقق للبلاد الأمان الدائم: بعد 20 عاماً أخذ البدو يشنون غارات السلب والنهب على طريق مكة ـ جدة، وفي عام 269هـ/ 882م هوجم الحجاج في وسط الجزيرة العربية، وفي نهاية القرن هوجمت هنا أيضاً القافلة الرسمية.

لن نكون مخطئين إذا ما رأينا أن هذه الأحداث الأخيرة تأثرت بالاضطرابات التي كان القرامطة قد قاموا بها في البادية السورية. في الحجاز نفسه لم ترسخ الحركة القرمطية أقدامها، ولكن الدولة القرمطية التي تأسست في عام 898م في شرقي الجزيرة العربية أثرت تأثيراً مشؤوماً على التطور في غربي الجزيرة أيضاً. فمنذ عام 302هـ/ 915م، الذي هاجم فيه القرامطة لأول مرة قافلة الحج البغدادية، توقفت حركة النقل والمواصلات بين الحجاز والعاصمة بغداد. ولم يسمح لقوافل الحج بالمرور ثانية دون معارضة إلا اعتباراً من عام 327هـ/ 939م وذلك مقابل دفع مبالغ كبيرة. ولكن القرامطة كانوا في هذه الأثناء قد هاجموا مكة نفسها ونهبوها في يوم عيد الأضحى (317هـ/ 930م) وخطفوا الحجر الأسود وأخذوه إلى لحسا (أعادوه عام 950م). خلال هذه العقود المضطربة قضي على الزراعة في الجزيرة العربية قضاء تاماً تقريباً وأصبح الحجاز مرة أخرى بلد البدو. فجاءت قبائل بني لام، والعنزة، والضفير، من الشرق إلى الحجاز واستوطنت شمال المدينة. وفي مكان أبعد إلى الجنوب تبنى الأشراف: الحسنيون والحسينيون والجعفريون، أسلوب الحياة البدوية. وبعد ذلك بوقت قصير سقطت أيضاً المستوطنات القليلة

الموجودة في محيط المدينة ووادي القرى والتي كانت قد اجتازت عهد القرامطة بسلام.

ورافق هذا التردي إهمال الحكومة للحجاز إهمالاً كاملاً. فالخليفة والحكام الآخرون في بغداد والقاهرة لم يكن لديهم اهتمام ببلد لا يجلب لهم أي واردات ضريبية. كان همهم ينصب فقط على رحلة الحج والاعتراف بسيادتهم على الأماكن المقدسة، الكعبة في مكة ومسجد النبي وضريحه في المدينة. من أجل ذلك كانوا مستعدين لتقديم التضحيات. وهكذا أصبح الحجاز بلداً متسولاً.

تحت هذه الظروف ليس مستغرباً أن يستولي على الحكم في المدينتين في بداية النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي أسرتان محليتان هما: الحسنيون في مكة والحسينيون في المدينة. أما الشيء المستغرب فهو المدة الطويلة لحكم هاتين الأسرتين: فقد حكم الحسنيون حتى عام 1925م، والحسينيون حتى بداية العهد العثماني (1517م). ويعود الفضل في بقائهم هذه المدة الطويلة إلى المكانة الموروثة لأسرتهم العلوية التي لم تكن تضاهيها أي أسرة أخرى في الحجاز، وإلى الهالة التي كانت تحيط بهم بصفتهم أحفاد النبي والتي ظلوا محتفظين بها على الرغم من إساءة استعمالهم للسلطة في عدد لا حصر له من الحالات، وإلى تضامن عائلاتهم معهم. كانت كلا الأسرتين قد خرجتا من وسط نصف بدوي وقد أضفى هذا الأصل على حكمهما ملامح لم تمح أبداً. فقد كانت بالنسبة لهم مكة والمدينة، وفي المقام الأول الحجاج، موضوعاً للاستغلال وجمع المال. وكان هناك نظام دقيق، تشكل عبر مئات السنين، ينظم توزيع هذه الثروة، وإذا ما كانت قد حدثت مراراً وتكراراً نزاعات دامية حول حصة الأسد، أي حول امتلاك الإمارة، فإن هذه الصراعات لم تصل أبداً إلى حرب إبادة بين الشرفاء. ولم يكن الشرفاء يهتمون كثيراً بالتعلم والثقافة، على الرغم من أن بعضهم كانوا ينظمون الشعر وكان كثير منهم يتمتعون بموهبة الخطابة. ولكنهم لم يتراخوا أبداً ولم يضعفوا أمام المدنية التي جلبها حماتهم معهم ـ كانت التقاليد والظروف وحدها هي التي تنظم علاقتهم بهؤلاء السادة ولم يكن في وسعهم الاستغناء عن هذه العلاقة؛ إذ إن الحج

وتوزيع المبالغ الهائلة الناجمة عن زيارة الأماكن المقدسة كانا مرتبطين بأمراء الإسلام فطالما كانوا يستطيعون استغلال التنافس بين الخلافتين الإسلاميتين في بغداد والقاهرة، كان أمراء مكة[1] يعترفون بحق السيادة للخليفة الذي يدفع أكثر. ولكن منذ سقوط الخلافة الفاطمية انتهت هذه اللعبة. ففي العهد الأيوبي (1171م ـ 1250م) أصبحت مصر السلطة الحامية لإمارتي مكة والمدينة. وظلت كذلك أيضاً في العهد المملوكي (1250م ـ 1517م) وإلى حد معين تحت الحكم العثماني. وقد تضافرت الظروف السياسية والإقتصادية بجعل هذه الرابطة وثيقة: فالحجاز يمكن الوصول إليه من مصر في البر والبحر أسرع من أي مكان آخر، وظل أيضاً زمناً طويلاً يزود بالحبوب من مصر[2]. وبعد سقوط الخلافة العباسية (1258م) لم تكن للحجاز علاقات سياسية تستحق الذكر مع الشرق ولا مع سورية لأن هذه البلاد كانت، شأنها شأن اليمن أيضاً لفترة مؤقتة، تحكمها نفس الأسرة التي تحكم مصر.

لم يؤد أمراء مكة والمدينة مهمتهم المتمثلة في الحفاظ على الأمن في المدينتين المقدستين وعلى طرق الحج إلا بصورة ناقصة: فقد كانوا يسكتون عن الإغارات على قوافل الحج، لأن البدو كانوا بالنسبة لهم أحد الأسلحة التي يستعملونها ضد حماتهم ولأنهم كانوا يعتبرون ابتزاز الحجاج حقاً طبيعياً لهم. وفي ضوء ذلك لا يجد المرء مفراً من التساؤل: لماذا سكت الحكام المسلمون عن هذا النهب والاستغلال لرعاياهم، ولماذا لم يقضوا على فساد وتعسف حكم الشرفاء؟ والجواب هو: لأسباب مالية. إذ إن احتلال البلاد بكاملها عسكرياً ـ احتلال المدينتين المقدستين وحدهما ما كان سيفيد أي شيء ـ كان سيكلف مبالغ طائلة بسبب الحاجة إلى الإمداد والتموين والتزود بالماء والخ. . . وهكذا بقي هذا النظام

---

(1) هذه هي التسمية الرسمية التي تطلق على أولئك الحكام الذين يطلق عليهم في أوروبا لقب «الشريف الأكبر».

(2) كانت مكة تموّن أيضاً من اليمن مما جعل اليمن يتمتع أحياناً بنفوذ سياسي في المدينة المقدسة.

قائماً إلى أن قضى عليه آل سعود عام 1925م.

لا يحتوي تاريخ الأسرتين الحاكمتين في مكة والمدينة في أوائل العصور الوسطى على أية أحداث هامة. ولقد ذكرنا في الجزء الأول، ص501 وما بعدها، المحاولة المتأخرة ـ أو المبكرة ـ التي قام بها أحد أمراء مكة الأوائل لانتزاع الخلافة. والجدير بالملاحظة أن جميع محاولات أشراف مكة طرد زملائهم في المدينة، والعكس بالعكس، باءت بالفشل دوماً حتى نهاية العصور الوسطى، وحتى لو كانت مدعومة من السلطة المركزية الحامية. وكان قتادة (توفي 1221م)، جد الفرع الحسني الذي حكم مكة حتى عام 1924م، قد وسع نطاق إمارة مكة في الشمال حتى ينبع وفي الجنوب حتى حلي. صحيح أن هذه الملكية تفرقت فيما بعد مرة أخرى بين فروع العائلة المختلفة، ولكن في القرن الخامس عشر (الميلادي) كان أمير مكة قد أصبح ثانية الحاكم الوحيد في هذه المنطقة. كانت الحدود الجنوبية موضوع صراع دائم، وكانت الحدود في الشرق غير محددة بشكل كامل؛ في بعض الأحيان كان نفوذ الشريف يصل إلى عمق الجزيرة العربية. كان البدو، جهينة وحرب وهذيل والقبائل الصغيرة قرب مكة والطائف، يساعدون، منذ قتادة، الأمراء طوعاً، فكانوا يشتركون في حروب الأخوة وفي الحروب ضد المصريين والأتراك.

حاول سلاطين المماليك، حماة المدينتين المقدستين من عام 1250م حتى عام 1517م، إبراز سيادتهم عليها بشكل واضح. فأرسلوا في القرن الخامس عشر مفتشاً جمركياً إلى جدة. وحرصوا على تمكين الناس من أداء فريضة الحج دون عوائق أو مضايقات. كانت قافلة الحجاج المصرية أهم قافلة آنذاك. إذ إن القافلة العراقية توقفت بعد احتلال المغول ببغداد، وعندما عادت بعد ذلك لم تستطع استعادة أهميتها السياسية. أما القافلتان السورية واليمينية فكانتا قافلتين ثانويتين. وكان الحجاج المصريون يدخلون أراضي الحجاز منذ عام 1268م (انظر الصفحة 203 أعلاه) في العقبة ثم يتابعون سفرهم على الطريق الساحلية عبر ينبع النخل وصفرا، أي بدر. وفي بعض محطات هذه الطريق كان يوجد خانات، تم تحصين بعضها

فيما بعد[1]، حيث كان الحجاج يخزنون المؤن والأعلاف لرحلة العودة. وكان يسبق القافلة الرئيسية فصيلة استطلاع، وعلى طريق العودة كانت تستقبلها حتى العقبة قافلة تبديل. وعلى الرغم من كل هذه الإجراءات كانت قوافل الحج تتعرض لهجمات البدو في المقطع الشمالي وفي المقطع الذي يسيطر عليه أشراف مكة. وكان المعتدون في أغلب الأحيان من بني عقبة.

كانت هذه القبيلة المنحدرة من جذام تملك في العهد المملوكي مدين القديمة. وكان يسكن خلفهم، كما في السابق، بلي وجهينة، لكن المقطع الشمالي من طريق الحج السورية كان يسيطر عليه بنو لام. وإلى الشرق من خط مكة ـ المدينة، ومن هنا حتى نجد، كان يوجد في العهد المملوكي قبيلتان جديدتان هما: مطير وعتيبة.

يعود الفضل في انتقال السيادة على الحجاز إلى العثمانيين دون مشاكل إلى ذكاء أمير مكة بركات الثاني. فقد حافظ السادة الجدد على ما فعله المماليك في خدمة قوافل الحج وأضافوا عليها بعض التحسينات في بعض الجوانب. إذ أصبحت جدة مقراً لسنجق باي (والي)، واعتباراً من عام 1646م تولى حامل هذا اللقب أيضاً منصب "شيخ الحرم" في مكة. وهكذا أصبح يوجد في المدينة المقدسة سيدان، وإذا ما كان الشريف بقي دوماً الأقوى، فإن الأتراك أعلنوا بهذه الطريقة حقهم في حكم مكة حكماً مباشراً. أما المدينة المنورة، التي كانت قد وضعت عام 1482م تحت سلطة أمير مكة ـ الأسرة الحاكمة المحلية لم تسقط إلا بعد أن جاء العثمانيون ـ فقد انتزعت من سلطة أشراف مكة كلياً، وحصلت على حامية تركية دائمة، وفي وقت لاحق كان يرسل لها من القسطنطينية إنوخي[*] يتولى منصبي الحاكم المدني وشيخ الحرم. وجلب الخيالة والإنكشاريون الأتراك بعضاً من مظاهر الحياة التركية إلى المدينة التي ظلت موجودة فيها زمناً طويلاً حتى بعد أن استعرب أحفاد هؤلاء القادمين الأتراك. وفي الحاميات العسكرية الأجنبية الموجودة

(1) من هذه الحصون قلعة الأزلم. أما قلعتا مويلح والوجه فيعود تاريخهما إلى العهد العثماني.

(*) إنوخي يقصد بها خصي «طوشي». (ماجد شبّر).

هناك كانت الغلبة أيضاً للعناصر الشمالية، من السوريين والأتراك والقوقازيين. أما في مكة وجدة فكانت غالبية المهاجرين من الهنود والزنوج، وفي وقت لاحق الملاويين.

من أجل حماية قافلة الحج السورية، التي احتلت في العهد العثماني المرتبة الأولى، بنيت على المقطع الواقع بين معان والمدينة قلاع كان أولها قلعة الأخضر (أخيضر، حيدر) في عام 938هـ/ 1531م كحصن ضد بني لام.

ليس فقط في مجال العناية بالحجاج وإنما أيضاً فيما يتعلق بالخدمات المقدمة للمدينة المقدسة تفوق العثمانيون على أسلافهم. ولم يكن هذا التفوق كبيراً في حجم الخدمات وإنما في استمرارها وزيادتها المتواصلة. وقد يكون من المفيد هنا أن نذكر بعض الأرقام عن فترة ما قبل الحرب: كانت الحكومة المصرية تنفق على الحج قبل عام 1914م نحو مليون مارك ذهبي، كان يذهب ثلثها تقريباً إلى الجزيرة العربية. وكانت المبالغ النقدية من القسطنطينية تصل إلى 660,000 مارك ذهبي، يضاف إليها كميات كبيرة من الهبات العينية المختلفة، وخاصة من القمح بمقدار 12025 أردب (كل أردب يساوي 198 لتراً) بالإضافة إلى كميات ممتازة من زيت الزيتون. إلا أن الكمية الأكبر من المال كان يجلبها إلى البلد الحجاج أنفسهم: نحو 32 مليون مارك ذهبي (ب. مويتس استناداً إلى حساب موظف مالي تركي في جدة).

في القرن السابع عشر الميلادي تراجعت شيئاً فشيئاً مكانة العثمانيين في الحجاز، وفي القرن الثامن عشر انهارت تماماً صحيح أن المبعوث العثماني حصل، إضافة إلى لقب والي جدة وشيخ الحرم المكي، على لقب باشا الحبشة (أبيسّينا)[*] لكن سلطته في مكة كانت معدومة كما كانت معدومة في المدينة سلطة شيخ حرم المدينة حيث كان أحفاد الإنكشاريين قد انتزعوا السلطة لأنفسهم.

(*) تسمى الحبشة باللغة الاتنيه أبيسّينا (Abessinien) وكذلك باللغات الإنكليزية والالمانية. كحال مصر تسمى بالانكليزي EGYPT المشتق من قبط. (ماجد شبر)

في هذا القرن تحرك البدو أكثر من أي وقت مضى: في عام 1757م هاجم بني صخر قافلة الحج على طريق العودة عند ذات الحاج ونهبوها تماماً، وفي العام التالي قطع بنو حرب طريق القافلة ـ أما فيما يتعلق بالتغيرات التي حدثت في مجال البدو فتجدر الإشارة في بادىء الأمر إلى اختفاء بني لام الذين هاجروا في منتصف القرن السادس عشر من شمال الحجاز إلى العراق. وحل محلهم بنو عطية. وعن بني عطية تفرع الحويطات الذين احتلوا في القرن الثامن عشر الشريط الساحلي الذي كان أصحابه السابقون، بنو عقبة، قد ضعفوا كثيراً نتيجة الهجرة.

لم تدرك مكة في الوقت المناسب خطر الحركة الوهابية، التي بدأ صعودها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ولا خطر دولة آل سعود التي كانت هذه الحركة تدعو لها. ولقد تصدى غالب ابن مساعد، من فرع ذوي[1] زيد، أمير مكة من 1788م حتى 1813م، للوهابيين بشجاعة ولكنه لم يستطع إيقاف الحركة، لاسيما أن الباب العالي لم يقدم له أي دعم. وفي عام 1806م اضطر إلى الاستسلام. وتجدر الإشارة إلى أنه بقي في منصبه ولكن كتابع لآل سعود.

حسب الظروف في ذلك الوقت لم يكن من الممكن إعادة احتلال الديار المقدسة إلا انطلاقاً من مصر. إذ كان هناك، في خضم الفوضى التي تلت انسحاب الفرنسيين، الألباني محمد علي قد منح نفسه في عام 1805م، معتمداً على القوات الألبانية، لقب باشا وقام الباب العالي بتثبيته في هذا المنصب ونص كتاب التثبيت (نهاية 1807م) على تكليفه بالمشاركة في إعادة احتلال الحجاز، وكان هذا الطلب يتكرر كل عام. لكن الخطة التي أرادها الباب العالي والتي تقوم على اشتراك القاهرة مع سورية والعراق في الهجوم على الوهابيين تبين أنها غير قابلة للتنفيذ لأن حاكمي دمشق وبغداد كانا مشغولين بما فيه الكفاية في صد هجمات الوهابيين على مناطقهم. عندئذ، واعتباراً من هذه اللحظة أصبح محمد علي مهتماً فعلاً بتنفيذ هذه

---

(1) "ذوي" (أبناء أو أحفاد...) تطلق على مختلف خطوط الأسرة الحاكمة المكية.

المهمة. وبدأ بإعداد تحضيرات كبيرة فور سيطرته إلى حد ما على المماليك[1]، الطبقة التي كانت تحكم مصر قبله. أما الوسائل اللازمة لذلك فقد حصل عليها بالقوة، وخاصة عن طريق مصادرة الحبوب وبيعها للانجليز. بسبب الغلاء الذي تبع ذلك صار البدو مستعدين للالتحاق بقواته العسكرية. وفي السويس تم صنع أسطول النقل اللازم. وفي السويس والقصير (على البحر الأحمر مقابل مكة) والقلاع التي بنيت خصيصاً لهذا الغرض في المقطع الشمالي من طريق الحج المصرية أعدت مستودعات لتخزين المؤن. بعد هذه التحضيرات أرسل محمد علي في نهاية أغسطس/ آب 1811م ابنه طوسون على طريق البر إلى الحجاز وأرسل معه تاجر القاهرة الأول محمد المحروقي، بصفة مستشار ومدير التموين والإدارة، وشيخ حويطات مصر ابن شديد، بصفة خبير في شؤون البدو. وكان المشاة قد نقلوا بحراً قبل ذلك واستولوا على ينبع دون معارك كبيرة. ولم يواجه طوسون صعوبات على طريق تقدمه. وبعد الاستيلاء على ينبع النخل تقدم نحو المدينة، لكنه هزم في مضيق جديدة هزيمة نكراء على يد الوهابيين المتحالفين مع حرب (ديسمبر/ كانون أول 1811م) واضطر إلى التراجع إلى ميناء ينبع. ولم يصل إلى المدينة إلا في أكتوبر/ تشرين أول من العام التالي، وهذه المرة دون قتال، إذ إنه كان في هذه الأثناء قد كسب البدو إلى جانبه بعد التبرع لهم بالأموال والحبوب، أما الوهابيون فلم يحركوا ساكناً لأنهم كانوا أسرى الاعتقاد بأن المدينة لا يمكن الاستيلاء عليها. سقطت المدينة عن طريق اقتحامها بعد حصار دام 14 يوماً، واستسلمت قلعتها بعد ذلك بعدة أسابيع. وبذلك كانت قد أنجزت المرحلة الأولى من الحملة العسكرية؛ إذ إن الشريف غالب، الذي كان يتفاوض مع محمد علي منذ فترة طويلة، أعلن صراحة ولاءه للأتراك وسلمهم جدة ومكة. واضطرت القوات الوهابية الضعيفة، التي كانت قد انسحبت إلى الطائف، إلى إخلاء هذه المدينة والإنسحاب إلى تربة. وفي خريف 1813م وصل محمد علي نفسه إلى الحجاز.

---

(1) الطبقة الحاكمة التي تشكلت مجدداً في مصر في ظل الحكم العثماني. لا علاقة لها بمماليك العصور الوسطى.

وهنا تركز اهتمامه في بادىء الأمر على قضية النقل. فمن أصل 8000 جمل، كانت قد أرسلت من مصر إلى الحجاز، لم يكن قد بقي سوى 500 جمل بسبب سوء العناية. ولم يكن بدو الحجاز يريدون أو يستطيعون تزويده بالجمال لأنهم لم يكونوا يربون الإبل، أما نجد فكانت مغلقة في وجه الأتراك. ولهذا السبب فشلت حملة على تربة (نوفمبر/ تشرين ثاني 1813م). كما أن مرفأ قنفذة، الذي تم الاستيلاء عليه في مارس/ آذار 1814م، لم يكن الاحتفاظ به ممكناً. أدى هذا الفشل إلى إضعاف معنويات الجنود (حوالي 5000 رجل) الذين كانت أجورهم منخفضة جداً ولم يكونوا معتادين على مناخ الجزيرة. وهكذا اقتصر الأمر في صيف وخريف 1814م على بعض المناوشات التي حدثت حول المخافر المتقدمة في كلاخ، وزهران (شرق وجنوب الطائف)، وحناكية (قرب المدينة). ولم يتمكن محمد علي من شن هجوم حاسم على الوهابيين إلا بعد دعم الجيش بجنود نظاميين وبفرقة من الخيالة غير النظاميين الذين تم تجنيدهم من قبائل الصحراء الليبية، وبعد حل مشكلة النقل عن طريق شراء الجمال من سورية ومصر والسودان، وبعد كسب تأييد البدو في منطقة مكة والطائف. وبالفعل فقد انتصر في يناير/ كانون الثاني 1815م قرب بسل إلى الشرق من الطائف على الرغم مما أبداه الوهابيون من مقاومة باسلة. وبذلك انتهت الحملة العسكرية في الحجاز.

بقي الحجاز 25 سنة تحت الحكم المصري. وكان محمد علي بعد وصوله مباشرة قد اعتقل الشريف غالب وأرسله إلى القسطنطينية، وعيّن مكانه رجلاً كان لعبة في يده، ثم خلفه رجل كان من أتباع الباشا الأوفياء. أما الحملات العسكرية على نجد وعسير فلم تمس الحجاز. وبفضل تبرعات محمد علي وأفعاله الخيرية ترك حكمه سمعة طيبة في الحجاز. وظل النفوذ المصري موجوداً أيضاً بعد انسحاب قوات محمد علي (1840م) لأن الحصون الواقعة على طريق الحج ظلت بعد ذلك زمناً طويلاً تحت الإدارة المصرية. فقد استولى الأتراك على الوجه عام 1887م، وعلى ضبا والمويلح عام 1891م، وعلى العقبة عام 1892م، وذلك بعد أن أصبحت هذه المواقع أقل أهمية بالنسبة لمصر بسبب تغيير طريق الحج (منذ عام

1885م عن طريق البحر).

بعد عودة الحجاز مرة أخرى إلى السلطة العثمانية استعاد أشراف مكة حداً معيناً من الاستقلال. ولم تكن هناك صعوبات كبيرة مع الموظفين الأتراك، إذا ما استثنينا المشاحنات التي كانت تنجم بالضرورة عن إزدواجية السلطة، سلطة الوالي وسلطة الشريف، والخصومة التي كانت قائمة بين العائلتين الشريفتين التي كانت كل منهما تدعي بحقها في إمارة مكة وهما: ذوي عون وذوي زيد. وكان أمراء مكة ناجحين في سياستهم العربية. فقد استغل محمد بن عون (1827م ـ 1851م؛ 1856م ـ 1858م) الخلاف بين الحاكم الوهابي فيصل آل سعود ومدن القصيم، لينقل نفوذه إلى هذه المنطقة. وقام ابنه عبد الله (1858م ـ 1877م) في آخر الستينات بعدة حملات ضد عسير وتهامة[1] ومهد بذلك لاحتلال هذه المناطق واليمن من قبل الأتراك (1870م و1872م). وفي الثلث الأخير من القرن التاسع عشر بدأت إصلاحات الأمبراطورية العثمانية تؤثر على الحجاز أيضاً. ذلك أن فتح قناة السويس (1869م) ومد خط للاتصال البرقي في الثمانينات ربطا الحجاز بالدولة العثمانية بصورة أوثق من السابق. وبلغ هذا التطور ذروته ببناء الخط الحديدي الحجازي الذي وصل عام 1908م إلى المدينة (المنورة). كان أمراء مكة والبدو ينظرون إلى هذه الأحداث بعين الريبة المتزايدة. فقد شعرا كلاهما بأن استقلالهما مهدد، لا بل إن البدو شعروا بخطر على وجودهم الاقتصادي الذي يقوم جزء كبير منه على النقل وحماية الحجاج. وطالما كان السلطان عبد الحميد في الحكم وكانت هذه التطورات تحدث في إطار الدولة التيوقراطية (الحكم على أساس ديني)، بقيت مظاهر عدم الرضى مقتصرة على الخلافات بين الوالي والشريف وعلى غارات البدو على الحجاج. ولكن منذ اللحظة التي بدأ فيها الحكم التركي الجديد (تركيا الفتاة)

---

(1) عندما انسحب المصريون الأتراك من هذه المناطق عام 1840م، نصّبوا في تهامة شريفاً من أبو عريش حاكماً عليها. ولكن هذا الحاكم طرده في وقت لاحق الأدارسة، عائلة أشراف مراكشية. وفي عسير نفسها تولى الحكم رجل اعترف به الوهابيون اسمه عايض بن مرعي وظل خلفه يحكمون هناك، بصورة مستقلة كلياً أو جزئياً، حتى عام 1922م.

التخلي عن نظام الحكم القائم على السلطة الدينية، والاستعاضة عنه بحكم يقوم على سلطة الدولة وحدها، وتخفيض مرتبة الحجاز. إلى إقليم عادي لا ميزة له انقطعت جميع الروابط بين القسطنطينية والحجاز ومنذئذ كان الشريف حسين ابن علي (1908م ـ 1924م) ينتظر الفرصة المناسبة لإعلان الثورة. وقد توفرت هذه الفرصة فعلاً بنشوب الحرب العالمية.

في العاشر من يونيو/ حزيران 1916م أعلن الشريف حسين الاستقلال متأثراً بقيام جمال باشا بإعدام العديد من الشخصيات السورية. وكان الشريف الذي بدأ اتصالاته مع الإنجليز منذ بداية الحرب وكان واثقاً بالوعود التي قدموها له من أجل حصول العرب على حريتهم، يفكر بإقامة دولة عربية يتولى فيها ابناه عبد الله وفيصل الحكم في دمشق وبغداد.



الشريف حسين الكبير وابنه علي (بجنب المنبر يساراً) في يوم ثورة تركيا الفتاة في مكة.

استسلمت الحاميات التركية في جدة ومكة والطائف بعد مقاومة ضعيفة لقوات الشريف. أما المدينة فقد صمدت بفضل حصولها على تعزيزات، وبفضل كفاءة القائد فخري باشا؛ وأرغمت قوات الشريف، التي كانت قد شكُلت بحجة المشاركة في حملة سيناء الثانية، وقوات بني علي (حرب) على التراجع إلى ينبع ورابغ. وفي عام 1917م هاجم الجيش العربي، الذي كان في هذه الأثناء قد تلقى تعزيزات من القوات الخاصة الفرنسية الشمال إفريقية والقوات البريطانية المصرية، مجدداً المدينة بعدة فرق عسكرية بقيادة أبناء الملك ـ هذا هو اللقب الذي أصبح في هذه الأثناء يطلق على الشريف حسين. قام علي وزيد بدحر الأتراك شيئاً فشيئاً على الطرق الثلاث المؤدية من سهل رابغ الساحلي إلى المدينة، بينما التف عبد الله على المدينة على الطريق الشرقية؛ اتخذ مواقعه في بادىء الأمر قرب حناكية لكي يشل حركة المواصلات بين المدينة والشرق (القصيم، الكويت)، لكنه نقل بعد ذلك مقره الرئيسي إلى وادي عيص شمال شرق المدينة حيث كان أقرب إلى الخط الحديدي الحجازي وبالتالي قادراً على تعطيل خط الاتصال الرئيسي للأتراك. أما فيصل الذي كان في الأصل يشن هجماته انطلاقاً من ينبع فقد توجه في يناير/ كانون الثاني إلى الوجه وشن من هنا سلسلة من الهجمات على الخط الحديدي. في هذه الأثناء كانت القيادة العربية قد أدركت أنه من الأفضل عدم الاستيلاء على المدينة، وإنما إجبار الأتراك عن طريق شن الهجمات على خطوطهم على إرسال أكبر قدر ممكن من القوات والمعدات إلى الحجاز الذي لا أهمية له إطلاقاً بالنسبة لحسم الحرب ولكن الأتراك لا يستطيعون الإنسحاب منه لأسباب معنوية. وبعد الحملة التي توجهت إلى العقبة[1] (تحدثنا عنها في الصفحة 265، 266 أعلاه) أصبح هذا الميناء القاعدة العملياتية لفيصل (أغسطس/ آب 1917م). وبذلك كانت الحرب الكبيرة في الحجاز قد انتهت، وإن كانت العمليات التي تستهدف الخط الحديدي استمرت حتى الهدنة التركية (30 أكتوبر/ تشرين أول 1918م)، وأن فخري باشا في المدينة لم يلق السلاح إلا في يناير/ كانون الثاني 1919م.

---

(1) يعود الفضل في هذه الخطة إلى فيصل وأبو تايه؛ انتونيوس، ص322.

كان موقف البدو خلال الحرب، حتى في المناطق التي يسيطر عليها الشريف بين مكة والمدينة، غير واضح: فقد ظل شيخ مشايخ الزبيد (حرب)، وهو خصم شخصي للشريف حسين، مع جزء من قبيلته حتى نهاية الحرب وفياً للأتراك. وانتقل الصبح (وهم أيضاً من حرب) إلى صف العدو في سبتمبر/ أيلول 1916م. أما جهينة فقد أثبتوا هذه المرة أيضاً أنهم أقوى دعامة للقضية الشريفية. وفي المناطق الأبعد شمالاً بقي شيخ مشايخ بلي، سليمان بن رفاده، وفياً للأتراك، بينما أقام أبناؤه علاقات مع فيصل ثم دخلوا في النهاية كلياً في خدمته. وطالما أن البدو لم يكونوا يخدمون في الجيش النظامي، فقد كانت نشاطاتهم تقتصر على عمليات ضد الخط الحديدي وغارات على النقاط العسكرية التركية وما شابه من عمليات محدودة. وحدثَ عدد من الأشياء الطريفة: فعندما كانوا لا يحصلون على مرتباتهم الشهرية كانوا يحجزون الطرق وينهبون قوافل المواد الغذائية والوحدات العسكرية الصغيرة؛ لا بل إن بني عطية طلبوا خوة من أجل السماح بحدوث الحرب في منطقتهم.

ما أن انتهت حالة الحرب حتى وجد الشريف حسين نفسه متورطاً في نزاع مع حاكم وسط الجزيرة العربية عبد العزيز آل سعود. وكان السبب الظاهري لهذا النزاع خلاف حول منطقة خرمة، لكن السبب الحقيقي هو الاستياء العميق لآل سعود من خطط الشريف حسين العربية. في مايو/ أيار 1919م شن آل سعود هجوماً ليلياً على الجيش الشريفي بقيادة عبد الله قرب تربة وألحق به هزيمة نكراء. لكن اعتراض الإنجليز منعه من استغلال هذا النصر. إلا أن الحرب اندلعت بعد خمس سنوات من جديد ضمن ظروف أسوأ جداً بالنسبة لمكة من المرة السابقة: ففي الجنوب كانت منطقة عسير الجبلية قد أصبحت خلال الأعوام 1921م ـ 1923م ـ وهابية على الرغم من كل الجهود التي بذلها الشريف حسين، وكان الأدارسة في تهامة، وهم خصوم قدماء لحسين، قد خضعوا أيضاً للنفوذ الوهابي. وفي الشمال ظهر تذمر متزايد في أوساط القبائل التي أصبحت منذ سقوط ابن رشيد (انظر الجزء الأول، ص178) مؤيدة للوهابية (وهي: بلي وعنزة الحجاز). ولكن الانجليز الذين دعموا

الشريف حسين عام 1919م كانوا في هذه الأثناء قد فقدوا الاهتمام به لأنه تمسك باتفاق عام 1915م ولم يعترف بالانتداب البريطاني على فلسطين والعراق. وهكذا سقط الحجاز في أحضان آل سعود كالثمرة اليانعة. في سبتمبر/ أيلول عام 1924م وقعت بعض المعارك مع قوات الشريف حسين حول الطائف وأسفرت عن هزيمتها. وفي بداية أكتوبر/ تشرين أول تخلى الشريف حسين عن الحكم لصالح ابنه الأكبر علي، وبعد أسبوعين من ذلك التاريخ دخل الوهابيون دون قتال إلى مكة. كانت هناك بعض المقاومة دفاعاً عن جدة والمدينة وينبع والوجه فقط؛ ومن بين البدو لم يقاوم أحد سوى بني حرب. وبعد سقوط المدينة وينبع في أول ديسمبر/ كانون الأول 1925م تخلى الملك علي عن جدة. وفي 19 ديسمبر دخل الوهابيون إلى جدة.

وفي بداية يناير/ كانون الثاني 1926م استقبل عبد العزيز آل سعود في مكة بحفاوة كبيرة كملك على الحجاز.

أدير الحجاز في بادىء الأمر من قبل فيصل ابن الملك عبد العزيز بصفته نائب للملك، ولكن في سبتمبر/ أيلول 1932م تم توحيده مع نجد في مملكة سعودية واحدة.

لم يتعكر السلام في الحجاز منذ عام 1925م إلا مرة واحدة، وذلك في الثورة التي قادها عام 1932م في شمال البلاد شيخا الحويطات وبلي، أبو طقيقة وابن رفادة. لكن الثورة أخمدت على الفور. وفي ديسمبر 1940م جرت محاولة انقلاب قادها رجل من أبناء الأسرة الحاكمة المعزولة (ذوي عون)، إلا أنها خنقت في مهدها.

إذا ما نظرنا إلى تاريخ الحجاز من وجهة نظر الحياة البدوية فإننا نلاحظ على الفور إصرار القبائل هنا على التمسك بمواقعهم. فكما كان الأمر قبل الإسلام لم يزل يسكن في المنطقة الساحلية الشمالية جذام، يمثلهم اليوم بنو عقبة، وبلي وجهينة، وفي المدينة المزينة. فقط إلى الجنوب من المدينة نجد سكاناً مهاجرين، بني حرب، إلا أنه يوجد بينهم بقايا من السكان القدامى، من سُلَيْم وربما أيضاً من

خزاعة وحول مكة أيضاً لم يطرأ سوى تغير طفيف على السكان البدو: فلم تزل قريش، وهذيل، وفهم، وعدوان، وثقيف، و(بنو) سعد يقيمون في، أو قرب، المواقع التي كانوا يقيمون فيها في فجر الإسلام. وينطبق الشيء نفسه على المناطق المجاورة جنوباً.

ويعود السبب في هذا الاستقرار إلى الطبيعة الجبلية للبلاد مما يجعلها غير مغرية للبدو بحيث أن القبائل المحلية لا تخاف، وإن كانت قد ضعفت بسبب الهجرة، من أن تبتلعها أقوام غريبة. أما في الشرق على حدود نجد فإن الأمر مختلف. تلك المنطقة منطقة بدوية حقاً ولذلك يحدث فيها تبدل مستمر. وقبائل هذه المنطقة، عنزة، حرب، مطير[1]، وهم جميعاً مهاجرون حديثون. وقد يكون العتيبة[2] من السكان الأصليين ولكننا لا نجد إلا في أقصى الجنوب، قرب بيشة، في منطقة الجبال الساحلية، قبائل حافظت على نفسها منذ قديم الزمان حتى اليوم وهي: شهران، وخثعم، وسلول، وأكلب.

تفرض طبيعة البلاد كثافة سكانية متباينة جداً بين المناطق المختلفة. فالشمال القاحل خال من السكان. والقبائل الصغيرة مثل حويطات التهمة (انظر ص430 أعلاه) وبنو عطية وبلي لا يزيد عددها على بضع مئات من الخيام، وكذلك الأمر لدى القبائل الموجودة في الشرق: الفقرا، وولد علي (عنزة). عندما نقترب من المدينة تبدأ الكثافة السكانية بالتزايد ـ يزيد عدد جهينة على 50000 نسمة ـ لكنها تتناقص مرة أخرى كلما توجهنا نحو الجنوب. وحول مكة، وخاصة حول الطائف، تتزايد من جديد، ويستمر هذا التزايد حتى عسير حيث تبلغ الكثافة السكانية أعلى مستوى لها وحيث أن معظم القبائل مستقرة.

دفع الفقر في شمال الحجاز البدو في جميع الأوقات إلى الهجرة وراء الحدود. فقد هاجرت قبائل الجبال الطرفية: لخم وجذام وبلي وجهينة إلى شرقي

---

(1) سيعالجون في الجزء الثالث.

(2) سيعالجون في الجزء الثالث.

الأردن وفلسطين أو عن طريق سيناء إلى مصر. أما قبائل الداخل: بهرا وكلب وبنو صخر وعنزة فقد احتلت البادية الأردنية أو البادية السورية. بالإضافة إلى هذه الهجرة المتجهة عموماً نحو الشمال هناك هجرة أخرى متجهة نحو الشرق تنطلق من طريق الحج إلى داخل الجزيرة العربية ثم تتابع سيرها إلى العراق: بنو لام وضفير وأجزاء من عنزة هاجروا من المنطقة الواقعة شمال المدينة نحو الشرق. وتوجه حرب إلى القصيم سالكين الطريقة المحاذية لوادي الرقة، بينما وصل المطير إلى الكويت تقريباً إلى ذروة الخليج العربي. بالمقابل كان لطريق الحج في مقطعها الشمالي المؤدي إلى سورية جاذبية خاصة تجاه قبائل الداخل: فقد حدث انتشار قبائل طي المستوطنة في جبل شمر، بني لام وضفير وبني صخر، في هذا الاتجاه في البداية. كما أن العنزة أيضاً جاءوا من الشرق (انظر الجزء الأول، ص121 وما بعدها، وص268 وما بعدها).

نلاحظ في الجنوب حركة معاكسة مشابهة: فقد جاء حرب من الجنوب، ولكن بالمقابل هاجرت بعض قبائل الأشراف من مكة إلى الساحل ووصلت إلى اليمن.

وبينما تظهر آثار هجرة العناصر الغريبة بوضوح كبير في مدن الحجاز، فإن تأثيرها على البدو كان ضعيفاً جداً. تزاوج حرب هنا وهناك مع بعض الزنوج الذين كانوا موجودين في الواحات منذ زمن طويل. وبين الأشراف أيضاً يوجد أشخاص ذوو بشرة داكنة، لأن الفتيات الحبشيات كن في جميع الأزمان مرغوبات في مكة. كما أن المغاربة الذين كانوا يرافقون الحجاج كجنود، أو كانوا يخدمون في القلاع النائية الموجودة على طريق الحج، انضموا إلى القبائل وأصبحوا بدواً.

حتى الحرب العالمية كانت قبائل الحجاز تعيش إلى حد كبير من مواسم الحج. ولذلك كان لغياب الحج السوري والأسواق المرتبطة به، وإلغاء الصرة، وحلول السيارة محل الجمل، تأثير مخيف على البدو. ومن المشكوك فيه أن تتمكن القبائل من تحسين وضعها الاقتصادي عن طريق التوسع الزراعي، لأن العمل الزراعي يحتاج ليس فقط إلى الأيدي العاملة وإنما أيضاً إلى رأس المال.

لكن رأس المال غير متوفر في هذه المناطق الفقيرة. فقد تقدم المناجم، التي كان لها هنا بعض الأهمية قبل الإسلام، بعض المساعدة، ولكننا في الوقت الحاضر لا نسمع أي شيء عن نتائج أعمال التنقيب عن الذهب التي بدأت عام 1937م قرب المدينة.

منذ عام 1925م توقفت العداوات بين بدو الحجاز. فقد حمّل الملك عبد العزيز آل سعود شيوخ القبائل المسؤولية الكاملة عن السلام والأمن في قبائلهم. يتوجب على الشيخ أن يعلم السلطات بكل حادثة مخلة بالأمن وبالعقاب المناسب لها. وإذا لم يفعل ذلك يقوم زعيم القبيلة المجاورة بإجباره على ذلك، بقوة السلاح عند الحاجة. وإذا ما أهمل الشيخان واجبهما، يتعرض كلاهما لحملة تأديبية على يد قوات الملك.

نشير إلى أن القبائل مرتبة في هذا الفصل من الشمال إلى الجنوب. ونذكّر بأن حويطات التهمة قد عولجوا في نهاية فصل شرقي الأردن.

بني عقبة

على ساحل الحجاز الشمالي، في وسط حويطات التهمة، تسكن بقية بني عقبة الذين كانوا في الماضي يسيطرون على هذه المنطقة والمناطق المجاورة لها وما زالوا اليوم ينتشرون على نطاق واسع في فلسطين وشرقي الأردن.

ينحدر بني عقبة من جذام[1] الذين كانوا يقيمون في هذه المناطق قبل الإسلام وفي العهد الإسلامي الأول. وهناك خلاف حول أصل جذام. أما هم أنفسهم فقد ظلوا فترة من الزمن ينتسبون إلى عرب الشمال لكنهم فيما بعد انضموا بصورة نهائية إلى عرب الجنوب[2]. وهم مصنفون أيضاً ضمن عرب الجنوب في جداول فوستنفلد(5). إلا أن ابن الكلبي، أهم باحث في أنساب العرب، يعتبرهم من السكان الأصليين المحليين، أي من أحفاد أهل المدينة القدامى (صبح، الجزء الأول، ص330 وما بعدها). وقد يكون مصيباً في ذلك[3]، وإن كانت التحية التي

(1) بني عقبة بن. . . بن حرام بن جذام.

(2) تضع رواية "الأغاني"، الجزء الثامن، ص176، هذا الانضمام في فترة حكم الخليفة الأموي يزيد الأول (680م ـ 683م) أما الحدث نفسه فتؤكده قصائد الشاعر عدي بن الرقاع (نفس المصدر) والشاعر الكميت (صبح، الجزء الأول، ص320).

(3) أن يكون جذام قد سكنوا مرة في غرب المدينة (انظر بكري، ص25 ياقوت، الجزء الأول، ص 94) فلا يتعارض مع ذلك.

يقال بأن النبي محمد استقبل بها مبعوث جذام يقوله: "أهلاً بقوم شعيب وأصهار موسى"، تفتقر حسب رأينا لقوة البرهان التي يمنحها إياها الكلبي.

على الرغم من أن أجزاء كبيرة من جذام انتقلت أثناء حروب الفتح وبعدها إلى فلسطين ومصر وحلت محلها في مناطقها القديمة، في شرقي الأردن وشمال الحجاز، قبائل غريبة، فإن الجذاميين استعادوا شيئاً فشيئاً مكانتهم هنا بحيث أن هذه المناطق كان معظم سكانها في أواخر العصور الوسطى من جذام. وكانوا يشكلون آنذاك ثلاث قبائل هامة هي: العابد في محافظة شرقية المصرية وفي سيناء (انظر الصفحة 128 أعلاه)، وبنو مهدي في شرقي الأردن (انظر الصفحة 303 أعلاه)، وبنو عقبة.

كانت منطقة بني عقبة تمتد من ساحل العقبة حتى وادي دامة ـ كانوا في هذه المنطقة مسؤولين عن طريق الحج على الأقل ـ وفي الداخل حتى طريق الحج السورية وإلى الشمال حتى الكرك[1]. وكانوا مرتبطين بالقاهرة، إذ إن السلطان محمد بن قلاوون (1293م ـ 1294م، 1298م ـ 1308م، 1309م ـ 1340م)، الذي عاش في الكرك عندما كان ولياً للعهد، كان يحترم جداً أميرهم شطي بن عتبة[2].

تذكر المراجع حملتين تأديبيتين ضد بني عقبة بسبب هجومهم على قوافل الحج[3].

---

(1) صبح، الجزم الرابع، ص242، 284؛ المقريزي، قبائل عربية، ص85 الاقتباس الذي نقله القلقشندي، ص296، والسويدي، ص45 (بنص أفضل!) عن ابن خلدون لا يتطابق مع ما جاء في "البربر"، الجزء الأول، ص11. جهان ـ نما، ص522، تذكرهم قرب أخيضر، التي تسمى اليوم أخضر؛ ويذكرهم نويري (الإسلام، الجزء الثاني، ص137) قرب شوبك.

(2) كان أبوه متعادياً مع شريف مكة. وعندما أدى عام 689هـ/ 1290م فريضة الحج مع القافلة السورية منعه الشريف من الدخول إلى مكة مما أدى إلى حدوث اصطدامات دامية؛ حوليات مكة، الجزء الثاني، ص273 وما بعدها. أما اسم الأمير فقد كتب هنا "عبية".

(3) ابن إياس، الجزء الأول، ص340 وما بعدها؛ أبو المحاسن، نجوم، الجزء السابع، ص784 وما بعدها، 827.

كانت نتيجة الحملة الأولى (804هـ/ 1401م) خفيفة. فقد اكتفت باعتقال الشيخ المسؤول ونقله إلى القاهرة وإبقائه معتقلاً إلى أن أعيدت البضائع المسلوبة إلى أصحابها الحجاج. أما الحملة الثانية (872هـ/ 1467م)، التي شارك فيها حاكما غزة والكرك إلى جانب القوات القاهرية، فقد أسفرت عن إعدام المهاجمين الذين كانوا قد استولوا عند العقبة على القافلة البديلة المتوجهة لملاقاة الحجاج.

إن أرضاً قاحلة كالحجاز لم تكن قادرة على توفير الغذاء لقبيلة كبيرة مثل قبيلة بني عقبة آنذاك، ولذلك تركت أجزاء منها موطنها ونزحت باتجاه الشمال أو الغرب. ويبدو أن هجرة بني واصل إلى سيناء[1] قد حدثت في العصور الوسطى وكذلك هجرة المساعيد الذين يسكن معظمهم منذ زمن طويل في وادي الأردن، بينما توجد جماعات صغيرة منهم على قناة السويس وخليج العقبة. أما عمرو الكرك وبنو عقبة المنضمون إلى التياها فمن المعتقد أنهم غادروا الحجاز في القرن السادس عشر أو السابع عشر[2].

أدت الهجرة إلى إضعاف بني عقبة[3] شيئاً فشيئاً إلى درجة أنهم لم يعودوا قادرين على المحافظة على مركزهم في الحجاز. فقد قامت القبيلة الصاعدة، قبيلة بنو عطية، بفصلهم عن منطقتهم الخلفية وبحصرهم في المنطقة الساحلية (القرن السادس عشر؟)[4]. لكن بني عقبة يبدو أنهم اتفقوا فيما بعد مع بني عطية، إذ إنهم

(1) انظر الملاحظة 3 الخاصة بالطورة في فصل سيناء. الحمداني يذكر في القلقشندي، ص297، بني واصل على أنهم ما زالوا في الحجاز.

(2) انظر المقالة الخاصة بذلك. من الصعب أيضاً تحديد التاريخ الدقيق لهجرة مجموعات أخرى من عقبة مثل: السواحرة في صحراء يودا «يهودا»، والمشالخة في الغور، والسرابات قرب حيفا (عائلة شيوخ النفيعات).

(3) يسمون أنفسهم أيضاً: مسالمة؛ والين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية لندن 1851م، ص300.

(4) تذكر حكايات القبيلة أن بني عقبة طلبوا من القاهرة مساعدتهم ضد المعَازة (= بني عطية) وحصلوا فعلاً على مساعدة؛ برتون، بلاد مدين، الجزء الأول، ص171. عبارة "في عهد السلطان سليم" يجب عدم أخذها بمعناها الحرفي.

صدوا معاً هجوماً هجوم أسرة شريفية أرادت مد سلطتها من الجنوب إلى وادي دامة. إلا أن حويطات التهمة ينسبون القيادة في هذه المعركة إلى جد قبيلتهم سلامة. ويقولون أن شيخ العقبة زوّجه ابنته تعبيراً عن الشكر وأعطى حفيده عيد بن سلامة وادي عينونة. وبهذه الطريقة حصل الحويطات على موطىء قدم في التهمة، وبعد جيل واحد، في عهد ابن عيد، عليان أبو طقيقة، طردوا بني عطبة من كامل المنطقة ولم يسمحوا لهم بالعودة إلا تحت شروط مهينة[1].

وبصرف النظر عما إذا كانت الأحداث المذكورة في حكايات القبيلة صحيحة أم لا؟ فإن النتيجة كانت على أي حال: أن بني عقبة كانوا يعيشون تحت رحمة أصحاب المنطقة الذين كانوا يصبرون على وجودهم بينهم. وكانوا في منتصف القرن الماضي ما زالوا يتولون حماية محطة مويلح ومرافقة الحجاج ونقلهم من بدع إلى ضبا، وظلت الصرة لهم[2] حتى عام 1885م حيث تخلى الحج المصري عن الطريق البرية.

كان عدد بني عقبة آنذاك لا يزيد على 40 ـ 50 خيمة وقد يكونون اليوم أقل من ذلك. وهم يقيمون عادة بين مويلح وجبل حرب، ولكنهم يذهبون في موسم جني التمور (يوليو/ تموز، أغسطس/ آب) باتجاه الشمال إلى مقنا. وكانوا في الماضي يحصلون من زراع هذه الواحة[3] على نصف محصول التمر، لكنهم فقدوا بعد ذلك هذا الحق أيضاً. انتقل هذا الحق إلى عمران (حويطات) ومعازة حيث كانت كل منهما تحصل على ربع (1/ 4)، بينما يحصل الطقيقات، شيوخ الحويطات، على حصير من القصب لكل منهم عن كل رأس من سكان الواحة[4].

---

(1) برتون، نفس المصدر السابق، الجزء الأول، ص167 وما بعدها.

(2) والين مجلة الجمعية الجغرافية الملكية 1851م، ص299. تفاصيل عن الصرة: مرآة الحرمين، ج2، ص341.

(3) يتألف المقاني (المفرد: مقناوي) من ثلاث قبائل: الفوايدة، والزبايدة، والرمضاني، وهي من أصول فلاحية مصرية (برتون).

(4) والين، نفس المصدر السابق، ص303؛ برتون، نفس المصدر السابق، الجزء الأول، ص202

يوجد لدى بني عقبة منذ زمن بعيد نظام حقوقي متطور. هناك العديد من القواعد القانونية التي وضعوها تحظى بالاحترام في مناطق واسعة خارج منطقتهم، ومنها، على سبيل المثال، "كفالة بني عقبة" المثبتة بموجب وثيقة طور (سيناء) التي تعود إلى عام 1648م. وفي جنوب فلسطين يتولى رجال من بني عقبة منصب قاضي الخلافات الزوجية والمنازعات الناجمة عن الإهانات وجرح الشعور. وفي سيناء يسمى هذا القاضي ببساطة "عقبي" بصرف النظر عن القبيلة التي ينتمي إليها، أي سواء كان من بني عقبة أم لا[1].

وما بعدها؛ انظر موزيل، شمال الحجاز، ص101 وما بعدها، 114. موزيل يعتبر الفوايدة (انظر الملاحظة السابقة) من بني عقبة.

(1) شقير، ص145، 399؛ برغوثي، محاكم قضائية، ص8، 15، 30.

بني عطية

يلقي تاريخ بني عطية، الذين يعيشون في حسما والحرة المجاورة لها، عدداً من الألغاز. تظهر أولى الصعوبات في اسم القبيلة. إذ إن جيرانهم لا يسمونهم "بني عطية" وإنما "المعازة" أو في أحسن الأحوال "العطاونة". وكلا الإسمين يتضمن شيئاً من عدم الاحترام يظهر في (العطاونة) في شكل الصياغة[1]، وفي (المعازة) في المعنى؛ إذ إن كلمة "معازة" تعني "مربي الماعز" ويمكن اعتبارها تنابز، على الأقل بلغة مربي الإبل. وتجدر الإشارة إلى أن هذه التهمة لم تعد ضمن الظروف الحالية صحيحة، لأن بني عطية يوجد لديهم فعلاً ماعز ولكن ملكيتهم الرئيسية تتألف من الإبل. والملفت للانتباه أن بني عطية يعترفون بصورة غير مباشرة بالاسم "معازة"، على الرغم من أنهم هم أنفسهم لا يستعملونه أبداً، وذلك بأن يرجعون أصل القبيلة إلى معاز[2] (معاز بن وائل، وهو أخو "عناز"، الجد المزعوم لقبيلة عنزة). هذا كل ما يمكن قوله الآن عن العلاقة بين الاسمين (بني عطية والمعازة). فما يذكره برتون بهذا الخصوص لا يفيد في شيء: ليس صحيحاً اعتبار[3] بني عطية اسماً لعائلة الشيوخ ومعازة اسماً للقبيلة، بل هما اسمان لنفس المسمى[4]. الأصح

(1) موزيل، شمال الحجاز ص236.

(2) برتون، ميدين، الجزء الأول ص336.

(3) أما أن يكون اسم القبيلة مطابقاً لاسم عائلة الشيوخ "ابن عطية"، فهذا أمر لا ننفيه طبعاً.

(4) نفس الرأي عند دوتي، الجزء الأول، ص55.

هو ما يقوله بوركهاردت: (ينحدر المعازة من القبيلة القديمة بني عطية)؛ إذ إن "بني عطية" هو الاسم الأقدم للقبيلة.

يعود أقدم الأخبار عن بني عطية إلى بداية القرن السادس عشر. حينما كان الجيش المملوكي يقاتل ضد السلطان سليم، فتك بنو عطية بالإقليم الشرقي من مصر ثم هتفوا بعد ذلك للمنتصر[1].

وفي عام 1520م، عندما نشب النزاع بين حاكمي دمشق والقاهرة، جانبردي غزالي وخاير بك، قاموا مجدداً بأعمال سلب ونهب في فلسطين والمحافظة الشرقية المصرية، وكما يقال، بتحريض من جانبردي غزالي؛ وقد استمرت الاضطرابات إلى ما بعد سقوط جانبردي[2].

لم تكن المنطقة الحدودية بين مصر وفلسطين موطناً لهم وإنما هدفاً لهجماتهم فقط. أما موطنهم فيجب البحث عنه على خليج العقبة وفي الشراه؛ ففي الشراه يقيم بني عطا[3] الذين كانوا يتعاونون آنذاك مع بني عطية، وقرب العقبة كانت تقيم القبائل التي سنتحدث عنها بعد قليل والتي انبثقت عن مجمع بني عطية. ومما يساعد على تحديد منطقة تنقلهم آنذاك اسم القرية المسماة (شرفة بني عطية)، إلا أن هذا الإسم لم يوثق إلا في القرن السابع عشر. تقع هذه القرية قرب الشاطىء الشرقي لخليج العقبة (الشرف في خريطة موزيل)[4]. وفي الغرب كان لبني عطية، ليس فقط في أوقات الحرب، اتصالات مع مصر وكان لهم، على الأرجح،

(1) ابن إياس، الجزء الثالث، ص53؛ GOR، الجزء الثاني، ص495، انظر 524.

(2) إبن إياس، الجزء الثالث، ص244، 256، 258.

(3) انظر مقال اللياثنة في فصل شرقي الأردن. اعتبار بني عطية هم نفسهم "العطويون" المذكورون عند القلقشندي، والذين هم فرع من بني صخر الكرك (انظر الصفحة 336 أعلاه، الملاحظة 2)، أمر غير جائز.

(4) نضيف إلى المراجع التي يستند إليها موزيل، شمال الحجاز، ص323 وما بعدها (جيهان ـ نما، تفنو، غابر يبله بريمون، عبد الغني النابلسي) الباحث المغربي عيّاشي (رحلة، فاس 1316، الجزء الأول، ص169)، الذي أدى فريضة الحج عام 1649م و1653م و1661م، والحاج الأقدم الذي اقتبس منه العياشي وهو محمد البكري (ص171).

مستوطنات هناك[1].

أما المدى الذي وصلوا إليه في الجنوب فهو غير معروف، ولكن بالتأكيد ليس إلى حدودهم الحالية؛ إذا إن منطقة تبوك كانت في النصف الأول من القرن السادس عشر لم تزل في يد مجمع بني لام القوي.

هنالك تقرير من عام 955هـ/ 1548م يذكر معلومات هامة عن تركيب بني عطية. حسب هذا التقرير كان ينتمي لمجمعهم آنذاك: الترابين، والأحيدات، والحويطات، والأحيوات[2]. ولكن لا يجوز أن نستنتج من ذلك أن هذه القبائل تنتمي من ناحية النسب إلى بني عطية. ذلك أن حكايات الترابين عن نسبهم تثبت العكس، كما أن حكايات الأحيدات والحويطات تشير إلى أن زعمائهم على الأقل هم من أصل غريب. وهذا الوضع هو الذي جعلهم ينفصلون في وقت مبكر عن بني عطية ويشكلون مجمعات مستقلة. وبينما هاجر الأحيدات من مقرهم القديم قرب العقبة إلى الشمال، فقد انتشر الحويطات شيئاً فشيئاً في تلك المنطقة وطردوا بني عطية من منطقة الخليج.

نتيجة لذلك انتقل مركز ثقل بني عطية نحو الجنوب، حيث كانت قد فرغت بعض المناطق نتجية هجرة بني لام إلى العراق (حوالي 1550م) وتفكك بني عقبة.

بقي الإتصال مع مصر مفتوحاً في بادىء الأمر. كان لبني عطية في القرن السابع عشر حركة نشيطة مع القاهرة حيث كانوا ينقلون من القاهرة إلى مويلح الأعلاف والمؤن التي يحتاجها الحجاج[3].

كانوا يدخلون إلى القاهرة دون أي إعاقة ويبدو أنهم كانوا يمارسون نوعاً من

---

(1) العطاونة الذين أبادهم العبابدة في القرن الماضي كانوا بقايا من هؤلاء المهاجرين كانوا يسكنون في الصحراء الشرقية، انظر موري، ص31، 140 وما بعدها، 305.

(2) درر الفرائد، نقلاً عن شقير، ص108، 117. بوركهاردت، ص312، يذكر نفس القبائل باستثناء الأحيدات كأحفاد بني عطية، ويضيف إليها خطأ أتى إليها. ومن المشكوك فيه أن يكون الأحيدات مكانهم هنا. فهم ينسبون أنفسهم الآن إلى المساعيد (بني عقبة)، انظر ص223 أعلاه.

(3) أبرمت الاتفاقيات الخاصة بذلك من قبل أمير الحج. كان بلي يتولون بعدئذ النقل إلى ينبع في

الوصاية على بني عقبة (انظر ص480، 481 أعلاه). إلا أن قول العياشي[1] أنهم كانوا سادة المنطقة الساحلية بكاملها فيه شيء من المبالغة.

أدى انتشار الحويطات بعد ذلك إلى نشوء علاقات جديدة كلياً؛ فقد طرد بني عطية من ساحل البحر الأحمر وقطعت صلتهم مع مصر. وفي القرن الثامن عشر هرب آخر بني عطية، 250 خيمة، من منطقة ما وراء العقبة إلى مصر خوفاً من عمران (حويطات)[2]. وبذلك انتهت حكاية رحيل بني عطية وهجراتهم وحصروا ضمن الحدود التي كانت لهم حتى ما بعد الحرب.

تضم هذه الحدود سهل حسمى المرتفع وحرة الرحى وهي تتحدد في الشرق بسلسلة الهضاب الواقعة وراء طريق الحج والخط الحديدي الحجازي، وفي الغرب بالمرتفعات المؤدية إلى التهمة.

واردات هذه المنطقة قليلة. فالمكان المسكون الوحيد هو تبوك التي كانت تدفع خوة متواضعة (مواد غذائية وألبسة). يضاف إلى ذلك الصرة التي كان بني عطية يتقاضونها لقاء حماية الحجاج من معان حتى المعظم، وفي وقت لاحق لقاء حماية الخط الحديدي من معان حتى دار الحمرا[3].

كانت القبائل الفرعية ترسل في شهر يوليو/ تموز من كل عام رجالاً منها إلى

حال عدم تخزين المؤن في مويلح لاستعمالها على طريق العودة (عياشي، الجزء الأول، ص170 وما بعدها، انظر ص153).

(1) ص169. أما محمد البكري الأقدم من عياشي (نفس المصدر ص171) فيقول: "يعيش بنو عطية خلف جبال الشرفة (انظر أعلاه)"؛ انظر جيهان ـ نما، ص554.

(2) بوركهاردت، ص317 وما بعدها. هذه الموجة الثانية من الهجرة، سميت معازة دوماً، استوطنت في الصحراء الشرقية أيضاً وهي تسكن الآن بين جبال قلالة الشمالية حتى طريق الغردقة ـ قنا، وهناك جزء يمارس الزراعة على أطراف وادي النيل، موري، ص138 وما بعدها، 266 وما يليها.

(3) والبن، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية لندن 1851م، ص310، 317؛ كتاب الجيب، الجزء الأول، ص62.

منطقة الكرك لمقايضة الإبل بالحبوب. وقد أدت هذه الحركة إلى أن جزءاً كبيراً من القبيلة استوطن في موآب القديمة؛ وكانت تلتحق به بين حين وآخر مجموعات جديدة[1].

تلك الرحلات التجارية لم تكن دوماً خالية من الأخطار. فلم يزل الناس في شرقي الأردن يتحدثون عن هجوم الحويطات (ابن جازي) ورجال من طفيلة (جوابرة) على قافلة لبني عطية كانت متوقفة في وادي موسى، حيث تعرضت لخطر شديد إلى أن جاء الكركيون وفكوا عنها الحصار وخلصوها من حملات السلب والنهب التي تبعث هذه الحادثة[2].

كان بني عطية في صراع طويل مع حويطات التهمة أيضاً ومع عمران. أما مع جيرانهم الجنوبيين، بلي، فكانت علاقتهم جيدة. وأما مع الروله فكانوا في مأمن لقاء الالتزام بدفع خوة ذات قيمة رمزية فقط (تقديم قطعة قماش). لكنهم كانوا يتعرضون لغزوات القبائل الغربية من دولة شمر (ولد سليمان، والفقرا). وكانوا هم أنفسهم يشنون غزوات على حرب وهتيم في نجد[3].

خلال الحرب العالمية قاتلت بعض فصائل بني عطية في جيش الشريف حسين. وظلوا أيضاً بعد التنظيم الجديد للجزيرة العربية أوفياء للشريف حسين، أو بالأحرى لابنه عبد الله أمير شرقي الأردن، وقاموا بعدة غزوات ضد القبائل التابعة للدولة السعودية، وخاصة ضد حويطات التهمة. وخلال ثورة الحجاز 1932م وقف

---

(1) موزيل، شمال الحجاز، ص155 وما بعدها؛ ياوسن، ص117؛ برتون، ج1، ص318؛ روبنسون، الجزء الثالث، ص84، وعقال بني عطية، في الفصل السابق.

(2) يحدد البرغوثي تاريخ هذه الأحداث قبل 90 سنة تقريباً. إلا أن أسماء الشيوخ المشاركين فيها: محمد بن عطية، عرار بن جازي، حرب أبو تايه، تعود إلى سبعينات وثمانينات القرن الماضي.

(3) بوركهاردت، ص320؛ هوبر، جورنال، ص348 وما بعدها؛ برتون، مناجم الذهب، ص221؛ ميدين، الجزء الأول، ص335؛ دوتي، الجزء الأول، ص335.

بني عطية مرة أخرى ضد الوهابيين[1].

ينقسم بني عطية إلى مجموعتين تقود إحداهما عائلة الشيوخ ابن عطية، وتقود الأخرى عائلة ابن هرماس[2].

بني عطية(1)

شيخ المشايخ: ابن هرماس ابن عطية(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العطيات	ابن عطية	حسمى؛ حرة الرحى	
2 ـ السبوت(3)	حمود بن فرحان		
أ ـ الرواضين	دعسان بن (آل) زلع		
3 ـ جميعانيين	مطلق المغظم(4)		
4 ـ الربيلات			
5 ـ العقيلات(5)	ابن هرماس		
6 ـ المراقين(6)	ابن عمران		
7 ـ الخمايسة(7)	نجم الضيوفى		
8 ـ سليمات	مسلم العضيدي		

(1) أورينته مودرنو، الجزء الثاني، ص247؛ الجزء الثالث، ص93؛ الجزء الحادي عشر، ص543؛ الجزء الثالث عشر، ص417؛ أم القرى، رقم 164، 238.

(2) برتون، ميدين، الجزء الأول، ص337. من الواضح أن المجموعتين هما عند بيكه (انظر الملاحظة 1 الخاصة بالجدول) عطية وعقيلات. أما المجموعة الثالثة التي يسميها بيكه الخميسات فيضمها برتون إلى المجموعة الثانية.

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
9 ـ السعيدانيين(8)	سالم بن صقر		
10 ـ الخضرة(9)			
11 ـ الوكلا(10)	سالم الوكلى	حسمى: حرة الرحى	
12 ـ المصابحة	محمد بن مسعد		
13 ـ العليين			

ملاحظات

1 ـ يستند الجدول بصورة رئيسية إلى موزيل، شمال الحجاز، ص235. وبما أن قائمة موزيل تعود لعام 1910م فإننا لم نضع هنا، حيث بدا ذلك مفضلاً، اسم الشيخ وإنما فقط كنيته. القبائل الفرعية (الأفخاذ) 1، 3، 4 (7 قارن الملاحظة 6 أدناه)، 8، 9، 10، 13 موثقة عند والين (1848م)، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية لندن 1851م، ص310. من بين عائلات بني عطية المذكورة عند موزيل فإن الهرامسة[1] هم عائلة شيوخ 5، وأولاد عمران عائلة شيوخ 6، والضيوفية[2] عائلة شيوخ 7، والزلوع عائلة شيوخ 2 آ. بيكه، ص223 وما بعدها، يقسم القبيلة إلى عطيات، الذين يشملون القبائل الفرعية 8 والسويلميين (مع1)، 2، 3، 9، 10، 12، 13، والعقيلات (5) مع الفخذين 6 و4، والخميسات (= 7).

عدد الخيام عند بوركهاردت، ص320: 400 – 500؛ جورماني، ص23، رقم 6: 1200 محارب؛ برتون، ميدين، الجزء الأول، ص337: 200 محارب حسب التقدير الشخصي، 2000 حسب قول بني عطية.

الوسم: بين العين والأذن، ـ على الجهة الأمامية من الأذن اليمنى؛

(1) فخذ في قبيلة بني عطية في شرقي الأردن.

(2) تقرأ هكذا بدلاً من «ضفوفية» في النص.

إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، الجزء الثاني، ص104.

2 ـ أقدم شيخ معروف منهم هو سالم بن عطية المذكور عند جورماني (1864م)، ص24. ابنه عبيد تنازل عن منصب الشيخ فتولاه الأخوان صقر بن عطية ومحمد بن عطية؛ أو يتنغ، الجزء الأول، ص224؛ الجزء الثاني، ص89، 181 وما بعدها، 187. في عام1910م كان يحكم حرب بن عطية ابن خال عودة أبو تايه. توفي في حرب عام 1914م؛ وكان يمكن حديقة وكوخين في تبوك.

3 ـ يسمون أيضاً بني سبت. جد القبيلة: سبيتان (والّين). وهم من أصل آخر غير أصل بني عطية (موزيل) ويشير والين ودوتي إلى العادة المتبعة عندهم، وعند بدو آخرين في هذه المنطقة، وهي سوق المواشي إلى الحظيرة عن طريق القرع بجرس.

4 ـ مطلق ابن جميعان؟ الذي قاتل عام 1917م/ 1918م في جيش الشريف؛ لويل توماس، مع لورنس في الجزيرة العربية، ص166؛ لورنس، في مواقع مختلفة (مطلق الأعور).

5 ـ هم حسب ما يشير اسمهم من رجال القوافل القادمين من نجد وكانوا في السابق يتولون مهمة النقل بين معان وتبوك. هم نفسهم التجرا المذكورون عند والين؟

6 ـ ببكه: المراجين.

7 ـ يسميهم موزيل خطأ "حمايسة". ويذكر والين بدلاً منهم "الضيوفية" أي عائلة شيوخهم. والخمايسة موجودون بين المعازة المصريين أيضاً.

8 ـ والين "سعدانيين". دوتي (الجزء الأول، ص418): "سودينين"، ويزعم أنهم من بلي.

9 ـ عند دوتي (نفس المرجع السابق) "خثيرة".

10 ـ عند موزيل فقط.

عنزة

عندما يتّبع المرء طريق الحج، أو الخط الحديدي الحجازي، ويجتاز محطة المعظم، يدخل أرض عنزة الحجاز، أي ذلك الجزء من شعب العنزة الذي لم يشترك في الهجرة الكبيرة التي حدثت في القرن الثامن عشر، وإنما بقي في موطن العنزة القديم. وهؤلاء هم الفقرا وولد علي. ويجاورهم من جهة الشرق ولد سليمان الذي سنعالجهم هنا بسبب انتمائهم القبلي على الرغم من أن منطقتهم غير تابعة للحجاز وإنما لنجد.

لا يمكن مقارنة عنزة الحجاز، لا من ناحية العدد ولا الأهمية، بإخوانهم في سورية والعراق. فالعناصر القوية هاجرت، ومن بقي من القبيلة يعيش حياة فقيرة في منطقة ضيقة وقليلة الخصوبة. وينطبق هذا بشكل خاص على الفقرا وولد علي الذين تقع مراعيهم بين حرة العويرض وخيبر، بينما يعيش ولد سليمان في منطقة أبعد نحو الداخل في ظروف معيشية أفضل. إلا أن الفقرا وولد علي كانوا في الماضي يعدلون وضعهم بعض الشيء بتقاضيهم الصرة التي كانوا يستحقونها كونهم من سكان طريق الحج. والقبائل الثلاثة لها حصص في بساتين النخيل في خيبر مما يوفر لها مورداً اقتصادياً إضافياً. والقرى الثلاثة، التي تشكل الواحة، تسمى باسمهم: قرية بشر، قرية ولد علي، قرية الفجير[1].

(1) انظر الجزء الأول، ص123.

قبائل عنزة الثلاثة المذكورة مستقلة عن بعضها سياسياً. والعلاقة بين الفقرا وولد علي باردة، بينما كانت تقوم بين ولد علي وولد سليمان حرب مكشوفة؛ والتناقض السائد في الشمال بين بشر (ولد سليمان) وضنا مسلم (فقرا، ولد علي) يظهر هنا أيضاً. في أوقات السلم تسمح كل قبيلة للأخرى بالدخول إلى منطقتها، بينما تفرض على القبائل الغريبة ضريبة قدرها مجيدي واحد عن كل خيمة[1]. وعن الجيران الآخرين حدّث ولا حرج: فهم في عداوات متباينة الدرجة مع بلي وبني عطية، ومع شمر وحرب، والشرارات والهتيم.

منذ منتصف القرن الماضي كانت عنزة الحجاز تابعين لدولة ابن رشيد. أما في الوقت الحاضر فهم وهابيون ومن رعايا آل سعود. وكما في جميع أراضي نجد فقد أسست في منطقة العنزة أيضاً مستوطنات زراعية وعسكرية، ما يسمى الهجر. وسوف نتحدث عن هذه المستوطنات في الجزء الثالث.

---

(1) جوسن وسافنياك، عادات الفقرا، ص13.

الفقرا

يحد منطقة تنقل الفقرا من الشمال خط خشم صنع[1] ـ تيما، ومن الغرب حرة العويرض. وعلى طريق الحج تمتد منطقتهم في الجنوب حتى بير غانم قرب العلا ثم حتى خيبر، وفي الشرق حتى جبل برد. مصدرهم المائي الرئيسي هو العردة، على بعد مسيرة يوم كامل شمال شرق الحجر حيث توجد أيضاً مقبرة القبيلة[2]. وهناك آبار أخرى مذكورة في جورنال هوبر، ص381، 487، 561. في أعوام الحرب وفي فترات الصراعات السياسية يضطر الفقرا إلى البحث عن الحماية والمرعى بعيداً في الشمال: ونتيجة لذلك بقيت بعض أجزاء القبيلة في الغربة، ومنها أولئك الفقرا الذين يخيمون اليوم في مؤاب القديمة تحت حماية الكرك[3].

كان الفقرا يتقاضون في السابق في واحتي تيما والعلا خوة قدرها مجيدي واحد عن كل بيت، ومن قافلة الحج مبلغاً قدره 600 ليرة تركية؟. وعندما بدأ تشغيل الخط الحديدي الحجازي سقطت هذه الصرة. إلا أنه حل محلها مبلغ مماثل لقاء حماية الخط الحديدي كان يدفع على أقساط شهرية قدرها 12 ـ 60

---

(1) بين المعظم ودار الحمرا.

(2) دوتي، الجزء الأول، ص78، 230، 349؛ عادات الفقرا، ص6.

(3) دوتي، الجزء الأول، ص272، 350؛ جوسن، عادات العرب في بلاد موآب، ص117؛ عادات الفقرا، ص7، انظر ص395 أعلاه.

مجيدي لأحد عشر شيخاً من شيوخ الفقرا[1]. ونعتقد بأن دخلهم من تربية المواشي كان ضئيلاً جداً لأن نصيب الخيمة الواحدة لم يكن يزيد وسيطاً على 7 رؤوس من الإبل (دوتي).

يشكل الفقرا جماعة متجانسة إلى حد ما: تنتسب أفخاذهم جميعها إلى مجموعة الحجاج[2]، باستثناء الصقرة الذين ينحدرون من أقربائهم المساليخ. جد القبيلة الأول هو راشد الخميجل[3] الذي كان ضريحه قبل بناء الخط الحديدي موجوداً في مدائن صالح. يقال بأنه ولد في هدية، محطة طريق الحج الواقعة مقابل خيبر، وأنه كان يفعل المعجزات، ولذلك حصل على لقب "الفقير" (في اللهجة العامية: الفجير). ومنه أخذت عائلة الشيوخ آل فقير اسمها ثم أعطت الإسم للقبيلة كلها.

تنتمي عائلة الشيوخ، التي تسمى أيضاً نسبة إلى أجداد حديثين آل صالح أو آل مبارك، إلى فرع الشفقة[4] وتشكل تقريباً خمس الفقرا جميعهم. ونحن لا نعرف سوى عدد قليل من أعضاء عائلة الشيوخ وعلى رأسهم مطلق بن حميدي الذي زاره دوتي في نهاية السبعينات وعندما تعرف عليه جوسن وسافنياك عام 1907م كان لم يزل في منصبه. مطلق، الرجل الوحيد القوي البنية والمتغذي جيداً بين الفقرا الجائعين (دوتي)، لم يكن يملك سوى قطيع صغير من الإبل (25 رأساً وفي وقت

---

(1) دوتي، الجزء الأول، ص344؛ عادات الفقرا، ص8 وما بعدها.

(2) انظر الجزء الأول، ص196.

(3) "اولاده" شفق، وجمعة، وزرع، وغصيب (عادات الفقرا، ص4) هم أجداد القبائل الفرعية: الشفقة، والجمعات، والزوارعة، والمغاصيب.

(4) تنبثق هذه العلاقة من سلسلة نسب لرجل من الفقرا وردت في (عادات الفقرا) (ص4): قفطان بن خلف بن عثمان بن رميّة بن مبارك بن خبير بن صالح بن عمدان بن شفيقة(☆) بن راشد بن خميجل بن حجاج بن منبّه بن وهب بن مسلم بن عنّاز بن وائل بن آدم.

(☆) هكذا! يسمى الرجل هنا وليس شفق كما جاء في الملاحظة السابقة. جوسن وسافنياك يعطيان القبيلة اسم شفيقة فقط).

لاحق 40 رأساً)، لكنه كان يحصل على دخل ممتاز من الصرة (120 ليرة تركية) ومن بستانه في خيبر الذي كان يحتوي على 500 نخلة. من بين 15 ولداً لم يبق له سوى اثنين، بالإضافة إلى حفيده شهاب، الذي خلفه في المنصب. في عام 1918م انضم شهاب إلى الشريف عبد الله بعد أن التزم عبد الله بمواصلة دفع تعويض حماية الخط الحديدي[1]. آخر شيخ معروف من مشايخ الفقرا هو سلطان الفقير الذي حارب عام 1922 ضد الوهابيين[2].

(1) كتاب الجيب (هاندبوك)، الجزء الأول، ص51؛ بريموند، ص232.

(2) أوريتته مودرنو (الشرق الحديث)، الجزء الثاني، ص247.

ولد علي

كان ولد علي يشكلون في السابق مع الفقرا وحدة سياسية واحدة[1]؛ ولذلك تتطابق منطقة تنقلهم على مسافات واسعة مع منطقة الفقرا. في الجنوب فقط تمتد منطقتهم بعيداً حتى قلعة السرا، المحطة الثانية على طريق الحج بعد العلا. كما أن الحياة الاقتصادية للقبيلتين متشابهة أيضاً. يتقاضى ولد علي خوة في العلا مثل الفقرا، ويمارسون مع الفقرا والمواهيب (انظر الفصل القادم) في الحجر حق السوق الذي يتوجب على أبناء القبائل الغريبة دفع مجيدي للحصول عليه. وبما أنهم من السكان المجاورين لطريق الحج كان لهم الحق في الحصول على الصرة لاسيما أنهم كانوا يرافقون الحجاج اعتباراً من دار الحمرا[2]. وعلى عكس الفقرا، وبشكل أخص ولد سليمان، يعدّ ولد علي بصورة عامة غير محاربين ويوصفون بأنهم مسالمين. ويلومونهم بصورة خاصة للمواقف التي ارتكبوها تجاه قضية العنزة عندما دعوا الأتراك في عام 1874م للقدوم إلى خيبر التي كانت حينئذ تابعة لحايل «حائل». وعلى أي حال فإن هذا التصرف يصبح مفهوماً إذا ما علمنا أن باشا المدينة كان يكتفي بضريبة أقل من ضريبة ابن رشيد (مجيدي واحد عن كل 6 رؤوس من الإبل بدلاً من 5 رؤوس، وعن كل 40 رأساً من الغنم أو الماعز بدلاً من كل 30 رأساً)[3].

---

(1) انظر، مثلاً، جورماني، ص165.

(2) دوتي، الجزء الأول، ص79، 200؛ موزيل، شمال نجد، ص114 وما بعدها، 126.

(3) دوتي، الجزء الأول، ص348، 369، 453؛ الجزء الثاني، ص121 وما يليها.

لا نعرف سوى القليل عن العلاقات الداخلية بين ولد علي. بناء على علامات الوسم المختلفة لدى القبائل الفرعية يميل المرء إلى الإستنتاج بحدوث خلط شديد عند تشكيل القبيلة. ولكن هذه العملية يجب أن تكون قد حدثت قبل وقت طويل من حركة الهجرة الكبيرة، لأن ولد علي الشماليين لهم تركيب مشابه لولد علي الجنوبيين. وكما يتبين من نسب العنزة فإن ولد علي ينسبون كالفقرا إلى بني وهب. وكان اسمهم قديماً آل علي، يقابله اسم آل نبهان لبقية بني وهب (الفقرا والخ...).

تتمتع عائلة شيوخ ولد علي، بسمعة محترمة. وهي تحمل اسم الإيدا (اليديان؛ النسبة: إيدي) وتربطها علاقة قربى وثيقة مع القبيلة الفرعية حمامدة[1] التي لم تعد اليوم موجودة في الحجاز[2]. ويتألف نسب زعيم الإيدا الحالي من السلسلة التالية: محمد بن فرحان بن بدر بن مطلق بن رجع بن ضيف الله بن مسعد بن حمدان بن الإيدا بن علي[3]. ولقد عرف من بين أجداده رجع ومطلق على يد جورماني ودوتي وهوبر. كان مطلق شخصية محبوبة أكثر من نظيره زعيم الفقرا الذي يحمل الاسم نفسه، وكان أخوه محسن كريماً جداً إلى درجة التضحية، كان أباً حقيقياً للبدو. بعد وفاة مطلق انتقل الحكم إلى هايس الإيدا الذي سجلتُه عام 1899م شيخاً لولد علي. وبعد هايس جاء فرحان حفيد مطلق. في خريف 1917م انضم فرحان إلى الشريف عبد الله وقدم له 400 خيال لكنه انفصل عنه وانضم إلى الوهابيين قبل سقوط حايل (نوفمبر/ تشرين الثاني 1921م). قتل عام 1922م في معركة مع قائم مقام الوجه. عند ذلك ذهب ابنه محمد الفرحان إلى الرياض فاعترف به عبد العزيز آل سعود زعيماً للقبيلة[4].

(1) بوركهاردت، ص4: سالم ومبارك الإيدا، شيخا الحمامدة.

(2) عادات الفقرا، ص4، تقول غير ذلك.

(3) ج.ج. هس، أسماء بدوية من وسط الجزيرة العربية، ص6.

(4) لورنس، ص191؛ بريموند، ص205، 232، 265؛ أورينته مودرنو، الجزء الثاني، ص246؛ شمال نجد، ص294.

ولد سليمان

يتألف ولد سليمان من أجزاء مختلفة جداً. نذكر منهم أولاً الجعافرة الذين ينتسبون حسب رأينا إلى جعفر بن أبي طالب، ابن عم النبي محمد؛ إذ إن هؤلاء الجعفريين (بني جعفر) كانوا في العصور الوسطى منتشرين في هذه المنطقة. وفي القرن العاشر الميلادي كانوا يملكون واحة (ذو) المروة الموجودة عند مصب وادي الجزل في وادي الحمض[1]، وفي وقت لاحق واحة خيبر. لكن العنزة ضغطوا عليهم جداً هنا إلى درجة أنهم كانوا يقدمون لهم جزءاً من محصول التمر خوّة، لا بل إنهم قبلوا بأن يحكمهم رجل من عنزة. صحيح أنهم قتلوا هذا الرجل دون عقاب لكنهم لم يستطيعوا التخلص من دفع الخوة[2]. بناء على ذلك فليس مجرد خاطرة من بوركهاردت عندما يربط (ص309 وما بعدها) بين جعافرة الحجاز وقبيلة بدوية مصرية تحمل الإسم نفسه ولم تزل توجد حتى اليوم بقايا منها في محافظة القنا؛ إذ إن هؤلاء الجعافرة المصريين يعيدون شجرة نسبهم، حسبما يقول المؤرخ القروسطي المقريزي[3]، أيضاً إلى جعفر بن أبي طالب، وتقول حكاية قديمة أنهم جاءوا عبر البحر الأحمر إلى مصر العليا. يقابل الجعافرة ثلاث قبائل فرعية هي: السلمات، والغضاورة، والخمشة، يدمجها موزيل في قبيلة واحدة يسميها

(1) مقدسي، ص83.

(2) ديوان علي بن مقرب، بومباي 1310م، رقم 1، 32 ـ 36 والتعليق. وقعت الحادثة على الأرجح في القرن الثاني عشر.

(3) قبائل عربية في مصر، ص60 وما يليها.

السليمانية (ربما ولد سليمان الأصليون؟).

تشكل بقية القبائل الفرعية مجموعة ثالثة تربطها علاقة ضعيفة مع المجموعتين الأخريين. في شجرة نسب العنزة يرد ذكر ولد سليمان تحت ضنا عبيد، ولكنهم ينسبون في سياق آخر إلى السلقا (عمارات)[1]. وكلا النسبتين مبرر لأن ولد سليمان موجودون عند جماعات الفدعان (ضنا عبيد) وعند جماعات السلقا على حد سواء. وتجد هذه العلاقة المتشابكة تعبيراً لها في التسمية، إذ إن ولد سليمان يسمون غالباً "بشر"، وهو تعبير يشمل ضنا عبيد والعمارات.

بشر ـ ولد سليمان هم أقوى قبائل عنزة في وسط الجزيرة العربية، وحتى شمر تخشاهم. وبصرف النظر عن حصتهم في واحة خيبر، حيث استوطن بعض أبناء القبيلة[2]، فإنهم يعتمدون كلياً على تربية الماشية وبالتالي فإن قطعان الإبل التي يملكونها أكبر من قطعان الفقرا وولد علي. وهم يتنقلون بين حرة خيبر والطرف الجنوبي للنفود. مصدرهم المائي الرئيسي في الصيف هو بيضا نثيل (جنوب غرب حايل[3]) حيث نشأت في الآونة الأخيرة هجرة، أي مستوطنة إخوان. في الخريف يقيمون عند بئر التليثوات[4] إلى الغرب من مسما. ولهم في النفود قلبان الكواكبة، وفي الحرة موقع الماء "بيج"[5].

تنحدر عائلة شيوخ ولد سليمان، آل عواجي، من الجعافرة (بوركهاردت). ولا نعرف شخصيات إفرادية منهم إلا منذ عام 1864م: الشيخ مشعل عسكر، ابن الشيخ الآنف الذكر، ومشعان ولد عسكر الذي كان يحكم ولد سليمان عام 1915م. وفي عام 1927م قيل لي أن الشيخ الحاكم هو بدر العواجي، ولكنني غير متأكد من صحة هذه المعلومة.

---

(1) على سبيل المثال، بوركهاردت، ص309.

(2) قطوني ـ قياطين (دوتي).

(3) تحت ضغط ابن رشيد اضطروا إلى السماح لشمر بمشاركتهم في الاستفادة من الماء، دوتي، الجزء الأول، ص582.

(4) عشرة آبار تكفي لتزويد 300 خيمة يومياً بالماء (موزيل).

(5) دوتي، الجزء الأول، ص582؛ الجزء الثاني، ص220، 223، 231؛ هوبر، جورنال، ص554؛ موزيل، شمال نجد، ص95، 105، 138.

عنزة(1)

آ ـ الفقرا(2)

شيخ المشايخ : سلطان الفقير

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الشفقة 2ـ الجمعات 3 ـ المغاصيب 4 ـ الزوارعة 5 ـ الحمدان 6 ـ الحجور 7 ـ الخماعلة(4) 8 ـ الصقرة **ملحقة :** "الفهيات"(5)(*)	سلطان الفقير(3)	شرقي الخط الحديدي الحجازي بين المعظم ـ الحجر	120

(*) «الفقهات» عند التحقيق والمراجعة وجدت اختلاف في تسمية هذه العشيرة الصغيرة وهذا الاختلاف موجود في أجزاء الكتاب وأعتقد أن الحرف d قد سقط سهواً عند كتابة الاسم فكتب بهذا الشكل Fehjat بدلاً من Fehdjat ومن هنا سوف نجد أنه سوف يتطابق الاسم. ففي الصفحة 162 من الجزء الرابع كتبت فقهات وفي الصفحة 164 هامش 17 ذكر المؤلف التسميات الأخرى. (ماجد شبّر).

ب ـ ولد علي(6)

شيخ المشايخ : محمد الأيدا

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ السند			
2 ـ المريخان			
3 ـ الركاب			
4 ـ العطيفات		جنوب الفقرا	280
5 ـ الدمجان			
6 ـ الخالد			
7 ـ المشطة			
8 ـ الطوالعة(7)			
9 ـ الربيلات		جنوب الفقرا	120
10 ـ الذويبة			

جـ ـ ولد سليمان(8)

شيخ المشايخ : خلف العواجي

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الجعافرة	خلف العواجي		
أ ـ آل فضيل(9)			
ب ـ آل عواجى(10)	خلف العواجى		
حـ ـ السهول			
د ـ الضواوية(11)			
هـ ـ آل مريحم			
2 ـ السلمات	ابن جبل الشقاوي		
3 ـ الغضاورة	علوش بن ظويهر		
4 ـ الخمشة		النفود ـ حرة خيبر	600
5 ـ الامنة(12)	مشعل بن زيد المرتعد(13)		
6 ـ المطاردة(12)	مجول بن بليطيح		
7 ـ الشملان(12) (14)			
8 ـ البجايدة(15)	عبد المحسن بن شامان		
ملحقة :			
النوامسة(16)	ابن نومس		

ملاحظات

1 ـ قائمة شبرنجر، رقم 74، 75 (بدلاً من «الفصر» نقرأ طبعاً «الفقير»).

2 ـ تستند الجداول إلى قوائم دوتي، الجزء الأول، ص229؛ وهوبر، رحلة في وسط الجزيرة العربية، ص106؛ وجوسن وسافنياك، عادات الفقرا، ص3.

3 ـ وسم الفقرا: ·)) ||.

4 ـ يشكل الخماعلة حوالي نصف القبيلة بالكامل، لكن مركزهم ضعيف. وحسب موزيل، الصحراء العربية، ص84، فإنهم يصنفون من ناحية النسب في مستوى الفقرا وليس تحتهم.

5 ـ قبيلة تسكن منذ زمن قديم في محطة مداين صالح. الوسم:

6 ـ المراجع هي نفس المراجع الخاصة بالفقرا. وهنا كما هناك لم نسجل سوى القبائل الفرعية المذكورة في قائمتين على الأقل.

وسم ولد علي:

7 ـ الوسم: ·) |||.

8 ـ بما أن معلومات مايو/ أيار 1913م (المصدر: محجم بن تركي) غير كافية، فقد استكملناها استناداً إلى قوائم جورماني، ص166؛ وهوبر، نفس المصدر السابق، ص114؛ وموزيل، شمال نجد، ص95 وما بعدها. وسم ولد سليمان (بشر): ·)).

9 ـ يصنفها موزيل فوق الفروع التالية.

10 ـ الفرعان اللذان يذكرهما محجم وهما: السعيّد والمقاطعة ينتسبان إلى العواجي، انظر بأنهما هوبر، نفس المصدر السابق، وجورنال رحلة في الجزيرة العربية، ص143.

العربية، ص143.

11 ـ هوبر، جورنال، ص512.

12 ـ هذه القبائل الثلاث هي بشر، ولكنها ليست من ولد سليمان ولذلك غير موجودة في قوائم موزيل.

13 ـ انظر دوتي، الجزء الأول، ص568؛ هوبر، جورنال، ص534.

14 ـ يلفت الانتباه أن موزيل، الصحراء العربية، ص84، ينسبهم إلى ولد علي، ولكن انظر قائمة شبر نجر، رقم 75. وهم بقية من شملان الخاضعين للعمارات.

15 ـ جورماني، نفس المصدر السابق؛ دوتي، الجزء الثاني، ص220.

16 ـ هتيم!

هجر عنزة(1)

المكان	الأمير	الزعيم المحلي
1 ـ خيبر	محمد بن فرحان الايدا	هزاع بن هايس الايدا
		هزاع بن محمد الايدا
2 ـ بيضا نثيل	خلف العواجى	
3 ـ الشملى(2)	عبد المحسن بن شامان	
4 ـ البلازية	عبد الرحمن بن معيتق	

ملاحظات

1 ـ أم القرى رقم 208، تاريخ 18 ديسمبر/ كانون الأول 1928م. بالإضافة إلى

هجرات عنزة الحجاز المذكورة في القائمة تذكر أم القرى أيضاً هجرات عنزة الشمال الذين انضموا إلى الوهابيين، ألا وهم: الشعيبيّة (= شعيبة، شمال شرق حايل) بقيادة شارع بن مجلاد (انظر الجزء الأول، ص159، وهجرة ثانية في نفس المكان بقيادة فرحان بن مشهور (انظر الجزء الأول، ص189، الملاحظة 20)، والفيضة بقيادة جريبع بن سويلم.

2 ـ إلى الجنوب من بيضا نثيل.

بلي[1]

يشكل منخفض الجوَ، الذي يمتد من الشرق بين حرة الرحا وحرة العويرض، حدوداً فاصلة من ناحية الإنتماء القبلي ومن ناحية اللهجة؛ فهو يفصل بين أهل الشمال وأهل الجنوب (أهل قبلي)[2]. وهي نفس الحدود القديمة بين جذام وقضاعة؛ إذ إن القبيلة الأولى التي نصادفها على الجانب الآخر من الجوَ والتي كانت تسكن هنا قبل الإسلام، وهي بلي، تنتمي إلى قضاعة.

وكانت هذه الجماعة السكانية تضم في الماضي في الحجاز إضافة إلى بلي كلاً من جهينة وعذرة. كانت جهينة تسكن جنوب وادي إضم (= وادي الحمد)، وكانت عذرة تسكن في الشرق على طريق الحج من حرة العويرض حتى خيبر[3].

ثم جاء كلب الذين كانوا قد انتشروا من تيما حتى دومة الجندل (الجوف) وفي عمق الصحراء السورية، وكان إلى الشمال والغرب منهم البهرا[4]. هناك خلاف

(1) الجمع: بليان.

(2) دوتي، الجزء الأول، ص418؛ انظر والين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية 1851م، ص325.

(3) انظر ياقوت، الجزء الثاني، ص267؛ الجزء الرابع، ص81؛ فوستنفلد، أماكن سكن وهجرات، ص37، 41 وما بعدها.

(4) بخصوص القبائل السورية الأخرى (سليح، وتنوخ) التي تنسب إلى قضاعة، انظر الجزء الأول، ص399 وما بعدها. أجزاء من البهرا استوطنت في العصور الوسطى في بلاد النوبة

حول أصل قضاعة: علماء مدرستي المدينة والكوفة كانوا يعتبرونهم من معد (عرب الشمال)، لكن القضاعة السوريون اعتبروا أنفسهم، لأسباب ناقشناها في الجزء الأول، ص412 وما بعدها، يمنيين ثم فرضت هذه النظرية نفسها لدى جميع قبائل قضاعة. كما أنه لا يوجد شيء مؤكد عن تاريخ هجرتهم[1]. وقد يميل المرء إلى البحث عن موطنهم الأصلي في المنطقة الواقعة خلف عسير حيث توجد قبيلتان من قضاعة هما: نهد وجرم. ولكن بما أن الروايات المتناقلة تشير إلى أن هاتين القبيلتين جاءتا إلى هناك من الشمال (من العلا)، فإن هذا الظن يفقد كل أساس له.

بقيت بلاد بلي إلى حد ما غير معروفة بالنسبة للجغرافيين العرب؛ من المواقع التي كانت لهم قرى المدينة الجبلية القديمة شغب وبدا (بدا يعقوب، بدأ؛ شغبي، شغب) وحرة (العويرض). وكان بعض عائلاتهم قد لجأوا إلى المدينة وبعضهم الآخر إلى تيما نتيجة حرب بين فخذين من أفخاذ القبيلة[2]. وفي العام التاسع للهجرة جاء وفد من بلي إلى المدينة. وهناك تقرير عن هذه البعثة لكنه لا يتضمن أي معلومات مفيدة[3]. الحدث الهام الوحيد الذي وصلنا من التاريخ المبكر لبلي

والسودان. أما الطريق التي سلكوها إلى هناك، فهي غير معروفة. ونحن نعتقد أنهم لم يمروا عبر البحر الأحمر كما يزعم ابن خلدون (صبح، الجزء الأول، ص317)؛ إذ إن قوله بأن البهرا كانوا يسكنون شمال بلي بين ينبع والعقبة، غير صحيح.

(1) في كتاب فوستنفلد، أماكن سكن وهجرات القبائل العربية، وفي مقطع من بكري يستند إلى كتاب ابن الكلبي، يدور كثير من الحديث عن قضاعة، ولكن الحكايات الواردة هناك لا تحتوي على مادة تاريخية مفيدة سوى المعلومات عن مقرات القبائل. والخيط الذي تلتف حوله هذه الحكايات غير قادر على الصمود لأن نقطة انطلاقه تستند إلى فرضية دوغمائية وهي أن جميع معد خرجوا من مكة.

(2) فوستنفلد، نفس المصدر السابق، ص29؛ ياقوت، الجزء الثاني، ص252، 2. إضافة إلى ذلك تذكر الحكايات المتناقلة العديد من عائلات بلي الأقدام في المدينة، فوستنفلد، نفس المصدر، ص28. وتجدر الإشارة إلى أنه كان يوجد في مكة أو قربها عائلة من بلي، انظر فلهاوزن، مخططات وتحضيرات، 4، ص112 وما بعدها.

(3) فلهاوزن، نفس المصدر، ص169.

هو حجرة جزء كبير من القبيلة إلى مصر؛ ويذكر بأن هذه الهجرة قد حدثت بناء على طلب الخليفة عمر (634م ـ 644م). استوطن جزء من المهاجرين في وادي النيل، بينما عاش جزء آخر حياة البداوة في الصحراء الشرقية. وبعد عدة معارك مع قبيلة جهينة التي تبعتهم إلى مصر أصبحت منطقتهم في مصر العليا تقتصر على الأرض الواقعة بين سوهاق «سوهاج» وقمولة وعلى الصحراء الشرقية حتى عيذاب[1].

يبدو أنهم تعرضوا لنفس المصير الذي تعرضت له قبائل مصر العليا التي أبيدت تقريباً في حملة تأديبية في عام 1302م؛ إذ إنهم اختفوا من هذه المنطقة منذ زمن بعيد. فقط اسمهم بقي حياً هناك في وادي "بلّي". . أما في مصر السفلى، في محافظتي الشرقية والقليوبية، فما زال هناك نحو 12000 فلاح يقولون إن أصلهم من بلي[2].

أما بلي الحجاز فقد تركوا وشأنهم. فالعلامات الحضارية القليلة التي جلبها الإسلام[3]، سقطت في القرن الثالث للهجرة، وأصبح شمال الحجاز لمدة ألف عام أرضاً معزولة لا يحكم فيها بالإضافة إلى شيوخ القبيلة سوى بعض العائلات الشريفة فقط. على الساحل كان للحكومة المصرية منذ عام 1268م (عودة طريق الحج البرية) قدر معين من السلطة، على الأقل في نطاق محطات الحج[4]. في العصر الحديث أدت الحملات العسكرية ضد الوهابيين، التي كانت الوجه، المرفأ والبلدة الوحيدة المسكونة باستمرار في المنطقة، تستخدم فيها كنهاية مرحلة، إلى

(1) المقريزي، قبائل مصرية، ص68 وما يليها.

(2) هناك مجموعة صغيرة من بلي الرحل تخيم في مصر العليا على الضفة اليمنى للنيل، بين سوهاق «سوهاج» وبلينا، جاءت من الجزيرة العربية في وقت متأخر (نهاية القرن الثامن عشر؟)؛ موري، ص292. أما بلي البررة في سيناء فهم مهاجرون عائدون من مصر.

(3) انظر ابن السكيت عند ياقوت، الجزء الثالث، ص302: مساجد في شغب وبدا.

(4) هناك حملة تأديبية ضد بلي الذين نهبوا قافلة الحج يذكرها أبو المحاسن تحت عام 842هـ/ 1438م، أبو المحاسن، نجوم، الجزء السابع، ص55.

ازدياد النفوذ المصري. وعندما حل الأتراك محل المصريين عام 1888م أرسلوا إلى الوجه قائمقاماً وبعض الجنود. لكن القائمقام التركي لم يكن له نفوذ يستحق الذكر وكان مضطراً إلى الاعتماد على شيخ مشايخ البلي سليمان ابن رفادة.

في 24 يناير/ كانون الثاني 1917م احتلت الوجه قوات انجليزية وعربية وانضم إليها جزء من بلي، لكن ابن رفادة انسحب مع 400 رجل إلى العلا واتحد مع القوات التركية الموجودة هناك. كما أن أخ ابن رفادة، الذي كان قد انضم مع 350 رجلاً إلى الشريف فيصل، التحق بعد ذلك أيضاً بالأتراك. إلا أن القبيلة انضمت في ربيع 1918م بقيادة ابني سليمان، إبراهيم وعزيز، إلى الشريف؛ وشاركت بعد ذلك في عدة عمليات ضد الخط الحديدي الحجازي[1].

في عام 1925م خضع خليفة سليمان، إبراهيم ابن رفادة، دون قتال لحاكم الحجاز الجديد، ابن سعود، الذي كان قد كسب في عام 1922م تأييد أجزاء من القبيلة[2]، واعترف به ابن سعود زعيماً لبلي. أدى هذا إلى غضب ابن عمه حامد الأعور الذي كان يعلق آمالاً على منصب الشيخ. واستغل حامد الاضطرابات التي حدثت عام 1928م في الجزيرة العربية ومهدت الطريق أمام ثورة الإخوان عام 1929م، للقيام بغزوات سلب ونهب. وبعد القضاء على ثورة الإخوان هرب إلى ما وراء الحدود، وتبعته مجموعة صغيرة من القبيلة. وكان لهذه الاضطرابات نتيجة دامية فيما بعد: ففي عام 1932م اتحد المهاجرون من بلي مع مهاجرين من الحويطات بهدف الدخول إلى الحجاز والقيام بثورة ضد آل سعود. وفي بداية مايو/ أيار عبروا الحدود عند العقبة بقيادة محمود أبو طقيقة وحامد ابن رفادة الأعور. فاتخذ الملك على الفور إجراءات مضادة شاملة. قام بنقل قوات على السفن والسيارات الشاحنة إلى ضبا، البلدة الرئيسية في الساحل الشمالي، وحشد

(1) بريموند، ص121، 157، 233.

(2) موزيل، شمال نجد، ص294، ثم الصفحة 473 أعلاه؛ أورينته مودرنو، الجزء الخامس، ص308.

هجرات العنزة وشمر وحرب والكتيبة العسكرية الموجودة في حايل، لقطع الطريق على العدو في الشرق. ثم حوصر المتمردون عند جبل الشار (شرق مويلح) وهزموا هزيمة نكراء؛ وسقط في المعركة زعيما القبيلتين (يوليو/ تموز 1932[1]).

منطقة بلي، المحددة بوادي الحمض، قاحلة وعديمة الخصوبة، ولذلك بقيت القبيلة قليلة العدد[2]. ففي الأعوام الرديئة يترك بلي منطقتهم ويبحثون عن المرعى بعيداً في الشمال؛ وفي بعض الأحيان، عام 1846م مثلاً، يصلون حتى سورية[3]. ولا تمارس الزراعة[4] إلا في واحة الكرّ شمال شرق الوجه، والكمية القليلة من أشجال النخيل في واحة بدا لا تلعب دوراً بالنسبة للتغذية. كانوا في الماضي يجلبون الحبوب عن طريق الوجه من قصير (على الساحل المصري)، ويجلبون التمور من العلا وخيبر وتيما. أما القهوة والملابس فكانوا يشترونها من السوق التي كانت تقام كل عام في موسم الحج في الحجر.

طالما كان الحجاج المصريون يذهبون إلى الحج براً، أي حتى عام 1884م، كان شيخ المشايخ يحصل على معونات من القاهرة[5]. كان مدرك بلي، أي المقطع الذي يتولون فيه المسؤولية عن أمن القافلة، يمتد في القرن التاسع عشر من ضبا حتى الوجه، وفي العهد المملوكي من (وادي) الداما حتى اكرى، على مسافة ساعة جنوب الوجه (القلقشندي، ص154). وكان بلي يتقاضون خوة من تيما والعلا. وكان بعض أفراد القبيلة يكسبون معيشتهم من نقل الأرز من الوجه إلى العلا، ثم يأخذون معهم التمور على طريق العودة (دوتي، الجزء الأول، ص153).

---

(1) الشرق الحديث، الجزي 12، ص347 وما بعدها؛ آرمسترونغ، لورد أوف آرابيا، ص273، 286؛ موري، ص133، 248؛ تاريخ بئر السبع، ص115.

(2) والين (1848م)، المجلة الجغرافية الملكية 1851م، ص323 وما يليها.

(3) قد يكون البلاونة، ص293 أعلاه، قد بقوا بعد رحلة كهذه في وادي الأردن.

(4) لورنس، ص231.

(5) ولسند (1833م)، الجزء الثاني، ص186؛ برتون، ميدين، الجزء الثاني، ص142: 800 قرش كل شهر. الصرة محددة بدقة في مرآة الحرمين، الجزء الثاني، ص341.

يعيش البلي في سلام مع جيرانهم الشماليين والجنوبيين (حويطات التهمة، بني عطية ـ جهينة، ولد علي)، وكانوا زمناً طويلاً متخاصمين مع الفقرا، باستثناء الأفخاذ: المواهيب، والسحما، والفريعات، والفواضلة، الذين كانوا "أصحاب الفقرا"[1].

انضمت إلى بلي منذ زمن طويل قبيلة من عنزة هي المواهيب. وهي تنتسب إلى سبعة، وبالفعل توجد جماعات من المواهيب عندها (وعند بني صخر). يسكن المواهيب في حرة العويرض؛ وكانوا في عام 1877م يعدّون 13 جيلاً منذ مجيئهم إلى هناك. بين حين وآخر يخيمون في مكان أبعد غرباً في منطقة تنقل السحما أو ينتقلون في السهل الشرقي بين الأخضر والحجر. يتمتعون في الحجر بحق السوق مثل الفقرا وولد علي (انظر ص496 أعلاه)، وكان شيخهم يتلقى صرة في أخضر[2].

كان المواهيب وغيرهم من أفخاذ بلي المقيمين في الشرق يدفعون بين حين وآخر ضرائب لابن رشيد[3].

---

(1) دوتي، الجزء الأول، ص335؛ هوبر، جورنال، ص485

(2) دوتي، الجزء الأول، هناك وهناك؛ هوبر، المصدر السابق، ص341.

(3) والين (1848م)، المصدر السابق، ص324؛ هوبر (1884م)، المصدر السابق، ص592.

بلي(1)

شيخ المشايخ: ابن رفادة(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المعاقلة	ابن رفادة	الوجه	
2 ـ الرموث			
3 ـ الفواضلة(3)			
4 ـ الزبالة			
5 ـ السحما(4)		حرة العويرض	40
6 ـ الوابصة		بدا؛ شغب	
7 ـ المواهيب(5)			80
8 ـ الهروف	}	حرة العويرض	
9 ـ الوحشة			
10 ـ العرادات		الفراعة(6)	

ملاحظات

1 ـ يستند الجدول إلى موزيل، شمال الحجاز، ص211، وتم استكمال المعلومات عن مناطق التنقل وعدد الخيام استناداً إلى دوتي، كتاب الجيب (الجزء الأول، ص63)، ووالين (مجلة الجمعية الجغرافية الملكية 1851م، ص324 وما بعدها).

ولم نسجل الأفخاذ الواردة عند دوتي (الجزء الأول، ص383) وفي كتاب الجيب، ولكنها غير مذكورة عند موزيل، وذلك بسبب عدم وضوح صيغ التسمية،

كما أننا لم نسجل أيضاً الفريعات الذين ورد ذكرهم عند هوبر فقط، جورنال، ص485، ولابني لوط المذكورين عند والين. قوة القبيلة حسب برتون، ميدين، الجزء الثاني، ص141: 400 "بندقية" (بلي نفسهم قالوا له: 4000)؛ بريموند، ص120: 600 خيمة.

الوسم: ━• على الأنف.

2 ـ سلسلة نسب سليمان بن رفاده (انظر الصفحة 354 أعلاه) هي، حسب هسّ، أسماء بدوية، ص5: سليمان بن عفنان بن عمار بن سليم بن رفاده بن عاقل بن حسن بن حبيقان بن معيقل. حكم أخو سليمان، محمد، في السبعينات؛ برتون، ميدين، الجزء الثاني، ص14، 123، 147 وما بعدها، 208.

3 ـ الشيخ في عام 1884م: حسن أبو ذراع، هوبر، المصدر السابق؛ قارن نفس المصدر، ص369، 377.

4 ـ هوبر، ص385: السحمة. يصعدون في الصيف إلى أعلى الحرة. الشيخ عام 1877م: مهنا وعمه "فضل"؛ 1884م: مرزوق بن رويحل (دوتي، الجزء الأول، ص383، 389؛ هوبر، ص485).

5 ـ الشيخ عام 1848م: ابن داما؛ 1877م، و1884م: طلاّق أبو شامة (والين، دوتي، هوبر).

6 ـ هكذا يكتب موزيل، والين: وادي فراع. وهو المجرى الأعلى لوادي الجزل.

جهينة[1]

تحتفظ جهينة، مثل جيرانها الجنوبيين بلّي، تقريباً بنفس المنطقة التي كانت لها في العهد العربي القديم. وهي تمتد من وادي الحمض حتى مسافة قريبة من خط المدينة ـ ينبع.

لا يوجد معلومات عن تاريخ جهينة قبل الإسلام (اللفظ الكلاسيكي لاسمها: جَهَيْنة. أما اليوم فتلفظ: جْهِينِه)، كما أن الأخبار المتناقلة عن نسبها شحيحة (ذكرنا في مقال بلي أن جهينة تنسب إلى قضاعة). ولكن هناك العديد من قرارات النبي محمد التي تلقي الضوء على سلوك القبيلة تجاه المجتمع الإسلامي الناشىء في المدينة[2]. القرار الأول، الذي يضعه شبرنغر صائباً بعد وقت قصير من غزوة بدر، هو ذو طبيعة سياسية محضة، ويقدم فيه النبي لفخذين من جهينة، للمستقرين منهم وللبدو (للبدو بشرط السلوك الحسن)، الأمان على حياتهم وأملاكهم والوقوف إلى جانبهم ضد من يهاجمهم. القرار الثاني المتعلق بفخذ آخر من جهينة يربط بين ضمان الأمن والدخول في الإسلام. أما القرار الثالث فيشترط تقيدهم بالواجبات

---

(1) الجمع: جهين.

(2) شبرنغر، حياة وتعاليم محمد، الجزء الثالث، ص151 وما يليها؛ فلها وزن، مخططات وتحضيرات، 4، ص112 وما يليها؛ كيتاني، آنالي دل إسلام، الجزء الأول، ص678 وما يليها.

الإسلامية وتخليهم عن عبادة الأصنام. يتضح من هذه القرارات أن جهينة كانت منذ البداية حريصة على علاقات جيدة مع النبي، لكن اعتناقها الإسلام امتد على أعوام عديدة إذ إن القرار الثالث يجب أن يكون قد صدر بعد فتح مكة (8هـ/ 630م) والتخلص من المشركين. هناك العديد من المنح النبوية للأراضي تشير إلى أن الزراعة اكتسبت عند جهينة في العهد الإسلامي أهمية متزايدة، وهناك مصادر أخرى تفيد بأن كثيراً من أبناء القبيلة انتقلوا إلى المدينة وانضموا إلى المجتمع الإسلامي هناك، أي أنهم التزموا أيضاً بواجب الخدمة الحربية.

أسفرت حركة الهجرة الواسعة التي بدأت في عهد الخليفة عمر (634م ـ 644م) عن هجرة جزء كبير من القبيلة إلى مصر. كان الهدف قد اتضح من مثال بلي، لكن هجرة جهينة لم تكن، كهجرة بلي، بأمر من الخليفة. كان جزء من المهاجرين قد انضم إلى الجيش: يذكر أن 600 رجل من جهينة اشتركوا في الحملة الأولى ضد ليبيا (647م). أما البقية فقد استوطنوا قرب أخميم. وفي القرن الحادي عشر الميلادي كانوا أهم قبيلة في مصر العليا. وفي القرن الرابع عشر دخلت جهينة إلى مملكة النوبة المسيحية ثم دخلوا في القرن التالي إلى السودان. وخلطوا دمهم مع دم السكان المحليين. ويقول ابن خلدون أن شيوخهم تزوجوا بنات ملوك النوبة وبثوا فيهم الروح العسكرية. ويعود البقارة السود في درفر ووداي، وكثير من القبائل الأخرى في السودان، أصلهم إلى جهينة. وفي مصر العليا لم تزل توجد مستوطنة صغيرة من جهينة قرب دشنة؛ وكانت مستوطنة أخرى عند بير "قاي" على ساحل البحر الأحمر قد اختفت منذ زمن طويل[1].

تابع جهينة الحجاز حياتهم على الطريقة القديمة. فالحروب الأهلية التي وقعت في القرن الأول للهجرة لم تؤثر على منطقتهم[2]. ولقد سبق وتحدثنا عن

(1) عن تاريخ هجرات جهينة في مصر والسودان يتحدث مقال سي. هـ. بيكر، عن تاريخ شرقي السودان، الإسلام، الجزء الأول، ص153 وما بعدها؛ انظر أيضاً مقالة "جهينة" في المجلة الإسلامية اسكلوبديا، وموري، ص24 وما بعدها، 298.

(2) هناك رواية تقول أن النبي قال عن جبال جهينة: "إنها من جبال الجنة ولن تمسها حرب أهلية أبداً".

الازدهار الزراعي. كان كبار ملاك الأراضي قد أصبحوا في هذه الأثناء من العلويين. وكان علي نفسه قد أمر ببناء منشآت الري الأولى في ينبع (= ينبع النخل) التي أصبحت بعد ذلك أكبر مستوطنة لجهينة وبقيت كذلك حتى الوقت الحاضر. في الجيل التالي فقد العلويون هذه الأملاك ولكن العباسيين أعادوها لهم فيما بعد، وبالتحديد للحسنيين منهم[1]. كان نفوذ هؤلاء الملاك على البدو كبيراً ولاسيما أنهم لم يعودوا يسكنون، كما في الجيل الأول، في المدينة وإنما في المزارع أو كانوا قد تحولوا إلى حياة البداوة. وعلى أي حال فقد نجح أشراف ينبع في أخذ مكان شيوخ جهينة ومازالوا حتى اليوم يمارسون السلطة العليا على القبيلة.

وتجدر الإشارة إلى أنه قد خرج من عائلتهم ذلك القتادة الذي أصبح بعيد عام 1200م سيد مكة وأسس أسرة الأشراف التي حكمت مكة زمناً طويلاً. ولم يقطع أشراف ينبع أبداً صلتهم بأبناء عمهم أشراف مكة، ولذلك بقي الجهينيون في جميع الأوقات رعايا مخلصين لشريف مكة، أيضاً خلال الحكم الوهابي (1803م/ 1804م ـ 1811م) وخلال الإحتلال المصري (1811م ـ 1840م)[2]. وفي النزاعات التي كانت تحدث كثيراً بين شريف مكة والأتراك كان في وسع الشريف دوماً وأبداً الاعتماد على جهينة الذين كان شيخهم مفوضاً عاماً له في ينبع[3].

في الحرب العالمية أيضاً أعلنت جهينة وقوفهم إلى جانب الشريف. في بادىء الأمر اتخذ "أمير" هم محمد بن علي البديوي وأخوه الأسود غير الشقيق عبد الكريم موقفاً فاتراً بعض الشيء لأنهما كانا يغاران من فيصل ـ ويقال بأنهما كانا

(1) في البداية لعبد الله بن حسن بن حسن، ثم في وقت لاحق لحسن بن زيد بن حسن بن عبد الله بن حسن؛ كان أحفاده يملكون سويقة أيضاً؛ انظر فوستنفلد، الطرق الرئيسية المنطلقة من المدينة، ص74 وما بعدها؛ منطقة المدينة، ص7. تقع سويقة، التي كانت منذ أكثر من ألف عام مقفرة، على طريق الحج من المدينة إلى مكة أو ينبع؛ مجلة الجمعية الجغرافية الملكية 1854م، ص223. يجب عدم الخلط بينها وبين القرية الواقعة قرب ينبع وتحمل نفس الإسم.

(2) بوركهاردت، ص324.

(3) سنوك ـ هورغرونيه، مكة، الجزء الأول، ص217؛ مرآة الحرمين، الجزء الثاني، ص3.

السبب في هزيمته في ينبع النخل (ديسمبر/ كانون الأول 1916م) ـ لا بل إن قاضي القبيلة دخيل الله القاضي اعتبره عميلاً للأتراك. ولكن في وقت لاحق قدم عبد الكريم وغيره من الزعماء (وأيضاً دخيل الله وابنه محمد) خدمات هائلة لفيصل وعبد الله[1]. على الرغم من ذلك رضخت القبيلة في عام 1925م دون مقاومة لملك الجزيرة العربية الحالي[2].

لجهينة علاقات طيبة مع جيرانهم وأقربائهم الشماليين بلي. أما مع حرب، الذين يختلطون معهم فوق المدينة وعلى خط المدينة ـ ينبع، فهم متعادون منذ قديم الزمان. وأما علاقتهم مع جيرانهم في الشمال الشرقي ولد علي فهي غير معروفة. وكان الجهينيون البدو يدفعون خوة للفقرا (شاة واحدة على كل خيمة)، وكان الفقرا يعتبرون الجهينيين المستقرين أعداء[3].

يبدو أن البدو الرحل لا يشكلون إلا جزءاً ضئيلاً من القبيلة. وتمتد قرى الجهينيين المستقرين من ينبع النخل (نخل مبارك) حتى عمق المناطق الواقعة خلفها (زراعة وتربية النخيل). وبين سكان مرفأ ينبع يوجد أيضاً جماعات من جهينة، كما أن جهينة ممثلون أيضاً في الواحات الداخلية، واحة خيبر مثلاً. يعمل كثير من جهينة في صيد السمك وصيد اللؤلؤ وفي مهنة البحارة[4]. قبل ذلك كانت القبيلة تتلقى بعض الواردات من الصرة، وخاصة الصرة المصرية، التي كانت تدفع لهم أيضاً بعد عام 1884م عن المقطع المدينة ـ ينبع. وكانوا مسؤولين عن المقطع الأخير من الخط الحديدي الحجازي[5].

---

(1) لورنس، ص106، 117، 128 وما بعدها، 133، 149، 153، 173، 197 وما بعدها.

(2) أورينته مودرنو الشرق الحديث 1925م، ص306.

(3) بوركهاردت، ص324؛ دوتي، الجزء الأول، ص335؛ الجزء الثاني، ص181؛ هوبر، جورنال، ص485.

(4) برتون، مناجم الذهب، ص123؛ موري، ص299.

(5) بوركهاردت، ص324؛ مرآة الحرمين، الجزء الثاني، ص341؛ كتاب الجيب (هاندبوك)، الجزء الأول، ص63.

تقول حكاية شيعية(*) أن الإمام محمد ابن الحنفية يبقى مختبئاً في مغارة في جبل رضوى الواقع خلف ينبع إلى أن يظهر ويقود قضية آل علي إلى النصر؛ وهو يتغذى هناك من العسل والماء وتحيط به الأسود والغزلان التي تعيش مع بعضها بسلام. ولقد خبت هذه الحكاية منذ زمن طويل، واليوم يتحدث الناس عن أناس متوحشين يسكنون في هذه الجبال. إضافة إلى ذلك ينسب إلى جهينة كثير من الأشياء الغريبة، ومنها مثلاً أنهم يعقدون الزواج بكسر عصا خشبية وأنهم لا يأكلون لحم الأرنب[1]. وقد يكون عدم أكلهم لحم الأرنب صحيحاً، لأن الأرنب محرم لدى كثير من الطوائف الشيعية، وجهينة كانوا بالتأكيد في العصور الوسطى شيعة مثل أسيادهم الأشراف.

ينقسم أشراف ينبع، الذين يمكن اعتبارهم شيوخ جهينة (انظر الصفحة 516 أعلاه)، إلى أسرتين هما: العياشي (عيايشة) وذوي هجّار. قبل الحرب العالمية كان جابر بن حمد العياشي[2] في ينبع رئيس القبيلة، ولكن الأتراك اعترفوا في وقت لاحق بمحمد بن علي بن بديوي الحجاري في ينبع البحر شيخاً لجهينة[3].

وعلى الرغم من ذلك وقف في عام 1916م إلى جانب الشريف حسين، كما رأينا أعلاه.

يعتقد أن عدد العياشي كبير، ففي عام 1917م اشترك منهم في المعركة 300

(*) لا يفصح المؤلف عن ذكر أي فرقه شيعيه يقصدها. وعند مراجعة الكتب المتعلقة بالملل والنحل والمذاهب وجدنا احدى الفرق الشيعية وهم الكيسانية وفروعها تربط معتقداتها مع محمد ابن الحنفية فقد ذكر المسعودي في مروج الذهب ص86 ج3 تنازعت الكيسانية بعد قولهم بإمامة محمد ابن الحنفية: فمنهم من قطع بموته ومنهم من زعم أنه لم يمت وانهُ حيٌّ في جبال (رضوى). ماجد شبَّر.

(1) دوتي، الجزء الثاني، ص181؛ م. صادق، كوكب الحج، ص59.

(2) ورد ذكر أبيه عند سنوك، الجزء الأول، ص219، لكنه ذكر أن شيخ المشايخ كان الشريف شرف ابن عبد المنعم.

(3) شكيب أرسلان، ارتسامات، ص274.

جمّال (على الجمال) (لورنس، ص153).

كما أن بني إبراهيم هم أيضاً من أصل شريف (آ 14 في الجدول)، إذ إنه من الصعب فصلهم عن قبيلة تحمل نفس الإسم كانت في العصور الوسطى تسكن في السويق قرب ينبع النخل وتعيد أصلها إلى أحد أخوة محمد النفس الزكية (انظر الصفحة 584 أدناه). وكان بنو إبراهيم قد أرسلوا في عام 908هـ/ 1502م ـ 1503م، بسبب خلافات داخل عائلة الشريف الأكبر، قوات تصرفت في مكة بصورة مخزية. وبعد ثلاثة أعوام أحدثوا اضطرابات في منطقتهم أدت إلى عدم مجيء قافلتي الحج المصرية والسورية في ذلك العام[1].

(1) سمهودي، الجزء الثاني، ص326، حوليات مكة، الجزء الرابع، ص297؛ ابن إياس، الجزء الرابع، ص89.

جهينة(1)

آ ـ بني مالك

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ عروة(2)		العين ـ الملاليح(3)	
2 ـ رفاعة(4)		ينبع	
3 ـ الحصينات			
4 ـ المساوى(5)			
5 ـ الصيادلة		العقمية ـ الجابرية (السويق)	
6 ـ بني كلب(6)			
7 ـ حمدة			
8 ـ ثقافة(7)			
9 ـ القضاة			
10 ـ الصيادى			
11 ـ الاساورة			
12 ـ السنانى			
13 ـ الريباوي		ينبع البحر ـ ينبع النخل	
14 ـ بني إبراهيم			

ب ـ أولاد موسى

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المراوين			
2 ـ العلاوين		املج ـ ينبع	
3 ـ نزّة(8)		أملج	
4 ـ فوايدة(9)		أملج	
5 ـ العقيبي(10)			
6 ـ ذبيان(11)		السويق ـ خيف حسين	
7 ـ المحيّاوي(12)			
8 ـ العامري(13)		أم هشيم ـ المقرح	
9 ـ الزايدي		المقرح ـ العين	

ملاحظات

1 ـ المعلومات المتعلقة بأقسام القبيلة وفروعها، والواردة عند دوتي، سجل جهينة؛ وعند سنوك هورغرونيه، مكة، الجزء الأول، ص219؛ وفي كتاب الجيب (هاندبوك)، الجزء الأول، ص63 وما بعدها؛ وعند أيوب صبري، الجزء الثالث، ص273 وما بعدها (نقلها بتنوني، الجزء الأول، ص51، مع بعض الأخطاء المطبعية)؛ وعند شكيب أرسلان، ارتسامات، ص274 وما بعدها (استناداً إلى سجل تركي من المدينة يعود إلى ما قبل الحرب)، وعند فؤاد حمزة، ص137 وما بعدها، متباينة جداً بحيث بدا من الأفضل عدم تسجيل في الجدول إلا الوحدات الواردة في أكثر من مصدر. ولم نذكر الصبحة والموال (فؤاد حمزة: الموالي) لأن صبري صنف الصبحة تحت بني مالك (آ) وصنف الموال تحت أولاد موسى (ب)؛

بينما صنفهما شكيب أرسلان بالعكس (والموالي صنفهم فؤاد حمزة أيضاً بالعكس). ووضع فؤاد حمزة تحت آ، بالإضافة إلى الفروع 1، 2، 6، 14، كلاً من الزوايدة، والعوامرة، والقوفة مع 9، و13، والعياشة (انظر الصفحة 361 أعلاه) مع 4 و5 و10 كفروع، ووضع تحت ب، بالإضافة إلى 4 و6، كلاً من الغنيم، والغيمة، والحبيش، والسمرة "الاسم المفرد (نسبة) يستخدم هنا ثمان مرات كإسم للقبيلة، منها أربع مرات إلى جانب الصيغ المعتادة". وينطبق شيء مشابه على جيرانهم الشماليين حرب، وهنا نجد قبل النسب (جمع نسبه).

المعلومات المتعلقة بمناطق التنقل مأخوذة من كتاب الجيب (هاندبوك) ومن مرآة الحرمين، الجزء الثاني، ص103 وما بعدها.

قوة القبيلة، حسب بوركهاردت، ص324: 8000 مسلح؛ حسب قائمة شبرنغر رقم 52: 10500 مسلح. حسب أيوب صبري: 50000 نسمة. ديوتي يذكر 600 خيمة ولكن هذا العدد لا يشمل على الأرجح سوى البدو الرحل.

الوسم: (ديوتي، الجزء الأول، ص125)؛ وسم أشراف الجهينة: (مرآة، نفس المصدر).

2 ـ الوسم: على الرقبة خلف الأذن اليمنى.

3 ـ آبار نصيف، مرآة الحرمين، الجزء الثاني، ص101.

4 ـ فوستنفلد، الجدول 1، 24 أو 25؟ كتيبة القبيلة كان عددها عام 1917 نحو 1000 رجل، لورنس، ص153.

5 ـ سنوك: الجمع: مساوة؛ فؤاد حمزة: مساوية.

6 ـ عند دوتي "كليبات"، عند سكيب ارسلان: بني كليب.

7 ـ عند دوتي: "الثقيف". في الجزء الثاني، ص174 يقول إن أفراد هذه القبيلة يعيّرون بأنهم يهود.

8 ـ سنوك: "نزة" (النسبة: نزاوي): في كتاب الجيب (هاندبوك) منسوبون إلى آ.

9 ـ انظر برتون، ميدين، الجزء الثاني، ص27.

10 ـ سنوك، جماعي عقب.

11 ـ فوستنفلد، الجدول 1، 20؟ سنوك: "دبيان"؛ دوتي: "زبيان"؛ هاند بوك: "«تبياني"؛ مرأة، نفس المصدر: ظبيان؛ شكيب أرسلان: ذبيان. الوسم: ┌──┐ على الجهة اليمنى من الرأس.

12 ـ سنوك: جماعي محيّا.

13 ـ أيوب صبري: عوامرة، فؤاد حمزة ينسبهم إلى آ.

حرب[1]

ينتمي جميع سكان الشريط الواقع بين المدينة ومكة، بلا استثناء تقريباً، إلى حرب الذين جاؤوا في أواخر القرن التاسع«الميلادي» من جنوبي الجزيرة العربية وامتصوا القبائل التي كانت موجودة في هذه المنطقة قبل ذلك. سمعتهم ليست على ما يرام لأنهم يبتزون الحجاج وينهبونهم.

لا توجد معلومات دقيقة عن الموطن الضيق لحرب ولا عن أصلهم[2].

(1) في الاستعمال اللغوي القديم وفي لغة عنزة اليوم: بني حرب. انظر دوتي، الحزء الثاني، ص591. الجمع: حروب.

(2) يذكر إصطخري، ص22، أصلهم اليمني فقط. يذكر الهمداني، ص69، 95، 166، عدة قبائل جنوبية بهذا الإسم دون ذكر أي صلة لها مع قبائل غرب الجزيرة (ص120، 130): 1 ـ حرب (بني حرب) بن عبد ود بن وادعة = بني صريم وبني ربيعة. لم يزل بنو صريم، فرع من حاشد، يعيشون حتى اليوم في السراه. 2 ـ بنو حرب بن علا، فرع من مذحج. 3 ـ بنو حرب الهون بن جرم (قضاعة)، إلا أن الأخيرين كانوا في زمن «الهمداني قد تركوا مقرهم في جنوبي الجزيرة العربية وذهبوا إلى الشمال إلى منطقة الطريق، حرب، على سبيل المثال، إلى عقيق، تمرة الحالية في وادي الدواسر؛ انظر الهمداني، ص139، 151، 163، وبخصوص القرى المذكورة هنا، فيلبي، الجزء الثاني، ص22، 282 وما بعدها.

تجدر الإشارة إلى أن ابن خلدون، الجزء الرابع، ص109، ينسب حرب إلى زبيد. أما ادعاء ابن سعيد، صبح، الجزء الأول، ص341، بأن حرب هم بنو هلال، فيبدو بعيد الإحتمال.

أول تاريخ نسمع فيه عن حرب في الحجاز يعود إلى عام 300هـ. قام حرب آنذاك بضرب حاكم مكة، وأخذه أسيراً. يشير هذا اليوم، "يوم معركة سرف الأناية"[1]، الذي سبقه يوم الحرة، إلى أن حرب ظهروا في الحجاز منذ البداية بمظهر الجماعة المشاغبة. عن مدى انتشارهم لا نستطيع ذكر سوى تكهنات غير مؤكدة.

عندما جاءت حرب وجدوا بين مكة والمدينة خليطاً شديداً من السكان: على الساحل كانت كنانة وخزاعة، وأبعد في الشمال جهينة، وعند المدينة مزينة وفي الحرات الشرقية سُلَيم. أضيف إلى ذلك القبائل التي تشكلت في العهد الإسلامي: الحسنيون قرب ينبع والجعفريون في محافظة الفرع[2]. إلا أن جميع هذه القبائل باستثناء الأخيرتين، الحسنيين والجعفريين، كانت قد ضعفت جداً بسبب الهجرة التي بدأت مع الإسلام وهذا يوضح السبب الذي جعل قبيلة حرب الغريبة تتمكن من طرد جزء من هذه القبائل وامتصاص جزء آخر. هاجرت كنانة إلى الجنوب[3]، ويبدو أن جزءاً من خزاعة اندمج مع حرب (انظر ص539 أدناه). أما جهينة فقد انسحبت إلى شمال خط المدينة ـ ينبع. ولم يصطدم الحسنيون مع حرب لأنهم خرجوا من صفوف القبائل البدوية وصعدوا إلى مرتبة أمراء مكة. أما أقرباؤهم الجعفريون فقد هبطوا إلى رعايا تابعين لحرب ثم هاجر معظمهم في وقت لاحق إلى مصر[4]. وأما مُزَيْنة فقد انضموا كتلة واحدة تحت اسمهم القديم (اللفظ

---

(1) حوليات مكة، الجزء الثاني، ص203، استناداً إلى الهمداني، إكليل، الذي يعتمد بخصوص معارك حرب هذه على رجل معاصر هو أبو جعفر ابن المخاعي. أما حاكم مكة ذو العلاقة، ابن ملاحظ، فهو فيما عدا ذلك غير معروف، أي أن التاريخ لا يمكن تحديده بدقة.

(2) لا يمكن تحديد موقع هذه المنطقة بدقة لأن الاسم يعبر عن منطقة إدارية تغيرت حدودها مراراً. بخصوص الموقع التقريبي انظر ص478 ـ 479 أعلاه.

(3) انظر مقال "قبائل المنطقة الحدودية" أدناه. هناك على الأقل مؤشرات تدل على أن تغيير كنانة لمكان إقامتها، الذي ورد ذكره لأول مرة عند الهمداني، له علاقة بمجيء حرب.

(4) انظر مقال "أشراف"، المقطع الأول، الجزء الأخير، وانظر ص498 أعلاه.

الحديث: مُزينة) إلى مجمع حرب. وأما سُلَيْم فقد هاجر بعضهم[1] والباقون فقدوا اسمهم، لكن عدة أفخاذ من حرب تعيد أصلها إلى تلك القبيلة، ومنهم على سبيل

(1) في عهد الخليفة هشام (على الأرجح في عام 109هـ/ 727م) قام المدير المالي في مصر بتوطين 100 عائلة من سُلَيْم مع 300 عائلة أخرى من أصل قيسي في شرقي الدلتا قرب بلبس. ونتيجة الشروط الجيدة التي منحت لهم التحق بهم خلال وقت قصير ثلاثة أضعاف هذا العدد من أبناء قبائلهم (كندي، حكام وقضاة مصر، ص76 وما بعدها). تكاثر هؤلاء السُلَيْم المصريون بسرعة وانتشروا في وقت لاحق في أجزاء أخرى من مصر. في مصر العليا كانت في أواخر العصور الوسطى لم تزل توجد مجموعات من سليم، وكذلك في محافظة بحيرة في غربي الدلتا. يعتقد أن هذه المحافظة كانت في العصور الوسطى المقر الرئيسي للقبيلة. فمن هنا انطلق السُلَيم في منتصف القرن الحادي عشر برفقة بني هلال (انظر مقال: قبائل صغيرة عند مكة والطائف) نحو الغرب واحتلوا خلال أعوام قليلة برقة وطرابلس. وفي نهاية القرن الثاني عشر «الميلادي» دخلوا إلى تونس، وخلال القرون وصلت جماعات متفرقة من قبائلهم إلى عمق السودان؛ ابن خلدون، البربر، الجزء الأول، ص134 وما يليها. (زعم ابن خلدون، ص29 و135، أن الخليفة الفاطمي العزيز (975م ـ 996م) هو الذي جلب السُليمَ (وبني هلال) من الجزيرة العربية إلى مصر، لا أساس له من الصحة)؛ ج. مارسيه، العرب في. . . في القرن الحادي عشر حتى القرن الرابع عشر؛ المجلة الإسلامية الاسكلوبديا، تونس.

لم تؤد هذه الهجرة إلى إضعاف السُلَيم العرب إضعافاً كبيراً. ففي عام 230هـ/ 845م أصبحوا في المنطقة المجاورة للمدينة بسبب تجاوزاتهم المتكررة مزعجين إلى درجة أن الحكومة المركزية رأت نفسها مضطرة إلى التدخل. لكن السُلَيم قضوا في البداية على كتيبة الشرطة التي أرسلت لتأديبهم، غير أن الجنرال بُغا تمكن من إخضاع القبيلة بعد انتصاره عليها قرب (السوارقية). وتم أسر نحو 1000 سُلَيمي وهلالي أخذوا رهائن إلى المدينة حيث قتلوا جميعهم تقريباً إثر محاولة هروب من الأسر (الطبري، الجزء الثالث، ص1335 وما يليها).

في العهد القرمطي كان سليم ينهبون القوافل بموافقة أسيادهم القرامطة. لكنهم كانوا في بعض الأحيان يبالغون في أداء الخدمة. ففي عام 355هـ/ 966م اضطر زعيم القرامطة، الذي كان قد تعهد بضمان أمن قافلة الحج المصرية مقابل مبلغ من المال، إلى إرسال 200 حمل من البضائع إلى القاهرة كان سليم قد نهبوها من الحجاج؛ كندي، نفس المصدر، ص297. منذئذ يختلط تاريخ سليم مع تاريخ حرب. أيوب صبري، الجزء الثالث، ص280 وما بعدها، وحده يذكر قبيلة سليم بين حاذه ومكة على طريق السلطان الشرقية، بينما يذكر المقريزي، قبائل عربية، ص85، قارن صبح "الجزء الرابع"، ص260، قبيلة سليم بين رابغ وخليص.

المثال: عوف[1] (ب I) والأحامدة[2] (آ I I). وليس معروفاً متى انضم زبيد (ب III) إلى حرب. كنا في الجزء الأول من هذا الكتاب (ص279) قد افترضنا أنهم رافقوا حرباً خلال رحلتهم من جنوب الجزيرة العربية إلى الحجاز. لكن هذا الافتراض غير أكيد لأن زبيداً لا يوجد دليل أكيد على وجودهم في الحجاز إلا في بداية القرن الثالث عشر الميلادي.

يبدو أن تاريخ هجرة حرب كان، بدخولهم المنطقة الواقعة بين مكة والمدينة، قد اختتم لفترة طويلة من الزمن، بصرف النظر عن بعض الانزياحات الطفيفة[3]. في العصر الحديث انتقلت مجموعات صغيرة منهم إلى الشمال حيث نصادفهم في بلاد ما بين الرافدين (انظر الجزء الأول، ص373 وما يليها) وفي شبه جزيرة سيناء (انظر ص232، 233). لكن الكتلة الرئيسية من القبيلة لم تتحرك إلا في العهد الوهابي. فقد انتشرت نحو وسط الجزيرة العربية متبعة مجرى وادي الرمة. وسنعالج حرباً الموجودين هناك في الجزء الثالث من هذا الكتاب.

لم تكن الشروط المعيشية التي وجدها حرب في الحجاز جيدة. فالأراضي الواقعة بين مكة والمدينة غير مناسبة لتربية الإبل. في السهل الساحلي وفي ناحية الفرع يوجد بعض المواقع الصالحة للزراعة وتربية أشجار النخيل. لكن هذه الأراضي الخصبة كانت قد عانت قبل وصول حرب من الحملات التأديبية ضد العلويين الثائرين[4]، ثم تعرضت لمزيد من الدمار في عهد القرامطة. نتيجة لهذه الشروط غير المناسبة اكتسبت الجمارك المفروضة على قوافل الحج بالنسبة لحرب

(1) فوستنفلد، الجدول جي 12، 13، يذكر عائلتين بهذا الاسم، لا بل إن المقريزي، قبائل عربية، ص71، يذكر ثلاث عائلات.

(2) أيوب صبري، الجزء الثالث، ص281.

(3) هكذا كان زبيد، الذين يبدأون اليوم عند راغب، يسكنون سابقاً في الشمال بين صفرا ورابغ؛ المقريزي، قبائل عربية، ص85، محمد اديب، ص136، والملاحظة الثالثة قبل الأخيرة تفيد بأن منطقة زبيد الحالية كان سُلَيم يسكنون فيها في القرن الرابع عشر.

(4) انظر، مثلاً، فوستنفلد، الطرق العسكرية الخارجية من المدينة، ص29، 36.

أهمية أكبر من أهميتها بالنسبة للقبائل الأخرى. يجب على المرء أن يضع هذه الحقيقة أمام عينيه عندما يريد تكوين حكم صحيح عن الشكاوى التي يبديها الحجاج ضد حرب. وسوف نتحدث فيما يلي عن الأسباب التي لا تبرر فعلاً بأي حال التصرفات الابتزازية التي كانت تمارسها القبيلة، ولكنها تجعلها مفهومة.

تبدأ الشكاوى من تصرفات حرب في العصر الحديث[1] فقط. ويعود السبب في ذلك إلى أن الطريق التي كانت تسلكها قوافل الحج السورية والمصرية خلال العهد المملوكي، درب السلطاني الغربية، لم تكن تمر في منطقة حرب، وبالتحديد في منطقة القبائل الفرعية زبيد وسُليم وبني جابر، إلا في السهل الساحلي من فوق رابغ حتى ما قبل خليص وعلى مسافة قريبة تحت عسفان، بينما كان المقطع الرئيسي منها يمر في منطقة الإمارات الشريفية الصغيرة: ينبع ـ صفرا (بدر)، خليص[2]. بعد سقوط هذه الإمارات في بداية العصر الحديث توفرت الإمكانية لحدوث نزاعات مع حرب. وخلال القرون الأولى من الحكم العثماني تم تفادي مثل هذه النزاعات، أي أن النظام التقليدي ـ درك، "كفالة"، البدو وصرة الحكومة ـ كان فعالاً. حصلت هذه النزاعات على دوافعها الأولى في منتصف القرن الثامن عشر بسبب التصرف العنفوي، لا بل الخياني، لقائدين من قادة قوافل الحج.

في عام 1171هـ/ 1758م هاجم أمير الحج السوري، تشيتجي عبد الله باشا، في مضيق الجديدة ودون أي مبرر قبيلة حرب، التي كانت حسب المعلومات التركية تنوي الإعتداء على القافلة، ولكنها في الحقيقة لم تكن تبتغي من وراء تجمع

(1) يبدو أنه لا توجد أي شكاوى في حوليات العهد المملوكي. كما أن المصادر الأقدم تبقى حيادية تماماً، على سبيل المثال: الحريري، المقامة السادسة والعشرون. الوثيقة الوحيدة ضد حرب موجودة عند أبو الفدا، جغرافيا، الجزء الثاني 1، ص130: إن طريق الفرعي غير آمن بسبب أعمال السلب والنهب.

(2) المقريزي، قبائل مصرية، ص85، ومقال "أشراف"، المقطع: الأسر الشريفية الحاكمة في غربي الجزيرة العربية.

عدد من رجالها سوى استلام الصرة المتفق عليها رسمياً. وتم في هذا الهجوم قتل 25 شيخاً من حرب من بينهم شيخ المشايخ[1]. وبعد أعوام قليلة (1174هـ/ 1761م) تصرف قائد القافلة المصرية، حسين بك كشكش، بشكل أسوأ. فعندما وصل إلى أحد المعابر الضيقة حيث كان البدو ينتظرونه للمطالبة بالصرة احتال عليهم وطلب منهم انتظاره في المحطة القادمة كي يدفع لهم. وعندما اصطفوا هناك لاستلام حقهم قام بقتل زعمائهم ـ أكثر من 20 شيخاً بينهم شيخ المشايخ مرة أخرى[2]. لاحق حرب القافلة طلباً للثأر ولكن محاولاتهم اليائسة باءت بالفشل بسبب الاحتياطات التي اتخذها الأمير. قاد هذا الرجل القافلة إلى الجزيرة العربية ثلاث مرات وبفضل شجاعته والقوة العسكرية المرافقة له ـ 300 جندي مملوكي وحفنة من المغاربة[3] تمكن من صد جميع محاولات حرب الوصول إلى حقهم. لا شك في أن هذين الأميرين تصرفا بشجاعة ولكن تصرفهم كان، كما يلاحظ نيبور، نفس المصدر، مصيباً، يخدم مصلحتهما الشخصية أكثر مما يخدم مصلحة الدولة[4]. إذ إن الأمبراطورية العثمانية لم تكن تملك الرجال ولا الوسائل لفرض نفسها في الجزيرة العربية على المدى الدائم بالقوة. ظل الخوف الذي خلفته العمليات فعالاً عاماً واحداً بعد انتهاء فترة حكم الرجلين، وبعد ذلك ظهرت النتائج. فقد انعدمت الثقة ولم تعد طريق الحج آمنة.

ولكن كانت هناك أيضاً ظروف أخرى ساهمت في نسف النظام القديم الذي كان ينظم العلاقة بين الحجاج والبدو، وبالتحديد حرب. إذ كان في وسع القافلتين

---

(1) واصف، الجزء الأول، ص142؛ انظر GOR، الجزء الثامن، ص217 وما بعدها. مرادي، الجزء الثالث، ص18 وما بعدها، يذكر كتاباً مخصصاً لهذا الانتصار التركي: السيد جعفر البرزنجي، النفح الفرجي في الفتح التشينجي. «الجيتجي».

(2) الجبرتي، الجزء الثاني، ص216 وما بعدها. نيبور، جزيرة العرب (آرابين)، ص382 وما بعدها، أو بالأحرى المصدر الذي اعتمد عليه، نسب هذه الحادثة خطأ إلى تشيتجي عبد الله.

(3) من شمال غرب إفريقيا.

(4) بكاوات المماليك أيضاً ونجوا رفاقهم على هذه الأفعال! الجبرتي، نفس المصدر.

السورية والمصرية الإختيار، عند زيارتهما للمدينة على طريق العودة، بين ثلاث طرق. وإذا ما سلكت القافلة طريقاً جديدة استحق للبدو المقيمين حول هذه الطريق صرة (جديدة) دون أن يسقط حق البدو المجاورين للطريق القديمة. إذ إن الدفع لمرة واحدة يعني حسب المفهوم الشرقي السائد عموماً التزاماً دائماً. وعلينا أن نتصور حجم الأعباء التي ستنجم عن ذلك: فقد كانت قبائل حرب ذات العلاقة تطالب بمستحقاتها عن جميع الأعوام الماضية عندما تسلك قافلة الطريق القديمة. وعندما كان قائد القافلة يرفض الدفع كان حرب يهاجمون القافلة أو يقطعون عليها الطريق. وكان يحدث الشيء نفسه في حال عدم دفع كامل الصرة في العام السابق أو في حال عدم مجيء الحجاج إطلاقاً لسبب من الأسباب. فقد أرغمت، مثلاً، أول قافلة حج جاءت من سورية (1813م) بعد احتلال الوهابيين للحجاز، على دفع الصرة عن عشرة أعوام، وهي الأعوام العشرة السابقة التي انقطع فيها الحج[1].

وكما تبين تقارير إبراهيم رفعت باشا[2]، الذي قاد قافلة الحج المصرية أربع مرات (1901م، 1903م، 1904م، 1908م)، لم تطرأ حتى الحرب العالمية تغيرات كثيرة على هذه الظروف. وعند التحول من الطريق البرية إلى الطريق البحرية أصيبت مصالح حرب بضرر بالغ، لأن المقطع ينبع ـ مكة التغى والرحلة البرية أصبحت تقتصر على المقطع القصير ينبع ـ المدينة ـ ينبع أو الوجه. إلا أنه يبدو أنهم ظلوا في بادىء الأمر يدفعون للبدو مبالغهم القديمة؛ فالموازنة العامة لعام 1307هـ/ 1889م تضع في حسابها، بالإضافة إلى قبائل درب الفرعي، من أجل السفر من مكة إلى المدينة، أيضاً قبائل درب السلطاني التي كانت القافلة في السابق تسلكها على طريق الذهاب. كان مجموع المبالغ المخصصة لحرب[3] نحو 1100

(1) بوركهاردت، ص518.

(2) مرآة الحرمين، الجزء الأول، ص377؛ الجزء الثاني، ص22، 26 وما يليها، 41، 88، 205، 211، 342 وما يليها.

(3) لا يمكن إعطاء معلومات دقيقة لأن الموازنة لم تكن تذكر دائماً القبيلة التي ينتمي إليها الأشخاص الذين يقبضون المبالغ.

جنيه مصري[1] كانت حصة الأسد فيها من نصيب قبيلة الأحامدة. لكن هذه التسوية المرحلية لم تدم طويلاً. ومنذ اللحظة التي ألغيت فيها أصبحت قضية التعويض في حال تغيير الطريق حامية. أما دفع مرتب ثابت لا علاقة له بمرور الحجاج فلم يكن يدفع إلا لشيخ الأحامدة الذين يسيطرون على مداخل المدينة[2].

وعلى أي حال كان يتعين على أمير الحج أن يجد الطريقة التي يخلص بها نفسه. ففي عام 1901م مرت القافلة على الطريق الشرقية بسلام بعد الإصابة بأضرار طفيفة وفي عام 1903م طالبوها على طريق ينبع ـ المدينة بدفع تعويضات عن 25 لا بل 30 عاماً، وفي النهاية سمحوا لها بالمرور بعد دفع 408 جنيه مصري. لكن الأمور كانت أصعب في عام 1908م لأن حرباً كانوا قلقين جداً بسبب بناء الخط الحديدي الحجازي: فعلى الطريق المارة عبر خلص والمؤدية من رابغ إلى المدينة حصلت القبائل عن طريق الإبتزاز على 110جنيهات بدلاً من 30 جنيهاً في العام الذي سبقه، وعلى الطريق من المدينة إلى ينبع هوجم المحمل وأجبر على العودة لأن المبلغ المدفوع، وقدره 56 جنيهاً، لم يرض إلا جزءاً من القبائل. وهكذا نرى أن الأمر لم يكن يتعلق بمبالغ كبيرة. ولا شك في أنه كان من الممكن تسوية قضايا الخلاف بصورة دائمة لولا أمرين حالا دون ذلك: الأمر الأول هو الموقف اللامبالي، لا بل العدواني، الذي اتخذته الجهات التركية والشريفية المحلية، والأمر الثاني هو الحالة الفوضوية التي كانت حرب تعيش فيها والتي حالت دون تمكن شيوخ القبيلة من تحمل مسؤولياتهم بصورة دائمة.

إلى جانب هذه الشروط التي فرضها حرب على القوافل، والمحقة إلى حد ما، فقد حاولوا أيضاً الإغتناء عن طريق سرقة الحجاج ونشل ما في جيوبهم. ولقد كانت مهارتهم في النشل وفي قص الجيوب وأكياس النقود موضوعاً لكثير من الحكايات المضحكة. وكان عوف واللهبة يعتبرون في السابق لصوص بشكل

---

(1) يذكر بوركهاردت، ص331، أن المبلغ كان 80000 دولار، لكن هذا الرقم يبدو خيالياً.

(2) مرآة الحرمين، الجزء الأول، ص73 وما بعدها؛ قارن أيضاً الجزء الثاني، ص206.

خاص. إلا أن أيوب صبري، الذي عمل زمناً طويلاً بصفة موظف كبير في الحجاز، يمنح العوف شهادة أفضل من بقية قبائل حرب[1].

كان عوف منذ قديم الزمان واقعين تحت تأثير الأشراف، ومنذ اختفاء العائلات الحاكمة الشريفية الصغيرة في أواخر العصور الوسطى تحت تأثير شريف مكة. وكلما كانت القبائل أبعد عن مكة، كانت علاقتها مع مكة أفضل. فقط مع زبيد المجاورين لمكة حدثت صعوبات كثيرة، على سبيل المثال، في أواخر العصور الوسطى[2] وحديثاً خلال الحرب العالمية. هنا كان للأشراف مصالح ضريبية وأخرى تتعلق بملكية الأراضي. أما في الأماكن البعيدة فكانت مصلحتهم تقتصر على مضايقة الأتراك.

أما الأتراك أنفسهم فكانوا يمارسون بين حين وآخر وانطلاقاً من المدينة بعض النفوذ على قبائل حرب الشمالية. لكنهم كانوا يضطرون هنا في أحيان كثيرة إلى الاستعانة بشريف مكة كي يتوسط لهم. وحدث هذا بشكل خاص في القرن الثامن عشر حيث تراجعت السلطة التركية في الحجاز إلى أدنى حد وشكلت المدينة نوعاً من الجمهورية التي تعرضت لإرهاب أحفاد الإنكشاريين الذين كانت الحكومة قد أرسلتهم إلى هناك في الماضي. بين المدينة من جهة والقرى المحيطة بها التي يسكنها حرب (بنو علي، انظر الملاحظة 29، وبنو سفر = بنو عمر، ب **II**) من جهة أخرى، كانت تسود رسمياً حالة حرب دائمة تتخللها بين حين وآخر هدنات متقطعة[3]. وفي عام 1179هـ/ 1765م بلغت الصدامات درجة خطيرة مما دعا الحكومة إلى تكليف والي جدة بفرض السلام. لكن الوالي توفي قبل أن يستطيع التدخل. أما خليفته فقد تفادى المجيء شخصياً إلى المدينة لكنه نجح بوساطة

(1) بوركهاردت، ص333؛ بوركهاردت، رحلات في الجزيرة العربية، الجزء الثاني، ص128 وما بعدها؛ دوتي، الجزء الثاني، ص154 وما يليها، 512. أيوب صبري، الجزء الثالث، ص229؛ مرآة الحرمين، الجزء الأول، ص373، 376.

(2) سنوك، الجزء الأول، ص100.

(3) بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص279 وما يليها؛ برتون، بلغريماج، الجزء الثاني، ص18.

شريف مكة في عقد صلح بين الطرفين. ولكن بعد أيام قليلة انفجر الصراع من جديد. نتيجة لذلك فقد الباشا منصبه. وأخيراً تمكن خليفته، بعد تزويده بتعزيزات خاصة، من إعادة فرض النظام. ومنذئذ لم يعد يسمح للبدو بالمجيء إلى المدينة إلا بدون سلاح[1] وهذه الظروف أيضاً أعيد إحياؤها من جديد قبل وقت غير بعيد (1908م)[2].

من المفهوم أن حرباً وقفوا، نظراً لعلاقاتهم القديمة مع مكة، إلى جانب الشريف عندما دخل الوهابيون إلى الحجاز في بداية القرن التاسع عشر. ولقد أُخضعوا بالقوة بعد الاستيلاء على مكة، وهناك بعض قبائل حرب، ومنها العوف (ب I) وصبح (آ I 4)، لم يخضعوا للوهابيين أبداً خضوعاً كاملاً[3].

تجاه المصريين الأتراك، الذين بدأوا في خريف 1811م إعادة احتلال الجزيرة العربية انطلاقاً من ينبع، اتخذ حرب في بادىء الأمر موقف الترقب والانتظار. كانت مصلحتهم في إعادة إحياء رحلة الحج تدعوهم إلى اتخاذ موقف مؤيد للأتراك، لكن سلطة الوهابيين كانت تمنعهم من المجاهرة بذلك. فعندما كان طوسون زاحفاً نحو المدينة اعترضه حرب عند صفرا وفي مضيق (ممر) جديدة وأعطوا بذلك الجيش الوهابي المتقدم الفرصة لاحتلال المرتفعات المسيطرة على الممر ـ مما جعل جيش طوسون يتعرض في ديسمبر/ كانون الأول 1811م لهزيمة نكراء[4]. وخلال التحضير لحملة طوسون الثانية كان للذهب والمواد الغذائية التي

(1) واصف، الجزء الأول، ص291 وما بعدها؛ GOR، الجزء الثامن، ص294، ص299 وما بعدها. عن حوادث مشابهة يتحدث راشد، الجزء الثامن، ص109، تحت عام 1134هـ/ 1722م.

(2) أي. جي بي وافل M. J. B. Wavel, A Modern Pilgrim in Meeca (الحج الحديث في مكة) لندن 1918م، ص77 وما بعدها؛ 100 وما يليها.

(3) بوركهاردت، ص232، 257، 461؛ منجن، تاريخ مصر تحت حكم محمد علي، الجزء2، ص528.

(4) ليس يناير/ كانون الثاني 1812م كما يقول بوركهاردت، ص485؛ انظر جبرتي، الجزء الثامن، ص309 وما بعدها؛ عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ص94.

قدمها المصريون الأتراك لحرب مفعولها. فعندما زحف طوسون مجدداً في خريف 1812م على المدينة، يرافقه جزيّة شيخ حرب، وجد الممرات مفتوحة[1]. وكادت العلاقة الجيدة بين الطرفين تنقطع بسبب تصرف متهور قام به الموظف التركي الذي تولى حكم المدينة بعد الاستيلاء عليها. فقد استفز هذا الموظف الشيخ جزيّة، الذي كان موجوداً عنده لأغراض تجارية، بكثرة ما تباهى بنفسه إلى درجة أن الشيخ اضطر إلى الإشارة إلى ما له من فضل في الاستيلاء على المدينة. لكن الموظف التركي استاء جداً من أقوال الشيخ إلى درجة أنه قيده بالسلاسل وأمر بقتله. هاجت حرب نتيجة لذلك أشد الهيجان مما جعل الحكومة ترسل طوسون نفسه إلى المدينة لكي يفرض السلم والهدوء. وقد عرف طوسون كيف يسوي المشكلة بكل هدوء: فقد توفي الموظف التركي بمحض الصدفة وحصلت حرب، فوق ذلك، على تعويض عن الشيخ المقتول[2]. ومنذئذ بقيت العلاقة بين حرب والمصريين الأتراك مرضية. فقد رافقت فصائل من القبيلة طوسون عام 1815م ثم أخاه إبراهيم عام 1816م عند زحفهما نحو داخل الجزيرة العربية[3].

ظلت علاقة حرب بالمصريين الأتراك جيدة حتى أواخر العشرينات. في ذلك الوقت غضبوا من المصريين بسبب انزعاج يحيى شريف مكة منهم. ومع صعود نجم إمارة مكة منذ ذلك الحين تلاشت هيبة المصريين الأتراك عند البدو[4].

على الرغم من ذلك لم تقف جميع حرب خلال الحرب العالمية إلى جانب شريف مكة، الشريف حسين ثم الملك حسين فيما بعد. وعندما أعلن ابنه فيصل

(1) بوركهاردت، ص490 وما بعدها؛ عنوان، ص95 بدلاً من جزيّة كتب بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص120: "جزي".

(2) بوركهاردت، ص537 وما بعدها؛ ولكن انظر العرض المختلف جداً الذي قدمه منجن، الجزء الثاني، ص26، 28، والذي خلط بين جزيّة و"بديّة" (انظر أدناه).

(3) بوركهاردت، ص568؛ عنوان، ص96، 113؛ منجن، ج2، ص87، الريحاني، تاريخ نجد، ص71، 74.

(4) سنوك، الجزء الأول، ص158، 160، 162.

في يونيو/ حزيران 1916م الثورة العربية ضد الأتراك تبعه بني علي في هجومه على المدينة. لكنهم ردوا على أعقابهم وأحرقت قرية العوالي المجاورة التي كانت مقرهم الرئيسي[1]. وفي 10 يونيو/ حزيران هاجم 4000 رجل من حرب بقيادة الشريف محسن بن منصور جدة التي استسلمت في 16 يونيو بعد تعرضها لإطلاق النار لفترة قصيرة من سفن حربية انجليزية[2]. من ناحية أخرى كان حسين بن مبيريك، شيخ الزبيد وسيد الموقع الهام رابغ في صراع مع شريف مكة. ولذلك لجأ إلى الجبال عندما بدأت الثورة ثم ذهب في وقت لاحق مع جزء من قبيلته إلى الأتراك في المدينة[3]. أما عن بقية حرب فقد حدثت حالات من عدم الانضباط: فعندما انقطعت مرتباتهم عام 1917م فترة من الزمن، نهبوا القافلة التي كانت تنقل المؤن من ينبع إلى المقر الرئيسي لقوات الشريف في بئر درويش، لا بل إنهم هاجموا مرة الدورية الجزائرية الفرنسية لكي ينهبوها[4].

عندما دخل آل سعود عام 1924م الحجاز وقفت حرب بالإجماع تقريباً ضده. صحيح أن جدعان (ب III 2) المقيمين قرب جدة وبني جابر (ب II 6) هللوا للوهابيين عند دخولهم مكة، لكنهم ظلوا في الحقيقة موالين للأشراف. فبعد معركة دامية مع دورية وهابية اضطروا إلى طلب الحماية خلف أسوار جدة التي كان يدافع عنها الملك عبد الله. بعض زعماء حرب ذهبوا إلى مكة وطالبوا بكل سذاجة بالاعتراف بحقوقهم القديمة وعلى رأسها رسوم قوافل الحج. وعندما رفض طلبهم بدأوا يجهزون أنفسهم ضد الوهابيين لكنهم هزموا قرب عسفان. تحت تأثير هذه الأحداث قرر اسماعيل بن مبيريك شيخ الزبيد ومحافظ رابغ، الذي كان موقفه حتى ذاك الحين متأرجحاً، الوقوف مع الوهابيين. أما حرب الشماليون فقد شاركوا في

(1) لورنس، ص93.

(2) بريموند، ص31، يضع الهجوم في الرابع عشر؛ انظر أنتونيوس، النهضة العربية، ص199.

(3) اغتيل عام 1919م عند إجراء مفاوضات في مكة، بريموند، ص67، 200؛ لورنس، ص69، 77، 94.

(4) بريموند، الحجاز، ص106، 200.

الدفاع عن المدينة[1].

تمتد منطقة حرب على الساحل من ينبع حتى سروم (جنوب جدة) حيث تبدأ منطقة الجحادلة. وعند سروم تتراجع الحدود نحو الداخل: على طريق جدة ـ مكة يختلط حرب مع هذيل. يخص المجرى الأوسط لوادي فاطمة هذيل وحدهم، وعلى المجرى الأعلى للوادي يبدأ حرب مرة أخرى بعد أن انسحب أمامهم نحو الشرق سكان قدامى هم عتيبة[2]. وفي الجنوب الشرقي يصل حرب إلى مقربة من الطريق الداخلية مكة ـ المدينة. أما الطريق نفسها فهي هنا في يد المطير. وفي الشمال الشرقي يتجاوز حرب تلك الطريق ويتصلون جنوبي الحناكية مع أبناء عمهم، حرب نجد. وفي الشمال تمتد منطقة المجمع إلى ما بعد خط المدينة ـ ينبع. وتملك قبائل من حرب طريق الحج إلى سورية حتى مسافة قريبة من بيار (آبار) نصيف، وفي منطقة واحات ينبع النخل (نخل مبارك) استوطنت جماعات من حرب في وسط جهينة. ومن الممكن أن يصل حرب الرحل إلى مواقع أبعد من الشمال[3]، ويذكر أنهم كانوا في السابق يقومون بغزوات تصل إلى حوران[4].

يعيش حرب في الغرب غالباً مستقرين أو نصف رحل. وفي منطقة ينبع النخل يملكون أربع قرى[5]، من ضمنها سويقة، ويملكون في ضواحي المدينة عدة قرى

(1) الريحاني، ص334 وما بعدها، 336، 342، 375.

(2) بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص106.

(3) إلا أن عرض منطقة تنقلها على الخريطة في رسوان، تريبل إرباس، غير صحيح.

(4) بوركهاردت، ص330. حسب واصف، الجزء الأول، ص100، 143، 149، شاركوا في الهجوم على قافلة الحج قرب ذات الحج والذي تحدثنا عنه في الصفحة 339 أعلاه.

(5) انظر أيضاً بخصوص التالي ديوتي، الجزء الثاني، ص512؛ بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص288 وما يليها، 300 وما يليها، أيوب صبري، الجزء الثالث، ص223، 278؛ مرآة الحرمين الجزء الثاني، ص97؛ داتر (1925م) The Holy Cities of Amb المدن العربية المقدسة، الجزء الثاني ص152. الخرائط (موريتس، الجزيرة العربية؛ مرآة، الجزء الثاني، عند الصفحة 244؛ بريموند عند الصفحة 295، آسيا 1 : 1,000,000؛ المدينة) جميعها غير مرضية.

من ضمنها عوالي التي ذكرناها سابقاً. وعلى طريق «درب» السلطان من المدينة إلى رابغ وينبع تقع القرى: الحنيف الجديدة[1]، والحمرا، والخرمة، والصفرا، وعلى الطريق المتفرع من هنا والمار عبر بدر تقع القرى: واسط وجديد، وعلى مقربة منهما الحسنية والفرعا[2]. أما بدر ذاتها، أو بالأحرى بدر ـ حنين كما تسمى اليوم، فهي في يد الأشراف. وتمر طريق الفُرعَي في القرى: ريان، ومضيق، وأم العيال، وأبو (أم) ضياع[3]. في السهل الساحلي تملك حرب (زبيد) رابغ، وخليص، والخريبة الواقعة حسب خريطة بريموند شرق المستورة. كما أن الواحة الصغيرة، واحد القضيمة[4]، غير المذكورة في المراجع القديمة والواقعة بين رابغ وخليص، قد يكون سكانها من زبيد.

في جميع هذه القرى تربى أشجار النخيل والليمون والموز وتزرع الخضار، ونادراً الحبوب. يترك حرب نصف الرحل هناك جزءاً من عائلاتهم أو عمالهم من أجل القيام بالأعمال الحقلية (السقاية)، بينما هم أنفسهم لا يأتون إلا في موسم الحصاد. وفي بدر، التي هي مثل صفرا وجديدة سوق هامة، كان حرب ينصبون بسطات للبيع لكنهم كانوا يعودون في المساء إلى خيامهم في الجبال. وهم يبيعون العسل والسنّس Sennes وما يسمى "بلسم مكة" الذي يشتريه الحجاج بأسعار عاليه على الرغم من أنه غالباً ما يكون مغشوشاً[5].

كثير من زبيد صيادو سمك وبحارة، ولذلك يعتبر بقية حرب هذه القبيلة أدنى مكانة. أما عوف واللهبة الذين يسكنون في الجبال الصاعدة من السهل الساحلي

(1) هكذا مرآة، والخريطة، وداتر، الجزء الثاني، ص271، فيما عداها جديدة.

(2) هكذا تكتب حسب المقريزي، قبائل مصرية، ص43.

(3) حسب خريطة مرآة الحرمين؛ أيوب صبري: أبو (أم) ضياعة؛ دوتي: أم ثيان خريطتنا موريتس وبريموند: أبو ضباع.

(4) كلية، التي كانت حسب صبح، الجزء الرابع، ص260، في نهاية القرن الرابع عشر قفراء.

(5) بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص100 وما يليها، 116، 118، 123 وما يليها، 305؛ أيوب صبري، الجزء الثالث، ص226.

فيربون الماشية وخاصة الماعز. وأما المزينة شرق المدينة (في العصر القديم كانت مقراتهم في جنوب وجنوب غرب المدينة) فهم بدو رحل، أي أنهم يربون الإبل ـ أو إنهم كانوا كذلك على الأقل في زمن بوركهاردت[1].

في السابق كان النقل بين المدينة وينبع ومكة يشكل أحد المصادر الرئيسية للدخل، كما أن النقل على طريق السلطان الشرقية أيضاً كان في يد حرب وحدها[2].

أسفر حلول السيارة محل الجمل عن عواقب وخيمة هنا. وإذا ما أضفنا إلى ذلك خسارة حرب من توقف دفع الصرة، ندرك التدهور الكبير الذي حل بالوضع الاقتصادي للمجمع منذ الحرب العالمية.

ينقسم حرب إلى مجموعتين: بني سالم و(بني) مسروح. وكلاهما مثبت وجوده منذ النصف الأول للقرن الثالث عشر «الميلادي»[3]؛ هناك مجموعة ثالثة كانت موجودة في العصور الوسطى، بني عبد الله (عبيد الله؟)، لكنها اختفت فيما بعد. إضافة إلى هذه المجموعات الثلاث كان آنذاك بني عمرو[4] وزبيد معروفين كجزء من حرب؛ كلاهما ينسب اليوم إلى مسروح. لا يشكل بنو سالم ولا مسروح

---

(1) دوتي، الجزء الثاني، ص154؛ بوركهاردت، ص330، 334.

(2) بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص299؛ برتون بلغريماج، الجزء الثاني، ص52؛ أيوب صبري، الجزء الثالث، ص277، وما بعدها.

(3) الحمداني في صبح، الجزء الأول، ص341، وفي القلقشندي، ص194. كما أن السمهودي، الجزء الثاني، ص166، 179، ذكر بني سالم أيضاً في مقر سكنهم الحالي (خيف بني سالم، وادي الروحا = وادي بني سالم). ويرد ذكر قبيلة بني مسروح من قبل سكوني وعرام عند بكري، ص804. كانت تسكن في قرى المنطقة المجهولة الواقعة خلف عسفان، أي في منطقة مسروح الحالية. وبما أن سكوني كتب قبل مجيء حرب فقد يكون هؤلاء البني مسروح أحفاد الشاعر القديم مسروح بن قيس الخزاعي (فوستنفلد، الجدول، 11، 27، ابن دريد، ص278). عندئذ قد يصح الاستنتاج أن مسروح حرب ينحدرون من تلك العائلة من خزاعة.

(4) في النص: بني عمر.

كياناً سياسياً واحداً، وينطبق الشيء نفسه على الجماعات الفرعية المرقمة في الجدول برقم روماني، باستثناء زبيد. وحتى داخل القبائل لا يوجد تماسك قوي.

لكن هذه الفوضى يبدو أنها نشأت في القرن الأخير؛ إذ إن بوركهاردت (ص329 وما بعدها) يؤكد أن الروابط التي تجعل من قبائل حرب وحدة متماسكة أقوى جداً من الروابط بين قبائل عنزة. ولذلك نعتقد أن ضعف هيبة السلطة له علاقة بفقدان بعض عائلات الشيوخ الهامة التي هاجرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر إلى نجد (انظر فصل "حرب" في الجزء الثالث).

إحدى هذه العائلات عائلة ابن مضيّان التي تنتمي إلى فخذ الظواهر من المراوحة (آ II 1)[1] وكانت في القرن الثامن عشر تحكم حرب الشمال. وقد قتل عيد بن مضيان[2] عام 1171هـ/ 1758م مع اثنين من أبنائه قرب الجديّدة أثناء الهجوم التركي، وراح عمه هزا[3] عام 1174هـ/ 1761م ضحية خيانة المصريين (انظر ص529 أعلاه)[4]. في عام 1802م انضم "بدّاية" ابن مضيان إلى الوهابيين وخالف بذلك غالبية أبناء القبيلة. فعيّنه آل سعود أميراً على جميع قبائل حرب ومقره في المدينة[5]. وعندما جاء المصريون الأتراك عام 1812م للمرة الثانية لكي يحتلوا المدينة كان يتولى منصب أمير حرب هناك رجل اسمه مسعود بن مضيان. وقبل أن يبدأ حصار المدينة انسحب إلى مقره الريفي المحصن الواقع في الضواحي، لكنه استسلم بعد ذلك للأتراك لقاء السماح له بالخروج حراً وحماية

(1) هذا ما ينتج عن مقارنة بوركهاردت، ص333، مع منجن، الجزء الثاني، ص28، 87، 92، 104.

(2) في النص: ابن مصياد.

(3) واصف: هزأ، الجبرتي: هزة.

(4) لا يمكننا التأكد مما إذ كان الشيخ محمود المذكور عند جودت، تأريخ، اسطنبول 1292هـ، الجزء الثالث، ص55، لعام 1198هـ/ 1783م ـ 1784م، من عائلة ابن مضيان.

(5) منجن، الجزء الثاني، ص528، 534. لا بل إنه حسب بوركهاردت، ص462، أصبح حاكم المدينة.

أملاكه. إلا أن الأتراك لم يحافظوا على وعدهم، بل نهبوا بيته وقتلوا أبناءه وأخذوه هو نفسه أسيراً. وأثناء نقله إلى ينبع تمكن من الهرب، لكن حرباً بدورهم سلموه للأتراك. فنقل في النهاية إلى القسطنطينية وقطع رأسه هناك[1]. إن مصيره وسلوك قبيلته يصبحان مفهومين إذا ما تذكرنا عداء حرب للوهابيين. فقد ساروا وراء جزيّة (انظر ص533/ 534 أعلاه) الذي عيّنه المصريون شيخاً لبني سالم. صحيح أن عضواً آخر من عائلة مضيان، غانم بن مضيان[2]، قدم للمصريين في حملتهم إلى داخل الجزيرة العربية خدمات جليلة، ولكنه لم يتمكن من استعادة سلطة أسرته. ولقد بقي في نجد وأصبح خلفه إحدى عائلات شيوخ بني سالم هناك.

عن طريق جزية جاءت السلطة العليا على بني سالم إلى قبيلة الأحامدة (آ I 1) ولا نعرف أي تفاصيل عن خلف جزية ولكن يمكننا بالتأكيد اعتبار الشيخ سعد، الذي يروي برتون (الجزء الأول، ص256 وما بعدها) عدة نوادر عنه، واحداً منهم. كان سعد في أحد الأوقات شيخاً لبني سالم لكنه اختلف بعد ذلك مع الأتراك ومع شريف مكة عبد المطلب الذي قتل واحداً من أبناء أخوته. فوضعوا في مواجهته واحداً من خصومه وهو فهد شيخ بني عمرو (آ I 5). وفي العداوة التي نشبت بينهما أثبت سعد أنه الأقوى. لكنه لم يتمكن من إعادة توحيد حرب الشماليين. ثم جاء ابنه حذيفة وحكم من السبعينات حتى بداية القرن الحالي، وحكم أبناؤه خليل وعقاب وخلف قبل الحرب العالمية. وكان حذيفة قد اختلف مع ابنه الأكبر خليل، لكن خليل خرج، بفضل المساعدة التي قدمها له شريف مكة، منتصراً في الخلاف العائلي الذي أسفر عن حدوث معارك دامية في القبيلة[3].

في الجنوب يلعب زعماء زبيد دوراً مهماً إلى حد ما. ويبدو أن العائلة

---

(1) بوركهاردت، ص495. مسعود بن مضيّان قاد حرباً في معركة الجديّدة، انظر الصفحة 534 أعلاه؛ عنوان، ص94.

(2) انظر الصفحة 543 هامش 3. حسب منجن، الجزء الثاني، ص28، خليفة جزية.

(3) برتون، ميدين، الجزء الثاني، ص102. كوكب الحج، ص31 وما يليها؛ مرآة الحرمين، الجزء الأول، ص73 وما بعدها؛ الجزء الثاني، ص42، 89 وما بعدها.

المسيطرة في القرن الماضي كانت عائلة ابن عسم من خليص[1]، أما في هذا القرن فقد برزت عائلة ابن مبيريك، انظر ص373 أعلاه.

تخضع قبائل حرب المقيمة قرب مكة، أمثال بني جابر (ب II 6) وجدعان (ب III 2)، منذ قديم الزمان لسلطة شريف مكة وكان يحكمها حتى عام 1924م أمير يعينه الشريف. في بداية الحرب العالمية عيّن الشريف محسناً بن منصور (انظر الصفحة 535 أعلاه) في هذا المنصب. ومحسن هذا هو الذي هاجم عام 1915م بين ليث وجدة فريق "إمدن" (Emden؟) القادم من الحديدة وكان سيقضي عليه لو لم يتدخل شريف مكة في آخر لحظة[2].

في الشمال عند بني عوف وبني عمر كان للعائلات الشريفة المحلية بعض النفوذ[3]. ومن الممكن أن يكونوا ينتسبون إلى عائلة أشراف الزيدية التي كانت تتمتع في هذه المنطقة بحق الصرة[4]. والزيدية، الذين روى عنهم محمد صادق، قائد قافلة الحج المصرية عدة مرات، كثيراً من الأشياء الغريبة[5]، هم خلف بني زيد الموسوي الذين كانوا في العصور الوسطى يسكنون في واحة بين قرب المدينة التي أصبحت مهجورة الآن. في أواخر العصور الوسطى نشبت عداوة بين بني زيد وعائلة شريفة أخرى، بني يزيد، أدت إلى انتقال بني زيد إلى صفرا بينما توجه بني يزيد إلى الفرع[6].

في الختام نود ذكر بعض الملاحظات عن خصائص حرب الدينية. حسب بوركهاردت (ص330، انظر برتون، الجزء الثاني، ص3) فإن بني علي شيعة،

(1) انظر سنوك، الجزء الأول، ص184، 220.
(2) انظر برموند، مارينز آشامو.
(3) مرآة، الجزء الثاني، ص217.
(4) أيوب صبري، الجزء الثالث، ص246، يذكر فرعاً لهم، لكن المعلومات المكانية للأسف غير واضحة.
(5) كوكب الحج، ص33.
(6) السمهودي، الجزء الثاني، ص393.

وحسب كتاب الجيب (هاندبوك، الجزء الأول، ص65) فإن جهم (ب II 3) شيعة من المؤكد أن معلومة بوركهاردت تستند إلى خطأ يقوم على الخلط بينهم وبين النخاولة (نخولية) في المدينة. ففي المدينة استمر وجود الشيعة من العهد الفاطمي حتى منتصف العهد المملوكي، وما زال سكان الضواحي ـ النخاولة مزارعون يعملون في بساتين النخيل ـ حتى اليوم يعتنقون سراً المذهب الشيعي[1](*).

في نهاية القرن الماضي كان يوجد داعية للطريقة السنوسية بين حرب منطقة مكة وحتى بين حرب منطقة نجد. وكانت توجد "أديرة" زاوية «تكية» (؟) في مكة وفي جبل قبيس المجاور، وكذلك في ربع قرب خليص.

---

(1) كوكب الحج، ص53. أيوب صبري، الجزء 3، ص275؛ بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص239؛ برتون، بلغريماج، الجزء الثاني، ص1 وما يليها؛ راثر، الجزء الثاني، ص245، 257.

(*) النخاولة شيعة إثنا عشرية (إمامية) كحال شيعة العراق ـ البحرين ـ لبنان ـ (ماجد شبّر).

حرب(1)

آ ـ بني سالم(2)

I ـ ميمون

شيخ المشايخ: خليل بن حذيفة بن سعد(3)

منطقة التنقل: غرب وجنوب غرب المدينة

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل
1 ـ الأحامدة(4)	خليل بن حذيفة	جبل الفقرة ـ الصفرا
أ ـ الصميدات(5)	خليل بن حذيفة	
ب ـ الصخارنة(6)		
جـ ـ الفضلة(7)		
د ـ الذكرة(8)		
2 ـ الرحلة(9)		بير الروحا ـ بير ابن حصانى(10)
3 ـ المحاميد(11)		
4 ـ صبح(12)	ابن حصانى(13)	جبل صبح؛ بدر؛ الحسنية
5 ـ بني عمرو(14)		الجديّدة
6 ـ السرحة(15)		ينبع النخل
7 ـ بني يحيا(16)		ينبع النخل
8 ـ ولد محمد(17)		المدينة ـ الشجوة
أ ـ تمم(18)		
ب ـ السعادين(19)		
جـ ـ سواعدة(20)		
د ـ الوفيان(21)		

II ـ المراوحة (الحوازم)(22)

شيخ المشايخ: محسن بن عباس(23)
منطقة التنقل: جنوب غرب المدينة

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل
1 ـ الظواهرة(24)	محسن بن عباس	الحمرا
2 ـ الحنيطات		الصفرا
3 ـ حناينة(25)		المدينة
4 ـ مزينة(26)		المدينة
5 ـ حجلة		بير الشريوفي
6 ـ بني محمود(27)		
7 ـ أولاد أبو الحيا(28)		

ب ـ مسروح(29)

I ـ عوف(30)

منطقة التنقل: جنوب المدينة حتى الريان؛ ج. أيوب؛ في الشرق حتى الدرب الشرقي

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل
1 ـ اللهبة(31)		غائر
2 ـ الصواعد(32)		

II ـ بني عمرو(33)

منطقة التنقل: على طريق الفرعي من الريان حتى المضيق، في الشرق حتى درب الشرقي؛ مكة ـ جدة

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل
1 ـ مناشك(34)		المضيق.
2 ـ العطور(35)		المضيق
3 ـ الجهم(36)		الفرع
4 ـ البلادية(37)		رابغ ـ الفرع
5 ـ الحمران(38)		مكة ـ جدة
6 ـ بني جابر(39)		مكة
7 ـ معبّد(40)		مكة
8 ـ بشر		وادي فاطمة
9 ـ العبدة		

III ـ زبيد(41)

الشيخ: اسماعيل بن مبيريك

منطقة التنقل: من رابع حتى جدة؛ على طريقه الفرعي حتى أبو ضياع

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل
1 ـ عسوم(42)		خليص
2 ـ جدعان(43)		جدة

ملاحظات

1 ـ المراجع: بوركهاردت، ص329 ـ 334، يعطي صورة غير منهجية، شبرنجر تحت رقم 57 يعطي تقسيماً مختصراً. قوائم مفصلة موجودة عند برتون، بلغريماج، الجزء الثاني، ص120 وما بعدها؛ دوتي، الجزء الثاني، ص512 وما بعدها، سنوك هورغرونيه، مكة، الجزء الأول، ص220، هاندبوك، الجزء الأول، ص65 وما يليها؛ محمد صادق، كوكب الحج، ص31 ـ 33؛ أيوب صبري، الجزء الثالث، ص277 ـ 279؛ (متعلق به) بتنوني، الجزء الأول، ص51 وما بعدها؛ مرآة الحرمين، الجزء الثاني، ص103 وما بعدها، انظر 42. شكيب أرسلان، الإرتسامات اللطف، ص376 وما يليها، يذكر سلسلة من الأفخاذ والشيوخ معتمداً في بعضها على قوائم تركية، وفي بعضها الآخر على نفسه (1913م). لا يتضمن الجدول إلا الوحدات المذكورة في مصدرين مستقلين على الأقل. القبائل المقيمة كلياً أو بمعظمها في نجد ستعالج في الجزء القادم.

الوسم حسب مرآة، الجزء الثاني، ص104.

في توزيع القبائل الفرعية على مجموعتي بني سالم (آ) و(بني) مسروح (ب) تتطابق المراجع بوجه عام: كتاب الجيب (هاندبوك) يضيف لهما مجموعة بني عمر (بII)، أما فؤاد حمزة، ص140، فيذكر 6 مجموعات.

عند حرب الشماليين (بني سالم ـ ميمون) تستعمل النسبة اسماً للقبيلة، صبري يذكر الأفخاذ آ I 1 ـ 8، ومرآة الحرمين تذكر الفروع آ I 8 أ ـ د، بهذه الصيغة فقط. وهي مذكورة فيما يلي ضمن قوسين في بداية الملاحظة. من الطبيعي أنه يجب إضافة الإداة (أل التعريف) في كل مكان لكن الأمر ليس بديهياً بهذا الشكل.

العدد(باستثناء زبيد) حسب قائمة شبرنجر: 50000 رجل قادر على حمل السلاح، صبري (بمن فيهم حرب نجد): على الأقل 70000 ـ 80000 نسمة، هاندبوك: 5500 خيمة.

2 ـ يسمون السوالمة أيضاً؛ بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص115.

عدد الخيام: 2000 (هاندبوك، بريموند). القبائل الفرعية المذكورة فقط عند صبري ويتنوني وهي: الرلاوعة (رلوعي)، وحيدر (حيدري)، موزّعي - والمقيمة في خيف الكسا وينبع النخل - لم نسجلها، كما أننا لم نسجل القوادَ (قايدي)، بتلر، رعاة إبل وزنوج، الذين ينسبهم صبري ودوتي إلى بني سالم بينما يوزعهم هاندبوك على بني سالم ومسروح.

3 - شكيب أرسلان: خلف بن حذيفة.

4 - (أحمدي). بوركهاردت: أكثر من 2000 رجل قادر على حمل السلاح؛ كولب: 600 نسمة؛ هاندبوك: 500 رجل - بدو رحل.

5 - (صميدي). كوكب: 900 نسمة.

6 - كوكب: صحاري؛ سنوك: "سخرآناه (سخري)". كوكب: 3000 نسمة الشيخ، حسب كوكب، وسنوك، ومرآة: إبراهيم بن مطلق.

7 - (فضيلي) كوكب: 900 نسمة. الشيوخ (1903م): فيصل بن فهد، فهد بن فهد (مرآة، الجزء الثاني، ص21، 27 وما بعدها، 42 أبوهما (أو جدهما؟ قارن مرآة الجزء الثاني، ص217: فيصل بن أحمد بن فهد) فهد مذكور في كوكب.

8 - (ذكيري). حسب مرآة فخذ من الفضلة؛ الشيوخ (1903م): عايض بن عبد الرحمن وعايض بن عتيق.

9 - (رحيلي). الشيخ (1903م): محمد بن نافع، إلى جانبه 1908م: جاد الله، وعطية الله ومحسن بن مرشد (مرآة، الجزء الثاني، ص225). هاندبوك: 500 رجل. انظر بوركهاردت: رحالات، فرع من صبح!.

10 - هو اسم قديم، لم يزل يستعمله البدو، لبير الراحة المذكور في الخرائط[1]، انظر السمهودي، الجزء الثاني، ص166؛ صبري، الجزء الثالث،

(1) أو إن بير الراحة في خريطة موريتس، آرابيين «بلاد العرب، وخريطة المرآة، الجزء الثاني، عند الصفحة 244، اللتين استعملهما كليهما كوكب الحج، يستند إلى خطأ وقع فيه الأخير (مرآة)!

ص278؛ مرآة، الجزء الثاني، ص224. في المرجع الأخير يذكر الرحلة نفسهم أن المقطع: بير علي ـ بير الروحا هو مدرك لهم.

11 ـ (محمادي).

12 ـ (صبحي) 3 فروع عند بوركهاردت، و4 فروع أخرى عند أيوب صبري، من بينها إثنان: لبدة (لبيدي) وذوي مرزوق (مرزوقي)، مذكوران عند شكيب أرسلان أيضاً. بوركهاردت: 2500 مسلح؛ كوكب: 1400 نسمة، معظمهم يربون الأبل؛ هاندبوك: 1500 رجل.

13 ـ مرآة، الجزء الثاني، ص21، 42 (1903م): عند المعين بن عبد الله بن حصاني(ومنه اسم المكان: بير ابن حصاني).

14 ـ (عامري). كوكب: 700 نسمة. مرآة، الجزء الثاني، ص42، يذكر أحد شيوخهم: سالم بن محسن القليطي.

15 ـ (سريحي). سنوك: "صِراحة".

16 ـ (يحياوي). مرآة: بني حيا (يحيا).

17 ـ محمَّدي). ينتمي إلى ولد محمد أيضاً ولد سليم المصنفون تحت حرب نجد.

18 ـ (تميمي). كوكب، ودوتي: (بني) تميم. كوكب: 700 نسمة.

19 ـ (سعداني). مذكورون عند بوركهاردت. كوكب: 600 نسمة.

20 ـ (سعدي). يحسبهم برتون ودوتي مع مسروح.

21 ـ وافي).

22 ـ العلاقة بين المصطلحين "مراوحة" و"حوازم" (حازمي) غير واضحة تماماً؛ حسب سنوك يقتصر مصطلح "الحوازم" على القبيلتين الفرعيتين 6 و7 (ونفس الشيء في هاندبوك)، أما صبري ومرآة فيعتبران المصطلحين متطابقين،

وأما بقية المراجع فلا تعرف سوى مصطلح "الحوازم". فقد جاء في مرآة، الجزء الثاني، ص42: منصور عباس الحازمي شيخ قبيلة المراوحة (بدلاً من المراوضة)! في بعض الأحيان يتعرض الحوازم للسخرية بسبب تقارب اسمهم مع العوازم (هتيم)؛ دوتي، الجزء الثاني، ص174، 293. الغريب أن بوركهاردت يكتب اسم القبيلة "حواسب" (الجزء الثاني، 423). القبيلة الفرعية التي يسميها صبري ومرآة، الجزء الثاني، ص211، «الرّدادة» لم نسجلها هنا.

كوكب: 2500 نسمة. الوسم: ——— على الخد الأيمن وعلى الرقبة.

23 ـ شكيب أرسلان: ناصر بن نصار الظاهري ومنصور الظاهري؛ سنوك: نصار بن عباس (انظر الملاحظة السابقة)، واسم المكان: بير ابن عباس.

24 ـ (ظاهري). بوركهاردت: ذوي ظاهر. جزء من القبيلة يعيش في نجد. هاندبوك: 200 رجل.

25 ـ بوركهاردت: "جناينه"، بعضهم فلاحون يعيشون في جبال تبعد مسيرة 2 ـ 3 أيام شرق المدينة.

26 ـ (فريني). هاندبوك: مزينات. بوركهاردت: بدو رحل، 2400 ـ 2500 رجل قادر على حمل السلاح.

27 ـ الشيخ (1903م): عبد المنعم بن عبد الرحمن الحازمي.

28 ـ الشيخ (1903م) عوض نويفع الحازمي.

29 ـ صيحة الحرب: بني مسروح! بنو علي المنتمون إلى هذه المجموعة الموجودون في الحجاز، والذين يسكن معظمهم في العوالي، قرية قريبة من المدينة (برتون، نفس المصدر، الجزء الثاني، ص3؛ لورنس، ص93؛ انظر الصفحة 532 أعلاه)، مصنفون تحت حرب نجد.

30 ـ قبيلة فرعية أخرى عند برتون وفي هاندبوك: "سهلية" (شكيب أرسلان: السهلية) في المرجعين. العدد حسب كوكب (بدون اللهبة): 3500 نسمة حول

عوف في نجد انظر الملاحظة المتعلقة بجدول حرب في الجزء التالي.

31 ـ (لهيبي) كوكب، ص32: لهيبة؛ ص45: لهبا. نفس المصدر (ص32): 1000 نسمة، هاندبوك: 80 رجل. نعتقد أن لهيب لبنان (انظر الصفحة 45 أعلاه) لا علاقة لهم باللهبة (خلافاً لبوركهاردت). شكيب أرسلان: الشيخ "بخيت (نحيت؟) بن بنيّان".

32 ـ شكيب أرسلان: الشيخ محارب بن موقد.

33 ـ عرفوا في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر أيضاً تحت اسم بني سفر، بوركهاردت، ص331؛ أنظر الصفحة 532 أعلاه.

بوركهاردت: 2300 ـ 3300 مسلح، هذا العدد يتضمن على الأرجح أيضاً بني عمر الحاليين في نجد. كوكب: 2500 نسمة، نصفهم في نجد، هاندبوك «كتاب الجيب» (بما في ذلك نجد) 2000 نسمة.

34 ـ في نجد أيضاً.

35 ـ أيضاً في نجد، الموجودون هناك ذكروا عام 1900م تحت اسم "عطران".

36 ـ شكيب أرسلان: الشيخ مربع (مزيع؟) بن محمد.

37 ـ كوكب: 1300 نسمة، هاندبوك: 400 رجل.

38 ـ جزء منهم في نجد. هاندبوك: 100 رجل.

39 ـ عند بوركهاردت: جوابرة. منذ العصور الوسطى في منطقتهم الحالية؛ صبح، الجزء الرابع، ص259؛ حوليات مكة، الجزء الثاني، ص73؛ المقريزي، قبائل عربية، ص85. هاندبوك: 500 رجل.

40 ـ منذ العصور الوسطى في منطقتهم الحالية قرب عسفان؛ صبح، الجزء الرابع، ص260. هاندبوك: 1000 رجل.

41 ـ من القبائل الفرعية الأخرى المذكورة في هاندبوك (الوفيان آ I 8 د لا ينتمون إلى زبيد) لا يذكر في مكان آخر إلا الجراجرة (دوتي، الجزء الثاني، ص513) هاندبوك نفسه يذكرهم مرة أخرى تحت بني عمر. القبيلة الفرعية "المغاربة" تتألف على الأرجح من أحفاد عناصر من شمال إفريقيا. الأرقام، غير المكتملة، في هاندبوك: 1400 رجل؛ كوكب: 7000 نسمة، نصفهم بدو رحل. بريموند، الحجاز، ص67: 1500 خيمة = 12000 نسمة.

42 ـ الشيخ في الثمانينات: عبد الله بن عسم، سنوك، نفس المصدر السابق، قارن، ص184؛ قبل الحرب العالمية: محمد بن عسم، شكيب أرسلان (في النص: حسم).

43 ـ الجمع: الجداعين؛ ريحاني، تاريخ نجد، ص334.

(*) لقد صدرت طبعة جديدة محققة لكتاب كوكب الحج لمحمد صادق تحت عنوان جديد ـ الرحلات الحجازية ـ عن دار بدر بيروت 1999. (ماجد شبّر).

قبائل صغيرة عند مكة والطائف

أثبت السكان البدو في جنوبي الحجاز أنهم أيضاً مستقرون مثل سكان الشمال. فالقبائل التي كانت في الماضي تقيم حول مكة، هذيل في الشمال والشرق وكنانة في الغرب وفهمه وعدوان في الجنوب، حافظت جميعها تقريباً حتى الوقت الحاضر على مقراتها القديمة؛ فقط كنانة اختلفوا في وقت مبكر من المنطقة. وفي ضواحي مكة والطائف تعيش قريش وثقيف، أخلاف قبيلتي قريش وثقيف اللتين كانتا في الماضي تسكنان في هاتين المدينتين.

وبينما كان سكان الشمال ينتمون إلى قومين فقط، جذام وقضاعة، كان سكان الجنوب خليطاً من أقوام مختلفة. صحيح أنهم كانوا ينتمون عموماً إلى معد أو بالأحرى نزار[1] لكنهم كانوا ينتسبون إلى مجموعات مختلفة جداً من هؤلاء: كانت هذيل وكنانة وقريش ينتسبون إلى خندف[*]، وفهم وعدوان إلى قيس، وثقيف على

(1) سنتحدث عن معد ونزار في الجزء القادم.

(*) بنو خندف ـ بطن من مضر من العدنانية، وهم بنو الياس بن مضر. وخندف اسم أمرأته عرف بنوه بها وهي خندف واسمها ليلىٰ بنت حلوان بن عمران بن الجافي بن قضاعه. وسميت خندف يقال خندف الرجل إذا مشىٰ يقلب قدميه كأن يغرف بهما. (المصدر القلقشندي نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ط دار الكتب العلمية ص231) ـ (ماجد شبّر).

الأرجح إلى إياد[1]. وتصبح الصورة أكثر تنوعاً إذا ما أضفنا إليها قبائل الضواحي البعيدة لمكة: ففي الشمال كان خزاعة، وهم من أصل غير مؤكد[2]، وفي الجنوب كان أزد الذين كانوا يحسبون إلى عرب الجنوب، وفي الشمال الشرقي كان سُلَيم (قيسيون) وإلى الجنوب منهم نصر وجشم وسعد الذين ينتمون جميعاً إلى هوازن، "أخوة" سُليم.



المحمل المصري من عرفات، الحجيج في أزياء الحج.

وفي منطقة أبعد شرقاً، حيث تكون قد بدأت نجد، كان يعيش بنو هلال[3]،

(1) انظر مشجرة النسب على الصفحة التالية.
(2) قارن فوستنفلد، الجدول 11 (عرب الجنوب) مع ابن هشام، ص50.
(3) كانت منطقة تنقل بني هلال تقع في منطقة الحرة المسمّاة باسمهم والتي تحمل اليوم اسم النواصف (الناصفة) المتناقل من الزمن القديم أيضاً. ومن هناك انتشروا نحو الغرب والجنوب الغربي في سهوب الركبة، إلى بطن (الآن وادي) تربة ووادي عَبيدة ورنية وفي النهاية إلى مقربة من الطائف، وفي الشمال وصلوا حتى مرّان (انظر بكري، ص548، 764؛ ياقوت، الجزء الأول، ص834، الجزء الرابع، ص479؛ الهمداني، ص50، 119، 121). الأخبار المنقولة عن بني هلال خلال حروب الفتح الإسلامي لا تعطي صورة متكاملة. ويعتقد بأن

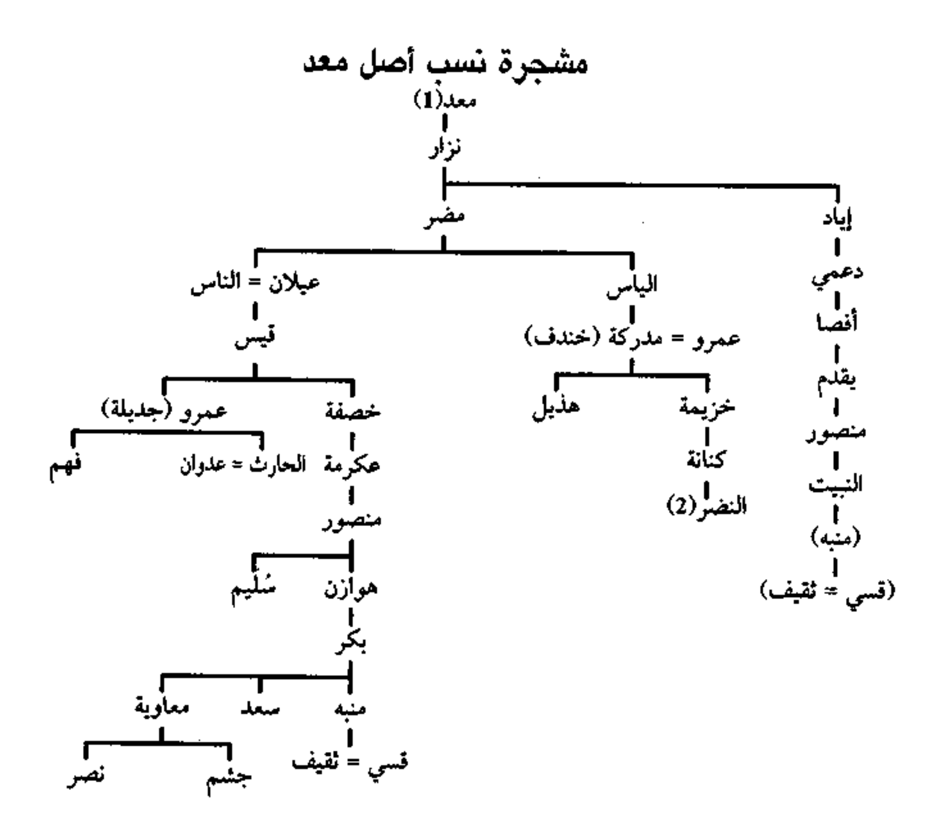
وهم قبيلة عامر بن صعصعة، التي تشكل مجموعة حديثة من هوازن.

جزءاً من القبيلة ذهب إلى جبل حوران؛ إذ إن هذا الجبل كان اسمه في العصور الوسطى جبل بني هلال (ياقوت، الجزء الثاني، ص22؛ الدمشقي، ص270؛ قارن أبو الفدا، جغرافيا، الجزء الثاني 2، ص36).

إلا أن بني هلال لعبوا دوراً أكبر جداً في شمال إفريقيا، وبالتحديد في مصر في بادىء الأمر. ويعتقد أن أجداد بني هلال شمال إفريقيا هم من بني هلال الذين استوطنوا في عام 109هـ/727م في شرقي الدلتا ثم لحقت بهم جماعات أخرى من موطنهم في الجزيرة العربية، أشرنا إليها في الصفحة 526 أعلاه، هامش 4، صحيح أن النص لا يذكر بني هلال صراحة، وإنما فقط الاسم العام بني عامر (ابن صعصعة)، ولكن عند ذكر بني عامر يخطر فوراً على البال بني هلال لأن القبائل المذكورة معهم، وهي سُلَيم وهوازن (= نصر، جشم، وسعد، وثقيف)، كانت من جيران بني هلال. وبينما اختفى هوازن في مصر، تطور بني هلال هناك إلى مجمع قبلي جبار، ونجم جزء من قوتهم عن انضمام قبائل أخرى لهم، منها على سبيل المثال قبائل جشم (ابن خلدون، البربر، الجزء الأول، ص38). وفي عهد الخليفة الفاطمي العزيز (975م ـ 996م) هُجّروا بالقوة إلى مصر العليا حيث انتشروا في الصحراء الشرقية (البربر، الجزء الأول، ص29). وكانت بقية منهم لم تزل تعيش قرب أسوان في أواخر العصور الوسطى (المقريزي، قبائل عربية، ص58). لكن الكتلة الرئيسية من القبيلة يجب أن تكون قد عادت بعد وقت قصير إلى الشمال؛ إذ إن أحد أفخاذها (بني قرّة) رافق في عهد الخليفة الحاكم حملة أرسلت إلى طرابلس ثم بقي في برقة؛ ابن خلدون، نفس المصدر، الجزء الأول، ص39 وما بعدها؛ قارن أيضاً الجزء الثالث، ص267. وكان هذا الفخذ طليعة هجرة كبيرة لبني هلال إلى الغرب.

يروي المؤرخون العرب هذه القصة ـ باستثناءٍ وحيدٍ هام هو ابن عذاري مؤرخ المغرب (آخر القرن الثالث عشر) ـ بصيغة درامية مبالغ فيها وينقلها عنهم بنفس الصيغة معظم المؤرخين الأوروبيين. حسب هذه الرواية قام الوزير الفاطمي اليازوري عام 442هـ بتحريض البدو ضد أمير إفريقيا (تونس) الأنفصالي المعز ابن باديس (ابن الصيرفي، عبد الله مخلص، ص42؛ ابن ميسر، ماسيه، ص5 وما يليها؛ ابن الأثير، الجزء التاسع، ص387 وما يليها). أما في الحقيقة فقد حدثت هذه الهجرة خلال فترة زمنية أطول ـ بني هلال كانوا موجودين في برقة منذ عام 440هـ/ 1050م ـ 1051م ـ ولم يكن الفاطميون وحدهم هم الذين سهّلوها بل شجعها أيضاً المعز ابن باديس أملاً في أن يساعده البدو ضد القبائل البربرية أو ضد أقربائه الحاكمين في الجزائر (هـ. إي. آر. جب، في الاسكلوبيديا، المستنصر).

في البداية كانت علاقة بني هلال مع المعز جيدة لكنها ما لبثت أن ساءت لأن بني هلال انتشروا في البلاد كالجراد. وبعد بعض المعارك الخاسرة اضطر المعز عام 449هـ/ 1057م إلى



التخلي عن عاصمته القيروان؛ وبذلك أصبحت تونس بكاملها في يد بني هلال. أما تاريخ بني هلال في شمال إفريقيا ووصول أجزاء منهم إلى المغرب فلا يمكننا متابعته هنا.

أما بنو هلال الذين بقوا في الجزيرة العربية فقد اشتركوا في الثورة التي قامت بها سُلَيم في أربعينات القرن التاسع الميلادي وتحدثنا عنها في الصفحة 526، 527 أعلاه ثم أصبحوا بعد ذلك من رعايا القرامطة. وفي عام 363هـ/ 974م هاجموا قافلة الحج (الطبري، الجزء الثالث، ص1338 وما يليها؛ ابن الأثير، الجزء الثامن، ص476).

هذا هو آخر خبر مؤكد عن بني هلال في الجزيرة العربية. وما إذا كان للقبيلة التي تحمل اسم بني هلال، والتي تعيش منذ العصور الوسطى على الساحل جنوب حالي، صلة مع بني هلال الذين نتحدث عنهم فهو أمر مشكوك فيه على الرغم من أن بكري، ص275 (الهمداني لم يعرف بني هلال هناك بعد) يعتبرها منهم. حول هؤلاء البني هلال يوجد معلومات أكثر تفصيلاً في هاندبوك، الجزء الأول، ص427 وما يليها.

1 ـ استناداً إلى جداول فوستنفلد؛ منبه وثقيف إلى اليمن ضمن قوسين( )، استناداً إلى شجرة النسب المذكورة عند فوستنفلد، أماكن إقامة وهجرات، ص70.

إن الصيغة المصطنعة لكامل المنظومة تظهر بكل وضوح؛ لاحظ أسماء القبائل التي تظهر إلى جانب أسماء الأشخاص والتي هي أحياناً إسم الأم (خندف، جديلة) وأحياناً أخرى لقب! عيلان مثبت كلقب لقيس أكثر منه كاسم لأبيه. والناس هي صيغة مصطنعة على وزن الياس. وتصنيف هذيل وخزيمة تحت عمرو = مدركة ـ الياس ـ مضر قد تكون غير أصلية؛ لأن الشاعر عادي بن الرقاع (الأغاني، الجزء الثامن، ص176) يقول: وأبو خزيمة خندف بن نزارِ، وهذا يعني نسبياً: خزيمة بن خندف بن نزار، ويعني أن خندف رجل. وبخصوص تصنيف ثقيف في صفين انظر أدناه!

2 ـ انظر مشجرة نسب قريش في الفصل التالي.

هَذيل[1] (هُذَيْل)

يبدو أن هذيل في الحجاز هم من السكان الأصليين؛ وعلى الأقل لا يرد في حكاياتهم المتناقلة والتي تعود إلى أيام الحملة الحبشية، أي إلى منتصف القرن السادس (الميلادي)، أي ذكر لأي هجره[2]. كانوا يسكنون شمال وشرق مكة، وبعضهم في جنوبها أيضاً. في الشمال الغربي كان يصلون حتى قرب عسفان، وفي الشرق حتى غزوان قرب الطائف. كانت منطقتهم منطقة جبلية غير خصبة لا تصلح إلا لتربية الحيوانات الصغيرة وقليل من الزراعة في الوديان. ولعل قربهم من الأماكن المقدسة في مكة ومواقع الحج المجاورة يوفر لهم دخلاً إضافياً. وكان لهم مصدر آخر للدخل هو خطف الناس. فقد كانوا يأخذون الأسرى في صراعات لا نهاية لها، ودامية جداً في كثير من الأحيان، مع جيرانهم كنانة وخزاعة، وسُلَيم ونصر، وفهم وأزد، ثم يبيعونهم في مكة.

الشيء الغريب والملفت للانتباه أن هذه القبيلة الفقيرة المحاربة لديها تراث شعري هائل يفوق كل ما لدى أي قبيلة أخرى في الحجاز ويضاهي، من ناحية الكم

(1) الجمع: هذلان (موريتس)، هذيلان.

(2) التراث مجمع في «قصائد الهذليين» والحكايات المرافقة لها، التي أصدرها كوزغارتن، وفلهاوزن، وهِلّ، وغيرهم وترجم جزء كبير منها، أما المصادر الأخرى فأهمها سيرة ابن هشام التي تروي سيرة النبي.

على الأقل، ما لدى القبائل البدوية الكبرى.

قدم هذيل للمكيين في صراعهم الطويل ضد النبي محمد مساعدة فعلية. وبعد فتح مكة (يناير/ كانون الثاني 630م)، وخضوع كنانة بعد الإجراءات الدامية التي تعرضوا لها على يد خالد بن الوليد، وهزيمة هوازن عند حنين، لم يبق أمامهم أي خيار سوى اعتناق الإسلام.

لم يستطع الجيل القديم مجاراة العصر الجديد لكن الشباب انخرطوا في الجيش الإسلامي وقاتلوا ضد البيزنطيين في مصر وشمال إفريقيا على وجه الخصوص . ولم يعودوا إلى ديارهم بعد توقف المعارك بل استوطنوا في الأقاليم المحتلة. ويشكو الشعراء في قصائدهم من الإفقار الذي نجم عن الهجرة. ولقد استغرق الأمر عدة قرون حتى تمكنت القبيلة من تعويض الخسائر البشرية التي لحقت بها جراء ذلك.

تمتد منطقة هذيل في نصف دائرة حول مكة مفتوحة نحو الجنوب الغربي. وهي تضم الواديين، وادي الشامية (وادي فاطمة) ووادي اليماني، وتصل هنا إلى بعد 5 أميال (انجليزية) عن النقطة الواقعة شمال السيل الكبير على الطريق المؤدية من مكة عبر عرفة إلى الطائف ثم عبر جبل كرا نحو الجنوب الشرقي[1]. وأكبر مستوطنة لهم هي عين الزيمة في وادي اليمانية[2].

كما أن طريقة الحياة بقيت كما كانت إلى حد بعيد: فهم يربون الغنم والماعز وإبلاً من نوع خاص بالجبال. وكما هو الحال لدى بقية قبائل الحجاز الصغيرة الأخرى فهم يستخرجون العسل الذي ينوب هنا من الناحية الغذائية محل التمر[3].

---

(1) قارن خريطة "جنوب غرب الجزيرة العربية" التي سنشير إليها فيما يأتي باسم "الخريطة"، المقياس: 1: 253440، الورقة، 8، 9.

(2) قارن أيضاً بخصوص ما يأتي بوركهاردت، رحلات، الجزء الأول، ص54، 120، 122، 124 وما يليها؛ دوتي، الجزء الثاني، ص482 وما يليها، 535؛ فيلبي، الجزء الأول، ص193، 210، 216.

(3) في القصائد الهذلية يرد ذكر النحل البري فقط.

وهم يسكنون في أكواخ صغيرة منخفضة ويمارسون الزراعة في الوديان ويقومون بري الحقول الزراعية بواسطة سدود حقنية تتجمع فيها مياه الجداول في موسم المطر[1]. وكانوا قبل ذلك غزاة مرهوبين، وفي الحروب الوهابية قدموا الرجال أيضاً[2].

ينقسم هذيل إلى مجموعتين: هذيل الشام وهذيل اليمن، شمالاً وجنوباً. وهذا التقسيم قديم جداً[3]. ولكن هذه التسمية لم تعد تتطابق مع أماكن الإقامة الحالية للمجموعتين[4]. ومن قبائل هذيل الفرعية القديمة لم يزل باقياً حتى اليوم قبيلة اللحيان.

(1) مثل هذه السدود يرد ذكرها في منطقتهم منذ قديم الزمان.

(2) بوركهاردت، ص338.

(3) انظر فلهاوزن، أناشيد الهذليين، رقم 158، 1، 176، 1.

(4) انظر هاندبوك، الجزء الأول، ص70؛ الخريطة، الورقة 8، غير ذلك. ينتمي إلى مجموعة الشمال القبائل الفرعية 1آ ـ د من الجدول.

بني فهم

يبدو أن الجيران الجنوبيين لهذيل، بني فهم، موجودون منذ زمن قديم جداً في الحجاز. ولا نعرف الشيء الكثير عنهم، والمصدر الوحيد هو هنا أيضاً التراث الأدبي والحكايات التي خلفها هذيل. وتدور هذه الحكايات حول اللص والبطل تأبط شراً الذي وجد فيه الشعر العربي القديم واحداً من أروع نماذجه. وهناك حكايات أخرى تحوله إلى شخصية أسطورية[1]. وهناك العديد من القصائد المنسوبة له ولكن أسلوبها المتميز يثبت أنها من صنع شاعر لاحق[2].

كانت أماكن سكن فهم تنتشر من الليث مروراً بسراه وحتى جنوبي الطائف[3]. وهذه المنطقة هي تقريباً نفس المنطقة التي يسكن فيها أحفادهم الحاليون. وتضعهم الخريطة في الأراضي الواقعة خلف ليث وعند أسفل جبل كرا.

وهم بدو رحل ماهرون في تتبع الأثر[4] ويزودون مكة بالخراف والفحم الخشبي.

---

(1) قارن كاسكل في «إسلاميكا»، الجزء الثالث، الملحق، ص25.

(2) روكرت، همزة، رقم 10، 12، 158، 158 آ، 266. المفضليات رقم 1، يمكن أن يكون فعلاً من تأليف تابط شراً، وكذلك الأبيات الشعرية الواردة في أناشيد الهذليين.

(3) فلهاوزن، قصائد الهذليين، رقم 184، 196، 197، 215؛ ياقوت، الجزء الأول ص625، انظر الجزء الرابع، ص782.

(4) حكاية عن حدة ذكائهم، الزركلي، «ما رأيت»، ص138.

عدوان

يُقدَّم عدوان (الحارث بن عمرو) في شجرة النسب على أنه أخو فهم. ويقال بأن القبيلة، التي كان موطنها جنوب الطائف، كانت في يوم من الأيام هامة جداً، لكنها في بداية الإسلام كانت مشتتة بين جيرانها. وهناك بعض الأسماء المعروفة من ماضيها منهم: القاضي والحاكم «حُكم يقضي» عامر بن ظرب[1]، والشاعر ذو الإصبع[2]. ومما معروف أيضاً أن عدوان كانت في يوم من الأيام تشغل أحد المناصب ذات العلاقة بأداء فريضة الحج[3].

ولكن يبدو أن القبيلة تحسن وضعها في العصور الوسطى[4]. ففي القرن الثامن عشر كانت لعدوان علاقات وثيقة مع حكام مكة وكانوا محترمين جداً. ولقد تضرروا كثيراً من الحروب الوهابية بعد أن كانوا قبل ذلك قد أضعفوا بسبب

---

(1) الحكاية السخيفة التي يرويها ابن هشام، ص78 وما بعدها، هي طبعاً ملفقة لاحقاً.

(2) تحت هذا الاسم أيضاً يوجد كثير من القصائد المزيفة؛ القصائد المنسوبة له في "المفضليات" قد تكون صحيحة.

(3) الإجازة، ياقوت، الجزء الرابع، ص614.

(4) الزمخشري يكتب، نقلاً عن ياقوت، الجزء الثاني، ص909، أن سهل الركبة يملكه عدوان، بينما كان في السابعة في يد بني نصر (انظر أعلاه). سهل الركبة يمتد شمال شرق وشرق الطائف.

اشتراكهم في الصراعات الدائرة بين عائلات الأشراف. كان شيخهم آنذاك عثمان المضايفي الذي كانت أخته متزوجة من شريف مكة غالب. وليس معروفاً ما هي الأسباب التي جعلته ينتقل إلى صف الوهابيين (انظر الصفحة 596 أدناه). بوركهاردت يتحدث عن خلاف شخصي مع صهره الشريف غالب، ومنجن يسكت تماماً عن السبب، أما سنوك هورغرونيه، ص148، فيعتقد أن السبب هو، إلى جانب الطموح الشخصي، القناعة الدينية. وقد شارك في خدمة سيده الجديد في كثير من المعارك إلى أن وقع في أيدي أعدائه في خريف 1813م. فقد هاجمه خيالة بدو من أتباع الشريف عند بسل، فلجأ على طريق الهرب إلى خيمة لعتيبة طالباً للحماية. لكن صاحب الخيمة سلمه للشريف غالب طمعاً في المكافأة التي حددها الشريف لمن يقبض عليه. فأرسل إلى القسطنطينية حيث قطع رأسه[1].

كان العدوان يتنقلون آنذاك بين جدة والطائف؛ أما اليوم فيبدو أنهم يقتصرون على منطقة صغيرة على الحدود الشمالية للزهران.

---

(1) بوركهاردت، ص455 وما يليها؛ منجن، الجزء الثاني، ص512، 521، 526، 532، 537، 540 وما بعدها.

ثقيف

الثقيف، سكان الطائف، أحدث من القبيلتين اللتين ذكرناهما حتى الآن. وهم ينسبون أنفسهم في الأصل إلى إياد، وهي قبيلة[1] تشتتت في القرن السابع الميلادي أو انحدرت إلى حياة الفلاحة. لكنهم تخلوا فيما بعد عن هذا النسب، الذي لم يكن في وسعهم الافتخار به، وانضموا إلى قيس الذين كانت لهم معهم منذ ما قبل الإسلام علاقات سياسية وعلاقات قربى[2].

تحتوي الحكايات، التي تتحدث عن التاريخ المبكر للقبيلة ومدينتها، على كثير من الأحداث التاريخية أكثر مما تحتويه عادة مثل هذه الحكايات التي تتحدث عن المنشأ والأصل والتأسيس: فمن المعقول جداً أن تكون الطائف قد نشأت عن واحة كان فلاحوها، الثقيف، يدفعون لأصحابها البدو نصف المحصول. كما أنه من المعقول أيضاً أن تكون أسوار الطائف، المدينة الوحيدة المحصنة في الشمال، قد بناها رجل من عرب الجنوب.

يعود الفضل في كون سكان الطائف قد استطاعوا المحافظة على كيانهم في

(1) هاجرت الكتلة الرئيسية من هذه القبيلة في وقت مبكر إلى بلاد الرافدين، انظر الجزء الأول، ص105.

(2) انظر أيضاً بخصوص ما سيأتي فوستنفلد، أماكن سكن وهجرات، ص57، 59، 62، 70 وما يليها. الأبيات الشعرية لأمية بن أبي الصلت، التي تذكر النسب القديم للقبيلة، هي بالتأكيد غير أصلية. أما الطريقة الغريبة التي تربط بها شجرتا النسب مع بعضهما البعض فيمكن الإطلاع عليها عند فوستنفلد.

وسط القبائل المحيطة بهم المضطربة والجشعة، إلى هذه الأسوار وإلى علاقاتهم الجيدة مع مكة. كانوا يعيشون من المنتوجات الزراعية التي يبيعونها في مكة وفي الأسواق المرافقة لموسم الحج، ومن صناعة الجلود. وكانت المدينة تعج بالغرباء والزوار بسبب وجود إلهة القدر مناة فيها وبسبب موقعها المناسب على طريق المواصلات ـ كانت الطائف محطة على طريق القوافل إلى جنوب الجزيرة العربية.

عندما حاصر النبي محمد المدينة بعد معركة حنين، التي كان ثقيف من المشاركين فيها ضده، فشل في اقتحام أسوارها. ولكن بعد عام واحد خضع له ثقيف طوعاً.

في كتابه، الدولة العربية وسقوطها، ص72، يصف فلهاوزن الدور الذي لعبه الثقيفيون في صدر الإسلام بالعبارات التالية: "خلافاً للأنصار" (انظر الصفحة 456 أعلاه) وقف الثقيف منذ البداية مع سادة قريش، وخاصة مع الأمويين الذين كانت لهم علاقات طيبة مع الطائف وكانت لهم أملاك هناك. كانوا يوصفون بأنهم أذكياء جداً[1] وقد حافظوا على هذه السمعة. وفي العهد الأموي برز منهم عدد من الشخصيات الهامة؛ كما أن المختار (قائد الثورة الشيعية في العراق) ومحمد بن قاسم (فاتح بلاد الهند) كانا منهم، إلى جانب العديد من الرجال البارزين الآخرين. أهم هؤلاء الرجال ولاة العراق الثلاثة الكبار: الوالي الماكر والعديم الضمير مغيرة بن شعبة (توفي عام 50 هـ)، والوالي الذكي والقوي الإرادة زياد بن أبيه (توفي عام 673م) "حاكم من رحمة الله"، والحجاج (توفي عام 714م) الذي يتهمه الأتقياء بالخسة والحقارة، لكنه في الحقيقة الرجل الذي وضع أسس الرخاء الاقتصادي في العراق[*].

(1) «عندما حاصر النبي محمد في العام الثامن للهجرة الطائف انضم إلى جيشه الغازاريت عينية على أمل الحصول في حال احتلال المدينة على أسيرة حرب ينجب منها ولداً ذكياً لأنه هو نفسه لا يمكنه توريث أي حكمة».

(*) هل قتل وسجن عشرات الألوف من الناس واستعباد البقية لخدمة سيده في الشام وارسال له الأموال هل هذا هو رخاء؟ ماجد شبّر.

يبلغ عدد سكان الطائف نحو 5000 نسمة يشكل ثقيف اليوم نصفهم[1]، لكن العنصر الشريفي هو المسيطر هنا منذ زمن طويل. تسكن القبيلة نفسها جنوب غرب المدينة، على سفح السراة الشرقي، وفي أبعد نقطة جنوباً تسكن القبيلة الفرعية بني سفيان. ويذكر أن الثقيف يملكون نحو 60 قرية، القرية الرئيسية في الجنوب بجيلة[2] وفي الشمال الهدا[3].

وقف الثقيف دوماً إلى جانب شريف مكة وشاركوا عام 1803م في الدفاع عن الطائف؛ أما في عام 1924م فقد كانوا (وهذيل) أقل صموداً[4].

(1) حسب هاندبوك، الجزء الأول، ص127. حسب الزركلي، ص49، لا يسكن الثقيف إلا في القرى المجاورة.

(2) أيوب صبري، الجزء الثالث، ص283.

(3) الزركلي، ص39؛ شكيب أرسلان، ارتسامات، ص271.

(4) الريحاني، تاريخ نجد، ص302.

بني سعد

بني سعد (بن بكر)، الذين تربطهم صلة قرابة مع فهم وعدوان، مشهورون جداً في العالم الإسلامي لأن لهم صلة بتاريخ النبي منذ طفولته. إذ إن حليمة (السعدية) مرضعة النبي تنتمي إلى هذه القبيلة التي كان نساؤها يمارسن مهنة إرضاع أطفال مكة الذين كانوا ينمون في الهواء النقي في المنطقة العالية بصورة أفضل من تهامة الحارة[1]. وتجدر الإشارة إلى أن أشراف مكة كانوا قد اعتادوا منذ زمن طويل على إرسال أبنائهم بعيد الولادة إلى مربين بدو يبقون عندهم حتى سن الثامنة أو العاشرة. كان أشراف مكة الحاكمون في القرن الثامن عشر يسلّمون أبناءهم عادة لقبيلة عدوان، بينما كان البقية يرسلونهم إلى هذيل أو الثقيف أو بني سعد[2].

كانت القبيلة في الزمن القديم غير هامة ولكنها حسنت وضعها في مطلع

(1) ليس هناك ما يدعو إلى اعتبار هذا الحدث اسطورياً، كما يفعل بعض كتّاب السيرة النبوية الأوروبيون، ومنهم تور أندريا مثلاً.

(2) بوركهاردت، رحلات، الجزء الأول، ص424 وما يليها. من المشكوك فيه أن تكون عادة الموالي (انظر الجزء الأول، ص442 وما يليها)، التي يذكرها بوركهاردت، نفس المصدر، ص427، وهي تربية ابن الشيخ في أسرة أخرى، لها علاقة بموضوعنا هنا. بل هي على الأرجح ذات صلة بالعادة التي يذكرها دي بوشمان في كتابه: ملاحظات حول الخصومة بين القبيلتين. . . السوريتين، ص24.

العصور الوسطى[1]. وهي اليوم مستقرة كلياً وتسكن في الجبال جنوب الطائف. يملك سعد نحو 30 قرية. وإحدى عائلاتهم مشهورة بسبب مهاراتها الطبية، وخاصة الكي[2]

(1) طردوا في عام 900م بمساعدة حاكم مكة هذيل من غزوان، الهمداني، ص173 (في النص كما عند ياقوت، الجزء الثالث، ص657، خطأ: عوران.

(2) الريحاني، ملوك العرب، الجزء الأول، ص32.

قبائل حديثة

إلى جانب هذه القبائل القديمة وجد هناك أيضاً بعض القبائل الجديدة التي يسكن بعضها على الساحل في منطقة كنانة سابقاً، ومنها الجحادلة، ويسكن بعضها الآخر في الداخل في منطقة البجيلة[1]، ومنها الناصرة وبني مالك. يمتد الجحادلة على الساحل من سروم حتى مسافة قريبة من ليث ويصلون في الداخل إلى جبل السراه. وهم بدو رحل كلياً متعادون مع حرب ولهم علاقات ودية مع ذوي حسن (انظر الصفحة 625 أدناه) وفهم.

يسكن الناصرة وبني مالك إلى الجنوب من بني سعد وثقيف. كلا القبيلتين مستقرتان، وتملك الأولى نحو 100 قرية (القرية الرئيسية: صور)[2] وتملك الثانية نحو 200 قرية. وكلاهما متحالف، مثل بني سعد، مع ثقيف.

إن تقسيم الزركلي، في كتاب (ما رأيت وما سمعت)، ص101، القبائل الموجودة قرب مكة إلى شبابة وخندف لا يعبر عن علاقات القرابة القديمة إلا قليلاً على الرغم من أن البدو أنفسهم يعتبرون هذا التقسيم تقسيماً قائماً على النسب. إذ إنهم

(1) قبيلة تشتتت قبل الإسلام بسبب عداوات داخلية إلى عدة أجزاء لجأت إلى مختلف القبائل بحثاً عن الحماية، وظلت السراه المسماة باسمهم، والتي لم تزل توجد فيها بقية من القبيلة، تحمل اسمهم زمناً طويلاً، ولم تزل قرية بجيلة المذكورة أعلاه تحمل اسمهم حتى اليوم.

(2) الخريطة، بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص373.

لا ينسبون إلى خندف (انظر ص555 أعلاه) الهذيل فقط وإنما أيضاً الثقيف، والجحادلة، والبقوم[1]، وسبيع[1]، ومطير[1]. وتحت الشبابة أيضاً نجد قبائل مختلفة المنشأ كلياً، ألا وهي: بنو سعد، وبالحارث (10)، وحرب، وعتيبة[1]، وقحطان[1].

قبائل صغيرة قرب مكة والطائف(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ هذيل(2)			10000
أ ـ لحيان(3)		وادي فاطمة	1500
ب ـ مطارفة(4)		وادي فاطمة	
جـ ـ مسعود		ربع السيل	
د ـ متعان(5)		مكة ـ جدة	
هـ ـ كباكبة(6)		شداد	900
و ـ الندويين(7)			
ز ـ دعد			
حـ ـ العلويين			
2 ـ الجحادلة(8)		السعدية	15000
3 ـ آل مهدي(9)		الليث	800
4 ـ بني فهم(10)		الملم ـ وادي وغر	4000
5 ـ ثقيف(11)		الطائف	10000
أ ـ بني سفيان			

(1) عولجوا في الجزء الثالث.

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
ب ـ طويرق(12)		جبل كرا	
جـ ـ ثمالة			
د ـ بني سالم			
6 ـ بني سعد(13)	أحمد السعد	الطائف	6000
7 ـ الناصرة(14)		الطائف	10000
8 ـ بني مالك(15)		الليث	8000
9 ـ عدوان(16)			2000
10 ـ بالحارث(17)		الطائف	2000

ملاحظات

1 ـ تم تسجيلها عام 1925م في دمشق، المصدر: بدوي من غامد. ثم استكمالها استناداً إلى بوركهاردت، أيوب صبري، الجزء الثالث؛ هاندبوك، الجزء الأول؛ الزركلي، ما رأيت؛ شكيب أرسلان، ارتسامات.

2 ـ بوركهاردت، ص338 وما بعدها، قائمة شبرنجر، رقم 56؛ أيوب صبري، ص283؛ هاندبوك، ص70ـ الزركلي، ص101. فؤاد حمزة، ص202 وما بعدها يذكر إضافة إلى القبائل الفرعية أ، ب، جـ ، و، ز: السواهر، وعمرو (أمير)، والجنابر (مع هـ كفرع)، والسراونة، والعاهلة، والجميل.

3 ـ يعتبرها بوركهاردت، ص335، وأيوب صبري، ص285، قبيلة مستقلة.

4 ـ يعتبرها بوركهاردت، ص335، قبيلة مستقلة.

5 ـ أيوب صبري (ص285): بني منعان.

6 ـ سجلها بوركهاردت، ص337، كقبيلة مستقلة، تقع شداد عند أسفل

كبكب. مشهورون بتتبع الأثر، قارن حكاية الزركلي، ص140.

7 ـ فؤاد حمزة: الندوية.

8 ـ بوركهاردت، ص336؛ أيوب صبري، ص285؛ هاندبوك، ص70.

9 ـ هاندبوك "كتاب الجيب"، ص71.

10 ـ بوركهاردت، ص336؛ بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص389؛ أيوب صبري، ص285؛ هاندبوك، ص70.

11 ـ بوركهاردت، ص339 وما بعدها؛ قائمة شبرنجر، ص54، تاميسبيه، رحلة في الجزيرة العربية، باريس 1840م، الجزء الأول، ص344 وما بعدها؛ أيوب صبري، ص283؛ هاندبوك، ص72؛ الزركلي، ص101؛ شكيب أرسلان، ص371 وما بعدها؛ فؤاد حمزة، ص134.

12 ـ بوركهاردت، ص337، 339: مستقلة؛ أنظر أيضاً ريحاني، تاريخ نجد، ص300؛ شكيب أرسلان، ص271.

13 ـ بوركهاردت، ص341 وما بعدها؛ قائمة شبرنجر، رقم 67؛ قائمة برتون (بلغريماج، الجزء الثاني، ص122): 4000؛ هاندبوك، ص72 وما بعدها.

14 ـ بوركهاردت، ص342؛ الزركلي، ص101 (بخصوص بالحارث)؛ قائمة برتون: 3000.

15 ـ بوركهاردت، ص342؛ هاندبوك، ص72؛ قائمة برتون: 6000.

16 ـ بوركهاردت، ص337 وما بعدها؛ قائمة شبرنجر، رقم 62؛ أيوب صبري، ص284.

17 ـ تاميسبيه، الجزء الثاني، ص19 وما يليها ("بني حارث")؛ أيوب صبري، ص284 (ابن الحارث)؛ فؤاد حمزة، ص138 وما بعدها؛ زركلي: بني الحارث (بخصوص عتيبة). بدو رحل، يذكر صبري معهم (بني) سعيد جنوب

الطائف الذين فيما عدا ذلك غير مذكورين إلا في قائمة برتون.

بعض المؤلفين يذكرون أيضاً القبائل التالية في منطقتنا: الريشية في وادي نعمان، بوركهاردت، ص337؛ النمور، الريحاني، تاريخ نجد، ص300؛ الزركلي، ص52؛ شكيب أرسلان، ص271، والوقدان المشهورين بمهارتهم في تتبع الأثر، الزركلي، ص138 وما بعدها. فؤاد حمزة، ص134، ينسب النمور إلى ثقيف.

قريش

توحي المقاطع الطويلة التي تخصصها "السيرة" لتاريخ القبيلة التي ينتمي إليها النبي محمد بأنها نابعة من تراث غني وأصلي المصدر. أما في الحقيقة فإن مثل هذا التراث لم يكن موجوداً، وذلك لأنه يفتقر إلى الوثائق، وإلى المستندات، التي تشكل الخيط لكل التراث المتناقل العربي القديم، أي إلى القصائد الشعرية، ففي مكة لم يكن ينظم الشعر. كما أن تجار المدينة (مكة) المسالمين كان ينقصهم الدافع القوي الذي كانت ثارات الدم تزرعه في ذهن المحارب والبدوي "حتى الجيل الخامس". ولذلك حاولت الأجيال اللاحقة سد هذه الثغرة. فقد التقى هنا في نفس المسعى حب المؤمنين لعائلة النبي ورغبة الحكام (العباسيون والأمويون والخلفاء الأربعة الأوائل كانوا كلهم من قريش) في تعليل حقهم في الحكم تاريخياً. وهكذا أصبح تاريخ قريش خليطاً شائكاً من الأساطير الدينية والإختراعات الذكية أو المكشوفة يصعب فيه تمييز الصح من الخطأ.

كانت قريش في الماضي فخذاً من كنانة التي كانت تقيم بين الساحل والشعاب والوديان المؤدية إلى المرتفعات التي تقع فيها مكة. وهذا الانتماء لا يثبته النسب وحسب وإنما أيضاً العلاقة الوثيقة التي كانت قائمة في جميع الأوقات بين قريش وكنانة[1]. أما جد قريش الأول فيقال مرة أنه فهر ومرة أخرى أنه "جده" النضر بن

---

(1) عند الشعراء يسمى كنانة وقريش في بعض الأحيان «علي» أو «بني علي»، انظر نولدكه،

كنانة[1]؛ أما قريش نفسها فهي اسم القبيلة ويعني أكيداً، على الرغم من المعارضة التي يبديها علماء الأنساب العرب، سمك القرش وإن كنا لا نريد تفسير التسمية بجشع التجار المكيين[2].

ليس معروفاً كيف حصلت قريش على مكة. ولكن يبدو مؤكداً أن مكة ومقدساتها (الكعبة) كانت قبل ذلك في يد خزاعة؛ فمن الزمن القديم لم يزل عالقاً في الذاكرة الإسم جرهم[3]. وتقول السيرة أن الذي استولى على المعبد والمدينة هو قصي[4] "أبو" أسرة عبد مناف التي ينتمي إليها هاشم، الجد الثاني للنبي، وعبد شمس جد الأمويين. ولكن هذه الرواية من الصعب أن تكون صحيحة؛ إذ إنه كان يوجد في القبيلة عائلات أقدم وأقوى. إلا أن المناصب المتعلقة بالأماكن المقدسة كانت في يد أحفاد قصي، وإن كانت في البداية لم تكن في يد أسرة عبد مناف وإنما أسرة "أخيه" عبد الدار.

تقول السيرة بعد ذلك أن خلافاً نشب في مكة حول هذه الامتيازات قسم المدينة إلى حزبين (المطيبين والأحلاف)وانتهى إلى أن عبد الدار احتفظوا بمفتاح الكعبة وبالتالي بحماية الأماكن المقدسة لكنهم سلموا السقاية والرفادة والقيادة السياسية[5] لعبد مناف. حسب هذا التقرير تحالف مع عبد الدار العائلات:

ZDMG، الجزء 40، ص177، وتفسير ابن دريد، ص34، غير الوافي.

(1) هذا ما يقوله، مثلاً، ابن دريد، ص18؛ انظر ابن هشام، ص60. أم القبيلة اسمها برّة وتوصف بأنها أخت جد قبيلة تميم. لاحظ النسبة فهري (إلى جانب قريشي) التي تُشير كما يبدو إلى أبناء الفخذين القديمين محارب وبني الحارث.

(2) انظر لامنس، الاسكلوبيديا الإسلامية، قريش ومكة. كلا المقالين يبهر القارىء بكم هائل من التفاصيل ولكنها للأسف لا تصمد دوماً أمام الفحص والتمحيص.

(3) تكشف السيرة مدلولاً تاريخياً ثم تجعل من جرهم رجلاً سبئياً؛ إذ إن الكعبة هي دون شك بناء قديم أسسه عرب الجنوب.

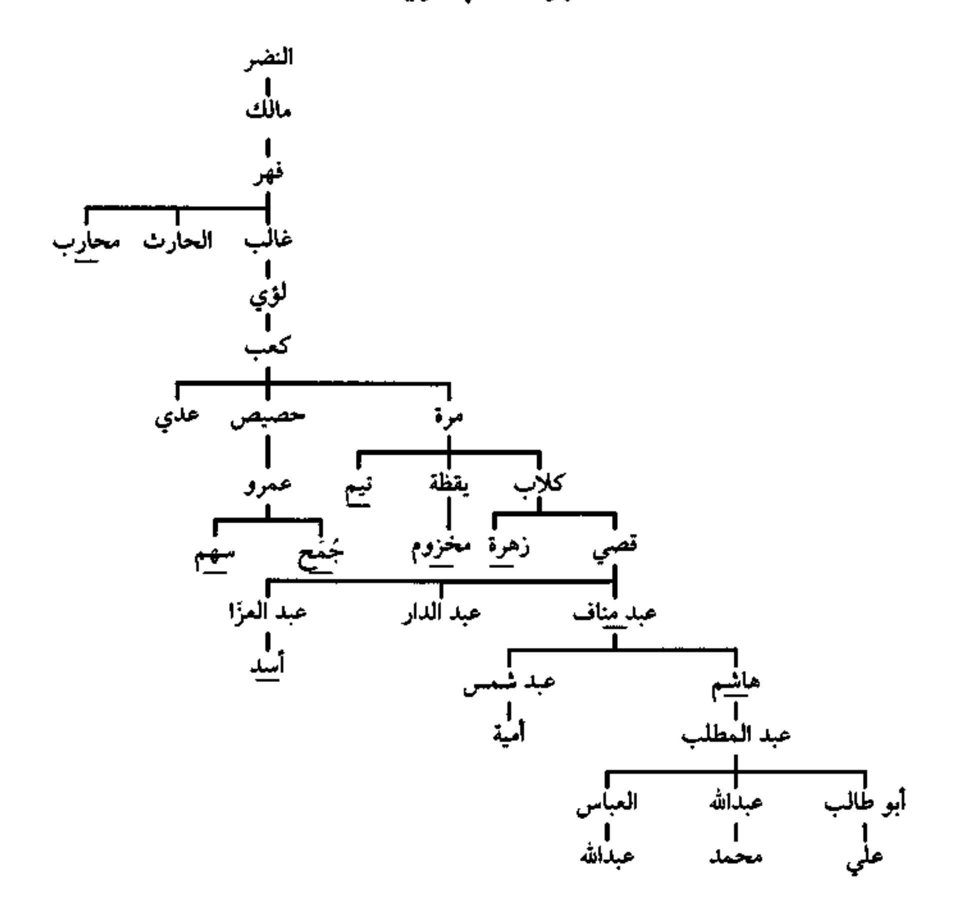
(4) يرى فيه لامّنس شخصاً غريباً من قبيلة عذرة، وهو مصيب في ذلك.

(5) "اللواء والندوة". اللواء، "الراية" مقصود هنا بالمعنى المجازي، لأنه لم يكن يوجد راية واحدة لقريش، وإنما عدد لا حصر له من الرايات في كل حملة ولدى كل جيش. وينطبق الشيء نفسه على الندوة التي يجب ألا نفهمها بمعنى "دار الندوة".

مخزوم، وجُمَح، وسهم، وعدي، وتحالف مع عبد مناف عائلات بني الحارث بن فهر، وأسد، وزهرة، وتيم (انظر مشجرة النسب)[1]. فيما يتعلق بالتحالفات نفسها فلا يوجد شك في صحتها لأنه يُستند إليها في وقت لاحق، ولكن السيرة تعرض نتيجة الخلاف (ودون شك سببه أيضاً) بطريقة خاطئة عندما تقول أن القيادة في الحرب وفي الندوة لم تكن في يد عبد الدار وإنما في يد حلفائهم مخزوم.

(1) كل عائلة من هذه العائلات قدمت واحداً أو اثنين من صحابة النبي: بنو الحارث منهم فاتح شمال سورية أبو عبيدة بن الجراح، ومن أسد: الزبير، ومن زهرة: سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، ومن تيم: الخليفة أبو بكر وطلحة وينتمي إلى مخزوم القائد العسكري الكبير خالد بن الوليد، وإلى جمح عثمان بن مظعون، وإلى سهم فاتح مصر عمرو بن العاص، وإلى عدي الخليفة عمر وسعيد بن زيد، واحد من أوائل معتنقي الإسلام.

مشجرة نسب قريش[1]



(1) الأسماء التي تحتها خط تعني العائلات التي كانت تتألف منها قريش في بداية الإسلام، انظر، مثلاً، ياقوت، الجزء الأول، ص659. تحت عبد مناف نفهم هنا، في هذا السياق، أبناء هذه الأسرة (نوفل) الذين لا ينتمون إلى عبد شمس ولا إلى هاشم. من بين من يسمون قريش الأطراف لم نذكر في شجرة النسب إلا فهر (محارب) و(بني) الحارث.

عندما بدأ النبي دعوته كان عبد شمس (أمية)، إلى جانب مخزوم، أهم أسرة في قريش. أما أسرة محمد، بنو هاشم، فقد كانت فقيرة لكنها كانت تتمتع بحق سقاية الحجاج وإطعامهم من الأموال العامة.

كانت مكة نوعاً من الجمهورية الأرستقراطية. وكان تكييف العادات والقوانين القبلية، المخصصة في الأصل للحياة في الصحراء، مع ظروف المدينة من الإنجازات الهامة للقريشيين. فقد نجحوا في الحيلولة دون تشكل حزبين يتصارعان على الحكم، أو على الأقل في إبقاء هذا الصراع ضمن حدود معقولة، وهي مهمة فشل في تحقيقها سكان المدينة (المنورة) وغيرها من واحات ومدن العالم العربي. ويعود الفضل في ازدهار المجتمع المكي إلى شيئين: قداسة أرض مكة التي كانت تحرم كل سفك للدماء، والشعور الجمعي الذي تشكل لدى المكيين نتيجة نشاطهم التجاري.

كانت المقدسات المكية موجودة قبل قريش ولكن القريشيين جعلوها مركز عبادة للجزيرة العربية كلها وحولوا مكة إلى أهم مدينة في جزيرة العرب. صحيح أن التجارة على طريق البخور القديمة جداً، والتي تقع عليها مكة، لم تتوقف أبداً حتى في زمن انهيار الممالك العربية الجنوبية، ولكن القريشيين عرفوا كيف يسيطرون عليها كلياً. ففي كل عام كانت تنطلق قافلتان كبيرتان، إحداهما إلى بصرى في حوران أو إلى غزة، والأخرى إلى اليمن[1]. كان الجنوب العربي يصدر البخور والصمغ، بالإضافة إلى البضائع الجلدية والنسيجية، وكانت سورية تصدر

(1) يبدو أن قريشاً لم يكن لها اتصال منتظم مع العراق، فقط عند حاتم طي، ديوان، رقم 43، يرد ذكر قافلة مكية كانت تنقل الطيب وغيره. بالمقابل كان الفرس يرسلون منذ حرب الفجار الثانية (الأغاني، الجزء 19، ص75) إلى سوق عكاظ قافلة محملة بالتوابل (لطيمة) وتعود محملة بالجلود والحرير والملابس العربية الجنوبية وغيرها.

أن يكون لمكة تبادل تجاي مع الحبشة فهو أمر محتمل، ولكن ليس معروفاً كيف كان يجري هذا التبادل حسب ابن هشام، ص218، 716، كانوا يأخذون الجلود ـ من الطائف أو اليمن ـ مقابل تجارتهم.

الحبوب والزيت[1]. بالإضافة إلى الأقمشة والحرير. لكن قيمة البضائع لم تكن عالية كما كانت في أيام ازدهار الممالك العربية الجنوبية، إذ إن التجارة العالمية كانت قد فقدت أهميتها القديمة بسبب الهجرة الجماعية الأوروبية التي أدت إلى إفقار الغرب. وجدت قريش تعويضاً عن ذلك في التجارة المحلية، أي في تزويد البدو بمستلزمات الحياة. وكانت هذه التجارة تحدث في الأسواق التي تقام كل عام بجوار مكة في موسم الحج.

كانت مكة كلها تعيش من التجارة. وكان التجار الأغنياء الذين يجهزون القافلة يقبلون كميات صغيرة بحيث كان الناس الفقراء أيضاً يستطيعون المشاركة في حمولة القافلة. وكانت قيادة القافلة تتطلب درجة عالية من الدبلوماسية؛ إذ كان ينبغي إبرام عقود للحصول على الجمال اللازمة للنقل، وإجراء مفاوضات مع البدو للسماح للقافلة بالمرور دون مضايقات، ومع السلطات الأجنبية حول قضايا الاستيراد والتصدير، فضلاً عن المعارف الأخرى التي تتطلبها التجارة تحت الظروف السائدة هناك.

لم يخض القرشيون أي حروب[2]، كان يتعين عليهم إقامة علاقات طيبة مع الجميع إذا ما أرادوا لمدينتهم أن تزدهر، ولذلك لم يكونوا يثأرون للدم وكانوا يدفعون الفدية[3]. ولم تكن تنقصهم الشجاعة بأي حال، وهذا ما أثبتوه في غزوتي بدر وأحد.

كان لهذه الصورة بعض الظلال: فالفروق الإجتماعية كانت عندهم أكبر منها عند البدو، وكان وضع العبيد شيئاً، وكانت غطرسة الأثرياء لا تطاق. ولقد أحس محمد بهذه الأمور إحساساً مريراً وكان كثيراً ما يتهم قومه بذلك. ولكن هذا لم

---

(1) انظر "نقائض جرير والفرزدق"، رقم 59، 53، علماً بأن الحديث هناك لا يتعلق بمكة بالذات.

(2) في ما يسمى حرب الفجار الثانية كانت قريش في حالة الدفاع.

(3) انظر، مثلاً، ابن هشام، ص863.

يكن السبب الذي أدى إلى الصراع بين النبي وأبناء قبيلته. بل إن كل شيء فيهم كان غاضباً على الداعية المجدد: اعتزازهم، وأنانيتهم، وحبهم لبلدهم؛ إذ إن الإيمان بالله ورسوله يعني سقوط النظام القديم، وانتهاء الوثنية وعبادتها وطقوسها، وتعريض التجارة المرتبطة بذلك للخطر[1] وبالتالي تعريض الرخاء في مكة للخطر أيضاً. ولذلك كان لا مفر من اللجوء إلى القوة.

كان انتصار النبي في غزوة بدر بمثابة المعجزة، ولقد مكنه إيمانه الراسخ من تجاوز الهزيمة التي مني بها المسلمون في غزوة أحد. ومنذ ذلك الحين أصبح الأقوى لأنه كان في وسعه قطع طرق التجارة إلى مكة. تحمل المكيون قطع الطرق التجارية عدة أعوام لكن مقاومتهم تلاشت بعد ذلك. فعندما زحف النبي في يناير/ كانون الثاني 630م على مدينته الأصلية مكة لم يلق أي مقاومة باستثناء بعض المخزوميين الذين واجهوه بالسلاح.

إلا أن محمد الذي لم ينكر أبداً حبه لقبيلته، بنىٰ للمهزومين جسوراً من ذهب، وبقدر ما كانوا عنيدين في مقاومته أصبحوا الآن متحمسين لنصرته، وخاصة مخزوم وأمية. فلم يخيبوا أمل محمد وثقته بهم. صحيح أنهم استولوا على الحكم بعد موته، ولكنهم كانوا الوحيدين القادرين على تولي السلطة لأنهم "كانوا قد مروا في الجاهلية في المدرسة التي أهّلتهم لحكم العرب" (فلهاوزن).

بعد الفتح بدأت مكة تفرغ من سكانها؛ فقد جذبت المدينة (المنورة) عاصمة الدولة الإسلامية جميع العناصر الفعالة، وبعد وقت قصير عجت المناطق الإسلامية الجديدة بالموظفين والجنود القريشيين. وبعضهم عادوا إلى ديارهم لكي يقضوا بقية العمر في مكة التي أصبحت في عهد الأمويين مدينة المتعة وطيب العيش. كما أن الاستيطان الداخلي كلف مكة بعض سكانها، وإن كانت حركة الاستيطان لم تخرج من مكة بالقوة التي خرجت بها من المدينة، وأن المكيين الذين شاركوا فيها كان معظمهم من عبيد قريش ومعتوقيها وليس من القريشيين أنفسهم. نشأت هذه

---

(1) هـ. ريتّر يرفض هذه الحجة بدعوى أنها غير معللة في المصادر.

المستوطنات القريشية في جبال السراه جنوب الطائف، وقرب بيشة، وفي جبال وفي تهامة عسير[1]. وبعد ذلك بدأ المؤمنون الذين يأتون إلى مكة في موسم الحج بالتضييق على السكان الأصليين. في أواخر العصور الوسطى عادت إلى مكة دفعة كبيرة من أحفاد القريشيين القدامى بهيئة الأشراف. وفيما عداهم لم يعد يوجد في مكة، إلا ما ندر، عائلات قريشية؛ فقط بنو شيبة أحفاد عبد الدار ما زال في حوزتهم حتى اليوم مفتاح الكعبة.

إلا أنه لم يزل يوجد في محيط المدينة قبيلة اسمها قريش (قُرِيش). وهي تتألف على الأرجح من أحفادِ قريشيين حل بهم الفقر ففضلوا حياة البداوة على حياة المدينة، شأنهم في ذلك شأن بعض عائلات الأشراف التي تحولت في أوائل العصور الوسطى إلى بدو. مكانة قريش الحاليين غير رفيعة. ويبلغ عددهم نحو 2000 نسمة، يقيمون قرب عرفات ويعملون في تربية الأغنام التي يبيعون منتوجاتها، من الحليب والسمن والجبن، في مكة والطائف[2].

(1) الهمداني، ص119 ـ 122. واحة في وادي بيشه استصلحت في عهد الخليفة هشام (724 ـ 743م) من قبل 200 شخص من العبيد الزنوج المتزوجين، ياقوت، المعمل.

(2) بوركهاردت، ص336؛ أيوب صبري، الجزء الثالث، ص282؛ دوتي، الجزء الثاني، ص525 (الجمع: «كراش»)؛ ريحاني، ملوك العرب، الجزء الأول، ص32 (5000 نسمة)؛ زركلي، ص101؛ فؤاد حمزة، ص135، 190 (الأخيران ينسبانهم إلى ثقيف).

الأشراف(*)

حَكَمَ أخلاف النبي محمد، أو مارسوا نفوذاً سياسياً، فترات مؤقتة في كثير من البلدان الإسلامية، لكنهم لم يحكموا بصورة دائمة إلا في وطنهم غربي الجزيرة العربية: حكموا المدينة أكثر من 500 عام وحكموا مكة نحو 1000 عام. ونظراً لخصوبة هذه الأسرة وكثرة أبنائها فقد انحدر كثير من أعضائها إلى مرتبة العامة من الشعب دون أن يفقدوا الاحترام الذي يتمتعون به بسبب نسبهم.

وهذا ما حدث في الحجاز أيضاً: فروع أسرة قتادة، التي حكمت مكة من حوالي عام 1200م حتى عام 1924م، تطوروا إلى قبائل يعيش جزء منها حياة البداوة. ويطلق عليهم اسم "أشراف". ومن أجل فهم هذا التطور يجب علينا العودة إلى أُسس ازدهار حكم الأشراف. ولكن قبل ذلك سنشرح باختصار الإسم "أشراف".

أشراف، جمع شريف، وتعني "متميز"، "نبيل"، كانت تطلق في فجر

(*) يعدُ الانتساب إلى الرسول الأعظم محمد ﷺ في التاريخ القديم والحديث ظاهرة ملفتة للنظر، فكثيراً من القبائل والعشائر والأفراد يدعون الانتساب إلى محمد ﷺ. ونجد هذه الظاهرة موجودة في أغلب الدول الإسلامية وخصوصاً العربية منها، وهذا الادعاء بالنسب يعطي للفرد والقبيلة منزلة كبيرة ولكي يحصل على موقع اجتماعي أو سياسي.

فقد ادعى إسماعيل الصفوي انتسابه إلى الرسول محمد ﷺ لكي يدعم موقفه السياسي وقد كان السيف لسانه. وكذلك ادعى أحفاد محمد علي باشا (الألباني) بأنهم من أحفاد الرسول واستمر الأمر حتى زال حكمهم عن مصر. وأخيراً ادعى صدّام حسين انتسابه إلى الرسول الأعظم (محمد)، مما جعل من هذا القول أضحوكة يتندر بها العراقيون. (ماجد شبّر).

الإسلام على زعماء العائلات الوجيهة في المدن، سواء كانوا من نسل عائلات شيوخ عربية قديمة أو من نسل عائلة النبي الذين ارتقوا بسبب الإسلام إلى مرتبة النبلاء. وتشمل هذه العائلة لأن النبي لم يخلف أبناء، ذرية عمّيه، أبي طالب والعباس، أي العقيليين والجعفريين والعلويين ـ نسبة إلى عقيل وجعفر وعلي، أبناء أبي طالب ـ والعباسيين[1]. وبعد سقوط الأمويين اهتز المجتمع العربي القديم، إذ تعين على ممثليه في الدولة العباسية التنحي شيئاً فشيئاً لغير العرب، بينما، من ناحية أخرى، أصبح النبلاء المسلمون، الذين تنتمي إليهم الأسرة العباسية الحاكمة، يتمتعون بالامتياز والتميز. وفي النهاية بقي لهم وحدهم لقب "الشريف"[2]. وضمن هذه الدائرة النبيلة احتل أحفاد فاطمة بنت محمد، الحسنيون والحسينيون، مكانة متميزة في وقت مبكر؛ لأن الناس كانوا يكرمون فيهم نسل النبي[3]. وفي خلافة القاهرة، التي سمي حكامها نفسهم "فاطميين" وأعلنوا أنهم من نسل الحسين، أصبح اللقب مقتصراً على الحسنيين والحسينيين، ثم انتشر هذا الاستعمال بعد سقوط العباسيين في جميع أرجاء العالم الإسلامي.

إلى جانب "الشريف" أو بدلاً منه يعطي الحسنيون والحسينيون لقب «السيّد» أيضاً، وهي كلمة كانت تعبر في اللغة العربية القديمة عن زعيم القبيلة، أي الشيخ. وفي الحجاز يسمى أحفاد الحسين "سيّد"، بينما يطلق لقب "شريف" هناك على أحفاد الحسن[4].

لم تكتف العائلات الإسلامية النبيلة، على الأقل العلويون والعباسيون،

---

(1) آل النبي يشملون حسب التفسير السني الشائع جميع أحفاد جد النبي الثاني هاشم. ولذلك تسمي عائلات الأشراف الحاكمة اليوم في العراق وشرقي الأردن نفسها الهاشميين.

(2) التطور غير واضح تماماً؛ فهناك، على سبيل المثال، الشريف الرضي الذي منح في عام 401هـ لقب «الشريف».

(3) لاحظ أيضاً الآية القرآنية (33، 33): «. . . إنما يريد الله ليُذهِبَ عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا». وهي آية ينسبها التفسير الشيعي، ومن حيث المبدأ التفسير السني أيضاً، إلى "العائلة المقدسة"، علي وفاطمة وأولادهما.

(4) يطلق لقب "شريف" في الحجاز على خلف العائلات التي كانت حاكمة. وهذه العائلات جميعها، باستثناء أشراف المدينة، حسنية. وهناك ألقاب أخرى مستعملة في إيران والهند وتركيا هي "المير" "أمير"، والمولى الذي سيرد ذكره في الجزء الثالث من هذا الكتاب.

بالوجاهة الإجتماعية والدينية[1] بل سعت منذ البداية إلى القيادة السياسية وقد كان لها فعلاً بعض الحق في ذلك، ليس حسب الشرع الإسلامي وإنما حسب القانون العربي القديم. فإذا ما اعتبرنا مركز النبي محمد مماثلاً لمركز زعيم القبيلة، يؤول الحكم حسب القانون القبلي بعد موت النبي إلى أبناء عمه. ومن بين أبناء عمه يتمتع علي، المسلم الأول وصاحب النبي وأقرب المقربين إليه وزوج ابنته، بأفضل الحق[2] ـ إذا ما استطاع فرض هذا الحق، لأن التسلسل الوراثي المحدد بدقة، كما هو الحال في الغرب، غير معروف في النظام القبلي. لكن علياً لم يكن الرجل المناسب لذلك. فعندما توفي النبي لم يجرؤ على المطالبة علناً بالخلافة، وعندما تولى أخيراً الحكم (35هـ/ 656م) لم يكن قادراً على الدفاع عنه بقوة السلاح. ثم جاء خلفه من بعده فاستهلكوا قواهم في ثورات غير مجدية أو فضلوا القبول بمنافع مادية بدلاً من السلطة السياسية. وهكذا وصل في البداية العباسيون إلى الهدف. لم يأت دور العلويين إلا في نهاية القرن الثامن (172هـ/ 788م) حيث رسخوا أقدامهم في مراكش وفي القرن التاسع الميلادي في مناطق متطرفة أخرى من البلاد الإسلامية، إلى أن انتصرت العلوية في القرن العاشر الميلادي في أجزاء واسعة من العالم الإسلامي. وفي هذا القرن أيضاً تأسست أولى الأسر الحاكمة الدائمة في الحجاز.

يعود الفضل في النجاحات التي حققها العلويون إلى انتشار "حزب" الشيعة[*] (أي حزب علي) التي كانت قد تحولت من قضية سياسية للنبلاء العرب إلى حركة شعبية دينية بفضل القوة التي استمدتها من قداسة علي وذريته ومن استشهاد كثير من العلويين. ولكن العلويين، الذين كانوا يطمحون إلى السلطة، لم يكونوا جميعاً يؤيدون المبادىء الشيعية أو يدعون لها. وكان هذا أقل ما يكون في الحجاز حيث كان الناس ينظرون باحترام كبير لأحفاد النبي محمد ولكنهم كانوا في بادىء الأمر يتخذون موقفاً متحفظاً من التعاليم الشيعية.

---

(1) في الطقوس الدينية يصلى على "آل النبي" كما يصلى على النبي.

(2) استندت الدوغما الشيعية المتأخرة في تعليل حق علي في الخلافة إما إلى أحاديث نبوية مزعومة أو إلى تفوق علي أخلاقياً على بقية صحابة النبي.

(*) هم الشيعة الموالين للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الذين يرونه واولاده احق بالخلافة الإسلامية. (ماجد شبّر).

بدأ العلويون مسيرتهم في الحجاز بصفة ملاك أراض. وكانت أراضيهم، التي حصلوا على بعضها عن طريق الوراثة وعلى بعضها الآخر كهدايا من الخليفة، تقع قرب المدينة (المنورة). وكانت توجد هناك أيضاً أملاك لعشائر شريفة أخرى من العقيليين والجعفريين. في البداية كان نفوذ العلويين أضعف من نفوذ خلف أصحاب النبي، وبقي الأمر كذلك إلى أن قضي على هذه الفئة في معركة الحرّة[*] (683م) وفي المعارك حول مكة (692م). بعد ذلك تمكن العلويون هنا أيضاً من ملاحقة أهدافهم السياسيين. ولكنهم سرعان ما اكتشفوا أن القرارات السياسية الكبيرة لم تعد تتخذ في موطنهم الحجاز منذ أن انتقل مركز الدولة إلى العراق، وهذا ما حدث، على سبيل المثال، مع محمد النفس الزكية (145هـ/ 762م ـ 763م). كما أن تصرفات العلويين في الحجاز[1] اتخذت بعد ذلك طابعاً آخر أيضاً: كانت تصرفاتُ شبابٍ متوحشين لجأوا إلى السلاح لأنهم شعروا بإهانة كرامتهم كطبقة نبيلة، أو لأن المكان ضاق بهم وأصبحوا بحاجة إلى الأرض والغذاء، وأخذوا على رأس مجموعة من البدو ينهبون الحجاج وسكان المدن. وتندرج في هذا الإطار ثورة الحسني حسين بن علي "شهيد الفخ" من ينبع (169هـ/ 786م)[2] وثورة اسماعيل بن يوسف الأخيضر (865م). أحس اسماعيل، وهو حسني من المدينة، بأن حاكم المدينة يحرمه من حقوقه. فجمع حوله جماعة من البدو ونهب إبل الضرائب «الزكاة» التي كانت مجمعة قرب روحا (على مسافة غير بعيدة من المدينة). ثم نهب بعد ذلك بالشراسة المألوفة في مثل هذه الثورات كلاً من مكة وجدة والمدينة. لكنه أصيب في العام التالي بمرض الجدري ومات. فتولى قيادة الجماعة أخوه الأكبر محمد الذي انسحب إلى اليمامة،

(*) وهي الواقعة المعروفة بوقعة الحرّة. وكانت وقعة عظيمة وقتل فيها خلق كثير من الناس من بني هاشم وسائر قريش والانصار وغيرهم. كما يقول المسعودي وغيره من مؤرخي الإسلام والحرّة هي موضع معروف بالمدينة المنورة، حدثت هذه الواقعة بعد مجزرة كربلاء سنة 61هـ وفي زمن يزيد بن معاوية. (ماجد شبّر).

(1) تصرفات الرجلين العلويين، اللذين أرسلهما القائد العسكري الشيعي أبو السرايا في عام 199هـ/ 815م إلى الحجاز، غير مشمولة بحديثنا هنا لأنهما كانا غريبين من الكوفة؛ إلا أن الرجل الصنيعة، محمد الديباج، الذي نصبه أحدهما خليفة في مكة كان من الحسينيين المحليين.

(2) سنوك ـ هورغونيه، مكة، الجزء الأول، ص41 وما بعدها.

بعد هزيمته أمام جيش الخليفة، وأسس هناك إمارة امتدت حتى شرقي الجزيرة العربية ثم اندمجت في وقت لاحق في الدولة القرمطية. ويبدو أن آخر الأمراء كانوا يحكمون كأدوات في يد القرامطة. وقد أصبح الحاكم الثالث حفيد محمد، واسمه اسماعيل بن يوسف، حاكماً على الكوفة بعد أن احتلها القرامطة عام 313هـ/ 926م. وبقيت العائلة موجودة بعد سقوط القرامطة وكانوا يعيشون تحت اسم بني يوسف في اليمامة[1]. نتيجة البلبلة التي حدثت في العهد القرمطي أصبحت الطريق مفتوحة أمام العلويين في الحجاز أيضاً.

في المدينة كانت السلطة الفعلية، قبل هذه المرحلة، في أيدي العائلات الشريفة. ففي عام 266هـ/ 879م ـ 880م نجد هناك جعفرياً في منصب "القيّم بأمر المدينة"[2] كان نفوذه يصل حتى وادي القرى. وبعد وفاته حصلت خلافات حول الحكم، وأخيراً تولاه رجل من الحسنيين. وقد نجح في محاربة موجة الغلاء التي نجمت عن الاضطرابات وذلك بأن كفل لتجار الديار، مرفأ المدينة آنذاك، جلب بضائعهم وأعفاهم من الضرائب، وكوفىء على ذلك بأن نُصِّب حاكماً على المدينة. بعد ثلاثة أعوام حدث نزاع جديد بين العائلات النبيلة[3]. وكان الجعفريون المنتصرين هذه المرة حيث حرروا حاكم المدينة، وهو أمير عباسي، الذي كان يحتجزه خصومهم الحسنيون والحسينيون. وفي نهاية عام 270هـ/ 884م

---

(1) بشأن اسماعيل بن يوسف الأكبر انظر المواقع المقتبسة عند سنوك، الجزء الأول، ص47، وبشأن بني أخيضر انظر فوستنفلد، الجدول زد 29 ـ 33؛ ابن خلدون، الجزء الرابع، ص98 وما بعدها؛ المسعودي، مروج الذهب، الجزء السابع، ص403؛ المسعودي تنبيه، ص381؛ سنوك، الجزء الأول، ص37. أيوب صبري، الجزء الثالث، ص55 وما بعدها، يذكر 13 رجلاً (ابن خلدون 5 رجال) حكموا جميعاً 99 سنة، الثلاثة الأوائل في اليمامة، البقية أيضاً في الحجاز. الإدعاء الأخير خاطىء: باستثناء اسماعيل بن يوسف الأكبر، الذي يعتبره مؤرخو مكة حاكماً، لم يحكم أي من بني أخيضر في مكة. أما سلسلة الحكام التي يذكرها صبري وعلاقة النسب فيما بينها فلا نستطيع الحكم عليها بسبب قلة المعلومات المذكورة عنها عند ابن خلدون، وهو المصدر الوحيد. وأما عدد السنين (99 سنة) فقد يكون صحيحاً لأن بني أخيضر كانوا عند كتابة "مروج" (943؟)، المسعودي، نفس المصدر، ما زالوا في الحكم.

(2) ليس واضحاً ما هو هذا المنصب "القيم بأمر المدينة".

(3) الطبري، الجزء الثالث، ص1941، 2031، 2105.

دخل إلى المدينة أثنان من الحسينيين ومارسوا فيها أعمال العنف والإرهاب على مدى أربعة أسابيع. وليس معروفاً بالضبط كيف تطورت الصراعات الحزبية في المدينة بعد ذلك. في عهد الخليفة المقتدر (908م ـ 935م) أعلن الثورة هناك رجل من الحسنيين اسمه محمد بن موسى الثاني من فرع العائلة المقيم في السويقة[1]. ومنذئذ يبدو أن الحسنيين انطفأوا هناك وبعد ذلك أرغم الجعفريون على مغادرة المدينة، وبقي الحسينيون وحدهم فيها[2].

كان معظم الأشراف يعيشون، وما زالوا، في الريف، ولكن ليس كملاك أراضي، كما كانوا سابقاً، وإنما كبدو. كان الحسنيون يشكلون قبيلة تضم 700 خيمة وتمتد من الساحل نحو الداخل حتى ودّان (في منطقة مستورة الحالية). وكانت الفرع مع أراضيها الغنية ملكاً للجعفريين. كان الجعفريون في صراع مع الحسنيين، لكنهم خضعوا في النصف الأول من القرن العاشر "الميلادي" لحرب الذين قدموا إلى المنطقة وسلبوهم أملاكهم[3]. وأخيراً غادروا موطنهم وهاجروا عبر البحر الأحمر إلى مصر حيث ما زال الجعافرة منتشرين حتى اليوم[4].

بينما نستطيع تكوين صورة تقريبية على الأقل، عن الظروف التي سمحت للحسنيين بتأسيس حكمهم في المدينة في نهاية القرن العاشر "الميلادي"، فإن هذا غير ممكن بالنسبة لمكة حيث استولى على الحكم في بداية النصف الثاني من القرن نفسه الحسني جعفر، أحد أحفاد محمد بن موسى الثاني.

بعد أن استعرضنا في هذا المقال بداية انتشار السلطة الشريفية في غربي الجزيرة العربية سنعالج في المقال القادم الأسرة الحسنية الحاكمة في مكة وسنتعرض في المقال الذي يليه باختصار إلى بعض الأسر الشريفية الأخرى.

---

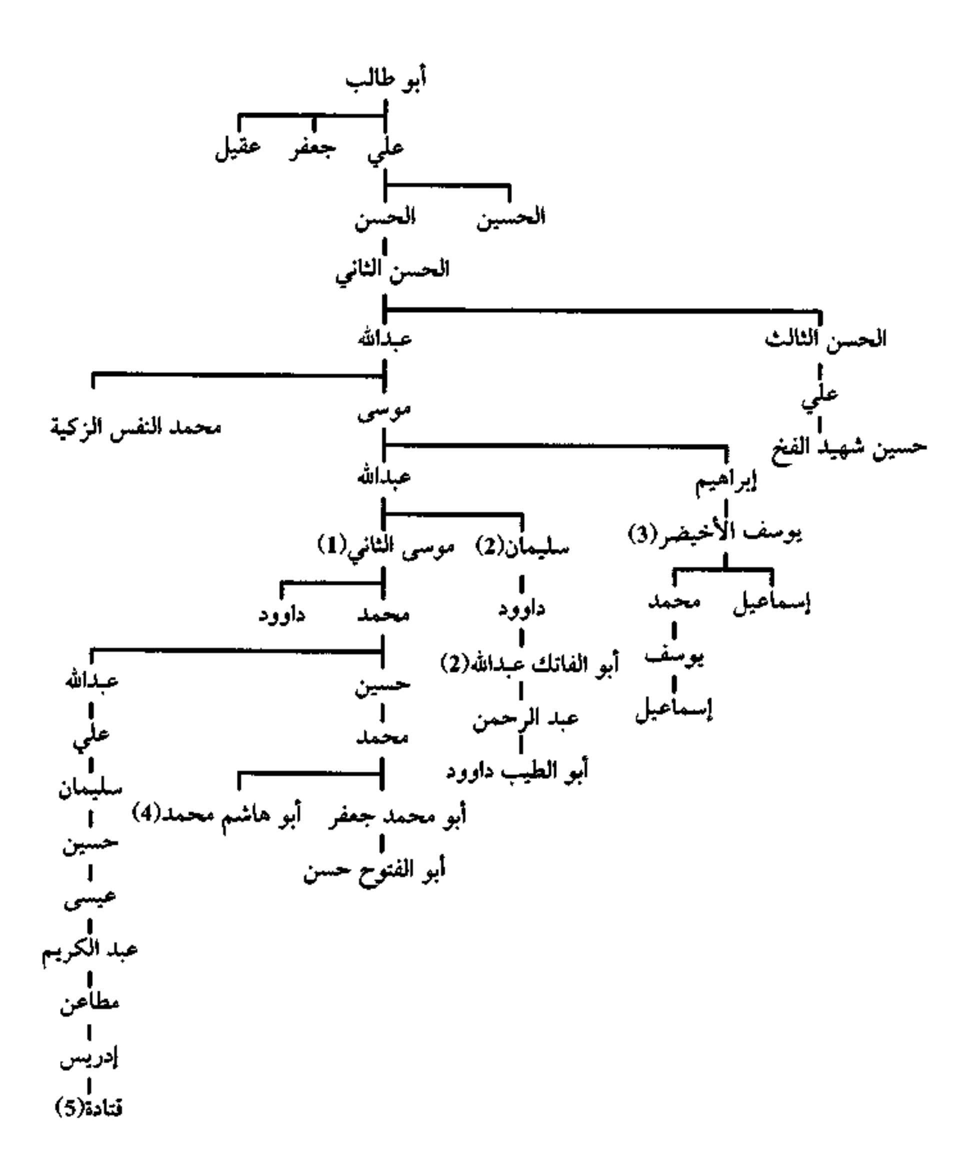
(1) انظر ص516 وما بعدها.

(2) سنوك، الجزء الأول، ص57 وما بعدها؛ ابن خلدون، الجزء الرابع، ص109.

(3) البلخي ـ الأصطخري (النصف الأول من القرن العاشر) ص21 وما بعدها. انظر ابن حوقل، ص28 وما بعدها؛ المقدّسي (النصف الثاني من القرن العاشر)، ص77، ثم الصفحة 498 أعلاه.

(4) ابن خلدون، نفس المصدر؛ موري، ص297.

مشجرة نسب أشراف مكة رقم 1



ملاحظات حول مشجرة نسب أشراف مكة رقم 1

1 ـ جد الأسرة الحاكمة الأولى في مكة (موسوي).

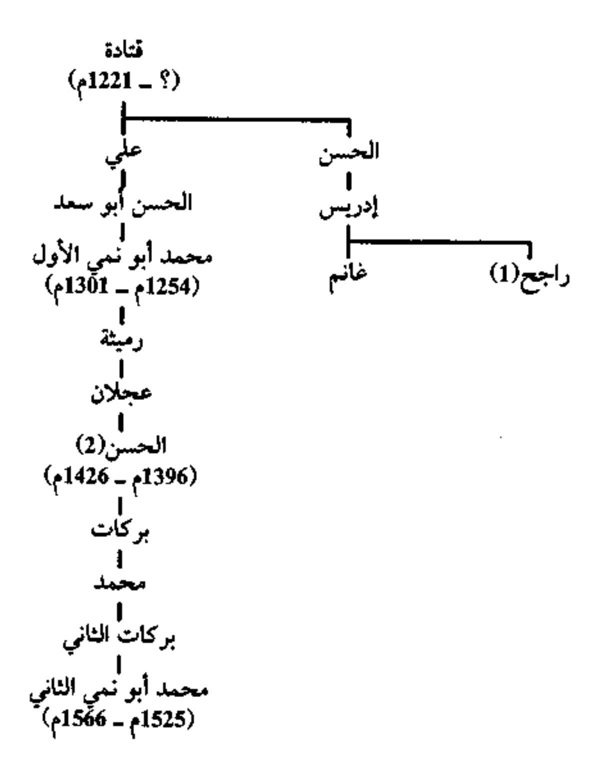
2 ـ جد الأسرة الحاكمة الثانية في مكة (سليماني، فاتكي، بني أبي الطيب).

3 ـ جد بني أخيضر.

4 ـ جد الأسرة الحاكمة الثالثة في مكة (الهواشم).

5 ـ مؤسس الأسرة الحاكمة الرابعة والأخيرة في مكة.

مشجرة أنساب أشراف مكة رقم 2



ملاحظات حول مشجرة أشراف مكة رقم 2

1 ـ جد أشراف ينبع

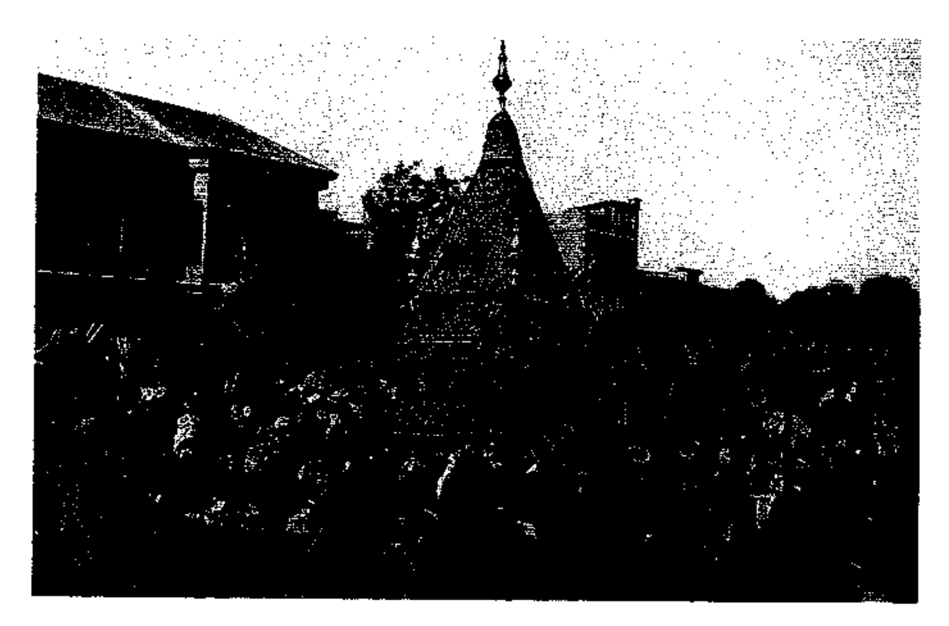
2 ـ جد ذوي حسن (11 في الجدول)

أشراف مكة

لقد عالج سنوك ـ هرغرونيه (Snouck - Hurgronje) تاريخ مكة بطريقة ممتازة بحيث أننا سنكتفي بإعادة أهم المعطيات باختصار مع بعض الإضافات التكميلية البسيطة.

في عام 961م احتل الشريف أبو محمد جعفر مكة المكرمة وأسس الأسرة الحاكمة "الموسوي" التي حكمت مكة نحو 100 عام بعضها تحت الحكم الفاطمي كسلطة مركزية عليا وبعضها تحت الحكم العباسي. ولقد تعرفنا في الجزء الأول من هذا الكتاب ص500 من بين خلفائه على ابنه أبو الفتوح حسن (994م ـ 1039م). وبعد مرحلة قصيرة أقامت فيها عائلة سليمان (تسمى أيضاً فاتكي أو بني أبي الطيّب)، "أخو" الموسوي، في مكة نظام حكم شريراً، نصّب أمير اليمن آنذاك، علي بن محمد الصليحي وهو من أتباع الفاطميين، في عام 1063م فرعاً جانبياً من الموسوي، فرع الهواشم، أمراء على مكة. فتابع هؤلاء اللعبة السياسية لسابقيهم وإن كان النفوذ المصري الفاطمي أصبح مع مرور الزمن أقوى من النفوذ العباسي السلجوقي. وعندما أصبحت القاهرة عام 1169م، واليمن عام 1174م، تحت حكم الأيوبيين تمّ تضييق صلاحيات الهواشم إلى حد ما. بعد عام 1200م بفترة قصيرة أنهى قتادة، وهو أيضاً من أحفاد موسى الثاني الذي كان قد وسع سلطته انطلاقاً من ينبع، المقر القديم لأسرته، لتصل إلى صفرا وكوّن لنفسه في مكة مجموعة كبيرة من الأتباع، أنهى حكم الهواشم. وكان لقتادة نظرة أبعد من نظرة أسلافه. فهو لم

يحقق هدفه في توحيد الحجاز، ولم يطبق خلفاؤه نصيحته بعدم الانغماس عميقاً في التعامل مع القوى الأجنبية. لكنه على الرغم من ذلك لم تذهب جهوده عبثاً؛ فالأسرة التي أسسها حكمت في مكة، وفي وقت متأخر في المدينة أيضاً، حتى عام 1924م/ 1925م. كاد أبناؤه وأحفاده من بعده أن يضيعوا بسبب الصراعات العائلية الحكم والجاه الذي ورثوه، وحصلت القوى الحامية، في البداية اليمن وبعد ذلك مصر، على نفوذ مخيف في الحجاز. لكن الحفيد الثاني لقتادة، محمد أبا نمي الأول، أعاد تمتين سلطة الأسرة خلال فترة حكمه الطويلة (1254م ـ 1301م). ثم عاد الصراع العائلي من جديد في عهد خلفاء أبي نمي إلى أن جاء حفيده الثاني حسن بن عجلان (1396م ـ 1426م) الذي سيطر على الوضع ولم يكن أحد يطعن في سلطته. وفي الأجيال الخمسة التالية انتقل الحكم، بصرف النظر عن بعد الانقطاعات الصغيرة، عبر خط تسلسلي مباشر.



قافلة الحج الى مكة مع المحمل عند خروجها من دمشق (١٩١٥م).

عندما قضى السلطان سليم في عام 1517م على حكم المماليك في مصر، قوة الحماية الوحيدة للحجاز بعد إبعاد اليمن، كان قاضي قضاة مكة موجوداً بمحض الصدفة في القاهرة. فكرمه السلطان التركي أبلغ التكريم. فعاد على الفور إلى مكة وأبلغ الأمير الحاكم آنذاك، بركات الثاني، بذلك. فأرسل بركات ابنه، محمد أبو نمي الثاني(*)، إلى القاهرة ليشارك في المبايعة. وهكذا حدث تبدل القوة الحامية دون أي مشاكل، وأدى الإحترام الذي جلبته فتوحات السلطان سليم لأشراف مكة إلى استتباب الهدوء فيما بينهم. ولكن عندما ضعفت القبضة التركية في بداية القرن السابع عشر نشب خلاف عائلي حاد بين الأشراف. أسفر الصراع عن تمكن ثلاث عائلات، العبادلة، وذوي زيد، وذوي بركات، وجميعهم من خلف محمد أبي نمي الثاني(*)، من فرض حقها في الحكم. وكان معظم الحكام الذين جاؤوا بعد ذلك من بني زيد. وفي نهاية القرن الثامن عشر بدا أن السلطة أصبحت مضمونة لهذه الأسرة.

قبل أن نتحول إلى المرحلة الأخيرة من حكم الأشراف، نود إلقاء نظرة قصيرة على أشكال العلاقات المتميزة التي طورتها هذه الدولة ضمن الدولة خلال حكم دام قرابة ألف عام. لننظر أولاً إلى علاقة الأشراف مع رؤسائهم في السلطة المركزية العليا. لم يُحدد أبداً مركز أمير مكة قانونياً، وكان على الصعيد العملي يتأرجح بين الأمير المستقل استقلالاً تاماً تقريباً وبين الموظف غير المطيع. ولم يطالب أمراء مكة أبداً بحق السيادة. فطالما كان هناك خلافتان أو عدة دويلات تسعى إلى حكم مكة، كانوا يعترفون بالسيادة لمن يدفع أكثر، أو ينتظرون حتى يحسم السيف الخلاف بين الأطراف المتنازعة. كل ما كان يهمهم هو السلطة الفعلية فقط، وهذه السلطة كانت بكاملها في يدهم في مطلع العصور الوسطى، باستثناء بعض الفترات القصيرة التي كانت فيها مكة تحكم من اليمن. وعندما أصبحت مصر، بعد سقوط الخلافة في بغداد، القوة المهيمنة في شبه الجزيرة

(*) أحمد وليس محمد (المصدر سمط النجوم العوالي ج4 ص334 الملك العصامي) وإليه تنتمي العوائل الحسنية في العراق كآل السيد عيسى والحيدري وآل هادي وآل حمندي كما ذكرها الوردي (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ملحق ج6 ص25) (ماجد شبّر).

العربية تحولت علاقة الارتباط الضعيف إلى علاقة تبعية متينة. لم يعد في وسع أشراف مكة الآن الإيقاع بين الحكام المحليين المتخاصمين بل أصبح يتعين عليهم التماس القاهرة لتعيينهم أو للمساعدة ضد منافس أو خصم محلي، وأحياناً شراء ذلك بالمال[1]. علاوة على ذلك حصلت مصر على عدد من حقوق السيادة، في البداية في الإدارة الجمركية في جدة (828هـ/ 1425م). في بادىء الأمر كان مدير الجمارك واحداً من طبقة الأشراف، وبعد ذلك رجل من المماليك. وبالطبع كان حجم هذه الوظيفة يكبر ويصغر حسب الشخص الذي يتولاها؛ فقد كان جان بك الظاهري، منذ عام 849هـ/ 1445م ممثل دائم تقريباً في جدة، يسيد ويميد وكأنه نائب الملك في الحجاز[2]. وفي عام 842هـ/ 1438م أرسل مملوكي إلى الحجاز ليتولى وظيفة "ناظر الحرمين"، وكانت مهمته في البداية حراسة المباني فقط؛ ولكن هذه المهمة تطورت أيضاً إلى منصب دائم لم يكن، كما يتبين من التعيين اللاحق لرجال الدين، منصباً سياسياً[3].

في العهد المملوكي أيضاً لم يتحدد الوضع القانوني لأمير مكة بشكل واضح ودقيق[4]. كانت له نفس مرتبة الأمراء البدو الكبار، وكان يعيّن مثلهم بموجب "تقليد"[5] ويحصل على حلة فخرية (انظر الجزء الأول، ص513). وكانت كلا

(1) انظر: أبو المحاسن، نجوم، الجزء السادس، ص595، 611؛ الجزء الثالث، ص465.

(2) أبو المحاسن، الجزء السادس، ص583، 678، 684 وما بعدها؛ الجزء السابع، ص143، 181، 208 وما يليها، 464، 778. كان هذا الموظف يحمل في البداية لقب "ناظر" ثم لقب "شاذ" و"مشدّ" وهما بنفس المعنى، متكلم (علْي) وبصورة عامة "نائب" اكتشف هذا المورد المالي الجديد المملوك يشرك الساقي الأعرج الذي عاش فترة طويلة منفياً في مكة واطلع بدقة على الظروف السائدة هناك.

(3) أبو المحاسن، الجزء السابع، ص55، 465.

(4) يتردد أبو المحاسن في تحديد المكان الذي يضعها فيه في قائمة الموظفين التي يضعها في بداية كل عام في حولياته. مرة يضعهم في حقل "النواب"، أي نواب الملك، ومرة أخرى في حقل "ملوك الأقطار"، أي الحكام الأجانب، انظر الجزء الخامس، ص3، 586؛ أبو المحاسن، حوادث الدهور، ص248، 345، 434، 505، 546.

(5) صبح، الجزء الحادي عشر، ص104.

الشارتين تقدمان له سنوياً عند أداء فريضة الحج علامة على تثبيته في منصبه.

عندما جاء العثمانيون ساروا على خطى المماليك في الحجاز. جدة، التي كانت قد أقطعت في عام 1511م لأمير مملوكي لقاء نشاطاته العسكرية في البحر الأحمر ضد البرتغاليين، أصبحت تحت الحكم العثماني سنجقاً[1]. وكان أول من تولى هذا المنصب تاجر مكي كان موجوداً في مصر عندما دخلها السلطان سليم[2]. وفي عام 1646م تم توحيد منصب شيخ الحرم، الذي كان يتولاه حينئذٍ موظف بمرتبة أدنى، مع منصب سنجق باي جدة، وكان هذا الإجراء تجديداً هاماً. وأرسلت إلى مكة حامية من الجنود الإنكشاريين. فيما عدا ذلك بقي كل شيء كما كان؛ فقط "التقليد" صار اسمه الآن "فرمان"، وصار المحمل السوري يتقدم على المحمل المصري.

وكما أن مركز شريف مكة لم يكن محدداً بدقة فإن منطقته لم تكن محددة أيضاً كانت جدة تابعة لها دوماً، ومنذ عهد قتادة الطائف وحلي أيضاً[3]. أما ينبع، مدينة قتادة، فقد كانت في أواخر العصور الوسطى تحت سلطة خط جانبي من أسرته، وكذلك بعض القرى الواقعة على الساحل. وأما المدينة (المنورة) نفسها فلم تكن تابعة لمكة أبداً إلا لفترات عابرة. يضاف إلى هذه المنطقة الخاضعة لحكم أمراء مكة مباشرة منطقة نفوذ تصل في الجنوب حتى غامد وزهران، وفي الجنوب الشرقي حتى بيشه[4] وتربة، بينما كانت في الشرق غير محددة. بطبيعة الحال لم يكن من الممكن هنا المحافظة على نفوذ الأمراء إلا عن طريق الغزو وعقد التحالفات مع البدو، الأمر الذي كان في بعض الأحيان ضرورياً أيضاً بالنسبة للمناطق المجاورة لمكة.

من أجل المحافظة على النظام كان لدى الأشراف منذ ما قبل قتادة حرس من

---

(1) حوليات مكة، الجزء الثالث، ص245.

(2) حوليات مكة، الجزء الثالث، ص284؛ جهان نوما، ص549.

(3) الحدود الجنوبية أعيدت إلى الوراء لفترة مؤقتة، انظر حوليات مكة، الجزء الثاني، ص73.

(4) انظر هاندبوك، الجزء الأول، ص465.

العبيد، ومنذ أواخر القرون الوسطى، قوة عسكرية دائمة من المرتزقة الذين كانوا يجندون من سكان اليمن الأشداء (الجبلية)، وفي وقت لاحق من منطقة بيشة (البيشية). أما للمعارك العائلية والغزو فكانوا يجندون البدو.

كانت الموارد المالية للأشراف تستند بصورة جوهرية إلى الأموال التي يبذلها المسلمون انطلاقاً من الشعور بواجب تقديم الدعم لأقدس المقدسات الإسلامية ولسكان وحكام المنطقة الموجودة فيها. كان الأشراف يفرضون ضريبة على جميع الأموال المقدمة بدافع هذا الشعور لخدمة المباني وتوسيع وتجميل الأماكن المقدسة ولخدمة الحجاج وتوفير الراحة لهم، وكذلك على التبرعات النقدية والعينية (حبوب) التي تقدم لأهالي مكة. كما كانوا يفرضون رسوماً عالية على فريضة الحج ذاتها. وبما أن هذه الضرائب والرسوم كانت تعيق الهدف الديني، كان الحكام المركزيون منذ صلاح الدين يطالبون بإلغائها، وذلك عن طريق إعطاء الأشراف تعويضاً عنها بصيغة منح مالية وعينية (حبوب) سنوية وبصيغة حصص من واردات الأراضي. وطالما كانت التجارة مزدهرة مع الهند كانت واردات الجمارك في مرفأ جدة كبيرة، وإن كان أمراء مكة صاروا منذ القرن الخامس عشر يتقاسمونها مع المصريين وفي وقت لاحق مع العثمانيين. وعندما ضعف هذا المورد إلى حد بعيد في مجرى القرن السادس عشر صار الأتراك يعوضون الأمراء بحصة من حاصلات الأراضي.

يجب على المرء أن يفترض أن هذا الدخل كان يكفي لجعل أشراف مكة يعيشون حياة رغيدة مثل الحكام المسلمين الكبار. لكن الأمر لم يكن كذلك لأنه كان يتعين عليهم تقاسم هذا الدخل مع أقربائهم. حسب نظام قديم، اعترف به المصريون وصاروا يراقبون تنفيذه، كان الشريف ملزماً بأن يقبل الإبن والعم والخال والأخ وابن العم شركاء في الحكم ويعطيهم بالتالي ربع أو نصف الدخل. ومع مرور الزمن اتسعت دائرة المستفيدين، لأن جميع فروع العائلة، الذين حكموا في يوم من الأيام، كانوا يطالبون بحصة من الدخل، بحيث لم يبق في النهاية للأمير سوى الربع.

ساهم هذا النظام في تقوية التضامن بين أفراد عائلة قتادة. وتجدر الإشارة إلى أن شعور الانتماء المشترك «العصبية القبلية» لم ينعدم أبداً لدى الأشراف على الرغم من كل الخلافات والمناحرات. وهذا دليل على البنية الهيكلية البدوية للمجتمع الشريفي، الأمر الذي كان بوركهاردت (رحلات في الجزيرة العربية، الجزء الأول، ص422) أول من أشار إليه. وبالفعل فإننا نفهم العلاقة بين زعماء الأشراف المختلفين على أفضل وجه، إذا ما اعتبرنا الشريف الحاكم بمثابة شيخ المشايخ (الشيخ الأكبر) وزعماء بقية فروع العائلة بمثابة شيوخ القبائل الفرعية (البطون والأفخاذ)، واعتبرنا مكة الواحة التي تتنازع الأطراف المختلفة على محصولها، لكنها تتصالح بعد ذلك من جديد.

بعد هذا الخروج القصير عن الموضوع نعود إلى موضوعنا الأساسي. في نهاية القرن الثامن عشر وجد نفسه شريف مكة في وضع لا مثيل له منذ سقوط الدولة القرمطية. في وسط الجزيرة العربية حلت محل الإمارات الواحية الصغيرة والقبائل البدوية المستقلة دولة آل سعود التي أخذت تتوسع دون توقف نحو جميع الاتجاهات مدفوعة بتعاليم الحركة الوهابية. وكما هو الحال عادة في جميع أنحاء العالم، عندما تصعد قوى جديدة، لم يدرك أشراف مكة الخطر إلا في وقت متأخر ولم يقدموا في الوقت المناسب المساندة لأمراء وقبائل وسط الجزيرة العربية قبل أن يبتلعهم الوهابيون. صحيح أن الحملات التي أرسلها غالب، أمير مكة آنذاك، منذ شتاء 1790م/ 1791م إلى وسط الجزيرة العربية، إلى أقاليم الوشم والسر ووادي الدواسر، أدت إلى انفصال أجزاء من المطير وقحطان عن الوهابيين، لكن نجاحها لم تكن له صفة الديمومة. ولم يصمد اتفاق مع الوهابيين يقضي بترك الحجاز لأمير مكة (1799م) زمناً طويلاً لأنه لم ينص على منع الدعاية الوهابية الدينية في المنطقة. فعندما وصلت هذه الدعاية إلى المناطق الحدودية الجنوبية للحجاز، بيشة وعسير، نشبت هنا صراعات مختلفة (1800م ـ 1802م). وفي هذا الوقت تخلى عثمان المضايفي، صهر أمير مكة ورئيس قبيلة عدوان، عن سيده وانضم إلى صفوف عدوه. وبفضل العون الذي قدمه للوهابيين سقطت الطائف في بداية عام 1803م.

وبعد وقت قصير اضطر غالب إلى ترك مكة، وإذا ما كان قد تمكن من العودة إليها في صيف العام نفسه، فإن وضعه كان يائساً ما لم يتلقَ معونة من الأتراك. ولم يكن الباب العالي متقاعساً بأي حال عن تقديم الدعم، لكنه لم يكن يملك الوسائل اللازمة لذلك: ففي مصر[1] كانت تسود منذ انسحاب الفرنسيين حالة الفوضى، والعراق كان هو نفسه مهدداً من الوهابيين. كانت المساندة الوحيدة التي تلقاها غالب حفنة من الجنود وضعها تحت تصرفه أمير قافلة الحج السورية في ربيع عام 1804م وتركها عنده حتى موسم الحج القادم. على الرغم من ذلك لم يتبع غالب خطى أقربائه الذين خضعوا للوهابيين بالجملة ولم يستسلم حتى عام 1806م بعد حصار مكة مدة سبعة أشهر. فتركه الوهابيون في منصبه وتركوا له سلطته كاملة تقريباً (مع قوات خاصة به).

بعد إعادة احتلال الحجاز[2] توقع غالب أن يعترف المصريون الأتراك بحقوقه كاملة لأنه أقام اتصالات مبكرة معهم وساعدهم على الاستيلاء على ينبع وجدة ومكة. على الرغم من ذلك لم يثق بمحمد علي عندما زار الجزيرة العربية عام 1813م. وقد أكدت الأحداث صحة ارتيابه: فقد اعتقل بطريقة مهينة وعُيّن مكانه ابن أخيه يحيى بن سرور.

وضع الاحتلال المصري (1812م ـ 1840م) إمارة مكة في حالة من التبعية الشديدة لم يسبق لها مثيل. فلم يعد الأمير هو الحاكم الفعلي وإنما أصبح المحافظ الذي يعينه محمد علي.

عندما استولى الأتراك مجدداً على الحجاز، بعد سقوط سياسة محمد علي الطموحة، تركوا أمير مكة آنذاك، محمد بن عبد المعين بن عون، في منصبه. كان محمد بن عون ينحدر من أسرة العبادلة التي تقاسمت السلطة في القرن السابع عشر

(1) الباشاوات الذين عُينوا آنذاك لسنجق جدة كانوا جميعاً ينتسبون إلى الجيش المصري، وكان أخرهم محمد علي الذي لم يلتحق؛ منجن، الجزء الأول، ص12، 24، 32، 40، 159.

(2) انظر ص325 وما بعدها. المصادر: بوركهاردت، منجن، الجبرتي.

مع ذوي زيد وذوي بركات. وبعد اشتراكه في المعارك التي دارت في عسير عينه محمد علي أميراً لهذه المنطقة. وفي عام 1824م ذهب إلى القاهرة وكان لم يزل موجوداً هناك عندما حدثت في عام 1827م اضطرابات في مكة. إذ كان محافظ مكة قد عزل يحيى بن سرور غير المطيع وعيّن مكانه عبد المطلب، بن غالب. لكن محمد علي قرر إنهاء سلطة ذوي زيد الذين حكموا مكة 50 عاماً متواصلة، وأرسل إليها عام 1827م محمد بن عون الذي كان محتمياً عنده. نظراً لسلوكه الذكي المتحفظ وعلاقته الجيدة مع محمد علي، الذي ظل له تأثير على سير الأمور في الجزيرة العربية بعد عام 1840م أيضاً، تمكن محمد بن عون من البقاء في الحكم فترة طويلة نسبياً. في عام 1851م تعين عليه التنحي أمام مكائد عبد المطلب الذي كان موجوداً في القسطنطينية منذ 20 عاماً. لكن عبد المطلب، الإبن الأصيل لذوي زيد المشاكسين، سبب للأتراك مصاعب جمة مما جعلهم يتخلون عنه بعد خمسة أعوام ويعيدون محمد بن عون إلى المنصب. وعندما توفي ابن عون عام 1858م خلفه ابنه عبد الله قام عبد الله (1858م ـ 1877م) بتوحيد مهارات أبيه السياسية والعسكرية مع المعارف والخبرات التي كان قد اكتسبها خلال إقامته الطويلة في القسطنطينية. جاء بعده أخوه الطيب حسين الذي راح للأسف ضحية عملية اغتيال عام 1880م.

في هذا الوقت كان الأخوان الأصغران من ذوي عون موجودين في القسطنطينية للحصول على التأهيل العصري الذي أصبح مطلوباً في عصر الإصلاح؛ إذ كانت قد جرت العادت أن يقيم الإبن البكر للشريف الحاكم أو أخوه في القسطنطينية. فكما كان عبد الله هناك خلال فترة حكم أبيه الثانية، كان حسين في القسطنطينية خلال حكم أخيه. وعندما أصبح حسين أميراً أرسل أخوه الأصغر عون الرفيق إلى البلاط العثماني. في القسطنطينية كان الأشراف يضمون إلى دائرة كبار الشخصيات عن طريق منحهم لقب باشا وتعيينهم أعضاء في مجلس الدولة. لكن محاولة تحويلهم إلى عثمانيين لم تنجح إلا مع بعض أبناء العائلة من الأجيال اللاحقة.

وعلى أي حال فإن الإقامة الطويلة على ضفاف البوسفور لم يؤثر على العجوز

عبد المطلب الذي أرسله الباب العالي إلى مكة بعد وفاة حسين (1880م). فقد أعاد تطبيق أساليب الحكم التعسفي القروسطي التي كان يطبقها أسلافه مما أدى إلى اعتقاله بعد عامين. وعاش بعد ذلك حتى عام 1886م شبه سجين في مكة، وكان الناس يحترمونه إلى درجة التقديس رغم أفعاله السيئة.

كما أن خليفته عون الرفيق المذكور قبل قليل، والذي عاد ذوي عون معه إلى القيادة، أثبت أنه لم يتأثر بالأفكار الغربية. في البداية كان عنده وآل تركي قوي لكبح جماحه، ولكن بعد أن عينوا إلى جانبه والياً مطيعاً أطلق العنان لأسلوب حكمه التعسفي. فلم يقتصر الأمر على الزيادة المتواصلة للأعباء التي تثقل كاهل الحجاج، بل وقع عام 1904م هجوم على الحجاج المصريين عند أبواب مكة، لا بل إن القافلة المصرية الرسمية تعرضت عام 1905م قرب الحمرا لهجوم على طريق عودتها من المدينة. لقيت هذه الأحداث صدى قوياً في صحافة كثير من البلدان الإسلامية، وخاصة في القاهرة حيث عبر الكاتب الكبير إبراهيم المويلحي والشاعر أحمد شوقي عن الغضب العام الذي عم البلاد نتيجة ذلك[1]. توفي عون عام 1905م قبل أن تعطي موجة الاحتجاج مفعولها.

لا يمكن الادعاء أن الظروف تحسنت في عهد ابن أخيه وخليفته علي بن عبد الله[2]. بل بالعكس فقد هوجمت قافلة الحج المصرية مجدداً عام 1908م على الطريق من المدينة إلى ينبع[3]. وهذه المرة أيضاً لم يحدث أي شيء؛ إذ إن سقوط علي والباشا التركي(1908م) لم يكن بسبب الشؤون الحجازية وإنما بسبب تغير الحكم في القسطنطينية.

(1) مرآة الحرمين، الجزء الأول، ص64 وما بعدها؛ الجزء الثاني ص70 وما يليها، 128.

(2) عين أولاً أخو عون، عبد الإله، لكنه توفي قبل مغادرته القسطنطينية. علي، الذي كان قبل تعيينه يعمل "وكيل الأشغال" عند عون الرفيق، عاش بعد عزله في مصر حيث كان ذوي عون يملكون كثيراً من الأراضي بفضل هدايا محمد علي والخديوي عباس الأول؛ مرآة الحرمين، الجزء الأول، ص37، 65؛ شكيب أرسلان، ارتسامات، ص127.

(3) مرآة الحرمين، الجزء الثاني، ص210 وما يليها.

بصرف النظر عن مثل هذه الحوادث غير المريحة فقد تغير في الحجاز خلال العقود الأخيرة كثير من الأمور. فمن الناحية الأولى تعززت مكانة الأتراك في بعض الجوانب، فقد نقل الحاكم ـ الذي أصبح يسمى والي الحجاز ـ مقره إلى مكة، وفي جدة وغيرها من المدن الساحلية (الموانىء) أصبحت الإدارة تركية، وأصبحت الجمارك منذ الاحتلال المصري في أيدي الأتراك، وفتحت محاكم تركية (دنيوية) إلى جانب محاكم الشريف. ولكن من الناحية الأخرى ازداد نفوذ الأمير: في السابق كانت سلطة الشريف الأكبر (الشريف الحاكم)[1] تنتهي عند حدود سلطة أشراف أقوياء آخرين. ولكن هذا الحاجز سقط منذ أن أصبح خصوم الشريف الحاكم يبعدون من الحجاز. كما أن سلطة الشريف الحاكم على رعاياه العاديين لم تكن سلطة مطلقة. فالمنظمات والهيئات التي كان سكان مكة منضمين إليها، الأسياد «السادة» (انظر مقال: قبائل الأشراف، في نهاية الفصل) والجمعيات المهنية، الأحياء والمستوطنات الأجنبية كانت تدير نفسها ذاتياً، كانت دون شك خاضعة للشريف ومرتبطة به، ولكنه لم يكن يستطيع أن يفعل بها ما يشاء. ودستور الولاية، الذي بدأ تطبيقه عام 1869م ونص على وجود مجالس بلدية ودوائر تابعة لها في أحياء المدن، لم يلغ المنظمات والهيئات الإدارية القروسطية، لكنه أفرغها شيئاً فشيئاً وقوى بذلك سلطة الشريف الحاكم.

كان لهذا التحول تأثير حاسم على المرحلة الأخيرة من تاريخ الأشراف. فلو كان يوجد في مكة منافس قوي للشريف حسين لما استطاع أبداً تنفيذ اللعبة التي لعبها، ولو كان أهالي مكة يثقون بالإصلاحات التركية لما انضموا إلى ثورة عام 1916م.

بعد ثورة تركيا الفتاة (24 يوليو/ تموز 1908م) حدثت تغيرات كبيرة في جهاز

(1) مما يعبر عن تغير موقف شريف مكة من أقربائه منشور صادر عن «سيِّد» حضرموتي عام 1316هـ/ 1899م، ومنشور آخر صادر عن مدير أعمال عون سابقاً وأمير البدو في جدة، مرآة، الجزء الثاني، ص275 وما يليها.

الموظفين راح ضحيتها أيضاً شريف مكة علي بن عبد الله. ووقع اختيار الأتراك الجدد على ابن أخ آخر لعون الرفيق، هو حسين بن علي[1]، الذي كان يعيش منذ عام 1893م مع أبنائه الثلاثة، علي وعبد الله وفيصل، في القسطنطينية[2]. وكان السلطان عبد الحميد فقد في السنين الأخيرة الثقة به لأنه كان يشتبه في أنه يقيم علاقات مع السفارة البريطانية ولذلك كان يعارض تعيينه. ولم يتمكن حسين من إقناع السلطان بوفائه له إلا في المقابلة الوداعية. وفي الحقيقة فإن بريطانيا دعمت سراً ترشيح حسين وكان نفوذها في القسطنطينية قوياً جداً في الأشهر الأولى بعد الثورة التركية وذلك بفضل كامل باشا، الوزير التركي الأول الموالي لها، وبسبب الميول "الديمقراطية" لحزب تركيا الفتاة.

حاول حسين في البداية تعزيز سمعة ومكانة الإمارة في الجزيرة العربية نفسها. وأرسل لهذا الغرض عام 1910م حملة إلى نجد لتتدخل في الصراع الدائر بين ابن رشيد وعبد العزيز آل سعود لصالح ابن رشيد. ووصلت قواته إلى الشعرة في السر وأرغمت ابن سعود، على الرغم من أنه كان في هذه الأثناء قد عقد صلحاً مع ابن رشيد، على الاعتراف بسلطة مكة على قبائل العتيبة وبحق الشريف في جباية الضرائب في القصيم[3]. ولكن هذا الاعتراف بقي دون نتائج عملية بسبب أحداث التهامة وحالت عسير، وعدم تمكن حسين من تطبيق الاتفاقية بالقوة. وكان محمد الإدريسي، وهو رجل من أصل مراكشي كان يحكم عائلة أشراف مقيمة منذ مائة

(1) بخصوص الظروف السائدة في الحجاز وبداية الثورة العربية خلال الحرب العالمية انظر: ج. آنتونيوس، "النهضة العربية"، لندن، 1938م، لكن الكتاب مكتوب من وجهة النظر الهاشمية، أي من وجهة نظر شريف مكة، ويبالغ في بعض الحالات في إبراز المصالح الإنجليزية. وبما أنني أنا شخصياً كنت خلال الحرب أتدخل في الشؤون العربية التركية، فإنني سأعرض هذه المسائل اعتماداً على ما سجلته أنا شخصياً من ملاحظات.

(2) قام السلطان عبد الحميد شخصياً بجمعي عام 1894م مع الشريف حسين وقد زرته مراراً وتكراراً في قصره الجميل الواقع على البوسفور.

(3) حسب هاندبوك، الجزء الأول، ص110. لا بل إن مخبري الشخصي محمد بن بسام تحدث عن التزام ابن سعود بدفع ضريبة سنوية؛ انظر أيضاً، موزيل، شمال نجد، ص284.

عام تقريباً في صبيا، قد دحر الأتراك هنا في مرفأ قنفذة وفي بعض المواقع في وسط عسير، وهدد بذلك الحدود الجنوبية لإمارة مكة. وبما أن مصالح حسين كانت تتطابق هنا مع المصالح التركية فقد أرسل ابنه فيصل لتحرير الأتراك في إبها، القرية الرئيسية في منطقة الجبال. وكانت هذه الحملة ناجحة. ولكن هنا أيضاً لم تتحقق نتائج مستديمة لأن الإدريسي حصل خلال حرب طرابلس على أسلحة من الطليان ولأن الأتراك كانوا في أمس الحاجة إلى إرسال قواتهم إلى البلقان[1].

في الوقت الذي كان حسين مهتماً بما يجري في الجزيرة العربية كان يتابع باهتمام الأحداث الجارية في القسطنطينية التي كان ابنه عبد الله ـ النائب عن مكة في البرلمان التركي ـ وأخوه ناصر[2] يخبرانه بها باستمرار. ولم يصله من هناك ما يدعو إلى السرور، إذ إن توجه تركيا الفتاة نحو الحداثة كان يتعارض مع تدينه المحافظ[3]، والميل المتزايد إلى المركزية في السياسة الداخلية قضى على أمله في حصول إمارة مكة على المكانة شبه المستقلة التي كانت تتمتع بها في عهد أسلافه. لا بل إن الأتراك الجدد كانوا يريدون تخفيض مركز الحجاز إلى مقاطعة عادية. ولهذا الغرض كان من المقرر إيصال الخط الحديدي حتى مكة وفرض التجنيد الإجباري في الحجاز. وإذا ما عارض حسين هذه الخطط فقد كان الأتراك ينوون عزله وتعيين الشريف علي حيدر خليفة له، وهو حفيد الشريف عبد المطلب من ذوي زيد وكان أخوه جعفر عضواً نشيطاً في جمعية تركيا الفتاة. وكان كلا الأخين قد حصلا نتيجة إقامة أبيهما وجدهما الطويلة في تركيا على تربية تركية وأصبحا من الأتراك. وكان جعفر قد بدأ منذ عام 1910م، بمساعدة بعض أصدقائه المتنفذين في الحزب، بدس الدسائس ضد حسين لكي يعزل ويعين أخوه الأكبر محله. وكان

(1) هاندبوك، الجزء الأول، ص110، 141.

(2) انظر الملاحظة 14 المتعلقة بشجرة النسب رقم 3.

(3) علمت من خلال الأحاديث التي أجريتها عام 1915م مع فيصل (انظر أدناه) أن عزم الحكومة التركية على إعطاء الحياة في مكة منحى عصرياً بعيداً عن التدين سبّب لدى شريف مكة انزعاجاً كبيراً. وكان هذا أحد الأسباب التي أدت إلى ثورته على الأتراك فيما بعد.

يقنعهم بأن أخاه علي حيدر سيدير الأماكن المقدسة حسب أفكار جمعية تركيا الفتاة. كما أن شريف مكة السابق علي باشا (بن عبد الله) الذي كان يعيش في مصر كان يعرض نفسه خليفة لحسين.

وهكذا نشأت حالة من الاغتراب بين القسطنطينية ومكة. ولكن هذا العداء ظل كامناً في البداية ولم يظهر نحو الخارج. وقد حافظ حسين على مكانته المحترمة وكان يعمل حسب السياسة المكية القديمة. فقد عرف كيف يؤخر تنفيذ الخط الحديدي الحجازي عن طريق إثارة الإضطرابات بواسطة حرب، وعرف كيف يقنع الأتراك بأن فرض الخدمة العسكرية الإلزامية وتوسيع نطاق المحاكم التركية أمران غير قابلين للتنفيذ. كما أنه استطاع أيضاً التصدي بنجاح في بادىء الأمر لخطر العزل: في شتاء 1912م/ 1913م جاء إلى المدينة الشريفان علي حيدر وجعفر بهدف التوجه فيما بعد إلى مكة. وبدأ هناك على الفور بالتآمر ضد حسين وبإقامة علاقات مع سكان المدينة ومع القبائل الموجودة في محيطها. فأرسل شريف مكة على أثر ذلك إلى المدينة ابنه عبد الله والشريفين شريف وشاكر لمواجهة هذه التحركات التآمرية. وكان حضورهم حازماً وقوياً إلى درجة أن علي حيدر وجعفر عادا إلى القسطنطينية. وتجدر الإشارة إلى أنهما لم يتمكنا من كسب أي نفوذ أو الحصول على أي تأييد لأنهما لم يكونا يعرفان عادات البلد وكانا يتكلمان اللغة التركية أفضل من اللغة العربية[1].

في أول عام 1914م شن الأتراك حملة جديدة ضد الشريف حسين: أرسلوا الجنرال الفظ وهيب باشا والياً على الحجاز لكي يتخذ التحضيرات لعزل الشريف. ولكن القسطنطينية تراجعت في اللحظة الأخيرة وتنصلت من الوالي. أما أسباب هذا التحول فغير معروفة. لعل الحكومة التركية ابتغت من وراء ذلك تخفيف حدة التذمر في العالم العربي الذي كان غاضباً أصلاً بسبب محاكمة عزيز المصري

(1) هذه القصة غير مذكورة في المراجع ذات العلاقة. يتحدث بريموند (ص21) عن رحلة علي حيدر إلى المدينة ولكنه يضعها خطأً في عام 1915م.

(مارس/ آذار، أبريل/ نيسان 1914)(1).

في هذه الأثناء كانت قد نشأت شبكة من الإتصالات الواسعة النطاق. فقد كان عبد الله، الإبن الثاني للشريف حسين، قد زار في فبراير/ شباط وأبريل/ نيسان 1914م القاهرة دون علم أبيه، الذي أوفده في مهمة إلى القسطنطينية، وسأل هناك القائم بالأعمال البريطاني كيتشنر وسكرتيره للشؤون الشرقية، رونالد ستورز، عن موقف بريطانيا في حال إعلان أبيه الثورة وعن إمكانية تزويده بالأسلحة. وحاول أيضاً عن طريق الأمير محمد علي سؤال لندن مباشرة عن هذا الموضوع(2).

لم يجد عبد الله آنذاك أذناً صاغية. ولكن عندما اندلعت الحرب العالمية وظهر خطر اشتراك تركيا فيها أدرك كيتشنر الأبعاد الإيجابية لحدوث ثورة في الحجاز. فأوعز إلى الممثلية البريطانية في القاهرة، في سبتمبر/ أيلول 1914م، بإجراء مفاوضات مع الشريف حسين.

الآن تردد الشريف حسين. إذ إن الوضع، بالنسبة له أيضاً، كان قد تغير كلياً: فالدفاع عن تملك الإمارة بقوة السلاح لم يكن يتعارض مع الخط التقليدي للسياسة المكية، ولكن التحالف مع قوة مسيحية في اللحظة التي هددت فيها هذه القوة وجود الدولة العثمانية، زعيمة العالم الإسلامي ، كان يعني قطيعة مع ماض عمره ألف عام. ولم يكن من الممكن تبرير هذه الخطوة إلا إذا أقيمت دولة قيادية عربية محل الدولة التركية. ولكن نجاح ذلك كان يتوقف على نتيجة الحرب وعلى الضمانات التي يحصل عليها العرب خارج الحجاز لقاء مشاركتهم وعلى ما ستكون بريطانيا مستعدة لتقديمه للمستقبل العربي. لذلك قرر حسين الانتظار وأوقف تبادل المذكرات مع القاهرة في ديسمبر/ كانون الثاني 1914م بالقول بأن الوقت ما زال مبكراً للقيام بأي تصرف. كان يريد السير على المضمون وترك الباب مفتوحاً أمامه

---

(1) انتونيوس، ص118 وما بعدها؛ بريموند، ص23.

(2) معلومة من الأمير شكيب أرسلان.

في اتجاه الطرف الثاني في حال انتصار قوى المركز[1].

لا بل إن الشريف حسين لبى طواعية بعض مطالب الأتراك، فأرسل راية النبي من المدينة إلى دمشق وقدم فصيلة من خيالة الإبل المتطوعين للمشاركة في حملة سيناء. إلا أنه لم يلب الطلب الرئيسي للأتراك وهو وضع نفسه في خدمة الحرب المقدسة (الجهاد). وكان يرد على الأتراك بالقول أن هذا الموقف سيعني تعريض الحجاز للحصار البريطاني وبالتالي للمجاعة. أدى هذا الرفض إلى تقوية الشكوك التي تولدت بسبب المفاوضات التي كان الشريف حسين يجريها مع جهات إنجليزية هندية لترحيل حجاج هنود لم يعودوا إلى بلادهم بعد أداء فريضة الحج، وقام أقرباؤه المعادون له باستغلال ذلك في القسطنطينية ضده[2].

لذلك بدأ الأتراك بوضع حسين تحت المراقبة وبتضييق حدود حريته في التصرف. وفي مارس/ آذار 1915م عزموا على عزله فعلياً. وكان حسين يعتقد بأن حياته في خطر. ولكي يحسن علاقاته مع الحكومة قرر إرسال ابنه فيصل إلى القسطنطينية.

في البداية واجه فيصل هنا بعض المصاعب. كنت وقتها في القسطنطينية ـ نقلت في بداية إبريل/ نيسان 1915م إلى سفارتنا هناك ـ وتدخلت مراراً في المفاوضات التي أجراها فيصل مع طلعت وأنور باشا. وفي الأحاديث التي دارت بيني وبينه شرح لي وجهة نظره بكل وضوح. قال إن أباه مضطر إلى المداورة؛ فهو مضطر إلى إبقاء علاقاته جيدة ظاهرياً مع الإنجليز لكي يحصل على الحبوب، لأن الحجاز لا يمكن أن يحصل على حاجاته الغذائية من الأتراك. في ذلك الوقت كان الخط الحديدي إلى المدينة، ذو السكة الواحدة، يستعمل حصراً للنقل العسكري

(1) انتونيوس، ص134، 142، يقول إن الشريف كان منذ ذلك الحين قد قرر الثورة. لكن هذا غير صحيح. ريحاني (ملوك العرب، الجزء الأول، ص59) الذي زار حسين عام 1922م يصف موقف الشريف حسين آنذاك بشكل أصح من انتونيوس المتأثر بحكاية الوحدة العربية.

(2) ملاحظة مسجلة في ربيع 1915م.

وكانت كميات الحبوب المتوفرة لدى الأتراك لازمة لتموين القوات العسكرية الموجودة في سورية وفلسطين. وذكر لي أيضاً أن أباه على علم بعزم الأتراك على إرسال الشريف علي حيدر إلى مكة لتعيينه أميراً عليها بدلاً منه. وكلا القولين كان صحيحاً: فالحجاز لم يكن من الممكن إنقاذه من التعرض للمجاعة إلا بمساعدة إنجليزية، والشريفان علي حيدر وجعفر كانا يستعدان فعلاً للسفر إلى مكة. ولم يكن من السهل إقناع الحكام الأتراك بوجاهة رغبات الشريف حسين. أبدى أنور، الذي كان يعرف العرب منذ حرب طرابلس، تفهماً للوضع أكبر من تفهم طلعت؛ كان يتعين على طلعت باشا مراعاة جمعية تركيا الفتاة التي كان للشريف جعفر نفوذ قوي فيها. على الرغم من ذلك تم التمكن من تفادي حدوث قطيعة؛ ولو حدثت القطيعة لكان لها آنئذ نتائج خطيرة تجاه السكان العرب في الدولة التركية وتجاه القوات العربية التي كانت آنذاك لم تزل موجودة في سورية وفي جبهة سيناء.

أسفرت مهمة فيصل عن النتائج التالية: سمح لحسين بالمحافظة على اتصالاته مع الإنجليز وأعطي تطمينات بخصوص أمنه الشخصي وبخصوص عزله من منصبه. لكنه طولب من الناحية الأخرى بإرسال كتيبة ثانية من الخيالة بقيادة أحد أبنائه إلى جبهة سيناء، الأمر الذي كان فيصل نفسه قد اقترحه. وطلب من فيصل أيضاً أن يقنع أباه بدعم الجهاد دعماً فعلياً عن طريق إرسال دعاة إلى الأقطار المختلفة.

غادر فيصل القسطنطينية راضياً تمام الرضى ومحملاً بكثير من الهدايا التي أرسلها أنور وطلعت إلى أبيه. وفي دمشق انصرف إلى المهمة الثانية التي كان أبوه قد كلفه بها، ألا وهي: الاتصال بالقوميين العرب الذين كانوا قد أرسلوا له في نهاية يناير/ كانون الثاني 1915م رسولاً[1] ليشجعه على إعلان الثورة. ويبدو أن فيصل الذي كان، خلافاً لأخيه عبد الله، يرفض الحركة القومية العربية[2] لأنه كان يخشى

(1) فوزي البكري، من عائلة دمشقية معروفة.

(2) بخصوص تطور الحركة القومية العربية انظر الفصول التمهيدية عند أنتونيوس.

أن تخدم الأطماع الإنجليزية الفرنسية، كان قد انتسب في دمشق، في طريقه إلى القسطنطينية، إلى كلا الجمعيتين السريتين "الفتاة" و"العهد" لكي يطلع على خططهما. وعند عودته إلى دمشق سلّم محضراً مكتوباً يتضمن الشروط التي يكون قادة الجمعيتين العربيتين السريتين مستعدين ضمنها لإعلان الثورة بالتحالف مع الإنجليز وتحت قيادة الشريف حسين. كانت هذه الشروط تتعلق بالدرجة الأولى بالحدود التي يطالب العرب بأن تكون لهم حريتهم المطلقة ضمنها. وكانت هذه الحدود تضم منطقة تمتد من خط مرسين ـ أضنه شرقاً حتى الحدود الفارسية وتشمل سورية وفلسطين والعراق والجزيرة العربية كاملة باستثناء عدن.

أدى النجاح الذي حققه فيصل في القسطنطينية إلى تهدئة الشريف حسين في اللحظة الراهنة ولكنه ظل قلقاً بخصوص المستقبل. فقد كان يتوقع دسائس جديدة من علي حيدر، الأمر الذي حدث فعلاً بعد سفر فيصل مباشرة، وكان يعتقد أن الأتراك سيعزلونه من منصبه في حال انتصارهم في الحرب، لاسيما أنه لم يستطع اتخاذ قرار بتقديم دعم فعال للحرب المقدسة. ولذلك قرر جس نبض الطرف الآخر لمعرفة من يمكن أن يتوقعه منه في حال تعاونه معه، وهكذا استأنف المفاوضات مع بريطانيا التي كانت قد توقفت في ديسمبر/ كانون الأول 1914م.

الجزء السياسي من هذه المفاوضات موجود في الرسائل المتبادلة بين الشريف حسين والمفوض السامي البريطاني في مصر سير هنري مكماهون (14 يونيو/ حزيران 1915م حتى 30 يناير/ كانون الثاني 1916م). كانت هذه الإتصالات مغطاة تجاه الأتراك بالموافقة التي حصل عليها فيصل والتي سمح الأتراك للشريف حسين بموجبها بالإتصال مع الإنجليز لضمان تزويد الحجاز بالحبوب. كانت المذكرة الأولى التي أرسلها حسين ـ دون تاريخ وبلا توقيع ـ مرفقة مع رسالة موجهة من أبنه عبد الله إلى ستورز لا تتضمن سوى الإعراب عن الرغبة في التزود بالحبوب. تضمنت هذه المذكرة الأولى بمنتهى الوضوح والدقة رغبات وعروض الشريف حسين: طالب بحرية البلدان العربية حسب المحضر الذي سُلّم لفيصل في دمشق، وبإقامة خلافة عربية وبعقد حلف مع بريطانيا للحماية والدفاع.

كانت الخطة العملياتية (غير المذكورة في رسائل مكماهون) تنص على إعلان الشريف حسين الثورة، وتمرد القوات الموجودة في سورية ذات الأصل العربي، وقيام الحلفاء بإنزال قوات في مرفأ اسكندرون. لكن هذه الخطة لم تنفذ لأن الألوية العربية سحبت من البلاد، ولأن خطة إنزال القوات فشلت بسبب المآخذ السياسية الفرنسية والمآخذ العسكرية الإنجليزية.

عندما اعتقد حسين أنه حصل على موافقة الإنجليز على مطالبه ـ بقيت بعض نقاط الاختلاف دون حل ـ قطع على الفور المراسلات، تماماً كما حدث في ديسمبر/ كانون الأول 1914م. صحيح أنه اتخذ بعض التحضيرات لإعلان الثورة، أرسل، مثلاً، ابنه الأكبر علي إلى المدينة لكسب تأييد شيوخ البدو الموجودين هناك، لكنه لم يكن بأي حال في عجلة من أمره، وخاصة بسبب الوضع الحربي الذي لم يكن في صالح الحلفاء. ولكي يبقى على اتصال مع الأتراك أرسل ابنه فيصل في يناير/ كانون الثاني 1916م مرة أخرى إلى دمشق. وكانت مهمة فيصل الالتقاء مع جمال باشا، قائد الجيش الرابع في سورية المشهور بقوته وسطوته، لكي يناقش معه تفاصيل كتيبة المتطوعين الثانية التي كان يتعين على الشريف حسين تشكيلها من حوالي 1500 خيال ووضعها في المدينة بناء على طلب الأتراك. ولكن بعد وقت قصير من ذلك التاريخ وقع حدث انتزع الشريف حسين من موقفه المترقب وأجبره على التصرف الفوري، ألا وهو: قيام جمال باشا بإعدام عدد من الزعماء السوريين.

كان جمال باشا قد قام في أغسطس/ آب 1915م بإعدام بعض الزعماء السوريين بتهمة الاستعداد للقيام بثورة في الشريط الساحلي الواقع بين صور وصيدا[1]. وعندما وصل فيصل في ديسمبر/ كانون الأول 1916م إلى دمشق،

(1) هناك شكوك قوية في صحة ذلك. إذ حتى مذكرات جمال باشا، ص222 وما يليها، والكتاب الأحمر التركي يوحيان بأن الأمر يعود إلى وشاية كاذبة من أسعد شقير، مفتي الجيش الرابع آنذاك، الذي كان عميلاً للإنجليز.

كانت قد نفذت موجة ثانية من الإعتقالات، وكان بين المعتقلين هذه المرة أشخاص من العائلات الأولى في سورية ونواب وشيوخ. ووجهت لهم تهمة الاتصال مع العدو بناء على مراسلات كانت قد جرت قبل الحرب بزمن طويل. في هذه المرحلة قام الشريف حسين بآخر محاولة للتفاهم مع الأتراك؛ أرسل برقية ألى أنور باشا[1] طالب فيها بإيقاف المحاكمات وبإصدار عفو عام للمناطق العربية وبإعلان الحجاز إمارة وراثية[2]. لكن طلباته رفضت وأخذت العمليات مجراها. ولقد قمت شخصياً وبمنتهى الحدة بتحذير جمال باشا من تنفيذ مزيد من الإعدامات[3] لأن دماء أبناء العائلات النبيلة[4] ستفتح هوة عميقة بين الأتراك والعرب. لكن جمال لم يقبل النصيحة: في السادس من مايو/ أيار 1916م نفذ 21 حكم إعدام جديداً. وبما أن الدم يطلب الدم فقد توجب الآن على الشريف حسين أن يتصرف[5]، كما أن فيصل أقسم بأن ينتقم من الأتراك[6].

---

(1) جمال باشا، ص242.

(2) كانت تلبية الرغبة الأخيرة ستعني الاستبعاد النهائي لعلي حيدر وذوي زيد، وإعطاء الحجاز وضعاً مشابهاً لوضع وسط الجزيرة العربية بالنسبة لابن رشيد وآل سعود، وبالنسبة لشيوخ البدو الكبار عموماً.

(3) عندما كنت في خريف 1915م موجوداً في سورية. أدت خلافاتي مع جمال باشا آنذاك إلى فتور شديد في علاقاتنا التي كانت حتى ذاك الحين ودية. وبعد ذلك القتل الجماعي الهمجي، الذي حدث بعد عودتي إلى القسطنطينية، قطعت علاقتي معه كلياً.

(4) مكانة النبلاء والزعماء مهمة جداً في جميع البلدان العربية بشكل لا يمكن مقارنته بمكانة العائلات المماثلة في أوروبا.

(5) من المشكوك فيه أن يكون وصول القوات البديلة المخصصة لليمن إلى المدينة هو الذي دفع الشريف حسين إلى اتخاذ قراره حسبما يزعم بريموند، ص30، وبصورة حذرة انتونيوس، ص191. كان عدد تلك القوات يتراوح بين 2000 و3000 رجل مسلحين تسليحاً سيئاً وغير مدربين، ولو وصلت إلى مكة في هذه الحالة بعد قطع مسافة طويلة في الصحراء، لما كان في وسعها أن تؤثر على الأحداث الجارية هناك.

(6) عندما زار فيصل فيما بعد برلين بصفته ملكاً على العراق، قال لي إنه بعد الإعدامات الجديدة تولدت لديه مخاوف حقيقية على حياة أبيه وأخوته وحياته شخصياً.

في 16 مايو/ أيار 1916م غادر فيصل دمشق بناء على طلب والده؛ وزعم بأن الغاية من سفره هي قيادة كتيبة الخيالة، التي كانت في هذه الأثناء قد تجمعت قرب المدينة، إلى سورية. وفي 5 يونيو/ حزيران أعلن فيصل وأخوه الأكبر علي في معسكر المتطوعين قرب المدينة الاستقلال العربي باسم أبيهما ثم تحركا مع هذه القوات نحو الجنوب الشرقي لكي يدعوا الكتائب البدوية الموجودة هناك إلى القتال. وفي مكة أطلق الشريف حسين في 10 يونيو/ حزيران 1916م إشارة "النهضة"، وخلال الأسابيع الأربعة التالية استسلمت المخافر والحصون التركية.

في مدخل هذا الفصل قمنا بعرض مجريات الحملة العسكرية في الحجاز، ولا يمكننا هنا الحديث عن الدور الذي لعبه الشريف حسين على المسرح السياسي العسكري إلا باختصار. فقد كان من الناحية الأولى حريصاً على الحصول على أكبر دعم مالي وعسكري ممكن من الحلفاء ـ إلى جانب الإنجليز كان الفرنسيون أيضاً منذ خريف 1916م ممثلين في جدة ببعثة عسكرية برئاسة العقيد بريموند ـ لكنه كان من الناحية الأخرى حريصاً على الحيلولة دون ترسيخ أقدام المسيحيين في الديار المقدسة.

أما العمليات الميدانية فلم يكن له تأثير عليها إلا بصورة غير مباشرة عن طريق حل الخلافات[1] التي كثيراً ما كانت تنشب بين قواته المؤلفة من خليط غير متجانس من البدو والعسكريين الفارين من أصل عربي، والبيشة (انظر الصفحة 596 من هذا الجزء) وعقيل (مرتزقة من القصيم). وبعد أن شكل نوعاً من الحكومة أعلن نفسه في 2 نوفمبر/ تشرين الثاني 1916م ملكاً على البلدان العربية، لكن الحلفاء لم يعترفوا به إلا ملكاً على الحجاز فقط. إلا أن الملك حسين لم يقطع الخيط الأخير الذي يربطه بالدولة العثمانية إلا بعد ذلك بوقت طويل، بعد فشل المفاوضات مع الأتراك حول عقد صلح خاص[2]: ففي يوم الجمعة في 18 يناير/ كانون الثاني

(1) بريموند، ص200، 229.

(2) قبل وقت قصير من نقل جمال باشا من سورية، انتونيوس، ص230، 253 وما يليها.

1918م توقف ذكر اسم السلطان ـ الخليفة في خطب المساجد[1].

عند نهاية الحرب اعتقد الملك حسين أن حلمه سيتحقق، إذ إن الحجاز كان قد تحرر وبدا أنه سيشكل نواة دولة عربية تضم سورية وبلاد الرافدين. غير أنه ما لبث أن تلقى أمرّ خيب الأمل. فلم يلب الإنجليز الوعود التي قدموها له في رسائل مكماهون وفي وقت لاحق، مما أدى إلى فشل خططه في إقامة دولة عربية كبرى. لا بل وأكثر من ذلك: في اللحظة التي اعتقد فيها أنه بات قادراً على تحقيق تلك الخطط، وجد نفسه معرضاً للهجوم في عقر داره، في قلب الحجاز.

لكي نفهم الوضع يجب إلقاء نظرة على سياسة حسين الداخلية العربية. كان حسين قد تقرب عند اندلاع الحرب من خصميه السابقين عبد العزيز آل سعود ومحمد الإدريسي ووجد ليدهما تفهماً كاملاً لموقفه المتحفظ تجاه طلب الأتراك بالدعوة إلى الجهاد. ولكن عندما أعلن حسين الثورة بردت العلاقات. فإلى جانب الخلاف القديم مع آل سعود، الذي بلغ ذروته في النزاع حول حق جباية الضرائب من العتيبة وحرب في نجد، نشأت خلافات جديدة. فقد أدى اتخاذ الملك حسين لقب "ملك البلدان العربية" إلى إزعاج آل سعود وغيره من الحكام العرب. كما أن الدعم الكبير الذي تلقاه حسين من الإنجليز وما يترتب على ذلك من ازدياد لقوته أثار قلق منافسيه. أضيف إلى ذلك بعض الأسباب الثانوية، منها أن تجار القصيم كانوا يؤيدون فكرة الدولة العثمانية على الرغم من أنه كان يوجد بينهم أنصار للملك حسين، وأن الإخوان لم يكونوا يعتبرون الأتراك عدوهم الرئيسي وإنما حسين. ولم يتمكن الإنجليز من تحقيق تقارب بين آل سعود وحسين، لكنهم نجحوا في توجيه أنظار آل سعود لفترة مؤقتة إلى عدوه القديم ابن رشيد[2]. وبعد انتهاء الحرب مباشرة التهبت الخصومة بين نجد والحجاز في منطقة خرمة ـ تربة التي كان

(1) بريموند، ص256.

(2) فيلبي، الجزء الأول، ص105 وما بعدها، 227 وما بعدها؛ الجزء الثالث، ص98، 102، 104 وما بعدها.

قد دار حولها صراع عنيف في المرحلة الوهابية الأولى.

في عام 1917م كان الشريف حسين قد ألقى أمير خرمة، الشريف خالد بن منصور بن لؤي، في السجن. وبعدما نجح عبد الله في إقناع أبيه بإطلاق سراحه شارك خالد فترة من الزمن تحت قيادة عبد الله في معارك أمام المدينة، لكنه ذهب بعد ذلك إلى الرياض واعتنق المذهب الوهابي. اعتبر حسين هذا التصرف انشقاقاً سياسياً وطلب من أمير تربة تهديد خرمة. وفي عام 1918م أرسل ثلاث مرات قوات إلى البلدة، بينما ظل آل سعود هادئاً تماماً، لكن القوات صدت على أعقابها في المرات الثلاث. وأخيراً في ربيع عام 1919م قرر آل سعود التدخل بعدما أحس بالتهديد من جيش عبد الله الذي أصبح حراً. فشن في ليلة 25 ـ 26 مايو/ أيار هجوماً مفاجئاً على جيش الشريف المؤلف من 4000 رجل وألحق به هزيمة نكراء، ونجا عبد الله بصعوبة بالغة[1].

في العام التالي بدأ الوهابيون بتنغيص حياة حسين، في الجنوب أيضاً: في المنطقة الجبلية من عسير استقل، بعد انسحاب الأتراك، رجل اسمه ابن عايض من عائلة كانت قد برزت في المرحلة الوهابية الأولى. وبينما كان ابن عايض من أنصار حسين، كان جزء من قبائله، ومنها قحطان وزهران، يجري اتصالات مع آل سعود. وقد سويت الخلافات الناجمة عن هذا الوضع بقيام الوهابيين في صيف 1921م بالاستيلاء على العاصمة إبها. ولكن بعد وقت قصير خسر الوهابيون عسير مرة أخرى بسبب ثورة حرض عليها حسين. وفي صيف 1922م استولى عليها الوهابيون للمرة الثانية بمساعدة قحطان وزهران وهزموا القوة التي أرسلها حسين إلى هناك. ثم فشلت محاولة ثالثة لحسين في ربيع عام 1923م بعد تحقيق بعض النجاحات في البداية[2].

---

(1) فيلبي، الجزء الأول، ص168، 171؛ الجزء الثالث، ص40، 100، 212؛ بريموند، ص328.
(2) بريموند، ص325؛ ريحاني، تاريخ نجد، ص269 وما يليها؛ موزيل، شمال نجد، ص291، 294.

في شمال الحجاز كان عمال الشريف وموظفوه يواجهون منذ عام 1922م المصاعب مع البدو، وخاصة مع ولد علي الذين كانوا قد انتقلوا إلى صف الوهابيين (انظر الصفحة 498 في هذا الجزء). ومنذ عام 1924م بدأت مستوطنات الإخوان تنمو كالفطر على الحدود بين الحجاز ونجد، في تيما، وخيبر، وحايط، وحويّط. ودولة شمر، الدعم الوحيد للشريف حسين في الجزيرة العربية، لم تعد موجودة منذ نهاية 1921م. ولم يكن حسين يأمل في تلقي مساعدة من بريطانيا بعد فشل جميع المفاوضات حول القضايا السياسية الكبيرة. وفي العالم الإسلامي كان قد فقد كل رصيده لأنه لم يكن قادراً على إزالة المخاطر والإزعاجات المرتبطة بأداء فريضة الحج. كما أن اتخاذ لقب "خليفة"، الذي حثه عليه أنصاره في فلسطين وسورية والعراق (مارس/ آذار 1924م)، أساء أيضاً إلى سمعته. وهكذا كان عاجزاً عن التصدي لهجوم آل سعود في خريف عام 1924م. وفي 5 سبتمبر/ أيلول استسلمت الطائف[1]، وكان الإخوان قد فظعوا بجزء من السكان في الليل. وقام أشخاص من أسرة ذوي زيد، كانوا يعيشون في المنفى عند آل سعود، بتنظيم الإدارة الوهابية[2]. وبعد معركة أخرى غير موفقة انفجرت في مكة حالة من الذعر، وكان حسين وحده مصمماً على المقاومة. ومع ذلك وجد نفسه في مساء يوم الثاني من أكتوبر/ تشرين الأول مضطراً إلى التخلي عن الحكم. وفي اليوم التالي سافر إلى جدة وبعد بضعة أسابيع إلى العقبة.

كما أن ابنه علي، الذي بويع ملكاً في الرابع من أكتوبر/ تشرين الأول، لم يتمكن أيضاً من البقاء في مكة. فانتقل إلى جدة ودافع عن نفسه هناك طيلة عام كامل. وفي 18 ديسمبر/ كانون الأول 1925م أعلن علي أيضاً استقالته، وفي 19 ديسمبر توجه بحراً إلى العراق حيث كان أخوه فيصل قد أصبح ملكاً. أما حسين، الذي كان يدعم علياً بكل قواه من العقبة، فقد أبعده الإنجليز من هناك في يونيو/

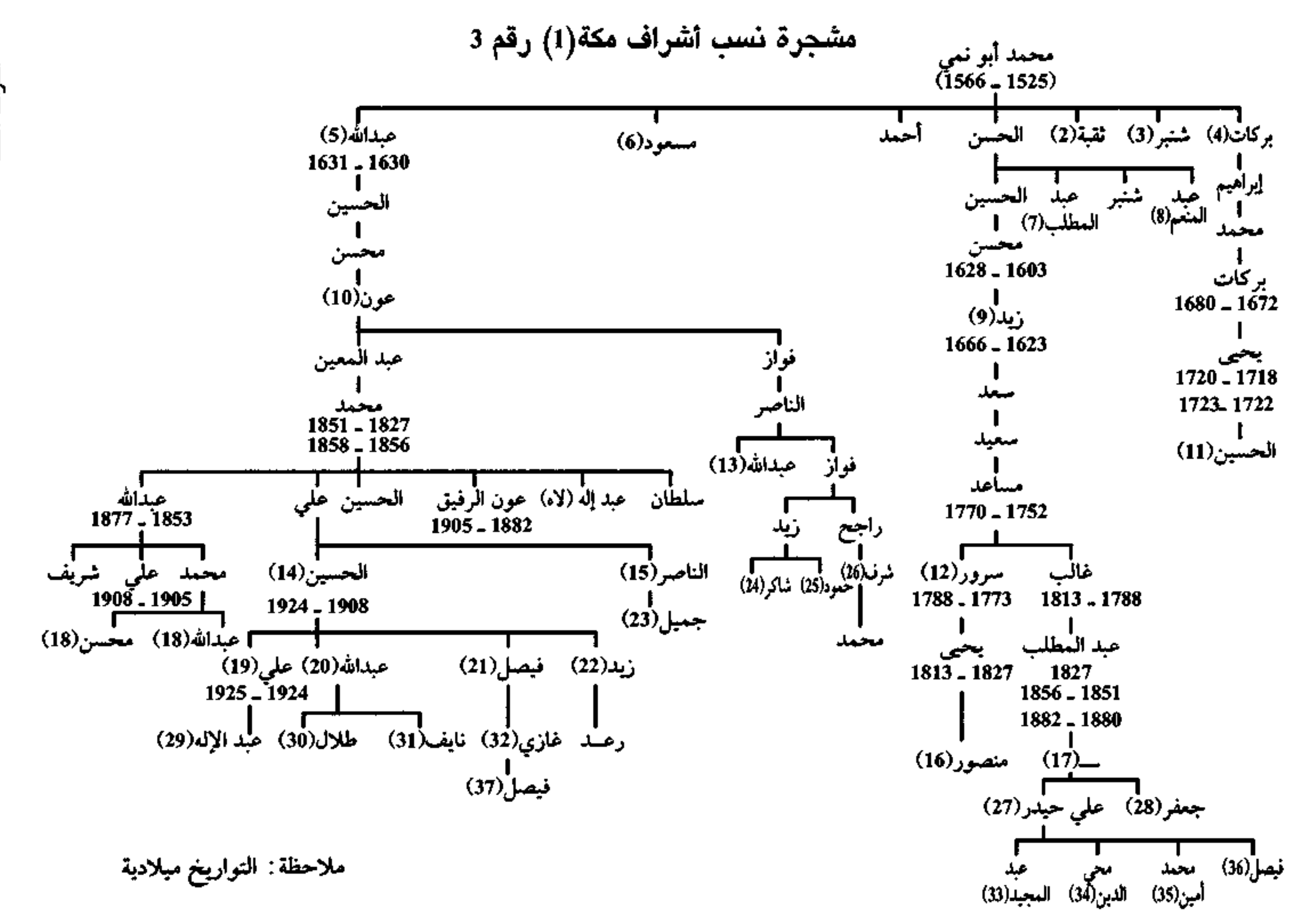
(1) بيانات الحملة موجودة بأفضل شكل في: نالينو، لا رابيا سا أوديانا، الأحداث في: ريحاني، تاريخ نجد.

(2) موزيل، نفس المصدر السابق، ص297 وما بعدها.

حزيران 1925م بضغط من آل سعود: نقلته سفينة حربية بريطانية إلى قبرص حيث عاش حتى عام 1930م. ثم توفي في يونيو/ حزيران 1931م في عمان، شاعراً بمرارة قاسية ولكنه واثق من حقه.

على الرغم من الأخطاء التي قد يكون حسين وقع فيها كحاكم، وعلى الرغم من حكمه الفردي وتعنته وميله المفرط إلى الإقتصاد في الإنفاق، فإن إنجازه التاريخي ثابت لا يرقى إليه الشك. إذ إن آخر شريف حكم الحجاز هو مؤسس العالم العربي الجديد. فقد ترك لهذا العالم مهمة تحقيق فكرة الوحدة العربية والاستقلال.

مشجرة نسب أشراف مكة(1) رقم 3



ملاحظة : التواريخ ميلادية

ملاحظات حول مشجرة نسب أشراف مكة رقم (3)

1 ـ حسب سنوك ـ هورغرونيه، مكة، سلسلة النسب 3، فوستنفلد، أشراف مكة في القرن الحادي عشر (السابع عشر)، سلسلة النسب؛ الأجيال الحديثة حسب معلوماتي الشخصية.

2 ـ جد عائلة ذوي ثقبة، سنوك، الجزء الأول، ص117، 127.

3 ـ جد عائلة الشنابرة(4)؟ لكن الإسم يمكن أن يكون عائداً أيضاً إلى ابنه الذي يحمل نفس الإسم (فوستنفلد، نفس المصدر السابق، ص18، 29 ورد اسم بشير محل شمبر)، أو إلى أحد أبناء حسن بن أبي نمي (نفس المصدر، ص8 مرة أخرى خطأ: بشير)، أو إلى أشخاص آخرين من العائلة.

4 ـ جد عائلة ذوي بركات (12).

5 ـ جد عائلة العبادلة(1).

6 ـ جد عائلة ذوي مسعود، سنوك، الجزء الأول، ص119، 127.

7 ـ جد عائلة ذوي عبد المطلب، سنوك، الجزء الأول، ص119.

8 ـ جد عائلة المناعمة(5)؟

9 ـ جد عائلة ذوي زيد(2).

10 ـ جد عائلة ذوي عون.

11 ـ جد عائلة ذوي حسين(9).

12 ـ جد عائلة ذوي سرور(3).

13 ـ سنوك، الجزء الأول، ص167.

14 ـ إضافة إلى ما جاء في النص نود أن نذكر هنا بعض المعلومات الأخرى. ولد حسين عام 1855م من أم شركسية في القسطنطينية حيث كان أبوه وجده يقيمان آنذاك. وعندما تولى جده عام 1856م الإمارة عاد معه ابنه علي وحفيده الصغير حسين إلى الحجاز. وعندما تولى عبد الله، الإبن الأكبر للشريف محمد (1858م)، الحكم توجب على علي العودة ثانية إلى القسطنطينية. لكن حسين بقي في بادىء الأمر في مكة ولم يعد إلى القسطنطينية إلا بعد سن البلوغ. وبعد وفاة أبيه (1887م) عاد إلى مكة وتزوج ابنة عمه عبديه بنت عبد الله التي أنجبت له أبناءه الثلاثة علي وعبد الله وفيصل. أما ابنه الأصغر زيد فهو من أم تركية تزوجها حسين في القسطنطينية بعد وفاة زوجته الأولى.

15 ـ سناتور تركي. تألم جداً من انشقاق أخيه حسين عن الأتراك. وبقي حتى نهاية الحرب في قصره على البوسفور. وفي عام 1919م انتقل إلى القاهرة وتوفي هناك قبل بضعة أعوام وكان له إلى جانب جميل خمسة أبناء آخرين هم: جعفر، وعلي، وراكان، وزامل، وحسين. زامل توفي. علي وراكان وحسين يعيشون في القاهرة، حسين يعمل في قسم المراسم الملكية. وقد التقيته عام 1915م في قصر الشريف ناصر مراراً مع ابن عمه وصهره فيصل، انظر ص605 أعلاه.

16 ـ انظر سنوك، الجزء الأول، ص167.

17 ـ يرد ذكر أبناء عبد المطلب عند برتون، بلغريماج، الجزء الثاني، ص150، وفي مرآة الحرمين، الجزء الأول، ص37.

18 ـ مرآة الجزء الأول، ص38. لهم ابن عم اسمه حسن يعيش في القاهرة وهو متزوج من امرأة تركية.

19 ـ ولد في مكة عام 1880م (1879؟)، وتوفي في بغداد 1935م. ملك الحجاز (1924م/ 1925م) متزوج من حفيظة ابنة عم أبيه عبد الله. وكان له إضافة إلى ابنه عبد الإله عدة بنات تزوج إحداهن الملك غازي ملك العراق.

20 ـ أمير شرقي الأردن. متزوج من ابنة عمه، بنت ناصر، التي أنجبت ابنه طلال وبنتاً. في وقت لاحق تزوج عبد الله أيضاً امرأة شركسية أنجبت نايف وابنتين.

21 ـ ولد عام 1883م قرب الطائف، وفي 8 مارس/ آذار 1920م عين ملكاً على سورية، وفي 23 أغسطس/ آب 1921م ملكاً على العراق، توفي عام 1933م في برن. متزوج من ابنة عمه حزيمة بنت الناصر وله منها ابنه غازي وثلاث بنات. إحدى هؤلاء البنات تعيش الآن في روما، والثانية متزوجة من ضابط عراقي، والثالثة توفيت.

22 ـ عام 1933م القائم بالأعمال العراقي في أنقرة، وعام 1927م في برلين. متزوج من امرأة تركية. يعيش غالباً في القسطنطينية.

23 ـ عاش فترة طويلة عند صهره الأمير عبد الله في شرقي الأردن، ويعمل حالياً في شركة انجليزية في دمشق.

24 ـ كان في الحرب العالمية أنشط القادة عند عبد الله وكان يدفع هو نفسه لقومه عقيل. ثم عاش بعد ذلك في قصر عبد الله وتوفي عام 1934م وعمره 45 عاماً. لورنس، في أماكن متفرقة؛ فيلبي، الجزء الثالث، ص212؛ ريحاني، تاريخ نجد، ص375؛ بريموند ص205، 209، 262؛ انظر الصفحة 603 ـ 604 أعلاه. زوجته من عائلة أشراف من خرمة وكان اسمها غزوة، وهو اسم مشتق، حسبما قال لي ابن عمه الشريف محمد الشريف، من الغزو الذي ظل أشراف خرمة يقومون به حتى ما قبل وقت قصير.

25 ـ فيلبي، الجزء الأول، ص187 وما بعدها. شكيب أرسلان، ارتسامات، ص271، يذكر العائلة، التي تملك أراضي في العرج، واد جانبي يصب في وادي

الوجّ قرب الطائف، ذوي ناصر الدين. حمود يعيش في الطائف.

26 ـ انظر الصفحة 603 ـ 604 أعلاه. اشتهر بقسوته وواستقامته وشعوره العميق بالواجب، كان قاضي القضاة عند حسين وقائمقام في مكة، ومثل أبيه أمير الطائف. وفي الحرب العالمية أثبت أيضاً جدارته، لورنس، ص119، 142، 216 والخ. ؛ بريوند، ص217، 266. خلال رحلة الملك فيصل إلى أوروبا عام 1928م كان نائباً له (نائب الملك). زوجته الأولى، أم الشريف محمد، توفيت مبكراً؛ فتزوج أختها وعندما توفيت أيضاً تزوج عزمة ابنة شريف آخر من الطائف فأنجبت له بنتين وصبيين اسمهما فواز وعبد الحميد ولا يزالان طفلين. عين عام 1941م حاكماً على العراق ثم هرب مع رئيس الوزراء العراقي رشيد عالي الكيلاني ومفتي القدس إلى إيران، فاعتقله الإنجليز ونقلوه إلى روديسيا. ابنه محمد هرب إلى تركيا.

27 ـ لقد تحدثنا عنه مراراً في سياق تطور الثورة العربية. بعد انشقاق حسين عين أميراً على مكة لكنه لم يتسلم منصبه أبداً. كان يعيش منذ عام 1923م في بيروت ورشح مراراً لتولي العرش السوري. توفي عام 1936م. اقترن في زواجه الأول بأميرة تركية وفي زواجه الثاني بامرأة ارلندية تعرف عليها خلال رحلة إلى بريطانيا. جاء أبناؤه من زواجه الأول، له من زواجه الثاني ابنتان.

28 ـ انظر الصفحة 603 ـ 604 أعلاه. كان يعيش بعد الحرب العالمية عند أخيه علي حيدر، وفي وقت لاحق انتقل إلى بلاط سلطان لحج (قرب عدن).

29 ـ منذ عام 1939م(*) حاكم العراق، تزوج امرأة مصرية لكنه طلقها بعد ذلك. جاء عام 1938، بعد احتفالات التتويج في لندن، إلى برلين حيث زارني مع زوجته الجميلة الشابة. عبد الإله هو الصيغة العربية الفصحى للصيغة العامية عبدلاه.

(*) أصبح الأمير عبد الإله وصياً على العرش في عام 1939م بعد موت الملك غازي، واستمر في وصايته حتى بعد أن تسلم الملك فيصل الثاني سلطاته الدستورية وقد قتلا في 14 تموز عام 1958م (ماجد شبّر).

30 ـ ولد عام 1911م، متزوج من ابنة عمه، بنت جميل الناصر.

31 ـ تزوج من أميرة من الأسرة العثمانية تعيش في القاهرة.

32 ـ ولد عام 1912م في مكة حيث بقي حتى عام 1924م. في وقت لاحق في بغداد، درس عام 1925م في هارو، ومن عام 1928م حتى عام 1932م في الأكاديمية العسكرية في بغداد. خلف عام 1933م أباه فيصل ملكاً على العراق. متزوج من ابنة عمه علية بنت علي. توفي عام 1939م نتيجة حادث سيارة.

33 ـ يعيش في بيروت، حيث زرته في عامي 1927م و1929م، ممثلاً لشركة جنرال موتورز. متزوج من روحية حفيدة السلطان مراد الخامس وابنة الأمير صلاح الدين وأخت غير شقيقة للأمير عثمان فؤاد.

34 ـ درس موسيقى في أمريكا ويعمل في بغداد مديراً للمعهد العالي للموسيقى.

35 ـ تربى في بريطانيا، وهو أستاذ اللغة الإنجليزية في دار المعلمين في بغداد(*).

36 ـ يعيش في القسطنطينية ويدير أملاك العائلة هناك.

37 ـ ولد عام 1935م. ملك العراق.

(*) هو الشريف محي الدين الذي يُعد من أكبر العازفين الموسيقيين في العراق في القرن العشرين وكان له الفضل الأساس بتأسيس ودراسة وتطوير آلة العود في العراق بل يُعد الأب الروحي والمدرّس الأول في هذا الباب. (ماجد شبّر)

عائلات أشراف حاكمة

في غربي الجزيرة العربية

لقد ذكرنا في الصفحة 514 أعلاه خطاً جانبياً لآخر أسرة مكية حاكمة حكمت خلال العهد المملوكي في ينبع. ويبدو أن أول أمير مستقل لينبع كان غانم بن إدريس، الحفيد الثاني لقتادة، بينما كانت البلدة تدار قبل ذلك من مكة. ولقد تمكن غانم، الذي تقاسم أبوه فترة من الزمن الحكم مع شريف مكة، من الاستيلاء على مكة في عام 670هـ/ 1271م بالتعاون مع شريف المدينة. ولكنه لم يستطع البقاء هناك مع رفيقه في القتال سوى "40 يوماً"[1]. ومنذ ذلك الحين أصبح لأمراء ينبع علاقات وثيقة مع أشراف المدينة.

من الطبيعي أن النفوذ المصري في ينبع كان قوياً جداً إلى درجة أن الأمراء كانوا في القرن التاسع الهجري موظفين مملوكيين لا أكثر. وفي عام 887هـ/ 1482م وضعت ينبع تحت سلطة مكة وتلقى أميرها آنذاك، دراج، أمر تعيينه من شريف مكة، ولكن في عام 911هـ/ 1505م قام السلطان المملوكي بتعيين ابن دراج في المنصب[2].

(1) حوليات مكة، الجزء الثاني، ص219.

(2) سخاوي، دراج؛ ابن إياس، الجزء الرابع، ص89.

ليس معروفاً ما حدث مع هذه العائلة بعد ذلك، وعلى أرجح الظن خرجت منها عائلتا شيوخ الجهينة اللتان عالجناهما في الصفحة 518 من هذا الجزء وهما: ذوي هجّار والعيايشة.

وفي البقع الصغيرة الواقعة في السهل الساحلي حكمت أيضاً في أواخر العصور الوسطى عائلات حسينية: في صفرا، وبدر، وخليص وعسفان[1].

أهم عائلة بين العائلات الحاكمة في غربي الجزيرة العربية، بعد عائلة شريف مكة، هي عائلة أمراء المدينة، وهي عائلة حسينية[2]. وكان مؤسسها طاهر بن مسلم (توفي عام 381هـ/ 991م)) قد جاء من القاهرة، ربما كمراسل فاطمي. وعلى أي حال فإن العائلة التي أسسها أوصلت الشيعة، وبالتحديد الإتجاه الإمامي المتشدد ـ كان أشراف مكة آنذاك يتبنون الإتجاه المعتدل، الزيدي ـ في المدينة إلى الحكم. وفيما عدا ذلك كانت تسود في المدينة تحت حكامها ظروفاً مشابهة للظروف السائدة في مكة. هنا كما هناك صراع متواصل على السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة، ونظام يقضي بتعيين أقوى خصم شريكاً في الحكم. كما أن العلاقات مع القوى الحامية شهدت تطوراً مشابهاً لما حدث في مكة، إذ تنامى النفوذ المصري شيئاً فشيئاً وبلغ ذروته في العهد المملوكي. في عام 811هـ/ 1468م وضعت المدينة تحت إشراف أمير مكة، ولكن هذا الوضع الجديد لم يطبق في بادىء الأمر. وظل الأمر كذلك حتى عام 887هـ/ 1482م حيث أصبح أمير المدينة تابعاً فعلاً لأمير مكة، كان يعتبر نائباً له ويتعين عليه تقاسم وارداته معه.

يبدو أن منصب أمير المدينة ألغاه الأتراك، ولكن العائلة الحسينية الوحيدة التي

---

(1) ابن بطوطة، الجزء الأول، ص295، انظر سنوك، الجزء الأول، ص71 ـ المقريزي، قبائل عربية، ص85، انظر محمد أديب، ص136. ابن بطوطة، الجزء الأول، ص298؛ المقريزي، نفس المصدر؛ ابن إياس، الجزء الرابع، ص89. أشراف بدر ما زالوا يزدهرون حتى اليوم، شكيب أرسلان، ارتسامات، ص273.

(2) قام الدكتور كاسكل بإعداد دراسة عن هذه الأسرة نشير إليها بخصوص المصادر والتفاصيل.

تحمل في غربي الجزيرة العربية لقب شريف (وليس سيّد)، احتفظت ببعض الحقوق حتى الوقت الحاضر. وكانت في وقت لاحق تسكن في بلدة العوالي المجاورة للمدينة والتي يسكنها حرب (بنو علي).

في عام 1900م كان محمد عبد الله الجودي شريف المدينة. ولكن الحكومة غضبت عليه نتيجة وشاية من شيخ حرب محمد بن ربيق (انظر الجزء الثالث) فلجأ إلى المطير في الصحراء؛ كان متزوجاً من ابنة شيخ المطير. ولكي ينتقم من الواشي محمد بن ربيق اقتحم بيته (في المدينة؟ عوالي) وقتله. وقد تمكن هو نفسه من الفرار لكن ابنه وأخاه وزوجته الحامل قتلهم حرب[1].

خلال الحرب العالمية كان شحات شريف المدينة، وكان أيضاً عدواً للأتراك. وقد تولى في وقت لاحق منصب محافظ المدينة إلى أن استولى عليها الوهابيون (1925م). وكان أخوه ناصر من القادة البارزين عند فيصل. ولم تزل العائلة حتى اليوم تعتنق المذهب الشيعي[2].

في الحوليات يرد ذكر عائلات أشراف أخرى، ويذكر المقريزي (خطط، الجزء الأول، ص185) عائلة أشراف (جعفرية؟) في وادي القرى قام زعيمها عبد الله بن إدريس بن جعفر في عام 415هـ/ 1024م، بالتعاون مع ابن الجراح (انظر الجزء الأول، ص498، وما يليها)، بشن هجوم على أيلا، العقبة حالياً. وهناك أشراف آخرون يرد ذكرهم في حكايات بني عقبة، انظر الصفحة 480 أعلاه.

(1) معلومات من القاهرة.

(2) لورنس، ص155، 159 وما بعدها؛ 216؛ ريحاني، تاريخ نجد، ص375، 381.

قبائل أشراف

كما تحوّل في أوائل العصور الوسطى بعض الأشراف من مدنيين إلى بدو، كذلك تطورت في العصر الحديث فروع من قتادة إلى قبائل يعيش جزء منها حياة بدوية. وقد حدثت العملية تماماً كما في السابق. فقد كان أجداد هذه القبائل، وهم جميعهم تقريباً من أمراء مكة الحاكمين، يشترون أراضي في الأرياف. وفي وقت لاحق استقر جزء من أبنائهم وأتباعهم بصورة دائمة هناك[1] وكانوا يتحولون إلى حياة البداوة عندما كانت تقع أحداث سياسية أو طبيعية تجعل أراضيهم تفقد قيمتها. وتعيش هذه القبائل الشريفية غالباً حول مكة المكرّمة وقرب الطائف، بينما يسكن زعماؤها عادة في مكة.

في الحرب العالمية تميز أيضاً، بالإضافة إلى أشراف القبيلة الحاكمة العبادلة، كثير من أبناء القبائل الأخرى، وخاصة بعد الحرّث(8): كان علي بن الحسين الحارثي[2] من المضيق أحد أنشط القادة عند فيصل. ونذكر من الفعور الشريف حمزة الفعر، من الفرع الذي كان مقيماً في وادي ليّه الأعلى قرب الطائف، الذي عين وزيراً للأشغال العامة في حكومة الملك حسين الأولى. وشارك ابنه عبد الله

(1) قارن سنوك، الجزء الأول، ص113. بخصوص ملكيات الأشراف العقارية انظر أيضاً شكيب أرسلان، ارتسامات، ص127.

(2) كان أبوه محسن زعيم القبيلة؛ لورنس، ص82، 122، 216، 387.

في حملة فيصل في الشمال ثم حارب بعد ذلك في عسير حيث مني بالهزيمة[1]. وعلى الرغم من هذه العلاقات انتقل الحرث والفعور في وقت مبكر إلى صفوف آل سعود[2].

خارج منطقة مكة، في التهامة جنوب ليث، تسكن قبيلتا الأشراف ذوي حسن وذوي بركات. كان ذوو حسن مختصمين مع شريف مكة منذ أمد طويل، ولكنهم حاولوا رغم ذلك مقاومة آل سعود. وكانوا قبل الحرب العالمية يتمتعون بسمعة سيئة جداً كقراصنة بحار[3]، كما أن أبناء عمهم ذوي بركات المتعادين معهم كانوا يمارسون نفس المهنة[4].

يشكل الأشراف الحسينيون جمعيات بقيادة شيوخهم في المدينة ومكة والسويرقية «السوارقية» وينبع البحر[5].

أما مجموعات الأشراف في وسط الجزيرة العربية فهي تقع خارج إطار هذا المقال ولكننا نود الإشارة فقط مرة أخرى إلى أشراف خرمه[6] لأنهم تدخلوا بقيادة زعيمهم خالد بن منصور بن لؤي (توفي 1932م) بصورة فعالة في تاريخ الحجاز الحديث، انظر الصفحة 612 في هذا الجزء.

لقد أفرزت طبقة الأشراف النبلاء العديد من الشخصيات الهامة، وكان يوجد في أوساطها على الدوام رجال تميزوا بالتواضع والشجاعة والكرم والإحساس

---

(1) شكيب أرسلان، نفس المصدر، ص135، I، 271؛ لورنس، ص212، 355؛ بريموند، ص101، 175؛ الريحاني، نفس المصدر السابق، ص272.

(2) الريحاني، نفس المصدر السابق، ص299، 301، 343.

(3) سنوك، الجزء الأول، ص137؛ هاندبوك، الجزء الأول، ص426؛ ريحاني، نفس المصدر السابق، ص342.

(4) هاندبوك، الجزء الأول، ص417 وما بعدها. يذكر بوركهاردت جزءاً منهم في وادي فاطمة، رحلات، الجزء الثاني، ص92.

(5) أيوب صبري، الجزء الثالث، ص269؛ سنوك، الجزء الأول، ص167.

(6) حوالي 200 نسمة، فيلبي، الجزء الثاني، ص171.

بالحق والعدل. وأثبتت الحرب العالمية أن الأشراف كانوا قادرين على الارتقاء فوق مصالحهم الخاصة وتبني قضايا كبرى.

الأشراف(1)

القبيلة	المنطقة	العدد
1 ـ العبادلة(2)	جنوب مكة	
2 ـ ذوي زيد	وادي عصم	
3 ـ ذوي سرور(3)	جنوب مكة	200
4 ـ الشنابرة(4)	جنوب مكة	150
5 ـ المناعمة		
6 ـ ذوي جازان(5)		
7 ـ ذوي جود الله		
8 ـ الحرث(6)		
9 ـ ذوي حسين(7)		
10 ـ الفعور		
11 ـ ذوي حسن(8)	الليث ـ الشاقّة الشامية	3000
12 ـ ذوي بركات	الشاقّة الشامية ـ دوقة	400
13 ـ الجعافرة	شمال جيزان(9)	600

ملاحظات

1 ـ يوجد قوائم لدى بوركهاردت، رحلات، الجزء الأول، ص408؛ دوتي، الجزء الأول، ص522؛ هاندبوك، الجزء الأول، ص406 وما يليها، قارن ص72، 417 وما بعدها، 426 وما بعدها، 429؛ فؤاد حمزة، ص158. لم نسجل في الجدول ذوي حمود والسواملة، الذين ورد ذكرهم عند بوركهاردت ودوتي فقط، وكذلك لم نسجل أي قبيلة لم يذكرها إلا مؤلف واحد. انظر أيضاً شجرة النسب رقم 3 والملاحظات المتعلقة بها.

2 ـ آخر أسرة حكمت مكة وتحكم الآن في شرقي الأردن والعراق. ويسكن فرع من العبادلة عند ذوي بركات (12) وفرع آخر في عسير، انظر هاندبوك، الجزء الأول، ص407 وما بعدها.

3 ـ بدو رحل. وهم في الأصل فرع من ذوي زيد. علي بن سعد السروري، قائمقام مكة سابقاً، كان في الثمانينات لصاً سيء السمعة؛ سنوك، الجزء الأول، ص184، 203.

4 ـ بدو رحل. متعادون من ذوي سرور. في القتال ضد الوهابيين برز من هذه القبيلة في مطلع القرن التاسع عشر شريف اسمه راجح، سنوك، الجزء الأول، ص150 وما بعدها.

5 ـ انظر سنوك، الجزء الأول، ص117.

6 ـ كانوا، حسب بوركهاردت، ص338، منضمين إلى عدوان.

7 ـ سنوك، الجزء الأول، ص186.

8 ـ من أحفاد حسن بن عجلان (شجرة النسب 2).

9 ـ في تهامة عسير (مخلاف اليمن).

قبائل المناطق الحدودية

بين الحجاز وعسير

تمتد المنطقة، التي سنتحدث عن قبائلها هنا، على الساحل من ليث حتى حلي، وفي الداخل تقريباً من خط العرض 20 حتى خط العرض 19، وتصل في الشرق إلى وادي بيشه تقريباً، وتطغى على تضاريسها سلسلة السراه، المسماة العقبات[1] حالياً، والتي تبدأ في الشمال الشرقي عند الطائف وتتجه في البداية نحو الجنوب الغربي ثم تنعطف شمال ليث نحو الجنوب الشرقي لتتخذ أخيراً مساراً باتجاه الجنوب. يسمى السفح المواجه للبحر والسهل الساحلي، هنا أيضاً، تهامة (أو التهم والتهمة)، وتمتد وراء السلسلة مناطق الزهران، وغامد، وشمران، وبالقرن، وبني عمر وبني شهر[2].

حسب طبيعة الأرض والمناخ يمكن اعتبار هذه المنطقة جزءاً من اليمن أو

(1) تحمل الأجزاء المنفردة من السلسلة الجبلية أسماء مختلفة مثل: عقبة بني أوس، عقبة بني عمرو، عقبة رغدان، عقبة الباحة، عقبة بني ظبيان، عقبة بني كبير، عقبة حزنة، عقبة بني سهيم.

(2) بما أن الجماعات التي تسمى هذه المناطق باسمها تصل إلى ما بعد السراه، إلى التهامة، فإن أسماء المناطق تمتد أحياناً إلى هناك؛ وهذا ما ينطبق أيضاً، مثلاً، على خريطة جنوب غرب الجزيرة العربية، 1: 440 253، الورقتان 6، 7، التي سنسميها فيما يلي ببساطة "الخريطة".

عسير. أما شعور السكان فهو متأرجح في هذا الصدد لأن الحدود السياسية تغيرت مراراً في الزمن الحديث. في القرن الثامن عشر كانت تمر قرب حلي بحيث أن منطقتنا كانت آنئذ تابعة للحجاز. وخلال الإحتلال المصري أيضاً كانت تعدُّ جزءاً من الحجاز[1]، ولكن بعد الحملة التركية 1871م ضمت إلى ناحية عسير من إقليم اليمن[2]. وبعد استيلاء آل سعود بعد الحرب العالمية على عسير والحجاز عادت التهامة (قنفذة) إلى الحجاز، بينما ضمت المنطقة المرتفعة إلى إمارة عسير[3].

لم تلعب هذه المنطقة الحدودية في التاريخ أي دور مستقل؛ ذلك أن مناطق القوة تقع، بصرف النظر عن مكة، أبعد إلى الجنوب، في المنطقة المرتفعة من عسير[4] وفي أجزاء التهامة المسماة مخلاف اليمن (جيزان، مدي، صبيا، أبو عريش). في المنطقة المرتفعة من عسير كان يقيم الزعماء الذين حكموا منطقتنا في بداية القرن الماضي لصالح الوهابيين، وهم: محمد وعبد الوهاب أبو نقطة، وطامي ابن شعيب[5]، وآل عايض (انظر ص612 أعلاه)؛ ومن مخلاف اليمن ينحدر

---

(1) انظر جومار، دراسات جغرافية وتاريخية عن الجزيرة العربية، باريس 1939م، ص41 وما يليها (باستثناء حلي)؛ تاميسيه، الجزء الثاني، ص241 وما بعدها (الحدود الجنوبية للحجاز في الداخل: "خلايل" = "هلايل" على الخريطة الورقة 7).

(2) وزعت على النواحي قنفذة، رغدان (= زهران، غامد)، بني شهر، أحمد راشد، تاريخي يلن وصنعاء، اسطنبول 1291، ص69.

(3) نالينو، لارابياسا أوديانا، ص69، 74. يعود تناقض المعلومات عن غامد وزهران، اللذان يظهران في قائمة مناطق نجد وفي قائمة مناطق الحجاز، إلى أن أجزاء هذه المنطقة، الواقعة على هذا الجانب من السراه، تتبع للتهامة؛ انظر الملاحظة 2 أعلاه.

(4) عسير هي في الأصل اسم قبيلة كانت منضمة إلى عنز (فوستنفلد، الجدول، ح12) من عرب الشمال (الهمداني، ص118) وتعبر في الحقيقة فقط عن المنطقة العالية حول إبها. وبعد ذلك صار الاسم يمتد، حسب الظروف السياسية، إلى المناطق المجاورة، انظر هاندبوك «كتاب الجيب»، الجزء الأول، ص128؛ نالينو، ص69.

(5) بوركهاردت، ص455 ـ 565؛ جومار، ص78 وما يليها؛ تاميسيه، الجزء الثاني، ص180، 266؛ منجن، الجزء الثاني، ص524 ـ 541.

خصومهم، أشراف أبو عريش[1]، وكذلك الإدريسي خرجوا من هنا أيضاً.

قبل الحرب العالمية كانت غامد وبنو شهر واقعة تحت نفوذ الأتراك أو شريف مكة، وكانت زهران وشمران وبالقرن واقعة تحت نفوذ الإدريسي. ففي التهامة كانت الإدريسي يتمتع بمكانة أعلى من مكانة الأتراك وشريف مكة. وفي المعارك التي دارت بين وهابيين آل سعود وأتباع ابن عايض (1920م/ 1921م) وقف بنو شهر إلى جانب الأخيرين بينما انضمت زهران إلى الوهابيين (انظر الصفحة 612 أعلاه).

الكثافة السكانية في المنطقة الحدودية أعلى جداً منها في الحجاز ونسبة السكان المستقرين أعلى جداً من نسبة الرحل. ويعود السبب في ذلك إلى أن الشريط الساحلي وخاصة المنطقة المرتفعة هنا غنية بالمياه. في التهامة تضم منطقة دوقة أبا الخير وحدها مئات القرى (القرية الرئيسية: قرمة)، كما أن المناطق المحيطة بقنفذة[2] والأراضي الواقعة خلف حلي مستثمرة بشكل جيد. ففي المناطق العالية، التي مناخها أبرد جداً من مناخ جبال الحجاز، تزرع الوديان في كل مكان، فقط في الشرق، حيث تدخل المنطقة في سهوب نجد، تغلب الحياة البدوية.

السوق الرئيسية لقبائل السلسلة الجبلية هي المخوة الواقعة في أسفل عقبة سهيم، التي كانت في الماضي تزود مكة بالحبوب[3]. ومما يتمتع بأهمية كبيرة واحات بيشه[4] الواقعة في منطقة تنقل قبيلة الشهران[5]، أكبر قبائل عسير، والتي

---

(1) نيبور بلاد العرب، ص266 وما يليها، نيبور، وصف رحلة، الجزء الأول، ص292 وما يليها؛ بوركهاردت، ص465 ـ 563؛ جومار، ص79 وما يليها؛ منجن، الجزء الثاني، ص533 ـ 541.

(2) تأسست القرن في العصر الحديث؛ موريتس، آرابين «بلاد العرب»، ص109.

(3) بوركهاردت، رحلات، الجزء الأول، ص347، الجزء الثاني، ص389.

(4) خلط بوركهاردت، ص340، خطأ بينها وبين بيشة ابن سالم الواقعة في مرتفع السراه والتابعة لقبيلة فرعية من رفيدة اليمن تحمل نفس الاسم (هاندبوك، الجزء الأول، ص445 وما يليها).

(5) قائمة شبرنغر رقم 28؛ هاندبوك، الجزء الأول، ص462 وما يليها. الشهران هم بالتأكيد من أحفاد خثعم (فوستنفلد، الجدول 9، 16؛ ابن دريد، ص304؛ فوستنفلد، أماكن سكن،

تشكل اليوم مع المناطق المجاورة، تبالة، وترج، والثنية، ناحية مستقلة تابعة لإمارة عارض (الرياض). كان في السابق يحدث هنا خلال موسم قطاف التمر وقف للقتال واستعمال السلاح يستمر عدة أشهر لكي تتمكن القبائل المتخاصمة من شراء التمور ومقايضتها.

كما هو الحال، كما رأينا، في الحجاز بقيت الظروف السكانية في منطقتنا أيضاً مستقرة عن القبائل في مرحلة ما قبل الإسلام لا تتوفر سوى معلومات عامة مقتضبة: يعتقد بأن أصحاب المنطقة الأصليين هم خثعم الذين جاؤوا من الشمال والذين طردهم فيما بعد أزد القادمون من الجنوب إلى بيشة وتربة[1]. وفي فجر الإسلام حدثت في صفوف أزد هجرة قوية جداً إلى العراق وخراسان. وعلى الرغم من ذلك نجد هنا في عام 900م حسب الهمداني[2]، الذي يعود له الفضل في كثير من المعلومات التفصيلية عن منطقتنا، تقريباً نفس التركيبة السكانية. في ذلك الوقت أيضاً كان أزد يستولون على كامل المنطقة تقريباً، وبالتحديد الزهران، أو بالأحرى فرعهم دوس، وغامد والحِجرْ الذين يوجد منهم في منطقتنا الفرع شهر

ص76؛ انظر النص أدناه)، على الرغم من أنهم يعيدون أصلهم الآن، حسب هاندبوك، إلى رجال الحجر (انظر النص أدناه)؛ وتجدر الإشارة إلى أن القبيلة الفرعية بني وهاب (قائمة شبرنغر رقم 30)، التي تسيطر على واحات بيشة، تضم جماعات تنحدر من قبائل عربية قديمة أخرى لهذه المنطقة، وهي: السلوك (فوستنفلد، الجدول ب 19، ف14؛ ياقوت، الجزء الرابع، ص62؛ قائمة شبرنغر رقم 58) وأكلب (فوستنفلد، الجدول، آ 5 = 9، 17؛ فوستنفلد، أماكن سكن، ص76 وما بعدها؛ الهمداني، ص121؛ قائمة شبرنغر رقم 29؛ بوركهاردت، ص340). علماء النسب المحليون يربطون أيضاً معاوية (قائمة شبرنغر رقم 37) الذين ينتمون أيضاً إلى بني وهاب، مع معاوية بن بكر بن هوازن القدامى. وينتمي إلى بني وهاب عائلة آل شكبان التي كانت تحكم بيشة في مطلع القرن الماضي لصالح الوهابيين (قائمة شبرنغر رقم 29، 31؛ منجن، الجزء الثاني، ص521، 524، 537).

(1) فوستنفلد، أماكن سكن، ص53، 58، وفوستنفلد، سجل الجداول، أزد.

(2) ص 121 وما بعدها؛ انظر أيضاً ياقوت، الجزء الأول، ص464؛ الجزء الثاني، ص622؛ الجزء الثالث، ص750. بخصوص نسب القبائل المذكورة هنا انظر فوستنفلد، الجدول 10، 17 (زهران)، 20 (دوس)، 12 (حجر)، وابن دريد، ص288.

وكان الخثعم يمتدون من الشمال الشرقي بين الحجر وغامد.

جميع هذه الأسماء تقريباً تظهر مرة أخرى في جدولنا (أ، أ 1، ب، ب10). يقتصر الحِجْرْ، الذين يسمون اليوم رجال الحَجَر، الآن على عسير، وحافظ الخثعم على وجودهم في منطقتنا[1]، بينما اختفوا من منطقة بيشة أو بالأحرى اندمجوا مع قبائل أخرى. ولكن هذا لا يعني، طبعاً، أن القبائل الحالية مرتبطة شعورياً وثقافياً (من خلال التراث الأدبي والحكايا المتناقلة) مع تلك السابقة من ناحية النسب. بل يبدو أن الوعي التاريخي لهذه القبائل المستقرة بمعظمها، مرتبط بالمنطقة أكثر من ارتباطه بالقبيلة. وتجدر الإشارة إلى أن أسماء مثل الحِجْر/ حَجَر، وغامد، وزهران، تعبر في المقطع الذي أشرنا إليه عن الحمداني إلى أسماء قبائل وأسماء مناطق في آن واحد. وينطبق الشيء نفسه على التعابير الحديثة: شمران (جـ II 4)، وبالقرن (ب4) وبني عمرو[2]، وبني شهر.

لا يوجد في منطقة الجبال قبائل من أصول غريبة سوى قريش الذين ينتسب إليهم سكان بالجرشي (ب8) ويذكر الهمداني (ص122) بعض القبائل في مواقع أبعد قليلاً نحو الجنوب. أما التهامة فتقدم في هذا الصدد صورة أكثر تلوناً. فالهمداني (ص70، 120) يذكر هنا، إلى جانب بعض قبائل أزد، كنانة (جـ I 8د) الذي جاؤوا، كما هو معلوم، من الشمال. ولقد استمرت هذه الهجرة من منطقة مكة إلى الجنوب حتى العصر الحديث كما يتبين من هجرة القبائل الشريفية ذوي حسن وذوي بركات (جـ I 1، جـ I 2).

(1) هاندبوك، الجزء الأول، ص430: بين شمران وبالقرن.

(2) غير موجودة عند مصدرنا. حسب هاندبوك، الجزء الأول، ص410 وما بعدها، إلى الجنوب من بالقرن.

قبائل المناطق الحدودية بين الحجاز وعسير(1)

أ ـ بلاد زهران(2)

القبيلة أو المنطقة	الشيخ	القرية الرئيسية
1 ـ دوس	أحمد بن صالح	
2 ـ بني حسن	عصيدان(3)	
3 ـ بالخزمر(4) «بال خزمر»	حسن اللقطى	
4 ـ الجوفا(5)	مطلق الجوفا	
5 ـ بني عمر	راشد بن رقوش بن مساعد	

ب ـ بلاد غامد(6)

القبيلة أو المنطقة	الشيخ	منطقة السكن
1 ـ بني حثيم	أحمد بن سعيد بن صرمان	رغدان في المنطقة الواقعة خلف الليث
2 ـ بني عبد الله	محمد بن ملا أحمد	الباحة
3 ـ بني ظبيان(7)	سعيد بن قسقس	بني محمد
4 ـ بالقرن(8)	صالح بالقرن	دار السوق
5 ـ بني كبير	عبد الله بن صالح	وادي الحمى
6 ـ آل زهران(9)	أحمد المكي	
7 ـ بني سالم(10)		
8 ـ بالجرشي(11) «بالـ جرشي»	محمد بن عبد العزيز	غامد

القبيلة أو المنطقة	الشيخ	منطقة السكن
9 ـ قذانة(12)	صالح بن عبد الله	
10 ـ بني شهر(13)	فراج بن سعيد العسيلي(14)	
11 ـ بني سهيم(15)	صالح بن جمعان	

جـ ـ تهامة(16)

1. السهل الساحلي

القبيلة أو المنطقة	الشيخ	منطقة السكن
1 ـ ذوى حسن(17)		الليث ـ الشاقة الشامية
2 ـ ذوى بركات(18)		الشاقة الشامية ـ دوقة
3 ـ بني شهاب		وراء دوقة
4 ـ زبيد(19)	محمد بن مرزوق	جنوب دوقة
5 ـ بني زيد(20)	حسن بن خضر	القنفذة
6 ـ بالعير(21) «بل عير»		جنوب شرق القنفذة
أ ـ النواشرة		
ب ـ عمر		
7 ـ بني يعلى(22)		شمال حلي
8 ـ اهل حلي(23)		حلي
أ ـ عبيد الأمير(24)		
ب ـ الغوانمة(25)		
جـ ـ أولاد العلاونة(26)		
د ـ كنانة(27)		

II المناطق الخلفية

القبيلة أو المنطقة	الشيخ	منطقة السكن
1 ـ بالعريان(28)		شرق الزبيد
2 ـ العوامر(29)		
3 ـ بالقرن التهمة(30)		شرق بالعريان
4 ـ شمران(31)		

ملاحظات

1 ـ المصادر: بوركهاردت، ص342؛ بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص373 وما يليها؛ جومار، ص45 وما يليها؛ برتون، بلغريماج، الجزء الثاني، ص122؛ أيوب صبري، الجزء الثالث، ص295 وما بعدها، 291 وما بعدها؛ هاندبوك، الجزء الأول، ص128 وما يليها، 407 وما يليها؛ الخريطة، الورقة 6 و7. لم نعتمد على فؤاد حمزة إلا عندما يذكر معلومة خاصة به.

2 ـ سجلت في دمشق 1925م، المصدر: بدوي من غامد. انظر أيضاً قائمة شبرنغر رقم 26، تاميسييه، الجزء الثاني، ص29 وما بعدها؛ هاندبوك، ص475 وما يليها. فؤاد حمزة، ص153 وما بعدها، يقسمهم إلى: دوس(1)، بني عمرو (5؟)، بني يوسا مع بني حسن (2) وبالخزمر(3)، بطيل، بني سُليم، أحلاف. العدد: 35000، حسب هاندبوك نصفهم بدو رحل.

3 ـ هاندبوك، سعيد بن عصيدان.

4 ـ طريقة الكتابة تتأرجح بين "بال" و"بل"، سكرتيري العربي يقترح "أبا ال".

5 ـ اسم منطقة، انظر جومار، ص68.

6 ـ المصدر حسب أعلاه. انظر أيضاً قائمة شبرنغر رقم 27؛ هاندبوك، الجزء الأول، ص422 وما بعدها. العدد 65000، جزء منهم رحل.

7 ـ يرد الاسم حسب ابن دريد، ص289، لدى غامد القدامى.

8 ـ عند الهمداني (ص70) بني القرن؟ تشكل بالقرن منطقة خاصة بها تقع إلى الشرق من غامد وتتحد معها إدارياً فقط. انظر قائمة شبرنغر رقم 38؛ جومار، ص42؛ أيوب صبري، ص295 وما بعدها؛ برتون، نفس المصدر السابق. هاندبوك، الجزء الأول، ص419 وما يليها: 6000 نسمة، ثلثهم يعيش حياة بدوية.

9 ـ الجزء البدوي من الزهران، انظر الملاحظة 2 أعلاه. تمتد منطقة تنقلهم باتجاه نجد حتى حدود العتيبة المتخاصمين معهم. نحو 3000 خيمة.

10 ـ غير هامّين، يخضعون لشيخ بني كبير.

11 ـ يسجلها جومار، ص51، قاسم مكان. يزعم بالجرشي، الذين يحتوي اسمهم قرية جرش التي كانت مهمة في فجر الإسلام (موجودة في منطقة خميس مشيط الحالية)، أنهم قريشيون، ويستعملون صيحة الحرب: صبيان قريش!

12 ـ فيما عدا ذلك يسجلها جومار فقط، ص46. يجب أن تكون واقعة غرب بيشة، جنوب شرق بالقرن.

13 ـ منطقة بني شهر غير تابعة لغامد. تستولي القبيلة على كامل جنوب شرق منطقتنا وتصل حتى وادي بيشة تقريباً. وتمتد في الجنوب إلى ما بعد تنومة، وفي الغرب عبر الجبال إلى التهامة. وهي تتألف حسب هاندبوك، الجزء الأول ص469 وما يليها، من: بني شهر الشام حول عسبلي وعددهم 20000 نسمة من السكان المستقرين و7000 من البدو الرحل، وبني شهر اليمن حول نماص وعددهم 13000 نسمة من السكان المستقرين. وهناك مجموعة ثالثة، بنو شهر التهمة، تقيم في السفوح الجبلية الغربية شمال محايل؛ يبلغ عددها 8000 نسمة من السكان

المستقرين و5000 نسمة من البدو يسجل فؤاد حمزة، ص159، توزيعاً آخر.

يبدو أن بني شهر خضعوا عام 1871م، باستثناء بعض القبائل الفرعية، للأتراك دون مقاومة كبيرة. وكانت الأجزاء المستقرة من القبيلة لا تزال مؤيدة للأتراك أثناء الحرب العالمية.

14 ـ يسمى هكذا حسب مكان سكنه. أما كنيته فهي حسب هاندبوك ابن "قروم"، وحسب أحمد راشد، الجزء الثاني، ص12، 54، ابن غرم. فراج بن سعيد، من أم شركسية، كان نائباً في البرلمان التركي، وكان جده فايز قد جلبه الأتراك عام 1871م إلى القسطنطينية.

15 ـ شمال غرب بني شهر. لعل الأمر يتعلق بقبيلة فرعية من بالقرن تحمل الإسم نفسه، انظر هاندبوك، الجزء الأول، ص420 وما يليها.

16 ـ سجلت في دمشق عام 1927م.

17 ـ سجلت جدول الأشراف 11.

18 ـ سجلت جدول الأشراف 12.

19 ـ انظر الجزء الأول، ص280؛ هاندبوك، الجزء الأول، ص478 وما بعدها. العدد: 15000. يمتدون بعيداً في المناطق الخلفية. مستقرون.

20 ـ جومار، ص47. هاندبوك، ص477 وما بعدها: 4000 مستقرون، 3000 بدو. لا يتمتعون بمكانة محترمة.

21 ـ هاندبوك، الجزء الأول، ص418 وما يليها: أ: 3000 غالباً مستقرون، ب: 4000 بدو.

22 ـ هاندبوك، الجزء الأول، ص475: 500. مكانة غير مرموقة.

23 ـ هاندبوك، الجزء الأول، ص424 وما بعدها. لا يشكلون سوى وحدة سياسية فقط. مستقرون، مع بعض الاستثناءات غير الهامة.

24 ـ عبيد سابقاً. 600 نسمة.

25 ـ 1500.

26 ـ 3000.

27 ـ 1400. أيوب صبري، الجزء الثالث، ص292: بالكناني.

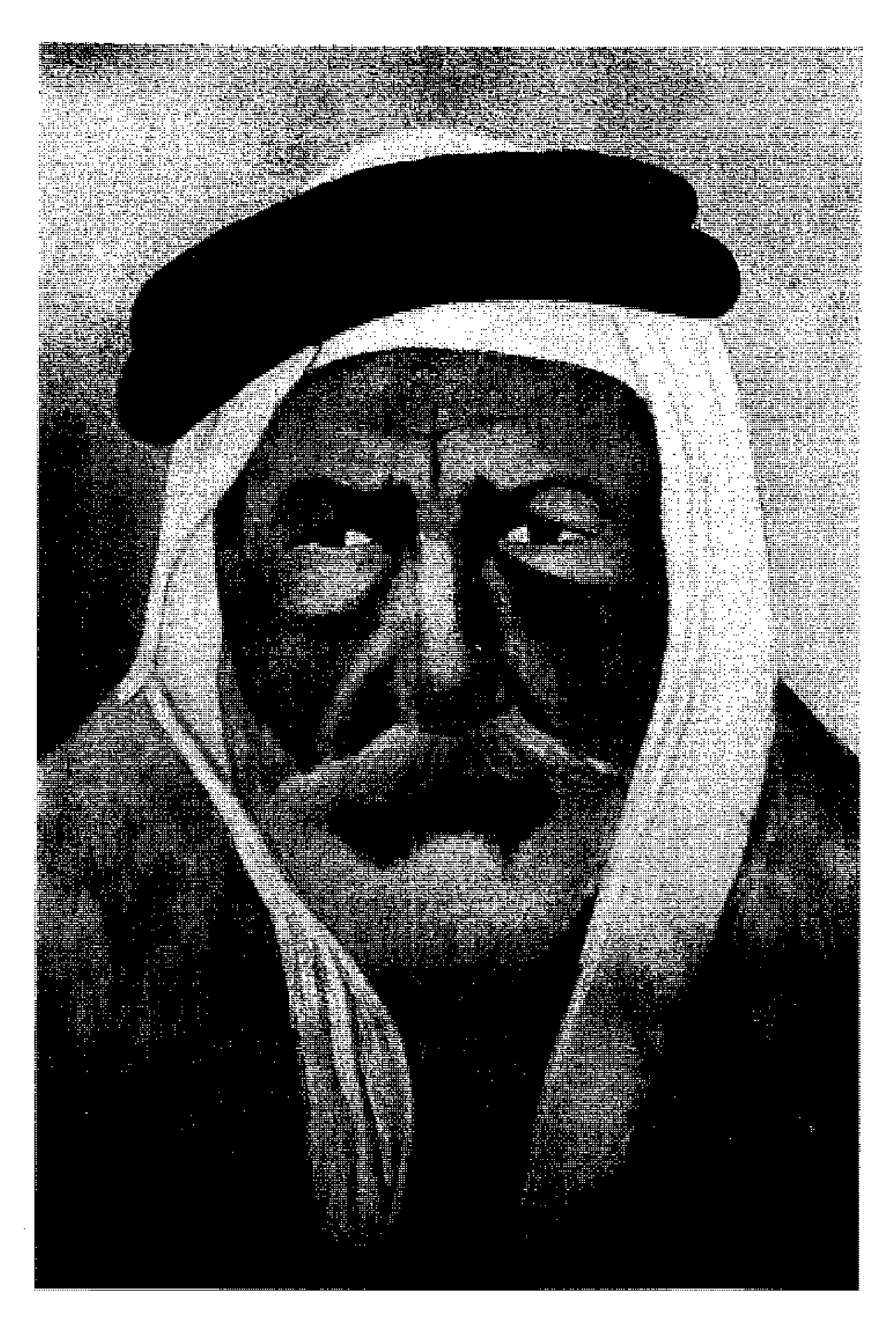
28 ـ من بين القبائل الفرعية المذكورة في هاندبوك، الجزء الثاني، ص414، يظهر بنو عيسى أيضاً عند جومار، ص47، وبنو سهيم عند مخبرنا كقبيلة مستقلة، بخصوص بني سُليم انظر بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص389، والملاحظة 2 أعلاه.

29 ـ انظر جومار، ص48، والخريطة.

30 ـ انظر الملاحظة 8 أعلاه.

31 ـ تقع منطقتهم جنوب شرق غامد وتمتد عرضانياً عبر ظهر السلسلة الجبلية هاندبوك، الجزء الأول، ص473 وما بعدها، انظر جومار، ص48، حيث يميز بين شمران الشام وشمران تهامة مع 2000 شخص نصف رحل لكل منهما و2000 شخص من البدو الرحل ملتحقين بالأولى (بشمران الشام).

رؤساء الغزاوية، من اليسار الى اليمين: محمد الزناتي، امير محمد آل صالح. شيخ المشايخ الحالي، امير محمد بن بشير، امير السيد ابن بريقع (1929م).



علي المطاونه، شيخ التياها (1929م).

البدو

الجزء الثالث
شمال ووسط الجزيرة العربية والعراق "الجنوبي"

تأليف
ماكس فرايهير فون أوبنهايم
آرش برونيلش و فرنر كاسكل

ترجمة : محمود كبيبو
تحقيق وتقديم ماجد شبر

شركة دار الوراق للنشر المحدودة
المملكة المتحدة ـ لندن

الطبعة العربية الأولى 2004

لشركة دار الوراق للنشر المحدودة - المملكة المتحدة
First edition Published in Arabic by Al Warrak publishing Ltd. UK in 2004
ISBN (Volume three) 1 900 700 46 8

الطبعة العربية الثانية 2007

التوزيع

Al Warrak publishing Ltd.
56 Gloucester Road
Suite 500
London SW7 4UB -UK
Tell. 00 44 208 723 2775
Fax. 00 44 207 281 9213
www.alwarrakbooks.com
e-mail: warraklondon@hotmail.com

الفرات للنشر والتوزيع
ص. ب 6435 - 113 بيروت - لبنان
هاتف: 750054 - 1 - 961
فاكس: 750053 - 1 - 961
e-mail: Info@alfurat.com

البَدْوُ

Max Freiherr von Oppenheim

Die Beduinen

Unter Mitarbeitung von

Erich Bräunlich und Werner Caskel

Band III

Die Beduinenstämme in

Nord-und Mittelarabien und im Irak

Bearbeitet und Herausgegeben von
Werner Caskel

OTTO HARRASSOWITZ
1952 Wiesbanden

First edition Published in Arabic by Al Warrak publishing Ltd. UK in 2004
Second edition 2007

The Publication of this work was supported by a grant from the Goethe-Institut Inter nationes

ساهمت مؤسسة غوتا ـ إنترناسيونس مشكورة في بعض تكاليف هذه الترجمة

ISBN (Volume three) 1 900 700 46 8

المساهمون في الجزء الثالث

* تحقيق ومراجعة وتدقيق، ماجد شبّر.
* ترجمة محمود كبيبو.
* مراجعة القسم الثاني ـ العراق: إبراهيم الحيدري.
* التصحيح اللغوي: عبد الحسن دهيني ـ عبد الرزاق الدجيلي.
* التنضي والصف والإخراج: زهرين بيروت.
* المتابعة والإشراف: ماجد شبّر.
* إعداد وتصميم بعض مشجرات القبائل والعشائر: ماجد شبّر.



الفهرس

القسم الأول

شمال ووسط الجزيرة العربية

القسم الثاني
العراق (العراق الجنوبي)

الجزء الثالث

القسم الأول

القبائل العربية في شمال ووسط الجزيرة العربية



تمهيد

شارك في إنجاز هذا السفر، ثلاثة من العلماء، لم يُقيّض لاثنان منهما أن يرياه، فقد رحل البارون ماكس فون أوبنهايم في الخامس عشر من تشرين الثاني عام 1946م، في لاندسهوت، في باڤاريا. ولم يرَ سوى بضع صفحات من مخطوط هذا الجزء التي كانت حافزاً له لمتابعة البحث لدى أصدقائه من العرب، عن أخبار القبائل القديمة.

احتفظ فون أوبنهايم حتى سن متقدمة، بقدرته على التحمس، ولم يتحقق الأمل في استكمال بعض المسائل المعلقة ببحثها مع اريش برونيلش بعد الحرب، كونه قضى نحبه في أيلول عام 1945م، إثر مرض عضال في الأسر في يوغسلافيا.

فُقِدت بعض المواد من هذا الكتاب، الذي تمَّ إنقاذه بشكل درامي، حيث سحب جزء منه، من تحت سقف مشتعل، وأنقذ الفصل الرابع من نيران الرعاة، وهو أمر جد مثير، إلا أنني آمل أن لا تؤخذ هذه الأمور على الكتاب، وبخاصة، إذا علمنا أن العمل في هذا الكتاب قد بُديء به تحت نيران القصف أواخر عام 1943م، وتمَّ إنجازه في رحاب غرفة جدّ صغيرة، محرومة من النور، اللهم إلا من ضوء شمعة تذوب.

برلين، آذار 1949م.

فرنر كاسكل

المقدمة

بدايةً من وديان الفرات وسواحل الخليج العربي، تبدأ نجد، مرتفع الجزيرة العربية، بالارتفاع التدريجي، وصولاً إلى (990متر) في الداخل، و (1000متر) في المناطق المتاخمة للحجاز. يحيط بهذا المرتفع، طوق من الصحارى الرملية والتلال. ففي الشمال، تمتد صحراء النفود الرملية بكثبانها التي تشبه الحذوة، وذلك فيما بين منخفض الجوف وجبل شمّر. وتمتد في الجنوب الغربي حتى واحة تيماء، وتتفرع بلسانين في الشرق الجنوبي، الأول يُسمّى دهنا/ الدهناء[1]، في حين تتغير تسمية الثاني من منطقة لأخرى.

تمتد منطقة الحجيرة الصخرية، على تخوم النفود والدهناء، وكانت تُعرف قديماً باسم الحزن. ويتكوّن جبل شمّر من سلسلتين جبليتين هما الأجأ والسلمى اللتان تمتدان باتجاه المسما في الغرب، والرمان في الجنوب.

ويتحدد شكل وسط الجزيرة العربية من خلال سلسلة جبال الطوّيق التي تحيط المرتفع الداخلي كطوق كبير (كما تعني التسمية). وغالباً ما تكون أدنى منه وتتحدد بمنخفض حاد. وتنبسط الأرما (سهل أراما) في الشرق، والدهناء والسلسلة

(1) الكلمة التي تلي الخط هي اللفظ العربي الكلاسيكي للاسم، أو الاسم القديم.

الصخرية الصمّان حول الطوّيق، حتى تنتهي مثلها في بحر الرمال المسمى الربع الخالي، أما في الغرب فيحاذي اللسان الثاني للنفود الطوّيق على شكل شريط ضيق من الأرض الصلبة ـ الحماد. وفي طريقه نحو الجنوب الشرقي ينقسم إلى شريطين يحيطان بواحات الوشم وينتهيان بقوس الطوّيق. وعبر تلال الماروت وبصورة منفصلة عنه، رغم أنها تصب فيه في النهاية يبرز خط رملي ثانٍ يأتي من منطقة القصيم المغطاة بالكثبان الرملية. وقبل الطوّيق الجنوبي تقع النفود الثانية المتداخلة مع بحر من الرمال.

ووسط هذه المنحنيات تبرز سرّة نجد، المعروفة بسرّة الجزيرة العربية العليا، والتي كانت تسمى حمى الضرية، محاطة بشريطين رمليين، العريض في الغرب، ونفود الشقيقة في الشمال الشرقي، تعلوها بعض الجبال المنفصلة، التي يبدو أن النير أكثرها ارتفاعاً. وبين كل من النير والطوّيق سلسلة من الجبال المنفصلة كمسرح ينفتح نحو الشمال الغربي.

وتغطي الصخور البركانية مساحات شاسعة في الغرب، وقد شكلت هذه الصحاري الصخرية الحرات موضوع الجزء الثاني (ص 450). وهي تمتد من حرّة خيبر، الواقعة شمال المدينة المنورة، حتى حرّة النواصف في الشرق من الطائف.

تمر في مرتفعات الجزيرة العربية العديد من الوديان الكبيرة ومجاري الأنهار، وذلك منذ عهود موغلة في القِدم، فينبع وادي الرمة[1] من مرتفعات حرّة خيبر، ويمتد نحو الشرق، ثم ما يلبث أن ينحني بعد ذلك شمالاً، حيث يختفي في أحضان رمال النفود. على الجانب الآخر من النفود يجري تحت اسم (الباطن) حتى البصرة. ويلتقي من ناحية العريف «العرائف» مع مصب وادي (المياه) مع وادي (جرير)، بينما ينتهي وادي (الرشا)[2] مع بحر (شعيب) قبل نفود الشقيقة، دون أن يصل وادي الرمة.

(1) تلفظ وادي الرمّة.

(2) تلفظ وادي الرشا.

يبدأ وادي حنيفة من جبال العارض في وسط الطوّيق، ثم يسير متعرجاً في الفج الذي يخترق الجبال من الغرب نحو الشرق، ويتابع سيره تحت اسم السهبا إلى الرمال الشرقية.

لا توجد تسمية موحدة في هذه البلاد للمسار الثالث، المشار إليه، ويطلق عليه البعض وادي (الدواسر)، وذلك، انطلاقاً من اسم واحته الذائعة الشهرة. وتقع منابعه في الجهة الجنوبية الشرقية باسم وادي (بيشه) ووادي (رنية) ووادي (تثليث) التي تنبع من جبال الحجاز وعسير.

تجري مياه الوديان، بعد الأمطار الغزيرة، في الجبال والأراضي الصخرية، وتجري المياه لفترات معينة في وادي الرمة، في حين جرت المياه في وادي الدواسر وللمرة الأولى منذ ثلاثة أجيال في عام 1916م، ومثلما يتم امتلاء الأحواض الجبلية بالمياه وبسرعة، فإنها تفرغ وبنفس السرعة. وقد أقيمت بعض السدود في بعض المناطق، للاحتفاظ بالمياه أطول فترة ممكنة، . . ويزرع الناس أشجار النخيل في مجرى الأمطار في بطن السيل، إلاّ أن معظم الواحات تعيش من الآبار التي تسحب منها المياه بآلات بدائية، لكنها ناجعة، حيث يتم توزيعها على الحقول ومزارع النخيل عبر مجاري صغيرة.

هناك أيضاً مناطق أخرى تجري مياهها الجوفية تلقائياً أو بتدخل بسيط في ينابيع ومسيلات مائية قصيرة.

وتوجد في دساكر اليمامة[1] ثلاثة ينابيع طبيعية ذات أعماق غير معروفة، وهي أقدم واحات الجزيرة العربية، في منطقة الخرج حيث تلتقي ثلاثة وديان كبيرة قادمة من الشرق والجنوب هي النساح والفرع والبرك، قبل أن تصب في وادي (حنيفة السهبا). وتقع إلى الجنوب من الخرج واحات الأفلاج، وتوجد هنا ينابيع مشابهة

(1) أعطت هذه الواحة قبل الإسلام اسمها للمناطق المجاورة (الخرج، الفرع، العارض) والتي كانت تقطنها نفس القبيلة. لكن منطقة اليمامة أصبحت من العصر الإسلامي، تشمل كل منطقة الطويق، والمنطقة الغربية الواقعة أمامها حتى حمئ الضرية.

لتلك التي توجد في الخرج وكانت تغذي سابقاً نظام أقنية واسعاً، لا يجري فيها الآن سوى سيح (مسيل) واحد أخذت منه الواحة اسمها. وتقع منطقة العارض بمحاذاة الخرج في الشمال الغربي، حيث يوجد، ومنذ أربعة عشر قرناً، المركز السياسي لوسط الجزيرة العربية. هنا كانت توجد هجر، العاصمة القديمة لليمامة، والدرعية التي حلت محلها في العصر الحديث، وهناك توجد الرياض العاصمة الحالية لنجد. ويفصل وادي (شعيب العطس) أو العتك، العارض عن منطقة (السدير)، التي ينتهي فيها (الطوّيق). وتغذي الينابيع الواحتين القديمتين في شرق الجزيرة، والتي تشكل مدينة (الهفوف)[1] ومرفأ (القطيف) مركزها. وتشكل زراعة أشجار النخيل المرتبة الأولى في اقتصاد الواحات، ولكن، من الممكن، أن تتم زراعة الحبوب أيضاً بالاعتماد على الري أو في الأراضي التي تسقيها الأمطار أو السيول.

تهطل الأمطار في الجزيرة العربية شتاءً، بين شهري كانون الأول وشباط، وتبدأ بشكل مبكر في الشمال، بينما تنتهي متأخرة في الجنوب. وتنزل الأمطار بصورة غير منتظمة، بل ومن الممكن أن تنحبس طيلة سنوات عديدة. بعد هطول الأمطار الأولى، سرعان ما تظهر النباتات الشديدة التنوع، فوق الأرض الرملية، مما يجعل هذه المناطق مقصداً للبدو في الشتاء. بالمقابل فإن قلة الينابيع في هذه المناطق لا تؤثر على الحيوانات، لأنها لا تحتاج إلى مياه للشرب، طالما أنها تتناول العشب الأخضر. أما الرعاة فيتغلبون على العطش بشرب الحليب. بعد ذلك، تبدأ النباتات المطرية بالنمو على الأرض الصخرية. لهذا تتوجه القبائل إلى (الحجيرة) في الربيع، ويتجمع البدو في الصيف حول مواقع المياه في (صمان)،

---

(1) كانت هذه الواحة تسمى في العصور القديمة البحرين وعاصمتها هجر. وكان اسم البحرين يطلق على المقاطعة بأكملها. وفي العصور الوسطى أصبحت القرية المجاورة لهجر، الأحسا (لحسا) وهي عاصمتها. وقد بقيت (الأحساء) حتى الوقت الحاضر اسماً للواحة المجاورة وكذلك المقاطعة. كما أصبح اسم البحرين يطلق منذ العصور الوسطى على جزيرة في خليج العقير وميناء الهفوف.

في (طوال مطير)، أي الآبار العميقة لهذه القبيلة. وتتغذى الحيوانات بعدئذٍ من النباتات الدائمة التي تكون في المناطق الرملية أكثر وفرةً منها في المناطق السهلية.

يتوقف جل الاعتماد الاقتصادي للبدو على الواحات، ما عدا بعض الاستثناءات لأن الإنسان ليس بمقدوره أن يعيش على منتجات الحليب فقط. وبعبارة أخرى: اقتصاد الواحات شرط لا بد منه للبداوة، ولهذا فإن جميع الحياة التاريخية قد انطلقت من الواحات.

يمتاز السكان الأصليون للجزيرة العربية بالبشرة السمراء، وقد أصبحوا الآن محصورين في ظفار بين حضرموت وعمان. ولا تتضمن أقدم المعلومات التاريخية أية إشارة لغير العرب سكاناً للجزيرة العربية. ومن الطبيعي أن لا تعتد بهذه المعلومات لفترة ما قبل الميلاد. وقد وصلت غزوات الآشوريين، والبابليين إلى حدود نجد ـ تيماء والجوف ـ بصورة عابرة فقط. وقد أشارت الكتابات العربية القديمة بالحروف السبأية، والتي عثر عليها في شرق الجزيرة العربية، وفي جنوب الطوّيق، إلى وجود طريق تجاري قديم، يمر من نجران إلى اليمامة، ومن هناك عبر شرق الجزيرة وصولاً إلى بلاد ما بين النهرين. وفي القرون التي سبقت ميلاد السيد المسيح ازدهرت في واحة الاحسا، مدينة جرها التجارية[1]، التي كان تجارها ينافسون السبئيين في سوق البتراء. وكانت جرها تقيم علاقات مع البابليين عبر ميناء كان موجوداً في المكان الذي تقع فيه العقير اليوم. الشط، وهي الاسم القديم لواحة القطيف، موجودة أيضاً في ذلك الوقت.

وبعد ميلاد السيد المسيح، بدأ الظلام ينحسر عن وسط الجزيرة العربية. وتبعاً لأقوال بطليموس (النصف الثاني من القرن الثاني) ظهرت قبيلتا تنوخ وأسد، اللتان ترتبطان، وفقاً للمراجع العربية، مع بعضهما البعض الآخر بصورة وثيقة. وقد

(1) انظر الجزء الثاني، ص252 وص453.

اتجهتا نحو الشمال، في المائة الثالثة، مثل طي، والسرزانن[1] اللتين سبقتاهما. وقد حكم ملوك أسد قبل عام 272م المنطقة الصحراوية المتاخمة للفرات، ثم جاءت سلالة ملوك جديدة من بني لخم[2] إحدى القبائل العربية الشمالية الغربية. وقد حكم ملكهم الأول عمرو في الحيرة تابعاً للفرس[3]، وأخضع ابنه امرؤ القيس ـ ملك كل العرب ـ كلا الأسدين أحدهما يتطابق مع أسد بطليمس ومع أسد كتابة شرف الدين، اليمن، 33. ونزار[4] وملوكهم، ومن ثم قبائل معد بعد حملاته العسكرية التي قادته إلى نجران في جنوب الجزيرة، هذا ما يستفاد من لوحة قبره في عام 328م التي عثر عليها في النمارا (الرحبة) موطن قبيلته، ومن غير المعروف بدقة من هم النزاريون. بالتأكيد، كانت تتبع لهم "إياد"[5] التي تعتبر، وفق المصادر، القبيلة الأولى التي التحقت ينتنوخ نحو الحدود العراقية. لقد سكنت آنذاك مع غيرها من النزاريين في شمال الجزيرة. أما معد فلا بد أن نتصور أنهم سكنوا بعيداً نحو الجنوب، في تهامة وعسير، على امتداد الطوّيق الجنوبي حتى شرق الجزيرة العربية، وكانوا في معظمهم من المقيمين. ومن خلال التوزيع اللاحق للقبائل، ووفقاً لمصادر قديمة ووقائع محددة، يمكننا أن نعرض حركة الهجرة، على النحو التالي:

في الغرب، انفصلت أسد عن تهامة وعبرت إلى جبال طي (جبل شمّر). وفي الشرق تركت تغلب الطوّيق، وبدأت ترحالها في سرّة نجد. وقد لحق بها قسم من قبيلة بكر. وأرغمت الحروب التي شنتها كندة، هاتين القبيلتين على التحرك مجدداً. وهذه القبيلة هي إحدى القبائل القادمة من حضرموت والتي حكمت شمال

(1) انظر الجزء الأول، ص 265 وص 411 وما بعد.

(2) أحدهم جذيمة ملك تنوخ، مثبت في النصوص.

(3) في النقوش عام 299م، ومثبت في الكتابات منذ الزمن القديم.

(4) ورد الاسم مرتين فقط قبل الإسلام، وكان غير معروف تقريباً عندما تناوله النسابون فذكروه على أساس أنه ابن معد ووالد إياد، وربيعة ومضر.

(5) يبدو أن موطنهم كان في بيشة، قارن الجزء الثاني ص 563.

الجزيرة العربية منذ نهاية القرن الخامس وتحركت في عامي 497م و501م، إلى شرق الأردن وإلى سورية، واحتلت الحيرة بعد ذلك لفترة قصيرة[1].

وقد شكلت قبيلة بكر، المقيمة في اليمامة، دعامة لكندة في وسط الجزيرة العربية، ورافقتها قبيلة تغلب في حملاتها مما استدعىٰ تغيير منطقة الإقامة نحو الشمال، ولفترة بقيت القبيلتان تحتفظان بموطىء قدم في الجزيرة العربية، ولكن عندما تفسخت دولة كندة حوالى عام 530م هاجرت تغلب بصورة كاملة نحو الشمال، ثم لحقت بها بكر. وإذا ما صرفنا النظر عن فترة حكم كندة العارضة، فقد كانت الحيرة عاصمة اللخميين، وعاصمة خصومهم الغساسنة في سورية المركزين السياسيين والثقافيين الرئيسيين لعرب الشمال، وكانت مكة مركز تجارتهم الرئيسي وعاصمتهم الدينية.

احتفظ اللخميون، والغساسنة بنفوذهم داخل الجزيرة العربية، من خلال الحروب التي قادت إحداهما إلى وادي القرى، وخيبر، ومنطقة سليم، والثانية إلى سرة نجد.

كانت حدود مصالح الطرفين تتقاطع في منطقة طي وأسد، وكانتا كلتاهما تجندان الرجال في الجزيرة العربية لمساندة حروبهما، بل وحروب أسيادهما: القيصر البيزنطي وملوك الفرس الكبار في سورية وبلاد ما بين النهرين. وكان زعماء وشعراء القبائل يزورون البلاطين. علاوة على ذلك، آمن اللخميون والغساسنة بمبدأ (فرق تسد)[2]. وقد كانت القوى العظمى التي تقف وراء هذه الدول الصغيرة تقيم علاقات مباشرة مع العرب، وبخاصة البيزنطيين، قبل الاعتراف بمملكة

(1) تابعة لجنوب الجزيرة العربية؟ في حوالى عام 516م أقام ملك جنوب الجزيرة العربية في معزل، جنوب شرق سراة نجد، التي بناها أحد أجداده قبل مائة عام انظر فيلبي G J، ص 116، 213، وما بعد.

(2) أن يكون لملك الحيرة مصلحة في التوفيق بين بكر وتغلب اللتين كانتا تسكنان على أبواب قصره ـ صلح ذو المجاز ـ فهذا أمر لسنا في صدد الحديث عنه الآن.

الغساسنة (عام 529م). ويتناقل الناس الحديث عن غزوات عديدة للملوك الكبار الأوائل في الجزيرة العربية، وبالفعل كان الساحل الشرقي على الدوام تحت الإدارة الفارسية.

وحتى قبل الحروب الكبرى (604م ـ 628م) التي أُنهكت فيها القوتان العظيمتان إحداهما الأخرى، بحيث لم تتمكنا من مواجهة جيوش المسلمين، كان ملك الفرس قد قام بعزل اللخمينيين في عام 602م.

بعد ذلك حدثت بعض الصعوبات مع البدو. فقد تمّ دحر حملة تأديبية فارسية من بعض قبائل بكر المعسكرين في منبع مياه ذي قار الصيفي لأنها لم تزود بمياه كافية حوالى عام (604م)، عقب ذلك أثبت نظام الإدارة الفارسي المباشر في مناطق الحدود نجاحه بصورة جيدة، ولم ينته إلا في ضوء الخلافات العائلية ضمن الأسرة الحاكمة التي بدأت في عام 628م.

في بداية القرن السابع كانت خارطة القبائل كما يلي:

كانت قبيلة طي تقيم في جبل شمّر التي اضطرت للوصول بعيداً نحو الشمال. الآن اقتصرت في إقامتها على المنطقة ما بين أجأ وسلمى والرمان، وعاشت نصف مستقرة، كسكان الواحات ومربي الأغنام.

وكانت منطقة وادي الرمّة تتبع قبائل غطفان، الأشجع في الغرب، و (ذبيان ـ فزارة) في المنطقة الممتدة إلى الأبانين، وعبس في القصيم، وقد ضمت هذه القبائل بعض المستقرين بين صفوفها. وفي الشرق تقع منطقة (أسد) التي شكلت ما يشبه الهلال حول منطقة طي بدءاً من شرق الأجا عبر الشافة (الكهفة) إلى سميرا. وتحاذي أسد في الجنوب ذبيان ـ فزارة وفي القصيم (عبس). وفي الرس والسرّ كانت تتجاوز وادي الرمة. وفي الشرق حتى بئر لينه، والجزء المحاذي له من الحجيرة/ الحزن. وقد شكل هذا السهل المرعى الربيعي ـ تميم، التي سنتكلم عنها فيما بعد.

وقد تم الاستيلاء على المنطقة الواقعة فيما بين شمال الحزن والسهل وحتى

الفرات، من قبيلة بكر، التي تمتد ديارها من خليج الكويت وحتى الحيرة، حيث حدود قبيلة أشقائهم تغلب.

توجد قبيلة سليم في منطقة حرّة، حيث تنتشر الصحارى ذات الصخور البركانية فيما بين الحجاز ونجد.

هذا وقد استولت قبائل بني عامر، التي تنتسب إلى عامر بن صعصعة، على المرتفعات الداخلية من حدود غطفان جنوب وادي الرمة حتى وادي الدواسر والطويق الجنوبي (وفروعهم رنية، وبيشه، والتثليث). وكانت كلاب أهم قبيلة بينهم، وكانت تنتشر فيما بين سرة نجد، حتى طريق مكة ـ حجر اليمامة، حيث يحاذون إلى الجنوب الغربي منهم في حرة النواصف أقرباء بعيدين كانوا متحدين مع بني هلال، وإذا تحدثنا عن بني كلاب كقبيلة، فإن الأمر بالنسبة لأخوتهم بنو كعب، ليس كذلك.

أهم قبيلتين من قبائل كعب هما عقيل وقشير. كانت الأولى تسكن في وادي الدواسر وروافده، أما قشير وبقية قبائل بني كعب فكانت تسكن واحات أفلاج. كان قسم من قشير يتجول حتى وعبر القسم الشرقي من طريق مكة ـ حجر. وأما واحات طويق الأوسط أي اليمامة، (وذلك من الفرع جنوباً حتى العارض)، فقد سكنت فيها قبائل بني بكر، كان أشهرها، حنيفة، الذين كانوا يصلون بشكل فردي حتى الوشم وسدير. وينتشر حولها بنو تميم، أكبر القبائل العربية، ومنطقتهم على شكل مستطيل يشكل خطا الطول 44 و49 ضلعيه الطويلين بينما ينطبق ضلعه القصير العلوي تقريباً على خط العرض 30 درجة شمالاً. أما الضلع القصير السفلي فلا ينطبق عليه التشبيه لأن بكر يدخلون هنا كالإسفين في منطقة تميم. وتنقسم تميم إلى أربعة بطون كبيرة تجاوزت إطار القبيلة وهي: "بني" سعد، "بني" عَمرو، وحنظلة مع يربوع، ويتكون الرابع من أقاربهم الرباب، وهم الضبة وبعض القبائل الصغيرة.

تنتشر سعد في شرق الطويق، بدءاً من خليج الكويت حتى وادي السهبا. أما في الشتاء، فيرتحلون، لجميع من جاء بعدهم في شرقي الجزيرة العربية، إلى

الدهناء. وتقيم حنظلة ورباب في فصل الشتاء غرب الطويق، في حين، تقضيان الربيع في الشمال: في حجيرة ـ الحزن، في الباطن وطوال مطير. ويقيم هناك في نفس الفصل عَمرو، الذين يتخذون من الطويق ملاذاً، ويقيم قسم آخر كبير من تميم في واحات الوشم وفي شرق الجزيرة. أما الواحتان الكبيرتان في هذه المنطقة، البحرين والقطيف، فلم تكن تسكنهما تميم وإنما عبد القيس وهم من أقارب بكر.

من الطبيعي أن هذه الحدود لا تعطي سوى صورة تقريبية عن الواقع لأن مجموعات كبيرة أو صغيرة تضطر في كثير من الأحيان، سواء بسبب النمو الكبير للقبيلة أو بسبب عداوات داخل قبائلهم، إلى البحث عن مآوى لدى الغرباء.

وهكذا، فإن القبائل لا تشكل وحدات سياسية، وإن جماعات المصالح والدم، تقتصر عند الأقسام الدنيا، فإذا كانت المجموعات الأكبر من القبائل قد التقت حول هدف محدد، فقد نجد عدداً من القبائل الأخرى الغريبة تشاركها ذلك التحالف. إن تحالف المجموعات الكبرى من القبائل لمدة طويلة إنما هو أمر نادر[1]، ما عدا الحلف الذي أقيم بين أسد، وطيء، وعبس، وذبيان، فقد استمر عشرات السنين.

إن شن الحروب في الفترة السابقة لظهور الإسلام، كان أكثر عنفاً وشدة منه في الفترة التالية لظهور الإسلام. فقد كان الأسر يطال النساء والرجال، ولم يكن ليطلق سراحهم إلا بعد تسديد فدية تحددها القبيلة الآسرة، وإلا يتم بيعهم كعبيد.

لم تكن توجد في ذلك الوقت في وسط الجزيرة العربية مظاهر لحياة الدولة. فقد كانت الواحات جميعها تقريباً ملكاً للقبائل المحيطة بها، الأمر الذي لم يسمح بنشوء إمارات منظمة على شكل دولة. فقط في اليمامة كان الوضع مختلفاً. وفي البحرين (هجر) حكم ولمدة طويلة، أحد فروع قبيلة كندة، ثم ما لبث أن انتقلت

---

(1) غالباً ما كانت تحصل تحالفات بين القبائل، ولم يحدث أي تغيير في هذا الوضع حتى يومنا هذا.

السيادة على الواحة إلى أيدي الحيرة. ومنذ سقوط اللخمينيين، كان المقيم الفارسي/ ممثل الحاكم الفارسي/ هو الذي يدير المنطقة (كما في الحيرة) مع أحد الرجال العرب الموثوقين واستمر بنو كندة يحكمون في كل من الجوف والشعيبة في سرة نجد حتى ظهور الإسلام.

توغلت المسيحية منذ القرن الرابع في كل مكان، إلا أنها لم تدمر الأنظمة القديمة، ولم تمس سوى بضعة أشخاص.

هذه هي الصورة، التي كان عليها الوضع العربي، وهكذا كانت الأمور، عندما ظهر للوجود، مجتمع المدينة الذي أسسه النبي محمد منذ انتصار بدر عام 624م، وذلك كسلطة جديدة في الجزيرة العربية. وكي يمحو محمد الانطباع الذي ساد بعد هزيمة جبل أحد عام 625[1]، فقد أرسل غزوة ضد بني أسد لم تحقق الكثير، وانتهت الحملة التي لم يعلن عن أسبابها ضد سليم (أو كلاب) بمأساة بئر معونة 625م، ومنذ ذلك الوقت ازدادت الحملات نحو نجد، والتي كان حصيلتها مع بعض الاستثناءات، شيء لا يذكر. أما الهدف الذي كان يتوخاه النبي فيما يبدو، وهو تعويد أبناء المدينة المهاجرين من مكة وفلاحي المدينة المنورة على أساليب الحرب البدوية، فإنه قد تحقق ـ وغالباً ما كانت الحملات تتجه ضد قبائل غطفان: الأشجع، وثعلبة ومرة وفزارة، الذين كانوا يشكلون خطراً ما، لأنهم كانوا يقيمون تحالفاً سياسياً واقتصادياً مع السكان اليهود المقيمين في واحات فدك وخيبر والمدينة. وبعد الحصار الفاشل للمدينة عام 627م، والذي شارك فيه بدو من قبائل فزارة، ومرة، والأشجع، خضع الأشجع ولكن دون أن يعتنقوا الإسلام[2]. وبعد صلح الحديبية، حيث تم اعتراف أهل مكة بمحمد كزعيم دولة مستقلة، غير النبي سياسته تجاه البدو، فلم يعد يطلب من القبائل مجرد التحالف السياسي فقط، وإنما الديني أيضاً. وفي خريف عام 629م، دخل شيخ مشهور من بني كلاب (الشاعر

(1) انظر الجزء الثاني، ص 456 وما بعد.

(2) المزينة/ الموزنه، يعتبرون من عشائر الحجاز، لأنهم مرتبطون اقتصادياً بالمدينة.

علقمة بن عُلاثة) الإسلام وكان قومه في صيف العام نفسه قد عانوا الأمرين من غزوة شنها عليهم أهل المدينة. ثم ما لبث أن التحق بعدها بنو سليم بالنبي، أولئك الذين كانوا يسيطرون على طريق مكة الشمالي الشرقي. وفي النهاية، وجد عيينة الطريق إلى المدينة، وهو أمير من أسرة شيوخ فزارة من الواضح أنه لم يكن شجاعاً كأسلافه المشهورين الذين تنسج حولهم الأساطير.

حاول النبي أوائل عام 630م، وقبل فتح مكة، إقامة علاقات سياسية مع واحدة حجر في اليمامة والتي كانت تزود المدينة ومكة بالقمح. إلا أن هوذا بن علي، الرجل القوي في وسط الجزيرة، وهو المسيحي وحليف الفرس، أجاب على هذا التحالف ببرود وثقة. تابع النبي بعد وفاة هوذا عام 630م، جهوده دون تحقيق أي نجاح، وذلك لأن الشخص الجديد الذي آلت إليه مقاليد رئاسة القبيلة، وهو مسيلمة (الكذاب) كان هو نفسه يدعي النبوة. إلا أن سياسة النبي كانت مثمرة في شرقي الجزيرة العربية. فقد فقد هناك حاكم المنطقة الفارسي ومساعده العربي. المساندة جراء الأزمات التي انتابت العرش الأمبراطوري ـ الفارسي في عام 628م، ولهذا، فقد لقيت الرسائل التي أرسلها النبي محمد إليهم وإلى قبائل عبد القيس القبول المرضي، ولم تقتصر أهمية هذا الحدث على الجانب السياسي فقط، وإنما تعدّت ذلك إلى الجانب المالي، فقد قام جابي الضرائب المسلم بإرسال (80000) درهم إلى المدينة في العام العاشر هجري/ 631م وكان ذلك أكبر مبلغ أرسل للمدينة في حياة الرسول.

أدى التحاق شرق الجزيرة بالنبي إلى خضوع قبيلة تميم أيضاً، وكذلك جميع القبائل الأخرى تقريباً في السنة التاسعة للهجرة (تبدأ في 20 نيسان 630م). بخصوص انهيار مقاومة طي (الجزء الأول ص 266).

بدأت هنا وهناك قبل وفاة النبي (8 حزيران 632م)، الردة تجاه النظام الجديد وقد كان مسيلمة لا يزال يحكم اليمامة حيث فشلت محاولة خلعه، بواسطة خصم محلي هو تمامة بن أثال. وبعد أن انتشر الخبر، بأن محمداً مريض جداً، ظهر في اليمن النبي الأسود (الكذاب)، الذي كان نصف كافر، ونصف مسيحي، وبدأ في

صفوف بني أسد، وهي قبيلة مشهورة منذ القدم بمتنبئيها، الزعيم طليحة (بن خويلد) بلعب دور النبي. ولكن بعد وفاة محمد، اندلعت المقاومة في كل الجبهات، وامتنع الناس عن دفع الضرائب وتم تهديد المناصرين، وطرد رسل الحكومة. وإذا ما كانت الاحتجاجات رغم ذلك لم تصل في أي مكان إلى درجة التمرد الجماعي ولم يحدث أي تعاون فيما بين المجموعات المرتدة المختلفة، فإن السبب في ذلك يعود إلى أن الإسلام لم يقض على الخلافات العميقة بين القبائل بل غطاها ظاهرياً فقط. وهكذا وجد مسلمو المدينة في كل مكان تقريباً، مجموعات من الناقمين، والذين تم بمساعدتهم القضاء على أهل الردة. كانت أكثر المناطق تهديداً بالخطر، هي المدينة، فقد تمكن طلحة بن خويلد من إعادة التحالف القديم بين بني أسد، وطي، وغطفان، (فزارة، وعبس). وكانت المدينة قد بقيت بدون حماية لأن الجيش الإسلامي كان قد توجه بناء على أمر النبي قبيل وفاته، إلى سورية. كان الوضع محرجاً، إلا أن الخليفة أبا بكر ظل ثابتاً، ولم تحاول القبائل البدوية انتهاز الفرصة الملائمة.

أقام الخليفة معسكراً لتجميع القوات التي عادت من حدود الشام بعد شهرين من تحركها وكان المعسكر على مبعدة يوم للشرق من المدينة. وقد قامت قبيلة فزارة بهجوم مباغت بقيادة أخ عيينة فتحاشى المسلمون في البداية الاصطدام لكنهم تمكنوا في آخر الأمر من إيقاف العدو. وبعد ذلك كلف الخليفة القائد خالد بن الوليد بقيادة الجيش الإسلامي، القائد النشيط الذي لا يرحم. كان طليحة ينتظر خالداً في بزاخه، جنوب اجا، وكان محاطاً بقبيلة طي، وترك جزءاً من قواته في الجنوب في غمر. إلا أن خالد بن الوليد التف على مواقع العدو الرئيسية، ونزل من الجنوب الشرقي باتجاه منطقة طي. وقد أُشيع في نفس الوقت، أن الخليفة يزحف بجيش آخر نحو خيبر، فما كان من طي، وبضغط من عدي بن حاتم (الطائي المشهور) إلا أن ألقت السلاح.

بعد ذلك اتجه خالد نحو البزاخة. لكن طليحة الذي لم تكن تنقصه الشجاعة بأي حال مارس دوره النبوئي حرفياً وظل جالساً في خيمته كي يتنبأ. فما كان من

عيينة إلا أن أوقف القتال غاضباً بينما ظل بنو أسد يقاتلون حتى هرب طليحة. وقد حسم انتصار الجيش الإسلامي في بزاخة، الوضعَ في شمال الجزيرة، وفشلت محاولات تجمّع العصاة في كل مكان.

تردد بنو تميم طويلاً، ومع أنه قد ظهر في صفوفهم نبي، أو بالأحرى نبية، هي سجاح، فإن هذه النبية لم تتمكن من تجاوز التناقضات بين بطون تميم، ولا من جعلهم يتعاونون مع خصومهم القدماء، بكر اليمامة، بقيادة مسيلمة. وبعد البزاخة غيرت تميم موقفها رأساً، إلا أن الشاعر مالك بن نويرة كان ضحية تردده.

وبقي مسيلمة وحيداً. لم يكن مسيلمة متردداً كالمرتدين الآخرين بل كان مستعداً للموت من أجل عقيدته، وكان أتباعه المحاربون من فلاحي اليمامة، يختلفون عن البدو المراوغين. قاد خالد بن الوليد جيشه من القصيم على مشارف الطويق، ثم انعطف إلى الشمال الشرقي، حتى يتمكن من الوصول إلى وادي حنيفة/ العارض، عبر ممر الحسية/ ممر أحيسا. وهناك فاجأ مجموعة معادية ثم اندفع في الوادي نحو الأسفل، في حين أرسل دورية عبر الجبال إلى قرية بني سدوس وملهم في عقرباء أي جبيل الحالية التقى بمسيلمة الذي كان مستعداً لقتاله. وبعد مجزرة مخيفة، تمكن المسلمون من إحراز النصر، وكانت الخسائر جد فادحة، إلى درجة أن خالد عقد إثر المعركة اتفاقاً ترك بموجبه لأتباع مسيلمة الجزء الأكبر من أملاكهم. ولم يشمل ذلك الاتفاق مناطق الوشم سدير العائدة لحنيفة فقد آلت ملكيتها لبني تميم، الذين هم بحاجة إلى الأرض، وتم ذلك في نهاية السنة الثانية عشرة (التي تبدأ في 8/ 3/ 633م) أو بعد بضعة أشهر.

عاد خالد إلى المدينة، لكنه أرسل جزءاً من قواته إلى منطقة شرق الجزيرة، لمساندة القوات الإسلامية المدافعة في "جواثة" شمال حجر، وبعد وصول التعزيزات الجديدة، انتقل المسلمون للهجوم، واستولوا على قلعة المدينة، ولم ينته الوجود الفارسي في زارا الواقعة في منطقة الواحات في القطيف ـ الشط ـ إلا في بداية حكم الخليفة عمر بن الخطاب، في العام 634م.

أدت حروب الفتح التي تلت حروب الردة مباشرة، إلى خلو الجزيرة من الشباب، الذين شاركوا في الجيوش، وتوجهوا إلى ساحات القتال، وما لبثت أن لحقت بهم عائلاتهم إلى الأمصار الجديدة.

وبدأت كذلك، وإبان حملات الفتح، عمليات استصلاح الأرض وزراعتها على نطاق واسع، تماماً كما في الحجاز، وبدأ الاستيطان في سرة نجد، وقد حدد الخليفة عمر (634 ـ 644م) منطقة لرعي الجمال، جمال الضرائب وكذلك الجمال التابعة للجيش، المسماة حمىٰ الضرية[1]. ثم توسعت عدة مرات، فيما بعد، كان آخرها، في العشرينيات من القرن الثامن الميلادي، وبالرغم من أنه، في ذلك الوقت لم تكن لأغراض حكومية مركزية، بل لأغراض محلية، بل وللخدمة الخاصة لبعض الزعامات الكبيرة في المدينة. بدأ الخليفة عثمان بن عفان، خليفة عمر (644 ـ 656م)، خارج الحمىٰ، بإقامة الينابيع والقنوات، وقد قلده بعض أقاربه من الأمويين، الذين انتقلت ممتلكاتهم بعد القضاء على الخلافة الأموية، إلى العباسيين.

كانت معظم المرافق موجودة في الحمىٰ نفسها، وبالدرجة الأولى في منطقة قمة الشُعبا المزدوجة، والغنية بالأمطار، وكذلك في قرية الضرية. إلا أن العمل الأكثر أهمية كان تكثيف العمل الزراعي في مناطق الواحات القديمة. وكان معاوية ابن أبي سفيان، الخليفة الأموي الأول (660 ـ 680م) يملك مزرعة في القرية الحالية اليمامة في الخرج، ويعمل فيها 4000 عبد. وكانت اليمامة والبحرين المصدر الرئيس لتزويد مكة والمدينة بالحبوب في تلك الأيام، وكان نظام الري، يعتمد في ذلك الوقت، أيضاً، على نظام الأقنية الفارسية (تمديدات تحت الأرض)، وحافظت على حالها حتى اليوم في كل من الخرج والأفلاج وغيرهما.

في هذا السياق تم التفكير بطرق الحج المؤدية من المدينتين العسكريتين الجديدتين الكوفة والبصرة إلى مكة والمدينة، لأن محطات هذه الطرق أصبح بعضها

---

(1) حمى، تعني منطقة رعي خاصة لأفراد أو جماعات، ويمنع الرعي العام فيها.

مركزاً لمستوطنات بشرية[1]. نذكر من هذه المستوطنات النباج/ النبقية الواقعة عند نقطة خروج الطريق القادمة من البصرة من الرمال ودخولها في القصيم والتي أسسها القرشي عبد الله بن عامر بن قريز عامل البصرة فيما بين (651 ـ 657، 662 ـ 665م).

كما يعود إليه الفضل في تطوير القريتين، والواقع على بعد 3,5 كم عن نبع الماء والمدينة الحالية العنيزة. ولم يكتمل إنشاء المحطات في القسم الشمالي من طريق الحج انطلاقاً من الكوفة، إلا في العهد العباسي، وأصبح ذلك الطريق يحمل اسم درب السيدة زبيدة، نسبة إلى اسم زوجة الخليفة هارون الرشيد، التي قامت بالتبرع لأكثر من بناء على الطريق.

من بين الحركات الدينية السياسية التي نشأت في ذلك العصر كان الخوارج المتزمتون الوحيدين الذين ثبتوا أقدامهم لفترة قصيرة في شبه الجزيرة العربية. فقد انضم إلى خوارج البصرة بقيادة بكر اليمامة (64هـ/ 683م ـ 684م) كثير من الأنصار. وعندما تولى قيادتهم نجدة (من قبيلة حنيفة) قاموا بحملات واسعة واحتلوا البحرين واليمن وحضرموت والطائف. إلا أن الخلافات الداخلية أثرت في تلك المسيرة وشلت نشاطات الحركة وفي عام 691م ـ 692م (72هـ) قتل نجدة الذي كان متفوقاً على رفاقه الضيقي الأفق. وفي السنة التالية أبيد أتباعه في قلعة حجر.

مع انتقال الخلافة من الأمويين، إلى العباسيين، وبالتالي حاضنة الخلافة من دمشق إلى بغداد (750م) اكتسبت طريق الحج الكوفية الأهمية التي كانت قبل ذلك لطريق الحج السورية. ورفعت إلى مرتبة ناحية إدارية مستقلة (ناحية طريق مكة) وكانت غالباً تضم إلى ولايات أخرى، إلى ولاية المدينة على سبيل المثال.

ظهرت في ذلك الوقت، فيما بين القبائل، وبخاصة في الشرق، الحركة التي أدت خلال المائة سنة التالية إلى تغير كامل في الحدود. وقد بدأت هذه الحركة في خط الفرات، حيث تم اختفاء قبائل بكر فيما عدا شيبان، وتم احتواؤها في كل من

---

(1) ذكرت في هذا الكتاب أسماء الأماكن والقبائل القديمة قبل خط الفاصل.

الكوفة والبصر وغيرهما من البلدان التي تم فتحها مجدداً، وكذلك كان الحال مع تميم في المناطق الخلفية. وجاء إلى المناطق المتروكة بنو أسد الذين تحولوا إلى الكوفة في القرن التاسع، وتبعتهم قبيلة طيء. وفي الجنوب هجر بنو تميم الرحّل (حنظلة، وضبة/ رباب، وعمرو) مقرهم الشتوي على هذا الجانب من الطويق واستقروا بصورة دائمة في مقراتهم الصيفية الممتدة من الحزن حتى الصمان. وإلى السهول الخالية نتيجة ذلك زحفت من الجنوب قشير ومن الغرب نمير، قبيلة عامر ابن صعصعة، والتي كانت تعيش في المنطقة الضيقة على الضفة اليمنى لوادي الرشا/ التسرير. ثم ما لبث أن انتشر بعد ذلك، بنو نمير، حيث امتدت مناطقهم فيما بين السر واوضاخ في الشمال، إلى طريق الحج حجر ـ الرياض ـ مكة في الجنوب. وكانت الحركة في الغرب أقل، فقد بدأت بغطفان الذين أخذوا بالانتشار التدريجي باتجاه البلقاء وحوران. وما يلاحظ في هذه التحركات، أن الخسائر التي تعرضت لها تلك القبائل أثناء وبعد حروب الفتح، ونتيجة الهجرات، قد تم تعويضها، وأصبحت، هذه الحقيقة كاملة الوضوح خلال ثورات البدو، التي اندلعت في كل مكان قبل وقت قصير من منتصف القرن التاسع وقد بدأت في العام 230هـ/ 845م في غرب الجزيرة على يد قبائل سليم، وتم القضاء على حملة صغيرة أرسلها الخليفة الواثق إلى المدينة من قبل البدو الذين اضطروا إلى القتال. أسندت مهمة القضاء على المتمردين للقائد بُغا الكبير، وتم الانتصار في السوارقية، حاضنة قبيلة سليم، وخضوع القبيلة بكاملها. حظي بُغا بتكريم بني هلال، خلال رحلته إلى الحج في (ذات العرق)، وبعد عودته إلى المدينة، تحول ضد غطفان في الغرب (الأشجع، مرة، ثعلبة وفزارة) الذين فروا نحو الشمال. وأنهى حملاته سنة (856م) بحملة باتجاه حمىٰ الضرية ضد بني كلاب الذين أعلنوا خضوعهم. لكن المهمة الأصعب كانت ما زالت في انتظاره. كان بنو نمير، كما هي طبيعة البدو، يضايقون المستوطنين، ومعظمهم من تميم، في الوشم والواحات الأخرى. وما كانت الحكومة لتحرك ساكناً لو لم يتمكن مالك الأراضي المعروف والشاعر المشهور (عمارة بن عقيل من الأثيثية) خلال رحلة إلى العراق من إيجاد أذن صاغية لدى الخليفة فكلف الخليفة، بُغا، الذي كان لا يزال يقيم في المدينة بتأديب

القبيلة. فزحف بُغا مباشرة نحو الشرق، وأقام معسكره في مرآه جنوب الوشم، بعد مهاجمته لجماعة من نمير في الطريق. وفي نهاية أيلول 846م، اتجه نحو الغرب، هذا في حين فشلت حملة جانبية إلى الجنوب لأن البدو فروا من طريقها وتحاشوا الاصطدام. وفي شباط 847م، بعد أن أعدوا مواقعهم للقتال، في السر، دخلوا المعركة وحققوا انتصاراً باهراً، أوقعوا بالقائد بُغا وقواته هزيمة كبيرة، فقد فيها حوالى ثلث قواته ومؤنه. لكن البدو المنتصرين ارتكبوا خطأً قاتلاً، فبدلاً من استغلال الهزيمة، ومطاردة فلول المنهزمين، انصرفوا لجمع الغنائم، الأمر الذي أتاح الفرصة لبُغا، فقام بإعادة تجميع لفلول قواته ووجه إلى العدو ضربة ساحقة. ولم تشف نمير من هول تلك الضربة واحتلت مناطق إقامتهم من كلاب، وفي الجنوب من قبل عقيل.

في بادىء الأمر بقيت منطقة اليمامة[1] وشرق الجزيرة هادئة. وكانت قد نشأت بموافقة الحكومة، في القرن التاسع، إمارة في الواحة في شرق الجزيرة. وقد حكم في القطيف وما حولها، أربعة زعماء، بالرغم من أن تلك الواحات، كانت تشكل حتى أواخر العصور الوسطى، منطقة واحدة مترابطة.

وكان الوضع في البحرين مماثلاً، فقد انقسمت إلى إمارات هجر، وجُواثا، والأحساء، وكان الحكام يعودون بأروماتهم للقبائل القديمة في البلاد وهي عبد القيس وسعد ـ تميم (في الأحساء)، والأزد القادمون من عُمان (60هـ/ 680م) (زارا قرب القطيف). وكان أشهرهم ابن مسمار في القطيف، والعريان في جُواثا.

انقطع الهدوء في العام 863م، بواسطة رجل علوي أو علوي مزيف، فقد جرب حظه أولاً في هجر، محاولاً استغلال الخلاف المستشري فيما بين الحزبين اللذين ينقسم إليهما السكان في المنطقة. وبعد ذلك أقام صلات مع سعد في الأحساء، ثم ما لبث أن ذهب إلى السهل، حيث تمكن من تجنيد جيش كبير من بني تميم ونمير وكلاب. وتمكن العريان وبمساعدة الأمراء الباقين من عبد القيس من

(1) في نهاية العقد السادس أسس محمد بن يوسف الأوخيضر إمارة في الخضرمة/ اليمامة.

طرد المتمردين وكانت هذه بمثابة التمهيد للثورة القرمطية، التي تعتبر أكبر الثورات التي عصفت بالعالم الإسلامي.

كان القرامطة، أو بالتحديد الإسماعيليين[1]، إحدى الجماعات التي نبعت من الشيعة، وقد شاركوهم في الاعتقاد بأن أحد أولاد علي سيقيم دولة المهدي (القائم) واعتقدوا إما بعودة محمد بن إسماعيل المختفي أو انتظار المهدي من بين أبنائه[2]. لكنهم كانوا يختلفون عن الشيعة، أولاً، في الأُسلوب السياسي: لم يكن الإسماعيليون مندفعين أو متسرعين مثل الفرق الباطنية الأخرى. كانوا يعرفون كيف ينتظرون. ومن الاتجاهين المذكورين آنفاً، كان الثاني (أي الإسماعيلي) لا يعلن اسم الإمام. ويعود السبب في ذلك إما لإخفاء نقاط الضعف التي قد توجد لدى خلفاء محمد بن إسماعيل أو لمنع الانشقاق فيما بينهم، أو ربما أيضاً لعدم استفزاز أتباع الاتجاه الآخر. رغم ذلك لم يحققوا وحدة كاملة. فالاتجاه الأول الذي كان ممثلاً بصورة رئيسية في العراق وشرقي الجزيرة العربية لم يخضع لهم إلا لفترة مؤقتة.

يوضح هذا الوضع، بالإضافة إلى طموح الزعماء، ضعف التعاون بين الجماعات القرمطية المختلفة في العراق وسورية وبلاد ما بين النهرين وشرق الجزيرة، في الثورات التي مهدت لظهور المهدي عبيد الله (297هـ/ 909م في مراكش) الذي قاد الاتجاه الثاني إلى النصر، وتأسيس الحكم الفاطمي. حدثت اضطرابات في الكوفة (284هـ/ 897م) كانت بمثابة إعلان عن الثورة. لكن الثورة الفعلية اندلعت في شرقي الجزيرة العربية (286هـ/ 899م) وبعد ذلك انتقلت

(1) الاسم مشتق من إسماعيل وهو زعيم الطائفة الإسماعيلية. وهو من نسل الإمام علي من الظهر الخامس. ويعتقد الإسماعيليون بأن ابنه محمد بن إسماعيل هو الإمام السابع، بعكس الشيعة (الإمامية). كما أن هناك اختلافاً في نسب وأهمية القرامطة، ولكننا سنعتمد على المؤرخين العرب الذين يقولون بأنهم في سورية والعراق والجزيرة العربية، بينما الحقيقة هي أنهم في العراق وشرق الجزيرة العربية.

(2) انظر النوبختي، فرق الشيعة، ص 61.

الشرارة إلى العراق. وفي عام 901م اندلعت في البادية السورية. ولكن بينما أخمدت هذه الحركات خلال فترة قصيرة فإن النيران في شرقي الجزيرة العربية لم تخمد إلا بعد مائتي عام وقد كان مؤسس الحركة في شرقي الجزيرة العربية رجل فارسي جنابة على الخليج، هو أبو سعيد الحسن بن بهرام، الذي بدأ نشاطه في القطيف متنكراً في زي جابي ضرائب، إلا أنه تمكن من التغلغل في صفوف العديد من العائلات، التي أصبح بعض أفرادها أعضاء في مجلس الدولة، إلا أنه اضطر لمغادرة المدينة بعد نزاع مع الشيخ ابن مسمار. فذهب إلى البادية، وأقام في صفوف بني كلاب، الذين كانوا قد أعلنوا تأييدهم لأحد دعاة القرامطة. حدثت نزاعات فيما بين الداعيين، وقيض لأبي سعيد تحقيق النصر، وأسر غريمه وقتله. وبذلك، شكل بنو كلاب، منذ ذلك الوقت النواة الرئيسة للدعوة القرمطية بين البدو، وبرز أحد أبناء القبيلة، كقائد للجيش، بينما تولى اثنان آخران في المجلس، حقيبتي وزارتي الحرب والخارجية. بعد كلاب جاءت قبيلة عقيل كانت قد تمكنت في هذه الأثناء من توسيع منطقتها عبر القطيف إلى شرقي الجزيرة العربية. ولكن بينما دخلت كلاب في الجيش، حافظت عقيل على بداوتها. وبعد ذلك هاجرت القبيلة بالكامل إلى شرق الجزيرة، حيث توفر لها المكان الكافي أما بدو المنطقة القدماء، عبد القيس وسعد (تميم)، فقد كانوا قد استقروا منذ زمن طويل.

بدأ، أبو سعيد، بعد أن تمكن من الإطاحة بسلفه، حملاته ضد واحات المنطقة، فسقطت القطيف أولاً، واشتعلت زارا، ثم تبع ذلك باقي الأماكن باستثناء هجر (286هـ/ 899م). تداعت تلك الأنباء لحاضرة الخلافة، وتحسباً من هذه الأخبار، أرسل الخليفة المعتضد، جيشاً قوامه ألفا رجل بقيادة قائد عسكري قدير، إلى منطقة شرق الجزيرة، وقد تم تدعيمه في البصرة من قبل المهاجرين المتطوعين، وثلاثمائة بدوي من ضبة. تصدى أبو سعيد لقوات الخليفة، على مسافة يومين أمام القطيف وقضى عليها، ولم ينج سوى بضع مئات من قوات الخليفة. فأرسلت لهم مساعدة من البصرة، إلا أن القافلة تعرضت لغارة بني أسد،

وقتل معظم اللاجئين. وبذلك، وبعد احتلال هجر أصبح شرق الجزيرة بكامله بيد القرامطة.

اقتصرت السيطرة المباشرة للقرامطة على تلك المنطقة، التي ينبغي أن نضيف إليها أيضاً جزيرة أوال(البحرين اليوم)، وبعض واحات نجد.

لم تكن حملات أبو سعيد المقبلة باتجاه عُمان، وكذلك خلفائه من بعده ترمي إلى السيطرة على الأرض، وإنما كان الهدف منها ابتزاز الأموال وجمع الضرائب ومما يعبر عن سلوك أبي سعيد أبلغ التعبير أنه دمر واحة يبرين المزدهرة تدميراً بالغاً لم تستعد بعده عافيتها حتى اليوم. وكانت الغاية من عمله هذا، الحيلولة دون إمكانية استخدامها، أو الاستفادة منها قبل الخصوم. ووصل أبو سعيد في نجد، إلى الأفلاج، ثم ترك السلطة للأخيضر في اليمامة، الذين انضموا إلى القرامطة.

اغتيل أبو سعيد عام (301هـ/ 919م)، فخلفه ابنه أبو طاهر سليمان، الذي تولى بعد تسع سنوات قيادة الجيش بنفسه، واتبع من حيث المبدأ نفس السياسة السابقة لوالده، لكنه كان يريد ضرب الدولة العباسية في الصميم في قلب بغداد. أثارت العمليات التي قام بها القرامطة، والتي كان منها الاستيلاء على البصرة عام (311هـ/ 923م)، والهجوم على قافلة الحج العائدة من الأراضي المقدسة[1]، والذي أسفر عنه مقتل الآلاف وأسر الآلاف، ثم الاستيلاء على الكوفة في عام 925م، أثارت استياء بالغاً رافقته حالة من الشلل العام. وكانت أكبر عملية له الحملة التي امتدت خلال المدة الواقعة ما بين (315 ـ 317هـ/ 927 ـ 929م)، وتمكن

---

(1) حدث أول هجوم على قوافل الحج القادمة من الكوفة بداية عام 285هـ/ 898م في منطقة تدعى اجفور وكان من قبل قبيلة طي. وعندما حاول الطائيون في العام التالي إيقاف القافلة القادمة من مكة أمام المدينة انتصرت عليهم الحامية المرافقة للقافلة. وفي بداية عام 294 هـ/ 906م قام زكرويه قائد القرامطة في بلاد الرافدين بمهاجمة ثلاث قوافل حج (القافلة الفارسية والقافلتين الحكوميتين) قرب واكصة والعقبة وفي الرمال وأبادها عن بكرة أبيها. وكرر أبو طاهر نفسه عملية عام 923/ 934م بأن استولى على قافلتين بنصب كمين لهما.

خلالها من القضاء على جيش كبير قرب الكوفة، ووصل إلى منطقة تبعد عن بغداد عدة كيلومترات فقط، ثم قام بالزحف باتجاه الفرات، وأرسل بعض الطلائع إلى رأس العين، ونصيبين، ثم إلى أسفل جبال آسيا الصغرى.

طوّر أبو طاهر فناً قتالياً جديداً. فقد كان يقسم جيشه إلى مجموعات صغيرة قدر الإمكان ـ 1000 ـ 2000 رجل معتمداً على المشاة أكثر من اعتماده على الخيالة ـ الأمر الذي حقق له التفوق على عدوه، الذي كان يمتاز بالتفوق العددي، إلا أنه كان أقل قدرة على الحركة. ومع أنه كان يأخذ معه، أثناء الغزوات الكبيرة كميات كبيرة من المعدات والمؤن لكنه لم يكن يتوان عن القيام بحرقها عندما يتطلب الوضع العسكري ذلك. ولم يكن يردع قواته عن القيام بعمليات القتال أو النهب، مما جعلهم يتبعونه حتى في أصعب الأوقات كما حدث أمام بغداد وعند الانسحاب من مكة. توفي أبو طاهر عام (332هـ/ 943 ـ 994م)، عن سبعة وثلاثين عاماً، كان متعصباً بصورة خالصة، وتسيطر عليه أحلامه، لدرجة أنه بقي لمدة شهرين أمام نصاب فارسي ادعىٰ أنه المهدي، وأطاع تعليماته الجنونية، لأنه اكتشف أن المهدي الفاطمي لم يجلب معه الحياة الأبدية وإنما أقام امبراطورية دنيوية فحسب.

مع أبي طاهر انتهت المرحلة الحماسية للقرامطة وبدأت دولتهم تنمو ضمن دول الشرق الأدنى، أما واقعهم العسكري، فقد بقي محافظاً على مستواه القديم، وشكلت غزواتهم نحو سورية وفلسطين إنجازاً مدهشاً، وذلك خلال المدة الواقعة فيما بين (353 ـ 357هـ/ 964 ـ 968م)، والتي دعموا بها ومن خلالها زحف الفاطميين نحو مصر، وقد تحقق ذلك بمشاركة طي وبدو آخرين.

بعد سقوط القاهرة في يوليو/ تموز 969م حصل شقاق فيما بين القرامطة والفاطميين وقد أثاره، الخلاف بين أبناء أبو سعيد، المستند إلى الشكوك الدينية القديمة ضد الخلفاء الفاطميين. وعلى الفور أشهر القرامطة، الذين كانوا لا يزالون في سورية، السلاح ضد حلفاء الأمس. وتبع ذلك حملتان جديدتان كبيرتان ضد مصر، ففي نهاية 971م، وصل الحسن، حفيد أبو سعيد، إلى أبواب القاهرة،

وتقدم عام 974م كثيراً في أعماق مصر، حتى أرغم على العودة من حيث أتى، وذلك بعد أن غدرت به قبيلة طي. واستمرت الحرب حتى (368هـ/ 978 ـ 979م)، وبعد الانتصار، اشترى الخليفة الفاطمي العزيز، السلام، مقابل دفعة نقدية سنوية. وأنهت الحملة على العراق في العام (375هـ/ 985م) المرحلة الثانية من دولة القرامطة. ودام حكمهم في الأحساء، منذ أن احتل أبو سعيد عاصمة الواحة وشرق الجزيرة، وفي القطيف، وفي جزيرة البحرين حوالى مائة سنة أخرى.

لقد أراد القرامطة إقامة دولة الله على الأرض بواسطة السيف. وعندما ضاقت بهم السبل العسكرية جنحوا إلى تحقيقها بالوسائل السلمية. وقد قدم رجل فارسي زار الأحساء في العام (443هـ/ 1051م)، صورة جذابة عن جزيرة السلام هذه: لا يوجد ضرائب، المحتاجون والحرفيون المهاجرون يحصلون على قروض بدون فوائد، والقمح يطحن مجاناً، وبيوت الفقراء المتداعية يعاد بناؤها بالأموال العامة كانت تكاليف هذه الخدمات العامة المجانية تغطى من ممتلكات الطبقة الحاكمة التي يعمل فيها العبيد.

ظلت الجوامع خالية، إلا أنه لم يجبر أحد، على اعتناق فكر القرامطة. فالحلم بعودة المهدي ونشر السلام والرخاء على الأرض لم يكن قد تبخر بعد إذ كان يقف أمام ضريح أبي سعيد ليلاً ونهاراً حصان مسروج دائماً لكي يمتطيه، عندما يظهر ثانية، وذلك لينشر السلام «العدل» في العالم.

ألحقت سياسة القرامطة وحروبهم، أضراراً لا توصف بالزراعة في مناطق واسعة من أرض الجزيرة، وتهدمت محطات طرق الحج، ومعها المستوطنات السكنية التي نشأت حولها. وبذلك اختفت الواحات المزدهرة إلى الأبد[1].

وهكذا، عادت الجزيرة إلى البداوة، وأخذت القبائل تتقاضى رسوم الحج "الخفارة" التي اعترفت بها حكومة بغداد في العام (327هـ/ 938 ـ 939م)،

(1) ترك سكان قرّان (قرب ملهم) أراضيهم عام 310/ 923 بسبب الضرائب المقيتة التي كان يفرضها عليهم بني الأخيضر واستقروا في البصرة. وكانت ربضة، التي كانت في عداء مع واحة ضرية، قد تركها سكانها أيضاً بعد أن طلب أهالي ضرية مساعدة القرامطة عام 319 هـ.

للقرامطة، لقاء السماح للقوافل بالمرور، وكانت أول القبائل طيء (أنظر الجزء الأول ص498). ولم يمض وقت طويل، إلا وشعر القرامطة بسلطة البدو في عقر دارهم. ففي عام 378هـ/ 988 ـ 989م ثار شيخ المنتفق، أحد فروع عقيل، ضدهم وكبدهم خسائر فادحة.

أدت غزوات القرامطة، إلى دخول جديد للقبائل إلى البلدان الشمالية الحضارية. فقد نزح فرعان من بني عقيل، هما خفاجة، والمنتفق، إلى العراق، في القرنين العاشر والحادي عشر، وبقي فرع واحد هو فرع بني عامر في شرق الجزيرة. أما طي فقد انقسمت في نهاية القرن العاشر إلى قسمين. أحد القسمين، ربيعة، وصل سورية بسبب انضمامه للقرامطة، وظل هناك. وكان الثاني، الغازية، يتنقلون في شمال الجبل، من شرق الأردن والجوف إلى طريق الحج الكوفي، بينما كان بنو لام يتنقلون جنوب الجبل، فيما بين المدينة وطريق حج البصرة.

في عام (469هـ/ 1076 ـ 1077م)، تمكن عبد الله بن علي، زعيم آل إبراهيم، وهم عائلة مرموقة من العيون قرب الأحساء من الإطاحة بحكم القرامطة وذلك بعد حرب طويلة استمرت سبع سنوات. وتم حسم الأمر على يد جيش سلطان السلاجقة (ملكشاه)، بالرغم من أن القلعة لم تسقط، إلا بعد انسحاب القوات الغريبة. وعرف عبد الله كيف يسيطر على الحامية الصغيرة المتبقية، وذلك بأن أعدم قائدها. إلا أن هذه العملية جرّت عليه حملة تأديبية، فقد حاصره السلاجقة لمدة عام كامل في القلعة، إلا أنهم اضطروا للانسحاب، بسبب الطقس الرطب والحار، وصعوبات الإمداد.

كان قسم من الأعيان قد ساعد العدو أثناء الحصار. لذلك سحب عبد الله من هؤلاء الأراضي التي سبق أن خصصها لهم، بعد سقوط القرامطة. كان للاستياء الناجم عن ذلك عواقب وخيمة في وقت لاحق. وبعد الاستيلاء على القطيف وجزيرة أوال (البحرين)، اللتين كانتا قد تخلصتا قبل ذلك من حكم القرامطة، أصبح عبد الله بن علي الحاكم الوحيد في منطقة شرق الجزيرة. وقد بقيت البلاد

أثناء حكم خليفته الأول، موحدة، ثم ما لبث أن انقسمت إلى القطيف ـ البحرين والأحساء. ووحد محمد، أحد أحفاد عبد الله بن علي، الدولة مرة أخرى، لوقت قصير، وكان على صلة وثيقة بالخليفة الناصر (1180هـ ـ 1225م)، الذي نظف بناء على طلبه، الطريق الصحراوي الواقع فيما بين خط الفرات حتى عُمان، بل تقدم حتى قبيلة العدوان شرق الطائف(أنظر الجزء الثاني ص561). إلا أن سلطة العائلة، سرعان ما انهارت، بعد وفاة محمد في العام (602هـ/ 1205 ـ 1206م)، وذلك جراء نشوب القتال فيما بين الأخوة، سواء في الأحساء، حيث وصل أولاد عم محمد للقيادة من جديد، أو في القطيف التي بقيت في يد أحفاده. وكان بني عامر هم الذين حفروا لها قبرها. فقد طالبوا بحصة من إنتاج الأحساء المخصص لهم من قبل القرامطة، مقابل حمايتهم لتلك الواحة، إلا أن العيونيين (أي آل إبراهيم)، رفضوا تلبية ذلك الطلب، عندئذ، قاموا بتهديد العاصمة بين الحين والآخر، وساهموا أيضاً في جميع الثورات ضد الأسرة الحاكمة وفي الصراعات الدائرة داخلها. وأخيراً اضطرت الأسرة إلى تلبية طلبهم. وبما أن المخازن كانت خالية فقد أعطوهم بدلاً من الحبوب مساحات من الأراضي بحيث أصبح الجزء الأكبر من الأراضي في كل من الأحساء والقطيف في أيدي البدو.

ساعدت السيطرة الاقتصادية، في فرض السيادة السياسية. ففي عام (633هـ/ 1235م)، سيطر السلفوريون من فارس على جزيرة البحرين، بينما ظلت مناطق اليابسة خاضعة لبني عامر، الذين انحدرت منهم عائلة الجبور الحاكمة، والتي كانت في أوج قوتها عندما وصلت القوات البرتغالية إلى الخليج العربي، عام 1507م. وكانت عُمان، وبلاد البخور ظفار، تدفع الضرائب للجبور الذين امتد نفوذهم حتى أعماق الجزيرة العربية. ولكن أميرهم مقرن قتل عام 1521م في معركة مع البرتغاليين في البحرين التي تم احتلالها فيما بعد من قبل الغرباء. استمر الجبور في الحكم في الأحساء، حتى سقوطها بيد العثمانيين سنة 1591م، الذي تمكنوا من احتلال البحرين والقطيف سنة 1550م بشكل عابر. إلا أن اسمهم استمر مع الجبور، أحد بطون قبيلة بني خالد، الذين حلوا في الأحساء في القرن الثامن عشر بدلاً من الباشا العثماني.

إضافة إلى سادة الأحساء كانت هناك منذ القرن الحادي عشر الميلادي قوتان لهما نفوذ سياسي كبير في شمال الجزيرة هما إمارة المدينة، وإمارة مكة، ومنذ سنة 1482م، لم يبق سوى الثانية فقط.

لا تتوفر سوى معلومات قليلة عن الأوضاع في المناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية: ما نعرفه هو أن واحات الوشم اجتازت الهجمات القرمطية بسلام، وفي السدير، الواقعة في أقصى الجزء الشمالي من الطويق، والتي كانت قبل ذلك قليلة السكان، نشأت في القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر عدة مراكز سكنية جديدة، من بينها مجمعة، العاصمة اللاحقة للمنطقة، 820هـ/ 1417م.

حصلت في نهاية العصور الوسطى، العديد من التغيرات الهامة في المناطق البدوية، فقد تقدم بنو لام من الحجاز إلى شرق الأردن، وفي الوقت نفسه تحرك / الغازية/ نحو الشمال الشرقي إلى الفرات (الفلوجة، كربلاء، السماوة). وبذلك حدث نوع من الفراغ في المنطقة حول الأجا والسلمى، الأمر الذي أتاح الإمكانية لانتشار فرع آخر من طي هو شمّر. وفي بداية القرن الرابع عشر ظهرت قبيلة جديدة في الحرّة قرب سويرقية هي المطير.

كان أمراء مكة (الأشراف الكبار) ومنذ العصر الجديد، وربما منذ زمن أقدم من ذلك، يعتبرون المنطقة الواقعة غرب نجد، بما في ذلك حمى الضرية (سرة نجد)، مناطق نفوذ لهم. وقد حاول الأشراف، ولأكثر من مرة، بسط منطقة نفوذهم، عبر العديد من الحملات لتصل إلى العارض والوشم. وفي عام (1032هـ/ 1623م)، ظهر الشريف محسن بن حسين في شرق الجزيرة، حيث التقى هناك، بالأمير العثماني إبراهيم باشا.

على أساس هذه الخطوة، أقنع الباب العالي بإعطائه ولاية الأحساء. لكن هذا الحق ظل حبراً على ورق. وقد قام باشاوات الأحساء وخلفاؤهم، أمراء بني خالد أيضاً، بعدة حملات نحو الداخل. وكان الأخيرون يطالبون بنجد من الرمان في الشمال إلى شعيرا ووادي حنيفة. ولكي يحافظوا على نفوذهم في العارض كانوا

يدفعون في النصف الأول للقرن الثامن عشر أتاوات لأمراء العيينة.

إضافة إلى ما ذكرنا أصبحت الظروف في الداخل أكثر وضوحاً: ففي منتصف القرن السادس عشر هاجر بنو لام إلى العراق، لكنهم تركوا في الشرق الشمالي مجمعاً كبيراً من بني قومهم هم الفضول. وفي نفس الوقت بدأت عنزة بالانتشار فيما بين وادي الرمة والقصيم (أنظر الجزء الأول ص128)، ورحلت معهم إلى الشرق قبيلة صغيرة كانت تسكن في شمال الحجاز، هي قبيلة ضفير، التي ما لبثت أن تطورت إلى مجمع كبير نتيجة انضمام عدد كبير من العناصر الغريبة إليها. وكانت في النصف الأول من القرن الثامن عشر تتنقل في كامل الطويق الشمالي. كما أن المطير بدأوا في الوقت نفسه بالتحرك من الحرّة نحو الداخل. وظلوا فترة من الزمن يرحلون إلى الجنوب الشرقي، وفي وقت لاحق نحو الشمال الشرقي إلى أسفل جبل شمّر.

وبين حرة كشب والطائف ظهرت عام 1500م قبيلة العتيبة التي ظلت في بادىء الأمر في الحجاز. ومن الجنوب، من عسير والتثليث، رحلت قحطان نحو الشمال إلى طريق الحج مكة ـ الرياض. وإلى الشرق من قحطان تحرك في نفس الاتجاه بنو هاجر المنحدرون منهم. وقبلهم كانت القبيلة التي أعطت وادي الدواسر اسمه قد رحلت من الجوف (أنظر ج1 ص120)، وعندما وصل الدواسر في القرن السادس عشر إلى الوادي كان الطويق الجنوبي مسكوناً بصورة رئيسية من العنزة الذين كانت منطقتهم قبل العهد القرمطي تقتصر على واحات فرع. وبعد وقت قصير أصبح الوادي الشحيح بالمياه والأمطار ضيقاً لا يكفي الدواسر. ولذلك بدأ جزء منهم بالتحول إلى بدو رحل وجزء آخر بالاستيطان في الطويق الجنوبي. وأسست مجموعات صغيرة منهم وقامت مجموعات صغيرة منهم بإنشاء مستوطنات في شرق الجزيرة، وبشكل خاص في شط العرب. وهاجر العتوب (بني عتبة)، فرع من الجميلة (عنزة)، من الهدار في الطويق إلى الشمال حيث استقروا في الميناء، الذي أطلق عليه فيما بعد اسم الكويت حوالى (سنة 1715م)، وأصبحوا تجاراً وبحارة، بعد أن كانوا مزارعين. وهاجرت بحراً إحدى عائلاتهم والمعروفة باسم آل خليفة

إلى الزبارة على الساحل الغربي لشبه جزيرة قطر، وفي (سنة 1783م)، تمكنوا من احتلال البحرين، والتي كانت تخضع في حينه لشيخ بوشهر الفارسي، واستمرت تحكمها حتى اليوم، ومنذ سنة 1840م دخلت تحت الحماية البريطانية[1]، وبقي في الكويت فقط آل الصباح، حكام الإمارة اليوم، بينما استقر في الخرج والعارض وبعض الواحات أولاد حنيفة وبكر، الذين أطلقوا على أنفسهم كأقربائهم في الشرق، اسم ربيعة، واستقرت تميم بجوارهم منفردة في واحة الحوطة (حوطة بني تميم) في الفرع العليا.

ساهم بنو تميم وبدرجة كبيرة في عمليات الاستيطان التي بدأت أواخر العصر الوسيط. آنذاك بدأت تزدهر في العارض القريتان اللتان أصبحتا فيما بعد المدينتين الواحيتين الدرعية والرياض. وفي العام (950هـ/ 1543م) تم إنشاء بريدة في القصيم، والتي فاقت أختها عنيزة فيما بعد، وتحولت بالتالي إلى أكبر مدينة في وسط الجزيرة. هذا، ولا يعرف الكثير، عن التطور الذي ألم بالواحات الواقعة في منطقة جبل شمّر، إلا أن السكان المقيمين هناك كانوا ومازالوا من تميم، أيضاً الذين قدموا للمنطقة من الجنوب. في القرن السابع عشر، أسس كثير من الواحات في المناطق المسماة شعيب ومحمل في العارض، أو أعيد استيطانها نذكر منها حريملا، المركز الرئيسي لشعيب، وثادق والرغّبة وغيرها.

في بعض الحالات يتاح لنا المجال لإلقاء نظرة على الأساس القانوني لقيام الإمارات في الواحات. عجينة في أعلى وادي حنيفة، وتشمل المنطقة الواقعة ما بين جبيلة ومفرق مياه إلبكين/ بكّين، اشتراها سنة (1446م) صاحب ملهم، جدّ آل المعمر، من عائلة شيوخ حاكمة تحت الجبيلة (وكلاهما من تميم). وفي الوقت نفسه قام أمير من ربيعة كان حاكماً حول الرياض (كان الاسم آنذاك يطلق على الناحية) بإهداء، أو تأجير، قريتين في واحة الدرعية اللاحقة لرجل من أبناء "قبيلته" قادم من القطيف، هو جد آل سعود. وتم الحصول على بريدة عن طريق

(1) العتوب هم أيضاً جلهمة في خور حسن في قطر، وآل ابن علي في الزبارة.

الشراء لكننا نجد هنا نشوء نوع من نظام الحكم الجمهوري، إذ تم تبادل السلطة بين العائلة المؤسسة آل دريبي وعائلة آل عليان. ونجد الشيء نفسه في واحات أخرى، كما في حوطة بني تميم على سبيل المثال.

إذا ما أضفنا إلى القبائل المذكورة أعلاه قبيلة البقوم في تربة، والسبيع الذين يوجد قسم منهم شرقي البقوم وقسم في العارض، وأتباعهم السهول، فإننا نعرف كيف كانت الظروف هناك عندما بدأت حركة دينية جديدة غيرت شكل الجزيرة العربية تغييراً كاملاً، ألا وهي الحركة الوهابية. وتعود التسمية، نسبة إلى مؤسس الحركة محمد بن عبد الوهاب، والتي تحولت من اسم سخرية إلى اسم شرف.

ولد محمد بن عبد الوهاب سنة (1703م) في العيينة، من أسرة فقيرة، تعود بأروماتها لتميم، وحافظت على التراث الفقهي في نجد، كما احتلت مناصب القضاء في الواحات. وكان والده قاضياً. قام الفتى محمد بن عبد الوهاب ومنذ سن مبكرة، بزيارة للأماكن المقدسة، ثم أتبعها بعدد من الرحلات التعليمية طلباً للعلم. أقام مطولاً في البصرة، ولفت الانتباه من خلال تفكيره المستقل وإرادته الصلبة، وفي سنة (1740م) طرح وجهات نظره بشكل علني أولاً في الحريملة «الحريملا» ثم في العيينة مسقط رأسه.

يتبع هذا المصلح، كما هو شأن سائر علماء نجد، المذهب الحنبلي، الذي يعود لمؤسسه أحمد بن محمد بن حنبل (780م ـ 855م)، والذي تصدى في حينه للاتجاه العقلاني. حاول في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، اثنان من الحنابلة (ابن تيمية، وابن القيم الجوزية) أن يحلّا محل عالم التصوف، الذي كان سائداً في العصور الوسطى، مجموعة من التعاليم البسيطة، والعودة في الحياة المعاصرة إلى طريقة حياة المسلمين الأوائل المتقشفة. لم يجرؤ أحد على تطبيق نظرية هذه المدرسة بشكل عملي، وبذلك، بدأ محمد بن عبد الوهاب النضال ضد عبادة الأصنام وتبجيل الأولياء، والاعتقاد بالخرافات، وكان هذا يعني في وطنه، النضال ضد العقيدة التي تقدس قبور أصحاب النبي الذين سقطوا في القتال ضد مسيلمة، وكذلك النضال ضد الوثنية وتقديس الحجر والشجر الذي اتخذ مظهراً

إسلامياً[1] لدى الرعاة والفلاحين ومنع الربا، وألحّ على إقامة الصلوات الخمس بشكل جماعي، (صلاة الجماعة)، ووقف ضد إساءة الاستخدام في جماعته، كالدفع للقاضي من طرفي النزاع. وحاول نزع العلماء من التراخي فشجعهم على الوقوف مع الحقيقة حتى ولو كانت تتعارض مع مصالحهم الشخصية أو مصالح الحكام. وبعد تردد، تبعه عدد من رجال الدين من موطنه البعيد، كما أيده كثير من الناس. ثم تبع ذلك، قيام موجة من الكراهية والنكران ضده، وأرغم (سنة 1744م) وبعد نشاط دام أربعة أعوام تقريباً، على مغادرة مسقط رأسه العيينة إلى الدرعية المجاورة، والتي استضافه فيها الأمير محمد بن سعود، ووجد فيه السند الداعم لحركته الإصلاحية. توثقت العلاقة منذ العام 1766م بين الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود ـ وبين الداعية، ولم يحدث ما يعكر صفو هذه العلاقة، ولم تشُبها أي شائبة.

أصبحت الدولة والمجتمع وحدة واحدة، تماماً، كما كان عليه الحال في العهود الأولى للإسلام، وحظي الأمير بلقب الإمام، الذي غدا يمثل الزعيم الديني ـ السياسي للمجموعة، والذي بقي حتى ذلك الوقت كوجود خيالي في أقبية الفقهاء.

زود الداعية أتباعه بسلاح فتاك، لاعتباره أعداء الدعوة خصوماً، مرتدين، يمكن تقويمهم بحد السيف إذا لم يعودوا لجادة الصواب، ولكن، كان لهذا السلاح خطورته، فهو سلاح ذو حدين، فقد وضع الوهابيين خارج المجموع الإسلامي وأدى إلى خوض الحرب، مع زعيمة الإسلام آنذاك، الامبراطورية العثمانية. وقد قيض له النجاح في توحيد نجد. وعندما توفي محمد بن عبد الوهاب (سنة 1791م)، ترك نجد موحدة، بعد حروب دامية، امتدت قرابة نصف قرن من الزمان، وقد ساد في تلك البلاد السلام والأمن ولأول مرة منذ ألف عام. كانت البداية مضنية. إذ كان القتال يتراوح بين أخذ ورد، واحة تكسب، وأخرى تخسر،

(1) حتى القرن الخامس عشر كان يتم من قبل البدو تقديس أحد الأولياء، وهو كليب، من العصر الجاهلي.

مع استمرار روح المقاومة، واستمرار النصر والهزيمة، وكان الخصم الألد هو أمير الرياض دهام بن دواس، حيث كانت توجد أيضاً الخصومة الدينية الأشد عداء لابن عبد الوهاب، إلا أن دهام تخلى في سنة (1773م) عن القتال نهائياً، بينما استمر بعض من مساعديه من الضفير في القتال لفترة أطول. ومع أنهم انضووا تحت حكم الوهابيين في الثمانينيات، إلا أن النظرة إليهم استمرت قائمة على الشك مما حدا بهم للرحيل نحو العراق في سنة 1795م.

اتسم تقدم الوهابيين، خارج نجد، بنفس الآلية والسمة التي اتصفت بها الحروب، والتي كان أمراء الواحات قد ألفوها ألا وهي عدم التدخل إلا بعد فوات الأوان. وهكذا، وعندما تمكن الوهابيون من تثبيت أقدامهم في الوشم والسدير، قرر عريعر شيخ بني خالد، وأمير الأحساء، القيام بالهجوم المضاد عليهم، إلا أن محاولته باءت بالفشل، ولم يتمكن من إعادة التوازن. وفي سنة (1764م)، ظهر على مسرح الأحداث خصم جديد، وغير متوقع، هو الحسن بن هبة الله المكرمي، أمير الإسماعيليين في نجران، الذي كان يرمي إلى السيطرة على شرق الجزيرة، متخذاً ذريعة تحرير الجماعات الإسماعيلية المتواجدة في كل من الأحساء والقطيف منذ عهد القرامطة، ولذلك غدا عريعر خصمه. إلا أنه في سياق تحقيق أهدافه، والذي كان يستدعي تحرير الطريق عبر العارض، وتأمين سلامتها، جعل من عريعر حليفاً طبيعياً له. وقد حقق المكرمي أول انتصاراته قبل حاير حيث ينعطف وادي حنيفة نحو الشرق. وعندما اضطرته الظروف الطارئة في بلدته، للانسحاب والعودة إليها، أعرب جميع أعداء الوهابيين عن تأييدهم له. أما عريعر فقد جاء متأخراً، وقام منفرداً بحصار الدرعية بضعة أسابيع. لكن عبارة "جاء متأخراً" كانت الصفة المشؤومة التي تنطبق على جميع العمليات التي قام بها.

وهكذا فقد قيض لهذه الدولة الفتية التقدم بصورة سريعة، بعد أن تم إنقاذها بطريقة تثير العجب، من التحديات التي أحدقت بها، وفي سنة (1769م) خضعت لها مدن وقرى القصيم، وخلال المدة الواقعة فيما بين (1774 ـ 1775م) دانت له آخر واحات السدير. ولكن وبما أن الامتثال كان بسبب الخوف لا بسبب القناعة،

فإن معظم المناطق انفصلت مرة أخرى فور شعورها بالأمل في تلقي مساعدة من الخارج.

تكررت نفس الصورة أيضاً في الجنوب، وغدا أمير الدلم، الذي قدم المكرمي مرة أخرى من نجران إلى ما قبل حاير (1776م) لنجدته زعيماً للمتمردين بعد فرار دحام بن دواس. وأخيراً، وفي سنة (1782م)، تم إخضاع الشمال، وفي عام 1785م الجنوب وحتى أفلاج بشكل نهائي.

إلى جانب هذا الاعتناق الجماهيري للمذهب الجديد، كانت هناك، بطبيعة الحال، اعتناقات حقيقية صادقة. فقد اعتنق المذهب الوهابي رجال كان لهم فضل كبير في نجاح الحركة. نذكر منهم: ربيع، أحد شيوخ الدواسر، الذي جعل منطقته تنضم بعد قتال دام خمس سنوات (1785م ـ 1790م) إلى المملكة الجديدة والمذهب الجديد، وهادي بن قرملة، الذي صمد طويلاً ووقف إلى جانب الوهابيين في أصعب الظروف قبل أن تتبعه قبيلته قحطان.

ولكن في أوساط الذين آمنوا بالقوة أيضاً بدأت بذرة المذهب الجديد تعطي ثمارها. ففي ثورة اندلعت في القصيم (1774م) أثبتت العائلة النبيلة عليّان من البريدة ولاءها. وفي ثورة أخرى (1782م) قضى رجل من العائلة نفسها، اسمه حجيلان، على المتمردين منفرداً، واستولى في سنة 1787م، على جبل شمّر، وقد كان للاستقلالية العسكرية للمقاطعات الحدودية، أهمية كبيرة، وبخاصة، عندما وجد الوهابيون أنفسهم، قد تورطوا في حرب تجاه الغرب والشرق.

التجأ أمير الأحساء، سعدون، إلى الدرعية سنة 1785م، بسبب خلافات عائلية في بيت عريعر، وقد امتنع الإمام عبد العزيز عن استقباله، لأن خصوم سعدون كانوا مدعومين من قبل شيخ المنتفق القوي، ثويني، الذي كان من رعايا الأمبراطورية العثمانية. ولكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي رأى إرادة الله في هذه الحادثة تمكن من إقناع عبد العزيز بأنه يجعل من العدو صديقاً، بغض النظر عما يمكن أن تؤول إليه النتائج. وهكذا، بدأت حرب صغيرة مع المنتفق،

وقد دارت تلك الحرب في القصيم وحدود الفرات، ومهد الانقسام فيما بين آل عريعر الطريق أمام الوهابيين للتقدم نحو الأحساء. وفي هذه الأثناء، أدرك أهل مكة أيضاً مدى الخطر القادم من نجد. وكانت قد جرت في مكة عام 1771م مباحثات دينية بعد مجابهات بين قوات الشريف والوهابيين وانتهت تلك المباحثات، إلى اعتراف علماء مكة بأن الأفكار الوهابية تتوافق مع التقاليد الحنبلية المعترف بها. إلا أنه، كان لتطبيق هذه المبادىء، أثره السلبي المباشر على مصالح أهل مكة، وقد تعرضت قبائل حرب، ومطير، وبني هاجر، وقحطان، لاعتداءات الوهابيين عليهم لأكثر من مرة، تلك القبائل، التي كان لمكة سلطة ضعيفة عليها وتعتبرها موالية لها. ولذلك انتهت الجولة الثانية من المباحثات الدينية بين الطرفين، والتي دعا إليها الشريف الأكبر غالب في عام 1790م، بوداع المندوبين الوهابيين وداعاً فظاً.

وفي العام نفسه أرسل الشريف غالب شقيقه على رأس جيش إلى نجد، مصحوباً ببني مطير وقحطان، فتحرك نحو القصيم ولكنه لم يصل إلا إلى قصر بسام في السرّ الذي دافعت عنه مجموعة صغيرة من الناس دفاعاً باسلاً. بينما اكتفى أمير الجيش الوهابي الأمير سعود بمشاغلة البدو المعادين له، وبالعمل على إنقاذ وادي الدواسر، الذي كان الشريف قد أرسل جزءاً من قواته إليه.

لم تثن تلك النتائج الشريف غالب عن مواقفه، فصمم على المشاركة في القتال شخصياً، فأعد جيشاً في العام التالي، وخرج على رأسه إلى ميدان القتال، حيث التقى وشقيقه قبل الشعرا، إلا أنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها، وعاد أدراجه إلى حيث انطلق، إلى الحجاز دون أن يعترض طريقه أحد. وبدلاً من أن ينتقم الوهابيون من الشريف انتقموا من البدو وتغلبوا على مطير وشمّر، عند العدوة، بعد مقاومة ضارية (أنظر الجزء الأول ص220). .

لم تتوقف الحروب في شبه الجزيرة العربية، ففي العام التالي اندلعت الحرب مجدداً، وفي سنة 1793م، دخل ولي العهد سعود الحسا، ولكنه ما أن غادرها حتى قامت انتفاضة محلية ضد المعلمين والموظفين الوهابيين.

وبصورة عامة فإن سكان المدن سواء كانوا من السنة أو البحارنة (الشيعة أو الإسماعيليون المقيمون هناك منذ القديم) لم يقبلوا بحكم البرابرة القادمين من نجد. ولم يتمكن سعود من إخماد نار الثورة، فأوكل مهمة لجم أبناء بلده إلى حاكم المنطقة برّاك، الذي اعتنق الوهابية. واستمر القتال في تلك المنطقة حتى أواسط سنة 1796م.

شن سعود سلسلة جديدة من الغارات في آذار 1795م، كانت وجهتها الحجاز، بدأها بالاعتداء على (ترابة)، فرد الشريف، بحملة جديدة نحو القصيم، النقطة المفصلية الهامة بين جبل شمر وبقية مناطق المملكة والتي كانت مهددة من الشرق أيضاً. في ذلك الوقت كان سعود قد عاد للتو من غزوة ضد العتيبة ولذلك اضطر إلى ترك مهمة الدفاع للبدو الذين تجمعوا على عجل. فقام هادي بن قرملة بالتصدي للقوات المكية، والتقى الطرفان عند الجمانية أسفل النير، وأوقع بهم الهزيمة (1796). وقد اندلعت أثناء ذلك اضطرابات في الشرق بسبب ظهور الحركة الوهابية على حدود الفرات، وبتكليف من الباب العالي، استمع سليمان باشا والي بغداد للمهاجرين من شرق الجزيرة العربية وأوكل لثويني مهمة قيادة حملة ضد الوهابيين. وضع ثويني نصب عينيه، الأحساء، كهدف أول لقواته، وتقدم في أوائل سنة 1797م على رأس حملة قوية إلى شرق الجزيرة، فقام براك بالانضمام إليه. على إثر ذلك أخلى الوهابيون المنطقة واكتفوا باحتلال الممرات المؤدية إلى نجد. ولكن في أثناء التحرك، أقدم عبد شبه مجنون على قتل ثويني، فتفرق جيشه وانسحب.

بعد عامين كرر الأتراك المحاولة وجهزوا حملة قادوها هذه المرة بأنفسهم. تمكنت القوات من الوصول إلى الأحساء، وبعد حصار طويل للقلعة دون جدوى اضطروا للانسحاب مع البدو المتحالفين معهم.

استمرت الحروب الصغيرة في هذه الأثناء على حدود الحجاز وحاول الشريف غالب مرة أخرى عقد محادثات دينية، جرت هذه المرة أيضاً بطريقة متمدنة، إلا أنها باءت بالفشل. ورغم النشاط الحيوي والفعال للقوات الشريفية،

إلا أن عدداً من القبائل الحدودية آثرت الانضمام للوهابيين، وكان منها عتيبة. واستمر البقوم وحدهم على ولائهم للشريف ومقاومتهم للوهابيين. وقد ذهب الشريف غالب بنفسه إلى ساحة الحرب ولكن بدون طائل. وعلى الرغم من ذلك قدم له الإمام عبد العزيز بعض التنازلات واعترف في صلح عام 1799م بأن حرب وعتيبة هما من رعايا مكة، وأن المنطقة الواقعة شمال عسير تتبع مكة أيضاً. وأصبحت حركة الحجاج من العراق حرة، إلا أن ذلك لم يكن ليحول دون تعرض قوافلهم عند العودة للاعتداءات المتتالية من قبل العشائر العراقية، الأمر الذي أوجد الذريعة، للوهابيين، لشن حرب انتقامية ضد العراقيين، وأخذ الثأر الذي كانوا ينتظرونه منذ أمد بعيد.

اجتاح الوهابيون، بقيادة سعود، المدينة الشيعية المقدسة، كربلاء، في نيسان 1801م، ونهبوا الكنوز الموجودة في ضريح الإمام الحسين، وقتلوا من صادفوه من السكان. أدت هذه الأعمال إلى حدوث موجة من الاستياء والغضب عمت سائر البلدان الإسلامية. وفي نهاية سنة 1803م، انتقم رجل شيعي من أبناء المدينة المنكوبة، والذي قتل أبناؤه في كربلاء، من اغتيال الإمام عبد العزيز، وقد خلفه ابنه سعود، الذي كان في أواخر الخمسين من العمر، إنما بكامل قوته ورجولته رغم حمله عبء الغزوات والحروب أكثر من ثلاثين عاماً. وتم تحقيق أكبر اتساع لرقعة الدولة الوهابية في عهده، وسنة بعد سنة عكرت قواته صفو المنطقة الواقعة بين كربلاء والبصرة، ووصلت في بعض الأحيان إلى ما وراء الفرات، ووصلت في عام 1806م إلى منطقة حلب. وفي سنة (1808م) وصلت القوات الوهابية إلى ما بعد الجوف ووادي سرحان القريبين من دمشق، ونهبت غوطتها.

وجه الباب العالي من برجه العاجي في اسطنبول عدة أوامر لشن حملات عسكرية ضد الوهابيين ولكن عبثاً، لأن باشاوات بغداد ودمشق كانوا سعداء لو استطاعوا توفير بعض الحماية لأراضيهم، ولذلك اكتفوا بالمظاهرات ومنذ سقوط مكة (306دم) أصبح الساحل الغربي حتى الحديدة خاضعاً للوهابيين. واعترفت

عُمان، التي كانت تحتل منذ عام 1801م واحة البريمة، بسلطتهم. وتحول القواسم في رأس الخيمة والعتوب في خور حسن (قطر) والبحرين، الذين كانوا يمارسون منذ زمن طويل التجارة مع الهند، إلى قراصنة بحار، وصاروا يدفعون خمس الغنائم للدرعية (للوهابيين).

إلا أن حملات محمد علي باشا من مصر وضعت حداً لمسلسل الانتصارات الوهابية، وأصبح سعود كبير السن، ولم يعد بمقدوره قيادة المقاومة بشكل فعال، وباتت الاتصالات صعبة، الأمر الذي تعذر معه صد الغزو. وعند وفاته في أيار 1814م، كانت الحجاز قد أصبحت بحكم المفقودة، وخلفه ابنه عبد الله، الذي لم يكن على مستوى الأحداث، وبدلاً من سحق طوسون[1]، الذي انقطعت صلاته مع المدينة، في القصيم، قام بعقد محادثات معه، وتركه وفقاً لاتفاق الصلح الذي عقد بينهما، والذي كانت شروطه غير محتملة للطرفين، أن يعود للمدينة.

اختلفت الحملة المصرية الجديدة، التي شنها والي مصر محمد علي باشا في خريف 1816م، ضد نجد، والتي أوكل مهمة قيادة القوات فيها لولده إبراهيم باشا، عما سبقها من حملات؛ فقد كانت حسنة التنظيم، ونفذت على مراحل، مستفيداً من الخبرات التي اكتسبها من فن الحرب الأوروبي، وتم إدخال نظام المشافي الميدانية وإن كان بشكل متخلف، وعمل محمد علي باشا كل ما يمكنه لتذليل الصعوبات، وتسهيل مهمة ابنه، لذا، اهتم باستمرار بدعمه سواء بالقوات أم بالوسائط المادية. وكان إبراهيم تلميذاً نجيباً، فهم وبمهارة كوالده، كيف يتعامل مع البدو، ومع هذا، لم يكن في مستوى خصمه من حيث الخبرة الحربية، ولكنه تفوق عليه بالصلابة ونظرة القائد العسكري.

أقام إبراهيم معسكره عند ينبوع النخل، في حين أرسل طلائعه إلى الحناكية،

---

(1) انظر الجزء الثاني، ص 446، ص 533، 534.

وبعد أن اكتسب الاحترام جراء حملته المظفرة ضد بدو جهينة، بدأت تأتيه عندئذٍ إمدادات الجمال والزاد بحيث تمكن جيشه من التقدم نحو الحناكية. وهنا انضم إليه غانم بن مضيان، شيخ حرب الشمالية (انظر الجزء الثاني ص540) .

قام إبراهيم خلال الشهور التالية، بثلاث حملات نحو نجد، وصل في إحداها إلى الأبانين وسحق رحاله، التي كانت لا تزال موالية للوهابيين. لهذا فقد رفضت بعض القبائل تنفيذ أوامر عبدالله، والتي تقضي بالتراجع نحو القصيم، والتحقت بإبراهيم باشا. تقدم عبد اللّه نحو (العلم)، بينما انسحب بدو إبراهيم باشا إلى الحناكية. ولتوفير الحماية لحلفائه، قام إبراهيم باشا باحتلال موقع مياه الماوية حيث نشبت المعركة الميدانية الوحيدة، في تلك الحرب، وتمكن الأتراك من رد هجوم عبد اللّه، حيث فر البدو من أنصاره، أمام نيران المدافع. (في الثاني من أيار). بعد ذلك زحف عبد اللّه نحو مستسه في سرة نجد، وذلك للحيلولة دون وصول المطير لمعسكر الأعداء. وفي أوائل تموز تحرك إبراهيم من الماوية إلى القصيم حيث انضم إليه في الطريق فيصل بن دويش مع قبيلته مطير. وأمام الرس توقف زحف إبراهيم بعد فشل هجوم كلف كثيراً من الضحايا. ولم تسقط الرس إلا بعد حصار دام أربعة أشهر (تشرين الأول/ أكتوبر). اهتم كل من غانم بن مضيان، وفيصل الدويش بالمحافظة على الاتصال مع المدينة، واستسلمت باقي المدن الأخرى في القصيم بعد قتال قصير. وعن طريق مذنب والسر وَصل إبراهيم إلى وشم، وتوجهت عتيبة وبني خالد، نحو حرب والمطير، بمهمة الاستطلاع وحماية خطوط المواصلات الخلفية. واستسلم حصن شقرا، وهو الحصن الوحيد في المنطقة، بعد حصار دام أسبوعاً واحداً، وإثر نيران المدافع التي كان يقودها الملازم الفرنسي فيسير. وبعد أن توقف أمام ضرمة (ضرمى) لمدة قصيرة، قام بمهاجمة الواحة وبقتل جميع من فيها من الرجال، في حين استباح الجنود وبوحشية النساء والأطفال. ثم وصل وادي حنيفة، عبر ممر الحيسية وفي السادس من نيسان وصل إبراهيم إلى أبواب الدرعية. كان عبد اللّه قد حوّل منذ عدة أشهر الواحة الواسعة إلى قلعة، الأمر الذي جعل إمكانية تطويقها متعذراً، فاستمر الحصار لأشهر عدة، كان يتخللها بين الحين والآخر، شن هجمات محددة، وبعد أن

تحولت القلعة إلى أنقاض، اضطر عبد الله للاستسلام في التاسع من أيلول. وواجه عدوه المنتصر رافع الرأس عالي المهابة. فنقل إلى القسطنطينية عن طريق القاهرة، وفي السابع عشر من كانون الأول (1818م)، قطع رأسه أمام مسجد أيا صوفيا.

تبع ذلك عصر قاتم، وفي أنقاض مدينة الدرعية، التي تم تدميرها بناء على أوامر محمد علي باشا، استقر في بادىء الأمر، أحد أبناء معمر، الذي يعود بنسبه إلى عائلة أمراء العيينة السابقة. وفي آذار (1820م)، نجح مشاري، شقيق عبد الله بن سعود، بعد هربه من مصر، في إبعاد حاكم الدرعية، لكن الأخير تمكن من استعادة الواحة بمساعدة بني مطير، واعترف به المصريون الذين كانوا قد احتلوا القصيم مجدداً. لكن وبنهاية العام نفسه، هب تركي بن عبد الله آل سعود[1]، الذي كان قد فر من الدرعية في الوقت المناسب، ضد المغتصب وأمر بإعدامه. بعد هذا التمرد اشتد ضغط المصريون الأتراك وغضبهم. فقد كان على نجد أن تسدد كامل الحساب، الناجم عن الغزو الأجنبي. وفي سنة (1822م)، نجح تركي في استعادة العاصمة الجديدة، الرياض، التي سبق واضطر مرغماً لمغادرتها، ثم ما لبثت، أن بدأت حرب جديدة، اعتمد فيها المصريون ـ الأتراك على المطير، بينما وقفت العمارات (عنزة) إلى جانب تركي، وأخيراً، وافق تركي على دفع الضريبة لمحمد علي، واستغل السلام الحاصل بينهما، للاستيلاء على الأحساء. حيث كانت قد تمت خلال حملة إبراهيم باشا، بناء على تحريض من باشا بغداد، إعادة العائلة الحاكمة السابقة من بني خالد، ولم يستمر الهدوء طويلاً، إذ بعد مدة قصيرة عادت الاشتباكات مجدداً مع المصريين، ووجد هؤلاء أداتهم في أحد الأقارب البعيدين من تركي وهو مشاري بن عبد الرحمن[2]، الذي سبق له أن قام بثورة ضد تركي في سنة 1831 ـ 1832م، بمساعدة القحطانيين. وأثناء توقف جيش تركي في القطيف، والذي كان يقوده ابنه فيصل، وذلك للتصدي لهجوم شيخ البحرين، تم اغتيال تركي من قبل المشاري، فاضطر فيصل للعودة بسرعة، وتقدم صديقه شيخ شمّر،

(1) أحد أبناء عمومة سعود.

(2) ابن مشاري بن حسن بن مشاري بن سعود.

عبد اللّه بن الرشيد، مع مجموعة من المقاتلين إلى القلعة، التي تحصن بها القاتل، وقتله سنة (1834م). وفي سنة (1837م) جاء المصريون بأحد المطالبين بالعرش، إلى نجد، وهو خالد، أحد أشقاء عبد اللّه، ودخل الرياض سنة (1838م)، فعاد فيصل إلى الدليمية. لكن الحاكم المصري، خورشيد باشا، أجبره على الاستسلام واقتيد إلى القاهرة. مدّ خورشيد باشا نفوذه نحو شرق الجزيرة، لكنه اصطدم بمعارضة بريطانية، بعد أن أبدى رغبته في احتلال البحرين وتثبيت قدمه في البريمي، تلك التي كانت تسعى لتعزيز وجودها في الخليج منذ سنة (1820م). وفي صيف (1840م) أرغمت القوات المصرية على الانسحاب، جراء تدخل الدول العظمى ضد محمد علي باشا. وكان خالد مصرياً أكثر منه وهابياً، فاضطر في نهاية سنة (1841م) إلى التنحي أمام مُطالِب[1] جديد بالزعامة. لكن هذا أيضاً لم يجد أي قبول لدى الناس. وعندما عاد فيصل سنة (1842م) إلى نجد، بعد الإفراج عنه في مصر، استقبل بحفاوة بالغة من قبل أوساط واسعة من أبناء الشعب، وتمكن بعد قتال قصير من دخول الرياض في أوائل سنة (1843م).

في ذلك الوقت انتهت مؤقتاً التغييرات الكبيرة، التي عرفتها خارطة القبائل منذ بداية الدولة الوهابية. ولقد تم الحديث عن هجرة شمّر جربا وعنزة، في الجزء الأول ص128، 220، والضفير تم التعرض إليها آنفاً. وجاءت حرب إلى وادي الرمة الذي أخلته عنزة، وجاء المطير إلى المنطقة الواقعة إلى الجنوب منهم، بينما كانت عتيبة تحتل رقعة أكثر اتساعاً وانتشاراً، فقد وصلت من حرّات عبر سرة نجد إلى القصيم، ومن الطائف على امتداد طريق الحج، إلى نفوذ دلجان، ونزولاً إلى السدير. وهكذا، تم فصل المطير إلى قسمين، الغربي ويقع بين السويرجية «السويرقية» وسراة نجد، بينما يقع الشرقي بين السدير والكويت. وانتشرت قحطان جنوب طريق الحج وصولاً إلى زاوية الطويق. وإثر حملات سيد نجران، فقد وصلت قبيلة عجمان المقاتلة إلى نجد. ثم نقلت بعد ذلك على يد تركي آل سعود سنة 1850م، إلى شرق الجزيرة، لكي توقف بني خالد الذين أصبحوا منذ ذلك

(1) هو عبد الله بن طنيان بن إبراهيم بن طنيان.

الوقت شبه مستقرين. واستقر بني هاجر في شرق الجزيرة أيضاً، وهم يتنقلون منذ ذلك الوقت جنوب عجمان.

أعاد فيصل بناء دولة آل سعود. بقدر ما سمحت به الظروف، فحكم في داخل وشرق الجزيرة، دون منازع. وفي عام 1845م أعاد احتلال واحة البريمي، قاعدة الوهابيين القديمة، في المناطق الخلفية من عُمان، وأجبرت جراء ذلك كل من صحار ومسقط على دفع الضرائب. وتم إعادة الاتصال مع عسير. وفي الغرب قدمت له إمارة مكة، التي استعادت قوتها بعد انسحاب القوات المصرية من الجزيرة، الدعم. وفي الشمال أصبح حكام جبل شمّر يدفعون له ضريبة صغيرة. وأصبحت القصيم، المنطقة الوحيدة في وسط الجزيرة التي ترك الاحتلال المصري فيها ذكريات سارة، تتمتع بقدر معين من الاستقلالية، منذ ظهور الشريف محمد بن عون مع جيشه هناك سنة (1846م)[1]. وكذلك قبيلتا مطير وعتيبة، اللتان اضطر فيصل للاعتراف بتابعتهما لمكة، أبدتا عدم خضوعهما طالما أقامتا في نجد. لكن هذا البناء، الذي شيده فيصل بصعوبة، لم يصمد طويلاً، إذ سرعان ما انهارت دعائمه بعد وفاته سنة (1865م).

لم يكن الابن الأصغر لسعود، يرغب في الخضوع لأخيه عبد الله المعتز بنفسه والسريع الغضب، والذي كان يقود الجيش منذ عدة سنوات، ويمثل والده الضرير. وهكذا نشبت حرب بين الأخوين، فاحتل سعود، بمساعدة العجمان، منطقة شرق الجزيرة، ودخل الرياض في سنة (1871م). عندئذ، طلب عبد الله العون والدعم من الأتراك، عبر مدحت باشا والي بغداد، فجاءوا وظلوا في شرق الجزيرة. وفي عام 1874م توفي سعود نتيجة إصابته بجرح أثناء قتاله ضد عتيبة. وبعد تجاوز بعض الصعوبات تم الاعتراف مجدداً، بعبد الله كحاكم، إلا أن وضعه كان صعباً. فقد انسحب أولاد سعود إلى الخرج غاضبين، وأصبح محمد، أمير جبل شمّر، وهو

---

(1) في عام 1855م أجبر فيصل على الاعتراف باستقلال العنيزة والبريدة. لكن زامل آل سالم فقط حافظ فترة من الزمن على هذا الاستقلال. أما آل أبا الخيل في البريدة فقد وقفوا إلى جانب فيصل خوفاً من عودة خصومهم آل عليّان.

ابن عبد الله بن رشيد الذي كان قد ساعد أباه في الماضي على تولي العرش، شبه مستقل نتيجة حرب الأخوة داخل أسرة سعود. وعندما حاول عبد الله، في تقدير خاطىء لوضعه، مساعدة آل عليان، أسرة أمراء البريدة التي عزلها أبوه، على استعادة الحكم، وقف محمد بن رشيد إلى جانب أسرة أبا الخيل الحاكمة وطرد عبد الله بمساعدتها من القصيم والسدير والوشم. على إثر ذلك قام أبناء سعود المتمردون بعزل عبد الله وسجنه. فتوجه محمد بن رشيد على الفور إلى الرياض بحجة أنه يريد تحرير الأمير السجين، وأرسل عبد الله مع عدد من أمراء الأسرة الآخرين إلى عاصمته حايل «حائل» وعين واحداً من رجاله حاكماً في الرياض (1885م). وفي الأعوام التالية قتل أبناء سعود الثلاثة ونقلت عائلاتهم إلى حايل «حائل» أيضاً.

وقد سمح لعبد الله بالعودة مرة أخرى إلى الرياض ولكنه توفي بعد ذلك بوقت قصير (1889م). قام ابن الرشيد بتعيين أخيه عبد الرحمن حاكماً على عارض. وفي عام 1891م فشلت آخر محاولة قامت بها مدن القصيم للثورة ضد ابن الرشيد (معركة مليدة). فهرب عبد الرحمن مع عائلته ووجد، بعد رحلة طويلة قادته إلى أماكن مختلفة، ملجأ في الكويت. وهنا في الكويت أعلن الشيخ مبارك نفسه حاكماً عام 1896 بعد قيامه بقتل أخويه. وكان مبارك رجلاً واضح الرؤية ولكنه شديد الميل إلى حبك الحيل والمؤامرات، وقد أصبح له خلال العشرين عاماً التالية تأثير غير عادي على السياسة العربية. وفي عام 1899م وضع نفسه تحت الحماية البريطانية محافظاً في نفس الوقت على علاقاته مع الأمبراطورية العثمانية، وذلك، لوجود أملاكه في شط العرب الذي يقع تحت السيطرة العثمانية. ونظراً لدخوله منذ عام 1900م في حرب مع عبد العزيز، خليفة محمد بن رشيد، فقد احتفى بعبد الرحمن الهارب من ابن رشيد وقام بتدريب ابنه الأكبر عبد العزيز على شؤون السياسة.

في خريف عام 1901م توجه الأمير الشاب عبد العزيز نحو الجنوب بعد أن جهزه مبارك بما يحتاجه من العدد. وفي يناير/ كانون الثاني 1902م شن مع

عدد قليل من الرجال غارة على الرياض واستولى عليها. ولم يتمكن عبد العزيز بن رشيد من طرده منها بل اضطر بعد عامين من القتال إلى إخلاء الجزء الجنوبي من نجد. وعندما اقترب آل سعود من القصيم طلب ابن رشيد النجدة من الأتراك.

في يونيو/ حزيران 1904م وصلت بعض الكتائب العثمانية إلى القصيم واشتركت عدة أشهر في القتال. وعند تبين أن الهدف الحقيقي للأتراك هو الاستيلاء على القصيم، فقد ابن الرشيد اهتمامه بحلفائه. حاول الأتراك تحقيق هدفهم بعدة طرق، تارة عبر المفاوضات مع آل سعود وتارة عبر حيل ومؤامرات شارك فيها؛ إلى جانب زعيم البريدة وشيخ المطير فيصل بن دويش، الشيخ مبارك أيضاً لأن تلميذه عبد العزيز آل سعود حقق تقدماً أكبر من اللازم. وبعد مقتل عبد العزيز بن رشيد في ربيع عام 1906م توقفت الحرب. وفي نهاية العام نجح عبد العزيز آل سعود في طرد الأتراك من الجزيرة العربية. وفي عام 1907م بلغت عائلة رشيد، نتيجة سلسلة من الاغتيالات بين الحكام، درجة من الضعف اضطرت معها إلى الدخول في ربيع عام 1908م في صلح مذلّ اقتصرت منطقتها بموجبه على جبل شمر فقط. وأصبح كل من حرب والهتيم، وولد سليمان والمطير في الغرب يدفعون الضرائب لآل سعود. وعندما تولى حمود آل سبحان، وهو خادم مخلص لآل شمر، الحكم في حايل «حائل» في خريف عام 1908م، بدأ الوضع يسير نحو تحول تدريجي.

حاول حمود التفاوض مع عبد العزيز لتعديل اتفاقية عام 1908م، لكن عبد العزيز رفض الطلب بفظاظة، إلا أنه تجاوب معه عندما أرسل له حمود وسيطاً ثانياً.

ولكن الخصم كان عنيداً جداً مما جعل الحرب تندلع من جديد. غير أنها اقتصرت على غارات السلب والنهب إلى أن أجبر هطول المطر الخريفي كلا الطرفين على العودة إلى بيوتهم. في العام التالي فكر عبد العزيز آل سعود في التحالف مع العنزة، العدو اللدود لشمر، على درب زبيدة ضد ابن رشيد. إلا أنه

كان عليه أن يقوم أولاً بإخضاع الهزازنة في الحريق (فرع) الذين كانوا هائجين نتيجة عداوات عائلية. وعندما عاد إلى الرياض علم بأن "العرايف"، أحفاد مغتصب العرش سعود بن فيصل، قد غادروا العاصمة غاضبين وتوجهوا إلى أخوالهم العجمان في الجزء التركي من شرقي الجزيرة العربية. عندئذ عرض الشيخ مبارك على عبد العزيز آل سعود مصالحته مع أقربائه إذا ما جاء إلى الكويت. أما السبب الحقيقي للدعوة، وهو الطلب من عبد العزيز مساعدته ضد المنتفق، فقد أخفاه مبارك في بادىء الأمر. لبى عبد العزيز الدعوة آملاً في أن يتمكن رغم ذلك من لقاء عنزة في الموعد المحدد. ولكنه تأخر عن الموعد وفي منتصف فبراير / شباط سيطر ابن رشيد على الرولة والعمارات (نظر الجزء الأول ص176) على الرغم من ذلك لبى عبد العزيز طلب مبارك، الذي ذكّره بفضله على أبيه وأنه هو الذي آواه في وقت الضيق، وهو المشاركة في حملة ضد المنتفق. لكن هذه الحملة باءت، كما كان يتوقع عبد العزيز، بفشل ذريع.

وبسبب نفاد المؤن والوسائل - حيث لم يسقط المطر في نجد في شتاء ذلك العام - لم يبق أمام عبد العزيز مفر من توقيع صلح مع ابن رشيد. وعلى إثر ذلك تخلت عنه حرب، وهتيم، وولد سليمان، ومطير الغربيين، وعادوا إلى حايل «حائل». كما أن المصالحة مع العرايف لم تتحقق، بل إن هؤلاء راحوا يستعدون للثورة وما إن بدأ عبد العزيز باتخاذ الإجراءات المضادة اللازمة حتى تلقى صفعة جديدة. فقد دخل الشريف حسين بموافقة الأتراك إلى نجد ووقع سعد، الأخ المدلل لدى عبد العزيز، أسيراً في يده. ولذلك اضطر عبد العزيز مرة أخرى إلى القبول بسلام مهين يقضي باعترافه بتابعية العتيبة لمكة وبخضوع القصيم لسيادة الأمبراطورية العثمانية، وبالتزامه بدفع ضريبة عن هذه المنطقة قدرها 6000 مجيدي. وبالطبع لم يدفع هذا المبلغ ولم يكن قادراً على دفعه، الأمر الذي كان يعرفه حق المعرفة الشريف حسين الذي كانت غايته نيل إعجاب الأتراك بما يحققه من نجاحات. وأخيراً تمكن عبد العزيز من الإلتفات إلى العرايف الذين كانوا في هذه الأثناء قد وجدوا ملجأ لدى الهزازنة في الحريق. فهجم على الحريق ولكن العرايف فروا إلى أفلاج. وقبل وصول عبد العزيز إلى هناك كان حاكم المدينة التابع

له قد أنهاهم. فقد اعتقل رب العائلة[1] وهرب أحدهم إلى شرقي الجزيرة العربية والآخرون إلى مكة.

أدت خيبات الأمل المخيفة التي مني بها عبد العزيز في السنة الماضية إلى جعله يفكر ملياً بالسبب الذي أدى إلى فشل خطته الرامية إلى إعادة بناء المملكة. ولم تكن معرفة السبب عسيرة. ذلك أن المملكة الوهابية القديمة عاشت على الحماس الديني: ومنذ انطفاء هذا الحماس أصبحت إمارة آل سعود مثل بقية الإمارات تتلاعب بها الظروف. ولذلك كان لا بد من إيقاظ الحماس الديني مرة أخرى. ولكن كيف وعند من؟ عند الفلاحين وسكان المدن الذين استنزفتهم الحروب المتواصلة؟ أم عند البدو؟ البدو كانوا غير مستنزفين وكانت لديهم غريزة الحرب والميل الغريزي إلى الفوضى المرتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة البداوة العربية لذا كان لا بد من انتزاعهم من قبائلهم وتوطينهم ثم دمجهم في مجتمع جديد لا تسود فيه شريعة الصحراء، أي قانون الحماية والثأر، وإنما شريعة الإسلام.

في عام 1911م بدأ الدعاة والمعلمون الدعوة إلى هذه الأفكار. وفي عام 1912م أسست في منطقة المطير أول مستوطنة للبدو، مستوطنة الأرطاوية على الطريق من الكويت إلى زلفي. ثم تبعتها مستوطنة غطغط في زاوية الطريق وقد تبرعت ببنائها العتيبة. وكما ذهب المهاجرون في فجر الإسلام إلى المدينة والمدن العسكرية الجديدة فقد هاجر الأخوان، أخوان المجتمع الجديد، إلى هذه المستوطنات التي أطلق عليها لهذا السبب اسم الهجر. وكان أكثر ما يجذب البدو إلى هذه المراكز السلاح الذي كان يعطى لكل شخص. ولذلك ما لبثت أن نشأت خلال وقت قريب مستوطنات كثيرة أخرى: بلغ عددها في نهاية العشرينيات نحو 75 هجر (أي مستوطنة)، وبلغ عدد سكان الأرطاوية عدة آلاف نسمة. إلا أن المحاولات التي أجريت لجمع عدة قبائل في هجر واحد، كما في الأرطاوية،

(1) سعود بن عبد العزيز بن سعود. انتزع سلاحه بسبب كرم ابن عمه وبعد نظره ثم أصبح من أخلص أتباعه.

باءت بالفشل وتم التخلي عنها وكان توزع الهجرات يتطابق مع مناطق تنقل القبائل. ومن البديهي أن سكان المستوطنات الجديدة لم يكونوا يمارسون الزراعة وتربية النخيل فقط. بل كان رعاة مستوطنات الأخوان يتنقلون في البوادي بحثاً عن المراعي كما كان يفعل رعاة الواحات القديمة.

مضت سنتا 1911م و1912م بهدوء. فلم يترك عبد العزيز آل سعود الشيخ مبارك يورطه في حرب جديدة ضد المنتفق، ولم يرد على استفزازات الشريف حسين الذي كان يدعم العرايف ضده. ولكنه كان عليه أن يضرب إذا ما أراد إعادة الاعتبار لهيبته المتضعضعة. ولقد ضرب فعلاً في مكان لم يكن يتوقعه أحد: في الحسا التركية. كانت علاقاته مع الأمبراطورية العثمانية منذ عام 1906م غير سيئة: فقد منحه السلطان عبد الحميد لقب باشا، واستمرت الحكومة التركية الجديدة في دفع المعونة الصغيرة لوالده والتي كانت قد خصصتها له عام 1891م. ولكن منذ عام 1911م كان عبد العزيز منزعجاً من تقديم متصرف الأحساء الحماية لعجمان الذين صاروا بقيادة أحد أقربائه يهددون أمن البلاد. إلا أن الشيء الحاسم كان العجز الدائم في خزينته الأمر الذي أراد وضع حد له بالاستيلاء على أغنى واحة في شمال الجزيرة العربية. ولذلك قام في أبريل/ نيسان 1913م باحتلال مفاجىء لقلعة الهفوف وأرغم الأتراك، الذين أخذوا على حين غرة، على الانسحاب إلى الساحل. ومن هناك نقلوا مع حاميتي قطيف والعجير «العقير» بالسفينة إلى البحرين. ولم تتمكن الأمبراطورية العثمانية من الرد بسبب انشغالها في حرب البلقان. بل إن الحكومة أرسلت إلى عبد العزيز في ربيع 1914م لجنة مهمتها إبلاغه بتنصيبه والياً على نجد ووعده بتزويده بالمال والسلاح. لم يرفض عبد العزيز هذه البادرة الطيبة لكنه بدأ بعد ذلك بوقت قصير بالتفاوض مع المندوب السياسي في الكويت، النقيب ف. إتش. جي. شكسبير، حول عقد حلف مع بريطانيا.

عندما بدأت الحرب العالمية الأولى حاول الباب العالي، حرصاً على نجاح هجومه المرتقب على مصر، تحقيق السلام فيما بين الأطراف المختلفة في شبه

الجزيرة العربية. ولكن هذه المحاولة جاءت متأخرة. فقد كان ابن رشيد الذي زوده الأتراك بالسلاح متلهفاً للهجوم على آل سعود، وكان شكسبير، الذي أرسله السير برسي كوكس المستشار السياسي لقوات الرافدين «العراق»، إلى الرياض ومنحه كامل الصلاحيات، يلح على عبد العزيز آل سعود كي يبدأ الهجوم. وهكذا اصطدم الجيشان عند جراب (أجراب) في الكثبان الرملية شمالي زلفي. وكان النصر حليف شمر وسقط شكسبير إلى جانب المدفع الوحيد الذي أرسله عبد العزيز إلى ساحة المعركة، وانشق العجمان عن عبد العزيز (نهاية يناير/ كانون الثاني 1915م). وعلى إثر ذلك عقد صلح رخيص على أساس المحافظة على الوضع القائم.

صحيح أن عبد العزيز قبل في نهاية عام 1915م بحماية إنجليزية مستورة، ولكنه لم يلبّ طلب الإنجليز بالهجوم على ابن رشيد. ولم يبدأ بعملياته العسكرية إلا في سبتمبر/ أيلول 1918م حيث هاجم مملكة شمر التي كانت قد ضعفت بسبب انفصال بعض المشايخ، إلا أنه تحاشى الدخول في معارك طويلة لأنه لم يكن يريد التضحية بجيشه بسبب الوضع المتأزم على حدود الحجاز (انظر الجزء الثاني ص612) ظل منتظراً إلى أن أجبره ترشيح فيصل لعرش العراق على الهجوم في صيف عام 1921م، وذلك خوفاً من أن يؤدي تولي فيصل عرش العراق إلى تقوية ابن رشيد. وفي الثاني من نوفمبر/ تشرين الثاني سقطت حايل «حائل».

وهكذا تهدم السد الذين كان يحول دون عبور الوهابيين الجدد نحو بلدان الشمال الموعودة. وتدفق الأخوان إلى منطقتي الانتداب البريطاني في العراق وشرقي الأردن. وفي عام 1925م ساد الهدوء على الحدود العراقية. ولكن في صيف 1927م وقعت هناك اشتباكات جديدة؛ وفي الخريف والشتاء قاد فيصل بن دويش، الذي كان في هذه الأثناء قد أصبح أمير الأرطاوية، الأخوان ثلاث مرات عبر الحدود وضد إرادة الملك[1]. فردت القوات الملكية البريطانية على ذلك

(1) منذ فبراير/ شباط 1927م أصبح عبد العزيز آل سعود يحمل لقب: ملك الحجاز ونجد والمناطق التابعة لها.

بقصف جوي. وتمكن الملك، الذي لم يكن يريد بأي حال الانجرار إلى حرب إلا بعد ضبط الأخوان بالإشارة إلى المفاوضات المرتقبة مع بريطانيا. لكن المفاوضات فشلت في بادىء الأمر. عندئذ لم يعد هناك ما يوقف الرجلين الشرسين فيصل بن دويش وسلطان بن بجاد بن حميد، أمير غطغط. فأعلنا عصيانهما على الملك، لكنهما هزما في أبريل/ نيسان 1929م عند سبله (قرب الأرطاوية). إلا أنَّ الثورة اندلعت مجدداً في الصيف، وهذه المرة عند عجمان في حصا الذين لم يخضعوا أبداً خضوعاً كاملاً. كما أن المطير والعتيبة تحركوا من جديد. وبعد حرب صغيرة طويلة قضي على آخر المتمردين في نهاية العام على حدود البلدان الثلاثة.

منذ ذلك الحين نشأت جزيرة عربية جديدة دخلت إليها التكنولوجيا. فقد أخرج النفط في الكويت والظهران وقطر الذي بدأ استخراجه في العقد الماضي، وإعادة استثمار منجم الذهب القديم، معادن بني سليم، رغم الصعوبات التقنية الكبيرة، وشبكات الري في خرج وأفلاج، أخرجت البلاد من تخلفها الاقتصادي. وانحسر النفوذ الإنجليزي أمام النفوذ الأمريكي[1].

على الرغم من هذه التغيرات ستبقى نجد بلد الرعاة المتنقلين؛ لأنه صحراءه الرملية والصخرية لا يمكن استغلالها إلا بهذه الطريقة. إلا أن أيام البدو، أي القبائل الرُحّل، صارت معدودة. لكن عادات البدو وتقاليدهم ستبقى زمناً طويلاً تتوارثها أجيال السكان المستقرين، كما بقيت حية لدى المستوطنين القدامى.

يدور تاريخ البدو في داخل الجزيرة العربية حول موضوعين اثنين فقط هما: هجرة القبائل وترحالها. وقد كانت الحاجة هي التي جعلت هذه الحركة تبقى مستمرة دون توقف: فعندما تضيق المراعي أو الواحات يطرد القوي الضعيف، وغالباً أحد فروع القبيلة فرعاً آخر. وهدف الهجرة هو "الهلال الخصيب"، بلاد

(1) وصف هذه المرحلة الحديثة من تاريخ الجزيرة العربية ك. س. تويتشل، في كتابه: العربية السعودية، برينستون 1947.

الميعاد في الشمال. أما أصلها فيحتاج إلى البحث. ويجري تسريعها بسبب الرغبة في توسيع الكيانات الدينية والسياسية. وقد حوّل الإسلام التدفق البطيء للقبائل إلى تيار جارف من الهجرة الجماعية. وساهم في ذلك أيضاً، إنما بقدر أقل، مملكة كندة والحركة القرمطية والحركة الوهابية.

عند مقارنة خريطة القبائل في عام 600م مع خريطتها في عام 1900م يبدو لنا للوهلة الأولى تكرر اسمين اثنين فقط هما: تميم وعنزة. وكلاهما من القبائل المستقرة (عنزة الرُحّل ليسوا موضوع بحثنا هنا)، تميم منتشرة إلى خارج منطقة إقامتها القديمة، والعنزة في واحتين فقط هما: حريق وهدار. وعند تدقيق النظر نعثر على اسمين آخرين هما: شمر وربيعة؛ إذ تحت اسم شمر تنطوي أيضاً طي التي بقيت في جبال موطنها الأصلي، بينما ربيعة هي استمرار لتعبير نسب قديم يشمل بقايا بكر المستقرين وأقرباءهم أما جميع الأسماء الأخرين فهي جديدة. ومن المفهوم أن القبائل التي تحمل هذه الأسماء قد استقبلت بقايا قبائل أقدم، ولكن فيما عدا ذلك فإن القبائل الأحدث هي من المهاجرين أو إن الدافع إلى تشكيلها قد جاء من الغرباء. فمن أين جاءت القبائل الجديدة؟ ضفير، وحرب، ومطير، وعتيبة، من الحجاز، قحطان، وبني هاجر، ومرّة، وعجمان، والدواسر، من المناطق الممتدة على السفوح الشرقية للسراة، أي من عسير ونجران والجوف الجنوبي كما أن حرب أيضاً يعود أصلهم إلى السراة، ومن القبائل العربية القديمة التي يرد ذكرها في هذا الفصل ينحدر من هناك كل من طي وإياد.

وهذا يعني، كما يبدو، أن هذه المنطقة الجبلية يتشكل فيها منذ قديم الزمان فائض سكاني يجبر بين حين وآخر جزءاً من السكان على الهجرة ويتجه طريق الهجرة الرئيسي من هناك إلى الشمال الشرقي بمحاذاة الطويق الجنوبي. وقد رحل الدواسر أنفسهم عبر واديهم إلى المنطقة المرتفعة، ورحل مرّة على هذا الجانب من السلسلة الجبلية إلى الربع الخالي، ورحل قحطان على الجانب الآخر إلى قوس الطويق. ووصلت أجزاء من هذه القبائل إلى شرقي الجزيرة العربية حيث حل أيضاً

بني هاجر والعجمان. ويندر أن سلك أحد الطريق إلى الشمال الغربي، وقد كان هناك ظرف خاص، انسحاب خزاعة، هو الذي جعل حرب تذهب إلى جبال الحجاز الجرداء الواقعة بين مكة والمدينة. فالشمال الشرقي يبقى في الحجاز أيضاً الاتجاه الرئيسي للمهاجرين. فقد خرج من رنية وخرمة قبيلتا السبيع والسهول إلى العارض والجزء الشمالي من الطريق، وخرج من الطائف العتيبة حتى القصيم، ومن الحرّات المطير الذين وصلوا إلى ما قبل الكويت. واتبع حرب مسار وادي الرمة حتى الرمل. أما إلى الشمال من المدينة فلا يوجد اتجاه موحد للهجرة. هنا كانت تتقاطع طرق تتجه من جبل شمر نحو الغرب مع طرق تتجه نحو الشرق، حسبما رأينا في الجزء الثاني ص475، 476. وهنا ينفتح أيضاً أحد المعبرين المؤديين من الجزيرة العربية إلى "هلال الخصيب" البلدان المجاورة. أما المعبر الثاني فينفتح شرقي جبل شمر. في هذا المعبر تصب جميع طرق الهجرة المؤدية إلى الشمال الشرقي. وقد سلكت هذا الطريق كل من تنوخ وإياد، وبكر وتغلب، وخفاجة والمنتفق، وبنو لام والغازية، وشمر والعمارات، متجهة إلى العراق أو إلى سورية ومنطقة ما بين النهرين العليا(*).

وكما هو الحال مع أسماء القبائل الرحالة فإن أسماء القبائل المستقرة أيضاً، تميم، وبنو زيد، وعايد، وفضول، تغطي بقايا جماعات عزيبة؛ إذ إن الضعفاء ينضمون إلى الأقوياء عند الرُحّل والمستوطنين على حد سواء. ونذكر من الغرباء الزنوج فقط الموجودين في خرمة وتربة على طريق الحج الرياض ـ مكة وفي بعض الواحات الموجودة جنوبي الطويق من وادي الدواسر حتى حاير.

في الجزء الرابع سنعالج قبائل الشرارات والحوازم وبعض قبائل الجزيرة العربية الصغيرة وكذلك بعض القبائل المنتشرة في المناطق المجاورة شمال الجزيرة العربية. وكذلك قبائل الباريا من هتيم وصلبّة وبني خضير.

(*) راجع الهامش بخصوص تسمية العراق وبلاد الرافدين ص251 من هذا الجزء. (ماجد شبّر).

القبائل مصنفة من الشمال نحو الجنوب ومن الغرب نحو الشرق مبتدئين بقبائل نجد ثم قبائل شرقي الجزيرة العربية. وقد يثير الاستغراب أن نجد على رأس قبائل شرقي الجزيرة بني عقيل لأن جماعة بهذا الاسم موجودة في العراق (وفي أماكن أخرى) ولكن غير موجودة في نجد. وقد ارتأينا أنه من الأفضل فصل المقال لأنه يتعلق في قسمه الأول بالجزيرة العربية حصراً. وفي النهاية تأتي القبائل المستقرة.

شمّر

لم تكن شمّر نجد حتى وقت قريب، قبيلة بدوية فحسب، وإنما كانت دولة، هي دولة شمّر في حائل، إلا أنه ينبغي الفصل فيما بين القبيلة وبين الدولة، لأن حدود الاثنتين لا تتطابق بأي حال. فقد امتدت الدولة لبعض الوقت على كامل شمال ووسط الجزيرة، في حين اقتصرت منطقة القبيلة على الشمال.

لم تصل هذه المنطقة في الشمال، والغرب، والجنوب، لأبعد من جبال أجا وسلمى المعروفة تحت اسم الجبل (جبل شمّر). وتشمل صحراء النفود في الشمال، وتنتهي في الغرب قبل سلسلة جبال المسما[1]، وفي الجنوب عند قريتي (قصر) السليمي والسميرا. أما في الشمال الشرقي فتمتد حتى الفرات تقريباً، حيث تكون القبيلة بتماس مباشر ودائم مع شمّر في بلاد ما بين النهرين.

تنقسم شمّر نجد إلى أربعة أقسام هي: العبدة، تومان، سنجارة، أسلم[2]. تتحرك العبده من (أجا) قرب موقاق نحو الشرق حتى طريق حج الكوفة القديم، قرب أجفر وعلى امتداد هذه الطريق عبر زرود والخضرا (قرب ثعلبية) إلى لينة.

---

(1) يتبع نبع الماء "بيضة نثيل" ولد سليمان (عنزة)، الجزء الثاني ص 498.

(2) حول نسبهم انظر الجزء الأول ص 246 وما بعدها. هناك تصحيح ص 157، لما أورده هوبر، من اسم محمد الحارثي إلى محمد الحريثي؛ العزاوي عشائر العراق ج1، ص 183، 189، 191. محمد بن حريث.

وتتبع لهم في النفود آبار الروض قرب جبّة، والتيّم، ومرفي، والأطوا، والخريزي؛ وشمال حائل قرية الوقيد، وعند أسفل جبل سلمى واحة عدوة الصغيرة. لكن الدغيرات (1، ط ـ م) يقعون في مكان أبعد إلى الجنوب من قصر العشروات عبر المستجدة والروضة حتى سليمي.

تمتد منطقة تنقل السنجارة من سهل الغوطة (على هذا الجانب من المسما) إلى السفح الشمالي الغربي للأجا ثم عبر النفود عن طريق جبّه وحيّانية إلى منطقة الحزول الغنية بالمياه. وهذا يعني أنها تتقاطع جزئياً مع منطقة العبدة. وتقضي مجموعة من السنجارة الشتاء في الباطن، وتذهب في أول الصيف إلى أبا ألروات جنوب شرق الجوف، وفي عز الصيف إلى الحزول، وفي الخريف إلى الفرات.

يملك الأسلم، السلمى، مع قريتي سبعان وطابا، ومحطة الحجاج السابقة فيد. وهم يتنقلون من هنا إلى القصيم وإلى الباطن.

أما التومان فيخيمون عادة في موقع منفصل عن بقية شمر. وتمتد منطقة تنقلهم من شبتسة شمال واقيصا على امتداد طريق الحج درب الست زينب إلى العراق. ولكنهم يذهبون في بعض الأحيان إلى الجبل وتسرح قطعانهم هناك تحت حماية العبده والأسلم[1].

صحيح أن معظم سكان الجبل المستقرين ينتمون إلى تميم، ولكن عدد الشمّر الذين يعيشون هناك مستقرين أو شبه مستقرين ليس قليلاً. فقد وجد فالين عام 1845م في واحة الجبّة 170 عائلة من فرع السنجارة الرمال (3 أ ا)، الذين يعيشون إلى حد كبير من تربية الإبل بحيث يسلّمون قطعانهم لإخوانهم الرحل من القبيلة أو يتركونها ترعى في الأماكن القريبة المجاورة. ووجد في القنا، في الطرف الجنوبي للنفود، 50 عائلة من الرمال، وفي اللقيطة، عند أسفل الجهة الشمالية الشرقية من الأجا، 120 عائلة من شمر. ومنذئذ تراجعت هذه المستوطنات تراجعاً كبيراً. فقد

(1) جورماني (1864م)، العادات النجدية، 180 وما بعدها؛ هوبر (1883 ـ 1884م)، جورنال، 200، 381؛ موزيل (1915م)، شمال الحجاز، 7، 32 وما بعدها، 66، 67، 81، 149.

وجد موزيل 20 بيتاً فقط. وموقاق، التي تراجعت كثيراً أيضاً[1]، يشكل الغفلية، قبيلة فرعية من السنجارة (3 أ)، نصف سكانها. وفي الشرق يشكل الجعفر (عبدة 1 ل) نصف سكان البقعا التي يوجد فيها أكثر من 40 بيتاً. وفي الجنوب يسكن شمر في الغزالة[2] وسليمي (12 بيتاً). وفي الروضة يعيش بين تميم بعض الدغيرات. وتقوم أسلم في فصل الشتاء بزراعة بعض الأراضي قرب فيد التي تغادرها في الربيع ثم تعود إليها في موسم الحصاد، وكذلك الحال مع سميرا[3]. ومن الطبيعي أن شمر يقيمون أيضاً في عاصمة جبل شمر في حايل «حائل».

لا تتحدد علاقة شمّر بجيرانها، سواء القريبين منهم أو البعيدين، وهم عنزة في الشمال والغرب، وحرب في الجنوب، والمطير في الجنوب الشرقي، والضفير في الشمال الشرقي، لا تتحدّد من خلال السياسة القبلية، وإنما من خلال السياسة العامة للدولة. فقط بالنسبة للعلاقة مع عنزة كان هناك دور هام لعلاقة العداوة المتأصلة بين شمّر وعنزة في الفترة السابقة لإنشاء الدولة. لقد تم الحفاظ على تماسك قبيلة شمّر، ودولة شمّر، من خلال الدور الذي قامت به عائلة ابن الرشيد، التي جمع زعيمها في يده بين منصب أمير الجبل، ومنصب الشيخ الأكبر للقبيلة. تم الاستيلاء على الجبل في العام 1201هـ/ 1787م، من قبل الوهابيين، ولكن اعتناق هذا المذهب لم يكن نهائياً، الأمر الذي تم بصورة كاملة إثر معركة عدوا (1791م) وانسحاب شمّر الجرباء نحو العراق (الجزء الأول، 220)، وبالتحديد إبان الحملة التي شارك فيها أهالي الجبل[4]، ضد واحة الجوف في العام (1208هـ/ 1793م).

---

(1) 1915 حوالى 20 بيتاً، يوتنغ 1884، 2، 3. يقدر عدد السكان بـ 1000 ـ 1200. أما والين فيقدره بـ 220 عائلة (1845).

(2) والين: 200 عائلة، موزيل 25 بيتاً، وكلاهما معلومات شفوية.

(3) والين JRGS1854، ص 162، 166، 174، 204 وما بعدها جورماني، ص 181، دوتي (1878)، جـ 2 ص 258، هوبر جورنال ص 186، 605، 684، شمال نجد ص 72، 93، 149.

(4) روضة الأفكار، جـ 2، تحت عامي 1201 و1208، انظر منغين، تاريخ مصر، جـ 2 ص 496، 508.

لا نعرف شيئاً عن إدارة المنطقة في البداية. أما في وقت لاحق فقد كانت في يد عائلة ابن علي من فرع جعفر من العبدة. حكم بنو علي الجبل حتى سقوط الدولة الوهابية (1818م) كحكام تابعين لآل سعود وبعد ذلك كأتباع للحكم المصري التركي. وفي عام 1827م أجبرهم تركي، مجدد الدولة الوهابية، على الالتحاق بالجيش، وفي عام 1834م عزلهم ابنه فيصل. فحلت محلهم عائلة ابن رشيد[1] التي تربطها بهم صلة قربى. صحيح أن أحد أبناء علي (عيسى) تمكن عام 1838م بمساعدة المصريين الأتراك من الدخول إلى حائل مرة أخرى، إلا أنه اضطر في العام التالي إلى التخلي عنها لخصمه عبد الله بن رشيد الذي عرف كيف يتغلب عليه عند الغرباء. وقد نجح عبد الله (1835م ـ 1837؛ 1838 ـ 1847م) في إعادة السلام والهدوء إلى منطقة الجبل. وقام بعدة غزوات ضد واحة الجوف انتهت بإجبارها عام 1838م على دفع ضريبة الزكاة التي أعاد الوهابيون فرضها. وبنفس الطريقة مهد الطريق لإخضاع حرب[2].

قام ابنه طلال (1847م ـ 1868م) باحتلال الجوف، عندما رفضت دفع الضريبة، وكل من واحة تيما، وخيبر[3]، وحايط، وحويّط في الغرب. وبذلك

(1) نذكر من المراجع التي تتحدث عن تاريخ ابن رشيد تقارير محمد البسام (1906م ـ 1915)التي عالجها ماكس فرايهرفون أوبنهايم في كتيب نشر عام 1918م عن تطور علاقات السلطة في شمال الجزيرة العربية، وكذلك موجزاً للأحداث بين عامي 1915م و1924م ولبعض الأحداث قبل عام 1906م. وقد تبنى محمد البسام روايات ووجهات نظر آل الرشيد. وينطبق هذا أيضاً على فصل «تاريخ بيت ابن رشيد» في كتاب موزيل "شمال نجد". ولكن منذ عام 1910م فإن موزيل تأثر بروايات الشعلان (شيخ عنزة الرولة) المنحازة بالتأكيد وبتجاربه الشخصية المزعجة. ومن الواضح تماماً أن فيلبي يعتمد على موزيل في فصل بيت ابن رشيد، من كتابه (آرابيا)، الذي يصل إلى عام 1897م، إلا أنه يصححه ويكمله في بعض المواقع، وخاصة اعتباراً من الصفحة 149، استناداً إلى الرواية السعودية كما ترد ـ مع بعض التحويرات السطحية البسيطة ـ عند الريحاني، تاريخ نجد. أما مقالة مورتمان "ابن رشيد" في EI، المقتضبة ولكن الغنية بالمعلومات، فتعتمد إلى حد كبير على تقارير الرحالة.

(2) كانوا عام 1864م مازالوا مرتبطين بآل سعود، جوماني، 189.

(3) احتل تيما في العام الأول من حكمه، انظر فالين (1848م) JRGS 1851، 324. أما محاولة

أصبحت قبائل هذه المنطقة أيضاً، عنزة الحجاز، خاضعة لابن رشيد وحتى البلي على الجانب الآخر من طريق الحج رأت أنه من الأفضل لها دفع الزكاة؛ الجزء الثاني ص493 و499.

في عهد أخي طلال، محمد (1869 ـ 1897م) ، أصبح آل الرشيد أقوى قوة في وسط الجزيرة العربية. وبينما كان أسلافه يعترفون بسيادة آل سعود، بأن يقدموا لهم بين حين وآخر خدمات عسكرية ويرسلوا لهم حصة من الغنائم ومن رسوم الحج[1] أو على الأقل هدية رمزية مؤلفة من بعض الخيول، فإن محمد رأى نفسه، وخاصة بسبب الخلافات التي حدثت بين أبناء فيصل بن تركي بعد وفاته (1865م)[2]، في حل من كل التزام تجاه آل سعود. وعندما حاول الوريث الشرعي عبد الله بن فيصل عام 1874م إخضاع الشمال من جديد اندلعت الحرب. وكانت النتيجة أن عبد الله خسر المعركة قبل أن تبدأ ثم خسرها بعد ذلك فعلاً[3]. ففي عام 1885م احتل محمد بن رشيد الرياض لفترة مؤقتة ثم احتلها نهائياً عام 1891م[4].

وهكذا أصبحت منطقة حكمه تمتد من حوران وتدمر في الشمال وحتى حدود جنوبي شبه الجزيرة العربية. وحسب تقاليد عائلته فقد كان يحرص على بقاء علاقاته جيدة مع السلطان ومع السلطات التركية في البلدان المجاورة لشبه الجزيرة العربية.

الأتراك الاستيلاء على الجوف فقد أدت إلى احتلالها فترة قصيرة فقط (1870م)، وأما خيبر فقد كانت تركية من 1874م حتى بداية الثمانينيات.

(1) فالين، JRGS 1854، 181.

(2) يضع فيلبي، بلاد العرب، 119، 145، تاريخ وفاة فيصل في عام 1867 وتاريخ وفاة ابنه سعود في عام 1877م. ولكن هذا خطأ.

(3) تختلف الروايات الرشيدية والسعودية حول تسلسل معركتي عروا (1883م) وحمادة. معركة حمادة وقعت بالتأكيد في مارس/ آذار 1884م؛ أو يتنغ، الجزء الثاني، 226.

(4) في عرض هذه الأحداث، التي رويناها بالتفصيل في الصفحة 30 من هذا الجزء، تتطابق أقوال محمد البسام مع أقوال فيلبي. أما موزيل فيختلف عنهما كثيراً، ومن الصعب أن يكون صحيحاً.

إلا أن ابن أخيه، عبد العزيز (1897م ـ 1906م) أضاع هذه المملكة الواسعة فقد دخل، خلافاً لنصيحة عمه الذي كان على فراش الموت، في حرب لا معنى لها مع الكويت التي كانت محمية من جهة الغرب بحلف مع المنتفق ومن جهة الشرق مع العجمان، وكانت علاوة على ذلك مغطاة منذ عام 1899م بمعاهدة مع بريطانيا. صحيح أنه حقق في ربيع 1901م نصراً باهراً في منطقة الكثبان الرملية بين الطرفية وصريف وتقدم حتى الجهرا الواقعة على خليج الكويت، ولكن سفينة حربية انجليزية أوقفته هناك. وعندما كان في الخريف متوقفاً في حفر الباطن تحرك الشاب عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود لتنفيذ تلك العملية التاريخية التي كان من شأنها أن تشكل فاتحة حقبة جديدة في تاريخ الجزيرة العربية. ففي ليلة 15 ـ 16 يناير/ كانون الثاني 1902م دخل مع حفنة من الرجال إلى مدينة الرياض وأعلن نفسه في صبيحة اليوم التالي سيداً لها. بعد شيء من التردد قرر عبد العزيز بن رشيد مواجهة الموقف لكن الحملة العسكرية التي قادته حتى خرج لم تسفر عن أي نتيجة.

في الربيع التالي بدأت لعبة قط وفأر بين الرجلين المتشابهين بالاسم: توجه عبد العزيز آل سعود إلى الكويت التي هددها مرة أخرى عبد العزيز بن رشيد وفجأة قطع ابن رشيد توقفه في حفر ووصل بعد مسيرة هائلة خلال بضعة أيام إلى مشارف الرياض. فتصدى آل سعود لهذه الضربة بأن تحرك إلى القصيم ثم انعطف إلى الوشم واحتل أهم واحات هذه المنطقة قبل أن يتمكن ابن رشيد من الوصول إلى هناك. ثم تبعه بعد ذلك إلى سدير، فانسحب ابن رشيد إلى القصيم. كان واضحاً له أن الجنوب قد ضاع منه. وفي ربيع 1904م احتل ابن سعود، رغم المقاومة الباسلة للقوات الرشيدية، سرّ والقصيم، بينما نصب ابن رشيد معسكره بعيداً إلى الشمال مقابل سماوة لكي يتظاهر بالقوة أمام الأتراك الذين كانوا يزودونه سراً بالمال والسلاح منذ الحرب مع الكويت. فطلب منهم الآن معونة عسكرية أيضاً. وبالفعل جاء دعم عسكري تركي ولكنه ظل دون تأثير. ذلك أن القوات التركية غير القادرة على تحمل الظروف المناخية السائدة هناك انسحبت بعد عامين ونصف من القصيم حيث كانت قد حققت مرة واحدة فقط (يونيو/ حزيران 1904م قرب البكيرية)

نصف انتصار[1]. وفي هذه الأثناء كان عبد العزيز بن رشيد قد سقط (أبريل/ نيسان 1906م) في إحدى المعارك الصغيرة. وبذلك انتهت حياة رجل كان محارباً عظيماً ولكنه لا يملك بعد النظر السياسي ولا موهبة كسب قلوب الناس وتأييدهم.

حفلت السنوات التالية، بمجموعة من الاغتيالات، التي طالت عدداً من أفراد أسرة الرشيد، حيث اغتال بعضهم البعض. وظل الأمر كذلك إلى أن تولى حمود ابن سبهان الذكي، الوصاية على الأمير سعود، ذي الثمانية أعوام في حائل (خريف 1908م)، حيث تم تثبيت الوضع الداخلي. وبعد مفاوضات فاشلة[2] تابع حمود الحرب مع آل سعود، تلك الحرب التي كانت قد توقفت في ربيع 1908م بسلام هش.

صحيح أن ابن عمه زامل بن سبهان النشيط أيضاً، والذي حل محله، بعد بضعة شهور، كوصي على الأمير الصغير[3]، لم يستطع الحيلولة دون نجاح عنزة في احتلال الجوف، أو احتلال تيماء من قبل الأتراك 1909م، لكنه استطاع هزيمة عنزة في الميدان سنة (1910م)، (انظر الجزء الأول، ص173 وما بعدها) وبما أن المشاكل والصعوبات الداخلية والخارجية التي حاقت بآل سعود في الوقت نفسه جعلتهم، مشلولين وعاجزين عن اتخاذ القرارات الحاسمة، اغتنم زامل الفرصة، لكي يعقد معهم سلماً ملائماً[4]. وبذلك تمكن من إخضاع تيماء مرة أخرى، وكذلك، عنزة الحجاز، التي كانت إبان ذلك، قد ارتبطت بالأتراك. وقد دفع احتلال آل سعود في سنة 1913م، لمنطقة الأحساء، بالأتراك، لدعم ابن الرشيد.

---

(1) انظر حسين حسني، نجد قيت عسونن أحوالي عمومیسي (باللغة التركية)، اسطنبول 1328هـ.

(2) كان لابن الرشيد فقط حق فرض الضريبة على شمّر، وكان عليه أن يقدم لابن سعود واجبات الجيش.

(3) معلومات موزيل (وفيلبي) حول موت حمود مسموماً غير صحيحة.

(4) استعاد ابن رشيد حق جباية الضرائب من حرب، وهتيم، وولد سليمان، وبني عبد الله (مطير)، وأصبح مستقلاً سياسياً وعسكرياً. إن موزيل يخلط بين هذه الشروط وشروط صلح عام 1908م الذي لا يرد له ذكر عنده.

ولكن بعد وقت قصير من وصول السلاح والمال إلى حائل فقد زامل ثقة الأمير الصغير، وتمّ قتله بعد ذلك، على يد أحد الأقارب: سعود بن صالح بن سبهان في ربيع (1914م)، وآلت مقاليد الأمور إلى القاتل، إلا أنه فشل في انتزاع الثقة في البلاد، ومن القبائل، بينما ظل على ولائه وإخلاصه للأتراك.

اشتبك ابن رشيد وابن سعود من جديد، بعد دخول الأتراك الحرب العالمية، وبالقرب من جراب، شمال الزلفي، استطاع الشمّريون في نهاية (كانون الثاني 1915م) إحراز نصر مؤزر، على عبد العزيز آل سعود. وتوسط ثلاثة من شيوخ شمّر، هم: ضاري بن طوالة من أسلم، ووادي بن علي وابن جبرين من عبده، لعقد سلم رخيص على أساس الوضع القائم. وقد بدا ظاهرياً أن دولة شمّر قد ترسخت جذورها مرة أخرى، إلا أنها، في واقع الحال، كانت تتفكك شيئاً فشيئاً. وبعد الإطاحة بسعود بن سبهان في نهاية سنة 1916م، وهروبه من حائل[1]، بدا الانقسام العلني بين فروع شمّر. ذهب ضاري بن طوالة، مثل ابن سبهان، في سنة (1917م)، إلى الإنكليز، بينما ذهب ابن جبرين إلى آل سعود، وسعى شيوخ آخرون إلى طلب الحماية لدى نواف سيد الجوف. أما الأمير الشاب سعود الذي كان واقعاً، منذ هروب سعود بن سبهان تحت تأثير والد زوجته، عقاب بن عجل فقد ذهب، في صيف (1917م)، بناءً على طلب الأتراك مع حاشيته إلى مدائن صالح الواقعة على سكة القطار الحجازي. وعاد بعد عام إلى الجبل. وفي عام (1918م)، بدأ آل سعود أخيراً، الهجوم الذي كان الإنكليز يحثونه على القيام به، منذ وقت طويل. وتمكن من هزيمة الشمّريين، في ياطب غير البعيدة عن حائل، إلا أنه لم يجرؤ على حصار حائل، ولا على مهاجمة ابن رشيد، الذي كان موجوداً في البقعا. منحت الحرب التي اندلعت عقب ذلك، فيما بين آل سعود، والشريف حسين في مكة، دولة شمّر فترة هدوء قصيرة، وتمكنت في بداية عام 1920م من السيطرة مجدداً على الجوف،

(1) حسب موزيل حاول إسقاط آل رشيد. ولكن هذا الخبر يبدو لي مشكوكاً فيه. وفيلبي، الذي كان في السابق (الجزء الأول، 249) قد أصدر حكماً حاداً جداً ضد سعود السبهان، غيّر رأيه في وقت لاحق (آرابيا بلاد العرب، 277).

وذلك بواسطة السلاح الذي زوّدها به الشريف حسين.

في هذا الوقت عاد مسلسل الاغتيالات ليذر قرنه فيما بين أفراد عائلة الرشيد من جديد. فقد تمّ قتل الأمير سعود أثناء إحدى الرحلات، على يد واحد من أقربائه، ثم قام عبد المقتول بقتل القاتل.

ومن بين الرجلين الأكبر سناً في أسرة آل رشيد اللذين كانا على قيد الحياة تولى أحدهما، عبد الله، الحكم، بينما زج الآخر، محمد، وهو أخو القاتل، في السجن. ومرة أخرى لاح بريق من الأمل وذلك لأن رجالاً ذوي نفوذ واسع وقفوا في كل من بغداد ولندن إلى جانب آل رشيد. وفي الوقت نفسه رشح فيصل لتولي عرش العراق. فيصل ابن الملك حسين في بغداد! هذا ما كان بمقدوره إنقاذ دولة شمّر! إلا أن هذه الإمكانية بالذات هي التي جعلت عبد العزيز آل سعود يقرر القضاء على ابن رشيد، إذ تقدمت قواته في تموز (1921م) إلى الجبل. وبما أن عبد اللّه بن الرشيد، لم يكن على مستوى الحدث، فقد أرغم من قبل مجموعة قوية على الإفراج عن محمد بن رشيد الموجود في السجن. وقد فرّ بعد ذلك، بوقت قصير، خشية على حياته، إلى آل سعود، واستلم محمد الحكم. وقد اتجه ضد المطير الذين كانوا يعسكرون بألفي رجل في جطامية. ووصل عبد العزيز آل سعود في الوقت المناسب، لكي يحسم الصراع لصالحه. ثم بدأ بعد ذلك بمحاصرة حائل. وفي 2 نوفمبر/ تشرين الثاني استسلم محمد بن رشيد للمنتصر.

"لقد قام عبد اللّه وأخوه عبيد بتأسيس دولة ابن الرشيد، ثم قام عبد اللّه وابن عمه محمد بهدمها، ولقد ساد الرخاء والسرور أثناء حكمهم في البلاد، وجادت السماء بمطر غزير، وأينعت الأرض بالحبوب الوفيرة"[1].

منذ ذلك الوقت أصبحت إدارة الجبل في يد موظفين تابعين لآل سعود، بينما عادت المرتبة الأولى بين شيوخ شمّر إلى أسرة ابن علي.

(1) بهذه العبارات يختتم محمد البسام تقريره عن عائلة ابن رشيد.

ابن الرشيد، عائلة شيوخ شمّر

تختلف مكانة آل الرشيد كثيراً عن مكانة خصومهم آل سعود. فلم يكونوا مجرد أمراء واحات فقط، مضطرين إلى الاعتماد على مساعدة البدو غير المضمونين[1]، وإنما كانوا هم أنفسهم زعماء قبيلة يمكنهم الاعتماد عليها حتماً.

هذه الحقيقة وحدها، تجعل من المفهوم كيف استطاع أمراء جبل شمّر الصغير وذي الكثافة السكانية المنخفضة[2]، إخضاع سادة المناطق الغنية في الجنوب، والتصدي لهم حتى في مرحلة السقوط طيلة عقدين من الزمن تقريباً.

يحمل زعيم العائلة لقب شيخ المشايخ. وشأنهم شأن غيرهم من زعماء البدو الكبار، وغيرهم من الأمراء العرب، يقومون بحماية أنفسهم على يد حرس خاص، يتكون من العبيد السود المحررين، ومع عبد الله مؤسس العائلة، كان الحرس يتألف من أتراك ومصريين فارين من الخدمة العسكرية وقد تم استبدالهم فيما بعد، بمجموعة من الرجال الفتيان المتطوعين (رجاجيل)، كان بعضهم أيضاً من الغرباء.

---

(1) هذا مع استثناء إعادة إحياء أفكار دولة الوهابيين وتطبيقها العملي على حركة الأخوان منذ 1912م.

(2) يقدر دوتي عدد السكان المستقرين في الجبل بما في ذلك واحات الجوف وتيماء بـ 20,000 شخص. وأنا لا اعتقد (مثل فيلبي ـ بلاد العرب 196)، بأن هذا الرقم أقل من الواقع. إذ إن فالين يقدر العدد بدون المواقع الخارجية بألفي عائلة. إن حايل التي توسعت منذ ذلك الوقت كثيراً على حساب بقية المستوطنات كانت تضم آنذاك بـ 200 بيت. وقد قدر فيلبي عدد سكانها 20000 ألفاً وتويشل بعشرة آلاف.

في حين، شكل أبناء حائل والقوى المجاورة، النواة الرئيسية للجيش. في البداية، كانت تتم دعوتهم قبيل الحملة العسكرية، وكان يتعيّن عليهم توفير السلاح لأنفسهم بينما كان المقاتلون البدو يزودون بالسلاح والحيوانات والتموين من لدن الأمراء، ويعفون من الضرائب[1].

كانت قوة الجيش تتشكل من أربعمائة من الرجاجيل، ومثلهم من البدو الرحّل، وذلك في الغزوات العادية، أما العدد الأكبر فكان يصل إلى حدود 3 ـ 4 آلاف رجل.

كان آل الرشيد يسكنون في قصر برزان، الذي لم يكن يختلف في فترة الأربعينيات عن غيره من البيوت في حائل، إلا من حيث حجمه الكبير، ولكنه تحول فيما بعد إلى قلعة ضخمة.

كان يتولى مهمة القضاء كل من الأمير والقاضي، الذي يعنيه الأمير. وكان دخل الإمارة يعتمد بالدرجة الأولى على عطاءات المستوطنين من القمح والتمر، وكانت الزكاة التي يدفعها البدو الرحّل توفر واردات أقل جداً (الخمس[*]) إلا أنه كان هناك واردات جيدة تأتي من القوافل التي تنقل الحجاج من مختلف المناطق، من بينهم بعض الفرس، حيث كانت تنقلهم من النجف، عبر حائل إلى مكة، وتعود بهم، والتي كان لها بطبيعة الحال أبعاد تجارية. ولما لها من أهمية، فقد كان يخصص لقيادتها أمير من العائلة[2]، وفي عهد محمد بن رشيد، تمّ إقناع قوافل الحج، القادمة من البصرة عبر القصيم، بسلوك طريق حائل. ومنذ سنة (1899م)، أصبح الأمراء، بصفتهم أمراء قوافل الحج العراقية، يتقاضون بالإضافة إلى ذلك، معونة من الحكومة التركية.

(1) حسب موزيل؛ محمد البسام والرحالة القدماء يتحدثون وبشكل عام فقط عما تقدمه القبيلة من رجال.

(*) ان الخمس يؤخذ من غنيمة الجهاد أي من غنائم الحرب وليس كحال الزكاة التي تشبه الضرائب(ماجد شبّر)

(2) إضافة إلى ذلك كان السكان يرسلون كل عام أربع قوافل إلى العراق تحمل الصوف وشعر الجمال والمعز والسمن، وتجلب معها الأرز والحنطة والأقمشة والمعادن. وكان على كل جمل أن يدفع ربع مجيدي عند الذهاب وعند الإياب؛ أما التجار فكانوا يدفعون الضعف.

كان على التجار الذاهبين عن طريق الجبل إلى العراق، ودمشق أو مصر، أن يدفعوا رسوماً جمركية، وكانت القبائل الغريبة تدفع رسوم رعي وبيع وشراء. وكانت هذه الرسوم تذكر دائماً في معاهدات السلام مع آل سعود.

يُضاف إلى ذلك ما كان يتقاضاه آل رشيد من ممتلكاتهم الخاصة، من قُرى الموقاق ولقيطة والجثامية، تماماً، كما كان الحال مع الملاكين الآخرين، الربع أو خمس المحصول. وكانت تجارة الخيول في الأربعينيات، سواء مع مصر، أو مع الهند فيما بعد، تدر أرباحاً كبيرة، وكانت قطعان الإبل والغنم العائدة للأمير موكلة إلى قبيلة بني يحرف[1].

وقد قدر دوتي، إيرادات الحكومة ـ تقدير منخفض بالتأكيد ـ بحوالى (40000 ليرة) في العام، والنفقات بـ (13000 ليرة). وكانت الميزانية الخاصة، وإدارة الأملاك، وتكاليف العبيد، والمواشي والحرس، وحُكام تيماء، والجوف وكذلك نفقات الضيافة غير المحددة للأمراء، تلتهم الجزء الأكبر من تلك الأرقام. يُضاف إلى ذلك شراء الأسلحة، والنفقات الناجمة عن العلاقات الديبلوماسية: الهدايا للموظفين الأتراك في مناطق الحدود، وللشريف الأكبر لمكة والتي كانت في الغالب تتكون من الخيول، وكذلك للتجار الذين يسهلون التعامل مع الإدارات المختلفة[2]. في دمشق فوض ابن الرشيد قريبه رشيد باشا أبا ليلى ليكون ممثلاً له هناك[3].

كان حكم بن الرشيد، يبدو للعرب المحبين للحرية، حكماً قاسياً، ولكنه عادل. كانت قبيلة شمّر متمسكة بعائلة شيوخها. ولقد أثبتوا ذلك في عام 1921م عندما فضلوا الإقامة في الغربة، على الإقامة في وطن يسيطر عليه حكم أمير غريب[4].

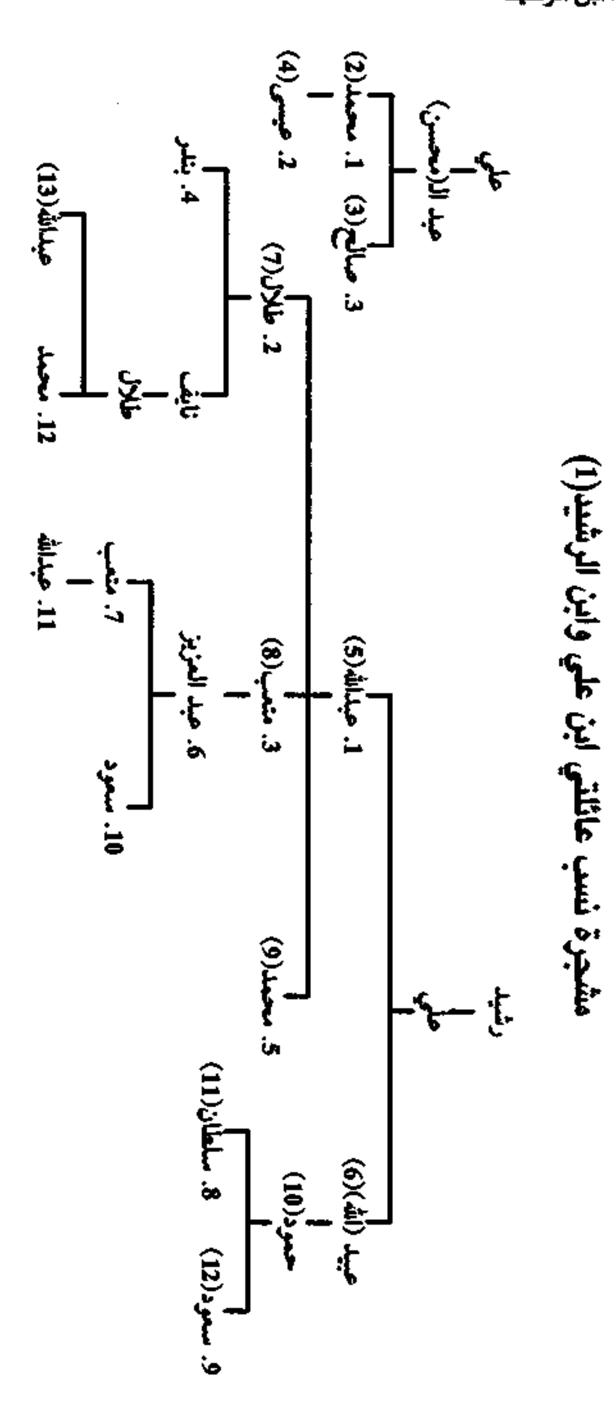
---

(1) وسم ابن الرشيد: X I أو +، صيحة الحرب: أخو نورا (نسبة إلى اسم إحدى أخوات عبد الله).

(2) والين JRGS، 1854م ص 178 وما بعدها، ص 185، 187 وما بعدها، ص 197، 200، 206، دوتي جـ 2، ص 19 وما بعدها، ص 47 وما بعدها. شمالي نجد، 149، 237، 243 ـ 253، فيلبي جـ3، ص 298 ومحمد البسام.

(3) عندما قمنا بزيارته في دمشق 1939م كان قنصلاً للملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية.

(4) انظر الجزء الأول ص 221. رجعت القبائل المعنية في الثلاثينيات.


مشجرة نسب عائلتي ابن علي وابن الرشيد(1)
علي
عبد ال(محسن)
1. محمد(2)
3. صالح(3)
2. عيسى(4)
رشيد
علي
1. عبدالله(5)
عبد الله(6)
2. طلال(7)
3. متعب(8)
5. محمد(9)
حمود(10)
8. سلطان(11)
9. سعود(12)
4. بندر
نايف
طلال
6. عبد العزيز
7. متعب
10. سعود
11. عبدالله
12. محمد
عبدالله(13)

ملاحظات حول المشجرة

1 ـ المصادر كما هي في المقال، منذ (1906م) من محمد بن بسام. فقد تمّ ذكر الأمراء الحاكمين وأجدادهم فقط. وقد رُسم خط منقّط بين علي وعبد المحسن وبين الرشيد وعلي، لأنه ليس من المؤكد أن الأخيرين هم أبناء أم أحفاد. . . إلخ، من نسل علي أو رشيد.

2 ـ تمّ ذكر محمد بن علي عام 1226هـ/ 1813م، لدى عثمان بن بشر (عنوان المجد في تاريخ نجد ص 97). بينما يذكره العزاوي (عشائر العراق ج1 ص218)، في عام 1208هـ/ 1794م. وكان عام 1818 لم يزل في الحكم ورفض الخضوع للمصريين الأتراك. قائمة شبرنغر ، ص 220.

3 ـ تم في سنة (1834م)، عزله من قبل فيصل بن تركي آل سعود، انظر أعلاه، كذلك بشأن الملاحظات اللاحقة أيضاً، وقد تم بعد ذلك طرده من قبل عبد اللّه بن الرشيد، حيث قتل أثناء محاولة هربه إلى المصريين.

4 ـ اضطر في سنة (1827م)، للاعتراف بسلطة تركي بن عبد اللّه آل سعود، ويخمن فيلبي، في (بلاد العرب)، ص 132، أنه ذهب للمصريين، لهذا السبب، وترك الحكم لعمه صالح، وفي الحقيقة فإن عيسى دخل حائل مرة أخرى مع قوات مصرية.

5 ـ صهر محمد بن علي وقد اضطرإلى مغادرة البلاد في سنة (1820م)، لأن محمد خشي من نفوذه، وبعد عدة سفرات، استقر في الرياض، حيث كان أيضاً تركي آل سعود يحاول في ذلك الوقت إعادة بناء دولة آبائه. وساعد سنة (1834م)، فيصل بن تركي للوصول إلى العرش، حيث قتل المشاري المطالب بالعرش وقاتل تركي. اعترافاً بالجميل، قام فيصل بتعيينه حاكماً على جبل شمّر، هذا المنصب الذي كان على عبد اللّه أن يخوض قتالاً ضارياً لتوليه فعلياً. وقد وصف المغامرات التي خاضها في سبيل ذلك بلغة الشعر. وكذلك أخوه عبيد، وبعض أبنائه، كانوا يتمتعون بهذه الموهبة الشعرية.

6 ـ قائد قوات أخيه.

7 ـ انتهى بعد إصابته بحالة اكتئاب بالانتحار في آذار 1868م.

8 ـ تم قتله رمياً بالرصاص في بداية سنة 1869م من قبل ابن عمه بندر.

9 ـ لقد وصف دوتي، لعبة الحزن الدموية التي رسخت حكم محمد بن الرشيد الكبير بكلمات لا تنسى، يمكننا هنا فقط التأكيد على بعض الحقائق باختصار: في أيام أعياد الميلاد 1869م وبعد العودة من إحدى رحلات القوافل، قتل محمدٌ قاتلَ أخيه على أبواب حائل. ثم بدأت المذبحة. لم يهدأ محمد، حتى قضى على جميع إخوة طلال، بعضهم عاجلاً وبعضهم في وقت لاحق، لأنه خشي الثأر والمرض المتوارث لدى عائلات الأمراء العرب ألا وهو: صراع الأخوة من أجل السلطة.

10 ـ القائد الميداني عند محمد، ورجل ثقته. تأثر بأعمال أولاده المخزية من القلب، بحيث هرب إلى المدينة وتوفي هناك عام 1329هـ/ (1911م).

11 ـ كان سلطان بن حمود على خلاف مع ابن عمه عبد العزيز، غادر إلى القسطنطينية، ولم يعد إلى حائل إلا قبيل وفاة هذا الأخير (نيسان 1906م)، وفي نهاية كانون الأول من العام نفسه، قتل ابن أخته، الأمير الشاب متعب، الذي رافقه، واثقاً منه مع اثنين من إخوته في إحدى الرحلات وحتى هذان قتلا على يد أخوي سلطان: فيصل وسعود. ولم ينج إلا سعود الصغير بن عبد العزيز، لأن سلطان تزوج أمه، وكانت من سبهان. وقد خشي أولاد عمها رؤساء هذه العائلة الكبيرة، على حياة هذا الطفل، فهربوا به إلى المدينة.

وفي أثناء ذلك تابع سلطان الحرب، ضد آل سعود في القصيم. وفي موقعة بالقرب من طروفية تصرف بجبن، الأمر الذي أدى لفقدانه احترام أفراد قبيلته. فقام بجمع ممتلكات العائلة في حائل، وترك البلاد، محاولاً الهرب إلى مصر؟ وصل إليه أخوه قبل تيماء بقليل، وأخذه إلى حائل حيث زج به في السجن ومات فيه مخنوقاً، (نهاية كانون الثاني 1908م).

12 ـ عقد سعود بن حمود سلاماً مهيناً مع آل سعود، (الذي أشرنا إليه سابقاً). الأمر الذي دفع آل سبهان في المدينة، وعلى رأسهم حمود وزامل، إلى التحرك. فهجموا على موظفي الضرائب التابعين لسعود، الذين جاؤوا بالتمر من قُرى الحايط والحويط من حرة خيبر، وقدموا هذه التمور لقبيلة الهتيم التي قدمت لهم الجمال للتوجه إلى حائل. وقد كسبوا، خلال الطريق، السنجارة إلى جانبهم، من خلال تقديم معونات مالية ضخمة وعندئذٍ ثار حي لبدة، الحي المحارب في حائل، تأييداً لهم. وبعد تخلي جماعته عنه استسلم سعود بن حمود ودخل الفتى الصغير (11 عاماً) سعود بن عبد العزيز إلى حائل دخول المنتصر. أما الأمير المخلوع فقد قتله في السجن أحد العبيد بأمر من أخت الأمير الصغير منيرة.

13 ـ قَتلَ عبد اللّه بن طلال، سعود بن عبد العزيز، وكان ابن عمه عبد اللّه بن متعب وأخوه محمد، آخر أميرين من أسرة آل رشيد.

شمّر(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ عبدة(2)	ابن علي(3)	اجا ـ لينة	2550
أ ـ المفضل(4)	برجس بن جبرين(5)		200
ب ـ الفضيل(6)	مطنى بن شريم(7)		100
ج ـ الجندة	برغش بن دهام(8)		150
د ـ آل جرى	حمد الفديد(9)		100
هـ ـ الشميلة	... المشوى		100
و ـ آل هامل	....(10)		50
ز ـ السليط	عبد العزيز السليطي(11)	القصر ـ السليمي	100
حـ ـ آل عليان(12)	فرحان بن سعيّد	القصر ـ السليمي	200
ط ـ الغازي	تحيمر بن غازي	القصر ـ السليمي	150
ي ـ آل شريهة	حماد بن هزاع(13)	القصر ـ السليمي	300
ك ـ الغيثة(14)	عايد الغيثي(15)		300
ل ـ الجعفر(16)	ابن علي(17)		200
1 ـ العلي	ابن علي		
2 ـ آل خليل	عويد بن خليل(18)		
م ـ الويبار(19)	فهد بن بدير		300
ن ـ الجدي(20)	نهار بن جدي		200
س ـ .....(21)	ندا بن نهير(22)		100
2 ـ التومان(23)	نواف بن بندر التمياط	درب السيدة زبيدة	
أ ـ الوضاح(24)	نواف التمياط		250

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
ب ـ الربعة(25)	سعد الربع(26)		150
جـ ـ الهدبة	مطلق العايش		300
د ـ الصخيل	مسهوج بن حمد		50
3 ـ سنجارة(27)	غضبان بن رمال	الغوطة ـ الحزول	
أ ـ الغفيلة(28)	غضبان بن رمال		
1 ـ الرمال(29)	غضبان بن رمال		350
2 ـ الكلاب	. . .(30)		50
3 ـ القنى	عيادة بن زويمل(31)		150
4 ـ الجرذان(32)	لعيبان بن مايق		200
ب ـ الزميل(33)	بايق بن ثنيان(34)		
1 ـ السهيل(35)	بايق بن ثنيان		200
2 ـ السلمان	ابن سمير(36)		200
3 ـ الذرفان			50
4 ـ النمسان			50
5 ـ الشلقان(37)	عبكلي بن فالح		150
6 ـ النبهان(38)	قاسم بن رخيص		200
7 ـ الخمسان			50
جـ ـ آل سويد(39)			250
ملحقة بها :			
ـ العامود(40)	شلاش بن فنيدل	الجفيقة	
أ ـ العامود	شلاش بن فنيدل		150

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
ب ـ البريك(41)	مياح بن سعدي(42)		100
جـ ـ الحسيني	فرز الحسيني		150
4 ـ الأسلم(43)	محمد بن ضاري بن طوالة(44)	سلمى الباطن	
أ ـ الطوالة	محمد بن طوالة		
1 ـ المعاضيد	كريويل المعضاد		100
2 ـ النفقان	محمد النفاقي		100
3 ـ المناصير	خضير بن الصعيليق(45)		150
ب ـ الفايد	رغيان الوجعان(46)		100
جـ ـ الكامل	سليمان بن غشام		100
د ـ المسعود	ابن لغيصم		100
هـ ـ الوهب	ناصر بن بدر(47)		100
و ـ الجحيش(48)	نهار الجنفاوي(49)		300
ز ـ الوريك	محمد ابا وريك		100
حـ ـ الهيرار	حماد بن زعل		100
ط ـ الغرير(50)	محمد بن غرير		150

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1915 (المرجع: تسايد الرزني، دليل قافلة محمد البسام، كان يقود في معركة "جراب" الجملَ الذي كان يحمل شارة المعركة، العطفة، العائدة للجعفر)، وكذلك إلى عام 1925م (محمد البسام). البيانات الإحصائية موجودة: هوبر، جورنال (1883م ـ 84)، ص 637 وما بعدها، 660 وما بعدها.

كتاب (هاندبوك) I، ص 79. موزيل، شمالي نجد ص 31 وما بعدها. مونتان، مجلة الدراسات الإسلامية، 1932، ص 66. العزاوي، عشائر العراق، جI، ص 179 ـ 222 (باسم). يتضمن الجدول فقط وحدات سياسية بينما تم في الملاحظات إيراد التجمعات حسب النسب، أو التي كانت تعكس حالة سياسية سابقة. عدد الخيم لما في الجدول وهو 6950 يعتبر قريباً من الواقع. التقديرات الأخرى تتراوح ما بين 18000 و4000. الأرقام والحروف ما بين قوسين تتعلق بالجدول الخاص بشمّر في بلاد ما بين النهرين (الجزء الأول 241 وما بعدها) أما التي بدون أقواس فتتعلق بالجدول أعلاه.

2 ـ تنقسم مثل العبدة في بلاد ما بين النهرين (ب 3) «الجزء الأول ص256» إلى اليحيى والربيعيّة التي لم تعد هنا تشكل وحدات سياسية. تحتوي الأولى على الفروع (أ ـ ك)، أما الثانية فتضم (ل ـ س) الأخيرة.

3 ـ انظر الملاحظة 17.

4 ـ تتطابق ب3 ا د أ «الجزء الأول ص257» وعند موزيل تضم ز، حـ.

5 ـ أو: جبريل. 1915 نخيلان بن جبرين سابقاً مليس بن جبرين.

6 ـ شيخها عقاب بن عجل من عائلة سنان، هاجر عام (1930؟م) إلى بلاد ما بين النهرين انظر أعلاه (3ب1).

7 ـ من عائلة سنان أيضاً ب3 أ ملاحظة 28 «الجزء الأول ص261».

8 ـ 1915 محمد بن غزال.

9 ـ العزاوي 219: حمدان.

10 ـ العزاوي: صياح بن مثيجل.

11 ـ 1915 هبكان السليطي.

12 ـ يشكل الفروع (حـ ـ ك) مجموعة الدغارات (3ب2) التي تشكل هنا فقط وحدة جغرافية.

13 ـ موزيل: سحلي بن هزاع.

14 ـ كذلك غيثة (الوسم ـــᴧᴧـ).

15 ـ 1925 سالم الغيثي.

16 ـ ب3 جـ «الجزء الأول ص257» تلفظ جعفر.

17 ـ العزاوي بخصوص1: عباس بن علي الآن هايس العباس. (في بلاد ما بين النهرين).

18 ـ العزاوي ابن سحيمان. من عائلة خليل تنحدر عائلة ابن الرشيد.

19 ـ ب3 د1 «الجزء الأول ص257».

20 ـ ب3 هـ «الجزء الأول ص257» ابن جدي تمت مهاجمته من قبل الوهابيين (1786) الروضة II، عام 1201.

21 ـ العزاوي 221: الصويان.

22 ـ العزاوي: الآن شقيقه حلو.

23 ـ صيحة الحرب: المساعيد (العزاوي ج1، 184).

24 ـ العزاوي: الأوضاح.

25 ـ صيحة الحرب: راعي العليا.

26 ـ العزاوي: سعد بن سُطام الربع 1915م: مثقال الربع.

27 ـ جزء من السنجارة وسمهم الباكور: ٦ .

28 ـ (أ 2 و) «الجزء الول ص255». موزيل ومونتان: خفيلة.

29 ـ الوسم: ╩ على الردف الأيسر.

30 ـ موزيل: جماش بن كلب (چلب).

31 ـ موزيل: مسلم بن زويمل.

32 ـ فقط بالنسبة لهذا الاسم أشار المترجم إلى أن النطق الحقيقي لـ ج لدى شمّر: چ.

33 ـ 2أ هـ «الجزء الأول ص255».

34 ـ 1915: ابن عمه فهد بن ثنيان، يذكره فيلبي أيضاً «الجزء الأول ص255». وإلى جانبه كان يقف في ذلك الوقت شايع بن نويتسي التي ذكر فيلبي من عائلته شيخين كمساعدين لفهد بن ثنيان.

35 ـ موزيل ومونتان يصنفانه من العشائر ب ـ هـ.

36 ـ البيانات وكذلك العزاوي 187. موزيل: برجس بن عردان. كتاب الجيب فلاج بن عردان.

37 ـ الوسم 7/// على الوجنة اليسرى.

38 ـ موزيل يصنفه تحت .

39 ـ يذكر موزيل ضمنهم عشيرة هرابدة.

40 ـ (أ 3). الوسم ╓╥╖ . صيحة الحرب أهل عصلة(*). عامودي: حول أصل هؤلاء يتحدث العزاوي 180.

41 ـ تنطق: بريتس! (ب 1 أ). «الجزء الأول ص255».

42 ـ (ب 1 أ 1). «الجزء الأول ص255».

43 ـ (ب 2 ب) «ج1 ص256» يضيف موزيل فروع السليطة إليها، العزاوي 209: صليته.

44 ـ هل برغش بن طواله لدى موزيل هو الشيخ المذكور عند هوبر 126؟

(*) يذكر العزاوي أيضاً نخوتهم عصلان. وهي مأخوذة من الناقة التي لا ذيل لها. (ماجد شبّر).

صيحة الحرب: أخوشيمة! الوسم F .

45 ـ العزاوي: ابن شكر.

46 ـ العزاوي: محمد الوجعان.

47 ـ موزيل: لهيلم بن عقل.

48 ـ تنطق: جحيش! (ب 2 ب 2). «الجزء الأو ص256».

49 ـ 1915: بندر بن عبادة من نفس العائلة التي تتبع شيوخ (ب 2 ب 2).

50 ـ يسميها موزيل التشتنة بينما يذكرهم العزاوي إلى جانب الغرير.

هجر شمّر(1)

المنطقة	الأمير	شيخ العشيرة
1 ـ الصنينا	سعدون بن عباس	
2 ـ الأجفر	عياد بن النهير	حمدان بن جدي
		سلطان بن عايش
3 ـ التيم	فريح الحمزي	
4 ـ القلبان	غضبان بن رمال	
5 ـ جبّة	عدوان بن رمال	مرعيد بن رمال
6 ـ الحفير	كاتب النمّاس(2)	
7 ـ الخبّة	فريح الهربيد(3)	
8 ـ الصفرا	مغيليط بن جار الله	
9 ـ النعي	عبد الكريم الزيد	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ راجع أم القُرى رقم 208، 18/ 12/ 1928. تم ترتيب المستوطنات ـ ما أمكن ـ وفق تسلسل القبائل بل وفق تسلسل عائلات الشيوخ في الجدول. 1 ـ 3 تابعة للعبدة 1 ل، ن، س بمشاركة تومان أيضاً 2، 2جـ، 4 ـ 5 تابعة لسنجارة، 3، وكذلك 6 و7 (انظر الملاحظة التالية) 8 و9 حسب موقعهم ـ قرب طابة ـ تابعين لاسلم (4). والأماكن 2 ـ 5معروفة. حفير هو نبع ماء في الطوية. لم يعثر على الباقي.

2 ـ بالتأكيد تابعة للنمسان 3ب 4.

3 ـ بالتأكيد تابعة للهرابدة ملاحظة رقم 39. الجدول.

ضفير

تتكون قبيلة الضفير من مجموعات غير متجانسة. وما يثير الانتباه، أن هذه القبيلة، برغم ذلك، تمكنت من التصدي للوهابيين مدة تزيد على الثلاثين عاماً. وتنقلت مع بداية القرن الماضي حتى حدود الفرات، حيث وجدت الحرية، التي فقدتها في موطنها، في ظل ظروف صعبة.

تفيد المصادر الشفهية أن معنى اسم القبيلة (المتحالفة)، ومع أن هذا المعنى ينطبق على الحقيقة، إلا أنه غير صحيح. فالمراجع المكتوبة تورد الاسم بصورة واضحة بالظاء (ظفير)[1] وتشير حكايات التنقل والترحال لكثير من قبائل الضفير إلى الحجاز[2]، وبهذا، يصبح من الممكن ربط الظفير مع قبيلة تحمل الاسم نفسه، كانت تقطن في المنطقة الواقعة شمال المدينة، في النصف الأول من القرن الثالث عشر[3].

---

(1) سليمان الغنام، مؤلف كتاب الروضة، ومحمد البسام الذي أعد قائمة شبرنغر رقم 86، عثمان ابن بشر، عنوان. في لهجة البدو لا تختلف الكلمتان عند النطق.

(2) محمد باشا العصيمي (1925م)، وبالدرجة الأولى دوتي، جـ1، ص 126. في الأصل كانت لهم الحِجْر (مدائن صالح).

(3) حمداني، لدىٰ القلقشندي، ص 91، 265 وما بعده. مصادر لاحقة تنسبهم إلى بني لام وإلى حلفاء المرا؛ نفس المصدر السابق، 97، 265؛ أنظر الجزء الثاني، ص 355.

لم يكن لهذه القبيلة، عند هجرتها قبل 350 عاماً إلى نجد، أكثر من الاسم[1]، وتمكنت هناك من تشكيل قبيلة جديدة، وبزعامة عائلة سويط، من مجموعات قبائل شتى ضمت عنزة، سبيع، قحطان، وغيرها من العناصر الأخرى غير المنسوبة، وبذلك ظهرت لأول مرة في حوليات نجد في عام (1108هـ/ 1696 ـ 1697م)[2].

في منتصف القرن الثامن عشر كانت الضفير تتنقل من جراب[3] عبر السدير، إلى محمل، ومن الوشم حتى حفر العطس، وعلى ضوء هذا، فقد اشتبكوا منذ زمن مبكر، مع الوهابيين أي في العام (1163هـ/ 1750م). ولم يكن حكم آل سعود وقتذاك، يتجاوز كثيراً الدرعية، وقد تعرضت مواقعهم الأمامية، ظرمة أسفل الطويق والرغبة في المحمل الغربي والشقرا بصورة متكررة للاعتداءات من قبل مستوطني الوشم والسدير وحلفائهم الضفير (1751م ـ 1756/ 1757م)[4]. وانقلبت تلك العلاقة في الستينيات، جراء تعرض العديد من فروع قبيلة الضفير، لحملات النهب التي كانت تشن من قبل الوهابيين في البرا في المحمل الغربي، وفي حفر العطس وجراب[5]، وقد استبسلت الضفير للدفاع عن استقلاليتها تجاه الوهابيين، طيلة الخمسة عشر عاماً التالية رغم أنها فقدت بعضاً من قادتها[6]، وظل الأمر

---

(1) عصيمي باشا.

(2) العزاوي، جـ1، ص 297، المعركة مع الفضول، أنظر الفصل، قبائل مستقرة في الجزيرة العربية.

(3) تقع على الطريق الممتد على الجانب الشرقي للنفود، الذي كانت الضفير تتصل عبره مع سورية. قارن بوركهاردت، رحلات إلى سورية، ص 308: في السابق (أي قبل ظهور عنزة). كثيراً ما كانت حوران هدفاً للضفير.

(4) الروضة، جـ 2، في سنوات 1163هـ، 1165هـ وبداية 1170هـ. قارن عنوان المجد، ص28، منجن جـ 2، ص455 .

(5) الروضة، في سنوات 1173/ 1176هـ، 1174، 1764م، قارن منجن جـ 2، ص 457 وما بعدها، ص 461، عنوان المجد ص 36.

(6) الروضة، جـ 2 في سنوات 1181هـ/ 1767م ـ 1768م، 1195هـ/ 1781م، قارن عنوان المجد ص 40، منجن، جـ 2 ص 471 (1184).

كذلك، حتى الثمانينيات، حيث حدث تحول واضح، على الأرجح بسبب إخضاع الأمير سعدون من بني خالد، ألد خصوم الوهابيين. وهكذا، ففي سنة (1786م) حارب أفراد القبيلة الضفير ولأول مرة، جنباً إلى جنب مع آل سعود[1]. لكن الضفير لم يصبحوا أبداً وهابيين حقيقيين. ولتفادي الطلبات المزعجة للخدمة العسكرية، هاجروا نحو الشمال عبر الدهنة «الدهناء» إلى الحجرة، وفي الدرعية، لم يطمأنوا لهم، بحجة تقديمهم الدعم والمساندة للغزو المعادي، وأنهم لم يتقيدوا بالتعاليم الجديدة للمذهب. ولهذا، هاجمهم ولي العهد سعود في سنة (1795م) شمال لينة وكبدهم خسائر فادحة[2].

اضطر الضفير بعد ذلك للهرب، باتجاه الفرات إلى المنتفق، الذين وفروا لهم الحماية بالاتفاق مع باشا بغداد[3]، لهذا رافقوا المنتفق في حملتهم الكبيرة ضد الوهابيين في شتاء (1796 ـ 1797م)[4]، وتم في سنة (1806م)، القضاء على تجمع للقبيلة استعداداً للغزو، في (الفليج)، أحد الأودية الجانبية للباطن، وذلك من قبل قوات سعود. وكان هذا آخر لقاء بين الضفير والوهابيين[5].

ما لبثت القبيلة، وبعد سنوات قليلة، أن تحركت مجدداً، في إطار سعيها لإيجاد موطن جديد لها في منطقة ما بين النهرين العليا، وهنا حصلت اشتباكات مع شمّر جربا. صحيح أنها تمكنت من قافلة تركية ترافقها شمّر في سنة (1809م) على نهر البليخ[6]، إلا أنهم اضطروا للعودة إلى السهول في منطقة الفرات الأسفل،

---

(1) الروضة، جـ 2، تحت 1200.

(2) هكذا في عنوان المجد، لدئ العزاوي جـ1، ص 298 التاريخ غير واضح، الروضة، جـ 2 في ذي القعدة 1209، تسكت عن ذكر الظروف التفصيلية، تذكر فقط الجواسم كضحية.

(3) صابت (Sabit) (سليمان فايق بك ابن حجي طالب الكهية)......

Baghdadda Kolemem laukumetinin teschekkülite inkyrazyna dair risale, 24f.

(4) عنوان المجد، ص 73.

(5) العزاوي، جـ1، ص 299 عن عنوان المجد.

(6) انظر الجزء الأول، ص 237.

لإدراكهم، أنه لن يكون بمقدورهم وعلى المدى الدائم، الاستمرار في التصدي لكل من الأتراك وشمّر وجربا في آن معاً.

لم يكن بمقدور الضفير القيام بهذا المشروع المغامر بعد الضعف الذي لحق بها نتيجة صراعها على مدى خمسين عاماً مع الوهابيين، لولا التحاقها خلال ذلك بقبيلة الفضول التي أضعفها الوهابيون أيضاً[1].

رتب الضفير أوضاعهم في منطقتهم الجديدة، والتي تشكل منطقة الحجرة قاعدتها. ولما كانوا محاصرين بين المنتفق، أقوى قبائل العراق الأسفل، وشمّر في الجبل، فقد اضطروا مرغمين، لإقامة علاقات صداقة مع القبيلتين.

دخل البطون (أ)، في علاقات قريبة مع مجموعة المنتفق من بني مالك، أما الصمدة (ب)، فمع مجموعة الأجود، وكذلك في الوقت نفسه مع شمّر[2]. وُلِّد هذا بالضرورة علاقة عداوة مع عنزة، جيرانهم في الشمال الغربي[3]، وكان للضفير علاقات طيبة أيضاً مع زعماء القبيلتين، آل الرشيد، وآل السعدون[4]. وإبان حكم محمد بن الرشيد (1869 ـ 1897م) كان بعض قبائلها تدفع الضريبة إلى حائل، ولاحقاً زاد ثقل نفوذ آل السعدون، وقد خاضت غمار معركة طروفية ـ صريف، مع سعدون السعدون ضد عبد العزيز بن الرشيد.

لكن هذه العلاقة تغيرت بشكل مفاجئ. فقد كانت القبائل المقيمة على

(1) عجمي السعدون، 1929، قارن شمال نجد ص 169. تشير الحكاية الواردة لدى لانديبرغ (لغة بدو عنزة) ص 17 وما بعدها، إلى علاقة قديمة مع شمّر.

(2) انظر موزيل، العادات والتقاليد عند بدو الرولة، ص 574 وما بعدها (بداية القرن التاسع عشر، هوبر، جورنال، ص 174 وما بعدها (1876)، بدو الرولة ص 619 (1905).

(3) مثال ذلك في مقال الخزاعل في فصل العراق. كانت السعدون تورد للضفير الحبوب والتمر والملابس، خورشيد، ص 67.

(4) محمد البسام، آب 1913م، أخبار الصحافة البغدادية التي جمعها مارتن هارتمان، عن لغة العرب في عالم الإسلام، رقم 2، ص 33 ـ 47 لباسم، لا تعطي سوى فكرة مشوشة عن الأحداث.

الفرات فيما بين السماوة والناصرية، والتي كانت تخضع سابقاً للسعدون، تسعى ومنذ زمن طويل، للتخلص من هذا النير. وحدثت في الأشهر الأولى من سنة (1911م)، اضطرابات جديدة، تمّ خلالها إلقاء القبض على شيخهم سعدون من قبل الأتراك الذي توفي في نهاية تلك السنة، الأمر الذي شجع الشيخ الطموح لضفير، حمود السويط، على القطيعة مع أصدقائه القدامى، فأقدم على نهب مواشي عجمي ابن السعدون، وعندما شعر عجمي بالتهديد من قبل قبائل الفرات والضفير، وهو لا سند له ضمن عائلته، توجه إلى حائل طلباً للدعم والمساندة من ابن الرشيد. إثر ذلك أعلن الحاكم زامل السبهان عن استعداده للمجيء إليه، ولكن فقط لغرض التوسط لتحقيق السلام. وفي ربيع عام 1912م انطلق مع الأمير الشاب سعود بن الرشيد. ولكن رفض حمود السويط، الذي كان تولى أثناء ذلك قيادة المتمردين، رفض أية مفاوضات من هذا القبيل. ولما كان ابن الرشيد لا يملك سوى قوات صغيرة، قرر عجمي السعدون البحث عن حلفاء جدد. وعاد ابن الرشيد، لكنه أجبر على خوض الحرب، بالقرب من الخميسية من قبل قوات حمود والثائرين، وتمكن من إيقاع الهزيمة بهم. لكن شيخ الضفير ظل، رغماً عن هزيمته، على موقفه المعادي لعجمي. وقد ساعدته الخلافات العائلية المستشرية فيما بين السعدون، على القيام بلعبته تلك، حيث انحاز إليه اثنان من أبناء عمومته. ومع نهاية سنة (1912م)، وبداية سنة (1913م)، حقق التحالف الجديد، نصراً في وادي الحنيقة «الحنيكة»، إلا أن بعض الظروف التي ذكرناها في الفصل الأول عن المنتفق، مكنت عجمي من أن يصبح الرجل الأول داخل عائلته وقبيلته. وتوقفت الحرب بين السعدون والسويط.

انعكست الخصومة فيما بين الشيخين في الحرب العالمية، فبينما وضع العجمي نفسه تحت تصرف الأتراك، فإن حموداً استنكف بحذر. وبعد أن حقق الإنكليز النجاحات الأولى، وقف حمود علناً إلى جانبهم، في ربيع 1915م، والتحق به جزء صغير فقط من القبيلة، وبالتحديد، البطون، بينما أيدت الصمدة، عجمي والأتراك. بعد ذلك تولى حمود مهمة حماية خط القطار الذي مده الإنكليز

فيما بين البصرة والناصرية. وفي وقت لاحق احتل رجاله جزءاً من الممر الذي كان الإنكليز يريدون فيه منع وصول الإمداد إلى شمّر والأتراك[1].

برزت الخلافات بعد قرارات مؤتمر السلام، وتأسيس مملكة العراق، فيما بين الدولة الجديدة ونجد حول تبعية الضفير، وقد حدثت احتكاكات بعد الحرب مباشرة بين الإخوان والضفير. وتوتر الجو لأن حمود بن سويط قد جرح كبرياؤه، بسبب تعيين رجل من سعدون قائداً لجندرمة الجمّالة العراقية، وذهب سنة (1922م)، إلى الرياض، وعاد برفقة عميل وهابي. انقسمت الضفير إلى قسمين، الأول يؤيد الوهابيين، والثاني يعارضهم، ويتكون الثاني من الصمدة بقيادة لزام أبو ذراع حيث حدثت، نتيجة لذلك، اعتداءات جديدة من الإخوان[2].

لهذا شكلت مسألة جنسية الضفير مادة في اتفاق المحمرة (مايس 1922م)، والذي تم بموجبه تحديد الحدود فيما بين نجد والعراق، فقد اعتبر الضفير مواطنين عراقيين، بينما أعلن جزء من منطقتهم في طوال الضفير، منطقة محايدة[3].

وظلت حرية العبور إلى آبارهم ومراعيهم المعهودة حتى خارج الحدود متاحة لهم، ولكن أنصار الوهابيين من الضفير، استقروا في نجد وشكلت هجر الشعيبة مركزهم الرئيسي[4].

تحددت منطقة تجوال الضفير، بشكل تقريبي، بالخط الممتد من السماوة، الزبير وحفر الباطن ـ والشبتسة[5] ثم السماوة. وكانوا ينتقلون في فصل الربيع إلى الحجرة، فيما عدا ذلك كانوا يخيمون في السهول الشمالية. أما القواسم (ب2)،

(1) محمد البسام، قارن مع كتاب الجيب (هاندبوك) جـ1 ص 82، فلبيي جـ1، ص 238.
(2) الريحاني، تاريخ نجد، ص 275 ـ 277.
(3) تم الاعتراف بها من قبل آل سعود وفق بروتوكول عجير «عقير» في نهاية عام 1922م.
(4) أم القرى، رقم 208، 18/ 12/ 1928م.
(5) كانوا سابقاً يذهبون إلى مدىً أبعد باتجاه الغرب حتى سكاكة في الجوف، جورماني، ص 194.

فيعبرون الفرات صيفاً ويخيمون في الجزيرة أحياناً. كانت مجموعتا الضفير: البطون، والصمدة، تقفان، كما لاحظنا، بشكل متضاد لبعضهما البعض. ضمن (البطون) الذي يعني ببساطة العشائر، هناك بني حسين المستقلون نسبياً. منهم يدعون أنهم أشراف، يبدو أن لهم الحق في ذلك، وذلك لوجود فرع من قبائل الحسينيين الرحل في المدينة خلال العصور الوسطى[1].

يكتنف أصل كل من عائلتي الشيوخ ابن سويط وأبو ذراع (جد الذرعان)، غموض غريب، فيقال إن ابن سويط من الصلبّة (صليب، الباريا) وأن أبا ذراع من نسل العبيد. وتوجد قصائد يُعيّر فيها المعنيون بعضهم البعض بهذا الأصل، في حين يدّعي كل طرف أنه من الأشراف ومن قحطان. ومع الإقرار، بأن اتهاماً كهذا بالنسبة للسويط، هذه الأسرة المرموقة القديمة، يبدو أمراً غير معقول، وكذلك الحال مع الذرعان[2].

---

(1) إلا إذا كان القلقشندي، ص 97 يقصد بذلك حسينيّ المدينة أنفسهم. قارن الجزء الأول، ص 434[*] وما بعدها. يظهر بنو حسين كأحفاد للنبي محمد عند شبرنغر رقم 78.

(*) الجزء الأول الألماني يتألف من 387 صفحة فقط. من هنا أعتقد أن هناك خطأً مطبعياً، يوجد بنو حسين في الجزء الأول ص271 ألماني وفي الترجمة العربية .401 (م.شبر).

(2) قصيدة (أبا ذراع) توجد لدى العزاوي[**] جـ1، ص 171، 302، 304.

(**) مقطع من القصيدة:

عاشت بميمينك يولد — شوابعك جتنا من بعيد
هذي مراكيض الولد — ما يضرب إلا بالوريد
يابا الخلد ذرب جوابك — يا شين ما حنا عبيد

وقد قيلت عندما اتهمه السويطي بأنه عبد. (ماجد شبّر).

الضفيـر(1)

جدعان بن سويط(2)

عجمي بن سويط(3)

الحجرة ـ السماوة ـ الزبير

عدد الخيام: 3200

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أ ـ البطون	حنتوش بن سويط		
1 ـ البويت(3)	هزاع بن سويط		25
2 ـ آل سعيد(4)	عبد الرزاق بن حلاف(5)		300
3 ـ بني حسين(6)	مسعود بن مرشد(7)		
أ ـ العمور(8)	ابن نومان		250
ب ـ الرزقة			200
4 ـ بني خالد(9)	عبد الله بن منديل(10)		
أ ـ الخوالد			200
ب ـ الفضول(11)			100
5 ـ آل كثير(12)	ابن جريد		70
6 ـ الطلوح(13)	جزاع الخشم		50
7 ـ عدوان(14)			
8 ـ السويط(15)	ابن سويط		
أ ـ السلطان			75
ب ـ الضويحي	حمدان بن ضويحي(16)		50
ب ـ الصمده(17)	لزام أبا ذراع(18)		
1 ـ آل عريف(4)	نحيطر العصلب(19)		300

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
2 ـ القواسم(20)	محمد بن عفيصان(21)		400
3 ـ النفيسان			
4 ـ المعاليم(22)	طميش البريكي		100
5 ـ المسامير(23)	محمد بن عفيصان		100
6 ـ آل عسكر(24)	محمد بن قحيطان		50
7 ـ العلجانات	محمد الحقيش		50
8 ـ الذرعان	لزام أبا ذراع		
أ ـ الوسامة			100
ب ـ المحمرة(25)			50
جـ ـ الجمعان			50
د ـ الروابع			50
هـ ـ المعاديل(26)			50

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1915م (المرجع : غطيط الذرعاني)، 1925م (عصيمي باشا) 1929م (عجمي السعدون). أقدم قائمة للقبيلة موجودة لدى روسو (رحلة إلى بغداد وحلب (1808م، ص 65. تتضمن فروع القبائل أ2، 6، ب1، 3، 6، 8، 8هـ. وكذلك عائلات شيوخ أ2، 8ب، ب7. ويذكر جرماني (1864م) ص 194، أ2، ب1، 4، 5، 8. وهناك قوائم تفصيلية توجد في كتاب الجيب I، 83 موزيل، شمال نجد، ص169، العزاوي I، ص 301 ـ 303 عبد الجبار الراوي ص 90 وما بعدها. تتطابق المعلومات حول حجم القبيلة، بصورة جيدة مع جدولنا (2620 خيمة): خورشيد، 66: 3000 محارب، كتاب الجيب: 3000 محارب. موزيل: 3500 خيمة.

2 ـ تنقسم عائلة الشيوخ إلى ثلاثة خطوط: أ8أ، ب، 1. من أفراد العائلة القدماء: فيصل بن شيل (العزاوي) سلامة بن مرشد 1108هـ/ 1696م (قارن صفحة 54 أعلاه) راشد بن فهد بن عبد اللّه السليمان (1220هـ/ 1806م) قارن صفحة 55 أعلاه). سلطان الذي عاصر الدريعي بن شعلان (بداية القرن التاسع عشر، موزيل، الرولة، ص 574 وما بعدها. الجزء الأول 188 الملاحظة (3)، سلطان (1864 جرماني). حفيده حمود بن نايف بن سلطان معروف لدينا من خلال النص. في عام 1928 كان عجمي بن حمود زعيم هجر الشعيبة. (مبارك بن سويط، فيلبي، الجزيرة العربية، ص 222، مدين بوجوده لعبارة للريحاني مصاغة بأسلوب سيّىء ص 179، 4). صيحة الحرب: خيال الجروة (القروا/ القرواء)، في صيحة الحرب ابن سويط/ صوطة (!) تعود إلى قطيع مشهور من النوق، وفي الأصل إلى الناقة الأم.

3 ـ آل عفنان. حول اسم البويت قارن مع فيلبي I، ص 250، حيث إن شيخ عفنان يحمل لقب راعي البويت سيد الخيمة الصغيرة . هذه الخيمة هي ملجأ لكنها تستخدم أيضاً لاستقبال الضيوف (غ. رنتس، 79). زعيم البويت هو نوعٌ من قاضي الاستئناف لقبائل الجزيرة (العزاوي). هزاع هو نائب زعيم هجر الشعيبة.

4 ـ قحطان؟

5 ـ إلى جانبه عائلة شيوخ المديهيم، التي تم ذكرها في الروضة I في صفر 1178/ 1764.

6 ـ صيحة الحرب: أولاد حسن!

7 ـ الآن: خلف بن مرشد وكما كان في عام 1925 عبد العزيز الجعيب، 1915: خلف الجعيب.

8 ـ الفضول، انظر الجزء الأول 498 وما بعدها.

9 ـ أحد تفرعات بني خالد في شرق الجزيرة العربية، وكانت سابقاً مع الفضول.

10 ـ 1915م: بن منديل.

11 ـ راجع الفصل بعنوان «قبائل مستقرة».

12 ـ تلفظ: تسيطير! انظر الجزء الأول 268، 269.

13 ـ عنزة؟

14 ـ قائمة شبرنغر رقم 87، تذكرهم بصورة مستقلة قارن بوركهاردت ص338.

15 ـ القبائل الصغيرة، المزعل، الحولة، البطاح، تعتمد على السويط. في كتاب الجيب والعزاوي ترد أيضاً الرسمي = الرسيمة عند عبد الجبار.

16 ـ نائب زعيم هجر الشعيبة.

17 ـ صيحة الحرب: أخوة سلمة.

18 ـ (دهام أبو ذراع) سقط في عام 1781م قرب امبايض في السدير، الروضة II، تحت عام 1195هـ.

19 ـ 1015: فدعوس العصلب.

20 ـ انظر أعلاه، صفحة 93، سبيع، صيحة الحرب: خيال الصبحة، طمّاح!.

21 ـ ابن عفيصان سقط 1795م، انظر ص 93 أعلاه.

22 ـ تميم.

23 ـ عنزة؟

24 ـ الروضة II، ورد ذكره تحت عام 1173هـ/ 1760م.

25 ـ قتل جدهم عام 1184هـ/ 1769م في معركة ضدالوهابيين. عنوان، 40 = منجن II، ص 471.

26 ـ الروضة II تحت عام 1211هـ/ 1796م ـ 1797م؛ وروسو: معادين. الآن مع القواسم ب2.

حرب

قبيلة حرب قبيلة حجازية قديمة. أما في نجد فهي حديثة العهد وكانت حتى وقت قريب تعيش هنا حياة بدوية محضة.

أسهم انسحاب عنزة (الرولة والعمارات) من منطقة وادي الرمة في إتاحة الفرصة لحرب للهجرة إلى هنا، لكن هذه الهجرة لم تحدث على نطاق واسع إلا خلال فترة الحروب الوهابية. رافقت القبيلة الجيش المصري ـ التركي أثناء تقدمه من المدينة إلى القصيم خلال عامي 1815 ـ 1816م[1]، وظلت هناك، وتزايد عدد أفرادها إثر موجات جديدة من الهجرة، وبعد رحيل القوات الأجنبية (1840 ـ 1841م)، تمتعوا بالحرية لأمد قصير، إلا أنهم سرعان ما عادوا في عهد فيصل بن تركي (1843 ـ 1865م) إلى التبعية السعودية[2]. ثم أخضعوا في بداية السبعينيات من قبل محمد بن الرشيد، ومنذ ذلك الوقت ظلوا خاضعين لدولة شمّر، ولذلك كانوا خلال الحروب التي كانت تدور بين كل من ابن الرشيد وآل سعود عرضة لحملات النهب التي تشن عليهم من آل سعود[3]. واعتبروا بموجب معاهدة (1908م) (انظر أعلاه ص 73) من أتباع آل سعود، ثم ما لبثوا أن تحولوا بموجب سلام (1910م) إلى سيطرة آل الرشيد، واستمر الأمر كذلك حتى الحرب العالمية، حيث ظهرت بوادر انهيار دولة شمّر.

(1) انظر الجزء الأول، ص 128، 129؛ الجزء الثاني، ص 527، 533 وما بعدها.

(2) جورماني، ص 189.

(3) ريحاني، تاريخ نجد، ص 143.

شاركت القبيلة في سنة (1917م) ببناء الحاجز (السياج) الذي أراد الإنكليز به ومن خلاله منع التهريب من الكويت إلى حائل ودمشق. وقامت القبيلة بتأمين حماية الجناح الأيسر لقوات آل سعود، التي بدأت صيف 1918م هجومها على جبل شمّر، وذلك بالوقوف فيما بين وادي الرمة وسلمى. وشارك الشيخ محسن الفرم مع بني علي (3) وابن سعدة مع الوهوب (5) في الزحف الوهابي.

وانضم وقتذاك، حجاب بن نحيت زعيم بني سالم (1) للإخوان، وأقام في مستوطنة الهجرة من دخنة[1]. وحذا حذوه كثير من الشيوخ الآخرين في السنين التالية. وعندما قطع الإخوان في سنة 1929م مع عبد العزيز آل سعود، ما كان من حرب إلا أن وقفت إلى جانب الملك، لأن القائمين بالثورة من المطير وعتيبة كانوا أعداء قديمين لها[2].

وكما رأينا، فقد وجدت الجماعات التي كانت معروفة في الحجاز مثل بني سالم (هناك أ)، وبني عمرو (ب 2) في نجد من جديد، إلا أن هناك تحولاً في حياتها، فبينما كانت تعيش حياة معزولة في قراها السابقة أضعفت تماسكها القبلي، نجدها هنا في نجد، قد أعادتها حياة البداوة إلى طبيعتها القبلية الأصلية. وأما بنو عمرو فقد انضمت لهم بعض القبائل التي تقربهم لضمان الحفاظ على الاستقلال ولأنها كانت ضعيفة جداً في نجد (2 ي،م). ويبدو أن بعض من بني سالم (أ ـ د) كانوا ينتقلون فيما بين الحجاز ونجد.

يمضي بني سالم فصل الشتاء في ثرب وطلال، على مسيرة يومين جنوب وجنوب شرق الحناكية، ويرتحلون في الربيع إلى السفح الجنوبي للجبل إلى المستجدة وسليمى وسميرا، حيث كانوا في السابق يدفعون ضرائب لابن رشد، ومن هناك يتابعون الارتحال حتى حدود القصيم.

---

(1) فيلبي، جـ1 ص 258، جـ3، 227، 236، 297، 315.

(2) أم القرىٰ رقم 249. بالنسبة للعداوة بين القبائل انظر جورماني، ص 188، هوبر، جورنال ص 610.

أما بني عمرو، فقد كانوا يستقرون في الشتاء في المنطقة الواقعة جنوب وادي الرمة، في العريق والمشيشت (سراة) نجد، وحتى وادي النسا شرقاً[1]. وكانت الحدود الجنوبية لحرب في سنة (1900م) تتقاطع مع وادي جرير والمياه على مسافة قريبة فوق نقطة التقائهما. ثم تنعطف بعد العريق شرقاً وشمالاً وصولاً إلى المذنب جنوب القصيم. وكان يجاورهم حتى العريض بني عبد الله من المطير، وبعد ذلك العتيبة.

من الطبيعي أن حدوداً كهذه، شأنها شأن جميع الحدود القبلية الأخرى، إلا تعبر لا بشكل تقريبي عن الحقوق التي يدعيها كل طرف (في هذه الحالة العتيبة) لنفسه. أما في الواقع فكان بني عمرو يتجاوزون هذه الحدود بعيداً نحو الجنوب[2]. هناك أيضاً بضع هجرات لبني عمرو (أوضاخ، شبيتسية، والصمعورية) في منطقة العتيبة.

تقدم كل من بني علي وأتباعهم الفردة والوهوب بعيداً نحو الشرق، وكانت منطقتهم تقع فيما بين القصيم الشمالي والدهنا. وكانوا قبل ذلك يذهبون في الربيع باتجاه جبل شمّر حتى السليمي، ثم يتجمّعون في الفوارة لتسليم الضريبة المفروضة من الجمال.

في بداية الثلاثينيات هاجرت مجموعات كبيرة من حرب إلى العراق (العبّيد عين التمر)[*]، إلا أنها ما لبثت أن عادت من حيث أتت بعد عدة سنوات[3].

---

(1) عن طريق الاستفسار من القاهرة عام 1900، قارن أيضاً دوتي جـ 2 ص 235، 282، 299، 300. هوبر، جورنال ص 601، 603، 763، فيلبي جـ3، ص 307، 315، 394، خريطة هيس، سراة نجد، 1910.

(2) جميع ما ورد في تقرير هيس من مستوطنات بني عمرو: البقيعة، العيبل، جلوة، مستنة، القاعية، تقع جنوب الحدود وبعضها بعيداً جداً جنوب الحدود.

(*) هناك اختلاف بين النص الألماني والنص الأصلي لعباس العزاوي. وهو كما يلي: «هذه القبيلة أصل موطنها الحجاز ونجد، وفي الأيام الأخيرة بسبب واقعة آل سعود في الحجاز مال قسم منها إلى العراق، فصارت تسكن الشامية قرب الأخيضر بين الأبيّض في أنحاء الحجرة وبين عين التمر. وغالب الفرق متوزعة في القسمين، كما أن الرؤساء منهم في العراق، ومنهم من الحجاز. العزاوي، عشائر العراق، الجزء الأول، ص 305. (م. شبّر).

(3) العزاوي، جـ1، ص 305.

كان قسم من حرب قد أصبح مستقراً قبل تأسيس مستوطنات الإخوان، وكانوا يقيمون في المريجسية شمال غرب البريدة، وفي العونيد أسفل الطويق في منطقة المحمل البعيدة[1].

حــــرب(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ بني سالم(2)	حجاب بن نحيت(3)	صيفاً: سميرا ـ القصيم شتاء: ترب ـ طلال	1500
أ ـ آل مسعود			
ب ـ العريمات(4)	ابن بنيان		150
جـ ـ الحصنان(5)	عواد الحصني		150
د ـ الحناينة			
هـ ـ الجملة(6)			200
و ـ الزغيبات	عبيد الزغبي		150
ز ـ ولد سليم(7)	عيسى بن ناقي		200
حـ ـ النواحل	حجر بن ناحل(8)		100
ط ـ المضيان	ابن مضيان(9)		250
ي ـ المريخان	ابن مريخان		200
2 ـ بني عمرو(10)	هندي بن ناهك الذويبي(11)	صيفاً: أبو مغير: المطيري شتاء: العريق ـ وادي النسا	1500
أ ـ الذوبة	هندي الذويبي		200

(1) فيلبي جـ3، ص 81، 229.

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
ب ـ الطرسان	درع بن طريس		200
جـ ـ البيضان	محسن بن غميض(12)		100
د ـ الشطرة	حديد الشطير		100
هـ ـ الشعب(13)			
و ـ الغربان(14)	ناصر الغرابي		
ز ـ الفندة	ابن بتلا		100
حـ ـ الصلاح	مغيران بن جديع		150
ط ـ الاشدا	جزا أبا الشيوخ		150
ي ـ الذكريين(15)	شديد الذكري		200
ك ـ الربقة	جزا بن ربيق(16)		
ل ـ الفيادين			
م ـ مخلف(17)	ابن مطلق(18)		200
3 ـ بني علي(19)	محسن الفرم(20)	القصيم ـ الدهنا	600
أ ـ الكراشيف(21)	محسن الفرم		
ب ـ الكلحة	عاصم بن جويعد		
جـ ـ ولد مريد	خلف بن شريان		
د ـ البدارين(22)			
هـ ـ القرون	سليطان القرن		
4 ـ الفردة(23)	ذعار بن حماد(24)		500
أ ـ الحماد	ذعار بن حماد	مثل بني علي	
ب ـ الهدبان	حثول بن هديب(25)		

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
جـ ـ الفريد	صالح الفريد		
د ـ النومان	محمد النومان		
هـ ـ الدواميك	حمد بنداموك		
و ـ الخليفة	نايف بن نومان		
5 ـ الوهوب(26)	ذعار بن سعدة(27)	مثل بني علي	400
أ ـ المضيخ	ذعار بن سعدة		
ب ـ العويض	نقا المهرول		
جـ ـ الخلصة	زهيان بن صوران		
د ـ الشرائين	دايس بن شريثان		

ملاحظات حول الجدول

1 ـ وفقاً لاستقصاءات تعود إلى عام 1900 (القاهرة) 1925، 1929م (دمشق). من المراجع الأخرى نذكر فقط أيوب صبري III، ص 325 (بني سالم، الذويبي، الفرم، بني نخيض، حوالى 14000 شخص)، فيلبي III، ص 393 وما بعدها. العزاوي ج I، ص 306 وما بعدها. وبالنسبة للشيخين الجديدين في الملاحظة II، و25 نذكر، عبد الجبار الراوي ص 188. استند العزاوي بتقسيم فردة (4) والوهوب (5) على ما يبدو على فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب (قارن ملاحظته ص 310) التي استند إليها فيلبي بدوره. وهنا قام عزاوي بتصحيح بعض الكتابات غير الصحيحة الواردة لدى فؤاد حمزة ومما يؤسف له أن بياناته الشخصية قد تضررت بسبب الأخطاء المطبعية. يبدو مجموع عدد الخيم في الجدول وهو 4500 رقماً كبيراً جداً فقد قدَّره محمد البسام في عام 1915 بـ 3000 فقط. الحروف والأرقام الواردة بين قوسين تعود إلى الجدول الخاص بحرب الحجاز الجزء الثاني، ص 543 وما بعدها.

2 ـ تتبع أ، ب، جـ المزينة آ II 4، وتتبع د إلى قبيلة تحمل نفس الاسم آ II 3 شرق المدينة. «الجزء الثاني ص543 و544».

3 ـ ابن نحيت (شيخ المسعود) لدى هوبر، جورنال ص 618/ الوسم ┼ (العرقاي) أكبر من صليب ابن الرشيد.

4 ـ العزاوي: العريمان ـ مربي أغنام. دوتي II، ص 308. عالم الإسلام II، ص 57 تم ذكره خطأً كمؤسس الأرطاوية.

5 ـ العزاوي: الحضنان.

6 ـ ورد لدى بوركهاردت ص 334.

7 ـ مرآة الحرمين II، ص 103: السليمي.

8 ـ تمّ ذكره لدى فيلبي كشيخ أكبر ثان لبني سالم. ابن ناحل عائلة شيوخ حديثة. مؤسسها خلف بن ناحل، أصبح غنياً من خلال تجارة الجمال والبذور ثم اكتسب من خلال علاقته بابن الرشيد نفوذاً سياسياً. دوتي II، ص 274، 276، 282، 284، 288 وما بعدها.

9 ـ حول هذه العائلة القديمة من عائلات الشيوخ. انظر الجزء الثاني ص 376 وما بعدها. جورماني ص 189، والريحاني. . تاريخ نجد ص 71.

10 ـ أ، ب تنتسب للعطور (ب II 2) «الجزء الثاني ص545». لم يرد في الجدول ذكر الخضران الذين ذكروا عامي 1900م و1925م لأنهم على ما يبدو لا يخيمون في نجد.

11 ـ الآن: فيحان الضويبي. 1925م مقحم «مجحم» بن الضويبي. والد هندي ناهت، وتكتب غالباً ناهس سقط أثناء القتال ضد المطير في عام 1918م. فيلبي III، ص 394. العائلة قديمة. قارن بوركهاردت ص 331. المقصود الديبة الواردة في قائمة شبرنغر رقم 57.

12 ـ فيلبي: نعمة بن مشدّق.

13 ـ لدى أيوب صبري أيضاً III، ص 279.

14 ـ سبق ذكرها لدى بوركهاردت ص 330. العزاوي يضعها مع بني سالم أما فيلبي فمثلنا.

15 ـ تنتمي إلى العوف (ب I) «الجزء الثاني ص544»، قارن، دوتي II، ص282.

16 ـ 1900: حمد بن سعد بن ربيق (ربيق). الجزء الثاني 435. تم في كتاب الجيب ذكر (الربقة) في فرع الحجاز.

17ـ صحيح أنهم من المسروح (ب، ج2) «الجزء الثاني ص544» لكنهم ليسوا من بني عمرو.

18 ـ العزاوي: ابن مطلح.

19 ـ تم استكمالها وفق فيلبي.

20 ـ ابن حنيتان. صيحة الحرب: أخو حسنا! ورد ذكر الفرم لأول مرة في قائمة شبرنغر رقم 57.

21 ـ فيلبي: الخراشيف. تمّ في العربية الفصحى تبديل كلا الجذرين!

22 ـ أيوب صبري III، ص 279، هوبر، جورنال ص 618، وكتاب الجيب هاندبوك. يضمهم العزاوي لبني عمرو. الشيخ حسب هوبر: ابن راجح. الوسم═ فوق الركبة.

23 ـ حسب برتون، صورة الحج II، ص 120، عوف ب I ـ الوسم: △ (مشعاب) إما على الرقبة الجهة اليمنى أو على الفخذ الأيمن. هوبر المصدر السابق، التقسيم حسب فيلبي (العزاوي).

24 ـ من ابن حماد يدعى ضيف الله، هوبر ص 613.

25 ـ الآن: ضيف الله بن هديب. تنتسب إليها عائلة شيوخ السبعة التي تحمل نفس الاسم، انظر الجزء الأول ص 153، 154.

26 ـ وردت لدى بوركهاردت ص 330، شرق المدينة. تنسب في كتاب

الجيب هاندبوك إلى بني عمرو. التقسيم حسب فيلبي (العزاوي).

27 ـ ابن سعدة يدعى ناصر، هوبر ص 603. الوسم: ⋂ على الخد الأيمن و ⊂ فوق الركبة اليمنى.

حول الملاحظة رقم 22 لقائمة حرب في الحجاز: الردادة أو الرداددة وجدت في هذه الأثناء بين ملاحظاتنا لعام 1925م. كذلك سيهيلي وردت عند دوتي كبني شيل (مسروح ب) «الجزء الثاني ص544».

جدول هجر حرب(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ الفوارة	حجاب بن نحيت	ضيف الله بن نحيت
		زيد بن نحيت
2 ـ البقيعا	دويّخ البشري(3)	سميّح البشري(2)
3 ـ الخشيبي	عبيد الزغيبي	عبد الله الزغيبي
		غانم الزعيبي
4 ـ القرين؟	عبد المنعم بن ناجي	عبد الله بن ناجي
		صلاح بن ناجي
5 ـ الكحيلة	نايف بن ناحل	شاكر بن صلف
6 ـ البرود	نايف بن مضيّان	فيحان بن مضيان
7 ـ الذيبية	شاهر بن مريخان	ناصر بن مريخان
8 ـ المحلاني	رشيد بن الرشيد	
9 ـ قيطن	شديد الديري	
10 ـ النمرية	محمد بن الثواب	
11 ـ الشبيتسية	هندي الذويبي	فيحان الذويبي

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
12 ـ الداث	درع بن الطريس	
13 ـ تادز	بجاد بن غميض	متعب بن غميض
14 ـ عقلة الصقور	الشطير	
15 ـ الدخنة	عايد البهيمة	ذعار بن بتله
		بدر المشدّق
16 ـ الدليمية	ابن جديع	دعيج بن جدع
17 ـ الصمعورية	سعدي الدستري	
18 ـ أبو مغير	سعد بن ربيق	
19 ـ البعايث	رياح بن مطلق	مخيمر بن مطلق
20 ـ الجرذاوية	عقاب بن خريص	
21 ـ البقيعة	سعد بن غليفيس(6)	
22 ـ الإجبا	عبد المحسن الفرم(7)	
23 ـ الخصيبة	ذعار بن حماد	سلطان بن حماد
24 ـ الجوارة (القوارة)	علي بن هديب	فالح بن هديب
25 ـ ضيدة	حثول بن هديب	
26 ـ البدع	جاوان	
27 ـ الفيضا	عقيل الزهيري	حمود الزهيري

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب أم القُرى رقم 208، 18/ 12/ 1928م بالإضافة إلى تعديلات من قبل ابن عم محمد البسام في عام 1929م الذي أضاف الأرقام 10، 12، 14، 18، 21، 22. تمّ ترتيب المستوطنات حسب الفروع الأربعة (يبدو أن الوهوب، الفرع

الخامس، لم يكن يملك مستوطنات) وضمنها وفق الجدول كما تم تذييل المواقع غير المعروفة بإشارة استفهام. .

تتطابق مواقع المستوطنات مع مناطق التجول. تبدأ هجرات بني سالم، محلاني (8) قيطن (9) فوارة (1) ذيبية (7) من الجنوب الشرقي لسميرة وتمتد إلى القصيم. والنمرية (10) بين البريدة وعنزة تتبع القبيلة نفسها. وتقع مستوطنات بني عمرو: عقلة الصقور (14) وداث (12) والدخنة (15) مقابل مستوطنات بني سالم خلف وادي الرمة في سراة نجد وتقع الشبتسية (11) جنوب داث. لهذا تتبع لها أيضاً الجرذاوية (20) بين (14) و(11). وتوجد الصمعورية (17) شرق شعبا وأبو مغير شمال شرق الحناكية في المنطقة الصيفية للقبيلة. فقط ثادق والدليمية (شرق الظبية) تقعان شمال وادي الرمّة. يمكن أن يكون المقصود بالبقيعة (21) نبع المياه الموجود في سراة نجد. وتقع اجبا (22) هجرة بني علي، جنوب شرق الثعلبية، مستوطنة الفرود: قوارة وضيدة في القصيم الشمالي وفي (أسياح) حيث ينتهي وادي الرمة في الرمال. وتتبع بدع، بالقرب من ثعلبية، إما بني علي أو الوهوب. أما الفيضة فتقع في السر.

2 ـ تعتبر البشري إحدى عائلات شيوخ بني سالم المشهورة التي لم يمكن إيرادها في الجدول. انظر أيضاً هس، من البدو 44.

3 ـ أم القُرى: مشعان الديري.

4 ـ أم القُرى: طعيميس(*).

5 ـ في متن النص: دعيع(*).

6 ـ يذكر العزاوي رباح بن خليفيس كأحد شيوخ قبيلة (البدين؟).

7 ـ التحسين الوهابي لمحسن.

(*) لم تظهر أرقام الهوامش 4، 5 في جدول هجر حرب لذا أنبه القارئ الكريم. (ماجد شبّر).

مطير

تنتشر قبيلة المطير[1]، جوار قبيلة حرب، فيما بين السر وحتى الكويت. وهم أيضاً كانوا في الأصل في الغرب وجاؤوا إلى المنطقة الحالية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، لا تتوافر معلومات أكيدة حول أصل المطير[2]، يقع موطنهم على الطريق الشرقية من المدينة إلى مكة وفي الحرّتين الكبيرتين الكشيب وبني عبدالله اللتين تحمل إحداهما بنو عبد الله اسم أحد بطون القبيلة[3]. وهناك شواهد على وجود القبيلة في هذه المنطقة منذ بداية القرن الرابع عشر الميلادي[4].

خضعت هذه القبيلة لسيطرة الشريف الأكبر، وذلك منذ العام (1500م)[5]،

(1) تلفظ المطير وجمعها مطيران ومفردها مطيري.

(2) ينسب الأمير شكيب ارسلان المواهة وذوي عون إلى جنوب الجزيرة العربية، والجبلان من دارم (تميم) والسعران والمريخات من ربيعة والعبيات من سبيع والبرزان من السهول. لاحظ بالنسبة لهذه الافخاذ، الملاحظات على الجدول 5، 7، 10.

(3) دوتي جـ 2، ص 366، هوبر، جورنال ص 672.

(4) صبح 4، ص 209 (النص: مطين): من بين أشراف المدينة وبالتحديد منهم عدوان، يتبعون أمراء المرا «المرة» (الجزء الأول، ص 504 وما بعدها)، الذين كانوا يذهبون أحياناً في الشتاء حتى حرة كشب (النص: كشت) تجدر الإشارة إلى أن الحمداني ص 125. يذكر آل مطير في واحة ترج غربي بيشه.

(5) سنوك هوجرانيه، مكة. جـ1، ص 102.

وظلت كذلك حتى أواسط القرن التاسع عشر. حاولت القبيلة عدة مرات مغادرة أرضها القاحلة نحو مناطق أكثر خصباً، نحو الجنوب الشرقي أولاً، حيث وصلت إلى منطقة الحمراء على طريق الحج بين الرياض ـ مكة، تقاسمت المعيشة هنا مع كل من سبيع والسهول، إلاّ أنها لم تتمكن من الاستمرار بالعيش طويلاً، كما هو شأنهم[1]، فحاولت الارتحال مجدداً نحو الشمال الشرقي، حيث كانت أوفر حظاً من ذي قبل، فاتجهت بعد الاتفاق مع شمّر، إلى الجانب الجنوبي للجبل. وهناك اصطدمت لأول مرة مع الوهابيين في سنة (1779م).

توالت الاعتداءات الوهابية عليهم منذ الثمانينيات[2]، لذا كان لا بد من الانضمام للقوات التي كان يقودها الشريف الأكبر غالب وأخوه، إبان السنوات (1790 ـ 1791م)، نحو وسط الجزيرة، تماماً كما هي حال حرب وشمّر. ومع هذا، فقد تعرضوا مجدداً لاعتداء إحدى السرايا الوهابية التي كان يقودها قائد الجيش الوهابي الأمير سعود، إلاّ أنهم تخلصوا منها بسلام. وعندما تخلّى غالب عن حملته ألحق الوهابيون بهم وبشمر الهزيمة قرب عدوة (الجزء الأول، 220 وما بعدها) وفي عام 1792م هاجم الأمير سعود، المطير وحرب من جديد، في أقصى الشمال، على موقع مياه الشقرا بالقرب من الحناكية. وبما أن المطير تعرضت في الوقت نفسه، لهجوم من الجنوب، قاده ضدها، شيخ قحطان، هادي بن قرملة، أحد الأنصار المتحمسين للوهابيين[3]، فقد اضطرت إلى الخضوع للسلطة الوهابية.

دانت المطير للديبلوماسية المصرية ـ التركية، مثل حرب وغيرها من القبائل، فرافق مقاتلوها في سنة (1815م)، طوسون بن محمد علي باشا، قائد الجيش

---

(1) فيلبي جـ1، ص 147.

(2) 1779م عند عروة، جنوب غرب سلمى، 1783م عند المستجدة، 1790م في أرض الجريسية، جنوب شرق المدينة، الروضة، جـ 2 في 1193هـ (رجب) 1197هـ، 1204هـ.

(3) الروضة جـ 2، في 1205، 1206، منجن، جـ 2، ص 507.

المصري أثناء زحفه نحو القصيم، ولكنها تعرضت للانتقام بعد انسحاب قوات طوسون، إذ قام الإمام عبد الله، جزاءاً لها على انشقاقها بمهاجمة شقيق الشيخ الأكبر فيصل بن دويش، لهذا، حاول فيصل مد الجسور مع الجيش المصري مجدداً، فبدأ محادثاته مع إبراهيم باشا القائد الجديد للجيش المصري أثناء توقفه في الحناكية، لكنه لم يتمكن من اللقاء به كما هو مذكور في الصفحة 52، إلا في الرس، ورافق المصريين بعد ذلك حتى الدرعية. وسرعان ما دب الخلاف بينهما بعد سقوط المدينة، لامتناع الباشا عن إعطاء المطير ما تستحقه من مكافأة[1]. ولكن يبدو أن النزاع تمت تسويته سريعاً، وبشكل ودي، لأن فيصلاً والمطير استمرا في تقديم الدعم الكامل للأتراك ـ المصريين طوال مدة الاحتلال. إلا أن استمرار هذا الموقف الغريب عن جميع السياسة البدوية كان له سبب أكثر عمقاً وهو: أن العمارات (عنزة)، العدو اللدود للمطير، وقفوا إلى جانب الوهابيين. وهكذا نشبت حرب صغيرة في العشرينيات فيما بين المطير والعمارات، الذين انضمت إليهم في أوائل الثلاثينيات، الرولة أيضاً[2].

توسعت منطقة المطير كثيراً، جراء كل من الحكم الوهابي والاحتلال المصري، فانتشرت بطون القبيلة فيما بين حرب وعتيبة، بدءاً من طريق الحج الشرقي وصولاً للقصيم. ولما يمضِ وقت طويل، بعد انسحاب القوات المصرية، حتى اضطر فيصل آل سعود (في سنة 1846م) إلى التخلي عن الضريبة المترتبة على المطير، وذلك لصالح محمد بن عون الشريف الأكبر[3]، بحيث عادوا إلى الارتباط بمكة كما كانوا في الماضي.

في وقت لاحق أقاموا اتصالات مع عُنيزة [4] التي حصلت عام 1855م، أيضاً

(1) حسب منجن جـ 2، ص 151 وما بعدها. وعده إبراهيم بحكم الدرعية، وبدلاً من الوفاء بوعده، طالبه بدفع الضرائب التي بقي عبد الله مديناً بها لمدة خمس سنوات.

(2) موزيل، شمال نجد، ص 268، 271.

(3) فيلبي، بلاد العرب، ص 116 وما بعدها، قارن شمال نجد، ص 273.

(4) دوتي، جـ1، ص 609، أيضاً جـ 2، ص 331، 367 لقد ضمنت عنزة «عنيزة» الأمان لطريق تجارتها بإهداء المطير شحنة أو شحنتين من التمر سنوياً.

بسبب نفوذ الشريف الأكبر، على حريتها وتمكنت من المحافظة عليها، رغم بعض الانتكاسات في الستينيات، إلى أن رسخ ابن رشيد أقدامه في القصيم (1879م).

شاركت المطير القصيم مصيره: في سنة 1864م كان عليها دفع الضرائب لفيصل آل سعود، وفي السبعينيات كانت ترسل الهدايا إلى حايل، وفي الثمانينيات أخضعها محمد بن رشيد، في الغرب والشرق، لسلطته[1]. وبذلك انتهت أيضاً غارات النهب التي كانت تشنها مطير ضد شمر وحرب اللتان كانتا قد تحولتا، منذ انزياح منطقة الرعي الخاصة بهما، من أصدقاء إلى أعداء. وتجدر الإشارة إلى أن المطير لم تكن واثقة من رسوخ حكم ابن الرشيد. صحيح أنها قاتلت إلى جانبه في عروة (سنة 1883م)، ولكنها في مليدة (1891م)، حيث قاتلت عنيزة وبريدة ضد ابن رشيد، وقفت إلى جانب حلفائها القدامى. ولذلك ذهب شيوخ المطير أيضاً إلى بلاط الشيخ مبارك في الكويت، الذي كان يتجمع فيه منذ عام 1895م جميع خصوم ابن الرشيد، ثم شاركوا بعد ذلك في معركة طرفية ـ صريف (1901م)[2].

ولفهم حقيقة هذه الأحداث والوقائع يجب أن نعلم أن المطير كانوا منذ عشرات السنين قد تابعوا تقدمهم نحو الشرق بحيث إن منطقتهم هناك أصبحت تمتد من السر حتى ما قبل الكويت[3].

كان الشاب عبد العزيز آل سعود قد استفاد من إقامته في الكويت بأن أقام

(1) جورماني، ص 188، هوبر، جورنال ص 610 وما بعد، 633، 672، 700.
(2) محمد البسام، قارن شمال نجد، ص 277. أنظر ص 40 Anm1 .
(3) يعتقد دوتي بأنه على الرغم من ذلك، فإن المطير جميعاً كانوا يمضون الشتاء في الغرب. قد يكون هذا ممكناً، ولكنه بعيد الاحتمال، وهو لا ينطبق بأي حال على نهاية القرن التاسع عشر، لأن معركة مليدة حدثت في الشتاء، (الريحاني، كانون الأول 1890، موزيل، شباط 1891، فيلبي كانون الثاني) ويتبين من حكاية هيسّ، عن البدو، ص34، كم كان الاتصال صعباً بين مجموعتي مطير، إذ كان يتعين على المطير الشرقيين أن يحصلوا على موافقة العتيبة لكي يصلوا إلى إخوانهم في وادي جرير.

علاقات من عائلة ابن دويش، أهم عائلات شيوخ المطير وأكثرها نفوذاً. ولقد دعمه المطير في معركة البكيرية (1904م). ولكنهم لم يكونوا يعتبرون أنفسهم من رعاياه.

كما أن الشيخ فيصل بن دويش شارك أيضاً في لعبة الدسائس التي نجمت عن وجود الأتراك في القصيم. فتقرب في البداية من آل سعود، ثم تفاوض بعد ذلك مع الأتراك (1905م) وبعد انسحابهم مع بريدة الذي كان بدوره يتآمر مع ابن رشيد (1906م). ولم يتعلم فيصل شيئاً من الهجوم الذي شنته العتيبة، المدعومة من آل سعود، على المطير قرب المجمعة وكبدتهم فيه خسائر فادحة، بل إنه طلب المساعدة في إبريل / نيسان 1907م من حلفائه ابن رشيد وبريدة. ولكن في اليوم الذي سبق المعركة الليلية في طرفيّة تم في المساء تفريق المطير بواسطة مجموعة تابعة لآل سعود[1].

وضع صلح عام 1908م المطير تحت رحمة آل سعود، وأدى صلح عام 1910م إلى تقسيم القبيلة إلى قسمين. فحصلت حايل على حق جباية الضرائب من بني عبد الله، أي من المطير الغربيين، وحصلت الرياض على حق جباية الضرائب من علوة وبريه، أي من المطير الشرقيين. وعلى الرغم من ذلك انتقل فيصل بن دويش في بداية عام 1912م[2] إلى صف ابن رشيد. وقاتل معه قرب الخميسية ضد الضفير وبقي مع رجاله الثلاثمائة طيلة فصل الصيف في الشمال.

لم ينتقل إلى صف الوهابيين إلا في بداية الحرب العالمية. وكان ذلك نتيجة

(1) انظر المقطع المتعلق بذلك لدى فيلبي، آرابيا (بلاد العرب)، ص192 ـ 200، الذي يستند فيه إلى ريحاني لكنه يتفوق عليه جداً في فن العرض. لكن معركة طرفية لم تكن بأي حال انتصاراً لآل سعود، حسبما يزعم الريحاني وفيلبي، وإلا لما استطاع سلطان ابن رشيد الهارب الدخول إلى بريدة بعد أن أجبرته شمر على العودة (انظر العرض السابق) ـ وهذه حقيقة يتوجب على ريحاني أيضاً، 156، الاعتراف بها.

(2) وليس في نهاية العام كما يقول ريحاني، ص 183.

جهود سيّد طالب، إحدى الشخصيات البارزة في البصرة. فلكي لا يكون في موقف حرج أمام الأتراك ولا أمام الإنجليز ذهب في نوفمبر/ تشرين الأول 1914م. إلى الرياض بينما كان الإنجليز متوقفين في الفاو. وفي الطريق نجح في استمالة فيصل بن دويش إلى جانب آل سعود. ونتيجة لذلك قاتل المطير قرب جراب إلى جانبه[1]. وفي الصلح الذي عقد بعد ذلك ألحق بنو عبد الله مجدداً بحائل وصار من حق كل من الأميرين تحصيل الضرائب من علوة وبريه فور وصولهم إلى منطقته. وفي الحقيقة كان هذا الشرط يعني أن كلتا القبيلتين أصبحتا خاضعتين لآل سعود؛ إذ إن قطعانهما كانت ترعى عادة في أراضيه.

علاوة على ذلك فقد قام الإخوان، الذين انضمت إليهم أعداد كبيرة من المطير، بدمج القبيلة دمجاً كاملاً في الدولة الوهابية الجديدة. ولقد تأسست أول مستوطنة للإخوان (هجرة)، الأرطاوية (1912م)، في منطقة القبيلة، وكان معظم سكانها من المطير. وبرز إخوان المطير بشكل خاص في القتال الذي دار ضد ابن رشيد عام 1918م وعام 1921م. وكانوا على رأس المشاركين في الهجمات التي شنت باتجاه الكويت والعراق والتي استمرت حتى نهاية عام 1925.

ولكن في وقت لاحق تبين أن تطرف الإخوان وحبهم للقتال أصبح يشكل عبئاً على الدولة. ففي نهاية عام 1927م شن إخوان المطير ضد رأي الملك غزوات في الأراضي العراقية. وعندما عُزل فيصل الدويش في نهاية عام 1928م وقفت القبيلة وهجر الأرطاوية إلى جانبه. ولم يبق مع الملك سوى الحمادين (ب4)[2]. وفي النهاية اندلع قتال مكشوف بين المطير، الذين انضمت إليهم أيضاً العتيبة ـ برقا، وبين قوات الملك. وفي أول أبريل/ نيسان 1929م مني المتمردون عند السبلة بالقرب من الأرطاوية بهزيمة حاسمة. وفي وقت لاحق انضم جزء من القبيلة إلى فيصل الدويش عندما ثار مجدداً على الملك في صيف 1929م. إلا أن الثوار أرغموا

(1) محمد البسام.
(2) أم القرى، رقم 249.

في ديسمبر/ كانون الأول 1929م على الفرار إلى العراق أو الخضوع لسلطة آل سعود.

يتألف المطير من ثلاث مجموعات: علوة، وبريه، وبني عبد الله (تلفظ "عبديلّه"). كان في السابق المقر الرئيسي لنبي عبد الله في المنطقة الغربية للقبيلة. ولكن عندما انقطعت الصلة بين الشرق والغرب في نهاية القرن الماضي استقرت عدة عشائر من بني عبد الله في الشرق ثم تبعتها في وقت لاحق عشائر أخرى.

أما علوة وبرية فكانتا غالباً متخاصمتين، وهكذا كان الأمر عام 1918م[1].

تتألف منطقة رعي المطير الشرقيين من شريط يقطع عمودياً منطقة سدير، وهضبة (سهل) عرمة، ودهنة، وصمّان، ويحده من جهة الجنوب الشرقي خط الجلاجيل ـ قريّة السفلى، ومن جهة الشمال الغربي خط مواز له قادم من أم الجماجم ـ جراب. وتتبع لهذه المنطقة الآبار الموجودة في ما يسمى طوال مطير: لصافة، وقرعا، ووبرة، وكلتا القريتين، وكذلك في الغرب الأرطاوية والقاعية. في الربيع تتوفر في الدهنة مراع جيدة، أما في الصيف فيرحل جزء من المطير إلى الساحل وجزء نحو الداخل إلى السر[2]. وفي العديد من القرى الصغيرة الموجودة في القصيم يوجد مطير مستقرون.

تبدأ منطقة المطير الغربيين على مقربة من خط الطول 41. وتضم في الجنوب قريتي سويرقية وصفينة، اللتين يسكن فيهما الشرفاء، والمستوطنة المهجورة هاضة، وتقترب في الشمال من الحناكية. وتمتد في الشرق حتى العريق (عريق الدسم). أما الحدود الشمالية فقد ذكرناها في الصفحة 41، 42 أعلاه لكن الحدود الجنوبية مع العتيبة تسير بشكل مائل نحو الأعلى وتصل إلى عريق فوق موقع المياه متسلاه[3].

---

(1) غورماني، 188، فيلبي، الجزء الثالث، ص 32، 144.

(2) راونكير، بلاد الوهابيين، 1913، ص 133، 250 وما بعدها؛ فيلبي، الجزء الأول، 266، 275؛ الجزء الثالث، 144، 354 ـ 365 وما بعدها، 372.

(3) خارطة هيس.

ابن دويش (الدوشان) عائلة شيوخ المطير

يحتل الدوشان بين عائلات شيوخ المطير المركز الأول منذ زمن طويل.

ويبدو أن حسين الدويش أصبح وهابياً قبل عام 1790م، ولكنه ارتد عن الوهابية عندما تقدمت قوات الشريف الأكبر إلى نجد. في الربع الأول من القرن التاسع عشر كان فيصل بن وطبان الدويش أكثر مشايخ المطير نفوذاً. وهناك حكاية تروي[1]، أن شجاراً جرى بينه وبين خصم قديم له، هو شيخ العنزة الحميدي بن عبد الله. ابن هذّال، وبحضور الإمام سعود. وتروي الحكاية كيف أن الحميدي عيّره بقوله: لولا الإسلام وهذا الإمام لما بلغ سن الشيب بل كان قد قتل كآبائه في سن الشباب على يد العنزة، وكيف رد عليه بقوله: لولا الإسلام والإمام لما بلغ أبداً الثراء الذي هو فيه ولما تجرأ أبداً على دخول أرض المطير. وظلا يتناقران إلى أن تدخل الإمام وأجبرهما على السكوت. وعلى أي حال فإن الإسلام، والمقصود طبعاً الوهابية، لم يكن عميق الجذور عند فيصل. فمنذ عام 1816م كان يقاتل إلى جانب المصريين.

في الثلاثينيات حكم محمد الدويش، وفي الستينيات ماجد بن الحميد (حميدي)، وفي السبعينيات سلطان بن الحميدي. ويذكر أن سلطان لم يتوفى حتى عام 1908م بعد أن كان ابنه فيصل قد تولى منذ عدة سنوات قيادة قبيلة علوة[2].

يعتبر فيصل الدويش، واحداً من أهم الشخصيات التي عرفتها الجزيرة العربية في العصر الحديث. وتعود علاقاته مع عبد العزيز آل سعود إلى زمن بعيد، لكن موقفه السياسي ظل يتراوح ولأمد طويل، فيما بين ابن الرشيد، وابن سعود. ولم يحسم موقفه بشكل نهائي لصالح بن سعود حتى عام 1914م. ربما، تكون بعض الاعتبارات الدينية قد لعبت دورها، حيث انضم فيصل إلى الإخوان، وأصبح

(1) عنوان المجد، 105 (1228هـ ـ 1813م).

(2) فيلبي، بلاد العرب، 113، جورماني، 188م شمال نجد.

وبسرعة أهم زعيم لهذه الحركة. وقد أسهمت أعماله في توسيع دولة الوهابيين خلال الفترة التالية لما بعد الحرب، لكنها كانت في الوقت نفسه سبباً لخلافات سياسية خارجية.

في عام 1918م تولى فيصل تغطية آل سعود ضد حائل. وكان قبل ذلك قد دافع عن مستوطنة الإخوان "القريّة" ضد الكويتيين. وفي عام 1920م كان له هنا مرة أخرى دور فعال، وفي وقت لاحق على الحدود مع العراق حيث لم تتوقف المناوشات إلا بعد صلح البحرة (1/ 11/ 1925م). ولقد برز فيصل بشكل متميز في المعارك التي دارت أمام حائل (سبتمبر/ أيلول 1921)، وكذلك عند حصار المدينة عام 1925م[1].

بعد بضع سنوات حصل جفاء بين عبد العزيز آل سعود وفيصل. إذ إن فيصل أصبح قائداً للإخوان الذين لم يكونوا راضين عن سياسة الملك السلمية[2]. في صيف 1927م بدأت حكومة الانتداب في العراق ببناء مخافر للشرطة على مواقع المياه التي تبعد عن الحدود نحو 80 كيلو متراً، وهي: الشبشة، وسلمان، وبصيّة، وذلك خلافاً لأحكام بروتوكول عجير (1922م) الذي حظر بناء منشآت عسكرية على الآبار على كلا الجانبين من الحدود لكي لا تتضايق القبائل عند ترحالها المعهود بحثاً عن المرعى. وكان المطير يأتون إلى بصيّة بين حين وآخر، وعندما وجدوا هناك أعمال البناء قاموا على الفور بقتل العمال[3]، مما أدى إلى نشوب حرب حدود جديدة: بين 15 نوفمبر/ تشرين الثاني 1927م وأول يناير/ كانون الثاني 1928م شن فيصل بن دويش ثلاث غزوات على الأراضي العراقية. وازداد

---

(1) فيلبي جـ3 ص 18 وما بعدها، ريحاني 244 وما بعدها، 251، 276، 291، 376، فيلبي، بلاد العرب، 342 وما بعدها، 244 وما بعدها.

(2) ما يلي حسب الجريدة الرسمية المكيّة أم القرى رقم 157، 161، 163، 165، 167، 169، 174، 224 ـ 249، 252 ـ 267؛ فيلبي ص 342 وما بعدها.

(3) وفق ما جاء لدى فيلبي.

الوضع توتراً عندما قامت الطائرات البريطانية في منتصف يناير/كانون الثاني 1928م بتجاوز الحدود وإلقاء القنابل[1]. عندئذ اقترح الملك على الحكومة البريطانية وقفاً لإطلاق النار وإجراء مفاوضات، ووجد أذناً صاغية على الفور. وعلى إثر ذلك أجبر الإخوان من أتباع فيصل الموجودون عند إجبا على التراجع، لكن القوات الجوية البريطانية انتهكت، قبل أيام قليلة من وصول المفاوض البريطاني، وقف إطلاق النار وشنت هجوماً جديداً (نهاية أبريل/ نيسان 1928م) وهكذا أُفشلت المفاوضات[2].

بدءاً من هذه اللحظة توجه غضب الإخوان ضد الملك الذي لم يكن يريد بأي حال الانجرار إلى حرب مع العراق، أي مع بريطانيا. ولكي يبرر موقفه دعا إلى مؤتمر في الرياض (أول أكتوبر/ تشرين أول 1928م). وقد نجح في إقناع الحضور بوجهة نظره، ولكن زعماء الإخوان، بالإضافة إلى فيصل وحميه (أبي زوجته) سلطان بن بجاد بن حميد، زعيم العتيبة ورئيس هجرة غطغط، لم يحضروا الاجتماع. وكان هذا إيذاناً بالقطيعة مع الملك.

وبينما كان المتمردون يجمعون أنصارهم بدأ الملك بتسليح قواته استعداداً للمعركة. ولم تسفر المفاوضات عن أي نتيجة. فقام الملك بحشد قواته في مارس/ آذار في النبقية في شمال القصيم ثم شن في أبريل/ نيسان هجوماً قضى فيه على المتمردين قضاء مبرماً. وأمام الأرطاوية توسلت نساء فيصل وأولاده إلى الملك المنتصر لكي يدعه يموت في هدوء. لكن الملك أمر بإحضاره إليه محمولاً على نعش، ثم عفا عنه بعد ذلك.

إلا أن الثورة لم تكن بذلك قد انتهت بعد. فقد كان يحمل لواءها الآن شيخ العنزة فرحان المشهور[3] وقبيلة عجمان المتمردة دوماً في شرقي الجزيرة العربية.

---

(1) وفق أم القرى، فيلبي يشير إلى غزوات نهب الأخوان باعتبارها ثأراً للغارات الجوية.

(2) انظر فيلبي.

(3) انظر الجزء الأول، ص 189 وما بعدها (الملاحظة 20).

وفي يونيو/ حزيران 1929م اندلعت الاضطرابات هناك بينما كان الملك يشارك في مناسك الحج. وقد غادر فيصل أيضاً الأرطاوية، وكان قد شفي من جراحه، وانضم إلى المتمردين، في البداية واجهت الحكومة وضعاً صعباً لأنه لم يكن في وسعها الاعتماد إلا على العوازم فقط. كما أن وسط الجزيرة بدأ في خطر. ولذلك تأخرت الحملة التي كان من المقرر إرسالها في منتصف أغسطس/ آب إلى شرق الجزيرة العربية. في هذا الوقت عبر فيصل الدهنا وهاجم مخيماً للسبيع في القاعية. وكان هذا مقدمة لحدوث اضطرابات جديدة في وسط الجزيرة العربية شاركت فيها أيضاً بني عبيد الله والعتيبة. ولكن الحركة أخمدت على يد حرب ومن بقي وفياً للملك من العتيبة، قبل وصول القوات النظامية. وفي أثناء ذلك استمرت المناوشات في شرقي الجزيرة.

في بداية سبتمبر/ أيلول شن عبد العزيز، ابن فيصل، غارة على منطقة شمر. ووصل إلى الحزول، لكن أمير حايل لحق به على طريق عودته قرب لينه. فسقط قتيلاً مع 700 رجل. ولم ينج من رجاله سوى اثنين. فحزن فيصل لهذا الحدث أبلغ الحزن. وفي أكتوبر/ تشرين الأول خسر هو نفسه معركة ضد العوازم قرب وفرة. وفي نوفمبر/ تشرين الثاني دخل الملك المعركة. فحشد جيشه عند حفر العطس ثم تقدم في ديسمبر/ كانون الأول إلى القريَّة لكي يطرد المتمردين إلى حدود الكويت. وفي نهاية الشهر تم القضاء على آخر تجمعات المتمردين في شعيب العوجا في المثلث الحدودي. وتمكن فيصل بن دويش و(صاهود) ابن لامي أ 2 أ وفرحان بن مشهور من الهرب إلى العراق. وفي نهاية يناير/ كانون الثاني 1930م عاد شيخا المطير إلى السعودية واستسلما للملك. وبعد ذلك بوقت قصير توفي فيصل في أحد سجون الرياض.

مطير(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أ ـ علوة(2)	... الدويش	السدير ـ الصمان	1600
1 ـ الموهة	... الدويش		500
2 ـ الجيلان	صاهود بن لامي		
أ ـ الاحيا	صاهود بن لامي		150
ب ـ القعيمات	صاهود القعيمي		100
جـ ـ الاعنة	محمد المنديل بن رشدان		100
د ـ المقالدة	فيصل بن شبلان		100
3 ـ ذوي عون(3)	جفران الفغم (جعفر)		250
أ ـ الصهبة(4)	جفران الفغم (جعفر)		
ب ـ الملاعبة			
4 ـ الرخمان(5)	فيحان بن جريبان		200
5 ـ البراعصة	نايف الصور(6)		150
6 ـ العراقبة(7)			
ب ـ بريه(8)	غنيم المريخي	السر ـ الدهنا	1700
1 ـ المريخات	غنيم المريخي		200
2 ـ الصعران	مشاري بن بصيص(9)		200
3 ـ ذوي سعدون	ناصر بن سعدة		100
4 ـ الحمادين(10)	صرير الحميداني(11)		150
5 ـ الهوامل	شعوان بن دمخ		200
6 ـ البرزان(12)	خالد أبو شويربات(13)		200

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
7 ـ العبيات	رفاعي بن عشوان(14)		200
8 ـ المحالثة	شبيب الهفتة		100
9 ـ الوساما	محسن بن مهيلب(15)		100
10 ـ البدنة	طامي القريفة(16)		150
11 ـ الدياحين	مخلف بن جربوع		100
جـ ـ بني عبد الله(17)	قعدان بن درويش(18) ابن سقيان	حرة بني عبدالله ـ السر	1200
1 ـ الصعبة	عليان بن ضمنة(19)		200
2 ـ ميمون	مداد بن عتبان		150
3 ـ ذوي عون	محسن بن جبرين(20)		200
4 ـ الشطر	قعدان بن درويش(18)		200
5 ـ السميحات	دهيميش السميحي		100
6 ـ الهليبات	أبو هلية(21)		100

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1915م (محمد البسام). 1925، 1929م. تستند جداول المطير إلى بوركهاردت، ص 328 وما بعدها، جورماني ص 188، راونكايرص 132 وما بعدها، كتاب الجيب I ص 84، فؤاد حمزة، ص 193 وما بعدها. يورد جورماني (مع الأخطاء المطبعية المعهودة) أ، 2، 2ب، د، 3أ، 5، 6، مع نفس عائلات الشيوخ ما عدا 2ب؛ ب1، 2، 6، 7، 9، و11، وباستثناء الأخيرة مع عائلات الشيوخ الحالية. يعتمد فؤاد حمزة في قائمته على كتاب الجيب، لكنه يضيف تصنيفاً، تصعب قراءته بسبب الأخطاء المطبعية مع أنه مهم جداً فهو يعكس

حالة قديمة وهو مدين بها للأمير عبد اللّه شقيق ملك الجزيرة العربية. البيانات حول الأعداد متباينة وتتراوح ما بين 4500 (في الجدول) و(6600) (بيانات 1915م).

2 ـ سبق أن وردت لدى بوركهاردت.

3 ـ يضيف الأمير عبد اللّه (المطيرات) لفروعها (مطير راونكير). انظر أيضاً ملاحظة رقم 17.

4 ـ مذكورة تحت نفس عائلة الشيوخ، الروضة، ج2 عام 1197هـ/ 1783م.

5 ـ الأمير عبد اللّه: (المواهة) (1) وكذلك البراعصة أيضاً (5) المذكورون أيضاً في الروضة ج2 تحت عام 1205هـ/ 1791م.

6 ـ الجمع: الصوَرة.

7 ـ الأمير عبد اللّه: جبلان (2).

8 ـ وردت لدى بوركهاردت. ينقسمون إلى وسّامة الهلال (أ 2 جـ)، و(ب 1، 2) وواصل (5 ـ 11).

9 ـ عائلة شيوخ مهمة. لدى جورماني وفيلبي، جزء 3، ص 19، 29: ابن مصيّص.

10 ـ الأمير عبد اللّه، صعران (2).

11 ـ هذه السلالة وجودها مثبت عام 1205هـ/ 1790م، الروضة جزء 2.

12 ـ وردت لدى بوركهاردت. يستخدم دم البرزان كشفاء ضد مرض الكلب. اعتقد العرب القدماء أن دم الملوك يشفي من هذا المرض حيث تمت الإشارة إلى ذلك كثيراً في أشعارهم.

13 ـ فيلبي ج 3، ص 378: (تلاّه) أبو شويربات. هناك رجل اسمه أبو شويربات تمّ إخضاعه في بداية 1930م.

14 ـ هناك رجل اسمه ابن عشوان سقط في بداية عام 1930م بين المتمردين، أم القُرى، رقم 265. وكذلك، هوبر، المجلة ص 700.

15 ـ فيلبي ج3 ص 32، مطلق بن مهيلب .

16 ـ مذكور عند فيلبي ج 3 ص 32؛ أبوه شبّاب مذكور في كتاب الجيب (هاندبوك).

17 ـ الأمير عبد الله: يتكونون من حليف مؤلف من: الحلّف من ذوي عون أ3، وصعبة (1)، وميمون (2) وكلاهما من بريه (انظر الملاحظة 8). وهذا ما يفسر ظهور ذوي عون مرتين في الجدول.

18 ـ فيلبي، ج3، ص 304، ضيدان، صادفه فيلبي في القصيم الشمالي عندما كان عائداً إلى دياره مع غنائمه إثر غزوة ضد حائل. هوبر، جورنال ص 672، يذكر علي بن الدرويش الذي كان يعيش مع مجموعة قوية في الحراث.

19 ـ وردت لدى فيلبي، ج3، ص 32

20 ـ ابن جبرين لدىٰ جورماني.

21 ـ سقط أحد أجداده في معركة عدوة. الروضة ج2، في 1205هـ/ 1791م.

هجر المطير(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ الأرطاوية	عبد العزيز الدويش(2)	نايف بن مزيد(3)
		فيصل بن شبلان
		هزاع بن بيدر
2 ـ القريّة العليا	تريحيب بن شقير(4)	فلاح بن شقير
		غضبان بن منديل
3 ـ لصافة	جاسر بن لامي	
4 ـ القريّة السفلى	هايف الفغم	سعود بن كريدي الفغم
5 ـ الفروطي(5)	مشاري بن بصيّص	قاعد بن بصيص
6 ـ التامرية	عقوب الحميداني	ضعار بن الحميداني
7 ـ البوضا	مطلق الهفتة	
8 ـ أمبايض(6)	طامي الغريفة	
9 ـ الشفلاحية(7)	قعدان الدرويش	
10 ـ مليح	علوش بن سقيان	غازي بن سقيان
11 ـ اوضاخ	ابن ضمنة(8)	
12 ـ العمار	عبد المحسن بن جبرين	
13 ـ الإثلة	حويل بن سمحان(9)	مذكر بن سمحان
14 ـ دابان(10)		
15 ـ الأرطاوي(10)	سليم الرجاح	
16 ـ المثيوي(11)	سالم بن مزنان	

ملاحظات حول جدول هجر المطير

1 ـ وفق أُم القُرى رقم 208 في 18/ 12/ 1928م وكذلك ملاحظات قريب محمد البسام (1929). تم ذكر 17 هجرة من أصل 19، وردت الثلاث الأخيرة وكذلك رقما 9 و12 لدى ابن بسام فقط. تم تصحيح الأخطاء المطبعية وغيرها دون الإشارة إلى ذلك. وذُيِّلت المواقع التي لم يعثر عليها بعلامة استفهام. تنتشر هجرات المطير من أوضاخ (11، 13) عبر السرّ (12) والسدير (8، 16) وعرمه (1، 14، 15) إلى ما بعد الصمان (2، 3، 4). لقد تم ترتيبها في الجدول وفق تسلسل الشيوخ أو عائلات الشيوخ، باستثناء الثلاث الأخيرة حيث لا يرد أمراؤهم فيها.

2 ـ سقط قتيلاً 1929. انظر ص: 123 من هذا الجزء.

3 ـ من أحد خطوط نسب الدويش الجانبية.

4 ـ من أحد فروع نسب الدويش الجانبية فيلبي، ج3 ص 366.

5 ـ في الحقيقة = (فريثان) فيلبي ج3 ص 85 في الحمادة.

6 ـ جنوب شرق المجمعة.

7 ـ هناك موقع يحمل نفس الاسم يوجد شمال أجفر في منطقة شمّر.

8 ـ أم القرى: منيف بن القطيّم.

9 ـ تابعة إلى حـ 5.

10 ـ وادي قرب الأرطاوية.

11 ـ جنوب شرق المجمعة.

عتيبة

عتيبة هي أكبر قبائل البدو في الجزيرة العربية[1]. وتمتد منطقة ترحالها من الطائف حتى القصيم، ومن الحرة الجنوبية إلى أسفل الطويق، وتشمل أفضل مراعي شبه الجزيرة.

يقع موطن عتيبة في جبال الطائف، وتنقسم إلى بطنين كبيرين هما الروقة وبرقا (برقة)، وهما من أصول مختلفة.

تنتسب برقة إلى سفيان، وهو فرع من ثقيف يقطن جنوب الطائف[2]، وقد ورد ذكر عتيبة في سجلات مكة لأول مرة في سنة 1500م[3]، وظل وجودها زمناً طويلاً يقتصر على المناطق الواقعة في غرب الجزيرة في القرن الثامن عشر كانت تسكن على الضفة العليا لوادي فاطمة، وفي الحرات الواقعة شماله: حرة الروقة، والطراح وكشيب[4]. وكان التحرك الأول لها إبان الحروب الوهابية. ولكن حتى عام 1818م كان أكثر من ثلثي القبيلة لا يزال موجوداً في الحجاز[5]. بعد ذلك

(1) تلفظ: عتيبة وجمعها عتبان، ومفردها عتيبي.

(2) هيس، أسماء بدوية من قلب الجزيرة العربية، 4. بخصوص ثقيف وفرعها سفيان، انظر الجزء الثاني ص 563، 596. في مكة يدعي البعض أحياناً بأن الروقة ينتسبون إلى عامر بن صعصعة. لا يمكن الاعتماد على هذا الرأي، لأن المصطلح بعيد عن هذا المعنى جداً.

(3) سنوك ـ هرجرونية، مكة جـ1، ص 563 وما بعدها.

(4) نيبور، الجزيرة العربية، ص 399: عتيبة قبيلة كبيرة وقديمة تقيم بين الطائف ومكة. انظر أيضاً الجزء الثاني، ص 374.

(5) قارن جدول سبرنغر رقم 53 بـ80.

انتشرت بسرعة ووصلت إلى حدودها الحالية تقريباً في منتصف القرن الماضي. وبما أن عتيبة احتفظت بموطىء قدم لها في الحجاز فقد تمسكت مكة بحقها في جباية الضرائب منها وأجبرت حكام وسط الجزيرة مرتين على الاعتراف بهذا الحق.

يعرف القارىء الآن الإطار الذي تنضوي ضمنه الأحداث التالية: هوجمت عتيبة لأول مرة عام 1795م من قبل الوهابيين. فقد فاجأهم ولي العهد سعود، بعد مسيرة شاقة، في الحرة وغنم منهم 2000 رأس من الإبل و10000 رأس من الغنم. وفي العام التالي شارك الشيخ المتضرر أبو محيور في حملة كان من المقرر أن تتوجه من مكة إلى وسط الجزيرة العربية. لكن الوهابيين أوقفوها عند بئر الجمانية وهزموها في اليوم الثاني واستولوا على كل ما لديها من مؤن ومعدات؛ وكان أبو محيور قد قتل في اليوم الأول. وبعد أن ضعفت القبيلة نتيجة انتصارات وهابية أخرى أرسلت القبائل المكية في عام 1798م شيخ العتيبة حمود بن ربيعان إلى زعيم الوهابيين كي يطلب منه قبولها في الجماعة الوهابية. فقبل طلبها ضمن شروط قاسية إلى حد ما. ولذلك شاركت عتيبة في الحملات، التي شنها الوهابيون عام 1802م و1803م على مكة والطائف، تحت رايتهم[1].

عندما جاء حاكم مصر، محمد علي باشا، عام 1813م إلى الحجاز وأمر باعتقال الشريف غالب، شريف مكة، الذي كان الوهابيون قد أبقوه في منصبه، اتخذ العتيبة في البداية موقفاً معادياً للأتراك. ولكن الأمر تغير في وقت لاحق. ففي أغسطس/ آب 1814م انضم جزء من القبيلة إلى صفوف محمد علي باشا الذي استهواها بالمال والصبر، بينما قاتل جزء آخر في يناير/ كانون الثاني التالي في معركة بسل إلى جانب الوهابيين[2]. ويبدو أن انقساماً مماثلاً تكرر عندما بدأ إبراهيم باشا، ابن محمد علي باشا، عام 1816م حملته على وسط الجزيرة العربية[3].

(1) الروضة جـ 2، تحت رقم 1210، 1212، منجن جـ 2، ص 510، 514، 526 وما بعدها.
(2) بوركهاردت، ص 516، 527، 548، قارن الجزء الثاني، ص 468، 592 ـ 593.
(3) قارن جودت، تاريخ، الجزء 11، ص57، مع عنوان، ص 115.

بعد احتلال الدرعية (عام 1818م) انفصلت العتيبة على آل سعود وأصبحت في الحجاز وعلى حدود الحجاز تابعة لشريف مكة، وفي نجد مستقلة. أما تخلي فيصل آل سعود عن السيادة على العتيبة، الأمر الذي أرغمه عليه شريف مكة محمد ابن عون بعد الحملة التي شنها عام 1846م على القصيم، فلم يكن سوى تثبيت لوضع قائم. أصبحت العتيبة منذ منتصف القرن الماضي قبيلة مرهوبة الجانب في الشمال. وقد كانت غزواتها تصل إلى ما بعد القصيم. وعلى الرغم من أن آل سعود أوقع بها خسائر فادحة في إحدى الحملات التأديبية، فقد ظلت حتى نهاية السبعينيات غير خاضعة لأحد[1]. ففي حرب الأخوة التي دارت بين ابني فيصل (1865 ـ 1874م) وقفت إلى جانب الحاكم الشرعي عبد الله ولكن ليس كتابع له وإنما كحليف وعبد الله مدين للعتيبة في المحافظة على سلطته. إذ إن أخاه سعود توفي عام 1874م بسبب جرح أصيب به خلال حملته الفاشلة ضد العتيبة[2].

منذ صعود ابن رشيد (1870م) بدأت العتيبة بالوقوف ضده. وقد تعرضت قبيلتا حرب والهتيم المرتبطتان بحائل لغزواتها. إلا أن محمد بن رشيد أخضع في بداية الثمانينيات الروقة الشمالية. وكلفها بجباية الضرائب في المنطقة الواقعة جنوب شقرا بغرض إرسالها إليه. كما أنه خصص لها منطقة للرعي[3].

كان عبد العزيز آل سعود في بداية حكمه يعتبر العتيبة من الأعداء. ولكنه بعد

---

(1) جورماني، 189 "اعداء لكل أمراء نجد". لقد شهد المؤلف عام 1864م حرباً دامت عدة أيام بين ولي العهد الأمير عبد الله وعتيبة (روقة) شمال وادي الرمة، كانت نتيجتها هزيمة عبدالله بسبب شجاعة العتيبة وبسبب تخاذل حلفائه من بني قحطان. دوتي جـ 2، ص 367، 426؛ شمال نجد، ص 273 (انتصار عبد الله على عتيبة في جراب).

(2) محمد البسام: دوتي جـ 2، ص 424 وما بعدها؛ شمال نجد، ص 267؛ فيلبي، بلاد العرب ص 145. يقول فيلبي إن سخا الواقعة على طريق الرياض ـ مكة، في وسط منطقة برقا. هي الموقع الذي انهزم فيه ابن سعود على الرغم من أن المنتصرين كانوا الروقة (وليس برقا)؛ الموقع الصحيح هو على الأرجح سديا الواقعة في جنوب سرة نجد.

(3) جورماني، ص 68، دوتي جـ 2، ص 24، 36، 426 وما بعدها (حملة تأديبية إلى حرة قشيب)، جورنال، ص 591، 611، 650.

تقدمه في القصيم منذ عام 1904م أقام علاقات مع القبيلة التي كانت بين حين وآخر تقدم له المساعدة في معاركه ضد ابن رشيد. إلا أن الخلاف نشب من جديد في الأعوام اللاحقة. ففي صيف 1910م جهز الشريف حسين حملة ضد نجد قادته في بادىء الأمر إلى القويعيّة (على الطريق إلى الرياض) ثم في وقت لاحق إلى الشعرا وإلى حدود الوشم. وفي القويعية وقع في يده أخو عبد العزيز آل سعود، سعد، الذي كان يتنقل في أراضي برقا لكي يجند المقاتلين لمحاربة العرايف الثائرين، لكن برقا نفسها قامت باعتقاله. وهكذا اضطر عبد العزيز، الذي كان قد عقد قبل وقت قصير صلحاً مع ابن الرشيد لم تكن شروطه في صالحه، إلى السكوت عن الإهانة مرة أخرى لأنه لم يكن قادراً على خوض حرب في تلك الظروف الصعبة التي كان يمر فيها. وكان قد اعترف للشريف حسين بعدة حقوق من ضمنها اعتبار العتيبة من رعاياه. ومنذ ذلك الوقت حقد عبد العزيز على العتيبة، على الرغم من أن شيخ البرقا محمد بن هندي بن حميد كان يسعى إلى الصلح، أو ربما لهذا السبب بالذات[1]. وعندما قدمت البرقا، بعلم الشريف حسين ورضاه، ملجأ للعرايف، قام عبد العزيز بتأديبها قرب سخا[2].

لم يتمكن عبد العزيز آل سعود من كسب تأييد العتيبة وانضمامهم إلى رابطة الإخوان إلا خلال الحرب العالمية. فقد تم توطينهم في الأرطاوية وخاصة في غطغط في قوس الطويق. إلا أنه بدا وكأن هذه المستوطنة، التي كانت القبيلة تعتبر سكانها خونة، ستعمق الخلاف بين العتيبة وآل سعود بدلاً من أن تكون جسراً للتقارب. ففي نهاية عام 1917م هاجم العتيبة غطغط وقتلوا شيخاً مرموقاً[3]. فذهب أحد أقربائه مع مناحي الهيضل (ب ـ رابعاً) إلى الشريف حسين، أو

---

(1) محمد البسام، انظر الجزء الثاني، ص 601، فيلبي، البلاد العربية 219، التاريخ غير صحيح: 1912 اعتمد في تحديده على الريحاني، ص 176، الذي يبدو أنه وقع في الخطأ سهواً.

(2) فيلبي، جـ1، ص 155. قارن أيضاً ريحاني، ص 183.

(3) فيلبي، جـ1، ص 313، جـ3، ص 122، 212. غير متأكد من الاسم. لكنه بالتأكيد ابن عميدي، انظر كتاب الجيب (هاندبوك).

بالأحرى الملك حسين، طلباً للفدية. لكن الملك حسين لم يتمكن من تحصيل حقهم. فهاجموا غطغط مجدداً لكنهم لم يغنموا سوى بعض الإبل، وعاقبهم الإخوان على ذلك بشن غزوة ضدهم أصيبوا فيها بخسائر فادحة عندئذ توجه العتيبة إلى آل سعود الذي أصدر حكمه في القضية حسب قواعد الثارات العادية بحيث حصل العتيبة على 10800 دولار (27 قتيلاً). وقد أدى هذا الحكم غير المنحاز إلى تعزيز مكانة عبد العزيز وتحسين سمعته إلى حد كبير. وبدأت برقا بدفع الضرائب إلى الرياض. وفي عام 1918م، خلال هجوم قوات الشريف على خرمة (الجزء الثاني، 612، 613)، حاول الشريف شاكر (الجزء الثاني، 619، الملاحظة 24) في مرّان جمع الأموال من العتيبة الذي كانوا قد أرسلوا الضرائب إلى آل سعود. فغضب قريب القتيل المذكور أعلاه غضباً شديداً وقرر التوجه فوراً مع أنصاره إلى خرمه لكي يساند المدافعين عنها. ومنذئذ أصبح العتيبة من أشد المتحمسين لحركة الإخوان. وقد انتصروا عام 1919م قرب تربه واستولوا عام 1924م على الطائف[1].

وكان آلاف الرجال من العتيبة وحرب قد شاركوا في تلك الغزوة المغامرة التي انطلقت عام 1922م من نفي، أي من قلب نجد، ووصلت حتى مسافة 16 كيلو متراً قبل عُمان ثم هاجمتها على طريق العودة الطائرات والعربات المصفحة مما أدى إلى إبادتها بالكامل تقريباً. ويذكر أن عيبة من الأرطاوية شاركوا أيضاً في معارك على الحدود العراقية[2].

لذلك كان العتيبة والمطير الطرف الرئيسي للمعارضة السياسية الدينية التي وقفت ضد الموقف الحذر للملك في النزاع مع العراق. وعندما عُزل سلطان بن بجاد، شيخ البرقا وأمير غطغط، بعد مؤتمر الرياض، في أكتوبر/ تشرين الأول 1928م، وقف الجزء الأكبر من القبيلة معه. وشاركت مجموعات قوية من العتيبة في معركة السبلة في أبريل/ نيسان 1929م. وأدى اعتقال سلطان بن بجاد بعد

---

(1) ريحاني، ص 228 ـ 231، ص 299، 301، أيضاً الجزء الثاني، ص 612 وما بعدها.

(2) انظر الجزء الثاني ص 266، 472، الشرق الحديث جـ 2، ص 230، 248.

المعركة إلى زيادة حدة الاضطرابات. وأصبح الوضع خطيراً إلى درجة أن الملك جهز خلال إقامته في مكة في يونيو/ حزيران 1929م قوات ضخمة لشن هجوم مركّز على القبيلة. إلا أنه دعا، وهو على طريق العودة، العتيبة وخاصة شيوخ البرقا، إلى مؤتمر في الدوادمي. وأعلن الملك في المؤتمر العفو عن الذين اشتركوا في معركة السبلة على شرط أن يشتركوا في القتال ضد الثوار في شرقي الجزيرة. وبعد مفاوضات طويلة أبدى الملك مزيداً من التجاوب ووافق على العفو أيضاً عن زعماء الثورات التي قامت بعد معركة السبلة. إلا أن العتيبة كافأوا الملك على سماحته هذه بموقف سيّىء. ففي أغسطس/ آب أو سبتمبر/ أيلول من ذلك العام حدث تمرد جديد بدأته بعض المجموعات الصغيرة التي كانت حتى ذاك الحين موجودة عند فيصل الدويش. ولكن هذه الحركة قضى عليها حرب والروقة ومن بقي من برقا موالياً للملك، وذلك قبل وصول القوات الحكومية[1]. وفي هذه المرة أيضاً اتخذ الملك موقفاً ليناً لأن الثورة في شرقي الجزيرة العربية لم تكن قد أخمدت بعد. فقد دعا في الأيام الأولى من أكتوبر/ تشرين الأول إلى عقد مؤتمر في الشعرا حضره عدد كبير من شيوخ الروقة والبرقا. واتخذت في المؤتمر قرارات ضد المؤيدين للثورة سراً وضد الذين لم يشاركوا في إخمادها. ومن أجل تنفيذ هذه القرارات أعطيت تعليمات للمجموعات المشاركة في المؤتمر لأن تقيم في أماكن محددة لكي تنتظر هناك حكمها[2].

تمتد منطقة العتيبة في الحجاز من حرّة بني عبد الله حتى ما قبل الطائف، وتتجاوز في الغرب طريق الحج الشرقية (المدينة ـ مكة). وفي نجد تسير الحدود مع المطير (بني عبد الله)، كما ذكرنا أعلاه، نحو الشمال الشرقي حتى عريق الدسم ثم تتبع بعد ذلك الطرف الغربي لهذا الشريط الرملي حتى تصل إلى الحدود الجنوبية

(1) وقعت المعارك في اوضاخ وجبلة وشعبا.

(2) المقطة (ب ثانياً) في الشبتسة، الشيابين (ب خامساً) في حلبان، العصمة (ب ثالثاً) في دلعا، النفعة (ب أولاً) في نبوان. تقع حلبان (إحلبان) جنوب طريق الحج الرياض ـ مكّة، وتقع النبوان عند وادي الرخا تحت مصب شعيب بحار.

لحرب. وفي السر تختلط عتيبة وحرب ومطير. ومن الطائف تتبع الحدود الجنوبية للعتيبة الطريق إلى الرياض، لكنها تضم في داخلها سهوب الركبة. وبعد الركبة تنعطف نحو الشمال لكي تترك خارجها منطقة البقوم والسبيع. وعند وادي نعيم تصل مرة ثانية إلى طريق الحج ثم تتجاوزها في منطقة عرض نحو الجنوب، وتنتهي في الشرق قبل نفود دلقان. ثم تسير الحدود بعد ذلك بمحاذاة الطويق عبر المناطق الرملية في وسط الجزيرة العربية. وتصل شمال السرّ إلى وادي الرمة[1]. من الطبيعي أن العتيبة تخيم أحياناً خارج هذه الحدود. فقد صادف فيلبي رعاتهم حتى في هضبة عرمة[2]. أما توزع مجموعتي القبيلة، الروقة والبرقا، فهو غير معروف إلا بشكل تقريبي. فالروقة تمتد من الطائف نحو الشمال الشرقي حتى القصيم، بينما تمتد البرقا من الركبة حتى السر. أما في الداخل فتتشكل الحدود، كما يتبين من توزع الهجرات تقريباً بواسطة وادي الرخا والشعيب بحار.

تعدّ منطقة رعي العتيبة في نجد من أفضل المراعي في شبه الجزيرة العربية، لأن أمطار (المونسون) تصل إلى جزء منها. ولذلك فإن القبيلة غنية بالإبل والخيول. كما أن المناطق الرملية أيضاً تحتوي على مراعي جيدة. أما في الحرات فإن العتيبة مضطرون إلى الاكتفاء بتربية الأغنام[3].

يمارس بعض عتيبة الحجاز العمل الزراعي. وفي نجد يوجد بعض العتيبة في بعض قرى عارض وسدير، وخاصة في زلفي. وفي القصيم يسكنون في قرية قصر العقيْل، وقرية عين ابن فهيد، وقرى أخرى. وحتى في بقعا، في شرقي جبل شمر، يوجد عتيبة. وهم يسكنون في جزء من أوضاخ في سرة نجد[4].

---

(1) بوركهاردت، 355، تامسيه، رحلة في الجزيرة العربية جـ1، ص 253، فيلبي جـ1، ص 131، 147، 156، 205.

(2) فيلبي، جـ1، ص 280، 282، 284.

(3) دوتي، جـ1، 343؛ جـ 2، 475؛ هوبر، جورنال، 740؛ فيلبي، جـ1، 153.

(4) تامسيه، جـ 2، ص 28، هوبر، ص 93، هاندبوك، جـ1، ص604؛ فيلبي، جـ3، ص 201 (بريده)، 344.

تعيش العتيبة مع حرب، جيرانها في الشمال، منذ قديم الزمان في حالة عداء، وكذلك مع قحطان في الجنوب. أما مع المطير فقد كانت علاقاتهم ودية[1]. ولذلك كان للقبيلتين عمل مشترك في حركة الإخوان.

(1) بوركهاردت، 335؛ هيس، عن البدو، 102.

عائلة شيوخ العتيبة

عائلة شيوخ الروقة، ابن ربيعان، مثبت وجودها منذ نهاية القرن الثامن عشر. فنحن نعرف حمود بن ربيعان الذي توسط لعقد صلح عام 1798م. ونعرف سلطان ابن ربيعان الذي حرر عام 1864م أبناء قبيلته من الحصار الذي فرضه عليهم عبد الله آل سعود وأجبر عبد الله على الانسحاب. وحقق مصلط بن ربيعان عام 1873م(؟) نصراً على سعود بن فيصل آل سعود. وفي التسعينيات كان يحكم محمد بن ربيعان، وفي عام 1915م دحيم بن مصلح، وفي عام 1925م عبد الرحمن بن ربيعان، وفي عام 1929م ابنه عمر بن ربيعان.

أما شيوخ البرقا، ابن حميد، فلم يعرفوا إلا في وقت متأخر بدءاً بتركي بن حميد 1864م[1]. وحكم محمد ابن هندي البرقا حتى الحرب العالمية. وخلفه في الحكم سلطان ابن بجاد. وقد واجه سلطان ابن حميد مصيراً مشابهاً لمصير صهره، شيخ المطير فيصل بن دويش. بصفته أمير هجر غطغط كان له نصيب حاسم في معركة تربة وفي احتلال الطائف. وقد وصل إلى المدينة متأخراً بحيث لم يتمكن من الحيلولة دون وقوع المجزرة التي تعرض لها السكان، لكنه أوقفها فور وصوله وحصل بسبب موقفه النبيل هذا على لقب سلطان الدين، الأمر الذي يعد تكريماً له كإنسان أيضاً. وفي عام 1928م حصل خلاف بينه وبين آل سعود أيضاً. وكان في

(1) جورماني، ص 189.

مارس/ آذار لا يزال يتمتع بثقة الملك. فقد كلفه آنذاك بإعادة الجيش الوهابي المحتشد على الحدود الشمالية الشرقية والذي كان فيصل الدويش يريد مهاجمة العراق به. ولكنه كما يبدو لن ينفذ هذه المهمة أو أنه نفذها على مضض إذ إنه لم يشترك في مؤتمر بريده الذي دعا إليه الملك بعيد ذلك لكي يدافع عن سياسته أمام الإخوان، كما أنه لم يحضر مؤتمر الدولة العام الذي انعقد في الرياض في بداية أكتوبر/ تشرين أول 1928م. فقام الملك بإقالته وقرر تقديمه للمحاكمة، لكنه بذلك دفعه نهائياً إلى صفوف المعارضة وإلى جانب فيصل. وفي معركة السبلة تمكن من إنقاذ نفسه بالهرب. وبعد ذلك طلب العفو من الملك. فأعفى عنه على شرط أن يخضع لحكم المحاكم. وعندما سلم نفسه للسلطة نقل إلى الرياض وزج هناك في السجن.

بعد إقالة سلطان أصبح مناحي الهيضل، زعيم الدعاجين (ب رابعاً)، شيخ مشايخ البرقا. وفي بداية يوليو/ تموز 1929م فقد مناحي أيضاً منصبه لأنه لم يكن قادراً على منع القبيلة من إعلان الثورة. وحل محله جهجاه شقيق سلطان.

عتيبة(1)

أ ـ الروقة(2)

عمر بن ربيعان

المنطقة : الطائف ـ سرة نجد

عدد الخيام: 2500 خيمة

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أولاً: ذوي ثبيت(3)		السيل ـ الركبة	
1 ـ ابن ربيعان(4)			
2 ـ الحمران(5)			100
3 ـ البراريق(6)			
ثانياً: طلحة(7)			
1 ـ الحماميد(8)	فرج المسيلم		200
2 ـ السمرة(9)			
3 ـ الدلابحة(10)	شريم بن عصاي		450
4 ـ الحفاة	جعيلان الحافي		
5 ـ الحناتيش(11)	ناصر بن محيا(12)		250
6 ـ المغايبة(13)	ابن رمحة		200
7 ـ السبقان(14)			
ثالثاً: المزاحمة(15)			
1 ـ المراشدة(16)	بجاد أبو خشيم		
2 ـ العضيان(17)			
3 ـ ذوي عطية(18)			

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أ ـ الحبردية(19)	مجاهد الحبردي		100
ب ـ الخراريص(20)	فاجر بن شليويح(21)		
جـ ـ الغنانيم(22)			
د ـ المغايرة(23)			
هـ ـ المهادلة(24)			
و ـ القساسمة(25)			
4 ـ الغبيات(26)			
5 ـ الجذعان(27)			
6 ـ السياحين(28)			
7 ـ الدماسين(29)			

ب ـ برقا(30)

شيخ المشايخ: جهجاه بن بجاد بن حميد

المنطقة: الركبة ـ نفود دلقان ـ القصيم

عدد الخيام 3500

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أولاً: النفعة(31)	حمود بن درعان		
1 ـ ذوي زياد(32)	أبو رقبة(33)		
2 ـ الحذيفات(34)			
3 ـ الحلسة(35)			750

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
ثانياً: المقطة(36)	جهجاه بن حميد		
1 ـ الروسان(37)	رزين بن جامع(38)		350
2 ـ السودة(39)			
3 ـ الوثالين(40)			
4 ـ المناجيم(41)			
ثالثاً: العصمة(42)	سلطان أبا العلا(43)		
1 ـ العجلة(44)			
2 ـ الشهبة(45)			
3 ـ السبهة(46)			
رابعاً: الدعاجين(47)	مناحي الهيضل(48)		250
1 ـ النكشة(49)			
2 ـ الشعبة(50)			
3 ـ الحسنة(51)			
4 ـ الدهسة(52)			
5 ـ المناصير(53)			
خامساً: الشيابين(54)	هذال بن فهيد(55)		750
سادساً: الدغالبة(56)	جمل المهري(57)		
1 ـ المراوحة(58)			
2 ـ الكرزان(59)			
سابعاً: الجثمة(60)			
ثامناً: المفاريج(61)			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ يستند الجدول إلى قائمة لِـ هس من عام 1899م، سلمها لي مشكوراً في عام 1938م. لكنها لا تتضمن عائلات الشيوخ فقد أخذت هذه من محمد البسام من 1915م ومن ابن أخيه من عام 1929م. توجد قوائم عتيبة لدى أيوب صبري ج3، ص 283 ودوتي ج2، ص 427 وسنوك هور جرونية، مكة ج1، ص 197، كتاب الجيب ج1 ص 69، فؤاد حمزة ص 179. البيانات بشأن حجم القبيلة تتفاوت كثيراً كالعادة. لدى دوتي ج2 ص 367: 6000 شخص؛ كتاب الجيب: 5500 خيمة. استطلاعاتي الخاصة: 12000 نسمة وأكثر من 4000 خيمة أي أن رقم 6000 الوارد في الجدول يبدو غير مبالغ فيه الأسماء الورادة بين قوسين في بداية الملاحظات تعود لأفراد ينتمون للقبيلة.

2 ـ أيضاً الروقة (الروقي)، شعار الحرب: خيال الرحمن أنا ابن الروق. صيحة الحرب: فوغوم يلاد = (= يا آلاد) روق!.

3 ـ الثبيتي. ثبيتي أيضاً. أقدم قبيلة لعتيبة. فيلبي ج1، ص 194، 205، 210.

4 ـ عائلة مشايخ ابن الربيعان التي تنحدر من ذوي ثبيت ولكنها لم تعد ترتبط بها.

5 ـ حمراني.

6 ـ براقي.

7 ـ طليحي كذلك طلحة (طلحاوي). بيانات 1915م تذكر من فروعها المعاضيد مع الشيخ صنيتان الزيد (1899م: زيط) ذكر هذا في كتاب الجيب أيضاً. تضيف الساعدة بيانات 1929م مع الشيخ ابن زحّاف وهما مذكوران أيضاً عند فؤاد حمزة.

8 ـ حمّادي.

9 ـ السميري.

10 ـ الدلبحي.

11 ـ الحنتوشي.

12 ـ 1915م: طامي بن محيّا. 1884م: ناصر بن محيّا، هوبر، جورنال ص 588.

13 ـ مغيبي.

14 ـ سبيقي.

15 ـ مزحمي.

16 ـ مرشدي.

17 ـ عضيّاني.

18 ـ عطاوي. تذكر بيانات 1929م من شيوخهم علي بن زريبة. لقد تم عائلة ذكر ابن زريبة في عام 1899 أيضاً.

19 ـ بيانات 1915م، 1929م البوسنون. تم ذكر الشيخ نحازي أبو سنون عام 1930.

20 ـ خراصي.

21 ـ عائلة المشايخ حديثة العهد. هس، أسماء البدو 8، تم ذكره في كتاب الجيب مدموجاً مع أسرة ابن زريبة (انظر ملاحظة 18).

22 ـ غنامي، انظر هس، من البدو 90 حيث يأتي ذكر الغنانيم كفرع من المزاحمة ج3، حسب ذلك يبدو ذوي عطية ليس مصطلحاً سياسياً بل مصطلح أنساب فقط.

23 ـ المغيّري.

24 ـ المهيدلي.

25 ـ الجسّامي.

26 ـ غبيوي.

27 ـ جذع.

28 ـ صيحاني.

29 ـ الدماسي.

30 ـ البرقاوي. يقسمهم فؤاد حمزة إلى ثلاثة فروع: عيال منصور تشمل (ثالثاً ـ سابعاً)، المقطة (ثانياً) النفاعة (أولاً) ثم يضيف لها فرع رابع، انظر ملاحظة 37.

31 ـ نفيعي، بيانات 1929م تتضمن أيضاً الفرع المشار إليه في كتاب الجيب ولدى فؤاد حمزة وهو الفلتة.

32 ـ الزيادي.

33 ـ أم القُرى رقم 252 تذكرهم ضمن الثوار.

34 ـ حذيفي.

35 ـ المحلسي.

36 ـ مقاطي. يبتعد فؤاد حمزة كاملاً عن هذا. الخنافرة = الخنافر عند صنوك.

37 ـ رويسي، قمزة، عند فؤاد حمزة عائلة من الروسان، كذلك في كتاب الجيب. يذكر بالإضافة إلى فرع الروسان هذا فرعاً آخر بالاسم نفسه.

38 ـ 1899م غزيِّر بن جامع.

39 ـ السويدي.

40 الويطالي.

41 ـ نجيمي.

42 ـ عصيمي ـ العصمة سلّموا في عام 1813م عثمان المضايفي إلى الشريف

الأكبر غالب؛ عنوان ص 97 وما بعدها. قارن المجلد 2 ص 391 وما بعدها. مرجعنا محمد باشا العصيمي ينتمي إلى العصمة.

43 ـ عائلة مشايخ قديمة.

44 ـ عجيلي.

45 ـ شهيبي، عند فؤاد حمزة إلى فرع الروسان. انظر ملاحظة 37.

46 ـ سبهاني.

47 ـ دعجاني. شعارهم قبل الحرب: خيّال الرحمن أنا ابن مفلح! يبتعد فؤاد حمزة عن ذلك بصورة كاملة. جاء ذكر الحداف في كتاب الجيب أيضاً. الخيطية هم = ذوي خيوط، نفس المصدر.

48 ـ عائلة مشايخ قديمة.

49 ـ نكيشي.

50 ـ الشعيبي.

51 ـ حسيني.

52 ـ الدهاسي.

53 ـ المنصوري.

54 ـ الشيباني (صيحة الحرب): نحاز الحريب أنا ابن مشيب!. من فروع فؤاد حمزة جاء ذكر ذوي عبدِ اللّه في كتاب الجيب أيضاً. الخليفي = ذوي الخليفة، نفس المصدر.

55 ـ هذال بن هذال. فيلبي ج3، ص 110. والده هذال كان محارباً مشهوراً.

56 ـ الدغيلبي.

57 ـ كتاب الجيب، محمد المهري.

58 ـ مروحي. فؤاد حمزة ج3.

59 ـ كرايزي(*). فؤاد حمزة ج2.

60 ـ الجيثامي. حسب سنكوك: كثمة.

61 ـ المفرجي = ذوي مفرج ـ كتاب الجيب ـ فؤاد حمزة ج1.

هجر عتيبة(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ الداهنة(2)	عمر بن ربيعان	نايف الحلاج
		ماجد البرّاك(3)
		الشقيري بن الزحاف(4)
2 ـ ساجر	ضعار بن ربيعان	نايف بن تركي(5)
		ضيف الله بن تركي(5)
3 ـ الحيد	ناصر بن محيا	
4 ـ الكرارة	متعب أبو سنون(6)	
5 ـ كبشان	سلطان أبو خشيم	قاعد بن بجاد
		أبو خشيم
6 ـ المتسلاه	ماجد أبو خشيم	
7 ـ عسيلة	غازي التوم	ضيف الله التوم
8 ـ شبيرمة	ناصر بن رازن	
9 ـ أبو جلال	محماس ال	
10 ـ العرجا؟	قطيم الحبيل	طلق بن جازع
		عبدالله الوتير

(*) فؤاد حمزة يذكر كرزان وليس كرايزي وأعتقد أنه خطأ مطبعياً (ماجد شبّر).

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
11 ـ الصوح؟	سلطان الغربي	
12 ـ عروا	جهجاه بن بجاد بن حميد(7)	
13 ـ إمصده؟	خالد بن جامع	مترك بن جامع
14 ـ السنام؟	سلطان ابا العلا	هزاع بن مغيرق
15 ـ الحفايرة	مناحي الهيضل	صلّال بن مناص الهيضل
16 ـ اللبيب؟	عبد المحسن بن بدر الهيضل	عمر أبو رقبة
17 ـ الروضة	ماجد بن ذاوي بن فهيد	فيحان بن فهيد
18 ـ الرويضة	جمل المهري	
19 ـ حميّان	غايب بن ناصر بن عجيّل(8)	مناص بن عجيّل

ملاحظات حول الجدول

1 ـ راجع أُم القُرى رقم 208، 18/ 12/ 1928م ورقم 252، في 10/ 1929م الريحاني 413، معلومات أحد أبناء أخ محمد البسام.

من الملاحظ أن هجرة غطغط لم تكن ممثلة في اجتماع الرياض الذي تحدثت عنه أُم القُرى في العدد رقم 208 وهذا يعني أنها كانت منذئذٍ في صف المعارضة.

تم ترتيب المستوطنات في الجدول حسب الفرعين الروقة (1 ـ 11) وبرقا (12 ـ 19) وضمن كل منهما حسب ترتيب المشايخ أو عائلات المشايخ. وغالباً ما توجد المستوطنات في منطقة الفرع المعني: داهنة في الحمادة، ساجر في السّر، متسلاه على وادي المياه، حيد، وكبشان، وشبيرمة وأبو جلال في الجزء الشرقي لسراة نجد بين أوضاخ والنير؛ عروا في الجنوب الشرقي. دوادمي، وحفيّرة وحمّيان شرقي دوادمي، الرويضة على طريق الرياض ـ مكة.

2 ـ حول هذا جاء في أُم القُرى رقم 252: نفي. لدى ابن بسام الداهنة مع

غازي، البراق ونفي مع عمر بن الربيعان.

3 ـ تابعة إلى أ ـ أولاً ـ 3.

4 ـ ملاحظة رقم 7 ـ الجدول.

5 ـ بالتأكيد أبناء تركي بن الربيعان الذي يذكر في كتاب الجيب كشيخ مشايخ الروقة.

6 ـ ملاحظة رقم 19 ـ الجدول.

7 ـ أم القُرى رقم 208: حشور بن مقعد الحميد.

8 ـ أم القُرى رقم 208: بيدر بن عُجيِّل. تتبع عائلة المشايخ هذه إلى ذوي خيوط. انظر ملاحظة رقم 47 ـ الجدول.

بقـــوم

قدَّمَت البقوم[1] خدمات جلى لشريف مكة الأكبر، فقد قاوموا منذ سنة 1795م، هجمات الوهابيين وأنصارهم، وظلوا ثابتين على موقفهم، على الرغم من انفصال جيرانهم عتيبة وسبيع في سنة (1898م)، وكذلك النجاحات التي أحرزها الوهابيون بشكل متنام في الواحات الحدودية[2]. ويعتقد أنهم لم يخضعوا إلا بعد احتلال الطائف في أوائل سنة (1803م).

بعد دخول قوات محمد علي باشا في بداية عام 1813م إلى الطائف شارك البقوم أيضاً في القتال وكانت تذكي نيران المقاومة، وتشجع المقاتلين على الثبات، امرأة واسمها غالية، كانت أكثر تأثيراً من الشيخ ابن خرشان نفسه. بعد معركة بسل في بداية سنة (1815م)، احتل الأتراك تربة، عاصمة البقوم. واستطاعت غالية الهرب من الواقعة في الوقت المناسب[3].

ظل البقوم حتى وقت قريب يقفون إلى جانب الشريف الأكبر الملك حسين[4]، ولم يصبحوا وهابيين إلا بعد معركة تربة في أيار/ مايو (1919م).

---

(1) الجمع: بقمان. الفرد الواحد: بقيمي. وهم ينحدرون حسب شكيب أرسلان من أزد.

(2) الروضة 2 تحت 1209 (حملة سعود ضد ترابة) 1212. منجن جـ 2، ص 514، يعتبر البقوم فرعاً من فروع سبيع.

(3) بوركهاردت 498، 514 وما بعدها. 549، 557.

(4) فيلبي جـ1، ص 162، 213.

يبلغ عدد البقوم قرابة ثلاثة آلاف فرد من البدو الرحل، ومثلهم من المقيمين في تربة، بمن فيهم الأشراف والزنوج، تتبع منطقة البقوم الحجاز، وتمتد من الهضاب الرملية لبرقة وحتى شعيب الشعبة في الشرق، بما في ذلك جبل حضان وسهل شرقي[1].

البقوم(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ المزاريق 2 ـ الموركة(2) 3 ـ الرواجح	جبل حضن، الشرقي		750

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1925م، فيما عدا ذلك يمكن أخذ قائمة فؤاد حمزة فقط، بعين الاعتبار (871).

2 ـ منضمون إلى عتيبة. هس: الموركة (المورقة)، تجدر المقارنة مع فؤاد حمزة.

(1) فيلبي جـ1، ص 174، 180.

سبيع

تعتبر قبيلة سبيع[1] واحدة من القبائل المحدودة الأهمية نسبياً، وقد كان الأمر مختلفاً فيما مضى عما هو عليه الآن، وإلا فإنه لا يمكن تفسير النسبة الكبيرة التي تمثلها سبيع فيما بين سكان الجزيرة العربية المقيمين.

الموطن الأصلي لهذه القبيلة هو وادي سبيع الواقع في الجنوب الغربي من نجد[2]، والشريط الرملي عرق سبيع المحاذي له شرقاً. ومن هذه المنطقة انتشر جزء من سبيع، باتجاه الجنوب حيث أقاموا في واحة رنية، وجزء نحو الشمال الشرقي وظلوا زمناً طويلاً يعيشون مع المطير في منطقة حمرا. إلا أنه من غير المعروف، الوقت الذي تمّ فيه إبعادهم من هناك، ولا على يد من تم ذلك الإبعاد[3].

في بداية العهد الوهابي كان السبيع الشرقيون يخيمون في منطقة العارض وباتجاه الشمال. وهم من أوائل القبائل التي اتبعت الدرعية وظلوا منذ ذلك الوقت وهابيين[4]. وشاركوا في حروب مختلفة، إذ نجدهم بين المدافعين عن شرقي

---

(1) سبعان: الفرد الواحد: سبيعي.

(2) يرد ذكر وادي سبيع في إحدى القصائد التي أوردها ياقوت في المجلد الرابع، 877 لشاعر قديم[*].
(لا بد من الانتباه إلى الأسماء القديمة للفروع / طور/ ب1، عربنات (الملاحظة 1 على الجدول)!

(*) هو السفاح بن بُكير

«الأهل إلى حومانةِ ذاتِ عرفجٍ   ووادي سُبيْع يا عليل سبيلُ» (شبّر).

(3) بوركهاردت 340، دوتي جـ 2، ص 355، فيلبي جـ1، ص 147. جـ 2، ص 13 وما بعدها.

(4) ذكرت لأول مرة في عام 1763، الروضة جـ 2 تحت 1177. منجن جـ 2، ص 461.

الجزيرة العربية ضد قبائل المنتفق في عام 1797م[1].

أما السبيع الغربيون فقد خضعوا، كما ذكرنا أعلاه، في عام 1798م. وكان سعد بن قطفان، أخو أمير الرنية، قد اعتنق المذهب الوهابي قبل ذلك، لكنه قتل عام 1794م على يد أفراد من جماعته عندما حاول نشر التعاليم الجديدة.

وبعد الاستيلاء على الواحة تمت تسمية أحد أقربائه، وهو محمد بن سعيد بن قطنان أميراً على رنية[2]، ومن الممكن أن يكون هذا الأمير، نفسه ابن قطنان، الذي سبق له المشاركة في القتال الذي جرى ضد القوات المصرية ـ التركية في سنة (1815م)[3] قرب بسل.

شاركت أيضاً، سبيع الشرقية في العديد من المعارك ضد المحتل الأجنبي: ففي عام (1822م)، تحرك الأتراك الموجودون في الرياض وأنصارهم المحليون ضد سبيع المتمركزة خلف حاير إلا أنهم حاقت بهم الهزيمة. وقد سقط قائدهم قتيلاً، ووجد أمير الرياض الحماية لدى أحد أفراد سبيع، وتمكن من إنقاذ نفسه بالاختباء في أحد الكهوف. إلا أنه وعندما ذهب ممتطياً حصان الأمير إلى أحد المشارب تعرف على هذا الحصان بعض أفراد القبيلة، ثم اكتشفوا هوية خياله وقتلوه[4].

وقفت سبيع الشرقية دائماً إلى جانب آل سعود، في حين بقيت سبيع الغربية ولأمد طويل تحت نفوذ شريف مكة الأكبر. لكنهم انتقلوا في السنوات الأخيرة من الحرب العالمية إلى صفوف آل سعود، وشاركوا بعد ذلك في الدفاع عن خرما «خرمه»[5].

---

(1) الروضة جـ 2 تحت 1211.

(2) الروضة جـ 2 تحت 1209، 1211، منجن جـ 2، ص 509.

(3) بوركهاردت 549، 558.

(4) عنوان، 139.

(5) كتاب الجيب (هاندبوك) جـ1 73، فيلبي جـ3، ص 19 وما بعد 36 وما بعد 41 وما بعدها، وهنا أيضاً الجزء الثاني، ص 428.

تمتد منطقة السبيع الغربيين على امتداد طريق الحج، من شعيب الشعبة إلى وادي نعيم، وتصل في الجنوب إلى وادي رنية. وأثناء قطف النخيل يتجمع السبيع الرحل في خرما، حيث يملكون بساتين يتولى زراعتها الزنوج. ويوجد أتباع لهذه القبيلة من المقيمين وأنصاف المقيمين في مواقع أخرى من هذه المنطقة مثلاً: القنصلية[1].

وتتنقل سبيع الشرقية من وادي حنيفة شرقاً حتى الدهناء، وفي الشمال يصلون إلى ما بعد حفر العطس. وتتبع لهم واحة حاير التي بناها الزنوج. وتقطن سبيع في العديد من قُرى عارض، في الجنوب في حوطة ومبرز أفلاج، وفي الشمال في الوشم، والسدير، والقصيم. وترجع عائلة آل سليم من أمراء عنزة نسبها إلى هذه القبيلة[2].

سبيع(1)

أ ـ سبيع في الغرب

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ بني ثور		وادي سبيع ـ عرق سبيع ـ الشفا	
2 ـ السودة(2)		رنية	

(1) فيلبي جـ1، ص 171، 287.

(2) دوتي جـ1، ص 341، كتاب الجيب جـ1، ص 609 وما بعدها، فيلبي جـ1، ص 48، 122، 126، جـ 2، ص 9، 13 وما بعدها 77، 286، جـ3، ص 58، جـ3، ص 8.

ب ـ سبيع في الشرق

خرفان أبا ثنين(3)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ	فلاح آل دهمان		
2 ـ	سعد بن شوية	صيفاً: وادي حنيفة ـ العطس شتاءً: الدهنا ـ الصمان	1700
3 ـ الصيافا(4)	سعد الصيفي		
4 ـ	فارس بن راجس(5)		

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب ملاحظات تعود إلى عام 1925م و1929م. كتاب الجيب ج1، ص 610. يذكر العديد من العشائر المستقرة، كذلك فيلبي ج2، ص 77، 286. يقسم فؤاد حمزة 155 سبيع الشرقية إلى بني عمر وبني عامر. لعلين = الأعلاوين (غ. رنتس، 81). وهؤلاء يذكرون من قبل فيلبي أيضاً، ج2، ص 4، بأنهم مؤسسو هجرة ضبيعة (2). كانوا يسكنون سابقاً قرب خرما، وقد تم طردهم من هناك من قبل بني ثور (أ 1). فيلبي ج1، ص 167. العرينات سكان الرغبة ينتمون حسب فيلبي إلى بني عامر وحسب فؤاد حمزة إلى بني عمر.

2 ـ مستقرين. من الملفت للنظر أن الكرب عند شبوة على حدود اليمن وحضرموت ينسبون أنفسهم إلى السودان (السودة). فيلبي بنات شبعا، ص 65 و95، قارن رحلة كلاسر إلى مأرب، ملر ورودو كاناكيس، ص 32.

3 ـ 1871: عباس أبا الثنين: شمال نجد ص 275.

4 ـ فؤاد حمزة، بني عامر.

5 ـ فيلبي ج2، ص 41: فارس بن "داقس"، من بني عامر.

هجر سبيع(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ الحاسي «الحسي»	فدغوش بن شوية	وليد بن شويه بن فهّاد
2 ـ الضبيعة	علي بن هديهد(2)	ثنيان بن هديهد
		فالح بن غيدة
3 ـ الخضر	الضويري بن جفران	ضرمان أبو الثنين
		ضيدان أبو الثنين

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب أم القُرى، رقم 208، 18/ 12/ 1928م. حاسي تقع شمال شرق ثادق، ضبيعة وخضر في الخرج.

2 ـ عائلة مشايخ بني عامر. في عام 1918م في ضبيعة. فيلبي ج2، ص 41.

سهول

ترتبط السهول منذ أمد بعيد مع سبيع، فقد عاشوا سوياً في سلسلة الحمرا، ورافقوهم بشكل جزئي، في ترحالهم نحو الشمال الشرقي.

خضع السهول[1] منذ وقت مبكر أيضاً، للوهابيين، ووقفوا مع آل سعود بشكل مستمر، ورد اسمهم في سجلات الوهابيين للمرة الأولى في سنة 1784 ـ 1785م[2]. لم تكن هذه القبيلة ذات شأن أبداً. ولكن تذكر عنهم مأثرة حربية واحدة: ففي عام 1822م أبادوا الحامية التركية في مجمّع التي شنّت حرباً عليهم[3].

يتقاسم السهول الرحل، منطقة التنقل، وكذلك ملكية واحة حاير مع سبيع الشرقية. وهناك مجموعة ثانية هي القبابنة، والتي تنتشر في منطقة الطويق الجنوبي فيما بين الحمر والحوطة، وتملك واحات ستارة، وحراضة، والغيل. والرويضة، القرية الرئيسية في الحمرا يسكنها السهول، وكذلك في بعض الأماكن الأخرى، وحتى في بسر البعيدة (قصيم) يوجد جماعات مستقرة من السهول[4].

(1) مفردها سهلي.

(2) الروضة، جـ 2، تحت رقم 1199 (عند الرويضة).

(3) عنوان، ص 138.

(4) فيلبي، جـ1، ص 146، جـ 2، ص 265، جـ3، ص 232.

السهول(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ	صوار بن معدل	وادي حنيفة ـ العتس	900
2 ـ القبابنة		الأفلاج ـ الفرع	300

ملاحظات حول الجدول

1 ـ وفق ملاحظات عام 1919م، يذكر فؤاد حمزة 157، أن بعضاً من فروع السهول يتواجدون في عارض.

هجر السهول(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ المشاش	مناحي بن جلعود	
2 ـ الرويضة	عبد الله بن مظهور	
3 ـ البدع	صوار بن معدل	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ وفق أم القُرى رقم 208، 18، 12، 1928م، الرويضة معروفة، والبدع تقع في الخرج. مع المشاش، موقع ماء صغير، أسماء الأماكن المركبة كثيرة، ولكن هنا الجزء الثاني غير موجود، بحيث لا يمكن تحديد المكان.

قحطان

يقع موطن قحطان[1] في عسير الشرقية والجنوبية، وما زالت القبيلة الأم تعيش هناك حتى اليوم، وقد انتقلوا من منطقة الجبال الحدودية ذات الكثافة السكانية العالية، إلى منطقة نجد، وعاشوا هناك حتى وقت قريب كقبائل رحل، بشكل كامل.

تعتبر قحطان إلى جانب عتيبة والمطير، من أقوى قبائل وسط الجزيرة. يذكرنا اسم القبيلة، اسم قحطان[2]، الذي ضم وفقاً لعلماء الأجناس بعد النبي محمد كل عرب الجنوب. ولما كان هذا المصطلح العرقي بخلاف اليمن وقيس، لم يكتسب أبداً أي وجود حقيقي (انظر الجزء الأول، ص 337، 343، والجزء الثاني، ص24 و25)، فإن قبيلتنا لا يمكن أن يكون لها أي صلة به. إلا أنه ظهر عند الرحالة المقدسي (المدون عام 985م) في ظل أمير اليمن آنذاك، عائلة تدعى آل قحطان، كان موطنهم بلاد قحطان[3] في جنوب غرب نجران، أي هناك بالضبط، حيث يعيش قحطان عسير اليوم. لذلك لا يوجد أدنى شك، أن بني قحطان الحاليين، هم

---

(1) تلفظ گحطان، والجمع قحاطين، والمفرد قحطاني.

(2) من المحتمل أن يكون الاسم لإحدى القبائل التي وجدت قبل الإسلام (كتانيتاي بطليموس).

(3) BGA III، ص 94، 104 (النص غير واضح من ص 106 ولكن من السهل إعادة كتابته) ويطلق عليهم اسم "أقدم أمراء اليمن". غير أن هذا غير صحيح لأن ابن حوقل والهمداني يعرفان اليمن أكثر من المقدسي ولم يذكرا ذلك.

من نسل أولئك الأمراء القدماء، أو لنقل بصورة حذرة، من رعاياهم.

لا يمكن تحديد الوقت الذي غادر فيه قحطان منطقة عسير وبشكل دقيق. فقد هاجروا أولاً نحو الشمال، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر من المجرى الأسفل لوادي بيشة وتثليث حتى طريق الحج مكة ـ الرياض. وكانوا يجاورون في الغرب سبيع وشهران (الجزء الثاني، ص 630) وفي الشرق بني هاجر[1]. وليس مؤكداً ما إذا كانوا يتنقلون في تلك الفترة من الزمن على امتداد طريق الحج، أو لأبعد من ذلك نحو الجنوب في السهول الواقعة في قوس الطويق. واحتكاكهم المتأخر نسبياً، مع الوهابيين يعارض ذلك[2].

ارتبطت قحطان، كغيرها من قبائل الحجاز، بعلاقات حرة ضعيفة الالتزام مع مكة. وتجدر الإشارة إلى أنه كان لديهم ثقة كبيرة بقوتهم الذاتية، وعندما هاجمهم ولي العهد سعود في سنة (1786م) لأول مرة، تصدوا له باعتزاز، (هل يعتقد سعود أننا مثل أولئك البدو، الذين تعامل معهم حتى الآن؟). وبهذه الكلمات عكس أحد المؤرخين الوهابيين تصوراتهم ومزاجهم. لم يكونوا مدعين أو خراطين. فقد حاربت قحطان ببسالة، ولكن النصر لم يكن حليفها. وخلال الحملة المكية إلى قلب الجزيرة (1790 ـ 1791م)، شكلت نواة القوات البدوية المساعدة، وقامت بتغطية انسحاب الشريف الأكبر، الأمر الذي كبدها بعض الخسائر في الخيول والجمال[3]، وفيما عدا ذلك كانت خسائرهم طفيفة.

في هذه الأثناء كان أحد شيوخ قحطان غير المهمين، وهو هادي بن غنيم الذي كان ينسب عادة إلى أمه قرملة ويسمى هادي بن قرملة، قد انتقل إلى صفوف الوهابيين (1787م). وبعد اعتناقه الأفكار الجديدة، سرعان ما تحول إلى قائد بارز.

---

(1) يستخلص ذلك من خلال التقارير التالية عن حرب الوهابيين.

(2) لذلك لا نوافق فيلبي على رأيه (انظر الجزء الأول ص 237 والجزء الثاني ص32، 33) بأنه تم إبعاد المطير والسهول من منطقة الحمرا من قبل قحطان (انظر أعلاه).

(3) الروضة جـ 2، قبل سنوات 1200، 1205، قارن منجن جـ 2، 494، 504.

وحتى في أصعب الأوضاع والظروف، لم تخنه شجاعته. وفي إحدى المعارك ضد بني هاجر، ترك الدواسر أميرهم ربيّع وانتقلوا إلى صفوف العدو. أما ابن قرملة فقد ظلّ إلى جانبه وساعد الفئة الصغيرة من أنصاره على النجاة.

بعد بضعة أعوام نراه على رأس قوة خاصة به. وفي سنة (1795م) فاجأته قوة كبيرة من مكة، عند موقع الماء ماس فيما بين لترابة ووادي الدواسر، وقتلت جماعة الاستطلاع التابعة له. وقام العدو بإغلاق مخرج الوادي الذي كانت تعسكر فيه قواته، ولكنه تمكن من النجاة بعد خسائر قليلة. بعد هذه المعركة جهز الشريف غالب، حملة أكبر، كان هدفها القصيم، الذي كان مهدداً على الدوام لأنه المنطقة الفاصلة فيما بين المناطق الشمالية والجنوبية للدولة الوهابية. فكلف ابن سعود، هادي بن قرملة بمهمة قطع الطريق على القوات المعادية، وذلك، لأنه لم يتمكن من القيام شخصياً بتلك المهمة، لعودته للتو من حملة قام بها ضد قبيلة عتيبة. إذ إن الجمال المستخدمة في الحرب تحتاج بعد الغزوة الطويلة إلى مدة تصل إلى ثلاثة أشهر للراحة. لكنه أرسل له ربيّع للمساعدة. إضافة لذلك، فقد طلب من قبائل نجد الجنوبية الالتحاق بابن قرملة مع نسائهم وأولادهم وممتلكاتهم، بعد أن أوحى لهم أن حملة الشريف المكية موجهة ضد القبائل المتضامنة مع الوهابيين. التقى ابن قرملة عند الجمانية بالقوات المكية وأوقع بهم الهزيمة (في 1 و2 رمضان/ مارس 1796م). وقد وصل ربيع ميدان المعركة متأخراً. لكنه لاحق بني هاجر الفارين من أرض القتال وهم يعبرون طريق الحج عند القنصلية في طريق عودتهم لديارهم[1].

خلال الأعوام التالية انتقلت قحطان إلى صفوف الوهابيين. وفي سنة 1797م شاركت في الحروب الحدودية التي أدت إلى احتلال خرمة وإلى انفصال عتيبة وسبيع في مكة[2].

---

(1) الروضة جـ 2، تحت سنوات 1201هـ، 1204هـ، 1208هـ، 1210هـ، قارن منجن جـ 2، ص 496، 510.

(2) الروضة جـ 2، تحت عام 1212. ملاحظة 19 من الجدول. أن تكون خرما أصبحت وهابية فهو أمر يتبين من التالي.

من أجل إعادة الأمور إلى نصابها توجه الشريف غالب شخصياً في العام التالي إلى ساحة المعركة. وتمكن من أسر جماعة الاستطلاع التابعة لقرملة، ثم فاجأه نفسه عند القنصلية واستولى على كل ما حمل معه من مؤن ومتاع؛ وولت إبل الرعي هاربة[1] بعد ذلك توجه الشريف نحو الجنوب لكي يستعيد واحة رنية التي كان قد فقدها قبل عامين. وبينما كان يتعارك مع سكان الواحة ظهر فجأة ابن قرملة وأجبره على الانسحاب. لكن الوضع ظل خطيراً للغاية مما جعل سعود يرسل الأمير ربيّع لمساعدته. وفي هذه الأثناء كان غالب قد ذهب إلى واحة بيشة بناء على طلب الفئة الشريفية القوية الموجودة هناك، وقضى على أنصار الوهابيين هناك[2]. وعلى طريق العودة مر في خرما. فهرب السكان منها وقام غالب بحرقها. في هذه اللحظة ظهر هادي بن قرملة وربيّع[3]. فاضطر الشريف إلى الهرب وترك المعسكر مع كل ما فيه من مؤن وغنائم حرب والعودة على عجل إلى مكة.

وضع صلح سنة (1799م) حداً للقتال في منطقة الحدود، ولكن ما لبثت الحرب أن تجددت في سنة (1802م)، وشارك فيها ابن قرملة بالهجوم على الطائف، ثم التحق مع قحطان بصفوف القوات التي كان سعود يقوم بحشدها على بئر الحنابج في المنطقة الواقعة أسفل النير جنوباً، بغية الزحف على مكة[4].

عاشت قحطان بعد ذلك سنوات طويلة من الهدوء، ويبدو أنهم في العقد الأول من القرن الجديد قد نقلوا منطقة تنقلهم باتجاه الشرق حيث توفر مكان بعد

---

(1) نفس المصدر، تحت 1212. فيلبي، بلاد العرب 74، لم يفهم النص الصعب فعلاً ورأى فيه انتصاراً لابن قرملة. الصحيح (باستثناء المقدمة). منجن جـ 2، ص 515.

(2) تحولت قريتان من قرى الواحة في الأعوام 1211 هـ/ 1796 ـ 1797م بعد حملة عسكرية قام بها ربيّع إلى الوهابية. كما خضع غيرها في عام 1212 هـ. ولكن قبل الأحداث المشار إليها أعلاه بقليل كان الموقع الهام لتوريد التمور على طريق مكة قد خسره الوهابيون مرة أخرى.

(3) إلى هنا وتنتهي الروضة (فيلبي)؛ منجن جـ 2، ص 516 يواصل الحديث.

(4) منجن جـ 2، ص 526 وما بعدها. ذهب هادي بن قرملة في عام 1810م كمبعوث إلى عُمان. . بوركهاردت، ص 440 وما بعدها. وبعد ذلك لا يذكر أي شيء عنه. هناك قصيدة له، ديوان من قلب الجزيرة رقم 30، مترجم من هيس، من البدو، ص 53 وما بعدها.

انسحاب بني هاجر. إذ إنهم بخلاف أشقائهم في عسير، لم يشاركوا في القتال ضد قوات محمد علي باشا (1814 ـ 1815م). كما أن حملة إبراهيم باشا ضد الدرعية (1816 ـ 1818م)، وما تبعها من احتلال المواقع الهامة في نجد، لم يمسّا مواطن قحطان.

عندما عاد الحاكم الشرعي فيصل بن تركي إلى الحكم (1843م) انضمت قحطان مرة أخرى إلى آل سعود. ورافق القحطانيون جيشه حتى ما بعد وادي الرمة، وشاركوا في حرب الأخوة التي دارت بين ابنيه عبد الله وسعود. لكن الروح الحماسية القديمة لم تعد موجودة فيهم. فقد صاروا يقاتلون كما يقاتل البدو عادة عندما لا يتعلق الأمر بمصالحهم الخاصة: إذ يكون الهدف هو الحصول على الغنائم ويكونون دوماً على استعداد للتخلي عن الصديق، لا بل وللالتحاق بالعدو، حسب تطورات الحرب[1].

يروي دوتي حكاية ملفتة للنظر من تلك الفترة: في عام 1876م رحلت قحطان، 400 خيمة، إلى القصيم بحثاً عن موطن جديد لها هناك. وفي الصيف التالي تعرضت لغزوة من عبد الله آل سعود، لكنها ردته على أعقابه. ويبدو أن عبد الله اعتبرهم من المرتدين. وبالفعل فإن قحطان عرضت على حايل دفع الضرائب لها. لكن ابن رشيد رفض العرض، لأنه لم يكن يريد إزعاج عبد الله الذي كانت علاقته به آنذاك لم تزل جيدة. وفي هذه الأثناء كانت قد نشبت عداوة بين قحطان والمطير وشن القحطانيون على مطير غزوة قتلوا فيها نساء وأطفالاً. كما أن العنزة تعرضت للغزو. ولذلك قرر أمير المنطقة بالتحالف مع مطير طرد القحطانيين. فجهز جيشاً قوامه 400 رجل، كل اثنين على جمل، و160 خيالاً، وهجم على القحطانيين الذين كانوا أسوأ تسليحاً ولكن أفضل تجهيزاً بالخيول.

وكان قحطان قد غادروا مقرهم الشتوي في العيون، متوجهين عبر الدليمية والرس نحو الجنوب، وعند بئر الدخنة، فاجأتهم قوات التحالف. ولإنقاذ

---

(1) جورماني، ص 64 وما بعدها، دوتي جـ 2، ص 424 وما بعدها.

مواشيهم، قاموا بترك معسكرهم في محنته. وتمكن شيخهم من النجاة بنفسه، ولكنه فقد اثنين من أبنائه وإحدى بناته، الذين سقطوا ضحية ثأر المطير (سنة 1878م). وهكذا، اضطرت قحطان للتفاهم مع عتيبة، لأن طريقهم كانت تمر ضمن مناطق إقامتهم، وعادت مجدداً إلى صفوف آل سعود[1].

خضعت قحطان خلال المدة الواقعة ما بين (1891 ـ 1903م) لحكم آل الرشيد، ولهذا، كانت عرضة لحملات النهب التي كانت تشن ضدها من قبل آل سعود. إلا أن هذه المعادلة تبدلت، بعد احتلال عبد العزيز آل سعود للقصيم في سنة (1903م)[2].

تمّ كسب قحطان إلى حركة الإخوان بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة، وأصبح الشيخ فيصل بن حشر، (ب 2)، سليل الأسرة الحاكمة القديمة ابن حشر، زعيماً لهم. وعلى النقيض من ابن دويش، فقد عرف كيف يوائم بين عصبيته القبلية ودهائه السياسي. واحتفظ به ابن سعود في حاشيته وقربه منه[3]، مع خوفه، في الوقت نفسه-من أن يصبح الرجل في قبيلته أقوى من اللازم. ومنذ ذلك الوقت، شارك الإخوان من أبناء القبيلة في جميع المعارك على الحدود الغربية لدولة الوهابيين الجديدة: في كل من الخرمة، وعسير، والطائف وجدة[4].

تنقسم قحطان إلى ثلاث مجموعات عبيدة، وآل محمد، وآل الجمل. وتعتبر عبيدة أكثر تماسكاً من الفرعين الآخرين، ولهم شيخ مشايخ مشترك وموطن خاص بهم، ومن المحتمل أن هجرتهم جاءت في وقت متأخر. ويرجع المؤرخون المحليون أصولهم إلى بني جنب[5]، ويفصلونهم بالتالي عن بقية قحطان.

---

(1) دوتي، جـ 2، ص 37 وما بعدها، 346، 443 وما بعدها.

(2) ريحاني، ص 104، 115 وما بعدها، 122.

(3) فيلبي جـ3، ص 21 وما بعدها.

(4) فيلبي، جـ3، ص 320، الريحاني، 71، 299، 367، قارن الجزء الثاني ص 612، 613 وما بعدها.

(5) فوستنفيلد، جدول 8، 15 والجداول الملحقة الأخرى. إن وجهة النظر التي تقول بأن عبدة شمّر هم من العبدة، وهي لا تعدو أن تكون مقولة تعتمد على التشابه اللفظي.

تمتد منطقة تنقل قحطان من وادي الرنية في الجنوب إلى وادي سبيع على طريق الحج، ومن هنا شرقاً حتى الطويق. وتمتد خلف القويعية وصولاً عبر طريق الحج شمالاً في السهوب الواقعة بين الدوادمي والشقرا. تتنقل الفروع الثلاثة بشكل منفصل، فتخيم عبيدة في الربيع بوادي الرنية ووادي سبيع، وفي الصيف في الحمرا على آبار حليبان وغمرا والإثلة، بينما يستقر آل محمد في الصيف في القويعية والحرملية وعبيسان[1]، وفي الخريف، يتحركون باتجاه الجنوب الشرقي عبر الطريق إلى الحوطة لجني ثمار النخيل، وفي الشتاء بين السيح، ودلقان والانجل.

ويقتصر الفرع الثالث آل الجمل[2] على المنطقة بين الحصاة وحلوة الراين والسيح. وقد صادف فيلبي قحطانيين بعيداً في الشرق في وادي فروق أيضاً[3].

قبل تأسيس مستوطنات الإخوان كان القحطانيون المستقرون الذين يقيمون في قرى نجد، قليلي العدد، كانوا موجودين في ضرمة وقربها وفي مرآة (وشم) وفي غبرا في القصيم. وهناك مستوطنتان صغيرتان للقبيلة واقعتان جنوب غرب الحصاة تحمل إحداهما اسم سكانها عيزرة (حـ 2 ـ أ) والثانية حمر في الطويق الجنوبي، وقد كانت مسكونة من قبل الداود، وذلك قبل أن يتم احتلالها قبل أربعة أجيال من قبل الدواسر[4].

كانت عتيبة العدو الرئيسي لقحطان في الأزمنة الحديثة. ولكن على الرغم من ذلك يمكن أن تطرأ بعض الظروف التي تجبر القبيلتين على الاتفاق بحيث تسمح

(1) بين الدوادمي والشقرا، هيس، ملاحظات حول رحلات دوتي إلى بلاد العرب ص 7 ولكن فيلبي قابل شريم في حزيران على نبع الورهية/ جنوب الحوطة، جـ 2، ص 274، (شيرين).

(2) مخبرنا من آل عاصم كان يسمي المجموعة بحسب عائلة شيوخها ابن سيفران، ابن لبدة، ابن معظيمان، ابن عبود (حـ ـ 1)، وابن عليان.

(3) فيلبي، جـ1، ص 45، الفرع المقصود (دعاث) غير موجود في جدولنا.

(4) دوتي، جـ 2، ص 408، فيلبي جـ1، ص 122، 126، 157 (إفارا) في خارطته تبدو صحيحة، جـ 2، ص 262، جـ3، ص 89.

إحداهما للأخرى بالإقامة فترة مؤقتة في منطقتها[1].

لم يكن لقحطان احتكاك مستمر بإخوانهم في عسير. فقط بين حين وآخر يأتي قحطان نجد في أوقات الجفاف إلى الجنوب ويستقبلون هناك أحر الاستقبال[2].

يلاحظ أن كلمة «آل» واردة كثيراً في الجدول، وهذا أمر تتميز به القبائل القادمة من الجنوب.

قحطان(1)
أ ـ عبيدة(2)
شيخ المشايخ: ابن شفلوت(3)
منطقة التنقل: وادي رنية ـ الحمرا

عدد الخيام: 2000

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ آل الجرو(4)			
2 ـ الفهر(5)			
3 ـ آل سالم(6)			
4 ـ آل مهدي(7)			
5 ـ آل العصادة(8)			
6 ـ آل داود(9)			

(1) لاندبورغ، داثينا ص 551 وما بعدها، قارن مع ما ورد أعلاه.

(2) كتاب الجيب هاندبوك، جـ1، ص 442.

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
7 ـ بني هاجر(10)			
8 ـ آل حارث(11)			
9 ـ الحرقان(12)			
10 ـ العرجان(13)			
11 ـ آل شايب(14)			
12 ـ آل دمنان(15)			
13 ـ حمالة(16)			
14 ـ المساردة(17)			

ب ـ آل محمد(18)

منطقة التنقل: الحوطة ـ الوشم

عدد الخيام: 2500

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الروق(19)	ابن حويل(20)		250
أ ـ آل حويل	ابن حويل		
ب ـ آل حامد(21)			
جـ ـ النقاحين(22)			
د ـ آل زميمان(23)			
هـ ـ آل خادم(24)			
و ـ الغربان(25)			
2 ـ آل عاصم(26)	فيصل بن حشر(27)		
أ ـ آل عضيب(28)			

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
ب ـ الخراشفة(29)			
جـ ـ آل نصار(30)			
د ـ آل غنام(31)			
3 ـ آل سعد(32)			
أ ـ آل العوا(33)			
ب ـ آل مسن(34)			
جـ ـ آل سلوة(35)			
د ـ آل جحشان(36)			
هـ ـ آل مخثلة(37)			
و ـ آل فاضل(38)			
4 ـ الخنافر(39)	ابن مجدل(40)		
أ ـ آل قريان(41)			
ب ـ آل كليفيخ(42)			
جـ ـ آل معلى(43)			
د ـ آل سبعان(44)			
هـ ـ آل جربيع(45)			
و ـ آل قير(46)			
ز ـ آل عيينان(47)			
حـ ـ آل ذيبة(48)			
5 ـ آل عاطف(49)	ابن سعيدان		
أ ـ آل سعيدان(50)			

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
ب ـ الضورة(51)			
جـ ـ الحواصلة(52)			
د ـ العشاتلة(53)			
هـ ـ آل مسهرة(54)			
و ـ آل حماران(55)			
ز ـ آل شريم(56)			
6 ـ السحمة(57)	ابن عمر بن هادي(58)		
أ ـ آل صابر(59)			
ب ـ آل عمر(60)	ابن عمر		
جـ ـ العمامجة(61)			
د ـ آل مجلد(62)			
هـ ـ آل عبيدان(63)			
7 ـ المشاعلة(64)			
أ ـ الزنعور(65)			
ب ـ آل خشيم(66)			
جـ ـ آل غربة(67)			
8 ـ آل شبوة(68)			
9 ـ العجارشة(69)			

جـ ـ آل الجمل(70)

منطقة التجول: الحصاة ـ السيح

عدد الخيام: 1000

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ آل مسعود(71)	ابن عبود(72)		
أ ـ العبود(73)			
ب ـ آل حسين(74)			
جـ ـ آل جاهل(75)			
2 ـ آل سويدان(76)			
أ ـ آل عيزرة(77)			
ب ـ آل صبرة(78)			
3 ـ آل عليان(79)	ابن عليان		
أ ـ آل لاحق(80)			
ب ـ آل صالح(81)			
4 ـ آل عياف(82)			
5 ـ آل مريتع(83)			

ملاحظات حول الجداول

1 ـ يستند الجدول، مثل جدول عتيبة، على هيس، وأخذت عائلات الشيوخ من مصدر يعود لعام 1900م من القاهرة. المراجع شحيحة. بوركهاردت، ص 340، أورد فقط عاصم (ب2) مع الشيخ حشر والسحمة (ب6) مع ابن قرملة.

قائمة / شبرنغر/ رقم 17، 33 تفصل عبيدة عن بقية قحطان حيث يرد فيها عاصم مع حشر وبني هاجر.

يقسم فؤاد حمزة 189 القبيلة إلى جنب (عبيدة) والجحادر (انظر ملاحظة 18).

ويقسم الجحادر إلى آل سليمان وآل الجمل (جـ) وآل سليمان إلى آل محمد (أي بمعنى أضيق مما لدينا في ب) وآل عاصم (ب2) وآل محمد إلى آل دهم (ب4، 5، 6، 7) وآل بطن (ب1، 3). مصدرنا يقدر عدد خيم قحطان بـ 5000 إلى 6000 خيمة.

2 ـ تلفظ عبيدي.

3 ـ 1900: الهوادي بن شغلوت؛ هوبر، 589: زيد بن شفلوت.

4 ـ جروي.

5 ـ تلفظ: الفهر. (فهري).

6 ـ سالمي.

7 ـ مهيداني.

8 ـ عصادي.

9 ـ داوودي.

10 ـ هاجري، القبيلة الأم لبني هاجر.

11 ـ حارثي.

12 ـ حرقاني.

13 ـ عريجي.

14 ـ شايبي.

15 ـ دمناني.

16 ـ حمالي.

17 ـ مسردي.

18 ـ تنطق: آلي محمد (محمدي) وتسمى أيضاً جمادر (جحدري).

19 ـ (روقي) هاجمهم المكيون عام 1797م عند عقيلان (ليس عقيلان "الروق" كما يكتب فيلبي خطأ في بلاد العرب، 72). الروضة، حـ 2، بداية 1212..

20 ـ 1900 فهيد بن حشيفان.

21 ـ حامدي.

22 ـ نقيحاني، مسفر بن نغيحان كان زعيم الروق 1797م، روضة، نفس المصدر السابق.

23 ـ زميماني، مع حمولة المدالي = آل عجيان وآل مريحة (مريحي).

24 ـ غادمي.

25 ـ غربلني. يضاف إلى ذلك آل ملهبة وآل العشوا.

26 ـ عاصمي.

27 ـ 1900م منير بن حشر.

28 ـ عضيبي، الجمع: العضوب.

29 ـ خريشفي.

30 ـ تلفظ: النصّار (نصّاري).

31 ـ غنّامي.

32 ـ سعدي.

33 ـ عواني.

34 ـ مسّني.

35 ـ السلوي.

36 ـ جحشاني.

37 ـ مخثلي.

38 ـ فاضلي.

39 ـ خنفري.

40 ـ 1900 ناصر بن مجدل.

41 ـ قرياني.

42 ـ كليفيخي.

43 ـ معلّاني.

44 ـ سبعاني.

45 ـ جريبعاني.

46 ـ قيري.

47 ـ عيناني.

48 ـ ذيبي.

49 ـ عطفي.

50 ـ سعيداني = آل معجبة (معجبي).

51 ـ ضويري.

52 ـ حويصلي.

53 ـ عشتلي.

54 ـ مسهري.

55 ـ حماراني.

56 ـ شريمي.

57 ـ سحيمي.

58 ـ 1900 ناصر بن عمر (تلفظ عُمار!) بن هادي ـ من نسل هادي بن قرملة.

59 ـ صابري.

60 ـ عامري.

61 ـ عماجي.

62 ـ مجلدي.

63 ـ عبيداني.

64 ـ مشعلي.

65 ـ زنعوري.

66 ـ خشيمي.

67 ـ غربي.

68 ـ شيبوي.

69 ـ عَجَرّشي.

70 ـ تلفظ: آل الجمل (الجميلي).

71 ـ مسعودي.

72 ـ 1900: ذياب بن محمد.

73 ـ عبّودي.

74 ـ حسيني.

75 ـ جاهلي.

76 ـ سويداني.

77 ـ عيزري.

78 ـ صبري.

79 ـ عليّاني.

80 ـ لاحقي.

81 ـ صالحي.

82 ـ عيافي.

83 ـ مريتعي.

هجر قحطان(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ الرين العليا(2)	هذّال بن سعيدان	حزام بن مسفر
		عشق بن مسفر
		قبلان حويري
		عبد العزيز بن لبدة
		فيصل بن لبدة
2 ـ الرين السفلى	سلطان بن سيفران(3)	خليل بن عمر
		سعد بن جليغم
		تركي بن صليم
		بداح العجّاج

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
3 ـ الهيائم	فيصل بن حشر	خالد بن فيصل
		فاهد بن مريها
		فيصل بن مجدل
4 ـ الحصاة السفلى	فنيس بن حويل	
5 ـ الحصى العليا	سعد بن جلبان	
6 ـ الجفير؟	ناصر بن سدحان(4)	
7 ـ المنيصف	هلال بن عبود	
8 ـ لبن؟	رجاء بن ناصر	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ راجع أُم القُرى رقم 208، 18، 12، 1928 ورقم 252، 10، 1929 الهيائم والمنيصيف (7) مزارع تابعة لقرية اليمامة، فيلبي ج2، ص 34، طالما كانت أسماء الشيوخ معروفة فهي تنضوي تحت المجموعة (ب) باستثناء هلال بن عبود (حـ1).

2 ـ لقد تم تقسيم الهجرة فيما بعد حيث أصبح عبد العزيز بن لبدة أميراً.

3 ـ 1929: خليل بن عمر.

4 ـ ذكر عند فيلبي ج3، ص 44، 52.

دواسر

تمتد منطقة الدواسر[1] من الواحة التي أخذت اسمهم واحة الدواسر عبر الطويق الجنوبي وحتى شرقي الجزيرة العربية. ويوجد خارج هذه الحدود كثير من مستوطنات الدواسر التي تشهد على ما تتمتع به هذه القبيلة من رغبة في الترحال والسفر. من ناحية العدد وسعة الانتشار لا يقل الدواسر أهمية عن جيرانهم قحطان وعتيبة. أما من ناحية القدرة القتالية والأهمية السياسية فيأتون بعد جيرانهم في الترتيب. ينقسم الدواسر إلى مجموعات كثيرة تتخاصم دوماً فيما بينها. ويضرب المثل في وسط الجزيرة العربية بميل الدواسر إلى المشاجرة والنزاع.

يعيد الدواسر أصلهم إلى أخين، سالم وصهيب، جاء أبوهما زايد الملطوب من اليمن. وبالفعل توجد هناك قبيلة دوسرية تنتسب إلى أخ ثالث هو محمد "بن ملطوم". تسمى هذه القبيلة الذويّ وتسكن في رغوان قرب مأرب، ويبلغ عددها نحو 200 رجل[2]. لكن الحقيقة تختلف عن حكايات الأجداد: لقد كان الدواسر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي قبيلة مهمة في اليمن وكان لها اتصالات مع البلاط المملوكي في القاهرة[3]. وبعد ثلاثة قرون سُجّل وجودهم في

(1) المفرد: دوسيري.

(2) فيلبي، جـ 2، ص 203 وما بعدها. رحلة جلاسرز إلى مأرب ص 32.

(3) ابن فضل الله العمري. (1301 ـ 48) التعريف بالمصطلح الشريف ص 78.

موطنهم الجديد؛ إذ إن الوادي الذي يسميه الجغرافيون القدامي "عقيق تمره"، يسمى في "جهان نيما" وادي الدواسر[1].

يحتوي الوادي على مجموعتين كبيرتين من الواحات: مجموعة سليّل في الشرق، ومجموعة اللدام (الدام) في الغرب، بالإضافة إلى مجموعة صغيرة تمرة، في الوسط[2]. ولما كانت إمكانيات السقاية محدودة وأشجار النخيل والحقول الزراعية تعتمد جزئياً على مياه المطر، سرعان ما بدأ الصراع بين الدواسر.

مما أدى بالتالي إلى هجرات جديدة. توجهت الهجرات في البداية إلى أفلاج ولم تزل مستمرة حتى اليوم. وكان آل حسن (أ) أول من هاجر، إذ طردهم الوداعين (و) من سليلّ. واضطر الحنابجة (أ 2 ب) إلى مغادرة الوادي عام 1916م لأنه جرى فجأة، بعد انقطاع دام عدة أجيال، ودمر مزروعاتهم وبساتينهم. فتبعوا إخوانهم إلى حمر في غرب أفلاج[3].

بدأ احتكاك الدواسر بالوهابيين في وقت متأخر نسبياً. ففي عام 1785م انتقل ربيّع بن زيد، شيخ المخاريم (د)، وأخوه إلى اعتناق التعاليم الجديدة. وكان ربيّع رجلاً صلباً قويّ العزيمة يعود له الفضل في سيطرة الوهابيين على الوادي وفي جزء كبير من انتصاراتهم على مكة. بدأ ربيّع بعد عودته من الرياض ببث الدعاية الوهابية في الوادي، وعزز هذه الدعاية ببناء حصن صغير قرب اللدام، لكنه واجه مقاومة من الرجبان (جـ) والوداعين (و) ومن شيخيهم جماهر وحويل. وحوصر ربيع في حصنه. لكن اتفاقاً على هدنة أعطى المحاصرين الفرصة لإرسال رسالة إلى الدرعية. وبعد وصول الدعم حصل حصار جديد أكثر خطورة

(1) جهان نما، 493. كانت تقام آنذاك كل عام سوق في الوادي يأتي إليها الناس من نجد واليمن وعمان.

(2) في الاستعمال اللغوي المحلي يعني وادي الدواسر، الذي يسمى غالباً الوادي، فقط مجموعة الواحات الواقعة حول قرية اللدام؛ فيلبي جـ 2، ص 45.

(3) فيلبي، جـ 2، ص 73، 164، 188.

استخدم فيه الخصوم آلات اقتحام الحصون. وفي النهاية وجد ربيّع نفسه مضطراً إلى الاستسلام، وحصل على انسحاب مشرف. بعد ذلك توجه إلى الدرعية حيث حصل على الوسائل اللازمة لمؤصلة حملته. وتم بناء حصن جديد قرب تمرة، وفي هذه المرة كان ربيّع أكثر نجاحاً: فقد اعتنق الوهابية كل من الحنابجة (أ 2 ب) وعمور[1].

والولامين (ز). عندئذ توجه زعيما التيار المعارض، جماهر وحويل، إلى أمير نجران (خليفة الحسن) طلباً للمساعدة.

توجه أمير نجران على رأس جيش إلى الوادي لكنه اضطر إلى الانسحاب بعد معارك طويلة دون أن يحقق أي شيء. عندئذ خضع أيضاً الرجبان والوداعين، لكنهم انفصلوا مرة أخرى بعد ستة أشهر. وظلوا كذلك إلى أن جاءت قوة من الدرعية وأجبرتهم على الرضوخ. وتوجه زعماؤهم شخصياً إلى الدرعية حيث فرضت عليهم غرامة مالية كبيرة. ولكن عندما أرسل شريف مكة بمناسبة حملته على نجد عام 1790/ 1791م قوات إلى الوادي، انفصل حويل وجماهر عن الوهابيين مرة أخرى. وبصعوبة بالغة تمكنت القوات الوهابية بالتعاون مع ربيّع من إعادة الهدوء والنظام[2].

في الحروب الحدودية التي دامت من عام 1795م حتى عام 1799م ضد القبائل وضد قوات شريف مكة برز ربيّع مثلما برز هادي بن قرملة تقريباً في نفس الفترة وكان بنو هاجر والشهران، واحتا بيشة ورنيّة، هدف حملاته الحربية. وقام صديقه مبارك بن هادي بالتقدم نحو نجران. وفي عام 1810م وصلت حملة من الدواسر حتى حضرموت[3].

---

(1) ملحقة: 1.

(2) الروضة، جـ 2 تحت 1199، 1202، 1205، قارن منجن جـ 2، ص 496 وما بعدها 502 وما بعدها.

(3) الروضة، جـ 2 تحت 1211، 1212، 1210، منجن جـ 2، ص 537.

لم يحتك الدواسر بالمصريين إلا في معركة بسل (بداية عام 1815)[1]. ومنذ احتلال الدرعية تركوا وشأنهم إلى أن جاء فيصل بن تركي (1843م ـ 1865م) وأعاد الوادي إلى الدولة الوهابية. من عام 1891م حتى عام 1903م كان الوادي تابعاً لابن رشيد. وكان يرسل ممثلين له إلى القرى الكبيرة ويضع تحت تصرف كل منهم 20 رجلاً[2]. وعندما جاء عبد العزيز آل سعود إلى الوادي لم يواجه أي مقاومة ولكنه لقي صعوبة في تحقيق السلام بين الدواسر أنفسهم. واضطر في آخر الأمر إلى نفي البوراس (أ 1 ب) في مبرّز لكي يضع حداً لنزاعهم مع آل عجلان (أ 1 أ) ليلا في عاصمة أفلاج[3].

لم يزل وادي الدواسر حتى اليوم يشكل قاعدة القبيلة. والجماعات الموجودة هناك أصبحت مستقرة جزئياً منذ زمن طويل، أما الرحل فيملكون أراض يزرعها لحسابهم زنوج كانوا عبيداً في السابق. كما أن واحات أفلاج أيضاً يملكها مستوطنون من الدواسر أو يزرعها زنوج يستأجرونها من الدواسر الرحل. وفي المناطق الواقعة أبعد إلى الشمال، في فرع وخرج، يشكل الدواسر جزءاً من السكان المستقرين، ويشكلون في الدلم، القرية الرئيسية في خرج، أكثرية السكان. وهناك أيضاً عدد كبير من الدواسر في عارض ومحمل، على سبيل المثال في ضرمه، وعدد قلّيل في المناطق الشمالية. ويعمل دواسر من الوادي بين حين وآخر في صيد اللؤلؤ في موانىء الخليج «العربي» ويعملون الآن بصفة عمال في حقول النفط. وفي البحرين يوجد منذ عام 1845م مستوطنة للدواسر[4]. ويعتقد بأن جزيرة

---

(1) بوركهاردت، ص 549.

(2) هذا ما رواه أحد الدواسر في عام 1900م في القاهرة.

(3) فيلبي، جـ 2، ص 76 وما بعدها، ص 167 وما بعدها.

(4) كتاب الجيب هاندبوك جـ1، ص 604 فيلبي، ص 101، 113، 116، 122، 126. تتضح أسباب دوافع الدواسر غير العادية للهجرة من خلال الأسباب التي تم ذكرها في الصفحة 177 وما بعدها أعلاه. لقد صادف فيلبي عندما عاد لزيارة سليل في عام 1932م بؤساً شديداً في ضوء القحط الذي استمر لأكثر من عشرة أعوام وتراجع صيد اللؤلؤ بسبب الأزمة الاقتصادية العامة. (الربع الخالي، ص 360 وما بعدها).

الدواسر في شط العرب[1] حصلت على اسمها من مهاجرين من قبيلتنا.

يولد عدد مستوطنات الدواسر وانتشارها الواسع، الانطباع بأن القبيلة قد تحولت بكاملها تقريباً إلى حياة الاستقرار. ولكن هذا خطأ كما أثبت فيلبي الذي كان الأوربي الأول الذي زار بلدهم. ففي منطقتهم يعيش جزء كبير من الدواسر حياة البدو الرحل. وتمتد منطقتهم من وادي الدواسر حتى وادي نساح وحتى وادي فروق في شرقي الجزيرة العربية. ويعيش الوداعين (و) في الجزء الجنوبي حتى شعيب مقرن، ويعيش آل حسن (أ) في الجزء الشمالي. ويقضي المساعرة (ب) الشتاء في وادي الدواسر، والصيف في وادي نساح[2]. وفيما وراء الوديان يذهب الدواسر أحياناً حتى بئر خضرة على الحدود الجنوبية لنجران[3]. وفي مواسم جني التمور يتجمع الرُحّل منهم في الواحات العائدة لهم أو لأقربائهم من الدواسر المستقرين. وهم يدفعون الضرائب عند بثري ورهيّه ومقرن.

كان الدواسر حتى وقت قريب في عداوة دائمة مع جيرانهم الشرقيين بني مرّة. وهناك بعض المواقع في الطويق التي تحمل أسماء تذكرنا بالمعارك التي دارت بين القبيلتين، ومنها على سبيل المثال اسم منخفض حجلة آل مرة حيث كادت هذه القبيلة تموت عطشاً في إحدى الغزوات، ثم هطلت فجأة زخة من المطر أنقذتها من الهلاك. وتجدر الإشارة إلى أن اليام في نجران شنت أيضاً كثيرات من الغزوات ضد الدواسر[4].

---

(1) تم ذكرها للمرة الأولى من قبل مؤرخ الدولة العثمانية عزي، ، ص 198 (1748م) وكذلك من نيبور (1765م)، وصف الرحلة جـ 2، ص 205.

(2) القاهرة 1900م.

(3) فيلبي: «بنات شيبا»، 18.

(4) فيلبي، جـ 2، ص 83، 159، 206.

الدواسر(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أ ـ آل حسن		الأفلاج	
1 ـ آل عجلان		ليلى	
أ ـ العجالين	معجب بن تركي	ليلى (المدينة)	600
ب ـ البو راس(2)			
2 ـ الشكرة			
أ ـ الشكرة	هذال بن وقيان	الحمر	120
	عقاب بن حفيظ(3)		
		قرينة(4)	60
		الوصيلة(5)	50
ب ـ الحنابجة(6)		الحمر	
3 ـ السخابرة	مرضى	سلمى	80
4 ـ العمارية			
أ ـ آل عمار(7)		العمار(8)	100
		السيح	150
ب ـ آل مبارك		الروضة(8)	100
جـ ـ تميم(7)			
5 ـ القينان(7)			
6 ـ الغياثات		الخرفا(8)	
	محمد بن وقيان(9)		

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
7 ـ الهواملة(10)	سحمي بن سحمي		
8 ـ الدغمة(11)			
ب ـ المساعرة		الوادي ـ وادي النساح	
1 ـ البو حسن	فيحان بن قويد(12)	قعيز	60
2 ـ البو سبا	شجاع الخريم(13)	نزوة(14)	60
3 ـ الشرفة(15)	مسفر بن هذلول	مشرف(14)	100
4 ـ البريك	محماس بن سويلم(16)	نعيمة(14)	80
5 ـ آل مسرور(17)		الهدار	
ج ـ الرجبان			
1 ـ الرجبان		اللدام	600
2 ـ الخطاطبة(18)			
د ـ المخاريم(19)			550
هـ ـ آل عويمر		الفرعة(20)	
1 ـ آل عويمر		العويمر	90
2 ـ آل معنى(21)		المعنى	50
3 ـ آل ناهش(21)		الناهش	50
و ـ الوداعين		الوادي ـ المقرن	
1 ـ السويلم(22)		السليل	60
2 ـ آل حنش(22)		السليل	100
3 ـ آل محمد(22)		السليل	100
4 ـ آل ضويان		السليل	60
		خثيقان(23)	20

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
5 ـ الخماسين		مشرف(24)	200
6 ـ الخليف		الهدار	20
7 ـ الخضران(25)			
8 ـ الدواس(26)			
9 ـ الحجي(27)		المبرز	
ز ـ الولامين			
1 ـ آل سعد	محمد بن درعان(28)		
2 ـ آل تميم	مبارك بن علي		
ملحقة بها :			
ـ أبات دواسر(29)			
1 ـ العمور(30)		تمرة	100
2 ـ الحقبان		كمدة(31)	20

ملاحظات حول الجدول

1 ـ مأخوذة في القاهرة 1900م (المرجع : دوسيري وتميمي وقحطاني) وتم استكمالها حسب فيلبي. شبرنغر، الجغرافيا القديمة ص 240. يذكر بعض القبائل حسب مايلز. كتاب الجيب ج1، ص 605 وما بعدها، يذكر قائمة تفصيلية للقبائل المستقرة.

في تصنيف قديم للسلالات لفيلبي ج2، ص 204، ترد المجموعات على النحو التالي: آل صحيب (الجمع الصحبة) = أ، ب، ب3، جـ، د؛ آل سالم، ينقسمون إلى آل زايد = هـ1، 2، 3، وآل غانم = و، ز. سالم وصحيب هما بطبيعة الحال أبناء زايد المطلوب والمذكور أعلاه.

الوسم: |oo و ⁞|ه ، برترام توماس، الجزيرة العربية، ص 5.

2 ـ سابقاً في المبرز، انظر صفحة 121.

3 ـ رئيس البدو الرحل. فيلبي ج2، ص 262.

4 ـ قرية في واحة بديع.

5 ـ واحة شمال شرق ليلى.

6 ـ في مكان إقامتهم القديم في لدام، انظر أعلاه ص: 178 لم يكن يعيش في عام 1918م سوى حوالى 30 شخصاً، فيلبي ج2، ص 188.

7 ـ قسم منهم بدو رحل يمتلكون أراضي في السيح أقدم واحات أفلاج وأكثرها ازدهاراً، فيلبي ج2، ص 94.

8 ـ قرية قرب ليلا.

9 ـ شيخ البدو الرحل الذين توجد منطقة رعيهم في الحمر. فيلبي ج2، ص 89.

10 ـ بدو رحل، فيلبي ج2، ص 112 قارن 83.

11 ـ غير موجودة لدى فيلبي.

12 ـ تم ذكر ابن قويد في عام 1900م كشيخ أكبر للمصاعرة. أم القُرى رقم 208، 18/ 12/ 1928م. تذكر شيبان بن قويد ضمن أمراء الدواسر.

13 ـ سنة 1900م.

14 ـ استراحة في واحة الوادي (لدام) كذلك مكان إقامة البو حسن (ب 1).

15 ـ ينظر إليهم غالباً كقبيلة مستقلة.

16 ـ أم القُرى، المصدر نفسه، مذكور ضمن أمراء الدواسر (محماس بن سويلمة!) وينضوي تحت قيادته أيضاً بدو رُحل لا تتضمنها الأرقام.

17 ـ الجمع: المصارير وهو الاسم الذي يطلق على الاستراحة التي يسكنونها

في واحة هدار في الطويق. بدو رُحل يربّون الأغنام، فيلبي ج2، ص 248 وما بعدها.

18 ـ الروضة ج2، تذكرهم تحت عام 1202/ 1787/ 88. بدو رُحل، يملكون قرية مقابل في الوادي فيلبي ج2، ص 189، يذكر بدلاً منهم "دهعلوق" الذين هم دون شك فرعٌ منهم.

19 ـ بدو رُحل. يملكون قرية المعتلا في الوادي. فيلبي ج2، ص 189.

20 ـ هكذا يسمى الجزء الغربي من الوادي.

21 ـ عملياً مستقلون.

22 ـ أسماء هذه الفروع تستعمل عادة لتسمية الاستراحات التي يسكنونها. فيلبي ج2، ص 163.

23 ـ واحة قرب تمرة.

24 ـ بعد لدام ثاني أكبر بلدة في الوادي.

25 ـ بدو رُحل، يزورون من أجل محصول التمر المزارع المهجورة شطبة ودلهم في الطويق الجنوبي. فيلبي ج2، ص 243.

26 ـ لا توجد لدى فيلبي.

27 ـ قارن فيلبي ج2، ص 77: "هيّي".

28 ـ أُم القُرى، المصدر نفسه، تذكر صقر بن درعان ضمن أمراء الدواسر.

29 ـ لا تربطهم بالدواسر صلة قربى. ربما بقايا سكان قدماء للوادي. يتبع لهم أيضاً المشاوية وخيالات في الحسا. فيلبي ج2، ص 204.

30 ـ يسكنون أيضاً الكبكبية قرب تمرة واستراحة الرويسة المهدمة في الوادي (حوالى 20 نسمة) فيلبي ج2، ص 188.

31 ـ تقع بين تمرة والوادي.

هجر الدواسر(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ الحمر	هذال بن وقيّان	
2 ـ المشيرفة	المناجي بن حفيظ	
3 ـ الوسيطا	محمد بن وقيّان	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب أُم القُرى، رقم 208، 18/ 12/ 1928م. كانت المشيرفة سابقاً قرية أثرية جنوب دلم في الخرج. فيلبي ج2، ص 49، حمر معروفة. الثلاثة تتبع الشكرة (آ 2 آ).

عقيل

ينتمي العقيلون في الأصل إلى كعب الذين انحدروا بدورهم من مجمع عامر ابن صعصعة. وكانت قبيلتهم الأم تسكن في أقصى جنوب منطقة بني عامر، من رنية وبيشة وتثليث حتى الخرج، وهذا يعني أنها كانت مستولية أيضاً على المنطقة التي يستولي عليها في الوقت الحاضر الدواسر[1]. وكان وادي الدواسر مع منابعه وواحتا الدام تمرة في حوزة العقيل، بينما كانت القبائل الشقيقة جعدة، وقشير، والحريش، تملك واحات أفلاج، وكان بعضهم، ومنهم قشير والعجلان، يجتازون الطويق ويصلون إلى مقربة طريق الحج حجر (رياض) ـ مكة. ومن الطبيعي أن الجزء الراحل من كعب لم يكن يقتصر تنقله على منطقة استيطان قبيلته بل كان يتجاوزها إلى مسافات أبعد. فقد كان العقيل، مثل خلفائهم الدواسر، يصلون حتى وادي نساح، بينما كان القشير يخيمون أحياناً في سهل مرّوت/ مروته[2].

لم تحتفظ المراجع العربية إلا بعدد قليل من حكايات كعب وتراثهم في العصر

(1) انظر أيضاً بالنسبة لما يلي، الجغرافيين العرب تحت أسماء المواقع، وكذلك تحت، عقيق، عماية، خزبات داو، حلبان، ريب. وبالدرجة الأولى الهمداني، ص 149، 152، 159 وما بعدها، 164، 166، 177.

(2) الأغاني، جـ4، ص 133، عندما يظهر بنو عقيل مرة في الشمال لدى نبع أسد (المفضليات رقم 98) فإنما يشكل ذلك استثناء.

الجاهلي. ولذلك لا تعطي هذه المراجع صورة صحيحة عن الوضع السياسي الداخلي ولا عن الوضع السياسي الخارجي للقبيلة، ولكن يستنتج من الدور الذي تلعبه الأسر العقيلية، أمثال خفاجة وعبادة والمنتفق، في هذه الحكايات أن عقيلاً كان لها دور قيادي بين بني كعب. ويحصل المرء على الانطباع نفسه من الأخبار التي تتحدث عن التحاق العقيل وأقربائهم بالإسلام. فقد اعتنقوا الإسلام دون أي مشاكل وحدث هذا في حياة النبي[1].

تأثرت كعب في العقود التالية بحركة الهجرة الناجمة عن حروب الفتح، فقد رحلت قشير وعجلان، وبالدرجة الأولى عقيل إلى سورية، وكانوا يتمركزون في أغلب الأوقات، في المناطق الشمالية من البلاد، وفي منطقة الخط المحاذي لبلاد ما بين النهرين في ديار مضر، (انظر الجزء الأول ص 337 و338)، كما أنهم كانوا موجودين في جند دمشق وحدات عسكرية، ووصل بعض من أفراد عقيل إلى إسبانيا ضمن أجزاء من هذه الوحدات[2]، ولم تجذب منطقة الكوفة والبصرة عقيلاً بشكل كبير، وإنما مالوا إلى المناطق الفارسية أكثر منها، فقد هاجر أحد فروعها الصغيرة، حبيب، إلى خراسان[3].

في بادىء الأمر لم يطرأ تغيّر على الأوضاع في موطن القبيلة، وقد تمّ النظر إلى كعب من الناحية الإدارية كوحدة واحدة[4]، وكانت هي نفسها تعتبر نفسها كذلك. فقد صدّ الكعبيون مجتمعين هجوماً شنّته عليهم حنيفة عام 744م. فقد

---

(1) الأغاني، جـ4، ص 133 وما بعدها ڤيلهاوزن، المسودات 4، 144 وما بعدها. يبدو من خلال المعطيات القول بأن عقيل قامت بدعم الفرس المنحازين للمسلمين في صنعاء، أثناء حروب الردة، ببعض القوات، كما يدعي سيف لدى الطبري جـ1، ص1993 وما بعدها، يبدو أن الأمر غير معقول.

(2) دوزي: تاريخ المواركة في إسبانيا، جـ1 ص 184.

(3) ابن حزم 271 قشير وابن جعدة في أصفهان؛ الأغاني، جـ4، 132 انظر أيضاً، قشير في خراسان؛ الطبري جـ3، 1350؛ وانظر أيضاً الأغاني، جـ 10، 144 والحماسة رقم 104.

(4) أنظر أيضاً بالنسبة لما يلي الأغاني، جـ 20، ص141 وما بعدها.

حاول هؤلاء استغلال موت الخليفة الأموي الوليد الثاني، ولكي يستعيدوا سيطرتهم على اليمامة والمناطق المجاورة. وفي العصر العباسي الأول أيضاً نجد أن كعب كانت لم تزل في موطنها القديم[1]، ولكن بعد ذلك مباشرة حصلت بعض التحولات، فقد اندفعت قشير إلى السهوب الواقعة في الشمال الغربي حتى أوقفتها نُمير. ويبدو أن القشيريين قد اندمجوا بعد ذلك مع السكان المستقرين والمقيمين هناك، بينما، توزع الحريش واتجه معظمهم نحو اليمن[2].

في القرن التاسع الميلادي تركت عقيل وادي الدواسر وذهبت إلى قوس الطويق. وبعد انهيار نمير سنة (847م) احتلت المنطقة التي كانت في حوزتهم وهي منطقة باهلة الواقعة على طريق الحج جنوب غرب حجر. وفي الوقت نفسه، احتلت قشير من الطويق الجنوبي واحة يبرين[3]، ولكن هذا لم يكن سوى مقدمة للتغيرات الكبيرة التي حصلت في عهد القرامطة.

يقال إن الرسول الأول للقرامطة، الذي نشط في شرقي الجزيرة العربية، قد كسب تأييد كلاب وعقيل[4] الذين كانوا في هذه الأثناء قد وسعوا منطقة تنقلهم إلى ما بعد الطويق. وعلى أي حال فقد قاتلوا مع الجيش الذي أباد به أبو سعيد القرمطي قوات الخليفة عام 287هـ/ 900م. ويبدو أن حملات أبي سعيد إلى أفلاج ويبرين قد أبعدت كعب جنوبي الطويق (جعدة، وقشير). فالعقيليون الذين اعتنقوا التعليم الجديدة انتقلوا كلياً إلى شرقي الجزيرة العربية.

وشارك بعضهم في الحملات التي شنها أبو طاهر بن أبي سعيد في الأعوام

---

(1) أنظر مثلاً، الأغاني، جـ7، 115؛ جـ11، 143.

(2) الهمداني، ص 159.

(3) الهمداني، ص 165.

(4) والحريش، ابن الأثير جـ7، ص 341 (في النص: الخريش). وكان بعضهم لم يزل موجوداً حتى بداية القرن الثالث عشر في شرق الجزيرة العربية. ديوان ابن المقرب، بومباي 1310، رقم 82 المقدمة (النص: الجريش).

923 ـ 937م على العراق ومنطقة ما بين النهرين[1].

أدت هذه الحملات إلى حدوث موجة جديدة من الهجرة لدى عقيل. فقد غادرت القبيلة الفرعية خفاجة الأحسا ونزحت إلى البادية السورية قرب الكوفة، الساحة الرئيسية للمعارك التي دارت في عهد القرامطة.

أدت حملات القرامطة ضد سورية ومصر إلى توجه عقيل نحو الغرب أيضاً. وقد لعبت عقيل، إلى جانب طي، دوراً رئيسياً في الغزوات التي تمت في السنوات (970 ـ 971، 973 ـ 974م)، حيث شكلتا نواة الجيش القرمطي.

وبعد فشل الحملة الثانية جراء خيانة البدو، سعى هؤلاء العقيل إلى إيجاد موطن جديد لهم في فلسطين، إلا أنهم جوبهوا بمقاومة طي، التي اتخذت من تلك البلاد موطناً لها، فانضموا إلى أبي تغلب الحمداني، الذي أخذ يبحث عن بديل للموصل التي خسرها، إلا أنهم سرعان ما تخلوا عنه. عندما وقع في محنة عام (369هـ/ 979 ـ 980م)[2]، ومنذ ذلك الوقت لم يعد يسمع عنهم ولا عن زعيمهم شبل بن معروف أي شيء. خلال الحروب الصليبية ظهر جماعات من خفاجة في فلسطين[3]. ومن الممكن أن يكون أسلافهم قد جاؤوا إلى هناك مع تلك الموجة.

تلاشت إرادة الغزو عند القرامطة مع الحملة التي شنّوها على العراق عام (375 هـ/ 985م)، وأصبحوا بعد ذلك هم أنفسهم مهددين من قبل عقيل، ففي عام 378هـ/ 988 ـ 989م جمع شيخ من بني المنتفق، كان يحمل لقب الأصفر (الأصيفر) جيشاً، هاجم به القرامطة واحتلّ القطيف، حيث استولى على غنائم كبيرة من العبيد والبضائع والمواشي باعها في البصرة. ثم لعب دور الوريث الشرعي للقرامطة، حيث تولى جباية الضرائب، التي كانت الحكومة قد أقرتها للقرامطة في (327هـ/

---

(1) المسعودي، تنبيه، 392 وما بعدها. ادي غوي ذكريات عن قرامطة البحرين والفاطميين.

(2) فوستنفيلد/ تاريخ الخلفاء الفاطميين، 114، ابن الأثير جـ10، ص 514 وما بعدها، قارن مع الجزء الأول 416، 417.

(3) الانسكلوبيديا الإسلامية، خفاجة، في النهاية.

939م)، لقاء مرور قوافل الحج بحرية. وفي عام (384هـ/ 994م) أغلق طريق الحج عند الثعلبية لأن الرسوم التي دفعت في العام المنصرم كانت غير مرضية. وفي عام 394هـ/ 1004م لم يسمح للقافلة بالمرور إلا لأنه كان بين الحجاج اثنان من قراء القرآن المشهورين. ويقال إنه تأثر بقراءتهم تأثراً بالغاً مما جعله يدفع "مليون دينار"[1].

خلال القرن الحادي عشر الميلادي استقرت المنتفق ـ وهي القبيلة العقيلية الثانية التي هاجرت إلى الشمال ـ في المنطقة الواقعة بين السماوة والبصرة.

وهناك قبيلة عقيلية أخرى، وهي عامر، بقيت في مكانها. وسوف نفرد لها فصلاً خاصاً لأن إحدى الأسر الحاكمة الهامة، وهي بني جبور، تنحدر منها.

(1) ابن الأثير، جـ9، ص 40، 74، 129، 221 (توفي 410 هـ/ 1019 ـ 1020م) قارن مع ميتز، (عصر النهضة الإسلامية)، جـ3 ـ 10، ص 300.

آل بني عامر[1]

برز بني عامر[2] في المرحلة الأخيرة من أيام القرامطة بشكل رئيس. وبما أن الدولة لم يعد لها جيش دائم، فقد قام بني عامر بمهمة حماية واحة الإحساء والطرق المؤدية إليها، وكانوا يتقاضون لقاء ذلك تعويضاً من الحبوب والتمور. وتمسكوا بهذا الحق أيضاً بعد سقوط القرامطة، وقد أدى امتناع سكان العيون (انظر ص 40 أعلاه) عن الاعتراف بهذا الحق، إلى وقوع اشتباكات مستمرة، حقق فيها بنو عامر الانتصار في النهاية: خلال فترة الهدنة التي أنهت حرب السبع سنوات على الإحساء انتشر فخذ القبيلة عوف في الواحة، وبما أن عبد اللّه بن علي العيوني امتنع عن توريد الحبوب فقد اندلعت حرب بين الطرفين، أبيدت فيها عوف (صيف 469هـ/ 1076 ـ 1077م) وتمكن شيخ واحد فقط من اللجوء إلى المنتفق، في حين تم نفي النساء والأطفال إلى عُمان. إلا أنها وفي أواخر أيام حكم عبد اللّه بن علي،

(1) المصدر الرئيسي لتاريخ بني عامر القديم والوحيد بالنسبة لزعمائهم العوينيين، هو ديوان الشاعر ابن المقرب، أحد أحفاد عبد الله بن علي العيوني، انظر مثال دي غوي، يستند إلى تعليقات ناشر الديوان الغنية. لقد اعتمدت على نسخة مصورة عن طبعة بومباي 1310هـ التي أعدها لنا متبرعاً رتر ـ استانبول. للأسف تم اختصار التعليقات كثيراً وأساء إلى القصائد.

(2) ابن ربيعة، أي من أحفاد عامر بن ربيعة بن عقيل المعروف الذين كانوا يقيمون، حسب الهمداني 177، سابقاً في الدام «اللدام» (وادي الدواسر) وهذا ما يتفق عليه علماء الأنساب، ابن سعيد وابن خلدون ومن نقل عنهم.

عادت عامر للتواجد من جديد في الواحة، لا بل إنها تمكنت من تحقيق نصر على العيون عند مهاجمتهم لها. وقام الفضل بن عبد الله، بتحويل المراعي الممتدة من "تاج حتى الرمل" إلى محمية[1]، الأمر الذي وجد بنو عامر من خلاله، أنهم محصورين في شمال البلاد. وفي عام (483هـ/ 1090م)، قاموا بالهجوم المباغت على البصرة، وذلك بتحريض من رجل غريب الأطوار، وتمكنوا من نهب المدينة[2].

ولم يتمكن أبو سنان إلا بصعوبة بالغة من منعهم من الاقتراب من مقر إقامته في القطيف، بينما نجح وكيله في الأحسا وبعد معارك ضارية في طرد فلاحي الواحة الثائرين، والمدعومين من عامر، من المدنية. وفي عهد خلفائه هاجم آل عامر الأحسا عدة مرات مما جعل الأمر مثيراً للاستغراب أن أحد الأمراء لم يجد سبباً يستدعي الهجوم على عامر[3]. عوضاً عن ذلك فقد توجه بني عامر عام 588هـ/ 1192م مرة أخرى إلى البصرة وفتحوا، بعد معارك ضارية مع القوات الحكومية، ثغرات في السور ثم دخلوا المدينة وبدأوا أعمال النهب. عندئذ بلغهم أنَّ خفاجة والمنتفق قادمون إلى المدينة لطردهم منها. فخرجوا لملاقاتهم خارجها واشتبكوا معهم في معركة كان النصر فيها حليف بني عامر. وعلى الرغم من أن الحكومة أشرفت على المقاومة المنظمة للمواطنين دخل بني عامر المدينة مرة أخرى ومارسوا فيها أعمال السلب والنهب على مدى يومين كاملين[4].

قاتل بني عامر مع أهالي القطيف ضد الأمير محمد (توفي عام 602هـ أو 603هـ) وتآمروا ضده مع أمير الأحسا المخلوع، وحاصروا ابنه في القطيف حيث وصلتهم إمدادات من العراق (حوالى عام 1212م). وبعد بضعة أعوام فصلوا مدينة

---

(1) دي غوي. المصدر السابق، ص 20 وما بعدها، ابن المقرب، باسم.

(2) ابن الأثير، جـ 10، ص 121 وما بعدها. من الطبيعي أنه من الخطأ اعتبار بني عامر من القرامطة كما حصل في الانسكلوبيديا الإسلامية، مقال نظام الملك.

(3) ابن المقرب، باسم.

(4) ابن الأثير، جـ 12، ص 52.

الأحسا عن الواحة. عندئذ أرغم الأمير، الذي تولى الحكم بعد اغتيال ابن أخيه، من قبل حاشية على شراء السلام بالمال. وبما أن المدينة لم تكن قادرة على تأمين المبلغ اللازم قام الأمير برهن أراضي أقربائه عند شيوخ البدو. وبينما فقد الأمير وخليفتاه خلال أعوام قليلة كل سمعة واحترام، انتقلت ممتلكات العائلة، ليس فقط في الأحساء وإنما أيضاً في القطيف، إلى البدو[1]. وهكذا لا عجب في أن نرى أن الأحساء كانت تملكها عام 651هـ/ 1253م عائلة شيوخ من بني عامر هي عائلة بني عصفور[2].

بعد القضاء على عوف أصبح آل شيبانه (الشبانات) أهم قبيلة من قبائل بني عامر. وفي القرن الثالث عشر كانت قبيلة قديمة (القديمات) التي انبثقت عنهم تقود بني عامر الرحل؛ ومن القبائل الفرعية الأخرى نخص بالذكر قبيلة العقيلات (بني عقيل)[3]. وعندما كان السلطان بيبرس يحكم مصر (1270م ـ 1277م) أرسل بنو عامر وفداً إلى القاهرة[4]استقبل هناك استقبالاً رائعاً؛ إذ إن بيبرس كان يريد توحيد جميع قبائل الصحراء ضد المغول. وفي عهد السلطان محمد (1293 ـ 1294، 1298 ـ 1308، 1309 ـ 1340م) كانت تصل باستمرار قوافل بني عامر إلى القاهرة ولكن الآن لأغراض تجارية أكثر منها سياسية. كانت تأخذ إلى مصر الخيول الأصيلة والإبل واللؤلؤ والبضائع الهندية وتجلب معها من هناك الأقمشة والسكر. وكانت هذه القوافل تسير تحت حماية الفضل انظر الجزء الأول، ص 505، 506، الذين

---

(1) ابن المقرب، باسم.

(2) ابن سعيد لدى ابن خلدون، العبر جـ5، ص 92.

(3) ابن المقرب، باسم، القلقشندي 92 (حسب الحمداني). من ستة أفخاذ أخرى مذكورة هنا وردت لدى ابن المقرب. رقم 87، 54 ـ 55، حرثان وبني مطرف (تلفظ هكذا).
من الملفت للنظر أن صيحات الحرب مشكلة حسب أمهات القبائل: عجيبة! (الشيبانة)، أم العجرش! لدى ابن المقرب. لو لم يكن التعليق خليعاً لكان بالإمكان الحديث أكثر عن بنية القبيلة.

(4) في ظل شيخ (القُديمة): محمد بن أحمد العقيدي بن سنان بن غفيلة (النص: عقيلة) بن شيبان بن قديمة بن شبانة.

كانوا قد تلقوا تعليمات بهذا الخصوص من السلطان[1]، على الرغم من ذلك، فقد كان يحصل بين الحين والآخر بعض المشاحنات بين القبيلتين كما في العام (718هـ/ 1318م)[2].

بينما ازدهرت قوة بني عامر في القرن الرابع عشر، فإن عائلة أمراء الأحسا التي خرجت منهم لم تصبح قوية إلا في القرن التالي. وقد استعرضنا تاريخ هذه الأسرة الحاكمة، أسرة بني جبر/ جبور، في الصفحة 41. ونود أن نضيف إلى ما ذكرناه هناك أن جبري (رجلاً من جبر) حكم البحرين فترة قصيرة بعد استيلاء العثمانيين على الأحسا (1591م)[3].

ومنذ ذلك الوقت اختفى بنو عامر ولكن ليس دون أثر. فقد استمروا من خلال بني خالد[4]، الذين تحمل قبيلتهم الفرعية، الجبور(3)، اسم عائلة أمرائهم.

---

(1) حمداني وابن فضل الله العمري، لدى القلقشندي 92، صبح جـ7، ص 370.

(2) أبو الفدا، جـ4، ص 87.

(3) انظر كاسكل، عائلة حكام غير معروفة في الجزيرة العربية، الشرق جـ 2، ص 66 وما بعدها (1949م).

(4) وفي التراث الشعري، ديوان من قلب الجزيرة، رقم 69 قارن رومان، نفس المصدر رقم 110.

بني خالد

كان بني خالد يمثلون واحدة من أقوى القبائل البدوية في شرق الجزيرة في الفترة السابقة لظهور الوهابيين، وكان شيوخهم يحكمون بصفتهم أمراء الأحسا المنطقة الواقعة بين الخليج العربي حتى العارض، وقد قاوموا الوهابيين مقاومة شديدة، لكن هذه المعارك أضعفتهم جداً إلى درجة أنهم في القرن التاسع عشر خرجوا من صفوف القبائل الكبيرة.

لا تربطهم أية رابطة مع القبيلة التي تحمل الاسم نفسه داخل الأراضي السورية[1]، بل إنهم تشكلوا من اتحاد العديد من عشائر العقيل الذين هم قبيلة فرعية من فروع بني عامر[2]. ولا شك في أنه قد انضم إليهم بعض العناصر الغريبة. ويبدو أن عائلة شيوخ القبيلة القديمة آل حميد(1) هي من هذه العناصر الغريبة.

هناك تاريخ قديم (1074هـ/ 1663 ـ 1664م) عن بني خالد، يقودنا إلى

(1) بالمقابل فإن بني خالد في شرق الأردن هم فرع من هذه القبيلة كما تؤكد ذلك أسماء الأفخاذ 1، 2، 3 هناك و3، 5، 7 هنا. وفق ذلك ينبغي تصحيح ذلك في الجزء الثاني ص 277، والجزء الأول ص 465، 466.

(2) قارن مع بيت الشعر الوارد على لسان الأمير عبد الله لدى فؤاد حمزة ص146 لابن مشرف «فلاتنسَ جمعَ الخالدية فإنهم قبائلُ شتى من عقيلِ بن عامرِ».

الإحساء، فهذه المدينة القرمطية القديمة، والمنطقة التي أعطتها الاسم، كانتا منذ عام 1591م جزءاً من الأمبراطورية العثمانية. وكانتا تحكمان بالوراثة من قبل حكام يحملون لقب باشا ويحتلون مرتبة ميرميران. ومنذ وقت مبكر قام حكام البصرة من أسرة أفراسياب، والذين كانت لهم علاقات وثيقة مع الباب العالي كحكام الأحسا، بتضييق سلطة هؤلاء. ففي عشرينات القرن السابع عشر فقدوا ميناء عجير «عقير» وفي الخمسينيات القطيف، لا بل إن حسين باشا أفراسياب تمكن في النهاية من إقناع الباب العالي بعزل زميله محمد باشا بن علي باشا ووضع الأحسا تحت سلطته هو أي سلطة أفراسياب. أوكل أفراسياب مهمة احتلال المدينة إلى الشيخ برّاك من بني خالد. فاستولى براك على الإحسا في عام 1074هـ/ 1663م ـ 1664م، ولكنه لم يسلمها لأفراسياب وإنما باعها لمحمد باشا[1]. وفي نهاية عام 1664م اضطر محمد باشا إلى الانسحاب من المدينة بسبب تفوق قوات حسين، ولكنه نجح في العام التالي، بوساطة شريف مكة، في الحصول على موافقة استطنبول على إعادة تعيينه، وأجبر حسين تحت الضغط العسكري على القبول بذلك[2]. وبعد بعض الوقت انتقلت السلطة من يد هذه الأسرة العثمانية الباشاوية إلى يد عائلة شيوخ بني خالد[3]. ولم يحدث نتيجة لذلك من الناحية الشكلية القانونية أي تغير؛ فقد بقيت الأحسا جزءاً من حاكمية بغداد وبقي الشيوخ، أو بالأحرى الأمراء ـ كما أصبحوا يسمون الآن وإن كان بشكل غير رسمي ـ موظفين عثمانيين[4]. ولكنهم كانوا

---

(1) عنوان 30 (الشريف الأكبر زار علي باشا عند الأحسا 1032/ 1623Les Voyages et . Observations, Sievr de la Boullaye le Gouz, باريس 1657، 289 وما بعدها، تافرنيه، رحلة، امستردام 1727، جـ4، ص 571 وما بعدها، نظمي زادة گلّشن إي خليفا،وما بعدها 34.

(2) تيفينو، حـ4، 572، گلّشن، 94، 96 وما بعدها؛ لونكريك 114 وما بعدها.

(3) عالم الإسلام، 1925م، 68: 1688 ـ كان أحفاد عائلات الباشا في القرن الثامن عشر من كبار ملاك الأراضي. نيبور، الجزيرة العربية 340.

(4) علي حزين، مذكرات، .F.C. tradبلفور، 202، اوتر، رحلات. . . نورمبرغ 1781 ـ 89 جـ 2، ص 64 وما بعدها، جودت، تاريخ جـ9، ص 39.

تم في بداية القرن الثامن عشر تسمية شريف مكة، سعد بن زيد، والياً على الأحساء، فون

يلاقون صعوبة في انتهاج سلوك الموظف لأنهم ظلوا يعيشون أحياناً على الطريقة البدوية في الصحراء.

في منتصف القرن الثامن عشر كان أمراء الأحساء بعد أشراف مكة، أقوى أمراء شبه الجزيرة العربية. وكان أمراء العيينة، مسقط رأس محمد بن عبد الوهاب، وأمراء منفوحة خاضعين لهم[1]؛ وفي الشمال كانت الكويت تابعة لهم[2]، وكانت عنزة بزعامة ابن هذال، والتي كانت تخيم آنذاك في القصيم، تقدم لهم المقاتلين عند الحاجة وتلبي دعوتهم للحرب. ولكن هناك مبالغة طبعاً في قول الشاعر راعي البير «أبير»، مادحاً محمد بن سعدون، بأنه يحكم جميع البلاد من الجوف حتى سورية ومن رمّان حتى النير والشعرا[3].

وهكذا أصبح أمراء الأحسا ألد خصوم آل سعود الصاعدين. كما أن التشدد الوهابي التقشفي لم يكن يناسبهم لأنهم هم أنفسهم كانوا من أتباع المذهب المالكي المعتدل، ولأن كثيراً من رعاياهم في مدينتي الأحسا والقطيف كانوا من الإسماعيليين. ويقال بأن سليمان آل (ابن) محمد، الذي تصفه المصادر الوهابية بأنه طاغية وفاسق، قد أجبر أمير العيينة، بتهديده بقطع المعونات عنه، على طرد محمد بن عبد الوهاب[4].

على الرغم من ذلك تجاهل حكام الحسا[5] فترة طويلة من الزمن الخطر؛

هامر، GOR جـ9. لم يمارس الشريف مهمته هذه بصورة فعالة فعلاً، ولكنه على أي حال قام في عام 1107 هـ/ 1696م بحملة نحو داخل الجزيرة العربية قادته إلى شقرا في الوشم، عنوان 67.

(1) كان الأول يتلقى معونة سنوية، قسماً منها ذهب والآخر مواد عينية وأقمشة. تم ذكر منفوحة في هذا السياق من قبل فيلبي فقط ـ (بلاد العرب).

(2) نيبور، بلاد العرب.

(3) ديوان: من قلب الجزيرة العربية، رقم 71، الأبيات 55 ـ 57.

(4) الروضة، جـ 2، قبل 1160 ـ عنوان، ص 14.

(5) تسمية الأحسا بهذا الشكل (الحسا) أخذت تحل شيئاً فشيئاً محل الأحسا في الكتابات الوهابية.

يبدو أنهم اعتبروا المعارك الدائرة في نجد واحدة من الحروب العادية التي تحدث بين حين وآخر بين أمراء الواحات. فقط عندما ثبّت الوهابيون أقدامهم في الوشم وسدير ولم يبق في عارض أي مقاومة لهم سوى في الرياض، تدخل الأمير عريعر ابن دجين، ولكنه لم يتمكن من تحقيق نجاح دائم (1758م ـ 1759)[1]. وفي عام 1764 وصل متأخراً بحيث لم يستطع توحيد قواه مع قوى سيد نجران، فحاصر الدرعية بضعة أسابيع ثم انسحب[2].

عندما خضعت واحات القصيم للوهابيين (1183هـ/ 1769م)، عُيّن في البريدة رجل اسمه عليّان في منصب الأمير. فطلب سلفه دريبي المساعدة من عريعر وحصل عليها. وسقطت البريدة نتيجة خدعة. ولكن على طريق العودة توفي عريعر فجأة. فخلفه ابنه بطيّن الذي قدم الدعم لسيد نجران في حملته الثانية ضد الوهابيين. ولكن الوهابيين استولوا على بريدة مرة أخرى قبل أن يتمكن بطيّن من التدخل (1189هـ/ 1775م) وبعد ذلك بوقت قصير قامت عائلة بطيّن بعزله من منصبه[3].

حاول الحاكم الجديد، أخوه سعدون، عقد صلح مع الوهابيين. وعندما رفضوا[4] ذلك أخذ يقف ضدهم أينما استطاع. وقد دعم بشكل خاص الثورة الكبيرة التي اندلعت عام 1782م في القصيم واستمرت خمسة أشهر.

بعد وقت قصير حدث نزاع جديد في عائلة الأمراء. فقد فر عبد المحسن بن سرداح إلى شيخ المنتفق ثويني، لأنه شعر بأن سعدون يهدده. وعندما دخل ثويني إلى شرقي الجزيرة العربية ومعه عبد المحسن انتقل إليه فرعان من قبائل بني خالد،

(1) انظر أيضاً، فيلبي، بلاد العرب، الذي يعتمد على الروضة باستثناء التواريخ التي تم تأكيدها في «العنوان».

(2) قبل ذلك وصلت إحدى غزوات النهب الوهابية إلى الحسا، كذلك نيبور، بلاد العرب 346 وما بعدها، سمع في عام 1764 عن غزوتي عريعر.

(3) موزيل، شمال نجد 258: تم اغتياله.

(4) حسب فيلبي، بلاد العرب 34 لأن سعدون هاجم في أمبايض/بدواً وهابيين. في الحوليات يذكر فقط أن السعدون أقام معسكره فقط في أمبايض/الأمر الذي اعتبر تصرفاً غير ودّي.

هما المهاشير والصبيح. ففر سعدون إلى الدرعية. في بادىء الأمر تردد عبد العزيز آل سعود لأنه لم يكن يريد حدوث قطيعة بينه وبين ثويني، ولكنه قرر في النهاية تحت إلحاح محمد بن عبد الوهاب قبول اللاجىء سعدون (1785م)[1].

وبالفعل فقد أعلن ثويني إنهاء صداقته مع الوهابيين. وفي خريف 1786م دخل إلى القصيم على رأس جيش قوي، ولكنه تخلى عن حصاره للبريدة لأن هدفاً أكبر كان يلوح له في بلده[2]. عندئذ عاد عبد المحسن ودويحس بن عريعر، الزعيم الثاني للقبيلة، أدراجهما بعد أن كانا قد عبرا الدهنا لكي يدعما صديقهما[3]. ومن الآن فصاعداً أصبح الوهابيون في وضع الهجوم (1787م، 1788، 1789م). وفي شتاء 1204هـ/ 1789م ـ 1790م انتصر ولي العهد سعود عند غريميل على بني خالد. وكان أهل المدن قد تخلوا عن عبد المحسن. عندئذ تحول كثير من بني خالد، الذين كان ابن سعود عاملهم معاملة حسنة، إلى المذهب الجديد. وطُلب من زيد بن عريعر، الذي كان قد هرب مع سعدون إلى الدرعية وأصبح الآن ملتحقاً بالجيش الوهابي، أن يذهب إلى الحسا لكي يدعو أهل المدن إلى اعتناق التعاليم الجديدة، لكنه رفض هذه المهمة غير المشكورة.

بعد ذلك بوقت قصير قتل عبد المحسن. فحاول ابنه وخليفته براك الانتقال إلى الهجوم إلا أنه تكبد خسائر جسيمة قرب اللصافة (في طوال المطير 1207هـ، 1793م). وهكذا دخل سعود الحسا التي كانت قد عرضت عليه الاستسلام. وبسرعة

---

(1) يرى فيلبي بحق، 42، أن القطيعة مع ثويني كانت الخطوة الأولى نحو سياسة تتجاوز الجزيرة العربية وستؤدي حتماً وبالضرورة إلى الصدام مع الدولة العثمانية.

(2) انظر المقال الخاص بالمنتفق في قسم العراق «الجنوبي». السبب في الحملة كان قيام الوهابيين بنهب قافلة كبيرة قادمة من سوق الشيوخ في البقعة. فيلبي 43 أساء فهم كلمة /ظهرة/ واعتبرها تعني حملة حربية لثويني.

(3) فيلبي 45 يورد هذه الواقعة في إطار علاقة خاطئة. ذلك أن الحوليات تروي أولاً مصائر ثويني الأخرى ثم تعود بعد ذلك إلى نقطة البداية وتقول إن الأمير الوهابي قد أرسل ابنه لتحرير البريدة. وهنا يأتي ما رويناه أعلاه.

تمّ إدخال المؤسسات الوهابية وطرد زعماء الإسماعيليين وتدمير أماكن اجتماعاتهم وكتبهم وأجهزة عقيدتهم[1]. ولكن ما أن غادر سعود المدينة حتى تمرّد جزء من أعيانها بزعامة اثنين من عائلة أمرائهم ضد الحكم الجديد. وتم في يوم معين قتل الموظفين والمعلمين ورجال الدين الوهابيين أو طردهم. وقد تمكنت الحامية من شق طريقها والمغادرة (مايو/أيار 1793م)في الخريف عاد سعود مرة أخرى إلى الواحة حيث كان قد تجمع في هذه الأثناء برّاك وجميع «آل عريعر» / العريعر/ تقريباً وكذلك زيد للمشاركة في الدفاع عنها. وقد تعين على المهاجمين احتلال المنطقة قرية قرية. وأخيراً اضطر برّاك إلى الاستسلام. عندئذٍ انسحب سعود بعد أن تعب من القتال تاركاً مهمة فرض الهدوء والنظام لبراك. ولكن الثوار جدّدوا القتال ولكن ضد أميرهم هذه المرة. وبعد معارك طويلة تمكن برّاك من احتلال مدينتي الواحة وهما المبرز والهفوف (ربيع 1794م).

لكن الصراع لم ينته لأن جميع «آل عريعر» العريعر كانوا قد فروا[2] ونصبوا خيامهم مع قسم من القبيلة في الشمال على الحدود التركية. ويبدو أنهم لم يشاركوا في تمرد الإحساء الذي أبقى على برّاك والوهابيين من آذار حتى حزيران 1796م في حالة استنفار، وانتهى بإخضاع القطيف والعقير. ومرة أخرى لاح لعريعر الأمل، فمنذ زمن طويل كان المهاجرون الموجودون في البحرين والكويت والزبير والبصرة يطالبون سليمان باشا في بغداد باحتلال الإحساء واقترحوا عليه تسليم شيخ المنتفق ثويني قيادة الحملة. وفي نهاية عام 1796م وافق الباشا على ذلك[3].

---

(1) ولكن هنا كانت خسائر السكان أقل جداً من خسائر سكان قرى واحات القطيف حيث كان الإسماعيليون يشكلون تقريباً جميع السكان. فقد تصدى هؤلاء في عام 1791م لهجوم من قبل الوهابيين وتكبدوا خسائر جسيمة. في قرية سيهات وحدها قتل 1500 شخص. أما الجموع التي لجأت إلى الميناء فقد أنقذت حياتها لقاء دفع 3000 قطعة ذهبية.

(2) زيد بن عريعر (ليس ابن سعدون كما ورد عند فيلبي ص 61) وأخوته دويحس ومحمد وماجد. سيف بن سعدون كان قد أصبح وهابياً.

(3) المصادر لما سيتبع: الروضة، حـ2 تحت عام 1211: عنوان 72 وما بعد، منجن، 511 وما بعدها، رسول حاوي، دوحة الوزراء 220. إن العرض الغريب الوارد في الروضة، أملته

هيأ ثويني الحملة في الجهرة في خليج الكويت. وضع سليمان باشا بتصرفه خمسة مدافع وبعض الرماة من حامية البصرة من البلوش وفرز له أحد الضباط المماليك من بغداد وبعض الحراس من عقيل للحماية. التحق الضفير وبني خالد الشماليين بقيادة محمد العريعر بثويني. وبعد تعرضه لتهديد قوي تحول برّاك حاكم الحسا وقائد قواتها إليه أيضاً. وقد برر موقفه تجاه الوهابيين بأنه مجرد انحناء أمام العاصفة وأنه عند ظهور الجيش سينتقل فوراً إلى صفهم. ولم يبق في بني خالد مخلصاً للوهابيين سوى المهاشير. وشكل هذا الوضع ضربة قوية لهم لأنهم اضطروا الآن إلى جعل خططهم الحربية تقتصر على الدفاع عن المداخل المؤدية إلى نجد: طلبوا من قبائل المطير، وسبيع، وسهول، وقحطان، وعجمان، الذهاب مع قطعانهم ونسائهم وأطفالهم إلى منطقة بني خالد الشتوية واحتلال موقع المياه في الصمّان. وتحت تغطية البدو تقدمت طلائع الجيش الوهابي إلى الصمان، بينما بقي سعود في حفر العش (منتصف أبريل/ نيسان). وفي هذه الأثناء كان ثويني قد بدأ زحفه ترافقه سفن التموين والذخيرة. قامت طلائع الجيش الوهابي بإخلاء قرية القارية. وعندما علم سعود أن ثويني اختار الطريق الغربي المؤدي إلى طفّ عبر "وادي القرايا"، أرسل كتيبة قوية بقيادة حسن المشاري إلى الطفّ ووضع تحت قيادته القوة الطليعية المتقدمة التي كانت معنوياتها منخفضة إلى درجة خطيرة. وما أن وصل المشاري إلى الطف حتى تلقى أمراً بأن يتخذ مواقعه في مكان أبعد إلى الجنوب قرب جودة وأم ربيعة. وعندما وصل إلى هناك أرسل مجموعة قوية لكي تحتك بالعدو وتمكّن برّاك من العودة إلى الوهابيين. لكن براك لم يجد الفرصة المناسبة أو أنه لم يكن يريد إيجادها. وهنا أنقذ الوهابيون بمعجزة من خطر أكيد. فقد قام عبدٌ شبه مجنون من عبيد بني خالد بقتل ثويني (نهاية يونيو/ حزيران) في شباك على بعد مسيرة 12 يوماً جنوب البصرة، ويبدو أن الدافع إلى ذلك كان حب

الرغبة في تبرئة ساحة براك لأنه بعد موت ثويني عاد إلى الوهابية وقتل في عام 1798م. فيلبي 68 وما بعدها. أخذ من الروضة ما يمكن أخذه. موزيل، شمال نجد 262 يفسر المراجع بطريقة اعتباطية.

الظهور[1]. ولم يتمكن أخوه ناصر من إعادة النظام إلى الجيش المتراجع بحيث استولى الوهابيون على غنائم كبيرة دون قتال.

في عام 1798/ 1799م كرر سليمان باشا المحاولة. ووصلت الحملة التي قادها معاونه علي حتى الحسا. وقد رضخ له سكان المدن لكن الحامية حافظت على حصني مبرز والهفوف إلى أن أجبر الباشا من قبل جيشه والقبائل المتحالفة معه وعلى (رأسهم المنتفق) على الانسحاب[2].

وهكذا فقد العريعر «آل عريعر» أملاً من آمالهم. ولم يبق أمامهم سوى البقاء في العراق وانتظار حدوث تغيّر في أوضاع الجزيرة العربية. وهذا ما حدث فعلاً عام 1816م. عند وصول نبأ حملة المصريين ضد الدرعية أرسل داود باشا من بغداد ماجد بن عريعر وأخوته إلى الحسا وأمر في الوقت نفسه المنتفق بالهجوم على نجد. وبالفعل تمكّن ماجد من احتلال المنطقة لصالح العثمانيين[3]. بعد سقوط المدينة وسّع ماجد مرحلياً سلطته حتى منطقة الوهابيين الأصلية. وقد اضطر الأمير من عائلة ابن معمر المعين كحاكم من قبل الأتراك للاعتراف بسلطته. وما بين 1824 و1830م دخل بني خالد في حرب محدودة مع تركي آل سعود. في عام 1830م توفي ماجد فأخذ شقيقه محمد مكانه. وفي العام نفسه ألحق تركي هزيمة نكراء ببرغش ابن أخ محمد. وبذلك أصبحت الحسا «الإحساء» وهابية مرة أخرى. وفي عام 1838 تم احتلالها من قبل الأتراك المصريين ثم من الوهابيين بعد انسحاب حاميتهم في عام (1840م).

قبل ذلك بوقت قصير تم قتل برغش بأمر من خورشيد باشا بسبب اغتيال وإليه في الهفوف[4]. وقد أعطى احتلال شرق الجزيرة من قبل الأتراك الفرصة مرة أخرى

(1) قارن مع عنوان.
(2) عنوان، ص 75، منجن جـ 2، ص 518 وما بعدها، لونكريك، ص 215.
(3) جودت، تاريخ جـ9، ص 59.
(4) عنوان 132، مختارات من تسجيلات حكومة بومباي. رقم 24، الحديدة 437 ـ 449.

لعائلة شيوخ بني خالد كي يلعبوا دوراً سياسياً: ففي عام 1873م عين ناصر باشا الشاب بزيع بن عريعر متصرفاً لسنجق نجد وهذه هي التسمية سنجق التي اعتاد الأتراك على إطلاقها على المناطق التابعة لهم في شرقي الجزيرة العربية. ولكن حكمه لم يصمد طويلاً، فلم يمضِ وقت قصير على انسحاب الأتراك حتى اندلعت حركة مضادة. وعندما ظهر ناصر باشا في عام 1874م[1] للمرة الثانية في شرق الجزيرة أقال بزيع الذي كان يحلم بالاستقلال. فكانت هذه نهاية إمارة بني خالد[2].

إن الأحداث المذكورة أعلاه تثير الانطباع بأن بني خالد أقاموا في القرنين السابع عشر والثامن عشر في المنطقة نفسها التي أقام فيها أسلافهم بني عامر. في الحقيقة كانوا يصلون إلى عمق البادية السورية (الوديان) حيث كانت لهم جولات وصولات مع الموالي الذين كانوا يأتون إلى هذه المناطق شتاء. كذلك مارسوا تجارة الإبل في حلب[3]. وفي القرن الماضي تقلصت منطقة بني خالد تدريجياً. وهي تمتد اليوم من خط عرض جزيرة المقطع في الشمال حتى قبل الهفوف في الجنوب وفي الشتاء يذهبون إلى الصمان. وغالباً ما يعيش المهاشير (2) والمقدام (4) وبني نهد (5) وصبيح (7) كبدو رُحل مع أن قسماً منهم قد استوطن في واحات القطيف (المهاشير) والحسا «الإحساء» (المقدام وصبيح). وكثير من صبيح يعيشون في قطر والبحرين حيث يشكلون هناك جاليات مستقلة. أما العماير (6) فيعيش جزء منهم كصيادي سمك في الجزيرتين الصغيرتين المسالمية[4]. (التي كانت تسمى في

(1) انظر الملاحظة حول شجرة القبيلة لعائلات الشيوخ المنتفق في قسم العراق «الجنوبي».

(2) والدة سعود بن عبد العزيز ولي عهد السعودية كانت من العريعر: وضحة بنت محمد بن برغش بن عقاب بن عريعر. فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، 36.

(3) نيبور: وصف رحلة جـ 2، ص 238، الأكثر أماناً السفر مع بني خالد الذين يأتون سنوياً بعدد كبير من الجمال إلى حلب للبيع والذين يمرون في طريقهم بالقرب من مدينة البصرة.

(4) وردت للمرة الأولى 1797م (فيلبي 70)، فرع الدواودة 1833م. مختارات من تسجيلات حكومة بومباي. رقم XXIV، السلسلة الجديدة 441.

القرن الثامن عشر جزيرة العماير والجنة اللتان تقعان في إحدى الخلجان شمال القطيف. أما الفرعان آل حسن (أ) والدواودة (ب) فيعيش معظمهم على اليابسة. كما يعيش الجبور (3) نصف رحل في الجشّة في واحة الحسا (الاحساء).

علاوة على ذلك توجد مستوطنات هامة لبني خالد في نجد، في البريدة مثلاً وفي مناطق أخرى في القصيم وفي البرا ومزعل على طريق الحج الرياض ـ مكة. وقد قام عبد العزيز آل سعود بتوطين بني خالد في بداية القرن الحالي في مزعل[1].

وككل القبائل في الجزيرة يربي بنو خالد الأغنام بالدرجة الأولى. ولكونها أكثر حساسية من الجمال فقد مات منها أثناء الحملات الحربية الكبيرة التي تساق معها القطعان الكثير وبخاصة في الصيف[2]، أما تربية الخيول فقد انحسرت، منذ أن تم تجميع كل الخيول الأصيلة في اصطبلات عبد الله بن جلوي حاكم الحسا «الإحساء».

---

(1) دوتي، جـ 2، ص 341، 351 كتاب الجيب جـ1، ص 85، 603، فيلبي جـ1، ص 135، 137. جـ3، ص 82، 159، 201، 232.

(2) الروضة، جـ 2، Passim.

بني خالد(1)
شيخ المشايخ: ....(2)
منطقة التنقل: القطيف ـ الصمان

عدد الخيام: 1500

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ آل حميد(3)			
2 ـ المهاشير			
3 ـ الجبور		الجشة	
4 ـ آل مقدام(4)			
5 ـ بني نهد(3)			
6 ـ العماير(5)			
أ ـ آل حسن			
ب ـ الدواودة			
جـ ـ آل خالد		المسلمية	
د ـ آل شاهين		الجنة	
7 ـ الصبيح(5)			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ وفق ملاحظات عام 1929. كتاب الجيب ج1، ص 85، 608. فؤاد حمزة ص 146 وما بعدها. فقدم هذا بالإضافة إلى القوائم التي لا يتم نقلها دائماً بأمانة من كتاب الجيب، ملاحظة هامة للأمير عبد اللّه بن عبد الرحمن آل سعود الذي سيذكر فيما يلي باسم الأمير عبد اللّه. يذكر الأمير أيضاً القرشة الذين يعود أصلهم إلى

العبيدة والعمور، الذين لهم نفس الأصل مثل الدواسر.

عدد الخيام لا يتضمن ما للمستوطنين الذين يزيدون على الضعف بما في ذلك 6حـ، د. ـ قائمة شبرنغر رقم 97 ـ 101 تذكر 2، 3، 6، 7 والعمور.

2 ـ كتاب الجيب: شيخ آل خالد (6حـ). أم القُرى رقم 208، 18/ 12/ 1928 تذكر المشايخ التالية أسماؤهم: حربي بن عكل (عقيل؟)، حزام بن ثنيان، فلاح بن تسليب وقد أضاف مخبرنا، مسلط بن شعلان ودرباس بن محمد.

3 ـ القبيلة الأم عريعر. تراجعت كثيراً.

4 ـ ينسبون أنفسهم إلى بني هاجر. الأمير عبد اللّه.

5 ـ الجبور(3)؛ الأمير عبد اللّه.

هجر بني خالد(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ الدفي	فارس الحسن	شبيب الحسن
2 ـ جلمودة	قيران بن عجران	.....

ملاحظات حول الجدول

1 ـ أُم القُرى، رقم 208، 18/ 12/ 1928م.

عجمان

عندما أفل نجم بني خالد ظهر نجم عجمان[1] في سماء شرقي الجزيرة العربية. فمن هم العجمان؟ إنهم إسماعيليون من نجران البعيدة، حيث صمد هذا المذهب الغامض وسط محيط معاد له منذ ألف عام وحتى أيامنا هذه. فقد جاؤوا إلى هذه البلاد كغرباء مغالين، مما كفل لهم تماسكاً لم يتسن لغيرهم من القبائل الأخرى[2]، إلاّ أن قوتهم تحطمت اليوم، فقد قادهم القدر للدخول في منازعات آل سعود لدرجة أنهم غدوا أعداء لملك الجزيرة العربية.

يمتد وادي نجران، والذي يعتبر واحداً من أفضل أودية الجزيرة، مسيرة ستة أيام جنوب سليّل من سلسلة جبال عسير نحو الشرق، حتى يختفي في بحر رمال الربع الخالي. كان نقطة ارتكاز (اليام)[3] الذين يعيشون هنا منذ قديم الزمان مستقرين أو بدوا رُحل أو نصف رُحل، وينقسم اليام إلى ثلاثة بطون، أحدها فرع مذكر الذي انحدر منه عجمان[4].

---

(1) المفرد عجمي، المؤنث عجمية.

(2) لدى الريحاني 201 وما بعد تجد الأسباب التي تفسر هذه الظاهرة الملفتة للنظر.

(3) ينتسبون إلى الحمدان، قبيلة قديمة جداً تنتمي إليها العائلة الحاكمة التي برزت في جنوب الجزيرة في أواسط القرن الثالث الميلادي (فستنفيلد، جدول رقم 9/19). مورتمان ومتفوخ، النقوش السبأية (رحلات جنوب الجزيرة، لراثين وفيزمن، جـ1) ص 218 وما بعد.

(4) فيلبي، جـ 2، ص 225 وما بعدها، بنات شبعا، 16، المجلة الجغرافية، السنة 10، 2، 1938م، الانسكلوبيديا الإسلامية. انظر «يام». ليس من المفيد الحديث عن القصة الخرافية

بدأ زعيم الإسماعليين الحسن بن هبة اللّه، بعد سنة (1760م) توسيع سلطته خارج نجران، وسعى إلى تحقيق الصلة مع شرق الجزيرة، حيث توجد منذ أيام القرامطة مجموعات من الإسماعيلية في الهفوف والقطيف، وبهذا، كان لا بد من الاصطدام بدولة الوهابيين الفتية، والتي كانت تقف حجر عثرة أمام طريقه نحو الشرق. وفي هذا الإطار تندرج الأحداث التالية:

في عام 1762م التقى عبد العزيز، ابن أمير الوهابيين الأول محمد بن سعود، عند مروره في قرية رغبة على طريق عودته من حملة ضد الجلاجل في السدير بمجموعة من سبيع كانت قد تعرضت للتو، لغزو شديد من عجمان. فقام بملاحقة اللصوص، وأدركهم في قذلة على طريق الحج، فقتل 50 رجلاً من عجمان، بينما سقط 240 شخصاً مع كثير من الخيول والجمال في أيدي الوهابيين. وفي العام التالي تحرك زعيم نجران نفسه على رأس جيش كبير في حملة ضد الوهابيين. وفي منطقة حائر حيث ينعطف وادي حنيفة نحو الشرق اصطدم بالمقاومة الأولى، وقد تقدم عبد العزيز للمساندة، إلا أنه هُزم (أكتوبر سنة 1764م)، وقد أدت تلك الهزيمة لحدوث أزمة داخل الدولة الوهابية، حيث اتحد خصم آل سعود القديم، دهام بن الدواس حاكم الرياض، وأمير شرق الجزيرة مع المنتصرين. ولم يتمكن محمد بن سعود من نسف هذا التحالف إلا بعقده صلحاً مهيناً مع سيد نجران[1].

شاركت عجمان أيضاً في الحملة الثانية التي قام بها سيد نجران في سنة 1775م

التي تربط بين معنى اسم عجمان والفرس (دوتي، سجل عجمان، الريحاني 8، 201). إن العرب الموجودين في /لينجا/ على الساحل الفارسي للخليج والمتفرعين من عجمان يتنسبون إلى الإمارة التي تحمل نفس الاسم على ساحل القراصنة.

(1) الروضة عام 1178 تتحدث هنا بالنسبة لغارات النهب التي ورد ذكرها سابقاً، عن يمنيين فقط (1177)، كذلك منجن جـ2، ص 402، 461 وما بعدها. أما العنوان ص 65 فتذكر اسم عجمان بشكل صريح. وقد سمع نيبور (بلاد العرب 273، 347) أن سيد نجران قد توغل حتى الأحسا ولكن هذا غير صحيح. بناء على هذه الإشاعة تستند أيضاً الملاحظة حول إعادة بناء الدولة القرمطية في القرن الثامن عشر. أعلاه .Annueire du Monde Musulman. 1925, 68

ضد حاير. ويبدو أنهم كانوا من الأنصار المتحمسين لـ(الساحر) الإسماعيلي، كما تسميه الحوليات الوهابية. فقد حملوا معهم على طريق العودة هودج سيدهم الذي ألم به مرض شديد أثناء المعارك[1].

لم يرد ذكر عجمان في الحوليات الوهابية مرة أخرى حتى عام 1797م. عند وصول خبر زحف جيش المنتفق تلقت عجمان مع القبائل البدوية الأخرى مهمة اختيار أماكن إقامتها الشتوية في شرق الجزيرة وذلك لتأمين مصادر المياه الموجودة هناك[2]. وهذا يعني أن عجمان كانوا في هذه الأثناء قد غادروا نجران وأصبحوا وهابيين. كانوا آنذاك يتنقلون في الطويق الجنوبي؛ إذ لم تزل تعيش هناك حتى اليوم جماعات منهم: شامر وعرجا. ثم قام بعد ذلك تركي بن عبد الله آل سعود بتوطينهم[3] في شرقي الجزيرة العربية بغية السيطرة على بني خالد الذين كان قد أخضعهم عام 1830م.

في أواخر حكم فيصل بن تركي هاجمت عجمان قافلة للحجاج فقام عبد الله ابن فيصل، الذي ناب عن والده الضرير كحاكم وقائد جيش، بطرد جزء من القبيلة نحو الشمال إلى ما وراء الحدود، وجزء آخر إلى الطويق الجنوبي[4]. وبعد وفاة فيصل، آخر عام 1865م، ثار ابنه سعود، حاكم المناطق الجنوبية (خرج، وأفلاج، ووادي الدواسر)، ضد الخليفة الشرعي لعبد الله. وكانت العلاقة بين الأخين سيئة منذ أعوام. فكان عبد الله المعتز بنفسه والسريع الغضب يحتقر سعوداً الذي كان يسعى إلى كسب الأصدقاء عن طريق اللطف والتبذير. فجهز ـ ابن العجمية ـ جيشاً من عجمان والدواسر ومرّه وتحرك لمكافحة أخيه في ساحة المعركة. وأدت غزوة قام بها عبد الله، ووصلت إلى معتلا في وادي الدواسر، إلى حسم الحرب في هذا

(1) الروضة، جـ 2 عام 1189، منجن جـ 2، ص 477.

(2) العنوان، 74.

(3) الريحاني، 201.

(4) الريحاني 83.

الميدان لصالحه في سنة (1868م)[1]. ذهب سعود في سياق بحثه عن حلفاء جدد، إلى البحرين، حيث وجد دعماً من محمد بن خليفة زعيم الجزيرة. وعلى اليابسة وقفت عجمان بكاملها معه. وتمكن سعود بهم، من احتلال الهفوف، وقضى على جيش عبد اللّه عند الجودة، ثم ما لبث أن دخل إلى الرياض أوائل سنة (1871م)[2].

في هذه الأثناء كان الأتراك قد احتلوا القطيف والهفوف، بعد أن استنجد بهم عبد اللّه في صيف (1871م). وبدون أي طائل، حاول سعود وبدعم من عجمان ومرة أن يطردهم.

توفي سعود في عام 1874م، وكذلك أنهى أبناؤه المشاكسون حياتهم تحت سيوف شمر أو في سجون حايل. لكن أحفاده جددوا الحلف مع عجمان.

وكانوا في عام 1904م يعيشون في الرياض محرومين من جميع المناصب بصفتهم من المطالبين بالعرش، وذلك بعد أن كان عبد العزيز آل سعود قد حررهم خلال المعارك التي دارت في القصيم[3]. وفي عام النحس 1910م غادروا فجأة البلاط وذهبوا مع حاشيتهم إلى العجمان. وحاول شيخ الكويت مبارك بن صباح التوسط لكن المحاولة فشلت لأن الظروف لم تكن مؤاتية. وفي عام 1911م أعلنوا

---

(1) الريحاني 83 وما بعد، تمّ استكماله من خلال تقرير لمحمد بن البسام. التاريخ 1868م يستخلص من مشاركة متعب بن الرشيد (انظر ص 46) في حملة عبد الله.

(2) يضع الريحاني تاريخ الأحداث بما في ذلك معركة الجودة في العام 1288 هـ (بدأت في 23/ 3/ 1871م). أما موزيل: شمال نجد 274، فيضعه قبل سنة لأنه يذكر أن دخول سعود الرياض قد حصل في نهاية عام 1870م. في الحقيقة كان دخول سعود الرياض في بداية عام 1871م، مورتمان الانسكلوبيديا الإسلامية، ابن سعود الذي تعتبر تواريخه حاسمة.

(3) أو تم أسره، لأنهم كانوا مشتركين مع قوات ابن الرشيد ضد عبد العزيز في المعركة، وقد حملوا منذ ذلك الوقت لقب / العرايف/ مفردها عرافة أي الذي وجد مرة أخرى، انظر أيضاً بالنسبة لما سيتبع، فيلبي، بلاد العرب 1770 والريحاني 163، 174 وما بعد. إن التاريخ الذي حدده فيلبي لثورة العرايف في الطريق في عام 1912م نتج عن التحديد الخاطىء لتاريخ حملة الشريف الأكبر (انظر ص 86).

الثورة في الطويق الجنوبي، المقر القديم لعائلتهم. إلا أنه تم التغلب عليهم بسرعة، ففر عدد منهم إلى مكة، وفر واحد إلى العجمان.

طالما كان الأتراك يحكمون شرقي الجزيرة العربية، كان عبد العزيز آل سعود مقيد الحركة تجاه العجمان[1]. وبعدما أجبر الحاميات التركية في مايو/ أيار على الانسحاب أصبح طليق اليد[2]. فبعد غزوتين، إحداهما فاشلة والأخرى ناجحة (سبتمبر/ أيلول 1913، ومارس آذار 1914م) أجبرهم عن طريق إغلاق الأسواق في وجههم على الاعتراف بسلطته وعلى دفع الضرائب إلا أن حدثاً غير متوقع أفسد السلام المتحقق تواً: فقد التجأ مرة أخرى حفيدان من أحفاد مغتصب العرش سعود (وهما سلمان بن محمد وفهد بن سعد[3]) إلى ابن منيخر، شيخ السفران(2)، الذي هو في الوقت نفسه خالهما. واستناداً إلى حق الحماية رفض العجمان تسليمهما لآل سعود لكنهم تعهدوا بأن يمنعوا ضيفيهما من القيام بأي نشاطات عدائية ضدهم (أي ضد آل سعود).

شارك العجمان في معركة جراب (بداية 1915م) ضد ابن رشيد لكنهم تخلوا عن عبد العزيز آل سعود في اللحظة الحاسمة[4]. وقد استغلوا هزيمة أسوأ استغلال. إذ قاموا في ربيع 1915م تحت قيادة العرايف ببث الرعب في جميع أرجاء شرقي الجزيرة العربية. ونهبوا ميناء عجير «عقير» حيث حصلوا في مستودع الجمارك على غنائم سهلة، ثم حاصروا حاكم المدينة عبد الله بن جلوي في الهفوف. في صيف العام نفسه تحرك آل سعود ضدهم. فتجنب معسكر العجمان في زرنوقة ودخل الهفوف. عندئذ بدأت المفاوضات التي أسفرت عن مغادرة القبيلة بكاملها، باستثناء السفران، المعسكر. وهنا حث سعد آل سعود أخاه عبد

---

(1) مثال للريحاني 180.

(2) نعود لنتابع مع محمد البسام.

(3) فيلبي جـ 2، 103 حسين بن سعد.

(4) فيلبي جـ1، ص 384 وما بعدها، الريحاني 200.

العزيز على استغلال الفرصة السانحة والهجوم على السفران[1]. وفي مساء 11 شعبان (23 يونيو/ حزيران) بدأ الهجوم الذي لم يكن مفاجئاً للسفران. إذ كانوا قد عززوا مواقعهم وحصلوا خلال الليل على دعم من العجمان الآخرين. وأسفرت المعركة عن هزيمة عبد العزيز الذي فر إلى الهفوف. وقتل أخوه سعد في المعركة بينما أصيب هو (عبد العزيز) بجروح. وفي الهفوف حاصره العجمان وظل محاصراً حتى سبتمبر/ أيلول[2].

تألم عبد العزيز أشدّ الألم لوفاة أخيه سعد وأصبح منذ ذلك الوقت قاسي القلب لا يصالح ولا يرحم. فأخلت عجمان منطقته ورحلت إلى الكويت. وهناك احتضنها الشيخ مبارك. لكن مبارك توفي في ديسمبر/ كانون الأول 1915م ورفض ابنه وخليفته جابر منحهم حق اللجوء. إلا أن العجمان تلقوا الدعم من أخيه سالم. وعندما تولى سالم عام 1917م الحكم في الكويت أصبح العجمان في مأمن من التعرض لثارات ابن سعود.

شكلت قضية العجمان عبئاً على السياسة البريطانية ليس فقط بسبب سوء العلاقة بين الكويت والرياض: فقد أدى الموقف المهدد الذي اتخذه العجمان إلى الحيلولة دون القيام بالحملة ضد ابن رشيد التي كان من المقرر القيام بها عام 1916م. وأخيراً أقنعت البعثة البريطانية في الرياض (فيلبي والعقيد هاملتون) آل سعود بأن يقبل العجمان في منطقته. لكن العجمان رفضوا هذا الاقتراح. كما أن الاتفاق الذي تم التوصل إليه في ربيع 1918م والذي ينص على إحضار العجمان إلى منطقة الزبير، أي تحت الرقابة البريطانية، كان نصيبه الفشل. إذ إنه لم يكن من الممكن نقل سوى جزء من القبيلة[3]، وهذا الجزء لم تستطع السلطات البريطانية منعه من القيام بالغزو. فقد تعرض سبيع عند القطيف وحفر العتس، والمطير في

(1) فيلبي، جـ1، ص 103.

(2) الريحاني 203 وما بعدها يورد الأحداث في إطار مختلف تماماً. فهو يقول إن آل سعود قام بالحملة بناء على تحريض من الشيخ مبارك شيخ الكويت لأن قبائله قد تضررت كثيراً من غزوات عجمان.

(3) فيلبي جـ 2، 98 وما بعدها، 103 وما بعدها، 303 وما بعدها.

مستوطنة الإخوان أمبايض، لغزوات قام بها العجمان في صيف 1918م دون أي اعتبار للخسائر الذاتية[1].

بعد معركة تربة (25 مايو/ أيار 1919م) التي حولت الوضع بصورة نهائية لصالح الوهابيين، حاول العجمان التقرب من آل سعود[2]. وفي الأعوام التالية انضم كثير من أبناء القبيلة إلى الإخوان الذين لقي مثلهم الأعلى، الجهاد، قبولاً كبيراً لدى العجمان الميالين للحرب أصلاً. ولكن هذه الخطوة أيضاً، التي بدا أنها ستؤدي إلى مصالحة نهائية بين العجمان وخصوصمهم آل سعود، كانت لها عواقب وخيمة. فعندما حدث في عام 1928م الخلاف بين الملك عبد العزيز والمتطرفين من قادة الإخوان، انضم العجمان إلى الإخوان المتطرفين.

صحيح أن شيخ مشايخ العجمان ضيدان بن حثلين لم يحضر المؤتمر العام الذي انعقد في الرياض (في بداية نوفمبر/ تشرين الثاني 1928م). ولكن العجمان لم يشتركوا في ثورة الإخوان الأولى التي انتهت بمعركة سبله (أول أبريل/ نيسان 1929م). بل إنهم تمسكوا بالخطة الأصلية للإخوان الرامية إلى جر الملك إلى الحرب على طريق الإغارة على الكويت أو العراق. تحسباً لهذه الخطة أرسل حاكم الحسا، عبد الله بن جلوي، ابنه فهد على رأس قوة صغيرة لمراقبة تحركات القبيلة. وعندما جاء ضيدان بن حثلين إلى فهد قام فهد باحتجازه لكنه سمح له بأن يرسل رسولاً إلى القبيلة لإعلامها بذلك. ولكن الرسول ضل الطريق ولم يوصل الخبر. ساور العجمان القلق على زعيمهم بسبب تأخر عودته وتوجهوا إلى معسكر فهد. عندئذ غضب فهد غضباً شديداً وأمر بقتل ضيدان ومرافقيه. نتيجة الاستياء الشديد من هذا الانتهاك الصارخ لحق الضيافة ترك العجمان، الذين كانوا حتى ذلك الحين يعملون في خدمة الحكومة، فهداً وذهبوا إلى أبناء قبيلتهم.

تبع ذلك معركة قصيرة قتل فيها فهد. وبعد وقت قصير ثار العجمان ضد

(1) فيلبي جـ3، ص 36 وما بعدها، 189، 356، 362.

(2) الريحاني، ص 243.

الحكومة بقيادة نايف أبو كلاب ابن حثلين. وقد تحدثنا عن مجريات هذه الثورة الجديدة في صفحات سابقة. وفي ديسمبر/ كانون الأول 1929م، أي قبل المعركة الأخيرة، استسلم أبو كلاب وخضع العجمان لآل سعود.

كانت منطقة العجمان تمتد، عندما كانت القبيلة في أوج قوتها، تقريباً من خط العرض 28 إلى ما بعد طريق الهجير ـ الهفوف باتجاه الجنوب، وفي الغرب حتى لصافة ووبرة عند أسفل الصمّان، ثم في عمق البلاد حتى هضبة عرمة (مواقع الماء: أبو جفان، الـ"عجافية"). كانوا في الشتاء يرعون مواشيهم هنا، وفي الصيف حول اللصافة ووبرة وقرب الهفوف. وإلقاء نظرة على توزع مستوطناتهم الإخوانية يشير إلى أنهم منذئذ لم يفقدوا أي شيء من منطقتهم في الشرق. أما في الغرب فلا يتبين من هذه النظرة أي شيء. ولكن يجب أن نفترض أن الوضع هنا أيضاً بقي على حالته القديمة، وذلك لأن قبائل شرقي الجزيرة العربية كانت في جميع الأزمان ترعي ماشيتها في الصمّان والدهنا.

تحددت علاقة العجمان بجيرانهم، العوازم في الشمال والمطير والسبيع في الغرب، إلى حد ما بموقفهم من آل سعود. كانت علاقتهم مع المطيرمتوترة دوماً. أما العلاقة مع الكويت فقد تحدثنا عنها أعلاه. كان الشيخ مبارك يدعمهم، على الرغم من أن قبائله كانت تعرض لغزوهم، لأنه لم يكن يريد أن يصبح عبد العزيز آل سعود أقوى من اللازم. وأما مع الدولة الصغيرة الأخرى، قطر، فلم تكن لهم علاقة تذكر. في عام 1905م دعموا الشيخ الشرعي قاسم ابن ثاني ضد أخيه وأعوانه بني مرة[1]. وكان وضعهم في أحسن حال تحت الحكم العثماني وخاصة في نهاية هذا الحكم. وكانوا يطالبون التجار بدفع رسوم حماية فور وصولهم إلى عجير «عقير»، وكانوا ينهبون كلما وأينما استطاعوا ذلك.

(1) الريحاني، ص 138.

العجمان(1)

شيخ المشايخ: ابن حثلين(2)

منطقة التنقل: نطاع ـ الزرنوقة: الصمان ـ الدهنا ـ العرمة

عدد خيامهم 4000

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ آل ناجعة	ابن حثلين		1000
2 ـ السفران	ابن منيخر(3)		600
3 ـ آل صالح(4)			
4 ـ آل سليمان	ابن جمعة		1000
5 ـ آل محفوظ			500
6 ـ آل هادي(4)	المتلقم		
7 ـ المعيض(3)			600

ملاحظات حول الجدول

1 ـ البيانات غير كاملة (1915م ـ المخبر محمد البسام. 1925م: سليمان العقيلي). وقد بدا من غير المفيد أن يتم تعديلها حسب كتاب الجيب ج1، ص 87 أو حسب فؤاد حمزة 183 الذي أضاف إلى قائمة كتاب الجيب بعض الفروع لأن التقسيم غير واضح، وهناك شك في العديد من الأسماء. نذكر فقط السلوم لأنها موجودة أيضاً في نجران. فيلبي ج2، ص 199، 228. كتاب الجيب يقدر عجمان بـ 4000 إلى 5000 خيمة على أن نطرح منها الشامر 300 والعرجا 325 (انظر الفصل القادم) عبد الجبار الراوي (190)، 2200 خيمة.

2 ـ يبدو أن راكان بن حثلين هو أقدم المشايخ المعروفين. كان حليفاً لابن سعود عام 1870م (موزيل شمال نجد، 274). تم لاحقاً إلقاء القبض عليه من

الأتراك وإبعاده إلى نيش. شارك متطوعاً في الحرب الروسية ـ التركية في عام 1877/ 1878م فسمح له بالعودة. (دوتي ج2، ص 252. أويتنغ ج2، 83) وقد تم اغتيال أحد خلفائه محمد بن حزم عام 1910م. منذ ذلك الوقت ترأس القبيلة ضيدان (كتاب الجيب) حتى سقط عام 1929م.

3 ـ 1915 حزام بن المنيخر، 1900 شافي بن منيخر.

4 ـ ورد ذكرهم عند فيلبي ج3، ص 37.

هجر عجمان(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ الصرّار		حزام بن حثلين
2 ـ الكهفة	فهّاد بن حثلين	
3 ـ الويدان	سالم بن وضين	
4 ـ حنيذ	منصور بن شافي	
5 ـ بخا	محمد بن حصّة	
6 ـ الزغين	خالد المتلقّم	
7 ـ عريعرة	مانع بن جمعة	
8 ـ العيينة؟	نايف بن حثلين	
9 ـ غنوة	محمد بن عصيدان	
10 ـ الكرادي	خالد بن حثلين	
11 ـ الصحاف	فهد بن بجاش	
12 ـ أم ربيعة	ملهي بن قذعان	
13 ـ البرّا؟	مطلق بن زنيغر	
14 ـ قطنانة	محمد بن ظبية	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب أم القُرى رقم 208، 18/ 12/ 1928م. الكهفة، الصرار، الصحاف، بخا تقع شمال غرب القطيف. زوغين (زوغيل في الخارطة) وأم ربيعة جنوب غرب القطيف قصر القرّادي «الكرادي» جنوب شرق الهفوف. حول حنيذ انظر ياقوت ج2، ص 350.

شامر، مطرة، عرقا

ترتبط هذه القبائل الصغيرة الثلاث، شامر، ومطرة، وعرقا، بصلة قربى مع عجمان، أي أنها تعود بأروماتها لأصول عربية جنوبية، قدمت إلى وسط الجزيرة العربية مع عجمان من نجران، وتعيش الآن في الطويق الجنوبي.

تخيم شامر بين وادي النساح والحريق، وكذلك باتجاه الشمال على هضبة عرمة، في حين يقطن بنو مطرة جنوب شامر، في الأفلاج الأعلى حول الغيل، بينما لا يصل العرجا إلى وسط الجزيرة إلا أحياناً، وتمتد منطقتهم من وادي الدواسر حتى نجران[1].

---

(1) فيلبي، جـ 2، ص 19 وما بعدها، 105، 160، 191، 217، 270، 284.

شامر، مطرة، آل العرقا(1)

أ ـ آل شامر

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الفرسان (الخرصان)(*) 2 ـ آل جنيفر		العرمة ـ الفرع	300

ب ـ مطرة
منطقة التجوال: الأفلاج

جـ ـ آل عرقا

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ آل رشيد 2 ـ آل فهاد	سمعان بن مطرحة	السليل ـ نجران	350

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب فيلبي (المواقع كما هو مبين أعلاه في النص) والملاحظات التي تعود إلى عام 1915م (كتاب الجيب ج1، ص 87) ترد عرقا (عرجا) وشامر تابعة لعجمان.

(*) الخرصان وليس الفرسان كما جاء في الأصل الألماني، يعدّ آل شامر من الأفخاذ الأساسية والمهمة في قبيلة العجمان. تتفرع من آل شامر أربعة فروع، وهم: 1 ـ آل شابقة وهو الفرع الأكبر في هذا الفخذ ويتفرع إلى ثلاث بطون وهي الخرصان وآل عمرة والبرمان. 2 ـ آل قضيبان. 3 ـ آل خضيّر. 4 ـ آل حسين. 5 ـ آل عوض. الخرصان هم شيوخ آل شامر وقد تولى المشيخة حزام ابن معضد المتوفى 1338هـ ومن بعده معضد بن حزام بن معضد المتوفى 1396هـ. (ماجد شبّر).

العوازم[1]

لقد تطور العوازم إلى قبيلة هامة، ومن المؤكد أنها ستصبح بعد بضعة أجيال قبيلة فاعلة.

بدأ نهوض القبيلة في العامين الأخيرين للحرب العالمية عندما أصبحت منطقتها، المنطقة الحدودية الواقعة بين زبير والكويت ونجد، مركزاً لتجمع قوافل النهب والتهريب[2]. وفي وقت لاحق انضم كثير من العوازم إلى الإخوان. وفي عام 1929م دقت ساعتهم: بفضل مساعدتهم وحدها تمكن ولي العهد سعود من كبح جماح العجمان الثائرين إلى أن استطاع الملك في نهاية العام التوجه بنفسه إلى ساحة المعركة (سبق وتحدثنا عن ذلك ص123 أعلاه).

كان العوازم[*] في السابق يعتبرون من رعايا الكويت وكانوا يعملون لدى شيوخ هذا البلد الصغير عند قيامهم بحملاتهم الحربية. وكانت جباية الضرائب من العوازم من بين القضايا التي أدت إلى توتر العلاقات بين الكويت والرياض. وقد سوي الخلاف حول هذه المسألة عام 1918م بوساطة الإنجليز لصالح الكويت[3].

---

(1) قارن الجزء الثاني ص 358.

(2) فيلبي جـ3، ص 37.

(*) ذكر عدد من الباحثين في تاريخ المنطقة العربية، وكذلك بعض الباحثين في الأنساب، إلى أن قبيلة العوازم تعود بالأصل إلى قبيلة هوازن، تلك القبيلة العربية القديمة التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ المنطقة القديم، وممّن ذهب إلى هذا القول، الدكتور أحمد عبد العزيز المزيني، في كتابه (أنساب الأسر والقبائل في الكويت) ص157، والمستشرق جورج أوغست ڤالان في كتابه (صور من شمالي جزيرة العرب) ص71 كما ورد في الخريطة الإنجليزية بعنوان القبيلة العربية والمحفوظة في مكتبة كمبردج تحت رقم 336.92.1 Mapsl. وتمّ رسمها 1916م. والمؤرخ عبد العزيز الرشيد في مجلة الكويت (ج4 وج5 المجلد الأول ص153)، كما أكد تلك الصلة بعض نقاد الشعر، كالناقد عبد الله الصانع في (ديوان الشاعر سالم الدّواي ص15 ط 1976 الكويت)، من أن العوازم يعودون إلى هوازن.

ومن المرجح لدي أن العوازم هم تشكيل أو مجمع قبلي تشكل في العصر الوسيط من مجموعة من أفخاذ يرجع جلّها إلى قبيلة هوازن، وكان ممّن انضم إلى ذلك التجمع، أفخاذ تعود إلى قبائل عربية أخرى، وهذا ما جعل القبيلة الحالية ـ العوازم ـ تنتسب إلى هوازن. (ماجد شبّر).

(3) فيلبي جـ3، ص 104.

يتنقل العوازم في الشتاء من الكويت حتى ما قبل القطيف، وفي الصيف في منطقة الضفير. كما أنهم يذهبون إلى جزيرة بوبيان أيضاً. ويعمل بعض العوازم في صيد السمك والغوص لصيد اللؤلؤ. يعيش منهم حوالي 250 عائلة في الكويت نفسها، وتعيش عائلات أخرى حياة مستقرة في مستوطنات الإخوان[1].

العوازم(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الهذالين «الهدالين» 2 ـ البريكات 3 ـ المساحمة 4 ـ الملاعبة 5 ـ المساعدة 6 ـ الجواسرة 7 ـ الغربة	مبارك الملعبي	الكويت ـ القطيف	1000

ملاحظات حول الجدول

1 ـ ورد ذكر العوازم والرشايدة في عام 1915م مع (أجانب)، الضفير، وكذلك بشكل مشابه في قائمة موزيل للضفير، شمال نجد 169. في عام 1929م ذكر اثنا عشر شيخاً للعوازم ولكن لم نضع في الجدول منهم سوى واحد فقط. الثاني ورد في قائمة الهجرات (1) والثالث فهد بن معتقة تم ذكره من قبل فيلبي ج3، 37. كتاب الجيب ج1، ص 94 وفؤاد حمزة 183 وما بعدها، الذي أغنى قائمة كتاب الجيب وأضاف إليها إلا أنه أساء إليها من خلال الأخطاء المطبعية. ويقسمان القبيلة إلى قواعه «قوعه» وذوي إياد (كتاب الجيب، غياض).

هجر العوازم(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ عتيق 2 ـ ثاج	فلاح بن جامع مساعد الملعبي	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب أم القرى رقم 208، 18/ 12/ 1928.

(1) كتاب الجيب (هاندبوك)، جـ1، ص 92 وما بعدها.

الرشايدة

أما الرشايدة فقد ظلوا أكثر وفاء لطابعهم وأكثر حفاظاً لصفاتهم. وهم ينتقلون في سهل دبدبة القاحل في منطقة العوازم والمطير[1].

الرشايدة(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ ذوي صياد 2 ـ المهيمزات(2)		الدبدبة	

1 ـ قارن فؤاد حمزة 152.

2 ـ اسم لقبيلة عند المدينة، هوبر، المجلة، ص 123.

(1) فؤاد حمزة، ص 152.

بني هاجر[1]

ينتسب بني هاجر[2] إلى قحطان، كانوا في الماضي يخيمون فيما بين وادي الدواسر وطريق الحج وانتقلوا قبل حوالي 150 عاماً إلى شرق الجزيرة، وقد تحدّثنا فيما سبق عن معاركهم مع الوهابيين خلال المدة (1789 ـ 1796م). وبعد معركة الجمانية اختفى اسمهم من الحوليات الوهابية. ويستفاد من ذلك أنهم قد أخضعوا بعدها بوقت قصير ومن المحتمل أن تكون الحكومة قد هجّرتهم إلى شرق الجزيرة، لتدعيم المنطقة ضد الاعتداءات الخارجية، أو من أجل تشكيل قوة تستطيع الوقوف في وجه بني خالد.

بعد ذلك لم نسمع سوى القليل عن هذه القبيلة[3]. إبان فترة حكم الأتراك للإحساء (1871 ـ 1913م)، كانت القبيلة تتقاضى رسوماً من القوافل، أو تقوم بنهبها. وظل الأمر كذلك إلى أن وضع عبد العزيز آل سعود حداً له.

تمتد منطقة بني هاجر من الساحل فيما بين القطيف وقطر وباتجاه الغرب حتى وادي فروق. وتتقاطع في الشمال مع عجمان، وفي الجنوب مع مرة والمناصير، وعند وادي فروق مع مجموعات من قحطان والدواسر.

(1) أيضاً هاير بلهجة بني مرة: الجمع هواجر، ومفردها هاجري.

(2) ورد ذكرها صدفة في تقرير بريطاني هندي عام 1841م.

(3) كتاب الجيب، جـ 1، 87، فيلبي، جـ1، 48، جـ 2، 34، 297.

يوجد في قرية اليمامة في الخرج جماعة مستقرة من بني هاجر

ومن المفترض أن القبيلة كانت في السابق تأتي كثيراً إلى هذه المنطقة. وتوجد في المنطقة الواقعة جنوب وادي النساح، قبور كشواهد صماء على حدوث معركة هناك بين شامر وبني هاجر[1].

يذكر فيلبي (ج3، ص 47) وبشكل عابر ضمن بني هاجر فرعاً اسمه زعب. وهذه هي بقايا قبيلة صغيرة، يرد ذكرها في الحوليات الوهابية (1797 ـ 1798م)[2]، وكذلك لدى بوركهاردت (327)، ومرة أخرى في قائمة شبرنغر رقم 79.

(1) كتاب الجيب، جـ1، ص 87، فيلبي، جـ1، ص 48، جـ 2، ص 34، 297.

(2) الروضة، جـ 2، تحت 1212: غزوة كويتية فاشلة ضد زعب الوهابية.

بني هاجر(1)

المنطقة: القطيف ـ القطر ـ وادي فروق

عدد الخيام 1500

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ المخضبة	شافي بن سالم		
أ ـ المضافرة			
ب ـ المزاحمة			
جـ ـ القمزة			
د ـ آل زيد(2)			
هـ ـ آل شهوان			
و ـ آل شرعان			
ز ـ الشراهين			
2 ـ آل محمد	محمد بن طعزة		
أ ـ المسارير			
ب ـ السماحين			
جـ ـ آل جدي			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب ملاحظات عام 1915 معدلة استناداً إلى فيلبي ج2، ص 48، كتاب الجيب ج2، ص 87 وما بعدها وفؤاد حمزة ص 200. لقد قام هذا بنقل القائمة الواردة في كتاب الجيب إلا أنه أضاف إليها 1 ـ د، 2 ـ حـ.

الوسم: OO|؛ توماس، المجزيرة العربية، المجلد 5.

2 ـ فيلبي: يزيد.

هجر بني هاجر(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ عيندار	محمد بن ناصر بن خليفة	عبد الله بن محمد بن خليفة
		محمد بن مبارك بن خليفة
2 ـ يكرب	شافي بن شافي	مذكر بن شافي
		حمود بن شافي
3 ـ فودة	محمد بن طعزة	شايع بن سوده
4 ـ صلاصل	علي بن عابد	حمد بن عابد

ملاحظات حول الهجرات

1 ـ حسب أُم القُرى، رقم 209، 18/ 12/ 1928م.

تقع عيندار وصلاصل جنوب غرب القطيف.

آل مرة

يتنقل بنو مرة في الصحراء الجنوبية الكبرى. وهم لا يحتكون بقبائل وسط الجزيرة العربية إلا في الحسا والخرج. ويروي جيران بني مرة كثيراً من الأشياء الغريبة عنهم وعن عاداتهم وأسلوب حياتهم. غير أننا منذ عبور توماس وفيلبي[1] الربع الخالي في عامي 1931م و1932م أصبحنا نعرف أن تلك الروايات هي مجرد خرافات. فالمنطقة التي تختلف فيها اللهجة والثقافة والسياسة تقع حدودها جنوب وشرق بني مرة[2].

بنو مرة أبناء عم العجمان، أي إنهم يام، وينحدرون مثلهم من نجران. وما زال أحد بطونهم يتنقل بين حين وآخر في موطنهم القديم. إلا أن هجرة آل مرة أقدم كثيراً من هجرة العجمان. ويبدو أنهم كانوا يعيشون في الطويق الجنوبي إلى أن طردهم الدواسر من هناك إلى الصحراء[3].

---

(1) برترام توماس، الجزيرة العربية، فيلبي، الربع الخالي. فيما يلي سنكتفي بذكر اسم المؤلف.

(2) لقبائل الجنوب مفردات لغوية مختلفة، أما الشرقية فتستخدم سرج جمال مختلفاً. وكلاهما منخرط في التحزب إلى غافري أو هناوي والذي يعود في الأصل إلى عُمان. توماس 112، 164، 212، 268 وما بعدها. تشارك مرة مع الجريش وبني سفيان (ثقيف) في مكة اللهجة الفصحى (الضاد) والانتقال من الجيم إلى الياء، فيلبي 34.

(3) فيلبي، جـ1، 159، 204، 217.

اصطدم بني مرة مع الوهابيين لأول مرة في عام 1776م في خرج. وفي عام 1783م كانت القبيلة لم تزل عدواً لهم. ولكن في بداية عام 1797م رافقت فصيلة حراسة من بني مرة مراسلين لآل سعود على الطريق إلى القطيف التي تمر عبر منطقة المنتفق[1]. كما أن القبيلة قدمت في القرن التاسع عشر وفيما بعد مراراً وتكراراً دعماً عسكرياً لآل سعود في عداواتهم الداخلية والخارجية[2] وانخرط متطوعون من بني مرة في الحرس الخاص لحكام آل سعود[3]. ولكن بني مرة لم يكونوا أبداً، باستثناء الفترات التي امتدت فيها سلطة آل سعود حتى عمان (1800م ـ 1815م، 1862م ـ 1871م)، خاضعين كلياً لسيطرة الوهابيين.

خلال فترة الاحتلال التركي للحسا (1871 ـ 1913م) عاش بنو مرة أياماً هنيئة. وقبل وقت قصير من نهاية الحكم التركي قضى بنو مرة على حملتين تأديبيتين. فقد كان الحاكم التابع لعبد العزيز آل سعود، وهو عبد الله بن جلوي المشهور بقسوته، لا يتساهل معهم إطلاقاً. وفي عام 1916م قام عبد العزيز نفسه بقيادة حملة ضدهم، وفي عام 1918م شن الدواسر بعلم حاكم الأفلاج غزوة على يبرين، الواحدة الكبيرة الوحيدة التابعة لنبي مرة[4]. بعد الحرب العالمية نجح عبد العزيز في ترسيخ أقدامه في منطقة جيبان الواقعة بين الحسا وقطر، وذلك عن طريق إقامة مستوطنات للإخوان فيها. وفي بداية عام 1924م أصبحت واحة يبرين وهابية[5].

تشمل منطقة تنقل بني مرة الجزء الغربي من بحر الرمال الكبير حتى ما بعد خط الطول 51 بقليل، وصحراء جافورا المحاذية من جهة الشمال. وتصل في

(1) الريحاني 84 وما بعد، 105، 108، 110، 119.

(2) تسمى هنا زغرت. هناك بئر في أقصى جنوب بحر الرمال سميت زغرت نسبة إلى رجل من بني مرة انفصل عن عبد الله بن فيصل آل سعود لأنه اعتقد أنه أهان أمه ثم أسس عصابة للنهب كان مقرها الرئيسي على تلك البئر، فيلبي 213 وما بعد.

(3) كتاب الجيب هاندبوك، جـ1، ص 88، فيلبي جـ1، ص 346، جـ 2، ص 73، 83.

(4) تشيسمان، في الجزيرة العربية المجهولة، باسم.

(5) فيلبي، جـ 2، ص 23.

الشمال إلى ما بعد طريق عجير «عقير» ـ الهفوف أي إنها تدخل في منطقة بني هاجر والعجمان. وفي الغرب تصل إلى الخرج. ويشكل خط الطول 47 الحدود تقريباً[1]. لكن الجزء الجنوبي الغربي من منطقتهم يفتقر إلى المياه.

يقضي آل غفران(1) الصيف في أقصى الجنوب في منطقة الخيران وقرب شنة حيث يوجد أحد آبار المياه الحلوة القليلة في هذه المنطقة. وفي يناير/ كانون الثاني يرحلون شمالاً إلى الحسا[2]. وكذلك مجموعة بني مرة التي تعرف عليها تشيسمان تأتي أيضاً في الشتاء إلى الحسا. وفي نهاية مايو/ أيار ينتقلون نحو الجنوب إلى يبرين حيث يقضون شهرين حتى موعد جني التمر في أغسطس/ آب. وهناك بطون من بني مرة تبقى دائماً في الصحراء، وأخرى في الحسا، وتقضي الشتاء بعيداً في الداخل في الصمان والدهنا.

يعمل بنو مرة في تربية الإبل وهم بدو رحل. ومن بين مستوطنات الإخوان الأربع وجد فيلبي عام 1932م واحدة (سكاكا) مهجورة كلياً وأخرى نباك شبه مهجورة، وكانت يبرين مع خين المجاورة خالية تقريباً من السكان لأن هاتين الواحتين كانتا مصابتين بالحمّى. تعتبر الحياة في الصحراء صحية بسبب ارتفاع معدل الأوزون في الهواء، ولكنها فقيرة جداً. إذ إن حليب الإبل هو الغذاء الرئيسي ولحوم الحيوانات البرية المادة الغذائية المساعدة: الأرانب التي يتم اصطيادها بواسطة الكلاب السلوقية، والظباء الموجودة فقط في الجنوب الغربي الخالي من المياه. تهطل الأمطار(يناير/ كانون الثاني حتى أبريل/ نيسان) بصورة غير منتظمة، وهناك بعض المناطق التي تبقى أحياناً عدة أعوام بدون مطر. ولذلك يضطر بنو مرة إلى التوزع إلى مجموعات صغيرة بحثاً عن المرعى. فقط في حال الخطر يتجمعون

---

(1) فيلبي، جـ 2، ص 23.

(2) فيلبي، ص 72 وما بعدها، 224. فقط في عام 1929 ـ 1930م. قضى جزء كبير من الغفران الشتاء عند نبع الشينة الذي اكتشف بهذه المناسبة لأنهم كانوا يرغبون في تفادي غزوات ونهب الأخوان واحتمال دعوتهم من الملك. إلى تقديم دعم عسكري.

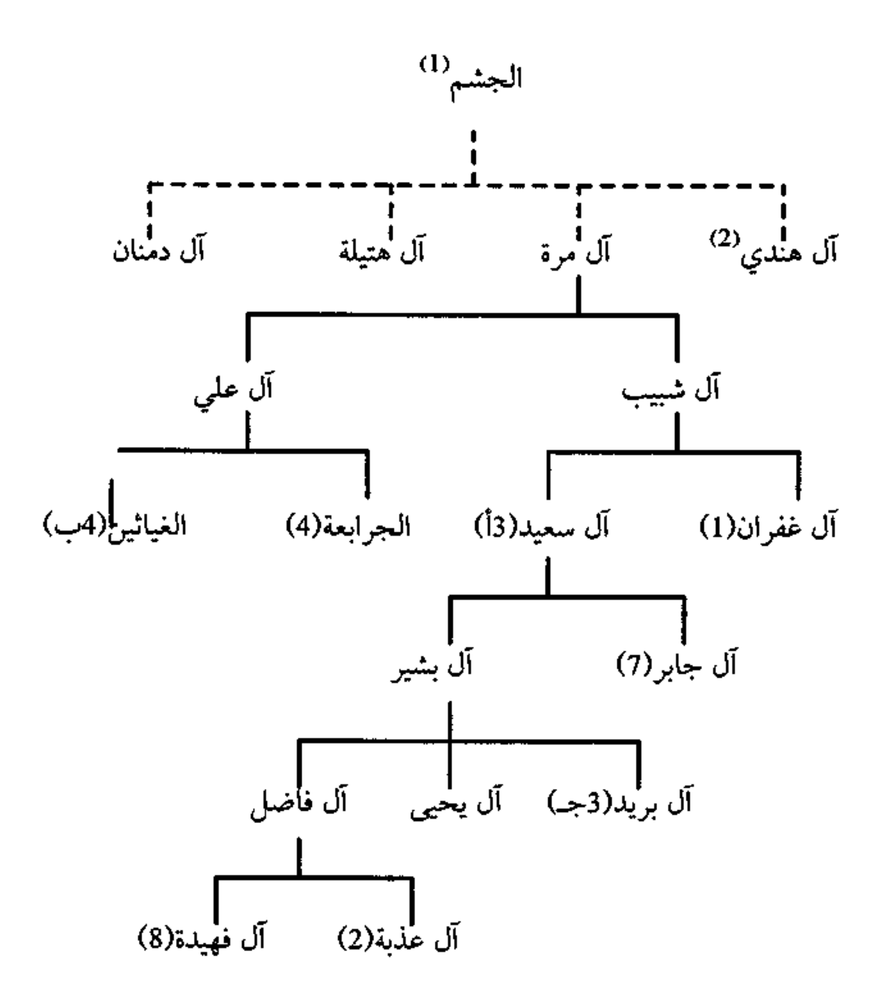
بأقصى سرعة. ونظراً لضرورة التعرف على الخطر في الوقت المناسب فإن بني مرة مشهورين بخبرتهم في تقفي الأثر.

حتى العقود الأولى من هذا القرن كانت تسود في الصحراء حرب الجميع ضد الجميع، الحرب على الملكية الوحيدة: الإبل. بنو مرّة ضد المناصير والمناصير ضد العوامر، وهذه ضد تلك قبائل الشمال كانت تعيش في عداء مرير فيما بينها. وكانت غزوات بني مرة تصل حتى عمان. ولكن في الجنوب، في سهوب حضرموت، كانت تكمن قبيلتا صيعر والمناهيل اللتان كان بنو مرة وجيرانهم في الجنوب الشرقي آل راشد يضطرون دوماً إلى الحذر من غزواتهما. غير أن الخوف من عبد العزيز آل سعود وعبد الله بن جلوي أدى بعد ذلك إلى تصالح هذه القبائل فيما بينها. كان الصيعر الوحيدين الذين ظلوا يقومون بغزوات النهب والسلب[1].

يسود السلام، على الأقل، بين بني مرة أنفسهم. وفيما يلي مخطط توضيحي لعلاقات القربى بين قبائل بني مرة وفروعهم[2]:

(1) فيلبي وتوماس (باسم).

(2) حسب تقسيم الأمير عبد الله بن عبد الرحمن، فؤاد حمزة 195 وما بعدها. رسمنا خطوط الاتصال في الأعلى منقطة لأن النص يقول إن القبائل الأربع تنحدر من أصل واحد هو الجشم.



الجدير بالملاحظة هو أن الدمنان والهتيلة هم «أشقاء» بني مرة. وانقراض هذه الفروع القديمة ـ كلاهما لا يتجاوزان 50 أو 60 خيمة ـ أمر عادي، وكذلك وضع الغياثين والجرابعة في نفس المرتبة بينما هؤلاء (الجرابعة) في الترتيب الحالي أعلى من أولئك (الغياثين).

---

(1) من الواضح أن المقصود بذلك هو ابن يام، فستنفيلد، الجدول 9، 20.

(2) أهم قبيلة في نجران (يام)، الروضة جـ 2، مذكورة تحت 1210.

آل مرة(1)

منطقة التنقل: الحسا ـ جافورة ـ الرمال

عدد الخيام 2610؟

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ آل غفران	حمد بن صالح بن جلاب(2)	شنة: الخيران	600
أ ـ آل عوير	حمد بن جلاب		
ب ـ آل زايد	صالح أبو ليلى(3)		
2 ـ آل عذبة	فيصل بن نقادان(4)	الحيان ـ بير فاضل	400
أ ـ آل منصور	فيصل بن نقادان		
ب ـ آل جفيش	جابر بن حنزاب(5)		
3 ـ آل بحيح	متعب بن صعاق(6)	جافورة	500
أ ـ آل سعيد	محمد الهتيل		
ب ـ آل جحيش	سويد بن الحول		
جـ ـ آل بريد	علي المدهوس		
4 ـ الجرابعة	حمد بن نحاب	الرمال	300
أ ـ آل جبران	جابر بن فصل(7)		
ب ـ الغيائين	سعيد الحرير(8)		
5 ـ آل هتيلة	محمد بن صويلح	الحسا	50
6 ـ آل دمنان	سويد الأزمة(9)	مقينمة ـ نجران	60
7 ـ آل جابر	فيصل المرضف(10)	يبرين	300

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أ ـ آل زقيمة	فيصل المرضف		
ب ـ آل هادي(11)	ضيغم بن حجاج		
8 ـ آل فهيدة	لاهوم بن شريم(12)	الحسا	400

ملاحظات حول الجدول

1 ـ لما كنا لا نملك سوى معلومات ضئيلة عن آل مرة اذكر مقطعاً من جدول فيلبي 409 وما بعدها، يتضمن كل الأفخاذ والفروع طالما أنها مذكورة في مكان ما أولها أهمية كتاب الجيب ج1، ص 89 وآلوسي 88 تتضمن كل المراجع الإحصائية. يرى فيلبي أن عدد الخيم عالٍ جداً. إنه يُقدر / مرة/ بـ 5000 نفس أي حوالي 1250 خيمة.

الوسم: ، توماس رسم رقم 5.

2 ـ يقيم في الغالب في قطر عند الشيخ عبد اللّه بن ثاني.

3 ـ ابن علي.

4 ـ عائلة المشايخ في قائمة / شبرنغر رقم 49 عام 1900م: حزام بن نقادان.

5 ـ ابن حمد بن برجس.

6 ـ ابن محمد.

7 ـ ابن سالم.

8 ـ ابن سعيد.

9 ـ ابن هادي.

10 ـ ابن حمد.

11 ـ ابن حمد.

12 ـ 1900 : محمد بن شريم.

هجر آل مرة(1)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
1 ـ يبرين	حمد المرضّف	صالح المرضف
2 ـ السكاك	حمد بن حتزاب	فاضل بن فاضل(2)
3 ـ النباك	سعود بن نقادان	
4 ـ البدوع	راشد بن نديلة (3)	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب أُم القُرى رقم 208، 18/ 12/ 1929م. تقع سكاك أسفل شبه جزيرة قطر، وتقع نباك (أنباك) جنوبها. يقصد بـ البدوع «خين» التي تقع شمال شرق يبرين. فيلبي ص 90.

2 ـ شيخ من عضيبة، لا يعرف فليبي سوى اسم أبيه فقط.

3 ـ شيخ من مشايخ البحيح (فيلبي).

قبائل مستقرة

لكي نستكمل الصورة التي عرضناها في المقالات السابقة عن سكان شبه الجزيرة العربية ينبغي علينا إضافة أربع قبائل أخرى لا وجود لها إلا بصفة القبائل المستقرة، وهي: عايد، وبنو زيد، والفضول، وتميم.

يسكن العائد في واحتي سليمية ويمامة في الخرج وينحدرون حسب الروايات المحلية من جنوب شبه الجزيرة العربية (قحطان؟)[1]

وتوجد مجموعات صغيرة من بني زيد في بعض القرى الواقعة على طريق الحج الرياض ـ مكة وفي الشعرا. ويشغلون واحة الشقرا في الوشم كلياً وواحة أشيقر المجاورة جزئياً. ويعتبر بنو زيد أيضاً من عرب الجنوب[2].

أما الفضول فهم فرع من بني لام، أي من طي. وكانوا في القرن الثامن عشر يشكلون مجمعاً كان يشغل المنطقة الحالية للمطير تقريباً. ويذكر روسو[3] الفروع التالية: تشير (كثير)، وبني خالد، وعمور، وسبحان، وبني لام.

وقد قضى الوهابيون في عام 1788/ 1789م على السبحان قضاء كاملاً

---

(1) شكيب أرسلان؛ كتاب الجيب هاندبوك، جـ1، ص 602، فيلبي، جـ 2، ص 31، ص 34.

(2) شكيب أرسلان؛ كتاب الجيب هاندبوك، جـ1، ص 611. فيلبي جـ3، ص 107 يضمهم إلى تميم.

(3) رحلة إلى بغداد وحلب (1808م)، 67.

تقريباً[1]. أما بنو لام فقد اختفوا، وانضم الباقون إلى الضفير (أ 3 أ، أ 4، أ 4 ب، أ 5). أنظر الصفحة 98 أعلاه.

تشير مستوطنات الفضول المستقرين والممتدة من السدير حتى أفلاج إلى عمر القبيلة. وتسمى فروعها في مجمعة وبعض القرى المجاورة: فضل وكثير، وفي ملهم: آل طالب وكثران. كما أن قرية الفضول في واحة الحسا حصلت على اسمها من القبيلة[2].

أما بنو تميم فسنخصص لهم المقال التالي.

(1) بين الوفرة وحفر (العطس) الروضة جـ 2، تحت 1203؛ منجن، جـ 2، 501.

(2) كتاب الجيب هاندبوك، جـ1، ص 606 منجن جـ11، ص 501.

بني تميم[1]

كان بني تميم في يوم من الأيام يحتلون، من ناحية عددهم واتساع منطقتهم، المرتبة الأولى بين قبائل شمال الجزيرة العربية. وإذا ما كانوا رغم ذلك لم ينالوا مكانة مسيطرة فإن السبب في ذلك لا يعود إلى ضعف التضامن ـ إذ إن الشعور بالانتماء كان لدى تميم أقوى منه لدى القبائل الأخرى[2] ـ وإنما إلى التشتت الذي تفرضه عليهم طبيعة الحياة القبلية وطبيعة الأرض: فالمجموعات التي تزيد على 500 خيمة لا تستطيع التخييم والعمل معاً إلا نادراً، والمجموعات الأكثر من ذلك لا يمكن جمعها واستخدامها إلا لفترة قصيرة. ولذلك كان بنو تميم منذ نهاية القرن السادس الميلادي مشتتين إلى حد ما. وكانت المجمعات الكبيرة الثلاثة، سعد، وعمرو، وحنظلة، والتي يمكن أن نضيف إليها مجمعاً رابعاً تربطه بالثلاثة صلة قربى وهو مجمع رباب (وهم الضبة وبعض القبائل الصغيرة)، لم تعد تشكل آنذاك وحدات سياسية وإنما وحدات جغرافية فقط في أحسن الأحوال. وكانت قد تشكلت لدى سعد قبيلتا عوف والمنقر وغيرهما، ولدى عمرو قبيلتا بني مازن وبني

(1) أو تميم.

(2) كانت النزاعات بين تميم نادرة وأقل دموية منها بين جيرانهم بني أسد وغطفان. بالنسبة لهذه النقطة وبعض النقاط الأخرى لا بد لي من مخالفة ما جاء في المقال الأساسي لليڤي ديلاڤيدا في الانسكلوبيديا الإسلامية.

العنبر (بلعنبر). وبين حنظلة كان اليربوع على وشك تفكيك تجمعهما القبلي، بينما حدث هذا فعلاً لدى دارم.

كانت منطقة تنقّل تميم[1] آنذاك تشمل: في الشمال حزن بني يربوع، أي الجزء من الحجيرة الواقع بين طريق الحج الكوفية (المتأخرة) وبطن فلج/ الباطن[2] ومنطقة الدوو/ دبدبة الواقعة وراء الفلج، وفي الشرق الدهنا/ دهنة مع الصمان. في الغرب بقي القصيم خارج الحدود، بينما في المنطقة الواقعة شمالها وجنوبها كان أسد وغطفان (عبس، فزارة) يختلطون مع تميم. وكانت منطقتا السدير[3] والوشم وكذلك السهوب والصحارى الواقعة بين تسرير/ وادي الرشا والطويق تابعة لتميم أيضاً. لكن يمامة عارض الخرج كان يسكنها ربيعة (بكر وعنزة) الذين كانوا ينغرزون في منطقة قبيلتنا كالإسفين ويفصلون تميم في الغرب عن تميم في الشرق.

من بين مجمعات القبيلة القديمة كان اثنان، حنظلة ورباب، يقعان في غرب سلسلة الطويق أو كان مقرهما الشتوي، على الأقل، موجوداً هناك: اليربوع في الشريط المجهول نسبياً والواقع جنوب الوشم (وادي حائل، مرّوت/ مروتة)، ودارم، التي تفصلها رباب عن اليربوع، إلى الشرق من خط أوداخ ـ رامة. في الربيع كان اليربوع يرحلون شمالاً إلى الحزن، بينما كانوا يقضون الصيف، في بداية

(1) انظر كذلك بالنسبة لمكان إقامة القبيلة اللاحق، الجغرافيين بين أسماء الأماكن التي وردت في النص وكذلك بالنسبة إلى رباب تحت جبلة، جمران، الوشم، حمادة، بكرة، بكرات، سيلا، تسرير، الاوشي، والمفضليات رقم 38، 1، 113، 2. وبالنسبة إلى يربوع المفضليات رقم 9، 6، قارن: ياقوت: تحت أجفر، وبالنسبة للبقية تحت عاقل، الفليج، حفر سعد/ حفر العطس، حنيذ، القرعا، مبايض، ملج/ مليجة، النيطاعي/ نطاع (إنطاع). طبرة وبرونيلش، بسطام بن قيس ص15 ـ 24 (حيث هناك الكثير تجاوزه الزمن) النقائض 945، 21507، 21701 (استثناء). بعد الردة في الفقي/ السدير، المرآة، الهدار. وبعد الهجرة ياقوت جـ 2، ص 814 قارن المسعودي: تنبيه ص 392 وتحت اللصافة، اللهابة، القرعا، طبرة وبالنسبة للنمير تحت غسل وروركا، وبالنسبة للقشير تحت سوفا (سوقا)، شعبعب.

(2) بخلاف المقدمة، تم تثبيت الأسماء الحالية بعد الخط المائل.

(3) يعود هذا الاسم إلى أواخر العصور الوسطى.

القرن السابع ميلادي على الأقل، في منطقة أسد بين أثال وملا/ برثة. كما أن الضبّة (رباب) كانوا يرحلون في نفس الاتجاه عندما كانوا يخيمون في الربيع في جزء الدهنا المجاور للفلج، بينما كان الدارم يتجهون أكثر نحو الشرق. وهناك في المنطقة المحاذية للصمان والدوو وعند فلج كانت تقيم أيضاً قبائل مجموعة عمرو (بلعنبر، مازن، أسيِّد) في الربيع. وليس من الممكن أن نحدد بشكل مؤكد المكان الذي كانوا فيما عدا ذلك يخيمون فيه، ربما في الطويق، حيث اصطدموا مراراً وتكراراً مع مستوطني اليمامة البكريين. أما قبائل سعد فكانت تسكن في شرقي سلسلة الطويق، من منطقة عدان الواقعة جنوب الكويت الحالية حتى وادي فروق وواحة يبرين، وفي الشتاء في موقع أبعد نحو الداخل في الدهنا وهضبة عرمة.

وإذا ما كان جزء كبير من تميم من البدو الرحل فإنه كان يوجد أيضاً في صفوفهم، شأنهم شأن غالبية القبائل العربية، مجموعات مستقرة ومجموعات نصف رحل. وكانت القرى والواحات التي يسكنها بنو تميم موجود بعضها في الوشم ومنطقة قرقرا المجاورة له، وبعضها الآخر في شرقي الجزيرة العربية. وكانت توجد مستوطنة للأسيِّد عند طرف اليمامة. فيما عدا ذلك كان المستوطنون ينتمون غالباً إلى قبائل رباب الصغيرة (عُكل، عدي، تيم) أو إلى امرىء القيس وخديج، وهما فصيلتان لا يرد ذكرهما إلا نادراً في حكايات القبيلة التي تطغى عليها المثل البدوية العليا.

يبدو أن تميم جاءوا من الغرب: وتربطهم شجرة نسبهم بواسطة خندف (الجزء الثاني، ص576) مع قبائل الحجاز. وكانوا أيضاً يتولون منصب "الإفاضة" المرتبط بفريضة الحج. وأخيراً فإن قبر جد القبيلة موجود في مر الظهران قرب مكة[1].

تروي حكاياتهم كثيراً من البطولات عن أفعالهم الحربية ولكن الحقيقة التاريخية تختلف، كما لدى القبائل الأخرى، عن الحكاية. ولذلك سنكتفي بإبراز

(1) لاحظ أيضاً الهمداني (لودفيج فورر، جنوب الجزيرة العربية 79). الذي يذكر أحفاد تميم (أو رباب) في سراة بجيلة (انظر هنا الجزء الثاني 564 وما بعدها) ـ في بيت شعر المفضليات 22، 32، عندما يرحلون من واحات الخط حتى الحرات. وكذلك الصفحة التالية.

بعض الجوانب العامة. كان تميم أيضاً، شأنهم شأن جميع قبائل وسط الجزيرة العربية، ينتمون في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي إلى مملكة كندة. وعندما انهارت تلك المملكة بسبب حرب بين الأخوة (معركة كلاب عام 530م) بقي تميم شرق الجزيرة (سعد) تابعين إلى حد ما إلى خط جانبي من آل كندة كان يحكم في هجر وحافظ على وضعه هناك حتى النصف الثاني من القرن السادس الميلادي. وكانت هجر أكبر واحة نخيل في شمال الجزيرة العربية وكان الدخول إلى السوق الموجودة هناك ضرورة حياتية بالنسبة إلى البدو[1] وبطبيعة الحال بقيت هذه الظروف قائمة عندما انتقلت هجر إلى سلطة الحيرة ثم في وقت لاحق إلى الحكم الفارسي المباشر[2].

لكن العاصمة السياسية لتميم، وخاصة لحنظلة ورباب، كانت الحيرة. وكان التميميون يخدمون في جيش الملك منذر الثالث الذي أباده الغساسنة، المناصرون لروما، في يونيو/ حزيران 554م في شمال سورية. فذهب زعماء دارم إلى البلاط وصاروا يرافقون الأمراء في غزواتهم ويؤثرون على سياستهم القبلية. ومن الواضح أن هذه العلاقة قد تعكرت مراراً وتكراراً ـ لا نعرف أسباب ذلك وما ترويه الحكايات عن هذه المسألة يبدو خرافياً ـ وحدثت بعد ذلك حملات تأديبية كانت تصل إلى عمق الجزيرة العربية ولكن لم تكن تنتهي دائماً في صالح القوات الملكية وفي عهد نعمان الثالث (579م/ 580 ـ 601/ 602م)، آخر ملوك الحيرة حدثت القطيعة النهائية[3]. وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن عائلة من تميم، ولكنها انفصلت

---

(1) نولدكة: الطبري ص 259 وما بعد.

(2) أن تكون تميم قد حكمت هجر في يوم من الأيام أمر غير صحيح. لأنه وإن كان منذر بن ساوا، الذي كان يتولى إدارة هجر مع بداية الإسلام إلى جانب الحاكم الفارسي، لم يكن ينتسب إلى عبد القيس (سكان الواحة) وإنما إلى تميم، فإنه كان يمارس منصبه ليس كممثل للقبيلة وإنما كممثل للفرس. قارن /بلاد سوري/ 78.

(3) المفضليات رقم 119 نقائض جرير والفرزدق، 66، 653، نولدكه، مساهمات في معرفة الشعر العربي القديم، 127.

عن القبيلة بسبب إقامتها الطويلة في الحيرة كانَ لها نفوذ واسع في البلاط الملكي؛ ومن أشهر أبنائها الشاعر عدي بن زيد.

فيما يخص علاقة تميم مع جيرانها نلاحظ ذلك التبدل المتكرر الذي تتصف به عموماً الحياة السياسية في الصحراء. ولم تكن لها عداوة دائمة إلا مع قبائل بكر التي كانت تحتل السهوب الواقعة على هذا الجانب من الفرات بين الحيرة وسفوان. فعندما كان اليربوع يرعون في الربيع في الحزن، ودارم وبلعنبر قرب فلج، كانوا يشعرون بأنهم مهددون من بكر، بينما لم يكن بكر يتهددون إلا إذا قاموا هم أنفسهم لسبب أو آخر بالتخييم في منطقة تميم. وظل الأمر كذلك إلى أن جاء الإسلام حيث سادت هنا أيضاً حالة السلام[1].

ليس معروفاً متى اعتنق بنو تميم الإسلام. ومن المفترض أن العلاقات السياسية مع المدينة المنورة بدأت بتحرير أسرى من أحد فروع بلعنبر كان يخيم في الحجاز ورفض دفع الضرائب[2]. وبعد خضوع هجر، الذي تضعه الروايات في وقت مبكر جداً، (في العام الثامن، لا بل السادس، للهجرة)، توجب على تميم التخلي عن استقلالهم (630م؟).

خلال حرب الردة في عهد الخليفة الأول اتخذ بنو تميم موقفاً مزدوجاً. وهذا أمر غير مستغرب لأنهم كانوا محاطين بالمرتدين في شرقي الجزيرة العربية وفي اليمامة وعلى حدود أسد وغطفان. وحالت التناقضات الداخلية، التي ازدادت حدة بسبب ظهور امرأة ادعت النبوة (سجاح)، دون اتخاذ موقف موحد، وحالت العداوة مع قبائل اليمامة وبني أسد دون الالتحاق علناً بالمتمردين. وبعد معركة بزاخة غيّر بنو

---

(1) تبدأ التقارير (برونيلش، بسطام بن قيس، النقائض 1023 العقد جـ3، يوم 36، 44، 46، 49) مع بعض الاستثناءات القليلة بالقرن السابع بحيث يصبح من المحتمل أن تكون حالة الحرب الدائمة هذه قد بدأت بعد سقوط سلالة ملوك الحيرة. ولكن من الممكن أيضاً أن تكون هناك أسباب أخرى وراء صمت المراجع.

(2) فلهاوزن، مخطط 4، رقم 78. تم تأكيدها في النقائض رقم 66، 2.

تميم موقفهم فوراً. فقط زعيم اليربوع مالك بن نويرة دفع حياته ثمناً لتردده.

وما أن قضي على تمرد اليمامة حتى هجم بنو تميم المتعطشون إلى الأرض على قرى المهزومين التي لم تكن مشمولة بمعاهدة السلام.

بعد ذلك انجرف بنو تميم في تيار حروب الفتح الإسلامي. وكانوا يشكلون في بادىء الأمر الأكثرية في البصرة، وكان لهم في الكوفة أقلية كبيرة. وكانوا أقوياء بصورة خاصة في الجيش الموجود في شرق فارس والمؤلف من جنود جاء معظمهم من البصرة. وعند وفاة القائد العسكري قتيبة بن مسلم (715م) كان عددهم هناك 10800 رجل مقابل 7000 رجل من بكر و4000 رجل من عبد القيس[1].

تشكل هذه الأرقام في الوقت نفسه مؤشراً جيداً لتكوين فكرة عن الهجرات التي بدأت في تلك الفترة في موطن القبائل الثلاث. بكر، التي أصبحت ضعيفة ليس فقط نتيجة الاستيطان في البصرة وإنما أيضاً نتيجة الهجرة إلى منطقة ما بين النهرين العليا، انسحبوا في الشرق من الصحراء إلى الفرات. ثم تبعهم بنو تميم حيث انصهروا هناك في النصف الثاني من القرن التاسع في مجموعة واحدة أمام البصرة[2].

في شرق الجزيرة العربية أخلى عبد القيس عدة قرى استوطن فيها فيما بعد بنو سعد. لا بل إن بني سعد دخلوا إلى واحة بحرين وأسسوا هناك قرية أحسا. هذا التقدم لتميم نحو الشمال والشرق قابله انسحاب في الجنوب والغرب. وبدأ هذا الانسحاب بتخلي يربوع ورباب عن مقراتهم الشتوية في هذا الجانب من الطويق بحيث لم يبق إلا المستوطنون الموجودون على أطراف الجبل. وهنا حل بنو نمير وبنو قشير محل بني تميم. وكان بنو نمير يقتصرون قبل الإسلام على منطقة صغيرة تمتد على الضفة الشرقية للتسرير الأعلى وتشمل كلاً من ظهر جبل شهلان/ ذهلان وموقع الماء العوينذ. وبعد إخضاع المرتدين في اليمامة عبروا المنطقة الشتوية

(1) الطبري، جـ 2، 1291.

(2) ورد ذكرها مراراً في تقارير الطبري حول ثورة الزنج.

ليربوع واحتلوا ثرمدا، القرية الرئيسية في الوشم. ثم انتشروا بعد ذلك في السهول، جنوباً حتى تبراك، وشمالاً حتى السر. وفي القرن الثامن احتلوا أوضاخ، وفي القرن التاسع بدأوا بطرد تميم من قرى الوشم ودخلوا جبال قرّان وملهم؛ وعقربا في وادي حنيفة. وتقدم القشير من الجنوب حتى وادي حائل وتقاسَموا مع نمير المنطقة الشتوية لبني تميم الغربيين.

عندما جاءت في منتصف القرن التاسع قبيلة أخرى، كلاب، من حمى ضريّة ودخلت منطقة تميم القديمة، كان بنو تميم البدو قد تقلصوا إلى ثلاث مجموعات هي: ضبّة على طريق حج البصرة، وسعد، وكليب الذين هم فرع من يربوع كان قد استوطن في الوشم ولكن نمير ضغطوا عليه فعاد إلى حياة البداوة. وكان كلاب ونمير، وسعد وكليب، عماد ثورة قادها علويّ حقيقي أو مزيّف في شرقي الجزيرة العربية (249 ـ 254هـ/ 863م ـ 868م)[1].

كانت هذه الثورة آخر ظهور حربي لتميم في شبه الجزيرة العربية.

وفي العهد القرمطي لم يرد ذكر تميم سوى مرة واحدة. فقد التحق 300 رجل من ضبّة بالجيش الذي شن في عام 287هـ/ 900م انطلاقاً من البصرة حملة ضد أبي سعيد زعيم القرامطة الذي كان قد أخضع خلال وقت قصير شرقي الجزيرة العربية بكامله تقريباً. وكان تقدير الضبيين للموقف أصح من تقدير قائد جيش الخليفة، فغادروه قبل دخوله المعركة ـ مسيرة يومين قبل القطيف ـ التي خسرها[2].

وبذلك تختفي قبائل تميم من تاريخ شبه الجزيرة العربية. اختفوا من تاريخ الجزيرة ولكن لم يختفوا من أرضها. فلم يزل يوجد حتى اليوم في وسط الجزيرة العربية أعداد كبيرة من أحفاد بني تميم المستقرين. وفي منطقة استيطان المجتمع القديمة، في السدير والوشم، يشكل بنو تميم جزءاً كبيراً من السكان، وكذلك في واحتي السرّ ومذنب.

(1) المسعودي، تنبيه، 393.

(2) المسعودي، تنبيه، 394.

وهم منتشرون في الجنوب في العارض من محمل حتى خرج، ولهم وجود قوي بشكل خاص في حوطة. كما أن قرى ومدن القصيم حافلة بهم، وفي جبل شمر يشكلون نواة السكان المستقرين. وفي وقت سابق كان جميع سكان قفار من تميم. ولم تزل القرى: قصر العشروات 30 بيتاً وسميرا 50 بيتاً والسبعان 25 بيتاً، حتى اليوم مسكونة من بني تميم حصراً. ويشكل بنو تميم في فيد 45 بيتاً وموقق نحو 30 بيتاً وبقعاً نصف السكان، وفي المستجدة ثلثهم[1]. وقد جاءوا جميعاً من الجنوب.

بعد أن استقر بنو تميم منذ ما يزيد على ألف عام فقد أصبحوا يختلفون عن البدو في بنية أجسامهم وفي تفكيرهم، وفي مزاياهم وعيوبهم. فهم أقوياء ومحبون للعمل، لكنهم عنيدون والتعامل معهم صعب وحريصون إلى درجة البخل[2].

فوق هذه الكتلة الكبيرة من الفلاحين تعتلي فئة صغيرة من العائلات المتعملة أو المسيطرة. ومن هذه الفئة ينحدر مؤسس المذهب الوهابي محمد بن عبد الوهاب (1703م ـ 1792م). وكذلك عائلة شيوخ العيينة مسقط رأسه، عائلة ابن معمر، التي عمل أبناؤها في خدمة الدولة الوهابية القديمة والجديدة وما زالوا. ومن الناس القريبين منا أبناء عائلة بسام الذين ساعدوا بمعرفتهم للعالم وبحبهم للناس كثيراً من الأوروبيين على السفر وإجراء الأبحاث في شبه الجزيرة العربية والبلدان الواقعة على أطرافها، بدءاً من محمد البسام مؤلف قائمة شبرنغر (1818م) التي استشهدنا بها كثيراً في هذا الكتاب، حتى عبد الله الذي حمى دوتي، وابنه محمد مستشار فرايهرفون أوبنهايم، وأصدقاء فيلبي في عنزة. هنا يعيش خط رئيسي من آل بسام منذ عام 1173هـ/ 1759م ـ 1760م (كان قبل ذلك في أشيقر)، ويعيش

(1) بوركهاردت، ص 381، والين. JRGS 1854، 201 وما بعدها. جورماني، ص 180، دوتي جـ 2، ص 247، 341، كتاب الجيب جـ1، ص 370، 610 وما بعدها، موزيل، شمال نجد ص 66، 73، 78، 86، 93. فيلبي جـ1، ص 113 (انظر تميم وحنيفة في الدرعية، 120 جـ 2، ص 45، جـ3، ص 134، 137، 139، 143).

(2) دوتي جـ 2، ص 247، 261 وما بعدها، فيلبي جـ 2، ص 277.

آخرون في أشيقر وقراين (الوشم)، وفي حرمة ومجمعة السدير. ويعود جد القبيلة (بسام بن عقية[1] بن ريّس إلى النصف الثاني من القرن الخامس عشر لأن أحد أحفاده ورد ذكره قبل عام 948هـ/ 1541م ـ 1542 (عنوان)[*] ولأن ابن حفيده توفي عام 1040هـ/ 1630م ـ 1631م وهو قاض. وهناك حفيد آخر اسمه بسام بن منيف هو جد محمد بن عبد الله البسام في الجيل الثاني عشر[2].

---

(1) فيلبي، انظر الملاحظة التالية: ولكن عقية ترد على الأقل كاسم ثانٍ، لدى تميم أيضاً. هناك على سبيل المثال حفيد لمؤسس المذهب الوهابي اسمه: عبد الرحمن العقية، منجن جـ1، ص555.

(*) المقصود كتاب (عنوان المجد في تاريخ نجد) (ماجد شبّر).

(2) تم الاستناد في مادة البحث هذه على المقارنة بين شجرة أنساب قدمها لنا محمد بن بسام مع أخرى من فيلبي جـ 3 وما بعد 383 قارن 281 وما بعدها. تبدأ شجرتنا من الجيل الثامن وتعود إلى وثيقة مصدقة من القاضي علي بن سليمان اليوسف التي قُدمت من الشيخ حسن أبو حسين الوهبي (أي من قبيلة الوهبة (5) التميمي من الأشيقر (1123هـ/ 1711م). بالنسبة لشجرة فيلبي التي نسخها في عنزة ينطبق الشيء نفسه لأنها تتطابق بدءاً من بسام بن عقية مع شجرتنا. كلتاهما تعودان إلى أبو سود (فستنفيلد الجدول ك 14). وكالعادة فإنها تفتقد إلى عدد من الحلقات. يرتبط آل الريّس بصلة قربى وثيقة مع آل المشرف (المشارفة) وتنتسب هذه العشيرة حسب وثائق فيلبي إلى محمد بن عبد الوهاب. وأما حسب بوركهاردت فإنها تنتسب إلى الوهبة (5) ربما لا يوجد تناقض لأن شجرتنا تتضمن شخصاً اسمه وهيب الذي قد يكون من الممكن اعتباره جد هذه القبيلة. (السيرة الذاتية لمحمد بن عبد الوهاب، لمع الشهاب، المذكورة في المجلة الإسلامية تحت «الوهابية» تنسبه إلى «بني سنان». ولعل المقصود بذلك الشنانة، وهم فرع من المشارفة. ولكن هذا المصدر غير موثوق).

بني تميم(1)

القبيلة	القرية	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ نواصر(2)	المذنب	القصيم	
	الغاط	الحمادة	
	التويم		
	الروضة	السدير	
	الحوطة		
	الفرعة(3)		80
2 ـ عناقر(4)	الغسلة(5)		30
	ثرمدا	الوشم	400
3 ـ سعد	اثيثية		
4 ـ زامل	اثيثية		400
5 ـ الوهبة(6)	اشيقر		
	بريده	القصيم	650
6 ـ آل معمر	سدوس	الشعيب	100
7 ـ آل شيخ(7)	الرياض	العارض	500
8 ـ المرشد(8)	الحلوة		
	الحلة		
9 ـ العثمان			
10 ـ الرقيب	الحلة		
11 ـ الحسين		الحوطة	
12 ـ العبد الله	الحلة		

القبيلة	القرية	المنطقة	عدد الخيام
13 ـ آل شريم	الحلة	الحوطة	
14 ـ المشاري			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1899م، 1929م (المرجع: شكيب أرسلان)، قارن L. A. (de Corancez) تاريخ الوهابيين ص 177، 215. كتاب الجيب ج1، ص 611، فيلبي ج2، ص 185. ج3، ص 77، 92، 95، 97، 120، 164، 199.

2 ـ يذكرهم كتاب الجيب هاندبوك بالإضافة إلى الحوطة في المجمعة أيضاً (سدير) وفي ضرمة.

3 ـ مزرعة قرب أشيقر.

4 ـ Corancez: إينازر. هذه القبيلة ينتمي إليها مؤسس البريدة، راشد الدريبي العنقري. انظر الجزء الأول، ص 125. ملاحظة رقم 2. عندما زار أويتنغ تيماء في 1884م كان الحاكم التابع لابن رشيد من العنقري.

5 ـ استراحة في واحة القراين. حسب فيلبي يسكن الوقف الموجودة هناك أيضاً فرع اسمه لهبة (حوالى 300 نسمة).

6 ـ Corancez. كتاب الجيب يذكرهم مع المجمعة.

7 ـ أي عائلة داعية التعاليم الوهابية.

8 ـ 8 ـ 14 حسب بيانات 1899م. من المفروض أن يكون المرشد قد تنافسوا على مدى مئات السنين مع عائلة المبارك لحكم هذه المنطقة.

الجزء الثالث

القسم الثاني

العراق

«العراق الجنوبي»(*)

(*) إن المنطقة الممتدة من فلوجة إلى سامراء شمالاً وصولاً إلى نصيبين وماردين هي بلاد الرافدين وقد أسمينها في الكتاب العراق الشمالي.

أما المنطقة الواقعة جنوب الخط الممتد من فلوجة إلى سامراء جنوباً وصولاً إلى الخليج العربي فيسميها المؤلف العراق وقد أسمينها العراق الجنوبي. (م. شبّر).

مقدمة

من يقارن خرائط العراق[1] خلال العقود الأخيرة مع بعضها البعض، أو من ينظر بدقة في أطالس مختلفة إلى صورة الطبيعة هناك، يلاحظ بكل وضوح أن مجاري الأنهار والقنوات والمساحات المغطاة بالمياه هي في تبدل مستمر. وإذا ما أضفنا إلى المقارنة خرائط القرن التاسع عشر نلاحظ حدوث تغيرات أكبر وخاصة لمجرى نهر الفرات. وإذا ما بحثنا عن مراجع أقدم نضطر إلى الصعود إلى القرن العاشر لكي نحصل على معلومات دقيقة عن حالة المياه والأنهار، أمّا الفترة السابقة لذلك فلا يوجد عنها سوى معلومات متناثرة ذكرت مصادفة هنا وهناك. وأمّا الأبحاث الميدانية فتواجه المصاعب بسبب كثرة الأقنية القديمة المنهارة التي تغطي المنطقة. ومما يجعل هذا الوضع المؤسف أكثر إيهاماً ان تاريخ توطن القبائل وتنقلها يرتبط إلى حد كبير بتغير مجاري الأنهار.

يبدو أن نهري دجلة والفرات كان لهما في زمن الاسكندر الكبير مجرى مشابه لمجراهما اليوم، وكانا آنذاك يصبان منفصلين في الخليج «العربي» أو بالأحرى في بحيرة شاطئية قليلة العمق يفصلها عن الخليج عدد من الجزر الطينية. وهذا يعني أن

(1) نستعمل هنا اسم العراق بالمعنى الجغرافي الطبيعي وليس بالمعنى السياسي، وهذا ما أشرنا إليه في الجزء الأول (101 ـ 102)، كما أننا اعتمدنا لأسباب عملية خط سامراء ـ فلوجة لتحديد المنطقة التي تعينها لتفصلها عن منطقة الفرات الأعلى «العراق الشمالي».

الأراضي الواقعة على جانبي شط العرب، وهو الاسم الذي يطلق منذ بضعة قرون على نهري الفرات ودجلة منذ التقائهما عند القرنة وحتى مصبهما عند الفاو، قد تشكلت في وقت حديث من ترسب مواد الطمي التي ينقلها النهران، وكذلك الكرخة وكارون القادمان من الجبال الإيرانية؛ وكان البحر في مطلع العصور الوسطى يصل حتى عبادان (على الضفة اليسرى لشط العرب).

منذ ما قبل المسيحية كان نهر الفرات لم يعد يصل إلى البحر وإنما كان يتيه في المستنقعات، وهكذا كان الأمر أيضاً في عهد الفرس ثم في عهد العرب من بعدهم. وكان الفرات ينقسم آنذاك، في نفس الموقع تقريباً الذي ينقسم فيه اليوم، إلى فرعين: الفرع الغربي، وهو في الأصل قناة ترمي إلى توسيع رقعة الأراضي الزراعية حتى أطراف الصحراء، وكان يمر قرب الكوفة ـ الحيرة وينتهي في مستنقعات تشكلت هناك مرة أخرى في القرن التاسع عشر. وعلى مسافة غير بعيدة يبدو أن الفرع الشرقي، نهر سورىٰ، كانت مياهه تتسرب إلى باطن الأرض.

وفي هذه الأثناء غيّر نهر دجلة مجراه أيضاً. ففي مطلع العصور الوسطى ترك مجراه القديم تحت المنطقة التي تقع فيها اليوم مدينة الكوت وسار نحو الجنوب، تابعاً في بادئ الأمر نهر (شط) الدجيلة[1]، ثم دخل قبل مجرى الفرات القديم في منطقة الأهوار التي تتناوب فيها المجاري المائية التي ترسمها شجيرات الحلفاء مع البحيرات المفتوحة، وأخيراً اتحد تحت القرنة الحالية مع فرع ميّت يمتد في سيره القديم نحو الأعلى حتى عبد الله بن علي/المذار. كانت منطقة المستنقعات والبحيرات التي تغطي المساحة الواقعة بين فرعي نهر دجلة، وكذلك مستنقعات الفرات، تسمى البطيحة أو بصيغة الجمع البطائح.

يعود الفضل في وجود البحيرات القليلة العمق التي لم تزل موجودة في

(1) يظهر من المنحنى الذي يشكلها دجيلة، أن دجيلة الأعلى هو مجرى طبيعي قديم لدجلة، قد يكون هذا في مجرى العصور الوسطى وقد لا يكون. الشيء الوحيد المؤكد هو أن دجيلة يتطابق مع دجلة العصور الوسطى عند أنقاض واسط/المنارة.

المنطقة حتى اليوم إلى فيضان النهرين في فصل الربيع. فخلال فترة الفيضان، التي تمتد (في منطقة بغداد) من مارس/ آذار حتى يونيو/ حزيران، وتصل إلى ذروتها في أبريل/ نيسان، كانت ولم تزل تنغمر بالمياه أجزاء واسعة من البلاد. لكن هذه المياه لا تلبث أن تنحسر بسرعة عن المناطق المرتفعة بفعل تراجع المياه وحرارة الشمس اللاهبة، بينما تبقى بصورة دائمة في المنخفضات الطبيعية. تسمى هذه المساحات المغمورة بالمياه هور[1]، وباللهجة العامية خور، وهي كلمة تعني في منطقة مصب شط العرب وفي منطقة الخليج «العربي» "النبع المالح". من الطبيعي أن مواقع الأهوار وحجومها تتبدل تبعاً لتحول مجاري النهر وشدة الفيضان، الذي قد لا يحدث في بعض الأحيان، والجهود التي يبذلها الناس للحد منها. عندما دخل المسلمون إلى العراق كانت المستنقعات والبحيرات تغطي مساحات واسعة جداً لأن الفرس، الذين كانوا هناك قبلهم، كانوا منشغلين في حروب وصراعات على السلطة بين حكامهم الساسانيين ألهتهم عن إعارة السدود والقنوات ما تحتاجه من العناية والاهتمام، ذلك أن القنوات تحتاج إلى تنظيف مستمر من الأوحال (غير الخصبة) التي ينقلها معه النهر، أو ينبغي تبديلها بقنوات جديدة عندما تصبح الجوانب المتكونة عالية جداً بحيثَ يصبح العمل غير مجد أو يصبح جر الماء إلى الحقول غير ممكن: لأن توزيع ضغط الماء هو غرض ثانوي للفتحات، أمّا الغرض الحقيقي فهو الري الذي بدونه تتحول أرض العراق الجافة إلى صحراء.

قامت شبكة القنوات التي بناها الفرس في العراق الأعلى بسبب أن الفرات يرتفع في تلك المنطقة على دجلة بعدة أمتار. وكانت هناك أربع قنوات كبيرة تربط بين النهرين. كانت تخرج من الفرات بين الأنبار (فوق الفلوجة)[2] وتفرُّع النهر، وتصب في بغداد ثم في أماكن أبعد نحو الأسفل في دجلة. ثم أضاف العرب إلى هذه القنوات الأربع قناتين كبيرتين هما قناة النيل التي بناها والي العراق (694م ـ

(1) في العصور الوسطى استعمل الاسم فقط للبحيرات المفتوحة التي لا تحتوي على الحلفا.

(2) هذه الفلوجة تعود إلى العصور الوسطى المتأخرة. أمّا في بعض مناطق الفرات الأوسط فنجد قنوات وقرى تحمل هذا الاسم منذ العصر البابلي.

714م) الحجاج والتي لم يزل مجراها واضح المعالم حتى اليوم، وقناة الزيب التي كانت تقع تحت القناة الجديدة (المتهدمة اليوم) والتي تحمل نفس الاسم. وإذا ما أضفنا إلى هذه القنوات القنوات التي كانت تخرج من الضفة اليمنى للفرات وكذلك من فرعيه، فإننا ندرك أن النهر لم يكن آنذاك يتجاوز مجراه الأوسط. وكانت هناك شبكة أخرى من القنوات بنيت في العهد الساساني أيضاً شرقي نهر دجلة. كان الشريان الرئيسي لهذه الشبكة يبدأ فوق مدينة سامراء العاصمة اللاحقة للخلفاء العباسيين، ويسير إلى جوار دجلة الذي كان آنذاك يجري غربي مجراه الحالي، بالقرب من قناة الدجيل ثم يصب في ديالى، وهو الرافد الكبير الوحيد للنهر، ثم يفترق عنه باسم النهروان ويصب في نهر دجلة في منطقة الكوت ـ أمّا قنوات واسط ـ التي بناها الحجاج مقابل كسْكَر القديمة ـ فكانت تسير نحو الجنوب والشرق إلى البطايح، وأمّا في غرب المدينة فكانت تمتد صحراء قاحلة. وفي إطار التشكيلات السياسية، التي استوطنت منذ القرن العاشر في منطقة المستنقعات المتقلصة شيئاً فشيئاً، نشأت عند واسط شبكة قنوات جديدة. كان أهم شريان لها قناة الغرّاف التي يجري اليوم في جزئها الأسفل فرع من نهر دجلة الذي يحمل الاسم نفسه.

منذ القرن الحادي عشر أخذت شبكة الأقنية، التي كانت تنتقل عبرها كمية كبيرة من مياه فيضانات الفرات إلى نهر دجلة، تتداعى شيئاً فشيئاً[1]. ونتيجة لذلك صار جزء من مياه الفرات يخرج من المستنقعات ويصل إلى دجلة.

في القرن الخامس عشر بدأ مجرى النهرين يتغير كلياً. فقد اختفى الفرع الغربي للفرات وتوجهت مياه الفيضان المتزايدة في الفرع الشرقي إلى المجرى القديم للنهر واتحدت فيه مع دجلة. نتيجة لذلك نشأت هنا منطقة غمر جديدة وصلت إلى مسافة قريبة مما سمي لاحقاً شط العرب وأطلق عليه اسم "الجزائر". وبعد ذلك عاد نهر دجلة أيضاً إلى مجراه القديم لأن الفروع والقنوات الموجودة

(1) دمر البقية الباقية منها المغول عام 1258م.

عند واسط امتلأت جميعها بالغرين باستثناء نهر الدجيلة[1] الحالي، والغراف. إلا أن النهر وجد لنفسه وصلة جديدة مع الفرات[2] وذلك بأن شق لنفسه مقابل الكوت طريقاً إلى الغراف. في البداية كان هذا الفرع هو الأقوى وفي وقت لاحق أصبح دجلة الأقوى. وقد ظل الغراف حتى أواسط القرن التاسع عشر يصل إلى الفرات عبر مسربين. ولكنه بدأ بعد ذلك يمتلئ بالغرين. والآن تنظم توزيع المياه محطة قرب الكوت بنيت عام 1938م.

عانت النجف (التي فيها قبر الإمام علي)، والتي تفوقت في القرن الرابع عشر الميلادي على الكوفة المتداعية، من جفاف الفرات الغربي. صحيح أن بحيرة "بحر النجف" كانت تمتلئ بالمياه عندما تجري وديان البادية السورية، وصحيح أن المجرى القديم للنهر كانت تسيل فيه المياه أمام الكوفة عندما تغمر المياه منطقة الشامية على الجانب الغربي وكذلك المنطقة الممتدة بين الفرات والكوفة، لكنه لم يكن هناك مصدر دائم للتزود بالمياه. ولذلك تبرع ثري هندي في حوالى عام 1750م بالأموال اللازمة لبناء قناة جديدة من الفرات إلى المدينة المقدسة[*]. واستغرق الأمر عدة عقود حتى أصبحت القناة جاهزة للعمل. تنامت القناة التي بدأت تحت المسيّب، تنامياً كبيراً وشقت طريقها نحو الجنوب حتى وصلت إلى الفرات قبل السماوة وأخذت من النهر الرئيسي، الذي أصبح يسمى هناك شط الحلة، كمية كبيرة من المياه بحيث أصبح في نهاية القرن الماضي يبقى جافاً معظم أيام السنة. وبقي هذا الوضع السيّء قائماً إلى أن شيد عام 1913م سدّة الهندية.

ظل اسم "الشامية"، خلافاً لمعناه، ملتصقاً بالمنطقة الواقعة بين فرعي الفرات، بينما أطلق كما في منطقة ما بين النهرين اسم "الجزيرة"، على المنطقة

---

(1) أبحر فيه عام 1553م الادميرال التركي سيدي علي ريس.

(2) أول من ذكر ذلك غاسبارو بالبي عام 1580م.

(*) وهي قناة الهندية، حيث موّلت بمساهمة قدرها 500 ألف روبية من حسن رضا خان وزير «اونة» الأول لنقل الماء إلى النجف العطشى دائماً حيث انجزت في 1803م «شيعة العراق» صفحة 56، إسحق نقاش. (م. شبّر)

الواقعة بين الفرات (شط الحلة) ودجلة.

كان في البصرة ـ التي أسسها العرب في عام 636م ـ شبكة كثيفة من القنوات المائية تبدأ فوق الدير. وتجدر الإشارة إلى أن المدينة القديمة كانت واقعة على بعد 14 كيلومتر داخل البر بين البصرة الحالية والزبير. وفي القرن الحادي عشر كانت مساحات واسعة من المدينة، التي وصل عدد سكانها في أحد الأوقات إلى 200000 نسمة، قد تصحرت. وفي القرن الرابع عشر حلت محلها البصرة الجديدة.

منذ انهيار أقنية النهروان في القرن الثاني عشر الميلادي تحولت الأراضي الواقعة بين دجلة والجبال الإيرانية إلى صحراء. فقط على امتداد الطرق القديمة المؤدية من بغداد إلى إيران عبر بعقوبة وشهربان وخانقين، وإلى الموصل عبر دلتاوه «الخالص» ودلي عباس «المنصورية»، نشأت باستخدام المنشآت القديمة شبكة جديدة من القنوات تستمد مياهها من نهر ديالى. ومنذ ذلك الحين انعزلت كلياً المدينتان القديمتان مندلي وبدرة اللتان تستندان إلى آخر انثناءة لجبال (بشتي كوه) (Puschte-kuh). وتنتهي الجداول المالحة، التي تقع عليها المدينتان، قبل الوصول إلى دجلة، في أحواض مائية أكبرها هور السويقية «الشويجيه». كما أن الطيب والدويرق «دويرج» الواقعتين أكثر شرقاً، لا يصلان إلى دجلة.

لم يزل أرض السواد، منطقة الأراضي الزراعية في العراق، التي كانت في الماضي تمتد دون انقطاع من سامراء إلى البطائح، وعلى الرغم من التقدم الهام الذي حققه نظام الري هناك منذ عام 1913م، فإن الأراضي الزراعية تقتصر على شريط ضيق نسبياً يمتد على ضفاف الأنهار. ولذلك يعتمد العراق على محاصيل الحبوب المنتجة في سهول الموصل. بالمقابل تزدهر هنا زراعة (الأرز) التي لقيت تشجيعاً كبيراً على يد العرب في منطقة البطائح وتنتج فائضاً يذهب إلى البدو وإلى شبه الجزيرة العربية. وتصدر البصرة التمور إلى الأسواق العالمية.

ظل العراق حتى في عصر الانحطاط، منذ أواخر العصور الوسطى، يلعب دور الوسيط للتبادل التجاري بين الشرق والغرب. كانت طريق القوافل من البصرة

إلى حلب مزدهرة جداً وخاصة في القرنين السادس عشر والسابع عشر (انظر الجزء الأول، ص 104). وكانت الأنهار منذ القدم تستخدم للنقل على الرغم من أن حركة السفن تواجه المصاعب بسبب تغير مناسيب المياه. كانت الزوارق تُجرُّ سابقاً من الشاطىء عند تحريكها عكس التيار. ومنذ عام 1839م تسير في دجلة سفن تجارية تصل حتى بغداد. وهناك منذ الحرب العالمية الأولى خطوط للسكك الحديدية تصل بين البصرة وبغداد، وأصبحت الآن تصل أيضاً من بغداد إلى الموصل وكركوك وخانقين.

علاقة العرب بالعراق قديمة جداً. فالأمراء المحليون في شمال شبه الجزيرة العربية الذين وقفوا كمساعدين للقوى الموجودة هناك ضد الآشوريين في زحفهم نحو الغرب، هم أنفسهم الذين واجهوا تلك القوى كحلفاء للبابليين في الشرق. وأكثر من ذلك: حوالى 700 قبل الميلاد كان العرب يعيشون جنباً إلى جنب مع الآراميين والكلدانيين في جميع المدن البابلية الجنوبية من سيّار (أبوحبة) گوطا kuta (تل إبراهيم) وحتى نيبور (نفَّر) وأوروك (الوركاء). وبناء على ذلك لا بد من أن نفترض أن العرب ظلوا يتسربون باستمرار إلى العراق على الرغم من أنه لا يوجد عن ذلك سوى القليل من الأخبار المتفرقة التي يجدها المرء بين حين وآخر هنا وهناك. ولكن هؤلاء المهاجرين، وكما هو الحال في جميع البلدان المجاورة، انصهروا في الثقافة الآرامية التي فرضت نفسها في العراق تحت الحكم الفارسي (538 ـ 331ق.م) وحافظت على نفسها على الرغم من كل المستعمرين الذين جلبهم إلى البلاد الحكام الأجانب أمثال القائد الإغريقي الاسكندر، والسلوقيين، والفرشيون، والفرس. وكانت تلك الفئة منهم التي عاشت في القرن الثالث بعد الميلاد هي أول من حافظ على خصوصيتها لأنها وجدت في مملكة امرىء القيس، "ملك جميع العرب"، اللغة الفصحى المشتركة التي كان العرب حتى ذاك الحين يفتقرون إليها. ولقد تحدثنا سابقاً عن أهمية مملكة الحيرة (290م ـ 602م) التي كان امرؤ القيس ثاني ملوكها. كان حكام هذه المملكة المخفر الأمامي للملك الكبير ضد القيصر الروماني الشرقي وممثلي المصالح الفارسية في شمال شرق شبه الجزيرة العربية. وكان السكان العرب في الحيرة المنتمون إلى مختلف القبائل

العربية، ولكن دون أي علاقة سياسية لهم مع هذه القبائل، قد اعتنقوا المسيحية في وقت مبكر بينما لم ينتقل الحكم الملكي إلى هناك إلا في وقت متأخر. وإضافة إلى الحيرة كان يوجد عرب مدنيون في العاصمة الإقليمية الفارسية الأنبار الواقعة على الضفة اليسرى للفرات.

سيطرت بكر وتغلب منذ القرن السادس الميلادي على البادية المجاورة. ولكن بينما كانت تغلب تنتشر في البداية على أطراف المناطق الزراعية حتى خفان (القايم)، وهاجرت في نهاية القرن نحو الشمال الغربي بحيث أصبحت الحيرة تشكل الحدود بين القبيلتين. ومن بين قبائل بكر برز آنذاك بنو شيبان (بنو ثعلبة) والعجل. وكما هو الحال لدى تغلب اعتنق كثير من العجل وبعض الشيبانيين الديانة المسيحية.

كان بنو بكر هم الذين شنوا الهجوم على المملكة الساسانية. فقد استغلوا الخلافات على العرش في المدائن[1] (628 ـ 632م) للقيام بغارات في السواد. وفي أثناء ذلك برز زعيم بني شيبان المثنى ابن حارثة. وعندما سمع بالقضاء على الردة (على المرتدين عن الإسلام) اعتنق الإسلام وضمن لنفسه بذلك الزعامة. وقام بنصب معسكره في الخفان حيث يستطيع التحرك على أطراف مستنقعات الفرات نحو الشمال الشرقي إلى كسْكَر ونحو الشمال إلى الحيرة التي كانت آنذاك خاضعة للحكم الفارسي مباشرة. وأرسل له الخليفة أبو بكر خالد بن الوليد الذي لم يجلب معه سوى عدد قليل من القوات. فكان من الحكمة شن الهجوم على سواد الحيرة، الذي نصف سكانه من العرب، بدلاً من القيام بحملة في داخل العراق فيها كثير من المغامرة. وبالفعل فقد هزمت قوات الاحتلال الفارسية في معركتين استسلم على أثرها رؤساء القبائل العرب في الحيرة (خريف 12هـ/ 633م). وبعد وقت قصير

(1) طيسفون مقابل سلوقية، يسميها العرب المدائن، كانت في البداية المقر الصيفي، ثم أصبحت المقر الدائم، للحكام الساسانيين. ولم تزل الأنقاض العظيمة لقصر طاق كسرى ماثلة هناك حتى اليوم.

احتل المخفر الأمامي الثاني للفرس على الضفة الغربية للفرات، وهو واحة عين التمر، وشردت مجموعة من بني تغلب كانت تدافع عن الموقع. وكانت الأنبار قد سقطت قبل ذلك في أيدي المسلمين بينما كانوا لم يجتازوا الفرات في أي مكان آخر. وبعد وقت قصير من توجه خالد بن الوليد إلى سورية، أول عام 634م، اضطر المسلمون إلى اتخاذ موقف الدفاع وظلوا كذلك حتى نهاية عام 14هـ/ 635م حيث وصلت قوة لمساندتهم. وفي الوقت نفسه بدأ جيش صغير، بهدف تخفيف الضغط عن الجبهة الرئيسية، بشن هجوم على الأُبلّة التي أصبحت فيما بعد تعرف باسم البصرة. وهنا أيضاً كانت تميم وبكر قد أديتا دوراً مساعداً. وعندما سقطت المدينة اجتاز العرب النهر وتقدموا حتى المذار. وفي هذه الأثناء كان الفرس قد جمعوا قواهم واتخذوا مواقعهم وراء الفرات جنوبي الحيرة. أمّا المسلمون الذين تلقوا دعماً قوياً من الخليفة عمر فقد احتشدوا بين العذيب (على بعد 4كم جنوب غرب الرّحبة) والقادسية. كانت خراف الذبح قد جلبت من المدينة أمّا الحبوب فقد تمّ جمعها عن طريق الغزو. وفي يونيو/ حزيران 637م وقعت المعركة الحاسمة حيث انتصر 10000 عربي على أكثر من 30000 فارسي. وبعد ذلك أخذ التقدم يجري بسرعة. إذ انسحب الفرس من المدائن وتراجعوا إلى جلولاء على نهر ديالى ليدخلوا هناك معركة جديدة هُزموا فيها أيضاً. وبذلك أصبح العراق مقاطعة من مقاطعات الإمبراطورية العربية الإسلامية.

تمّ الاستيلاء على أراضي الملاّك الفرس التي أصبح جزء منها ملكاً للدولة وجزء ملكية مشتركة للمسلمين، الأمر الذي يؤدي عملياً إلى نفس النتيجة. تجمع العرب في المدينتين العسكريتين: الكوفة ـ التي تأسست عام 638م على مقربة من الحيرة ـ والبصرة (636م). توجه إلى البصرة بالدرجة الأولى بنو بكر وعبد القيس وتميم وتوجه إلى الكوفة أبناء جميع القبائل القادمة من شبه الجزيرة العربية. هنا أسندت لهم مهام عسكرية وخصصت لهم رواتب وأصبحوا نوعاً من الجيش النظامي. كانوا يسكنون في أحياء المدن، في البصرة على الأقل، منفصلين حسب الانتماء القبلي وبنفس التقسيم كانوا يدخلون إلى ساحة المعركة. وكان هذا الوضع يتكرر في "المستعمرات" أي في البلدان التي يحتلونها في الشرق. وظل عسكريو

الكوفة والبصرة على اتصال مع أبناء قبائلهم الذين استوطنوا هناك طوعاً أو كرهاً. بالمقابل فقدوا شيئاً فشيئاً صلاتهم بالجماعات التي كانوا قد انطلقوا منها في شبه الجزيرة العربية.

على الرغم من ذلك ظلوا فترة طويلة من الزمن محافظين على بعض الصفات المتعلقة بطريقة حياتهم السابقة ومنها غريزة الغيرة بين المجموعات المتنافسة والمتوارثة بالولادة في المجتمعات البدوية. في البصرة كانت القبائل تعيش في جو متأزم جداً. وكما في ما بين النهرين (الجزء الأول، ص 106) اتحدت بكر مع أقربائها ـ وهم هنا عبد القيس ـ تحت اسم ربيعة، واتحدت تميم مع قيس تحت اسم مضر. وبما أن أزد، الأزد الذين كان معظمهم قد هاجروا في حوالى 680م من عُمان، اتحدوا مع ربيعة، فقد توترت العلاقة بينهم هنا أيضاً. وبصورة عامة لم يكن هناك أي انسجام بين النظام القبلي وسيادة الدولة لأن القبيلة تحمي أبناءها وتناصرهم على السراء والضراء ليس ضد أبناء القبائل الأخرى وحسب وإنما أيضاً ضد الحكومة. وهذا الأمر لم يكن يختلف في الكوفة عنه في البصرة؛ هنا أيضاً كان رؤساء القبائل في مواقف متعارضة. وازداد هذا الميل إلى الفوضى قوة لدى المسلمين الأتقياء بسبب المآخذ الدينية على الحكام الذين بدوا لهم أنهم يهضمون حقوقهم من أمثال الخليفة عثمان (644م ـ 656م) والحكام الأمويين (661م ـ 750م)، أو بدوا لهم ضعفاء من أمثال الخليفة علي (656م ـ 661م)؛ وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن خلاص روحهم مهدد إذا ما صلوا خلف خليفة غير شرعي أو خلف ولاته.

أدى الاستياء من الخليفة علي الذي قبل بحل خلافه مع معاوية، الأموي الأول، عن طريق التحكيم بدلاً من اللجوء إلى حكم الله ـ في القتال ـ إلى نشوء فرقة الخوارج الذين اعتبروا جميع المسلمين الآخرين كفاراً. وقاموا، في بادئ الأمر في الكوفة ثم في البصرة وأخيراً في منطقة الموصل، بتشكيل مجموعات مسلحة من المتحمسين الذين أخذوا يجوبون البلاد يقتلون الأبرياء ويتصدون للقوات الحكومية المتفوقة جداً عليهم. وعند سقوط الحكم الأموي تمكن الخوارج

من ديار ربيعة (راجع الجزء الأول، ص 107) من السيطرة على كامل البلاد (745م ـ 747م). كان زعيمهم ينحدر من أسرة شيوخ قديمة جداً هي شيبان. وكان شبيب، زعيم الخوارج في الموصل، وهو شخصية جذابة بين هؤلاء المتعصبين، ينحدر من أب شيباني من نفس الأسرة ومن أم رومية كانت أسيرة حرب.

إبان خلافة علي القصيرة أصبحت الكوفة عاصمة الإمبراطورية، وبعد انتقال الحكم إلى أيدي الأمويين أصبح العراق مرة أخرى منطقة نائية بعيدة عن مركز السلطة. وقد ولد هذا لدى الشيعة "حزب" علي، الذين يرون أنه هو وأولاده الوحيدون الذين يحق لهم تولي الحكم، شعوراً بالإهمال وقلة التقدير. وأدى قتل ابنه الحسين في العاشر من محرم عام 61هـ/ 680م في كربلاء إلى تعميق إيمان الفرقة وحماسها بدافع فكرة الشهيد المقتول ظلماً. لكن هذه العقيدة ما لبثت أن التصق بها بعض العادات والأفكار الغريبة التي ظهرت في بادئ الأمر خلال تمرد المختار في الكوفة (685م ـ 687م). إلاّ أن الشيعة انقسموا بعد ذلك إلى مجموعات كثيرة مختلفة أشد الاختلاف. أهم هذه المجموعات: الاثنا عشرية (الإمامية) والسبعية (الإسماعيلية) اللتان سبق وتعرفنا عليهما (ص33، 34 أعلاه).

أدى نشاط هاتين الفرقتين، الخوارج والشيعة، إلى تسريع التقارب بين المنتصرين والمهزومين. صحيح أن العرب منحوا مجموعتين من النبلاء الفرس، الذين اعتنقوا الإسلام على الفور، الحقوق المدنية الكاملة، لكن معظم المسلمين الجدد، سواء أكانوا عبيداً معتوقين (أسرى حرب) أو أحراراً، كان عليهم أن يقبلوا بوضع يحرمهم من بعض الحقوق وهو وضع الموالي التابعين لسادتهم السابقين أو لمن أدخلوهم في الإسلام. أمّا الخوارج، لأسباب مبدئية، والشيعة (المختار)، لأسباب اضطرارية، فقد ضموا الموالي إلى مجتمعهم متمتعين بالمساواة الكاملة.

أمّا سكان الأرياف الآراميون والفرس، الذين كانوا يعيشون في واسط وفي القرى الواقعة بين بغداد وواسط، فقد ظلوا جسماً غريباً في المجتمع العربي الإسلامي المتشكل. وينطبق الشيء نفسه على الزُّط، القريبين من النَورَ (الغجر)،

الذين أسكنهم الحجاج مع جواميسهم في البطايح(*).

لم يبق من البدو سوى بكر، وقبل البصرة، تميم اللذان كانا قد تقلصا تقلصاً شديداً نتيجة الهجرة. استوطن جزء من بكر (شيبان، وأيضاً عنزة) في السهول الواقعة مقابل الموصل وبين الزابين. ويبدو أن هؤلاء المهاجرين كانوا نصف رُحّل ولذلك لم يفقدوا كلياً صلتهم مع أبناء قبيلتهم الموجودين على الجانب الآخر من الفرات.

أرغمت النشاطات التحريضية للأحزاب الدينية السياسية، وعدم إخلاص الجنود، للولاة منذ الحجاج، على جلب مزيد ومزيد من القوات السورية إلى البلاد. وكان السكان المحليون يعتبرون هؤلاء الجنود القادمين من سورية غرباء، مما جعل وجودهم يزيد من استياء السكان من الحكومة. ولذلك لم يجابه الجيش الذي شكله المولى[1] أبو مسلم الخراساني، الداعية الرئيسي للعباسيين في خراسان، مقاومة تستحق الذكر لدى العراقيين. وهكذا انتصر في معركة الزاب (749م) على الخليفة مروان الثاني، وبذلك انهارت الدولة الأموية.

في العهد العباسي اتخذت الدولة والمجتمع شكلاً جديداً. فقد تحولت الدولة العربية إلى نمط من الحكم الاستبدادي الشرقي. وبما أن الأسرة الحاكمة الجديدة التي كانت مدينة في انتصارها لجيش معظمه من الفرس، وإن كان غالبية قادته من العرب، فقد حافظت على هذا الجيش وكانت تفضل الفرس على العرب في الوظائف الحكومية، وانصهرت الأُمتان ـ العربية والفارسية ـ في العراق، وفقدت التناقضات القبلية كل أهمية عملية، وخاصة منذ أن أخذ العباسيون يستبدلون الجيش، الذي كانت تطغى عليه الشعارات القديمة: مضر وربيعة واليمن، بقوات من العبيد من الأتراك وشمال إفريقيا. وبعد أن قام الخليفة العباسي الثاني المنصور

(*) دلت الاكتشافات الأثرية واللقى الطينية عن أسلوب عيش سكان العراق في منطقة الأهوار في العهد السومري وتشابهها مع أسلوب عيش العراقيين في الأهوار في القرن العشرين. (ماجد شبّر).

(1) المفرد مولى، الجمع موالي.

بتأسيس مدينة بغداد (762م) واتخاذها مقراً للحكم ـ من عام 836م حتى عام 889م كان الخلفاء العباسيون الذين جاؤوا من بعده يحكمون من سامراء وبدأت الكوفة بالتراجع، بينما أصبحت البصرة مرفأ كبيراً. ونشأت في كلتا المدينتين (وفي أمكنة أخرى أيضاً) حياة حزبية جديدة. ولكن بينما كانت البلالية والسعدية في البصرة جماعات غير سياسية كلياً (تسمى باسم الحي الموجودة فيه)، كان العلويون والهاشميون (العباسيون) في الكوفة، وقبل أن يتحولوا في القرن العاشر الميلادي إلى مجموعات من النبلاء، ذوي صبغة سياسية. وكما في الحجاز (راجع الجزء الثاني ص461، 582 وما بعدها) فقد أعلن الثورة هنا أيضاً بعض العلويين الطموحين. إلا أن خط الإمامية والزعماء الروحيين للشيعة، اتخذوا موقفاً في غاية الحذر. وكان موقف السلطة الحاكمة تجاه هذه الأسرة متأرجحاً. وأخيراً حاول الخليفة المأمون (813م ـ 833م) توحيد الأسرتين (العباسية والعلوية) بأن عيّن صهره علي الرضا[1] ولياً للعهد وحقق بعض التقارب بين المذهبين السني والشيعي. لكن المحاولة فشلت.

بعد أقل من مائة عام من قيام الدولة العباسية بدأت هذه الدولة بالانهيار. في خراسان نشأت بعد المأمون أول إمارة شبه مستقلة (822م). وبعد نصف قرن بدأت هذه الدويلات تتشكل في كل مكان. في البداية كان حكام الأقاليم يرسلون إلى بغداد كثيراً من الأموال. ولكن منذ حوالى عام 930م بدأت الخلافة تواجه مصاعب مالية. وأصبح الخلفاء بصورة متزايدة خاضعين لقادة حرسهم الخاص حتى الترك الذين كانوا يتصارعون على السلطة مع الوزراء وأصحاب الحظوة وطواشيي القصر.

مع انقطاع خط الإمامية[2] في عام 260هـ/ 874م تحررت الدولة من النشاطات السرية المعادية التي كان يقوم بها أتباعها. وبدأ الشيعة (الإمامية) ينظمون أنفسهم

(1) الإمام الثامن (عند الشيعة الاثني عشرية).

(2) الحسن العسكري، الإمام الحادي عشر. وفيما إذا كان الحسن العسكري له ولد ويعتبره الشيعة الإمام الثاني عشر وينتظرون ظهوره مرة أخرى آخر الزمان، فهذا أمر مشكوك فيه.

كنوع من "الكنيسة". وكان ينتمي إلى الشيعة عائلات مرموقة كالحمدانيين[1]، الذين حكموا في وقت لاحق الموصل وحلب، وموظفون كبار وتجار وجماهير الكرخ، الحيّ التجاري في بغداد، الذين كانوا بين حين وآخر يهدئون غضبهم بالتظاهر والقيام بأعمال الشغب. وبانسحاب الشيعة من السياسة أصبح الطريق مفتوحاً أمام الإسماعيليين الأكثر خطورة والذين يسمون في شبه الجزيرة العربية والبلدان المجاورة القرامطة. وما كان قد أدى إلى الثورة القرمطية في المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية (راجع ص33، 34 أعلاه) تكرر بشكل مخيف في العراق. ففي خريف 869م، بعد عام واحد من هروب العلوي، أو العلوي المزيف، من البحرين، أشعل في جنوب العراق ثورة الزنج، العبيد السود القادمين من شرق إفريقيا، الذين حولوا أراضٍ مالحة قرب البصرة إلى أراضٍ صالحة للزراعة عن طريق قشط الطبقة المالحة. وخلال وقت قصير سيطر على منطقة مصب دجلة واحتل عام 871م البصرة. وبعد القيام بعدة حملات في منطقة خوزستان (الفارسية اليوم) توغل الزنج نحو الغرب في منطقة الأهوار الخالية من السكان تقريباً والتي لا يملكها أحد. وكان الزط قد هُجِّروا عام 835م لأنهم شلوا عدة أعوام حركة السفن بين البصرة وواسط. ومنذ ذلك الوقت تسرب بعض الباهلة Bahila من منطقة الطف[2]، الواقعة على أطراف بادية خفان (القايم)، إلى منطقة البطايح. وهؤلاء الباهلة هم من قبيلة استوطنت في البصرة وحولها خلال فترة الفتح الإسلامي. وبما أن الباهلة كانوا عازمين على التمرد أيضاً فقد قامت بتأديبهم عام 871م قوات كانت في طريقها لقمع تمرد الزنج. ومن المفهوم أنهم وضعوا أنفسهم بعد ذلك تحت تصرف الزنج. وقام أحد أبناء القبيلة، الذي كان قبل بضعة أعوام يتولى إدارة البطايح، بقيادة الزنج في تلك المنطقة الوعرة (876م) وأصبح بعدئذ ممثلهم في الطف. وفي عام 878م احتل الزنج واسط. لكنهم أرغموا بعد ذلك على التراجع شيئاً فشيئاً. وفي عام 883م قضى على تمردهم الموفق (أحد أخوة الخليفة الحاكم

(1) من أتباع تغلب.

(2) كثبان رملية تمتد على طرف الصحراء من خفان (القايم) حتى قرب البصرة.

في بغداد) وابنه المعتضد الذي أصبح خليفة فيما بعد.

بقيت الحملات التي شنها قرامطة شرقي الجزيرة العربية، والتي ذكرناها في الصفحة 36، 37 أعلاه ـ وتمرد قرامطة سورية ـ الرافدين (901م) الذي قضي عليه بصعوبة بالغة خلال الأعوام 904م ـ 906م، مستمرة في المرحلة التالية من تاريخ الخلافة. ولكن قبل التحدث عن هذا الموضوع لا بد من التحدث أولاً عن القبائل التي طرأ عليها إبان ذلك بعض التغير.

منذ عام 251هـ/ 865م نسمع عن هجمات يشنها البدو على الحدود الغربية للعراق (تكريت ـ الأنبار) وعلى سواد الكوفة. وكانت أقوى تلك القبائل البدوية قبيلة بني شيبان التي كانت قد تشكلت من جديد كقبيلة بدوية كبيرة تقضي الصيف في الشمال بين الزابين (الزاب الكبير والزاب الصغير) وتضرب خيامها في الشتاء في البادية السورية، وتتقدم بين حين وآخر لتصل إلى الطفّ، بل إلى البطائح. كانت شيبان تلحق في الشمال أضراراً بالغة بالزراعة والمواصلات إلى أن أخضعها الخليفة المعتضد عام 893م. إلا أنها قدمت في بداية القرن التالي خدمات جليلة للحكومة في حربها ضد قرامطة سورية ـ الرافدين. وكانت تلي شيبان من حيث القوة قبيلة بني أسد التي تقدمت خلال القرن التاسع الميلادي من السفح الشرقي للجبل إلى جانبي طريق الحج إلى الكوفة وحتى منطقة السواد. وأمام البصرة، حيث اختفت بكر كلياً، كانت تعيش الآن تميم. وقد سمحت أسد وتميم لقائد الزنج، الذي كان جيشه يفتقر إلى الفرسان، بتجنيد رجال منهما لمحاصرة البصرة. وفي وقت لاحق خدم أيضاً كثير من البدو تحت رايته. وكانوا يأملون في تحقيق المكاسب من هذه الحرب. فقد زودوا مدينة الزنج، التي حاصرها الموفق، بالخراف اللازمة للذبح إلى أن فتح لهم سوقاً في البصرة. وأثر هذا الانتعاش الجديد للحياة البدوية تأثيراً شديداً على جيرانهم إلى درجة أن الفلاحين الآراميين الذين كانوا يعيشون بين الكوفة وواسط تبنوا التنظيم القبلي العربي، كما يتضح من تقرير عن ثورة القرامطة هناك (316هـ/ 928م).

بدأت المرحلة الجديدة في التاريخ العباسي عام 945م. في ذلك العام استدعى

الخليفة المستكفي، الذي كان غير مطمئن للظروف السائدة، البويهيين الديالمة[1]، الذين أسسوا في فارس دولة من العدم، إلى بغداد. لكنه كان بذلك كمن ينتقل من تحت المطر إلى تحت المزراب. فقد أمر أحمد ابن بويه (معز الدولة) بقلع عينيه «عين الخليفة» لأنه اشتبه في أنه يتآمر مع أعدائه. ومنذئذ لم يعد للخلفاء الذين جاؤوا بعده أي تأثير على الحكومة. لكن المسؤولين عن إدارة الدولة أنفسهم بدأوا في الجيل الثاني صراعات فيما بينهم استمرت حتى استعاد ابن أخ أحمد "عضد الدولة" إحكام قبضته على السلطة (976م). لكن أبناءه بدأوا عام 983م صراعاً فيما بينهم حسم في العراق نفسه.

في ذلك الوقت تقدم البدو إلى عمق المناطق الحضرية. واجتاز بنو أسد الفرات؛ واستوطن قسم منهم على النيل، بينما اجتاز قسم منهم دجلة ووصل إلى خوزستان (حوالى 980م). واستوطن بنو خفاجة (عقيل) القادمون من شرقي الجزيرة العربية بين هيت والكوفة. وسيطروا على أطراف البادية السورية حتى الرصافة، وفي وقت لاحق ظهروا أحياناً قرب البصرة. وقد عانت منهم منطقة الكوفة الحضرية أشد المعاناة إلى أن أعلن البويهيون حمايتهم لهم. وكان بعض العقيليين يهاجرون من منطقة ما بين النهرين إلى الطرف الغربي من العراق لقضاء فصل الشتاء هناك (انظر الجزء الأول، ص 107، ص 380).

تكيف شيوخ البدو بسرعة مع الاتجاهات السياسية السائدة وذلك بأن حاولوا تحويل المناطق التي تحتلها قبائلهم إلى إمارات. حصل شيوخ عقيل (الرافديون) (العقيليون)، الذين كانوا قد استولوا على الجزيرة (نصيبين، والموصل، وتكريت)، على جامعين (الحلة لاحقاً) وعلى الكوفة (996م)، وحصل بنو مزيد، شيوخ أسد على منطقة النيل. واعترف البويهيون بهذا الوضع لأنهم لم يجدوا أي إمكانية أخرى للحصول على الأموال من المناطق التي امتلأت بالبدو. إلا أنهم كانوا لا يريدون أن يصبح هؤلاء الأمراء المنتفعون الجدد أكبر من اللازم. ولذلك

---

(1) قبيلة إيرانية على الساحل الجنوبي لبحر قزوين.

شاركوا في الحروب التي نشبت بعد وقت قريب بين العقيليين والمزيديين وخفاجة. وكان العقيليون أول المهزومين حيث فقدوا عام 1026م أملاكهم في العراق. وبما أن محاولة أولاد ثُمال، شيوخ خفاجة، تأسيس إمارة في الكوفة فشلت، بقي بنو مزيد العائلة البدوية الوحيدة الحاكمة في العراق.

قابل إذلال الخليفة العباسي على يد البويهيين صعود الخليفة الفاطمي الذي اتخذ منذ 973م من القاهرة مقراً له. وفي عام 401هـ/ 1010م ـ 1011م أعلن العقيلي قرواش ولاءه للفاطميين وراح يدعو لهم. لكن الدعاية الفاطمية لم تقتصر على الشرق الأوسط بل وصلت إلى أعماق آسيا. وهناك بدأ تحت قيادة السلطان محمود الغزنوي (999م ـ 1030م) رد فعل السُنّة ضد الغلو. وتبنى سياسته السلاجقة، زعماء الشعب التركي الغز، الذين أخضعوا بين عام 1308م وعام 1043م شرقي العالم الإسلامي. وفي عام 1055م اتصل الخليفة القائم، الذي كان السلاجقة بصفتهم سنيين جيدين يكنوّن له الاحترام، بسلطانهم طغرل بك. ذلك أن الخليفة كان قد ضاق ذرعاً بتسلط البويهيين الذين كان يمثلهم في بغداد القائد العسكري المغرور البساسيري وفي نهاية العام دخل طغرل بك بغداد واعترف به الخليفة حاكماً؛ واقتيد آخر البويهيين إلى السجن.

في هذه الأثناء كان البساسيري قد وحد أمراء ما بين النهرين، أي العقيليين وبني مزيد وأولاد ثُمال، وراح يدعو معهم للفاطميين. وبعد أن حقق طغرل بك عدة انتصارات غيّر العرب موقفهم (بداية 1058م) لكنهم في نهاية العام عادوا إلى ولائهم للفاطميين لأن طغرل بك اضطر إلى مغادرة العراق بسبب خلافات عائلية. ولم تنته هذه اللعبة إلا بوفاة البساسيري في مطلع عام 1060م. ولم ينتصر السُنّة على الغلو وحسب وإنما على الشيعة أيضاً، وذلك لأن البويهيين وبني أسد، مع أمرائهم بني مزيد، كانوا جميعاً من الشيعة.

في عهد السلطان السلجوقي ملكشاه (1072م ـ 1092م) بدأ الوزير نظام المُلْك بالتخلص من الزعامات العربية. كان بنو مزيد الوحيدين الذين احتفظوا بزعامتهم. أدى سقوط العقيليين، أمراء ما بين النهرين (1096م)، إلى مجيء قبيلة جديدة من

بني عقيل إلى العراق هي عبادة. وشأنهم شأن خفاجة وبني شيبان أصبح بنو عبادة تابعين لأمير من بني مزيد اسمه صدقة (1086م ـ 1108م) وأدى نشوب حرب بين ولدي ملكشاه، بركياروق محمد(*)، (1099م) إلى تمكين صدقة من توسيع املاكه في الكوفة وهيت وواسط ولفترة قصيرة في البصرة. لكن تنامي سلطة صدقة ونفوذه أثار قلق السلطان محمد الذي استغل رفض صدقة تسليمه لاجئاً سياسياً وشن عليه حملة عسكرية سقط خلالها قتيلاً ـ وهكذا قضي على شخصية من أنبل الشخصيات التي أنجبها العرب.

أدت الصراعات بين أبناء وأحفاد السلطان محمد (1114م ـ 1117م)، أو بالأحرى بين الاتابكيين، والغيرة بين الأتابكة والوزراء، إلى تفتيت سلطة الأسرة الحاكمة بحيث أن الخليفة المسترشد اكتسب بعض النفوذ السياسي منذ عام 1123م. صحيح أنه سقط عام 1135م ضحية سعيه إلى الاستقلال، وصحيح أن ابنه عُزل بعد عام واحد من تنصيبه، لكن خليفتهما حقق الهدف، في عام 1157م انتهى حكم السلاجقة من العراق.

بسبب انجرارهم إلى الصراع الدائر بين السلطان والخليفة فقد بنو مزيد عام 1150م عاصمتهم الحلة التي كانت منطقتهم في آخر الأمر تقتصر عليها. فقد طرد أتباعهم بنو أسد "الذين وقفوا عام 1157م ضد الخليفة" من الحلة ومحيطها عام 1163م بعد معارك طاحنة. ولكي تحارب الحكومة بني أسد استعانت بالمنتفق وهم عقيليون من الجزيرة العربية كانوا منذ القرن الحادي عشر ينتقلون بين الكوفة والبصرة. وفي داخل العراق أيضاً ظهرت آنذاك قبائل جديدة نذكر منها على سبيل المثال ربيعة الذين كانوا نصف رُحّل وكانوا يسيطرون على الفلاحين والسكان في منطقة المستنقعات قرب السيب والغراف. وحاول شيوخهم بنو معروف الاستقلال. لكن الخليفة الذي كان قد استعاد بعضاً من قوته لم يحتمل وجود أمراء إلى جانبه في العراق. فأرسل لهم قوة ضخمة هزمت بني ربيعة عام 1219م. وفرّ

(*) محمود وليس محمد (المصدر تاريخ الخلفاء السيوطي ـ ص 340) (م. شبّر).

شيوخهم (بنو معروف)، لكنهم عندما سلموا أنفسهم بعد فترة من الزمن أُبيدوا عن بكرة أبيهم.

كان الخليفة الناصر آنذاك (1180م ـ 1225م) يسعى جاهداً إلى زيادة النفوذ المعنوي والسياسي للخلافة في العالم الإسلامي. وبالفعل عرف كيف يؤثر على الناس باستعمال العديد من الوسائل المختلفة. فقد تبنى الشيعة (الإمامية) ولقي قبولاً واعترافاً حتى لدى الإسماعيلية. وحصل من الإرث السلجوقي على خوزستان (1195م). وحمى حدود العراق الصحراوية من غارات القبائل البدوية بأن استعان بالأمير محمد العيوني (انظر ص 40، و193 أعلاه) في خدمته. ولكي يتحرر من ضغط خوارزم شاه خليفة السلاجقة، حرض عليه القائد المغولي جنكيز خان دون أن يعرف كم هي مخيفة المصيبة التي ستترتب على ذلك (1218م). في عام 1225م مرَ عبّر خوزستان والعراق متجهاً نحو الشمال آخر خوارزم شاه قادماً من الهند التي كان لجأ إليها هرباً من المغول. وقام جنوده المرتزقة الجائعون بأعمال السلب والنهب في طول البلاد وعرضها، وفعل البدو الشيء نفسه.

بعد ذلك بقي لخلفاء الناصر فترة 33 عاماً. ففي يناير/ كانون الثاني 1258م حاصر المغول بغداد. وفي العاشر من فبراير/ شباط استسلم الخليفة المستعصم. فقام المغول بإعدامه ودمروا المدينة تدميراً كاملاً. ولم تشف بغداد أبداً من هذه الضربة، ولم يتمكن العراقيون أبداً من إعادة بناء شبكة الأقنية التي دمرها المغول والتي كانت تصل بين الفرات ودجلة وتحمي في الوقت نفسه بغداد من الفيضان.

بعدما فشل المغول في زحفهم نحو الغرب وانهزموا عام 1260م في معركة عين جالوت أنظر الجزء الأول ص406، أصبح العراق مخفراً أمامياً لمملكة الإلخانية ـ هكذا كان حكام المغول الغربيون يسمون أنفسهم ـ ضد مملكة المماليك. وكان كِلا الطرفين يحاولان كسب تأييد البدو. وكان السلطان بيبرس يدفع مرتبات لخفاجة وعبادة كي يقدموا له خدمات تجسسية ويزعجوا المغول بشن غارات متفرقة عليهم بغرض السلب والنهب. لكن كِلا القبيلتين كانت لهما علاقات وثيقة جداً مع أسواق العراق مما جعلهما غير قادرتين على التفرغ فترة طويلة من

الزمن لمقاومة المغول. ولقد تحدثنا في الجزء الأول ص515، 516 عن الجهود التي بذلها المغول لكسب تأييد بني فضل، القبيلة المسيطرة على البادية السورية. فقد أعطوا عام 1312م أميرهم مهنا الحلة والكوفة وواحة شثاثة «شفاثه» ـ التي كانت سابقاً في أيدي أولاد ثمال.

وأعطوا عام 1314م أخاه الفضل البصرة. وكان المغول الإلخانيين أهملوا العراق فترة من الزمن. ولم ينل حقه من الاهتمام إلاّ في عهد غازان (1295م ـ 1304م) أهم حكامهم وأول من اعتنق الإسلام من هذه الأسرة الحاكمة. وبوفاة أبي سعيد (1316م ـ 1335م) لم يبق لهذه الأسرة أي وريث ذكر. فتبع ذلك فترة من الفوضى وأخيراً قسمت المملكة. فكان العراق من نصيب الأمير الشيخ حسن جلائري الذي كانت تربطه بالأسرة الإلخانية صلة القرابة من جهة أمه.

بدأ انهيار العراق بتقسيمه إلى منطقتين، بغداد والبصرة. ثم استمر التقسيم تحت حكم الإلخانيين اللاحقين: كان يحكم النجف، التي كانت سيطرت على الكوفة، نقيب الأشراف الذي كان يعيّنه السلطان الإيلخاني لكنه كان فيما عدا ذلك مستقلاً تماماً. واستمر هذا الوضع الخاص الذي أعطي للنجف، ثم في وقت لاحق لكربلاء التي فيها قبر الحسين، حتى عام 1908م(*). في عهد أبي سعيد كان ابن أخ أمير المدينة نقيباً في النجف. وفي أعوام الفوضى بعد وفاة أبي سعيد سيطر أحد أشراف مكة على مدينة الحلة وحكم هناك إلى أن قتله السلطان شيخ حسن الجلائري ومنذ ذلك الوقت أصبح العراق فردوس الأشراف «السادة». وبينما كان هؤلاء المغامرون ينزلون في بادئ الأمر في المدن، توجهوا في وقت لاحق إلى القبائل. وعن طريق المصاهرة مع الشيوخ حصلوا على ملكيات عقارية وعلى النفوذ. ولم يزل السادة، هكذا يسمى الأشخاص المنحدورن من أسرة النبي محمد، حتى اليوم أقوياء في مختلف أرجاء العراق.

(*) لقد وقع خطأ مطبعياً في الكتاب الألماني فليس صحيحاً أن استمر الوضع إلى عام 1908م بل إلى 1337م سنة سيطرة حسن الجلائري على العراق وبالتالي أنهى الوضع السابق. (ماجد شبّر).

حققت بَدْوَنَةُ العراق في العهد المغولي مزيداً من التقدم. انتقلت خفاجة من منطقتها القديمة بين هيت والكوفة إلى المنطقة الواقعة بين الكوفة وواسط. ولم تكن القوافل تستطيع الانتقال بين المدينتين إلا تحت حمايتهم. وإلى الجنوب الشرقي من واسط وجد بقية بني أسد موطناً جديداً. وفي الجنوب دخلت المنتفق وعبادة إلى أعماق منطقة المستنقعات.

كان السلاطين الجلائريون، خلفاء الأسرة الإيلخانية، يقضون الصيف في تبريز والشتاء في بغداد. وتمكن الحاكمان الأولان من هذه الأسرة من إعادة الأمن إلى البلاد. ولكن في الجيل الثالث اندلعت في الأسرة حرب بين الأخوة. وفي عام 1384م أعاد السلطان أحمد بن أويس إلى المملكة وحدتها من جديد. وسادت البلاد بعد ذلك فترة من السلام استمرت عشر سنوات إلى أن جاء الغزو المغولي الجديد الذي قلب دول الشرق الأوسط رأساً على عقب.

في أواخر صيف 1393م وقف تيمور لأول مرة أمام أبواب بغداد. فسقطت المدينة دون مقاومة. وكان السلطان أحمد بن أويس قد ولى هارباً. وقامت مجموعات من الجنود بتدمير البلاد حتى واسط والبصرة. وفي صيف 1401م ظهر تيمور مرة أخرى في العراق. وعندما انسحب أمر بترك بغداد مدينة مهدمة وخالية من السكان. كما دُمرت أيضاً الحلة وواسط. أمّا النجف فلم تتعرض لأي أذى. وفي شتاء العام نفسه احتُلت بغداد للمرة الثالثة من القوات المغولية. ومرة أخرى تمكن السلطان أحمد من تغطية فراره عن طريق تحطيم الجسر المتحرك (العبّارة) عند الحلة. وفي الربيع غادر المغول البلاد. وبعد عام واحد (1403م) كُلِّف حفيد تيمور، ميرزا أبو بكر، باحتلال العراق بصورة دائمة. فقضى على قره يوسف، رئيس سلالة قره قويونلو التركمانية، الذي كان السلطان أحمد بن أويس قد اضطر قبل ذلك بوقت قصير إلى التخلي له عن البلاد، وتولى مقاليد الحكم.

بوفاة تيمور في فبراير/شباط 1405م انتهت فترة السلام القصيرة. صحيح أن السلطان أحمد تمكن من استعادة السيطرة على بلاده، لكنه طُرِد من الشمال ثم أرغمه قره يوسف عام 1410م على التخلي عن العرش وأعدمه. بقيت للجلائريين

المناطق الواقعة تحت بغداد[1] والمدينتان المقدستان (النجف وكربلاء) وخوزستان إلى أن انتزعت منهم على يد خلفاء تيمور (1421م ـ 1424م). في عام 1432م حاصر آسبان ميرزا، ابن قره يوسف، آخر السلاطين الجلائريين في الحلة ثم احتل المدينة. وفي عام 840هـ/ 1436 ـ 1437م اعتنق المذهب الشيعي الذي كان آنذاك مزدهراً في العراق وفارس.

في هذه الأثناء كان العراق الأدنى قد أصبح في يد البدو. في منطقة واسط كانت عبادة أقوى القبائل، وكان شيوخها يحملون لقب أمير حصلوا عليه من المغول أو من الجلائريين لقاء عهد الولاء والتأييد. وكانت أسرة أميرية ثانية، هي آل عليّان، تحكم الجزائر، منطقة الأهوار في أسفل دجلة وشط العرب. وكانت بعض القبائل الأخرى قد انضمت في هذه الأثناء إلى بني أسد. أمّا بجوار الأقنية فوق واسط، وفي منطقة المستنقعات التي تشكلت على امتداد مجرى دجلة السابق (واللاحق) حيث كان يعيش مربّو الجاموس الذين كان جيرانهم يسمونهم احتقاراً "معدان".

في حوالى عام 840هـ/ 1436م ـ 1437م ظهر بين هؤلاء المعدان "سيّد" حقيقي أو مزعوم ادعى بأنه رسول المهدي الإمام الشيعي الثاني عشر المنتظر، لا بل بأنه المهدي ذاته. وكان اسمه محمد بن فلاح[2]. وعلى الرغم من تعرضه لبعض الفشل تزايد عدد أتباعه بسرعة كبيرة لأن الظروف كانت مؤاتية. ذلك أن آسبان ميرزا لم يحتل العراق الأدنى ولم يكن في وسع القوة العسكرية التابعة للجلائريين والموجودة في واسط أن تفعل أي شيء ضده (أي ضد محمد بن فلاح) (في بداية عام 1441م). وفي العام نفسه (845هـ) احتل الجزائر. وبعد وقت قصير تمكن من دخول الحويزة عاصمة خوزستان الغربية. فقد تخلى وزير التيموريين في شيراز عن الحويزة لأنه كان يريد تفادي الصدام مع آسبان ميرزا المتقدم، كما أن

(1) في عام 824 هـ/ 1421م كانت بغداد في يد الجلائريين.

(2) مزيد من التفاصيل عنه في الجزء الرابع.

ميرزا تفادى لأسباب مشابهة القضاء على المهدي بعد أن كان قد هزمه.

استغل محمد بن فلاح هذا الوضع ليشن حملة في العراق اجتاز خلالها الفرات ووصل إلى الرماحية. وفي عام 1453م شن ابنه مولى علي حرباً جديدة دمر خلالها واسط والنجف وابتز بغداد والمناطق المحيطة بها بتهديدها بالنهب والحرق. وكانت بغداد بلا حماية لأن جهان قره قوينلو، الذي كان منذ بضعة أعوام قد أصبح حاكماً على غرب إيران، استدعى ابنه من بغداد دون أن يسمي خلفاً له. بعد وفاة مولى علي (861هـ/ 1456م ـ 1457م) وحّد أمير عبادة قبيلته مع قوات بغدادية لكي ينهي هذا الوضع المؤلم. لكن محمد بن فلاح تصدى له وهزمه هزيمة نكراء قرب واسط. توفي محمد بن فلاح عام 870هـ/ 1465م ـ 1466م، وبقي أحفاده من بعده يحكمون في الحويزة حتى القرن الحالي، ومنذ حوالى 1510م كتابعين للحكم الفارسي.

خلال أعوام 1467م ـ 1469م اكتسح تركمان آق قوينلو مملكة قره قوينلو وحوصرت بغداد مرة أخرى. أمّا البصرة فقد كانت من نصيب شيوخ عرب من الجزائر والمنتفق.

في نهاية القرن بدأ الصعود الأسطوري للشاه إسماعيل الصفوي مؤسس الدولة الفارسية(*) كان الشاه إسماعيل ينحدر من أسرة دراويش شيعية واسعة النفوذ كان أتباعها يطيعونها إطاعة عمياء وقد تمكن من تمزيق مملكة آق قوينلو ذات التنظيم السيّىء. وفي عام 1502 توّج في تبريز. وما لبث أن تخلى عن التعاليم الصوفية الغنوصية (معرفة الذات الإلهية) التي كان تربى عليها وأعلن مذهب التشيع (الإمامية) مذهباً للدولة. وبعد أن وسع حدوده الغربية حتى الفرات الأعلى، وجه اهتمامه إلى العراق. وفي نهاية عام 1508م دخلت قواته بغداد. وبعد وقت قصير

(*) إسماعيل الصفوي. مؤسس الدولة الصفوية في إيران تولى السلطة عام 907 هـ وتوفي عام 930هـ (هو الذي فرض التشيع الاثنا عشري على الدولة قسراً وجعله المذهب الرسمي للدولة). (ماجد شبّر).

تبعها هو شخصياً فزار المدن المقدسة وأدّب في طريقه قبيلة الغازية التي كانت احتلت شيئاً فشيئاً المنطقة التي انسحبت منها خفاجة بين هيت والسماوة.

لقي الحكم الفارسي الترحيب في العراق، وإن كان السنيون في بغداد شكوا من تراجع دورهم ومن مقتل بعض المتحمسين الانفعاليين منهم. ولكن هذا الحكم لم يدم طويلاً، لأن صعود فارس توافق مع توسع الإمبراطورية العثمانية نحو الجنوب والشرق. ومنذ انتصار السلطان سليم في جالدران حيث دارت أول معركة بين الفرس والعثمانيين (1514م) ولم تتوقف الحرب بين السلطان والشاه إلا نادراً.

اتخذ العثمانيون من سقوط ذو الفقار، الذي كان قد اغتصب السلطة في بغداد وراح يدعو للسلطان (1529م)، ذريعة لاحتلال العراق. في نهاية عام 1534م دخل السلطان سليم الكبير بغداد بعد مسيرة صعبة عبر فارس. وبقي هناك حتى الربيع لكي يأخذ جنوده المنهكون قسطاً وافراً من الراحة ويقوم هو بتنظيم إدارة المقاطعة الجديدة. وفرض السلطان في العراق نظاماً لانتفاع الحكام المحليين وبقاء التزامات عسكرية ومالية تجاه السلطة المركزية، لكنه لم يستطع تطبيقه في المناطق التي يسكنها العرب وهي سناجق الحلة، والرماحية، والجوازر. واستبدل شيخ البصرة السيادة الفارسية بالسيادة العثمانية. وعومل الشيعة معاملة حسنة. وقام السلطان بزيارة المدينتين المقدستين ونفذ مشروعاً لتزويد كربلاء بالماء تماماً كما فعل الشاه إسماعيل بالنسبة للنجف. لكن رجال الدين الشيعة رفضوا كل سبيل للتفاهم واعتبرت القبائل الحكم التركي حكماً معادياً.

تبع ذلك 86 عاماً من الحكم العثماني اتسمت بحالة من الهدوء النسبي. فقد اقتصرت المعارك على المناطق الحدودية ولم تتخذ حجماً كبيراً إلا بعد 20 عاماً من السلام (1555م ـ 1575م). في عام 1584م احتلت الضفة اليسرى من دجلة الأسفل التي كانت حتى ذلك الحين تابعة للحويزة. ثم حلّت فترة سلام جديدة من عام 1590م حتى عام 1602م. كما أن الحرب التالية لم تمس العراق إلا قليلاً (سلام عام 1619م). في الداخل تبين بعد وقت قصير أن الحكم العثماني المباشر لبغداد وغير المباشر للبصرة سيؤدي إلى حدوث مشاكل. ففي عام 1546م احتلت المدينة دون

جهود كبيرة. ولكن بعد ثلاث سنوات حدث تمرد لقبائل الجزائر أدى إلى شل الحكومة في البصرة إلى أن جاءت قوات من بغداد وفرضت النظام من جديد.

في حوالى عام 1575م جاءت قبيلة جديدة متفرعة من طي، هي بنو لام، واحتلت ضفة دجلة بين الوادي (مجرى جداول بكساية) والعمارة وتقدمت حتى الجبال الإيرانية وحتى نهر الكرخة في منطقة الحويزة. وأصبحت أجزاء من ربيعة خاضعة لبني لام، إذ كانت قبيلتهم الأم قد غادرت المنطقة إلى منطقة تفرع دجلة وإلى الغراف، خاضعة بني لام.

كان العثمانيون في صراعهم مع الفرس هم المهاجمون في بادئ الأمر، لكن هذه العلاقة انعكست في عهد الشاه عباس الكبير (1587م ـ 1629م). إذ قام خائن هو بكر الصوباشي (ضابط شرطة) بتمهيد الطريق له إلى بغداد. وكان الصوباشي قد عزل عام 1619م بكلربك «رئيس البيگات» الضعيف ووضع نفسه عام 1621م مكانه. وتحت ضغط الجيش العثماني طلب النجدة من الفرس، لكنه أغلق في وجههم أبواب المدينة بعد أن اضطر قائد الجيش التركي للاعتراف به بكلربك «رئيس البيگات» على بغداد. وبعد حصار دام نحو ثلاثة أشهر فتح ابن الصوباشي أبواب المدينة الجائعة أمام الفرس. فدخلوها وقتلوا مئات السُنّة وسبوا آلاف النساء والبنات وباعوهن كعبيد في فارس (1623م).

لم يقبل العثمانيون بهذه الخسارة بل قامت الجيوش التركية عام 1625م حتى 1626م وعام 1630م بمحاصرة بغداد أشهر عديدة لكنها أرغمت في المرتين على الانسحاب تحت ضغط الجيوش الفارسية التي جاءت لنجدة المدينة. وشاركت في هذه الحرب مجموعتان من القبائل هما الموالي إلى جانب العثمانيين والغازية إلى جانب الفرس. واقتداء بقبيلة أبو ريشة، التي كانت قد أقامت منذ عام 1550م دولة في وادي الفرات بين قلعة جعبر وحديثة، أصبح بنو مهنا، شيوخ الغازية، سادة دولة مشابهة امتدت من الفلوجة حتى السماوة. وكانت كلا الدولتين تعيشان من الرسوم الجمركية التي تجبيها على طريق حلب ـ البصرة.

في يوم عيد الميلاد 1638م سلّم حاكم بغداد المدينة للسلطان مراد الرابع بعد حصار دام أربعين يوماً. وعند دخول القوات التركية إلى المدينة حدثت مصادمات ومعارك انتهت بمجزرة ضد الحامية الفارسية. وعندما انفجر بعد عدة أسابيع مستودع البارود في المدينة تكررت الأحداث الدموية. وانتشرت على إثر ذلك حالة من الرعب في البلاد بحيث لم تحدث مقاومة إلا في مكان واحد: كان شيخ الخزاعل الوحيد الذي ثار عام 1639م ضد العثمانيين قرب السماوة. صحيح أنه انهزم وأرغم على الفرار إلى إيران، لكن وقوفه إلى جانب الشاه أصبح مثالاً تسبب في نشوب عداوة بين الخزاعل والعثمانيين.

وكما حدث بعد الاحتلال التركي الأول، دخل العراق بعد عام 1638م، مرة أخرى ولفترة طويلة إلى دائرة الظل. وفي هذه المرة أيضاً كان إخضاع البصرة المهمة الرئيسية لحاكم بغداد. وقبل الاحتلال الفارسي الثاني، حوالى 1612م، قام أحد باشاوات البصرة، بعد أن تعب من النزاع المتواصل بين الحامية التركية من جهة والسكان والقبائل الرافضين من جهة أخرى، ببيع منصبه لرجل نبيل وغني من الدير اسمه أفراسياب. وكان أفراسياب باشا وابنه علي باشا مجبولين على حب السلطة. فقد وسّعا المنطقة الضيقة التي كانت تابعة للبصرة حتى جبان على الجانب الآخر من الشط وحتى العزير على دجلة، وبعد معركتين حول الجزائر حتى كوت المعمر على نهر الفرات. وكان الحظ حليفهما إلى حد بعيد: ففي عام 1625م سحب الشاه عباس الكبير فجأة ولأسباب غير معروفة القوات التي كانت تحاصر البصرة لأن الشاه كان غاضباً من الديريين (أفراسياب)(*) بسبب اتصالهم بالبرتغاليين. وفي عام 1629م تخلصت البصرة من حصار ثانٍ طويل بسبب وفاة الشاه. أمّا الباب العالي فكان عليه مراعاة الحكام الذين كان من الممكن أن يلجأوا في أي وقت إلى الفرس، واكتفى بأن يعترفوا شكلياً بالسيادة العثمانية. ونظراً لما

(*) قامت إمارة أفراسياب عام 1005 هـ بعد أن اشترى أفراسياب الذي كان كاتب للجند المحافظة في البصرة، بثمانية أكياس رومية وكل كيس رومي ثلاث محمدية على أن لا يقطع اسم السلطان من الخطبة. العزاوي، العراق بين الاحتلالين ص 149، ج4. (م. شبّر).

اتسم له الديري(*) من حكمة وتعقل فقد ازدهرت تجارة البصرة في عهده كان تجار بريطانيون وهولنديون وهنود يلتقون هناك مع تجار من القسطنطينية وسميرنا (Smyrna) وحلب ودمشق والقاهرة.

إلاّ أن الأفراسياب الثالث حسين باشا (منذ حوالى 1650م) كان من طينة مختلفة، كان يميل إلى الغرور والمبالغة في تقدير الذات ويرغب في توسيع سلطته. ولم يدرك أن زوال الخطر الفارسي سيجعل العثمانيين يحرمونه من كل شكل من أشكال المراعاة. وكان أبوه قد تراجع على الفور عندما اصطدم مع حاكم بغداد عند محاولته احتلال عرجه (فوق كوت المعمر) وزكية (فوق العزير). (**) لكن حسين لم يكن يتمتع بهذه المرونة. وأدى نزاع عائلي إلى قدوم أول حملة تركية ضده. فدخل باشا بغداد إلى البصرة بدعم من أهالي الجزائر وفرّ حسين باشا. إلاّ أن الباشا الجديد كان شديد الجشع فامتعض منه السكان وقام تمرد ضده مكّن حسين الهارب من العودة. وأسفرت أفعاله في الأحساء (راجع ص 197 أعلاه) عن قيام مشروع ثانٍ أكبر بكثير (1665م ـ 1666م). لكن الجيش العثماني لم يتمكن من الاستيلاء على القرنة وبذلك بقي حسين سيداً على البصرة وإن كان قد اضطر إلى القبول بتقييد سلطته. وأخيراً جاءت حملة جديدة في شتاء 1667م ـ 1668م أدت إلى طرده.

خلال هذه العمليات ظهر بنو المنتفق مرة ثانية، في البادية كحلفاء للأفراسياب ثم بعدئذ للأتراك. وفي العقود اللاحقة ازدادت قوتهم إلى درجة أن شيخهم مانع من عائلة شبيب تمكن عام 1694م من الاستيلاء على البصرة. وبعد ذلك هجم على منطقة الحويزة لكنه هزم على يد الوالي فرج الله خان. وبالاتفاق، ليس فقط مع سيده ملك الفرس وإنما أيضاً مع العثمانيين قام فرج الله بطرد شيخ المنتفق من

(*) ينسب أن ديري «أي كنيته» منسوبة إلى نهر الدير من أنهار البصرة (العزاوي، العراق بين الإحتلالين ج4، ص 140. (م. شبّر).

(**) يعتبر مرقد عزرا الكاتب «السوفير» الواقع بين القرنة والعمارة بالقرب من البصرة والذي يسمى «العزير» ثاني أقدس المزارات اليهودية في العراق بعد الجفل وكان يهود العراق يسمون أولادهم باسم «حسقيل عزرا» معناً تأكيداً على أهمية النبي حسقيل «ذو الكفل» وعزرا الكاتب العزير. سمير نقاش جريدة المؤتمر عدد 351 (م. شبّر).

البصرة، لكنه أرغم بعد ذلك على التنحي لصالح والٍ فارسي. وعندما عزل في الحويزة أيضاً تحالف مع الشيخ مانع لكي يسقط خليفته ـ كانت هناك تحركات للبدو في جميع أرجاء العراق: هدد الخزاعل، المتمردون منذ عدة أعوام، الحلة. ونهب بنو عمير (ربيعة) الجوازر[1]. كما أن بني لام تحركوا أيضاً. وسيطر المتمردون على كامل المنطقة الممتدة من منبع ديالى ومن الحلة حتى البصرة. واحتاج الأمر إلى قوات هائلة لاستعادة الهدوء. إذ تمّ زجّ قوات الولاية الشرقية وجميع القوات الكردية المساعدة، بالإضافة إلى تجهيز أسطول في بيره جيك في الفرات الأعلى. وسُلِّمت القيادة لباشا بغداد. تمكن الباشا من أداء الجزء الأول من مهمته دون إراقة الدماء، إذ أن بني لام تفرقوا دون قتال واستسلم مانع وفرج الله وانسحب الفرس من البصرة (1701م). لكنه لاقى مقاومة على نهر الفرات. وقد تمكن من كسر المقاومة غير أنه لم يتمكن من القبض على زعماء الخزاعل. ولذلك لم تحقق الحملة الفائدة المرجوة. ففي عام 1704م قام الخزاعل بتمرد جديد، وفي عام 1706م اندلعت حرب جديدة مع المنتفق تطلبت إرسال قوات مركزية واستمرت حتى عام 1709م كان بنو لام خصماً في غاية الصعوبة للتغلب عليهم لأنه كان في وسعهم عند الضرورة الانسحاب عبر الحدود إلى الحويزة وبالعكس. في هذه الأثناء حدثت خلافات في أسرة الوالي دفعت عبد الله خان إلى دخول المنطقة العثمانية عام 1785م[*]. وفي عام 1717م شن الأتراك هجوماً معاكساً فدخلوا الحويزة وطاردوا بني لام حتى نهر الكرخة. وفي غضون ذلك كانت قد جاءت قبائل جديدة: في نهاية القرن السابع عشر جاءت الموجة الأولى من شمر إلى حدود البادية الغربية (الجزء الأول، 218 وما بعدها) فدفعت الغازية، الذين أصبحوا يسمون باسم فرعهم القيادي قشعم (چشعم)، إلى منطقة أقرب إلى الفرات. وفي الوقت نفسه تتقدم الزبيد من منطقة الرافدين العليا إلى الجزيرة ويحولون المنطقة الزراعية، الممتدة على الفرات

(1) الجوازر ـ ذكرت كثيراً من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر ـ يبدو أنها تعني بالمعنى الضيق «الجزيرة» الواقعة بين دجلة وشط/نهر الدجيلة، وبالمعنى الأوسع المنطقة الواقعة عند تفرع دجلة. وتجدر الإشارة إلى أن الاسم قديم، انظر خورشيد وقدامة.

(*) خطأ مطبعياً الصحيح هو 1715م وليس 1785م. كما في النص الألماني. (م. شبّر).

من الحلة إلى عمق الداخل، إلى منطقة تابعة للقبيلة.

بعد عدد لا حصر له من الحملات المضنية على حسن باشا والي بغداد من وضع حدّ لحالة الفوضى السائدة. وكان حسن باشا، الذي تربّى في سراي السلطان، رجلاً مهذباً معتدلاً ومحباً للخير مما جعله يفعل الأفضل للبلد من عام 1704م حتى عام 1724م. واعترف الباب العالي بخدماته بأن ضم إليه ولايته البصرة وماردين وأعطاه نفوذاً واسعاً في منطقة كركوك. وكان عدد من أقربائه يعمل تحت قيادته ومن بينهم ابنه أحمد باشا.

توفي حسن باشا عام 1724م في كرمنشاه في إيران. وقبل عام من ذلك التاريخ كانت المملكة الصفوية قد انهارت بسبب ثورة الأفغان. وقام الشاه سلطان[1] حسن بتسليم العاصمة أصفهان والتاج لزعيم الثوار مير محمود. وكان الأتراك قد زحفوا أيضاً على فارس لكي يتقاسموا الغنيمة مع الأفغان. عُيِّن أحمد باشا خلفاً لأبيه فهجم على همدان لكنه لم يجد رداً على الدعاية التي نشرها أشرف خان الماكر (خليفة المير محمود): "السنيون ضد السنيين؟"، مما جعله يخسر المعركة ضده. وعلى الرغم من ذلك تخلى أشرف في صلح عام 1729م عن المناطق الفارسية الغربية للأتراك. لكن نادر شاه، محرر فارس، الذي كان آنذاك لما يزل في خدمة الشاه طهماسب (ابن الشاه حسين)، أعلن إلغاء الاتفاقية وإلغاء الصلح الذي عقده طهماسب مع الأتراك بعد انتصار أحمد باشا في كوريجان (1731م) في أول عام 1732م. وفي نهاية العام زحف نادر على بغداد. وسبق حصار المدينة سلسلة من المعارك العنيفة. وبعدما كانت المدينة على شفا السقوط أنقذها انتصار جيش مركزي (في 19 يوليو/ تموز 1733م) بقيادة طوپال عثمان باشا. وبعد ذلك هاجم نادر بغداد مرتين: في خريف 1733م وفي عام 1743م. وفي عام 1746م انتهت هذه المرحلة الجديدة من الحروب الفارسية، وبقيت حدود عام 1639م قائمة.

أدى غياب القوات وانشغال جميع القوى في الحرب إلى تشجيع البدو على التحرك. فوقفت شمر وبنو لام إلى جانب الفرس وهددت المنتفق البصرة. فشن

---

(1) سلطان ليس لقباً وإنما جزء من الاسم.

أحمد باشا الكهية، وقبله محمد باشا ثم سليمان باشا أبو ليلى، حملات متواصلة لإخضاع البدو؛ وكان أحمد باشا يستغل كل توقف للقتال لكي يقوم بحملات تأديبية ضدهم.

على الرغم من كل هذه الإنجازات لم تكن القسطنطينية تثق به، حيث كان مثال الصوباشي لم يزل ماثلاً أمام العين: وهو نفسه خشي على مركزه. ويقال بأنه هو الذي حرض المنتفق على الثورة لكي يثبت للباب العالي أنه لا غنى له عنه. وبالفعل فقد أعطى زعيمهم الشيخ سعدون عدداً كبيراً من الأراضي المزروعة بالنخيل المثمر قرب البصرة. أدت هذه الحيازة إلى جعل بني شبيب أو آل السعدون، كما أصبحوا يسمون لاحقاً، يتمتعون بقوة لم تتمتع بها أية عائلة مشايخ أخرىٰ.

توفي أحمد باشا عام 1747م دون أن يخلف وريثاً ذكراً. وعلى الرغم من ذلك أسس أسرة ملكية بكل معنى الكلمة: كان أبوه قد نظم حياة القصر على طريقة السراي في القسطنطينية. فكان العاملون لديه في القصر يحصلون في "غرف" مختلفة على أفضل تعليم وتأهيل مما جعلهم يصبحون لاحقاً موظفين وضباطاً. في البداية كان هؤلاء العاملون يؤخذون من عائلات تركية ومحلية؛ لكنهم فيما بعد صاروا يجندون من العبيد، غالباً من القوقاز (من الجورجيين والشركس). وزاد أحمد من حجم هذا الجهاز بحيث تولى أعضاءه شيئاً فشيئاً جميع المناصب العامة في البلاد. كما أن صهريه، سليمان أبو ليلى وعمر آغا، كانا من المماليك[1]؛ وذلك لأن أحمد باشا كعثماني لم تكن لديه أي أحكام اجتماعية (تمييزية) مسبقة. لكن الأمر كان مختلفاً لدى العرب: فعندما أمر سليمان أبو ليلى بقطع رأس الشيخ سعدون (1742م أو 1743م) حدثت ضجة كبيرة لأن عبداً سابقاً تجرأ على وضع يده على عربي حر هو زعيم المنتفق[2].

---

(1) بالتركية: كولمن.

(2) لم يزل البدو وأحفادهم حتى اليوم يسمّون أحفاد المماليك (القليلين)، ومن بينهم إحدى العائلات الأولى في بغداد، احتقاراً "الموالي".

بعد وفاة أحمد انتظر الناس في بغداد تعيين أبي ليلى خلفاً له، لكن الباب العالي كان مصمماً على وضع نهاية لسلالة حسن باشا. غير أن خطة الباب العالي فشلت لأن الأشخاص الثلاثة الذين عينهم خلال عامين فشلوا جميعاً. وفي عام 1749م جاء سليمان من البصرة، حيث كان قد عين متسلماً[1] لها قبل وقت قصير، إلى بغداد وأجبر الحكومة على الاعتراف به. ومنذ ذلك الحين فشلت جميع المحاولات الرامية إلى إبعاد المماليك. وفي كثير من الأحيان كانت تنشب خلافات بين المماليك أنفسهم حول شغل المنصب الأعلى، على الرغم من أنهم فيما عدا ذلك كانوا متماسكين جداً: فقد قام زملاء علي، خليفة أبي ليلى، (1762م ـ 1764م) بإسقاطه وتعيين عمر، صهر أحمد باشا، مكانه (1764م ـ 1774م). ولكن الاختيار كان سيئاً لأن عمر ترك وراءه دولة مفلسة والعديد من المشاكل غير المحلولة. وهكذا فقد الحكم السمعة المحترمة التي اكتسبها لدى البدو بعد الحملات التي شنها أبو ليلى.

تحدثنا في الجزء الأول عن الظروف الفوضوية التي سادت في بغداد بين وفاة عمر باشا وتعيين سليمان باشا الكبير ـ كان سليمان قد بدأ متسلماً في البصرة. وكانت البصرة المدينة المرفئية المزدهرة قد تراجعت جداً نتيجة إصابتها عام 1773م بوباء الطاعون. ثم لاح في الأفق احتمال هجوم فارسي عليها. من بين زعماء القبائل، الذين تنازعوا على خلافة نادر شاه بعد اغتياله (1747م) برز كريم خان زند الذي أصبح حاكماً على جنوب فارس وغربها. وفي عام 1765م أخضع بني كعب، وهم قبيلة كانت قد استوطنت في بداية القرن السادس عشر بموافقة أفراسياب باشا في منطقة جبان. ومنذ هذه الحملة التي قادت كريم خان إلى شط العرب كانت العلاقة بين الأتراك والفرس متوترة. ثم أدى خلاف على الحدود في كردستان إلى اندلاع الحرب. في عام 1775م بدأ حصار البصرة. صمد سليمان آغا في البصرة 18 شهراً على الرغم من أنه لم يتلق مساندة من بغداد، حيث كانت تعم الفوضى، ولأن

---

(1) مكلف بإدارة مدينة.

الحكومة المركزية التي كانت منهكة بسبب حروبها الأوروبية. وعندما تقدم الفرس بعدئذ إلى الفرات اصطدموا ببني المنتفق. صحيح أن بني المنتفق لم تشارك بكل ما لديها من قوة في الدفاع عن البصرة، لكنهم استبسلوا في الدفاع عن الأراضي العائدة لهم وهزموا المهاجمين الفرس ثلاث مرات. ظلت البصرة في يد الفرس حتى وفاة كريم خان 1779م. وعندما عاد سليمان آغا من الأسر وجد البصرة في يد المنتفق. لكن الشيخ ثامر السعدون قتل في حرب قبلية وقام خليفته ثويني بفتح أبواب المدينة له أي لسليمان آغا. وبعد وقت قصير أصبح سليمان الكبير والياً على بغداد وشهرزور (وكانت البصرة قد سلمت له قبل ذلك).

لم يكن سليمان الكبير (1780 ـ 1802م) رجل دولة مثل حسن باشا، وكان ينقصه أيضاً الحماس وطيبة القلب وحب الشهرة الذي تحلى به أحمد. لكن مظهره الخارجي كان يسحر الناس وكان حاكماً جيداً. وقد أدى بنجاح المهمتين اللتين كانتا تقعان على عاتقه وهما: إعادة النظام إلى البلاد الممزقة وحمايتها من الوهابيين. وقام بعد صراع عنيف (1787م) بطرد ثويني الذي كان قد تمترس في البصرة وعيّن مكانه حمود بن ثامر، لكنه قبله وآواه عندما عاد بعد أربع سنوات لاجئاً لا موطن له، ثم كلفه عام 1796م بقيادة حملة إلى شبه الجزيرة العربية. وأخيراً تعكرت أيامه الأخيرة بمؤامرة في القصر راح ضحيتها الكهية الذي كان رفيق شبابه وخادمه.

انتصر في الصراع الذي نشب حول خلافته صهره علي باشا (اغتيل عام 1807م). فخلفه ابن أخيه سليمان الصغير الذي راح ضحية حب السلطة لدى السلطان الجديد محمود الثاني ـ تحذير تجاهله خلفاؤه من بعده. فقد خيره رسول السلطان، الرئيس حالت أفندي[1]، بين دفع جميع الضرائب[2] المتأخرة أو التخلي

(1) ما يشبه تقريباً وزير الشؤون الخارجية.

(2) في هذه النقطة كان جميع باشاوات المماليك مقصرين ومن الواضح أنهم لم يتلقوا معونات من السلطة المركزية كسابقيهم.

عن منصبه. فرفض سليمان الخيارين. لكن قواته هربت أمام الجيش الذي حشده حالت أفندي في الموصل، وقُتل هو نفسه عند ديالى على يد شيخ قبيلة صغيرة (1810م). واعتقد المملوك التالي عبد الله باشا أنه مهدد من سعيد باشا أحد أبناء سليمان الكبير. ولجأ سعيد في آخر عام 1813 إلى حمود الثامر شيخ المنتفق. فلحقه عبد الله متسرعاً وتمكن خصومه أي خصوم عبد الله من الانتصار عليه وأسره. وبعد ذلك راح مع مرافقيه ضحية عملية ثائر (1813م). فدخل حمود إلى بغداد مع سعيد الذي كان في حمايته؛ وكان هذا نصراً لآل سعدون لا مثيل له. لم يكن سعيد مؤهلاً لمنصبه، فلم يكن عمره سوى واحد وعشرين عاماً ولم تكن لديه أي خبرة في إدارة شؤون الدولة، وخاصة بعد خلافه مع أخي زوجته ومستشاره الدفتردار (مسؤول الشؤون المالية) داود أفندي. ثم حدث تمرد بدوي رهيب شاركت فيه زبيد والخزاعل وشمر لم يتم التغلب عليه إلا بتدخل المنتفق (1814م ـ 1815م). وفي عام 1816م عُزل سعيد وعين داود خلفاً له. لكن سعيد رفض العزل وشن هجوماً بمساعدة المنتفق باء بالفشل وبسبب نفاد الأموال والمؤن اضطر إلى ترك حلفائه ولجأ إلى القلعة حيث قتله الينكجرية آغا(*) بعد أن فتح له الحراس الأبواب.

بدأ داود حكمه بعقوبات تأديبية ضد بلاط سلفه، لأنه كان قلقاً على أمنه الشخصي وكان في وضع مالي صعب. وكان الرسول الذي جلب له فرمان (قرار) تعيينه ينتظر هديته وكانت القوات تنتظر رواتبها. وفي نهاية عام 1818م بدا أن صادق بيك أراد تكرار اللعبة التي لعبها أخوه سعيد. لكن الأمر اقتصر على تمرد الزبيد والخزاعل الذي كان غير مؤات لداود لأنه جاء في وقت كان الفرس يستعدون فيه لشن هجوم ، في كرمنشاه كان يجلس محمود علي ميرزا، أحد أبناء فتح علي شاه (من سلالة القاجاريين 1796م ـ 1925م)، حاكم الولاية الغربية وكان مصمماً على إخضاع دولة بابان الكردية ووضعها تحت السيادة الفارسية. وما أن أعلنت الحرب حتى

(*) وهو محمد آغا معتمد حالت (العزاوي العراق بين الاحتلالين ج6، ص 241) (م. شبَّر).

اجتازت قواته الحدود؛ ثم شن هجومين آخرين في الأعوام التالية إلى أن أعاد سلام (صلح) ارضروم(*) (1823م) الوضع إلى ما كان عليه.

في عام 1825م عزل داود باشا حمود باشا الثامر، الذي كان تخلف عن دفع ضرائبه عدة أعوام، وعين مكانه قريباً له اسمه عجيل. لكن العجوز الضرير قاوم العزل بكل ما لديه من قوة إلى أن نجح عجيل "الكريم" في كسب تأييد المنتفق. فكافأه داود بتوسيع المنطقة الخاضعة لسلطته.

كما هي الحال هنا كانت السلطة المركزية قد تخلت في كل مكان عن الإدارة المباشرة. ففي الفرات لم يكن يوجد تحت الحلة أي موظف بعد. وفي كل مكان صار الشيوخ الكبار يؤدون دور متعهد الضرائب. وإذا ما امتنعوا عن التسديد تشن حملة ضدهم لتحصيل جميع الضرائب غير المسددة منذ أعوام. ما عدا الفلاحون العاملون على الأنهار والقنوات البعيدة عن بغداد، والذين كانوا مرتبطين قبلياً ولكن بسبب تفرقهم ليس لهم شيخ كبير واحد، كانوا تابعين لثلاثة مراكز يديرها المماليك.

أدت اضطرابات العهد الوهابي إلى هجرة قبائل جديدة إلى العراق: شمر جربا، وظفير، وعنزة ـ عمارات. ومن القبائل القديمة كانت زبيد قد أصبحت نصف بدوية، لا بل مستوطنة. وكان اتحاد القشعم قد انحل وعبر أعضاءه: سعده، ورفيع، وحميد، الفرات. وفي وقت لاحق استوطنت حميد على الغراف وانضمت إلى المنتفق؛ أمّا سعده ورفيع فما زالا حتى الآن، كالقشعم ذاتهم، بدواً رحلاً.

منذ بناء قناة الدغارة (1795 ـ 1796م) بدأت قبائل الأقرع «الاكَرع». وعفك «عفج» والبدير، التملص من سيطرة شيوخ الخزاعل وتبعتهم الجبور المقيمة على النهر باتجاه الأسفل تحت الحلة. وعلى الضفة اليسرى لنهر دجلة، تحت طيسفون (المدائن)، كانت قد استوطنت في القرن الثامن عشر شمر ـ طوقه التي جاءت من

(*) معاهدة أرضروم الأولى الموقعة في 18 تموز 1823م بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية. (م. شبّر).

الموجة الأولى لشمر، ولكنها لم تعتبر أبداً ـ لأسباب غامضة ـ شمرية تماماً.

منذ أن بدأ السلطان محمود الثاني بضرب الزعامات الإقطاعية التي انتشرت على نطاق واسع في جميع أرجاء الإمبراطورية، كانت الأبهة المملوكية قد حكم عليها بالسقوط. وكان رفض داود المساهمة في تمويل الحرب الروسية (1828م ـ 1829م) النقطة الحاسمة. فعندما قام داود بخنق الرسول الذي حمل له أمر عزله، لأنه هو نفسه كان خائفاً على حياته، لم يتبق سوى الحرب. وتولى علي رضا باشا هذه المهمة الصعبة. فخرج على رأس قوات ضعيفة في أول فبراير/ شباط 1831م من حلب. وفي الموصل انضمت إليه قوات أخرى. كما أن داود كان قد أعد العدة أيضاً وجهز ما لديه من قوات: حرس الـ 1800 إنش آغا[1] و(القوات الجديدة) التي حلت منذ عام 1826م هنا أيضاً محل الانكشارية وعددها بضعة آلاف رجل، وبعض الكتائب القديمة، عقيل، وهم مرتزقة من نجد كانوا يعملون منذ عدة عقود في خدمة المماليك. ولكن أسلحته انتزعت فجأة من يده. ففي أول أبريل/ نيسان وصل الطاعون إلى بغداد. وعندما بدأ في منتصف مايو/ أيار بالانحسار لم يكن هناك دولة ولا جيش وكانت بغداد مدمرة؛ لأنه لم يكن هناك أحد لدرء الفيضان. وفي آخر أيام الوباء أصيب داود نفسه بالمرض. وعندما تماثل إلى الشفاء بلغه أن دعاته ومعهم الأموال المخصصة لتمويل الحرب سقطوا في أيدي شمر ـ طوقة. ولم يحاول أحد منع طلائع القوات التركية ـ قاسم العمري، باشا الموصل، وصفوق «صفوك» الجربا[2]. وسليمان الغنام العقيلي[3] ـ من دخول بغداد. فغادر داود القصر وقام نبلاء ورجال دين بتسليمه لأحد ضباطه. وفجأة تغيرت مواقف الناس؛ فقد استاء المواطنون من السلوك الوقح لعقيل وشمر، وخاف من بقي على قيد الحياة من الضباط والجنود من إشاعة تقول بأن الانقلاب سيكلفهم حياتهم. وبينما كان قاسم باشا ينتظر تسليمه داود حاصرته فجأة في منزله قوة من المماليك وعقيل

---

(1) الحاشية الشخصية للباشا. كان عدد موظفيه مع حاشيتهم 1700 رجل.

(2) انظر الجزء الأول، ص 238.

(3) قاتل العقيليون عن كلا الجانبين.

وأجبرته بقوة السلاح على الاستسلام. وتمكن الماكر سليمان الغنام، الذي كان مختبئاً في السراي، من الفرار. ولكي يغطي فراره أشعل النار في القصر الذي احترق بما فيه من ثروات لداود لا تقدر بثمن. وفي هذه الأثناء كان علي رضا قد انطلق من الموصل ووصل في أول يونيو/حزيران إلى بغداد. وفي سبتمبر/أيلول عرض، بسبب خشيته من تفكك قواته، شروطاً جيدة لاستسلام المدينة. فتردد داود ونائبه في اتخاذ القرار، ولكن في ليلة 14 أيلول فتح جنودٌ أنهكهم القتالُ أحدَ أبواب المدينة وسمحوا لقوات العدو بالدخول. بعد الاستيلاء على المدينة أرسل داود إلى القسطنطينية[1]. وبعد أيام قليلة دعا علي رضا المماليك إلى اجتماع عنده كي يقرأ عليهم قائمة التعيينات. وعند انتهاء الحفل قتلهم جميعاً دون استثناء. وكان هناك عدد قليل منهم مختبئاً في الأرياف عفا عنهم علي رضا في وقت لاحق.

كان علي رضا (1831م ـ 1842م) يتصرف آنذاك بأمر السلطان. أمّا هو نفسه فكان رجلاً طيباً يسيره الآخرون. وأمّا خلفاؤه: نجيب (1842م ـ 1849م)، "محمد رشيد الكوزلكي" (1853م ـ 1858م) الذي كان يهتم كثيراً بنظافة الجهاز الإداري للدولة، (السردار الأكرم عمر باشا 1858 ـ 1859م) الذي كان جندياً من المدرسة القديمة، ونامق (1852؛ 1861 ـ 1868م) الذي أراد حل مشكلة القبائل بوسائل قاصرة، وغيرهم، فليس هناك الشيء الكثير الذي يمكن قوله عنهم. فقد كانوا جميعاً، بوعي أو بلا وعي، أدوات في عملية أدت إلى فك الروابط القروسطية، التي كانت حتى ذاك الحين تحدد العلاقة بين الحكام والمحكومين، وإلى إحلال الحكم المطلق محل النظام الإقطاعي. وعلى هذا الأساس توجب ضرب التنظيمات القبلية وتحويل زعماء البدو من أتباع (شبه مستقلين) إلى رعايا خاضعين خضوعاً كاملاً. وبما أن السادة الجدد لم يكونوا في بادئ الأمر قادرين على إرضاء القبائل وبشكل دائم. لأنهم لم يكونوا قادرين على إعطائهم، مقابل خضوعهم وتخليهم

(1) عفا عنه السلطان وحماه. وتمكن داود بعد ذلك من أن يصبح والياً على البوسنة ورئيساً لمجلس الدولة. توفي عام 1851م وكان شيخ في حرم المدينة.

عن حريتهم، الأمن على حياتهم وممتلكاتهم ولا الحماية من التعسف والاستغلال، فقد أدت هذه السياسة إلى تفتيت البلاد وزرع بذور الكراهية بين الأتراك والعرب.

استمر تحرك القبائل نحو الهندية وامتدادها حتى شط الشامية والذي كان قد بدأ في عهد المماليك. وكان المهاجرون قد جاؤوا في المقام الأول من منطقة الخزاعل بين الديوانية والسماوة، ولكن أيضاً من مناطق المنتفق ومن الحويزة نفسها. في بادئ الأمر تعايش أوائل المهاجرين مع الخزاعل، ولكن بعد ذلك حدث تباعد بين الطرفين وانفصلت قبائل الهندية وبعض قبائل الشامية بقيادة بني حسن وفتلة عن الخزاعل ـ في عهد علي رضا بدأ تمييز تعسفي لصالح زبيد. فقد عيّن نجيبُ شيخَ الزبيد وادي ابن شفلَح رئيساً للخزاعل والمجموعات التابعة لهم، إلى أن ثارت قبائل الهندية ضد هذا الترتيب وأسقطت واذي والباشا. غير أن الاضطرابات استمرت مما استدعى في الخمسينيات والستينيات إرسال عدة حملات لإخضاع الخزاعل وأتباعهم السابقين. وكان علي رضا يدلّل المنتفق لأن الشيخ عيسى السعدون التحق به في الوقت المناسب وقتل سلفه عجيل في المعركة. وبلغت أسرة السعدون ذروة سلطتها في الأربعينيات: فقد كانت تحكم من الغراف والسماوة حتى البصرة، وعلى أسفل دجلة حتى الحدود الفارسية. ولكن منذئذ بدأ نفوذها بالتراجع. في عام 1852م احتل الأتراك السماوة مما أدى إلى استقلال جماعة بني حكيم «حجيم». وقام نامق بتخليص كوت الحي عن السعدون وجزءاً من منطقتهم على دجلة. إلا أن محاولته زيادة التضييق على المنتفق باءت بالفشل بسبب تضامن السعدون معهم ولم تجلب للبلاد سوى الحرب والبؤس.

في الخمسينيات استقل البو محمد، وانحدروا من العمارة نحو الأسفل ـ معدان وقراصنة نهريون سيئوا السمعة ـ، واستقلوا عن بني لام بسبب قوة شيوخهم التي لا تراعي أي شيء. وبسبب تأسيس مديرية العمارة (1862م) فقد بنو لام مزيداً من الرعايا لأن السلطات أجّرت الأراضي لشيوخ القبائل الكبيرة مباشرة. وشيئاً فشيئاً استوطنت زبيد وربيعة، بينما أصبحت القبائل الفلاحية الصغيرة في هور عقرقوف، والدجيل وعلى قنوات ديالى، تعاني في ظل نظام زراعي متخلف من

ابتزاز جباة الضرائب وغزوات السلب والنهب التي تقوم بها عنزة وشمر.

ترك مدحت باشا، أهم رجل دولة تركي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، آثاره الإصلاحية في العراق أيضاً على الرغم من أن إقامته هناك كانت قصيرة جداً (1869م ـ 1872م) وإصلاحاته كانت متسرعة مما جعل تأثيرها غير عميق. فقد فرض نظام الطابو (لتسجيل الملكيات العقارية) في العراق لكي ينهي حالة انعدام الأمان القانوني على الملكية، الذي نجم عن نظام الأتاوات القديم، وعن عقود وبيع وشراء أراضي غير قانوينة، وعن توزيع الباشاوات (داود، وعلي رضا) للأراضي بطريقة كيفية، وعن امتلاك القبائل للأراضي بالعرف والعادة. وكان يأمل من وراء ذلك تشجيع البدو على الاستيطان، لكن الشيوخ خافوا من تكاليف التسجيل ومن تدخل السلطات في شؤونهم. وكان آل السعدون، أو على الأقل زعيمهم آنذاك ناصر باشا، الوحيدين الذين وافقوا على اقتراح مدحت باشا الذي يقضي بتوزيع أراضي منطقة القبيلة بين الحكومة وآل سعدون وتحويل منصب شيخ المشايخ إلى منصب متصرف سنجق جديد (اليوم: لواء)(*). في بادئ الأمر نجحت الخطة. وأصبحت الناصرية التي تأسست بأمر من مدحت باشا على نهر الفرات عاصمة السنجق الجديد. وقد تسابق السعدونيون في إبداء الولاء لكي يحصلوا على أكبر كمية ممكنة من الأراضي. لكن هذا الوضع قضى على تضامن الأسرة وحوّل العلاقة السابقة بين شيخ المشايخ والقبائل إلى علاقة بين مالك أرض وفلاحين. أدى هذا الوضع إلى حالة من الغضب العام انفجر عام 1878م في ثورة خطيرة ضد آل سعدون ومساعديهم الأتراك في منطقة الغراف التي شملها الإصلاح أكثر من أي منطقة أخرى. وعلى إثر ذلك تمّ التخلي عن الربط بين مركز الشيخ وصفة الموظف. ومنذئذ أصبح سنجق المنتفق يُدار من قبل الأتراك. ولكن الأتراك لم يكونوا سعداء بهذا النظام الجديد. فالاضطرابات ظلت قائمة وكانت الحكومة وآل سعدون يضطرون بين حين وآخر إلى القبول بجزء من إيجار الأرض.

(*) لقد تمّ تغيير إسم لواء المنتفق بعد أن عرف لمدة طويلة وأصبح يطلق عليه في العهد الملكي متصرفية الناصرية ومن ثم لواء الناصرية وبعدها أطلق عليه إسم محافظة ذي قار (م. شبّر).

لم يأت بعد مدحت باشا والياً هاماً. وفي مجال الإدارة كانت تُجرى التجارب، فكانت البصرة ترفع مرة إلى مستوى المنطقة المستقلة، وتوضع مرة أخرى تحت سلطة بغداد. وقام السلطان عبد الحميد بتملك مساحات واسعة من الأراضي في مناطق مختلفة وخاصة على نهر دجلة. ولم يؤدِ ذلك إلى حدوث أي تغيير في نظام التأجير القائم، ولكن مع ذلك استفاد الفلاحون من تبدل المالك لأن السلطان صار حريصاً على فتح أقنية الري وغير ذلك من التحسينات.

كان انقلاب تركيا الفتاة عام 1908م يعدّ انتكاساً في هذه الناحية وفي بعض النواحي الأخرى؛ وذلك لأن الإدارة السنيّة التي تولت إدارة الأراضي الأميرية كانت فاشلة. إذ أن بلداً متخلفاً كالعراق لم يكن ناضجاً لنظام يعتمد على الأحزاب السياسية. عندما تحوّل حزب تركيا الفتاة في السياسة الداخلية للفكر القومي ظهرت في العراق أيضاً اتجاهات انفصالية. صحيح أن بغداد ذات الأكثرية السنّية(*) والتي تحتوي على كثير من العائلات التركية ظلت موالية للعثمانيين، لكن في البصرة تحول الحزب التركي القديم، الذي يرأسه نقيب الأشراف وابنه سيّد طالب (انظر الصفحة 114 أعلاه)، شيئاً فشيئاً إلى مجموعة تسعى إلى جعل البصرة إمارة مستقلة.

وبما أن سيد طالب كانت تربطه صداقة مع الشيخ خزعل في المحمرة والشيخ مبارك في الكويت، وهما حليفان للمملكة البريطانية أو بالأحرى خاضعان لحمايتها، فقد بدأ الناس في البصرة أيضاً يوجهون أنظارهم إلى بريطانيا.

كان النفوذ الإنجليزي في البلاد قائماً منذ زمن طويل. ذلك أن تعيين سليمان

(*) بلغت في أواخر القرن الماضي نسبة عدد المسلمين إلى مجموع عدد السكان 92,88٪ وكان المسلمون ينقسمون إلى طائفتين كبيرتين هما: الشيعة والسنّة. وبلغت نسبة الشيعة الى مجموع عدد السكان 61٪، ونسبة السنّة 39٪ وذلك حسب الإحصائية الإجمالية لنفوس ولاية بغداد التي ذكرها السالنامه (cuinet) وبلغ عدد نفوس الشيعة (480,500) نسمة من مجموع السكان المسلمين البالغ (879,500) نسمة، أما المسلمون السنة فقد بلغ عددهم (309,000) نسمة أنظر إلى الإدارة العثمانية في ولاية بغداد للدكتور جميل موسى النجار/ 1991م، ص118 (م. شبّر)

باشا الكبير يعود الفضل فيه إلى العميل البريطاني في البصرة، وشيخ المنتفق حمود الثامر مدين له بحياته.

لم يتغير توزيع القبائل منذ مدحت باشا إلا في منطقة الفرات الأوسط، حيث أدى جفاف شط الحلة إلى حدوث هجرات جديدة وتقلصت بصورة متزايدة المنطقة التي تسيطر عليها الخزاعل. وعلى نهر دجلة تمكن غضبان البنيّة السريع الانفعال من القضاء على بقية شيوخ بني لام ومن إخضاع أتباع القبيلة السابقين مجدداً باستثناء البو محمد. وبعد أن طرده الأتراك عام 1911م عاد إلى النظام الذي كان نافذاً في السابق وهو توزيع الأراضي بين أربعة شيوخ، كما كان الحال لدى البو محمد. وكان نفوذ شيخ مشايخ المنتفق سعدون السعدون مقتصراً بصورة أساسية على البدو نصف الرحل في وادي الفرات الذين كانوا في الشتاء والربيع يعودون إلى البادية. ولذلك كان يشارك بحماس في نزاعات الأمراء العرب. وعندما انتقلت الاضطرابات القبلية من الغراف إلى الفرات تخلص الأتراك منه بمساعدة سيد طالب (1911م). إلا أن ابنه عجمي تمكن خلال عامين فقط من إخضاع قبائل الفرات وأصبح بذلك أهم شيخ بدوي في العراق. وفي منطقة الهندية والشامية وفي سهول الدغارة كان الزعماء المحليون يخوضون باستمرار حروباً صغيرة مع جيرانهم. ولم يكن الأمن سائداً إلا في المدن الكبيرة والمناطق المحيطة بها. في 29 أكتوبر/ تشرين الأول 1914م دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى، وفي 6 نوفمبر/ تشرين الثاني نزلت قوة بريطانية هندية عند مصب شط العرب قرب الفاو. وبعد بضعة معارك انسحب الأتراك من البصرة التي احتلها الإنجليز في 22 نوفمبر/ تشرين الثاني. وبعد ذلك هدأت الأعمال القتالية بينما احتل الإنجليز خط كارون حتى الأهواز لكي يحموا خطوط النفط حتى عبادان. وفي نهاية العام عبرت قوات تركية، يقودها شيخ بني لام غضبان الحدود بين العمارة والحويزا[1]، وتقدمت نحو كارون. وهنا كما في بقية العراق لبى الناس الدعوة التركية إلى الحرب المقدسة (الجهاد) لأنها كانت مدعومة من رجال الدين الشيعة. وهكذا تجمعت أعداد كبيرة من رجال القبائل في المنطقة الواقعة بين الناصرية

(1) هذه الصيغة حلت في القرن التاسع عشر محل الحويزة.

والزبير. وبعد بعض التردد انضم أيضاً عجمي السعدون إلى الأتراك وتبعه 9000 فرد من عشائر المنتفق. وفي 12 أبريل/ نيسان 1915م اصطدم الأتراك ـ ما بين 6000 و7000 رجل يغطيهم من الجانبين رجال القبائل (حوالى 18000 رجل)، مع الإنجليز في منطقة الشعيبة. لكن البدو غير المعتادين على نيران المدفعية لم يصمدوا طويلاً. أمّا الأتراك فقد قاتلوا ثلاثة أيام. وبعد ذلك انتحر قائدهم سليمان العسكري بعد أن أجبر على تنفيذ أمر بالتراجع. وعند انسحاب الأتراك إلى الناصرية شن عليهم العرب كثيراً من عمليات السلب والقتل. وبدأت القوات البريطانية بالتقدم على نهر دجلة. وفي أول يونيو/ حزيران دخل الإنجليز العمارة، فالتحق بهم شيوخ البو محمد. وبعد سقوط علي الغربي (يوليو/ تموز) انضم زعماء بني لام أيضاً إلى المعسكر الإنجليزي، لكنهم بدّلوا حليفهم عدة مرات حسب سير المعارك. أمّا بنو ربيعة الذين احتك بهم الإنجليز عند دخولهم الكوت (سبتمبر/ أيلول) فكانوا أكثر حذراً. وأمّا زبيد وشمر طوقة فلم يعيقوا التقدم. ولم يتمكن الإنجليز من التقدم على الفرات حتى الناصرية. وظل الأتراك مسيطرين على الشطرة الواقعة على الغراف بينما خاض عجمي السعدون بكثير من الشجاعة والمهارة حرباً صغيرة ضد الوحدات البريطانية. وكانت الإمدادات تنقل بالطريق المائي[1] إلى أن وصل إلى الناصرية خط حديدي ضيق. وكانت النشاطات السياسية على هذه الجبهة قوية جداً: إذ كسب الإنجليز تأييد حمود السويط مع قسم من ظفير، لكن محاولتهم القضاء على عجمي بواسطته، ثم في وقت لاحق بواسطة شمر وعنزة، باءت بالفشل، بحيث أن استخدام هؤلاء الحلفاء اقتصر بصورة رئيسية على الحصار (راجع الصفحة 96 أعلاه). بالمقابل قدم الأتراك للإنجليز، نتيجة عدم الحذر، على طبق من ذهب المدينتين المقدستين اللتين كانت الحكومة الهندية على صلة بهما منذ زمن طويل بسبب توزيع عوائد مبرة تبرع بها أمير هندي(*). وكانت حكومة تركيا الفتاة قد ألغت الامتيازات التي كانت تتمتع بها مدينتا النجف وكربلاء، وعلى رأسها الإعفاء من الخدمة العسكرية. ولدى محاولة القبض على فارّين وتجنيدهم بالقوة حدثت في النجف في

(1) من أجل ذلك أغلقت قنوات هور الحمّار التي كانت تستخدم لزراعة الأرز.

(*) الأمير الهندي اوده. (ماجد شبّر).

15 مايو/ أيار 1915م اضطرابات عنيفة وانتقلت السلطة في المدينة إلى زعماء «المحلات»[1]. وفي يوليو/ تموز دخل بنو حسن كربلاء وأحرقوا مع الجماهير الغاضبة مقر الحكومة؛ تولى الإدارة هنا السيد رئيس عائلة كمونة[**]. صحيح أن الأتراك أعادوا احتلال كربلاء، لكنهم في النجف اضطروا إلى الاكتفاء بمظهر السلطة. وما أن تولى الحكام الجدد مهامهم حتى توجهوا إلى الضابط السياسي المسؤول عن الحملة السر برسي كوكس، وبعد وقت قصير سعىٰ شيوخ الخزاعل أيضاً إلى إقامة اتصالات مع الإنجليز. لكن دولاب الحظ انعكس فجأة. ففي نوفمبر/ تشرين الثاني 1915م واجه الإنجليز عند طيسفون (المدائن) مقاومة شديدة أجبرتهم على التراجع. وفي 7 ديسمبر/ كانون الأول حوصر الجنرال طونزند في الكوت ثم استسلم في 29 أبريل/ نيسان بعد أن فشلت جميع محاولات فك الحصار بفضل حذاقة غولتس باشا[2]. ومن لحظة الانسحاب بدأت القبائل تلاحق الإنجليز أينما ذهبوا فتنهب المعسكرات وتهاجم المخافر وتقتل الجرحى وتنهبهم. وفي أبريل/ نيسان 1916م حدث تمرد جديد في كربلاء ثم انتقل إلى النجف والحلة. ولقيت الحلة بسبب ذلك عقاباً شديداً[*]، لكن الأتراك لم يتجرأ وا على دخول

---

(1) أيضاً الزقرت والشمرت.

(**) هو الشيخ فخري كمونه، وليس له ارتباط نسبي بعائلة السادة آل كمونه بالنجف الأشرف. لقد لعب الشيخ فخري كمونه دوراً بارزاً في الأحداث عام 1919م و1920م. فقد كان شخصية قيادية في مدينة كربلاء. لقد انطلقت هوسة شعبية. تقول: شيخ فخري لا تخاف كربلاء كلها تفك (أي بنادق) (م. شبّر).

(2) توفي في 19 أبريل/ نيسان بمرض التيفوئيد البقعي، الضابط البروسي الوحيد الذي كان الأتراك يثقون به ثقة كاملة. ومع ذلك غامر بهذه الثقة وبمركزه لكي ينقذ عائلة للحلفاء من الترحيل.

(*) هي الواقعة المعروفة بدگت عاكف، ان عاكف بك القائد العسكري للجيش التركي الذي حاصر الحلة واقتحمها وأعمل مجزرة عظمى بالحلة، يكون ما قام به جمال باشا السفاح في بلاد الشام مجزرة صغرى مقارنة بما فعل بالحلة عاكف بك. حيث بلغ من أعدم فقط دون من قتل بـ 126 شهيداً. وقد كان قائم مقام الحلة في حينه رفعت الچادرچي والد كامل الچادرچي. المصدر: تاريخ الحلة للكركوش 1965م والحلة من العهد العثماني المتأخر للدكتور علي هادي المهداوي 2002م. (م. شبّر).

المدينتين المقدستين. وفي نهاية عام 1916 استأنف الإنجليز زحفهم وطردوا الأتراك من الكوت بعد مقاومة مريرة. وفي 11 مارس/آذار 1917م دخل الجنرال مود بغداد. وتمّ احتلال الفرات من الفلوجة حتى سدة الهندية والمنطقة المجاورة لبغداد حتى بعقوبة. وبعد ذلك توقف القتال. وأدى الاستيلاء على بلدروز «يوليو/تموز» إلى وضع معظم القبائل الصغيرة المستوطنة على قنوات ديالى تحت السيطرة الإنجليزية، ثم أدى احتلال الرمادي (سبتمبر/أيلول) إلى وضع زوبع (شمر) تحت سيطرتهم أيضاً.

بقي خط الفرات من المسيب حتى الناصرية خالياً من القوات العسكرية. فقط في الحلة وضع ضابط سياسي، وفي الخريف عيّن ضباط آخرون في الشامية والسماوة. وبما أن الإنجليز كانوا يعتمدون في كل مكان على شيوخ القبائل فلم يواجهوا مع القبائل أي صعوبات إلا قرب السماوة حيث كان بنو حكيم «حجيم» قد تفرقوا منذ زمن طويل إلى عدة قبائل متعادية فيما بينها. بالمقابل سببت لهم المدينتان المقدستان «النجف وكربلاء» كثيراً من المتاعب كما كان الأمر مع الأتراك من قبلهم. وكان حكم رؤساء المحلات والنبلاء سيئاً إلى درجة لا تطاق. فقد كانوا يرهبون السكان ويسمحون لقوافل التهريب، التي كانت تنقل الأقمشة والرز والقهوة إلى سورية الجائعة وإلى الخطوط التركية في منطقة ما بين النهرين، بالعبور لقاء أتاوات معينة. ولقيت الدعاية التركية، التي استفادت من توقف العمليات، أذناً صاغية في النجف. وعندما اغتيل الضابط السياسي الإنجليزي في مارس/آذار 1918م اضطر الإنجليز إلى التدخل. وكانت الطريقة التي عالج بها الإنجليز الموقف مثيرة للإعجاب في لباقتها ومراعاتها للسكان. ولكن على الرغم من ذلك تركت مرارة لدى السكان ازدادت حدة بسبب العمليات الإنجليزية في إيران منذ خريف 1918م؛ وذلك لأن كبار رجال الدين كانوا من أصول إيرانية وكانت علاقة إيران مع المدينتين المقدستين قوية منذ زمن طويل بسبب الزيارة «العتبات المقدسة».

شكلت حالة غموض المستقبل التي عاشها العراقيون منذ هدنة مدرس (30 أكتوبر/تشرين الأول 1918م) أرضاً خصبة للأفكار القومية التي جاءت من دمشق

وتركيا. وعندما قبلت بريطانيا في 3 مايو/ أيار 1920م الانتداب على العراق كان قد فات الأوان. وجاءت الاقتراحات التي قدمها رئيس الإدارة المدنية سير آرنولد ت . ويلسن بشأن الدستور المقبل أقل جداً من مطالب القوميين الذين كانوا قد نجحوا في تجاوز الهوة بين السُنّة والشيعة وفي توحيد صفوف الشباب المتعلمين ورجال الدين والقبائل الخاضعة للنفوذ المنطلق من المدينتين المقدستين. ومن الواضح أن كل فئة من هذه الفئات الثلاث كانت تنظر إلى الهدف المنشود، أي الحكومة الوطنية، من زاويتها الخاصة. كان رجال الدين الشيعة يحلمون بدولة تيوقراطية حسب الشريعة الإسلامية، وكان المثقفون العرب يريدون دولة عربية بقيادة الأمير عبد الله[1]، وكانت القبائل تأمل في مجيء حكومة تعفيهم من دفع الضرائب. وأدى اعتقال بعض النشطاء إلى زيادة الوضع توتراً. وبسبب تراجع الإنجليز على الفرات[2]، واضطرابات الموصل، وضعف الوحدات العسكرية والتعب من الحرب في بريطانيا، بدا أن الثورة مرشحة للنجاح. واندلعت هذه الثورة فعلاً في الثاني من يوليو/ تموز في الرميثة من قبل بني حكيم «حجيم» الذين كانوا غاضبين جداً بسبب حملة تأديب لم تكن مبررة تماماً. وبعد ذلك انتقلت الشرارة إلى الشامية. واحتل آل فتلة أبو صخير، وبنو حسن الكفل؛ وبعد بضعة أيام صدّ الثوار كتيبة قادمة من الحلة. وفي الوقت نفسه انتفضت القبائل على قنوات ديالى وقطعت الاتصال بين بغداد وإيران. وحوصرت الكوفة من 20 يوليو/ تموز حتى 17 أكتوبر/ تشرين الأول. وفي أول أغسطس/ آب تمكنت حامية الديوانية من شق طريقها، وفي أكتوبر/ تشرين الأول تمّ تحرير السماوة انطلاقاً من الناصرية. وبما أن دجلة بقي مفتوحاً، ولم تشارك في الاضطرابات قبائل العراق الأسفل ولا البصرة، فقد تمكن الإنجليز من إرسال الإمدادات. وفي سبتمبر/ أيلول انتقلوا على الطريق المؤدية إلى إيران إلى حالة الهجوم. وفي أواخر الخريف كانت الثورة قد اندحرت وإن كان تسليم القبائل أسلحتها قد امتد حتى الربيع. وفي غضون ذلك كان القرار

---

(1) حاكم الأردن الذي اغتيل قبل زمن قصير.

(2) انظر الجزء الأول، ص 329.

السياسي قد اتخذ: في آخر عام 1920م تمّ تشكيل حكومة مؤقتة وفي مارس/آذار عيّن فيصل، ملك سورية سابقاً، حاكماً على العراق ثم نُصّب ملكاً في أغسطس/آب.

كانت محاولة الحصول على الاستقلال بقوة السلاح قد باءت بالفشل، ولم يبق سوى طريق العمل الدؤوب والصبور لكي يثبت العراق للعالم أنه ليس في حاجة إلى الوصاية وأنه قادر على حكم نفسه بنفسه. وأن يكون هذا الطريق قد قطع خلال أحد عشر عاماً فإن الفضل في ذلك يعود إلى فيصل الذي كان أكثر براعة ودهاء من السياسيين العراقيين غير الصبورين. توفي فيصل ـ مبكراً ـ في 8 سبتمبر/أيلول 1933م؛ وبعد أسابيع قليلة قُبل العراق عضواً في عصبة الأمم(*) وسقطت قيود الاتفاقية الأولى مع بريطانيا. أمّا الحقوق التي احتفظت بها بريطانيا في الاتفاقية الثانية فكانت بمعظمها ذات طابع عسكري. ومنذ ذلك الحين أصبحت السياسة العراقية تسيطر عليها بالتبادل تارة حكومة مؤيدة لبريطانيا وتارة أخرى حكومة "وطنية"، هذه اللعبة المزعجة التي تسببت في ثورة عام 1941م التي كانت باهظة الثمن. وبين هذين التاريخين كان انقلاب بكر صدقي عام 1936م الذي فشل بسبب عجز مدبريه. ولكن الحكومة التي فرضها صدقي، حكومة حكمت سليمان، كانت الحكومة الأولى التي سعت إلى إقامة علاقات جيدة مع تركيا وإيران بدلاً من الجري وراء شبح الوحدة العربية.

وسواء تولت الحكم هذه الجماعة السياسية أو تلك فإن السلطة الفعلية كانت على الدوام في يد الطبقة الأرستقراطية السنية المقيمة في بغداد. صحيح أنها كانت قد تخلت عن بعض المناصب للشيعة، لكنها كانت قد عززت نفوذها الاقتصادي؛ كانت مساحات واسعة من الأراضي قد انتقلت ملكيتها إليها منذ الحرب العالمية الأولى. أمّا لدى القبائل، التي تكاثرت جداً بسبب فترة السلام الطويلة وغياب الأوبئة، بحيث لم تعد تجد الغذاء الكافي في الريف، فقد تفجرت مشاعر الحقد والكراهية ضد الطبقة

(*) أصبح العراق عضواً في عصبة الأمم في الثالث من تشرين الأول من عام 1932، واعترف به دولة مستقلة. وقبل وفاة الملك فيصل، وقد ألقى الملك خطاب في مجلس الأمة يوم 1 من تشرين الثاني 1932م. تاريخ الوزارة الحسني (م. شبّر).

الحاكمة. وعبّرت هذه الكراهية عن نفسها في اضطرابات عام 1935م و1937م(*) التي برز فيها كل من سيد علوان الياسري وزعيم آل فتلة عبد الواحد الحاج سكر.

امتدت هجرة القبائل الحالية في العراق فترة زمنية تزيد على ألف عام. ويبدو أن أقدم القبائل هي قبيلة بني أسد التي جاءت في القرن التاسع الميلادي وتستوطن منذ العصر الحديث في منطقة الجزائر. ومن الممكن أن يكون بنو تميم المنتشرون في جميع أرجاء العراق ينتمون، جزئياً على الأقل، إلى نفس الموجة من الهجرة. أمّا وجود علاقة بين ربيعة والجماعة السياسية التي تحمل الاسم نفسه في مطلع العهد الإسلامي فهو أمر لا يمكن إثباته بصورة أكيدة. ومجرد تطابق الاسم لا يعني أي شيء. فالخزرج وكنانة وقريش وهذيل هي قبائل نشأت في العراق وليس لها علاقة بالقبائل التي تحمل الأسماء نفسها في الحجاز؛ فهذه الأسماء التي خرجت فيما عدا ذلك من دائرة الاستعمال ظلت حية لدى البدو وأصبحت بالتالي تطلق على القبائل. منذ العهد القرمطي أصبحت موجات الهجرة واضحة إلى حد ما: خفاجة في القرن العاشر الميلادي، عبادة والمنتفق في القرن الحادي عشر الميلادي، غازية في أواخر العصور الوسطى، بنو لام وشمّر وعنزة في العصر الحديث. ولكن هذه الأسماء لا تغطي سوى جزء من قبائل العراق الحالية. الحكايات وحدها تتحدث عن أصل الخزاعل وقبائل أخرى، وهناك قبائل مجهولة الأصل كلياً. وجميع هذه القبائل خضعت على مرّ القرون لتغيرات جذرية، فقد تفككت حيناً ثم عادت وتوحدت حيناً آخر، وانضمت إليها مجموعات غريبة، كما فقدت هي بعض أجنحتها.

جاء معظم المهاجرين، ومنهم أسد وطي، والغازية وبنو لام، من الجبال الواقعة في شمال شبه الجزيرة العربية والسهول المجاورة لها، وجاءت قبائل أخرى، ومنها خفاجة والمنتفق من شرقي شبه الجزيرة العربية. وتعيش جماعات بني خالد (أو أسلافهم، بنو عامر) بين قبائل الفرات بين الحلة والسماوة. وفي

(*) في سنة 1935، 1936م قامت انتفاضة فلاحية للمطالبة بالمساواة في منطقة عفج والرميثة (الشيعية) حيث عمل بعض الساسة في بغداد على التحريض ومن ثم استخدام هذه الانتفاضة لتحقيق أغراض سياسية وقد قمعت هذه الانتفاضة من قبل الجيش العراقي بقسوة شديدة (م. شبّر).

العراق نفسه هناك حركة تنطلق من الجزيرة فيما بين النهرين. فقد جاءت من هناك عبادة وزبيد وبعض القبائل الصغيرة، ووصلت عبادة حتى الجزائر. ولم يحدث نزوح إلا من موقع واحد هو منطقة العمارة. فقد هاجر من هناك إلى خوزستان فقط خلال الفترة الممتدة من عام 1789م حتى عام 1848م أكثر من 11000 عائلة بدوية. أمّا التحركات السكانية التي حدثت بسبب تغير مجاري المياه وبسبب نشوء وضياع أراضي صالحة للزراعة، فلا يمكن حصرها إلا في القرن التاسع عشر. ولقد أدت هذه التغيرات إلى تشتيت بعض القبائل تشتيتاً كبيراً بحيث صارت جماعات منها تعيش في طرف من العراق وأخرى في طرفه الآخر.

تنقسم قبائل العراق إلى أربع فئات. البدو والشاوية، مربو الجمال والغنم، البدو الرحل ونصف الرحل، والفلح أي البدو الذين استوطنوا. يضاف إلى هذه الفئات المعدان الذين يشكلون أدنى طبقة لأنهم يعيشون من تربية الجواميس وصيد السمك ونسج الحصر، وهي أعمال يحتقرها البدو. في القرن التاسع عشر كان المعدان ما زالوا منتشرين في جميع أرجاء العراق. ومنذ تراجع الأهوار انحصر وجودهم في منطقة دجلة الأسفل وتحولوا هنا غالباً إلى العمل في زراعة الرز التي كانت في السابق عملاً ثانوياً فقط. وتجدر الإشارة إلى أن الفلح والمعدان لا يثبتون في مكان واحد؛ فبعض الفلاحين يبدلون أماكن عملهم، والمعدان يجرون خلف المياه، بحيث أنه من الممكن تسمية الأوائل عمالاً زراعيين متنقلين وتسمية الآخرين بدو أهوار.

منذ احتلال العراق من قبل العرب اجتاحت البلاد موجات لا حصر لها من الغرباء جاؤوا بصفة مرتزقة أو عبيد أو بصفة محتلين أو حجاج أو مسافرين: فرس وأتراك، أفريقيون وقوقازيون، دلامنة(*)، مغول، تركمان، وشعوب الإمبراطورية العثمانية. ونزل الأكراد واللوريون من جبالهم، كما أن الشركس والتتر وجدوا موطناً جديداً هناك. وإذا ما كان العراق قد ظل رغم ذلك بلداً عربياً، وإذا ما كان

(*) عشائر فارسية. (م. شبّر).

الغرباء اليوم لا يشكلون سوى جزر في بحر السكان المحليين، فإن الفضل في ذلك يعود إلى الهجرات المستمرة القادمة من شبه الجزيرة العربية. أنهار من الدم العربي جرت نحو العراق واستنزفتها هناك الحروب والأوبئة والمناخ القاسي. وهناك بعض الحقيقة في المثل العربي القائل: "اليمن مهد البدو والعراق قبرهم".

لقد واجهنا في تصنيف القبائل مصاعب عديدة. وسنبدأ بزوبع على حدود ما بين النهرين وبجيرانهم حتى سدة الهندية، ثم سنتبع الهندية وفرعيه، شط الشامية وشط الكوفة. ويلي ذلك بعدئذ قبائل شط الحلة وقبائل الجزيرة، الخزاعل وقبائل أخرى حتى السماوة والغرّاف. وبعد ذلك سنتبع نهر دجلة نحو الأعلى حتى سامراء وفي المناطق البعيدة نحو ديالى. وبعد ذلك سنتحدث عن قبائل العراق الأسفل مبتدئين بقبائل الفرات. لكننا سنبدأ قبل كل شيء بمقالة عقيل لأنها ضرورية لفهم تاريخ البدو القديم.

عقيـــل

تمّ في الفصل السابق عرض تاريخ عقيل في الجزيرة العربية. إلا أننا هنا سنتحدث عن كل من عبادة وخفاجة اللتين كانتا مهمتين في العصور الوسطى. أمّا الفرع الثالث من عقيل في العراق وهم المنتفق، الذين لم يصلوا إلى أوج قوتهم إلا في العصر الحديث، فسنخصص له مقالاً مستقلاً. في البداية سنتحدث باختصار عن أسرة العقيليين الحاكمة المنحدرة من عبادة، وفي الختام سنقدم عرضاً لتلك الجماعة الغريبة التي ورثت اسم القبيلة عقيل/عجيل.

بما أن عبادة قدمت إلى العراق عن طريق سورية، يجب في بادئ الأمر أن نتحدث عن تلك العقيل التي اضطرتها حروب الفتح في أوائل العصر الإسلامي إلى التوجه نحو الشمال. وكان مصير هؤلاء المهاجرين كمصير بقية القبائل القيسية في سورية وبلاد الرافدين فقد شاركوا في الحروب الحزبية التي دارت في العهد الأموي وتحولوا إلى مستوطنين ـ كانت لعقيل مستوطنة كبيرة على نهر الخابور[1] ـ أو صعدوا إلى مرتبة ملاّكِ الأراضي والأمراء الصغار. وفي أواخر عهد الدولة الأموية كان أحد أبناء هذه القبيلة المدعو أبو صفوان إسحاق ابن مسلم العقيلي يملك مدينة سميساط، وظل موالياً للأسرة الأموية ولم يسلم المدينة للعباسيين إلا بعد حصار طويل. لكنه هو نفسه وأخوته وأبناء أخوته عرفوا أيضاً في عهد الأسرة الحاكمة

(1) الهمداني، 192.

الجديدة كيف يحققون مصالحهم[1]. فقد كان نصر بن شبث، الذي ينتمي إلى فرع آخر من هذه القبيلة، في أوائل القرن التاسع ميلادي زعيم العرب في الفرات الأعلى. وكان يحكم من قلعته قيصوم (اليوم: بهسنا الواقعة في منتصف الطريق بين مرعش وسميساط المناطق الممتدة حتى قرقيسيا، ساحة الحرب القديمة لقبيلة قيس عند مصب الخابور. وفي القتال الذي دار بين الأخوين الأمين والمأمون بعد وفاة هارون الرشيد (809م) وقف إلى جانب الأمين. وعندما تولى المأمون مقاليد الخلافة بعد وفاة أخيه الأمين (813م) ظل نصر متمرداً حتى أرغمته قوات الخليفة على الاستسلام في قلعته القيصوم عام 209هـ/ 824م[2]. وإذا ما كان نصر يمثل نموذجاً للشخصية الإقطاعية العربية كما كرسها العهد الأموي، فإن صفوان العقيلي وابنه ابن صفوان، اللذين حكما بعد نصف قرن في ديار مضر، يعدان نموذجاً أولياً للإمارات الصغيرة التي تشكلت في العهد العباسي. إلا أن الوقت لم يكن قد نضج بعد لتلبية تطلعاتهما، فكان مآل صفوان الزج به في سجن سامراء الذي ظل فيه حتى وفاته عام 253هـ/ 867م. أمّا ابنه فلم يتمكن من البقاء في قرقيسيا بشكل دائم[3]. هذه هي آخر الأخبار عن أقدم جماعة من عقيل في بلاد ما بين النهرين.

وكما أشرنا في مقال قيس كانت في هذه الأثناء قد حدثت في شمال سورية لدى

---

(1) ابن الأثير، الجزء الخامس 333 وما يليها. الطبري تحت عبد العزيز بن م. بكار بن م. مسلم بن ب .بن م. سلسلة نسبهم ابن حزم، 275، وقبله سبب هجرة القبيلة من الجزيرة العربية، قارن الجزء العاشر، 68، 70. وقد يكون تأثير سمعة هؤلاء العقيليين الشماليين، مرتبطاً بصدى الحكاية التي تتحدث عن انهيار سد مأرب (الجزء الأول، 263 وما بعدها) هو الذي جعل قبائل صنارية الحربيين في جيورجيا ينتسبون إلى «عقيل مأرب»؛ المسعودي، الجزء الثاني، 67 وما بعدها. وهل كانت عقيل موجودة في مأرب فعلاً كما يقول المسعودي؟ الهمداني لا يعرفها.

(2) الطبري، الجزء الثالث، 843 وما يليها، 975، 1045، 1071 وما يليها. ابن الأثير، الجزء السادس، 216، 274 وما بعدها. سلسلة نسبه في ابن حزم، 274.

(3) المسعودي، الجزء السابع، 396؛ الطبري، الجزء الثالث، 1940، 2049. وهناك قطعة نقدية معدنية تعود إلى ابن صفوان من عام 275 هـ لم تزل موجودة حتى اليوم (زامباور).

المهاجرين القيسيين عودة إلى البداوة. وهكذا أعادت هناك عقيل أيضاً تشكيل نفسها كقبيلة شكَّلَ نواتها المهنَّا الذين ينتسبون إلى عبادة. في منتصف القرن العاشر اجتاز جزء من هؤلاء القيسيين السوريين، من بينهم عقيل، الفرات لكي يبحثوا في الجزيرة عن أماكن سكن جديدة[1]. ووجدت عقيل مكاناً لها في الشرق قرب نصبين. وكانت في فصل الشتاء، شأنها شأن شمر في وقت لاحق، تصل في ترحالها إلى العراق. وكانت الظروف المواتية من جهة وهجوم شيوخها دون رحمة من جهة أخرى تمنحها هنا وهناك حق الإقامة. وفي عام 377هـ/ 987م تعرض حاكم الموصل البويهي لضغط شديد على يد الزعيم الكردي باذ مما اضطره إلى طلب النجدة من عقيل. ونجحت عقيل في منع الأكراد من النزول من طور عابدين إلى السهل وكوفئت على ذلك بإعطائها كمية من الأراضي. وبعد ثلاثة أعوام تكرر الوضع ذاته مرة أخرى. ولكن شيخ عقيل محمد ابن المسيّب طلب هذه المرة نصبين وبلد (إسكي موصل) وجزيرة ابن عمر من الحمدانيين (راجع الجزء الأول، 107) اللذين كانا في غضون ذلك قد استقرا في الموصل. وعندما انتصر الأكراد عليهما قتل ابنُ المسيب أحدَهما ودخل إلى الموصل كحاكم تابع للبويهيين[2] ومع أن آل المسيب خسروا الموصل مرة أخرى، فبعد وقت قصير من وفاة محمد (996م) نجح أخوه المقلد في عقد اتفاقية مع البويهيين حصلت العائلة بموجبها ليس فقط على الموصل وإنما أيضاً على جامعين (الحلة) فيما بعد والكوفة، أي على الأراضي الزراعية الواقعة على فرعي الفرات. وكان هذا بداية مملكة العقيليين، أهم دولة بدوية في العصور الوسطى.

عُرض التاريخ الخارجي لهذه المملكة من قبل تيزنهاوزن، تاريخ الأسرة الحاكمة العقيلية (Néw. Acad. St. Petersbourg, VIII, 1859)، وكاي، ملاحظات عن تاريخ بني عقيل (JRAS, N.S. XVIII, 1886, 491ff)، ومؤخراً في EI[3]،

(1) انظر الجزء الأول، 338، 339.

(2) ابن الأثير، الجزء التاسع، 38، 49 وما بعدها، 52.

(3) انظر فون فرواش، المقلد، مسلم ب. قريش، العقيليين. في المقال الأخير يجب شطب الجملة الأخيرة، قارن كاسكل، اورينس الجزء الثاني، 71 الملاحظة 24.

بتفصيل كبير بحيث يمكننا هنا الاكتفاء بأهم المعلومات: كانت لدى مقلد بن المسيب خطط واسعة النطاق شملت حتى التفكير بالاستيلاء على السلطة في بغداد، لكنه اغتيل في الأنبار[1] عام 391هـ/ 1001م قبل تحقيقها.

حاول قرواش ابن المقلد توسيع سلطة أسرته في العراق لكنه اصطدم في سعيه هذا ليس فقط بسادته البويهيين وإنما أيضاً بقوتين جديدتين صاعدتين هما: بنو مزيد، شيوخ أسد، الذين كانوا آنذاك قد أسسوا إمارة على النيل شرقي جامعين[2]، وبنو خفاجة القادمون من شرقي شبه الجزيرة العربية والذين أخذوا يهددون المناطق الحضرية انطلاقاً من الصحراء[3]. تمكن قرواش من التفاهم مع بني مزيد في بعض الأوقات، ولربما بسبب ترك جامعين في أيديهم[4]، لكنه ظل يخوض مع خفاجة حرباً متواصلة. ولم تنجح محاولته التأثير على الحكومة المركزية بإعلان تأييده للخليفة الفاطمي في القاهرة (401هـ/ 1010م ـ 1011م) وفي العقد الثالث من القرن الحادي عشر عاد التوتر من جديد. ونجحت الحكومة في الحصول على دعم دبيس المزيدي، وخفاجة، وجزء من عقيل نفسها، مما جعل قرواش ينهزم عدة مرات في هذه الأعوام وأخيراً اضطر إلى التخلي عن الكوفة كلياً (417هـ/ 1026م) بحيث لم يبق له من أملاكه في العراق سوى الأنبار.

وعلى صعيد الأسرة أيضاً لم تكن سياسة قرواش موفقة. فقد تخلى عن مقاطعة نصيبين لأخيه بدران. وكانت كل من تكريت وعكبرا، ولفترة قصيرة أيضاً كل من حربىٰ وآوانا، وهما مكانان هامان على نهر دجلة، في أيدي بني مقان[5]

(1) لم يرد ذكرها في الاتفاقية مع البويهيين، وهذا يعني أنها من المكاسب الجديدة.

(2) انظر مقال: بني أسد.

(3) صحيح أن خفاجة كانت من عقيل ولكن لم تكن لها مصالح مشتركة مع العقيليين الذين جاؤوا من سورية ولا مع أسرتهم الحاكمة.

(4) في عام 401 هـ كانت هذه المدينة لم تعد من أملاك قرواش.

(5) هذه الصيغة الواردة عند بن هلال الصابي وابن الأثير تؤكدها التسمية المتناقلة لدى البدو، خلافاً لما يرد ذكره عند لان ـ بول وزامباور وهو (معن).

الذين تربطهم به صلة قربى بعيدة. أدى هذا الوضع إلى نشوب خلافات عديدة وأحياناً إلى صراعات دموية.

لم يحقق قرواش سوى انتصار كبير وحيد انتصار تل أعفر «تلعفر»: في عام 433هـ/ 1041م ـ 1042م ظهر الأتراك الغز، الذين ضاقت بهم ظروف العيش في المملكة السلجوقية، في شمال بلاد الرافدين، قادمين من اذربيجان، ومارسوا أعمال السلب والنهب والقتل. نهبوا منطقة ديار بكر وسنجار والخابور وهزموا قرواش نفسه أمام أبواب الموصل. وعندما دخلوا المدينة أساؤوا السلوك ومعاملة الناس مما جعل السكان يثورون ضدهم ويطردونهم. وفي غضون ذلك كان قرواش الهارب قد جمع الحلفاء وهجم على الموصل مع دبيس المزيدي وكل من عقيل وقوات كردية مساعدة. فانسحب الغز إلى تل أعفر «تلعفر» حيث حصلوا على مساندة من ديار بكر. وكان قرواش يعلم ذلك لكنه أخفى هذه المعلومات كي لا تتأثر معنويات قواته وتهتز عزيمتها. وهكذا وقعت المعركة عام 435هـ/ 1044م. فتقدم الغز حتى مخيم العرب، لكن العرب المتراجعين توقفوا هناك. وعند حلول المساء كان الغز قد هزموا شر هزيمة وتوجهت فلولهم نحو أرمينيا. فأرسل قرواش رؤوس القتلى إلى بغداد حيث قام الأتراك الموجودين هناك بدفنهم بكل مراسم التكريم.

في عام 441هـ/ 1049م قام أخو قرواش، أبو كامل بركة، باغتصاب الحكم منه. قضى قرواش السنوات الأربع الأخيرة من حياته، باستثناء بعض الفترات القصيرة المتقطعة، في السجن، في بادئ الأمر في سجن أخيه، وبعد وفاته (443هـ/ 1051م) في سجن ابن أخيه قريش بن بدران. وكانا كلاهما يطلبان منه النصيحة بين حين وآخر لكنهما لم يتجرآ على منحه الحرية بصورة دائمة.

خلال فترة حكم قريش (443هـ/ 1051م ـ 453هـ/ 1061م) استولى السلاجقة على السلطة في العراق. في بادئ الأمر رحب قريش بمجيء القوة الجديدة لأنه اعتقد أنها تشكل دعماً له في مواجهة البويهيين، إلا أنه ما لبث أن انضم، إثر دخول السلطان طغرل بك إلى بغداد (1055م)، إلى القوى المعادية للسلاجقة التي كانت

ملتفة حول دبيس والأمير البويهي البساسيري. ومنذ ذلك الحين ظل مشتركاً مع حلفائه في سياسةٍ بلْهاءَ مزدوجةِ الاتجاه تقف مرة إلى جانب الفاطميين ومرة أخرى إلى جانب السلاجقة. ويعود الفضل الأول والأخير في بقاء سلطته غير منقوصة إلى الطريقة الحذرة والحكيمة التي عالج بها طغرل بك الظروف المعقدة في العراق.

لم تتحسن العلاقة مع السلاجقة إلا في عهد ابنه مسلم بن قريش (453هـ/ 1061م ـ 478هـ/ 1085م) الذي تصالح معهم تماماً لا بل إنه تزوج إحدى أخوات السلطان آلب أرسلان. وفي عهد مسلم توسعت دولة العقيليين نحو الغرب حيث استولى عام 472هـ/ 1079م على حلب، وبعد عامين على حران، وأصبح في الوقت نفسه متصرفاً في أورفة. عمل مسلم جاهداً على إقامة إدارة منظمة في البلاد الخاضعة له وحرص على سلامة الطرق، وكان جاداً في تطبيق أحكام الإسلام وليناً في التعامل مع الرعايا المسيحيين.

إلا أن مسلم لم يتمكن من إيقاف العملية التي تهدد بحلول الحكم التركي محل الحكم العربي. وقد شهد بنفسه بداية هذه العملية. ففي عام 476هـ/ 1033م قرر وزير السلطان ملكشاه، نظام الملك، عزل أسرة آل مروان، الأسرة الحاكمة في ديار بكر، وهي أسرة كردية الأصل لكنها مستعربة. فطلب الحاكم المرواني المساعدة من مسلم. ويشرفه أنه لبى النداء على الرغم من أنه كان يدرك أن المشروع لا فرصة له في النجاح. إذ إن مصير ديار بكر كان قد تحدد وهو نفسه، أي مسلم، لم يُترك في الحكم إلا لأن أيدي السلطان كانت مكبلة بسبب خلافات عائلية. وأخيراً سقط في نزاع مع حاكم أنطاكية التركي (478هـ/ 1085م).

قام ملكشاه بتقسيم مملكة مسلم إلى نصفين أعطى النصف الأول لأمراء أتراك وأعطى النصف الآخر لأبناء مسلم وأقربائه. لكن هؤلاء لم يحافظوا طويلاً على حصتهم. ففي عام 485هـ/ 1092م فقدوا الجزء من منطقة ما بين النهرين الواقع غربي الخابور، وبعد أربعة أعوام فقدوا نصيبين والموصل. وسقط آخر العقيليين في ساحة الحرب أو أصبحوا لاجئين لا وطن لهم. في مكانين فقط بقيت فروع جانبية من الأسرة الحاكمة فترة أطول بعض الشيء، في عانة ـ حديثة وفي قلعة

جعبر على نهر الفرات. وفي عام 564هـ/ 1169م سلم مالك بن علي بن سالم بن مالك بن بدران القلعة للزنكيين واكتفى مقابل ذلك بسروج ومملحة جبّول (قرب حلب).

حمل العقيليون زمناً طويلاً سمات منشأهم الأصلي، ولم يفقدوا صفاتهم البدوية إلا في عهد مسلم. وكانت هيبتهم كحكام مستمدة من السلطة التي يمارسونها بصفتهم زعماء عقيل، وملكيتهم للأرض التي منحت لهم لقاء ولائهم. لذلك كانت "ولاية العهد" تتوقف على موافقة القبيلة؛ وحتى مسلم نفسه فقد انتخب من عقيل[1]. وإذا ما كانت شخصيات كبيرة، من مثل مقلد وقرواش، قد تمكنت من فرض نفسها ضد إرادة القبيلة، فهذا لا يتعارض مع الأصل البدوي؛ وينطبق الشيء نفسه على أن انتخاب مسلم قد تمّ بتأثير السلاجقة. أمّا تجاه الخليفة فإن مكانة العقيليين كان لها بالطبع وجه آخر: فهم إقطاعيو بغداد ويحملون مثل جميع حكام الإمبراطورية لقب أمير[2] معطوفة عليه كلمة "دولة" الممنوحة من الخليفة والتي تجعل اللقب أكثر فخامة.

وكما أن سلطة العقيليين متجذرة في القبيلة فإن قوتهم العسكرية أيضاً تتشكل من القبيلة. كان لديهم بالطبع جنود مرتزقة أيضاً (ديالمة وأتراك) وقوات مساندة كردية؛ وذلك لأن العقيليين بصفتهم بدو أصلاء لم يكونوا مناسبين للخدمة العسكرية. فيما يتعلق بممارسة الحكم كان العقيليون يتقيدون بالقواعد المعتمدة آنذاك: كان لديهم قصر للحكومة، دار الإمارة في الموصل[3]، وكان لديهم وزراء، وكان لدى قرواش على سبيل المثال الوزير المشهور أبو القاسم ابن المغربي[4]. أمّا في أسلوب حياتهم فقد ظلوا زمناً طويلاً بدواً. كان مقلد يعيش

(1) ابن الأثير، المجلد التاسع، 397؛ العاشر، 11.

(2) مؤرخون متأخرون أمثال ابن الأثير يستعملون هذا اللقب بسخاء كبير ويطلقونه على شيوخ بدو عاديين.

(3) ابن الأثير، المجلد التاسع، 386.

(4) ورد ذكره في الجزء الأول، ص 467.

بعض الوقت في مخيم، أمّا أخوه علي، الزعيم الحقيقي للقبيلة، فقد فضّل العيش كلياً في الصحراء بدلاً من الانصراف إلى شؤون الحكم. وأمّا أبو كامل بركة فكان يقوم بالغزو المألوف عند البدو. وعند نشوب صراعات داخل الأسرة كانوا يتبعون في تسويتها الأعراف البدوية: فلم تكن تنهب خيام الفريق المهزوم[1]. وكان الشعور العائلي، أو شعور الانتماء إلى القبيلة، قوياً جداً وقادراً على تجاوز أشد الخلافات. وهناك حكايات تعبّر عن هذه الحقيقة في العديد من المشاهد الرومانسية سنورد هنا واحداً منها على الأقل:

في عام 1026م كان قرواش وأخوه بدران يقفان في صفين متقابلين استعداداً للقتال، وكان يقف إلى جانب قرواش غريب بن مقان وإلى جانب بدران ابن عمه رافه. وعندما بدأت المعركة قفز أحد شيوخ عقيل، وهو نجدة الدولة ابن قراد، إلى ساحة القتال وعانق غريب في وسط الصفوف المتحاربة. وما أن رأى بدران ذلك حتى اقتدى به وتصالح مع أخيه. وقد احتفظت ذاكرتهم زمناً طويلاً بهذه الخصلة النبيلة التي تمتعت بها الأسرة. ولم تزل طي الرافدين، التي حلت محل عقيل في السيطرة على مراعي الجزيرة، تتذكر حتى اليوم العقيليين وأميريهم قريش ومقان.

مع سقوط الأسرة الأميرية انحلت قبيلة عقيل إلى أجزاء عديدة. انسحب أتباع الأسرة الحاكمة إلى السهول الواقفة وراء الموصل حيث شكلوا قبيلة خاصة باسم "عرب شرف الدولة" (شرف الدولة هو آخر عقيلي كبير من مسلم ابن قريش)[2]. ولعل هذه القبيلة لم تزل موجودة حتى اليوم. إذ من المرجح أن تكون القبيلة الموجودة في المنطقة نفسها والتي سماها ريج[3] وهاورت[4] "عرب أبو دولة" هي

(1) ابن الأثير، المجلد التاسع 286 «الترقيم الأول» 378.

(2) القلقشندي، 274.

(3) رواية مقيم في كردستان، ج2، ص 137.

(4) هاورت في الجزء الأول، 178 القائمة المذكورة أعلاه، ص 23.

نفسها قبيلة «عرب شرف الدولة». أمّا فرع عبادة، الذي جاءت منه الأسرة الحاكمة والذي كان يشكل الكتلة الرئيسية من العقيليين الشماليين، فقد انقسم إلى قسمين: قسم صغير انضم إلى القيسيين في حران (راجع الجزء الأول، 341، 344، والقسم الكبير منهم بقي مستقلاً.

خفاجة

في نفس الوقت الذي جاء فيه العقيليون الشماليون (عبادة) إلى منطقة ما بين النهرين، وصلت خفاجة[1] إلى ضفة الفرات قادمة من شرقي الجزيرة العربية. وقد ورد ذكرهم هنا لأول مرة في عام 374هـ/ 984م. كانت المنطقة الرئيسية لتحركهم تقع بين هيت والكوفة، وكانوا في الصيف يصعدون على النهر حتى الرصافة حيث كان يتوجب عليهم دفع خوة[2]، ويصلون في الجنوب حتى العقبة على طريق الحج إلى الكوفة. أي أنهم كانوا يتنقلون في نفس المنطقة تقريباً التي تتنقل فيها اليوم عمارات ـ عنزة. إلا أن خفاجة لم تكن تتوغل في الصحراء كما تفعل هذه الأخيرة. وكانت منطقتها تتقاطع عند خط كبيسة ـ شفاثة مع منطقة الغازية[3]. لكن الخفاجيين كانوا بالمقابل يقتربون من المناطق الحضرية الزراعية أكثر مما تفعل العمارات. وقد أعطت هذه الجيرة خفاجة الفرصة لأن تثبت أقدامها في العراق

(1) يتضمن المقال المنشور في الأنسكلوبيديا الإسلامية بهذا الخصوص خطأين هما: أن عبادة من قبائل طي، وأن أولاد ثمال هم الشيخ ثمال وأبناؤه.

(2) ياقوت، الجزء الثاني، 784 وما يليها. ومصدر ياقوت هو ليس بأي حال الأصمعي المتوفى عام 831، كما يزعم موزيل، بالميرينا 370، ما يرد عند الأصمعي هو فقط الملاحظة «الزوراء رصافة الشام» ويلي ذلك ثغرة في مخطوطة النص، راجع الجزء الخامس 212. الرصافة يجدها المرء هنا على الخريطة في الجزء الأول إلى الجنوب الغربي من الرقة.

(3) راجع مقال قشعم (الغازية). كان الغازيون يقيمون هنا في الصيف، والخفاجيون في الشتاء.

وتتدخل في الشؤون السياسية. لكن الخفاجيين لم يتخلوا عن أعمال السلب والنهب. فالغارتان اللتان شنوهما على قوافل الحج[1] تشيران إلى أنهم قد تعلموا في هذا المجال من أساتذتهم السابقين القرامطة.

حدثت الغارة الأولى في عام 402هـ/ 1011م. قام الخفاجيون بمرافقة القافلة العائدة من الحج حتى العقبة ثم منعوهم هناك من الاقتراب من الماء. وبما أنهم كانوا قد سحبوا مياه آبار المحطة القادمة (محطة واقصة) أو خربوها بإلقاء الأوساخ فيها فقد وقع في أيديهم عدد كبير من الحجاج. قامت قوة مرسلة من بغداد بمطاردة اللصوص واللحاق بهم خارج منطقتهم المألوفة في مكان قريب من البصرة. لم يكن قد بقي الكثير من الأشياء المسروقة، إلاّ أنه تم التمكن من تحرير عدد من الحجاج المخطوفين، ثم تم تحرير عدد آخر في حملة تأديبية أخرى بعد عامين. وحدث الغارة الثانية في عام 485هـ/ 1092م. في هذه المرة تجرأ الخفاجيون على مهاجمة قافلة الحجاج بعد خروجها من الكوفة مباشرة. إلاّ أنهم نالوا عقاباً شديداً لقاء هذه الجريمة ولم يتجرؤا منذئذ أبداً على تكرار ذلك.

كانت خفاجة تشكّل خطراً دائماً على ذلك الجزء من المناطق الحضرية الذي يمتد من الأنبار والحلة والكوفة عبر الفرات حتى الصحراء. ولم يتمكن البويهيون من حماية هذه المنطقة من هجماتهم إلاّ بأن كلفوهم هم (أي خفاجة) بحمايتها (374هـ ـ 984م). ويكننا أن نرى في ذلك تأكيداً لعلاقة الخوة التي كانت قائمة. إذ كان الخفاجيون يحصلون لقاء هذه الحماية على رسوم بصيغة تمور وحبوب[2]. وظل هذا الحق قائماً طيلة العهد البويهي والعهد السلجوقي، وشكل السند الشرعي لعزم عائلة الشيوخ أولاد ثمال[3] على تأسيس إمارة في الكوفة.

---

(1) ابن الأثير، المجلد التاسع، 167، 172، المجلد العاشر، 147، قارن سعدي گلستان «روضة الورد»، المجلد الخامس، 17.

(2) ابن الأثير، المجلد التاسع، 28، 165؛ الحادي عشر، 182، 260: خفارة.

(3) بما أنه من غير الممكن وضع شجرة نسب لأولاد ثُمال ـ فشلت محاولة زامباور ـ سأذكر هنا على الأقل أفراد الأسرة، الذين ذكرهم هلال الصابي وابن الأثير، مع التواريخ الواردة معهم:

كانت الكوفة (راجع الصفحة 303) قد سقطت عام 386هـ/ 996م في أيدي العقيليين. وكانت سلطتهم تتمثل بالدرجة الأولى في ابتزاز الضرائب بينما كان الحكم في يد نبلاء المدن من العلويين والعباسيين. وكان الفريقان (العلويون والعباسيون) متعاديين وكانا يخوضان معاركهما الحزبية بمساعدة الخفاجيين[1]. وسرعان ما تبيّن أن مطالب حماة المدينة النبلاء والبدو لا يمكن التوفيق فيما بينها. ولذلك اندلعت الحرب بين العقيليين والخفاجيين في الأعوام الأولى من حكم قرواش (391هـ). فانهزم الخفاجيون وانسحبوا إلى سورية، أي إلى الجزء الشمالي من المنطقة التي يتنقلون فيها. وفي العام التالي تغير الوضع لصالحهم لأن قرواش دخل في نزاع مع البويهيين. وعندما زار الكوفة عام 397هـ نشب القتال مرة أخرى. في هذه المرة انتصر الخفاجيون وأصبح شيخهم أبو علي الحسن بن ثُمال يشعر بأنه حاكم الكوفة. وعندما عرض عليه الفاطميون حصن الرُحبة الحدودي (راجع الجزء الأول، 57)، بدا له أن حلم المملكة الخفاجية يمكن أن يتحقق. غير أن أبا علي سقط أمام الرحُبة[2]، وبذلك توقفت الخطط السياسية لـ "أمراء"[3] خفاجة.

---

374 هـ ـ أبو طريف عليّان بن ثمال
392 ـ 399 هـ ـ أبو علي الحسن بن ثُمال، 399 هـ
392 هـ ـ أخوه حسن
402 ـ 411 هـ ـ سلطان بن الحسين بن ثُمال
402 هـ ـ (سلطان)، علوان، رجب، أولاد ثُمال
404 هـ ـ محمد بن ثمال
417 ـ 420 هـ ـ أبو الفتيان مانع بن حسن بن ثُمال
426 هـ ـ علي بن ثمال، قتله ابن أخيه
426 هـ ـ الحسن بن أبي البركات بن ثُمال
420 هـ ـ سرايا بن مانع
452 هـ ـ رجب بن مانع.

(1) ابن الأثير، المجلد التاسع، 131، 236.
(2) أبو هلال الصابئ، 419، 446 وما يليها؛ ابن الأثير، المجلد التاسع، 117، 139، 148.
(3) هكذا يسميهم ابن الأثير، ولكن بدون حق؛ فعند هلال الصابئ لا وجود للّقب.

بعد وفاة أبو علي تابع خليفته سلطان أعمال السلب والنهب في المناطق الحضرية. لا بل إنه تجرأ على الدخول في صراع مع البويهيين لكنه وقع في الأسر نتيجة لذلك (402هـ). وبعد أن أطلق سراحه بعد عامين من الأسر، نتيجة وساطة قام بها علي بن مزيد، عاد إلى عادته السابقة وتابع أعمال النهب إلى أن تعرضت خفاجة لحملة تأديب قاسية جديدة.

كان مانع ابن أخ أبي علي أول من عاد إلى سياسة عمه. فقد تمكن عام 417هـ/ 1026م بالتعاون مع البويهيين والمزيدي دبيس من إلحاق هزيمة كبيرة بقرواش قرب الكوفة. وعلى الرغم من أن هذا التحالف انفك بعد الانتصار وتعيّن على خفاجة أن تعود إلى الاعتماد على نفسها وحدها، فقد تمكنت من نهب الأنبار مرتين. وحتى عندما تحالف قرواش ودبيس لم يستطيعا كسر مقاومة خفاجة. استغل مانع هذه النجاحات لكي يحصل على صك بملكية الكوفة وذلك لقاء إشادته بالبويهيين وإعلان الولاء لهم[1]. ولكن أولاد ثمال لم يستطيعوا البقاء هناك زمناً طويلاً؛ إذ على الرغم من أن قرواش لم يجدد مطالبته بالكوفة، فإن البويهيين لم يكونوا مستعدين للتخلي عن المدينة على المدى الدائم. وفي العقود التالية أدى صعود المزيديين إلى تضييق حرية تصرف "الأمراء" الخفاجيين. وفي عام 446هـ/ 1054م ألحق بهم البساسيري (انظر الصفحة 306 أعلاه) هزيمة نكراء واحتل قلعتهم خفان[2].

بعد دخول طغرل بك إلى بغداد (1055م) انضمت خفاجة إلى الحلف المناوئ للسلاجقة: شأنه شأن الزعماء الآخرين أيد شيخهم محمود بن الأشرم في بادئ الأمر الخليفة الفاطمي (من أجل شفاثه والعين[3]) ثم خضع في نهاية عام 449هـ

---

(1) ابن الأثير، المجلد التاسع، 166، 171، 248 وما يليها.

(2) ابن الأثير، المجلد التاسع، 411 وما يليها. خفان جنوب شرق الكوفة تسمى اليوم القيّم «القايم»، وهو في الأصل اسم برج لم يدمر آنذاك. راجع: موزيل، الفرات الأوسط، 358، الذي ينسب النصر خطأً لرجل مزيدي.

(3) عين التمر. هاتان الواحتان كانتا من أملاك عائلة أولاد ثُمال.

بداية عام 1058م للسلطان السلجوقي لكنه انفصل عنه مرة أخرى في العام التالي فكافأه البساسيري، قائد التحالف، على ذلك بأن عيّنه أميراً على الكوفة. وبعد وفاة البساسيري (أول عام 1060م) تم الاعتراف عموماً بالسلاجقة. فترك طغرل بك الكوفة في يد الخفاجيين: كُلِف محمود الأشرم بإدارة المدينة والمناطق المجاورة لها وأجّره السلطان أملاكه في المنطقة بمبلغ 4000 دينار (452هـ/ 1060م)[1].

لم يتمكن أمراء خفاجة هذه المرة أيضاً من حكم الكوفة زمناً طويلاً، بل استبدلوا بموظفين أتراك في عهد ملكشاه على أبعد تقدير (1072م ـ 1092م)؛ إذ إن هجوم خفاجة على قافلة الحج في عام 1092م لا بدّ من أن يكون قد سبقها هذا التبديل. ولم يكن قد بقي آنذاك من الأسر الأميرية العربية في العراق إلا المزيديون. وكان صدقة (1086م ـ 1108م)، أكبر أمراء هذه الأسرة، قد تغلب على خفاجة بعد صراع مرير[2]. وسوف نتحدث لاحقاً (الصفحة 317) عن سياسته تجاه البدو.

بعد سقوط المزيديين (1150م/ 1151م) عادت القبيلة إلى الاحتكاك المباشر مع موظفي الخليفة. وفي عام 555هـ/ 1160م رفض صاحب الكوفة وصاحب الحلة إعطاءها المؤن المستحقة لها لقاء قيامها بمهمة الحماية. ولذلك لجأ الخفاجيون، المتجمعون في الكوفة والحلة لاستلام المؤن والمواد الغذائية، إلى استعمال السلاح، لكنهم وقعوا بين نارين وهزموا. فحاولوا عبثاً الاستسلام والرضوخ لكن القوات الحكومية ظلت تلاحقهم حتى الصحراء. وهنا في الصحراء كانت الغلبة لخفاجة بعد أن انضمت إليها قبائل أخرى؛ إذ سقط حاكم الحلّة وفرَّ صاحب الكوفة، ومات كثير من الجنود عطشاً في الصحراء. أما الجرحى فقد قتلهم البدو دون رحمة. ولم تتمكن حملة تأديبية جهزت في بغداد من الوصول إلى القبيلة مما جعل الحكومة تضطر أخيراً إلى منحهم السلام[3].

---

(1) ابن الأثير، المجلد التاسع، 423، 438، 443؛ المجلد العاشر، 8.

(2) ابن الأثير، العاشر، 177 وما يليها.

(3) ابن الأثير، الحادي عشر، 182 وما بعدها.

تحت عام 568هـ/ 1172م ـ 1173م يذكر ابن الأثير (المجلد الحادي عشر، 259 وما بعدها) حدثاً يلقي الضوء على الظروف الداخلية لقبيلة خفاجة. قامت الحكومة بحرمان فرع (القبيلة) بني حزن[1] من بعض تعويضات الحماية التي كانت مخصصة له، حيث أعطت واردات الحلة لفرع آخر من فروع خفاجة هو فرع بني كعب. فثار بني حزن على هذا القرار وشنوا حملة من التخريب في مختلف أرجاء البلاد. فقاد موظف من بغداد حملة ضدهم، يرافقه الغضبان زعيم بني كعب، لكنه اضطر إلى إيقاف الحملة لأن الغضبان قتل في الطريق على يد أحد الجنود. ولذلك بقي بنو حزن المالكين الوحيدين لحقوق الحماية.

في أواخر العصور الوسطى حصلت خفاجة مرة أخرى ولفترة قصيرة على دور سياسي: ذلك أن احتلال بغداد على يد هولاكو (1258م) حطم الخلافة التي كانت استعادت بعض القوة. وكما كان الأمر في القرون السابقة أصبح الفاطميون والعباسيون يقفون في مواجهة المماليك والمغول وأصبحت بالتالي البادية السورية تشكّل الحدود بين دولتين كبيرتين تحاول كل منهما كسب سكانها إلى جانبها. وطالما ظل السلطان بيبرس يأمل في حدوث انقلاب في العراق، كان يستعمل خفاجة كأداة لسياسته. في عام 1261م قامت سرية من القبيلة بمرافقة المستنصر، المطالب بالعرش العباسي، إلى سورية. ومنذ ذلك الحين صار بيبرس يدفع مرتبات لشيوخ خفاجة وعبادة كي يقدموا له خدمات تجسسية وكي يضايقوا المغول بشن غزوات متلاحقة عليهم[2]. وعندما استقر الوضع السياسي انتهت هذه العلاقات. ففي عام 1268م حارب الخفاجيون مع الجيش المغولي[3].

(1) راجع فوستنفلد، الجدول د 18. ويذكر ابن الأثير فرعاً آخر من فروع القبيلة هو بنو كليب، وهذا الفرع هو دون شك الفرع الذي يذكره فوستنفلد في الجدول د 16، أي أنه لا ينتمي في الأصل إلى خفاجة. ولذلك لا نجد له ذكر بين القبائل الإحدى عشرة المتفرعة عن خفاجة والتي يذكرها النويري في "النهاية"، ج2، 340 وهي: معاوية، كعب، الأقرع، كعب، عامر، مالك، الهيثم، الوازع، عمر، حزن، خالد.

(2) المقريزي، كاترمير ج1 والقسم 1، 182، 223، 235، 238.

(3) فون هامر، تاريخ الألخانيين، ج2، 294؛ قارن المقريزي، كاترمير ج1، قسم 2، ص 140.

بعد وقت قصير اختفت القبيلة من البادية السورية في مطلع القرن الرابع عشر نجدها في المنطقة الواقعة بين النجف وواسط. ولم تكن القوافل تستطيع التحرك بين هاتين المدينتين إلا بحماية خفاجة.

وفي وقت لاحق انتقل الجزء الأكبر من القبيلة إلى الغراف الأدنى وانضم هناك إلى أقربائه بني المنتفق (ب6). واستوطنت مجموعة من خفاجة في منطقة القبيلة القديمة الواقعة جنوبي الحلة، وبقيت مجموعة أخرى إلى الجنوب الشرقي من النجف. وتشكّل هذه المجموعة جزءاً من قبيلة كبشه (4) «چبثة» التي انضمت إلى (الخزاعل)[1].

حصل تل خفاجي الأثري المشهور الواقع على ديالى إلى الشرق من بغداد على اسمها من فرع صغير لقبيلتنا التي استوطن على مقربة من الهضبة المسماة الخفاجية (الآن سوسنجرد) شمال الحويزة وهي مجموعة جاءت إلى بني لام بمحض الصدفة. وبالقرب من كربلاء يذكرنا اسم قصر الخفاجي، الذي يحمله حصن الأخيضر عند الرولة، بالماضي المجيد لهذه القبيلة[2].

(1) ابن بطوطة، الثاني، 1، 94، الذي قام بهذه الرحلة عام 1327م مع شيخهم شامر (تامر؟) بن درّاج. يحمل ابن بطوطة أعمال السلب التي كانت تمارسها قبيلتنا المسؤولية عن سقوط الكوفة.

(2) خورشيد، 209، 20 خيمة على الروز ، فون كرامر، SBAW، 1850، موزيل، الجزيرة العربية، ص 367. فون كرامر JBAW، 1850، ص 253، موزيل، الجزيرة العربية ص367.

عبادة

لم نسمع بعبادة كقبيلة مستقلة إلا في عام 1105م، أي بعد وقت قصير من سقوط العقيليين (1096م). كانوا يعيشون آنذاك بصورة دائمة في جنوبي الرافدين، تقريباً في المنطقة التي يشغلها الآن الدليم، بينما كانوا في السابق لا يذهبون إلى هناك إلا في الشتاء. بسبب هذا التبدل ازداد حجم الاحتكاك مع خفاجة التي كانت تقيم على الضفة الأخرى للفرات. كان تقارب ملاّك الأراضي قد أدّى إلى الاحتكاكات التي حدثت بين القبيلتين، الزعيم المزيدي صدقة (1086م ـ 1108م) الذي لم يكن يستطيع أو لم يكن يريد منع قيام النزاعات بين القبيلتين، لكنه كان يحرص على بقاء التوازن بينهما قائماً. وهناك قصة ذكرها ابن الأثير (المجلد العاشر، 275، 291) توضح بكل جلاء السياسة التي اتبعها صدقة: قامت خفاجة بسرقة جملين لرجل من عبادة. فحاول الرجل استعادة جمليه بطريقة ودية لكنه لم ينجح. ولذلك شن غارة على خفاجة واختطف أحد عشر جملاً. إلا أن الخفاجيين لحقوا باللصوص وقتلوا أحدهم وقطعوا يد آخر. فهبّ العباديون لأخذ الثائر وتوجه 700 رجل منهم، مع نسائهم وأطفالهم ومواشيهم، إلى العراق. حاول صدقة التوسط، وكان الخفاجيون أيضاً مستعدين لدفع التعويض المناسب، لكن العباديين رفضوا جميع عروض السلام. فحدث صدام بين الطرفين على مشارف الكوفة كان في اليومين الأولين خفيفاً لكنه تطوّر في اليوم الثالث إلى قتال بالسيوف وجهاً لوجه. وأخيراً قام 300 رجل كانوا مختبئين في الخلف بحسم المعركة لصالح

خفاجة. فقدم صدقة الحماية لعبادة التي فقدت إثني عشر رجلاً لكنه لم يتلق منها أي شكر لأنها اتهمته بأنه ساعد الخفاجيين. وفي العام التالي (1106م) قام هو نفسه بحشد عبادة ضد خفاجة لأن الأخيرة اعتدت على أراضيه. وصل العباديون، الذين كانوا يشكلون طليعة جيش صدقة، في الليل إلى مقربة من العدو الذي لم يكن لديه أي علم بما يجري. فصرخ أحد الخفاجيين سائلاً: من أنتم؟ فأجابه أحد المهاجمين: طلاب ثأر!

تصدى الخفاجيون للمهاجمين وظلوا يقاومون إلى أن سمعوا طبول جيش صدقة، وبعد ذلك انهارت مقاومتهم. قتل عشرة من زعمائهم ووقع مخيمهم في أيدي أعدائهم. وجد نساؤهم وأطفالهم الحماية لدى صدقة الذي أمر قواته بأن لا يتركوا لعبادة من الغنيمة إلا ما يكفي لتعويضهم عما خسروه في العام السابق. قضى العباديون فصل الشتاء في منطقة الخفاجيين الذين انسحبوا على الفرات نحو الأسفل. ولعنت امرأة من القبيلة المهزومة صدقة واتهمته بأنه مدبر المصيبة التي حلّت بقبيلتها. ويرى ابن الأثير أن هذه اللعنة هي السبب في سقوط صدقة في العام التالي. ثم يختم ابن الأثير القصة بالقول المأثور: دعوة المظلومين مسموعة عند الله.

خلال القرن الثاني عشر نقلت عبادة منطقتها نحو الشرق. في حوالى عام 1250م كانوا يسكنون بين المنتفق في البطايح[1] أو كانوا يتنقلون مثلهم بين البادية ومنطقة الأهوار. وبعد قرنين من الزمن نجدهم قرب واسط. وكان أبناء عائلة شيخهم يحملون آنئذ لقب أمير ولهم نفوذ كبير[2]. وفي وقت لاحق انتقلت عبادة إلى جزائر. ويقول خورشيد، سياحت نامه إي حدود، 48، إن عددهم هناك كان 600 رجل، وإنه ليس سوى صدفة أنه منذئذ لم يرد لهم ذكر في أي مكان.

---

(1) ابن ساعد عند القلقشندي، 66. ابن خلدون، عبر، السادس، 11؛ البربر، الأول، 26. الشيخ قيان بن صالح.

(2) نورالله الشوشتري، مجالس المؤمنين، طهران 1268، مجلس 8، جند 16: الأمير منصور بن قيان بن إدريس العبادي حوالى 1435، 1457 الأمير ناصر بن فرج الله، (النص فرح الله).

عجيل(*)

اسم القبيلة الذي اختفى من اللغة اليومية المتداولة بعد سقوط المملكة العقيلية ظهر بطريقة غريبة في العصر الحديث كإسم لجماعة حرفية من قواد القوافل والتجار، وظل حياً حتى اليوم كإسم حرفة مهنية.

كانت المقرات الرئيسية لتجمع عجيل[1] موجودة في بغداد ودمشق، لكن أتباعه كانوا يعيشون بلا استثناء تقريباً في شبه الجزيرة العربية. كانوا يتألفون بصورة رئيسية من قصمان وسكان منطقة القصيم الأذكياء والنشطاء، وكان الباب مفتوحاً أمام انضمام عرب آخرين باستثناء فلاحي السدير. كما أن البدو كان يحق لهم الانضمام ولكن لم يكن يوجد بينهم أحد من الدواسر. وباستثناء هذين الاستثناءين كان جميع العرب القادمين إلى بغداد من نجد ينضمون إلى عجيل.

انقسم هؤلاء هنا إلى طبقتين: الزغرت «زگرت» والجماميل. كانت الطبقة الأولى تضم الفقراء والباعة المتجولين، وكانت الطبقة الثانية تضم، كما يظهر من اسمها، قواد القوافل[2]. ولم يزل تعبير زغرت (زيغيرت) مستعملاً في نجد حتى

(*) يطلق عليهم في بغداد اسم العگيل والجماعة العگيلات. (م. شبّر).

(1) الجماعة: عجيلات، المفرد عجيلي.

(2) بوركهاردت، 328؛ شوسين. شتومّه، ديوان وسط الجزيرة العربية رقم 102: زغيرت «أعزب» (معنى صائب جزئياً فقط).

اليوم. وهو يعبّر هنا عن عناصر الخدمة والحرس الشخصي للأمراء. وهذا يعني أن الكلمة فيها شيء من الاحتقار لأن الخدم ينتمون غالباً إلى الطبقة الدنيا من بني خضير(1).

في بغداد ودمشق كان شيوخ، من قصمان غالباً، يترأسون الجماعات الحرفية التي اعترفت بها الحكومة. لا بل إن عجيلين، أو لنقل عجيليو بغداد على الأقل، انتسبوا إلى جد مختلق هو الشيخ علي وسموا أنفسهم تكنياً به: أولاد علي. وقيل بأن الشيخ علي هو أول رئيس للعجيليين وكان السلطان مراد الرابع قد عيّنه في منصبه عند احتلال بغداد(2). وليس من الضروري أن نأخذ هذا الكلام على حرفيته، لكن الصحيح على أي حال هو أن الجالية العجيلية في بغداد هي أقدم الجاليات وأكبرها. إلاّ أن وجودها غير مثبت في المراجع الأدبية إلا في القرن الثامن عشر.

لم يكن العجيليون آنذاك الجماعة الوحيدة من هذا النوع في بغداد. بل كان يوجد إلى جانبهم النجادة. واسم النجادة بحد ذاته يعني "المولودون في نجد" لكنه هنا تعبير فني مستقل. وكان النجاديون كالعجيليين يقودون القوافل على الطرق البرية من البصرة وبغداد إلى دمشق وحلب. إضافة إلى ذلك كانوا يمدون باشاوات بغداد بالجنود المرتزقة(3). ولعل السبب في وجود الجماعتين جنباً إلى جنب هو أصلهما المختلف، كما هو الحال بالنسبة للنجادة وقصمان في سوق الشيوخ؛ خورشيد، 48. تمكن العجيليون في عهد سليمان باشا الكبير (1780م ـ 1802م) من

---

(1) فيلبي، الثالث، 225، 253؛ راجع الصفحة 230 أعلاه. الكلمة من أصل تركي «زوغورد» أي "فقير، بائس" وليس كما يقول فيلبي من أصل إيطالي «سكورتا (أي الحرس)».

(2) بوركهاردت، 328، ديوان وسط الجزيرة العربية، رقم 3، 8؛ 102، 10 (أولاد علي).

(3) كابر، الذي سافر عام 1778م من حلب إلى البصرة، يسمي عجيل، نجادة، ويصف بني خالد بأنهم قواد قوافل. Capper, Oboervation sur le Passage dans l'Inde par L'Egypte et le grand desert, Paris V, 261.

ويذكر رسول حاوي القوات النجادية في: دوحة الوزراء، 179 وما يليها (1777/ 1778).

التفوق على منافسيهم وذلك بأن حصلوا على حق حصري في النقل على الطرق البرية[1]. وفي الوقت نفسه استبدلت القوات العسكرية المؤلفة من النجاديين بقوات مؤلفة من العجيليين (من الزغرت؟). ولم يكن تواجد هذه القوات يقتصر على بغداد وحدها بل كانت موجودة أيضاً في أماكن أخرى من المقاطعة التي كانت واسعة جداً آنذاك، في ماردين مثلاً[2]. ولقد قدمت للحكومة خدمات جليلة في مقاومة الوهابيين[3]. ثم برزت مرة أخرى عام 1831م عند سقوط داوود باشا. فقد قام أحد زعمائها، سليمان الغنّام ـ وهو حسب فريزر من أب شمّري وأم عبدة ـ بمرافقة علي رضا باشا من اسطنبول إلى الموصل ثم انضم إلى طليعة القوات التركية في هجومها على بغداد. ولقد تحدثنا أعلاه (ص 287) عن المقلب الذي قام به هناك. وشارك بعد ذلك مع جماعته العجيليين في محاصرة المدينة[4].

في غضون ذلك كان التجمع المؤلف من قوّاد القوافل، الذي يمد الحكومة بالجنود المرتزقة، قد حقق نهضة قوية. فبينما كان العجيليون في السابق يعيشون خارج المدينة سمح لهم في وقت لاحق بالسكن في حي يقع إلى الغرب من دجلة. وسرعان ما أصبحوا هنا أقوياء جداً وأخذوا يعتدون على السكان إلى درجة أن علي رضا باشا اضطر في نهاية عام 1834م إلى استعمال القوة ضدهم. فطردوا من المدينة وعُيِّن سليمان الغنام، الذي كان هذه المرة أيضاً يعمل يداً بيد مع الحكومة، شيخاً لعجيل[5]. ومنذئذ أصبح العجيليون مقتصرين على ضاحية الكاظمية. وفيما عدا بغداد كان هناك مستوطنات للعجيليين في هيت والزبير[6].

---

(1) راجع جـ.ب. فريزر: رحلات في كردستان وميزوبوتاميا، 1834م الأول، 318 ـ 348.

(2) عبد السلام أفندي، تاريخ ماردين لعام 1240م.

(3) دوحة الوزراء، 230 وما يليها؛ لونكريك: أربعة قرون في العراق الحديث، 214. راجع ص 137 أعلاه.

(4) لطفي، تاريخ، المجلد الثالث، 127 ـ 134.

(5) قد تكون القوات العجيلية قد حُلّت أيضاً بهذه المناسبة.

(6) موزيل، الفرات الأوسط، 27؛ روسّو، فوايياج، 4.

في دمشق لم يبرز التجمع إلا قليلاً على الرغم من أنه كان يوجد هناك أيضاً وحدة عسكرية عقيلية. كانت هذه الوحدة تستخدم بصورة رئيسية لحماية قافلة الحج، وكان يوجد أيضاً في بعض محطات طريق الحج، وفي معان والمدينة مثلاً، وحدات عجيلية[1]. ومنذ تحويل البريد الهندي إلى الطريق البرية (1868م) تولى العجيليون أيضاً الخدمة البريدية على طريق ضمير ـ بغداد[2]. استمرت الوحدة العجيلية الدمشقية أكثر من الوحدة البغدادية. ففي عام 1877م، عندما توجّه دوتي مع الحجيج إلى الحجاز، كانت قوة من عجيل تحمي قافلة الحج، وكانت محميات عجيل في الحجاز لم تزل تحمل الاسم القديم لكنها لم تكن تتألف من العجيليين. وظل التعبير حياً في سورية حتى عام 1939م. كان الناس يطلقون اسم عجيل على شرطة البداية الخيالة التي كان يخدم بها بعض النجديين، على الرغم من أن اسمها كان قد تغيّر رسمياً.

منذ أن بدأت حركة القوافل تتراجع بسبب تنامي الملاحة البحرية، أخذ العجيليون يتحولون إلى التجارة. وبهذه الصفة بقوا بعد انحلال التجمع شيئاً فشيئاً. والعجيليون تجار كبار وهم يتميزون تماماً عن بقية تجار الصحراء، الرحباويين والكبسيين[3]. فهؤلاء يزودون البدو بحاجات الحياة اليومية، الملابس والقهوة والتبغ، بينما يمارس العجيليون بصورة رئيسية تجارة الجمال والأسلحة. وهم محترمون لدى البدو لكنه يجب أن يكون لهم في كل قبيلة "أخ" يضمن لهم أملاكهم ويتقاضى لقاء ذلك بعض المال كل عام (خوة). وجميع العجيليين وسطاء لبعض البيوت التجارية الكبيرة التي يعدّ بسّام أهمها. تنحدر عائلة بسام من

---

(1) ستيزن، ج1، 275، فون كريمر، سوريا الوسطى، 113 (غوسمان) دوتي، ج1، 11، 33، ج2، 80، قارن أيضاً الجزء الثاني، ص 427.

(2) كانت الخدمة في يد الإنجليز، لكن مدحت باشا حوّلها إلى شركة تركية.

(3) موزيل، رولة، 125، 269 وما يليها. جاء الاسم من قرية الرحيبة (الواقعة قرب دمشق وليس من الرحبة الواقعة على الفرات، كما يقول موزيل ومن كبيسة، لكنه أصبح اسم مهنة.

عنزة[1]. ويعيش أفراد منها في بغداد والبصرة وبومباي والطائف والقاهرة ودمشق. وكان محمد البسام، والذي يعود إلى معارفه الواسعة كثير من الفضل في تأليف كتاب البدو، كان رئيس البيت الدمشقي. وكان محمود البسام عام 1818م شيخ عجيل في بغداد[2]، وهو بالتأكيد من أقرباء محمد بن حمد البسام مؤلف "جدول شبرنغر" والذي كان يعيش في نفس الوقت في بغداد[3].

عمل العديد من العجيليين بصفة عملاء دبلوماسيين في خدمة عبد العزيز آل سعود، ومن بينهم فوزان السابق من بريدة الذي كان سابقاً عميلاً لمحمد البسام والذي أصبح عام 1936م قائماً بالأعمال في مصر، وابن بلده الرواف الذي كان يشغل حتى عام 1938م المنصب نفسه في بغداد. كما أن عبد الله الفضل، نائب رئيس مجلس الدولة في الحجاز، ينتمي إلى أسرة عجيلية تعيش في جدة وبومباي.

هناك جماعات خاصة تحمل اسم عجيل (عجيلات) تندرج في الصورة التي اكتسبناها عن هذا التجمع. ومن بينهما العجيلات، الذين هم فرع من بني عطية في شمالي الحجاز والذين تحدثنا عن أصلهم في الجزء الثاني 490، الملاحظة 5. كما أن "التقليد" العجيلي الرقيمات (الجزء الثاني 129) لا يثير الاستغراب لأنهم كانوا واقعين على طريق القوافل الكبيرة دمشق ـ القاهرة، وكذلك ميل العليجات في سيناء إلى تغيير اسمهم غير المحترم إلى عجيلات (الجزء الثاني، 242، الملاحظة 14)؛ لأنهم هم أيضاً كان لهم في أحد الأوقات حق حصري في النقل.

هناك صعوبة أكبر في تصنيف بعض القبائل التي تعيش في العراق وتحمل اسم عجيل. وعلى أي حال فإن العجيليين، الذين كانوا في أحد الأوقات يعيشون على الضفة اليمنى للفرات تحت المسيّب، كانوا نجديين وذلك لأن فرعاً منهم كان اسمه

---

(1) قارن ص 247 أعلاه.

(2) خورشيد، 201 وما يليها، 218.

(3) بورتر، ر.ك، (1818م) رحلة إلى جورجيا، فارس، أرمينيا، وبابل القديمة، ج2، 302، 376.

شمامرة (شمّر)[1]. أما البقية، ومنهم مثلاً الذين كانوا عند المنتفق (مصنفون في ب2)، فلا تتوفر لدينا معلومات عنهم.

لم يزل هناك سؤال لم نجب عليه بعد وهو: كيف حصل تجمع عجيل على اسمه؟ بما أن قرابة الدم مع عقيل القديمة غير واردة فلا يمكن أن يكون الاسم قد أطلق عليه إلا استناداً إلى جماعة مهنية. وإذا ما فتشنا قبائل عقيل بناء على وجهة النظر هذه فإننا لا نجد تجارة قوافل بالحجم الكبير إلا لدى عامر في شرقي الجزيرة العربية. وهي تعود إلى زمن قديم، إلى القرن الرابع عشر، إلا أن هذه الأشياء تبقى ملتصقة زمناً طويلاً، كما هو معروف، ولذلك لا يمكن اعتبار القدم حجة ضد تفسير الاسم بهذه الطريقة. هناك اعتراض آخر أقوى وهو أن: عامر كانت تسمى عامر، وأما عقيل فلم تكن تسمى كذلك إلا على لسان الشعراء وعلماء الأنساب. ولكن من المؤكد أنه كان في صفوفهم فرع اسمه عجيلات. وإذا ما تبيّن أن هذا الفرع كان يشارك بصورة فعّالة في تجارة القوافل لبني عامر، فإنه يكون قد ثبت أن اسم التجمع (الجماعة المهنية) قد جاء من هؤلاء العجيل. وللأسف لا تذكر المراجع التاريخية شيئاً عن ذلك.

(1) توفي 1246هـ/ 1831م في مكة؛ غزاوي، الأول، 24 وما بعدها، حيث يوجد أيضاً بعض المعلومات عن خلفه ـ في النص الأصلي للقائمة (الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر) التي تكيل المديح لجميع القبائل بالتساوي، يظهر موقف عقيل بمنتهى الوضوح.

زوبع

إذا ما أردنا العودة إلى الوراء ومسك الخيط من النقطة التي تركناه عندها في الجزء الأول، 251، علينا أن نبدأ بقبيلة زوبع التي تمتد منطقتها على الضفة اليسرى لنهر الفرات تحت الفلوجة.

تعيد زوبع نسبها إلى طي. وهي لا تربطها قرابة قوية بشمر وحسب بل تشكل، كما ذكرنا في الجزء الأول ، ص 250 وما يليها، جزءاً أساسياً من هذا التجمع. ولذلك تعود الأسماء المذكورة في شجرات نسب شمر وجداولها، نمور، فداغة ونابت، قتادة[1]، رموث، إلى الظهور لدى زوبع[2]. ويتألف هؤلاء من ثلاث وحدات كبيرة هي: حيوات، وقتادة، وفداغة، وللوحدتين الأخيرتين روابط وثيقة مع شمر الرافدي، الجربا، الذين تشكل قتادة عندهم فرع الخرصة وتشكل فداغة أحد الأفخاذ. أما حيوات فليس لها علاقات قريبة مع الجربا. فهم ينتمون إلى الموجة الأولى من شمر التي ظهرت في أول القرن الثامن عشر على حدود العراق[3]. بالمقابل فإن قتادة جاءت بالتأكيد إلى البلاد مع الجربا في حوالى عام 1802م. وبعد ذلك استوطن العدد الأكبر منهم في العراق واتحد مع حيوات، بينما

(1) في العراق تلفظ قتادة چدادة.

(2) راجع الجزء الأول، 249 وما يليها، جدول شمر المتضمن لجدول زوبع.

(3) راجع الجزء الأول، 219.

انضم البقية إلى خرصة ورحلوا معهم إلى منطقة ما بين النهرين. ويبدو أن الجزء الأحدث من زويع هم فداغة[1] الذين تابع معظمهم رحيله ولم يبقَ منهم عند قبيلتنا سوى أقلية صغيرة. ومما يتفق وهذا الرأي أن قتادة وفداغة لم تكن تربطهم مع حيوات منذ القديم سوى علاقة ضعيفة[2].

بكر الحمام، جدّ عائلة من حيوات تحمل الأسم نفسه (آ ا)[3]، هو الشخصية الرئيسية في الحكايات والنوادر الملتصقة بقاهر البدو سليمان أبو ليلى، باشا بغداد من عام 1749م حتى عام 1762م. في يوم من الأيام تجرأ بكر الحمام، المشهور بأنه من لصوص الصحراء، على الاستيلاء على قطيع من الجمال كان يرعى عند قبر الست زبيدة قرب بغداد. وما أن سمع الباشا بالحادث حتى امتطى ظهر جواده وانطلق بأقصى سرعة خلف البدو الهاربين الذين اتجهوا نحو الفرات؛ لم يتمكن مرافقوه من اللحاق به إلا بصعوبة. لحق المطاردون بالبدو بينما كانوا يستعدون لعبور النهر. فكانت المفاجأة كبيرة مما جعلهم يتركون حريمهم وأطفالهم وخيامهم وقطعانهم مع الغنيمة ويلقون بأنفسهم في النهر. فغرق كثير منهم ونجا بعضهم ومن بينهم بكر الحمام. وبينما اندفع الجنود نحو الخيام لسلبها تقدمت زوجة بكر أمام الباشا وقالت له: يا أبا خرما! هي يهون عليك أن تنهب خيمة بكر الحمام القريبة جداً من حافر حصانك وكأنها في رعايتك؟ لبى سليمان أبو ليلى هذا الرجاء بأن وضع الخيمة تحت حمايته بقوله: "هذه حصتي من الغنيمة". وبعد أيام قليلة رأى الناس من الديوان، من غرفة جلوس الباشا، على الضفة الأخرى من دجلة خيمة سوداء منصوبة. وسرعان ما علم الناس أن هذه الخيمة هي خيمة بكر الحمام الذي أرسل زوجته إلى الباشا كي تطلب منه الحماية. استقبلها سليمان بلطف وتركها

---

(1) غير موجودة في قائمة روسّو: رحلة من بغداد إلى حلب (1808م)، 66 وما يليها.

(2) جونز، مذكرات، 1857م، 381، وسالنامه بغداد 1324، 249 يضعان قتادة (يمثلها عند الأول البرغوث بـ2 وعند الثاني الزبار ب1) وفداغة إلى جانب زويع أي إلى جانب الحيوات. انتبه أيضاً إلى ملاحظة جونز المتعلقة بالأخيرة: دم بدوي ولكنه انحدر!.

(3) سلسلة النسب في الملاحظة 4 التابعة للجدول ناقصة، الأمر الذي يتكرر في كثير من الأحيان.

تذهب بعد أن قدّم لها هدية. وبعد وقت قصير جاء بكر نفسه إلى الباشا وطلب منه العفو فعفا عنه[1].

لم يكن ينقص خلفه من بعده الجرأة على القيام بأعمال السلب والنهب. فقد كان سجل القبيلة في هذا المجال بين عام 1819م، الذي شنت فيه أول حملة تأديبية ضد زوبع، وعام 1913م طويلاً إلى حد ما[2]. بالمقابل كان الزوابعة يشاركون البدو في كرههم للخدمة العسكرية. فعندما دعت الحكومة التركية عام 1915م القبائل إلى الجهاد وعد الشيخ ضاري بتقديم 170 رجلاً لقاء مكافأة قدرها 2000 ليرة ذهبية، لكنه لم يتمكن بعد جهد جهيد من أن يجمع سوى عشرة رجال[3]. بعد احتلال بغداد اضطر الإنجليز عدة مرّات إلى محاربة زوبع، ولم يرضخ شيوخها إلا في سبتمبر/ أيلول[4]. وسوف نتحدث في وقت لاحق عن موقفها في ثورة عام 1920م.

يشكّل الفلاحون نحو سبعة أعشار القبيلة، والبقية رعاة غنم نصف رحل. وهؤلاء هم غالباً من فداغة، بينما لم يعش حياة البداوة من بقية زوبع إلا فرع الحمام من حيوات.

تشمل منطقة زوبع المقاطعات التي تحمل اسم القنوات الموجودة فيها وهي: أبو غريب، والرضوانية، والمحمودية. وتمتد في الشمال الشرقي حتى الصقلاوية، (نهر كرمة) وفي الجنوب الشرقي حتى قرب المحمودية. كما أن قناة اليوسفية التي شقت قبل وقت قصير من الحرب العالمية، والتي تبدأ تحت الرضوانية مباشرة، تقع في منطقتها. وهذه كانت (نظرياً أملاك دولة) في منتصف القرن الماضي ملكاً للقبيلة، لكنها في عام 1908م أصبح جزء منها ملكاً للدولة وجزء آخر ملكية خاصة، الأمر الذي أدى بالطبع إلى زيادة الرسوم التي تدفعها زوبع والتي كانت في الماضي

---

(1) دوحة، 148 وما يليها (عام 1169هـ/ 1755م ـ 1756م).

(2) لونكرك، 241؛ عالم الإسلام (باللغة الألمانية) الجزء الثاني، 49 رقم 117.

(3) موزيل، الفرات الأوسط، 127.

(4) تقرير عن الإدارة المدنية في بلاد الرافدين، 22.

تتألف من العشر فقط[1].

يعيش في منطقة زوبع عدد كبير من المستوطنين الغرباء. وهم ينتمون جزئياً إلى القبائل التي أخضعها الدليميون في نهاية القرن الثامن عشر أو طردوها باتجاه أسفل النهر، من أمثال الموالي والجنابيين والقرطان والبوسودا[2]. وينحدر آخرون من المجمع وبني تميم جيران زوبع في الشمال والشرق، وأيضاً من قبائل أبعد مثل عزة، وزبيد، وجبور. وهم مصنفون في الجدول تحت (آ)، على الرغم من أن صلتهم بزوبع أضعف من فروع شمر المتفرقة والمذكورة أيضاً تحت العنوان نفسه، ومن أن بعضهم يمكن اعتباره مستقلاً مثل: شعار (13) والبوسودا (15)، على سبيل المثال.

تنحدر أسرة شيوخ زوبع، آل محمود (آ 1، أ 1) من الحمام. وكان ظاهر المحمود[3] الذي حكم من السبعينيات وحتى بداية القرن الحالي رجلاً محترماً جداً. وورث عنه ابنه ضاري المنصب لكنه لم يرث النفوذ. فخضع للإنجليز بعد حادثة الرمادي (سبتمبر/أيلول 1917م) لكنه لم يستطع، أو لم يرد، عام 1920م منع قبيلته من الانضمام إلى الثوار. وعندما شعر بالإهانة بسبب تصرف لجمن «الجمان» الفظ أمر بقتله بعد زيارة له في معسكره. وفي وقت لاحق اعتقل ضاري وقضى حياته في السجن. فانتقل منصبه إلى ابنه خميس وأخيه درع الذي توفي قبل بضع سنوات.

---

(1) قارن خورشيد (حوالى 1850م) مع سالنامه بغداد، 1324هـ/1906م، 249. يقول خورشيد، 198، أن زوبع لم تكن تدفع أبداً أي ضرائب أو رسوم سوى «العشر».

(2) قارن الجزء الأول، 286، وهنا الملاحظات: 14، 15، 24، 29، 38.

(3) ليدي آن بلونت، القبائل البدوية على الفرات، ج2، 189، خطأ: ظاهر الحمود. وقد وقع بنفس الخطأ موزيل، الفرات الأوسط، 48.

زوبع(1)

شيخ المشايخ: خميس الضاري
مكان الإقامة: ضفة الفرات اليسرى ـ الفلوجة ـ المحمودية
عدد الخيم 3000

آ ـ الحيوات

الشيخ الأكبر: خميس الضاري
مكان الإقامة: أبو غريب
عدد الخيام: 1800 (بدون الخيام الملحقة)

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ الحمام			400
أ ـ الظاهر(2)			
1 ـ آل محمود			
2 ـ الحمد(3)			
3 ـ الفارس			
ب ـ العودة	مطلق المحيميد		
ج ـ البكر	صالح العودة(4)		
2 ـ السعدان	يوسف العرسان(5)		
	شكر المحمود		
أ ـ الخضر			
ب ـ الخضير			
ج ـ الفرهود			

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
د ـ اليونس	يوسف العرسان		
هـ ـ العبيد			
3 ـ الشيتي(6)	محمد العيد		
أ ـ الشيتي			
ب ـ الخلفيات(7)			
4 ـ الكروشيين	فزع الشنيتر(8)		
أ ـ الزامل	فزع الشنيتر		
ب ـ الفليح	ناصر العلي		
1 ـ الدندن	ناصر العلي		
2 ـ الطهماز	حسن بن شحاذة(9)		
3 ـ اللوابدة	فليج المحمود(10)		
4 ـ المنيصير	حسن المحسن		
	شلال الحسين		
ج ـ آل شندوخ(11)	عبطان بن حمود		
	اغوان بن حمود		
د ـ آل حنظل(12)	«گاطع» قاطع الموسى		
هـ ـ الهداب	فصل الفهد		
قبائل ملحق بهم			
1 ـ الغريباويين(13)			
2 ـ الشورتان(14)			
3 ـ الصبيحات(15)			

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
4 ـ الحرصة(16)			
5 ـ النمور(17)			
6 ـ الهليل(18)			
7 ـ القراغول(19)			
8 ـ اللهيب(20)			
9 ـ الخوالد			
10 ـ الفياض(21)			
11 ـ الهيتاويين(22)	شبل بن كاظم المسلط (23)		
12 ـ الجناعرة(24)			
13 ـ الشعار(25)			
أ ـ الشعار			
ب ـ السويلم	خليف السلطان(26)		
14 ـ الفلوجيين(27)	يعقوب اليوسف(28)		
أ ـ الاسماعيل	يعقوب اليوسف(28)		
ب ـ الخضير			
15 ـ البوسودا(29)			
16 ـ بني زيد(30)			

ب ـ القتادة

شيخ المشايخ: صلال المزعل(31)
منطقة الإقامة: اليوسفية
عدد الخيام 800 (بدون الملحقة)

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ الزبار	نجم المغامس(32)		
2 ـ البرغوث	صلال المزعل(31)		
3 ـ الخماس	عباس العايد		
4 ـ الحميد	عايد بن عداي(33)		
5 ـ السهيل(34)	حسين المدلول		
6 ـ القمزان «الگمزان»	راشد بن حنفوش		
7 ـ الراضي(35)			
8 ـ الرموث			
ملحقة بهم			
1 ـ العزة	مهاوش القاسم(36)		
2 ـ الغصنة(37)			
3 ـ الكراد			
4 ـ القرطان(38)			

ج ـ الفداغة(39)

شيخ المشايخ : عراك السعود

رعد المهاوش

مكان الإقامة : اليوسفية

عدد الخيام 200 (بدون الخيام الملحقة)

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ النابت	محمد السرحان		50
2 ـ الدغيم	عراك السعود		50
3 ـ النصار	مطر المهاوش		
ملحق بها			
4 ـ البو مفرج(40)			50

ملاحظات حول الجدول

1 ـ الوضع عام 1916م، أسماء الشيوخ حسب العزاوي ، عشائر العراق، جزء 1 ، 191 ـ 203، معدلة. قائمة شمر لدى روسو، رحلة من بغداد إلى حلب (1808م، 66 وما بعدها. تتضمن آ 1 ، 2، ب3، 8. تظهر قبيلتنا باسم زوبع لأول مرة في قائمة شبرنغر (1818م)، مجلة جمعية المستشرقين الألمان ZDMG، السنة 17، العدد 117، ص 224. جونز، 245، يحدد عدد خيام زوبع (آ) بـ 300، وبرغوت (ب) بـ 130 و(جـ) بـ 150 خيمة. خورشيد، 197، يحدد عدد خيام زوبع بـ 1000 خيمة إلى جانب كثير من أتباع قبائل أخرى. ماكس فرايهر فون أوبنهايم: من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي «العربي» (1900م)، الجزء الثاني، ص 72 : 3000 خيمة؛ موزيل، الفرات الأوسط، 127 : آ 2، 3، 4، ملحق بها 3، 6، 10، 11، 13، 16، ب، ب ملحقة1.

صيحة الحرب: خيال الخيل، زويعي! في الأزمنة السابقة: معن! راجع بهذا الخصوص، الجزء الأول، 244.

2 ـ العائلات الثلاث منسوبة إلى أبناء ظاهر.

3 ـ العزاوي يقدم بدلاً منها: الحامد والمحمد.

4 ـ العزاوي: صالح بن عواد بن سالم بن بكر الحمام.

5 ـ 1916: أبوه عرسان العلي.

6 ـ ذكرت في سالنامة، 249.

7 ـ العزاوي ـ الحليفات.

8 ـ 1916م والده شنيتر الجاسم.

9 ـ 1916م حميد بن شحادة الذي يأتي الآن في المرتبة الثانية.

10 ـ 1916م عايد الزويع، قارن العزاوي، عبد العايد، شيخ الزوابعة عائلة أخرى من الفرع.

11 ـ العزاوي ـ الشناجة (الشناخة).

12 ـ العزاوي، الحناظلة.

13 ـ الچلبيين، انظر الجدول، زبيدة جـ.

14 ـ الموالي، انظر الجزء الأول، 305، ضمن التسلسل 3.

15 ـ الموالي.

16 ـ الغفيلة قارن الجدول، شمر أ 2 و «الجزء الأول ص254».

17 ـ زويع، قارن ص 325 أعلاه.

18 ـ المجمع، انظر القسم الخاص بذلك.

19 ـ انظر القسم الخاص بذلك.

20 ـ الجبور، قارن الجزء الأول، 303، 4.

21 ـ بنو تميم، انظر القسم الخاص بذلك.

22 ـ زبيد، خورشيد، 217: 10 بيوت في إمام موسى صيحة الحرب: أخوة عوفه!

23 ـ 1916م علي المسلط.

24 ـ الجنابيين.

25 ـ الجبور، ينضوي تحت الزوبع منذ أمد بعيد، سالنامة 249، مستقلة، صيحة الحرب: عيال العود.

26 ـ 1916م والده سلطان بن حسن.

27 ـ التكارتة أيضاً، يسمون «التكريتيين».

28 ـ 1917م: والده يوسف الظاهر.

29 ـ الأفضل: سعودي قارن الجزء الأول، 305، 6، 1، خورشيد، 197: 200 خيمة، موزيل ص 126.

30 ـ انظر القسم الخاص بذلك.

31 ـ 1916م ـ والده خزعل السليمان.

32 ـ العزاوي: نجم العبدالله.

33 ـ سلفه: أخوه صايل، 1916م، والده عدي البصال.

34 ـ قارن مع الجدول، شمر (3 ب 1). «من هذا الجزء ص84 أعلاه».

35 ـ صايح (شمر).

36 ـ 1916م والده جاسم.

37 ـ خورشيد، 220: 20 كوخ في منطقة الرضوانية، العزاوي، العفنة، الجنابيين.

38 ـ خورشيد 197: 100 خيمة، قسم منهم بقي في الدليم، الجزء الأول، 305، 4، آ، 2.

39 ـ صيحة الحرب: العزيب!

40 ـ طي، سابقاً ضمن العبيد، العزاوي في المنشئ البغدادي، ص 43.

غرير

مرت معنا قبيلة الغرير الصغيرة، المقيمة في الجنوب والشرق قرب الفداغة، في الجزء الأول، الصفحة 293؛ وذلك لأنها كانت في أحد الأوقات تنتمي إلى تجمع العبيد الذي كان يسيطر على الجزيرة في القرن الثامن عشر قبل شمر. ويبدو أن الغرير ليس لديهم ذكرى واضحة عن ماضيهم العظيم[1]، لكنهم ما زالوا محاربين أشداء. بعد سقوط بغداد (11/ 3/ 1917م) بدأوا بالسطو على طريق بغداد ـ الحلة، ولم يخضعوا للإنجليز إلا في صيف 1918م على الرغم من أن الطائرات البريطانية قصفت عدة مخيمات من مخيماتهم.

يوجد تفريعات صغيرة للغرير لدى فتله الهندية وآل علي في المشخاب .

(1) العزاوي، الجزء الأول، يحاول البرهان على أن الغرير هم شمر. وأنا لا أوافقه على ذلك. السببان اللذان يذكرهما وهما: وجود فرع شمري يحمل الاسم نفسه (4) في جدولنا، وصيحة الحرب لدى الغرير: سناعيس! ينفي كل منهما الآخر، لأن غرير شمر هم أسلم، بينما سناعيس! هي صيحة الحرب عند العبدة. ويجب أن تكون الغرير قد تبنت هذه الصيحة في القرن التاسع عشر، إما لأنها كانت تخيم في منطقة العبدة أو لأنها كانت تعيش في حماية قبيلة العبدة القوية، وفي مثل هذه الحالات كان تبني صيحة الحرب لقبيلة أخرى أمر غير نادر. ومما ينقض رأي العزاوي بشكل خاص هو أن الغرير أنفسهم يتسبون إلى الحمدانيين، أي أنهم ينحدرون من الشمال. وفي الآونة الأخيرة صار شمر ما بين النهرين يعتبرون الغرير من أقربائهم.

الغرير(1)

شيخ المشايخ: محمد الديلمي(2)

عبود العبهول

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
1 ـ الخليفة	عبود الخليل		50
2 ـ العمران	حرج الراشد		25
	معافى بن بديوي(3)		
3 ـ العبابدة	عبود العبهول		60
4 ـ البوجناد	حسين العبدالله(4)		50
5 ـ السعيدات(5)	أحمد السعيد(6)		30
6 ـ البو حسين(7)			20

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م وثم إعادة النظر، بأسماء الشيوخ حسب العزاوي، ص 254، وما بعدها.

2 ـ يتبع العبادة (3).

3 ـ 1916م: والده بديوي بن حسن.

4 ـ 1916م: والده عبدالله بن حماد.

5 ـ الأصول إلى سعيد (زبيد).

6 ـ 1916م محمد السعيد.

7 ـ قبيلة وردت لدى موزيل، قريبة من قبيلة تحمل الاسم نفسه، الجزء الأول، 402، عائلات من البوحسين الشماليين وكذلك البوحمدان - ebed - 404 (2) تأتي أحياناً إلى العراق وتنصب خيامها لدى أقربائهم.

قراغول

القبائل التي تحمل اسم قراغول لها طبيعة خاصة مختلفة عن المألوف. فهي منتشرة في كامل ولاية بغداد آنذاك من الرمادي حتى الرميثة ومن الزاب الصغير حتى الغراف. وهي لا تشعر بأنها عضو في رابطة جماعية، على الرغم من أن بعضها له صلات قربى مع بعضها الآخر، والشيء المشترك فيما بينها هو الاسم فقط. أما الاسم قراغول فهو اسم تركي[1] ويعني "الحارس المسلح". وهو يعود إلى العهد المنغولي حيث كان أفراد هذه القبائل يستخدمون لحماية الطرق[2]. وفي عهد باشوات المماليك (1749م ـ 1831م) كان القراغول تابعين لآغا مقيم في بغداد. وفي عام 1831م ألغي هذا المنصب الذي كان يشغله رجل مملوكي وأعطيت مهامه لسلطتين متشابهتين هما: مكتب آغا الأحشامات[3] وهيئة الإشراف على قبيلة قره

(1) يلفظها الأتراك ويكتبونها «كرافول»، وفي اللغة العثمانية الجديدة «كراكول»[*].

(2) العزاوي في المنشيء البغدادي، 43.

(3) أحشام تعني أيضاً نوعاً من الميليشيا، في إيران على الأقل. في عام 1817م كُلّف آغا الأحشامات بتأديب الباوي، والنجادة، والبوموسى؛ دوحة 301. بخصوص الباوي والنجادة انظر مقال شمر ـ طوقة والدفافعة، البوموسى مفقودون: من الممكن أن يكون الثلاثة كلهم منتمين إلى مجال عمل واحد.

(*) لا يوجد فرق بين التركية القديمة والتركية الحديثة من لفظ كراكول. المصدر: نجدة فتحي صفوة. (م. شبّر).

أولوس[1]. كانت الهيئة الجديدة تسمى ببساطة "أقلامي سلسة" "المكاتب الثلاثة". كانت تتبع لها القبائل التي تفككت إلى مجموعات صغيرة، وكانت تعيش على الزراعة على الفرات من الرمادي حتى الحلة، وعلى دجلة من سامراء حتى الرحمانية، وعلى ديالى، ومن كركوك حتى بدره وجصان، والتي لم يكن من الممكن التعامل معها كوحدة واحدة بسبب تشتتها. ويبدو أن مهمة "المكاتب الثلاثة" كانت تقتصر على جباية الضرائب من هذه الفئات المتفرقة التي كانت تتألف في منتصف القرن الماضي من حوالى 12000 خيمة أو كوخ، وكانت تمارس أسوأ الأفعال. وتجدر الإشارة إلى أن الضرائب المجباة لم تكن ميري، أي ريع عقاري، وإنما ضرائب على العائلة ورسوم مشابهة.

بعد هذا الخروج القصير عن الموضوع نعود إلى موضوعنا بأن نقدم أولاً فكرة عن قبائل القراغول المختلفة، التي ينسب إليها خورشيد، 191، الإشجرية والجنابيين. كان الإشجريون مقيمين في الأصل في منطقة الدليم. ولكن في حوالى عام 1850م لم يكن يعيش هناك سوى أقل من نصف القبيلة، بينما كان البقية متناثرين عند أبو غريب، وفي هور عقرقوف، وعند المسيّب، وقرب الحلة[2]. ويبدو أن الإشجريين الذين كانوا آنذاك موجودين عند الدليم قد اختفوا، أما في الحقيقة فيمكن أن يكونوا مندمجين في القراغول الملتحقين بالدليم[3]. إضافة إلى أولئك هناك مجموعتان أخريان من الإشجريين: إحداهما موجودة في منطقة اذار (فوق الحلة، على الضفة اليمنى للفرات)[4]، والثانية على نهر دجلة فوق البغيلة

(1) تركمان تحولوا إلى أكراد على أرض تركية سابقاً في منطقة الحدود العراقية الإيرانية قرب مندلي.
انظر أيضاً العزاوي، الجزء الثاني، 182 وما بعدها.

(2) خورشيد، 207 ـ 231. لا يمكن تحديد العام الذي تعود إليه قائمة قبائل المكاتب الثلاثة، لأن خورشيد رآها جاهزة عندما التقى عام 1849م مع اللجنة التركية الإيرانية في بغداد. في النصوص التالية ستسمى هذه القبائل "الفلاحون المسجلون".

(3) قارن خورشيد، 190 مع 217، (حتى)، 220، 223.

(4) الجزء الأول، 305، ب، 6 د.

«النعمانية حالياً» وهي ملتحقة بقبيلة زبيد (الجدول و 1). أحياناً يطلق على هذه المجموعة اسم قراغول.

وهناك أيضاً قراغول ملتحقون بشمر ـ طوقة[1]، وآخرون على الغرّاف عند المنتفق، لا بل هناك بعضهم منضمون إلى القبيلة الرحُل ساعدة. ولقد صادفنا مجموعة منهم مع زوبع (آ ملحق 7)، ومجموعة ثانية تسكن إلى جوارهم، وثالثة في الشمال عند العبيد[2].

وبينما تتبع جميع قبائل القراغول الأخرى لتجمعات غريبة فإن المجموعة المجاورة لزوبع مستقلة. كانت منطقتها تبدأ في السابق تحت قناة المحمودية وتمتد على دجلة إلى ما بعد اللطيفية[3]. ويعيش القراغول الآن فوق اليوسفية أيضاً. وهم سنيون. حوالى 500 خيمة.

(1) لا تتطبق مع القراغول التي يذكرها جونز (1854م)، 372، عند الشوملي تحت الحلة.

(2) الجزء الأول، 308، 1حـ.

(3) يذكرها هناك أيضاً موزيل، الفرات الأوسط، 50.

الجنابيين[1]

على الجهة المقابلة لزوبع والغرير ومسعود (انظر المقال التالي) يحتل الجنابيون، الذين كانوا في السابق يعيشون في منطقة الدليم، الضفة اليمنى للفرات[2]. وكانت هجرتهم قد حدثت بمعظمها بعد منتصف القرن التاسع عشر. إذ أن خورشيد لم يتعرف عليهم هنا بعد. وهو يتحدث فقط عن 10 خيام لهم على قناة أبو لوجة (الضفة اليسرى). ومن سكان ذلك الوقت انضمت شكري عقيل[3] إلى الجنابيين وأصبحت أسرة شيوخهم[4].

بعض الكتّاب يعتبرون الجنابيين زبيديين، ونحن نشك في صحة ذلك لأن كثيراً من القبائل المجهولة الأصل تدعي أنها تنحدر من زبيد.

جميع الجنابيين تقريباً فلاحون؛ في جرف الصخر، الذي فقدوه في الثمانينيات بسبب تلاعب الحكومة وخداعها[5]، فلاحون للنبلاء البغداديين الباچچي والزيبق. ولذلك فإن نفوذ عائلة الشيوخ ضعيف هنا، وهو أقوى على الضفة

(1) في كثير من المراجع: الجنّابيون.

(2) قارن الجزء الأول، 286.

(3) خورشيد، 201 وما بعدها، 218. الذين يسمّون هنا عويسات مذكورون أيضاً في سالنامه، 285.

(4) شيها، مقاطعة بغداد، 1908م، 227.

(5) شيها، 75.

اليسرى حيث يعيش فوق المسيّب سدس القبيلة تقريباً.

الجنابيون قوم غير محاربين ولكنهم شاركوا بنشاط في التهريب الذي ازدهر على خط الفرات بعد الاحتلال الإنجليزي لبغداد (11/ 3/ 1917م).

وهناك جماعات صغيرة من الجنابيين موجودة أيضاً في أماكن أخرى، راجع مقال الزقاريط، والجبور، والصفحتين 328، 335، الملاحظة 24 أعلاه.

الجنابيين(1)

شيخ المشايخ: . . . .(2)

منطقة الترحال: ضفة الفرات اليمنى تحت الحصوة ـ المسيب

ضفة الفرات اليسرى فوق المسيب

عدد الأكواخ: 2000 ـ 3000

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ البو معلى			300
2 ـ البو صقر			300
3 ـ النوافلة(3)			300
4 ـ البو غربة(4)			200

ملاحظات حول الجدول

1 ـ بسبب عدم وجود معلومات خاصة بنا وفشل جميع المصادر الموثوقة أخذنا الجدول من شيها، 247. ذُكر لنا عدد الأكواخ عام 1916م. توصلنا إلى الأرقام الإفرادية بعد الاختصار المناسب للأرقام الخيالية، دوماً، عند شيها.

2 ـ 1916م: رشيد العلي الخلف، من المفروض أن يكون قد توفي في تلك الأثناء.

3 ـ يذكر خورشيد، 222 وما بعدها، جماعات صغيرة بهذا الاسم عند الحلة.

4 ـ يذكر خورشيد، 219، جماعة صغيرة منهم في هور عقرقوف.

مسعود

على النهر نحو الأسفل تقيم إلى جوار الجنابيين قبيلة مسعود التي تجمع الآراء على أنها تنحدر من شمر. وبما أن نيبور (1765م) يذكر أسلم بين مجموعة شمر التي كانت آنذاك تتنقل على الحدود العراقية، فإنه من المحتمل أن تكون قبيلة مسعود التي نتحدث عنها هنا مرتبطة بفرع أسلم النجدي (4 د من الجدول) الذي يحمل الاسم نفسه. أمّا القبيلة الفرعية فرير فمن الصعب فصلها، بسبب ندرة الاسم، عن قبيلة طي القديمة فرير[1]؛ من المؤكد أن مسعود وجدها في العراق عند مجيئها.

المسعوديون فلاحون. وهم يقيمون على قناة الحسينية[2]، التي أنشئت عام 1254هـ/ 1838م وتمتد من المسيّب حتى قرب كربلاء، في غالب الأحيان على الضفة اليمنى المجاورة للصحراء. وقام جزء من القبيلة قبل وقت غير بعيد بعبور الفرات والإقامة على قناة الاسكندرية[3]. والمجموعتان، مسعود كربلاء ومسعود

(1) قارن الجزء الأول، 271، 272. هذا يعني أن معلومة طي ما بين النهرين الأعلى عن فرير في العراق قد تأكدت. غير أن العزاوي، الجزء الأول، 252، يتحدث عن غرير (خطأ مطبعي؟).

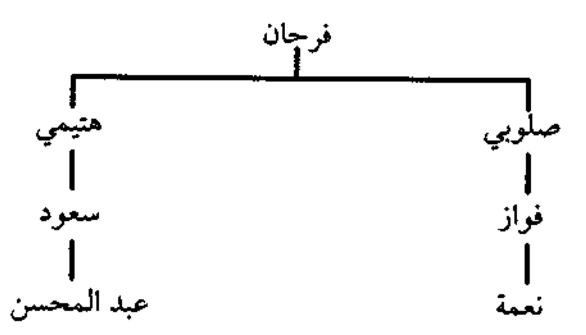
(2) بشأن سابقاتها قارن خورشيد، 202 (استبدل الت بـ اوست، السطران 12 و17 !)؛ موزيل، الفرات الأوسط، 121، لونغريغ، 252.

(3) خورشيد، 220، قارن 197 وما بعدها، يسجل لمسعود على الضفة اليسرى للفرات 15 خيمة؛ ولكن في مكان أبعد نحو الأسفل. كانت آنذاك الضفة اليسرى للاسكندرية قاحلة.

الاسكندرية، مستقلتان عن بعضهما، والمجموعة الأولى أقوى جداً من الثانية. وهناك فئة صغيرة من القبيلة استوطنت بعيداً في الشرق حيث تتسرب في تراب البادية مياه ترساق ودحاله النازلة من جبال لورستان. ولم تزل لها علاقات مع القبيلة الأم[1].

يوجد لدى مسعود كربلاء ولدى مسعود الاسكندرية العديد من المجموعات التي تنحدر من أصول غريبة. وتشكل قوّام «گوام» أهم هذه المجموعات. وهناك فئات صغيرة من هذه القبيلة متناثرة في أماكن بعيدة في العراق الأعلى. يذكر خورشيد، 219 وما بعدها، بعض هذه الفئات في ناحية الدليم (20 خيمة) وعند الرضوانية (30 خيمة) وتحت المسيّب (45 خيمة)؛ أمّا نحن فسنلتقي بهم عند ربيعة. لم يمر سوى عدة عقود على وجود القوام «الگوام» عند مسعود. كما أن البو غانم (معدان) ـ وحسب العزاوي، 252، القوام «الگوام» أيضاً ـ لم يمر زمن طويل على وجودهم في منطقتهم الحالية؛ كانوا يقيمون سابقاً في الأعلى في جرف الصخر[2]. أمّا الشوافع فكانوا يقيمون على نهر الاسكندرية منذ منتصف القرن الماضي[3].

تنحدر أسرة شيوخ مسعود كربلاء من فرير. والمخطط التالي يبيّن علاقة القرابة بين الشيخ الأكبر عبد المحسن وشيخ الفرير نعمة الفواز.



(1) العزاوي، الأول، 241، ينسبها إلى شمر ـ طوقة.

(2) يذكرها خورشيد، 218، هناك مع 100 خيمة، سالنامه، 285، على نهر الحسينية.

(3) خورشيد، 220: 20 خيمة (داخلة ضمن الـ 50 خيمة التابعة لأبو غريب).

المسعود(1)

مسعود كربلاء(2)

شيخ المشايخ: عبد المحسن بن الحاج سعود(3)

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ آل هنداس(4)	مركب بن عمد		150
2 ـ الفرير	نعمة الفواز	الامام عون	150
3 ـ العقابات «المگابات»	عمران الهدهود		
	عبد العافص		
4 ـ الهرير	دهش السلمان	قصر السيد كاظم	300
الملحق بهم			
أ ـ البو مصري(5)			
ب ـ الامارة(6)			
ملحقة			
1 ـ القوام«الگوام»	علو بن مزعل العلاوي(7)		150
أ ـ آل لايح	شعلان العيفان(8)	هور ابو لايح	
2 ـ البو غانم(9)		سدة الهندية	40

مسعود الاسكندرية

شيخ المشايخ: . . . (10)

عدد الخيام: 250

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ الهوابر	مغير بن فرحان القسام «الجسام»(*)	نهر الاسكندرية	
2 ـ المناقعة	عسل بن ساحل	الاسكندرية	
ملحقة بها:			
1 ـ القوام		نهر المسيب	
2 ـ الشوافع		نهر الاسكندرية	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م. استكملت أسماء الشيوخ استناداً إلى العزاوي 251 وما بعدها.

2 ـ تمّ ترتيب فروع القبائل 1 ـ 4 من الغرب نحو الشرق.

3 ـ ذكر والده سعود بن هتيمي لدى موزيل؛ الفرات الأوسط 107.

4 ـ فلاحون عند إقطاعي من كربلاء، حسب العزاوي: فرير (2) أو غرير.

5 ـ سالنامة 285 تسمى معدان.

6 ـ حسب العزاوي فرير أو غرير.

(*) الجسام/حسب العزاوي/عشائر العراق. (م. شبّر).

7 ـ 1912 والده مزعل، عالم الإسلام 2، ص 43، رقم 80.

8 ـ فلاحو الكيلاني في بغداد.

9 ـ أحد الشيوخ المذكورين عام 1916م، جعد، موجود على الخارطة.

10 ـ 1916 إبراهيم الواجد.

الزقاريط

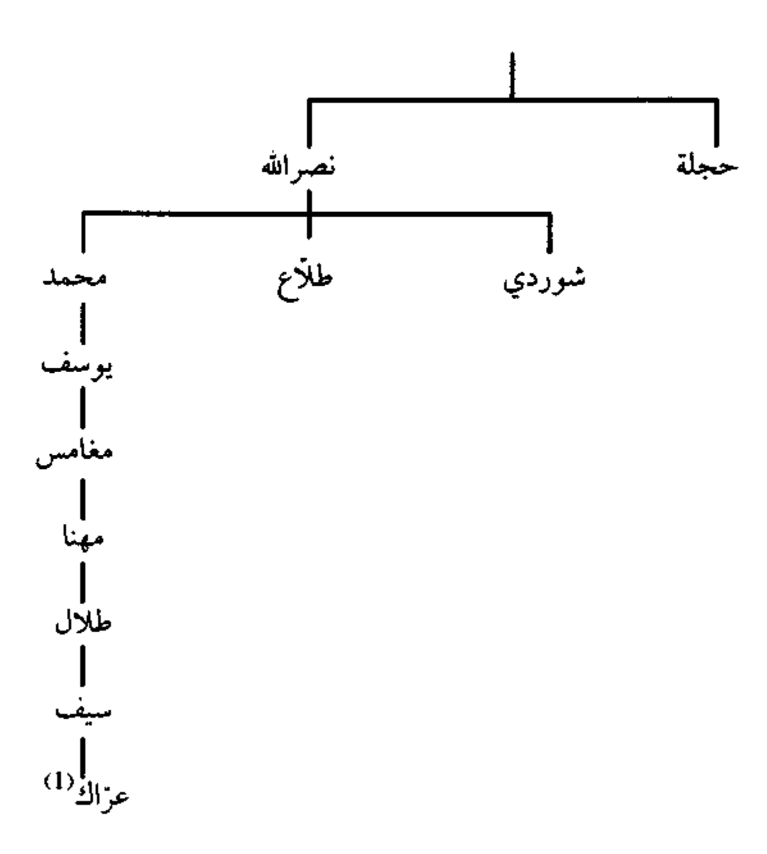
ينتمي الزقاريط مثل مسعود إلى شمر. فهم ينحدرون من عبدة ويتبنون صحبتهم الحربية: سنا عيس[1]! إلا أنهم خلافاً لمسعود لا ينتمون إلى فئة جربا الرُحّل وإنما إلى فئة أقدم؛ يذكرهم نيبور (1765م) في منطقتهم الحالية قرب كربلاء[2].

تشكل القبيلة جماعة متجانسة اختلط معها فقط بعض الجنابيين (40)[*] والتميميين (7). ومن الممكن أن يكون التميميون جاؤوا مع الزقاريط من نجد. وينتمي الفروع 1 ـ 4 إلى عائلة واحدة حسبما يتبين من مخطط النسب التالي.

(1) قارن الجزء الأول، 261، الملاحظة 27.

(2) قارن الجزء الأول، 221.

(*) لم أستطع التعرف على ما يقصده المؤلف بالرقم 40 هنا (م. شبّر).



الزقاريط هم غالباً بدو رحل ـ يربون الجمال والأغنام ـ وينتقلون في الصحراء بين شثاثه والنجف وكربلاء. وبعض الزقاريط أصبحوا فلاحين. وكانت الأرض التي يعملون فيها، قرب كربلاء، ملكاً لهم في السابق، لكن ملكيتها انتقلت في عهد مدحت باشا إلى عائلة الشيوخ العمارات. أصبح هؤلاء الفلاحون فيما بعد شيعة بينما ظلت بقية القبيلة سنية.

(1) شيخ المشايخ.

الزقاريط(1)

شيخ المشايخ: عراك بن سيف
منطقة الترحال: كربلا

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ آل طلاع	صخيل بن طلاع(2)		160
2 ـ آل فاضل	بندر الفرحان		80
3 ـ الشاوردي(3)			80
4 ـ الحجلة(4)	حمود المعافى		
أ ـ آل زريف	محمد آل زريف(5)		
5 ـ المغرا(6) (المغرة)(*)	علي الهوير مصارع البدعي(7) سليمان الظاهر(8)		
6 ـ الشريفات(6)			80
7 ـ التمايم	محمد الشماس(9)		

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م، عُدّلت أسماء الشيوخ استناداً إلى العزاوي، ج1 ص222 ـ 228. سالنامه، 284، تذكر فروع القبائل 4، 5، 6، 7 (5، 6 غير ظاهرة).

2 ـ 1916 شيخ المشايخ.

(*) المغرة عند العزاوي، (م. شبّر).

3 ـ العزاوي: "شوردي". منهم يأتي قاضي القبيلة، العارفة.

4 ـ العزاوي: أهل الحجلة، مجلة سالنامه.

5 ـ يعيش في كربلاء.

6 ـ موزيل، الفرات الأوسط، 107 (المقصود).

7 ـ 1916: أبوه بدعي الزيارة.

8 ـ 1916: أبوه ظاهر الحبيب.

9 ـ العزاوي: م. الشماص.

بني سعد

استوطن بني سعد قرب كربلاء قبل وقت قصير، وربما بعد الحرب العالمية الأولى[1]. وهم ينتمون إلى القبيلة التي تحمل هذا الاسم والموجودة على قنوات ديالى منذ عشرينيات القرن الماضي[2]. ولا يمكن التأكيد مما إذا كان هؤلاء ينحدرون من بني سعد الذين كانوا يقيمون حوالى عام 1443م قرب واسط[3]، وذلك لأن القبيلة غير مسجلة ولا يوجد في المراجع أي شيء عن تاريخها.

(1) غير موجودة في سالنامه. العزاوي، الأول، 251، 253، يذكرهم عرضاً كجيران لمسعود. ويذكرهم عبد الرزاق الحسني، العراق قديماً وحديثاً، صيدا 1367 هـ/ 1948م، 99، بين قبائل كربلاء، بالإضافة إلى بعض الجماعات ذات الأصل غير البدوي مثل الوزون والنصاروة. يرد ذكر النصاروة عند العزاوي أيضاً، 253.

(2) رحلات المنشئ البغدادي، محمد بن أحمد الحسيني، 1237هـ/ 1822م، ترجمة عن الفارسية عباس العزاوي، بغداد، 1367هـ/ 1948م، 51: منتصف الطريق بين خان مصبّح (عند الوندية) ودلي عباس؛ خورشيد، 211 (فلاحون مسجلون): عند شهربان، 20 خيمة؛ سالنامه، 256: عند بلدروز، 15.

(3) نور الله الشوشتري مجالس المؤمنين، مجلس 8، جند 16.

بني طرف

بني طرف ـ جيران مسعود في الجنوب ـ، تبدأ قبائل الهندية التي تنتشر على امتداد فرع الفرات هذا وتصل حتى الكفل. وهم مهاجرون حديثون، لأن نهر الهندية، التي أصبحت منطقتهم صالحة للسكن بسببه، لم يبدأ جريان الماء فيه إلاّ منذ حوالي عام 1800م. فقد كان في الأصل قناة تبرع بشقها آصف الدولة[*] من لكناو[1] لكي يوفر الماء للمدينة المقدسة النجف، وسميت باسم مؤسسها الهندي، الهندية. وسرعان ما بدأ المشروع الخيري يتجاوز تأثيره غرضه الأصلي، خيراً وشراً. كان مع كل فيضان ربيعي يزداد قوة ويمد مجراه نحو الجنوب، مشكّلاً فروعاً هنا، ويغمر المناطق المنخفضة هناك مؤقتاً أو دائماً، إلى أن وصل إلى النهر الأم قبل السماوة. وفي الوقت الذي أضاف هذا النهر الجديد للأراضي الزراعية مساحات واسعة جديدة، عرّض أراضٍ أخرى للجفاف لأنه سحب المياه شيئاً فشيئاً من المجرى القديم، من شط الحلة. ولكي يتفادى باشاوات بغداد هذا الخطر بدأ ومنذ الأربعينيات بسد الهندية. لكن جميع الجهود المبذولة ظلت عشرات السنين دون جدوى: في عام 1880م كان الهندية قد أصبح الفرع الرئيسي للفرات، وفي عام 1885م أدى إلى تجفيف شط الحلة كلياً تقريباً. قام مهندسون فرنسيون ببناء سد

(*) جد النواب اقبال الدولة (م. شبّر).

(1) يوجد هناك ضريح فخم بني 1780م ـ 1784م.

لم يصمد إلا من عام 1891م حتى عام 1903م، وأخيراً بني السدة وليم ويلكوكس الذي انتهى عام 1913م وجعل من الممكن توزيع الماء بالتساوي بين فرع الحلة وفرع الهندية.

تقدم قبائل الهندية بشكل ملموس لأول مرة في قائمة لدى خورشيد، 115 وما بعدها: طفيل (700 رجل)، الكنانة (300 رجل)، بني حسن (1500 رجل)، الفتلة (1600 رجل)، الإبراهيم (200 رجل). إذا ما أجرينا مقارنة مع القبائل الموجودة اليوم وهي: طفيل، وبني حسن، وبني طرف، وفتلة، وجليحة، وقريط، نجد أن تركيبها لم يطرأ عليه تغير كبير: انضافت إليها قبيلتان (جليحة، وقريط) ورحلت واحدة (إبراهيم) إلى شط الكوفة. وهناك تغير آخر ظاهري فقط: لأن كنانة «چنانة» وبني طرف يتبعان بعضها البعض كما سنرى أدناه.

جميع هذه القبائل كانت في الأصل تحمل طابع المعدان، ومعظمها ينحدر أيضاً من موطن المعدان، العراق الأدنى. لكن بعضها لم يأتوا من هناك مباشرة وإنما كانوا يسكنون قبل هجرتهم قرب الديوانية في الجزيرة حيث كانوا ينتمون إلى تجمع الخزاعل. ولقد حافظوا في منطقتهم الجديدة أيضاً فترة من الزمن على رابطتهم مع هذه القبيلة القوية[1].

بسبب تأرجح الظروف المائية، وعدم وضوح قضايا الملكية، وأيضاً بسبب التصرفات التركية الحمقاء، ومنها مثلاً تسليم جباية الضرائب لوادي بن شفلّح، شيخ مشايخ زبيد، أصبحت منطقة الهندية منطقة اضطرابات مستمرة[2] لم تتوقف إلا بعد الاحتلال الإنجليزي، ولكن لتندلع بعد ذلك بغاية العنف خلال الثورة العراقية (1920م).

يعيش بنو طرف على الضفة اليمنى للهندية في شمال غرب الناحية التي تحمل اسم

---

(1) لوفتوس يسميهم ببساطة خزاعل؛ أمّا خورشيد، 115، فيقول إنهم متحالفون مع الخزاعل.

(2) لونكريك، 291: ثورات في عهد نجيب (1842 ـ 1849م)، وعبدي (1849 ـ 1851م)، وعمر باشا (1858 ـ 1859م). خورشيد، 116، يشكو قائلاً: الهندية، مركز المعارضة ومنبت الاستياء والتمرد. . .!

الهندية أيضاً. وهم مرتبطون بالقبيلة التي تحمل الاسم نفسه وتسكن على الجانب الآخر من الحدود العراقية جنوب شرق العمارة. كما أن كنانة «چنانه» (3) يعيشون هناك أيضاً، ويعيش بنو سد (أسد) (4) في الجبايش فوق القرنة على الفرات[1].

كان بني طرف، شأنهم شأن جميع قبائل الهندية الأخرى، يعيشون في بادئ الأمر من زراعة الأرز لكنهم تحولوا منذ 50 عاماً تقريباً شيئاً فشيئاً إلى زراعة أصناف أخرى، لأن الأراضي التي كانت في السابق تتعرض للغمر ارتفع منسوبها شيئاً فشيئاً بسبب مواد الطمي التي يجلبها معه الفرات. وهم يسكنون مثل قبائل الهندية الأخرى في أكواخ.

يتبع بنو طرف في الحرب والسلم جيرانهم بني حسن.

بني طرف(1)

شيخ المشايخ: . . .(2)

المنطقة: نهر المشورب

عدد الأكواخ: 250

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الأكواخ
1 ـ الدعوم(3) 2 ـ بني صالح 3 ـ الكنانة(جنانة) 4 ـ بني سد (أسد) **ملحقة بهم:** الكراكشة(4)		نهر المشورب: نهر الدويهية	125

(1) انظر مقال "قبائل حويزة" في القسم التالي، وبني لام، الجدول، ملحق 1، أسد.

ملاحظات حول الجدول

1 ـ لعدم توفر سوى ملاحظات إجمالية من عام 1916م، فإن من غير المؤكد فيما إذا كانت الفروع 1 ـ 4 فروع لبني طرف أم أنها ملحقة بهم فقط. سالنامه 291، 293، تورد 1 و4 والكراكشة إلى جانب بني طرف.

مناطق إقامة بني طرف والوحدات المنصوبة تحتهم 2 و4 والكراكشة محملة على الخارطة ب 1 كربلاء.

2 ـ 1916 : سلطان الطوعيب.

3 ـ دعوم يوجد أيضاً لدى أبو صخير.

4 ـ يبدو أنهم يرتبطون بالطفيل. قارن خورشيد 195 حيث يذكر أن لهم ومع قبيلة ثالثة صغيرة، في هور عقرقوف (300 كوخ). اليوم يوجد كراكشة أيضاً عند أبو صخير.

بني حِسن

بني حِسن أكبر قبيلة على نهر الهندية. وهم يجاورون في الشمال بني طرف ولكن ليس لهم هنا سوى منطقة محدودة غربي طويريج (الهندية). غير أنهم يبدأون فوق الكفل من جديد ويمتدون من هنا نحو الجنوب حتى إلى ما بعد ناحية الهندية. ويشغلون شط الكوفة وشط الشامية[1]، اللذين يتفرع فيهما النهر تحت الكفل، حتى إلى ما بعد مستوى الكوفة، وهور الدخن[2] الذي يمتد بينهما. ولذلك يمكن اعتبار بني حسن من قبائل الشامية مثلما يمكن اعتبارهم من قبائل الهندية.

بناء على ما ذكرناه في المقال السابق عن منظومة نهر الهندية فإنه يمكننا الافتراض بأن بني حسن قد هاجروا إلى هناك في الربع الأول من القرن الماضي. وقبل ذلك كانوا يسكنون في الجزيرة قرب الديوانية؛ إذ أن نيبور[3] يذكر بني حسن مع قبائل بدير، وأقرع، وجليحة، الذين كانوا يقيمون في هذه المنقطة. كما أنه لم يزل يوجد هناك حتى الآن فرع لبني حسن هو المكاتيم (ب 2).

(1) في الاستعمال المحلي يسمى شط الشامية في بادئ الأمر شط أبو شورة، لكنه اعتباراً من تفرع أم الحياية حيث يدخل في ناحية الشامية وحتى مركز الناحية مدينة الشامية، يسمى نهر أبو كفوف.

(2) يمتد هور الدخم جنوبي الكفل حتى عرض الكوفة تقريباً ويصل في الشرق إلى ما بعد شط الشامية.

(3) الجزيرة العربية، 390.

أمّا فيما يتعلق بأصل بني حسن فيقال بأنهم ينحدرون من قبيلة بني مالك المفقودة اليوم والتي تنسب إلى ربيعة. وبنو مالك هؤلاء كانوا في عام 1765م وما زالوا موجودين في منطقة السماوة. يرد ذكرهم هناك لدى نيبور[1] مع آل علي الذين يشكلون اليوم فرعاً من بني حسن (ب 15). وبذلك يكون قد ثبت وجود صلة لبني حسن مع بني مالك وإن كانت ليست بالضرورة صلة نسب.

استوطن بنو حسن في بادئ الأمر عند مجيئهم في الشمال ثم تقدموا[2] شيئاً فشيئاً على النهر نحو الأسفل، وذلك بأن قوّوا أنفسهم بجلب قبائل من أقربائهم مثل آل علي، أو بضم قبائل غريبة مقيمة في الشامية. ومن هذه القبائل الغريبة قبيلة دهيّم[3] التي لا تضم القبيلة الفرعية التي تحمل هذا الاسم (ب 5) وحسب، وإنما أيضاً البوحداري (ب 4) وأجزاء من ألبو دحيدح (ب 14) وبعض الوحدات الصغيرة (ب ـ 7، 11، 13). التحقت الأجزاء الغريبة بالقبيلة الفرعية آل جراح (آ 2) التي كان لها الدور الرئيسي في تقدم بني حسن نحو هور الدخن. وبسبب هذا النمو الكبير تضخم جرّاح الهور إلى درجة أنهم تفككوا في نهاية المطاف. ثم تطورت فروعهم (ب ـ 3، 6، 8، 12، 14) والوحدات الغريبة التي انضمت إليهم إلى قبائل فرعية لم تعد تابعة لشيخ الجراح[4] وإنما لشيخ مشايخ بني حسن.

تمكن آل عباس، أسرة مشايخ بني حسن، ليس فقط من المحافظة على تماسك تجمع القبيلة الكثير الفروع، وإنما أيضاً من جعله رئيساً لاتحاد يضم العديد من قبائل الهندية وقبائل الشامية المجاورة. وكان بنو طرف على الهندية، والعوابد

---

(1) الجزيرة العربية، 389، عام 1102هـ/ 1691م عند الرماحية، گلشن، ص 128.

(2) خورشيد، 116، يحصر منطقة إقامة قبائل الهندية، وبالتالي بني حسن أيضاً، في منطقة كربلاء ـ طويريج.

(3) أثبت خورشيد وجودها في الشامية 1850م، ص 115، ولكن يجب أن نقرأها "دهيم" بدلاً من "دهيمة".

(4) عام 1916م كان لفته الشمخي، شيخ جراح هور الدخن، لم يزل يمارس بعض النفوذ على مجموعته.

والحميدات على الشامية، أعضاء دائمين في هذا الاتحاد، وكانت جليحة وقريط تنضمان إليه بين حين وآخر. غير أن آل عباس اصطدموا بقبيلة فتلة، ثاني أكبر قبيلة بين قبائل الهندية/ الشامية، التي كانت تسعى مثل بني حسن إلى تجميع القبائل المجاورة تحت سلطتها. وفي 1893م نشبت حرب بين القبيلتين لهذا السبب[1].

وكان هناك توتر آخر بين بني حسن وأعيان كربلاء. وكاد هذا التوتر أن ينفجر عندما انتقلت إلى كربلاء الاضطرابات التي أدت في أبريل/ نيسان 1915م إلى طرد الأتراك من النجف. إذ دخل بنو حسن إلى المدينة لكنهم اكتفوا بحرق دار الحكومة ونهبها[2].

بينما كان الأتراك يعملون على خلق العداوات بين القبائل، اتبع الإنجليز في بادئ الأمر سياسة معاكسة[3] لأنهم كانوا بحاجة إلى هدوء في البلاد من أجل توفير الغذاء وجباية الضرائب. ولذلك سعوا إلى ردم الهوة بين بني حسن والفتلة ـ مما ألحق الضرر بهم كما تبين بعد ذلك بوقت قصير. إذ أن القبيلتين تمكنتا، بسبب ضمان عدم مهاجمة أي منهما للأخرى، من المشاركة في ثورة عام 1920م.

اتخذ بنو حسن في بادئ الأمر موقفاً سلبياً من القلاقل التي انطلقت من بغداد والمدينتين المقدستين النجف وكربلاء. ولكن عندما ثارت قبائل المشخاب (على شط الكوفة الأسفل) اندفع معها (14 تموز/ يوليو 1920م) بنو حسن الجنوبيون الذين كان يقودهم شيخ المشايخ علوان السعدون. أمّا أخو علوان عمران، رئيس بني حسن الشماليين، فقد تردد بضعة أيام لكنه ما لبث أن رضخ لضغط الثوار. في 20 يوليو/ تموز احتل بنو حسن الكفل، وفي 24 تموز صدوا بالتعاون مع قبائل أخرى كتيبة بريطانية كانت تتقدم باتجاه الكفل ـ الكوفة، بينما شاركت مجموعات أخرى في حصار الكوفة[4] الذي استمر من 20 يوليو/ تموز حتى 17 أكتوبر/ تشرين الأول.

---

(1) لونكريك، 310.

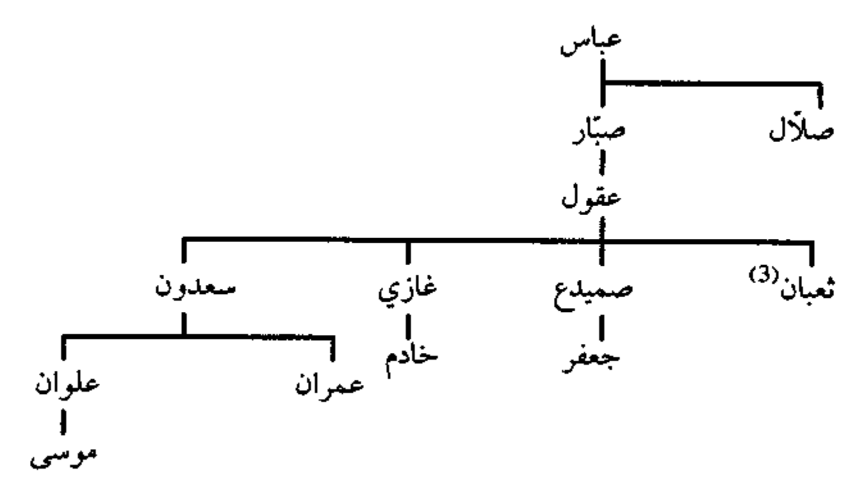
(2) قارن ريفيو، 143.

(3) ريفيو، 29.

(4) ريفيو، 145 وما بعدها. هولدين ـ العصيان في بلاد ما بين النهرين 1920م
. Passim, A.T. Wilaon, Mesopotawia 1917-1920. A clash of loyalties, passim.

خلافاً لمعظم قبائل الهندية الأخرى لا يمارس بنو حسن الزراعة وحسب بل وأيضاً تربية الماشية. ويقوم الرعاة في فصل الربيع بالتوغل في الصحراء حتى جال البطن ـ «Djal el Baten» مسيرة أربعة أيام جنوبي النجف.

لأسرة مشايخ بني حسن، آل عباس، أملاك كثيرة قرب الكفل مركز منطقة القبيلة[1]. ولكن لهم أملاك أيضاً في أعلى الهندية وفي هور الدخن[2].



يملك شيخ المشايخ الحالي عمران الحاج سعدون بيتاً في طويريج الهندية، لكنه يسكن غالباً في أملاكه الزراعية خارج المدينة.

(1) يظهر في الخريطة ب 1 حلة حصنٌ لعلوان السعدون على الضفة اليسرى للهندية فوق الكفل، وحصن ثانٍ في الشمال الغربي من الكفل، وبيت في الجنوب الشرقي منها، وفي نفس المنطقة حصن وبيت لأخيه عمران، وبيتان لابن عمهما جعفر الصميدع.

(2) خادم الغازي، انظر أدناه.

(3) ذو نفوذ واسع قبل الحرب العالمية الأولى.

بني حسن

حواتم

الحواتم هم أقوى فرع بين فروع بني حسن ويعتبرهم البعض قبيلة مستقلة. يعيشون في منتصف الطريق بين الكفل والكوفة وكانوا في السابق يقومون عند اندلاع ثورات بشل حركة السفن والقيام بأعمال إرهابية في الكوفة. وخلال الحرب العالمية أيضاً كانوا من المشاغبين وخاصة في الأشهر الفاصلة بين انسحاب القوات التركية واحتلال الإنجليز الفعلي للكوفة (ديسمبر/ كانون الأول 1917م). كانت هناك ثارات دم بين البوضرس: والبوشتيّو، كما كانت توجد عداوات بين شيوخهم المنحدرين من البوضرس: كان سلمان الفاضل قتل منافسه ثامر المهنا. فاعتقله الأتراك لكنه هرب وعاد في النهاية دون ملاحقة لكي يتولى منصب الشيخ الذي كان قد احتله في تلك الأثناء دهام الثامر[1] ابن ضحيته ثامر المهنا.

---

(1) يوجد على الخريطة ب 1، حلة «Hillah» حصن له وحصن لسلمان.

بني حسن(1)

شيخ المشايخ: عمران الحاج سعدون
منطقة التنقل: كربلا ـ الكفل ـ النجف ـ الصليكية «الصليچية»
عدد الأكواخ: 6000

آ ـ بني حسن الهندية(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ آل جميل(3)		أبو نقاش: كعبوري	320
2 ـ آل جراح(4)			320
3 ـ آل كباس(5)		كعبوري	160
4 ـ الثراوين(6)			80
ملحقة:			
العامرية (7)		نهر عبد عونيات	80

ب ـ بني حسن في هور الدخن(8)

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ آل عباس(9)	عمران الحاج سعدون؛ موسى العلوان؛ جعفر الصميدع	أبو نقاش؛ الكفل؛ هور الدخن	
2 ـ المكاتيم(10) «المچاتيم»		شط أبو شورة	

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
3 ـ الحواتم		شط الكوفة ـ شط الشامية	
4 ـ البو حداري(11)		ضفتا شط الكوفة فوق الكوفة	360
5 ـ الدهيم(12)		مقابل الكوفة	200
6 ـ البو نعمان		الضفة اليسرى تحت الكوفة	55
7 ـ البو شيخ مشهد(13)		الضفة اليسرى من شط الكوفة	40
8 ـ العيسى(14)		الضفة اليسرى من شط الكوفة	125
9 ـ البو سلامة(15)		الضفة اليسرى من شط الكوفة	160
		الضفة اليسرى من شط أبو شورة	
10 ـ البو عارضي		شط الأعمى	320
11 ـ البو عذيب		الضفة اليمنى من شط أبو شورة	120
12 ـ المواش(16)			320
13 ـ الزرقات(17) «الزرگات»		أم الحياية	
14 ـ البو دحيدح(18)			320
15 ـ آل علي(19)		الضفة اليمنى من نهر أبو كفوف	
ملحقة:			
آل بدير(20)		الضفة اليمنى من نهر أبو كفوف	150
أ ـ البو حسين			
ب ـ النبهان			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م، بعض أسماء الشيوخ عدّلت عام 1942م استناداً إلى أقوال عراقيين يقيمون هنا ـ القبائل مصنفة من الشمال نحو الجنوب أي من أعلى النهر إلى أسفله.

2 ـ كلا المنطقتين كعبوري وأبو نفاش تقعان غرب شمال غرب وغرب جنوب غرب طويريج، قارن سالنامه، 291 وما بعدها، والخريطة ب 1 كربلاء. يوجد على هذه الخريطة قرية لكل من آل جميل (1) وآل جراح (2) والشراوين (4)، وبيوت شيوخهم آنذاك وبيت شيخ آل كباس (3).

3 ـ الشيخ 1916م: سلمان الحسين.

4 ـ الشيخ 1916م: محمد العبادي. شيخ آل جراح هور الدخن هو الآن ابن الحسن الشمخي الذي يقيم مثل سلفه لفتة الشمخي عند الصليچية.

5 ـ الشيخ 1916م: ياسين المحسن.

6 ـ الشيخ 1916م: مهدي الشعلان.

7 ـ سالنامه، 291، 293.

8 ـ سالنامه، 296، تذكر القبائل الفرعية 1 ـ 4 في ناحية هور الدخم مع أكثر من 200 كوخ، 6 ـ 8، 12، 14 في ناحية الكوفة؛ 15 مذكورة في سالنامه، 319 وما بعدها بين قبائل ناحية الصلاحية. على الخريطة ب 1. عند الحلة توجد مستوطنات القبائل الفرعية 2، 3، 4، 7، 9، 11 وحصون الشيوخ المذكورين في الملاحظة التالية.

9 ـ أسرة الشيوخ، انظر النص أعلاه.

10 ـ انظر أعلاه، ص 360.

11 ـ شيخ المشايخ 1916م: عوده الزبالة، وشيخ آخر: أبو حَلة.

12 ـ شيخ المشايخ 1916م: سلمان الحميد. الشوافع المسجلون على الخريطة هم فرع من الدهيّم.

13 ـ حسب سالنامه عبوده؛ قارن مقال: قبائل أبو صخير الصغيرة.

14 ـ أحد الشيوخ 1916م: جاسم الرخيّص.

15 ـ يتبعون البوعارضي (10)، كلاهما على الأرجح من منشأ غريب ـ يعمل البوسلامة جزئياً في أراض تملكها العائلة اليهودية البغدادية المعروفة دانيال.

16 ـ شيخ المشايخ 1916م: أبو صالح بن ردّام بن غيدان بن ماضي. أحد أعمامه، مريهج الغيدان وشيخ آخر من شيوخ المواش، نعمة السقبان، موجودان على الخريطة.

17 ـ سالنامه: زرفان: الشيخ 1916م: عبد الله الصقر.

18 ـ حسب سالنامه: شبل. شيخ المشايخ 1916: ناصر العبد الإيمة، شيخان آخران، علي الجبور وجاسم الحمّادي موجودان على الخريطة.

19 ـ شيخ المشايخ 1916م: وداي العطية.

20 ـ يتبعون بني حسن في حالة الحرب، وإلاّ فهم مستقلون. يزرعون الأرز ويملكون بعض بساتين النخيل. يوجد على الخريطة مستوطنة من مستوطناتهم، ب 1. الدغارة، وكذلك مقر شيخهم آنذاك حسين الدواد: انظر المقال المتعلق بذلك.

فتلة

صحيح أن الفتلة لا تستطيع مجاراة بني حسن من الناحية العددية ولكنها تستطيع مجاراتهم من ناحية الأهمية السياسية. وتنقسم القبيلة إلى ثلاث مجموعات موزعة على شواطئ الهندية وشط الشامية وشط الكوفة. وعلى الرغم من أن لكل مجموعة أسرة شيوخ خاصة بها فإن المجموعات الثلاث تشعر وتتصرف بروح تضامنية وتخضع جميعها للشيخ عبد الواحد الحاج سكر الذي يقود الفتلة من المشخاب[1].

يذكر بأن القبيلة كانت تسكن في الأصل في منطقة الناصرية. ثم انتقلت إلى ناحية الفوار في جنوبي عفك، لكنها غادرتها في النصف الأول من القرن التاسع عشر وانتقلت نحو الغرب لتعيش في الأراضي المستثمرة بعد شق قناة الهندية.

في عام 1850م بلغ عدد الفتلة على الهندية 1600 شخص وعلى الشامية 250 شخصاً. أمّا المئات القليلة الذين بقوا في الفوار فقد لحقوا المهاجرين في العقود التالية[2].

شجع الأتراك الفتلة على الاستيطان في المناطق الزراعية لأنهم كانوا فلاحين

---

(1) هكذا تسمى الدلتا التي يشكلها شط الكوفة تحت أبو صخير مع القنوات المتفرعة عن ضفته الغربية وبعد ذلك يسمى النهر ذاته هنا شط المشخاب.

(2) خورشيد، 115 وما بعدها.

نشيطين. وحيثما كان الفتلة يعملون في أراضٍ جديدة، كما على الهندية، لم تحدث أية مشاكل. إلا أن الأمر كان مختلفاً على المشخاب حيث وجدوا عند وصولهم إلى هناك ـ في آخر الستينيات ـ فلاحين ينتمون إلى البوشبل المعروفين بحبهم للقتال. فقد شن البوشبل، مدعومين من سادتهم الأقوياء الخزاعل، الحرب على الفتلة. واستمر النزاع بين فتلة والخزاعل حتى الحرب العالمية الأولى وما زال حتى اليوم له تأثير على السياسة الداخلية العراقية.

وقف الأتراك في هذا النزاع إلى جانب الفتلة. وقام السلطان بشراء أراض، كانت حتى ذاك الحين تزرعها الخزاعل، وأجّرها لشيخ الفتلة فرعون. وخلال الحرب العالمية الأولى وعد الأتراك ولديْ فرعون مبدر ومزهر بإعطائهما أوراق طابو (شهادات ملكية) لمزيد من أراضي الخزاعل. وكتعبير عن الامتنان لم تعترض الفتلة القوات التركية التي كانت في طريقها إلى عجمي السعدون شيخ المنتفق الأكبر وحليف قوات المركز. وعندئذ هاجمت الخزاعل الفتلة وألحقت بهم خسائر فادحة استمرت حتى تحقيق السلام على يد المرجع الشيعي الأعلى سيّد محمد كاظم اليزدي (صيف 1916م)[1].

في الشمال حدثت نزاعات بين الفتلة وبني حسن لأن كليهما كان يسعى إلى ضم القبائل الصغيرة الموجودة في منطقة الهندية والشامية. وكما ذكرنا أعلاه (ص362) ظلت النزاعات قائمة بين القبيلتين إلى أن صالحهما الإنجليز بعد الحرب العالمية الأولى ثم اشتركتا بعد ذلك معاً في الثورة العراقية عام 1920م. ولم يزل هناك حتى اليوم شيء من الغيرة بين القبيلتين. وتظهر هذه الغيرة في العديد من النكات[2] الساخرة وحسب وإنما أيضاً في الصراعات السياسية الداخلية. وبينما ظل بنو حسن هادئين خلال ثورات البدو في القرن الماضي، فقد لعبت فيها الفتلة دوراً قيادياً.

---

(1) ريفيو، 31، تُعرض الفتلة على أنها هي المهاجم.

(2) يتباهى الفتليون بذكائهم ويردّون على تباهي بني حسن بكثرة عددهم: أيّه الأكثر البقر أم البشر؟

تسكن المجموعة الشمالية من الفتلة على جانبي شط الهندية قرب طويريج. وتبدأ منطقة إقامتها على الضفة اليمنى تحت البلدة عند شط ملاّ وتمتد مسافة 12 ـ 13 كيلو متراً نحو الأسفل، وتبدأ على الضفة اليسرى فوق طويريج وتنتهي على نهر عوفي. وأهم قناتين في منطقتهم قناة القزوينية في الشرق وقناة أبو رويّة في الغرب ـ وكانت أراضيهم، شأنها شأن أراضي بقية قبائل الهندية، قد تضررت من بناء السد لكنها استفادت بعدئذ من فتح نظام قنوات جديدة وأصبحت مروية[1].

فتلة الشامية أضعف من فتلة الهندية. ومركزهم موجود في ناحية المهنّاوية على الضفة اليسرى لشط الشامية فوق أم البعرور/الشامية، وجزء منهم موجود على الضفة اليمنى.

أمّا المجموعة الثالثة والأقوى فتعيش على قنوات وأهوار المشخاب، غالباً على الضفة اليمنى للنهر. ويزرع الفتليون هنا الأرز، عندما تكون الظروف المائية مناسبة، وفي الشتاء يزرعون الحبوب. كما أنهم يملكون أيضاً بساتين نخيل.

لقي مشروع الحكومة العراقية، ري ناحية الفوار ثانية، اهتماماً كبيراً لدى الفتلة. ولكن إذا ما نفذ المشروع وعاد الفتليون إلى المنطقة، ستنشب نزاعات مع الخزاعل السادة السابقين لمنطقة الفوار، ومع جبور.

---

(1) قناتان تتفرعان فوق السد وتسيران بمحاذاة النهر. كان الأتراك قد بدأوا بشقهما ولكنهما لم يستكملا إلا في عام 1917م على يد القبائل ذاتها، ريفبو، 78.

عائلات شيوخ الفتلة

أهم أسرة من أسر شيوخ الفتلة اسمها ألبو دليهم. يتزعم خطها الرئيسي فتلة المشخاب بينما يتزعم خطها الفرعي ألبوراضي لفتلة الهندية. وتتوضح علاقة القرابة من شجرة النسب التالية.

في الأعوام 1911م ـ 1913م كان العديد من شيوخ الفتلة في السجن، من بينهم مبدر ومزهر ابنا فرعون وابن أخيهما عبد الواحد الحاج سكر[1]. وهذا الأخير هو الآن رئيس البودليهم، بينما توفي الآخران. وكان أتباع عبد الواحد خلال الحرب العالمية أكثر من أتباع عمّيه، وخلال الثورة العراقية تفوق كلياً على أقربائه بمن فيهم مجبل الفرعون شيخ المشايخ آنذاك. وكان المسؤول الرئيسي في الشامية عن حملة التحريض التي انطلقت من المدينتين المقدستين النجف وكربلاء. ولذلك كان مستعداً عند اندلاع الثورة في الرميثة في 2 يوليو/ تموز 1920م[2]. وتولى في 13 يوليو/ تموز قيادة قبائل المشخاب ضد حامية أبو صخير وأجبر قوات الاحتلال الإنجليزية على العودة إلى الكوفة.

في العقود الأخيرة كان عبد الواحد قائد تلك الحركة التي تناضل من أجل حق

(1) عالم الإسلام، ج2، 29، العدد رقم 11، 45 ورقم 89.

(2) انفضّ المؤتمر الذي عقده الضابط السياسي في الكوفة في أول يوليو/ تموز عند مجبل الفرعون دون نتيجة، ويلسون 295.

القبائل في الأراضي الزراعية وحق الشيعة في المشاركة في السلطة بالحجم الذي يستحقونه. ولقد برز بهذه الصفة خلال الاضطرابات التي حدثت عام 1935م وعام 1937م[1](*). وفي أحدث ثورة للعراق ضد إنكلترا (1941م) وقف إلى جانب الكيلاني وحكم عليه لهذا السبب بالإقامة الجبرية. يمتد نطاق أتباع عبد الواحد وأنصاره إلى أبعد بكثير من قبيلة فتلة والقبيلتين التابعتين لها الطفيل والكرد، وذلك لأنه متحالف مع شيخ الأقرع (سعدون الرسن) وشيخ الغزالات (علي المزعل) وشيخ البوجياش (عدي الدلي) وشيخ بني الازيرج (شنشول الحسن) وحتى مع شيخ الخزاعل نفسها (سلمان العبطان). وله في عائلته حسّاد، من بينهم على سبيل المثال: ابن عمه تكليف المبدر وابن أخيه عبد الرضا، ولكن له أيضاً أصدقاء، مثل فريق المزهر[2] وعمه مجبل شيخ المشايخ السابق.

تنقسم عائلة البوراضي، زعيمة فتلة الهندية، إلى خطين: بيت كلّوب «چلوب»، وبيت سلطان. في عام 1916م كان اثنان من أبناء كلّوب «چلوب»، هما شمران وسماوي، يحكمان على الضفة اليسرى، وكان ابن أخيه مطلب السلطان[3] يحكم على الضفة اليمنى. والثلاثة هم الآن في عداد الأموات.

---

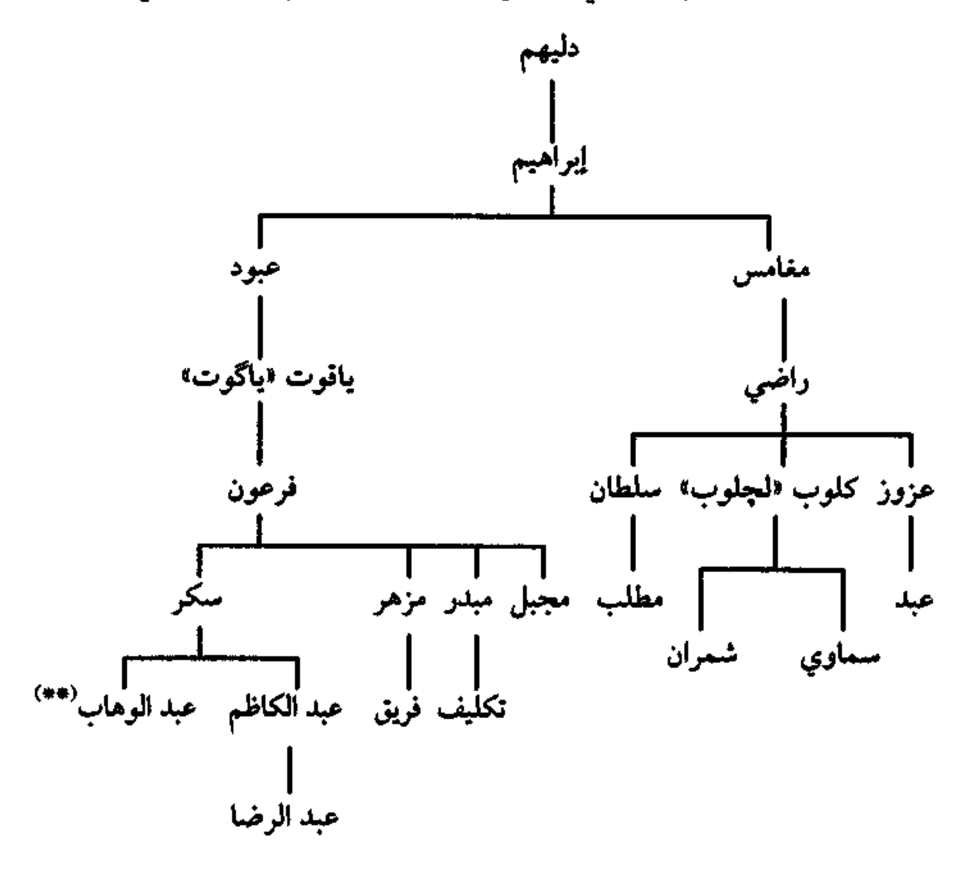
(1) الشرق الحديث، 1935م، 163، 166 وما بعدها، باسم، 1937م.

(*) راجع هامشنا ص298.

(2) فريق مشهورٌ بأنه هو الذي ارتجل تلك الأبيات الشعرية المقتضبة والقوية «هوسة» التي ينشدها البدو في رقصات الحرب وغيرها من المناسبات.

(3) يوجد على الخريطة مستوطنات لهم، ب 1 « Hillah-حلّة»؟

مشجرة نسب عائلتي شيوخ الفتلة، البودليهم والبوراضي

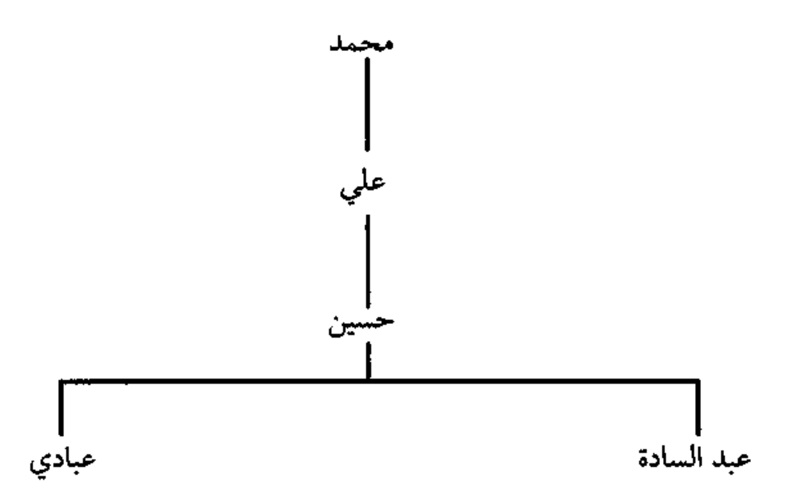


(*) فريق بن مزهر بن فرعون بن ياگوت بن عبود بن شبيب بن إبراهيم ابن دليهم بن حسن بن حسون. ويلاحظ أن هنالك اسم شبيب لم يذكر في شجرة النسب التي دونها اوبنهايم. ولم يذكر ولده الآخر الشيخ عبد العباس بن فريق مزهر [العزاوي، ج3 ص 145] (م. شبّر).

(**) الصحيح هو عبد الواحد الحاج سكر وهو من أهم الشخصيات من آل فتله التي لعب دوراً كبيراً في ثورة 1920م. (م. شبّر).

فتلة

تسمى عائلة شيوخ فتلة الشامية البوهدله وهي تنحدر من القيم (آ 5). وشجرة نسبها كما يلي:



كان عبادي الحسين يترأس خلال الحرب العالمية، والآن يترأس ابن له اسمه غير معروف(*). ولكن عليه أن يتقاسم السلطة مع عمه عبد السادة ومع ابن أخيه.

(*) هو الشيخ صگبان (العزاوي عشائر العراق، ج3 ص146). (م. شبّر).

الفتلة(1)

شيخ المشايخ: عبد الواحد الحاج سكر

عدد الأكواخ: 5000

أ ـ فتلة الهندية(2)

شيخ المشايخ: آل كلوب آل «چلوب»
آل سلطان

عدد الأكواخ: 2000

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ البو راضي(3)		شط الهندية	150
2 ـ العزيز (آل عزيز)		شط الهندية	80
3 ـ البو موسى		شط الهندية	160
4 ـ الفيادة		شط الهندية	120
5 ـ القيم (آل گيّم)		الضفة اليسرى	

ب ـ فتلة الشامية

شيخ المشايخ: العبادي(4)

المنطقة: المهناوية

عدد الأكواخ: 775

قبائل ملحقة

الكرد(5)

الشيخ: الحاج مشعان المغير
المنطقة: شط الشامية، الضفة اليسرى، قناة العقر
عدد الأكواخ: 350

ج ـ فتلة المشخاب

شيخ المشايخ: عبد الواحد الحاج سكر
المنطقة: المشخاب
عدد الأكواخ: 2000

ملاحظات حول الجدول

1 ـ بيانات عام 1916م للأسف غير كاملة. من المفروض أن تكون فروع القبيلة آ 2 ـ 4 موجودة أيضاً مع الجماعات الأخرى راجع بهذا الخصوص الحمادي. سالنامه 291 وما بعدها، 319 وما بعدها. تذكر المحتويات الثلاثة للفتلة. خورشيد، 115 القيم (250).

2 ـ مكان إقامة الفروع 3 ـ 5 موجودة على الخارطة ـ الحلة.

3 ـ الشيخ 1916م: عبد العزوز، انظر الخارطة.

4 ـ عبادي وعبد السادة: انظر ص 261 أعلاه موجودان على الخارطة: الدغارة.

5 ـ الكرد تضم أكراد من أصول مختلفة (هماوند، الشيخ بزيني، دزئي) ولكنهم لا يتكلمون سوى العربية. أقسام منهم يتواجدون في الزروفية عند الجبور الذين أخذت عنهم صيحة الحرب: عجم العزاوي ج2 ـ 187 وما بعدها. يقدر العزاوي عددهم بـ 1000 عائلة، تقريباً. سالنامه 320 تذكرهم في منطقتهم الحالية.

جليحة

جاءت الجليحة التي تقيم إلى الغرب من الفتلة من نفس المنطقة التي جاءت منها الفتلة وهي الديوانية. ولم يزل جزء من القبيلة يعيش حتى اليوم على امتدادات نهر جوعان جنوبي هور عفك «عفج».

ورد ذكر الجليحة في موطنهم الحالي لأول مرة لدى نيبور (1765م)، وذكروا أيضاً في الحوادث التاريخية البغدادية في تقارير عن حملات تأديبية ضد القبائل الموجودة هناك في بداية القرن التاسع عشر[1]. وكانوا آنذاك يسكنون على الجانب الآخر من نهر اليوسفية الذي كانت ضفته هذه يملكها العفك الذين كان الجليحة يتضامنون معهم عادة.

من المرجح أن تكون الجليحة قد هاجرت اقتداء بالفتلة الذين كانوا في يوم من الأيام جيرانها في الجنوب. وعلى أي حال فقد جاؤوا (أي الجليحة) إلى الهندية بعد الفتلة، لأن خورشيد لم يجدهم هناك[2]. ولم تزل لهم علاقات مع أبناء قبيلتهم من العفك.

تتآخى مع الجليحة قبيلة البراقع التي تعيش معهم على الهندية وفي هور عفك. والجليحة أقوى على الهندية لكن البراقع أقوى في الهور، ولذلك نجد

---

(1) راجع مقال العفك أدناه.

(2) ولكن في موطنهم (850 رجلاً)؛ خورشيد، 115. هناك تذكرهم أيضاً قائمة شبرنغر، رقم 108.

البراقع تابعة للجليحة في الشمال، بينما تتبع الجليحة البراقع في الجنوب. إلا أن عائلة شيوخ براقع الجنوب[1] تنحدر من الجليحة.

ويتبع جزء من جليحة وبراقع الهندية للفتلة، بينما يتبع الجزء الآخر لبني حسن.

الجليحة(1)

شيخ المشايخ: . . . (2)
منطقة التجوال: شط ملا
عدد الأكواخ: 375

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ البو صريصر			
2 ـ العصامات(3)			
3 ـ الرحاحلة			

البراقع[1]

شيخ المشايخ: . . . (4)
منطقة التجول: شط ملا
عدد الأكواخ: 250

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ آل عبدالله(5)			
2 ـ آل فضل الله(5)			

(1) في الحرب العالمية الأولى كان اسم زعيمهم مرهون ابن الحاج خلخال.

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م. سالنامه 292 تورد القبيلتين في مكان إقامتهما الحالية تقريباً. إحدى مستوطنات (البراقع) توجد على الخارطة، ب 1 الحلة. الجليحة وبراقع العفك تتألف من 200 و450 كوخ.

2 ـ 1916م: علي بن نعمة.

3 ـ ترد في الجنوب كفرع من البراقع.

4 ـ 1916م: جياد المحمد.

5 ـ موجودة أيضاً في الجنوب.

طفيل

تنتمي طفيل إلى المجموعة القديمة من قبائل، كما تبين أعلاه ص 357 من قائمة خورشيد المعروضة هناك. وهي تقيم في جنوب شرق ناحية الهندية وتصل جزئياً إلى ناحية الحلة (نهر شاه). ويعيش فرع القبيلة حيادر على الضفة اليمنى للنهر. وهو يجاور من جهة الشمال قبيلة قريط «گريط» ومن جهة الجنوب بني حسن، بينما تجاور بقية الطفيل الفتلة في الشمال وبني حسن في الجنوب.

عانت منطقة طفيل منذ بناء سد الهندية (1913م) من نقص في المياه، ولذلك هاجر جزء من أبناء القبيلة في الأعوام اللاحقة؛ لكنهم عادوا الآن إلى أراضيهم مرة أخرى. يتبع طفيل عدد من الفروع منها أيضاً البوسمن الذين يسكن جزء منهم على نهر الحسينية ـ حيث يعيش غالباً فلاحون من مسعود ـ وجزء عند الجعارة.

تتبع الطفيل الفتلة.

الطفيل(1)

شيخ المشايخ: نور آل متعب(2)

منطقة التنقل: الضفة اليسرى للهندية، نهر عوفي ـ علقمي

عدد الأكواخ: 2000

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ السهلان 2 ـ الحيادر(3) 3 ـ بني مسلم(4) 4 ـ البو حتروش		شط الهندية علقمي	300

ملاحظات حول الجدول

1 ـ مأخوذة 1916م. مناطق إقامة فروع القبيلة. موجودة على الخارطة، الحلة، سالنامه 311 تشير إلى بني مسلم (3) في منطقة نهر شاه أمّا بقية الطفيل ففي قناة المنيهير (ص: 292).

2 ـ 1916م نايف الغيدان. عم نور المتعب، سالنامه 342: مطلق الغيدان. يوجد على الخارطة قلعة لمتعب الغيدان.

3 ـ الشيخ 1916م، سلمان الجبور الذي وردت قلعته على الخارطة.

(*) لم يضع المؤلف شرح للرقم (4) (م. شبّر).

قريط

يبدو أن القريط هم مثل الجليحة من المهاجرين الحديثين. يعيش الجزء الأكبر من القبيلة في جنوب غرب ناحية الهندية، والبقية في شمال شرقها. وهم مثل بني حسن من مربّي الأغنام. وتتبع القريط بني حسن أحياناً والفتلة أحياناً أخرى.

ترتبط بالقريط قبيلة كرّافة(*) الصغيرة التي جاءت من الدغارة (الديوانية).

القريط(1)

شيخ المشايخ: . . .(2)

مكان التجوال: الشط الأيمن للهندية بين الفتلة والحيادر (طفيل)

الضفة اليسرى منفهان

عدد الأكواخ: 1000

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ البو خلف(2)			
2 ـ الخبازة			
3 ـ الحوافظ			
4 ـ الحويفظات			

(*) زرافة: حسب قول الشيخ حسين الشعلان (م. شبّر).

قريط(1)

الكرافة

شيخ المشايخ(*): . . .(3)
منطقة التنقل: شط ملا: ابو روية
عدد الأكواخ: 400(؟)

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب الوضع 1916م: تذكرهم سالنامه، 292، في منطقتهم الحالية تقريباً.

2 ـ 1916م: شعلان الراضي (على الخريطة، ب 1. حلة: شعلان أبو خلف). قريط منفهان وكانوا تحت حكم مانع بن لوتي؛ سالنامه، 342: منذور اللوتي.

3 ـ 1916م: علي الحسين.

(*) شيخ الكريط هو مرهون بن منذور آل لوتي (مصدر العزاوي ص 206، ج4). لمزيد من التفاصيل يراجع كتاب عشائر العراق للعزاوي، ج4، ص 226 ـ 228. (م. شبّر).

عوابد

تنتمي العوابد إلى قبائل الشامية. وهي تسكن على الضفة اليمنى لشط (نهر) أبو كفوف مقابل الفتلة، لكنها تبدأ وتنتهي في مكان أبعد باتجاه أسفل النهر. وهم أحفاد أولئك العوابد الذين رآهم نيبور[1] عام 1765م على الضفة اليسرى للفرات فوق سماوة، والذين ينحدرون حسب الروايات المتناقلة من بني مالك الذين يرد ذكرهم عند نيبور معهم (أي مع العوابد). ويقيم العوابد علاقات طيبة مع جيرانهم في الشمال بني حسن، لكن عدداً قليلاً منهم يقف إلى جانب الفتلة. ولقد شارك العوابد في الثورة العراقية شأنهم شأن القبيلتين المذكورتين بني حسن والفتلة. يعمل العوابد في زراعة الأرز ويملكون أيضاً بساتين نخيل.

اشتهر الشيخ مرزوق العواد كشاعر هجاء سليط اللسان (انظر الصفحة 372 أعلاه).

---

(1) الجزيرة العربية، 389.

العوابد(1)

شيخ المشايخ: مرزوق «مرزوك» العواد
المنطقة: شط الشامية بين الفتلة والحميدات
عدد الأكواخ: 2000

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ الرويات			500
2 ـ الصبغان	قاسم بن صعب(2)		1100
3 ـ الحكام «الحجام»			400

ملاحظات حول الجدول

1 ـ سالنامه 320 وردت في أم الورد وأم البط أي أمكنتها الحالية شيخ المشايخ وكذلك الشيوخ المذكورون عام 1916م جبار الصالح، وجبور المجهول ومحمد الفالح موجودون على الخارطة ـ الدغارة، الديوانية وكذلك الناحيتين.

2 ـ يعد مرزوق العواد أهم شيوخ العوابد.

الحميدات

الحميدات مثل العوابد قبيلة من قبائل الشامية الصرفة. وهم يسكنون على ضفتي الشط بين العوابد والفتلة في الشمال البوشبل (الخزاعل) في الجنوب. تقع منطقتهم في الشمال من مناطق زراعة الأرز، على الضفة اليسرى حيث تتصل بهور ابن نجم كما على الضفة اليمنى في ناحيتي عنكوشي ومنفهان. وعند التوجه نحو الأسفل باتجاه جريان النهر تسوء إمكانات الري[1]. وخلال الحرب العالمية الأولى ساءت شروط الري إلى درجة أن جزءاً كبيراً من القبيلة انتشر في مناطق مختلفة. وفي عنكوشي يعمل الحميدات فلاحين عند عائلة سادة "أشراف" تحمل الاسم نفسه وتقيم هناك منذ أجيال عديدة.

كانت الحميدات في السابق تنتمي إلى تحالف الخزاعل، وخلال الحرب العالمية وقفت إلى جانب بني حسن.

إن شيخ المشايخ الحالي، حاجي «الحاج» رايح العطية كان له بعض النفوذ عام 1916م، وكان عمّاه حاجي «الحاج» حمود البدن والحاج جاسم چياد أقوى منه. وينتمي رايح العطية إلى تكتل «حزب» شيخ الخزاعل شعلان السلمان الظاهر.

(1) قارن سالنامه، 320.

الحميدات(1)

شيخ المشايخ: الحاج رابح العطية
المنطقة: كلا ضفتي شط الشامية عند أم البعرور/ الشامية
عدد الأكواخ: 2000(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ الوطان	رابح العطية		
2 ـ البو غزيل			
3 ـ البو خضر			
4 ـ البو عزيب(*)			
5 ـ العمار			
6 ـ البو درويش			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ الوضع عام 1916م. سالنامه، 320، تسميهم فلاحي عنكوش، منفهان، أبو غربان، رغيلة. وهؤلاء مذكورون على الخريطة ب1 الديوانية، وكذلك مقرات أقرباء شيخ المشايخ حاجي حمود، وحاجي جاسم، وشيوخ آخرين آنذاك.

(*) هناك فرق بين تقسيمات العزاوي لـ حميدات والمؤلف، يقسم العزاوي الحميدات إلى:
1 ـ الوطان وهم الرؤساء وينقسم إلى ثلاثة:
أ ـ البوبليبش [رئيسهم سرحان المحمد].
ب ـ البومشيمش [رؤسائهم رابح العطية وكان من الرؤساء حمود البدن].
ج ـ البوشيبة وهم من الرؤساء.
2 ـ أهل النصيفة رئيسهم الحاج جاسم آل چياد ويتفرعون أربعة فروع:
أ ـ البريهات ب ـ آل عمّار ج ـ البو درويش د ـ البو غزيّل

مشجرة الحميدات(*) من قبيلة عنزة

الشيباني

الحارث

(ومنه الشبانات) شبني ـــ المثنى ـــ دهيمش (ومنه الدهامشة)

(ومنه عشائر آل جناح) محمد ـــ صگر ـــ علي (ومنه آل علي)

ابراهيم

عبدالله (منه آل چفچير) — مزملة (منه آل تقي)

حميد

البوطاف

حسين ـــ وطان ـــ حميد

محمد — صگر

بندر — مشيل

أمير — أربوط — شناوه

عبدالله — خليل — حسين

امشيمش (توفي 1850) — گوطي — مطير — خالد

غضبان (توفي 1860) — بدن (توفي 1886) — بليش (توفي 1858)

عسكر (توفي 1880) — اسويف (توفي 1886) — حجالي (توفي 1895) — عطية (توفي 1914) — ديوان (توفي 1895) — حمود (توفي 1936) — محمد (توفي 1913) — چياد (توفي 1901)

شلتاغ — شنشول — رايح — عداي — وداي — سوادي — سرحان — عمران — جاسم (توفي 1930) — زايد (توفي 1913)

سعدون

هديب — عواد — حميد — موجد — مجيد — محمد

3 ـ البوعزيّب: رئيسهم الحاج رايح آل عطية وفروعهم سبعة:

أ ـ البولاقي. ب ـ البو داغر. ج ـ البو عبد الخضر. د ـ البو غادي. هـ ـ العرادات. و ـ البوعانية. ز ـ الصوالح.

4 ـ البو خويطر: رئيسهم شلاش آل حسن آل فنيخ ومنهم البو وحيد.

5 ـ المكاطيف: من ناحية العباسية (هور الدخن) رئيسهم صحن آل كندوح

6 ـ البو صريو: رئيسهم جياد آل عباس ويعودون للضواحي.

المصدر: عباس العزاوي عشائر العراق ج4 ص143 ـ 145.(م. شبّر).

(*) نخوة الحميدات «صگر» وهو جدهم الأكبر وحسب ما أفادنا به الأستاذ مجيد حمود وقد زودنا مشكوراً بشجرة نسب الحميدات وهي من إعداد الأستاذ هديب الحاج حمود. وعلى ضوء استنتاجاتنا أنهم يعودون إلى الصقور من الجبل من عمارات وليس من الدهامشة (م. شبّر).

إبراهيم

تعيش قبيلة الإبراهيم على الفرات الأسفل؛ إذ أنها من نفس الأصل كتلك الإبراهيم التي تنتمي إلى مجموعة بني مالك التابعة للمنتفق. وحسب قائمة خورشيد المذكورة أعلاه (ص356) نزل الإبراهيم في بادئ الأمر على الهندية. لكنهم هاجروا بعد وقت قصير نحو الأسفل؛ ذلك أن الفتلة عندما جاءت إلى المشخاب في ستينيات القرن الماضي وجدت الإبراهيم مقيمين هناك. وكالفتلة دخل الإبراهيم في صراع مع سكان المنطقة الذين كانوا قبلهم هناك، وهم البوشبل والغزالات المنتمين إلى اتحاد الخزاعل، ولذلك أقاموا علاقات صداقة مع الفتلة. إلا أنهم تحالفوا أيضاً مع قبيلة آل زيّاد على الرغم من أنها تنتمي أيضاً إلى الخزاعل. ولولا هذه التحالفات ما كان في وسع الإبراهيم المحافظة على استقلاليتهم كما يتضح من إلقاء نظرة على موقع منطقتهم. تقع هذه المنطقة بمعظمها على الضفة اليسرى لشط المشخاب وتمتد حتى امتدادات شط الشامية، أي حتى أبو بلامة، والنغيشية، والغزالي[1]، بحيث أن الإبراهيم يقيمون في الشمال بين الفتلة وصادق (قبائل ملحقة بالخزاعل آ 2 أ)، وفي الجنوب بين السداين (ملحقة بالخزاعل ب 6) وآل زيّاد (أيضاً، جـ). وهناك فرع بالإبراهيم (5) تصل

---

(1) شط الغزالي هو الفرع الرئيسي لشط الشامية الأسفل، أبو بلامة يتفرع في الأعلى نحو الغرب، مجرى شط النغيشية غير واضح على الخريطة ب 1. الديوانية والنجف.

منقطته إلى الضفة اليمنى لشط المشخاب ولشيخه أملاك هناك أيضاً.

يزرع الإبراهيم الأرز، لكنهم يملكون أيضاً بساتين نخيل.

تعيش في منطقة الإبراهيم عائلة آل ياسر، وهي عائلة سادة «أشراف» جاءت قبل ستة أجيال من المدينة المنورة واستوطنت في بادئ الأمر جنوب الديوانية لكنها انتقلت في وقت لاحق إلى منطقة السماوة. وبعد ذلك انقسمت العائلة: فاستوطن سيد عباس وسيد نور العزيز على المشخاب، بينما بقي أعضاء آخرون في السماوة أو هاجروا إلى الغراف. وخلال الثورة العراقية 1920م برز اسم علوان الياسري ابن سيد عباس واشتهر منذ ذلك الحين كمدافع عن الشيعة والقبائل والحركة الوطنية.

هناك علاقة مصاهرة بين آل ياسر وعائلة شيوخ الإبراهيم.

الإبراهيم(1)

شيخ المشايخ: داخل الشعلان(2)
المنطقة: شط المشخاب حتى شط الغزالي
عدد الأكواخ: 500 ـ 800

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ البو حمودي	مهدي آل عسل(3)	طبر الإبراهيم(4)	
2 ـ الخيطات			
3 ـ البو معن			
4 ـ البو هزيم			
5 ـ البو عبيد		شط المشخاب، أم البط	
6 ـ عبد الامام		أبو بلامة	
7 ـ الخشاب		النغيشية	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ نعود إلى عام 1916م، تمّ التأكد مجدداً من اسماء الشيوخ. سالنامه 321 ورد ذكرها بين قبائل الجعارة.

2 ـ 1916م: والده شعلان الجبور. موجود على الخارطة بلاد الديوانية.

3 ـ قناة تحت أن الشواريف باتجاه الغرب والجنوب الغربي، متفرعة من شط الشامية.

4 ـ موجود على الخارطة، كذلك شقيقه عبد الرضا.

قبائل صغيرة في أبو صخير والنجف

تفيد الروايات المتناقلة محلياً بأن ناحية أبو صخير الحالية قد استصلحتها وزرعتها عائلة السادة آل زوين. وفي الوقت الذي كان فيه واديّ ابن شفلّح شيخ الزبيد يحكم حتى النجف، كان سيد حسن الزوين، في أربعينيات القرن الماضي قد استملك منطقة صنين الأثرية[1] وزرع هناك أشجار النخيل. وقام أيضاً بوضع الأساس اللازم لبساتين نخيل الجعارة التي قام بتوسيعها توسيعاً كبيراً ابنه سيد محمد. وفي عام 1882م قام السلطان عبد الحميد بشراء الجعارة[2]، التي كانت تعتبر أراضي أميرية على الرغم من استيلاء الزوين عليها، وأمر بعد ذلك بجعل أبو صخير مقراً لإدارة الأملاك الأميرية الجديدة[3].

(1) معروفة قبل التاريخ الإسلامي كنصر للخميين.

(2) حسب رأي السكان المحليين كان تعويض الزوين غير كافٍ إطلاقاً قياساً إلى الفلاحين: كان الفلاحون يحصلون على ثلثي المحصول والزوين على ثلث، وكان كل منهم يعطي للإدارة السلطانية الربع. وخلال الحرب العالمية الأولى امتنع الفلاحون عن إعطاء الزوين حصتهم. لكن رئيس العائلة آنذاك سيد هادي، ابن أخ سيد محمد، نجح بمساعدة أقربائه من جهة أمه، شيوخ الخزاعل، بتأجير حصته للعديد من آلشبل والغزالات. ولأن هؤلاء كانوا محاربين أقوياء فلم يجدوا صعوبة في تحصيل أموالهم، لا بل إنهم استغلوا الوضع للاستيلاء على حصص أفراد آخرين من عائلة زوين وبعض الفلاحين وتأجيرها بدورهم لأشخاص آخرين مما أدى خلال الحرب إلى نشوء عدد لا حصر له من الخلافات الحقوقية والقانونية. من زعماء الزوين يعيش سيد محمد وسيد علي في الجعارة.

(3) سالنامه، 321، 323.

كان المستوطنون اللاحقون بعد الزوين قبيلتا الشبل والغزالات[1]. وبعد ذلك جاءت الإبراهيم من الهندية ثم جاء الفتلة الذين استدعاهم الأتراك ـ وهم قبائل تزرع الأرز وليسوا نصف رُحل كالقبائل التي جاءت قبلهم. كما أن عائلات السادة (الأشراف)، ومن بينهم العذاريين[2] وياسر (انظر الصفحة 390 أعلاه)، اشترت ملكيات عقارية في المنطقة الجديدة.

بالإضافة إلى هذه العائلات والقبائل هناك العديد من المجموعات والفئات الصغيرة التي استوطنت شيئاً فشيئاً على المشخاب وقنواته[3]. ولقد سبق وذكرنا بعضهم باختصار ومنهم الداعوم القراقشة «الگراكشة» وألبوسمن (ص358، 381).

يعمل الداعوم «الدعوم» واللهيبات (1) وجزء من العبودة (2 آ) فلاحين عند الزوين وهم تابعون للغزالات. أمّا آل زكري (3) والجنابات (4) فهم من أتباع الشبل. ومن المرجح أن الجنابات، الذين جاؤوا من ما بين النهرين الأعلى، ينحدرون من جبور، بينما ينحدر آل زكري من بني حكيم «حجيم». أمّا أصل اللهيبات فغير معروف؛ وليس لهم علاقة بفرع شبل الذي يحمل اسمهم (1 آ). وأمّا العبودة فينحدرون من قبيلة تحمل الاسم نفسه وتشكل جزءاً من المنتفق. ويتبع أكثرية العبودة في منطقتنا (2 ب) للفتلة. كما أن بني أسد (5) يعيشون تحت حكم هذه القبيلة. ولقد جاؤوا إلى هنا، شأنهم شأن بني أسد الهندية (انظر ص358 أعلاه)، من الجبايش.

وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد بين فلاحي الزوين بعض الجماعات المنتمية إلى

---

(1) انظر المقاطع ذات الصلة في مقال الخزاعل.

(2) كان العذاري يقيمون سابقاً في منطقة الحلة، وتربطهم علاقة مصاهرة مع شيوخ الفتلة.

(3) يتفرع شط الكوفة عند أبو صخير إلى فرعين يسمى الفرع الغربي البكيرية، وفي بعض الأماكن الكحات «جحات»، ويسمى الفرع الشرقي المشخاب. يغذي البكيرية القنوات التي تروي منطقة الجعارة وأبو صخير، نهر الهاشمي، والبديرية، وأبو جدّوع. ولقد تغير في هذه الأثناء اسم القناتين الأخيرتين أو تمّ تعويضهما بقنوات جديدة (الأمير غازي، الفيصلي، الحسين)؛ عبد الرزاق الحسني، 64.

شعوب غريبة، وهم البلوش[1] والبختياريون (خاشتيين ـ بخاتره).

تتصل ناحية أبو صخير من جهة الغرب بما يسمى بحر النجف[2]، وهو منخفض كان سابقاً ينغمر بالمياه كلما فاض الفرات، أمّا الآن فلا ينغمر إلا بضعة أيام عندما تفيض مياه وادي الخر.

في القرى الصغيرة التي تشبه الحصون والمنتشرة في هذه المنطقة، قصور بحر النجف: الرهيمة، والعزية، والحيادية، الشقيق «الشجيج»[3]، وجدت قبيلة العكارات، التي يفترض أنها جاءت إلى العراق قبل 15 جيلاً قادمة من جبل شمر، مأوى لجأت إليه يزرع العكارات في هذه الواحات المروية بالينابيع القمح والشعير والخضار؛ وهم يشكلون في الرهيمة نصف السكان.

---

(1) سالنامه، 296 تذكرهم (والشوشتري) في ناحية الكوفة.

(2) راجع موزيل، الفرات الأوسط، 108. كلمة «بحرة» التي يستعملها موزيل بدلاً من بحر هي التعبير الذي يستعمله البدو.

(3) الأماكن مذكورة في موزيل، آرابيا ديزرتا (الصحراء العربية)، 370، 372ج مذكورة في الفرات الأوسط، 108، 118، وفي الخريطة المتعلقة بهذا الموضوع، وأيضاً في سالنامه، 297، كمزارع في ناحية الرحبة.

قبائل صغيرة في أبو صخير والنجف(1)

القبيلة	الشيخ	مكان السكن	عدد البيوت
1 ـ اللهابات «اللهيبات»(*)		نهر الهاشمي ـ نهر البديرية	250
2 ـ العبودة(2)			
أ ـ		نهر البديرية	60
ب ـ		شط المشخاب	150
ج ـ		أم تلك	40
3 ـ آل زكرى(آل زجرى)		نهر الهاشمي	60
4 ـ الجنابات		نهر الهاشمي	100
5 ـ بني سد (أسد)		شط المشخاب	170
6 ـ العكارات(3)		نهر الهاشمي	50
		قصور بحر النجف	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ مأخوذة 1916م وتمّ تعديلها 1939م. مكان إقامة القبائل 1، 2، 3، وشيوخ حاجي جبار (1) حاجي خشّان (2) موجودة على خارطة بلاد النجف، الديوانية. أقسام صغيرة أخرى على الخارطة: بركات جلابات.

2 ـ العبودة من التلك تتبع النبهان وهم فرع من الشبل (الجدول: خزاعل، شبل آ 3 ب) وغيرهم إلى السداين من الغزالات (الجدول خزاعل، غزالات ب 6).

3 ـ عگارات الهاشمي تتبع فرع البوخلوي من شبل (الجدول ـ خزاعل شبل آ 3 آ) وهناك فروع صغيرة أخرى موجودة في الهندية فوق الكفل (60 كوخاً).

(*) يطلق اللهيبات وليس اللهابات كما أكد ذلك الشيخ حسين الشعلان والسيد كريم الياسري وكذلك الأستاذ مجيد حمود (م. شبّر).

اليسار

إذا ما عدنا من الشامية إلى النقطة التي انطلقنا منها وهي سد الهندية، لكي نتحدث عن قبائل شط الحلة، نصادف في بادئ الأمر اليسار الذين يعيش الجزء الرئيسي منهم على الضفة اليمنى حتى الحلة، بينما تعيش مجموعة صغيرة بين الفرات وكربلاء.

حسب روايات طي ما بين النهرين الأعلى فإن قبيلة اليسار في الحلة تربطها علاقة قربى مع القبيلة الفرعية التي تحمل الاسم نفسه (اليسار) في الشمامك (الجزء الأول، 271، 275، وبالتالي مع طي. ويعتقد بأنهم جاؤوا مع زبيد الذين ظلوا ينتمون إليهم فترة طويلة من الزمن.

في التواريخ البغدادية[1] (بغداد كرونيك) تظهر اليسار لأول مرة عام 1233هـ/1818م وذلك في منطقتهم الحالية على شط الحلة؛ وقامت القوات التركية بالاستيلاء على قطعانهم آنذاك.

يعمل جميع اليسار الحلة دون استثناء تقريباً في الزراعة وكانوا كذلك منذ ما قبل منتصف القرن التاسع عشر. وهم يعملون في النواحي: مهناوية، وخواصّ، وطهمازية. ويعيش بينهم بعض الغرباء: القريتان عنّانه وسنجار يسكنهما فلاحون

(1) دوحة، 307.

أصليون؛ على قناة المهناوية يعيش البوعامر، والبومحي، ومسعود، ويعيش هناك وعلى نهر الخواص الإشجيرية[1] الذين تعرفنا عليهم في مقال القراغول. وعلى قناة الطهمازية يعيش المراشدة، وهم فرع من خفاجة، كما أن قرية الطهمازية نفسها تسكنها خفاجة. وفوق بابل تصل اليسار إلى الضفة اليسرى لشط الحلة[2].

يعمل اليسار كربلاء، جزئياً، في تربية الأغنام ويرسلون قطعانهم في الربيع إلى الصحراء. وتقوم عداوة بينهم وبين الزقاريط، أو كانت على الأقل عداوة بينهم قديماً.

تشعر مجموعتا اليسار وتتصرف بصورة تضامنية.

(1) انظر خورشيد، 204 وما بعدها، سالنامه، 311 وما بعدها.

(2) موزيل، الفرات الأوسط، 15. من بين الذين يسمون هنا، وفي سالنامه 309، 314، الجدي وجراونه فإن الأول فقط من شمّر. أمّا الجراونه فموجودون عند خورشيد، 221. والبو علوان (سالنامه، 309) هم مجموعة صغيرة من القبيلة الفرعية التي تحمل الاسم نفسه والتابعة للدليم، الجزء الأول، (304)، الجزء الثالث. وهم المقصودون في MDOG، رقم 42، 351.

اليسار(1)

أ ـ يسار الحلة(2)

شيخ المشايخ: . . .(3)

المنطقة: الضفة اليمنى لشط الحلة

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ آل هديب		المهناوية	
2 ـ آل مسافر			
3 ـ آل حميد		نهر خواص	
4 ـ آل ظاهر			
أ ـ سبطة			
ب ـ الدولة			

ب ـ يسار كربلاء

شيخ المشايخ: . . .

منطقة التنقل: شمال شرق كربلاء

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ الجمعان(4)			
2 ـ آل ظاهر			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م.

2 ـ سالنامه 312 وما بعدها تذكر فرعي القبيلة 2 و4 وتقدر عدد اليسار بـ 6000 نسمة وبقية السكان (في ناحية خواص) بـ 3000 نسمة.

3 ـ 1916م: رشيد العنيزات.

4 ـ أيضاً: البوجمعان.

البو عامر(*) والبومحي

من بين القبائل الغريبة التي تسكن في منطقة اليسار اكتسبت البوعامر والبومحي مؤخراً أهمية معينة. كان البومحي يعيشون في حوالى عام 1850م في جرف الصخر (انظر الصفحة 343 أعلاه) ويبدو أنهم كانوا في بداية هذا القرن ما زالوا موجودين هناك[1]. وبعد ذلك هاجروا نحو أسفل النهر إلى قناة المهناوية. منذ فترة طويلة من الزمن تقوم علاقات طيبة بين شيخ القبيلة علوان الشلال والكيلاني في بغداد، لأن البومحي يعملون في أراضي العائلة أو في المؤسسات التي يديرها هؤلاء.

كان البوعامر يقيمون في بداية القرن التاسع عشر في أبو غريب لكنهم هاجروا في عهد علي رضا باشا (1831م ـ 1842م) نحو الشمال إلى هور عقرقوف[2]. وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر هاجروا مرة أخرى، جزء منهم إلى أسفل الخالص، وجزء إلى الفرات بين المسيّب والحلة[3]. وبما أن البوعامر كانوا

(*) نخوة البوعامر (كوشة) وفي اليوم الكبير (معن) مما يدلل على وجود صلة بين البوعامر ومعن ولكن أي معن فهل هي معن من طي كما يقول العزاوي أم ما يقوله المؤلف في الجزء الأول ص502. (م. شبّر).

(1) خورشيد، 220: 80 خيمة، فلاحون ومعدان؛ سالنامه 285.

(2) خورشيد، 196: 600 خيمة، 218 (فلاحون مسجلون): 80؛ جونز، 381.

(3) مجموعة صغيرة كانت موجودة هناك منذ حوالى 1850م؛ خورشيد، 221.

مرغوبين من أصحاب الأراضي في المنطقة، لأنهم كانوا عمالاً زراعيين ماهرين، فقد تنامت مجموعتهم في الأعوام التي سبقت الحرب العالمية وأصبحوا يشكلون ثلثي أعضاء القبيلة، بينما كانوا في الخالص يشكلون الثلث. وكان بعضهم يسكنون في امتدادات أبو غريب تحت بغداد.

من المجموعة في ناحية الحلة كان يعيش آنذاك النصف تقريباً عند اليسار على الضفة اليمنى للشط، والبقية على الضفة المقابلة على قناة حصن البيكات.

خفاجة

عرضنا في مقال عقيل أعلاه التاريخ القديم لخفاجة. ونود هنا أن نذكّر فقط بأن القبيلة كانت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر تقيم بين الحلة والكوفة بالإضافة إلى أماكن أخرى. ولذلك من الطبيعي أن نعتبر الخفاجة الذين يقيمون اليوم على الطريق بين الحلة والكوفة الخلف المباشر لأولئك الخفاجة القدماء، لا سيما أن أولئك مثل هؤلاء يوجد بين صفوفهم فرع باسم كعب. غير أن كون المراجع لم تعد منذ العصور الوسطى تذكر الخفاجة عند الحلة، فهذا أمر مزعج، وأن الافتراض بأن خفاجة كانوا في أحد الأوقات ينتمون إلى المجموعة المنضمة إلى المنتفق (د 4) غير مستبعد. لا سيما أن منطقة المنتفق خرج منها مراراً وتكراراً مهاجرون توجهوا نحو الشمال.

تسكن قبيلتنا في شريط ضيق يمتد من الحلة نحو الجنوب ويصل إلى مقربة من الكفل، ويبدأ في الغرب على الجانب الآخر من قناة التاجية ويشمل في الشرق قناة الهمينية. ويشكل نهر شاه الشريان الرئيسي لهذا الشريط.

في 24 يوليو/ تموز 1920م هوجمت في منطقة خفاجة كتيبة بريطانية، المسماة كتيبة مانشستر، وكانت متوجهة من الحلة إلى الكفل، وذلك في النقطة التي تتقاطع فيها قناة الرستمية مع الطريق، وألحقت بالقوة المنهكة بسبب الحر خسائر فادحة أجبرتها على التراجع وكادت العملية أن تؤدي إلى انهيار شامل. ويبدو أن الخفاجة

لم تشارك في هذا الهجوم إلاّ بقدر ضئيل. وعلى إثر ذلك قُدِّم شيخ القبيلة إبراهيم السماوي، الذي لم يزل يتزعمها حتى اليوم والذي كان يعمل دليلاً للكتيبة البريطانية، إلى المحكمة العسكرية ولكنه حكم بالبراءة[1].

خفاجة(1)

شيخ المشايخ: إبراهيم السماوي
منطقة التنقل: جنوبي الحلة
عدد الأكواخ: 1500

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ الطرفة	إبراهيم السماوي		
2 ـ الزور			
3 ـ الرفيعات			
4 ـ السلامات			
5 ـ هوا الشام			
6 ـ الغفيلة			
7 ـ الكعب (چعب)			
8 ـ الهيال			
9 ـ آل لوبة			
10 ـ آل جدوع			
11 ـ العتيق			
12 ـ البو سريع			
13 ـ 13 العجيمي	صغير آل طراد		

(1) هالدين، 91 وما بعدها.

ملاحظات حول الجدول

1 ـ مأخوذة 1916م. الفروع 5، 9، 10 موجودة على الخارطة، الحلة، وكذلك بعض المشايخ والشيخ الأكبر. تمّ ترتيب الفروع من الشمال إلى الجنوب.

جبور

ينقسم جبور شط الحلة إلى مجموعتين: جبور الغربي وجبور الشرقي. تسكن المجموعة الأولى في انعطافة الفرات عند الجربوعية/الهاشمية. وهي تبدأ على نهر علاج وتصل في الجنوب إلى موازاة محطة القطار ابن علي. وفوق النقطة التي يتفرع عندها الدغارة عن الشط تصل إلى الضفة اليسرى للنهر.

لا تتوفر أي معلومات عن أصل هؤلاء الجبور. ولا توجد قرابة بينهم وبين جبور ما بين النهرين[1]. ويشير اسم القبيلة الفرعية الجوازرية (4)[2] إلى العراق الأسفل. في كتب الرحالة يرد اسم جبور لأول مرة عند نيبور[3] (1765م) وعند سستيني[4] (1782م)، الذي يذكر أيضاً أحد فروعهم، بني منصور (5). وهناك فرع آخر، الواوي (3)، يرد ذكره في بداية القرن التاسع عشر[5].

(1) قارن لايارد: نينوى وبابل، 548.

(2) من الجوازر، انظر الصفحة 280 أعلاه.

(3) الجزيرة العربية، 390.

(4) سستيني: رحلة من القسطنطينية إلى البصرة عام 1781م بواسطة دجلة والفرات والعودة إلى القسطنطينية عام 1782م، باريس، الجزء السادس، 234 وما بعدها يذكر سستيني بني منصور إلى جانب الجبور.

(5) وصف باشويه بغداد باريس [1809م ص 113]. J. B. Rousseau, Deseription du Pachalik de Bagldad, Paris 1809, 113. دوحة، 276؛ قائمة شبرنغر رقم 110.

كان الجبور في أحد الأوقات خاضعين لسلطة الخزاعل، لكنهم استقلوا منذ زمن طويل. وخلال ثورة 1920م سببوا للإنجليز بعض المصاعب. ففي يوليو/تموز عطلوا حركة القطار بين الحلة والديوانية. وفي بداية أغسطس/آب لم يعيقوا انسحاب حامية الديوانية القوية عن طريق شن الغارات وتدمير الجسور والخطوط الحديدية وحسب، بل دخلوا معهم في معركة قبل الجربوعية بعد أن كانوا قد حاولوا قبل ذلك تدمير جسر الفرات الموجود هناك.

يعمل الجبور في الزراعة؛ وكانوا سابقاً يعيشون كمعدان. ويعملون اليوم في بساتين النخيل على الشط كفلاحين غير مرتبطين على أساس قبلي.

جبور الشرقي

يعيش الجبور الشرقي في ناحية الفوار التي كانت في الماضي تروى من قناة اليوسفية التي تتفرع من الفرات فوق الديوانية مباشرة. وعندما قطعت الهندية الماء عن شط الحلة اختصرت اليوسفية مجراها بحيث أنها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لم تعد تصل إلى الفوار[1]. ولذلك بدأ الجبور بمغادرة المنطقة؛ وخلال الحرب العالمية لم يكن يوجد في منطقة القبيلة سوى 50 عائلة تقريباً من مربي الأغنام. أمّا البقية ـ حوالى 1500 عائلة ـ فكانوا يعيشون موزعين بين القبائل المجاورة: الأقرع، والجليحة، وعفك «عفج». وكانت قبيلتان فرعيتان تتبعان الخزاعل؛ كانت الأولى تسكن على الضفة اليسرى للفرات قرب الرميثة، والثانية في هور ابن نجم. وكان بعض الجبور يعيشون من زراعة النخيل قرب أبو صخير.

وجميع هذه المجموعات المتفرقة الصغيرة تنتظر العودة إلى الفوار حيث من المقرر أن يروى مرة أخرى، قارن الصفحة 369 وما بعدها أعلاه.

وهناك أخيراً مجموعة صغيرة من الجبور مشهورة تحت اسم أهل الهور. وهي تتبع الخزاعل.

---

(1) في عام 1850م كان اليوسفية الأسفل، والفوار، والطرنجية المتفرع عنه، لما يزل يجري فيها كميات كبيرة نسبياً من الماء؛ لوفتوس 106، 111. ولكن بعد ذلك تراجعت المياه. أجريت محاولات لاحقة لإعادة ري الناحية ولكنها لم تكلل بنجاح دائم؛ سالنامه، 303.

جبور الغربي(1)

شيخ المشايخ: مخيف بن كتاب الخليل(2)

المنطقة: الهاشمية (الجربوعية)

عدد الأكواخ: 6000

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد البيوت
1 ـ الجميعات	دوحان (*) الحسن(3)	نهر علاج	200
2 ـ عمر لنك			350
3 ـ الواوي	فرحان الدبي	نهر أبو كمكة: نهر العمادية	600
4 ـ الجوازرية	مخيف بن كتاب	نهر الجربوعية	2600
أ ـ المطر		تل الشجر	
ب ـ المحامدة		نهر الزرفية: نهر الجربوعية	
5 ـ بني منصور		نهر الهاشمية، نهر الفياضية	1000
6 ـ الوسامة		نهر ابيخر	400
7 ـ العويديين		صدر الدغارة	1350
8 ـ آل جوذر		الزرفية	400
مجموعات غريبة			
1 ـ العقة(4)			75
2 ـ الجنابيين			150

(*) دوهان وليس دوحان الحسن / (م .شبّر).

ملاحظات حول الجدول

1 ـ مأخوذة عام 1916م، ومعدلة 1942 بناء على أقوال عراقيين موجودين في برلين. القبائل الفرعية مذكورة في سالنامه 310 أدناه و311 وما بعدها. بعض أسماء الشيوخ والقبائل موجودة على الخريطة الدغارة مرتبة من الغرب نحو الشرق.

2 ـ سلفه: عمه مراد الخليل المتوفى قبل وقت قصير. عام 1942م ذكر لنا شيوخ آخرون من ذوي النفوذ: حميو العزيز وأخوه إلحيس.

3 ـ برز في ثورة عام 1920م.

4 ـ عند أهل الهور أيضاً.

زبيد

إلى الجنوب من غرير تحتل الجزيرةَ قبائلُ زبيد التي كانت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تشكل أقوى تجمع في مقاطعة بغداد. وهم جزء من شعب زبيد المنتشر في أماكن بعيدة جاء إلى الجنوب من منطقة ما بين النهرين. وقد سبق أن تحدثنا بالتفصيل في الأجزاء الأولى من هذا المؤلف عن شعب زبيد[1]. ولكن بينما تعيش قبائل زبيد ما بين النهرين، الجبور والدليم وعبيد، منذ زمن طويل إلى جانب بعضها دون روابط، فإن الزبيد العراقيين، المعامرة، والجحيش والكلابيين «الجلابيين»، وألبو سلطان وسعيد، ما زالوا متحدين في جماعة سائبة يقف على رأسها عائلة الشيوخ آل عبد الله.

إن هجرة الزبيد لا يمكن أن تكون قديمة جداً لأن القبيلة تشيعت[*] قبل

(1) الجزء الأول، ص 279 وما بعدها، ص 492 وما بعدها؛ الجزء الثاني، 527، 535، 540 وما بعدها.

(*) ذكر د. جودت القزويني في كتابه (المؤسسة الدينية الشيعية: دراسة في التطوّر السياسي والعلمي): انَّ تحويل قبائل زبيد إلى المذهب الشيعي كان قد تمّ على يد الإمام السيد مهدي القزويني الحلّي المتوفى سنة 1300هـ/ 1883م، وذلك بعد هجرته من النجف إلى الحلّة سنة 1253هـ/ 1837م. وحدّد الميرزا حسين النوري في (مستدرك وسائل الشيعة ج3، ص400) عدد المعتنقين للشيعيّة يقارب المائة ألف شخص. وذكرت المس بيل Miss Gertrude Bell المتوفاة سنة 1346هـ/ 1927م انّ تشيع قبائل زبيد تمّ على يد مجتهد كبير ما زال أحفادُه يلعبون دوراً هاماً في الحياة السياسية لمدينة الحلّة. =

100 عام فقط[1]. ويجب أن تكون قد حدثت قبل انقسام الزبيد في ما بين النهرين إلى قبائل مستقلة، وقبل عام 1107هـ/ 1696م؛ وذلك لأن الزبيد يذكرون تحت هذا التاريخ لأول مرة في العراق. كانوا آنذاك على قناة مهروت[2] قرب بعقوبة، أي أنهم لم يكونوا قد جاؤوا بعد إلى منطقتهم الحالية. ولم يرد لهم ذكر في الجزيرة إلاّ في التاريخ التالي 1119هـ/ 1707م: كانوا يخربون مناطق النخيل وزراعة الحبوب تحت انعطاف الفرات عند الجربوعية، إلى أن طردهم حسن باشا[3].

تتعزز الملاحظات الواردة في المدونات التاريخية بواسطة تقارير الرحالة اللاحقة[4] بحيث أنه يمكننا تصور طريقة حياة الزبيد من منتصف القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر بكل وضوح: كانوا يقضون الجزء الأكبر من السنة على الضفة اليمنى لدجلة بين حوريّة والبغيلة حيث كانوا يرعون قطعانهم، غالباً

= (Review of the civil administration of Mesopotamia, p. 27.)

وفي مصادرنا أنَّ جدالاً حدث بين القزويني، وزعيم قبائل زبيد وادي الشفلّح تطوّر إلى التحدّي الذي أدّى إلى اعتراف الشيخ وادي بسلطة القزويني الدينيّة (كان القزويني يومذاك في الحادية والثلاثين من عُمره). أمّا الشيخ وادي فكان نفوذه في هذه المرحلة قد اتّسع اتساعاً كبيراً حينما عُيّن حاكماً يُمثّل السلطة المركزية ببغداد في منطقة الفرات الأوسط سنة 1252هـ/ 1836م.

وقد بقيت القبائل الزبيدية التي كانت بعيدة عن أطراف الحلّة، والمدن المقدّسة على ما كانت عليه، ولم تتأثر بهذا التحوّل الذي طرأ عليها يُنظر:

Al-Qazwini, J. The Religious Establishment in Ithna Ashari shiism, p. 130.

(م. شبّر)

(1) ريفيو، 27، تقول إن التشيع حدث عام 1830م. ولكن هذا لا يمكن أن يكون صحيحاً لأن جونز (1854)، 373، يذكر أنهم كانوا سنيين.

(2) گلشن، ف. 116 يقدم لنا النص الشكل القديم مهرود (مهروذ)، كذلك خورشيد، 209.

(3) گلشن، ف. 125. اسم القنوات في النص: باشيّة، سيب، قدس، إصلومبا (خطأ مطبعي).

(4) نيبور (1765)، الجزيرة العربية، 392؛ روسو (1808)، 98. خورشيد، 113 وما بعدها؛ جونز، 372 وما بعدها.

أغنام، ويزرعون الأراضي أو يكلفون فلاحين خاضعين لهم بزراعتها. وكانوا قبل موسم التمور ينتقلون إلى الشريط الخصب على ضفة الفرات بين المحاويل والقنوات المذكورة قبل قليل لكي يحموا الثمار الناضجة من الغرباء ويجلبونها في وقت لاحق. وكان أسلوب الحياة هذا نابعاً من ميل إلى الاستقرار: يذكر روسو عام 1808م أن عدداً كبيراً من عائلات زبيد استوطنوا على ضفاف الفرات ودجلة. ويذكر خورشيد، 203 وما بعدها، أنه كان يوجد في حوالى عام 1850م فقط في النواحي الواقعة بين المسيّب والحلة حوالى 1000 أسرة من الفلاحين الزبيديين. ومن الواضح أن تزايد المستقرين (عكس الرحل) يعود جزئياً إلى أن المزارعين السابقين في المنطقة أخذوا ينضمون شيئاً فشيئاً إلى زبيد - وحسب قول جونز (1854م) لم يؤد هذا التطور إلى تحسين طباع القبيلة.

كان الزبيديون يسيطرون على طريقي الملاحة النهرية للبلاد وعلى أهم طريق بري فيها، طريق بغداد - الحلة، وكانوا بالتالي في كثير من الأحيان غير مريحين بالنسبة للحكومة. وشاركوا في ثورات البدو خلال الحرب الفارسية (1722م - 1747م). ولذلك شن عليهم محمد باشا في شتاء 1733م/ 1734م، ثم سليمان أبو ليلى 1742م حملة تأديب. كما شنت عليهم حملات تأديبية أخرى في عام 1797م وفي أواخر عهد سليمان باشا الكبير (1780م - 1802م)[1].

في الربع الثاني من القرن التاسع عشر مدّ الشيخ وادي بن شفلّح، وهو شخصية غير محبوبة ولكن دون شك هامة، سلطته نحو الغرب والجنوب إلى ما وراء الفرات وذلك بأن ربط بمهارة مصلحة الحكومة مع مصلحته. فمنحته الحكومة حق جباية الضرائب حتى الهندية والسماوة. ومنذئذ صار الزبيديون أصدقاء جيدين للأتراك.

إلا أن خلفاء وادي فقدوا شيئاً فشيئاً السيطرة على القبيلة. وفي بداية القرن

(1) لونكريك، 232، 155. دوحة، 41 أعلاه؛ أوتر: رحلات إلى تركيا وفارس، هالّه 1789م، الجزء الثاني، 46. لونكريك، 202، 219؛ قارن دوحة، 219 أدناه.

الجاري نشأت خلافات بين الزبيد انتهت إلى حرب بين الأخوة عام 1909م[1].

خلال الحرب العالمية حافظ الزبيديون على سياستهم الودية تجاه الأتراك. وعندما تقدم الإنجليز في أواخر عام 1917م نحو أعالي نهر دجلة غادر الزبيديون الموجودون هناك مواطنهم وانسحبوا إلى الفرات لكنهم عادوا في الخريف لكي يزرعوا أراضيهم. وفي بداية عام 1918م لجأ شيخهم عجيل بن علي السمرمد إلى الأتراك ولم يخضع إلا بعد وقف إطلاق النار.

أمّا شيخ البو سلطان، عداي الجريان، فقد تقرب من الإنجليز. وكان السبب في أن زبيد لم تشارك إلاّ بعد تردّد في ثورة 1920م.

تنقسم زبيد إلى خمس قبائل هي: المعامرة، الجحيش، الكلابيين[*] «الجلابيين»، البو سلطان، السعيد. ويبدو أن الكلابيين هم من أصل غريب[2]. وهناك قبيلة سادسة، الدليم، تنتمي من ناحية نسب الدم إلى الزبيد، لكنها لم تنتقل إلا في القرن التاسع عشر شيئاً فشيئاً من موطنها فوق الفلوجة إلى دجلة.

في أحد الأوقات وصلت منطقة تنقل الزبيد في الشمال الغربي إلى قناة الصقلاوية لكنها تقلصت هنا بعض الشيء. أمّا بقية حدودها ـ على الفرات نهر الظلمية، وعلى دجلة بغيلة/ النعمانية ـ فقد بقيت دون تغيير. والمعامرة على الفرات أقوى منهم على دجلة. والأمر بالعكس لدى الجحيش. أمّا الكلابيون فتقتصر منطقتهم على دجلة، والبو سلطان، باستثناء عدد قليل، على الفرات. وفي مكان بعيد، على الطرف الشمالي لهور العفك «عفج» تقيم قبيلة السعيد. وتتم

(1) قارن MDOG، رقم 42، 531؛ عالم الإسلام، الجزء الثاني، 38، رقم 51. دار الخلاف حول ملكية ناحية غبيشي على نهر دجلة التي كان يسكنها البو سلطان (د) ولكن أسرة الشيوخ آل عبد الله تدعي حقها فيها.

(*) ويطلق عليهم أيضاً الجلابات. «المصدر القبائل العراقية ص 130/ يونس السامرائي بغداد» (م. شبّر).

(2) لا يرد ذكرهم عند روسو، 71، ليس في قائمة الزبيد وإنما في قائمة فلح دجلة.

المحافظة على الروابط بين القبائل المختلفة وأجزائها عن طريق العناصر البدوية ونصف البدوية، أي عن طريق الاحتكاك الذي يحدث نتيجة الترحال والتنقل من مكان إلى آخر. في عام 1916م كان نحو ربع الزبيد بدواً رحلاً يعيشون غالباً من تربية الأغنام.

عائلة شيوخ الزبيد

أقدم عضو من آل عبد الله مذكور في المراجع هو الشيخ خطاب الشلاّل. وقد عزله الأتراك في بداية عام 1806م ووضعوا مكانه ابن أخ له اسمه حسين البندري[1]. وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت زبيد تحت قيادة أخي خطاب شفلّح الذي عزله الأتراك عدة مرات لكنه كان في كل مرة يعرف كيف يثبت أنه لا يمكن الاستغناء عنه وبالتالي يستعيد منصبه من جديد. وبرز بشكل خاص في ثورة البدو الكبرى عام 1818م: في هذا العام، العام الثاني لحكومة داود باشا، هرب صادق بك، أحد أبناء سليمان الكبير، من بغداد والتجأ إلى شفلّح، لربما بهدف إعادة اللعبة التي لعبها أخوه سعيد (1813م ـ 1817م باشا بغداد) وطرد داود بمساعدة القبائل. فأخذ شفلّح صديقه المحتمي به إلى الخزاعل الذين كان عندهم لاجئ سياسي آخر هو جاسم بك الشاوي[2]. فبدأ الإثنان معاً بإثارة القلاقل في البلاد وإعاقة حركة الملاحة في نهر الفرات. ولم يكن في وسع الحكومة أن تفعل أي شيء بسبب حدوث اضطرابات في كردستان، وفي الوقت نفسه ظهور بوادر هجوم فارسي من كرمنشاه. إلا أنها ضربت التمرد بأن جذبت إلى جانبها الشيخ علي خان البندر[3] والشيخ شبيب الدرويش، ونصبت الأول

(1) دوحة، 247.

(2) انظر الجزء الأول، 300.

(3) هو أخو حسين البندري.

رئيساً لزبيد. وما لبثت أن نشبت معركة قرب الخشيخشية على الفرات فوق الدغارة بين الزبيد الموالية للحكومة وبين المتمردين أسفرت عن هزيمة الثوار وهربهم إلى منطقة عفك «عفج» الوعرة. وهناك اكتسبوا أنصاراً جداً وأخذوا يعرقلون الملاحة في نهر الفرات من جديد. في هذه الأثناء كانت بغداد قد أصبحت قادرة على إرسال قوات لمحاربة الثوار. إلا أن الوحدة العسكرية المرسلة لم تستطع تحقيق أي شيء بسبب وعورة المنطقة. وهنا تمكن "باب العرب" عبد الله بك الشاوي[1] من فصل الشيخ شفلّح عن الثوار بأن عرض عليه منصب الشيخ. وما لبث الثوار أن تفرقوا خلال وقت قصير بعد أن انتزع منهم رئيسهم[2]. ويبدو أن شفلّح كان عام 1824م لم يزل في الحكم[3]. وتشهد قناة الشوملي التي شقها بأنه كان يعرف كيف يربط مصالحه الخاصة بمصالح قبيلته وهمومها.

كان ابنه وخليفته وادي أكثر استقلالاً. وجاء الزمن مؤاتياً لطموحه إلى السلطة والثروة. فقد استخدمه علي رضا (1831م ـ 1842م) شرطياً ومحصل ضرائب. ثم منحه نجيب باشا (1842م ـ 1849م) حق جباية الضرائب من قبائل الهندية: الخزاعل والأقرع والعفك «وعفج»[4]. ونظراً لما كان يمارسه ضدهم من استغلال وابتزاز أصبح أغنى ملاّك الأراضي في العراق دون أن تستفيد الحكومة من ذلك أي شيء. وعندما أصبح الضغط قوياً جداً ثارت قبائل الهندية عليه. وعلى إثر ذلك عزل من منصبه (1849م) واعتقل ـ ولكن ليس طويلاً. ففي عام 1850م كان مرافقاً للباشا (عبدي)، وفي عام 1852م أشعل ثورة كبيرة لقبائل الفرات. وفي عام 1854م عاد

(1) انظر الجزء الأول، 300.

(2) دوحة، 311، 314.

(3) Keppel (1824), Perponal Narrative of Travels in Babylonia etc., London 1826, I, 117: «Shufileh, a Sqare brick fort, the residence of Sheikh Tyobeid» هذا الحصن موجود على الخريطة المرفقة مع نص خورشيد على منعطف الفرات فوق زلجة، وإلى جانبه حصن لابنه وادي.

(4) خورشيد، 115؛ لونكريك، 290.

وأصبح من أصحاب الحظوة لدى الحكومة ويبدو أنه ظل كذلك حتى وفاته[1]. ومنذ أيامه حملت شيوخ مشايخ الزبيد لقب باي (بك).

ويبدو أن منصب الشيخ انتقل من بعده إلى ابن أخيه سمرمد ثم أخذ بعد ذلك يتنقل بين هذين الخطين: خط وادي وخط سمرمد.

في حوالى عام 1900م حكم رشيد البربوتي الزبيد. وتروى عن موته في حروب الأخوة المذكورة في الصفحة 411 أعلاه الحكاية التالية: لم يشترك رشيد في بادئ الأمر في القتال بل وقف جانباً حسبما يقتضيه مركزه. ولكن عندما بدأ وضع اليسار يتضعضع تقدم مع ابنه الهادي إلى ساحة المعركة لكي يشجع رجال اليسار ويرفع معنوياتهم. لكن اليسار هربوا وتركوا رشيد وابنه وحدهما. ولم يجرؤ الأعداء على قتله بل نادوه قائلين: الله يحميك، ارجع! غير أن الشيخ لم يتحرك وبدأ الهادي، الذي كان رامياً ماهراً، بإطلاق النار على الشيوخ. وعندئذ أطلق عليه أخوة البيضا[2] النار وقتلوه. وعندما رأى رشيد ابنه قتيلاً جثا وأخذ يطلق النار إلى أن سقط. وقام خصومه بقبره وهم يهزجون: يا بك، مباركة هالنومة، يا بك[*]!

بعد مقتل رشيد خلفه عجيل بن علي السمرمد. ولقد تعرضنا أعلاه إلى موقفه في الحرب العالمية الأولى.

وكان ابنه حامد العجيل متعلماً لكن نفوذه كان ضعيفاً بحيث أنه يمكن اعتبار محمد الرشيد رئيساً لآل عبد الله وشيخ مشايخ الزبيد.

---

(1) فرازر (1834م)، الجزء الأول، 351، الثاني، 45، 53، لوفتوس، 39 وما بعدها، بترمان (1854)، الثاني، 76؛ لايارد، نينوى وبابل، 479، 483؛ لونكريك، 291.

(2) انظر مقال البو سلطان أدناه.

(*) لقد حدثني عمي السيد صاحب عن أبيه السيد ناجي بأن هوسه قد قيلت ضد اليسار في هذه الواقعة وتقول:

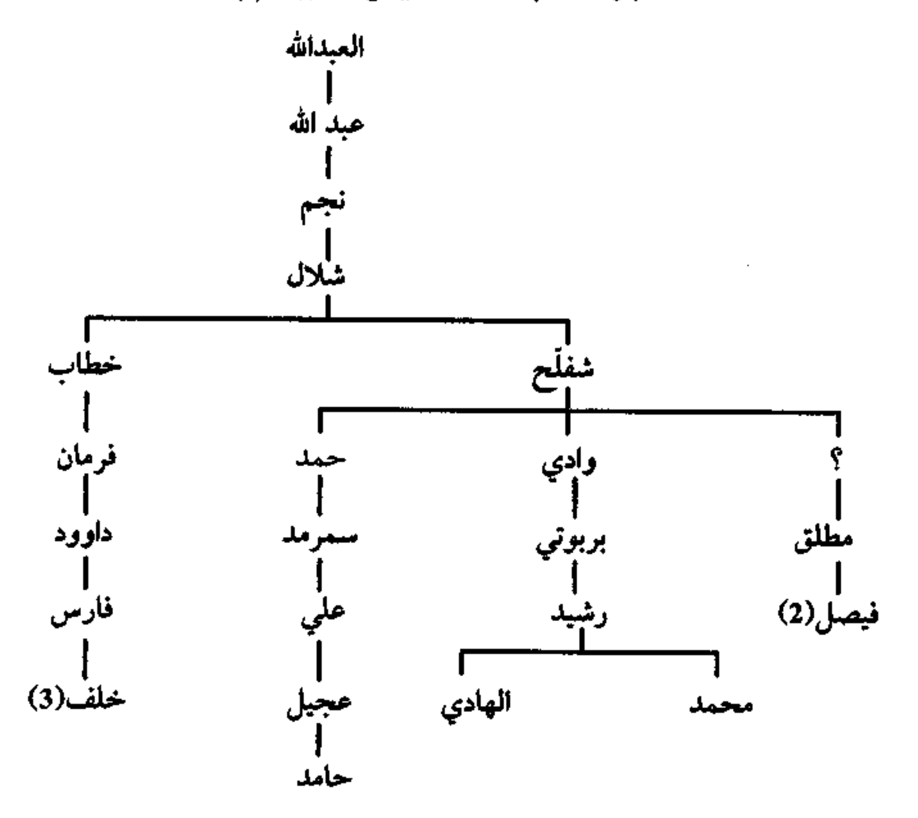
امداگم يا اليسار صرتوا للعربان عار صـرتـوا عـار لـگـل عـشـيـرة.

(م. شبّر).

بقي للعائلة من أملاك وادي الواسعة بعض الأراضي ومنها ناحية أبو عقارب عند نهاية قناة المحاويل حيث يسكن محمد الرشيد، وناحيتان على نهر دجلة هما: بدعة حمد والعبد الله[1].

في منتصف القرن الماضي شكل آل عبد الله مع أتباعهم قبيلة حقيقية تضم 500 خيمة وتعيش حياة بدوية خالصة. أمّا حجم قوتها الآن فلا نعرف عنه شيئاً. وسلطتها على قبائل الزبيد ضعيفة، لكن سمعتها عالية ولها أهميتها.

مشجرة نسب عائلة شيوخ الزبيد (1)



(1) انظر، سالنامه، 275.

ملاحظات حول المشجرة

1 ـ الروايات المتناقلة عن نسب عائلة الشيوخ لا تعود بعيداً إلى الوراء. والقول بأن عبد الله حفيد مباشر لحمْيَر (جونز، 73) لا تعني شيئاً لأن المسافة الزمنية الفاصلة بين عبد الله وحمير تبلغ حسب التاريخ العربي نفسه نحو ألفي عام. والأسماء مثل يوسف، وخضر، وحسن التي تذكر أحياناً بأنها أسماء أجداد عبد الله تبدو غير بدوية على الإطلاق.

2 ـ أحد أملاكه مسجل على الخريطة (الصويرة) قرب بدعة حمد.

3 ـ توفي قبل بضعة أعوام؛ وهو أيضاً كانت له، حسب الخريطة، أملاك قرب بدعة حمد.

المعامرة(*)

يعيش القسم الأكبر من المعامرة على الفرات ـ شط الحلة ـ، فوق آثار بابل، وقسم آخر في القطبة (حرية) على دجلة، ويعيش فرع آخر من فروع القبيلة وهم البومحمد في السهول، ويعتمدون في معيشتهم على تربية الجمال. ويتبع جزء من الأراضي التي يزرعها المعامرة للرابطة الإسرائيلية العالمية. وقد قدّم المعامرة العمال لعلماء الآثار الألمان عندما نقبوا عن الآبار في بابل.

(*) لهم أكثر من نخوة فهم يستعملون نخوة العامة أي حمير و(زبيد) أو نخوة أخوة سلمة. هذا ما ذكره العزاوي في عشائر العراق ولكن لم أستطع معرفة مصدر النخوة أخوة سلمة (م. شبّر).

الجحيش[1]

الجحيش كالمعامرة موجودون على كلا النهرين، لكن القسم الأكبر منهم يعيش على دجلة فيما بين الديوانية والطويل. وعلى الفرات تبدأ منطقتهم فوق المعامرة وتمتد حتى شط النيل قرب الحلة. ولذلك كانت تحدث باستمرار خلافات حدودية بين القبيلتين[2].

تعتبر الجحيش من أقوى قبائل الزبيد وأكثرها عدداً. فقد امتصت العديد من الوحدات الغريبة التي كان جزء منها من سكان المنطقة القدامى أمثال: البو عقيل (8) الذين يعتقد بأنهم من خفاجة، والعمّار (7)[3]، والقضيمات (10)[4]، والبو خضر (14)[5]؛ وكذلك الدويكات «الدويجات» الذين قد يكونوا من زبيد ولكنهم ليسوا من الجحيش. وهناك مستوطنون غرباء يقيمون في منطقة الجحيش ويقدمون لهم بالتالي المساندة في الحرب وهم: البو عامر (15)، والعزة (4)، والجزء من شمر طوقة الذي يعيش على هذا الجانب من دجلة.

(1) تلفظ جحيش (كحيش) مع مد الياء.

(2) ريفيو، 80.

(3) خورشيد، 222، يعتبرها قبيلة مستقلة.

(4) خورشيد، 214، يذكرها مع قبيلتين صغيرتين أخريين هنا ألبوعيد، والقصيرات (د 5) عند الرحمانية.

(5) يذكرها جونز، 373، في الباشية، أي على الفرات، «تحت حماية زبيد».

يعتقد أن شيوخ قبيلة الجحيش تربطهم صلات قربى مع بيت عبد الله. وكان الشيخ مغير المسيّر، جد الشيخ الحالي نصر الفيصل، قد استقل عن آل عبد الله.

الكلابيين «الچلابيين»

يعيش الكلابيون «الجلابيون» على نهر دجلة حوله البغيلة/ النعمانية، وهم مستقلون أيام السلم، لكنهم في الحرب ينخرطون في جيش البو سلطان. يعملون في الزراعة، وقد انتقلت ملكية أراضيهم، التي كان يملكها السلطان عبد الحميد، إلى ملك الحجاز السابق علي، وهي اليوم بحوزة ابنه عبد الإله الوصي على العرش.

البو سلطان

يبدأ البو سلطان تحت الحلة ويصلون حتى قناة الظلمية حيث يجاورون العويديين (جبور الغربي 7). ويسكن قسم آخر منهم في منطقة الغبيشي الواقعة على الفرات والتي ورد ذكرها في الصفحة 411 أعلاه[1].

تنقسم القبيلة من حيث النسب إلى بطنين رئيسيين هما: البو محمد والبو حمد (أخوة البيضا). يتزعم الأول عائلة شيوخ الجريان، والثاني عائلة شيوخ اللهيمص ـ ويعتقد بأن يكون فرع البوطيف (1) وفرع القصيرات (5) من أصول غريبة عن القبيلة.

يعتبر البو سلطان أقوى قبائل زبيد، واكتسبوا أهمية كبيرة في ظل الزعامة الطويلة لعداي الجريان[*] (توفي 1936م)، وبعد وفاته، اقتسم الزعامة عدد من أقاربه، منهم: أخوه نايف، وابنه محمد الذي يعمل كطيار رياضي، وابن أخيه غضبان وابن أخيه فارس.

---

(1) أحد حصونه موجود على الخريطة، الدغارة.

(*) توفي عداي الجريان في 17 آب 1935م وقد خلفه في الرئاسة الشيخ نايف الجريان وابنه الشيخ عبد المحسن الجريان هو من الرؤساء البارزين وصار نائباً في البرلمان العراقي وأخوه الشيخ مسعد ابن الشيخ نايف الجريان ومن رؤسائهم الشيخ فارس الجريان وابنه الشيخ غضبان. عشائر العراق العزاوي. ج3 ص 30 ـ 40. (م. شبّر).

السعيد

في أحد الأوقات كان السعيد أيضاً يسكنون على الفرات[1]، لكنهم انتقلوا منذ زمن طويل إلى الطرف الشمالي لهور عفك «عفج». في الأعوام 1212هـ/ 1798م و1216هـ/ 1801م تعرضوا لحملات تأديبية وحملات لتحصيل الضرائب[2]. وعلى الرغم من وضعهم الذي يفتقر إلى مركز فإن مشاعر الانتماء الواحد مع القبائل الشقيقة قوية لديهم. وتربطهم علاقات جيدة مع جيرانهم العفك «العفج» والأقرع. يزرع السعيد الأرز والحبوب الشتوية ويربون في المراعي الأغنام والإبل. ولقد استفادوا إلى جانب البو سلطان من تشغيل قناة الحرية (آخر عام 1942).

كان شيخ السعيد مظهر الحاج سقب «صگب»[3](*) في منصبه خلال الحرب العالمية الأولى. وهو رجل محترم جداً وهو نائب في البرلمان وصديق لرئيس الوزراء السابق حكمت سليمان. وبما أنه يقضي معظم وقته في بغداد فإن أخاه شمران ينوب عنه في القبيلة عند غيابه.

---

(1) يذكرهم خورشيد هناك، 113. ولكن يبدو أنه مخطىء في ذلك حسبما يتضح من مقارنة مع جونز، 372.

(2) دوحة، 219، 230.

(3) كان سقب «صگب» حاكماً عندما كان بيترز يحفر في نيبور (1888 ـ 1891م). وهو يذكر القبيلة مراراً وتكراراً، ويذكرها بانكز، وبيسميا، بين حين وآخر.

(*) توفي الشيخ مظهر صگب عام 1945م (10 أيار) ثم تولى أخيه الشيخ شمران المشيخة وتوفي عام 1946م وقد خلفه في المشيخة زيدان بن مظهر الصگب (العزاوي) ج3 ص 49 عشائر العراق. (م. شبّر).

الدليم

الدليم ملتحقون بزبيد ويسكنون على دجلة بين الجحيش والكلابيين. كان جونز (372) أول من شهد على وجودهم. وهم لا يشكلون وحدة سياسية.

زبيد(1)

شيخ المشايخ: محمد الرشيد
حامد العجيل
منطقة التنقل: الجزيرة من المحمودية حتى المفك «صفج»
عدد الخيام: 8000

أ ـ المعامرة

شيخ المشايخ: عبد الله الهزاع(2)
منطقة التنقل: الخاتونية على الفرات؛ القطبة على دجلة
عدد الأكواخ: 1200

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ البو حسين 2 ـ البو محمد 3 ـ الخوابرة(3)		الجزيرة	

ب ـ جحيش(4)

شيخ المشايخ: نصر الفيصل(5)

منطقة التنقل: على الفرات: نهر المسيب ـ شط النيل.

على دجلة: الديوانية ـ طويل

عدد الخيام: 2700

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ البو موسى	نصر الفيصل		160
2 ـ الشمامطة		المسيب	120
3 ـ الغران(6)			160
4 ـ العزة(7)		المحاويل	320
5 ـ القدس			120
6 ـ الدواغنة(8)		نهر المحاويل ـ شط النيل	80
7 ـ العمار(9)		شط النيل العتيق	160
8 ـ بني عقيل(10)		الديوانية: الرحمانية: جويميسة	800
9 ـ الجحيشات		جويميسة	80
10 ـ القضيمات		البغدادية	50
11 ـ الدويكات«الدويجات»		البغدادية	50
أ ـ البو علي		البغدادية	320
ب ـ البو جميل		الجوز	
ج ـ البو ويس		قصيبة	
12 ـ البو صالح		برينج	100
13 ـ البو نعيم		الشحيمية	120

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
14 ـ البو خضر		شرهان	50
15 ـ البو عامر(11)		سيسبانة	120

ج ـ الكلابيين

شيخ المشايخ: . . .(12)

منطقة التنقل: البغيلة/ النعمانية

عدد الخيام: 400

د ـ البو سلطان(13)

شيخ المشايخ: نايف الجريان ـ عبود اللهيمص

منطقة التنقل: تحت الحلة ـ نهر الظلمية

عدد الخيام: 2050

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ البو طيف(14)		نهر بيرمانة(15)	
2 ـ العيسى	عبود اللحيمس «اللهيمص»(16)		
3 ـ البو سمندر(17)		نهر مشيمش ـ نهر روبيانة	
4 ـ البو حمد			
5 ـ القصيرات			
6 ـ البو قاسم	نايف الجريان	نهر روبيانة ـ نهر عوادل	
7 ـ الجربوع(18)		نهر عوادل ـ نهر زعلاوي	
8 ـ البو مساعد		نهر زعلاوي ـ نهر شوملي	
9 ـ الجريات(18)		نهر شوملي ـ نهر الظلمية	

هـ ـ السعيد

شيخ المشايخ: مظهر الحاج سقب «صگب» ـ شمران الحاج سقب «صگب»
منطقة التنقل: شمال شط الدغارة والعفك
عدد الخيام: 800

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ النشاشلة			
2 ـ النوافلة			
3 ـ الشجاجرة			
4 ـ البو قضيب «گضيب»			
5 ـ العزام			
6 ـ الحميدات			
7 ـ البوبدر			

و ـ الدليم(19)

المنطقة : بين الجحيش والكلابيين

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ الشقيرية(20) «الشجيرية»(*)			400
2 ـ العاصم(21)			65
3 ـ غبيشات		أم السنيم	80
4 ـ الصباح		غيبشي(22)	80

قبائل ملحقة
بني زيد(23)

المنطقة : الحلة

عدد الخيام : 100

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م. تمّ إعادة النظر باسماء الشيوخ عام 1942م بناءً على معلومات عراقيين مقيمين في برلين. أقدم قوائم زبيد، روسو، رحلة 1808م، 68 وما بعدها تتضمن آ، د، هـ، الدليم والجبور وكذلك اليسار، الجميلة، بنو تميم، بنو زيد، البو فرّاج وبعض الأسماء غير المعروفة. قائمة شبرنجر (1818م)، رقم 113، ب، د، هـ، خورشيد 113: آ، ب، 8، 11، جـ، د، هـ، وعائلة الشيوخ آل عبد الله. جونز 37 وما بعدها: آ، ب، 2، 8، 11، 14، جـ، د، هـ، و،

(*) الشجيرية. المصدر / الشيخ حسين الشعلان/ م.شبّر.

يضاف إليهم بني زيد، البو عجة وقراغول واثنتان غير معروفتين. (شيحا) (1908م) 248: آ، 1، 2، ب، 2، جـ، والبو عبد الله. يمكن رؤية بيانات السالنامه في الملاحظات: المعلومات بشأن قوة القبيلة: 3450 خيمة، (خورشيد) 2470 (جونز).

2 ـ 1916م: والده هزاع المحيمد.

3 ـ يعني سكان الخابور. خورشيد. 219 يسمي هؤلاء المعدان في هور عقرقوف، العزاوي. ج1، 194 ونفسهم لدى زويع.

4 ـ أفخاذ القبائل على الفرات (1 ـ 7) مثل الذين على دجلة (8 ـ 15) مرتبون مع مجرى النهر نحو الأسفل. 8 ـ 15 السالنامه، 274 وما بعدها جاء ذكرها بنفس أمكنة الإقامة.

5 ـ 1916م: والده فيصل المغير. يشار إلى مكان إقامة فيصل على الخارطة في كربلاء في نهاية نهر المسيب:

6 ـ على الخارطة مستوطنتان في الصويرة. سالنامه 310 نذكرهم تحت البو سلطان (2).

7 ـ من أهل السنة سالنامه 214.

8 ـ يتعلق الاسم بنهر القدس الذي يقع ليس بعيداً عن زاوية الفرات عند الجربوعية/ الهاشمية.

9 ـ على الخارطة مستوطنتان في الصويرة.

10 ـ يضاف لهم الشيخ عمران الزمبور على الخارطة.

11 ـ عزاوي ج1 ـ 238. مذكورة عرَضاً. قارن المقال المتعلق بالموضوع.

12 ـ 1916م: جودة العجم.

13 ـ سالنامه 310 تورد / 1/ (في النص: البو طيبة) و3 ـ 9 بالإضافة إلى غيرها. الأفخاذ مرتبة مع مجرى النهر نحو الأسفل.

14 ـ يضاف لهم الشيخ مطلق الظاهر على الخارطة، الدغارة.

15 ـ هكذا لدى خورشيد 222، سالنامه: بارمانة.

16 ـ 1916م: والده شيخير "اللحيمص". انظر الخارطة.

17 ـ يضاف لهم الشيخ عباس الكاظم على الخارطة.

18 ـ الشيخ 1916م: ناجي السد (= أسد) خان خصم الجريّان.

19 ـ مرتبة باتجاه النهر، العزاوي ج1، 238 يذكر معها 2 ـ 4 بالإضافة إلى الغوافلة غير الموجودة في البيانات.

20 ـ قراغول السالنامه، 275. الخارطة، العزيزية. يذكر شط الشجيرية.

21 ـ من هنا اسم منطقة زاوية العاصم على الخارطة.

22 ـ على الخارطة مشوهة.

23 ـ انظر. ملاحظة رقم 1.

أقـــرع (الأقرع)

إلى الشمال والشرق من الديوانية تمتد سهول خصبة تحصل على مياهها اليوم من شط الدغارة[1]. وكانت في يوم من الأيام أوسع بكثير مما هي اليوم: كانت تشمل في الجنوب ناحية الفوار التي كانت تروى من نهر اليوسفية، وكانت تمتد في الجنوب الشرقي إلى فرعي الدغارة المسميين شط الكار وحتى قرب الغراف[2]، بينما كانت تشكل في الوسط هور عفك «عفج». وعندما انخفض مستوى المياه في نهر الحلة المتفرع من الفرات، جف الجزء الأسفل من نهر اليوسفية لأن الدغارة كان يأخذ القسم الأكبر من مياه فرع الحلة، وفي الصيف كان يأخذها كلها. وعلى الرغم من ذلك كان الكار أيضاً يبقى غالباً بدون ماء[3]. وفي بداية القرن الحالي كان المرء يسير بين (سوق) الدغارة و(سوق) العفك مسافة يوم كامل عبر الهور حيث كانت تمتد حقول الأرز خلف شجيرات الحلفا التي يبلغ ارتفاعها طول قامة الإنسان. وكانت الحصون الدفاعية تنتشر على مجرى النهر المتعرج وتؤمّن لأصحابها حق إغلاق السدود التي تضيقه. ولكن الهور كان يتقلص تحت عفك

(1) حسب سالنامه، 301، أنشئ شط الدغارة في عام 1210هـ/ 1795 ـ 1796م.

(2) قارن مخطط المنطقة المحيطة بفرا وأبو حطب، MDOG رقم 16، الذي تظهر فيه مجاري المياه جنوبي العبرة.

(3) في منتصف القرن التاسع عشر لم يكن الكار يجري إلا نادر؛ لوفتوس، 150.

«عفج» وكان النقل إلى عبرة لا يتأمن إلا بواسطة زوارق ضيقة تسمى مشحوف (طرّادة). ولكن في أغلب الأحيان كان الشط هنا جافاً[1]. وبعد عام 1903م ساءت الظروف المائية هنا بسرعة: أخذ الهور يتقلص أكثر وأكثر وبقيت العبرة بلا ماء كلياً. ولم يتغير الوضع إلا في العقدين الأخيرين حيث اتخذت الحركة منحى معاكساً بفضل انتهاء سد الهندية وتنظيم توزيع المياه.

أثرت هذه التغيرات الطبيعية تأثيراً جوهرياً على طريقة حياة وتاريخ قبائل المنطقة التي ندرسها. فقد هاجر سكان الفوار، المؤلفون من الجبور والفتلة، في القرن التاسع عشر. وفي الوقت نفسه ترك أكثرية الجليحة والبراقع ناحية عفك «عفج» التي استولت عليها منذ ذلك الحين القبائل الثلاث: الأقرع، وعفك «عفج»، وآل بدير[2]. وهؤلاء تصفهم المراجع القديمة بأنهم معدان، ولكن يبدو أنه كان يوجد بينهم دوماً بعض المجموعات التي تعمل في تربية الأغنام، كما أنهم اضطروا بسبب تراجع المياه إلى التخلي شيئاً فشيئاً عن زراعة الأرز والتحول إلى زراعة حبوب أخرى وخاصة الذرة البيضاء.

يرد ذكر قبائل الدغارة لأول مرة عند نيبور (1765م)[3]. وكانوا في بداية القرن التاسع عشر تحت سيادة الخزاعل، إلا أنهم أصبحوا في الأربعينيات تحت سيادة زبيد[4].

في الماضي كان الأتراك يخافونهم، لكنهم في حوالى عام 1900م كانوا قد أصبحوا مسالمين إلى حد بعيد. وكان بينهم العديد من العداوات القبلية التي ظلت قائمة خلال الفترة الأولى من الاحتلال البريطاني إلى أن قررت القبائل عام 1918م هدم حصونها الدفاعية[5]. وإذا كانوا لم يشاركوا في الثورة العراقية عام 1920م إلا

(1) قارن تقرير العودة من رحلة الفرا 1903م MDOG .رقم 17، 38 وما بعدها.
(2) القبيلة الرابعة، السعيد، تحدثنا عنها أعلاه.
(3) الجزيرة العربية، 390، وأن يكون العفك غير موجودين فهو لا شك مجرد صدفة.
(4) قائمة شبرنجر (1818م)، رقم 108 ـ خورشيد، 115.
(5) ريفيو، 78.

بعد تردد، فإن موقفهم هذا كان له سبب خاص: كانوا يخشون أن يقوى نفوذ شيخ عفك «عفج»، الحاجي مخيف "الكتّاب" ، الذي كان يقود الوطنيين في المنطقة، إلى درجة مزعجة، في حال انتصار الثوار.

أدى السلام العام السائد في البلاد وتراجع البدو في العقدين الأخيرين إلى تزايد عدد سكان سهول الدغارة. وبما أن الأراضي الصالحة للزراعة لم تكن تكفي لهذا التزايد السكاني فقد سادت بين القبائل حالة من عدم الرضى أسفرت عن اشتراك الأقرع التابعين للشيخ شعلان العطية في اضطرابات عام 1935م[1].

يشكل الأقرع اتحاداً غير متماسك من القبائل التي تسكن شاطئ الدغارة من مخرجه (صدر) وحتى مسافة 10 كيلو مترات خلف قرية (سوق) الدغارة، والزاوية التي تشكلها القناة مع شط الحلة. وفي الغرب تتجاوز منطقتهم شط الحلة، غير أنها تبدأ هنا تحت قناة البازول. أمّا الحدود الجنوبية فتقع في منتصف الطريق بين الديوانية وإمام حمزة.

تزايد عدد أفراد الأقرع خلال قرن واحد إلى أكثر من الضعف؛ فبينما يقدر خورشيد، 114، عدد مساكنهم بأكثر من 1000، يصل عدد هذه المساكن في جدولنا إلى 2408.

يذكر أن منصب شيخ المشايخ كان في الأصل بيد قبيلتين ليس لهما أي أهمية الآن هما: القروش «الگروش» والشواحن. وفي الوقت الحاضر يتولى قيادة القبيلة عائلتا مشايخ الشبانة (8) والحمد (2)، آل عطية والرسن. وكان الشيخان الأكبران، شعلان العطية وسعدون الرسن، يتولان الرئاسة خلال الحرب العالمية الأولى. وقد نشبت بينهما نزاعات طويلة حول ملكية الأراضي. وكان سعدون يسيطر بالإضافة إلى الحمد على آل عمر (1) والهلالات (3) وآل زياد (5). وهو ينتمي إلى حزب عبد الواحد شيخ مشايخ الفتلة. وبما أن شعلان العطية مشلول منذ

(1) الشرق الحديث، عام 1935م، 163.

بعض الوقت فإن نفوذ سعدون أصبح أكبر من نفوذه. ومن أخوة شعلان ـ جبل، ومحمد، وعبد الكاظم ـ فإن جبل الأهم. أمّا ابنه موجد فهو نائب.

الأقرع(1)

المنطقة: شط الدغارة ـ شط الحلة

عدد الخيام: 2408

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ آل عمر(2)	الحاج حمزة السلمان	شط الحلة ـ شط الدغارة	120
أ ـ الغنانيم			
ب ـ زبيد			
2 ـ آل حمد	الحاج سعدون الرسن	شويشة 3 كلم جنوب الدغارة	535
		نهر الكويكة	
3 ـ الهلالات	حسين الصالح	الضفة اليمنى من شط الدغارة	180
		7 كلم أسفل الدغارة	
4 ـ آل مرمض	دحان بن كلاب(3)	الضفة اليمنى من شط الدغارة	70
		القلعة	
		الدغارة ـ قلعة	
5 ـ آل زياد	جسور العلوان(4)	الضفة اليمنى من شط الدغارة	40
		جنوب القلعة	
		قلعة	
6 ـ القروش«الگروش»	كاظم المزعل(5)	8 كلم شمال غربي الدغارة	

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
7 ـ الشواحن	كاظم المزعل	الدغارة	40
8 ـ آل شبانة(6)	شعلان العطية	الضفة اليسرى من شط الدغارة ـ القلعة	675
أ ـ آل(البو) خزعل			
9 ـ الطواريف			
10 ـ البو نايل	علوان المحمد	الضفة اليسرى لشط الحلة صدر الدغارة إلى ما قبل الديوانية بـ 10 كم. ذكر أعلاه	456
11 ـ أهل المجاوير(7)	سلمان الحسن(8)	الديوانية	350
أ ـ العفالجة			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م استكملت 1930م (ميجر ادموند). فروع القبائل (الأفخاذ) باستثناء 6 و7 واردة في السالنامه، 302. بعض اسماء الشيوخ والقبائل موجودة على خارطة الدغارة.

2 ـ عملياً أحد فروع الحمد (2).

3 ـ 1916م: دوحان.

4 ـ 1916م: والده علوان.

5 ـ 1916م: والده مزعل الردام.

6 ـ سبق أن وردت لدى لايارد، نينوى وبابل ص 549 وكان قسم منهم موجود في عام 1916 عند العوابد في منطقة الشامية.

7 ـ فرعان منهم كانوا موجودين عام 1916م في الدغارة.

8 ـ 1916م: مرسول الحسن.

عفك (عفج)

حافظ العفك «العفج» على طابع المعدان أكثر من جيرانهم في الغرب والشرق، الأقرع والبدير. ويعود السبب في ذلك إلى طبيعة أرضهم التي يشكل نواتها هور العفك الذي يمتد من الغرب إلى الشرق ومن الشمال إلى الجنوب مسيرة يوم واحد في كل من الاتجاهين. ومنذ شق قناة الدغارة (1210هـ/ 1795م ـ 1796م) أصبح الهور بسبب زراعة الأرز ذا أهمية بالغة بالنسبة للحياة الاقتصادية من جهة ولجيوب الباشاوات في بغداد من جهة أخرى. ولذلك بدأت بعد اكتمال بناء القناة مباشرة حملات تأديبية وحملات لجمع الضرائب ضد القبائل المقيمة في هذا الشريط، وهم، إلى جانب العفك، الجليحة في جنوبي الهور والسعيد في شماله. ولم تسفر هذه الحملات عن نتائج إيجابية بالنسبة للأتراك لأن العفك كانوا محميين بفضل الطبيعة المتميزة لمنطقتهم. أمّا القبيلتان الأخريان فكان الوصول إليهما أسهل.

بدأت الحملة الأولى ضد العفك، حسب التواريخ البغدادية[1]، في عام 1211هـ/ 1796م. وكانت موجهة ضد مربي الأغنام الذين كانوا يغيرون على المستوطنين على شط الكار وأسفرت عن مصادرة الأتراك 12,000 شاة و2000 بقرة. لكن حملة أخرى (1216هـ/ 1801م) كانت ترمي إلى جباية الضرائب باءت بالفشل: صحيح أن شيوخ عفك «عفج» ومعهم شيوخ الجليحة حضروا اللقاء عندما وصلت القوات إلى نهر اليوسفية، واستلموا العباءات الفخرية المرسلة لهم، لكنهم رفضوا

(1) انظر أيضاً بشأن الأحداث اللاحقة: دوحة، 218، 230، 279، 319.

دفع الضرائب المفروضة عليهم وقدرها 15,000 قرش عن كل قبيلة. وتخلى الأتراك عن محاولة للدخول إلى منطقة عفك «عفج» واكتفوا بالذهاب إلى الجليحة الذين طلبوا الصلح بعد توسط أشرافهم من السادة. فوافق الأتراك على الطلب بعد أن دفع الجليحة نصف المبلغ نقداً وقدموا رهائن عن الباقي. كما أن الحملة الأكبر التي شنت عام 1234هـ/ 1819م لم تحقق أي نجاح. فقد عبرت القوات التركية، القادمة من النجف، نهر الفرات عند الديوانية وبدأت بقطع المياه في قناة اليوسفية لكي تمارس الضغط على «عفك» والجليحة. وبعد فشل اجتماع للقبيلتين استسلم جزء من الجليحة بينما انسحب جزء آخر إلى هور آل بدير الواقع في مكان أبعد إلى الشرق. كما أن عدداً من العفك هربوا أيضاً، لكن الباقين التجأوا إلى حصن الشيخ شخيّر الغانم المحصن جيداً والمخبأ خلف القنوات. كان الأتراك مضطرين إلى فرض حصار صعب وطويل. وفي الوقت الذي كان من المفترض أن يبدأ فيه اقتحام الحصن اخترقت عفج في ليلة ماطرة صفوف الأتراك المنهكين وهربوا مع نسائهم وأطفالهم، لكنهم تركوا وراءهم ما لديهم من حبوب (أكثر من 1000 «طغار»[1]، إلى المستنقعات. وعلى طريق العودة تمّ تمتين سد اليوسفية ووضع تحت حماية شيخ الخزاعل الذي كانت قد ضُمت له 40 سرية من عجيل[2]. وبدلاً من العفك كان على الجليحة والفتلة دفع الثمن، وذلك بأن فرض على كل منهم مبلغ 50000 قرش وكُلف شيخ الخزاعل بجبايتها. وهُددوا بقطع المياه عنهم في حال الامتناع عن الدفع.

ظلت عفك «عفج» تقاوم الأتراك حتى العقد الأخير من القرن التاسع عشر. ويقال بأن نجيب باشا (1842م ـ 1849م) شن عليهم ثلاث حملات[3]. وفي عهد مدحت باشا (1869م ـ 1872م)، الذي أقلقت توجهاته الإصطلاحية البدو، قامت قبائل الدغارة بالقضاء على قوة يقودها موظف أرسل إلى عفك لجمع المجندين

---

(1) «طغار» = حوالى 1625 كيلوغرام.

(2) تم وضع 30 سرية أخرى في الديوانية.

(3) لوفتوس، 91.

وجباية الضرائب[1]. وقام مدحت نفسه بعد ذلك بفرض النظام في الدغارة بمساعدة المنتفق[2]. ومنذئذ لا يوجد شيء جوهري يذكر عن عفك وجيرانهم. هناك بين حين وآخر مناوشات بين فروع العفك، ومنها مثلاً المناوشات بين البحاحثة (2) وآل حمزة (3) التي وقعت عندما كان بيترز ينقب في نيبور عام 1889م؛ وقد أعربت كلا القبيلتين عن رغبتها في المشاركة في أعمال الحفر[3].

وكما هو الحال لدى الأقرع فقد تكاثرت عفك أيضاً منذ عام 1850م تكاثراً كبيراً: فهم يبلغون اليوم 4000 ـ 5000 مسكن، بينما يقدر عددهم لوفتوس، 92، بـ 3000 أسرة، وخورشيد، 114، بـ 1000 مسكن.

تزعم عائلة شيوخ العفك، آل غانم، بأنهم ينتسبون إلى شمر. وآل غانم في الحقيقة شيوخ فرع البحاحثة. وأقدم عضو من العائلة موثق في المراجع هو شخيّر الغانم الذي ورد ذكره أعلاه تحت عام 1819م. وكان عام 1850م لا يزال حياً، لكنه كان آنذاك الرئيس الثاني للقبيلة؛ وكان شيخ المشايخ أخوه عقاب[4]. وتلي ذلك ثغرة في المراجع الأدبية لم تستطع شجرة النسب الواردة أدناه سدها. ولذلك لسنا متأكدين مما إذا كان الشيخ حاجي طرفة الذي حكم في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ينتمي إلى عائلة آل غانم أم لا. ففي سياق الأحداث المذكورة أعلاه والتي وقعت في عهد مدحت باشا عزل حاجي طرفة وعُيّن محمد بن شخيّر شيخاً للقبيلة. وبعد بضعة أعوام عاد طرفة، الذي كان قد فرّ إلى الصحراء، وأعفي عنه بعد أن أبدى استعداده لدفع مبلغ كبير. وعرف هذه المرة كيف يحظى برضى الأتراك بحيث أنهم وكّلوه على الأملاك السلطانية الواقعة قرب أم البعرور/ الشامية[5]. عام 1903م كان ابن محمد الشيخ حاجي مخيف أغنى وأهم شيوخ القبيلة، لكن جماعات

---

(1) حسب بيترز (1889م ـ 1890م)، نيبور، الجزء الأول، 232، الثاني، 327 وما بعدها.

(2) لونكريك، 310.

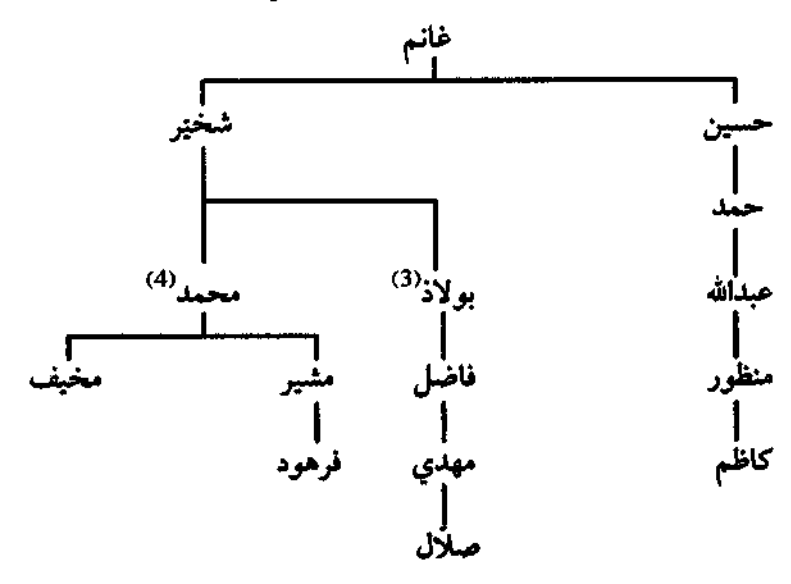
(3) بيترز، نيبور، الجزء الأول، 233، 238 وما يليها، 249، 251.

(4) لوفتوس 89، 92؛ لايارد (1851م)، نينوى وبابل، 545، 551 وما يليها، 564.

(5) بيترز، نيبور، جـ1، 232 وما بعدها؛ جـ 2، 60 وما يليها، 372 وما بعدها.

منطقة (سوق) العفك كانوا تابعين لمقوطر «مگوطر»[1] ابن طرفة.

لم يكن نفوذ الحاجي مخيف آل شخيّر، الذي توفي قبل وقت قصير، يقتصر على عفك «عفج» بل كان يشمل أيضاً القبائل المجاورة: الجليحة، والسعيد، والبدير. وكانت ملكياته الزراعية واسعة. وبعد الاحتلال الإنجليزي تقلص نفوذه إلى حد كبير. ولهذا السبب، وأيضاً بسبب قناعاته الدينية، شارك بحماس في التحضير لثورة عام 1920م. لكنه اعتقل قبل اندلاع الثورة ونقل إلى البصرة حيث كان يستطيع التحرك بحرية لقاء تقديم كفالة. وفي وقت لاحق سمح له بالعودة ولكن توجب عليه اقتسام منصبه مع العديد من أقربائه وهم: الحاجي مهدي الفضل[2] وابنه صلاّل، وكاظم المنظور، وفرهود الحاج مشير. وتتضح علاقة القرابة بين الأشخاص المذكورين من المخطط التالي:



(1) MDOG رقم 17، 41، 42.

(2) MDOG رقم 17، 42 مذكورة (1903م)؛ عالم الإسلام، جـ 2، 31، العدد 21 (1911م).

(3) قارن لوفتوس (1850م)، 93: محمد الابن الأكبر للشيخ.

(4) قارن لوفتوس، 92: الشيخ الشاب «بولاذ».

منذ وفاة مخيف ومهدي أصبح الحاجي صلاّل الملقب بـ"الموح" أي (الكريم)، والذي برز في ثورة 1920م، أكثر شيوخ عفك نفوذاً. يعدّ مناحي بن مخيف من الوطنيين مثل أبيه، أمّا فرهود المشير فيعتبر محدود النفوذ.

بسبب نفوذ هذه الشخصيات تطورت عائلة الشيوخ آل غانم في العقد الأخير إلى قبيلة فرعية (فخذ) انشق عنها فرع آل فاضل. ومن الطبيعي أن تشكل قبيلة بهذه السرعة غير ممكن إلاّ ضمن الظروف الخاصة لهذه المنطقة حيث يضطر المعدان والفلح في أحيان كثيرة إلى الهجرة وإلى الالتحاق بجماعة جديدة[1].

عفــك(1)

المنطقة: على شط الدغارة فوق أبو منيهل حتى تحت العفك

عدد الخيام أو الأكواخ: 4000 ـ 5000

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ آل غانم			
أ ـ آل غانم	فرهود الحاج مشير	أبو خايس	326
	مناحي الحاج مخيف		
	كاظم المنظور	شط حسين	610
ب ـ آل فاضل	الحاج صلال الموح	قلعة	283
2 ـ البحاحثة	الحاج وطبان الونان(2)	الدغارة	630
أ ـ آل دهيم			
ب ـ آل هلال			
ج ـ آل شبيب			

(1) في عام 1916م يقدر عدد الغرباء في قبيلة البحاحثة بالربع، وفي قبيلة حمزة بالنصف تقريباً.

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
3 ـ آل حمزة	الحاج محمد العبود(3)	عفك	1090
	غاوي الحمد		
4 ـ المخاضرة	ظاهر الفرحان		330
5 ـ البو ناشي	محمد البدر(4)	عفك	400
6 ـ آل شبية(5)		عفك	1000
أ ـ العقاريق«العجاريج»		عفك	
ب ـ البو راشد			
ج ـ آل خدام			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م و1930م (الميجر ادموند) تمّ استكمالها في ضوء معلومات عراقيين مقيمين في برلين عام 1942م. سالنامه 302 (مثل بيانات 1916م) تهمل آل غانم (1) لأن هؤلاء لم يكونوا آنذاك فخذاً وذكرت 6 أ، ب كأفخاذ، لكنها فيما عدا ذلك تذكر نفس التصنيف مثل جدول. أسماء معظم الأفخاذ والشيوخ أو أسلافهم واردة في الخارطة في منطقة الدغارة وعفك كأسماء الأماكن، وقد تمّ اعتماد آلبو حسن ومكانه المذكورة عليها (انظر ص 250 أعلاه) في عام 1916 كأفخاذ ولكنها لم تظهر في الجدول ربما لأنها فقط فروع بخمسين خيمة.

2 ـ 1916م الحاج فرحان الونان.

3 ـ 1916م والده عبود أحمد الذي كان يحكم حسب MDOG رقم 17، 40، في عام 1903م.

4 ـ 1916م والده بدر.

5 ـ الشيخ 1916م: رسن بن شبيب.

آل بدير (البدير)

القبيلة الأخيرة من قبائل الدغارة الثلاث هي آل بدير التي يقع مركزها الرئيسي في العبرة على شط الفراحنة، وهو الاسم الذي يطلق على الدغارة اعتباراً من سوق عفك. تقع العبرة قرب الطرف الغربي لمنطقة القبيلة التي تمتد في الشرق حتى مدينة بسماية الأثرية، وفي الجنوب حتى خرخرة على شط الكار وكانت في السابق تتألف من عدد من الأهوار القليلة العمق التي كانت تفصل مع بعضها بواسطة مجار عميقة، لكنها فقدت هذا الطابع في نهاية القرن الماضي[1]. في عام 1902م كانت المياه تصل في فرع للشط إلى قرب المدينة الأثرية فارة، وفي عام 1903م كان الشط حتى في العبرة نفسها جافاً في أغلب الأوقات[2]. ولم تعد المياه إليه إلا خلال الحرب العالمية.

يعتبر آل بدير أنفسهم من حِمْيَرَ أي من عرب الجنوب. وعلى أي حال فإن اسم فخذين منهم، البولان (3) والنبهان (الجدول بني حسن ب ملحق ب)، يبدو قديماً فعلاً.

لا يرد ذكر القبيلة في التواريخ البغدادية إلا عرضاً. ولم تكن حملات جباية الضرائب ضد آل بدير تحقق أرباحاً كبيرة. ويبدو أن منطقة القبيلة لم توضع تحت

---

(1) كان السهور الواقع قرب بسمايه مغموراً بالمياه آخر مرة عام 1879م، بيترز، 328 وما بعدها.

(2) MDOG رقم 16، 19، 24؛ رقم 17، 20، 23 وما يليها، 33.

الإدارة المباشرة إلا بعد حصول شركة الشرق الألمانية على حق التنقيب في فارة وأبو حطب (1902م).

عانىٰ آل بدير أكثر من جميع قبائل الدغارة الأخرى من جفاف شط الحلة. ففي عام 1902م حدثت مجاعة عندهم وبدأت منطقتهم تفقد سكانها. وأخيراً اضطر القسم الأكبر من القبيلة إلى ترك موطنه. وتوجه المهاجرون غالباً إلى الغراف حيث استأجروا أراضي من عبد الرزاق السعدون (من عائلة شيوخ المنتفق المعروفة). وذهب بعضهم إلى الشامية حيث انضم جزء منهم إلى بني حسن وجزء إلى الخزاعل. وبينما بقي هؤلاء في موطنهم الجديد بدأ بدير الغراف بالعودة إلى موطنهم شيئاً فشيئاً خلال الحرب العالمية الأولى.

علاقة آل بدير مع العفك جيدة، بالمقابل هناك (أو كانت هناك) عداوات بينهم وبين بني حكيم «حجيم» في الجنوب الشرقي والمنتفق في الشرق.

يمارس آل بدير الزراعة وتربية المواشي ويسكنون، لهذا السبب، في أكواخ من الحلفا أو في خيام. وقد قدموا العمال للتنقيبات التي قامت بها جمعية الشرق الألمانية وللتنقيبات التي قام بها بانكز في بسمايه.

يحكم القبيلة منذ زمن طويل شيخان ينتميان إلى نفس العائلة. في بداية القرن الحالي كانا ابنا العم سقبان «صگبان» البو جاسم والشهد[1]، والآن ابناهما سلمان السقبان «الصگبان» وشعلان الشهد. وهما يسكنان كأبويهما في عبرة، سلمان شمال الشط وشعلان جنوبه.

(1) MDOG رقم 17، 19؛ بانكز (1903 ـ 1904م) بسمايه، 97.

آل بدير(1)

شيخ المشايخ: سلمان الحاج سقبان (صگبان)(*)

شعلان الشهد

منطقة التنقل: عبرة

عدد الخيام والأكواخ: 3165

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الفراحنة(2)	سلمان السقبان «الصگبان»	عبرة: شط الفراحنة	630
	شعلان الشهد		
2 ـ البو حسين(2)	فيصل المزعل(3)	مرادية	630
3 ـ البولان	.... الفرحان	9 كم شمال شرق العبر	110
	نور العباس	عبرة	
	حمزة السجن		
4 ـ البو سعد	محمد الفضل	3 كم شمال العبرة	85
		عبرة	
5 ـ بني حكام«حچام»	سلمان الثايل	8 كم شرق العبرة	50
	خلاف الشلاش	عبرة	
6 ـ البو خلف		جنوب شرق العبرة	
		عبرة	

(*) صگبان وليس سقبان. المصدر (العزاوي)وصگبان كلمة فارسية متكونة من كلمتين (سگ بان أي حارس الكلب)، وهناك شخصية مخترعة لواحد من أولاد الإمام موسى الكاظم بن جعفراسمه صگبان، ومن هنا فإن الناس يسمون أسماء أبنائهم بإسم صگبان تيمناً بأسماء آل البيت. (م. شبّر).

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م و1931م. بالنسبة لبيانات 1916م فإنها لا تتضمن أفخاذ القبيلة 4 ـ 6 بالمقابل تتضمن العليوي والبو زياد. كلاهما مذكوران في السالنامه 302 ومكان إقامتها خرخرة والبو زياد أيضاً MDOG رقم 17 و19 جزء منها في خرخرة والجزء الثاني في الدچة، على الخارطة، الرميثة، إنما في جنوب شرق العبرة.

2 ـ سالنامه، 302.

3 ـ 1902 والده مزعل بن عوفي MDOG رقم 17، 19.

الخزاعل

كانت الخزاعل على مدى قرنين، أو ربما على مدى ثلاثة قرون أو أكثر، أقوى قبيلة على الفرات الأوسط. وكانوا يحكمون، من السماوة حتى الحلة ومن المدينتين المقدستين حتى شط الكار، المعدان والفلح والبدو الرحل وشبه الرحل. وما من قبيلة قاومت العثمانيين مثلهم ولم يكن أحد أغنى منهم إلى أن أدى امتلاء الهندية إلى انقطاع المياه عن الفرات، شريان الحياة في منطقتهم، وأدى تنامي سلطة الدولة إلى وضع حد لسلطتهم. ومنذئذ استقل كثير من أبناء القبيلة لكن سحر اسم الخزاعل لم يختفِ ولم تزل حتى اليوم قبائل كبيرة كالشبل والغزالات وزياد وبعض القبائل الصغيرة تطيع أوامر شيوخهم.

منشأ وأصل الخزاعل يلفه الظلام. صحيح أن هناك روايات تقول بأنهم كانوا يسكنون قبل الإسلام في مكة وكانوا يتولون حراسة الكعبة إلى أن قام رئيسهم ببيع مفتاح المكان المقدس بجرة من النبيذ[1]، لكن هذه الرواية لا تتعلق، كما اكتشف لايارد، بالخزاعل وإنما بخزاعة، وهي قبيلة عربية قديمة ذكرناها في الجزء الثاني (ص 553). ومن الطبيعي أن نسب الرواية إلى الخزاعل يعود إلى تشابه الإسمين. وقد أدى هذا التشابه إلى الخلط الكامل بين الخزاعل وخزاعة. ويذكر الرحالة الفارسي حجي زين العابدين الشرواني، وهو درويش شيعي، في عام 1247هـ/ 1831م أن الحسكة/ الديوانية تقع في المنطقة التي تسيطر عليها خزاعة، وينسب

(1) لايارد، نينوى وبابل، 542؛ بشأن الحكاية راجع الأنسكلوبيديا الإسلامية جـ 2، 1058.

مواطنه رضا قولي خان "هدايت"، الذي كتب بعده بعشرين سنة، مهنا الذي سنتحدث عنه بعد قليل، وهو شيخ الخزاعل في القرن السابع عشر، إلى خزاعة[1]. ولم يزل العلماء العراقيون حتى اليوم متمسكين بهوية القبيلتين.

يرد ذكر الخزاعل لأول مرة في عام 1049هـ/ 1639م بعد وقت قصير من احتلال السلطان مراد الرابع بغداد وانتزاع العراق من الفرس. وكانت ضخامة الحملة التي قادها السلطان والسمعة المخيفة التي سبقتها قد ولدت حالة من الذعر بحيث لم يتحرك ساكن ضد العثمانيين بعد استيلائهم على بغداد ـ باستثناء واحد وحيد: فقد ثار قرب السماوة شيخ الخزاعل مهنا تأييداً للشاه. صحيح أنه هزم وعبر بعد ذلك مع عدد من أنصاره الحدود الفارسية حيث استوطن عند زيدان بين خوزستان وكوغلو[2]، لكن وقوفه إلى جانب الصفويين، حماة الشيعة، كان له تأثير يحتذى به وولد عداوة بين العثمانيين، حماة السنة، والخزاعل.

ساهمت ظروف مختلفة في إبقاء هذه العداوة حية في النفوس. وكانت أراضي الخزاعل المروية بشكل جيد من الفرات وقنواته الكثيرة، التي لم تزل آثارها حتى اليوم تغطي الشامية والجزيرة على يمين ويسار النهر، تزود بلاد الرافدين بكاملها تقريباً بالأرز[3] وتحقق للشيوخ، الذين كانوا يملكون الأراضي أو لديهم حقوق التصرف بالمياه أو مكلفين بجباية الضرائب، أرباحاً كبيرة. وكانت الملاحة في النهر تشكل مصدراً هاماً آخر للدخل. وذلك أن الفرات، وليس دجلة، كان في القرنين السابع عشر والثامن عشر الطريق الرئيسية للسفن النهرية في البلاد. ففي السماوة والرماحية كانت توجد مراكز جمركية يعمل فيها موظفون تابعون لشيخ الخزاعل[4]. أمّا الشيخ نفسه فكان يسكن في لملوم الواقعة مقابل

---

(1) بستان السياحة، طهران 1310هـ، 215، قارن 272 ـ روضة الصفا، 8، الفصل: احتلال بغداد بقيادة السلطان مراد.

(2) گلشن، 80؛ قارن لونكريك، 82 ـ روضة الصفا، نفس المكان السابق.

(3) وصف باشون بغداد، 59.

(4) نيبور، وصف رحلة، جـ 2، 249، 253.

إمام حمزة(*) والتي كانت في أيامها الذهبية تحتوي على 4000 ـ 5000 كوخ. ووجود هذه المدينة[1] دليل على أن الخزاعل كانوا في صدد تجاوز نمط الحياة القبلية. وهناك حقيقة أخرى تشير في نفس الاتجاه وهي تعيين شيخ لكل من الشامية والجزيرة، وهو إجراء اتخذته الجماعات المحلية وليس قيادة القبيلة.

من الطبيعي أن ثراء شيوخ الخزاعل كان يثير جشع البشاوات العثمانيين من ناحية أخرى كان شيوخ الخزاعل يشعرون، نظراً لبعدهم عن بغداد وبسبب المخابئ الكثيرة الموجودة في منطقتهم الكثيرة المياه والمستنقعات، بأنهم في مأمن من الهجمات المفاجئة ولذلك كانوا يرفضون مطالبة الحكومة لهم بدفع الضرائب. ولذلك كانت قائمة الحملات التأديبية والضريبية التي شنتها الحكومة ضد الخزاعل في القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر طويلة جداً. بدأت هذه الحملات عام 1701م وانتهت عام 1818م.

كانت حملة عام 1701م جديرة بالملاحظة لأن أسبابها تعود إلى معطيات سياسية ارتبطت بأحداث طبيعية كان لها تأثير على تاريخ العراق: منذ عام 1100هـ/ 1688م تحوّل الفرات إلى نهر دياب، وهو مجرى مائي يتفرع على بعد 4 ساعات غربي الرماحية ويصب في قناة الحسكة. أدى هذا التحول إلى جفاف منطقة واسعة من الأراضي مما جعل سكانها غير قادرين على دفع الضرائب. ولكي تعوض الحكومة هذا النقص في العائدات الضريبية، ولو جزئياً، زادت الضرائب المفروضة على الفلاحين المجاورين. لكن هؤلاء رفضوا الضرائب الجديدة وهربوا إلى المستنقعات. فاستغل شيخ الخزاعل سلمان بن عباس هذه الاضطرابات وأعلن

(*) إمام حمزة: وهي الآن قضاء الحمزة الشرقي. يعود تسمية المنطقة إلى شخص يدعى سيد محمد الغريفي البحراني تحكى القصة أنه قُتل وابنة منصور في أثناء عودته إلى دياره من زيارة مرقد الإمام الحسين وقد قُتلا من قبل أفراد من عشيرة الجبور التي تسكن المنطقة. ولشجاعته في التصدي للمهاجمين شُبه ببطولة الحمزة عم الرسول (ص). هذه برواية الشيخ حسين الشعلان. (م. شبّر).

(1) من المؤكد أنها لم تؤسس من قبل الخزاعل وإنما من قبل أجداد عائلة السادة آل مگوطر.

الثورة. إذ قام بفرض ضريبة جمركية[1] على القوافل وأخضع قبائل خالد، وكبشه «جبشه»، وبني مالك، التي كانت مؤيدة للعثمانيين واحتل الحسكة والرماحية وتقدم حتى النجف ونهر شاه قرب الحلة. جميع محاولات إيقاف الثورة أو لجمها باءت بالفشل. بل بالعكس فقد زحف سلمان بن عباس على الحلة. غير أن الهجوم فشل لأن الأهالي كانوا قد بنوا قبل الهجوم بوقت قصير سوراً حول المدينة كما أن جنوداً انكشاريين من بغداد دافعوا عنها.

في هذه الأثناء كانت الحكومة المركزية في القسطنطينية قررت التدخل بقوة كبيرة. فأرسلت قوات المقاطعات الشرقية وعينت باشا بغداد قائداً لها وكلفته بإعادة نهر الفرات إلى مجراه القديم الأمر الذي تطلب تحضير الأخشاب اللازمة في بغداد والحلة. تحرك الجيش في نوفمبر/تشرين الثاني 1113هـ/ 1701م، بعد فشل مفاوضات أجريت مع سلمان بوساطة أبيه عباس، ووصل دون أن يعترضه أحد إلى ضريح عون بن علي. وبعد مسير ثلاث ساعات أخرى، وبينما كانت القوات تهمّ بإقامة معسكرها على مسافة قريبة من نهر دياب «ذياب»، هاجمها فجأة الخزاعل الذين كانوا مختبئين في حقول الحلفاء الكثيفة. إلا أن العثمانيين تغلبوا على عدوهم الذي خلف وراءه عدداً كبيراً من الناس الذين ماتوا قتلاً أو غرقاً. أمّا سلمان وأبوه فقد تمكنا من الفرار.

بعد ذلك بدأت أعمال سد المياه. في بادئ الأمر حفرت قناة تصل بين مجرى الفرات الجديد ومجراه القديم واكتمل حفرها خلال 48 يوماً. ولكن عندما بدأ العمل بالمهمة الأصعب وهي سد المجرى الجديد وتحويل الماء إلى المجرى القديم أضرب الجنود وأجبروا القيادة في النهاية على التراجع. وهكذا لم يكتمل المشروع[2].

وفي عام 1117هـ/ 1704م شنّ باشا بغداد حملة جديدة ضد سلمان. فعرض سلمان بواسطة ابنه الاستسلام عدة مرات لكنه رفض الحضور شخصياً إلى المعسكر

(1) النص (گلشن): شيار: تقرأ: السيار!

(2) گلشن، 120، يختلف الأمر قليلاً عند راشد، جـ1، 260؛ فون هامر ولونكريك يخلطون بين هذه الحملة وحملة الشتاء السابق ضد المنتفق.

التركي ثم فرّ إلى السماوة. فتبعه الباشا ولكنه لم يتمكن من القبض عليه[1].

في عهد سليمان أبو ليلى، عندما كان كهية وباشا، حافظ الخزاعل على الهدوء. ولكن بعد عامين من وفاته (1762م) وجد نفسه الباشا الجديد، علي، مضطراً إلى شن حملة ضدهم. لكنها باءت بالفشل[2]. وفي نهاية العام نفسه 1764م شنّ خليفته عمر باشا حملة جديدة ضد الخزاعل. وتقدم حتى وصل إلى الجهة المقابلة إلى لملوم حيث العدو متحصناً. واضطر تحت ضغط نقص المواد الغذائية، الذي كاد أن يتسبب في حدوث تمرد بين الجنود، إلى العبور مهما كان الثمن. فقام بنصب سد على النهر ثم بدأ في اليوم التالي هجوماً على تحصينات العدو أسفر عن انتصار الأتراك انتصاراً كاملاً ـ بعد سبعة عشر عاماً شاهد سستيني الدمار الذي سببته المعركة وقبور الشيوخ الذين سقطوا في المعركة[3].

كانت الحملات التي شنها سليمان باشا الكبير ضد الخزاعل في الأعوام 1793م/ 1794م، و1794م/ 1795م، و1797م و1801م ترمي في المقام الأول إلى جباية الضرائب. فقط الحملتان الأخيرتان كانتا من العمليات الكبيرة: في خريف 1212هـ/ 1797م قاد الكهية علي باشا حملة عبر الديوانية ضد الشيخ حمد الحمود الذي كان متمركزاً في "سيبايه" المحاطة بمستنقعات يصعب عبورها. وعندما اقترب الجيش التركي فقد الشيخ كل ما لديه من شجاعة وأرسل نساءه إلى معسكر الباشا كي يطلبن منه العفو عنه. لكن الباشا لم يستجب لطلبهن. وبعد أن كان أنصاره قد تركوه في بداية الهجوم، تمكن هو أيضاً من الفرار ونجا بحياته بعد أن أصيب بجروح. وعلى إثر ذلك عُيِّن الشيخ محسن الغانم مسؤولاً عن الشامية، وسبتي المحسني مسؤولاً عن الجزيرة. وفرض على كل منهما، بالإضافة إلى المبالغ النقدية التي ترتبت على التعيين، تقديم ألف طغار أرز كل عام[4].

---

(1) گلشن، 124؛ راجع أيضاً لونكريك، 124.

(2) لونكريك، 173؛ نيبور، وصف رحلة، جـ 2، 246، 320.

(3) دوحة، 158 وما بعدها؛ سستيني، رحلة، 231.

(4) دوحة، 219.

في نوفمبر/تشرين الثاني عام 1800م شنّ الكهية حملة ضد آل سلمان وهم قبيلة فرعية من الخزاعل. وكانت هذه القبيلة محتمية خلف إحدى القنوات. وعندما نصب الأتراك جسراً لعبور القناة انسحب آل سلمان إلى موقع مجهز مسبقاً واقع على مقربة من لملوم ومغطى بثلاثة فروع من النهر. إلا أن الأتراك تبعوهم على سدود مبنية جديداً. فهرب آل سلمان إلى هور مجاور بعد أن قاموا بحرق لملوم بدافع اليأس. في اليوم التالي احتل الأتراك المدينة وغنموا 10000 كيس من الأرز أرسلوا 2500 منها إلى بغداد بينما قام تحالف من القبائل العربية بنهب الباقي. بعد ذلك استمرت العمليات. بدأ الأتراك بقطع الماء عن القناة التي تغذي الهور والمتفرعة من الفرات. وعلى الرغم من أن الأتراك اضطروا بعد شهر من العمل إلى التخلي عن هذا المشروع، فقد كانت معنويات آل سلمان منهارة إلى درجة أنهم عرضوا الاستسلام وقدموا ضمانات لدفع الضرائب[1].

في عامي 1814م و1815م كان الخزاعل على رأس الداعين إلى ثورة البدو الكبرى التي هددت العراق في عهد سعيد باشا (1813م ـ 1817م) الضعيف. ففي نفس العام الذي تولى فيه سعيد منصبه زار الحلة، لكنه بدلاً من تنفيذ الحملة المرسومة ضد الخزاعل اكتفى بوعد قدمه شيوخهم تعهدوا فيه بدفع الضرائب. كان لهذا التراخي عواقب وخيمة. ففي ربيع 1814م لم يتمرد الخزاعل وحدهم وإنما أيضاً الزبيد، ومن البادية السورية هددت شمر وظفير وروِلة النجف وكربلاء. وتجرأ البدو على التقدم حتى الكاظمية دون أن يحرك الباشا ساكناً. وبعد ذلك حاصروا كربلاء حيث كانت تنتظرهم غنيمة كبيرة: كان يوجد في المدينة نحو 40000 حاج إيراني بينهم العديد من أفراد عائلة الشاه. عندئذ تمكن رجال البلاط من إخراجه من سباته. وتمّ تكليف داود، الذي أصبح باشا فيما بعد، بمهمة القضاء على المتمردين. وكان مجرد ظهوره في الحلة كافياً لإعادة الهدوء إلى المنطقة. وقامت كتيبة عسكرية بفك الحصار عن كربلاء ثم رافقت الحجاج عبر الحلة إلى النجف وإعادتهم إلى كربلاء. وبعد ذلك توجه داود نحو الجنوب إلى الديوانية. وفي

(1) دوحة، 227 وما بعدها.

طريقه نظم شؤون الزبيد وقاد ضربة ناجحة ضد الواوي[1]. وبينما كان يستعد لمهاجمة لملوم وصله أمر بالعودة إلى بغداد. وعلى أي حال فقد جاء إليه شيخ المشايخ محسن الغانم شخصياً لكي يعرب له عن خضوعه.

وفي خريف العام نفسه 1230هـ/ 1815م أدت دسيسة قام بها السيّىء السمعة جاسم الشاوي[2] إلى الإيقاع مرة أخرى بين الخزاعل والأتراك. وكانت الحملة التي قادها سعيد باشا شخصياً موجهة ضد شيخ المشايخ السابق سلمان المحسن. وعندما وصلت الحملة إلى الديوانية هرب شيخ الشامية إلى الصحراء؛ وقام شيخ آخر بإعلان الطاعة. تخلى سلمان المحسن عن لملوم ولجأ إلى "سيبايه" المحاطة بالمستنقعات. فتبعه الباشا ولكن الهجوم عليه فشل. ومع ذلك تخلى الخزاعل عن مواقعهم؛ وتبين أن مطاردتهم غير ممكنة. وأخيراً انتهت الحملة برحلة قصيرة إلى قناة اليوسفية وبزيارة النجف وكربلاء، دون التوصل إلى نتيجة حاسمة. بل بالعكس، فخلال رحيل الأتراك تمرد خصم قوي آخر هو فارس الجربا شيخ شمر. وكان الشيخ فارس قد تحرك لنجدة سلمان وتبع الجيش التركي قادماً من الشمال لكنه تحاشى الدخول في معركة معه عندما رأى الباشا عائداً إلى بغداد. ولكن ما أن انسحب الأتراك حتى اتحد مع الخزاعل. وهكذا عادت المنطقة الواقعة بين الحلة والديوانية بكاملها إلى أيدي الثوار الذين هددوا الحلة نفسها. وهنا عاد الوضع لصالح الأتراك بسبب تدخل المنتفق. ففي معركة اللملوم ألحق حمود الثامر، شيخ المنتفق، بمساعدة الضفير وقوة صغيرة من بغداد دعمتها العبيد، هزيمة نكراء بالخزاعل وشمر[3].

في عهد داود باشا (1817م ـ 1831م) ظل الخزاعل هادئين على وجه العموم. صحيح أنهم قدموا عام 1818م الحماية لخصمه جاسم الشاوي وساعدوا بذلك على

---

(1) انظر جدول جبور الغربي 3.

(2) انظر الجزء الأول، 300.

(3) دوحة، 274 وما بعدها، 278 وما بعدها؛ راجع الصفحة 93 أعلاه، والجزء الأول، 237 و238.

حدوث ثورة الزبيد لصالح صادق بك، وهو لاجئ سياسي آخر؛ لكنهم استُخدموا في خريف العام نفسه ضد عنزة[1]. وبعد ذلك بوقت قصير أوكلت إلى شيخ الخزاعل مهام هامة عند الجليحة والفتلة (راجع الصفحة 443 أعلاه).

قد يبدو ملفتاً للانتباه أن نجد الخزاعل في خدمة الحكومة. ولكن يجب أن نعلم أنه كان قد حدث في هذه الأثناء تقارب بين القبائل الشيعية والعثمانيين بسبب عدائهم المشترك للوهابيين. لا بل إن الخزاعل كانوا في صدهم لهذا العدو أكثر تطرفاً حيث قتلوا وهم يحجون إلى النجف، وفي وقت يسود فيه سلام كامل، 3000(؟)[*] وهابي جاؤوا إلى المدينة لشراء بعض الأشياء (1214هـ/ 1800م)[2]. ولعل هجوم الوهابيين على السماوة، الذي ورد ذكره في رسالة القنصل الفرنسي في بغدا (روسو) تاريخ 12 يوليو/ تموز 1806م، كان انتقاماً لتلك العملية التي مثلت خرقاً للسلام. لكن ذلك الهجوم باء بالفشل وقام في اليوم التالي 300 رجل من الخزاعل بمطاردة المهاجمين[3].

أدى سقوط داود، آخر باشا مملوكي في بغداد (1831م)، إلى حدوث تبدل في السياسة المتبعة تجاه البدو في العراق. ففي عهد علي رضا باشا (1831م ـ 1842م) بدأ تفضيل زبيد على بقية القبائل بصورة اعتباطية ودون سبب وجيه، الأمر الذي كان السبب في نشوب العديد من الحروب بين البدو. وبلغ هذا التفضيل ذروته في عهد نجيب باشا، خليفة علي رضا، (1842م ـ 1849م) الذي عيّن شيخ الزبيد وادي بن شفلّح رئيساً للخزاعل وقبائل الجزيرة والشامية الملحقة بهم[4].

---

(1) دوحة، 318.

(*) في عام 1799م وردت (حدرة) مجموعة من الوهابية (سابله) فصادفتها الخزاعل فقتلوا منها نحو 300 رجل، جاء الخزاعل إلى النجف للزيارة فحدثت هذه الوقعة على خلاف الشروط المعطاة إلى سعود بن عبد العزيز السعود «المصدر ـ العزاوي العراق بين الاحتلالين ج6 ص 138» (م. شبرّ).

(2) دوحة، 227. فيما يتعلق بالعدد يجب بالتأكيد حذف صفر أو صفرين.

(3) باكنغهام، (1816م) رحلات في بلاد الرافدين، جـ1، 239 وما يليها.

(4) خورشيد، 115.

ولقد حكم وادي فعلاً بضع سنوات بين الحلة والنجف والسماوة إلى أن أثبتت ثورة قبائل الهندية حماقة ذلك الإجراء وسقط نتيجة لذلك وادي والباشا معاً. وكان نجيب نفسه قد شنّ هجومين، 1843م و1844م، على الخزاعل، وقام خليفتاه عبدي باشا[*] (1849م ـ 1851م) وعمر باشا (1858م ـ 1859م) بمحاربة قبائل الهندية والشامية، وقام نامق باشا في ولايته الثانية (1861م ـ 1868م) بتنفيذ عمليات حربية طويلة وصعبة ضد الخزاعل.

لكن قوة القبيلة لم تتحطم بسبب هذه الضربات وإنما بسبب حدث طبيعي، وهو تحويل مياه الفرات إلى قناة الهندية، وحركة الهجرة التي تبعت هذا التحويل. وكان سكان الجزيرة قد بدأوا قبل عام 1850م، بسبب ظروف العمل والشروط الضريبية المناسبة، بالانتقال إلى المنطقة التي أصبحت صالحة للزراعة والسكن بسبب قناة الهندية. وبعد عام 1850م قويت هذه الحركة بسبب تراجع منسوب المياه بحيث شملت جميع القبائل، تقريباً، المقيمة بين الدغارة والسماوة (بني حسن، فتلة، جليحة، علي، عوابد). في بادئ الأمر ظل المهاجرون متكاتفين مع الخزاعل. ولكن بعد ذلك كان لبعد المسافة والظروف المعيشية الجديدة تأثيرها: فقد انفصلت جميع قبائل الهندية وبعض قبائل الشامية عن الخزاعل.

وعندما تابع منسوب المياه في شط الحلة انخفاضه، إلى أن جف تماماً، باستثناء فصل الربيع، في العقد الأول من القرن الحالي، عانى الخزاعل أنفسهم من هذا الوضع لأن جزءاً كبيراً من أراضيهم الزراعية يقع على الشط. ولذلك تشتت فلاحوهم، فتحوّل بعضهم إلى تربية الأغنام ودخل آخرون في خدمة إقطاعيين غرباء من مثل عائلة السادة أبو طبيخ[1]، وهاجر كثيرون إلى المناطق المستصلحة

(*) اسمه عبد الكريم نادر باشا (العزاوي العراق بين الاحتلالين ج7 ص 63 و84). (م. شبّر).

(1) فرع من آل سيّد مهدي جاء قبل أكثر من 200 سنة من شرق شبه الجزيرة العربية. يعيش أبو طبيخ في غماس على شط الشامية، وهناك أبو طبيخ على شط الحلة والرميثة وكمكة تحت الشنافية. وزعيمهم، السيد محسن أبو طبيخ، هو أحد قادة المعارضة التي تتبنى مصالح الشيعة والقبائل.

حديثاً في الغرب. استغلت قبائل غريبة هذا الوضع لصالحها. فعندما عادت المياه إلى شط الحلة وجد الخزاعل أراضيهم تحتلها المجاوير (الأقرع)، بنو زريق «زريج»، وبنو عارض (الجدول: قبائل ملحقة د ـ 1). ومنذئذ لم يعد للخزاعل هنا سوى عدد من المجموعات الصغيرة ـ جزر في بحر من القبائل الغريبة التي ستنضم إليها حتماً، عاجلاً أو آجلاً. أمّا في الشامية فقد حافظ الخزاعل على وضعهم بشكل أفضل. فهم يشكلون هنا مجموعتين تعيش الأولى من هور ابن نجم وهور الوريقي «الوريجي» على قناة المهناوية وقناة بازول، بينما تعيش الثانية جنوب غمّاس على قناة أبو تبن. أمّا في الجزيرة، المقر الرئيسي للقبيلة سابقاً[1]، فلم يعد للخزاعل وجود إلاّ كبدو رحل.

استغل الأتراك انحدار الخزاعل لشن حرب لا رحمة فيها ضد زعمائهم. فقد انقرض تقريباً الذكور من عائلة الشيوخ البوكريدي. ولعلهم كانوا يستحقون هذا المصير؛ فقد عانى أصحاب الأراضي والفلاحون الأمرّين من جشعهم ونهبهم.

ضمن هذه الظروف يصبح مفهوماً أن الخزاعل تحالفوا في الحرب العالمية منذ عام 1915م مع الإنجليز. وفي عام 1916م قدموا لهم خدمة هامة بأن أجبروا قبيلة فتلة المشخاب على منع قوات تركية من عبور منطقتهم إلى الفرات الأدنى[2]. وظلوا أصدقاء للإنجليز بعد الحرب أيضاً لكنهم اختلفوا لهذا السبب مع الشيعة الذين كانوا يدافعون عن قضاياهم ويقودون حروبهم منذ قرون. صحيح أن زعماء المدينتين المقدستين النجف وكربلاء كان لهم منذ أواخر صيف 1915م اتصال مع الإنجليز، لكنهم غيّروا موقفهم بعد الاحتلال الإنجليزي للعراق (ديسمبر/كانون الأول 1917م) وأخذوا يستعدون، بالتعاون مع الوطنيين في بغداد، للثورة العراقية التي اندلعت في يونيو/حزيران 1920م ـ ظل الخزاعل مترددين حتى آخر لحظة بخصوص الالتحاق بحركة الثوار[3]. وبذلك نجوا من العقوبات التي فرضها

(1) في حوالى عام 1850م كان ثلاثة أرباع القبيلة تقريباً يعيشون هناك؛ خورشيد، 145.

(2) قارن الصفحة 369 أعلاه.

(3) ريفيو، 29 وما بعدها، 35 وما يليها؛ 146.

الإنجليز في وقت لاحق على الثوار، لكنهم اضطروا إلى التخلي عن مركزهم القيادي لصالح خصومهم الفتلة.

ننتقل الآن إلى التاريخ الداخلي للخزاعل. إذا ما قارنا تفرعات القبيلة حسبما جاءت في الجدول مع التفرعات المرافقة لشجرة النسب المذكورة في المقطع القادم نلاحظ ما يلي: جميع أفخاذ الخزاعل يحملون اسماً مأخوذاً من أسماء أجداد شيوخهم[1]، وجميع هذه الأسماء تعود إلى عائلة واحدة، إلى أحفاد الشيخ عباس الذي اشتهر في حملة عام 1701م. وبكلمات أخرى فإن عائلة الشيوخ والقبيلة متداخلون تداخلاً كاملاً. وهذا لا يعني بأي حال أن جميع أفراد القبيلة تربطهم قرابة الدم مع عائلة الشيوخ؛ بل من الممكن أن يكونوا منحدرين من خطوط أقدم (من خط عباس) أو إنهم من منشأ غريب تماماً. هذه الخطوط الأقدم نتعرف عليها في قائمة الخزاعل لعام 1765م الموجودة لدى نيبور: آل جلال، البو؟، البو غانم، آل نصر الدين، آل مهنا[2]. ومما يثير الاستغراب أنه لم يبق أي منها حتى اليوم، أو حسب قائمة شبرنغر[3] (رقم 108) ولا حتى عام 1818م. آنذاك كان الخزاعل ينقسمون إلى أربع "قبائل" هم: شبيب، صقر، حاج عبد الله، آل غانم[4]، وهم ينحدرون جميعاً من أب واحد (سلمان)، حسب قول الكاتب. وهؤلاء ما زالوا موجودين الآن (2 آ ـ د) ولكن دون أي أهمية تجاه قبيلة الشلال[5] المتفرعة من صقر والتي يحكم شيوخها جميع الخزاعل. ويُفسر هذا التبدل المستمر للقبائل الفرعية بأن الخزاعل هم في الأصل ليسوا قبيلة وإنما عائلة شيوخ.

يلتف حول الخزاعل الحقيقيين تلك القبائل الصديقة أو الخاضعة التي تشكل

---

(1) باستثناء واحد وحيد، الرواشد (3 وما بعدها).

(2) نيبور الجزيرة العربية (آرابيين)، 390.

(3) هذه القائمة غير كاملة، ينقصها مثلاً آل عباس.

(4) ليسوا هم نفس آل غانم المذكورين عند نيبور، لأن الجيل الأول من آل غانم لم يظهر إلا في نهاية القرن الثامن عشر.

(5) أثبتت قائمة خورشيد، 115، وجودهم في منتصف القرن الماضي.

معهم اتحاد الخزاعل الكبير. وهؤلاء هم: شبل، وغزالات، وزياد، ثم كبشه الأقل أهمية، وعدد من المجموعات الصغيرة من بينهم بني خالد، وكعب، وغيرهم. لم نعثر على معلومات تشير إلى أصل القبيلتين الأوليتين. أمّا زياد فيفترض أنهم كواكبة (عنزة). ينتسب بني خالد إلى قبيلة بني خالد المشهورة في شرقي شبه الجزيرة العربية، وحسب الروايات التي يتناقلونها جاؤوا إلى هنا قبل 13 جيلاً. وأمّا كعب فينتسبون إلى القبيلة الفرعية التابعة لخفاجة والتي تحمل الاسم نفسه.

وكما هو حال قبيلة الخزاعل، فقد طرأ على اتحاد الخزاعل أيضاً بعض التحولات. يعدّ بني خالد وكبشة من أقدم الجماعات التي تشكل منها الاتحاد وكان سلمان العباس قد أخضعهما لسلطته في نهاية القرن السابع عشر[1]. وكلاهما يرد ذكره عند نيبور (1765م)[2] كتابعين للخزاعل، ويضاف إليهما الجبور. لكن الجبور انفصلوا في وقت لاحق عن الاتحاد، وكذلك الأقرع، عفك، والجليحة، والفتلة، الذين كانوا في عام 1818م تابعين له[3]. وهناك شهادات على وجود شبل عام 1822م، وعلى وجود الغزالات وزياد حوالى عام 1850م[4]. أمّا أحدث عضو في الاتحاد فهم البدير الذين غادروا موطنهم في شرق هور عفك قبل أقل من 40 عاماً.

علاقة القبائل المنفردة مع شيوخ الخزاعل متباينة. بني خالد وكعب، الذين يعملون في أراضي الخزاعل، يطيعونهم في الحرب والسلم، أمّا الشبل والغزالات والكبشة فيقعون تحت نفودهم، وأمّا زياد فهم شبه مستقلين ولذلك كانوا في بعض الأحيان يتقاتلون مع بقية القبائل[5].

يسكن الخزاعل وأتباعهم، خلافاً لبقية قبائل الشامية، في الخيام[6].

---

(1) قارن الصفحة 454، 455 أعلاه. يبدو أن أسماء القبائل وردت في نص گلشن خطأ كأسماء أماكن.
(2) الجزيرة العربية، 390.
(3) قائمة شبرنغر رقم 108.
(4) المنشي البغدادي، 35 ـ خورشيد، 115. بدلاً من الغزالات يذكر هو الغزلان.
(5) انظر، مثلاً، موزيل، الفرات الأوسط، 106 وما بعدها.
(6) سالنامه، 319.

شيوخ الخزاعل[1]

تعود شجرة نسب الخزاعل حسب الروايات المتناقلة إلى الشيخين عباس وسلمان اللذان اشتهرا في حملة عام 1701م ومقدماتها. أعطي لقب الشيخ في البداية لأخي سلمان وأبنائه. وحمل اللقب حمود بن حمد، ابن أخ سلمان، عام 1764م خلال معركة لملوم حيث نجا آنذاك من يد الأتراك ثم منح العفو في وقت لاحق[2]. وفي شتاء 1793/ 1794م حدث صراع بين حمد بن حمود وابن عمه محسن المحمد من أجل منصب الشيخ. وتمكن حمد من عزل منافسه عن طريق تقديم التماس في بغداد[3]. وكما ذكرنا في الصفحة 456 أعلاه شنت عليه عام 1797م حملة تأديبية لكنه نجا من الوقوع في الأسر. بهذه المناسبة ظهر لأول مرة حفيد لسلمان هو محسن الغانم[4] الذي اعترف به الأتراك شيخاً للشامية؛ بالمقابل ينتمي سبتي المحسن[5]، الذي كان آنذاك شيخاً للجزيرة، إلى الخط الأقدم، آل عباس وخلال الثورة الكبرى عام 1814م/ 1815م أصبح محسن الغانم شيخ

(1) انظر مشجرة النسب.

(2) دوحة، 158 وما بعدها؛ نيبور، وصف رحلة، جـ 2، 24. قارن ص 315 أعلاه.

(3) دوحة، 215 وما بعدها.

(4) غير موجود في مشجرة النسب.

(5) هو ابن محسن المحمد. شجرة النسب هنا غير صحيحة تماماً.

المشايخ[1]. وكان سلفه، سلمان المحسن[2]، الذي برز في معارك خريف 1815م، آخر شيخ حاكم من سلالة آل عباس. أمّا بقية الزعماء الذين لعبوا دوراً في الثورة، ومنهم على سبيل المثال شيخ الشامية مغامس الشلاّل، فهم ينحدرون من الخط الأحدث، آل سلمان.

كان ذرب بن مغامس شيخ المشايخ الثاني من عائلة سلمان، والأول من خط الشلال الذي لم يزل محتفظاً بالسلطة حتى اليوم. ويبدو أن ذرب حكم فترة طويلة من الزمن، إذ أنه تولى منصبه[3] في عهد داود باشا (1817م ـ 1831م) وكان، حسب الروايات المحلية، لم يزل موجوداً عند سقوط وادي بن شفلّح (1849). وفي عهد ذرب بدأت حرب الإبادة التي شنها الأتراك ضد الخزاعل. ويقال بأن ذرب نفسه مات مسموماً في النجف. وأخذ حفيده مطلق إلى القسطنطينية ثم قتل في الحرب الروسية التركية عام 1877م. وأرغم حفيد آخر له، وهو صفوق، على قضاء أعوام طويلة في القسطنطينية. ومات ابن مطلق مسموماً في الموصل.

بين عام 1900م و1910م كان صحن الشعلان، حفيد ذرب، وابن عمه (من الدرجة الثانية) كسّاب «چسّاب» الحمّادي زعيما آل شلال والخزاعل. كان صحن يحكم الجزء المتنقل من القبيلة وآل ساعدة، وكان كسّاب «چسّاب» يحكم المستوطنين بين الفرات وشط الشامية. وفي وقت لاحق بدأ قريبان لهما بفرض نفسهما شيئاً فشيئاً وهما سلمان الظاهر ومحمد العبطان. وفي الوقت الحاضر أصبح سلمان بن شعلان الظاهر وأحد أبناء محمد العبطان أهم الشيخين في القبيلة.

يعيش شعلان (مع أخيه ثعبان) على قناة أبو تبن (وهي قناة تتفرع عن شط الشامية ثم تصب فيه مرة أخرى). وهو يدير أملاكه مشاركةً مع رجل يهودي صنع نفسه بنفسه هو الياهو خلاصي الذي يسمى في اللغة الشعبية ملك الشامية. لشعلان

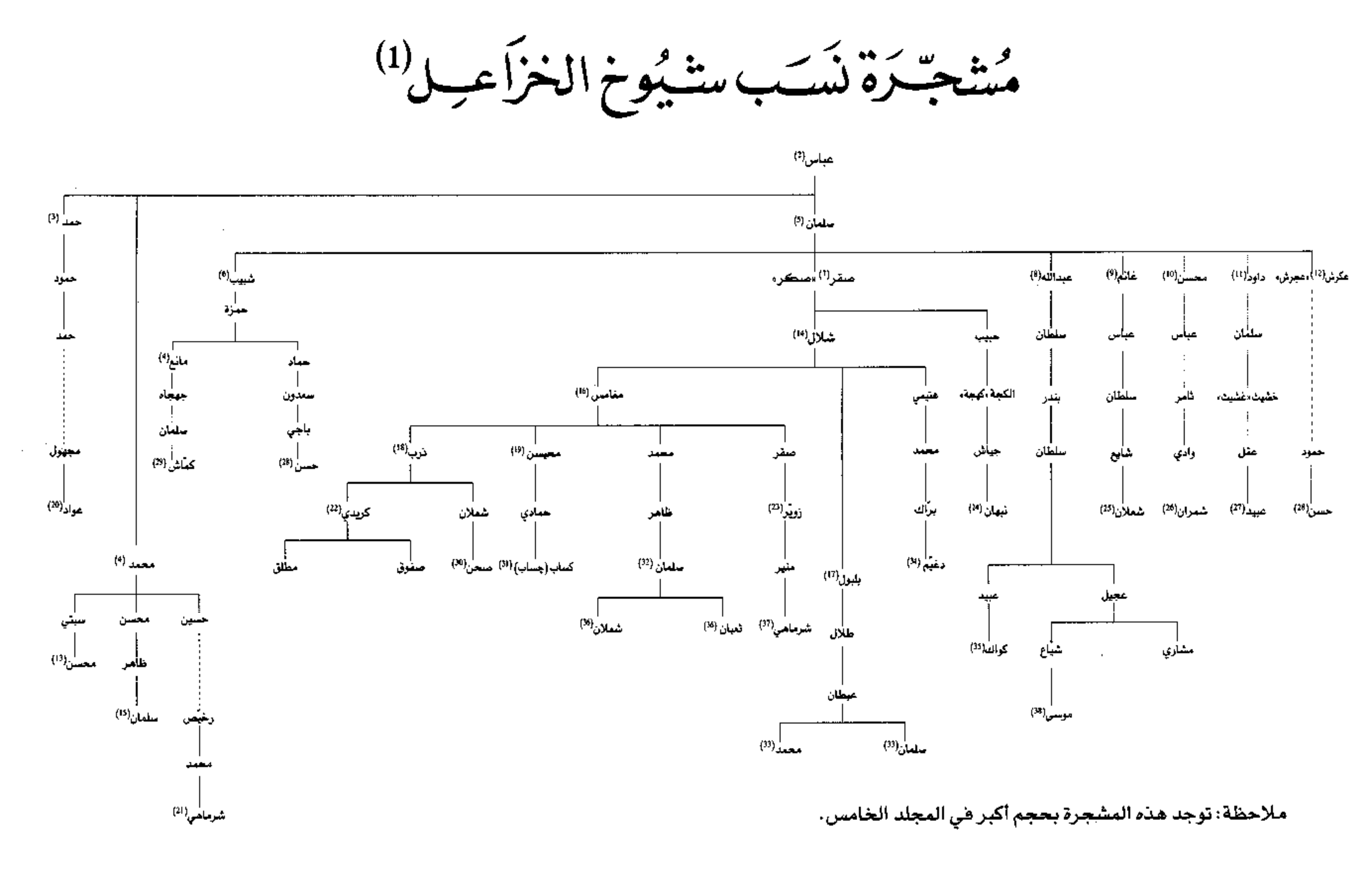
(1) دوحة، 277.

(2) سلمان الظاهر المحسن في شجرة النسب.

(3) لونكريك، 249.

تأثير على شبل آل خزيّم، وهو تحالف مع الشيخ رايح العطية من الحميدات والشيخ داخل الشعلان من الإبراهيم ويسعى معهما إلى تشكيل قوة مقابلة تقف في وجه المجموعة التي يقودها شيخ مشايخ الفتلة عبد الواحد الحاج سكر. أمّا ابن محمد العبطان وعمه سلمان العبطان فلهما علاقات طيبة مع هذه المجموعة. وكان محمد يملك أراضٍ أيضاً على قناة أبو تبن، ويملك، إضافة إلى ذلك، مع أخيه القريتين جمده وطويلة الواقعتين على الطرف الجنوبي لهور ابن نجم. ويخضع شبل آل لجام والغزالات لنفوذ هذه العائلة.

مُشجّرة نَسَب شيُوخ الخزاعِل(1)



ملاحظة: توجد هذه المشجرة بحجم أكبر في المجلد الخامس.

ملاحظات حول مشجرة نسب شيوخ الخزاعل

1 ـ وضعت شجرة النسب عام 1916م حسب سلسلة نسب الشيوخ. ومن الطبيعي أن الشجرة فيها ثغرات وأخطاء (راجع الصفحة 463 أعلاه). لم نغيّر سوى الصلة بين عباس وسلمان اللذين تعتبرهما الروايات المتناقلة أخوة. ويقدم الجدول القبائل الفرعية بتسلسل مماثل تقريباً للتسلسل الوارد هنا في الملاحظات 1 ـ 19.

2 ـ الشخص الذي ينسب إليه آل عباس.

3 ـ الشخص الذي ينسب إليه البو حمد.

4 ـ الشخص الذي ينسب إليه البو محمد.

5 ـ الشخص الذي ينسب إليه آل سلمان.

6 ـ الشخص الذي ينسب إليه آل شبيب.

7 ـ الشخص الذي ينسب إليه البو صقر. «صگر».

8 ـ الشخص الذي ينسب إليه آل الحاج عبد الله.

9 ـ الشخص الذي ينسب إليه آل غانم.

10 ـ الشخص الذي ينسب إليه آل الحاج محسن.

11 ـ الشخص الذي ينسب إليه آل داود.

12 ـ الشخص الذي ينسب إليه آل عجرش، من إخوانه الأربعة مهنا، قرنوص، درين ودنبوس كان يوجد عام 1916م أحفاد.

13 ـ 1916م كان يعيش أحد أحفاده من الظهر الرابع.

14 ـ آل شلال.

15 ـ 1916م كان يعيش أحدهم من الجيل الرابع.

16 ـ آل بومغامس.

17 ـ آل بلبول.

18 ـ البو ذرب.

19 ـ آل محيسن.

20 ـ 1916م شيخ البو حمد.

21 ـ 1916م شيخ البو محمد.

22 ـ عائلة البو كريدي تصاهرت عدة مرات مع الزوين (انظر ص 394 أعلاه).

23 ـ الزوير (3 د).

24 ـ 1916م شيخ البو صقر.

25 ـ 1916م شيخ آل غانم.

26 ـ 1916م شيخ آل الحاج محسن.

27 ـ 1916م شيخ آل داود.

28 ـ 1916م شيخ عجرش.

29 ـ 1916م شيخ آل شبيب.

30 ـ 1916م شيخ البو ذرب.

31 ـ 1916م شيخ آل محيسن.

32 ـ 1916م شيخ البو مغامس.

33 ـ 1916م و1931م شيخ بلبول.

34 ـ 1916م شيخ الرواشد.

35 ـ 1916م شيخ آل الحاج عبد الله.

36 ـ 1916م شيخ البومغامس.

37 ـ 1916م شيخ الزوير.

38 ـ 1916م شيخ آل الحاج عبد الله.

آل شبل

يحتل آل شبل المرتبة الأولى بين القبائل المرتبطة كثيراً أو قليلاً مع الخزاعل. وكانوا يسببون للأتراك كثيراً من المتاعب في المنطقة الممتدة من أطراف البادية السورية عبر المجرى الأسفل لشط الكوفة وشط الشامية وحتى السهول الشرقية، وما زالوا حتى اليوم من أكثر قبائل العراق اضطراباً. ولكي يكسر الأتراك شوكتهم حاولوا إسكان قبائل غريبة، مثل الفتلة وإبراهيم وبني زريق «بني زريج»، في أراضيهم. وقد تمكنت الفتلة والإبراهيم من تثبيت أقدامهم. أمّا بني زريق "بني زريج" فقد طردهم آل شبل.

ظل آل شبل حتى الحرب العالمية الأولى وخلالها مرتبطين بشيوخ الخزاعل، لكن العلاقة بدأت تتراخى في الأعوام التالية. وبينما ظل الخزاعل عام 1920م واقفين إلى جانب الإنجليز أطول فترة ممكنة، تجاوب آل شبل بسرعة مع الدعوة إلى الجهاد. وحاول الإنجليز إبقاء القبيلة على الحياد بأن دفعوا لها 2000 جنيه كدفعة أولى، لكن المحاولة باءت بالفشل بعد أن كان سيّد نور الواسع النفوذ قد أعطى وعداً للثوار بمساندتهم[1].

منذ ذلك الحين يخضع آل شبل للمؤثرات التي تنطلق من أبو صخير

(1) ولسون، 296. الطرف الآخر أيضاً عرض على آل شبل مبالغ كبيرة. سيد نور هو رئيس عائلة ياسر الذي يحمل نفس الاسم، راجع صفحة 391 أعلاه.

والجعارة، مراكز المعارضة الشيعية والقومية.

ينقسم آل شبل إلى ثلاث قبائل فرعية هي: آل خزيّم، آل لجام، وأهل الدواب[1] (ويسمون أيضاً كلته «چلته»؛ ولكن الفرعين الأخيرين أصبحا مؤخراً ينسبان غالباً إلى آل لجام. ومن بين آل لجام الأصليين يبرز بشكل خاص فرعا الصادق والمنصور.

يسكن آل خزيم وآل لجام على قنوات شط الشامية الأسفل، آل خزيم على الضفة اليسرى تحت غماس وحتى ما قبل الشنافية، والصادق على الضفة اليمنى تحت أم الشواريف، والمنصور على الضفتين فوق هذه القرية. وخلفهم يعيش آل دهيم (أ 2 ب) الذين يجاورون في الشمال الحميدات وفي الغرب الفتلة من أبو صخير. أمّا الفرع الثالث، أهل الدواب كلته «چلتة»، فيعيشون على هذه الجهة من شط المشخاب الذي يفصلهم عن الفرعين الآخرين الفتلة والإبراهيم.

كثير من آل شبل بدو نصف رُحّل ينتقلون في الشتاء والربيع مع قطعانهم إلى البادية السورية (أهل الدواب، دهيّم) أو إلى السهول الممتدة بين شط الشامية وشط الحلة (خزيّم). يعمل آل دهيم والصادق، الذين يعيشون في المناطق المغمورة بالمياه، في زراعة الأرز[2].

علاقات الملكية متباينة. يعتبر آل خزيّم أنفسهم ملاّكاً، إلاّ أن بعض فروعهم، من مثل اللهيبات والبو بديوي، يتقاسمون المحصول مع عائلة السادة آل مقوطر «مگوطر»[3] لأنها تملك القنوات المستعملة للري. بالإضافة إلى عائلة مقوطر «مگوطر» لعائلة السادة آل زوين أملاك ونفوذ في منطقة آل شبل، وبالتحديد لدى أهل الدواب على نهر الهاشمي.

---

(1) الجمع (أدواب) من المفرد دوب «قناة».

(2) سالنامه، 320 وما بعدها.

(3) يقال أن جدهم شوكه «شوچة» أسس مدينة لملوم. وكانت العائلة في العهد التركي ذات نفوذ واسع جداً.

الغزالات(*)

يسكن الغزالات في وسط آل شبل[1] أهل الدواب كلته «الچلتة» بين طرف الصحراء وشط المشخاب. منطقتهم الرئيسية هي أم بزونة الواقعة على قناة تحمل الاسم نفسه. ويصلون في الجنوب إلى هور أم السباع وهور صليب. وفي الشمال تمتد سلطتهم حتى أبو صخير[2]. وتسكن القبيلة الفرعية أهل السداين (ب 6) على الجانب الآخر من المشخاب بين آل شبل وآل إبراهيم.

(*) ذكر العزاوي في ج4 العشائر ص154 أن أصلهم من بني صخر ولكنه لم يدلل ذلك. (م. شبّر).

(1) انظر الصفحة 394 أعلاه. في نفس المقال ذكرت القبائل الصغيرة التي تتبع الشبل هناك.

(2) انظر الصفحة 394 أعلاه. في نفس المقال ذكرت القبائل الصغيرة التي تتبع الغزالات في الحرب.

الزياد

ينتمي الزياد إلى قبيلة تحمل الاسم نفسه تعيش في منطقة السماوة ومنضمة إلى تجمع بني حكيم «حجيم». تتجاوز منطقة الزياد من جهة الجنوب مع آل شبل آل لجام وتشتمل على قناة حاوي وشط الغزالي أحد تفرعات شط الشامية. يعمل آل زياد في زراعة الأرز.

الكبشة «الچبشة»

تتألف مجموعة الكبشة من أربع عشائر لا توجد قرابة فيما بينها وهي: بني عارض، وعياش، وبني سلامه، وخفاجة. ولقد سبق وتعرفنا على هؤلاء الأخيرين.

يسكن بني عارض على الضفة اليمنى لشط الحلة قرب الرميثة. وكانوا على الدوام أصحاب مشاكل، وحتى وقت قريب كانت تقوم عداوة بينهم وبين بني زريق «بني زريج» المقيمين على الضفة المقابلة. وتمتد منطقة تنقل القبائل الثلاث الأخرى من تحت الشنافية على تفرعات النهر. وكانوا يعملون في السابق في أملاك المقوطر «المگوطر» (شط الدغفلية)، وأبو طبيخ (شط الدغفلية، هور الله)، والعجام[1] (هور الله)[2] لكن هذه المنطقة أصبحت فقيرة بالمياه منذ انشاء سد الهندية مما جعل العياش وبني سلامه وخفاجة يضطرون إلى الانتقال إلى تربية الأغنام.

(1) عائلة سادة من أصل إيراني.

(2) شط العطشان، الذي يستقبل مياه شط الكوفة وشط الشامية، ينقسم عند الغرب إلى فرعين يحافظ الفرع الجنوبي منهما على الاسم بينما يسمى الفرع الشمالي في البداية شط السبل. شط الدغفلية غير موجود على الخريطة. يقع هور الله إلى الشمال من غرب، وهو بدون ماء.

الخزاعل(1)

منطقة التنقل : الشامية ـ الديوانية

عدد الخيام والأكواخ : 2500

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ آل عباس			
أ ـ البو حمد(2)			150
ب ـ البو محمد(3)		الديوانية نهر الشافعية	110
2 ـ آل السلمان			
أ ـ آل شبيب(4)		إمام حمزة ـ الرميثة	
ب ـ البو صقر(5) «صكَر»		كمكة	75
ج ـ آل الحاج عبد الله(6)		أبو طبيخ ـ الرميثة	110
د ـ آل غانم(7)		شط الحلة	
هـ ـ آل الحاج محسن(8)		المشخاب	75
و ـ آل داود		الديوانية : هور الوريقي «الوريچي»	
ل ـ آل عكرش(9)«عجرش»		الرميثة	
3 ـ آل شلال(10)			
أ ـ البو مغامس	شعلان آل ظاهر	ابو تبن	500
	ثعبان آل طاهر(11)		
	كساب الحمادي(12)	تل النخلة ـ هور ابن نجم	200
ب ـ آل محيسن	كساب الحمادي(12)		500
ج ـ البو ذرب(13)			

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
د ـ الزوير(14)		ابو طبيخ	
هـ ـ آل بلبول	محمد العيطان (15)	جمدة: طويلة: ابو تبن	400
	سلمان العبطان		200
و ـ الرواشد	محمد العبطان(15)		50
	(16). . .	الكوفة	
ملحقة			
أ ـ بني خالد(17)	حسن الجزاع(18)	جمدة: طويلة	250
ب ـ الجواسم (19)		الهور ـ نهر الشافعية	100
ج ـ السجبور أهل الهور(20)		الهور	
د ـ كعب(21)		نهر الشافعية	110

قبائل ملحقة

آ ـ آل شبل

عدد الخيام: 460

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ آل خزيم (22)		شط الشامية	
أ ـ البو بديوى		حاوي	
ب ـ اللهابات «اللهيبات»		طبر(*) النامقية	
ج ـ الشاوش		الفطورة	
د ـ الفرطوس(23)		الشنافية	
2 ـ آل لجام(24)	علي العميش		
أ ـ الصادق	علي العميش		
1 ـ الصادق		أم الشواريف ـ شط الحاوي	
2 ـ المنصور		ام الشواريف	
ب ـ آل دهيم(25)		ام الشواريف	
3 ـ أهل الدواب(26)	جبار ابو حليل		
أ ـ البو خليوى(27)		نهر الهاشمي: القرنة: هور ام السباع	
ب ـ النبهان(28)	جبار ابو حليل	نهر الهاشمي: تلك: شط المشخاب	

(*) طبر تستعمل في منطقة الفرات الأوسط بمعنى نهر (م. شبّر).

ب ـ الغزالات(29)

شيخ المشايخ: علي المزعل
عدد الخيام والأكواخ: 400

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ البو حميس		أم بزونة	60
2 ـ الزور			60
3 ـ البواحيد	علي المزعل	هور أم السباع	60
4 ـ اللايذ		شاطي..	60
5 ـ البو شوكة		شاطي: هور صليب	70
6 ـ أهل السداين (30)		شط المشخاب	90

ج ـ الزياد(31)

شيخ المشايخ: مجلي بن حنين «هنين»

المنطقة: في نهايات شط الشامية

عدد الخيام: 1550

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العصيدة	مجلي بن حنين «هنين»(*)(32)	شط الغزالي	550
2 ـ الحرادي «الهرادي»(*)	صدام الفنيخ(33)	شط الحاوي	400
3 ـ المناظير	جري المربع «المريج»(*)	شط الحاوي	550
ملحق			
كعب(34)			100

د ـ الكبشة(35) (الچبشة)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ بني عارض	سوادي الحسون	الرميثة	110
2 ـ العياش	سلطان الصغير(36)	شط الدغفلية	100
	علوان بن نوني		
3 ـ بني سلامة	مربع الحمور	شط العطشان	250
4 ـ خفاجة	نومان العبد	شط السبل ـ الشنافية	40

(*) تمّ تصحيح لفظ بعض الأسماء بما يخص الخزاعل بالاعتماد على الشيخ حسين الشعلان وقد وضعناها بين قوسين مكررين « » لغرض الإيضاح والتفريق بين الأقواس التي وضعها المؤلف. (م. شبّر).

هـ ـ آل بدير

الشيخ: عبد الكريم[*]
المنطقة: طحاينية ـ هور ابن نجم
عدد الخيام: 160

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عامي 1916م و1931م تمت إعادة النظر لاحقاً بأسماء الشيوخ. بيانات 1931 تتضمن فقط الشلال (3) عدد الخزاعل حسب خورشيد، 115: 1900م رجل (خزاعل أصليون) و500 (شلال).

2 ـ مربو جمال في الجزيرة. كانوا يملكون سابقاً أراضٍ على الضفة اليسرى لشط الحلة فوق الرميثة إلا أنه تمّ احتلالها من بني زريق.

3 ـ يعيش البو محمد في شط الحلة تحت حماية المجاوير (أقرع 10).

4 ـ على أرض بني زريق.

5 ـ جزء منهم يعمل في تربية الأغنام.

6 ـ خسروا جزءاً من أرضهم لبني عارض.

7 ـ لا أهمية لهم. يعملون في أراضي أبو طبيخ.

8 ـ كانت تقيم سابقاً على الضفة اليسرى لشط الحلة فوق الرميثة ولكنهم طردوا من هناك من قبل بني زريق «زريج». يعشون الآن في حماية الفتلة.

9 ـ لا أهمية لهم. يعيشون في ظل البو حسن (بني حكيم «حجيم».

10 ـ سالنامه، 320، 303 يذكر أنهم يزرعون منطقة الطويلة والجمدة وكذلك أراضي الشافعية التي تملكها الدولة.

(*) ذكر العزاوي ـ العشائر ج3 ص188 أن شيخهم هو شعلان الشهد وبعده أصبح ابنه الشيخ عبد الأمير وسلمان الصگبان. (م. شبّر).

11 ـ 1916م: والده سلمان الظاهر. مبين على الخارطة، بلاد الديوانية.

12 ـ إحدى قلاعه مبينة على الخارطة بلاد الدغارة بالقرب من تل النخلة وثانية على ضفة الهور المقابلة، جزء منهم كان يعيش عام 1916م كبدو رُحّل مع البو ذرب.

13 ـ 1916م: بدو رُحّل ومربّو جمال.

14 ـ لا أهمية لهم. يعملون في أراضي أبو طبيخ.

15 ـ توفي في هذه الأثناء. ورد على الخارطة مرتين.

16 ـ الشيخ 1916م: دغيّم البرّاك. موزيل، الفرات الأوسط 36، 99 وما بعدها، براق، سالنامه 296 سجلوا في الكوفة 30 خيمة خزاعل.

17 ـ سالنامه 321: في الجعارة.

18 ـ موجودة على الخارطة، بلاد الدغارة.

19 ـ قسم من أحد فروع الضفير الذي يحمل نفس الاسم (2 ب). شيعة يقيمون في العراق منذ زمن طويل. حوالى 30 خيمة من خيم القبيلة كانت موجودة في عام 1916 عند سعيد (زبيد).

20 ـ قارن ص: 406 أعلاه.

21 ـ وردت في سالنامه ص 303.

22 ـ سالنامه ص 320. مذكورين في مكان إقامتهم الحالي. وقد تمّ ترتيب الفروع في الجدول من الشمال إلى الجنوب.

23 ـ إحدى مستوطناتهم موجودة على الخارطة.

24 ـ سالنامه 320. مذكورين في منطقة أعلى من مكان إقامتهم الحالي، بالإضافة إلى الجعارة.

25 ـ مذكورة: عالم الإسلام ج2، 31 رقم 22.

26 ـ سالنامه 321. تمّ ذكرهم كفلاحين في أراضي الجعارة التي تملكها الدولة.

27 ـ الشيخ 1916م: عليوي الرخيّص. موجود على الخارطة في منطقة النجف.

28 ـ مذكورة في: عالم الإسلام ج2، 33 رقم 25.

29 ـ سالنامه 321. تمّ ذكرهم كفلاحين في أراضي الجعارة التي تملكها الدولة.

30 ـ مذكورون على الخارطة.

31 ـ سالنامه 321. تمّ ذكر جزء منهم في منطقة الشبل الحالية.

32 ـ 1916م: والده حنين «هنين» بن حنّون.

33 ـ 1916م: والده فنيش «فنيّج». ضيعتان لصدام موجودتان على الخارطة في منطقة الديوانية.

34 ـ سالنامه 321 ورد ذكرهم كفلاحين في نفس المنطقة مثل زياد. الكثير من أبناء هذه القبيلة استقروا في الشنافية.

35 ـ سالنامه 321، 324، من 1 ـ 4 مشار إليهم في مكانهم الحالي.

36 ـ 1916م: والده صغيّر الثامر.

بني زريق «زريج»

بعد الحرب العالمية ازداد عدد السكان في الرميثة والسماوة كما في منطقة الدغارة. وبما أن الأراضي الصالحة للري لا تكفي هنا أيضاً للتزايد السكاني فقد أصبحت قبائل هذه المنطقة مؤخراً في حالة مضطربة. وهم يتألفون من بني زريق وأعضاء المجمع السابق بني حكيم.

يسكن بنو زريق على الضفة اليسرى لشط الحلة فوق الرميثة. وهم ينحدرون من بني مالك وكانوا في القرن الثامن عشر مرتبطين ببني[1] حكيم «حجيم».

يعمل بنو زريق في الزراعة. ويقال بأن أراضيهم كانت في السابق ملكاً للخزاعل، لكن ملكيتها انتقلت بعد ذلك إلى نبلاء من بغداد والحلة. وبما أنهم كانوا يرفضون دفع حصة المالك من المحصول، أو كانوا يدفعون أقل من المطلوب، فقد دخلوا في نزاعات قضائية مع ملاّك الأراضي.

من المؤكد أن قضية الأراضي كانت أحد الأسباب التي جعلت القبيلة تشارك في ثورة عام 1935م. فكما ذكرنا أعلاه بدأ فتلة المشخاب والأقرع في مارس/آذار من ذلك العام ببعض الشغب. وبعد شهرين ثار بنو زريق وجيرانهم البو حسن والظوالم بنو حكيم «حجيم». قام الثوار بقطع سكة الحديد واحتلوا الرميثة، لكنهم

---

(1) نيبور، البلاد العربية، 389.

هزموا خلال أسبوع واحد باستخدام الطائرات ضدهم[1].

يحكم بني زريق ابنا عم (من الدرجة الثانية) هما: شنشول الحاج حسن آغا الفرهود وخوام الحاج عبد العباس الفرهود. قبل بضعة أعوام كانت تدور حرب بين الرجلين وكان شنشول يتلقى دعماً من بني عارض (راجع الصفحة 470 أعلاه). وينتمي شنشول إلى حزب عبد الواحد الحاج سكر (الفتلة)، أمّا خوام فكان قائد القبيلة في ثورة 1935م.

كان حسن آغا[2]، أبو شنشول، حصل من الأتراك على أراضٍ في منطقة الشبل قرب الشنافية لكنه اضطر إلى التخلي عن حقوقه فيها لأن الشبل رفضوا قبول بني زريق في منطقتهم (1911/ 1912م).

بني زريق «بني زريج»(1)

شيخ المشايخ: شنشول الحاج حسن آغا(2)

خوام الحاج عبد العباس(3)

المنطقة: الضفة اليسرى لشط الحلة من الامام حمزة ـ الرميثة

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الشبانات(4)			
2 ـ العمارين			
3 ـ الدخان			
4 ـ البو صالح			
5 ـ المرشدة			

(1) الشرق الحديث 1935م، 275 وما بعدها، الأسماء محوّرة طبعاً.

(2) لم يكن بأي حال أخطر «لصوص الأراضي» كما قال عنه الكاتب المتحمس مارتين هارتمان نقلاً عن تقارير الصحافة البغدادية المبالغ فيها إلى حد كبير. عالم الإسلام، جـ 2، 31 رقم 22، 33، رقم 25.

ملاحظات حول الجدول

1 ـ الوضع عام 1916م، تمّ تعديل أسماء الشيوخ مؤخراً. مستوطنات القبائل الفرعية 1 ـ 3 موجودة على الخريطة.

2 ـ 1916م: أخوه هدهود.

3 ـ 1916م: أبوه عبد العباس.

4 ـ بني خالد.

بني حكيم «حجيم»

تراخت روابط تحالف بني حكيم «حجيم» خلال التسعين سنة الأخيرة إلى درجة أن عشائر أصبحت منذ زمن طويل تعتبر مستقلة. ويتمتع أفراد عائلة شيوخها سابقاً، آل محسن، ببعض الاحترام لأنهم سادة، إلا أنهم ما عادوا يحكمون سوى أتباعهم المباشرين. تنتشر قبائل بني حكيم «حجيم» على شط الحلة والفرات من الرميثة حتى الدراجي مبتدئة في الغرب عند كمكة وتصل في الشرق إلى مسافة قريبة من شط الكار. ويُعتقد بأنهم يعيشون في العراق منذ أجيال. يعتقد غالبيتهم أنهم ينحدرون من شمر، وأن زياد (ز) ينحدرون من عنزة. في تقارير الرحلات والسفر يرد اسم تحالف لأول مرة عند نيبور (1765م). وكان آنذاك صغيراً ولكن ليس قليل الأهمية، لأنه كان يتبع له، إضافة إلى بني زريق، العوابد وآل علي[1]؛ وكلاهما هاجرا في وقت لاحق، كما هو معروف، إلى الشامية.

في النصف الأول من القرن التاسع عشر كان بنو حكيم «حجيم»، أو على الأقل الجزء المقيم منهم شرقي السماوة، خاضعين للمنتفق. في حوالى عام 1850م كان جدّا عائلة شيوخهم (ل)، سعدون المحسن وأخوه دبّي، يتبادلان في الدراجي رئاسة بني حكيم «حجيم» ومعدان آخرين بتكليف من شيخ مشايخ المنتفق فهد

(1) نيبور، البلاد العربية، 389.

السعدون[1]. وتصف الحكايات التي تتناقلها القبيلة بأن سعدون رجل ظالم سريع الغضب، أمّا لوفتوس، الذي كان في المنطقة من عام 1850م حتى 1854م، فينسب هذه الصفات إلى دبّي.

عندما أخضع الأتراك عام 1852م السماوة للإدارة المباشرة[2]، قاموا بنفي سعدون المحسن. وتركوا المنصب شاغراً فترة طويلة من الزمن[3]، لكنهم واجهوا صعوبات جمة مع القبائل مما جعلهم يضطرون في السبعينيات إلى تعيين عاجل، ابن دبّي، شيخاً للتحالف. وفي هذه الأثناء تفككت روابط التحالف كثيراً بحيث لم يعد من الممكن اعتباره وحدة واحدة؛ بعد حكم دام تسع سنوات طرد عاجل من منصبه. وفي عام 1900م كرر الأتراك المحاولة وعيّنوا الشيخ محمد الحزام شيخاً جديداً لكنه لم يتمكن من البقاء في الحكم سوى ثلاث سنوات. وبذلك انحل التحالف نهائياً. ثم ازداد تفككاً وتشتتاً في الأوقات اللاحقة: قبل عام 1914م وبعده حدثت مراراً وتكراراً صراعات دموية بين قبائل التحالف وضمن القبيلة الواحدة أيضاً. ولذلك نجد منصب الشيخ موزعاً اليوم ضمن القبيلة الواحدة، ولدى بعضها بحيث يقود شيخ الجزء المستقر من القبيلة ويقود شيخ آخر مربي الأغنام (الرحّل).

شاركت غالبية قبائل بني حكيم «حجيم» في ثورة عام 1920م. وكانت منذ عام 1919م قد حدثت قلاقل في منطقة السماوة: بسبب تغير مجاري النهر كانت أراضي الصفران (أ) وأراضي القبيلة المجاورة بركات (ب) قد أصبحت غير صالحة للزراعة وكانت القبيلتان تعيشان منذئذ إلى حد بعيد من الغزو والنهب: في خريف عام

---

(1) لوفتوس، 144، 147.

(2) قبل ذلك كانت السماوة، التي كان عدد سكانها آنذاك لا يزيد على 600 نسمة، تابعة لمنطقة المنتفق وبالتالي للبصرة؛ أما في القرن الثامن عشر فكانت تابعة للحسكة/الديوانية؛ كانت الرسوم الجمركية، على الأقل، في السماوة تجبى من قبل أتباع الآغا السائد هناك، وفي وقت لاحق من قبل أتباع شيوخ الخزاعل. خورشيد، 50 نيبور، وصف رحلة، الجزء الثاني، 249.

(3) في البداية وضع بنو حكيم «حجيم» تحت سلطة وادي (بن شفلح، زبيد)، لوفتوس، 155.

1919م حاول الإنجليز إلقاء المسؤولية على عاتق شيخ مشايخ الصفران معجون الحمادي. ولأنه رفض تسليم نفسه للسلطات دُمّرت قراه ووضع أخوه ناهي مكانه. لكن ناهي لم يستطع الاحتفاظ بالمنصب على الرغم من مساندته بقوات حكومية (عربية). ولذلك كرر الإنجليز المحاولة مرة أخرى مع أخيه بعد أن تعهد بتسليم الخمسمائة بندقية التي كان تسليمها قد فرض على الصفران كعقوبة لهم (فبراير/ شباط 1920م). إلا أنه لم يفِ بتعهده، وبما أن الحكومة لم تتحرك ضده فقد بدأت بركات أيضاً بمقاومتها. ومن بركات انتقلت الاضطرابات إلى البو جياش (و)، بينما استغل الأعاجيب (جـ) الفرصة للهجوم على البو حسان (د) الذي كانوا قد سلموا بنادقهم عندما صدرت أوامر بجمع السلاح عام 1919م. وفي نهاية مايو/ أيار 1920م قامت الطائرات بإلقاء قنابل على البو جياش والبو حسان؛ لكن هذا القصف أغضب القبائل دون أن يؤدي إلى تحقيق السلام. وهكذا كانت التربة مهيأة للبذور التي زرعها الوطنيون في بغداد والزعماء الدينيون في النجف وكربلاء. وفي الثاني من يوليو/ تموز بدأ الانفجار. فقد استدعى الضابط السياسي في الرميثة الشيخ شعلان أبو الجون، وهو شيخ محترم من شيوخ الظوالم (هـ)، لكي يسأله عن مطالبة مالية تأخر سدادها ثم أمر على الفور باعتقاله. فهجم رجال القبيلة على المبنى الحكومي وحرروا الشيخ المعتقل. وكانت هذه العملية بداية الثورة العراقية؛ إذ أن القبائل دمرت الخط الحديدي وبدأت بمحاصرة الحامية الإنجليزية في الرميثة. ولم تستطع الحامية الإفلات من الحصار إلا في 20 يوليو/ تموز بعد معارك عنيفة ومجيء وحدة عسكرية قوية من الحلة لتحرير الحامية بعد فشل محاولة سابقة بسبب المقاومة العاتية للمعدان المقادين جيداً. وعلى إثر ذلك انسحب الإنجليز من الرميثة لكنهم أصيبوا بخسائر فادحة عند انسحابهم إلى الديوانية بسبب الهجمات التي شنتها عليهم القبائل.

في البداية لم تحدث حول السماوة سوى اصطدامات غير هامة وظلت المواصلات النهرية وخطوط السكك الحديدية مستمرة حتى 12 أغسطس/ آب على الرغم من كل محاولات التخريب والمضايقة. في ذلك اليوم 12 أغسطس/ آب هوجمت محطة القطار الخضر التي كان يحميها حتى ذاك الحين البو ريشة ـ

الجوابر (ح ـ 2)؛ فأمرت القيادة الإنجليزية العليا بالانسحاب من تلك النقطة التي كان يحرسها عدد قليل من الجنود مما أدى إلى وقوع مزيد من الخسائر ـ وبذلك أصبحت السماوة أيضاً معزولة عن بقية المناطق. وعندما حاولت قافلة من السفن إيصال الذخائر والمؤن للمحاصرين تمكنت فعلاً من خرق الحصار لكنها فقدت شمال الدراجي عدة زوارق. وعندما تمّ تحرير الحامية في 14 أكتوبر/ تشرين الأول انطلاقاً من الناصرية كانت في خطر كبير بعد المعارك العنيفة مع بني حكيم «حجيم»[1]. لا تذكر المراجع الإنجليزية صراحة إلا الجوابر كمشاركين في هذه المعارك، ولكن من المؤكد أن قبائل أخرى اشتركت فيها أيضاً.

بعد ذلك ساد الهدوء لدى بني حكيم «حجيم» إلى أن دفعهم الصراع السياسي الداخلي في العراق الجديد عام 1935م إلى العودة إلى الميدان. وكان بين المشاركين في ثورة مايو/ أيار من ذلك العام البو حسن والظوالم حسبما ذكرنا أعلاه (ص 461). ويبدو أن بني حكيم «حجيم» لم يتحركوا عام 1937 «1935 ـ1936».

يعمل غالبية بني حكيم «حجيم»، الصفران، والبركات، والأعاجيب، والزياد، والجوابر، وآل محسن، إمّا في الزراعة (فلح ومعدان) أو في تربية الأغنام (عرب)[2]. ويصل مربو الأغنام، الذين يعيشون على الضفة اليسرى للنهر، مع قطعانهم حتى شط الكار. أمّا الذين يعيشون على الضفة اليمنى فيصلون بعيداً نحو الجنوب حتى سهول الشامية.

قبل الحرب العالمية الأولى كانت هناك عداوة بين البركات والسماوة[*]. وكان الأعاجيب يجبون في منطقتهم، على النهر أيضاً، رسوماً جمركية (تسيار). وكان العُصيدة (زياد ز3) يفعلون الشيء نفسه على الطريق بين السماوة والخضر وعلى شط السبيل، والعبس (ل)[3] على الفرات فوق الخضر.

---

(1) هالدن، 73 وما يليها؛ ريفيو، 145 وما بعدها، ويلسون، 227 وما بعدها، 293 وما بعدها.

(2) ورد أيضاً عند سستيني (1782م)، 227.

(*) خطأ السماوة مدينة وليست قبيلة، الصحيح الأعاجيب. (م. شبّر).

(3) في السابق أيضاً التوبة، لوفتوس، 266 وما يليها.

قامت الجوابر والتوبة بتقديم العمال للحفريات الأثرية الألمانية في الوركاء حيث كان لوفتوس قد نقب عن الآثار مع التوبة.

تنتشر في منطقة بني حكيم «حجيم» فوق الخضر شبكة من تفريعات وقنوات الفرات القديمة والجديدة معقدة إلى درجة يصعب حصرها. ويتفرع شط العطشان (انظر الصفحة 471 أعلاه) عند غراب إلى فرعين يحتفظ الفرع الجنوبي منهما باسم شط العطشان، بينما يأخذ الفرع الشمالي عند كمكه اسم نهر أبو رفوش. وقبل مسافة قصيرة من اتحاد نهر أبو رفوش مع شط الحلة يصب فيه شط السبيل القادم من هور في الشمال الغربي ويسحب منه جزءاً من مياهه ثم ينفصل عنه مرة أخرى متابعاً السير في نفس الاتجاه لكي يصب أخيراً في شط الحلة. وبعد كيلو متر واحد يصب شط العطشان أيضاً في شط الحلة، واعتباراً من هنا يصبح اسم النهر مرة أخرى نهر الفرات. تسمى الأراضي المحيطة بشط العطشان ونهر أبو رفوش وشط السبيل "الجزيرة" ويقوم الأعاجيب في شمالها الشرقي، والزياد في جنوبها الشرقي، بزراعتها أحياناً إذا ما حدث الفيضان الربيعي ـ أمّا الأراضي الواقعة على جانبي شط الحلة، موطن البو حسان والظوالم والبو جياش، فهي تزرع دائماً. تنطلق القناة الرئيسية، المسماة نهر الفزعية، من الضفة اليمنى قرب الرميثة. وفي الشرق يوجد فرع قديم للنهر يتيه في الأهوار شمال شرق السماوة. ويصل شط الزريقية وشط القريّم[1] بين الأهوار والفرات. يفصل الأول (شط الزريقية) بين البركات والصفران؛ وعلى الجانب الآخر من الثاني (شط القريّم) تقيم القبائل الصغيرة: الجوابر والتوبة والخ... وهنا أيضاً يتوقف كل شيء على الفيضان الربيعي؛ فإذا لم يحدث الفيضان كما في عام 1930م لا تزرع الأراضي في الشتاء التالي.

(1) لاحظ قلعة قريّم. جهان نما، 455 !.

بني حكيم(*) «بني حجيم»(1)

أ ـ الصفران(2)

شيخ المشايخ: عزارة المعجون(3)
المنطقة: الضفة اليسرى لشط الزريقية ـ شط القريم
عدد الخيام والأكواخ: 510

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العطاوة(4)			

ب ـ البركات

شيخ المشايخ: خشن الجازع(5)
منطقة التنقل: فوق شط الزريقية
عدد الخيام والأكواخ: 840

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العقاب(6) «العگاب»			
2 ـ الجزيرة(7)			

ان طريقة لفظ حكيم تختلف عن طريقة كتابتها فتلفظ إحكيم، كما هو الحال مع اسم حسين حيث يلفظ بالطريقة العراقية إحسين ولكن يكتب حسين. وقد فعل المؤلف نفس الشيء عندما كتب الاسم بالحرف اللاتيني حيث وضع حرف E في بداية الإسم تأكيداً على طريقة اللفظ ولكن استعمل الشائع في الكتابة العربية المذكور أعلاه. (م. شبّر).

ج ـ الاعاجيب(8)

المنطقة: شط السبيل: نهر أبو رفوش

عدد الخيام والأكواخ: 795

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الدبيس(9)	حمزة الجبل		60
	الحاج إبراهيم الجنابي		
2 ـ البو عيد(10)	عبد العباس ابو خشة		180
أ ـ البو درهم(11)	الحاج سهر أبو خشة		25
	سعدون أبو كيك(12) «أبو چيچ»		20
ب ـ المثاقلة			
3 ـ الخميس(13)	سلطان الولع(14)		60
أ ـ آل سعد الله	مايوس العبد	الرميثة	25
4 ـ البو موسى	طشاش الشايش		120
أ ـ البو ناصر	عليوى الموسى		75
ب ـ الافلاك	موسى اللوى		60
5 ـ الطواورة	حسن اغا (15)		70

د ـ البو حسان

عدد الخيام والأكواخ : 550

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ آل خماس	ناصر الحسين(16)	نهر الفزعية	
أ ـ العبس	ناصر الحسين		
ب ـ أبو العينين			
د ـ السحور			
2 ـ آل عبد الحسين(17)	علي العبد الله		
3 ـ الجليل(18)			

هـ ـ الظوالم

المنطقة : ضفتا شط الحلة ما بين 10 إلى 17 كم تحت الرميثة

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ البو حسين		الضفة اليمنى	353
	دلي الراضي		
ب ـ العزير	ساكت الثويني		
ج ـ	مطلق الكياد «الچياد»		
2 ـ آل جمعة		الضفة اليسرى	405
أ ـ الحميد	كياد أبو الكون «چياد أبو الچون(19)		
	سلطان الشنابرة		
ب ـ البو خضير	مجهول المحمد راضي . . .		

و - البو جياش

الشيخ : عجة الدلي(20)

المنطقة : شمال شرق السماوة

عدد الخيام والأكواخ : 900

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 - الربايع			150
2 - العنتر(21)	حركان «حرچان» الحاج هدار	الرميثة	
3 - البو جراد(22)		الضفة اليسرى لشط الحلة، 3 كم تحت الرميثة	
4 - الشنابرة(23)			
5 - الحويش(24)			
6 - النجيرس(25)			
7 - الحمامرة			

ز ـ الزياد(26)

الشيخ : فهد آل حجيل(27)
المنطقة : الجزيرة ـ الخضر
عدد الخيام والأكواخ : 1000

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الدراوشة		الجزيرة الشامية	
2 ـ البو حمد		الضفتان فوق السماوة	
3 ـ العصيدة		الجزيرة الشامية	
4 ـ اليديم(28) «آل اديّم»(*)			
5 ـ آل حسان(29)		الضفتان	
6 ـ البولحة «لحي»(**)		الضفتان	
الملحقة :			
1 ـ الجبور		فوق السماوة	15
2 ـ بني تميم			35

(*) آل اديّم. المصدر الشيخ حسين الشعلان (م. شبّر).

(**) البو لحي. المصدر الشيخ حسين الشعلان (م. شبّر).

ح ـ الجوابر

الشيخ : . . .(30)

المنطقة : ضفتا شط القريم حتى 9 كم تحت الخضر

شط القريم ـ الخضر

عدد الخيام والأكواخ : 350

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ النويصرات 2 ـ البو ريشة			

ط ـ التوبة(31)

الشيخ : . . .(32)

المنطقة : خلف الجوابر من شط القريم حتى ما قبل دراجي

شط القريم ـ دراجي

عدد الخيام والأكواخ : 150

ك ـ آل فرطوس(33)

الشيخ : . . .

المنطقة : خلف آل محسن عند دراجي

عدد الخيام والأكواخ : 150

ل ـ العبس(34)

الشيخ: عبد المونس
المنطقة: ضفتا شط الزريجية ـ شط القريم
عدد الخيام والأكواخ: 150

م ـ آل محسن(35)

الشيخ: . . . (36)
المنطقة: الضفتين عند دراجي
عدد الخيام والأكواخ: 175

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ آل عاجل			
2 ـ آل حزام			
قبائل الملحقة:			
1 ـ المشاعلة(37)			
2 ـ الغليظ(37)			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ حسب الوضع عام 1916م، 1930م (ميجر ادموندز). لوفتوس، 148، يسجل القبائل: د، هـ، ز، ح، ط، ل؛ سالنامه، 324: آ، 1، ب، 1، 2، د، 1: آ، ب، جـ، هـ، 1، 2: آ، و12 ـ 7، ز، 1 ـ 6، ملحقة 1، ح، 1، ك، ل، م.

قدر خورشيد ص 49 وما بعدها، عدد أبناء القبائل عام 1850م بـ 2300 رجل،

أمّا الجدول فيرد فيه أكثر من 4600 وحدة سكنية (خيمة، كوخ).

«الضفة اليسرى» في الجدول منسوبة إلى الفرات.

2 ـ في عام 1916م انضمت بضع جماعات إلى التوبة.

3 ـ يسكن في السماوة. أبوه معجون (توفي عام 1920م) موجود على الخريطة: السماوة. وكذلك "دغيّم" وهو من شيوخ الصفران.

4 ـ مستقلة تماماً تقريباً. موجودون على الخريطة.

5 ـ 1916م: أبوه جازع الحسين.

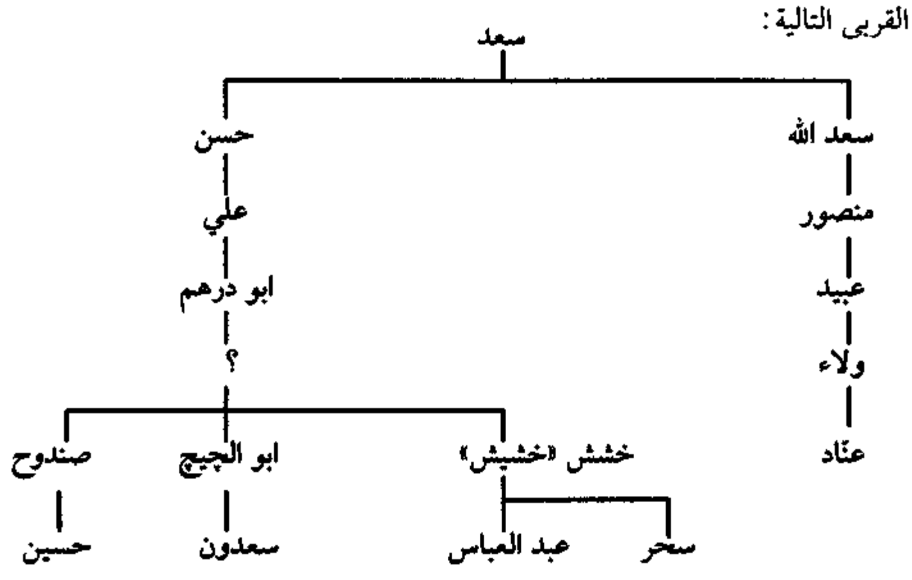
6 ـ عرب.

7 ـ معدان.

8 ـ أسماء عائلات شيوخ، 3، و4، و5، موجودة على الخريطة.

9 ـ 1930م: دبيّس.

10 ـ عائلات شيوخ البو عيد، والخميس (3) والطواورة (5) تربطهم علاقات القربى التالية:



11 ـ أو درهل.

12 ـ أو أبو كيك «الچيچ».

13 ـ 1930م: الخمسي.

14 ـ 1916م: عناد الولع؛ الخريطة: كيّاد الولع.

15 ـ 1916م: حسين الصندوح.

16 ـ موجودة على خريطة الرميثة.

17 ـ بعضهم لدى خميس والظوالم (هـ).

18 ـ الخارطة، السماوة ـ الجليل.

19 ـ 1916م: والده شعلان أبو الجون.

20 ـ تابع إلى حزب، عبد الواحد الحاج سكر، انظر صفحة 372 أعلاه. موجودة على الخارطة.

21 ـ أصبحوا مستقلين.

22 ـ صيدان أبو دچة على الخارطة يتبع لهم.

23 ـ مظيهر الـ جروض «جروضي» على الخارطة يتبع لهم.

24 ـ موجودة على الخارطة.

25 ـ سالنامه: نجرس.

26 ـ مربو الأغنام في الشامية والفلاحون في الجزيرة.

27 ـ 1916م بريد آل جحيل.

28 ـ سالنامه، الايديم.

29 ـ سالنامه، البو حسينة.

30 ـ 1916م حاجي صفر العجيرب. تمّ بعد وفاته عزل أبنائه وتسمية شخص غير مهم كشيخ. واحد أقربائه محمد العجيرب يملك مضيف كبير في الخضر (1931 فالكنشتاين).

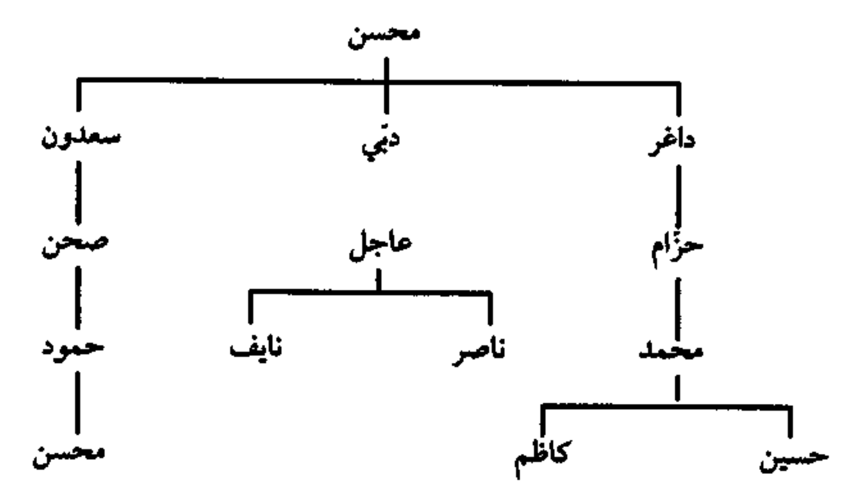
31 ـ لوفتوس طوايبه (100 خيمة).

32 ـ 1916م بواق الحنين «هنين». كان يعيش سنة 1850م وكان صهر الشيخ آنذاك (لوفتوس 48).

33 ـ ينتمون إلى الجوابر. معظمهم فلاحون عند آل محسن (م).

34 ـ بعض فروعهم: مثلاً الحجيل والمؤمنين ـ كلاهما في السالنامه ألحقت 1916م بالصفران.

35 ـ انظر أعلاه صفحة 487. مشجرة نسبهم تبدو كما يلي: ـ



36 ـ 1916م نايف العاجل، منذ عام 1902م. مجلة جمعية المستشرقين الألمانية رقم 16، 17، ضفة بسمايه 413 (1904).

37 ـ ينتسبون إلى عبس. مربو أغنام. زوييد في السالنامه. مذكورون عند لوفتوس ويبدو أنهم ينتمون إلى البو جياش.

ساعدة

القبيلتان الوحيدتان في العراق الأعلى اللتان ما زالتا من البدو الرُحّل تماماً هما: الساعدة والبعيج. تنحدر الأولى من الغازية وسيعرض تاريخها في مقال القشعم. وشأنهم شأن أبناء قبيلتهم المقيمين في شمال شبه الجزيرة العربية كان بنو ساعدة في العصور الوسطى يسكنون على السفح الشرقي للجبل الذي يسمى اليوم جبل شمر. ويفترض أنهم كانوا آنذاك أقوياء جداً؛ إذ إن ذكرى حكمهم كانت في القرن الماضي ما زالت حية في أذهان الناس[1]. وعندما هاجرت الغازية في أواخر العصور الوسطى إلى العراق كان بين صفوفهم أناس من ساعدة، ولكن ليس القبيلة كلها. وبعد ذلك صاروا يتنقلون مع بقية الغازية على حدود الفرات إلى أن عبروا الفرات (شط الحلة) في نهاية القرن الثامن عشر واختاروا الجزيرة منطقة لتنقلهم[2]. وعندما أخذ اتحاد الغازية يتفكك في القرن الثامن عشر انضم الساعدة إلى البعيج وظلوا في مكان إقامتهم الجديد أيضاً مرتبطين بهم، لا سيما أن البعيج انتقلوا أيضاً إلى الجزيرة في عشرينيات القرن التاسع عشر. في وقت لاحق وقع

---

(1) فالين، في JRGS، 24، 189.189 Wallin in JRGS XXIV, 189.189 .

(2) روسو، وصف باشا بغداد، 114.

[Rousseau], Description du Pachalik de Baghdad 114. Arab el Shadas au Millieu de la Mesopotanie in Gegrens B Zu den Be'aidj (und Hmeid).. habitants au delá de Euphrate; ebd 113.

الساعدة تحت نفوذ المجموعة البدوية المتنقلة من الخزاعل وقاسموهم منذئذ منطقتهم. في الشتاء يتنقلون بين شط غماس (الجزء الأسفل من شط الشامية) وشط الكار، بينما يذهبون في الصيف إلى الأنهار ويخيمون على الدغارة، عند الرميثة، أو في غماس أو على قناة الشافعية.

الساعدة(1)

شيخ القبيلة: . . .(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الشداد 2 ـ العنيزان 3 ـ المفلح 4 ـ الطواش 5 ـ الغيث 6 ـ الطنبة 7 ـ القراغول		شط غماس ـ شط الكار شط غماس	400

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1925م. المُخبِّر عصيمي باشا. يبدو أن عدد الخيم مرتفعاً. جونز (374) قدرها في زمان بـ 200.

2 ـ المصدر: نهار بن ساعدة.

آل بعيج

لم نستطع الحصول على معلومات مؤكدة عن أصل آل بعيج. ويقال بأنهم عنزة. وبما أن الاسم لا يرد حسب علمي في مكان آخر أود تصنيفهم مع بعيج السرحان وخاصة لأن هؤلاء يعتبرون من عنزة[1]. ولقد ظهر السرحان في سنة الجوع 1152هـ/ 1739م على حدود العراق (الجزء الثاني، 331). ومن الممكن أن يكون البعيج قد بقوا هناك بهذه المناسبة.

نلتقي بالقبيلة لأول مرة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. وكانت آنذاك تتنقل على أطراف الصحراء بين النجف والسماوة، إلى جوار شمر. ويتمتع البعيج، مثل شمر، بحق مرافقة القوافل على الطريق من البصرة إلى حلب[2]. ونجدهم عام 1231هـ/ 1816م يقاتلون إلى جانب فارس الجرباء ضد الحكومة وضد المنتفق الموالين لها (انظر الجزء الأول، 234)، وفي عام 1234هـ/ 1818م ـ 1819م قاتلوا إلى جانب الحكومة ضد عنزة[3].

في العشرينيات غادر البعيج (ابتعاداً عن عنزة؟) الشامية وذهبوا إلى الجزيرة[4].

---

(1) انظر الجزء الثاني، 276 (بعيج).

(2) كابر (1778م) عند هاول، رحلة العودة إلى الهند. . .، 260. وفي عام 1212هـ/ 1798م هاجمهم الوهابيون مع شمر، وضفير، والزقاريط، عند السماوه؛ عنوان عند العزاوي، الجزء الأول، 139.

(3) دوحة، 318 وما بعدها.

(4) ذكرهم هناك لأول مرة فريزر (1838م)، الجزء الثاني، 56، بينما في قائمة شبرنجر (1818م)، رقم 100، كانوا ما زالوا في منطقتهم القديمة بين المشهد (النجف) والخزاعل.

وأصبحت نفرّ، نيبور القديمة، الواقعة على الطرف الشمالي لهور العفك، مركز المنطقة التي يتنقلون فيها والتي تمتد جنوباً إلى الديوانية وشمالاً إلى البغيلة. في منتصف القرن الماضي كان في وسع القبيلة إنزال 500 فارس إلى ساحة المعركة وكان لديها نحو 5000 جمل (جونز، 374).

لم يزل البعيج حتى اليوم بدواً رُحّل، ولكن يبدو أن منطقة تنقلهم قد انزاحت نحو الشرق باتجاه الغراف. وكانوا في السابق متخاصمين مع العفك والرفيع[1].

آل بعيج(1)

الشيخ : . . .(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحقارصة		الجزيرة	500
2 ـ العزيز		الجزيرة	200
3ـ السويد		الجزيرة	200

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1925م، المخبِّر: عصيمي باشا، رسو، رحلة 1808م، 68، يذكر الأفخاذ الثلاثة إلى جانب الأربعة التي اختفت في هذه الأثناء، ويذكر جونز، 374 الفخذ 1 (الحقارصة) والفخذ 3 (السويد) ولكل منهما 200 خيمة وكلاهما ساعدة.

2 ـ عصيمي باشا: نمش بن سلطان، جونز، عزيز القيم ابن شيحان، روسو: سلطان الشيحان.

(1) بيترس، نيبور، الجزء الثاني، 325؛ ماكس فرايهرفون أوبنهايم، من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، 73.

ربيعة

ربيعة في الأصل نسب عائلي اكتسب خلال الصراعات القبلية والحزبية في العصر الأموي مضموناً حيوياً بأن أصبح اسماً لجماعة سياسية في شرق "المملكة"، كما هو الأمر لدى قيس وكلب (اليمن) في سورية. ولكن بينما استمرت هذه الجماعات إمّا في هيئة أحزاب أو قبائل، فيبدو أن ربيعة اختفت في مطلع العهد العباسي. ولذلك فإن وجود قبيلة في العراق الحالي اسمها ربيعة يدفعنا إلى السؤال عما إذا كانت هذه القبيلة هي استمرار لقبيلة ربيعة القديمة أم إنها تشكيل جديد يحمل بالصدفة نفس الاسم. ومما يسهل عملية البحث أن هناك أدلة تثبت وجود أسلاف لربيعة الحالية في العراق منذ بداية القرن الثاني عشر الميلادي، وبذلك يتقلص الفاصل الزمني بين اختفاء ربيعة القديمة وظهور ربيعة الجديدة إلى قرون قليلة. وقد اعتبر ابن خلدون ربيعة القرن الثاني عشر الميلادي أحفاداً لربيعة العربية القديمة. وسوف نرى ما إذا كان رأيه معللاً.

في نظام الأنساب العربية فإن ربيعة بن نزار بن معد هو "أخو" مضر وإياد ويمثل معهما عرب الشمال. وأحفاد ربيعة هم عنزة وعبد القيس و"الأخان" المتعاديان بكر وتغلب والقبيلة الأقل أهمية نِمر «نمير»[1]. وكانت منطقة إقامة هذه القبائل في صدر الإسلام تمتد من اليمامة، حيث كانت عنزة وبكر ونمِر «نمير»

(1) قارن: فوستنفلد، الجداول، آ، ب، جـ.

يشكلون السكان المستقرين، عبر البحرين (عبد القيس) على امتداد خط الفرات حتى جبل بشري. وكان بكر وعنزة ـ وهم هنا بدو رُحّل ـ يحتلون الشريط الصحراوي بين خليج الكويت والحيرة، بينما كانت تغلب ونمِر «نمير» تسرحان في الوديان. وعندما جاء الإسلام حرّك القبائل من جديد: فاندفعت تغلب ونمِر «نمير» كما ذكرنا في الجزء الأول 107، إلى بلاد الرافدين واختارتا في النهاية الجزيرة الشرقية منطقة لتنقلهما. لكن الأمر كان مختلفاً لدى القبائل المقيمة على حدود العراق: فقد احتلت هذه القبائل العراق لكنها لم تجد فيه مراعٍ جديدة. إذ إن العراق كان آنذاك لا يزال بلداً زراعياً (سواد). وبصفتهم جنود الإسلام استوطنوا في المدينتين العسكريتين الكوفة والبصرة وتقدموا حتى خراسان ـ بعض أفراد القبائل بقوا في سهول الكوفة، بينما هاجر آخرون إلى منطقة الموصل[1] وانتشروا في وقت لاحق نحو الشمال حتى ديار بكر وآذربيجان[2]. وهم جميعاً تلاشوا شيئاً فشيئاً ـ عنزة كانت القبيلة الوحيدة التي كان لها مستقبل كجماعة مستقلة.

(1) على سبيل المثال، مجموعة من بني شيبان (بكر) ومجموعة من عنزة؛ الطبري، جـ 2، 977 وما بعدها. قارن جـ1، 2807 وما بعدها؛ جـ 2، 893 وما يليها، 915 وما بعدها. ويمكن تتبع هؤلاء العنزة حتى النصف الثاني من القرن الثالث/ التاسع؛ ابن الأثير، الجزء السابع، 122.
تطور بنو شيبان بعد ذلك من جديد وأصبحوا قبيلة بدوية كبيرة كانت تخيم في الربيع والصيف بين الزاب الأعلى والزاب الأسفل، وفي الشتاء في البادية السورية حتى جنوب الكوفة. في القرن الثالث/ التاسع كانوا يمارسون في أحيان كثيرة أعمال السلب والنهب في السهول المقابلة للموصل بحيث أن الخليفة المعتضد نفسه قام في عام 280 هـ/ 383م بقيادة حملة ضدهم. ولكن منذ نهاية القرن أدى بنو شيبان خدمات جليلة للحكومة في حروبها ضد القرامطة في سورية وشبه الجزيرة العربية. وفي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي دخلوا إلى مناطق السهول الزراعية في العراق، وفي بداية القرن التالي اختفوا. انظر ابن الأثير، جـ 6، 272، جـ7. 122؛ الطبري، جـ3، 1921 وما يليها؛ ابن الأثير، جـ7، 294، 315، 320، 342، 367، 377 والأماكن الموازية الطبري، جـ 3، 2136، 2189 وما بعدها، 2240، 2566؛ أريب، 130؛ ابن الأثير، جـ 8، 67، 114، 477، 516؛ جـ 9، 445؛ جـ 10، 313؛ ابن حوقل (BGA II)، 153، 156.

(2) انظر، مثلاً، الهمداني، 133؛ الطبري، جـ 3، 1382. اسم المنطقة ديار بكر أطلق في وقت لاحق، فهو غير مذكور لدى البلاذري والطبري والجغرافيين الأقدم.

في أثناء ذلك كانت حاميات العراق وفارس قد خضعت لنفس التطور كما في مركز الدولة الأموية وهو: تشكل مجموعات أكبر تتجاوز إطار القبيلة. والقبائل، التي كانت أجزاؤها قد تباعدت في شبه الجزيرة العربية بسبب الانتشار، عادت في الغربة، في المدن الضيقة، وأصبحت مرة أخرى جماعات حقيقية. فلكي يتمكن الناس من فرض أنفسهم في البلبلة السياسية لذلك العصر، اتحدوا مع أقربائهم وأعطوا المجموعة الجديدة اسم جدهم المشترك. وهكذا تشكلت ربيعة في البصرة من بكر وعبد القيس، وفي مقاطعة الموصل، التي أصبحت تسمى ديار ربيعة، من تغلب ونمِر «نمير»، ومن بكر وعنزة. وكانت مضر (تميم، وغيرهم) في البصرة وخراسان خصماً لهم، "أزد" اليمن صديقاً لهم. ومع إبعاد العرب في العهد العباسي، وإقامة تنظيم جديد للجيش اكتمل في عهد الخليفة المعتصم (833م ـ 842م)، اختفت هذه المجموعات[1]. فقط في الشمال، في ديار ربيعة وآذربيجان، بقي التعبير السياسي "ربيعة" حياً زمناً أطول[2].

يجب علينا أن نضع هذا التطور أمام أعيننا إذا ما أردنا الحكم بشكل صحيح على ملاحظة ابن خلدون التي ذكرناها في بداية المقال. فهي مأخوذة من ابن سعيد (حوالى 1250م)[3] وجاء فيها: "عبرت ربيعة فارس وكرمان وتركت قطعانها تسرح بين كرمان وخراسان. وبقيت مجموعة منها في العراق واستوطنت في البطايح". أمّا ربيعة في فارس فلا يهمّنا أمرهم هنا. لكن الفرضية المطروحة عن أصل ربيعة العراق غير معللة؛ لأنه لم يوجد هنا أبداً "قبيلة" ربيعة تابعت بقاياها العيش في المنطقة، ولم يوجد منذ القرن الثامن أو التاسع الميلادي حزب بهذا الاسم كان من

---

(1) ذكرت آخر مرة تحت حكم الخليفة المنصور؛ الطبري، جـ3، 366 (العام 151هـ/ 768م)، 395 وما بعدها (158/ 775).

(2) انظر، مثلاً: الطبري، جـ3، 1380وما يليها (عام 234 هـ/ 848م ـ 849م)، 1882 (عام 260 هـ/ 873م ـ 874م) = ابن الأثير، جـ7، 187. الجغرافيان الهمداني، 133، وابن حوقل، 155، يستعملونه بالمعنى العرقي في القرن العاشر.

(3) عبر، جـ 6، 12، البربر، جـ1، 27.

الممكن أن يتحول إلى قبيلة كما تحولت قيس الرافدين إلى جيس اللاحقة[1]. لذلك يجب علينا أن نحاول حلّ المشكلة بطريقة أخرى. تستعمل ربيعة اليوم صيحة الحرب: تغلب[2]. ولذلك يمكن الاستنتاج أنه كان يوجد مع أجدادهم في العصور الوسطى مهاجرون جاؤوا من ديار بكر ولديهم عادات وتقاليد تغلبية. ولكن هذا الاستنتاج لا يحل المسألة، وذلك لأن ربيعة (وتغلب) يختفيان في الشمال في القرن العاشر الميلادي، بينما لا نصادفهم في الجنوب إلا في بداية القرن الثاني عشر الميلادي[3].

إذا ما صرفنا النظر عن التاريخ المنعزل لنهب البصرة، فإننا لا نجد معلومات عن ربيعة إلاّ في بداية القرن الثالث عشر الميلادي[4]. فقد كانوا بدواً رُحّلاً يحكمون المعدان على السيب والغراف، أي أنهم أسلاف الخزاعل والمنتفق. ويبدو أنهم كانوا كالمنتفق يقضون الربيع في الصحراء؛ إذ فقط في هذه الحالة يصبح مفهوماً أنه كان لهم علاقات مع قبيلة عامر في شرقي شبه الجزيرة العربية. على رأس ربيعة كانت تتربع عائلة بني معروف. في عام 1212م جاؤوا إلى القطيف بدعوة من عامر وهاجموا المدينة معاً لكنهم ردوا على أعقابهم. وفي عام 616هـ/1219م كسر شوكتهم الخليفة الناصر. وقام حاكم واسط، مدعوماً بقوات من مدن الفرات، من هيت حتى الكوفة، ومن البصرة وتكريت، بإلحاق الهزيمة بمانع بن المعلا بن معروف وعمه سعيد بن معروف (ابن الأثير: معلا بن معروف) اللذان هربا إلى شرقي شبه الجزيرة العربية ولجآ إلى عامر. وبعد ذلك توسطا لدى حاكم البصرة لكي يجلب لهما سماحاً بالعودة. فكتب الحاكم إلى بغداد وأرسل بني معروف تحت الحماية إلى العاصمة. ولكن عندما وصل الركب إلى واسط هجمت

---

(1) انظر الجزء الأول، 335 وما بعدها.

(2) عزاوي، الجزء الأول، 92.

(3) في عام 499 هـ/1106م هجموا مع المنتفق على البصرة ومارسوا فيها أعمال السلب والنهب طيلة شهر كامل؛ ابن الأثير، جـ 10، 284.

(4) ابن الأثير، جـ 12، 232، 261، وابن مقرب، ديوان، رقم 12، 64 ـ 74؛ 88، 28 ـ 36 والتعليق.

القوة المرافقة لبني معروف عليهم، بناء على أمر من الحكومة، وذبحتهم[1]. وخلال الصراع بين الجلائريين وقره قوينلو قامت ربيعة مع خفاجة، بقيادة أمير عذرة، بنهب الحلة التي كانت بلا حماية ولم يخرجوا منها إلا بعد أن دفع لهم الجلائريون تعويضات مالية على شكل تمور (824هـ/ 1421م)[2]. بهذه المعلومة تنتهي الأخبار المتعلقة بربيعة العصور الوسطى.

على الرغم من أن المراجع تسكت عن ذكر قبيلتنا حتى القرن السادس عشر فإنه لمن المؤكد أن ربيعة العصر الحديث هم أحفاد ربيعة العصور الوسطى. ذلك أن استمرار القبيلة الفرعية الميّاح، التي يذكرها ابن سعيد/ابن خلدون[3]، لا يترك أي مجال للشك في هذا الأمر. فهناك تقريران عن الطريق يعودان إلى عام 1534م و1543م يشيران إلى أن ربيعة وميّاح كانتا في ذلك الحين موجودتين في منطقتهما الحالية عند تفرع دجلة والغراف[4]. وفي القرن الثامن عشر تحددت المنطقة بدقة باسم الجوازر (راجع ص 280 أعلاه) وكوت العمارة[5].

لم تسبب ربيعة للعثمانيين المتاعب إلا نادراً. كانت بين وقت وآخر تذكّر بالتزاماتها الضريبية إلا أنه لم يحدث اصطدام مسلح معها إلاّ مرة واحدة[6] (بسبب

(1) حسب ابن الأثير؛ ابن مقرب ينسب الفضل في كامل القضية لصاحبه حاكم البصرة (باتكين).

(2) تاريخ الغياثي (حوالى 1500) عند يعقوب سركيس، 280 وما بعدها.

(3) بريبرس، جـ1، 27؛ عبر، جـ 6، 12.

(4) لودفيغ فورر، التأريخ العثماني لرستم باشا، 81، 120، تم تحوير اسم القبيلتين إلى «جناح» و«أبيض»، كما أن أسماء الأماكن اختلطت بشكل رهيب.

(5) هذا الاسم، وأيضاً الكوت وحده، مثبت منذ عام 1871م. بين عام 1870م وعام 1881م، أي بعد تأسيس مدينة العمارة (1861م) تم تغييره إلى "كوت الأمارة" (تبعاً لعائلة شيوخ ربيعة) وحديثاً إلى "الكوت". ويبدو أن البلدة كان اسمها في الأصل صدر (شط/نهر) العمارة، قارن تقرير طريق البصرة ـ بغداد، جهان نما، 456، وفي وقت لاحق العمارة، قارن يعقوب سركيس، 246 وما يليها ـ كان نهر دجلة تحت الكوت يسمى شط (نهر) العمارة.

(6) حسب التسلسل التاريخي الوارد في «دوحة...»، 47 وما بعدها (1151 ـ 1738م/ 1739م)، 219 وما بعدها، (1212هـ/ 1708م)، 245 وما بعدها (1220/ 1805) والذي ينتهي عام 1818.

قتل موظف تركي). ومن الممكن أن تكون الحكومة قد عاملت ربيعة بتسامح لأن عائلة شيوخها من السُنّة؛ ذلك أن تفضيل السُنّة كان ركناً من أركان السياسة التركية في العراق. من ناحية أخرى لم تكن ربيعة قادرة على القيام بأي ثورة كبيرة لأنها كانت تتعرض لضغط متزايد من جيرانها، بني لام في الشرق، والمنتفق في الجنوب، وشمر طوقة في الغرب.

بدأ بنو لام بعد مجيئهم (عام 1575م) بوقت قصير بتضييق منطقة تحرك ربيعة على الجانب الآخر من دجلة. وعلى دجلة أخضعوا قبائل ربيعة حتى فوق الشيخ سعد.

على الغراف كان في وسع ربيعة التحرك بحرية تامة إلى أن حصلت هناك عائلة شيوخ المنتفق، آل سعدون، من الحكومة في عشرينيات أو ثلاثينيات القرن الماضي والقرن التاسع عشر على حق جباية الضرائب. وبذلك أصبح أجزاء من قريش «الكريش» (أ) والميّاح (ب)، الذين كانوا يصلون على الغراف إلى ما بعد (كوت) الحي، مستأجرين عند آل سعدون. وبما أن آل السعدون حصلوا في الأربعينيات على حق جباية الضرائب من قبائل الضفة اليمنى لنهر دجلة أيضاً فقد أصبح السراج «السراي» والمقاصيص (جـ 2) ملزمين بدفع الضرائب لهم[1]. ولكن هذا الأمر تغير بعد وقت قريب. فقد فَقَدَ آل السعدون سلطتهم على دجلة قبل عام 1850م، وفقدوا حقوقهم على الغراف في عام 1872م[2]. عندما دخل الإنجليز في خريف عام 1915م إلى كوت الأمارة تصرفت ربيعة حسب الطريقة البدوية التقليدية: رحب بعض الشيوخ بالمحتلين الجدد بينما توارى آخرون عن الأنظار. وخلال

أما جونز، 375، فيقول عن ربيعة ما يلي: كانت هذه القبيلة قبل 30 عاماً من أقوى قبائل العراق وكانت لها سلطة مطلقة في شمال وجنوب شط الحي وكانت تقاوم الحكومة وتتقاضى أتاوات في مناطقها.

(1) انظر جونز، 375 وما بعدها؛ خورشيد، 51 وما يليها، ومقال بني لام.

(2) حدث خلاف طويل حول الملكية الخاصة لآل سعدون هناك. تعطي «عالم الإسلام»، جـ 2، 41 رقم 74، فكرة عن هذا الخلاف الذي استمر عدة عقود.

حصار الكوت ألحقت ربيعة بالإنجليز بعض الأضرار. وبعد أن استأنف الإنجليز زحفهم، في بداية عام 1917م، هرب الشيوخ المسؤولون ولم يعودوا إلاّ بعد أن بدا أن الحكم البريطاني في العراق قد أصبح راسخاً[1]. لم تشترك ربيعة في ثورة عام 1920م، شأنها في ذلك شأن بقية قبائل دجلة.

من بين الأفخاذ التي تتألف منها ربيعة تعرفنا حتى الآن على قريش «گريش»، والميّاح، والسرّاج «السراي»، والمقاصيص «المگاصيص». ولكن هناك فخذ رابع هو بنو عمير الذي يجب أن يكون مهماً إلى حد ما في السابق[2].

في عام 1854م كانت ربيعة ـ باستثناء الميّاح ـ تعيش حياة البدو الرُحّل أو نصف الرُحّل. أمّا الآن فقد استقر معظم أبناء القبيلة في مواطن ثابتة. وتقوم قريش «گريش» وبنو عمير بزراعة الأراضي العائدة لعائلة شيوخ الأمارة. إلا أن قريش الضفة اليسرى يرحلون في الخريف، عندما يجف هور الشويچية، نحو الشمال إلى مناطق السهول الجرداء.

تبدأ منطقة ربيعة على الضفة اليمنى لدجلة تحت البغيلة/ النعمانية مباشرة، وعلى الضفة اليسرى شرقي شادي وتنتهي قبل شيخ سعد. وعلى الغراف تتقاطع مناطق ربيعة والمنتفق.

يحمل شيوخ ربيعة لقب أمير كإسم للعائلة (كنية) ـ في صيغة الجمع: الأمارة. ويتحدث شيحا، 348، دون أدلة عن الأصل القرشي للعائلة. لكن قريش التي تقف في مقدمة الأمارة ليس لها أي شيء مشترك مع قريش المكية سوى الاسم. وشيخ القبيلة الحالي محمد الأمير شيخ محترم جداً.

---

(1) ريفيو، 31، 34.

(2) قارن لونكريك، 121 (نهاية القرن السابع عشر)؛ دوحة، 300 (1817م). في المرجع الأول جاء ذكر "الجوازر" بدلاً من "الجزائر"، وفي المرجع الثاني فإن المقصود هو فرع القبيلة الذي يعيش قرب بغداد؛ قارن بهذا الخصوص المنشي البغدادي (1822م)، 49؛ خورشيد، 214؛ 209 (على الروز)، 219 (عقر ـ قوف).

لقد تركت ربيعة آثاراً أكثر أهمية من البيانات التاريخية التي نذكرها باختصار هنا. فمن الهندية حتى إيران تعيش قبائل تعود أصولها إلى ربيعة، أي أنها كانت في هذه الحقبة الزمنية أو تلك تحت سلطتها. نذكر من هذه القبائل بني مالك، أجداد بني حسن، وجيرانهم أو أقرباءهم العوابد وعلي الذين كانوا يعيشون عام 1765م فوق السماوة أي في منطقة حكم ربيعة في العصور الوسطى، بينما يسكنون الآن على شط الهندية وشط الشامية[1]. يضاف إلى ذلك تلك القبائل التي انضمت إلى بني لام أو خضعت لهم. وينتمي إلى هؤلاء مجموعات كثيرة من السراج وخاصة البادية الذين انفصلوا في نهاية القرن الثامن عشر عن بني لام وانضموا إلى كعب على نهر قارون. أمّا مكان الدلفية فمشكوك فيه. فهم ممثلون لدى ربيعة ولدى بني لام (هاجروا غالباً إلى فارس)[2]. وهناك مجموعة ثالثة انضمت إلى شمر طوقة الذين جاؤوا في القرن الثامن عشر. ينتمي إلى هذه المجموعة العتبة الذين ظل جزء عند ربيعة، وأجزاء من البادية والدلفية.

والغرباء الذين استوطنوا في منطقة ربيعة هم القوام «الگوام» (انظر الصفحة 347 أعلاه)، الذين تظهر على الخرائط قرية لهم تحت الكوت.

---

(1) انظر المقال المتعلق بذلك، علي بين بني حسن، ب 15. «ص365، 366 في هذا الجزء».

(2) انظر مقال بني لام، البو درّاج وكعب (في الجزء التالي).

ربيعة(1)

شيخ المشايخ: محمد الحبيب الأمير(2)

آ ـ قريش «گريش»(3)

شيخ المشايخ: محمد الحبيب الأمير

مكان الإقامة: النعمانية ـ الكوت

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ البريصات		صفة دجلة اليمنى	
2 ـ العطاطفة			
3 ـ أولاد بركة			
4 ـ البو عطية		كلا الضفتين	
5 ـ البو غربي		ضفة دجلة اليمنى	
6 ـ العابد			
7 ـ الرويعيين			
8 ـ الخماس(4)		الضفة اليسرى	
9 ـ الروضان			
10 ـ أولاد فرج			
11 ـ البو لحة			
12 ـ الهليكية(5) «الهليجيه»			
ملحقة:			
1 ـ بني زيد(6)		البغيلة/ النعمانية	

ب ـ المياح(7)

شيخ المشايخ : عبد الله المحمد الياسين(8)

مكان الإقامة : الضفة اليسرى للغراف

ج ـ السراج «السراي»(9)

شيخ المشايخ : فالح القصاب(10)

مكان الإقامة : على الضفة اليمنى لدجلة تحت الكوت

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ السراج «السراي»(11)		نهر ابن قاسم	
2 ـ المقاصيص(12) ـ «المكَاصيص»		نهر ام الحلانة	
أ ـ البو دبخي			
ب ـ البو حبيب			
ج ـ بيت رشيد(13)			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ غير مسجلة. استناداً إلى جدول جونز، 375 وما بعدها والسالنامه، 277 وما بعدها في حدود توافقهما، ولذلك لا تشكل سوى محاولة. تم استقصاء أسماء الشيوخ الكبار عام 1925م ثم أُعيد النظر بها عام 1939م. عدد الخيم حسب خورشيد، 51، 54:

آ: 300 مقيمون على الغراف (الفروع المعنية غير موجودة في السالنامه ولا في الجدول).

ب: 650؛ جـ: 1000 مقيمون على الغراف. حسب جونز: آ: 1280 خيمة على دجلة؛ آ على الغراف + ب: 1240 خيمة؛ جـ: 1480 ـ جماعات صغيرة عند قزلرباط، انظر مقال: قبائل صغيرة في أسفل سلسلة الجبال الإيرانية. الجدول آ 1 عند القرنة أيضاً. عبد الرزاق الحسني، 146؛ قارن الملاحظة 3.

2 ـ إلى جانبه كان أخوه علي محمد في عام 1912 في مركزه، عالم الإسلام جـ 2، ص 41، رقم 74، 43، رقم 81. والدهما حبيب الأمير، ورد اسمه في السالنامه (1906) إلى جانبه أخوه ناموس، أبناء الشيخ الأكبر السابق نصيف (شيحا). لدى جونز يرد اسم درويش الأمير. صيحة الحرب للأمارة: سعدى و«سعده».

3 ـ تذكر السالنامه فيما تذكر على الضفة اليسرى دلفية وبني عقبة. نفس المصدر، 292، ورد ذكر أقسام من القريشات وربيعة في الكوفة.

4 ـ جونز: الحماس.

5 ـ هكذا يسمى أيضاً فخذ من السراج. محمد باقر، موجز تاريخ عشائر العمارة بغداد 1947 ص 78.

6 ـ انظر المقال الخاص بذلك.

7 ـ أقسام في مندلي. انظر مقال، قبائل صغيرة أسفل الجبال الحدودية الإيرانية. الجدول ب، 5. كذلك في البصرة. عبد الرزاق الحسني 146. ينتمي سبع إلى الميّاح، شيخ كوت العمارة ومرافق جونز 1848م جونز 56 وما بعدها، يعقوب سركيس، 278.

8 ـ إلى جانبه شقيقه بلاسم ذُكر والده محمد عام 1912م. عالم الإسلام جـ 2 41 رقم 74.

9 ـ يضم لهم جونز بني عقبة (على نهر الحميدية) والدلفية (جنوب الحي، انظر الخارطة، بلادهي، الذين صادفنا أقساماً منهم ضمن القريش على الضفة

اليسرى لدجلة. انظر ملاحظة رقم 3.

10 ـ 1925م والده قصاب.

11 ـ السالنامه تضم لهم عتبة وآخرين.

12 ـ يضعهم جونز في نفس ترتيب التالية.

13 ـ جونز، البو رشاده «رشادي».

شمّر طوقة

يشكل شمر طوقة، الذين يقيمون على الضفة اليسرى لنهر دجلة فوق ربيعة، تلك المجموعة من شعب شمر التي تعيش في أبعد منطقة نحو الشرق. وليس معروفاً بصورة أكيدة مصدر ومعنى اللقب "طوقة" المضاف إلى اسمهم. هناك تفسير يقول بأنهم كانوا في السابق فرعاً من شمر جربا، لكنهم انتقلوا إلى حياة الزراعة والرعي ففقدوا بذلك شرفهم ولذلك أطلق عليهم اسم "طوقة" (طوق الرقبة) رمز العبودية[1]. لكن هذا التفسير لا يجوز اعتباره حقيقة مؤكدة. إذ إن مثل هذه الألقاب كثيراً ما يكون مصدرها عند البدو خصومات بين الجيران أو الأقرباء. إلاّ أن هذا اللقب الشتيمة قديم[2].

الروايات المتناقلة عن نسب طوقة، وهي، كما هي الحال غالباً عند البدو نصف الرُحّل، يتداخل فيها تشكل الجماعة القائم على قرابة الدم مع التشكل القائم على العيش المشترك في مكان واحد، في غاية التشابك والتعقيد[3]. وهناك

---

(1) جونز، 371، وبشكل أوضح: شيحا، 250: يعود أصل هذه القبيلة إلى شمر جربا التي تزعم أن عرب شمر طوقة كانوا في يوم من الأيام عبيدها. وكان هناك حكاية عن شمر طوقة سمعها البارون أوبنهايم 1944م من أحد العراقيين تقول بأن طوقة كان اسم كلب ساعد القبيلة على عبور نهر دجلة.

(2) يتبين من ذلك أن محمد البسام، قائمة شبرنغر رقم 118، ترك اللقب عمداً. وكان معروفاً آنذاك لأن روسو، 66، كان قد ذكره.

(3) عزاوي، 234 ـ 250، حاول جاهداً فك الخيوط المتشابكة لكنه لم يتوصل إلى نتيجة مرضية.

تعبيراً "صلته" و "غرير" اللذان يستعملان أيضاً كصرخة حرب لدى بعض القبائل الفرعية: صليتي! غرير غريري![1]. وبما أن كلاً منهما اسمٌ لقبيلة فرعية من قبائل أسلم النجدية[2]، فلعله يمكننا أيضاً الربط بين صرخة الحرب "وهب!"[*] وقبيلة فرعية من الأسلم تحمل الاسم نفسه[3]. ومما يؤيد بصورة خاصة وجود قرابة بين طوقة والأسلم، الواقعتان التاليتان توضح ذلك: أولاً، كان يوجد في طوقة فعلاً فخذ يحمل اسم "صلته". وقد ورد ذكره في قائمة روسو لعام 1808م التي تحتوي على جميع أفخاذ شمر المرتبطة بفارس الجربا (انظر الجزء الأول، القسم الأول، 221، 232). ولكن، وبما أن هذا الفخذ لا وجود له عند الجربا ولا عند الزقاريط ولا عند الزوبع، فيجب أن يكون تابعاً لطوقة. أمّا الواقعة الثانية فهي أن أسلم وطوقة يوجد في كل منهما فرع اسمه الهيرار[**]، وهو اسم لا وجود له أبداً في أي مكان آخر.

ولذلك من المرجح أن شمر طوقة تنتمي إلى موجة شمر الأولى التي يذكر نيبور الأسلم ضمنها. وكما ذكرنا في الجزء الأول، القسم الأول، (220 ـ 219)، وصلت هذه الموجة إلى حدود العراق في نهاية القرن السابع عشر.

ليس معروفاً متى تابعت طوقة هجرتها. إلاّ أنهم، في كل الأحوال، وصلوا

---

(1) بخصوص التالي انظر أيضاً الملاحظات 118، 21، 26، 4، 1 المتعلقة بالجدول.

(2) بخصوص التالي انظر أيضاً جدول شمر، الملاحظات 43، 4 ط، هـ، ح.

(*) ان القبيلة الفرعية للأسلم النجدية لها فرع اسمه وهب. أنظر جدول شمّر ص 85 الجزء الثالث. (م. شبّر).

(3) عزاوي يذهب إلى أبعد من ذلك: فهو يرى أن آل جعفر، عائلة شيوخ طوقة السابقة، ينتسبون إلى فرع عبده الذي يحمل نفسه الاسم الجزء الأول، 256 ـ 255، 3 جـ ـ جدول شمر ا، ن)، لأنهما كليهما يستعملان نفس صيحة الحرب «سناعيس». لكن سلسلة نسب عائلة الشيوخ هذه تصل فقط إلى مشكور الزوين الذي ينتمي إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر. إلاّ أن صيحة الحرب يمكن أن تكون مستعارة لأن الطوقة كانوا، كما تبيّن قائمة روسو، خاضعين في العقد الأول للنفوذ الجربا الذين كانت قبيلة عبدة أكبر قبائلهم آنذاك كما اليوم.

(**) يوجد الهيرار لدى أسلم شمّر نجد أنظر جدول شمّر ص 85 الجزء الثالث. (م. شبّر).

إلى موطنهم الجديد قبل عام 1800م، كما يتضح من تقرير كتبه عميل لشركة الهند الشرقية[1]. ويعتقد بأنهم قضوا قبل ذلك بعض الوقت في الجزيرة، لأن البو سلطان (زبيد) يفتخرون بأنهم طردوا طوقة إلى ما وراء دجلة.

لم يجد طوقة المهاجرون، الذين يجب أن نتصورهم كبدو رُحّل، في موطنهم الجديد الظروف المناسبة لحياة البداوة. إذ إن السهول الواقعة بين قنوات ديالى ودجلة وسلسلة الجبال الحدودية ذات تربة سيئة، كما أنها علاوة على ذلك تنحسر في الشرق بسبب الأهوار التي تنغمر بالمياه في فصلي الربيع والصيف. ولذلك تحولوا جزئياً إلى الحياة نصف البدوية. في عام 1850م كان ثلث القبيلة، وبالتحديد الدلابحة (6) والنفافشة (16) وجزء من الصدعان (1)، يعيش من تربية الجمال، وكان الباقي يربون الأغنام والبقر ويمارسون إلى جانب ذلك العمل الزراعي. وهناك فرع من القفيفان (14) كان ولم يزل يعيش على طريقة المعدان من تربية الجواميس. وكان الطوقة البدو يقومون آنذاك بأعمال السلب والنهب في الجزيرة وبين وقت وآخر في الشامية ذاتها[2].

في هذه الأثناء أصبح جميع شمر طوقة نصف بدو. فهم يزرعون ضفة دجلة من أمام مهدي حتى طيسفون (المدائن). فقط جزء من داور (10) وأخوة سالمه الذين ليس لهم أي أهمية يسكنون على الضفة اليمنى تحت حماية الجحيش (زبيد). في أشهر الربيع مارس/ آذار وأبريل/ نيسان وبداية مايو/ أيار يهاجر طوقة نحو الداخل حتى قناة النهروان السابقة حيث يجدون الماء في منخفضات تجمعت فيها مياه الأمطار. وعندما تكون المراعي في بلدروز ومندلي جيدة بشكل خاص يتابعون تقدمهم إلى هناك. وخلال هذه الرحلات بقي بعض فروع طوقة في الشمال

(1) لونكريك، 202. لم يذكر اسم طوقة، ولكن قبل ذلك مباشرة دار الحديث حول جيرانهم بني لام. وعندما يذكر العميل أن شمر عوملوا معاملة سيئة من الحكومة فإن المقصود لا يمكن أن يكون إلا طوقة، لأن الحكومة لم يكن لها أي مصلحة، بسبب الخطر الوهابي، في استفزاز شمر في الغرب.

(2) خورشيد، 107 وما بعدها.

واستوطنوا هناك، وهم: السكوك (17) وأجزاء، من عتبة (3) والنفافشة.

يسكن الطوقة، باستثناء الكراده (أصحاب محطات الگرد «الچرد» لرفع المياه الذين يقيمون في أكواخ طينية)، في الخيام.

في الأصل كانت الأراضي التي يعملون فيها متروكة لهم كلياً. وفي وقت لاحق اشترى السلطان عبد الحميد ناحية شادي، وقام كاظم باشا[1] وداود بك (ابن محمد باشا الداغستاني)[2] وامرأة أرمنية غنية بشراء مناطق أخرى. وبعد الحرب العالمية انتقلت مساحات أخرى من أراضي القبيلة إلى ملكية نبلاء بغداديين.

تضم الطوقة عدداً من القبائل ذات الأصل الغريب، وهي غالباً بقايا السكان السابقين لمنطقتها. نذكر من هؤلاء، أولاً، الداور (10) وهم من أصل غير معروف[3]، والعتبة (3)، والشهيلات (18)، والباوية (19) ـ وربيعة الذين انفصلوا، بسبب مجيء طوقة، عن قبيلتهم الأم وانضموا إلى القادمين الجدد. ومن المهاجرين الحديثين: القراغول (5)، والزقيطات (13)، والخوالد (4). ولقد سبق وتعرفنا على القراغول، أمّا الزقيطات فهم من الجبور.

تحت تأثير الوسط الذي يعيشون فيه أصبح الطوقة، خلافاً لجميع مجموعات شمر الأخرى، شيعة. ولم تحدث في القبيلة أحداث كثيرة تستحق الذكر. في عام

(1) بخصوص هاتين الشخصيتين انظر ماكس فرايهرفون أوبنهايم، من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي «العربي»، جـ 2، 265.

(2) فارن، جونز، 371: "مختلفون عن القبيلة المذكورة أعلاه (شمر ـ طوقة). كانوا في السابق يعملون أدلاء ومراسلين للحكومة، ولذلك كانوا معفيين من دفع الضرائب، لا بل إنهم كانوا مخوّلين بأخذ رسوم من السفن العابرة، قدرها: 5 شاميات (كل شامي 8 قروش)، وحلانة (؟) تمر و3 أوقيات قهوة، عن كل سفينة. وكانوا عند حدوث نزاعات مع شمر يعبرون نهر دجلة. . . ". كما أن الآلوسي أيضاً اعتبرهم قبيلة مستقلة. ولا يستطيع العزاوي، الذي يعتبرهم من شمر، أن يفعل شيئاً ضد ذلك.

(3) لونكريك، 240، 268.

1818م، في السنة الثانية من حكم داود باشا، شن الأتراك على شمر طوقة حملة تأديبية ناجحة. وجاء انتقام الطوقة بعد 20 عاماً، قبل وقت قصير من سقوط آخر حاكم مملوكي: بينما كانت القوات العثمانية تقترب من بغداد التي انتشر فيها الطاعون وأبادها، وكان داود، الذي أصيب هو نفسه أيضاً بالمرض، طريح الفراش وحيداً في قصره فقد أرسل موظفاً من عنده والأمير الكردي محمد باشا بابان التابع له لكي يجندا قوات خارج بغداد. وفي الخالص وصلهما خبر بأن قوات داود الموجودة في كركوك قد أبادها الطاعون وأن صفوق «صفوك» شيخ شمر موجود في مكان قريب. بناء على ذلك توجها نحو الجنوب الشرقي لكي يعودا إلى بغداد بطريق التفافية غير مباشرة لكنهما وقعا مع حاشيتهما ومع خزينة الحرب في أيدي شمر طوقة الذين نكلوا بهم أبشع تنكيل[1].

ومنذ ذلك الحين حتى الحرب العالمية لم تذكر أي أخبار عن القبيلة. في الزحف الإنجليزي الثاني على بغداد (آخر فبراير/ شباط 1917م) نزح جزء كبير من طوقة من دجلة إلى بلدروز لكنهم بدأوا، بعد احتلال بلدروز (أكتوبر/ تشرين الأول 1917م)، بالعودة شيئاً فشيئاً لكي يزرعوا أراضيهم. وكان المناصير (15) يقومون بأعمال النهب قرب سلمان باك، لكنهم سرعان ما تخلوا عن ذلك بعد اتخاذ إجراءات تأديبية ضدهم.

يطلق على عائلة شيوخ شمر طوقة اسم بيت بردي وهي تنتسب إلى قبيلة النفافشة. وكانت قد تسلمت دفة القيادة بعد انتصارها على عائلة الشيوخ القديمة آل جعفر. وكان الصراع على السلطة قد حدث قبل ثلاثة أجيال[2]. لكن بيت بردي كانوا قبل الحرب العالمية قد فقدوا بعضاً من سلطتهم بسبب صعود عائلة الشيوخ المجابلة. كما أن شيخ الصدعان (1) والدعجة (2)، مسرهد بن مناحي، كان يطالب بالاستقلال. كان شمر المقيمون بصورة دائمة في الشمال يتبعون لجزء

---

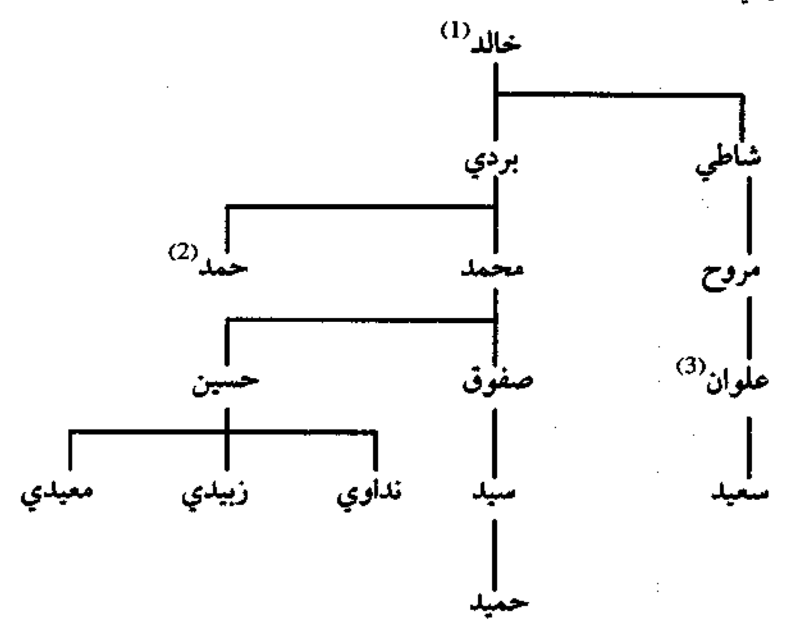
(1) ريفيو، 34.

(2) العزاوي، لا شك في أن "الصراعات الداخلية" التي ذكرها جونز، 371، تتعلق بهذه النقطة.

منهم للشيخ سعيد العلوان من بيت بردي، وكان جزء آخر تابعاً لشيوخ القبائل المستوطنة هناك كرخية، بني تميم، ولم يزل الوضع كذلك حتى اليوم.

كان حميّد السيد، شيخ المشايخ الحالي، يحكم خلال الحرب العالمية الأولى. وفي عام 1917م فقدَ في بادئ الأمر بعض النفوذ لأنه وقف إلى جانب الأتراك، لكنه استعاد في وقت لاحق مكانته القديمة.

المخطط التالي (حسب العزاوي، 244 وما بعدها) يبين الخطوط الرئيسية لبيت بردي:



خلال الحرب العالمية الأولى لم يتدخل شيخ المجابلة طرفة[4]، وهو رجل مسنّ ذو خبرة واسعة. وكان ابنه كلوّب «چلوب» يعرف كيف يتعامل مع الإنجليز.

(1) بن مح بن حمد بن خالد بن ناصر بن عبيد بن جرّاح بن دواس.

(2) قائمة شبرنغر، رقم 118.

(3) العزاوي: "عدوان".

(4) بن صابر بن مالح بن كليب.

شمر طوقة(1)

شيخ المشايخ : حميّد السيد

كلوب«چلوب» الطرفة

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الصدعان(2)	محمود بن مسرهد(3)	شادي	200
أ ـ الهويمل			
ب ـ الشهاب	شاطى بن بريج		
ج ـ الطليحة(4)	محل بن ذياب		
2 ـ دعجة(5)	كليب المحمد		250
أ ـ الشديد	غلام الهايس(6)		
ب ـ الصلاحة(7)	كاظم العامود		
ج ـ السالم	كليب المحمد		
د ـ العميرة	هندال بن جوير		
هـ ـ الزور	هندال بن جوير		
و ـ آل شيخ راشد	شاهين الصقر		
3 ـ عتبة(8)	علي المشعل	الدبونى	140
	صحن العاصي		
		روز	80
		مندلي	50
4 ـ الخوالد(9)	عليوي العبد الله(10)	الدبوني، القطنية	140
5 ـ القراغول(11)	عيال بن حزام(12)	الدبوني	280

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
6 ـ الدلابحة(13)	رغيف الداود	شظيف	160
أ ـ الرويح	رغيف الداود		
ب ـ آل عركل(14)		قصيبة	
ج ـ القويطع «الگويطع»	عباس البرسيم		
7 ـ المقابلة «المجابلة»(15)	كلوب الطرفة		200
أ ـ الحميان	علي البطيخ(16)	زلجة	
ب ـ الكتافة	كلوب الطرفة	دير	
8 ـ البنوّة(17)	مزعل الحسين	دير	90
9 ـ الهذيل(18)	عبد الحسن بن خلف المتيني	دير	90
10 ـ داور(19)	مطلق المحمد(20)		300
أ ـ بيت زريف	سعيد الخميس	همينية	
ب ـ بيت دبش	عويد اللهواك	الرجبية	
ج ـ بيت خالد	حمد الحواس	زوية الزرع	
11 ـ الشويفي(21)	سلمان الضيدان مخيلف السيد	القطنية	270
12 ـ المردان(22)	مغير البديوي	داور الشرقي	40
13 ـ الزقيطات		داور الشرقي	40
14 ـ القفيفان(23) «الگفيفان»	عبود النذير(24)		120
أ ـ الفراس	عبود النذير(24)	داور الغربي	

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
ب ـ العرب	حبيتر الخسباك		
15 ـ المناصير(25)	كشمور العلي	صافي	80
	شوكان بن حمود		
16 ـ النفافشة(26)	حميد السيد	دير	110
	سعيد العلوان	روز	80
17 ـ السكوك (الزكوك)(27)	عبد الله الحسوني(28)	مهروت	200
أ ـ المكحول	سعد الحسين		
18 ـ الشهيلات(29)	محمد العطروز	بلدروز	60
أ ـ عساكرة			
19 ـ الباوية(30)	محمود المسلم	مهروت	70
20 ـ الدلفية(31)		القطنية: مندلي	200

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى 1916م. أعيد النظر بأسماء الشيوخ حسب العزاوي. جI، 235 ـ 51 خورشيد 107 وما بعدها يذكر الأفخاذ 1، 6، 7، 10، 11، 14 ـ 17 في أمكنة إقامتهم الحالية. كذلك جونز 370 وما بعدها (1، 6، 7، 10 ب ـ ج، 12، 14 ـ 17، 19، 20) سالنامه 271 ـ 272 نذكر 1 ـ 15 ص: 275 داور الضفة اليمنى. ويضيف العزاوي الهيرار اليهم. الحجم حسب خورشيد 2020 خيمة. جونز 1250، تحت رقم: 3280، صيحة الحرب: سنا عيسى! الوسم ┿ القبائل على دجلة مرتبة باتجاه الكوت طيسفون (المدائن) أضيف إلى هؤلاء فقط البنوة (8) وهذيل (9) لأسباب سلالية ـ سياسية فهي على أي حال من فروع المجابلة (7) ويتبعون

شيخها ـ هذا صحيح، بل هي قسم من الأخيرة وتقيم في منطقة الفرعين.

2 ـ صيحة الحرب: أولاد حسن!

3 ـ السلف: والده مسرهد بن مناحي بن حمد بن رحمة بن شاهين.

4 ـ صيحة الحرب: أولاد وهب!

5 ـ كانوا سابقاً يتبعون الصدعان. لهذا لا يظهرون في القوائم القديمة.

6 ـ والده هايس بن حسن.

7 ـ العزاوي: (صلته).

8 ـ صيحة الحرب: شيابين.

9 ـ صيحة الحرب: هبوس أولاد هباس.

10 ـ السلف: مطلق الراشد.

11 ـ صيحة الحرب: باشه (أولاد باش).

12 ـ 1916م والده حزام بن يونس.

13 ـ صيحة الحرب: أجمرات. حسب العزاوي معاضيد.

14 ـ عزاوي العراجلة. بنو تميم.

15 ـ صيحة الحرب: يمغ!

16 ـ تسلسل أجداده: علي بن بطيخ بن ناهض بن رابط بن دهلة بن إدريس بن غانم بن رديني بن تهام. جده رابط شارك كحليف شاطي الخالد (مع انظر أعلاه ص 522) في النزاع على لقب المشيخة بين النفافشة وجعفر وكسب بالتالي النفوذ لعائلته.

17 ـ صيحة الحرب: حمدة!

18 ـ صيحة الحرب: ناهيّة (صليطي).

19 ـ صيحة الحرب: أولاد حسن (صليطي)، (سناعيس!).

20 ـ العبد العلي الصبيح من عائلة بيت حمور التي ينتمي إلى فخذ بيت صيناخ العزاوي).

21 ـ صيحة الحرب: غرير.

22 ـ صيحة الحرب: مرادين!

23 ـ الفخذان حسب العزاوي. يربي الفراس والجواميس. أي أنهم معدان أمّا العرب وكما يشير اسمهم فهم بدو رُحّل يربون الأغنام.

24 ـ تسلسل الأجداد: عبود بن النضيّر بن عباس بن سيّد بن فراس بن محمد بن يوسف بن زعيري بن قفيفان الذي ما زال جده يعيش في نجد.

25 ـ صيحة الحرب أولاد منصور. كان المناصير يسكنون في الأصل عند الداور، لكنهم تركوا هذه المنطقة عندما تمّ شراؤها من كاظم باشا.

26 ـ وضعنا النفافشة هنا لأنهم بالأصل كانوا يسكنون تحت سلمان باك. صيحة الحرب: حردة غريري.

27 ـ صيحة الحرب: هموش.

28 ـ 1916م: والده حسوني بن محمد.

29 ـ صيحة الحرب: أخوة حاجي.

30 ـ صيحة الحرب: عمور اسم يحمله قسم موجود في فارس. مرتبط بالكرخية.

31 ـ بحسب العزاوي، عبدة لكن هذا غير صحيح. إنها تنتمي أكثر إلى دائرة ربيعة وبني لام.

دفافعة ونجادات

أصبحت القبيلة الصغيرة الدفافعة[1] مشهورة بسبب حادثة مشينة وقعت في عام 1810م. في ذلك العام وقف سليمان الصغير، باشا بغداد، ضد قوات حالت أفندي الذي كان مكلفاً بعزله، لكنه خسر المعركة وانهزم. فتوجه بدون مرافقة أحد نحو الجنوب وعبر نهر ديالى ثم التجأ إلى الدفافعة الذين اعتقد أنهم سيحمونه بسبب بعض الخدمات الطيبة التي قدمها لهم. لكن الشيخ الذي احتمى عنده سليمان الصغير طمع في المكافأة الموضوعة على رأسه مما دفعه إلى انتهاك حق الضيافة. فبينما كان الصغير يجلس في خيمته مطمئناً فتح الشيخ حديثاً عن السيوف وتساءل عن أي السيفين أفضل، سيفه أم سيف ضيفه، ثم طلب من ضيفه أن يناوله سيفه. وما أن أصبح في يده حتى ضربه به وقطع رأسه[2]. ومنذئذ صار جيرانه يتحاشونه وأخذت حال القبيلة الثرية سابقاً تتردى. ولقد التقى به جونز عام 1849م وكان في حالة مادية مزرية.

ترتبط قبيلة النجادات ارتباطاً وثيقاً بالدفافعة. ففي تقرير عن حملة تأديبية ضد

---

(1) ويسمون "دفّاعي" أو "دفّاعية" أيضاً. ذكرهم لأول مرة نيبور، الجزيرة العربية . 390، في منطقتهم الحالية.

(2) تفاصيل القصة منقولة عن جونز، 79، الذي التقى مع ابن القاتل عام 1849م. يعتبر رسول حاوي أفندي (دوحة)، 263، تصرف الدفافعة خيانة، أما خورشيد 111 فيعتبره عملاً مشروعاً. بخصوص العملية كاملة انظر لونكريك، 226.

النجادات في عام 1232هـ/ 1817م وردت ملاحظة تشير إلى اعتبار النجادات جزءاً من الدفافعة[1]. وعلى عكس الدفافعة كانت حال النجادات جيدة عندما التقى بهم جونز في أبريل/ نيسان 1849م قرب آثار عبرتا على النهروان. وكانت كلتا القبيلتين شاوية، أي بدو نصف رُحّل يربون الأغنام، وكانت النجادات تربي الجمال أيضاً. كما أن كلتا القبيلتين كانتا تعملان في الزراعة بطريقة بدائية. وكان الدفافعة يجمعون نباتات شوكية ويبيعونها حطباً في بغداد. وفي هذه الأثناء أصبحا كلاهما فلاحين[2].

الدفافعة(1)

الشيخ: . . .(2)
منطقة التنقل: ضفتا ديالى السفلى، أم العبيد ـ سفوة: نهر العثمانية
عدد الخيام: 150

النجادات(3)

منطقة التنقل: ضفتا ديالى السفلى
عدد الخيام: 150

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ البريكات(4) 2 ـ سعيدات(5)			

(1) دوحة، 300 وما بعدها: دفاعي، نجاده لرّي؛ ولكن قارن جونز، 90، الذي يقول إن لهم قرابة بعيدة مع الدفافعة.

(2) خورشيد، 111، 207؛ جونز، 79، 90. بخصوص الزراعة البدائية يقول جونز: "على ضفاف الأنهار وفي كل حفرة فيها شيء من الرطوبة تزرع القبائل الحبوب بطريقة كيفية وتتركها للطبيعة كي تنمو وتنضج أو تموت".

بني ركاب(6) «بني رچاب»

ملاحظات حول الجدول

1 ـ مأخوذة عام 1916م ـ خورشيد، 207: 360 خيمة، 111 (فلاحون مسجلون، وهكذا أيضاً في الملاحظات التالية): جمعاً مع البطة: 300.

2 ـ 1916م: محمد البلبول الجبارة. على خريطة بلاد الرافدين (نسخة مؤقتة)، ديسمبر/ كانون الأول 1917م، سجلت بين منطقة أم العبيد والسفوة "عبّارة جبارة البلبل".

3 ـ مأخوذة عام 1916م.

4 ـ خورشيد، 207: 30 خيمة، رعاة غنم و...؟ مستقلون، وأيضاً سالنامه، 272.

5 ـ جزء صغير من سعيد (الجدول: زبيد هـ).

6 ـ خورشيد، 214: 40 خيمة بين بغداد والراشدية.

قبائل صغيرة على دجلة

بينما يشغل ضفاف دجلة حتى المدائن نحو الأعلى قبيلتان كبيرتان هما زبيد وشمر طوقة[1] فإن الضفاف الواقعة فوق آثار المدائن تسكنها مجموعات صغيرة تصل حتى بغداد وتتألف بصورة رئيسية من دليم وجبور. يعيش الجبور على الضفة الغربية بين الزعفرانية وبغداد. وعلى الضفة الشرقية تزرع ناحية التويثة الواقعة تحت مصب ديالى من قبل الجبور الذين ينتشرون على هذا النهر حتى قناة النهروان سابقاً. أمّا الدليم فيسكن جزء منهم في هور الجيكي «الجيجي»، حيث يلتقون مع الجبور، وجزء على الضفة اليسرى قرب باوي.

وكما يتبين من أسماء مجموعاتهم فإن جبور بغداد تربطهم علاقات قربى مع جبور ما بين النهرين الأعلى، والدليم تربطهم علاقات قربى مع قبيلة تحمل الاسم نفسه وتعيش فوق الفلوجة[2]. ويبدو أنهم جاؤوا إلى المنطقة قبل وقت غير بعيد. صحيح أن الجبور والدليم كانوا موجودين في منطقة بغداد كوحدات متفرقة منذ

---

(1) هذا ما يبدو ظاهرياً لأن جزءاً من السكان يتألف في الواقع هنا أيضاً من وحدات صغيرة منضمة إلى هاتين القبيلتين.

(2) قارن أ 2 أ، د من الجدول مع جدول زبيد، ألف I 1، ألف II 7، اثنان 7 في الجزء الأول، 301، 302، 303؛ أ 1 أ مع (ب أربعة 3)، في ص 307.

بداية القرن التاسع عشر[1] ولكن المراجع العائدة إلى منتصف القرن لا تذكرهم إلا في مناطق أبعد على النهر نحو الأعلى ـ بصرف النظر عن مجموعة دليم المقيمة فوق البغيلة والمنضمة إلى زبيد (هـ).

يعتنق الجبور المذهب السني. أمّا الدليم المقيمون على الضفة اليسرى فينتمي جزء منهم إلى الشيعة.

قبل أن ننتقل من بغداد على النهر نحو الأعلى نتوجه نحو الغرب لكي نستعرض القبائل المقيمة في هور عقر قوف. يمتد هذا المنخفض، المسمى باسم أنقاض برج قديم، من التراجف حتى مسافة قريبة من الكاظمين وبغداد[2]. وهو يتغذى من نهر الصقلاوية/ الكرمة المتفرع من الفرات، ومن عدة قنوات[3] متفرعة من الفرات في أمكنة أعلى وتصب في الصقلاوية، وتذهب مياهه الفائضة في قناة تصب في دجلة تحت بغداد. وبما أن الهور يقع على عمق 35 قدماً تحت الفرات، ولكن على عمق 10 أقدام فقط تحت دجلة، فقد كان معرضاً دوماً للغمر وخاصة لأن مجرى الصقلاوية يمر في منخفض طبيعي ولذلك يصعب سده. ولذلك أصبح نهر الصقلاوية بالنسبة لحكام بغداد مشكلة متعبة مثل الهندية. في عهد المماليك كانت سدود الصقلاوية وروافده تفتح في نهاية شهر أبريل/ نيسان، بعد وصول فيضانات الفرات إلى ذروتها، ثم تغلق بعد شهرين بعد انتهاء موسم الحصاد. وكان هناك حراس مهمتهم تقوية المواقع المهددة بالانهيار وسد الثغرات والانهيارات في حال حدوثها. وكان هؤلاء الحراس معفين من الضرائب لقاء هذه الجهود. ويقال بأن داود آخر المماليك (1817م ـ 1831م)، وبالتأكيد علي رضا (1831م ـ 1842م)، أهمل الاهتمام بالسدود. لا بل إن علي رضا ألغى الامتياز الذي يتمتع به حراس

---

(1) روسو، رحلة (1808م)، 15، 19، دوحة 323: في شتاء 1819/ 1820م الفضل شيخ الدليم ضامن الصاروت عن أبناء قبيلته الثائرين وقام الأتراك بعد ذلك بتوطينه في الزعفرانية.

(2) المنطقة الإدارية التي تحمل الاسم نفسه كانت أكبر؛ كانت تمتد في الجنوب الشرقي حتى ما قبل خان آزاد.

(3) أو فروع النهر، انظر موزيل، الفرات الأوسط، 153. أهم هذه الفروع: الوشاش.

السدود وزاد، فوق ذلك، الضرائب مما جعل السكان يفقدون الاهتمام بالزراعة وبالشبكات المائية المنظمة. على إثر ذلك انهارت السدود ودمّر نهر الصقلاوية ليس فقط الأراضي المزروعة بل غمر بغداد أيضاً. وبقي الأمر كذلك إلى أن أمر مدحت (1869م ـ 1872م) بإغلاق الصقلاوية عند مخرجه. ومنذئذ أصبح نهر الصقلاوية يتغذى من القنوات المذكورة أعلاه. في البداية ظلت كميات كبيرة من المياه تصل إلى الهور. في عام 1900م كانت تتشكل في المنخفض عند هبوط منسوب المياه منطقة مغمورة تبلغ مساحتها 40 ميلاً مربعاً، أمّا في فترة الفيضان فكانت تتشكل بحيرة مساحتها 300 ميل مربع[1]. ومنذ ذلك الحين بدأت المساحات المغمورة باستثناء ربيع عام 1917م حيث قام الأتراك بفتح الصقلاوية لكي يغلقوا في وجه البريطانيين الطريق إلى الفلوجة ـ تتقلص شيئاً فشيئاً إلى أن اختفت تماماً في النهاية.

كما أن سكان الهور أيضاً تغيروا خلال الـ 120 عاماً الأخيرة. فقد توجه طفيل والقراقشة «الكراكشة»، الذين جاؤوا في عهد علي رضا باشا، إلى الهندية، وتوجه البو عامر، الذين جاؤوا في عهده أيضاً، إلى الخالص والفرات[2]. أمّا بنو تميم، الذين ينسبهم خورشيد إلى سكان عقر قوف القدامى، فما زالوا باقين حتى اليوم مع الكثير من المجموعات الصغيرة المختلفة الذين يعددهم خورشيد مع الفلاحين المسجلين (218 وما بعدها)، البطة[3].

الجُدد هم العقيدات الذين لا يحظون باهتمام كبير والذين كانوا عام 1850م

(1) روسو، 38 وما بعدها، خورشيد، 193 وما يليها؛ ويلكوكس في G j. XXXV, 11.
ر. تولنس، عن اقتصاد المياه في ما بين النهرين، برلين 1912م، 20 وما بعدها. موزيل، المرجع السابق، باسيم: ريفيو، 77 وما بعدها.

(2) انظر جدول بني طريف، الملاحظة 4، ومقال البو عامر والبو محي.

(3) من هذه المجموعات الصغيرة المتناثرة لا يوجد مكان يستحق الذكر إلاّ المعين، وهم فرع من الدليم يضاف إلى جدول هذه القبيلة (الجزء الأول، ص 305، باء أولاً 4). وتعود المعين من ناحية النسب إلى طي.

يسكنون على الضفة اليسرى لدجلة فوق بغداد وتحتها. وليس معروفاً ما إذا كانت لهم علاقة بالعقيدات ما بين النهرين الأعلى الذين عالجناهم في (الجزء الأول، ص327).

فوق بغداد تتبع الضفة اليسرى لدجلة، من هور الراشدية حتى مصب العظيم، لمحافظة ديالى، كما أن الحقول وبساتين النخيل في هذه المنطقة تروى من قناة الخالص النابعة من ديالى ومن تفرعات هذه القناة. ولذلك ستعالج القبائل الموجودة هناك في مقال "قبائل صغيرة في منطقة نهر ديالى".

على الضفة اليمنى لم يتغير السكان عما كانوا عليه في منتصف القرن الماضي. القبيلة الرئيسية هنا هي المشاهدة يضاف إليها جماعات صغيرة متفرقة من الدليم والجبور والبو فرّاج. ولقد ورد ذكر الفراج لدى نيبور (1765م) ويبدو أنهم كانوا آنذاك يشكلون سكان هذه المنطقة[1]، بينما يسكنون الآن بمعظمهم وراء دجلة إلى الغرب من العظيم (انظر الجدول، هـ 4).

يقال بأن المشاهدة سادة، أي من نسل النبي محمد، وأنهم جاؤوا من اليمن. ولقد حصلوا على اسمهم من اسم المدينة الأثرية مشيهد قرب الرمادي[2] حيث كانوا يسكنون في السابق. وقد طردتهم عنزة من هناك فجاؤوا إلى دجلة[3] الذي كانت ضفافه آنذاك غير مأهولة إلا قليلاً. منذ خمسينيات القرن التاسع عشر تكاثر المشاهدة تكاثراً كبيراً وتوسعت منطقتهم بحيث أصبحت تمتد من امتدادات الدجيل حتى أبو سريويل القريبة من الكاظمين وتضم مقرات البو فرّاج والدليم والجبور. وتتألف أراضي المنطقة من ملكيات مختلفة: بعضها ملكيات وقفية، وبعضها الآخر أملاك أميرية، وبعضها أراضي طابو تملكها عائلة الپاچه چي البغدادية. ويعيش جزء

(1) نيبور، الجزيرة العربية، 390؛ قارن نيبور، وصف رحلة، الجزء الثاني.

(2) روسو، 79؛ خورشيد، 189؛ موزيل، الفرات الأوسط، 33 وما بعدها.

(3) ذكرهم هناك لأول مرة روسو (1808م)، 71.

من المشاهدة وأتباعهم وراء نهر دجلة أيضاً[1].

تمتاز ناحية الدجيل المسماة باسم القناة التي تحمل هذا الاسم بخصوبة أراضيها العالية إذا ما أديرت بشكل جيد. ولكن الإدارة الجيدة كانت غير موجودة تحت الحكم العثماني مما جعل الأراضي الزراعية هنا أيضاً تتحول إلى سهول جرداء بين حين وآخر[2].

في عام 1850م كانت قبائل الدجيل، وهي ليست قبائل غير محاربة بأي حال، لا تزال تعيش في قلق دائم خوفاً من هجمات عنزة وشمر، وكانت الطريق المؤدية إلى الموصل على الضفة الغربية لدجلة قد تمّ التخلي عنها بعد سقوط داود باشا (1831م) بسبب أخطار البدو.

في عهد المماليك وبعده بعدة عقود كانت ناحية الدجيل خاضعة لضابط كان يمثل في الوقت نفسه متعهد الأرض وصاحبها وجابي الضرائب ومدير الناحية[3]. وفي وقت لاحق قام السلطان عبد الحميد بشراء الناحية.

معظم قبائل الدجيل بدو شبه رُحّل يمارسون الزراعة في الأراضي المغمورة على دجلة (حاوي) أو في المنطقة المروية ويتنقلون مع قطعانهم في المراعي. أهمهم بنو تميم، والخزرج، والمجمع الذين سنخصص لهم البحوث القادمة. بنو تميم والخزرج كانوا منذ عام 1850م في منطقتهم الحالية، أمّا المجمع فمنذ القرن الثامن عشر. قبل ذلك كان بنو جميل القبيلة الرئيسية في منطقة الدجيل. وهناك تقرير عن حملة تأديبية ضدهم أرسلت في عام 1107هـ/ 1696م موجود في تاريخ نظمي زاده (گلشن إي خلفا، ف، 116 ر). وقد ورد ذكرهم آخر مرة لدى

(1) ماكس فرايهرفون أوبنهايم، من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، 234 وما بعدها.

(2) جهان نما، 460؛ روسو، رحلة، 15 وما بعدها.

(3) جونز، 242 وما بعدها.

روسو (1808م)[1]. ومما يثير الاستغراب أن مجموعة صغيرة من بني جميل انتقلت إلى شمال سورية[2]. فهل هجّروا رغماً عنهم؟ الأمر الأقل استغراباً هو أن بني جميل موجودون أيضاً على دجلة الأسفل (أو بالأحرى كانوا موجودين؛ إذ إنهم هاجروا خلال عامي 1244هـ ـ 1245هـ/ 1838م ـ 1839م إلى المنطقة الفارسية)[3]. ولقد تعرفنا على عدة قبائل تعيش مجموعاتها في مناطق متباعدة ومنتشرة في مختلف أرجاء العراق.

وكما هو حال القبائل الثلاث الكبيرة هناك أيضاً بعض القبائل الصغيرة التي ثبت وجودها في منطقة الدجيل منذ منتصف القرن الماضي، ألا وهي: الجميلة، والمزاريع، والسعود (جـ 3، 4، 5). تقوم الجميلة بخدمة قبر أحد الأولياء هو ضريح الشيخ جميّل، ويزعمون أنهم هم أنفسهم من الأولياء الصالحين لأنهم ينحدرون من نسل النبي محمد[4].

إضافة إلى القبائل المذكورة في الجدول تحت (د) يوجد أيضاً على الدجيل بعض السوامرة، وهم ينتمون إلى مجموعة عالجناها في الجزء الأول، ص401.

مع قبائل الدجيل وقبائل الضفة المقابلة (هـ) تكون قد وصلنا إلى النقطة التي عالجناها في الجزء الأول، في مقال: قبائل صغيرة على دجلة، والآن نتحول إلى الأراضي الواقعة شرقي نهر دجلة.

---

(1) رحلة (1808م)، 71، قبل ذلك من نيبور (1765)، الجزيرة العربية، 390؛ خورشيد، 216، يذ بني جميل في بغداد فقط.

(2) الجزء الأول، 427 وما يليها.

(3) خورشيد، 90.

(4) الوزون، والبابلين، الذين يذكرهم جونز، 242، قرب السميكة هم ليسوا قبائل وإنما أحفاد سكان قريتين تحملان نفس الاسم وكانتا عام 1808م لا تزالا موجودتين، لكنهما تهدمتا في وقت لاحق؛ قارن روسو، 16. أنقاض وزون مذكورة على الخريطة.

قبائل صغيرة على دجلة(1)

أ ـ بين المدائن وبغداد

القبيلة	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ الدليم(2)		
أ ـ الشيحة	الضفة اليسرى، باوى	100
ب ـ البو صيفي (آل مالك)(3)	الضفة اليمنى، الجبجي	50
2 ـ الجبور(4)		
أ ـ البو طعمة	الضفة اليمنى، زعفرانية	150
ب ـ	الضفة اليمنى، الجبجي ـ أبو جحاش	150
ج ـ	الضفة اليسرى، تويثة	225
د ـ البو خطاب	الضفة اليمنى الدبي ـ الخر(5)	200

ب ـ في هور عقرقوف

القبيلة	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ بني تميم(6)		1600
2 ـ العقيدات «العگيدات»(7)		73
3 ـ البطة(8)		

ج ـ بين بغداد والدجيل

القبيلة	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الجبور(9)	التاجي	40
2 ـ الدليم(9)	مزرفة	30
3 ـ المشاهدة(10)	أبو سريويل ـ الطارمية	2000
4 ـ البو فرّاج(11)	الطارمية على دجلة	80

د ـ في ناحية الدجيل

القبيلة	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ بني تميم(12)	الحصي ـ المدورة	475
2 ـ الخزرج(13)	السميكة ـ بلد	350
3 ـ الجميلة(14)	الشيخ جميل	75
4 ـ المزاريع(15)	المدورة	48
5 ـ السعود(16)	بلد	35
6 ـ الحباب(17)	بلد ـ دجلة	50
7 ـ الرفيعات(18)	بلد	70
8 ـ المجمع(19)	بني سعود ـ صدر الدجيل	430

هـ ـ بين مصب العظيم وسامراء

القبيلة	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ البو هيازع(20)	دلتاوة ـ العيث	1500
2 ـ الجبور(21)	ضلوعية	180
3 ـ البو جواري(23)	ضلوعية	50
4 ـ البو فراج(24)	فوق ضلوعية	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م.

2 ـ سالنامه 272: في باوي (النص: بادي) وغصيبة.

3 ـ خورشيد، 218، يذكرها بصورة منفصلة بـ 10 و50 خيمة في هور عقر قوف الفلاحين المسجلين، في الاقتباسات التالية أيضاً. حسب الأصل بالكاد دليم، كذلك خورشيد لا ينسبهم إلى الدليم.

4 ـ سالنامه، 272 في التويثة.

5 ـ محاذية لبغداد.

6 ـ = الجدول. ب تميم آ.

7 ـ خورشيد، 207، 213: 70 خيمة للدفافعة وفي بغداد، 80 بين بغداد وهور الراشدية.

8 ـ خورشيد 219 يذكر الفرعين قعود وحبيب بـ 33 و35 خيمة. وكذلك على الضفة اليسرى لدجلة عند طاق كسرىٰ، سالنامه 263، 272.

9 ـ جونز 229 قارن مع خارطة القبائل التالية: خريطة.. نهر دجلة... 1850م.

10 ـ جونز، 229، خورشيد، 215: 80 خيمة في منطقة الدجيل التي كانت تتضمن منطقتهم آنذاك.

11 ـ خورشيد، 213: 25 خيمة بين بغداد وهور الراشدية.

12 ـ جدول ب. تميم ب.

13 ـ جدول الخزرج آ.

14 ـ خورشيد 215 (جميلة) 40 خيمة، جونز 384: 130. السادة (جمَع سيِّد) المذكورين لدى ماكس فون اوبنهايم، من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، ج2 ص 233 هم نفس هؤلاء.

15 ـ خورشيد، 214: 33 خيمة.

16 ـ خورشيد، 215: 35 خيمة، قارن مع ماكس فون اوبنهايم، المصدر السابق، ص 231.

17 ـ ماكس فون اوبنهايم المصدر السابق، ص 231.

18 ـ موزيل: الفرات الأوسط ص 140، يحسبهم مع المجمع.

19 ـ الجدول: المجمع آ.

20 ـ فخذ من عبيد، انظر الجدول زبيد، جيم 4. الجزء الأول، 308. في عام 1893م كان البو هيازع والجبور يخيمون في الدقمة فوق السندية، ماكس فون اوبنهايم ج2، المصدر السابق ص 240. خورشيد 215، أورد البو هيازع في التاجي.

21 ـ جونز، 386: 300 خيمة. خورشيد 215: 100 (النص: جبود) في منطقة الدجيل من المحتمل أن يكون هذا يضم في ذلك الوقت الضفة المقابلة وقبائلها. قارن مع الملاحظة التالية.

22 ـ خورشيد، 214، 30 خيمة في منطقة الدجيل، قارن مع الملاحظة السابقة.

23 ـ قارن جـ4 في عام 1893م، كانوا موجودين في جزيرة على دجلة. ماكس فون اوبنهايم، المصدر السابق، 230.

بني تميم

ينتشر بني تميم في جميع أنحاء العراق. ويسكن منهم ثلاث مجموعات في الشمال الغربي، والشمال والشمال الشرقي من بغداد، وتسكن مجموعة في كربلاء وأخرى في السماوه[1]. وكان بنو تميم في القرن الثامن عشر يشكلون جزءاً من منتفق البصرة، لكنهم في هذه الأثناء ذابوا في أجزاء أخرى من هذا المجمع. يضاف إلى ذلك قبيلة "السعد أو بنو تميم" التي تظهر في خريطة ما بين النهرين الأسفل قرب الكوت[2] ـ المجموعات الشمالية الثلاث تربطها علاقات قربى وثيقة كما يتضح من أسماء فروعها. وهم يستعملون صيحة الحرب "دارم" "دُرُوم"[3] ويرتبطون بالتالي مع الدارِم (راجع الصفحة 244 أعلاه)، ولعل سعد ترتبط مع ذلك الفرع من تميم القديمة الذي يحمل الاسم نفسه (نفس المصدر). ولكننا نتساءل: "كيف؟" . إذ إن هؤلاء ورد ذكرهم أمام البصرة آخر مرة في نهاية القرن التاسع وفي خوزستان «عربستان» المجاورة في نهاية القرن العاشر، بينما تعود أول أخبار القبيلة

(1) الجدول ب(*). ملحقون بالحكيم «بالحچيم» ملحقون 2، فربما هم بقية من أولئك البني تميم الذين ذكرهم بيترز، نيبّور، جـ1، 267، كبدو رحل يربون الأغنام ويتنقلون بين الغراف والدغارة؟.

(*) جدول ب في حكيم لا يوجد بينهم تميم وكذلك جدول ب في تميم ليست ملحقة بحكيم لذا أعتقد أنه خطأ مطبعي (م. شبّر).

(2) النص، على الأقل في الطبعة الألمانية اللاحقة عام 1917م: فيمين.

(3) عزاوي في حديث عام 1939م.

الجديرة إلى القرن الثامن عشر. ولو كان بنو تميم قد عملوا في هذه الأثناء في مكان ما في الزراعة وأصبحوا فلاحين، أو لو عاشوا عند قبيلة غريبة، فكيف كانوا سيستطيعون العودة فجأة إلى البداوة وإلى تقاليدهم القديمة؟ وقد طرح لونكريك، في ص277، هذا السؤال أيضاً: "قد تكون مجموعة غامضة من الرعاة قد حملت الاسم العظيم قحطان أو تميم. . . "، ولكنه تركه دون حل. ولذلك فإنني أميل إلى اعتبار بني تميم من المهاجرين الحديثين الذي ينتسبون إلى تميم نجد المستقرين الذين يوجد بينهم "سعد" (الجدول 3) و «دارم». وفي حالة واحدة يبدو لي هذا الأصل أكيداً: لدى تمايم كربلاء (الجدول: زقاريط 7).

بينما نجد بني تميم في كل مكان ملتحقين بمجمعات غريبة، فإنهم يشكلون في الشمال ثلاث قبائل مستقلة: في هور عقر قوف، وعلى الدجيل، وعند بلدروز. ومن الممكن أن يكونوا في القرن الثامن عشر ما زالوا متحدين. إذ إن نيبور (1765م) لا يعرف تميم إلاّ على نهر ديالى[1]. ولكن يجب أن يكونوا قد انفصلوا بعد ذلك بوقت قصير. ذلك أن بني تميم كانوا مقيمين في هور عقر قوف منذ زمن طويل عندما نفّذ علي رضا باشا (1832م ـ 1842م) عملية الاستيطان الجديد للهور التي ذكرناها في الصفحة 533 أعلاه.

بنو تميم عقر قوف أكبر بكثير من ناحية العدد من المجموعتين الأخريين. ولكن الأمر لم يكن دوماً على هذا الشكل؛ عام 1850م كانت كل قبيلة تتألف من 200 ـ 300 خيمة. ومنذ ذلك الوقت إلى الآن ارتفع عدد بني تميم في الهور إلى أكثر من 1500 خيمة. ويفسر هذا التزايد غير العادي بأنهم قد ضموا إليهم بعض المجموعات القبلية الصغيرة التي كانت تعيش في الهور[2]. كما أن قبيلتي الهور الأخريين البطة والعقيدات «العگيدات» خاضعون لنفوذ بني تميم إلى درجة أنهما كانتا تحسبان منهم.

---

(1) نيبور، البلاد العربية، 390. وهكذا أيضاً قائمة شبرنغر رقم 121. ليس معروفاً أين كان بنو تميم يسكنون عندما شنت ضدهم الحملة التأديبية التي تتحدث عنها «دوحة. .»، 300 وما بعدها. ولكنهم على أي حال لم يكونوا بعيدين عن بغداد.

(2) يعدّون معاً 738 خيمة، خورشيد 219.

بنو تميم فلاحون لكنهم يربون أيضاً الأغنام وبعض الجمال التي يرحلون معها في الربيع نحو الشمال إلى الجزيرة. الميل إلى السطو والسلب ليس غريباً عنهم، لكنهم لا يمارسونه بسبب قربهم إلى العاصمة إلا ضمن حدود وفي أوقات الفوضى العامة وغياب الأمن، على سبيل المثال بعد انسحاب الأتراك من بغداد (11/ 3/ 1917م) وخلال الثورة العراقية عام 1920م. في الماضي لم تكن علاقتهم مع جيرانهم الزوبع والدليم على أحسن ما يرام. إلاّ أن خلافاتهم الحدودية مع زوبع سويت خلال الحرب العالمية الأولى بوساطة سلطات الاحتلال البريطانية[1]. يعتنق بنو تميم المذهب الشيعي.

وقف شيخ بني تميم حسن السهيل منذ البداية إلى جانب الإنجليز وظل متمسكاً بهذا الموقف على الدوام. وهو نائب في البرلمان وتربطه صداقة شخصية مع ولي العهد عبد الإله.

يعيش بني تميم الدجيل حياة مشابهة لحياة أخوانهم في عقر قوف. وتمتد منطقتهم على دجلة من الحي (مقابل السندية) إلى المداورة وتصل في الداخل إلى الدجيل. ولقد عبر جزء من القبيلة دجلة منذ زمن طويل وخيّم بين الدلتاوة والعظيم[2]. بنو تميم الدجيل منقسمون من الناحية الدينية: البو حشمة سنّة والفروع الأخرى شيعية. وكان الأتراك يحابون البو حشمة كونهم أخوتهم في العقيدة ولذلك ظلوا مؤيدين للأتراك، حتى بعد احتلال الإنجليز لبغداد، إلى أن اعتقل شيخهم حسين.

من ناحية القوة القتالية يتفوق بني تميم بلدروز على المجموعتين الأخريين تفوقاً كبيراً. فقد أرسلوا عام 1915م نحو 100 رجل إلى الجهاد، وقاتلوا في يوليو/ تموز 1917م بقيادة حمود الحسن ضد الإنجليز عندما زحفوا إلى بلدروز. صحيح

---

(1) ريفيو، 144.

(2) جونز، 109، 113 وما بعده، ؛ ماكس فرايهرفون أوبنهايم، من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، جـ 2، 231 وما بعدها.

أن عدة شيوخ من تميم استسلموا في الأسابيع التالية، لكن حمود نفسه ظل صامداً إلى أن جعل تقدم الإنجليز في أكتوبر/ تشرين الأول إلى جبل حمرين كل مقاومة بلا جدوى[1].

وجدت حملة التعبئة والتحريض التي سبقت الثورة العراقية أذناً صاغية، طبعاً لدى بني تميم. في يوليو/ تموز 1920م اقتحموا ثكنة شهربان وقتلوا الجهاز الإداري الإنجليزي[*]. ولم يكن الشيخ حميد موجوداً عند الهجوم، لكن جاء بأقصى سرعة إلى شهربان وحرص على معاملة الأسرى معاملة حسنة الذين كانت بينهم امرأة هي أرملة الضابط المقتول زتون بوكانان[2]. وعندما جاء الإنجليز في سبتمبر/ أيلول لإعادة احتلال منطقة ديالى تصدى لهم الشيخ حميد على رأس بني تميم لكنه اضطر في النهاية إلى التراجع أمام التفوق الإنجليزي.

يقيم بني تميم رئيسية على قناة روز لكنهم يمتدون في الشمال في ناحية الهارونية المجاورة وفي الغرب إلى شهربان وفي الجنوب الغربي إلى مهروت، ويبدو أنهم يغيّرون كثيراً أماكن عملهم ضمن هذه المنطقة.

---

(1) قارن ريفيو، 46.

(*) كان من بين البريطانيين الخمسة الذين قُتلوا في القشلة مهندس يعمل في الري اسمه الكابتن بوكانان، وكانت معه زوجته واسمها زتون وقد تمكنت هذه المرأة أن تتسلل من القشلة على أثر مقتل زوجها، وذهبت إلى بستان مجاور واختفت تحت الظلام إلى أن عثر عليها ابن عبدكة الشقي المشهور وكان من المشاركين في ثورة شهربان فأخذها إلى بيت الشيخ مجيد وهو ابن عم الشيخ حميد الحسن..

المصدر: (لمحات اجتماعية، جـ5، القسم 2، ص40، علي الوردي).. (م. شبّر).

(2) زتّون بوكانان: في أيدي العرب (Z.Buchanan, In the Hands of the Arabs) 113، 116 وما يليها، 183 وما يليها، 211، 229.

بنو تميم(1)

أ ـ بني تميم في هور عقرقوف(2)

شيخ المشايخ: حسن السهيل

عدد الخيام: 1600

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المصالحة(*)	حسن السهيل		
2 ـ الطجّاج(* *)	ابن سلطان(3)		
3 ـ الشمامطة(4)			
4 ـ السميلات(5)			

ب ـ بني تميم الدجيل(6)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العتابنة(7)		عتاب	175
2 ـ البو حشمة		الخضيرة	250
3 ـ البو حسان(8)			50

(*) فروع المصالحة هي:

1 ـ بو صبره.

2 ـ بو طعمة ويتفرعون إلى البو ريشه، البو حرامي، البو إسماعيل (زيني)، البو نجم، البو تايه. 3 ـ البو حمد 4 ـ الشهابات 5 ـ البو حسان. (م. شبّر)

(**) فروع الطجّاج ويرأسهم محمد السلطان وأخوه حاتم.

1 ـ البو نهار ويتفرعون إلى: البو وهب، البو مطرود، البو خان، البو حاچم، الرؤساء.

2 ـ البو محمد. 3 ـ گصاعمه. العزاوي عشائر العراق ج4 ص217 ـ 221. (م. شبّر)

ج ـ بني تميم البلدروز(9)

شيخ المشايخ: حميد الحسن

عدد الخيام: 800

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المصالحة(10)			70
2 ـ العتابة			
3 ـ البو فرج			240
4 ـ البو حيّاص(11)			80
5 ـ العقيدات(*)			30

ملاحظات حول الجداول

1 ـ تعود إلى 1916م. تمت إعادة النظر مجدداً بأسماء المشايخ.

2 ـ خورشيد 195، 200 (300؟) خيمة، 219 (فلاحين مسجلين): 120 خيمة، جونز ص 381: 300.

3 ـ عائلة شيوخ واسعة النفوذ.

4 ـ سالنامه، 249.

5 ـ خورشيد، 196، يعتبرهم قبيلة مستقلة بـ 30 خيمة، 218 (فلاحين مسجلين): 15 خيمة.

6 ـ خورشيد 215 (فلاحين مسجلين): 70 خيمة: جونز 384: 250 خيمة.

(*) لدى العزاوي العبيدات. (م. شبّر).

موزيل، الفرات الأوسط 139، يذكر فخذين إضافيين: الشريفات والثامر.

7 ـ موزيل: "عطاطية".

8 ـ موزيل: "البو حسن".

9 ـ خورشيد، ص 209، 211 (فلاحين مسجلين): 150 خيمة يضاف إليها 40 في منطقة شهربان، و20 في مهروت، جونز ص 385: 300 خيمة، سالنامه ص 265 وما بعدها 100 خيمة، يضاف إليها 250 في منطقة الهارونية، و250 في منطقة مهروت.

10 ـ سالنامه 265: 30 خيمة في شهربان.

11 ـ سالنامه 265: 50 خيمة في الهارونية، 50 خيمة في شهربان. يبدو أنهم صاروا يعتبرون مؤخراً قبيلة مستقلة.

الخزرج[1]

في نفس المكان الذي يتحدث فيه ابن خلدون عن ربيعة البطايح (انظر الصفحة 507 أعلاه) ترد الجملة التالية: «يوجد لديهم خليط من عائلات الأوس والخزرج». تعود هذه المعلومة، على الأرجح، إلى عام 1250م حيث كان ابن سعيد، رجل ابن خلدون الموثوق، يقيم في بغداد. وللأسف وردت هذه الجملة في النص بصورة معزولة تماماً. ولم نسمع بالخزرج مرة أخرى إلا في القرن التاسع عشر[2]. تسكن مجموعة منهم على الدجيل ومجموعة أخرى على دجلة الأدنى[3]. وعلى الرغم من ذلك فمن الممكن جداً أن يكون هؤلاء الخزرج الجدد أحفاد خزرج العصور الوسطى. إذ إن سكوت المصادر عن ذكرهم لا يصلح، وحده، دليلاً ضد استمرار القبيلة. أمّا أن تكون المجموعتان من أصل واحد فهذا أمر لا شك فيه إطلاقاً. إذ إن تمزق القبائل بهذا الشكل في العراق أمر منتشر على نطاق واسع ـ المأخذ الأكبر يتبدى ضد اعتبار الأوس والخزرج العراقيين هم نفس قبائل الأوس والخزرج الذين كانوا في المدينة قبل الإسلام. إذ إن هؤلاء أخذوا، أولاً، كما هو معروف اسم الأنصار، بعد الإسلام، وثانياً أن الأنصار الذين هاجروا

---

(1) أيضاً خزرج؛ جونز، 379، 384؛ خورشيد، 88.

(2) لم يعد من الممكن العثور على أي أثر للأوس.

(3) سنصادفهم مرة أخرى في مقال "بني لام".

إلى العراق لم يشكلوا مجموعات مغلقة. بل إن الأمر يتعلق، على الأرجح، بتشكيلات جديدة كما هو الحال مع قريش«گريش» (ربيعة) وكنانه (بني لام). ولقد بقيت عند البدو أسماء القبائل القديمة كأسماء للأشخاص كما هو الحال، على سبيل المثال، مع قريش لدى عقيل (انظر الصفحة 305 أعلاه).

كان خزرج الدجيل في منتصف القرن الماضي يعمل جزء منهم في الزراعة في المنطقة المروية. ويعمل جزء آخر في الرعي في المراعي المجاورة[1]. وما زالوا محافظين على طريقة الحياة هذه حتى اليوم. تسكن الجماعات المستقرة من القبيلة في سميكة وقرب بلد. وتقيم القبيلة الفرعية البو حيدر في جزيرة في نهر دجلة وعلى الضفة اليسرى للنهر.

كان الخزرج في السابق يعتنقون المذهب الشيعي على الرغم من أن جيرانهم آنذاك كانوا سنيين[2] ـ وهذا دليل آخر على أنهم جاؤوا من العراق الأسفل الذي كان منذ القدم موطن الشيعة. أمّا اليوم فلم يعد سوى الجزء البدوي من الخزرج شيعياً، بينما تحوّل الجزء المستوطن تحت تأثير الوسط المحيط به إلى السنّة.

خلال الحرب العالمية الأولى ظل شيخ البدو الرُحّل قيس بن حسين وفياً للأتراك. وبعد احتلال بغداد (11/ 3/ 1917م) شنّ حملات تشليح ضد قوافل النقل الإنجليزية وقتل شيخ الخزرج المستوطنين إبراهيم الفدعان الذي كان قد خضع للإنجليز.

تعيش مجموعة من القبيلة منذ زمن طويل في خراسان، في محافظة ديالى الحالية.

(1) انظر أيضاً بخصوص التالي، جونز، 232، 242.

(2) المشاهدة ما زالوا كذلك حتى اليوم، وبنو تميم جزئياً ـ سميكة مقسومة أيضاً، بلد: شيعة؛ موزيل، الفرات الأوسط، 139.

الخزرج

أ ـ خزرج الدجيل(1)

منطقة التجول: سميكه ـ بلد

عدد الخيام: 200 يضاف إليها 150 خيمة ثابتة أو بيتاً

ب ـ خزرج خراسان(2) «خريسان»

المنطقة: نهر مهروت

عدد البيوت: 60

ملاحظات

1 ـ تعود إلى عام 1916. تلفت أسماء الأفخاذ ضاعت بسبب القصف الجوي. جونز، 384: 130 خيمة، خورشيد 214 (فلاحين مسجلين) 100.

2 ـ سالنامه، 263 على نهر خراسان: خورشيد 209، على المهروت، أيضاً 60 بيتاً.

المجمع(*)

يعيش المجمع إلى جوار الخزرج وبني تميم الدجيل من جهة الشمال والغرب. ولا يوجد أي معلومات أكيدة عن أصل هذه القبيلة. ويرى جونز، 267، أن المجمع نشأوا، كما يشير اسمهم، من اتحاد مجموعات مختلفة، بعضها عبارة عن قبائل صغيرة لم تكن تستطيع حماية نفسها لوحدها، وبعضها الآخر لاجئون فروا هرباً من ثارات الدم أو من ضغط الحكومة. ومما يؤيد هذا الرأي أن المجمع يسكنون على الحدود بين مناطق الرعي والمناطق الزراعية؛ مثل هذه الأماكن يأوي إليها عادة الناس الخائفون من الملاحقة.

من ماضي القبيلة يروي الدكتور روسّ[1]، الذي مرَ عام 1836م في منطقة الدجيل خلال رحلته إلى الحضر، الحادثة التالية: «لقد أُبيد المجمع إبادة كاملة تقريباً على يد عمر باشا بغداد (1764م ـ 1774م) بالتعاون مع العبيد وعزة في معركة جرت قرب مهيار (إلى الجنوب من تكريت، مقابل تفرع النهروان). كانت تلك

(*) لا يستعمل اسم مجمع على عشائر تحالفت إلا في هذا الاستثناء، يذكر العزاوي في عشائر العراق حول أصل اسم مجمع أنها سبع عشائر تجمعت وتحالفت في محل يقال له تل جبارة عن أن يكونوا يداً واحدة. ويؤكد الشيخ حسين الشعلان ذلك وإنه لا يطلق في العراق إسم مجمع إلا في هذا الموضع. (م. شبِّر).

(1) مجلة الجمعية الجغرافية الملكية ـ لندن، 1839، 447.

المعركة من أكثر المعارك دموية التي خاضها العرب ضد الأتراك. وقد حدثنا رجل كبير في السن أن المرء كان لم يزل يرى هناك حتى قبل عامين قطعاً من الجثث والملابس المتناثرة.

ومما يثير الاستغراب أن المؤرخين البغداديين الذين يسجلون بمنتهى العناية جميع الحملات والرحلات البدوية لا يعرفون شيئاً عن هذه الواقعة. ولكن هذا لا يعني بالضرروة أن الرواية مختلقة، من الممكن أن يكون روسّ قد فهم القصة خطأ أو بادل أدوار المشتركين فيها. ومهما يكن من أمر فإن هذه القصة لا تتيح بأي حال استخلاص فكرة عن قوة القبيلة آنذاك؛ إذ إنه من الممكن جداً أنها كانت في أزمنة سابقة تعيش في الظروف المتواضعة التي عاشت فيها في القرن التاسع عشر[1].

كان الأتراك يعاملون المجمع معاملة سيئة. فقد كان الشيخ أحمد الطاهر، الذي قابله روسّ عام 1836م، فقد بصره بسبب طلقة من باشي بزق[2] لأنه لم يتحمل قيام الجنود بمضايقة نسائه. وبعد عشرين عاماً ونيف ـ وكان قد أصبح عجوزاً ـ زج في سجن بلد بسبب مخالفة طفيفة وظل فيه إلى أن حرره جونز. ولذلك كان المجمع يتحاشون قدر الإمكان الاحتكاك بأجهزة الحكومة. فإذا ما رأوا أن ما يطلبه منهم ضابط سميكة، الذي كان يؤجر الأراضي في المنطقة المروية، مرتفعاً جداً، كانوا ينسحبون إلى البادية ويكتفون بما يحصلون عليه من قطعانهم. ولم يكونوا يقومون بعمليات السلب والنهب بالقوة، بل كانوا يتبعون القوافل عدة أيام أو ينسلّون خلسة في مخيمات القبائل المجاورة لكي يسرقوا[3].

في هذه الأثناء أصبح مجمع الدجيل فلاحين مسالمين. أمّا أخوانهم المقيمين

(1) نيبور، بلاد العرب آرابيين، 390، يذكرها بين القبائل التي كانت تسكن بين بغداد والموصل؛ روسو (1808) 71، يذكرهم بين فلح دجلة قرب بغداد.

(2) جنود غير نظاميين كانوا مكروهين بسبب سوء أخلاقهم، ويعترف بذلك أيضاً كتاب أتراك معاصرون، قارن على سبيل المثال: خورشيد، 101.

(3) روس، نفس المصدر السابق؛ جونز، 257، 267 وما يليها.

على الجانب الآخر من دجلة ـ كما هو الحال لدى الخزرج وبني تميم ـ فإن المجمع أيضاً ممثلون في خراسان/ ديالى ـ فقد حافظوا على عادات السلب والنهب التي كان يمارسها أسلافهم.

المقادمة، الذين يحسبون اليوم مع المجمع، هم بقية من بني جميل[1]، إلا أن المجموعة العراقية الشرقية من هذه القبيلة والتي هاجرت 1838م/ 1839م إلى فارس «إيران» تضم جماعة تحمل الاسم نفسه[2].

المجمع

أ ـ مجمع الدجيل(1)

الشيخ: . . . .(2)

منطقة التجول: الضفة اليمنى لدجلة من بني سعود حتى صدر الدجيل

عدد الخيام والأكواخ: 450

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العذية			100
2 ـ الطعيمة			60
3 ـ القسات(3) «الجسات»			30
4 ـ الغضيب(4)			20
5 ـ الرواشد(5)			
ملحقون بهم:			
6 ـ المقادمة(6) «المگادمة»		السميكة	100

(1) قارن ص 536 أعلاه.

(2) خورشيد، 90.

ب ـ مجمع خراسان/ديالى(7)

الشيخ: علي صالح الهندي(8)
المنطقة: نهر خراسان «خريسان»: دلتاوة ـ محمد سكران
عدد الخيام: 200
ملحق بهم: المقادمة «المگادمة»

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م. قائمة موزيل. الفرات الأوسط، 140، تتضمن الفروع 1 ـ 4. الحجم: حسب جونز، 389: 200 خيمة. حسب خورشيد 215 (فلاحين مسجلين، أيضاً كما هو موجود في الملاحظة التالية): 80 خيمة قارن أيضاً من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي «العربي»، ج2، ص 229 ـ 231.

2 ـ 1916م: محمد المهدي، شيخ العذية (1).

3 ـ بيانات موزيل: الدسات.

4 ـ موزيل: الغضب.

5 ـ روسو؛ 71، يعتبرها قبيلة مستقلة. وأيضاً المنشي البغدادي (1822م)، 35، 82.

6 ـ جونز 384: 150 خيمة، خورشيد 214: (100). الاثنان يعتبرانها مستقلة. موزيل، 127، 137 يحسبها خطأً مع الزوبع.

7 ـ يذكر خورشيد صفحة 208، 200 خيمة في نهاية نهر خراسان «خريسان» وصفحة 213: 70 خيمة في الخالص أيضاً في السالنامه 263 وما بعدها.

8 ـ 1916م: والده صالح الهندي.

بني زيد

ينتشر بني زيد في أماكن متباعدة في العراق شأنهم شأن بني تميم، وهم مثل هؤلاء ملتحقون بتجمعات غريبة. ولقد مرَ معنا في هذا الفصل ثلاث مجموعات منهم: الأولى مع زوبع. على نهر أبو غريب، والأخرتان في الجزيرة تابعتان لزبيد وربيعة[1]. وهناك مجموعة رابعة موجودة على العظيم عند عبيد[2]، وخامسة عند المنتفق (ب 4)؛ وقد جاءت هذه الأخيرة إلى هناك بعد 1850م. وهناك مجموعة واحدة فقط مستقلة تماماً هي: بني زيد ديالى.

خلافاً لبني تميم يقيم بني زيد العراق الأعلى علاقات وثيقة فيما بينهم. وهم يعتنقون المذهب السني، وأيضاً أولئك الموجودون في الجزيرة أي الذين يعيشون في وسط شيعي، وينتسبون إلى قحطان. ولذلك من المرجح أن تكون لهم روابط مع بني زيد العرب الذين هم أيضاً من عرب الجنوب[3].

---

(1) انظر الجدول زوبع، ب، ملحقة، 16؛ الجدول زبيد، ملحقة؛ الجدول ربيعة، آ، ملحقة.

(2) يفترض أنها تضم 500 خيمة. وهذه المجموعة يمكن أن تكون نفس مجموعة بني زيد المذكورين في المصادر القديمة في ناحية كفري؛ خورشيد، 227: القبيلة الفرعية عبابسة، 60 خيمة (فلاحون مسجلون)؛ جونز، 385: 100 خيمة؛ لوكلاما آنيجهولت (Lycklama a Nijeholt)، رحلة، جـ3، 220 وما بعدها: 510 خيام، صيحة الحرب: العُمر!.

(3) انظر مقال: قبائل مستقرة في الفصل السابق، قارن موريتس، جنسية قبائل آرومو في جنوب شرق بابل، باول ـ كتاب تذكاري عام، 211 - 184 Paul - Haupt - Festshrift .

بعد أن نحيل القارئ بخصوص بقية المجموعات إلى المراجع التي ذكرناها أعلاه، نلتفت الآن إلى بني زيد ديالى. وقد ورد ذكرهم لأول مرة عند خورشيد، 209، وذلك على روز (الفرعان قحطان وحمالة مع 50 مسكناً) وعلى المهروت (فرع الرواشد، 40 مسكناً)[1]. ومنذئذ تزايد عددهم كثيراً إذ يقدر عدد مساكنهم الآن بـ 400 مسكن. وهم، شأنهم شأن كثير من قبائل ديالى الصغيرة، عمال زراعيون متنقلون. كانوا قبل الحرب العالمية الأولى يقيمون بصورة رئيسية في ناحية بعقوبة. وخلال الحرب انتقلوا إلى الروز حيث ما زالوا مقيمين حتى الآن.

(1) فلاحون مسجلون. في القوائم نفسها تظهر أيضاً جماعات صغيرة من بني زيد على مصب ديالى (رواشد)، وفي هور عقرقوف (المعاضيد وحمران)، وفي قره تبه (عبابسة) وبالقرب من هذه البلدة؛ خورشيد 207، 222، 219، 225ـ وهناك جماعة صغيرة من بني زيد توجهت إلى شمال سورية، قارن الجزء الأول ص (427 ـ 428) وما يليها؛ وجماعة أخرى إلى أورفه.

العزة

العزة قبيلة بلا تاريخ، فليس هناك أي ذكر لاسمها في كتب التاريخ، ولا يوجد حكايات متناقلة تتحدث عن ماضيها[1]. وهذا الأمر ملفت للانتباه بشكل خاص لأن العزة حتى الحرب العالمية الأولى كانوا ما زالوا بمعظمهم بدواً رحلاً، ومن المعروف أن البدو الرُحّل يهتمون عادة بالتقاليد وتناقل الحكايات.

تمتد منطقة تنقل العزة بين شط العظيم والخالص على خط يمتد من عيط (جبل صغير قبل جبل حمرين، على الجانب المقابل لشط العظيم) حتى دلي عباس «المنصورية» مروراً بالغرفا. على نهر الخالص يعمل العزة في الزراعة (فلاحون) وهم في الغرفا وعلى شط العظيم الأسفل نصف بدو رُحّل، وعند عيط مربو جمال. وهم منتشرون خارج هذه المنطقة أيضاً وفي مناطق بعيدة، منها مثلاً: قرب سامراء (البو محمد) وعلى قناة اليوسفية وفي المحاويل[2].

كان العزة في الماضي متخاصمين مع العنبكية[3]، جيرانهم على نهر

(1) حسب العزاوي في المنشي البغدادي، 35، فإن العزة هم من زبيد وأقرباء للجبور والدليم وعبيد.

(2) انظر الجزء الأول، 402، الملاحظة 7، 10؛ والجزء الثالث، الجدول زوبع، ب ملحق 1، الجدول زبيد ب4.

(3) انظر الجدول: قبائل صغيرة في منطقة ديالى، أ 2.

الخالص، ومع الكروية[1] والبيات[2].

في عام 1915م كان غضبان الخلف شيخاً لقبيلة العزة. وقد ظل مع الجزء الرُحّل في القبيلة وفياً للأتراك حتى بعد الاحتلال الإنجليزي بعقوبة، بينما وقف ابن أخيه علي عبد اللطيف إلى جانب الإنجليز. في صيف 1917م توفي غضبان فعيّن الأتراك الشاب حبيب الخيزران خلفاً له. وفي نهاية العام خضع حبيب أيضاً للإنجليز بعد أن كانوا قد احتلوا في الخريف خط ديالى. وهو الآن أقوى شيخ لدى العزة وأكبرهم نفوذاً، يليه عطية العبد الله. أمّا علي عبد اللطيف فقد توفي قبل بضعة أعوام. وكان ثلاثة من أبنائه في الجيش العراقي، وقد سقط أكبرهم سناً عام 1941م.

العزة(1)

شيخ المشايخ: حبيب الخزيران

منطقة التنقل: بين شط العظيم ـ الخالص

عدد الخيام: 1000

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ البواجود			
2 ـ البو طراز(2)			
3 ـ البو عواد(2)			
4 ـ البو بكر(2)			
5 ـ البو نجدي			

(1) انظر الجزء الأول، 404 وما بعدها.

(2) لم يسجلوا. البيات من أصل تركي، لكنهم مخلوطون بعناصر عربية وكردية. وهم يتكلمون اللغة العربية واللغة التركية. المنطقة: طوز خورماتو ـ كفري ـ قره تبه.

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916. عزاوي في المنشي البغدادي، 50، يذكر 1 ـ 4. خورشيد، 208، 210 وما يليها، 216، 218، 225 يذكر 200 فلاح مسجل على الخالص، و60 عند سامراء، وكذلك بعض الفئات الصغيرة عند طاووق وعلى خراسان ومهروت ومندلي. ومن الملفت للنظر أن العزة كان لها آنذاك 80 بيتاً في بغداد. سالنامه، 264 وما يليها، تسمي عزة فلاحي ناحية الخالص وتذكر على المهروت 50 خيمة وعند شهربان 15 خيمة.

2 ـ سالنامه، 264، تذكرهم في ناحية الخالص. والبو محمد المذكورون هنا أيضاً هو قسم من الفخذ الذي ورد في النص ويحمل الاسم نفسه.

الجبور

لم يذكر خورشيد ولا جونز الجبور في المنطقة الواقعة شرقي نهر دجلة. وهذا يعني أنهم هاجروا إلى هناك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر قادمين من أعالي ما بين النهرين. يتألف الجبور من ثلاث مجموعات يسكنون إلى جانب بعضهم البعض في جبل حمرين وعند شهربان وعند قزلرباط (السعدية).

تمتد المجموعة الأولى من منطقة قرة تپه عبر جبل حمرين وحتى ديالى عند منصورية الجبل. أمّا المجموعة الثانية فتجاور الأولى من جهة الجنوب وتعيش في شهربان وحنبس وأسبود ـ وهما قريتان تقعان على قناتين فرعيتين لنهر خراسان تحملان الاسمين المذكورين ـ وعلى سنسل، وهي قناة متفرعة من نهر مهروت، وعلى صدر الهارونية. وأمّا المجموعة الثالثة، وهي الأضعف، فتسكن في ناحية الزاوية الواقعة جنوب قزلرباط.

جميع هؤلاء الجبور مزارعون لهم أماكن سكن ثابتة. وكانت مجموعة جبل حمرين خلال الحرب العالمية الأولى لم تزل مجموعة محاربة قوية وقادرة على إرسال بضعة مئات من المحاربين الخيالة إلى ساحة المعركة. وكانت آنذاك تقوم عداوة بينها وبين الكروية[1] المجاورين لها. وجبور الشهربان لا يقلون عدداً عن أخوانهم في الشمال لكنهم ليسوا في مستواهم من ناحية القوة القتالية. والقبيلة

(1) انظر الجزء الأول، 525 وما بعدها.

الصغيرة المهدية خاضعة لنفوذهم.

الجبور(1)

أ ـ جبور جبل حمرين

شيخ المشايخ: عواد السلطان

منطقة التنقل: قره تپه ـ منصورية الجبل

عدد الخيام والبيوت: 300

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الجبور		شمال غرب منصورية الجبل	
2 ـ لهيب(2)		الضفة اليمنى نارين چاى	
ملحق بهم			
3 ـ بني عز(3)		شمال غربي قره تپه	

ب ـ جبور شهربان(4)

شيخ المشايخ(*): . . .

منطقة التنقل: شهربان: حنبس، أسيود؛ سنسل؛ صدر الهارونية

عدد الخيام والبيوت: 300 ـ 400

ج ـ جبور قزلرباط

الشيخ: حمد العنبر

منطقة التنقل: زاوية

عدد الخيام:

(*) المرعب هو الإسم الذي يطلق عليهم ورئيسهم عطية العبدالله ومنهم في صدور شهربان وفي الهارونية وفي قزلرباط (السعدية) رئيسهم على الوگاع. العزاوي ـ عشائر. ج3 ص81. (م. شبّر).

ملاحظات حول الجداول

1 ـ تعود إلى عام 1916م، أُعيد النظر بأسماء الشيوخ عام 1939م.

2 ـ قارن جدول زبيد آ، جـ 2، 4، الجزء الأول، 303.

3 ـ انظر الجزء الأول، 404 وما بعدها.

4 ـ سالنامه، 265 وما بعدها: 30 خيمة في ناحية شهربان، 30 خيمة في ناحية الهارونية، 100 خيمة على المهروت، 100 على ديالى وحنبس وأسيود، وأخرى على سنسل.

5 ـ سالنامه، 259[*].

(*) لا يوجد رقم لهذا الهامش في جداول الجبور. (شبّر).

قبائل صغيرة في منطقة ديالى

تستغل مياه ديالى السريعة الجريان بواسطة شبكة من القنوات تبدأ مباشرة بعد اختراق النهر لجبل حمرين. على الضفة اليمنى نجد قناة الخالص التي تسير في مجراها الأعلى في نفس اتجاه ديالى وتروي الأراضي الواقعة على يمين النهر بواسطة كثير من القنوات الفرعية. وفوق الدلتاوه يتفرع الخالص إلى كثير من الفروع التي تصل تقريباً إلى دجلة وإلى مسافة قريبة من بغداد[1]. ومن الضفة اليسرى لديالى تتفرع قنوات بلدروز وشهربان والمهروت ونهر خراسان/ خريسان. تنقل القنوات الثلاث الأولى المياه من الشمال إلى الجنوب إلى مسافات بعيدة في عمق البادية، بينما يجري نهر خراسان «خريسان» موازياً لديالى ويكاد أن يلتقي معه تحت بعقوبة.

كانت المنطقة التي يرويها نهر ديالى تشكل في العهد العثماني ناحية خراسان التي أخذت اسمها من "طريق خراسان"، الطريق التي تؤدي عبر بعقوبة وشهربان إلى فارس، وهي تشكل اليوم لواء ديالى الذي يضم في الشمال منه ناحية خانقين مع قزلرباط/ السعدية، وفي الشرق ناحية مندلي.

(1) يسمى المجرى الأعلى من القناة "خالص غربي" (غربي تعني هنا "شمالي") ويسمى الفرعان الرئيسيان للمجرى الأسفل "خالص شرقي" و"التحويلة" التي تسمى أيضاً "المشيرية" و"الوزيرية"..

قارن سالنامة، 263.

يسكن على ضفاف قنوات ديالى أناس في غاية التنوع لا يقدم الجدول سوى صورة ضعيفة وناقصة عنه لأن جزءاً من تسجيلاتنا ضاع بسبب أضرار القصف الجوي، وإلى جانب الفلاحين الذين يسكنون بصورة رئيسية في القسم الأسفل من الخالص[1] يوجد هنا عدد لا حصر له من القبائل الصغيرة والجماعات القبلية المتفرقة.

لقد اختفى الزبيد الذين كانوا يسكنون في نهاية القرن السابع عشر على قناة مهروت (انظر الصفحة 411 أعلاه)، دون أن يتركوا بين سكان المنطقة أي آثار ظاهرة[2]. على عكس ذلك فإن بني تميم، الذين يذكرهم نيبور (1765م) على مصب ديالى، ما زالوا موجودين في هذه المنطقة. ولقد أثبتت قائمة شبرنغر رقم 125 وجود قبيلة أخرى عام 1818م هي العنبكية (أ 2). ولدى خورشيد، 1850م، يصبح جزء كبير من السكان الحاليين معروفاً. ومنذئذ انضم لهم مجموعتان جديدتان هما: الجبور، الذين تعرفنا عليهم سابقاً، والبو عامر (آ 4).

جاء البو عامر من أبو غريب جنوب غرب بغداد (راجع الصفحة 401 أعلاه). إضافة إلى هذا فقد حدث عموماً تبادل سكاني بين المناطق الواقعة على هذا الجانب أو ذاك الجانب لنهر دجلة، ومن الأمثلة على ذلك، علاوة على بني تميم، قبيلتا الدجيل الرئيسيتان الأخريان وهما الخزرج والمجمع، اللتان تعيشان على قنوات ديالى. وفيما عدا ذلك جاءت الهجرات بصورة رئيسية من المناطق الواقعة شرقي دجلة. وهكذا استوطنت مجموعات من شمر طوقة: الباوية والسكوك وعتبة (جـ 2، 3، هـ 6)، على المهروت والروز، وبعضهم منذ زمن بعيد.

(1) خورشيد، 179.

(2) الزبيدات والمعامرة (الجدول: زبيد آ) الذين تنسبهم سالنامه، 263، 265 (قارن عبد الرزاق الحسني، 179) إلى الهارونية وخُراسان، هم مهاجرون حديثون.

بسبب موقع المنطقة فمن المتوقع أن تكون جاءت إليها جماعات غريبة. وهذا ما حدث بالفعل. فالخيلانية (د 4) أكراد من منطقة إربل. والدهلكية (هـ 3) يعتقدون أنهم ينحدرون من عبادة (عقيل) لكنهم يحملون اسماً كردياً. وهناك مجموعة تبدو مشبوهة أيضاً. فهي تحمل الاسم العريق "قيس" وتضم قبائل الكروية[1]، والكرخية، والداينية، والجورانية (جـ 1، هـ 2، 4). ذلك أن الاسمين دايني وجوراني غير عربيين، والاسمين كروية وكرخية ليسا من أسماء القبائل. أمّا كيف حصلت هذه المجموعة على الاسم العربي العريق "قيس"، فليس معروفاً. ويبدو أن العنبكية هم من أصل تركي. إذ إن كلمة عنبكية هي تحسين قديم لكلمة عَنَه ـ بكلي أو بالأحرى عنبكي، وهذا اسم قبلي تركماني. وعنه هي الطريقة التركية في الكتابة أو بالأحرى للفظ اسم البلدة الفراتية عانه التي كان يوجد في محيطها حتى مطلع القرن السابع عشر قبائل تركمانية (انظر الجزء الأول، 108، 109). وكان عنبكية في بداية القرن الماضي مكلفين بحماية طريق دلي ـ عباس ـ كفري في جبل حمرين ولذلك كانوا معفين من دفع الضرائب العقارية[2]. وممن هم من أصل غريب بشكل واضح تماماً الشيشن (الشيشان) على قناة شهربان[3] وهم قوقازيون مسلمون صادفناهم في الجزء الأول (ص 113) كسكان لراس العين. وكذلك شيشان «چيچان».

باستثناء بعض جماعات شمر طوقة نصف الرُحّل، والدهلكية، والداينية، فإن جميع قبائل ديالى فلاحون. وبما أن كثيراً منهم يبدلون أمكنتهم كل عام أو خلال

(1) لقد عولجت الكروية، الذين يسكنون في جبل حمرين من قرة تپه حتى قزلرباط، في الجزء الأول، 404 وما بعدها.
ويقدر عدد مساكنهم بحوالى 400 ـ 500 مسكن. وممن يرد ذكره أيضاً في منطقتنا القبيلة الفرعية جمعيات التي تسكن، حسب خورشيد، 210، وسالنامه، 256، قرب شهربان ـ هاروتية.

(2) المنشي البغدادي، 52 وما بعدها.

(3) قارن سالنامه، 265.

فترات زمنية أطول ويعملون مرة على هذه القنال ومرة على تلك[1]، فمن الممكن اعتبارهم عمالاً زراعيين متنقلين. ولقد أدت هذه الطريقة في الحياة إلى تشتت القبائل بصورة لا تظهر بوضوح كامل في جدولنا. ويبدو أن بعض الوحدات التي ذكرت في القوائم القديمة قد فقدت في هذه الأثناء الطابع القبلي، ومن بينها على سبيل المثال: البو منعه[2] والقصيريين[3] على نهر الخالص الأدنى.

ملكية الأرض هي غالباً ملكية عامة، وعلى المهروت الأدنى منذ السلطان عبد الحميد ملكية للتاج السلطاني، وعلى الضفة اليسرى خراسان «خريسان» وقف تابع لجامع عبد القادر الكيلاني في بغداد. في العهد العثماني كانت حصص الفلاحين منخفضة جداً بشكل مؤلم. في خراسان لا يبقى للفلاحين بعد حسم البذار ودفع حصة الحرفيين المكلّفين بصيانة القنوات سوى خمسي المحصول. وإذا ما زادت المساحة على فدان[4] واحد يتدخل السركال يكون شريك وضامن في آنٍ معاً مما يؤدي إلى تخفيض حصة الفلاح إلى أقل من الخمسين. وعلى الخالص كانت السلطات المالية تملك حقوق المياه وكانت تأخذ من المالكين مقابل ذلك نصف المحصول بالإضافة إلى رسم الواسطة. وكانت هناك بعض القرى التي هجرها سكانها نتيجة لابتزازات الضمّانة ـ كانت جميع عائدات الدولة تعطى لأشخاص ـ وغارات البدو، بحيث أن السلطات المالية الحكومية كانت تلاقي صعوبة في إيجاد الفلاحين المستعدين للعمل بشروط مماثلة للشروط المطبقة في خراسان«خريسان».

(1) سالنامه، 262، ولذلك هناك تباين في المعلومات المتعلقة بأماكن السكن بين خورشيد وسالنامه وجدولنا.

(2) ماكس فرايهرفون أوبنهايم، من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي «العربي»، جـ 2، 233؛ في «رقا Ragga»؛ سالنامه، 264، خورشيد، 224: عند قره تپه.

(3) خورشيد، 213: في القرية التي تحمل الاسم نفسه؛ ماكس فرايهرفون أوبنهايم، نفس المصدر السابق، كسكان لقرية السواكن القريبة من بغداد. والسواكن هي أيضاً اسم قبيلة، خورشيد، 214؛ المنشي البغدادي (1822)، 35، 49.

(4) مساحة يزرع فيها طغار واحد (حوالى 32,5 سنتمتر = 1625,5 كغ) قمح أو 2 طغار شعير؛ خورشيد، 145؛ سالنامه، 262.

هكذا كان الوضع في هذه المنطقة عام 1850م (خورشيد، 145 وما بعدها، 179 وما يليها، 182). في بداية القرن الحالي كانت حالات الاستغلال السيئة جداً، قد زالت، لكن النظام الزراعي القروسطي يبدو أنه، استناداً إلى ملاحظة في سالنامه (162 وما بعدها)، ظل قائماً.

على الرغم من التنقلات الدورية المذكورة أعلاه فإن الوحدات الكبيرة لها مناطق نفوذ معيّنة. فعلى الخالص الأعلى تسيطر العزة، وعلى المهروت الكرخية والسكوك (شمر طوقة)، وعلى الشهربان الجبور، وعلى الروز بنو تميم الذين هم أقوى قبيلة في هذه المنطقة. تحت قيادتهم تصدت قبائل ديالى في ربيع 1917م للإنجليز الذين لم يصلوا بعد احتلال بغداد في البداية وحتى قبل احتلال بعقوبه لكنهم سعوا إلى كسب التأييد السياسي في المنطقة التي أخلاها الأتراك شرقي ديالى. ولم تتوقف المقاومة إلا بعد أن تجمع الإنجليز في منتصف يوليو/ تموز في كسب جزء من بين تميم والسكوك بحيث تمكنوا في الشهر نفسه من احتلال بلدروز ثم في سبتمبر/ أيلول رؤوس القنوات التي ظلت في يد الأتراك حتى ذلك الحين.

خلال الثورة العراقية انتعشت المقاومة من جديد. ففي ربيع 1920م بدأت تتكرر عمليات السطو على الطريق الكبيرة المؤدية إلى فارس. وبعد اندلاع الثورة (في تموز) هاجم الكرخية بعقوبة التي أخلاها الإنجليز بعد ذلك بوقت قصير، وسيطر العزة على دلتاوة. وبذلك أصبحت منطقة ديالى بكاملها تحت سيطرة الثوار. وفي الخريف بدأ الإنجليز باستعادة المنطقة التي فقدوها. احتلوا في البداية بعقوبة. وفي 6 سبتمبر/ أيلول بدأ التقدم على الطريق الكبير، وفي 8 سبتمبر/ أيلول هزمت القبائل شمالي أبو جزرة وتراجعت إلى مهروت. وبعد محاصرتهم من قبل الإنجليز فرّ الجزء الأكبر من الثوار، حوالى 600 رجل. وبعد ذلك هزم أيضاً الشيخ حميد الحسن الذي ظل صامداً مع قومه بني تميم، ثم اضطر إلى التخلي عن القتال لأن قوات إنجليزية كانت في طريقها إليه قادمة من إيران عبر قزلرباط[1].

(1) ريفيو، 144، 147؛ زتّون بوكانان، في أيد العرب.

قبائل صغيرة في منطقة ديالى(1)

أ ـ على الخالص(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العزة(3)		دلي عباس	
2 ـ العنبكية(4)	حسن العبدال	الماجدية ـ الوندية	
3 ـ المجمع(3)		دلتاوة ـ محمد سكران	
4 ـ البو عامر		حميرة ـ الجديدة	
أ ـ البو غزلان(6)			75
ب ـ البو مسرة(7)			30
ج ـ		هور الراشدية	60
د ـ		خان بني سعد	95

ب ـ على قناة خراسان «خريسان»(8)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المجمع(5)	علي صالح الهندي	نهر خريسان	
2 ـ الخشالات			
3 ـ الجبور(9)		حنبس: اسيود	

ج ـ على المهروت(10)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الكرخية(11)	متعب الابراهيم(12)		350
	قسام الدقة	بهرز ـ بلدروز	
	قاسم الحسين السهيل(13)		
2 ـ الباوية(14)	محمود المسلم	بهرز ـ بلدروز	70
3 ـ السكوك (الزكوك)(15)	عبد الله الحسوني	على منحدر القناة	200
4 ـ الخزرج(16)			60
5 ـ بني تميم(17)			
6 ـ الزهيرية(18)			
7 ـ النعيرات(19)			10
8 ـ الجبور		قناة سنسل	

د ـ على قناة شهربان(20)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الجبور		شهربان: صدر الهارونية	60
2 ـ المهدية(21)			
3 ـ بني تميم(22)			
4 ـ الخيلانية(23)			

هـ ـ على قناة بلدروز (الروز)(24)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ بني تميم(25)	حميد الحسن	شمال بلدروز	800
2 ـ داينية(26)		الجنوب الشرقي بلدروز	130
3 ـ دهلگي(27)	شطب العباس		70
4 ـ جوراني(28)			30
5 ـ العوادل(29)			60
6 ـ العتبة(30)			100
7 ـ بني زيد			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م. الجدول، كما ذكرنا أعلاه، غير كامل. فهو لا يتضمن، مثلاً بني عز الذين ورد ذكرهم في الجزء الأول، ص 404 وما بعدها. وكذلك بني سعد وبعض المجموعات الصغيرة الأخرى.

2 ـ خورشيد 213 (فلاحين مسجلين ـ كذلك أيضاً فيما يلي) يذكر هنا القبائل 1 ـ 3، 4 آ. سالنامه، 264: 1 ـ 4، 4 ب للناحيّة، اليوم في منطقة الخالص. ولأن هؤلاء يصلون إلى العظيم فقد ذكرت السالنامه القبائل الموجودة هناك أيضاً، أي بعض أجزاء العزة والعبيد والصميدع. الصميدع ـ حوالى 200 خيمة ـ يعيشون في ظل النعيم في جبل حمرين. (انظر الجزء الأول، 388، 389 وما بعدها). يربون الأغنام والجمال ويقومون بعمليات النقل. ويظهر بعض المهاجرين الجدد لدى عبد الرزاق الحسني 179 وما بعدها: قرطان وشدادة، انظر الجدول، زوبع ب، الملحقين رقم 4، ملاك «ملاچ»، ربما ملاك وغيرهم، الملاك «الملاچ» هم بقارة

أو طي، انظر الجزء الأول ص370، ملاحظة 25.

3 ـ انظر صفحة 558 أعلاه.

4 ـ المنشي البغدادي، 52: عانة بيجي، خورشيد وللسالنامه: «عانه» عنه بيجلي بـ 150 خيمة (خورشيد). على خارطة ما بين النهرين (طبعة أولية)، بغداد. في 1917. ورد ذكر مخيم للقبيلة (في بيجي) شمال شرق دلتاوة.

5 ـ جدول المجمع ب.

6 ـ خورشيد 35 خيمة، يضاف إليها 15 في أبو غريب (ص: 217).

7 ـ حسب السالنامه موجودة إلى جانب البو عامر.

8 ـ خورشيد، 208، سالنامه جـ1، 263: 1، 2.

9 ـ الجدول، جبور ب.

10 ـ خورشيد، 209، يذكرها القبائل 1، 4، 5، 6، 8 (صفحة 266) سالنامه. 266 1 ـ 2 ـ 3 (شمر)، 6.

11 ـ خورشيد، 200 خيمة، سالنامه: نفس العدد، جونز 385: 300 خيمة بالقرب من قرّة تپه حيث يذكر خورشيد فقط 7 خيم للقبيلة.

12 ـ 1916م: والده إبراهيم البرغش.

13 ـ 1916م: والده حسين الشبل.

14 ـ الجدول، شمر طوقة 19.

15 ـ الجدول، شمر طوقة 17.

16 ـ الجدول، الخزرج ب.

17 ـ انظر الملاحظة 25.

18 ـ خورشيد: 70 خيمة، سالنامه: 100 ـ قيس، شيعة.

19 ـ سالنامه 265: 30 خيمة على الهارونية؛ خورشيد 207 وما بعدها، 222، 225 يذكر تحت اسم بني نعير في خراسان «خريسان» (45 خيمة) وفي ديالى السفلى (22؟) بالإضافة إلى أقسام في الحلة وقرة تپه.

20 ـ يذكر خورشيد في منطقة شهربان القبائل 2، 3، 4. سالنامه 265: 1، 2، 4، وضمنياً 3 (قارن أعلاه الملاحظتين 10 و11 مع جدول بني تميم).

21 ـ خورشيد، 60 خيمة. سالنامه: 30 وأخرى في سنسل.

22 ـ انظر صفحة 542 وما بعدها أعلاه.

23 ـ خورشيد (خيلاني): 30 خيمة. سالنامه: 25 السالنامه تذكرهم أيضاً في خراسان.

24 ـ خورشيد 209 يذكر القبائل 1 ـ 4. سالنامه 265: 1 و5.

25 ـ الجدول بني تميم. يتضمن عدد الخيم جـ5 و د3.

26 ـ خورشيد: 100 خيمة يضاف إليها 30 في جصّان (ص: 211) سالنامه 300.

27 ـ خورشيد: 50 خيمة. سالنامه: 100 و50 خيمة لمجموعة أخرى من القبيلة تقطن في قرة تپه. وقد سبق أن ذكرت من قبل خورشيد، 227.

28 ـ خورشيد: غوراني (في النص جوراني) بلفظ (ج) بدلاً من (غ) 20 خيمة. سالنامه: 50. ويرد ذكرهم في السالنامه أيضاً في المهروت 90 خيمة ويبدو أن الجورانية قد سكنوا سابقاً بعيداً في الجنوب الشرقي. لأن لايارد JRGS (1846)، 45، يذكرهم (جورانية حسب اللهجة المحلية) ضمن قبائل بني لام.

29 ـ سالنامه: 30 خيمة ومثلها في مندلي (ص: 254). ـ في الأصل نسبة إلى شمر طوقة.

30 ـ الجدول شمر طوقة 3 «ص523 أعلاه».

قبائل صغيرة عند أسفل الجبال الإيرانية

كما هو الحال في منطقة ديالى تقدم أيضاً أطراف الجبال الإيرانية المأوى لعدد من القبائل الصغيرة وأجزاء القبائل المتفرقة. ويتجمع هؤلاء حول المستوطنات الثلاث القديمة قزلرباط، ومندلي، وبدره[1]. تحصل قزلرباط على المياه من ديالى، ومندلي من آب گنگير[2] الذي يتفرع في نطاق البلدة إلى كثير من الفروع والقنوات التي تتحد مرة أخرى عند واحة قزانية/ جيزاني، التي تقع على مسافة ساعتين نحو الجنوب، وتروي ناحية دحلة الواقعة على النهر نحو الأسفل. تروى بدرة والزرباطية المجاورة لها من نهرين جبليين صغيرين يتحدان في مجرى واحد عند الحدود الفارسية. وهنا أيضاً يوجد فوق المجرى المتحد وتحته عدد كبير من القنوات والتفريعات التي تمتد إلى الجنوب متجاوزة قرية جصّان[3] الواقعة في عمق البادية. بين فبراير/ شباط ويوليو/ تموز تملأ مياه آب گنگير ونهر بدرة ونهر ترساق[4] الواقع بينهما، الأهوار الكبيرة الواقعة شمال الكوت، بينما تغور في البادية الوديان الصغيرة ـ التي تسمى هنا خر ـ بعد أن تجري مسافة قصيرة فقط. وجميع هذه الأنهار تحتوي مياهها على الأملاح بنسب متفاوتة.

(1) لم تذكر قبائل خانقين. من القبائل العربية يوجد هنا (وعند قزلرباط) الكروي (الكروية). أما بنو تميم الذين يذكرهم خورشيد، 130، قارن 212 أيضاً، فلم يعد لهم وجود هناك.

(2) اللفظ المحلي، اللفظ الأدبي: جينجير.

(3) الأتراك يكتبون جسّان. لم تسجل قبائل جصّان.

(4) حسب خورشيد، 105؛ أدبياً ترساق.

يشكل سكان الأماكن المذكورة خليطاً تغلب عليه الأصول الإيرانية (الفرس، الأكراد، اللوريون). في الأصل كانت توجد هنا مستوطنات تركية (قبل العثمانية) كما هو الحال الآن في مدن الطرف الشمالي من إربل حتى كفري؛ إذ كان الناس يتكلمون في قزلرباط حتى بداية القرن الحالي، وفي مندلي ما زالوا يتكلمون حتى الآن، اللغة التركية (إلى جانب الكردية واللورية والفارسية والعربية، بينما في بدرة طردت اللغة اللورية اللغة التركية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر[1].

أمّا في أوساط السكان القبليين فيطغى العنصر العربي إلى حد كبير وإن كانت العوامل الإيرانية موجودة أيضاً. فالزرقوش، الذين كانوا قبل الحرب العالمية الأولى يسكنون قرب قزلرباط[2]، هم من ناحية الأصل فيلي ـ لورين، والقره أولس، الذين يمتدون من إيران حتى مندلي، هم تركمان تحولوا إلى أكراد[3]. أمّا المعلى (ب 11) والحمد (جـ 1) فيشتملون على عناصر كردية ولورية.

من المعروف أن الجزء الغربي من هذه المنطقة ـ تقريباً حتى خط بلدروز ـ مندلي ـ يقع في نطاق المنطقة التي تتنقل فيها شمر طوقة. وكما على الروز فقد استوطنت في الأوقات الأخيرة عند دحلة أجزاء من هذه القبيلة.

في القرن الماضي كان بنو لام، الذين يتمركزون بصورة رئيسية على دجلة الأسفل، يتنقلون حتى مسافة قريبة من مندلي. وكانت أجزاء من هذه القبيلة القوية قد استوطنت في حوالى عام 1850م على نهر ترساق، مما أزعج شيخهم الذي خشي أن يؤدي ذلك إلى إضعاف سلطته[4]، وكان محقاً في ذلك كما سيتبين في وقت لاحق. إذ إن القبائل الثلاث التي انبثقت عن بني لام، والتي تسكن بين آب تلخ[5] وبدره،

(1) قارن خورشيد، 103، مع سالنامة، 282.

(2) هربوا من الأتراك في نهاية الحرب إلى مندلي.

(3) راجع الصفحة 340، 341 أعلاه.

(4) خورشيد، 106.

(5) جدول مائي جبلي يصب في آب گنگير، فوق ترساق.

وهي المعلى، والحمد، والطعان (ب 11، جـ 1، 2)، قد أصبحت الآن مستقلة تماماً. وقد انضم إليهما بعد عام 1918م قبيلتان أخريان هما: الرحمة والخميس.

أمّا بقية القبائل فكانت، فيما عدا بعض الاستثناءات القليلة، تعيش عام 1850م في هذه المنطقة. وفيما يتعلق بأصلها فإن بعضها جاء من الغراف نحو الأعلى ومنها ربيعة (أ 1) والمياح (ب 5). لكن أكثرية القبائل جاءت من مناطق بعيدة. يبدو أن النده (النداوات) (ب 1)، أهم القبائل القديمة في مندلي، جاؤوا من منطقة سامراء وكذلك بني ويس (أ 2)[1]. وجاء البو جواري (ب 2) من نفس المنطقة؛ ولم يزل عدد منهم موجوداً حتى اليوم تحت سامراء (انظر ص 539 أعلاه). وفيما يتعلق بالحريث (ب 9) أعتقد أنهم جزء من فخذ يحمل الاسم من طي الشمامك (الجزء الأول، 275، ب 2)؛ من المعلوم أن الطريق من الزاب الأكبر إلى العميريات[2] أبعد من الطريق من سامراء إلى مندلي. وكان بنو عقبة (ب 10) وساعدة (ب 2) كانوا ينتمون في يوم من الأيام إلى دائرة بني لام[3]. وليس مستبعداً أن يكون بنو عقبة هؤلاء ينحدرون من بني عقبة المقيمين على ساحل البحر الأحمر (الجزء الثاني، 478) وأنهم رافقوا بني لام في رحلتهم من الحجاز إلى الحدود الفارسية. أمّا ساعدة فيفترض أنهم ينتمون إلى القبيلة التي عالجناها أعلاه ولكنهم يضمون كثيراً من الأجزاء الغريبة من بينهم خفاجة. وأمّا المعدان (ب 12) فهم من ناحية المنشأ كعب. وفيما يتعلق بالخزرج[4] فيمكن الشك في أن يكونوا قد جاؤوا من دجيل عبر مهروت أم من دجلة الأسفل؛ إذ إن مندلي تقع، كما تبين من الأمثلة السابقة، على تقاطع طرق الهجرة القادمة من الشمال الغربي والجنوب الشرقي.

---

(1) روسو (1808م) يذكر القبيلتين فوق دجيل على دجلة. ولكن كلمة "على دجلة" لا يجوز فهمها حرفياً لأن روسو ينقل أيضاً البيان إلى هناك (انظر الصفحة 558 أعلاه). ويذكر خورشيد، 224، 226، مجموعة من بني ويس عند قره تبه.

(2) منطقة جنوب شرق مندلي مسماة كما يبدو باسم مزار الشيخ عمير.

(3) مجلة الجمعية الجغرافية الملكية لندن، 1846م، 45 (لايارد) يحسبهم من بني لام.

(4) سالنامه، 254: 50 خيمة قرب مندلي. وعدم وجودهم في الصورة المأخوذة هو مجرد مصادفة.

كثير من قبائل هذه المنطقة فلاحون، وبعضهم نصف رُحّل يتنقلون ضمن منطقة محدودة جداً. ندى «النده» يغادرون في بداية الربيع ضفة "آب نفط" (شمال الطريق بلدروز ـ مندلي) لكي ترعى قطعانهم في السهول. ويتنقل البو جواري وساعدة بالتبادل بين آب نفت «نفط» (غربي مندلي) وهين النقيب التي يرويها نبع والتي لهم فيها بساتين نخيل. المعدان وحدهم يقطعون مسافات طويلة في تنقلهم لأنهم يربون الجواميس ومضطرون إلى الذهاب إلى أماكن وجود الماء؛ يستقرون في الشتاء بين مندلي وجيزاني لكنهم يذهبون في الصيف إلى المناطق المجاورة لتفرعات آب گنگير وترساق المستنقعية.

في العهد العثماني كان الفلاحون في هذه المناطق النائية يخضعون لضغط ضريبي أقل من الضغط الذي يتعرض له أمثالهم على الديالى. في قزلرباط كان يتبقى للمالك ثلثا المحصول الصيفي وثلث المحصول الشتوي، وفي بدره كان يتبقى له خمسة أسداس[1].

لا نعرف مدى تأثير استخراج النفط[2]، الذي بدأ بين خانقين ومندلي، على حياة القبائل.

يبدو أن قبائل مندلي وبدره هم جميعاً شيعة[3]. وكان أبناء الندى «النده» والمعلى يمارسون خلال الحرب العالمية الأولى أعمال السلب والنهب ويذهبون لهذا الغرض إلى البادية أو عبر الحدود إلى الجبال. وفي هذا الصدد يتمتع بنو ويس[4] بسمعة سيئة بشكل خاص، لكنهم قدموا عام 1915م عدداً من رجالهم للمشاركة في الجهاد.

(1) خورشيد، 103، 145. حجم الضرائب كان هنا أيضاً يختلف من ناحية إلى أخرى.

(2) كان النفط يستخرج ويستهلك هنا دوماً بطرق بدائية.

(3) لا يوجد معلومات عن ب 1 ـ 3.

(4) قارن أيضاً خورشيد، 219.

قبائل صغيرة عند أسفل الجبال الإيرانية(1)

أ ـ عند قزلرباط / السعدية(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ ربيعة(3)		قزلرباط	150
2 ـ بني ويس(4)		قزلرباط	100
3 ـ الجبور(5)	حمد العنبر	زاوية	100

ب ـ عند مندلي(6)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الندى(7)		آب نفت	250
2 ـ البو جواري(8)		آب نفت	250
3 ـ الساعدة(9)		آب نفت	200
4 ـ الزهيرية(10)		مندلي ـ آب گنگير	20
5 ـ المياح(11)		دحلة	10
6 ـ الدلفية(12)		دحلة	
7 ـ الرديني(13)		دحلة	250
8 ـ البو فرج(14)		عميريات	40
9 ـ الحريث(15)		عميريات	20
10 ـ بني عقبة(16)		عميريات	40
11 ـ المعلى(17)		آب تلخ	250

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
12 ـ المعدان		مندلي	20
13 ـ السادة(18)		بزائز ترساق	20

ج ـ بدرة

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحمد(19)	عبد الحسن اليوسف	ترساق: مرزابات	250
2 ـ الطعان(20)	نصيف الشاطي	زرباطية	
3 ـ الرحمة(21)	شياع الصفوق		
4 ـ الخميس			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1916م6.

2 ـ خورشيد: 211 قارن 130، يورد القبيلتين 1 و2، سالنامه 259: 1 ـ 3.

3 ـ خورشيد: 100 خيمة.

4 ـ خورشيد: 50 خيمة.

5 ـ جدول الجبور جـ.

6 ـ خورشيد: 210 وما بعدها يذكر 1 ـ 3، 7 ـ 10، سالنامه 254 وما يليها 1 ـ 4، 8 ـ 11.

7 ـ خورشيد: 100 خيمة، بالإضافة إلى عدد آخر فوق بغداد (ص: 214) جونز 385: 300 خيمة، سالنامه: 150 خيمة.

8 ـ خورشيد: 10 خيم، سالنامه: 300 خيمة.

9 ـ خورشيد: 10 خيم، سالنامه: 150 خيمة.

10 ـ سالنامه، (زهيري): 50 خيمة، قارن جدول قبائل صغيرة في منطقة ديالى، جـ 6.

11 ـ خورشيد: 212، يشير إلى وجودها في قزلرباط. سالنامه، 265 في شهربان، عالم الإسلام الجزء الثاني رقم 178 (1914م) عند قزلرباط.

12 ـ جدول شمر طوقة، 20.

13 ـ قبيلة مختلطة الدماء.

14 ـ خورشيد: 40 خيمة في القزانية، سالنامه 100 (بما فيها حريث وبني عقبة) في العميريات ـ عزة؟.

15 ـ خورشيد: 40 خيمة في القزانية، سالنامه نفس العدد، وخيم أخرى في العميريات انظر الملاحظة السابقة.

16 ـ خورشيد: 35 خيمة، سالنامه: انظر الملاحظة 14 قارن جدول ربيعة. الملاحظتان 3، 9.

17 ـ لايارد مجلة الجمعية الجغرافية الملكية لندن، 1945م، 45 (قائمة بني لام، خورشيد 86 (نفس الشيء): 150 خيمة، سالنامه: نفس الشيء، أخرى في منطقة بدرة (ص 281).

18 ـ نعيم. لها صلة قربى مع النعيم في جبل حمرين (الجزء الأول، 388 وما بعدها).

19 ـ خورشيد: 86 (قائمة بني لام): 150 خيمة، سالنامه، 282. ما زالت ترسخ (ترساق) تابعة لمنطقة مندلي.

20 ـ خورشيد 86: 200 خيمة، سالنامه 281.

21 ـ جزء منها تابع لعبد الحسن اليوسف بن الحمد في منطقة مندلي.

آل قشعم (غازية)

ينتمي آل قشعم[1] إلى أحدى موجات المهاجرين الجدد التي وصلت في القرن التاسع عشر إلى منطقة المنتفق. وقبل ذلك كانوا يسكنون على الحدود الغربية للبادية، بين هيت والسماوة حيث كانوا يشكلون نواة تحالف قوي يضم الرفيع والحميد والساعدة. كان هذا التحالف يسمي نفسه في القرن الثامن عشر "قشعم"، بينما كان معروفاً في أزمنة سابقة تحت اسم "غازية".

وكما هو الحال لدى كثير من قبائل ما بعد الإسلام يحيد الغازية أيضاً نسبهم إلى طي. وجدّهم هو معن[2]. فهم إذن أقرباء قريبون لابن الجراح ولزبيد طي[3].

ورد أقدم ذكر للغازية عام 517هـ/ 1123م[4]. وكانوا منذ ذلك الحين مهمين إلى حدّ ما، مما يعني أن تشكل القبيلة يعود إلى زمن قديم. ففي القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي كانت تتنقل شمال جبل شمر بين سورية والعراق. وكانت

(1) تلفظ: جشعم.

(2) ابن خلدون استناداً إلى ابن سعيد "العبر"، الجزء السادس، ص 7؛ البربر جـ1، 14.
اسم القبيلة يجب أن يصحح استناداً إلى "العبر"، الجزء الثاني، 254، كما يجب تصحيح الأخطاء واستكمال النواقص استناداً إلى نسب ابن الجراح (هنا، الجزء الأول، ص 502 و511).

(3) انظر الجزء الأول، 271 و272، 525.

(4) ابن الأثير، المجلد العاشر، 430.

القبيلة الفرعية آل عامر تحكم في الجوف، وكما يبدو فإن الدعيج كانوا يسكنون في الغرب. أمّا آل تميم فكانوا يخيمون في الحجيرة وعلى طريق الحج إلى الكوفة، والساعدة في البقعة والزرود، بينما كانت آبار لينة ملكاً للأجود[1]. وكان الغازية يهاجرون في الصيف إلى عمق البادية السورية، حتى كبيسة ـ عين التمر، بينما كانوا في الشتاء يبحثون عن المراعي عند جيرانهم الجنوبيين بني لام[2].

في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي هاجم أحد زعمائهم، دهمش بن سند ابن أجود[3]، قافلة الحج ثم اتفق بعد ذلك مع ربيعة على القيام بغزوة في العراق. وبناء على طلب الخليفة الناصر وقبائل الحدود تصدى لهم أمير الأحساء محمد (انظر الصفحة 194 أعلاه). وهزمهم أمام الكوفة بمساعدة خفاجة وعبادة والمنتفق. وبينما خرجت ربيعة[4] ـ ومن بينهم مانع بن حديثة ـ باعتبارهم سادة كبار، دون خسائر كبيرة، اضطر دهمش إلى البحث عن الحماية عند قبر الإمام علي. وبناء على أمر الخليفة حفظت حياته واقتيد إلى بغداد حيث أعفي عنه ـ وهذا دليل على سياسة الناصر التي تعتمد على المظاهر الاستعراضية.

في القرن الخامس عشر تقدمت الغازية على نهر الفرات باتجاه الشمال الشرقي حيث توفرت أراضي خالية بسبب رحيل عبادة وخفاجة. لم يذهب جميع الغازية إلى العراق. فنحن نجد هنا من الفروع القديمة الدعيج، والرفيع، وساعدة، بالإضافة إلى

---

(1) قلقشندي 85 (آل تميم، جزء منهم من الرخيمية عبر الفردوس حتى لينه، وجزء عند يحموم ومغيطة، وآل عمرو في الجوف؛ ابن فضل الله العمري من مصدر فيما عدا ذلك غير معروف)، 86 (آل دعيج، شيخهم 630هـ/1232م ـ 1233م في القاهرة؛ الحمداني)، 89 (آل رفيع)، 233 (ساعدة؛ الحمداني). صبح، الجزء الأول، 324، يضيف إلى ذلك مواقع ساعدة وأجود ـ أسماء الأماكن محوّرة طبعاً تحويراً كبيراً. فقد أطلق على دعيج ورفيع معاً اسم: البطنين، وأطلق على قبيلة فرعية أخرى اسم: أبو مالك.

(2) ابن سعيد عند ابن خلدون، المصدر السابق نفسه.

(3) أي حفيد للرجل الذي يأخذ منه آل أجود اسمهم.

(4) ابن مقرب، ديوان، رقم 71، 111 ـ 112 إضافة إلى التعليق. ومما يلفت الانتباه أن الشاعر يسمي أمراء ربيعة بني الجراح (قارن، الجزء الأول، 526 و527، 511 و512).

مجموعتين تشكلتا حديثاً وهما: القشعم والحميد. أمّا آل «عمرُ» عمرو فقد بقوا في مكانهم وانصهروا مع سكان الجوف المستقرين؛ إذ إن هذه الواحة كانت في بداية القرن التاسع عشر لم تزل تحمل اسم «جوف آل «عمرُ» عمرو[1]. وهناك مجموعات أخرى توجهت نحو الغرب، مما يعطي تفسيراً لكون القشعم يرد ذكرهم في حكايات بدو شرقي الأردن[2]. لكن الغازية الغربيين لم يتركوا آثارهم في الحكايات فقط: بين «عمرُ» عمرو الكرك يوجد مجموعتان تعيدان نسبهما إلى القشعم (جدول آل عمرو «عمرُ» 5، 6، الجزء الثاني، 371). وإذا لم يخنّي ظني (الجزء الثاني، 284) فإن سادة عجلون آنذاك، أمراء الغزاوي، ينحدرون أيضاً من الغازية[*].

يبدو أن الغازية أساؤوا التصرف بعد وصولهم بوقت قريب مما جعلهم غير محبوبين؛ ولو لم يكن الأمر كذلك لما استغل الشاه إسماعيل إقامته القصيرة في العراق للقيام بحملة تأديبية ضدهم (نهاية عام 1508م)[3]. وبعد ذلك أشاد شيخهم محمد، من الفرع دعيج، بالسلطان سليمان (1534م) فمنح راية (سنجق) وتعززت سلطته. وفي عام 953هـ/ 1546م دعاه رئيس البيگات بغداد أياس باشا، الذي مرَ في منطقة دعيج عند قيامه بحملته ضد حاكم البصرة الانفصالي، إلى الاحتفال بعيد الفطر وأمر بقطع رأسه على الفور عندما ظهر أمامه، لأنه كان يعتقد أنه متعاون مع المتمردين. فحل مكانه واحد من أخوته[4].

---

(1) قائمة شبرنغر (1818م)، صفحة 220. في الرواية التي يقدمها موزيل، البتراء العربية، الجزء الثالث، ص 75، قارن هنا الجزء الثاني، ص 368، يحل «عمرُ» الكرك محل «عمرُ» الذين نعالجهم نحن هنا.

(2) ليتمان، حكايات بدوية عربية، رقم 1، 12، رقم 3، 33.

(3) خواندمير، حبيب السيار، طهران 1271، الجزء الثالث، ص 350.

(4) رستم باشا، 142. فورّر منقح هذا التاريخ المنسوب إلى كبير وزراء سليمان الكبير يقرأ اسم القبيلة "بني دعيجة". في المكان الموازي لذلك عند گلشن لا يرد ذكر اسم الشيخ. وهذا الشيخ يوصف هنا بأنه رئيس القشعم. استناداً إلى ذلك يكون القشعم فرعاً من دعيج، أو إن نظمي زادة (كتب 1688م، لكنه تابع تاريخه في وقت لاحق حتى 1717م/ 1718م) استبق هنا ظروف زمانه التي كان القشعم يتولون فيها قيادة التحالف.

(*) من ساعدة (م. شبّر).

في القرن السابع عشر حل آل قشعم محل الدعيج. وأسست أسرة شيوخهم، ابن مهنا، في الشامية دولة شبيهة بدولة الموالي في الشمال[1]. وكانتا كلاهما تعتمدان على نفس القاعدة الاقتصادية إلا وهي حق جباية الجمارك على الطرق البرية التي كانت عائداتها عالية طالما ظل التجار مرغمين على تحاشي الطرق البحرية بسبب السياسة التجارية للبرتغال. واستفادت كلا الدولتين من الحرب التي خاضها الأتراك والفرس حول العراق من عام 1623م حتى عام 1638م، لأن السلطان استعان بالموالي والشاه استعان بالغازية.

للأسف لا توجد لدينا معلومات كافية عن حكم ابن مهنا كالمعلومات الكثيرة المتوفرة عن خصومهم في الشمال[2]. كانت منطقة سلطتهم تمتد على الفرات من فلوجة حتى السماوة، لكن جباتهم الجمركيين كانوا يجلسون على مقربة من بغداد وفي البصرة في المدينة نفسها. وكانت كربلاء والنجف خاضعتين لهم. ونحن نعرف اثنين من حكامهم: ناصر بن مهنا[3] (إمانا عند تكسيرا)، ومنذ عام 1625م ابنه وخليفته أبو طالب. وكان ناصر قد رحب بالفرس عندما دخلوا بغداد عام 1623م واعتبرهم محررين من الاستعباد التركي. وبعد ذلك قام في خدمتهم بحملة ضد الموالي الذين كانوا آنذاك بقيادة مدلج أبو ريشة. لكن الحملة فشلت. وقد ظلت الأشعار، التي تمجد انتصار مدلج "سيد حرّان" على القشعم وحلفائهم بني خالد، حية في أذهان الناس إلى ما قبل عدة

(1) لونكريك، 382، يعتقد أن أصحاب هذه الدولة البدوية موالي أو عنزة، لكن في الحقيقة فإن الغازية هم الوحيدون الذين يمكن أن يكونوا قد أسسوا هذه الدولة. وتقدم شجرة نسب شيوخ القشعم، أدناه، دليلاً قاطعاً على ذلك.

(2) المصادر: تكسيرا (1604م)، جمعية هاكلويت، الحلقة2، العدد 9، 49، 72؛ ديلا فيلا (1616م و1625م)، جنيف 1674، جـ1، 202؛ جـ4، 177، 179، 186؛ اسكندر منشي، تاريخي عالم أراجي عباسي؛ لونكريك، 38، 58.

(3) يقع قبره بعيداً في الشمال عند الإرصي على الفرات وكان في الماضي مزاراً يؤمه الناس؛ روسو، رحلة، 136.

عقود[1]. وعلى أرجح الظن كانت هناك عداوة قديمة بين القشعم والموالي؛ إذ إن الكراهية بين القبيلتين ظلت قائمة زمناً طويلاً بعد هذه المعركة. فقد تولى أمير الموالي حسين عباس، عندما كان في عام 1107هـ/ 1695م ـ 1696م موجوداً في بغداد، قيادة حملة تأديبية ضد القشعم وعاد منها بغنائم تزيد على 1000 جمل[2].

مع احتلال السلطان مراد للعراق (1638م) يبدو أن سلطة ابن مهنا على الشامية قد وصلت إلى نهايتها، ولكنهم ظلوا محتفظين بزعامتهم للغازية. واعترف بهم الأتراك في هذا المنصب. وعندما ثارت القبائل الفرعية ساعدة والرفيع والحميد في عام 1706م ضد الشيخ الأكبر تدخلت الحكومة وقمعت الثورة[3]. وقد أعطت سلطة أسرة الشيوخ القبيلة الفرعية قشعم، التي جاءت منها الأسرة، وزناً يفوق وزن أجزاء تحالف الأخرى. وقد وجد هذا الوزن الكبير تعبيراً له في تغيّر اسم القبيلة: فمنذ بداية القرن الثامن عشر لم يعد الاتحاد تحالف يسمى "الغازية" وإنما القشعم[4]. وهذه ظاهرة غير مألوفة، ومما يجعلها ملفتة أكثر أن الغازية في أمور أخرى يُظهرون بنيّة متينة جداً. ولا شك في أن لهذا الأمر دلالته وهو أنه من بين القبائل الفرعية الأربع ـ قشعم، وساعدة، ورفيع، وحميد ـ اثنتان، وهما ساعدة

---

(1) ديوان من وسط الجزيرة العربية، رقم 108. الرواة الذين يعتمد عليهم سوسين في تفسيره لم يكن لديهم تصور صحيح عن السياق التاريخي التي تندرج فيها القصيدة. وهم ينسبونها إلى معركة انتصر فيها القشعم على بني خالد. ولكن الموالي (وهذه الكلمة غير موجودة في ترجمة سوسين) مذكورين صراحة في الشطر التاسع، ومدلج مذكور في الشطرين السادس والحادي عشر بصفته المنتصر على الجشعم. وأما لقب "سيد حران" فهو، بناءً على ما جاء في الجزء الأول، 447، غير ملفت للانتباه وخاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار أن القصيدة يعود أصلها حسب سوسين، الجزء الثالث، 8، إلى ما بين النهرين الأعلى.

(2) گلشن، 116.

(3) لونكريك، 125؛ ڤارن غولشن، 125.

(4) الاسم غازية يظهر لآخر مرة في كتاب نيبور، الجزيرة العربية، 383. رسول حاوي أفندي، الذي يغطي تاريخه "دوحة الوزراء" الفترة الزمنية الممتدة من 1718م حتى 1821م، لا يستعمل اسم غازية أبداً. أما سلفه نظمي زاده فلا يستعمله إلا عندما يصف القشعم بأنهم أسرة شيوخ الغازية.

ورفيع، كانتا في القرن الثالث عشر تنتميان إلى الاتحاد.

منطقة تنقل الغازية أو بالأحرى القشعم لم يطرأ عليها في القرن الثامن عشر تغير يستحق الذكر. فقد ظلت أطراف الصحراء من هيت حتى السماوة تشكل قاعدتهم، إلا أنهم كانوا يزورون بانتظام المنطقة الحضرية على الفرات حيث كانت الطهمازية (غربي الحلة) والرماحية القريتين المفضلتين لديهما لقضاء فترة الإقامة هناك[1]. من الناحية الإدارية كانوا خاضعين لضابط (المتعهد الزراعي العام) في الحلة. وعلى الرغم من أن أجزاء منهم عملت في وقت مبكر في الزراعة (گلْشن، 116) فقد كانوا يملكون قطعان كبيرة. ففي عام 1799م حصّلت الحكومة منهم 500 جمل و2000 شاة و10 أحصنة كضرائب مستحقة وغير مدفوعة[2]. في رحلاتهم السنوية كانوا يلحقون بعض الأضرار بالأراضي الزراعية مما كان يسبب لهم حملات تأديبية ضدهم. وهناك حملة واحدة من هذه الحملات تستحق الذكر بالتفصيل: في منطقة شفاثة.

في عام 1152هـ/ 1739م اتحد القشعم في منطقة شفاثة مع شمر (أسلم) وسرحان وبني صخر الذين طردهم الجوع من موطنهم البعيد وتوجهوا نحو الشرق. قرر باشا بغداد أحمد مهاجمة العدو من جهتين. فتحرك حليفه سليمان أبو ليلى من هيت بينما تقدم هو نفسه من جهة كربلاء. وبعد مسيرة 24 ساعة أنهكت الحيوانات والرجال من شدة التعب فتوقفت القوات. ونتيجة لذلك وجد الباشا نفسه، الذي كان متقدماً مع مجموعة صغيرة من حاشيته، مضطراً إلى التوقف أيضاً. وفي صباح اليوم التالي ظهر فجأة العدو؛ فقام أحمد بترتيب الأمتعة بطريقة ذكية توحي بوجود قوة عسكرية كبيرة ثم انتقل إلى الهجوم دون خوف مع العدد القليل من رجاله. فانطلت الحيلة على البدو وولوا هاربين؛ وسقط أحد الشيوخ، صقر السعد. وعندما وصلت القوة التركية الرئيسية كان القتال قد انتهى، وبذلك لم يصل الكهية

(1) قارن گلْشن، 125، 127؛ دوحة، 41، 226 وما بعدها.

(2) دوحة، 226 وما بعدها.

سليمان أبو ليلى إلى المكان الذي كان يقصده[1].

ظل القشعم في القرن الثامن عشر، كما يبدو، في ظروفهم القديمة. ولكن حدثت في محيطهم تغيرات يفترض أنها ستؤدي خلال وقت قصير إلى تفكيك الاتحاد ـ تحالف منذ 100 عام، أي منذ مجيء شمر إلى العراق، لم يعد القشعم سادة الصحراء الوحيدين. والآن، في أواخر القرن التاسع عشر، أصبحوا معرضين للاصطدام مع الوهابيين ومع قبائل شمال شبه الجزيرة العربية الذين بدأوا التحرك حديثاً. صحيح أن موجة الجربا اجتازتهم بسلام، لكن موجة هجرة عنزة بقيت وأخذت تتراكم عاماً بعد عام. وفيما وراء الصحراء تحولت الأراضي بسبب شق قناة الهندية شيئاً فشيئاً إلى أراضٍ زراعية وامتلأت بقبائل المعدان والفلاحين القادمين من الشرق. وهكذا أصبحت الشامية ضيقة على القشعم، فرحلوا عبر الفرات إلى الجزيرة. بدأت ساعدة الهجرة في أواخر القرن الماضي ثم تبعتها بقية القبائل في القرن العشرين[2]. اختارت ساعدة المنطقة الواقعة بين الديوانية والبغيلة كمنطقة تنقل، وخيّم الرفيع والحميد بين الشوملي والغراف[3] ـ جميع هذه القبائل أصبحت الآن مستقلة، ولم يعد هناك وجود تحالف ـ القشعم. يسمي روسو في كتابه "وصف رحلة" من عام 1808م (ص 68) الرفيع والحميد فروعاً من القشعم، لكن محمد البسام يصفهم في عام 1818م بأنهم مستقلون (قائمة شبرنغر، رقم 114، 115).

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر انضم الرفيع والحميد إلى المنتفق،

---

(1) دوحة، 49 وما يليها. القصة تذكرنا بالنادرة المذكورة في الجزء الأول، (295، 296) عن أبي أحمد حسن باشا لكنها تدعم بمقطع شعري لا يمكن للأسف ترجمته إلى اللغة الألمانية بسبب ما فيه من تلاعب لفظي (لغة العرب، السنة الخامسة، 141): عقاب الورى لمّا بدا طار صقرهم لدى حيث ألقت رحلها أم قشعمي(*).

(*) نظم عبد الله الفخري قصيدة في مدح الوزير قال فيها:

عقاب الوغى لما بدا طار صقرهم   لدى حيث ألقت رحلها أم قشعمِ

العزاوي، العراق بين الاحتلالين ج5 ص261. (م. شبّر).

(2) انظر ص 501 أعلاه.

(3) انظر جونز، 374.

انظر الجدول ب 2، ب ملحقون 1. صحيح أن القشعم يتنقلون أيضاً في منطقة المنتفق لكنهم حافظوا على درجة أكبر من الاستقلال. وهم ما زالوا بدواً رُحّلاً[1] وتتزعمهم نفس عائلة الشيوخ التي كانت في يوم من الأيام تتزعم التحالف ـ كله.

في عام 1928م كان عقاب الثويني شيخ القشعم. وسلسلة نسبه هي[2]: عقاب بن صقر بن ثويني بن عبد العزيز بن حبيب بن صقر بن حمود بن كنعان بن ناصر بن مهنا[*] بن سعد بن غازي ـ عدة أعضاء في هذه السلسلة معروفون من تاريخ القبيلة: عبد العزيز الحبيب وأخوه شبيب كانا في نهاية القرن الثامن عشر يشغلان منصب الشيخ. والأخ الثالث ناصر شارك عام 1798م/ 1799م في الحملة التركية ضد الهفوف وحكم في الأعوام الأولى من القرن التاسع عشر[3]. والشيخ كنعان قاتل عام 1075هـ/ 1664م ـ 1665م بتكليف من الحكومة في شرقي شبه الجزيرة العربية[4]. وناصر هو أمير الشامية المشهور الذي حكم في بداية القرن السابع عشر. وبعده تصبح شجرة النسب غير كاملة؛ إذ إن مهنا، كما يذكر تكسيرا وذَلافيلا صراحة، ليس اسم أبي ناصر وإنما كنيته.

يحمل رئيس القشعم منذ زمن قديم لقب (شيخ العراقين) والمقصود بذلك، كما في قديم الزمان، الكوفة والبصرة.

(1) بصرف النظر عن مجموعة مستقرة تفيد معلومة من عام 1939م بأنها كانت تقيم عند أبو صخير. خورشيد، 206 (فلاحون مسجلون) يذكر مجموعة كهذه عند الطهمازية.

(2) المقال في "لغة العرب" السنة الخامسة، 139. جـ.ن. سركيس، «قشعم في التاريخ» يتجاهل التاريخ القديم للغازية.

(*) عقاب بن صقر بن ثويني بن عبد العزيز بن حبيب بن صقر بن حمود بن كنعان بن مهنا بن ناصر بن مهنا بن سعد بن المنذر بن قسّام بن قشعم بن غزي (العزاوي تاريخ العراق بين الاحتلالين جـ4، ص51). (م. شبّر).

(3) دوحة، 226 وما بعدها؛ روسو، رحلة، 67.

(4) لغة العرب، نفس المصدر السابق، 140، حسب تاريخ بغداد غير المطبوع: غاية المرام، قارن مقالة بني خالد.

آل قشعم(1)

الشيخ: عقاب «عكاب» الثويني
المنطقة: لواء المنتفق
عدد الخيام: 200

ملاحظات

1 ـ قائمة القشعم، عزاوي، تاريخ العراق، جـ 4، 52[*].

(*) عند مراجعة الجزء الرابع ص 52 لم نجده هناك بل ما ذكر عن القشعم هو في الجزء الثالث ص 234 وص 235 و236. عشائر العراق 1 ـ 4 العزاوي.
يذكر العزاوي: إن هذه العشيرة ليست أكثر من إمارة أو رئاسة بدوية على عشائر عديدة متغير ناظمه لها ومشتقه منها.. (م. شبّر).

المنتفق

ما من قبيلة عراقية تضاهي المنتفق[1] في الأهمية ولا عائلة شيوخ تضاهي عائلة سعدون ـ شبيب التي أسست في أواخر القرن السابع عشر "مملكة" المنتفق على الفرات الأدنى والتي جلبت في الحرب العالمية الأولى، عندما كانت تلك "المملكة" قد سقطت، لاسم المنتفق الفخر والاعتزاز مرة أخرى ـ حكايات المنتفق لا تتجاوز هذه المرحلة، ولكن تاريخها يعود إلى العصر القديم.

كان المنتفق قبل الإسلام أسرة قيادية في عقيل[2]. وبعد الإسلام غابوا عن النظر[3] إلى أن ظهروا ثانية في نهاية القرن العاشر في شرقي شبه الجزيرة العربية.

---

(1) الاسم يعني "الداخل في النفق"؛ ابن دريد، 122. يلفظ في نجد منتفذ، وفي العراق، حيث تلفظ الكاف والقاف في اللغة الشعبية (چ)، منتفج، ويكتب منتفك. ويسمى المنتفق أيضاً الخلط؛ الجرجاني 366 هـ/ 967م عند ابن خلدون، البربر، جـ1، 26. دوحة، 203 يستعمل هذا الاسم حتى الآن.

(2) النقائض، 671 وما بعدها: قيس بن المنتفق قاد عقيل عند شعب جبلا «جبلة»؛ فلها وزن، قصص قصيرة، جـ 4، 144: ابنة أنس وابن عمه لقيط بن عامر مندوبا العقيل عند البني.

(3) الطبري، جـ1، 3284: عمر بن معاوية بن المنتفق في معركة صفين ـ أعضاء آخرون من العائلة وصلوا إلى مصر، إذ إن أحفادهم رافقوا بني هلال (انظر الجزء الثاني، 526) حتى مراكش. هم أيضاً كانوا يسمون أنفسهم «خُلُط» وما زالوا يسمون «خلوط» حتى اليوم. انظر الملاحظة رقم 1 المكان المذكور هناك من ابن خلدون.

ولقد تحدثنا (في الصفحة 191) أعلاه عن نشاطات زعيمهم الأصفر (الأصيفر). ولم يكن أتباعه من المنتفق فقط لكن هؤلاء أعطوا القبيلة الجديدة اسمها.

خلال القرن الحادي عشر جاء المنتفق إلى العراق واختاروا المنطقة الواقعة بين السماوة والبصرة منطقة لتنقلهم[1]. من جهة الصحراء إلى الكوفة كانت خفاجة جيرانهم، وفي الداخل على الغراف كانت تجاورهم ربيعة. وكانت علاقة المنتفق مع كلا القبيلتين جيدة. في عام 499هـ/ 1106م هاجم المنتفق وربيعة البصرة ونهبوا المدينة، التي كان صدقة قد حصل عليها قبل ذلك بوقت قصير لقاء ولائه للحكومة لكنه لم يضع فيها سوى 120 فارساً وبقوا فيها، مدة شهر كامل. وفي عام 517هـ/ 1123م هاجم المنتفق بتحريض من ابن صدقة، دبيس، البصرة مجدداً لكنهم أرغموا هذه المرة على الانسحاب بسرعة. وفي عام 558هـ/ 1163م طلب منهم الخليفة طرد بني أسد من الحلة[2].

كما يتبين من هذه التحركات كان المنتفق في العصور الوسطى بدواً رُحّلاً لمسافات بعيدة. في نهاية القرن الثاني عشر كانوا ما يزالون في منطقة تنقلهم القديمة[3]، وفي عام 1250م في البطايح[4]. وهذا لا يشكل تناقضاً. فهم كأحفادهم من بعدهم كانوا يتنقلون في الشتاء والربيع في الصحراء، بينما كانوا يقضون بقية الفصول في البطايح التي كانت أراضيها المغمورة تتحول في الصيف،

(1) في عام 450 هـ/ 1058م قام أحد زعمائهم، الشاعر كامل، بزيارة وزير السلطان السلجوقي طغرل بك الذي كان موجوداً في البصرة. الباخرزي، دمية القصر، حلب 1349، 27 وما يليها.

(2) مزيد من التفاصيل في مقالة بني أسد.

(3) انظر الصفحة 582 أعلاه.

(4) ابن سعيد عند القلقشندي، 66 = ابن خلدون، العبر، الجزء السادس، 11؛ البربر، الجزء الأول، 27. المعلومة القائلة بأن عائلة شيوخهم اسمها بنو معروف خطأ وتستند إلى الخلط بينهم وبين ربيعة، انظر الصفحة 508 ـ 509 أعلاه. في الواقع كان هناك شيخ للمنتفق اسمه ابن معروف؛ ابن الأثير، المجلد 11، 195، عام 1163.

آنذاك كما اليوم، إلى أراضٍ قاحلة. وبعد ذلك لم نسمع عنهم شيئاً إلا بعد 200 سنة: فقد احتلوا البصرة مرة أخرى، وهذه المرة بهدف الاحتفاظ بها، لكن سلطان الحويزة محسن (1465م/ 1466م ـ 1508م) انتصر عليهم ـ سقط شيخهم يحيى بن محمد في المعركة وأجبروا على دفع ضريبة (أتاوة)[1]. ثم مرت بعد ذلك 150 عاماً أخرى إلى أن ظهر المنتفق مرة أخرى في كتب التاريخ[2] ولم يغيبوا عنها بعد ذلك أبداً.

والأحداث التي أخذت تجري اعتباراً من الآن لا صلة لها بطريقة حياة القبيلة حتى ذاك الحين. فبينما كانوا في السابق يعيشون حياة الرعاة المتكاسلة التي يقطعونها بين وقت وآخر فجأة بعملية ناشطة، أصبحوا الآن يسعون بصورة متواصلة إلى السلطة مما جعلهم يصبحون في النهاية سادة العراق الأسفل. لقد كانت الظروف مؤاتية لهم لكنهم ما كانوا ليستطيعون استغلالها لو ظلوا محتفظين بالعقلية التقليدية لقبيلة بدوية عادية. وبالفعل يبدو أنه قد تمّ في نهاية القرن السادس عشر إعادة تشكيل المنتفق من الرأس إلى القاعدة بأن قامت عائلة شبيب بتوحيد المنتفق وقبائل أخرى في اتحاد واحد موالٍ لها وحدها.

هناك روايات حديثة تقول بأن الشبيب جاؤوا من الحجاز، وهناك روايات تقول بأنهم من أصل شريف، ولكن في كل الأحوال من أصل غريب. وعلى النقيض من ذلك يقول نيبور[3] 1765م: يزعم المنتفق أن جدهم جاء من الحجاز وأن عائلته كانت مشهورة في عهد النبي محمد. وبصفتي رحالة لم أتعرف بشكل دقيق على الأسرة الحاكمة بحيث أستطيع الحصول على كامل سجل القبيلة. ولكن لا أحد يشك في أنهم حصلوا على اسمهم من شيخ اسمه منتفق وأن أحفاد هذا

---

(1) كسروي، تأريخ إي بانصد ساله إي خوزستان، Kasrawi, Ta'rich.. pansad Sale-i.40 .

(2) إلا إذا اعتبرنا الشيخ محمد بن راشد، الذي رافق قافلة تكسيرا عام 1604م من البصرة إلى مشهد، منتفقياً، تكسيرا، 31، 35، 40.

(3) الجزيرة العربية، 387.

الشيخ ظلوا على الدوام محتفظين بالزعامة من بعده ـ وهذا الرأي ليس فقط أقدم من ذاك وإنما أيضاً أقرب إلى الحقيقة. وعلى الرغم من ذلك لا نستطيع تجاهل الرواية الأحدث ببساطة. فهي تعبر عن نفسها في الحكاية التالية: هاجر جد آل شبيب، وهو من أشراف مكة، ونزل عند بني مالك وهم قبيلة من المنتفق. فأحبه شيخهم وعينه مديراً لأعماله. وفي وقت لاحق زوّجه ابنته. فأنجبت منه عدة أبناء قُتل أحدهم على يد المنتفق (بني مالك) وهو لما يزل صبياً. فعرضوا عليه ديته. لكن الرجل الغريب رفض العرض ووضع لهم شرطين: على كل قبيلة تخيم بجواره أن تجلب له جزءاً من قطعانها، وكل من يظهر أمامه عليه أن يقبِّل يده. فقبل المنتفق (بنو مالك) بذلك. وشيئاً فشيئاً كسب ثقة جميع المنتفق واعترفوا به شيخاً بسبب زواجه من ابنة رئيسهم[1].

الحكاية مكشوفة. فهي تريد تفسير نشوء حق غريب عن عادات البدو. ومن يكتسب هذا الحق يجب أن يكون غريباً؛ ولا يمكن فهم هذا الامتياز إلا كعقاب على انتهاك حق الضيافة الذي يعد مقدساً.

في الحقيقة لم يعد من الممكن معرفة كيف حصل بيت شبيب على مكانتهم المتميزة، كما أنه لا يمكن معرفة القبائل التي كانوا يحكمونها في الأصل؛ إذ إن تركيبة المنتفق التي نعرفها حديثة وتعود إلى القرن الثامن عشر. ويبدو أن منطقة تنقلهم كانت في بداية القرن السابع عشر تمتد في الصحراء من البصرة حتى

(1) عجمي السعدون، 1929م. نفس الشيء عصيمي باشا 1925م. بطل الحكاية يتغيّر: عند عصيمي هو شبيب نفسه، عند جونز، 378، مانع (عام 1700م) ـ عند عصيمي تنتهي القصة بحكاية عن معركة بين الأخوة بني مالك وأجود. لكن هذه الحكاية المذكورة في الملاحظة 4 التابعة للجدول هي في الأصل حكاية مستقلة. ويُضاف إليها بعد ذلك عنصر ثالث وهو تفسير ـ خاطئ ـ لاسم المنتفق بمعنى "المتفق"، أي المتفاهم، على الاعتراف بوسيط السلام شيخاً (حسب عصيمي) أو ـ وهو تفسير أقدم ـ على السلام (حسب فريزر، جـ 2، 95؛ عجمي السعدون). وتستند رواية لونكريك على نفس العناصر، وكذلك رواية خورشيد، 55 المختصرة.

الشامية[1]. بينما كانت على الفرات تقتصر على المسافة القصيرة بين الجزاير وكوت المعمر.

تتطابق المرحلة الأولى لصعود المنتفق مع حكم الأفراسياب في البصرة. ويقال بأن أحد الأفراسياب تزوج فتاة من بيت شبيب ولذلك وقف المنتفق إلى جانبه[2] عندما هجم الفرس على البصرة (1625م، 1629م). وفي كل الأحوال فإن حملة علي باشا أفراسياب ضد الجزاير وتوسيع منطقته حتى كوت المعمر وعرقة[3] غير ممكنة دون التفاهم مع المنتفق. ونتيجة لهذه الرابطة ساعدت القبيلة حسيناً، ابن علي باشا، ضد العثمانيين: فعندما تعثر الزحف التركي في شتاء 1665م/ 1666م أمام القرنة، أرسل 900 رجل من بدو الموالي من بغداد لنجدة الجيش ولكنهم هزموا عند كوت المعمر على يد المنتفق. وقبل القيام بالحملة التالية ضمن العثمانيون وقوف المنتفق إلى جانبهم. وهكذا التحق المنتفق بقيادة الشيخ عثمان بالعثمانيين عند كوت المعمر واشتركوا معهم في احتلال القرنة والبصرة[4]. وكانت مكافأة المنتفق على ذلك بسط سلطتهم على جزء من الجزاير[5].

بدأت المرحلة الثانية من صعود المنتفق في نهاية القرن السابع عشر بقيادة الشيخ مانع. ركز مانع اهتمامه في بادئ الأمر على البصرة التي كان يرى أن له حقاً فيها بسبب علاقة أسلافه مع الأفراسياب. وكانت المدينة منذ سقوط تلك الأسرة الحاكمة قد تراجعت إلى حد ما. وعندما ضربها الطاعون عام 1690م اعتقد أن اللحظة المناسبة للتصرف قد جاءت. لكن محاولته احتلالها بالقوة باءت بالفشل. صحيح أن باشا البصرة سقط عند الدير (على شط العرب) مع الجزء الأكبر من رجاله، لكن المدينة أنقذها معاونه الذي انتخبه السكان خلفاً له. وبعد أعوام قليلة

(1) عجمي السعدون، 1929.

(2) لونكريك، 105، 109.

(3) لونكريك، 105، 109.

(4) گُلشن. 95، 97.

(5) قارن گُلشن، 114 (1690).

سقطت البصرة في يد مانع دون قتال. وبعد فشل محاولة لاستعادة المدينة بالقوة لجأ العثمانيون إلى التفاوض. وبالفعل وافق مانع على تسليم المدينة للباشا المعيّن حديثاً، لكنه اشترط الحصول لقاء ذلك على حقوق أميرية جديدة. وبعد وقت قصير تفاهم مع سكان المدينة ودخلها مجدداً بمساعدتهم. ولم تفلح الجهود التي بذلها العثمانيون لاستعادة السيطرة على المدينة. وفي هذه الأثناء كان مانع قد بدأ توسيع سلطته نحو الغرب والشمال. فاحتل عرقة والسماوة والرماحية ومنع جباة الضرائب من الدخول إلى هذه المناطق[1]. وفي عام 1695م خاض، بتحريض من أمير الحويزة (سيد علي)، حرباً ضد عمه (عم الأمير) فرج الله خان لكن فرج الله انتصر عليه (1109هـ/ 1697م - 1698م). وفي العام نفسه احتل فرج الله بموافقة الحكومة الفارسية والحكومة العثمانية البصرة والقرنة. وتولى إدارة البصرة موظف فارسي، إلا أن الشاه أرسل مفتاح المدينة إلى السلطان. فعاد فرج الله خان إلى الحويزة غاضباً، وعندما عزل عام 1111هـ طلب المساعدة من خصمه السابق مانع. فشن الإثنان معاً حرباً على خليفة فرج الله وانتصرا عليه لكنهما لم يستطيعا إعادة فرج الله إلى منصبه[2]. وفي أثناء ذلك كانت تتشكل عاصفة في ظهرهما. نتيجة للخوف الذي أصاب الباب العالي بسبب ضياع البصرة وثورة الخزاعل (انظر الصفحة 455 أعلاه) قام العثمانيون بحشد قوات المقاطعات الشرقية وبتجهيز أسطول عند بيره جك على الفرات الأعلى. وبينما تولت السفن حماية الحلة المهددة من الخزاعل انطلق الجيش في بداية عام 1701م من بغداد وسار على دجلة نحو الأسفل. وكان هناك تجمع لبني لام ما لبث أن تفرق عندما اقتربت القوات. فاستسلم مانع ومعه فرج الله خان؛ وانسحب الفرس من القرنة والبصرة[3].

(1) گُلشن، 114 وما بعدها؛ غور GOR، السابع، 32.

(2) راشد، الجزء الأول، 234، 237؛ GOR. سجل الوثائق رقم 1974، 2200؛ عبد الله بن نور الدين، تذكرا إي شوشتر، 65 وما بعدها. كسروي، 95 وما بعدها.

(3) بهذا الشكل يعرض نظمي زادة، گلشن، 118، الذي تتطابق روايته مع رواية كاتب تاريخ الامبراطورية راشد، جـ1، 256، الحملة. خلافاً لذلك يربط فون هامّر، غور جـ7، 32 وما

لم يتمكن مانع، الذي يجب أن يكون توفي بعد ذلك بوقت قصير، من تحقيق هدفه، وهو خلافة الأفراسياب في البصرة، لكنه وسّع منطقة المنتفق لتصل على الفرات حتى عرقة وعلى دجلة حتى حدود الحويزة. أمّا العلاقة مع الجزاير فقد ظلت غير واضحة إذ إن باشا البصرة كان يتمتع بحق جباية الضرائب على الرغم من أن القبائل الموجودة هناك موالية للمنتفق.

وحول هذه المسألة نشبت في عهد ابن مانع وخليفته مغامس حرب جديدة مع العثمانيين. في عام 1705م استولى مغامس لفترة قصيرة على السلطة في البصرة[1]. ولم يسفر عزله وتعيين شيخ آخر محله ـ ناصر ـ عن نتائج مثمرة. بل ظلت البصرة مهددة. فاستنجد حاكم البصرة بزميله حسن باشا حاكم بغداد الذي توجه إلى البصرة في خريف عام 1708م، على رأس قوة معززة بقوة من السلطة المركزية. ثم عاد إلى الوراء قاصداً المنتفق الذين كانوا محتمين بالمستنقعات الواقعة غرب نهر عنتر. وقد تمكن الأتراك من التقدم في المستنقعات وذلك عن طريق حجز الماء بواسطة كتل ضخمة من الطين والقصب محزومة بحبال من الألياف. ولكن عندما وصلوا إلى العدو انسحب المنتفق من طريقهم بحيث ظلت المعركة دون حسم.

وفي الخريف التالي ـ وكان مغامس قد احتل في هذه الأثناء الرماحية بمساعدة قبيلة الغازية ـ شن حسن باشا عليه حملة جديدة. فطارده من السماوة إلى الجوازر ولكنه لم يتمكن هذه المرة أيضاً من اللحاق به[2].

خلال الحروب الفارسية (1722م ـ 1742م) توفرت للمنتفق الفرصة لأن يقدموا للإمبراطورية خدمة عن طريق علاقاتهم مع الحويزة. كان سيد محمد خان، الذي

بعدها، ولونكريك، 122، هذه الحملة بحملة نهر دياب (ص 314 وما بعدها أعلاه) التي يسلك فيها الجيش طريق الفرات ويحتل فيها البصرة قبل الانتصار على الخزاعل.

(1) هـ. غولانش، H. Gollancz, Chrouicle of evenls between... 1633 and 1733..., Oxford 1927. ثم ملاحظات يعقوب سركيس بهذا الخصوص، 203 وما بعدها.

(2) گلشن، 125 وما يليها.

والى العثمانيين على مضض عام 1725م، قد أجبر على التنحي لصالح مرشح اسمه نادر. لكن المنتفق وبني لام أعادوه عام 1731م إلى الحويزة مرة أخرى[1]. وتجدر الإشارة إلى أن ضعف سلطة الحكومة في أعوام الحرب تلك شجعت المنتفق أيضاً على العصيان. ولذلك اعتقل الشيخ سعدون عام 1151هـ/ 1738م من قبل سليمان أبو ليلى خلال اجتماع لرؤساء القبائل في حسكة/ الديوانية. وبما أن خليفته منيخر لم يتمكن من تقديم المبلغ المطلوب منه لقاء تنصيبه، فقد أطلق سراح سعدون وأُعيد إلى منصبه. لكن سعدون وقع في نفس المأزق. ولكي يتخلص من مأزقه أعلن العصيان وزحف نحو الشامية. فتولى أحمد باشا بنفسه قيادة الحملة التأديبية ضده لكنه اضطر إلى إيقاف الحملة قبل الوصول إلى هدفه لأن أعمالاً ملحة استدعت عودته إلى بغداد[2]. ويفسر المؤرخ البغدادي رسول حاوي أفندي هذه الحادثة بإحدى الفكاهات التي درج على استعمالها بين حين وآخر لتزيين جُمله المتعثرة. لقد تمكن ابن سعدون الصغير المتضور جوعاً من الوصول إلى الباشا وإقناعه بإنهاء حصاره للمنتفق.

يرى أوتر، وهو عميل فرنسي كان في البصرة عام 1739م و1741م و1743م، أن أحمد باشا ابتغى من وراء إنهاء الحصار الإثبات للباب العالي، الذي كان قد سحب منه آنذاك هذه المنطقة، أنه مهم ولا غنى للباب العالي عنه. وبالفعل فإن أحمد باشا لم يرفع الحصار عن الشيخ سعدون المتمرد وحسب، بل أعطاه أيضاً مساحات واسعة من الأراضي عند البصرة. وإذا ما كان يبتغي من وراء ذلك خلق المصاعب لخلفه، حسبما يرى أوتر، فإن هدفه قد تحقق؛ إذ إن سعدون استغل ملكيته الجديدة لفرض رسوم عالية جداً على الطريق إلى المدينة مما جعل الوصول إليها صعباً. أرسل أحمد باشا سليمان أبو ليلى لإخضاع المنتفق. فهرب سعدون

---

(1) صبحي، تأريخ، 37.

(2) دوحة، 48 وما بعدها؛ جـ. أوتر، رحلة في تركيا وإلى فارس، نورنبرغ 1781م ـ 1789م، الجزء الثاني، 116 وما يليها. التاريخ المذكور في «دوحة الوزرا»: 1154هـ/ 1738م لا يمكن أن يكون صحيحاً. أوتر أفضل: 1741.

إلى البادية لكن سليمان تبعه ومعه منيخر كدليل. وبعد مقاومة شجاعة أسر سعدون وقطع رأسه (1742م أو 1743م)[1].

أحدث قتل العربي النبيل على يد "عبد" أثراً عميقاً في نفوس الناس ولكنه لم يوقف صعود المنتفق. فقد ظلوا محتفظين بمكاسب الأعوام الأخيرة، وبمنح منيخر حق جباية الضرائب في السماوة[2]، وبأراضيهم في شط العرب.

الأعوام التالية لم يكن لها أي شأن بالنسبة لتاريخ المنتفق[3]. لكن الربع الأخير من القرن الثامن عشر أوصلهم إلى قمة من القوة والنفوذ لم تبلغها أي قبيلة بدوية أخرى في العصر الحديث. بسبب قيام كريم خان الزند بنقل مركز ثقل السلطة السياسية لفارس نحو الجنوب أصبح الاستيلاء على البصرة هدفاً رئيسياً للسياسة الفارسية وأصبح الدفاع عنها مهمة رئيسية للإمبراطورية العثمانية. لكن الإمبراطورية العثمانية التي أدمتها حروبها الأوروبية لم تكن قادرة على تقديم أي مساعدة، والحكومة في بغداد كانت مشلولة بسبب التغيير المستمر للباشاوات. وهكذا كانت البصرة مضطرة إلى الاعتماد على نفسها ولم يكن الاحتفاظ بها ممكناً إلا بمساعدة المنتفق. وكان هناك خطر أكبر بدأ يهدد العراق منذ عام 1790م من جهة حدوده الصحراوية وهو الخطر الوهابي. وهنا أيضاً كان كل شيء يتوقف على موقف المنتفق؛ إذ إن بيت سعدون، الفرع الحاكم من آل شبيب، كانوا متصاهرين مع عريعر وهم الأمراء الوحيدون الذين كانوا أو ما زالوا يقاومون الوهابيين في داخل شبه الجزيرة العربية. ومن البديهي أن السعدون غير مستعدين لأداء هذه الخدمات دون مقابل. كانوا يحلمون، إن لم يكن بإمبراطورية واسعة فبدولة

---

(1) أوتر، الجزء الثاني، 123 وما يليها، 135 وما بعدها؛ دوحة، 49، يذكر هذه الحادثة أيضاً تحت تاريخ 1738!

(2) أوتر، الجزء الثاني، 171.

(3) 1747م تمرد عند وفاة أحمد باشا وقمعه سليمان أبو ليلى خلال زحفه إلى البصرة؛ عام 1751م تغيير الشيخ بسبب الاشتراك في محاولة انقلاب فاشلة للأدميرال في البصرة؛ عام 1768م/1769م عملية فاشلة لعمر باشا لأسباب مشابهة؛ عزي، تأريخ، 197، 243؛ دوحة، 160.

للمنتفق مستقلة عن بغداد وتكون عاصمتها البصرة. لم يتحقق هذا الحلم ولكن موقفهم اللاحق إلى جانب العثمانيين مكنهم من التدخل في بغداد نفسها والتأثير على الأحداث من هناك.

عندما بدأ كريم خان في عام 1775م بمحاصرة البصرة كانت المدينة تحت إمرة سليمان آغا، الباشا اللاحق لبغداد. فوضع شيخا المنتفق عبد الله، أخو سعدون، وابنه ثامر، قبيلتهما تحت تصرفه. صحيح أن المنتفق كانوا قد فوتوا فرصة منع الفرس من عبور شط العرب، لكنهم شاركوا بشجاعة في الدفاع عن المدينة التي قاومت الحصار سنة ونصف السنة[1] والتي كان المنتفق وبني خالد يزودونها بالمؤن. بعد سقوط البصرة تابع المنتفق الحرب. ونصبوا كميناً للفرس المتقدمين على الفرات عند الفضيلة، قرب عرقة، وهزموا عند أبو حلاّنة[2] جيشاً ثانياً يقوده أخو كريم خان. ولذلك حصل المنتفق، بعد انسحاب الفرس عام 1779م، على السلطة في البصرة. وسيطر الشيخ ثامر سيطرة كاملة على الحاكم التركي الأول ومنع سليمان آغا من الدخول عندما حاول، بعد أن أطلق الفرس سراحه، والعودة إلى منصبه السابق. لكن وفاة الشيخ ثامر بصورة مفاجئة (خلال حملة ضد الخزاعل) والصداقة التي ربطت سليمان بخليفته ثويني، حلت العقدة: ودخل سليمان إلى البصرة.

وعندما عُيّن سليمان عام 1870م في منصب باشا بغداد رافقه ثويني حتى كربلاء وفي عام 1874م دعمه في حملة ضد بني كعب[3]. وفي العام التالي وضعه موقفه

---

(1) برسونز (1775م)، رحلات في آسيا وإفريقيا، لندن 1808م، 164، 170، 176؛ لونكريك، 187 وما بعدها.

(2) قناة على مسافة قريبة تحت الناصرية واقعة على الضفة اليسرى، الخريطة: الناصرية ـ كابر (1778م) في هاول، رحلة على طريق العودة من الهند...، 291 وما بعدها. سستيني (1781م)، 225؛ دوحة، 183. حكايات القبيلة ـ عجمي السعدون ـ تتحدث عن انتصار آخر عند "كويبيره" سبق هذا الانتصار.

(3) لونكريك، 196، 204.

في خلاف عائلي داخل عريعر في صف معادٍ للوهابيين (انظر الصفحة 201 أعلاه). ونتيجة استفزاز الوهابيين له قام في خريف 1786م بحملة إلى القصيم لكنه أوقفها فجأة عندما سمع بتمرد "الحاج" سليمان الشاوي (الجزء الأول، 298، 299)[1]. استقبل ثويني "الحاج" سليمان الهارب واقتنع منه بالتخلي عن وفائه لصديقه القديم سليمان باشا. وبعد أن عقد حلفاً مع الخزاعل وضمن عدم مهاجمتهم له، استولى على البصرة بحيلة. وبعد ذلك حاول إضفاء الصفة الشرعية على موقعه بأن جعل وجهاء المدينة يوقعون على عريضة بهذا المضمون أرسلها مع مفتي المدينة إلى القسطنطينية. ولكن سليمان باشا كان في الطريق إلى البصرة. وانتهت معركة عند أم الحنطة (تحت سوق الشيوخ) في أكتوبر/ تشرين الأول 1787م بعد صراع مرير لصالح الأتراك. وعلى إثر ذلك حصل منافس ثويني، حمود الثامر، الذي اصطف إلى جانب الأتراك قبل المعركة، على منصب الشيخ، بينما هرب ثويني[2]. ولكن في العام التالي أتيحت له فرص جديدة. فقد رغب صاحب البصرة التابع لسليمان باشا في فصل المنطقة عن بغداد وطلب من سليمان باشا، لكي يكسب المنتفق إلى جانبه، إعادة تنصيب ثويني. فوافق الباشا على طلب الرجل (الموالي له) لأنه كان يأمل في تفشيل نواياه بوسائل أخرى. وقد خاب ظنه في ذلك، لكن القوات التي أرسلها عام 1789م إلى البصرة استولت عليها دون قتال[3]. فهرب ثويني إلى بني خالد. وفي أقبا فوجئ بغزوة وهابية فحاول العودة إلى دياره. وكان قد تجمع حوله عدد من الأنصار عندما هاجمه حمود الثامر في معسكره عند سفوان «صفوان» (قرب زبير) وهزمه. فلجأ إلى بني كعب في دورق ثم مرة ثانية إلى بني خالد. وبما أنه لم يجد هناك دعماً لخططه قام بزيارة عبد العزيز آل سعود في الدرعية. وبعد أن تعب من رحلات التيه الخائبة قرر التوجه إلى صديقه القديم سليمان باشا. في عام

---

(1) هكذا أريد تفسير "الانقسام والتمرد في بلده"، عنوان، 46. أم ينبغي التفكير بتمرد حمود الثامر؟، انظر النص اللاحق أدناه.

(2) هاول، 23 وما بعدها، 28؛ دوحة، 203 وما يليها؛ عنوان، 46.

(3) دوحة، 206 وما بعدها، لونكريك، 205 وما بعدها.

1205هـ/ 1791م وصل إلى بغداد[1]. فأعفي عنه ولكنه أبقي أسيراً يتمتع بكل مظاهر الجفاوة والتكريم. وبعد خمس سنوات سمح له سليمان بالعودة إلى قومه وعينه مرة ثانية في منصب شيخ القبيلة[2]. وقد سبق وتحدثنا (في الصفحة 203 أعلاه) عن ذهاب ثويني إلى شبه الجزيرة العربية ووفاته. تحت حكم حمود الثامر، خليفة ثويني، ظل المنتفق معادين للوهابيين. فقد شاركوا في شتاء عام 1798م/ 1799م في الحملة التركية على الهفوف (انظر الصفحة 203 وما بعدها أعلاه) وصدوا هجمات وهابية حالفهم على صدها كثير من الحظ[3].

جلب شتاء عام 1812م/ 1813م للمنتفق انتصاراً لا مثيل له. كان سعيد، ابن سليمان الكبير، قد لجأ إلى حمود لأنه لم يكن يشعر بالأمان في بغداد. فقام على الفور عبد الله باشا، الذي كان يرى في سعيد منافساً له، بتجهيز حملة للقبض على الرجل الهارب وتحرك على الرغم من نقص المؤن مخالفاً نصيحة ضباطه. كما أنه رفض المفاوضات التي عرضها عليه حمود الذي كان متوقفاً على بعد بضع ساعات على هذا الجانب من سوق الشيوخ. وهكذا وقعت المعركة: عندما نشب القتال انسحب المنتفق وظل سعيد مع عدد قليل من الفرسان في ساحة المعركة، فانقض عليه الحرس المملوكي. لكن المنتفق عادوا إلى الساحة وأسروا عبد الله باشا وأركانه. ثم أمر حمود بقتله عندما توفي ابنه متأثراً بجروح أصيب بها في القتال. فانتقل منصب الباشا إلى سعيد وقام حمود بمرافقته شخصياً إلى بغداد[4].

لقد سبق ووصفنا (في الصفحة 457 أعلاه) كيف ساعد حمود سعيد باشا في

---

(1) عنوان، 47 وما بعدها، 72؛ ص 137 أعلاه؛ دوحة، 211. عنوان يربط هذه المقاطع خطأ بفرار ثويني في عام 1202هـ/ 1787م. لونكريك، 206، يضع وصول ثويني إلى بغداد في عام 1792م.

(2) دوحة، 218.

(3) دوحة، 220، 224؛ منغين، الجزء الثاني، 530. قارن لونكريك، 229 وما بعدها. ومقال آخر على موقفهم الموالي للحكومة، لونكريك، 225 وما بعدها.

(4) دوحة، 270، 272؛ قارن لونكريك، 228، 234.

حربه مع الخزاعل. لكنه لم يستطع منع سقوطه (نهاية عام 1816م) على الرغم من أنه توجه إلى بغداد مع 1500 رجل حيث كان سعيد يعدّ العدة لمحاربة خليفته داود. لكن سعيد اضطر إلى تسريح القوات المساعدة لأنه كانت تنقصه الأموال والمؤن[1].

مر وقت طويل حتى وجد داود باشا الفرصة المناسبة للالتفات إلى حمود الذي كان متخلفاً عدة أعوام عن دفع الضرائب المستحقة. لجأ داود إلى الوسيلة القديمة وهي زرع الغيرة والحسد في عائلة السعدون. فدعا المتنافسين على منصب الشيخ إلى القصر حيث اختير من بينهم عقيل، ابن عم حمود، مرشحاً للمنصب ورافقته قوات حكومية إلى بلاده. لكن حمود عارض هذا الترشيح. ولكي يستطيع المواجهة طلب المساعدة من كعب وعقد حلفاً مع إمام مسقط. وبعد ذلك حوصرت البصرة براً من قِبل البدو وبحراً من قبل أسطول الإمام (1825م). لكن عقيل ومرافقيه لم يسرعوا. وبالفعل كان الزمن يعمل ضد حمود. فعندما فشل الهجوم على البصرة تخلى عنه حلفاؤه، وفي النهاية تخلى عنه الجميع حتى أبناؤه. وتحوّل المنتفق مجموعة بعد أخرى إلى عقيل الكريم. فهرب حمود لكنه أُخذ أسيراً. وكان داود باشا يريد الحكم عليه بالإعدام لكن القنصل الإنجليزي تدخل ونجح في إطلاق سراحه. ومنذ ذلك الحين نشأت علاقات وثيقة بين المنتفق والإنجليز[2].

ظل عقيل ذا حظوة خاصة لدى داود باشا. وبينما كان علي رضا باشا يجهز في حلب حملة ضد داود، عيّن عقيل قائداً للقوة التي ستقطع عليه الطريق في ما بين النهرين الأعلى. لكن الحملة لم تنفّذ بسبب انتشار وباء الطاعون. وعندما نصب علي رضا معسكره أمام بغداد أثبت عقيل وفاءه عن طريق محاولته ـ عبثاً ـ فك الحصار[3].

(1) دوحة، 291، 295؛ لونكريك، 237؛ هويده (1817م)، رحلة إلى شاطئ مالابار في القسطنطينية، باريس، 1820، 127 وما بعدها.

(2) لونكريك، 248؛ فريزر، الجزء الثاني، 96؛ شيحا، 47.

(3) لطفي، تأريخ، الجزء الثالث، 127؛ لونكريك، 272.

أمّا أخوه وخليفته عيسى، الذي كان قد ارتبط في الوقت المناسب مع سيد العراق الجديد، فقد ظل يتمتع بثقة علي رضا باشا حتى اعتزاله (1842م).

في هذه العقود بلغت "إمبراطورية" المنتفق أقصى اتساع لها. فقد وضع داود باشا البو محمد الجنوبيين الموجودين على دجلة الأدنى، من أم الجمل حتى العزير، تحت سلطة الشيخ عقيل[1]، ووضع علي رضا[2] ربيعة المقيمين على الغراف تحت سلطة الشيخ عيسى. ثم حصل بندر، خليفه عيسى، على القطعة الناقصة التي تصل بين المنطقتين على الضفة اليمنى لدجلة[3] بحيث أن السعدون أصبحوا يحكمون على الفرات من السماوة حتى شط العرب وعلى دجلة من الكوت حتى العزير ومن هناك حتى الحدود الفارسية. ولكن كما هو الحال في كثير من الأحيان حيث تبدو الممالك تسير على طريق التوسع والنمو، بينما يكون بناؤها في الحقيقة يتعرض للتهديد على أيدي قوى جديدة، هكذا كان حكم المنتفق آنذاك يتجه نحو السقوط. كان عليه أن يتنحى عاجلاً أم آجلاً لنظام الإدارة المباشرة الجديد.

في عام 1852م احتل الأتراك السماوة، وبعد عامين أجبروا الشيخ منصور عند تعيينه على التخلي عن هذه المنطقة. وبذلك أصبح بنو حكيم «حجيم» مستقلين، وبقي آل زياد فقط مرتبطين بالمنتفق لأنهم كانوا ينزحون معهم في الربيع إلى الصحراء. وفي عام 1861م اضطر خليفة منصور إلى التخلي عن الشطرة/ قلعة صالح. ومما كان له تأثير أكبر السعي إلى تحويل شيخ المنتفق إلى موظف تركي. كانت المحاولات الأولى بسيطة وغير ضارة. ولكن بعد الخروج من سوق الشيوخ، التي كانت القوات التركية قد احتلتها عام 1856م، عُيِّن منصور، بشكل ما

---

(1) خورشيد، 54 وما بعدها. أم الجمل كانت قناة تمر تحت المجر الكبير من دجلة باتجاه سوق الشيوخ. وهذه المنطقة تتطابق تقريباً مع ناحية الشطرة/ قلعة صالح اللاحقة.

(2) أو ربما داود (؟) قارن جونز، 375.

(3) ولكن بعد وقت قصير أعاد احتلالها أصحابها السابقون بنو لام.

بمثابة خلف للموظف الإداري التركي، قائم مقاماً للمنتفق ومنح لقب بك، وحصل الشيء نفسه مع الشيخ الذي جاء بعده. وقام نامق باشا بتأزيم الوضع أكثر بأن فرض عام 1863م على شيخ المنتفق (منصور مرة أخرى) موظف محاسبة تركياً؛ وبسبب خوفه على أراضي العائلة في البصرة قَبِلَ منصور بذلك. لكن هذا الإجراء لقي معارضة شديدة واضطر الباشا بعد عام من الاضطرابات والملاحقات إلى التراجع عن قراره[1]. وبقي الأمر كذلك إلى أن جاء مدحت باشا (1869 ـ 1872م) الذي نجح في إقناع السعدون بإصلاح مشابه ولكنه مدروس بشكل أعمق ويحفظ مصالح العائلة بشكل أفضل. ففي عام 1869م استدعى شيخ المشايخ آنذاك ناصر باشا إلى بغداد وكشف له خططه وهي: تحويل منطقة القبيلة إلى سنجق (لواء) وتقسيم الأراضي بين السعدون والحكومة. وافق ناصر على الاقتراحات وأصبح أول متصرف لسنجق المنتفق (1872م) الذي أصبحت مدينة الناصرية مدينته الرئيسية الواقعة على الفرات والتي بناها مهندس بلجيكي.

لم يشمل السنجق كامل المنطقة التي يسكنها المنتفق. فالأراضي التي يسكنها بنو مالك على ضفتي دجلة فوق القرنة وعلى الضفة اليسرى لشط العرب بقيت خارج السنجق. ولذلك ما لبثت هذه الأجزاء من القبيلة أن أصبحت من ذلك الوقت غريبة عن بقية المنتفق. وكان ضياع ناحية (كوت) الحي خفيف الوطأة لأن الناحية لم يكن يسكنها المنتفق (راجع الصفحة 510 أعلاه).

لم يؤد الإصلاح إلى تمزيق وحدة المنتفق وحسب بل مزق أيضاً الروابط بين القبائل وعائلة الشيوخ: فقد تنافس السعدون فيما بينهم، سيراً على طريق ناصر باشا، على تطويب «تسجيل» أراضي القبيلة باسمهم[2] (أي تملكها شخصياً). أي أنهم حوّلوا أنفسهم إلى ملاّك أراضي بينما أصبحت القبائل مع شيوخها فلاحين لا يملكون

---

(1) هذا التطور عرضه يعقوب سركيس، 74 ـ 77، الملاحظتان، 63، 155، استناداً إلى وثائق معاصرة، بصورة ممتازة باستثناء بعض الأخطاء الصغيرة في تواريخ السنين.

(2) مرغمون على ذلك، حسبما يؤكد يعقوب سركيس، 81، ضد لونكريك 308؛ إذ إنهم في اللحظة التي يفقدون فيها منصبهم الوظيفي، سيفقدون كل علاقة مع منطقة سلطتهم السابقة.

الأرض ويتوجب عليهم ليس فقط دفع حصة الحكومة من المحصول وإنما أيضاً حصة المالك. كما أن السعدون أنفسهم انقسموا. فقد وقف منصور باشا، الأخ الأكبر لناصر، ضد الإصلاحات، وانتقل الخلاف بينهما إلى ولديهما فالح وسعدون.

في عام 1878م هبت العاصفة. فقد ثار الأجود (ب) ضد فالح باشا والأتراك. وقاموا بمحاصرة الحامية التركية في الناصرية عدة أشهر. وواجه الجيش الاحتياطي الصغير بقيادة عزت باشا مقاومة قوية عند كوت الحي. بدأ البدو المتفوقون عددياً بالهجوم وساقوا أمامهم آلاف الجمال المحملة بالرمل مشكّلة جداراً حياً. وبينما كان الرجال الراكبون على الجمال يذرون الرمل في الهواء لكي يحجبوا الرؤية عن الأتراك، كان المشاة السائرون وراءهم يتقدمون إلى الأمام. وإذا ما كانت القوة التركية قد وصلت رغم ذلك إلى الناصرية فإن الفضل في ذلك يعود إلى شجاعة الباشا الشخصية ـ وفي النهاية سيطر الأتراك على الثورة بسبب الخيانة والرشوة. واضطر قادة الفريق المهزوم إلى الهجرة إلى الصحراء السورية. وفي وقت لاحق (1881م) تبعهم فالح باشا الذي اختلف مع الأتراك[1].

وبذلك كان نظام الجمع بين منصب الشيخ والسلطة الحكومية قد فشل؛ ومنذ الآن أصبح سنجق المنتفق يُدار من قبل موظف تركي. لكن الأتراك لم ينعموا بهذه الملكية. فقد بقيت قبائل الغراف عاصية. ولم يكن السعدون، الذين عادوا شيئاً فشيئاً إلى الغراف، ولا الحكومة قادرين على تحصيل ريع الأراضي[2].

لكن منصب الشيخ استعاد هيبته على يد سعدون، ابن منصور باشا. وكان سعدون قد عاش أعواماً طويلة كرئيس للبدو في البادية إلى أن سمح له عام 1903م بالعودة إلى المناطق الحضرية. في الشطرة، وفي سوق الشيوخ أيضاً، واجه نفس

---

(1) حسين حسني، نجد والخ. . ، اسطنبول، 1328، 119 وما بعدها. ب. موريتس، جغرافيا وأعراق جنوب ما بين النهرين، 1888، 200.

(2) قارن، ريفيو، 22؛ لونكريك، 308 وما بعدها. الآن تحصّل الحكومة للسعدون حصتهم (٪7,5). كما أن جزءاً من أملاكهم انتقل إلى شيوخ الغراف عن طريق الشراء.

الصعوبات التي واجهها أسلافه واصطدم مجدداً مع الحكومة لكنه عومل بالحسنى مرة أخرى. وبعد ذلك بنى لنفسه حصناً على تل المايعة فوق الناصرية[1]. لكن قلبه كان يعشق الصحراء والسياسة العربية التي كان منخرطاً فيها منذ نهاية القرن الماضي. في عام 1899م أصبح حليفاً للشيخ مبارك ابن صباح شيخ الكويت وكان قد قاتل بحظوظ متبدلة ضد عبد العزيز ابن رشيد وفقد في ذلك اليوم المشؤوم، يوم طرفية وصاريف، خمسة من أقربائه[2]. وقام بغزوات كثيرة في الصحراء: وكان يتبعه الضفير، وهم أتباع قدامى لآل سعدون، وبين حين وآخر الدهامشة. في عام 1909م تخاصم بسبب أمر تافه مع صديقه القديم مبارك[3]. وحدثت عدة غزوات هنا وهناك إلى أن بلغ الغضب عند شيخ الكويت، الحريص على سمعته، درجة جعلته يعدّ العدة للحرب. لكن سعدون ألحق هزيمة نكراء (ربيع 1910م، انظر الصفحة 59 أعلاه) بجيشه الذي كان قد التحق به عبد العزيز آل سعود مكرهاً. وبعد ذلك هاجم سعدون الكويت لكنه اضطر إلى العودة لأن الأتراك طلبوا منه التراجع.

ولكن في العام التالي (1911م) تغيرت الصورة كلياً. فقد تقرب حمود السويط، شيخ الضفير الطموح، من الشيخ مبارك. وفي الوقت نفسه بدأت قبائل سعدون تتمرد. وأخيراً حاصرته قبائله في المايعة. فأرسلت له الحكومة مساعدة، ولكن عندما هددت القبائل بإغراق الناصرية[4] طلبت الحكومة منه الانسحاب.

---

(1) التقارير الواردة في "عالم الإسلام"، الجزء الثاني، 55 وما يليها، مشوشة جداً كالعادة.

(2) محمد البسام، 1913.

(3) سرق أحد الكويتيين صقراً لرجل من السعدون. ورفض مبارك العمل على إعادته إلى صاحبه (محمد البسام). وبقدر ما يبدو هذا الدافع سخيفاً فإنه ليس غريباً عن سعدون أن يرد على هذه الإهانة بالغزو. ويقول ريحاني، تاريخ نجد، 165، أنه كانت هناك مؤامرة يحيكها الشيخ مبارك وخزعل خان صاحب المحمرة وسيد طالب صاحب البصرة وصل خبرها إلى أسماع الحكومة فقررت تحريض سعدون ضد أخطر واحد من الثلاثة وهو مبارك. لكن هذا الحلف الثلاثي تشكّل في وقت لاحق. كما أن ريحاني نفسه يقول، في الصفحة 166 أعلاه، أن الأمر لم يكن يتعلق بأمور سياسية هامة وإنما بأشياء تافهة لا قيمة لها.

(4) بواسطة بحيرة أو قداحة التي جفت الآن؛ قارن عبد الرزاق الحسني، 139.

ولكي تتخلص من مسببي الاضطرابات قررت إبعاده إلى خارج البلاد. فأعرب سيد طالب صاحب البصرة[1]، الذي لم يكن يقبل بتقاسم النفوذ في منطقته مع أي أحد وكان حريصاً على إقناع الأتراك "تركية الفتاة" بولائه لهم، عن استعداده لاستدراج سعدون ـ الذي كان قد أصبح باشا منذ زمن طويل كأسلافه ـ إلى البصرة. وهكذا اعتقل سعدون في منزله ونقل إلى حلب.

تولى حمود السويط قيادة المنتفق نصف البدو (بدور، وغزي، وحسينات، وشريفات، وجوارين، وحسن) (ب 8 ـ 12، جـ 3) وأتباعهم (القشعم، الزياد، الغزالات)، بحيث أن ابن سعدون، عجمي[2]، بقي عاجزاً تماماً. ولقد تحدثنا في الصفحة 156 أعلاه كيف تخلص من وضعه الصعب نتيجة انتصار ابن رشيد على حمود السويط. على إثر ذلك حضر عمه الثري مزيد إلى مخيمه. فطلب عجمي، الذي لم يكن يعرف كيف سيدفع رواتب رجاله، من عمه مزيد أن يقرضه المال. وعندما رفض مزيد العجوز، الذي كان يحمي خزانته بمنتهى الحذر والخوف، الطلب، قام عجمي بسرقة الخزنة. فلجأ مزيد غاضباً إلى حمود السويط وتبعه اثنان من أولاد أخيه، أحدهما عبد الله الفالح. وبانتقال الشريفات إلى قريبه خسر عجمي معركة الخنيقة التي كان قد ربحها. ولكن رغم ذلك كان الحظ إلى جانبه: فقد

---

(1) ينتمي سيد طالب إلى عائلة سنية من أكثر عائلات البصرة وجاهة وجاهاً. كان أبوه رئيس الطريقة الصوفية الرفاعية ونقيب البصرة، ولكن هذا المنصب كان قد انتقل حديثاً، قبل أجيال قليلة، إلى العائلة نتيجة المصاهرة. من عام 1902 حتى عام 1906م (؟) كان سيد طالب متصرف "نجد" ثم انضم بعد ثورة عام 1908م، في البداية، إلى حزب "الوحدة والتقدم" ثم إلى «التحالف الليبرالي» أو بالأحرى إلى صيغته العربية "اللامركزية". في أكتوبر/تشرين الأول 1914م استدعي إلى القسطنطينية، لكنه ذهب، بعد أن أجرى مفاوضات مع الإنجليز، إلى آل سعود (انظر الصفحة 118 أعلاه) ومن هناك إلى الهند ثم إلى مصر. وفي بداية عام 1920م عاد إلى البصرة، لكنه أصبح مزعجاً للإنجليز إلى درجة أنهم نفوه إلى الهند.. وأخيراً عاد إلى البصرة وقد سئم السياسة. ثم توفي عام 1929م في ميونيخ إثر عملية جراحية، وكان عمره حوالى 58 عاماً.

(2) الصيغة الإنجليزية "عجيمي" وعند الريحاني وفي الصحافة العراقية أيضاً. ويعود السبب في ذلك إلى خطأ ناجم عن اللفظ البدوي للاسم: «عجِمِي».

سقط مزيد من على ظهر بغله، عندما أراد مساعدة ناقل خبر النصر على الصعود إليه، ومات نتيجة لذلك. كان لوفاة أكبر آل سعدون سناً تأثير كبير أدى إلى تفرق المنتصرين عن بعضهم البعض. وأدى المال ما تبقى من المهمة: بعد عدة أشهر أصبح عجمي قانونياً وفعلياً الشيخ الأكبر لمنتفق الفرات.

كان هدفه الأول الانتقام من سيد طالب لوفاة أبيه الذي كان قد مات في الأسر التركي. لكن الحكومة حمت سيد طالب على الرغم من أنه كان أخطر خصومها. وفي صيف 1913م اغتيل في البصرة كل من متصرف سنجق المنتفق والقائد العسكري للمنطقة(*)، اللذين كان عليهما التحرك ضد سيد طالب لأن الوالي لم يجرؤ على ذلك. ولم يحدث أي شيء سوى أن المشتبه به وضع الذنب على عاتق عجمي الذي كان يعسكر أمام البصرة منذ عدة أشهر بالاتفاق مع أنصار حزب "الوحدة والتقدم"[1].

في ربيع عام 1914م خيّم عجمي مع صديقه القديم ابن رشيد قرب البصرة. كلاهما كان يتخيل حرباً مع آل سعود ويأمل في أن يتلقى فيها دعماً من الأتراك. لكن الحكومة وممثلها في البصرة لم يكن لهما مصلحة في خوض حرب في شبه الجزيرة العربية، وإنما كانا يأملان في استعادة السيادة الظاهرية على شرقي شبه الجزيرة عن طريق المفاوضات مع ابن سعود وأرسلت له لهذا الغرض وفداً برئاسة سيد طالب[2].

في 6 نوفمبر/تشرين الثاني 1914م نزلت البعثة الاستكشافية البريطانية الهندية

(*) اسم آمر موقع البصرة فريد بك، أما نوري بك الجابري فهو متصرف الناصرية وهو شقيق ساطع بك المعروف بالحصري. «وقد كانت الشكوك تدور حول طالب النقيب في قتل نوري بك كما يقول الدكتور الوردي في لمحاته الاجتماعية» (م. شبّر).

(1) الأخبار الصحفية في «عالم الإسلام»، الجزء الثاني، 47 وما يليها، 308 وما يليها، عادت غامضة إلى حد ما.

(2) راجع الصفحة 61 أعلاه. التاريخ الذي يذكره فيلبي، الجزيرة العربية، 231 وهو خريف 1913م غير صحيح حسب الريحاني، تأريخ نجد، 191 وما بعدها. الصحيح كتاب الجزيرة العربية، الجزء الأول، 355.

عند مصب شط العرب. واشترك عجمي في معركتين أمام البصرة دون أن يتعرض مع فرسانه للنيران المعادية. وبعد الانسحاب من البصرة (في 22/ 11) تعثرت العمليات الحربية. وبما أن عجمي كان مشحوناً بعدم ثقة عائلته منذ زمن طويل بالأتراك فقد حاول الاتصال بالإنجليز، لكنه لم يتلق جواباً مرضياً[1]. بالمقابل وعده الأتراك بالأملاك الأميرية التي كانت من نصيب السلطان بعد تقسيم منطقة المنتفق. ومنذ ذلك الحين حافظ على موقفه إلى جانب السلطات المركزية حتى النهاية المرة. وأتاحت له الدعوة إلى الجهاد الفرصة مرة أخرى لأن يوحد جميع المنتفق تحت راية واحدة. وقادهم في معركة الشعيبة (12 ـ 14 أبريل/ نيسان 1915م) لكنه لم يستطع منع رجاله من الفرار أمام نيران المدفعية. إلا أنه أدى خدمات أكبر في الحروب الصغيرة التي دارت على خط الفرات واستمرت عدة سنوات[2].

نتيجة انهيار السلطات المركزية[*] فقد آل سعدون نهائياً سلطتهم على المنتفق. فقد استقلت قبائل الغراف التي لم تبدِ أي مقاومة ضد الإنجليز. أمّا قبائل الفرات فقد ظلت متضامنة كما تبين من مشاركتها جميعها في ثورة عام 1935م.

ينقسم المنتفق إلى ثلاث مجموعات: الأجود، وبني مالك، وبني سعيد. وكانوا في القرن الثامن عشر خمس مجموعات هم، بالإضافة إلى الثلاث المذكورين، بنو تميم، والعتيبة. وقد اندمج بني تميم مع بني مالك، أمّا العتيبة فقد اختفوا[3]. وكانت هذه القبائل من البدو الرُحّل وتربي الجمال. وكان يقابلها قبائل

---

(1) ريفيو، 3 وما بعدها.

(2) كانت هناك مجموعة صغيرة من الفرسان شكلها الإنجليز من آل سعدون، الذين كانوا يأملون في استعادة مرتباتهم بواسطتهم، لم تشترك في المعركة.

(*) لقد كان دخول القوات البريطانية البصرة واحتلال العراق قد أدى فقدان آل السعدون بقايا سلطتهم على المنتفق. (م. شبرّ).

(3) يفترض أنهم "ينتسبون إلى العتيبة في الحجاز وأنهم جاؤوا إلى هذه المنطقة بعدد قليل من الناس"، نيبور، رحلة إلى الجزيرة العربية، 388.

نصف بدوية (شاوية) وفلاحون ومعدان. وكانت القبائل الأولى تعد من المنتفق الأصليين بصفتهم محتلين للأراضي ويتمتعون ببعض الامتيازات الضريبية، أمّا الأخيرة فكانت تعد من الخاضعين، من الرعية[1]. وخلال مائة عام تغيرت هذه العلاقة تغيراً جوهرياً. فمن الناحية الأولى تحوّل مربّو الجمال إلى نصف بدو رُحّل، ومن الناحية الأخرى صعد كثير من الخاضعين إلى مرتبة المنتفق الأصليين وانضموا إليهم. وبدأ هبوط مرتبة أولئك مع حصول شيوخ البدو على أراضي، أمّا صعود هؤلاء فقد بدأ بإثبات جدارتهم في الحروب. ولقد ظل هذا التوازن، كما سنرى في الفصول القادمة، قائماً حتى القرن الحالي. لكن قبائل الجزائر وبعض القبائل الأخرى ظلت خارج الاتحاد.

يربي شاوية المنتفق، خلافاً لاسمهم، ليس فقط الأغنام وإنما أيضاً الأبقار. ويحمل المعدان اسم الدبّات.

يوجد في منطقة المنتفق منذ زمن طويل عدة تجمعات سكنية كان سوق الشيوخ، حتى تأسيس الناصرية (عام 1870م)، أهمها. وكانت سوق الشيوخ تسمى في الأصل سوق النواشي، وحصلت على اسمها الجديد في عهد الشيخ عبد الله (1742م ـ 1775م) الذي كان يقضي هنا مع أقربائه كثيراً من الوقت. وفي عام 1850م كان معظم سكانها يتألفون من مهاجرين جاؤوا من شبه الجزيرة العربية (قصمان، ونجادة)[2]. أمّا الخميسية الواقعة جنوب سوق الشيوخ فقد نشأت في حوالى عام 1886م ويتألف معظم سكانها من النجديين أيضاً[3]. وأمّا الشطرة، البلدة الرئيسية في الغراف الأدنى، فقد أسسها عام 1202هـ/ 1787م سكان قرية الشاهينية المتهدمة[4]. وكانت في الأصل واقعة على الضفة اليمنى لقناة متفرعة من الغراف

(1) نيبور، المرجع السابق نفسه، يوسع هذا التعبير ليشمل البدو الرحل أيضاً (في العلاقة مع آل شبيب)، وهذا خطأ كما تبين عند خورشيد، 62.

(2) انظر فريزر، الجزء الثاني، 98؛ خورشيد، 59.

(3) خورشيد، 48، 65 وما بعدها؛ عبد الرزاق الحسني، 141.

(4) عالم الإسلام، الجزء الثاني، 33.

لكنها نقلت عام 1290هـ/ 1873م إلى ضفة الغراف نفسه. وأمّا قلعة سكر باتجاه الأعلى فقد نشأت عن حصن بناه عام 1290هـ/ 1873م الشيخ سكر بن شلب، شيخ الطوقية (ب 2، الملحقون ب)، وأسس الكرادي(*) عام 1311هـ/ 1893م الحاج عباس الكرادي (من الكرادة الواقعة في ضواحي بغداد)[1].

(*) أودّ أن أُلفت نظر القارىء الكريم بالتغيرات التي حدثت بأسماء مدن وقصبات العراق في الربع الأول من القرن الماضي والوقت الحاضر. وهل سوف يتم تغير أسماء المدن والقصبات مستقبلاً؟ لذا أدرج أدناه بعض الأسماء التي يوردها المؤلف والتي تمَّ تغيرها.

الجعارة (الحيرة)، السوارية (الفيصلية ثم المشخاب)، أم البعرو (الشامية)، طويريج (الهندية)، الجربوعية (الهاشمية)، الجبايش (الجزائر)، البو صالح (الاصلاح)، الكرادي (الرفاعي)، سويج شجر (الغجر)، سويج شكبان (النصر)، سويج الطبرية (الغراف)، محيرجة (الموفقية)، البغلية (النعمانية)، دلتاوه (الخالص)، شهربان (المقدادية) فزلرباط (السعدية) قره غان (جلولاء)، مهروت (كنعان)، دلي عباس (المنصورية)، سميكة (الإبراهمية ثم الدجيل). (م. شبّر).

(1) عبد الرزاق الحسني، 143 وما بعدها (تقرأ هناك منثر بدلاً من منتر، مخزن)، 144.

الأجود

يبدأ الأجود على الحدود الغربية القديمة للمنتفق عند عرجه ويمتدون على الغراف حتى ما بعد قلعة سكر وعلى الضفة اليمنى للفرات حتى سوق الشيوخ. القبائل الموجودة جنوب الفرات (ب 9 ـ 13) والبدور (ب 8) نصف رُحّل، شاوية، يرحلون في الربيع إلى البادية السورية ويصلون حتى الرواق والباطن، أمّا السكان المقيمون على الغراف فهم مزارعون. وهذا ما كانت عليه قبائل الغراف منذ منتصف القرن الماضي. كما أن تركيبة هذه المجموعة وتوزع أماكن سكنها لم يطرأ عليهما تغير يذكر[1]. وقد انضمت إليها قبيلتان هما: البو سعد (5) وبني زيد (4)؛ البو سعد هم في الأصل فخذ من الأزريق «الأزيرج» (7)؛ أمّا بنو زيد فهم جزء صغير من القبيلة التي عالجناها في الصفحة 556 أعلاه. وفيما عدا ذلك لا يوجد ما تجدر الإشارة إليه سوى التزايد المدهش للحميد (2) الناجم عن انضمام عناصر غريبة. بالمقابل هناك اختلاف جوهري في تصنيف هذه القبائل. نيبور (1765م) لا يعرف من قبائل الغراف الحالية سوى بني ركاب(ب1) كفرع من الأجود[2]، أما خورشيد، 47، فينسب إليهم أيضاً العبودة (ب 3) وخفاجة (ب6) والشويلات والصريفيين وعقيل (ب ملحقون جـ، د، هـ). لكن خفاجة لا ينتسبون في الأصل إلى الأجود وكذلك عقيل[3]. أمّا

(1) خورشيد، 52 وما يليها.

(2) الجزيرة العربية، 388. نيبور يسميهم: آركاب!

(3) جونز، 76، ينسبهم إلى سرّاج «سراي» ـ ربيعة.

الشويلات[1] والصريفيين فيبدو أنهم معدان. كما أن العبودة أيضاً من أصل غريب[2].

من بين القبائل نصف البدوية الموجودة جنوب الفرات لا ينتمي، حسب نيبور وخورشيد، إلى الأجود القدامى سوى الجوارين (12) والزهيرية (13). أمّا الغزي (9) فهم من ناحية المنشأ فضول (بني لام)، وكانوا على الأرجح ينتمون إلى تلك المجموعة من هذه القبيلة التي بقيت في شمال شرق شبه الجزيرة العربية (انظر الصفحة 237 أعلاه). والحسينات (10) ورد ذكرهم عند خورشيد، 50، ولكن ليس كجزء من الأجود.

لم يكن للأجود، على الأقل في منتصف القرن الماضي، زعيم مشترك. لدى القبائل الشمالية (بني ركاب، عقيل، شويلات، الصريفيين وحميد) كان يوجد رؤساء للجمايع[*] «جماعات» يرتبطون مباشرة بشيخ مشايخ المنتفق[3]. أمّا أهم أسرة بين أجود الغراف فهي آل منّاع. وفي أغلب الأحيان يوصف رئيسها زامل بأنه شيخ الأجود[4].

---

(1) انظر جدول البو محمد، الملحقون 3.

(2) عبد الرزاق الحسني، 137. وهناك أيضاً عبودة وصريفيون وآخرون ينتمون إلى بني مالك، خورشيد، 46.

(3) تعبير «الجماعة» (جماميع)[*] يعني حسب خورشيد، 58، مجموعة من الناس يعيشون معاً في خيام من القصب. ومثل هذه الجماعات مذكور على الخارطة، قلعة سكر، الناصرية، عدد كبير منها.

(4) معروف منذ عام 1913م. عالم الإسلام، الجزء الثاني، 45، رقم 91.

(*) يستعمل البدو صيغة جمعية لبعض الأسماء أو الكلمات جميع = جماميع أي مجموعات أو جماعات وكذلك رجال = رجاجيل. (م. شبّر).

بني مالك

تعيش قبائل بني مالك (جـ 1 ـ 4) على الفرات إلى جوار قبائل الأجود مباشرة وتنتشر حتى شمال وجنوب هور الحمَّار. وعلى عكس الأجود فقد كان لهم منذ القدم شيخ أعلى هو في الوقت الحاضر بدر الرميّض الذي يتمتع بسمعة أكبر مما له من نفوذ.

هناك فرع آخر لبني مالك يعيش على الجانب الآخر من شط العرب، لكنه فقد الصلة مع الآخرين بسبب تقسيم منطقة المنتفق[1]. هذان الفرعان يتطابقان تقريباً مع المجموعتين اللتين انشق إليهما بني مالك عام 1850م. إلاّ أن الفرع الأول كان يعيش آنذاك على ضفتي دجلة الأدنى بين العزير والقرنة، وكانت قبيلة واحدة منه فقط، وهي الحكام «الحجام»[2]، تعيش على الفرات. وفيما يتعلق بتركيبة هذه

(1) لذلك لم يذكر في الجدول. شيخ المشايخ: مهلهل بن عرفج. القبائل: العرفج، بنو إسكين (سكين)، بنو نهد، الشريفات، وغيرها (عجمي السعدون 1929م). بني نهد والشريفات يذكرهم نيبور الجزيرة العربية، 388، والعرفج والسكين يذكرهم خورشيد، 46. في الخرائط الأحدث يرد ذكر المجموعة تحت اسم المنتفق القديم «خلط» (انظر الصفحة 590 أعلاه). بخصوص أصل عائلة شيوخها انظر المعلومات التي لا توحي بقدر كبير من الثقة في عالم الإسلام، الجزء الثاني، ص 28، رقم 6، 7.

(2) وهي أيضاً غير موجودة بين قبائل القرنة التي يذكرها عبد الرزاق الحسني، 146، على الرغم من أن الناس قد أكدوا لي عام 1939م في بغداد أن مجموعة كبيرة من بني مالك قد بقيت بين العزير والقرنة.

المجموعة فإن خورشيد (48 وما بعدها، 53 وما بعدها) يذكر الإبراهيم والبو صالح والحسن (جـ 1 ـ 3) في أماكن سكنهم الحالية ولكنه لا ينسبهم إلى المنتفق؛ وهذا يعني أنهم انضموا إلى بني مالك في وقت لاحق. من ناحية أخرى يبدو أن العشرين قبيلة التي ينسبها خورشيد، 46، إلى هذه المجموعة، قد اختفت جميعها باستثناء الرميّض والحكام «الحچام».

هناك ثلاث قبائل من المجموعة الثانية معروفة منذ زمن قديم؛ ويبدو أننا لا نعرف تكوينهم الحالي بشكل كامل (انظر الصفحة 614، الحاشية 1). وأن تكون هذه المجموعة قد انضمت إليها أيضاً عناصر غريبة فهذا ما يثبته الزوابعة والشمامرة، أي زوبع وشمر، وكذلك تميم خورشيد المذكورون في الصفحة 542 أعلاه.

كانت هذه المجموعة الثانية من بني مالك تسكن في منتصف القرن الماضي على الضفة اليسرى لشط العرب من السويب حتى ناحية دعيجي (منتصف الطريق: البصرة ـ المحمرة). وفيما وراء الشط كانت تنتشر بعيداً نحو فارس «إيران» في السهول الواقعة بين الحويزة والكارون. كانت كلتا المجموعتين تخضع آنذاك لنفس الشيخ وكانتا تخيمان في الربيع مع شيخ المنتفق في البادية السورية. ولم يزل البو صالح يفعلون ذلك حتى اليوم، لكنهم لم يعودوا يتبعون السعدون.

بني سعيد

بالمقارنة مع المجموعتين الأخريين من المنتفق "الأصليين" يعيش بني سعيد إلى حد ما في الظل. ويعود السبب في ذلك إلى بعد المنطقة التي يتنقلون فيها والتي تضم السهول المحيطة بمزار السيد أحمد الرفاعي[1] المليئة بالأهوار. وهي تمتد من الداوية (دواية) وهور الغموقة في الغرب حتى الشطانية ومن شط الدجيلة في الشمال حتى مسافة قريبة من الفرات. في الطرف الغربي من منطقتهم كان بني سعيد في منتصف القرن الماضي يمارسون الأعمال الزراعية[2]، وفي وقت لاحق في الطرف الشرقي أيضاً. ولقد أصبحت القبائل التي استوطنت هنا، وهي المريان، والعيسئ، والبزون[3]، مستقلة.

وهناك حكاية تقول بأن شيخ بني سعيد، المحيسني، قد أعمي على يد ثويني

(1) مؤسس فرقة الرفاعية «الدراويش النواحون». ويسمى السهل باسمه: جزيرة السيد أحمد الرفاعي.

(2) خورشيد، 52. وفيما عدا ذلك مربو أغنام وأبقار. إضافة إلى ذلك يذكر خورشيد، 48 وما بعدها، جماعات من بني سعد (مستقرين) يعيشون على الفرات تحت سوق الشيوخ (1000 رجل).

(3) البزون؟ في الخريطة يسمون «بُزّون»، ولكن انظر ص 478 أعلاه، أم بَزّونة، موزيل، الفرات الأوسط، 113، 117، وإنما أ. بَزّونة؛ وفي: مسح الحيوانات في العراق. يرد الاسم "بِزون" بمعنى "المستنقع".

لأنه طلب الحماية من أولاد سرداح ضد إرادته (انظر الفصل ما بعد القادم). لكن ثويني ندم على فعله الشنيع وتنازل عن أراضي الغموقة للمحيسني[1].

(1) محمد باقر، 82 وما بعدها.

المريان

انبثق المريان عن العيسى. ويقال بأن جدهم كان رجلاً غريباً اكتسب سمعة عن طريق قتل أصدقائه الذين يحمونه. وهو يعود حسب شجرة النسب إلى بداية القرن الثامن عشر[1]. لا يملك المريان أراضي وإنما يعمل بعضهم في خدمة شيوخ العيسى وبعضهم في أراضٍ يستأجرها شيوخهم من شيوخ آخرين. وهم يخضعون لنفوذ البزون.

(1) محمد باقر، 85 وما بعدها. أن يكون آلبو ندى «البونده»، والأوفر آل ندى «آل نده»، وهم جماعة فتية تماماً في علي الغربي، قبيلة شقيقة للمريان، كما يزعم محمد باقر، فهذا أمر يبدو مستبعداً كلياً. أما أن يكونوا منحدرين من قبيلة تحمل الاسم نفسه وتعيش قرب مندلي (انظر صفحة 578 ب1 أعلاه) فهو أمر أكثر احتمالاً.

العيسى والبزّون (البزون)

يرجع العيسى والبزون أصلهم إلى رجل اسمه سرداح كان، حسب مشجرة النسب، موجوداً في نهاية القرن السابع عشر، ولذلك يسمّون إيضاً السرادحة. وفي الحقيقة فإن سرداح هو فعلاً جد البزون ولكنه ليس جد العيسى؛ إذ يوجد بين أحفاده رجل اسمه بزون ولكن لا يوجد أي رجل اسمه عيسى. والأرجح هو أنه مؤسس عائلة شيوخ العيسى الحالية. وأن يحصل رجل غريب على منزلة الشيخ فهذه حالة ليست نادرة. فقد كان غريباً ولكن ليس من مكان بعيد[1] وإنما من المولودين في بلاد المنتفق؛ إذ إنه حصل لا شك على اسم سرداح النادر تيمناً بشيخ مشهور من مشايخ المنتفق في القرن السابع عشر (انظر مشجرة النسب)[2].

في عهد ناصر باشا السعدون ـ شيخ مشايخ المنتفق منذ عام 1866م ـ حصل العيسى والبزون على أراضٍ في الشطانية وعودة حيث تخلوا شيئاً فشيئاً عن حياة البداوة. وبما أنه توجب عليهم في وقت لاحق دفع ريع الأراضي في العمارة فقد اغتربوا عن بقية بني سعيد الذين كانوا يعتمدون على سنجق المنتفق. وكانوا قبل عام 1877م قد طردهم جيرانهم الأزريق «الأزيرج» (انظر مقالة المعدان) وأقرباؤهم المريان[3] من موطنهم الجديد، لكنهم عادوا بعد عامين وطردوا المريان. وفي

(1) أورينس، 2، 352، برهنتُ على أن حكاية الرحيل التي رواها محمد باقر، 82، غير صحيحة.

(2) كما أن أحفاده يسمون أيضاً بأسماء شيوخ المنتفق: صقر، عثمان.

(3) كان هؤلاء يخيمون عام 1850م، أي قبل العيس والبزون، قرب عوده، جونز، 377.

وقت لاحق تصالحت القبائل الثلاث لأن العيسى والبزون(*) تلقوا الدعم من المريان في العداء الذي نشب بينهم وبني البودراج.

في عام 1932م قتل البزون رجلاً كان يستأجر الأراضي منهم. ولذلك انتزعت الحكومة عودة من القبيلة وأعطتها للأزيرج. وبما أن البزون لم يكونوا راضين عن التعويض الذي قدمته لهم الحكومة فقد شنوا هجوماً على الأزريق «الأزيرج» في مايو/أيار 1938م أثناء فترة الحصاد. فرد الأزريق «الأزيرج» على الهجوم وحرقوا خيام (أكواخ) البزون، لكنهم فقدوا في أثناء ذلك 160 قتيلاً. وبعد جهد جهيد تمكنت المحكمة المختصة بقضايا القبائل من تسوية النزاع. وفي خريف 1946م اشتد التوتر بين القبيلتين مرة أخرى، ولكن السلطات الحكومية حالت دون وقوع صدام جديد.

(*) ذكر عباس العزاوي في الجزء 4 ص74 أن البزون يتفرعون إلى فرعين فرع ذكره المؤلف وهم آل خليفة ويتألف آل خليفة من آل مگصود والمتناتشة والخليفة وبيت محمد.

أما الفرع الثاني فهو آل بري ويتفرعون إلى السعيد والزعيطر والسويد والتومان.

من رؤسائهم نايف أبو عوجة ونجيل. (م. شبّر).

عائلة شيوخ المنتفق[1]

تعود الرواية التاريخية لبيت شبيب ـ سعدون في تسلسل نسب الأسرة إلى مانع (انظر الصفحة 592 أعلاه). وما إذا كان شبيب أبو مانع أو أحد أجداده فهو أمر مشكوك فيه؛ على الأرجح أحد أجداده[2]. وتجدر الإشارة إلى أن آل شبيب لم يكونوا الخط الوحيد للعائلة، بل كان إلى جانبهم آل صقر المسمّون باسم أحد أخوة شبيب. وقد تفرع آل صقر إلى: آل ناصر، وآل سرداح، وآل صالح، بينما تفرع آل شبيب إلى: آل مانع، وآل مغامس، وآل محمد[3]. وفي عام 1850م كان هناك ثمانية خطوط لآل شبيب هم: السعدون، والراشد، والصقر، والعزيز، والصالح، والعيسى، والعلي، والعثمان، وجميعهم أحفاد شيوخ مشايخ سابقين[4]. أي أنه لم يبق من القدامى سوى الصقر والصالح وفرع من المغامس،

---

(1) انظر شجرة النسب والملاحظة المتعلقة بها.

(2) لونكريك، 349، يعلق على السلسلة مانع بن شبيب بن مانع بن شبيب بن مهنا بالقول: الحلقات الأربع الأولى تخمينية. وبالفعل فإن مثل هذه التكرارات هي من الخدع المعروفة لعلماء الأنساب.

(3) نيبور، الجزيرة العربية، 387 وما بعدها. تحت آل مانع نعني أحفادهم غير المنحدرين من محمد أو مغامس.

(4) خورشيد، 55. اسم جد القبيلة عثمان أو بالأحرى اسم ابنه مهنا يرد ذكره عند عزي، 197 وما يليها (1748).

العزيز، وأصبحوا ينسبون إلى شبيب. ومن السعدون تميز العيسى، بصفتهم الأسرة الحاكمة آنذاك، والعلي[1]. واليوم ينقسم آل سعدون إلى 13 عشيرة (الجدول أ). والخطوط القديمة متحدة مع شبيب (أ 13) باستثناء العزيز (12). ومن قائمة خورشيد يعود العلي (أ 3) مرة أخرى. أمّا البقية فهم أحفاد شيوخ حديثين أو ينحدرون من خطوط فرعية لم تستلم الحكم.

كان الشبيب ـ سعدون يشكلون، حتى إصلاحات السبعينيات، طبقة متضامنة مفصولة فصلاً حاداً عن القبائل. وكان أبناؤهم يحملون لقب شيخ[2]، وكانت العشائر مع تابعيها يحملون اسم «حموله» (جمع: حمايل)، وهو تعبير مستعمل في شبه الجزيرة العربية ولكنه غير مستعمل في العراق[*]. وكان للشيوخ ملكيات عقارية وحصص من عائدات أخرى، سواء بصفتهم ورثة شيوخ مشايخ سابقين، أو عن طريق منح يقدمها لهم الرئيس الحاكم. وكانت هذه الملكيات العقارية معفية من الضرائب. وكان أبناء العائلة يزوجون بناتهم دوماً فيما بينهم وكانوا يختارون زوجاتهم فيما عدا ذلك فقط من ربيعة، باويه (شيوخ بني خيقان «خيگان»، أو عريعر، أو شمر[3]. وكان الشيوخ يتمتعون بحرمة قدسية. ففي النزاعات داخل الأسرة لم يكن أي منتفقي يتجرأ على رفع يده ضدهم أو حتى ضد عبيدهم. وتعتنق العائلة المذهب المالكي السني بينما تعتنق القبائل المذهب الشيعي.

---

(1) ليس معروفاً متى حكم علي.

(2) راجع أيضاً فيما يتعلق بالتالي نيبور، 387 وما بعدها؛ خورشيد، 55 وما بعدها. يقدر نيبور عددهم عام 1765م بمائة وخمسين شخصاً، ويقدر فريزر (الجزء الثاني، 101) عددهم عام 1835م برقم مماثل تقريباً.

(*) يستعمل تعبير الحمولة في العراق وشاهدان على ذلك:

1 ـ المثل العراقي ـ البغدادي ابن حموله ـ عندما يصف رجل بأنه ابن حمولة فيعني ابن عشائر وأصيل.

2 ـ هناك أغنية عراقية مشهورة وهي من التراث الشعبي العراقي تقول كلماتها:

يابن الحمولة عليّ شبدّلك   حسنك مرقيك لو عاد إلك

(م. شبر).

(3) هكذا عجمي السعدون. حسب خورشيد، 56، كان الاختيار يقتصر على ربيعة وبويه.

يظهر الشيخ الأعلى، شيخ المشايخ، في ثلاث هيئات: فهو رئيس الشبيب ـ سعدون، والشيخ الأعلى للمنتفق، وسيد المنطقة الكبيرة المقدمة له من الحكومة والتي تتجاوز كثيراً حدود القبيلة. وكان، خلافاً لرؤساء القبائل الآخرين، يحكم حكماً مطلقاً. فكان ينتزع الملكيات من أعضاء أسرته غير المنضبطين. كان سيد المحكمة. وكان يطلب في حالات القتل، بالإضافة إلى الدية المستحقة لعائلة المقتول، غرامة (نكال)[1] تتحمل قبيلة القاتل المسؤولية عن أدائها. وكان من حقه إصدار حكم الإعدام؛ وكان ينفذ بيده أحكام الإعدام الصادرة بحق أعضاء الأسرة والشيوخ الآخرين.

إن هذه الصلاحيات غير العادية لا بد أن جذورها تعود إلى العلاقة البدائية بين الشيخ والقبيلة. وعلى هذا الأساس فإن الحكاية التي تشتق مكانة الشبيب ـ سعدون من الامتيازات التي منحها بنو مالك لمؤسس العائلة تتضمن شيئاً من الحقيقة. لكن اتساع وتطور هذه الصلاحيات يعود إلى السلطة الاقتصادية الهائلة التي يتمتع بها "شيخ المشايخ" بصفته المسؤول العام عن جباية الضرائب في بلاد المنتفق وفي مناطق كثيرة خارجها. وكان "شيخ المشايخ" يحدد مقدار الضريبة ويكلف آخرين بتحصيلها لقاء نسبة معينة. كانت ضريبة أشجار التمور (النخيل) ثلاثة أرباع المحصول، وضريبة بقية المنتوجات الزراعية ثلثي المحصول، وضريبة الأغنام ثلثي الزيادات، وضريبة الجواميس ثلثي محصول الزبدة. إضافة إلى ذلك كان جميع البالغين من الرعية (الشاوية، والفلح، والمعدان) خاضعين لضريبة شخصية على الراس الداؤودية، «الداؤدية»، بينما كان المنتفق الأصليون لا يدفعون سوى ضريبة الماشية[2]. أمّا في القبائل الغريبة فكان الشيوخ يؤدون دور المتعهد المسؤول أمام

---

(1) قدرها 1200 شامي (1 شامي = 8 قروش).

(2) خورشيد، 62 وما بعدها. لكن هذا يجب أن يكون عائداً إلى زمن أقدم لأن التعبيرين «منتفق أصلي» و «بدو رحل» لم يعودا متطابقين عام 1850م. ولقد ذكر له أحد الأطراف أن مقدار «الداودية» يتراوح بين 8 و30 شامي وذكر طرف آخر أنه 15 شامي وأن المبلغ الإجمالي كان يصل إلى 100000 شامي. وهذا يعني، حتى في حال اعتبار الداودية «الداؤدية» 10 شامي

شيخ المشايخ عن الجباية لقاء نسبة معينة[1].

يضاف إلى ذلك عائدات ضخمة من الجمارك. كان يوجد على الفرات في القرن الثامن عشر نقطة جمركية مقابل نهر عنتر وأخرى في عرجة. وكانت هذه تابعة لفرع الصالح من عائلة الشيوخ[2]. في القرن التاسع عشر أصبحت جمارك الفرات تجبى في سوق الشيوخ؛ وكانت تؤجر إلى جانب ضرائب أخرى في الناحية بمبلغ 50000 شامي. وكان جمرك دجلة، الذي كان مركزه موجوداً في زكية فوق القرنة، يؤجر بمبلغ 12000 شامي؛ وكانت الضريبة العقارية في ناحية زكية تجلب مبلغاً مماثلاً.

وأخيراً نذكر الملكية العقارية التي كانت تمنح للشبيب من حكام المدن، ومنها جزء كبير من بساتين النخيل في البصرة في عام 1741م[3]. ولقد بقي جزء كبير من هذه الأملاك في يد العائلة.

مقابل هذه الموارد الضخمة لشيخ المشايخ لم يكن يتوجب عليه، حسب خورشيد، 64، أن يدفع للأتراك سوى رسوم ضئيلة نسبياً[4]. إلا أننا يجب أن

فقط، أن عدد "الرعايا" كان يصل إلى 10000 شخص. أما في الواقع فكان عددهم أكبر من ذلك بكثير. وهذا يعني أن الملزمين بدفع الداودية «الداؤدية» (ضريبة الرأس) لا يتطابقون مع الخاضعين ـ ويفترض أن العائدات الضريبية للبدو الرحل كانت بسبب قطعانهم الكبيرة تعادل من ناحية الحجم العائدات الضريبية للرعايا.

(1) كان بنو حكيم «حجيم» تحت السماوة يدفعون 100000 شامي، والمياح ـ ربيعة على الغراف الأعلى 300 شامي، ؛ خورشيد، 64؛ جونز، 376.

(2) نيبور، وصف رحلة، الجزء الثاني، 248 وما بعدها؛ أوتر، الجزء الثاني، 163، 168.

(3) خورشيد، 63.

(4) انظر صفحة 597 وما بعدها أعلاه. عام 1850م كانت هناك 15 ناحية مؤجرة في يد المنتفق؛ خورشيد، 18 وما بعدها. وقد تمّ فصل 6 و8 نواح من هذه النواحي من منطقة المنتفق في العامين الناقصين عند خورشيد 1861م و1867م. وكانوا قد منحوا عام 1744م منطقة عند سوق الشيوخ؛ فريزر، الجزء الثاني، 96.

جونز، 379، يقدر ضريبة المنتفق بحوالى 750000 شامي؛ ولكن القبيلة كانت تستطيع دفع مبلغ أكبر بكثير.

نضيف إلى ذلك المبالغ الضخمة التي كان يدفعها الشيوخ عند تعيينهم وعند منحهم جميع الألقاب الممكنة (انظر الصفحة 599 وما بعدها أعلاه). ومنذ تثبيت البيروقراطية التركية في أواسط القرن الماضي كان منصب الشيخ الأعلى، أو بالأحرى تأجير النواحي التي تتألف منها منطقة المنتفق حسب التعبير الرسمي، يطرح بالمزاد لمدة ثلاث سنوات عادة بين الشيوخ الداخلين في الاعتبار، علماً بأن الحكومة، ولأسباب سياسية، لم تكن تعطي المنصب دوماً للشيخ الذي يقدم أعلى العروض[1]. وكان الشيخ ملزماً بصيانة السدود الموجودة بين السماوة والبصرة، وهي مهمة كان أداؤها في صميم مصلحته الشخصية[2].

على الرغم من هذا الارتباط الوثيق بالأرض كان شيوخ الشبيب ـ سعدون يشعرون بأنهم أمراء بدو. فكان شيخ المشايخ يتجول في مارس/آذار أو قبل ذلك مع البدو لمدة ثلاثة أشهر في الصحراء، وعندما كان في الفصول الأخرى يقيم في مكان ثابت، في السابق عند نهر عنتر وكوت المعمر وفي وقت لاحق عند سوق الشيوخ، كان يسكن دوماً في خيمة[3]. وأيضاً بعد انهيار سلطة الأسرة على المنتفق ظل آل سعدون متمسكين بهذا المنشأ البدوي. ومعظمهم لم يزل حتى اليوم بدواً ومربي جمال، بينما أصبح بعضهم من كبار الملاكين[4] وآخرون من كبار الموظفين. وهناك حادث مأساوي وقع عام 1930 يلقي الضوء على النزاعات التي

(1) يعقوب سركيس، 72، 75، 77. عام 1860م بلغ مبلغ الإيجارات السنوي 2450000 قرشاً وفي عام 1867م، 4338875 قرشاً.

(2) فريزر، الجزء الثاني، 103. بخصوص بناء السدود انظر موريتس: عن جغرافيا وسكان جنوب ما بين النهرين، 197 وما بعدها.

(3) هويده، 91، 97. تايلور، رحلات من بريطانيا إلى الهند في عام 1789م، الجزء الأول، 256؛ فريزر، الجزء الثاني، الجزء الثالث؛ ولستة، رحلات إلى مدينة الخلفاء، الجزء الأول، 198 وما بعدها: نصب عجيل خيمته عام 1830م على سطح البيت الذي خصص له في بغداد؛ لوفتوس، 135، خورشيد، 66: شيخ المشايخ لا يجوز أن يسكن في بيت.

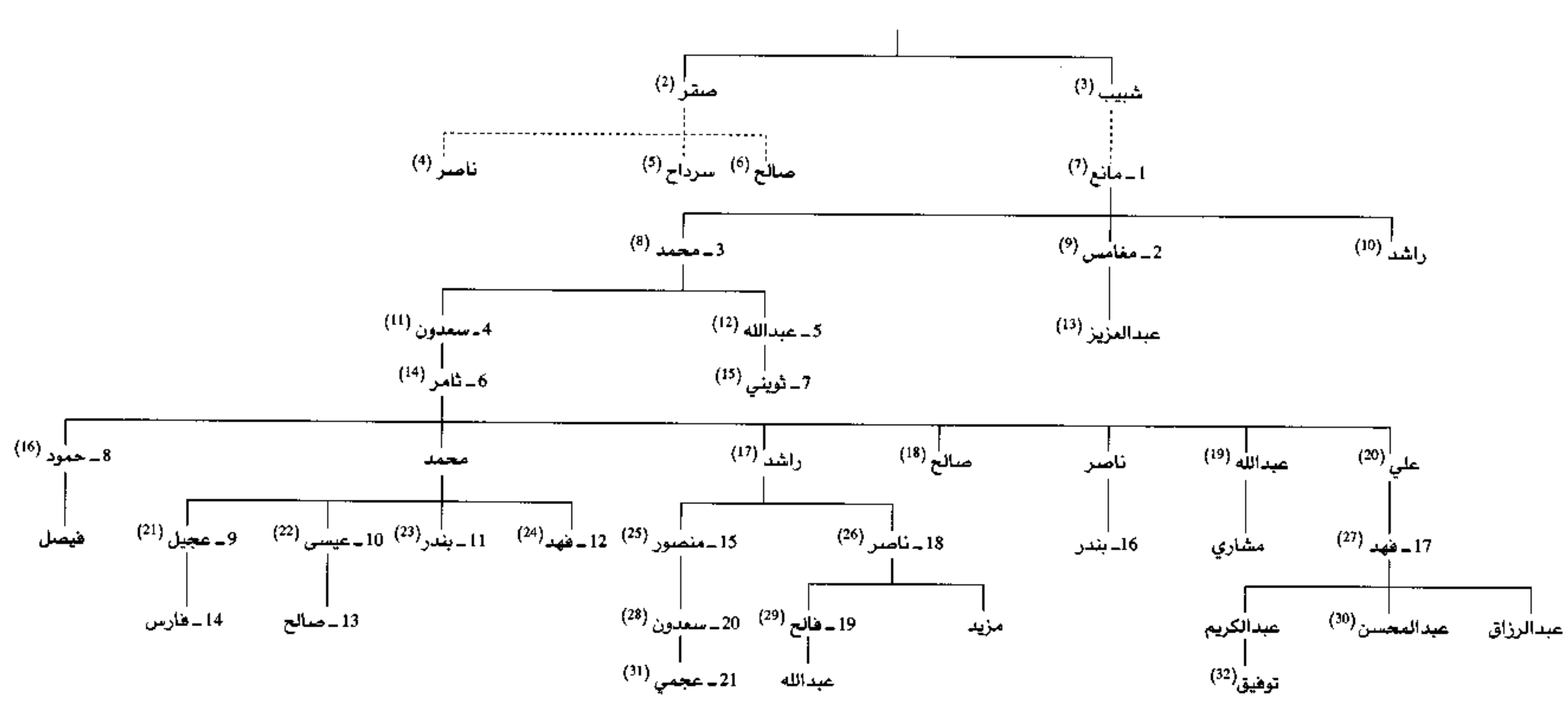
(4) عبد الرزاق بن فالح باشا، وابنه محمد وابن أخيه فالح بن عبد العزيز (الأخير في البصرة).

نشبت داخل العائلة بين الجزء المتمسك بالحياة البدوية والجزء الذي انتقل إلى الحياة المدنية. في نهاية عام 1929م انتحر عبد المحسن السعدون الذي تولى أربع مرات منصب رئيس الوزراء العراقي. تقدم شاب، ابن باشا، يعمل مديراً في إحدى الوزارات لخطبة ابنته. فوافقت الأم على ذلك، لكن شيوخ السعدون البدو رفضوا طلب الشاب لأن فتاة من السعدون لا يجوز أن تتزوج إلا ضمن العائلة(*). وعلى الرغم من ذلك أقيم حفل الزواج. وبعد وقت قصير جاء عبد الرزاق، أخو عبد المحسن، إلى بغداد وقتل الزوج الشاب رمياً بالرصاص في غرفة عمله. حكم على عبد الرزاق(**) بالسجن المؤبد ولكن أعفي عنه بعد ثلاث سنوات.

(*) كان مدير الداخلية العام عبد الله الصانع يزاول أعماله الحكومية بديوانه الرسمي دخل عليه الشيخ عبد الله الفالح السعدون وأرداه قتيلاً. حيث كان القتيل قد اقترن بكريمة عبد المحسن السعدون على رغم معارضة آل سعدون له. حيث كان ينظر إلى عبد الله الصانع بدرجة دونية لكون أمه زنجية مملوكة للوالدة. وقعت جريمة القتل في 7/ 11/ 1931م وقد حكم على عبد الله فالح السعدون بالإعدام ولكن الملك فيصل الأول عفا عنه وأطلق سراحه لاعتبارات قبلية. (م. شبرّ).

(**) عبد الله الفالح وليس عبد الرازق. المصدر: [تاريخ الوزارة العراقية الحسني/ عبد اللطيف الشواف شخصيات نافذة]. / وسيرة وذكريات ناجي شوكت. (م. شبرّ).

مشجرة نسب عائلة شيوخ المنتفق (1)



ملاحظة: توجد هذه المشجرة بحجم أكبر في المجلد الخامس.

ملاحظات حول المشجرة

1 ـ بالاستناد إلى سلسلة نسب لونكريك 349. لم يذكر سوى الأشخاص المهمين تاريخياً أو نسباً فقط. وبما أن علاقة الجيلين الأولين غير مؤكدة فقد رسمت خطوط الصلة منقطة. أمّا سلسلة المشايخ المحددة بالإمام فهي بطبيعة الحال تقريبية.

2 ـ الجد الذي أخذ منه آل صقر اسمهم.

3 ـ الجد الذي أخذ منه آل شبيب اسمهم.

4 ـ جد آل ناصر.

5 ـ جد آل سرداح.

6 ـ جد آل صالح.

7 ـ جد آل مانع ـ حوالى عام 1700م.

8 ـ جد آل محمد ـ نهاية عام 1731م شيخ المشايخ، صبحي 37 يمين.

9 ـ جد آل مغامس ـ الربع الأول للقرن الثامن عشر.

10 ـ جد الراشد.

11 ـ جد آل سعدون ـ توفي عام 1742 أو 1743م.

12 ـ 1742 ـ 1775 مع بعض الانقطاعات، قارن صفحة 599، 600 أعلاه. أُوتر الجزء الثاني، 163.

13 ـ جد العزيز (الجدول أ 12).

14 ـ توفي 1780م.

15 ـ 1780م ـ 1787م. 1788م ـ 1789م. 1796م ـ 1797م. لقد رسم هويل، 23، صورة لشخصية ثويني: "الشيخ رحل في متوسط العمر، شجاع جداً وكثير

التصرف. ذكاؤه وحكمته، العدل والاعتدال الذي أدار به الحكم في البصرة جعلته محبوباً من قبل قومه وأدت إلى احترام الجميع له".

16 ـ الشيخ الخصم لثويني 1787 ـ 1788م، 1789 ـ 1796م. خليفته منذ 1797م تمّ عزله في منتصف عشرينيات القرن التاسع عشر. شخصيته الغريبة جعلته بطلاً لحكايات القبيلة. لونكريك 206. عام 1817م التقى هويدي (ص 97) أخاه محمد كاتب له.

17 ـ جد الراشد (أ 1).

18 ـ جد الصالح (أ 10).

19 ـ جد العبد الله (أ 2).

20 ـ جد العلي (أ 3).

21 ـ جد العجيل (أ 6). خليفة حمود. اشتهر عجيل بكرمه وحكمه، الجيد وشجاعته. ترك انطباعاً عميقاً لدى ولستدت الذي زارة عام 1830م في سوق الشيوخ. توفي عجيل مبكراً. وكان أخوه الأكبر عيسى قد أطلق سراحه من قبل داود باشا أثناء الطاعون الكبير عام 1831م وهرب إلى والي حلب، (علي رضا باشا الذي كان موجوداً آنذاك، في الموصل بهدف اعتقال داود المكروه وتنصيب نفسه خلفاً له في بغداد). بهذه المساعدة جمع قوة كافية لكي ينازع أخاه السلطة. حصلت المعركة في واسط وسارت في البداية لصالح عجيل. لكن حصانه وقع وسقط هو تحته فاخترقه أحد الرماح، (ولستدت، الجزء الأول، 180، 188، 199 وما بعدها). وحسب روس، 455، قتل عجيل بيد شمر/ جربا. فهل كان هؤلاء يشاركون بحملة عيسى؟.

22 ـ منذ 1831م. يعتقد أن عيسى هو قاتل بنيه، انظر الجزء الأول 240 ـ 241. فريزر الجزء الثاني، 116 وما يليها، زاره عام 1835م في سوق الشيوخ ورسم صورة كاريكاتيرية له. ويصفه آينسورث (1836م)، حكاية شخصية في رحلة الفرات، الجزء الثاني، 74، بأنه رجل متقلب المزاج. ولما امتنع عيسى عن المشاركة في

حملة علي رضا باشا ضد المحمرة (1837م) فقد تمّ عزله وتسليم المنصب لابن عمه / فيصل/ ابن حمود، الإجراء الذي تمّ التراجع عنه لدى عودة الباشا. شيها 490، قارن: 1 .فونتاية، 366، 404.

23 ـ جد البندر (أ 4). خليفة عيسى (لوفتوس، 142) الذي التقى به فريزر في عام 1853م كنائب له. توفي في نهاية الأربعينيات.

24 ـ جد الفهد (أ 7) خليفة بندر. عندما قابله لوفتوس في عام 1850م كان فهد بين الأربعين والخمسين من عمره. كان شخصية جذابة وكان صياداً ماهراً وكان يؤكد في كل مناسبة استقلاله عن الأتراك. تمّ عزله مباشرة بعد زيارة لوفتوس له. لوفتوس، 136، 141، 145.

25 ـ جد المنصور (أ 1) منذ عام 1854م. كان حكمه محل نزاع في البداية من قبل صالح العيسى وفارس العجيل اللذين حكما قبله بقليل. جونز، 378؛ خورشيد 56، بيترمان، الجزء الثاني، 92 وما بعدها. وفي عام 1861م زاود عليه بندر الناصر أثناء تأجير منصب المشيخة. وفي عام 1863م كان منصور للمرة الثانية حتى نهاية العام في منصبه (انظر ص 603، 604 أعلاه).

26 ـ جد الناصر (أ ب). في بداية عام 1867م شيخ المشايخ «الشيخ الأعلى» مع لقب باشا، 1872م متصرف سنجق المنتفق. وفي عام 1873م كلف بإعادة الهدوء في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية التي احتلت عام 1870م وبتخفيض نفقات الإدارة. فعين هناك الشيخ بزيع العريعر كمتصرف وسحب جزءاً من الحامية التركية. إلا أن هذه الإجراءات لم تثبت نجاحها. فقد طرد الوهابيون الشيخ وهددوا القوات التركية الضعيفة. لهذا عاد ناصر باشا في عام 1874م إلى الحسا وأعاد فرض النظام حيث مارس المنتفق كثيراً من أعمال السلب والنهب. ثم نصب ابنه مزيد حاكماً.

تحمل ناصر تكاليف الحملة. وفي نفس السنة تعهد ببناء سد الجزاير على الفرات الذي كانت الحكومة تخطط لبنائه، بين سوق الشيوخ والبصرة، دون مقابل فيما إذا تركت له الأرض التي ستصلح نتيجة لبناء السد لمدة خمس سنوات دون ضرائب. فوافق الوالي على ذلك. وقد تمّ بناء السد خلال ثمانية أشهر. ولما كان

الباب العالي يرغب تعويضه عن مطالبه بدفع مبالغ نقدية له ذهب ناصر إلى القسطنطينية. وهناك تمكن من رفع مستوى البصرة إلى ولاية أصبح أول والٍ عليها (1875م). إلا أنه لم يفلح في هذا المنصب فتم استدعاءه إلى القسطنطينية حيث بقي إلى أن توفي، كونت، 7، 317، شيها 72 وما بعدها، لونكريك 303، موزيل، شمال نجد، 276 وما بعدها.

27 ـ بداية عام 1864م ـ نهاية عام 1866م. خليفة منصور لونكريك 292 يعقوب سركس 76.

28 ـ توفي سعدون باشا في نهاية 1911م في حلب. الحكايات والأشعار التي ذكرها موزيل، العادات والتقاليد عند بدو الرولة، 618 وما بعدها، تعطي صورة صحيحة عن هذا الرجل العاطفي العنيد.

29 ـ متصرف الناصرية، كانت له أملاك واسعة في البصرة وشط الكار حيث بنى لنفسه بيتاً في سنكره عام 1902م مجلة جمعية المستشرقين الألمان، رقم 16، 17 وما بعدها.

30 ـ رئيس وزراء العراق أربع مرات: 1922م و1925م ـ 1926م و1928م ـ 1929م و1929م. مع خيبة أمله من سلوك شعبه ومن سلطات الانتداب، أنهى حياته منتحراً في تشرين الثاني/ نوفمبر 1929م. علي الشرقي: ذكرى السعدون أو تاريخ بطل التضحية والإخلاص ـ بغداد 1929م، للأسف احترق قبل أن يتم قراءته.

31 ـ تبرز كفاءات عجمي العالية من خلال شهادة فيلبي (الجزء الأول 257) به: كان عجمي أعظم ان لم يكن في الواقع العبقرية العسكرية الوحيدة التي أنجبها العرب خلال الحرب وكانت صفاته تستحق اعترافاً أفضل ونجاحاً أكبر حظاً. وعلى الرغم من أنه كان عدونا لا يمكننا إنكار تقديرنا للطريقة والشكل اللذين استمر فيهما في خدمة قضية خاسرة ولا مستقبل لها على مدى سنوات الحرب في الصحراء، على الجانب الآخر من الفرات، كان دوماً سهماً في لحمنا وعاملاً توجب علينا أن نحسب له حساباً.

رافق عجمي الأتراك أثناء انسحابهم من العراق. وهو يعيش منذ ذلك الوقت

في غرموش عند اورفة، قرية كبيرة خصصت له من قبل الحكومة(*).

32 ـ يعمل في وزارة الخارجية العراقية.

المنتفق(1)

أ ـ السعدون(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الراشد			
أ ـ المنصور	سعدون السعدون(3)		
ب ـ الناصر	عبد الله بك بن فالح باشا		
2 ـ العبد الله (المشاري)	حامد بن بدر المشاري		
	سليمان بن غالب العمر		
3 ـ العلي	عبد الرزاق بك بن فهد باشا		
4 ـ البندر	عبد الله بن حميد البندر		
5 ـ النصار	صالح النصار		
6 ـ العقيل	علي بن ناصر		
7 ـ الفهد	ضاري الفهد		
8 ـ الداود	صالح الفارس		
9 ـ الدوشان	صبير بن دويش		

(*) توفي عجمي السعدون عام 1960م في تركية (المصدر: الأوضاع القبيلة في البصرة، د. خالد السعدون، الكويت 1988م). (م. شبّر).

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
10 ـ الصالح	غالب بن عبد العزيز		
11 ـ الفضل	عبد الهادي الفضل		
12 ـ العزيز			
13 ـ الشبيب	فهد البرغش		

ب ـ الاجود(4)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ بني ركاب(5)	حمادي الشاطي(6)	الحي ـ الشطرة	1000
	عطشان الفياض	الضفة اليمنى للغراف	
	مرزوق الرويح		
2 ـ الحميد(7)	موحان الخير الله	الضفة اليسرى للغراف مقابل بني ركاب	1500
ملحقون:			
أ ـ الحكام	كاظم الطراد		
	مطلق الطراد		
ب ـ الطوقية(8)		قلعة سكر	
ج ـ الشويلات(9)			
د ـ الصريفيين(10)			
هـ ـ العقيل(11)		تيلو	
و ـ القراغول(12)			
د ـ العتاب(13)			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
3 ـ العبودة(14)	خيون العبيد(15)	الشطرة	1500
	سويلم الحواس		
4 ـ بني زيد	مشرف العلي	شرق الشطرة	500
	شمخي الحويكم	شمال الدكة	
5 ـ البو سعد	حسين القعين	جنوب شرق الشطرة	500
6 ـ خفاجة(16)	سقبان العلي	جنوب الشطرة	2000
	ابن طربوش		
	خضر السالم		
ملحقون:			
أ ـ الطوينات(17)			
7 ـ الازيرق(18)	قاطع البطي(19)	شمال الناصرية	1000
8 ـ البدور		شمال الدكة	1500
أ ـ الزويد	شرشاب بن زويد(20)		
ب ـ الفواز(21)	مانع المقبل		
ج ـ الرسن	مانع بن نون		
د ـ النجم	فلقوس بن عباس		
9 ـ الغزي	منشد الحبيب	غرب الناصرية	500
10 ـ الحسينات	فرحان الصويني	جنوب الناصرية	1500
	عقيل التويه		
	عواد الوهابي		
	حفاظ الجوهر		

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
	حزام الزعيل		
11 ـ الشريفات(22)	عطب بن صلال	جنوب الحسينات	500
	هايف شديد		
12 ـ الجوارين(22)	ناصر بن قبيح(23)	سوق الشيوخ	1000
13 ـ الزهيرية		الناصرية	
ملحقون:			
1 ـ الرفيع(24)	موسى بن زعير	الغراف	300

ج ـ بني مالك(25)

شيخ المشايخ: بدر الرميض(26)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الابراهيم(27)	مهلهل بن روضان	شمال شرق الناصرية	
2 ـ البو صالح(28)	بدر الرميض(26)	شمال الحمار	1000
3 ـ الحسن(29)	حمودة بن مزيعل البشارة	جنوب سوق الشيوخ	500
4 ـ الحكام(30) «الحجام»	ريسان بن قاصد الناهي	جنوب الفرات على سوق الشيوخ	500

د ـ بني سعيد(31)

شيخ المشايخ: نايف المشاي
المنطقة: جزيرة السيد أحمد الرفاعي

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المعيوف(32)			
2 ـ البراغيث			
3 ـ الفهد			
4 ـ الغشيم			
5 ـ الابهج			
6 ـ الجميلة			
7 ـ الوبران			
8 ـ الشمسي			
9 ـ الدريع			

هـ ـ المريان(33)

شيخ المشايخ : طلاع الطوقان

المنطقة : السيد أحمد الرفاعي

عدد العائلات : 1500

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ آل نخش	طلاع الطوقان		
2 ـ آل عواد			
3 ـ آل صافي			
4 ـ بيت شويخ			
5 ـ الصليح			
6 ـ البو طويل			
ملحقون : (34)			
1 ـ النويصرات(34)			
2 ـ البو خنيفس			

و ـ العيسى(35)

شيخ المشايخ : مزيد الحمدان السكر

المنطقة : الشطانية

عدد العائلات : 2000

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ آل دجين(37)	بيت فدعم(36)		
2 ـ آل حمدان			
3 ـ الجبارات	اسماعيل الجبارة		

ز ـ البزّون(35)

شيخ المشايخ(36): فالح أبو عوجه

المنطقة: السيد أحمد الرفاعي

عدد العائلات: 2025

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ آل خليفة	بيت محمد(37)		
2 ـ . . . (38)			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود إلى عام 1929م. المصدر: عجمي السعدون. ثم أضاف لاحقاً بعض التعديلات. من القوائم القديمة، فقط خورشيد، 64 وما بعدها. بما فيها قوائم التابعين للمنتفق من المقيمين على الفرات (48 وما بعدها) والغراف (52 وما بعدها). جميع قبائل الغراف أصبحت في هذه الأثناء، منضمة للأجود أو ملحقة بهم، بينما جزء فقط من قبائل الفرات. أمّا بالنسبة للبقية فنستشهد ببعض المعلومات الصحفية المتفرقة: الهماهمة (200)، المطيرات (مطيرات، 400)، الشواليش (الشالوشة 400)، الفريحي (600 على الخارطة الناصرية) فوق سوق الشيوخ بالإضافة إلى القبائل المذكورة في الملاحظة العائدة لجدول بني خيقان وبني أسد. أُضيف إليهم العساكرة (ورد ذكرهم أول مرة في عالم الإسلام جـ 2، ص 28، رقم 10). أمّا المجرة، أو بالأحرى أهل المجرة، المذكورين عند شيحا 241 و245 فهم ليسوا قبيلة وإنما فلاحون في المنطقة التي تحمل نفس الاسم.

يقدر خورشيد قبائل المنتفق الحقيقية الثلاث بـ 2500 و1500 (الأجود) و1800 رجل. ويقدر عدد جميع السكان الذين يحكمهم السعدون بـ 75000 رجل.

2 ـ انظر فصل: عائلة شيوخ المنتفق، مشجرة نسبهم والملاحظات المتعلقة

بها. صرخة الحرب: بني منشا!

3 ـ ابن أخ عجمي.

4 ـ يضيف خورشيد لهم، علاوة على القبائل المذكورة في الصفحة 612 أعلاه وقبيلتي الطوقية والطوينات المذكورتين في الجدول، ستة قبائل أخرى ومنها العصوم التي يذكرها عبد الرزاق الحسني، 137. والبو سعيد التي يذكرها ضمن القبائل المنضوية تحت الأجود فليس هناك ما يثبتها غيره. مستوطنات شيوخ القبائل 1 ـ 7 موجودة على الخارطة السويج السيار، قلعة سكر، الناصرية. نداء حرب أجود: أولاد اليتيم! هناك حكاية تشرح هذا النداء كما يلي: أثناء حرب بين الأشقاء بني مالك والأجود أبيد الأجود حتى آخر رجل وقتل نساؤهم وأطفالهم كي لا يبقى فيهم أحد يثأر لدم القتلى. لم تنج إلا امرأة واحدة أنقذها، أحد مشايخ بني مالك. كانت المرأة حاملاً فولدت صبياً. هذه اليتيمة هي التي أعادت تكاثر القبيلة. فريزر 363.

5 ـ خورشيد، 52 ـ 54: 500 خيمة.

6 ـ بيترز المقصود نيبور، جـ 2، 289، الآن ابنه مزعل وأخوه.

7 ـ خورشيد، 52 54: 150 خيمة، جونز 374: 300 بدو رُحّل. في الأصل قشعم/ الغزية، انظر أعلاه ص: 412.

8 ـ مثل الحكام «الحچام». جاؤوا بعد عام 1850م.

9 ـ خورشيد: 52، 54: 200 خيمة (مستقلة، وأيضاً د، هـ، ز).

10 ـ خورشيد: 52، 54: 100 خيمة.

11 ـ خورشيد: 52، 54: 400 خيمة.

12 ـ هاجروا بعد 1850م أشار إليهم لأول مرة de Sarzec عام 1877م.
Découvertes en chaldée I, 11.

13 ـ خورشيد: 52، 54: 500 خيمة.

14 ـ خورشيد: 52، 54: 400 خيمة.

15 ـ تمت ملاحقته من قبل الحكومة في مارس/آذار 1914م بسبب خلافات مع عبد الله الفالح السعدون (عالم الإسلام، جـ 2، 906، رقم 187). ولذلك أقام خيون بعد الاحتلال البريطاني مباشرة علاقة وثيقة مع سلطات الاحتلال.

16 ـ خورشيد: 53 وما بعدها: 700 خيمة، ثلثاها شاوية والثلث الآخر معدان. الفروع منها: السعيد، العصيدة، الشمخي (؟) وغيرها يبدو أن عائلة مشايخهم قد تبدلت خلال الحرب العالمية الأولى.

17 ـ خورشيد: 53 وما بعدها: 300 خيمة (مستقلة).

18 ـ خورشيد: 53 وما بعدها: 400 خيمة.

19 ـ عالم الإسلام، جـ 2، 52، رقم 138 (1913).

20 ـ موزيل: شمال نجد، 168.

21 ـ عالم الإسلام، جـ 2، 44 رقم 87 (1913).

22 ـ فيلبي: جـ1، 245، 247.

23 ـ عالم الإسلام، جـ 2، 52 وما بعدها رقم 138 (1913م) تذكر شيخاً اسمه: الشيخ حسن بن قبيح.

24 ـ بدو زُحَل، جونز 374: 400 خيمة. في الأصل قشعم/غازية. انظر أعلاه ص: 587.

25 ـ على الخارطة ـ الناصرية ورد شمال الإبراهيم (1) ذكر قبيلة (حسونة) أو حسون التي لا يعرف عنها باستثناء ذلك أي شيء.

26 ـ طاعن في السن، ينوب عنه ابنه حسن.

27 ـ خورشيد 54: 300 خيمة.

28 ـ خورشيد 49: 1000 خيمة. فيلبي، جـ1، 245.

29 ـ خورشيد 48.

30 ـ خورشيد 48 وما بعدها: 1000 خيمة على ضفتي النهر، قارن أعلاه ب 2، ملحقة آ.

31 ـ حسب خورشيد 48 الذي يذكر أن عجمي السعدون أعلن في عام 1929م أن قائمته صحيحة. بطبيعة الحال تتضمن القائمة أيضاً هـ، و، ز وكذلك هـ 6، اسم شيخ المشايخ استناداً إلى محمد الباقر 83. خورشيد: 1800 رجل.

32 ـ جونز 377: 150 خيمة.

33 ـ حسب محمد الباقر، 85 وما بعدها: جونز 377: 200 خيمة.

34 ـ علاوة على ذلك فرع من الجميلة (د 6).

35 ـ حسب محمد الباقر 84، 159. لم تذكر الفروع في الجدول.

36 ـ عائلة المشايخ.

37 ـ محمد الباقر: دبين.

38 ـ الاسم غير موجود(*).

(*) راجع هامشنا في صفحة 620 من هذا الجزء. (م. شبّر)

بني خيقان «خيگان»

مع بني خيقان ندخل في منطقة الجزاير التي عرفت بهذا الاسم منذ القرن الخامس عشر[1]. ولم تزل هذه المنطقة حتى اليوم تخضع لتغيرات مستمرة بسبب تبدل مجاري الأنهار وانهيار السدود وحدوث الفيضانات[2]. منذ النصف الأول للقرن الخامس عشر حتى الحملات العثمانية الأولى على البصرة (1546م، 1549م، 1567م/ 1568م) كان يحكم، هذه المنطقة المكتظة بسكان يحبون الشجار والمنازعات، عائلة أمراء العليان المقيمون في المدينة[3]. ثم جاء بعد ذلك بني

(1) انظر كاسكل، في: إسلاميكا، الجزء 6، ص 57، الملاحظة 3.

(2) في عام 1843 اخترق الفرات السدود عند الحمّار وشكل هوراً هائلاً؛ جونز، 363 وما بعدها. ونتيجة لبناء سعد الجزاير (انظر ص 630 أعلاه) نشأ مجدداً مجرى نظامي للفرات؛ إلا أن السد دمره المنتفق أنفسهم بعد وقت قصير لأغراض الري؛ دي سارزك، اكتشافات في خلدي De Sarzec, Decouvertes en Chaldée 87، 8 وما بعدها. وبعد ذلك اتحد الهور الجديد مع هور الجزاير الواقع غرب شط العرب. ولذلك يظهر في الخرائط الموضوعة قبل الحرب العالمية الأولى وأثناءها منطقة ضخمة من البحيرات والمستنقعات تمتد من سوق الشيوخ حتى ما قبل البصرة، هور الحمّار، مع مجرى ثان للفرات. وهذا المجرى الثاني اختفى من الخرائط بعد الحرب العالمية الأولى، أما منطقة البحيرات والمستنقعات فقد ظلت ترسم بنفس الحجم. ولكن في الخرائط الحديث انحسرت هذه المنطقة في الشمال بحيث أصبح مجرى الفرات متصلاً من سوق الشيوخ حتى قرنة.

(3) كاسكل، نفس المصدر السابق: الأمير فضل بن عليان (1441م)؛ التاريخ العثماني لرستم

منصور الذين كان مقرهم الرئيسي في المدينة أيضاً التي أصبحت عندئذ تسمى مدينة بني منصور. ولم يزل جزء منهم موجوداً هناك حتى اليوم[1]. وكانت عائلة أمرائهم، الأمارة[2]، لم تزل حتى ما قبل بضعة عقود ذات نفوذ واسع. في القرن السابع عشر كان بنو خيقان القبيلة الحاكمة في غربي الجزاير إلى أن أخضعهم مانع الشبيب بعد دخوله البصرة (انظر الصفحة 594 أعلاه)[3]. وكانت عائلة شيوخهم، البويه، تتمتع بسمعة العائلة التي يتزوج الشبيب ـ السعدون بناتها. وفي نهاية القرن الماضي استعاد بني خيقان استقلالهم لكنهم كانوا في الحرب العالمية الأولى وما زالوا خاضعين لنفوذ بني مالك.

لا يعتبر بني خيقان وبقية أهل الجزاير من المعدان على الرغم من أنهم يشبهون المعدان في طريقة حياتهم[4].

بني خيقان «خيگان»(1)

شيخ المشايخ: فرهود المغشغش

المنطقة: الحمار

عدد العائلات: 1500

باشا، المكتبة التركية، المجلد 21، 142 وما بعدها: "عبد الحسين، ابن عليان، من أسرة معاوية أمير المدينة الواقعة في الجزاير".

(1) قائمة شبرنغر رقم 102؛ جونز، 379؛ خورشيد، 48: 600 رجل؛ عبد الرزاق الحسني، 146. وهناك بلدة أخرى مسماة باسم هذه القبيلة هي كوت بني منصور (جهان نوما، 455) = المنصورية، گلشن، 37.

(2) عبد الرزاق الحسني، 146. ربما هم نفسهم الذين يسميهم خورشيد (48) السادة، 60 رجلاً، لأنه يفسر الاسم بكلمة «أمير».

(3) عجمي السعدون، 1929م.

(4) انظر جونز، 358.

ملاحظات

1 ـ عجمي السعدون، 1929م، قائمة شبرنجر، رقم 102 خورشيد، 48 وما بعدها: 1000 رجل مع الحسن (جدول المنتفق جـ3) على الضفة اليمنى و300 رجل على الضفة اليسرى.

من الاثنتي عشرة قبيلة التي ذكر خورشيد، 48، بينها بني خيقان وبني أسد، يوجد ـ وفق البيانات في عالم الإسلام، جـ 2، 42، رقم 78، ومعلومات الصحف الحديثة: العمايرة، السماعين، (= إسماعيل) المشرّف، الحول، الجَويبر، البو شامة، النواش، الأخيرة تنتمي لأسد، عبد الرزاق الحسني 141. تشكل هذه القبائل، مع بني خيقان وأسد، (أهل الجزاير). جونز، 379، شيحا، 241، 245.

بني أسد (سد)

تقع منطقة بني أسد في شمال شبه الجزيرة العربية عند أسفل تلك الجبال التي كانت تسكنها طي في يوم من الأيام[1]. كانت الحدود بين القبيلتين تسير على شكل قطع ناقص تقع ذروته عند نقطة المياه بعوضة شمال غرب الكهفة/ كافه[2] بينما يمتد قوسه الأعلى عبر قراقر/ بقعة إلى سهل ملا/ برثة وقوسه الأسفل عبر قرنين/ قرانين إلى سميرا. وفي الجنوب كانت منطقة أسد تصل إلى وادي الرمة. وكان الوادي نفسه محتلاً من غطفان، وفي الغرب من ذبيان ثم من عبس الذين كانوا يمتدون نحو الأسفل حتى أثال في القصيم. فقط في منطقة ابان كان أسد يتجاوزون الوادي إلى رس، ورسيس، وإمرّة/ أمرة، وفي الشرق إلى سرّ. وهنا كانت منطقتهم تتقاطع مع منطقة عبس وفي الشمال مع منطقة يربوع من تميم. إذ إن اليربوع كانوا يقضون الصيف في الشريط أثال ـ الجفور/ الجفر ـ الملا، بينما كان أسد يملكون بئر لينه

(1) انظر الجغرافيين تحت أسماء البلدات المذكورة في النص، وكذلك تحت: خزاز، خوا، إمّره/ أمرة، قطن/ قيطان، سرّ، تينان، توز/ توزي؛ عبيد بن الأبرص، رقم 20، 6؛ بشر بن أبي خازم، مفضليات، رقم 96، 10؛ فوستنفلد: منطقة المدينة، 49 وما يليها؛ انظر موزيل، شمال نجد، 218 وما بعدها؛ إقرأ هنا أيضاً، 149، 152، برطه بدلاً من "بغطة" حسب الأصمعي في ياقوت، الجزء الرابع، 627، الذي ينقل الملا إلى الجنوب أكثر من اللازم لأنه لم يفهم بيت الشعر، ياقوت، الجزء الأول، 144، 11، بشكل صحيح.

(2) قبل الخط: الاسم العربي القديم أو الصيغة الكلاسيكية للاسم.

وراء الدهناء وشريط حزن/حجيرة البارز شمالاً. وعلى عكس طي كان أسد يعيشون غالباً حياة بدوية[1]؛ لا شك في أن قرية النبهانية الكبيرة الواقعة على الأبان الأسود نشأت بعد ظهور الإسلام وأن حقول أخطال/خطّال الزراعية تابعة للوادي الواقع شرق الثعلبية.

قبيلة أسد قبيلة شقيقة لكنانة (انظر الجزء الثاني، 555) وكان الشعور بالقرابة والانتماء المشترك حياً تماماً وإن كان تطبيقه عملياً غير ممكن بسبب بعد المسافة بين القبيلتين[2].

يفتقر تاريخ بني أسد قبل الإسلام إلى الأحداث الهامة، شأنهم في ذلك شأن غالبية القبائل العربية. ومما يستحق الذكر أنهم وجهوا الضربة القاضية لمملكة كنده عن طريق قيامهم بثورة قتل فيها حجر، ابن آخر ملوك كنده وأبو الشاعر الكبير امرئ القيس. كانت علاقات بني أسد مع جيرانهم القريبين والبعيدين، بني تميم والقبائل الموجودة على الجانب الآخر من الوادي، متقلبة. على عكس ذلك قامت علاقة دائمة بينهم من جهة وبين طي وغطفان من جهة أخرى في أواخر ستينيات وبداية سبعينيات القرن السادس الميلادي. في بادئ الأمر تآخى الأسد مع طي، وبعد ذلك انضم الذبيان ثم عبس إلى الاتحاد. ولكن بعد عدة عقود انهار التحالف حيث نشبت خلافات بين أسد وطي على وجه الخصوص[3]، إلى أن جاء الإسلام ونشر السلام بين القبائل.

---

(1) لا تذكر التقاليد سوى منطقة واحدة. فيلهاوزن مخطوطات، 4، رقم 38، بالنسبة لطي نفس المصدر رقم 23.

(2) مفضليات، رقم 97، 37؛ 98، 36.

(3) يمكننا هنا ذكر التحذير الذي نقله الأسدي بشر بن أبي خازم، بعد مقتل زعيم كلاب (عروة الرحال) على يد الكناني (البراض) الذي كانت تحميه قريش، إلى سوق عكاظ بناء على طلب البراض، وذلك لكي يمكّن كنانة وقريش من تفادي غضب أبناء قبيلة المقتول الذين كانوا موجودين هناك.

سيف عند الطبري، الجزء الأول، 1893؛ فيلهاوزن، ملاحظات 4، 3 وما بعدها، رقم 24. يبالغ سيف جداً عندما يزعم أن أسد وغطفان طردوا طي من جبالهم.

كانت الأسرة الأسدية غنم، التي كانت تقيم في مكة منذ زمن طويل وكان زعماؤها، بنو جحش، تحت حماية بني أمية، تنتمي إلى أتباع النبي محمد الأوائل[1]. ولكن العلاقة بين القبيلة والجماعة الإسلامية الفتية في المدينة لم تتأثر إطلاقاً بهذا الظرف. في بداية العام الرابع هجري/ 625م أرسل النبي محمد غزوة إلى نبع قطن حيث كانت القبيلة الفرعية فقعس تخيم مع رئيسها طليحة/ طلحة هرباً من حر الصيف اللاهب، ويبدو أن الغاية من الغزوة كانت إعادة الاعتبار للمسلمين بعد هزيمة أُحد[2]. ومن المفهوم أن طلحة شارك في حصار المدينة في ما يسمى غزوة الخندق (627م). وفي بداية عام 9هـ/ 630م جاء طلحة إلى المدينة، مع زعماء قبائل آخرين من بينهم ضرار بن الأزور، لكي يعتنق الإسلام[3]. ولكنه لم يكن جاداً في إسلامه، ويقال إنه ادعى النبوة قبل وفاة محمد[4]. وعلى أي حال فقد تبنى هذا الدور علناً في عهد الخليفة الأول أبي بكر والتحق به عدد كبير من أبناء قبيلته بحيث تمكن من إعادة التحالف مع غطفان وطي. ولذلك اضطر ضرار بن الأزور، وهو مسلم متحمس وينتمي إلى فخذ آخر، إلى الهرب إلى المدينة. أمّا طليحة فقد انتظر جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد في بزاخة جنوب اجا ومعه القوة الرئيسية لبني أسد و700 رجل من عبس وفزارة (ذبيان) وكانت طي تغطيه من جميع الجهات بينما بقية فزارة وبنو نصر (أسد) يخيمون جنوباً عند ماء الغمر[5].

(1) ابن هشام، 316 وما بعدها.

(2) التقليد ـ فيلهاوزن/ فكيدي، 151 ـ يقول إن السبب في ذلك هو أن طليحة كان يخطط لغزو المدينة ـ مشروع لا جدوى منه أما أن يكون رجل من طي قد دعا إلى الغزوة وقادها فهذا أمر محتمل.

(3) الشكوك الواردة في مقال طليحة في الأنسكلوبيديا الإسلامية غير محقة. بطبيعة الحال لم يكن المندوبون يمثلون سوى جزء من القبيلة، ولكن هذا كان ينطبق على جميع الوفود البدوية. وأن يكون طليحة الوحيد الذي دخل في الإسلام فهذا ينقضه دخول ضرار المؤكد.

(4) الطبري، الجزء الأول، 1797، 1892.

(5) حطيئة، ديوان(*)، رقم 34، 3. لمزيد من التفاصيل انظر البلاذري، الطبري، فيلهاوزن، مخطوطة 6، 7 وما بعدها.

(*) فباستِ بَني عبسٍ وأفنـاءِ طـيءٍ   وباست بَني دُودان حاشا بني نصرِ
ديوان الحطيئة شرح السكري(. (م. شبّر).

إلا أن خالد التف حول المواقع المعادية ودخل من جهة الجنوب الشرقي في منطقة طي. وتمكن بمساعدة عدي بن حاتم (انظر الجزء الأول، 266) من جعل طي تعلن الطاعة دون قتال لأنها شعرت بالشلل عندما انتشرت إشاعة تقول بأن أبا بكر قادم إليهم عن طريق خيبر. ثم توجه بعد ذلك إلى بزاخة. ولم يشترك طليحة في القتال، على الرغم من أنه لم تكن تنقصه الشجاعة، وإنما بقي جالساً أمام خيمته كي يتنبأ. أمام هذا الوضع تخلى قائد فزارة عن القتال غاضباً وخائب الأمل. أمّا بنو أسد فقد تابعوا القتال حتى فرَ طليحة نفسه. كما أن الجيش الموجود عند الغمر تمّ تفريقه أيضاً. أدى انتصار المسلمين عند بزاخة إلى تحطيم معنويات المرتدين في شمال شبه الجزيرة العربية. وبما أن مالك بن نويرة، زعيم يربوع (تميم)، لم يخضع في الوقت المناسب فقد قام ضرار ابن الأزور بأسره مع أتباعه قرب بطاح ثم أعدم بأمر من خالد. وقام ضرار بنفسه بقطع رأسه. وقد اعتقد بأنه بهذا الانتصار على تميم قد غسل العار الذي سببه ارتداد أسد[1].

في حروب الفتح الإسلامي التي تلت حرب الردة مباشرة كان الأسد يقاتلون على الجبهة العراقية. وأيضاً طليحة، الذي كان في هذه الأثناء قد عاد إلى الإسلام، قاتل هناك وفي فارس. وبعد ذلك استقر معظم بني أسد في الكوفة[2]. وهنا تحولوا مع مرور الزمن من محاربين إلى رجال علم ودين. وكثير من علماء الشيعة كانوا من أسد من الكوفة[3].

في موطن أسد لم يتغير شيء إلى أن فتح لهم انسحاب بكر وتميم الطريق نحو الشمال. وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي توسعت

(1) قتل ضرار في الحرب ضد مسيلمة في اليمامة؛ حسب ابن سعد، الجزء الرابع، 25؛ وكان قبره هناك مزاراً يؤمه الناس حتى مجيء الوهابيين؛ فيلبي، الجزيرة العربية، 5.

(2) بعض المجموعات الصغيرة كانت في الجيش السوري ثم استوطنت بعد ذلك في زبد قرب حلب وخلف الفرات؛ انظر الجزء الأول، 337، 342. وتجدر الإشارة إلى أن فرعاً من أسد هاجر إلى سورية قبل الإسلام؛ "مفضض"، رقم 97، 34 وما بعدها.

(3) نور الله الشوشتري، مجالس المؤمنين، مجالس 5.

منطقة تنقلهم على امتداد طريق الحج إلى الكوفة ووصلت من البطان/ بطانة في الدهناء حتى واقصة. أمّا الثعلبية فكانت تابعة لطي. وفي وقت لاحق امتدت أكثر نحو الشمال بحيث أصبحت تصل من شقوق، حيث كانت تبدأ طي، حتى القادسية على حدود السواد. وفي الشرق وصل بني أسد حتى ما قبل البصرة، وفي الغرب حتى عين التمر. وكانوا آنئذ قد شفوا من النزيف الذي سببته لهم الهجرة: 3000 رجل من بني أسد كانوا يدعمون علوياً ثائراً عام 251هـ/ 865م قرب الكوفة، وقام 5000 رجل منهم بناء على اقتراح الوزير علي بن عيسى في عام 315هـ/ 927م بحماية طريق الحج ضد القرامطة[1].

في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي دخل بنو أسد إلى المناطق الحضرية. فاستوطن الشيخ مزيد من الفرع ناشره[2] على النيل بينما قام شيخ آخر، دبيس، بعبور دجلة وضرب خيامه في المنطقة التي نشأت فيها لاحقاً الحويزة.

ساعدت حروب الأخوة بين البويهيين المتأخرين على صعود بني مزيد. ففي عام 403هـ/ 1012م ـ 1013م ثبت علي بن مزيد كتابع للبويهيين في حكمه. ولقد تحدثنا في مقال عقيل عن النزاعات التي نشبت بين ابنه دبيس بن علي (1018م ـ 1082م) وجيرانه من العقيليين وخفاجة، وعن وقوف دبيس ضد السلاجقة. وأدى صلحه مع السلطان طغرل بك في نهاية عام 451هـ/ بداية عام 1060م إلى إنهاء الحرب ضد سادة العراق الجدد[3]. وكان دبيس وابنه منصور (1082م ـ 1086م)

(1) اليعقوبي، المكتبة الجغرافية العربية، ج7، 311، الأصطخري، نفس المصدر، جـ1، 22، قارن أيضاً ياقوت، شقوق، تنانير؛ الطبري، الجزء الثالث، 1617؛ أريب، 130.

انظر أيضاً الطبري، جـ 3، 1848 وما بعدها (صاحب الزنج يجند فرساناً من أسد للهجوم على البصرة)، 1931 (بنو أسد يقتلون محافظ طريق الحج قبل المغيطة، 265هـ/ 878 ـ 879م)، 2259 (أ. عند عين التمر)، 2278 (أ. بعيداً في الشمال).

(2) ابن الأثير، الجزء العاشر، 312.

(3) ابن الأثير، الجزء العاشر، 5.

يعدان نموذجاً للعروبة النبيلة. لكن صدقة بن منصور (1086م ـ 1108م) فاق كليهما في نبله الشخصي وأهميته السياسية. وفي النزاع الذي نشب عام 1099م بين السلطان بركيارق وأخيه محمد وقف صدقة بعد تردد إلى جانب محمد واحتل الكوفة (474هـ/ 1101م) وهيت وواسط، ولفترة قصيرة، البصرة أيضاً. وأدى احتلال الكوفة وهيت إلى جعل القبيلتين البدويتين الكبيرتين في العراق، خفاجة وعباده، تخضعان لنفوذه. كما أن بني شيبان أعلنوا ولاءهم له. وهكذا استحق فعلاً لقب ملك العرب وأمير البدو[1]. إلا أن رفض صدقة تسليم أحد اللاجئين السياسيين أدى إلى حدوث قطيعة مع السلطان محمد الذي كانت حاشيته قد عبأته ضده منذ بعض الوقت بسبب استقامته. وعلى الرغم من أن الخليفة حرص حتى اللحظة الأخيرة على المحافظة على السلام فقد نشبت المعركة في ربيع عام 501هـ/ 1108م قرب المدائن. وكانت نتيجتها لصالح الأتراك بسبب تفوق رماة السهام. ولم تحرك خفاجة وعبادة ساكناً بل انتظرتا على الطريقة البدوية النتيجة التي سيسفر عنها القتال. أمّا بنو شيبان والمرتزقة الأكراد الذين كانوا يشكلون نواة الجيش[2] فقد قاتلوا بشجاعة. لكن صدقة سقط في المعركة.

يقف صدقة على العتبة التي تؤدي من حرية البادية الفسيحة إلى ضيق المكان في المدن. وهو يجمع في شخصيته شمائل البطل العربي القديم وخصال الأمير الإسلامي. ظل يعيش في الخيام إلى أن بنى عام 495هـ/ 1101م ـ 1102م مقابل الجامعين[*] داراً سميت فيما بعد الحلة. كان يستطيع القراءة ولكنه لا يستطيع الكتابة. وكان يفكر بطريقة سامية، وكان متواضعاً يراعي الآخرين، محباً الخير لأتباعه، عادلاً ورحيماً تجاه رعيته. وكانت العلاقات الإنسانية عنده أهم من السياسة. وكانت حياته العائلية سعيدة ولم يتزوج سوى مرة واحدة ولم يكن لديه جواري.

عاش ابنه دبيس الثاني حياة مغامرة. في عام 1118م أعيدت له إمارة الحلة مع

---

(1) يذكر بأن اللقب أخذه عن أجداده السابقين.

(2) كان علي بن مزيد يستخدم الأكراد، ابن الأثير، الجزء التاسع، 174.

(*) لا تزال إحدى محلات الحلة تسمى بالجامعين/ م. شبرّ.

الكوفة وواسط، لكنه كان يطمح إلى المزيد. وما لبث أن أخذ يتدخل في النزاعات القائمة بين سلاطين السلاجقة ثم قاتل ضد الخلافة التي أخذت تستعيد قوتها. وفي عام 1123م هجم مع المنتفق، كما رأينا في الصفحة 591 أعلاه، على البصرة، وفي العام التالي هجم مع الصليبيين على حلب. وبعد مغامرات طائشة أخرى قادته مرة ثانية إلى موطنه حيث قتل عام 1135م في قصر السلطان السلجوقي مسعود. وظل أبناؤه يحكمون في الحلة حتى عام 545هـ/ 1150م.

تبع بني أسد[1] بني مزيد إلى الحلة وبقوا هناك عندما سقطت أسرة الأمراء. وكانت المدينة في هذه الأعوام تتبع مرة للخليفة ومرة للسلطان. وبما أن بني أسد ساندوا السلطان محمد الثاني في آخر عملية عسكرية للسلاجقة في العراق، وهي محاصرة بغداد دون جدوى (551هـ/ 1157م)، قرر الخليفة (المستنجد) طردهم من الحلة (558هـ/ 1163م). وعندما وصلهم خبر قدوم الجيش إليهم غادروا الحلة واختبؤوا في منطقة مستنقعات مجاورة، وظلوا هناك إلى أن أجبروا، بمساعدة المنتفق، بعد معارك طويلة ومضنية على الاستسلام. **فقتل منهم 4000 رجل وهدر دم البقية إذا ما شوهدوا في الحلة**[2]. **ويبدو أن اعتناقهم مذهب الشيعة، الذي كان بني أسد وأمراؤهم يعتنقونه**[3]**، هو الذي جعل المنتصرين يتخذون ضدهم هذه الإجراءات القاسية.**

بعد هذه الكارثة تشتت بني أسد وتفرقوا. لكنهم تمكنوا في وقت لاحق من التجمع مرة أخرى. ففي القرنين الرابع عشر والخامس عشر كانوا يقيمون جنوب شرق واسط[4]. ومع مرور الزمن تعرضوا، شأنهم شأن كثير من القبائل الأخرى،

---

(1) مما يثير الاستغراب أن القبيلة لا يرد ذكرها في التقارير التي تتحدث عن أسرة الأمراء.

(2) المصادر يجدها المرء في المقالات ذات العلاقة في الأنسكلوبيديا الإسلامية: دبيس، المزيديون، صدقة.

(3) ابن الأثير، الجزء العاشر، 306؛ الجزء الحادي عشر، 195.

(4) رافق بنو أسد ابن بطوطة عام 1327م من واسط إلى ضريح الولي أحمد الرفاعي. وفي عام 1443م التحق بني أسد بالمهدي محمد بن فلاح؛ نورالله الشوشتري، مجالس المؤمنين، مجالس، 8، جند، 16.

للضغوط والملاحقات إلى أن وجدوا أخيراً موطناً جديداً في الجزاير. فهناك أدلة على أن بني أسد، أو بني سد كما يسمون باللهجة العامية، كانوا موجودين هنا في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي[1]. وعند إحدى مستوطناتهم، دار بني سد، انتصر العثمانيون في أول عام 1078هـ/ 1668م على قوات حسين باشا أفراسياب البصرة[2]. وظلوا، شأنهم شأن بني منصور وبني خيقان خاضعين للمنتفق حتى سقوط السعدون.

في القرن التاسع عشر أصبحت منطقة بني سد قرب الجبايش ضيقة عليهم. فقاموا في الأربعينيات بالتقدم تحت قيادة الشيخ جناح حتى جنوبي العمارة، وفي وقت لاحق تحت قيادة ابنه خيون حتى المجر الصغير[3]. وفي عام 1894/ 1895م أدبتهم القوات التركية لأنهم قاموا تحت قيادة حسن الخيون بحرق المدينة. لكن حسن لم ينتصح ومات، بعد طرده من الجبايش، في حالة بائسة في (هور) الجزاير[4] (حوالى 1903م). وعاش ابنه سالم حياة فقيرة في البصرة إلى أن حصل عام 1906م بمساعدة عائلة سيد طالب المتنفذة على منصب الشيخ على بني أسد. وبعد الحرب العالمية الأولى وقف إلى جانب سيد طالب وأعلن معارضته لانتخاب فيصل ملكاً على العراق. وفي عام 1924/ 1925م أعلن الثورة على الحكومة وأسر. وبعد قضاء فترة من الزمن في السجن طُرِد من موطنه. وهو يعيش الآن في بلدروز حيث يملك أراضي. وقد درس ابنه الحقوق في بغداد[*].

(1) لغة العرب، الجزء الرابع، 527 وما بعدها.

(2) گلشن، 97. يرد ذكر المكان أيضاً عند سارزك، اكتشافات في خلده، 8، 1877(؟).

(3) انظر مقال المعدان.

(4) ليس في الجزائر (العاصمة الجزائرية) كما يعتقد م. هارتمان الذي ضلله الاسم، عالم الإسلام، الجزء الثاني، 50.

(*) توفي سالم الخيون في بيروت عام 1954م وخلفه ابنه ثعبان، وقد توفي ثعبان في بغداد سنة 2001م. (م. شبّر).

بني أسد(1) (سد)

شيخ المشايخ: . . . ابن خيون

المنطقة: الكبابش

بيوت القصبت: 1500

ملاحظات

1 ـ تعود إلى عام 1929م، السند: عجمي السعدون. خورشيد 48: 3000 رجل مع الحداديين. الصيامير الذين ورد ذكرهم لدى خورشيد بين بني منصور وبني أسد، موجودون أيضاً لدى عبد الرزاق الحسني، 146. بني حطيط، (عالم الإسلام، جـ 2، 42 رقم 78) هم نفسهم بنو خطيط الذين التحقوا مثل بني أسد بالمهدي محمد بن فلاح عام 1343م. انظر ص 651 هامش رقم 4 أعلاه.

بني لام

بني لام من القبائل القليلة التي نستطيع تتبع تاريخها دون انقطاع من العصر الجاهلي حتى الوقت الحاضر. انبثق بني لام عن طي، السكان القدامى لمنطقة شمال نجد، وأصبحوا في العصور الوسطى قبيلة قوية كانت غزواتهم تصل حتى شواطئ البحر الميت. وفي منتصف القرن السادس عشر هاجروا نحو الشرق وعبروا بلاد الرافدين ووصلوا حتى أعتاب لورستان. وما زالوا حتى اليوم القبيلة البدوية الكبيرة الوحيدة في هذه المنطقة.

لا تمتد ذاكرة بني لام إلا إلى مسافة قصيرة بعد المرحلة الأخيرة من تاريخهم. وحتى إدراكهم لأصلهم[1] مشوش وغامض؛ فهم لم يعودوا ينسبون أنفسهم إلى طي "جنوبي الجزيرة العربية" وإنما مباشرة إلى عنزة إلى قبائل وائل العربية الشمالية[2]. وهذا يجعلنا نستغرب أكثر أنهم حافظوا على اسم واحد من أجدادهم الحقيقيين، أوس[3] الذي هو دون شك أوس بن حارثة بن لام رئيس عائلة شيوخ

---

(1) الحكايتان التي يرويهما جونز، 379، ولوفتوس، 358 عن أصل القبيلة لا يتضمنان أي علاقات تاريخية. وهما شرح تعليلي لاسم لام الغريب فعلاً.

(2) حسب جونز، المرجع السابق نفسه؛ انظر الجزء الأول، 190؛ الجزء الثاني 483. تم مؤخراً بتأثير الباحثين تعويض هذا التعليل القائم على النسب بتعليل تاريخي، على سبيل المثال، محمد الباقر، 11.

(3) فلانين، حاجي ركان، 208.

عربية قديمة نرى أنها تشكل الخلية الأساسية للقبيلة.

عاش أوس بن حارثة في أواخر القرن السادس الميلادي. وكان معاصراً لحاتم طي المشهور وقائد مجموعة الجديلة من طي. وكانت ابنته زينب متزوجة من الملك النعمان الثالث ملك الحيرة (580م ـ 602م)، وأخوه سعد متصاهراً مع اللخميين أيضاً. أدت هذه العلاقة مع الأسرة الحاكمة في شمال شبه الجزيرة العربية إلى منح العائلة حق حماية طريق القوافل من الحيرة إلى مكة طالما أنها كانت تمر في منطقة طي أو تلامسها. وبعد خمسين عاماً أصبح بنو حارثة بن لام جماعة كبيرة وبعد وقت قصير أصبح بنو لام قبيلة مستقلة[1]. ويفسر هذا النمو السريع بأن بني لام امتصوا بقية الجديلة؛ وعلى أي حال فإن منطقة تجول القبيلتين هي نفسها: السهول الممتدة من طرف النفود بين أجا وسلمى حتى مسما. وهناك منخفض تحت الجانب الشرقي لمسما يسمى غوطة بني لام، أي أنه يحمل منذ ذلك الوقت اسم القبيلة[2].

أدت الهجرات التي أفرغت نجد من الناس منذ بداية الفتح الإسلامي إلى منح قبائل طي، التي كانت تعيش حتى ذاك الحين في مجال ضيق ومكتظ بالسكان، إمكانية الانفراج والتوسع. وكما تحركت الغازية نحو الشمال وسع بنو لام منطقة تجولهم نحو الجنوب حتى وصلوا في النهاية إلى محاذاة المدينة[3]. وفي أواخر العصور الوسطى تركزوا في الحجاز حيث كانوا يتنقلون شمالاً حتى تبوك ويتخطوا منها حتى أطراف شرقي الأردن، بينما يصلوا في الجنوب حتى منطقة بني حرب[4]. وقد أصبح هذا التوسع ممكناً بسبب تنامي أعداد العناصر الغريبة عن

(1) فوستنفلد، الجدول، 7، 24؛ ابن دريد، 229؛ روتشتاين، اللخميون، 117؛ ديوان حاتم الطائي، شولتس، 48 وما بعدها؛ نقائض، 919 وما يليها.

(2) ياقوت، الجزء الثالث، 825؛ انظر الجزء الأول، 211؛ الجزء الثاني 96.

(3) ابن سعيد (حوالى 1250م) عند ابن خلدون، البربر، الجزء الأول، 14؛ العبر، الجزء السادس، 7: بنو لام بين المدينة والعراق.

(4) سنوك ـ هورغونيه، مكة، 99.

القبيلة[1]. وحتى عنزة الذين كانوا يسكنون آنذاك في الحجاز، كانوا يحسبون أحياناً ضمن مجمع بني لام[2]. وكان بنو لام مرتبطين بأمراء (شرفاء) المدينة الذين كانوا تابعين للملكة المملوكية. ولكننا نسمع أنهم قاموا عام 666هـ/ 1267م، بمبادرة ذاتية طوعية بدفع ضرائب للقاهرة[3]، وهذا أمر لا يمكن تفسيره إلاّ بأنهم أرادوا التملص من الطلبات القاسية للأشراف. في أواخر العهد المملوكي حصل بنو لام على سمعة سيئة بسبب تعرضهم لقوافل الحج ونهبها. وكانوا يقومون بهذه الأفعال في السابق أيضاً ولكن في أحيان متفرقة فقط، منها، على سبيل المثال، في عام 715هـ/ 1313م هاجموا في محطة ذات الحج قافلة التبديل المتوجهة لملاقاة الحجاج العائدين، ثم تزايدت هجماتهم منذ نهاية القرن الخامس عشر. في محرم 909هـ/ 1491م نهبت قافلة الحج السورية عند الكرك، وفي عام 1502م أوقفت القافلة المصرية عند العقبة وأرغمت على دفع أتاوة عالية، لا بل إن حاكم الكرك ضرب في عام 912هـ/ 1506م ـ 1507م في حقل مكشوف وفي وضح النهار. وكان هناك العديد من الحملات التأديبية ضدهم ولكن واحدة منها فقط، عام 1498م، تكللت بالنجاح[4]. وحتى في العهد العثماني ظل بنو لام يشكلون خطراً على قوافل الحج. وكان بناء قلعة «حصن» الأخيصر في عام 938هـ/ 1531م ـ 1532م موجهاً في المقام الأول ضد بني لام؛ راجع الجزء الثاني صفحة 86.

بعد ذلك بوقت قصير غادر بنو لام الحجاز وتوجهوا نحو الشرق. وفي عام 1575م سكنوا في المنطقة التي يتجولون فيها الآن على الجانب الآخر من دجلة.

---

(1) هكذا يفسر تبدل نسب آل عدي بن أفلت الذين هم من طي ولكن ليسوا من بني لام إلا أنهم انضموا إليهم في وقت لاحق. قارن قلقشندي، 290، 241؛ السويدي، 60، مع فوستنفلد، الجدول، 6، 16 ـ 23.

(2) ابن إياس، الجزء الرابع، 106.

(3) المقريزي، كاترمير، الجزء الأول، 2، 48.

(4) أبو الفدا، الجزء الرابع، 76؛ مجير الدين، الإنس الجليل، 700 (بني لات)؛ ابن طولون، 29؛ ابن إياس، الجزء الرابع، 99، 105، 108.

أسباب هذه الهجرة غير معروفة. ويبدو أنها مرت عبر الباطن[1]؛ إذ إن الفضول الذين وجدناهم هناك (ص 238) توقفوا آنذاك هناك وبقوا في المنطقة. وفي الحجاز أيضاً بقي من بني لام بعض الجماعات الصغيرة المتفرقة، وكذلك في أعماق نجد في الشعارة «الشعرى»[2].

كانت المناطق الواقعة بين الفرات ودجلة مزدحمة بالسكان ولم تكن تتسع لنزول بني لام فيها؛ ولم يجد بنو لام إلا وراء دجلة المساحات الكافية لتوفير الغذاء لقبيلة بدوية. وخلال زمن قصير سيطروا على كامل المنطقة الممتدة من الوادي حتى الطيب والدويريج؛ وكانت غزواتهم تصل في الغرب حتى مندلي وفي الشرق حتى الكرخة[3]. وكان على الملاك السابقين، ربيعة، أن ينسحبوا إلى تفرع دجلة والغراف أو يدفعوا لبني لام الأتاوات مثلهم مثل الفلاحين والمعدان المقيمين على ضفاف دجلة.

كان بنو لام تابعين في المقام الأول لباشا بغداد. ولكن وبما أن منطقتهم كانت تتجاوز حدود الامبراطورية، فقد كان والي الحويزة المجاور لهم والتابع لفارس يفرض عليهم مطالبه. إلا أن المساوئ التي كان يسببها هذا الوضع لبني لام، وهي دفع ضرائب مضاعفة والاعتراف بعدة شيوخ، كانت تقابلها مزايا تعوضها أو تزيد، وهي إمكانية التهرب من سلطة الدولة عن طريق الهرب إلى وراء الحدود. وكانت

---

(1) تحوّل الروايات المتناقلة، محمد باقر، 11، هجرة القبيلة، كالمعتاد، إلى هجرة رب الأسرة: قام برّاك بقتل عمه الذي أصبح الشيخ بعد وفاة أبيه. وبعد ذلك خرج من جبل عامل مع زوجته وابنه الصغير حافظ وعبده برميل وتابع سيره حتى وصل عن طريق البصرة إلى المولى بركات في الطينة (الحويزة؟). لكن المولى بركات (سيد بركة خان) حكم من عام 1643م حتى عام 1650م، أي بعد زمن طويل من مجيء بني لام. لكنه هو أيضاً أصبح بطلاً لإحدى الحكايات. ولذلك جعلته الروايات المتناقلة شريكاً لبرّاك.

(2) جهان ـ نيما، 541 أدناه، 554. موزيل، شمال نجد، 324، يعتبر المساعيد من بني لام، ولكنه، على الأرجح، غير مصيب، انظر الجزء الثاني، 445، الملاحظة 23 ـ جهان ـ نيما، 527.

(3) تسمى المنطقة الواقعة بين دجلة والجبال الفارسية، بين الكرخة (والوادي)، التي استوطنت فيها القبيلة «جزيرة بني لام»؛ محمد باقر، 12.

نزاعاتهم مع السلطات الحكومية كثيرة ومتكررة. فما أن استوطن بنو لام في منطقتهم الجديدة حتى بدأت الشكاوى من غزواتهم والتي صدرت في أول الأمر عن الجانب الفارسي[1]. وفي القرن السابع عشر سببوا كثيراً من المتاعب لولاة الحويزة؛ ويصف ابن معتوق، شاعر الأسرة الحاكمة، المعارك التي انتصر فيها منصور وعلي خان على بني لام. وفي وقت لاحق يتحدث أيضاً مؤرخون بغداديون عن حملات تأديبية ضد القبيلة[2] وقعت بين عام 1678م و1704م ولا يقلّ عددها عن أربع حملات. وكانت الأسباب، كالعادة، السلب والنهب أو الامتناع عن دفع الضرائب[3].

في عام 1711م تجرأ بنو لام على التقدم حتى أبواب بغداد. وكان الباشا شخصياً على رأس الجيش الذي تصدى لهم لكنه لم يتمكن من اللحاق بهم لأن عبور الديالى أصبح في ذلك الوقت غير ممكن بسبب بدء موسم الفيضان الربيعي. وعندما تراجعت المياه تبعهم الباشا إلى الحدود. وطلب من عبد اللّه خان حاكم الحويزة إعادة الغنائم التي كانو بنو لام قد حصلوا عليها ووعد بالعفو عن اللصوص في حال تنفيذ ذلك. وبما أن الوالي رفض التنفيذ متذرعاً بأعذار مختلفة، وأن عبور الحدود بدا وخيم العواقب، اضطر الباشا إلى الانسحاب خائباً. خلفت هذه الحادثة حالة من التوتر ازدادت حدة في الأعوام التالية بسبب خلافات على السلطة في الحويزة: قام أقرباء عبد اللّه خان بإسقاطه لكنه تمكن في النهاية من العودة إلى منصبه بمساعدة الفرس. وبقي أحد منافسيه، سيد علي، (انظر ص 595 أعلاه) في

(1) نور اللّه الشوشتري، مجالس المؤمنين، 8. مجالس، 16. جند، النهاية. من هذا الموقع نستنتج فترة حكم مولى سجاد حاكم الحويزة (1541م ـ 1585م) كموعد أخير لهجرة بني لام. وهم يسمون هنا السلاطين (وفي المصادر اللاحقة آل سلطان).

(2) ديوان ابن معتوق، 16 وما يليها، 110 وما يليها.

(3) لا يجوز أن نستنتج من ذلك أن بني لام خيموا في بادئ الأمر في منطقة الحويزة فقط، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى منطقة بغداد؛ إذ إن "المجالس" تذكر صراحة أنهم كانوا رعايا أتراك. . لونكريك، 80، يقع في خطأ لأنه يعتمد على حكاية القبيلة.
گلشن، 104، 116، 124.

الحويزة لكن منافساً آخر، سيد محمد[1]، فرّ مع أنصاره إلى المنطقة التركية والتجأ إلى بني لام. ولكي يؤدب عبد اللّه خان بني لام ويقضي على اللاجئ الهارب اتحد مع حاكمين فارسيين مجاورين وتجاوز الدويريج وتقدم حتى ما بعد دجلة (1715م). فاحتج الأتراك على انتهاك الحدود وعلى مصادرة سفن في نهر دجلة، لكنهم لم يتمكنوا من جمع قوات كافية للدفاع عن حقوقهم. لكن بني لام حصلوا على دعم من قبائل أخرى وانتصروا على الجيش الفارسي عند واسط. ويُقال بأن العدو فَقَد 2000 رجل في ساحة المعركة وألف رجل أثناء الهرب عبر نهر دجلة. وكان بين الأسرى عبد اللّه خان نفسه الذي خلفه في الحويزة سيد علي. لكن تصرفاً غبياً من الأتراك، وهو اعتقال الشيخ عبد العالي، المنتصر في معركة واسط، أدى إلى عودة التقارب بين بني لام وعبد اللّه خان. فعاد عبد اللّه إلى بلده وحاصر سيد علي في الحويزة (1716م). حاول سيد علي الحصول على مساعدة من بغداد ولكن عبثاً. وهكذا استطاع عبد اللّه العودة إلى السلطة. وانطلاقاً من الثقة بالحصول على مساندة من الحويزة بدأ الشيخ عبد العالي، الذي كان في هذه الأثناء قد أطلق سراحه، بعملية انتقامية ضد الأتراك. لكن حساباته كانت خاطئة. فبعد تجربة عام 1715م لم يعد باشا بغداد يخشى انتهاك الحدود. واضطر عبد اللّه خان إلى إظهار اللين في اللعبة الشريرة وقبل أيضاً بتزويد الأتراك بالمؤن. ولم يتوقف بنو لام إلا بعد الكرخة على الكارون لكنهم اضطروا بعد تحقيق بعض الانتصارات في البداية إلى التخلي عن جميع قطعانهم وخيامهم (1717م)[2].

(1) لا يرد ذكره إلا عند راشد كأخ لعبد اللّه خان، ولا يرد ذكر سيد علي إلا عند كسروي، انظر الملاحظة التالية.

(2) لونكريك، 126: 1718م. المصادر التركية: گلشن، 127، 130؛ راشد، الجزء الثاني، 121، الفارسية «تذكرة إي شوشتر، 68، وفيما يتعلق بدور سيد علي، أيضاً كسروي، تاريخ... خوزستان، 100 وما بعدها. الأخير يستند هنا على مذكرات سيد علي المختصرة جداً للأسف. كما أن بني لام أيضاً يتحدثون عن انتصارهم على سيد الحويزة ولكنهم يخلطون بينه وبين أبيه فرج اللّه ويخلطون بين الشيخ عبد العالي وابن أخيه مذكور. ويبدو أن الجسر العائم المؤلف من خراطيم منفوخة والذي جلبه خان معه كان له تأثير خاص على البدو. أما الحديث

من الطبيعي أن بني لام شاركوا في الاضطرابات التي حدثت في الأعوام 1723م ـ 1736م خلال الحروب الفارسية في العراق[1]. وبعد عقد اتفاق السلام تولى أحمد باشا شخصياً ملاحقة الثوار. فتوجه من بغداد إلى علي الظاهر[*] حيث كان، بنو لام قد حشدوا قوة كبيرة، واتحد هناك مع قوات كانت قد نقلت من البصرة على سفن الأدميرال في النهر نحو الأعلى. افتتح أحمد باشا المعركة بأن نزل وحيداً إلى الساحة وطلب المبارزة. وبعد أن انتصر على أربعة من خصومه واحد تلو الآخر اشتبكت قوات الطرفين. فخسر بنو لام المعركة ووقعت نساؤهم وأطفالهم وقطعانهم في أيدي الأتراك. عندئذ خضعت القبيلة وتعهدت بدفع الضرائب المتأخرة وتكاليف الحرب (1737م). وفي العام التالي جاء الباشا مرة أخرى إلى منطقة بني لام بحجة القيام برحلة صيد. لكن بني لام كانوا يقظين وظلوا في مخيمات صغيرة بعيداً عن الطريق. ثم وجهت لهم ضربة أخرى في عام 1154هـ/ 1741م. فقد دعي شيوخهم إلى بغداد بحجة الحملة على المنتفق، حيث اعتقل بعضهم وأعيد بعضهم إلى القبيلة بعد سلبهم أملاكهم[2].

كان تأثير هذه الإجراءات قوياً جداً إلى درجة أنه خلال الستين سنة التالية لم تكن هناك حاجة للقيام بحملة تأديبية ضد القبيلة. لم تحدث حملة تستحق الذكر إلا في عهد علي باشا، وسنتحدث عنها بالتفصيل لأنها تُعبر عن سلوك العثمانيين وسلوك البدو على حد سواء: في بداية عام 1806م أرسل علي باشا ضابطه (الكهية) لتحصيل الضرائب (الميري) المتأخرة الدفع من الشيخ عرار العبد العال (ي). وفور وصوله إلى منطقة بني لام سحب الاعتراف من الشيخ عرار وعيّن عباس الفارس

عن ألف أداة كان يستعملها لتمهيد الطرق فهو من صنع الخيال. والممتع هو كيف كان خان الأسير يطلب من المنتصرين تقبيل يديه وكيف سمح له بعد 7 أيام بالعودة معززاً مكرماً إلى بلده؛ محمد باقر، 14 وما يليها..

(1) لونكريك، باسيم؛ محمد مهدي، تأريخ نادري، تبريز 1271، 64، النص: بني إمام.

(*) علي الظاهر هو علي الغربي (العزاوي ـ تاريخ العراق/ ج5، ص 251) (م. شبّر).

(2) دوحة، 44، 47، 54؛ قارن أوثر (1739 ـ 1741)؛ رحلة في تركيا وإلى إيران، الجزء الثاني، 33، 158.

بمنصب شيخ المشايخ. ولكن عباس تفاهم مع عرار، وبدلاً من الحضور إلى الضابط لاستلام أمر تعيينه هرب مع بني لام إلى وراء الطيب. وبعد أن قامت القوات التركية بالهجوم على مخيم للبدو على نهر دجلة ومصادرة 12000 شاة، تابعت ملاحقتها لبني لام الذين كانوا في هذه الأثناء قد انسحبوا إلى ما بعد الدويريج. ولكن بعد هذا النهر ضاع أثر الهاربين. وتعين على المقاصيص[1] المخيمين في مكان قريب أن يتحملوا تبعة ذلك؛ فقد صادر منهم الأتراك 2000 شاة. وعلى الرغم من ضياع الأثر ظل الكهية التركي متمسكاً بهدفه الرئيسي، ملاحقة بني لام. وبما أنه لم يتمكن من إلقاء القبض على الشيخ عباس الفارس دعا الشيخ المعزول عرار إلى المعسكر التركي. لكن عرار لم يحرك ساكناً، بل إن الذي حضر هو عباس الفارس الذي حصل عندئذ على الخلعة، أي على البدلة الفخرية التي تُعبر عن تعيينه شيخ المشايخ[2].

منذ الأحداث التي رويناها في الصفحة 658 أعلاه لا نعرف سوى القليل عن علاقة بني لام بالسلطات الفارسية. كل ما نعرفه هو أنهم قدّموا المساعدة للوالي عام 1751م ضد آل كثير. وعلى وجه العموم يعتقد أن بني لام كانوا يتمتعون هنا بحرية واسعة؛ إذ إن إمارة الحويزة آنذاك آيلة إلى السقوط ولم يكن حُكام فارس المؤقتين قادرين على الاهتمام بهذا الجزء الضائع من مملكتهم. لكن الأمر تغيّر بعد وقت قصير في زمن القاجارين. صحيح أن بني لام استغلوا الفترة القصيرة من الارتباك التي سببها موت فتح علي شاه (خريف 1834م) للهجوم على منطقة مدينتي دزفول وشوشتر، لكنهم أجبروا في العام التالي على التعويض عن الأضرار التي سببوها[3]. وعاملهم معتمد الدولة الشهير معاملة لا رحمة فيها حيث هاجمهم عند الكرخة وأخذ كل ما يملكون، قطعانهم ونساءهم وأطفالهم (1841م)[4].

(1) جدول ربيعة، جـ 2.
(2) المصدر، دوحة، 246 وما بعدها، لا تذكر الشرط البديهي وهو أنه كان يأخذ الضرائب.
(3) روضة الصفا، الفصل العاشر: انتظامي كرمنشاهان إلخ.. تحت بهران ميرزا لعام 1250هـ.
(4) لايارد في مجلة الجمعية الجغرافية، جـ 16، 1846م، 46.

في منطقة أبعد إلى الشمال، في منطقة لورستان الحدودية، تكبد بنو لام في تلك الأعوام كثيراً من الخسائر: استولى أولاد حسن خان صاحب بشتي كوه على أراضي القبيلة الواقعة شرقي زباطية، وأخذوا في بكساية نصف الضرائب العقارية التي كانت من نصيب بني لام، ودمروا في حرب الأخوة قريتي البيات ودهلران اللتين كان بنو لام يجبون ضرائبها[1].

وفي المنطقة العثمانية أيضاً فقدت القبيلة كثيراً من حقوقها: قام دواد باشا بعد عام 1825م بوضع المعدان المقيمين جنوب قناة أم الجمل، والذين كان بنو لام يجبون في ذلك الوقت ضرائبهم، تحت سلطة المنتفق (انظر الصفحة 603 أعلاه). وكان الإجراء مقبولاً لأن المنطقة المعنية كانت واقعة خارج منطقتهم. لكن الإجراء غير المقبول هو الذي اتخذه الأتراك في الأربعينيات ضد بني لام. كان شيخ المشايخ مذكور تخلف عن أداء التزاماته الضريبية[2]. ولكي يجبروه على الدفع اعتقلوا ابنيه في بغداد ووضعوهما رهينة في السجن، وفي الوقت نفسه منحوا شيخ المنتفق (بندر) حق جباية الضرائب في منطقتهم على الضفة اليمنى لنهر دجلة. وكانت النتيجة ثورة أدت إلى توقف الملاحة النهرية وحركة القوافل بين بغداد والبصرة وأجبرت المنتفق على التخلي عن حقهم[3]. وفي العقود اللاحقة حدثت خلافات داخل القبيلة أدت إلى شل طاقاتها.

نتيجة تأسيس ناحية العمارة في عام 1862م فقد بنو لام جزءاً كبيراً من سلطتهم. إذ قام المسؤول العام عن الجباية وتأجير الأراضي بتأجير الأراضي

(1) خورشيد، 98 وما بعدها؛ انظر آلفرد فون كريمر في الفلسفية ـ التاريخية، جـ 6، (1850م)، 251 وما بعدها ـ تقع بكسايه/ باكسايا، وتسمى أيضاً باغي شاه، على هذا الجانب من الحدود الإيرانية، بينما تقع أنقاض البيات دهلران على الجانب الآخر.

(2) يقدر خورشيد، 93، وجونز، 380، الضرائب "المقطوعة" التي كان بنو لام يدفعونها كل عام بحوالى 800000 قرش. بهدف تحديد الضرائب كانت تمسح الأراضي بالباع وكانت كل 10 باعات تشكل وحدة واحدة تبلغ ضريبتها 15 قرشاً. وكان الدفع يتم نقداً أو عيناً؛ فون كريمر، نفس المصدر السابق. كان المعدان يدفعون لبني لام رسوماً عن المراعي؛ جونز، 380.

(3) لوفتوس، 9 وما بعدها؛ انظر محمد باقر، 16.

مباشرة إلى شيوخ عدد من القبائل كانت حينئذ تابعة لهم، وهي: البو درّاج في شمال العمارة، والأزيرق والبو محمد في جنوبها.

في بداية القرن الحالي تمكن الشيخ غضبان البنيّة من إخضاع أولئك التابعين السابقين مرة أخرى. فقط البو محمد لم يستطع إخضاعهم. ولم يؤدِ إرسال محمد باشا الداغستاني إلا إلى صلح مؤقت بين القبيلتين. وعندما تصالح أخيراً غضبان وصيهود، زعيما البو محمد، إنما فعلوا ذلك فقط لكي يستطيعوا مقاومة الحكومة. وفي عام 1911م أرسلت لهم حملة تأديبية أعادت الهدوء إلى المنطقة وفرّ غضبان إلى الحويزة لكنه أعفي عنه عام 1913م[1]. وعندما دخلت الامبراطورية الحرب العالمية الأولى شارك في الحملة التركية على الأهواز (بداية 1915م). وبعد ذلك بدل عدة مرّات الجهة المتحالف معها، شأنه في ذلك شأن بقية شيوخ بني لام. وفي وقت لاحق لم تجد سلطات الاحتلال أي مقاومة عند بني لام، وأيضاً خلال ثورة عام 1920م ظل سكان دجلة الأدنى هادئين.

خلال القرون الأخيرة شهد بنو لام سواء من ناحية الحجم أو من ناحية البنية الهيكلية عدة تغيرات. فقد اختفت، أو بالأحرى تفككت، القبيلتان الفرعيتان آل سلطان والفضول[2]، اللتان التقيناهما في القرنين السابع عشر والثامن عشر. أما الخسائر التي منيت بها القبيلة خلال هجرتها من الجزيرة العربية إلى العراق (انظر ص 576 أعلاه) فقد عوضوها وأكثر وذلك عن طريق انضمام عناصر غريبة: ربيعة (باوية، سرّاج)، وكنانة، وكعب، وخزرج، وصرخة، وبني جميل، وغيرهم. لكن

(1) عالم الإسلام، 301، رقم 156؛ محمد باقر، 37: في بداية الحرب العالمية.

(2) إسكندر منشي، تاريخ عالم آرايي عباسي، 713؛ نفس المصدر، 675؛ آل فضيل؛ ديوان ابن معتوق، 17: آل فضل ـ استوطن فرع من الفضول، آل غزي، عند الحويزة، لكن جزءاً منه هاجر 1025هـ/1616م إلى منطقة البصرة. وفي محاولة لإعادة المنشقين سقط سيد راشد صاحب الحويزة عام 1029هـ/1620م. وفي عام 1258هـ/1842م هاجر الغزي، الذين كانوا يخيمون في المنطقة التركية، إلى الحويزة؛ كسروي، 67؛ خورشيد، 89. ويبدو أن الغزي كانوا ممثلين أيضاً عند الفضول العرب، انظر ص 634 ـ 9 أعلاه.

هذا النمو كان مؤقتاً، إذ إن جميع هذه القبائل هاجرت بين عام 1789م وعام 1848م، بسبب عبء الضرائب أو المجاعات أو الجفاف أو الصراعات الداخلية، كلها (باوية، بنو جميل) أو الجزء الأكبر منها، إلى خوزستان[1].

تقسم تقارير الرحالة المكتوبة في القرن التاسع عشر بني لام إلى بدو رحل وفلاحين، أو بالأحرى معدان. لكن هذا الرأي غير صحيح تماماً. فالمجموعتان لا تختلفان في طريقة الحياة وحسب وإنما أيضاً من ناحية المنشأ والموقف السياسي. إذ يشكل البدو المهاجرون طبقة السادة، بينما يشكّل الفلاحون والمعدان، المقيمون على دجلة منذ القدم، الرعية (ولذلك سجلناهم في الجدول تحت بند: الملحقون). وقد أصبح بعض هؤلاء مستقلين إما عن طريق الهجرة أو، كما ذكرنا في الصفحة 576 أعلاه، عن طريق التطور السياسي.

منذ الحرب العالمية الأولى تفكك بنو لام بأنفسهم. فقد انسحب الفرعان الرحمة (4) وآل خميس (5) إلى بدره ومندلي حيث كان قد سبقهم إلى هناك المعبر (1) والطعان (2) والحمد (3)، وانتقل العبد الخان (8) إلى مينا و (ميان ـ آب)، أي "الجزيرة" بين ديز والكارون.

ظلت منطقة تجول بقية القبيلة تقتصر منذئذ جوهرياً على مقاطعة العمارة؛ إلا أن عبور الحدود كان ولم يزل مسموحاً لهم[2] لأن العمارة لا يوجد فيها مراعي كافية لقطعانهم[3]. على نهر دجلة تبدأ منطقة بني لام فوق الوادي، وتصل على الضفة اليسرى حتى العمارة، بينما تنتهي على الضفة اليمنى قبل العمارة حيث تقطعها منطقة البو درّاج.

---

(1) خورشيد، 87 وما يليها؛ انظر الملاحظة 1 في الجدول. ترك الدلفية، الذين هاجروا 1263هـ ـ 1264هـ/ 1847م ـ 1848م، مجموعة صغيرة أصبحت من أتباع آل جنديل المذكورين على الخريطة، شيخ سعد.

(2) المصاعب التي سببها لهم عام 1914م والي بوشتي كوه، أزيلت بعد الحرب؛ الشرق الحديث، الجزء الثاني، 301.

(3) محمد باقر، 155.

حول الهجرة الداخلية لبني لام يوجد لدينا تقرير دقيق يعود إلى النصف الأول من القرن الماضي[1]: كانوا في الشتاء يقيمون في أطراف الجبال الفارسية، وفي الربيع في سهول قره تبه، ويقضون شهراً آخر على ضفاف الوادي والطيب. وكانوا في الصيف يذهبون إلى دجلة حيث كانوا يتبعون مجراه من علي الغربي حتى تفرع الحد (فوق العمارة) مع بعض التوقفات، في علي الشرقي (18 يوماً) ونهر سعد (30 يوماً)، والدير.

كان بني لام يصدرون في السابق الصوف وزبدة الأغنام والجمال إلى بغداد. وكان الرز يشكّل غذاءهم الرئيسي، وحتى الخيول كان يقدم لها الرز كعلف.

في العادات والتقاليد كان التأثير الفارسي ملموساً؛ كان المحاربون يحملون الترس الدائري (درك) كسلاح، وكان الشيوخ يحوون فهوداً للصيد[2]. يعتنق بني لام المذهب الشيعي الذي يعتنقه أيضاً جميع من حولهم.

(1) فون كريمر، نفس المرجع السابق؛ قارن لايارد مجلة الجمعية الجغرافية، 16، 46 وما بعدها.

(2) فون كريمر، المصدر السابق؛ خورشيد؛ كيني «cuinet»، الجزء السابع، 240؛ حجي ركان، 48.

عائلة شيوخ بني لام

كانت تقود بني لام منذ القدم، مثلهم مثل كثير من القبائل الكبيرة، أسرتان. في القرن الثامن عشر كانتا آل عبد الخان وآل بلاسم، وكلاهما من آل سلطان. وتذكر المصادر الأدبية عبد العالي (1715م) ابن العبد الخان وأخاه (عبد) القادر (1737م) كقائدين كبيرين لبني لام، وتذكر الروايات المتناقلة ابن عمهما عبد السيد أيضاً[1].

في (عام 1751م) كان يحكم بني لام ثامر من آل عبد الخان ومذكور من آل بلاسم جنباً إلى جنب[2]. وعندما كبرت العائلتان وأصبحتا قبيلتين برز من آل بلاسم خط عبد العالي (عرار) وخط جنديل، بينما نُحيَّ آل عبد الخان وأصبحوا لهذا السبب خصوماً لعائلتي الشيوخ الجديدتين[3].

استغلت الحكومات هذا الوضع لصالحها وأخذت توقع بين الشيوخ بأن تدعم مرة هذا وأخرى ذاك: في عام 1821م عُزل عرار العبد العال (ي)، الذي التقيناه في الصفحة 660 أعلاه، وعيّن مكانه مذكور بن جنديل، الذي عزَلهُ الفرس من منصبه

(1) ص 659 أعلاه؛ دوحة، 44؛ تذكرة أي شوشتر، 113؛ محمد باقر، 13 وما بعدها.
(2) تذكرة إي شوشتر، 113.
(3) فون كريمر، المصدر السابق.

عام 1835م؛ وحلّ مكان عرار ابنه نعمة[1]. وكان الأتراك يحاولون مرة مع هذا وأخرى مع ذاك إلى أن قاموا أخيراً بتقسيم المنصب بأن أعطوا الضفة اليسرى لنهر دجلة لواحد والضفة اليمنى للآخر[2]. وفي النهاية نجح مذكور في جعل الجنديل يتقدمون على عبد العالي. كان مذكور الشخصية الأهم، لكن نعمة كان الشخصية الأكثر جاذبية[3].

في عهد مزبان بن مذكور حلّ محل النزاع بين العائلتين نزاع ضمن عائلة الجنديل نجم عن خلافات عائلية (1878م ـ 1879م)[4]، وفي عهد بنيّة بن مزبان اندلعت مرة أخرى الخصومة القديمة بين عبد العالي والجنديل: قام الشيخ غضبان النعمة بعقد قرانه على إحدى بنات موسى المذكور دون موافقة أبناء عمها الذين لهم حسب العرف القبلي الأسبقية في طلب يدها. نتيجة لذلك اضطر آل عبد العالي إلى اللجوء إلى الأراضي الفارسية طلباً للحماية وظلوا هناك 18 سنة، إلى أن توفي غضبان، أعيدوا بعدها إلى القبيلة مرة أخرى[5].

بعد وفاة غضبان النعمة تولى الزعامة ابن عمه غضبان البنية الذي لم يكن قد بلغ سن الرشد لكنه كان عنيفاً لا يرحم. قام في بادئ الأمر بتأديب السراج «السراي» وكنانة «چنانة» المتمردتين. عندئذ أعلن صيهود، شيخ البو محمد الواسع النفوذ الحرب عليه حيث كان غضبان قد جرحه شخصياً بفظاظته. فانهزم

(1) الأنسكلوبيديا الإسلامية، فون لام (مينورسكي)؛ روضة الصفا، الفصل العاشر: انتظامي إي كرمنشاهان إلخ... في عهد بهرام ميرزا العام 1250.

(2) فونتانه «Fontanier» (1835 ـ 1836)، رحلة في الهند وفي الخليج الفارسي «العربي»، جـ1، 366، 404؛ خورشيد، 91.

(3) سي.آ. دي بود، رحلات في لورستان وعربستان، الجزء الثاني، 198؛ إينسو ورث، رحلة الفرات، جـ 2، 239؛ لايارد في مجلة الجمعية الجغرافية، الجزء السادس عشر، 46؛ جونز، 380.

(4) يلعب ابن مذكور دور البطل في حكاية رومانسية مروية في حجي ركّان، 111 وما بعدها.

(5) حجي ركان Haji Rikkan، 196 وما بعدها.

غضبان، لكنه انتقم لهزيمته من البو درّاج الذين ساندوا خصمه. فأسر شيوخهم ودخل أراضيهم. وبدعم من قبائل الميناو انتصر عدة مرّات على البو محمد وأخضع الأزيرق «الأزيرج»، لكنه قبل بعد ذلك عرض السلام الذي قدّمه له صيهود. وعندما ذهب عام 1911م إلى الحويزة هرباً من الأتراك تقاسم ابن أخيه جوي اللازم، وعمه شبيب المزبان، وعلي خان، أراضيه فيما بينهم. ويُقال بأن غضبان عمل في الحويزة على تحريض بني طُرُف وقبائل الميناو ضد خزعل خان صاحب المحمرة الذي كان آنذاك قوياً جداً في عربستان، لكن خزعل انتزع منه سلاحه بالمحبه والملاطفة[1]. في أول 1915م شارك، كما ذكرنا في الصفحة 663 أعلاه، في الحملة التركية على الأهواز بعد أن وعدته الحكومة بإعادة الأراضي التي كان يديرها حتئذ جوي اللازم. وبعد الزحف البريطاني، الذي وصل في يونيو/حزيران 1915 إلى العمارة وفي يوليو/تموز إلى علي الغربي، خضع غضبان للإنجليز، ولكن عندما تراجع الإنجليز بعد ذلك بوقت قصير عاد ووقف إلى جانب الأتراك خوفاً على أملاكه التي كان قد استعادها قبيل ذلك. بعد ذلك بوقت قصير فَقَد أملاكه نهائياً بنتيجة تغيّر ظروف الحرب لصالح الإنجليز؛ عندما تقدم الإنجليز مجدداً أعطوا جميع الأراضي لجوي اللازم[2]. ويذكر أن غضبان خاض بعد ذلك عدة حروب ضد خزعل وأن خزعل كسبه إلى جانبه مرة بعد أخرى، أما في الحقيقة فقد ظلّ موقوفاً عند خزعل كنصف سجين إلى أن سمح له بالعودة عام 1921م بوساطة من الحكومة العراقية. لكنه توفي بعد ذلك بوقت قصير.

أما عمه شبيب المزبان، الذي دعمه في بداية حكمه، فهو اليوم أكثر شيوخ بني لام نفوذاً. ويُقال بأنه تخلى كلياً عن حياة البداوة وانصرف في المدينة إلى الشرب واللعب.

تقع أملاكه، الجزرة، على الضفة اليسرى لنهر دجلة. أما بقية زعماء

---

(1) لنكن أكثر وضوحاً من محمد باقر «بالذهب»، لأن الذهب كان سلاح خزعل، انظر الجزء الرابع. إلا أنني أشك في صحة هذه القصة لأنه لم يرد لها ذكر في أي مكان آخر.

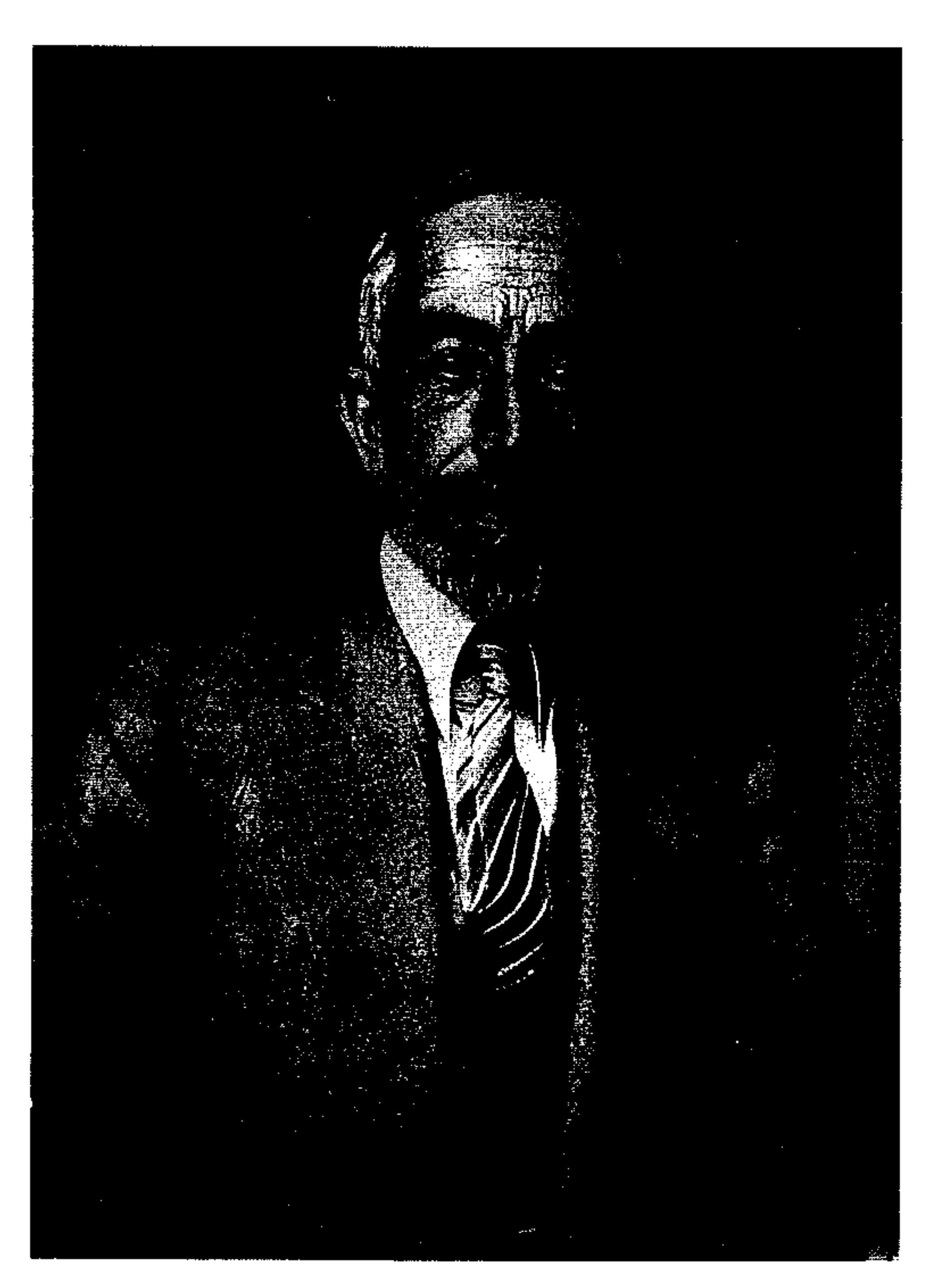
(2) ريفيو، 31.

آل مذكور فلهم أملاك على الطيب والدويريج. ويقيم آل جنديل عند الشيخ سعد على هذا الجانب من دجلة، أما آل عالي خان فيقيمون على الضفة المقابلة. وتقع أملاك عبد العالي على الضفة اليمنى (من فهدية نحو الأسفل)[1].

أحوال الري متخلفة جداً. أهم قناتين على الضفة اليمنى، الفهادية والسعدية، لا يجري فيهما الماء إلا في موسم الفيضان الربيعي، وعلى الضفة اليسرى تهدمت جميع القنوات باستثناء قناة الوادي. وأما نهرا الطيب والدويريج فهما منخفضان جداً بحيث لا يوجد هناك سوى الزراعات البعلية (القمح والشعير)[2].

(1) توزيع الملكيات العقارية وحق جباية الضرائب على عوائل الشيوخ عادة قديمة العهد، انظر فون كريمر، المصدرالسابق.

(2) محمد باقر، 157 وما بعدها، 162 وما بعدها.



علي بن الحسين، ملك الحجاز (1932م).

ملاحظات حول مشجرة النسب

1 ـ كانت شجرة النسب قد أُعدت اعتماداً على المعلومات المتوفرة في كتب التاريخ وتقارير الرحالة فقط، إلى أن عثرت على «موجز تاريخ عشائر العمارة» لمحمد الباقر، بغداد 1947م الذي يحتوي على شجرة نسب تفصيلية لبني لام. تمكنت بمساعدة من سد ثغرتين، ألا وهما الصلة: عبد العالي ـ مذكور والصلة جنديل ـ مشعل ـ مذكور، وإكمال بعض حلقات الجيل الأحدث.

2 ـ تذكرة إي شوشتر 68، 117 (خطأ مطبعي: فريح)؛ ليكلاما آ نيهولت، جـ3، 227. محمد الباقر: فرج ـ سلسلة الأجداد: ف. ابن نصيري بن حافظ بن برّاق بن مفرج بن سلطان.

3 ـ راشد، جـ1، 257، مذكور ضمن ملاحظة مشوهة: بني آدم شيخي عبد الشان، حوالى 1700. أكبر الأبناء السبعة فريح (ليكلاما).

4 ـ محمد باقر: جادر؛ تذكرة إي شوشتر، 113؛ عبد القادر هنا يسمى أبوه عبد الخالق. ولكن هذا خطأ مطبعي لعبد الخان.

5 ـ تذكرة إي شوشتر، 113؛ «عبد اليد»؛ محمد باقر: "سيد".

6 ـ جد عبد العالي.

7 ـ جد آل عرار.

8 ـ جد بيت جنديل.

9 ـ جد آل مذكور.

10 ـ جد آل عالي خان.

11 ـ جد آل جنديل.

12 ـ بلونت، صورة رحلة، الجزء الثاني، 136 وما يليها؛ فون أوبنهايم، من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، 290؛ شيها، 245.

13 ـ بلونت؛ شيها.

14 ـ شيها.

15 ـ محاولة تحسين فاشلة لكلمة كونادر.

16 ـ ريفيو، 31.

بني لام(1)

شيخ المشايخ(2): شبيب المزبان، جوى اللازم، حاتم الغضبان، سكر الفالح
علوان الفليح، ناصر الماجد، حسن الماجد
قمندار الفهد، حنين بن أبو ريشة، يعقوب اليوسف
المنطقة: الوادي ـ العمارة، مندلي؛ بدره؛ ميناو

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المعلى		مندلي	250
2 ـ الطمان	نصيف الشاطي	بدره	
3 ـ الحمد	عبد الحسن اليوسف	مندلي: بدره	250
4 ـ الرحمة(3)	عبد الحسن اليوسف	مندلي	
	شياع الصفوق	بدره	
5 ـ آل خميس		بدره	
6 ـ الظاهر(4)			
7 ـ العبد الشاه			
8 ـ العبد الخان		خيراباد (ميناو)	
9 ـ البلاسم(5)			
10 ـ العبد العالي			
11 ـ الحويفظ			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
القبائل الملحقة :			
1 ـ الكنانة(6)	بيت زامل(7)		1000
أ ـ القمر(8)			
ب ـ الدريسات(9)			
ج ـ الشحيتات(10)			
2 ـ الكعب(11)	البندة(12)		1000
أ ـ العصافرة			
ب ـ آل حسن(13)			
ج ـ النبقان(14)			
هـ ـ الحاج(15)			
3 ـ الخزرج(16)			
4 ـ الصرخة(17)			
5 ـ السراج(18)			5000
أ ـ الصبيح(19)			
ب ـ الاخشاب			
ج ـ أهل الثلث			
أ ـ الوحيلات(20)	الحاج غضبان القاطع		500
ب ـ الحلاف			
ج ـ البو فرادي(21)			
د ـ الرسيتم(22)			
هـ ـ الفكيكات(23)			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ القوائم القديمة لبني لام: مجلة الجمعية الجغرافية، 1846م، 45، لايارد، أنظر هامش 5 ص 464، الفلسفية ـ التاريخية، جـ6، (1850م)، 251 وما بعدها. 253 كريمر، خورشيد، 86 وما بعدها. جونز 379 وما بعدها، شيها 245. لايارد يعطي خليطاً متنوعاً من أسماء العائلات والقبائل. كريمر، قبائل رُحل بشكل رئيسي، بينما لا تذكر من قبل جونز نهائياً. خورشيد مميز بين: أ ـ رُحل ونصف رُحل، ب ـ مستقرين: فلاحين ومعدان. ج ـ أقسام مهاجرة (قارن مع صفحة 663، 664 أعلاه). ضمن أ تنضوي 1ـ9 من الجدول. ضمن ب: البو محمد الزين أصبحوا مستقلين وكذلك البودراج، والأزيرق، والسواعد وبني سالة. علاوة على خمس قبائل سادة، إحداهما بيت العلاق، مذكورة أيضاً لدى/ آينسو ورث؛ (جـ 2، 237 كقبيلة سيد محمد العلاق). وكذلك الذهيبات الواردة لدى لايارد ضمن ج: صطاطلة، باوية، زبيد، صرخة، خزرج، الفكيكات، الدلفية، الغزي، السودان، السواعد، الذهيبات، بني جميل وغيرها. وباستثناء الغزي، جميع القبائل المذكورة ملحقة، يُضاف إليها أيضاً الصقور (لايارد، محمد الباقر، 12، 39). بعض القبائل الواردة لدى جونز لا يمكن إثباتها، الويمي عند لايارد وكريمر، لويمي، اللويمي.

لما كانت بياناتنا العائدة للعام 1939م ضعيفة فقد عدلتها استناداً إلى محمد باقر 39، 77، 78، 91. لم نستطع تصنيف الرويشد لدى شيها الرواشد، الواردة في البيانات في الجدول. من الملاحظ، كما هو الحال هنا، إن بعض الأسماء الأخرى تظهر في البيانات بصيغة النسبة (قارن الملاحظة 3، 17 ولويمي أعلاه) الأمر الذي لا نجده إلا لدى بعض قبائل الحجاز مثل حرب وجهينة.

عدد الخيم: خورشيد آ ـ 2750، ب ـ 8720. جونز: 3870 يضاف إليها 1900 خيمة للمعدان التابعين لبني لام.

القبائل من 1 ـ 5 موجودة في الجدول، قبائل صغيرة أسفل سلسلة الجبال

الإيرانية، ب 11، جـ1 ـ 4.

2 ـ تمّ ترتيبها وفق الخطوط الأربعة: آل مذكور، آل جنديل، آل عرار، آل علي خان.

3 ـ لايارد، خورشيد: 200 خيمة: البيان: الرحيمي. دوحت، 246 تثبت أنها تعود لعام 1806.

4 ـ فون كريمر، خورشيد، (100 خيمة) قارن ص: 671 ـ 672 أعلاه.

5 ـ لايارد، خورشيد، (1000 خيمة).

6 ـ لايارد، جونز، شيها. الأغلبية في إيران، أجزاء صغيرة في الهندية، الجدول بني طرف، 3.

7 ـ عائلة المشايخ.

8 ـ جونز: 500 خيمة.

9 ـ جونز: 600 خيمة.

10 ـ لايارد، خورشيد: 1205هـ/ 1790م ـ 1791م هاجرت مع الصرخة إلى الكارون، جونز: 100 خيمة.

11 ـ لايارد، خورشيد: 1000 كوخ. معدان مع بعض الأعمال الزراعية معظهم في إيران.

12 ـ عائلة المشايخ. على الخارطة بلاد ما بين النهرين السفلى على الضفة اليمنى فوق علي الشرقي.

13 ـ جونز: 250 خيمة.

14 ـ خورشيد، صطاطيلا «صطاطلة» 1203هـ ـ 1263هـ/ 1788م/ 1789م ـ 1847م هاجرت إلى الدز: جونز: 120 خيمة.

15 ـ خورشيد، صطاطيلا «صطاطلة» وإلخ. . مثل 14.

16 ـ خورشيد: 1259هـ/ 1843م و1263هـ/ 1847م هاجرت إلى الشاور عند سوسة. جونز: 250 خيمة. كلاهما خزرج، انظر صفحة 549 أعلاه.

17 ـ البيانات: صريخي، لايارد، خورشيد 1259هـ/ 1843م و1263هـ/ 1847م هاجرت إلى الشاوور؛ جونز: 100 خيمة.

18 ـ ربيعة / جـ آ تبدأ فوق الشيخ سعد. لايارد والسالنامة 279 يذكر أن فخذاً باسم بيت خلاطي.

19 ـ حتى عام 1919م (هرب غضبان) كانت القبيلة الحاكمة في السرّاج حيث كان شيوخ بني لام يختارون غالباً زوجاتهم. منذ ذلك الوقت اقتصرت على بعض المشايخ الذين لا يملكون أرضاً. خورشيد: 700 خيمة. أما بياناته الأخرى فهي خاطئة.

20 ـ حتى عام 1913م مقابل الكميت. ثم هاجرت بحثاً عن الأرض، لأن عند العمارة. كثير من الوحيلات يعيشون في العزبة كتجار أقمشة.

21 ـ خورشيد: 200 خيمة؛ جونز 400.

22 ـ خورشيد: 300 خيمة؛ شيها.

23 ـ خورشيد: 1260هـ ـ 61/ 1844م/ 1845م هاجرت إلى الحويزة.

البو دراج (دراج)

يعيش البو دراج على ضفة دجلة اليمنى تحت بني لام. وهم يرجعون أصلهم إلى ربيعة، ولكن هناك شك في صحة ذلك. كانوا يدفعون الضرائب لبني لام. وكانوا يلتقون قديماً في الجزء الغربي من منطقتهم مع المنتفق. وعندما حصل المنتفق في أربعينيات القرن الماضي على حق جباية الضرائب من رعايا بني لام على الصفة اليمنى، اعتمدوا على البو دراج. واستمرت العلاقات الطيبة بين القبيلتين على الرغم من عودة بني لام[1]. وبعد تأسيس ناحية العمارة (1862م) استقل البو دراج لكن بني لام أخضعوهم مجدداً في بداية القرن الحالي (انظر ص 686 أعلاه). ويُقال بأن غضبان ظل عدة سنين يأخذ شيوخهم معه أينما ذهب وهم محبوسون في أكياس من الصوف. ولم يستعد البو دراج على استقلالهم إلا بعد مجيء الحملة التركية عام 1911م[2].

تتفرع عائلة شيوخهم المنحدرة من بيت مذكور (6) إلى فرعين. ينحدر الفرع الحاكم من حسين بن طلال الذي كان ابنه حطاب معاصراً لغضبان. ويبدو أن ابن حطاب، محمد (1925م) لم يبرز لأن عمه فيصل ابن حسين غطى عليه. وابن

---

(1) خورشيد، 86: فلاحون عند بني لام؛ جونز، 377؛ يتبعون مرة بني لام ومرة المنتفق؛ محمد باقر، 75؛ قارن الصفحة 603 أعلاه.

(2) محمد باقر، 32، 34، 36.

فيصل، مطشر هو الآن "شيخ المشايخ". أما جد الفرع الآخر فهو فعل بن جودة بن طلال.

البو دراج(1)

شيخ المشايخ: مطشر الفيصل
المنطقة: كميت ـ نهر البتيرة
العائلات: 2500

القبيلة	الشيخ	منطقة الإقامة	عدد الخيام
1 ـ بيت فارس			
2 ـ الكولبة(2)			
3 ـ البو قمر			
4 ـ البو خضير			
5 ـ البو غيث			
6 ـ بيت مذكور	مطشر الفيصل	كميت: السفحة(3)	
	قاسم المحمد الحطاب		
	صبري المحمد الحطاب		
	صدام الشياع الفعل	السفيحة(3)	
	فهد الفعل		

ملاحظات حول الجدول

1 ـ تعود لعام 1925م، ثم استكملت استناداً إلى محمد باقر 76، 159؛ خورشيد 86، 92: 1000 خيمة؛ جونز، 377: 500 خيمة، بدو رُحل.

2 ـ القولبة؟

3 ـ أملاك عائلة المشايخ. لم نجد أملاكاً لآل حطاب على الخارطة.

قبائل معدان على دجلة الأدنى(*)

كان المعدان[1] في السابق منتشرين في العراق أكثر جداً مما هم عليه اليوم. حتى منتصف القرن الماضي كان جزء كبير من سكان حوض الفرات بين الرماحية والسماوة يعيشون من تربية الجواميس وزراعة الأرز. وعندما انخفض منسوب النهر وجفت أراضي الغمر المجاورة له بدأ هؤلاء المعدان بزراعة مزروعات أخرى وبتربية الأغنام، أو هاجروا إلى الهندية الذي كانت أهواره قد اجتذبت قبل عام 1850م عدداً من أبناء قبيلتهم بالإضافة إلى معدان آخرين من الشرق البعيد مثل بني طرف. وكانت في بداية القرن الحالي قد جرت هنا عملية مماثلة لما جرى قبل ذلك على الفرات (شط الحلة). فقد تقلصت الأهوار ولم تعد اليوم قبائل الهندية والشامية، وسكان سهول الدغارة الخصبة، وحكيم «بنو حجيم» تختلف عن بقية فلح وشاويّة العراق.

(*) هناك مثل جاهلي يقول: «تسمع بالمعيدي خير من تراهُ. والمعيدي هنا اسم شخص وليس صفة أو اسم قبيلة، يسمى ابن بطوطة المعادي القبائل الصغرى في أنحاء الكوفة والأطراف المجاورة لها في طريق واسط والكوفة بالمعادي ومفردها معيدي. أمّا في الوقت الحاضر فيطلق عليهم المعدان والمعدنة. (تاريخ العراق بين الاحتلالين، عباس العزاوي، ج1، ص 541). فهل هذا المثل الشائع بين البدو والمحفور في ذاكرتهم قد ساهم في النظرة الدونية التي يحملها البدو ضد كل من يمتهن مهنة تربية الجاموس. وهل النظرة الدونية التي كانت تنظر للنبط من قبل العرب المسلمين لها علاقة باستمرار هذه النظرة والتي تحولت إلى المعدان، وكلاهما النبط والمعدان هم السكان الأصليين في العراق (م. شبّر).

(1) المفرد: معيدي.

كما أن المجموعات الصغيرة التي كانت تعيش بعيداً نحو الأعلى، في جرف الصخر وفي هور عقر قوف (انظر ص 350 أعلاه) وفي منطقة بغداد، على طريقة المعدان[1] تحولت في هذه الأثناء إلى فلاحين. وفي منطقة المنتفق حدث تطور مماثل. فقط في الأهوار المحتوية دوماً على المياه والممتدة على ضفتي دجلة اودنى ظل المعدان، جزئياً على الأقل، محافظين على خصائصهم.

مساحة خضراء لا نهاية لها تتلألأ فيها مرآة مياه مفتوحة بين أشجار القصب والحلفا، هكذا تبدو أراضي المعدان للمراقب. في مكان عميق بين شجيرات الحلفا تقع المسارب المائية التي تحمل زورق المعيدي الضيق «المشحوف» من بحيرة إلى بحيرة ثم إلى المرتفع الأرضي الذي يبني عليه كوخه[2] ويزرع فيه مزروعاته. وعلى الماء يقوم بصيد السمك. ويقدم له حيوانه المنزلي. الجاموس، الحليب والقشطة التي يصنع منها الزبدة. وهو يعرف كيف يكسب على حساب الهور مساحات إضافية لزراعة الأرز، وذلك عن طريق حجز الماء بواسطة الحصر أو عن طريق تجفيف المياه بواسطة الأقنية[3].

---

(1) خورشيد، 216 وما بعدها. بعض هذه المجموعات يسمون أنفسهم دبّات (نفس المصدر، 219: في هور عقرقوف، 208: عند بعقوبة، 131: عند خانقين)، كما يسمى المعدان على الغراف.

(2) تتألف أكواخ المعدان من هيكل بسيط من حزم الحلفا أو من قضبان وضعت عليها حصائر مصنوعة من الحلفا: يتم غرز كل حزمتين أو قضيبين مقابل بعضهما البعض في الأرض ثم يربطان في الأعلى ليشكلا قوساً مسطحاً. يغلق الكوخ من الجهة الخلفية بجدار من النبات والحلفا، أما من الجهة الأمامية فيبقى مفتوحاً. في بعض الأحيان توصل عدة أكواخ مع بعضها بحيث تصبح على شكل نفق منخفض طويل وتفتح له مداخل من الجانب عن طريق ثقب في الحصران. نصب الأكواخ ونقلها من مكان إلى آخر من مهام النساء. هذا النموذج من الأكواخ منتشر في جميع أنحاء منطقة المعدان تلك. انظر الصورة في بنك، بسماية، 223 (بدير). أما الصالات الكبيرة (صريفة) التي يسكن فيها الزعماء أو يستقبلون فيها ضيوفهم فهي أتقن صنعة. وهذا النموذج من المساكن منتشر أيضاً خارج منطقة المعدان الحالية. انظر مورتز، مباحث الجمعية الجغرافية في برلين، 1888م، 96.

(3) لوفتوس، 40؛ خورشيد، 93.

لا شك في أن صيد السمك في الأهوار هو بالتأكيد قديم قدم هذه المناطق. لكن الجزء الأساسي من حضارة المعدان، ألا وهو تربية الجواميس، فهو ينتمي إلى العصر الإسلامي، إذ إن الجاموس لم يكن موجوداً في العراق إلا بعد مجيء الزطّ الذين جلبوه معهم قادمين من الهند. أما الأرز فقد كان يزرع في العراق منذ العصور القديمة ولكنه لم يزرع بكميات كبيرة إلا في العصور الوسطى[1].

في هذا الزمن يظهر أجداد المعدان في المراجع تحت اسم معادي. ففي قصيدة أهداها ابن مقرّب لحاكم البصرة، باتكين «Bätekin»، بمناسبة إبادة بني معروف (612هـ/ 1215م) جاء قوله:

«لـعـمـري لـقـد نـال الـمـعـادي إن اعـتـدت

بـسـاعـة سـوء أخـرسـت شـعـراهـا»[2][*].

والتعليق على ذلك هو: «أن المعادي لقب لبني معروف وأتباعهم»[3]. وبعد قرنين من الزمن يرد الاسم "معدان" في التقرير الذي يتحدث عن المهدي محمد ابن فلاح الذي ظهر عام 840هـ/ 1463م وأعلن دعوته في واسط. وفي هذه المرة نتعرف أيضاً على بعض القبائل الأخرى التي تحسب منهم وهي: بنو سلامة، والسودان، وبنو طي، ومعاوية[4]. كانوا في البداية مقيمين في منطقة واسط لكنهم تبعوا بعد ذلك قائدهم، المهدي، إلى الحويزة. ولم يزل أحفاد بني سلامة (سلامات) يعيشون هناك

---

(1) متز، عصر النهضة الإسلامية، 405.

(2) ديوان، رقم 88، البيت 36.

(*) العيوني ـ ديوان المقرب العيوني ـ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مكتبة التعاون الثقافي ـ الاحسا ط1963 (م. شبّر).

(3) كما أن ابن بطوطة، الجزء الثاني، 2، يذكر عام 1327م المعادي على نهر الفرات تحت النجف. وهذا الشكل من الاسم يرد أيضاً عند مؤرخ البلاط التركي عزي، 197.

(4) صحيح أن تقرير (نور الله الشوشتري، مجالس المؤمنين، مجالس 8، جند 16) لا يذكر صراحة بين المعدان إلاّ بني سلامة، لكن سودان لم يزالوا حتى اليوم من المعدان، ولا بدّ من أن يكون بنو طي من المعدان أيضاً لأنهم مذكورون معهم (أي مع السودان)، أما معاوية فيوصفون بأنهم من ملّاك الجواميس والأبقار.

حتى الآن، وسوف نتحدث عن السودان في هذا المقال بمزيد من التفصيل.

بين الطبقات التي يتألف منها أبناء القبائل في العراق، وهي البدو، والشاوية (عرب)، والفلح، والمعدان، يشكّل المعدان أدنى طبقة[1]. وهذا مفهوم. لأن طريقة حياة المعدان غريبة عن البدو ولذلك فهي محتقرة. إذ يكفي صيد السمك وحده ليجعل من العربي شخصاً قليل القيمة في أعين البدوي. كما أن شكل المعدان يبدو غريباً لجيرانهم. فالخوض في المستنقعات أدى إلى تطاول أطرافهم وحرقت الشمس اللاهبة، المسلطة على الجزء الطاهر من أجسامهم العارية فوق الماء، جلودهم[2].

وبنات المعدان جميلات وحيويات. ويرغب أبناء القبائل الغريبة في الزواج منهن. لكن البدوي لا يزوج ابنته للمعيدي؛ لأن المعيدي غير "أصيل" (ليس نقي النسب). ومن المشكوك فيه أن يكون هذا الحكم المسبق نابعاً من المكانة الاجتماعية المتدنية للمعدان. بل لعله انعكاس للاحتقار الذي كان يكنه العرب للآراميين الذين كانوا قد لجأوا قبلهم إلى البطايح، ويبدو أنهم ـ طالما أنهم كانوا ينتمون إلى طائفة المندائبين (الصابئة) ـ ظلوا هناك حتى العصور الوسطى[3]. ويزعم المثقفون العراقيون أن المعدان، وخاصة البو محمد، ينحدرون من أولئك الآراميين أو كما يقول العرب، الأنباط الذين كانوا في البطايح[4].

---

(1) هذا ما يذكره، على سبيل المثال، خورشيد، 59.

(2) أينسوورث، الجزء الثاني، 42، 48، 50.

(3) مثلاً، ديوان ابن مقرّب، رقم 30(*) (قصيدة هجاء لموظف في واسط، البيت 12، و13): "ابن صابئة غير مختتنة... من أنباط البطايح". وما زال أحفادهم يعيشون حتى اليوم في المدن الواقعة على أطراف منطقة المعدان، في العمارة، والحويزة، وقلعة صالح، وسوق الشيوخ، والبصرة، والمحمرة.

(*) بِـع واسِـطـا بـالـنَّـأيِ والـهـجـرِ ... وَدَعِ الـمُـرُوزَ بـهـا إلـى الـحـشـرِ
أرضٌ يُـدبّـرُهـا ابـن صـائـبـةٍ ... شـابـتْ مفـارِقُـهـا عـلـى الـكُـفـرِ
قـلـفـاءُ مِـن نـبـطِ الـبـطـائـح لـم ... تـمـرُزْ لـهـا الـموسَـى عـلـى بظـرِ
ديوان ابن المقرب ـ قصيدة 35 بيت 1 ـ 3 (م. شبّر).

(4) أحد الذين يعرفون جيداً البو محمد يعتبرهم من أحفاد الزطّ أو التركمان؛ محمد باقر، 61 وما بعدها.

يتهم المعدان بأنهم جبناء وشريرون[1]. وهذا صحيح في بعض النواحي. فمن المعروف عنهم أنهم في الحروب يحرقون أكواخ أعدائهم بمن فيها من نساء وأطفال[2]. كما أن طريقة قتالهم فيها شيء من الغدر. ولكن هل يجب على المعيدي أن يتخلى عن الوسائل التي أعطته إياها الطبيعة في هيئة مخابئ يصعب كشفها ودروب وأقنية لا يعرفها أحد سواه؟ أما أن تكون غارات السلب والنهب النهرية؛ كالتي يقوم بها البو محمد وغيرهم من السكان المجاورين للأنهار الكبيرة، تفتقر، على عكس غزوات البدو إلى الروح الرياضية لا بل فيها شيء من الرهبة الغامضة، فهذا أمر لا يمكن نكرانه. لكن المعدان لا تنقصهم الشجاعة. ولقد أثبتوا في المعارك التي خاضوها ضد العثمانيين. كما أنهم يخضعون، كما يبدو، للانضباط العسكري أكثر من القبائل الأخرى . فالجنود فالجنود المحترفون في الجيش العراقي يتألف جزء كبير منهم من المعدان.

ويبدو أن المعدان المعزولين عن العالم الخارجي بحكم الظروف الطبيعية ليس لديهم، طالما ظلوا متمسكين بطريقة حياتهم الأصلية، نزعة إلى الاستقلال السياسي، خلافاً لما هو عليه الحال لدى القبائل الأخرى. ويعود السبب في ذلك إلى أنهم كانوا دائماً تقريباً يعيشون تحت قيادة البدو المجاورين لهم. كان معادي العصور الوسطى خاضعين لربيعة، ومعدان العصر الحديث خاضعون للخزاعل، أو المنتفق، أو بني لام. وقبائل المعدان الموجودون في منطقة دجلة الأدنى، الذين سنتحدث عنهم الآن، لم يتخلصوا من سلطة بني لام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

تروى منطقتهم الواقعة على الضفة اليمنى للنهر من ثلاث قنوات كبيرة هي: البطيرة فوق العمارة، والمجر الصغير (فوق الطبر) والمجر الكبير تحت المدينة. وعند العمارة نفسها يجري المشرّح نحو الشرق ويرسل، وهو في المنطقة المجاورة

---

(1) جونز، 357 وما بعدها؛ أينسوورث، الجزء الثاني، 42: إنهم الأكثر توحشاً ومكراً وقلّة ائتمان ممن يسمون العرب (معدان الخزاعل).

(2) أمثلة في: محمد باقر، 32، 68.

لمدينة الكحلاء نحو الجنوب، أما الأهوار فقد تراجعت ولكن جحم هذا التراجع غير واضح لا في الخرائط ولا في التقارير التي تصف المنطقة.

جميع منطقة العمارة، أي منطقة بني لام والبو دراج أيضاً، أراضي تابعة للحكومة (في عهد السلطان عبد الحميد غالباً أراضي تابعة للسلطان) وهي تؤجر بقطع كبيرة. ويستأجرها دائماً، مع بعض الاستثناءات القليلة، الشيوخ المتنفذون بحيث أن ملكياتهم تتطابق دوماً مع حدود القبيلة. ويعود هذا النظام إلى بدايات الإدارة المدنية في العمارة. وقد كان ناجحاً في الأعوام الأولى لكنه أدى في وقت لاحق إلى كثير من المشاكل وسوء الاستعمال. إذ إن الشيوخ أخذوا يسعون، من أجل توسيع نفوذهم، إلى استئجار أكبر مساحة ممكنة من الأراضي، وذلك ليس في منطقة قبيلتهم وحسب وإنما أيضاً خارجها. وعلى الرغم من أن هذه المحاولات كانت تؤدي في الحالة الأولى إلى صراعات دائمة داخل عائلات الشيوخ، وكانت في الحالة الثانية محكومة بالفشل لأن ما من قبيلة كانت تسمح بأن يحكمها على المدى الدائم شيخ غريب، فإن السلطات كانت تلبي هذه الرغبات لأنها كانت بهذه الطريقة تستطيع زيادة مبالغ التأجير باستمرار. وقد قام الإنجليز عام 1915م بتخفيض أجور الأراضي تخفيضاً كبيراً. وأزيلت أضرار المزيدة، التي كانت مطبقة سابقاً، بوضع معيار يعتمد كأساس لتحديد المساحة المزروعة (آخر مسح للأراضي تم عام 1936م) والمحصول الوسطي للمزروعات الصيفية والشتوية (الأرز، والذرة البيضاء، والعدس، والقمح، والشعير). من الطبيعي أن نظاماً بهذا الشكل يفتقر إلى الحافز لزراعة مساحة كبير قدر الإمكان من الأرض ولتشغيل أكبر عدد ممكن من الناس. وبما أن السكان تزايدوا أكثر من السابق بسبب السلام السائد منذ أكثر من ثلاثين عاماً وبسبب عدم حدوث أوبئة، فقد كان كثيرون لا يجدون طعامهم اليومي في الريف. ولذلك يهاجرون إلى المدن طلباً للرزق في العمل كجنود أو شرطة أو عمال أو خدم. كما أن الذين يبقون في الأرياف لا يفترشون الورود. فالمعدان الذين أصبحوا فلاحين لا يبقى لهم من المحصول سوى الربع. لكن الشيوخ يشكون من ارتفاع إيجارات الأراضي ـ أكثر من خُمس محصول الأرز ـ ومن نفقات الكتبة (الملاّ،

الملالي) والمحاصصين (سركال، سراكيل). ولكن لا أحد منهم يتخلى عن حرسه الشخصي (الحُوشيّة)[1]، وهي ظاهرة باقية من تلك الأيام التي كان فيها الشيوخ يتقاتلون من أجل كل شبر من الأرض.

من بين القبائل الأربع التي سنعالجها هنا السودان يسكن السودان شرقي الكحلاء، والسواعد على امتداد المشرّح، والأزيرج على المجر الصغير وبعده نحو الغرب، والبهادل على انعطافة دجلة عند العمارة. أما البو محمد فسنعالجهم في المقال القادم.

يعرف السودان[2] أنهم قد هاجروا في الماضي من واسط إلى الحويزة ولكنهم لا يعرفون أن المهدي محمد بن فلاح هو الذي قادهم إلى هناك ـ وكلا الأمرين نموذجيان بالنسبة لحكايات القبيلة حيث تبقى أسماء الأماكن راسخة بعناد بينما تنسى الظروف أو يستعاض عنها بلقطات من نسج الخيال. بعض الأبيات الشعرية والنوادر تذكر بإقامتهم قروناً عديدة في الحويزة. ثم جاء الطاعون عام 1247هـ/ 1813م ليجبرهم على الهجرة نحو الغرب. وفي الطريق توفي زعيمهم عبد الله بن عيسى ودفن على إيشان[*] واجف[3] (إلى الشرق من إيشان عزيزة). ثم تابعوا السير إلى الجريت وبقوا هناك كتابعين لبني لام. استقر سعد بن عبد الله في البحاثة وراء الكحلاء قامت معارك مع جيوش هذه الناحية، البو محمد، استمرت حتى بعد وفاته (1294هـ/ 1877م). في الحرب العالمية الأولى اعترفت السلطات البريطانية بحفيده صيهود العجيل كوريث شرعي لاستئجار جميع أراضي البحاثة ـ لكن الناحية لا تزرع؛ أي أن السودان ما زالوا يعيشون حياة المعدان. إلاّ أن التزايد الكبير لعدد أفراد

---

(1) شيء وكلمة عند بني لام أيضاً؛ فون كريمر (1850م)، 251 وما بعدها.

(2) ما يلي استناداً إلى محمد باقر، 64 ـ 73. القول بأنهم من كنده لا يستحق الجهد لإثبات عدم صحته. انظر بخصوص مثل هذه الأخطاء: كاسكل، أورينس، 2، 352 وما بعدها.

(*) إيشان كلمة سومرية تعني التل (المصدر: ميسان وعشائرها قديماً وحديثاً، عقيل المالكي، بغداد: 1992م). (م. شبّر).

(3) هنا يذكرهم جونز، 380 (1854).

القبيلة يرغم كثيراً من أبنائها على العمل في الغربة كعمال من وقت إلى آخر.

كان السواعد[1] يسكنون في الأصل في الخرمة[2]، وفي وقت لاحق في الجزاير حيث بقيت مجموعات صغيرة منهم. بعد ذلك هاجروا نحو الشمال، وعبروا بعد بعض الوقت نهر دجلة ثم استوطنوا على الحدّ، قبل المشرّح، تحت حماية بني لام (النصف الأول من القرن التاسع عشر)[3]. في بداية الثمانينيات قدم شيخ البو محمد، وادي بن منشد، الذي أصبح بلا أرض، عرضاً بأن يقوم بجمع الإيجارات المتأخرة من السواعد إذا ما عيّن مسؤولاً عن منطقتهم. فقبل الأتراك عرضه. فقام بمساعدة القوات التركية بطرد شيوخ السواعد. وفي المنفى توفي كبير عائلتهم حسين الحسّان من شدة الهم، وعندما تجمع الشيوخ لحضور حفل الوفاة، أخذ الشعراء يهجونهم ويهزؤون بهم وقرأت ابنة الشيخ المتوفى بيتاً حماسياً من الشعر ألهب مشاعرهم، فتوجهوا من الحويزة إلى منطقتهم وأجبروا الغرباء على الانسحاب.

على الرغم من أن السودان والسواعد كانوا قد أصبحوا مستقلين في الستينيات فقد ظلوا مرتبطين ببني لام بسبب عدائهم المشترك للبو محمد. ولذلك شاركوهم في الحرب بين غضبان وصيهود (انظر الصفحة 668 أعلاه) الهزيمة والنصر.

كانت القبيلتان الفرعيتان الكورجة وبيت زامل متعاديتين زمناً طويلاً؛ وقامت قبيلة فرعية ثالثة، بنو آذان، بالانضمام إلى الأزيرق «الأزيرج». وأخذ أحد عشر شيخاً يتقاسمون استئجار أراضي السواعد.

غادر الأزيرق «أزيرج» دجلة في منتصف القرن الثامن عشر موطن القبيلة الأصلي على الغراف وتوجهوا نحو الشمال الشرقي. ثم استوطنوا على الطبر

---

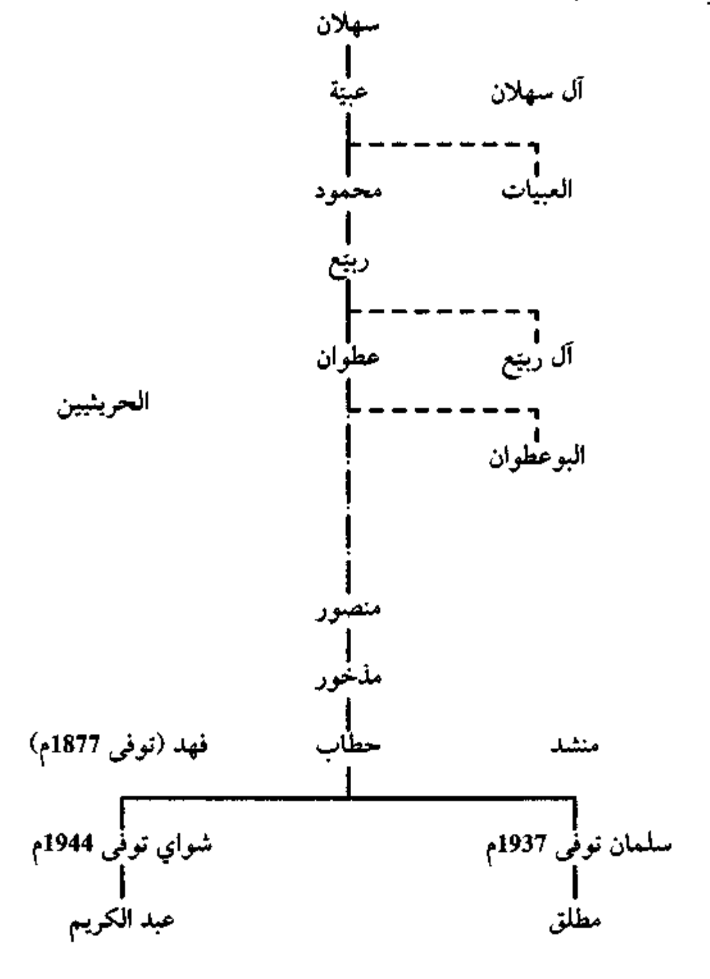
(1) يزعم أنهم زبيد، انظر الملاحظة قبل السابقة.

(2) في منطقة المنتفق. ولكن أين.

(3) يذكر أنهم وجدوا هنا الأسد/ بني أسد وأنهم بعد معارك عديدة كانت تنتصر فيها هذه الجهة مرة وتلك الجهة مرة أخرى، حيث تلتجئ القبيلة المهزومة إلى الحويزة، أجبروه على العودة إلى الجزاير.

المتفرع من المجر الصغير. وبعد ستة أجيال حدثت خلافات بين المهاجرين، عاد على أثرها الفخذان البو سعد وآل سهلان إلى موطنهم، بينما عبر العبيات نهر دجلة (قبل عام 1848م)[4]. أما بقية القبيلة فقد طردها بنو أسد/بنو سد من وطنها.

(1) من أجل مزيد من الإيضاح نضع أمام القارئ المخطط التالي المبسط الذي يستند إلى مشجرة النسب الموجودة عند محمد باقر (الخطوط التي تصل بين الجد الذي تحمل القبيلة اسمه والقبيلة رسمناها منقطة):



فهرب الشيخ مذخور بن منصور إلى الحويزة وهرب الحريشيون (ج 4) إلى البو محمد. وبعد "سبع سنوات" عاد مذخور وهزم بني أسد بمساعدة العبيات والبو محمد واستعاد أراضيه. وبعد تأسيس ناحية العمارة (1862م) أصبح الأزيرق (الأزيرج)، الذين كانوا في البداية يدفعون الرسوم للمنتفق ثم في وقت لاحق لبني لام، مباشرة أو بواسطة البو محمد، مستقلين. ولكنهم لم يبقوا كذلك زمناً طويلاً. فمنذ عام 1880م حكمهم شيوخ البو محمد مراراً وتكراراً لفترات قصيرة أحياناً وطويلة أحياناً أخرى. ومنذ الحملة التأديبية التركية عام 1911م استقرت عائلة شيوخهم في مكان ثابت. وهي تنقسم إلى بيتين يملك الأول، بيت منشد، المجر الصغير، ويملك الثاني، بيت فهد، النواحي الواقعة غرباً والتي يرويها نهر البتيرة[1].

وأخيراً لا بدّ من ذكر قبيلة البهادلة الصغيرة التي تشكّلت في نهاية القرن الماضي. كان البهادل في الأصل من أتباع عائلة السادة (الأشراف) هاشم، التي كانت تقيم على ضفة دجلة اليمنى بين المجر الصغير والمجر الكبير، وما زالوا خاضعين لتأثيرها[2]. وبعد الاحتلال البريطاني تمكن شيخهم السدخان من الحصول على أرض لقبيلته على قناة العوفية السابقة إلى الشمال من الطبر (المجر الصغير). ثم حصل ابنه فعل «Fe'el» عام 1936م على بعض الأراضي الإضافية على قناة أبو حلانة المتهدمة أيضاً.

(1) عالم الإسلام، الجزء الثاني، 29، رقم 14؛ محمد باقر، 26 وما بعدها، 64 وما بعدها، 158.

(2) محمد باقر، 89. يروي المؤلف في الصفحة 79 حكاية هجرة القبيلة التي تقول بأن البهادل كانوا يسكنون في عقرقوف. وفي الصفحة 80 يقول إن القبيلة تنحدر من خفاجة التابعة للمنتفق.

قبائل معدان على دجلة الأدنى

المعدان(1)

أ ـ السودان(2)

شيخ المشايخ : حاتم الصيهود(3)

المنطقة : البحاثة : الجريت

عدد العائلات : 2500

القبيلة	الشيخ	المنطقة	بيوت القصب
1 ـ البو ضاحي			
2 ـ البو كريم			
3 ـ البو عبود			
4 ـ البو كحيلي			
5 ـ بيت مرجان			

ب ـ السواعد(4)

شيخ المشايخ : . . .

المنطقة : المشرح

عدد العائلات : 5000

القبيلة	الشيخ	المنطقة	بيوت القصب
1 ـ الكورجة	بيت حميدان(5)		
2 ـ بيت زامل	بيت جنزيل(6)		
3 ـ بيت عبد السيد	بيت مانع(7)	ذيل جريت	

ج ـ الازيرق(8)

شيخ المشايخ: عبد الكريم الشواي، مطلق السلمان

المنطقة: نهر البتيرة؛ المجر الصغير

عدد العائلات: 7500

القبيلة	الشيخ	المنطقة	بيوت القصب
1 ـ بيت مذخور(9)			
2 ـ البو عطوان			
3 ـ آل ربيع(10)			
4 ـ الحريشيين(11)			

د ـ البهادل(12)

شيخ المشايخ: كاظم السد خان

المنطقة: العوفية؛ أبو حلانة

القبيلة	الشيخ	المنطقة	بيوت القصب
1 ـ الجنانمة			
2 ـ البو حبيب			
3 ـ الشهابات			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ التصنيف وفق محمد باقر 75، 69، 66

2 ـ جونز 380: 400 خيمة، خورشيد 89 يذكر أن السودان (800 عائلة) هاجروا عام 1260هـ/ 1844م إلى الحويزة. وما زال جزء منهم هناك. لم يرد في

الجدول ذكر لاثني عشر قبيلة تابعة للسودان من أصل غريب.

3 ـ العجيل السعد (توفي 1294هـ/ 1877م) العبد الله العيسى الأحمد.

4 ـ خورشيد 86: معدان بني لام، 2500 كوخ، جونز 380: 300 كوخ لم ترد الفروع في الجدول.

5 ـ جونز، 380: 200 كوخ الشيوخ: شبل التامر، علي الشياع، شبيب، الشياع، صادق الغضبان.

6 ـ الشيوخ: محمد الموسى، الحاج اللعيبي الماضي، علي الخلف، فالح الموسى، جاسم المحمد الحيّال، منور المحمد الحيال.

7 ـ الشيخ: غبطان الدراج العبيد.

8 ـ خورشيد 86، معدان بني لام، 800 كوخ؛ جونز 381: 300 كوخ. لم ترد الفروع في الجدول.

9 ـ عائلة الشيوخ.

10 ـ جونز 381: 150 كوخ.

11 ـ جونز 381: 200.

12 ـ محمد باقر، 80 وما بعدها.

البو محمد

حافظ البو محمد من ناحية البنية الجسدية والخلقة، وجزئياً من ناحية طريقة الحياة أيضاً، على الطبيعة الخاصة للمعدان، لكنهم يختلفون عن المعدان بالأهمية السياسية التي اكتسبوها في القرن التاسع عشر. ويعود الفضل في صعودهم إلى قوة الإرادة التي يتمتع بها شيوخهم وإلى الموقع المتميز لمنطقتهم التي تمتد على جانبي نهر دجلة.

كانت القبيلة في الأصل تقيم في أبو حلانة والعوفية، على الضفة اليمنى للنهر تحت العمارة مباشرة. وفي وقت لاحق هاجرت نحو الجنوب وانتشرت على ضفتي دجلة، في الشرق حتى الحدود الفارسية[1]. في الجنوب كان البو محمد حوالى عام 1826 خاضعين للمنتفق[2]. ولكن وبما أن شيوخهم يسكنون في الشمال فقد حرصوا على ألا تتعكر علاقاتهم التقليدية مع بني لام. في عام 1848م حصل الشيخ فيصل بن خليفة، لقاء دفع مبالغ لشيخ مشايخ بني لام (مذكور)، على حق جباية الضرائب من بعض قبائل المعدان المجاورة وجباية رسوم جمركية من السفن؛ وحتى السفينة البخارية الإنجليزية، التي كانت آنذاك تسير في نهر دجلة، كانت تخضع لدفع الرسوم الجمركية. وبعد ذلك بوقت قصير ثار فيصل على بني لام. ويُقال بأنه قد شلّهم بحفر فتحات في ضفاف دجلة. وبينما غمرت المياه

(1) محمد باقر، 58.

(2) انظر الصفحة 602 أعلاه.

"جزيرة بني لام" حتى مستنقعات الطيب والدويريج، قام هو ببناء حصون وبصنع 12 مدفعاً قام حرفيون بغداديون بصبها (؟). وبعد وفاته (عام 1855م) خضع أخوه منشد لمزبان بن مذكور. وقد حاول أبناء فيصل، الذين حاربهم منشد، عبثاً الحصول على حقهم لدى مزبان. وأخيراً ذهب شياع، أكبرهم سناً، إلى بغداد. وكان ذهاب شياع إلى بغداد السبب المباشر لتلك الحملة التركية، التي أقيم خلالها في العمارة، حيث كان شيخ مشايخ بني لام يقضي جزءاً من العام، معسكراً للجنود الأتراك (1861م). وعيّن شياع شيخاً للبو محمد. أما منشد الذي هرب نحو الجنوب فقد أعفي عنه بعد بعض الوقت وعيّن شيخاً على الضفة اليمنى (المجر الكبير). وكان كلاهما يستأجران الأرض من السلطات مباشرة، أي أنهم كانوا مستقلين. لكن شياع تورط بعد ذلك في صراعات مع الأتراك لأنه، على أرجح الظن، تمسك بالرسوم الجمركية لنهر دجلة، فألقي القبض عليه وأرسل إلى القسطنطينية. وعندما عاد بعد "سبع سنوات" أعيد إلى مركزه السابق. في هذا الوقت توفي منشد وحلّ محله ابنه وادي. امتنع وادي عن دفع أجور الأراضي التي في حوزته وانسحب، كما يفعل شيوخ المعدان عادة في مثل هذا الوضع، مع صديقه حطاب من الأزيرق «الأزيرج» إلى الهور حاملاً معه محصول العام كله. فتبعه شياع، الذي كان طامعاً في الاستيلاء على أراضي ابن عمه، مع قوة تركية ضعيفة لكنه هُزم. وعلى إثر ذلك قامت الحكومة بإعفاء وادي من دفع المبالغ المتأخرة. ولقد روينا أعلاه كيف أصبح سيد السواعد وكيف سقط في النهاية. إلا أنه في هذه الأثناء كان قد استعاد منطقته القديمة على المجر الكبير. لكن العلاقة الجيدة بين البو محمد والأزيرق «الأزيرج» تحطمت بسبب اصطدام قتل فيه أخو وادي. فقام وادي بالاستيلاء على أراضيهم على المجر الصغير، لكن حلفاً مؤلفاً من صديقه القديم حطاب (أزيرق) واثنين من أبناء عم وادي اللذان لا يملكان أرضاً، ثم بمطاردته وطرده بموافقة السلطات التركية[1]. ومن الطبيعي أن الشيخين الغريبين عن القبيلة لم يلقيا قبولاً لدى الأزيرق (الأزيرج)، وهكذا بقي حطاب

(1) كان، على الأرجح، متهماً بمخالفات أخرى؛ ففي عام 1880م قام البو محمد بقطع طريق

المالك الوحيد للمنطقة. كما أن جميع محاولات البو محمد اللاحقة للاستيلاء على أراضي الأزيرق «الأزيرج» باءت بالفشل. على الكحلاء كان في هذه الأثناء الشيخ يسر قد خلف أخاه شياع الذي توفي عام 1885/ 1886م[1]. وانطلاقاً من تعطشه إلى السلطة مثل كامل القبيلة فكر في الاستفادة من نزاع كان قد نشب في عائلة منشد عند وفاة وادي: قام صيهود أخو وادي بتنصيب نفسه مكان أخيه دون أن يراعي حق ابن أخيه عريبي الوادي الوريث الشرعي لأبيه ودون أن يدفع المستحق عليه من أجور الأرض. فأرسل كاظم باشا من بغداد لإخضاع صيهود المتمرد. هرب صيهود إلى الهور الجنوبي بينما وضع يسر وعريبي قبائلهما تحت تصرف كاظم باشا. ولكن وفي مكان تقديم الولاء حدث صدام بين الفرعين المتعاديين البو علي والبيضان (2 أ، 2 ح) أدى إلى اعتقال شيخيهما. واعتقل عريبي أيضاً لأنه كان قد تسرب خبر يفيد بأنه يتعاون سراً مع صيهود. أما صيهود فقد هرب إلى الحويزة عند اقتراب الجيش من الحصن الذي كان بناه في الهور، بينما أرسل أبناؤه مع جميع المعتقلين الآخرين إلى القسطنطينية (1894/ 1895م)[2].

وهكذا أصبح يسر الحاكم الوحيد على البو محمد، ولكن ليس طويلاً. فقد تمكن صيهود عن طريق علاقات مع شخصيات متنفذة في البصرة من العودة إلى منصبه كما أن الشيوخ الذين نفوا إلى القسطنطينية سمح لهم بالعودة. وعندما توفي يسر في نهاية عام 1895م تمكن عريبي من الحصول على ناحية الكحلاء، بينما اكتفى أبناء يسر بناحية الشط الواقعة إلى الجنوب. ولقد تحدثنا ص 668 أعلاه عن الحرب بين البو محمد وبني لام. توفي صيهود بعد وقت قصير من عقد اتفاقية السلام. وتحدى أبناؤه الحكومة بأفعال مختلفة من بينها إطلاق النار على البواخر

الملاحة في نهر دجلة؛ لونكريك، 310. إلا أن ماكس فرايهرفون أوبنهايم، من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، 392، يقول إن المسؤول عن ذلك هو صيهود أخو وادي الذي كان يدير آنذاك بتكليف من وادي الكسره الواقعة فوق العزير.

(1) حسب محمد باقر، 23 (1303)، ولكن 26: 1298.

(2) من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، 292؛ لونكريك، 310 (1893)؛ عالم الإسلام، الجزء الثاني، 300، رقم 152؛ محمد باقر، 28.

المارة في دجلة (1911م)[1]. وعندما جاءت إليهم حملة تأديبية تركية فروا إلى الحويزة ولكن صدر عفو عنهم بعد مرور بعض الوقت. وعندما حصل عمهم خليفة، في هذه الأثناء، على المجر الكبير فقد اقتصر حكمهم على الكسرة. لكن رئيسهم فالح الصيهود تمكن بعد موت عريبي من الحصول من الإنجليز، الذين كانوا قد دخلوا للتو العمارة، على النصف الشمالي الشرقي من منطقة الكحلاء، وورث محمد ابن عريبي النصف الآخر، بينما كانت الكسرة من نصيب حاتم الصيهود أخو فالح. ومنذ ذلك الحين لم يتغيّر وضع توزيع الأملاك.

وبسبب أن أبا محمد العريبي كان يحمل لقب باشا، فقد حمل محمد لقب بيك ـ شيخ المشايخ (شدّاد الراية) لألبو محمد. ويتمتع ابن عمه مجيد الخليفة بأكبر نفوذ بعده. وكلاهما يحبان الظهور وعرض ما لديهما من ثروة: يحتفظ محمد بحرس شخصي يتألف من 550 رجلاً، وقام مجيد بإهداء المارشال مونتغمري سيفاً مطعماً بالذهب.

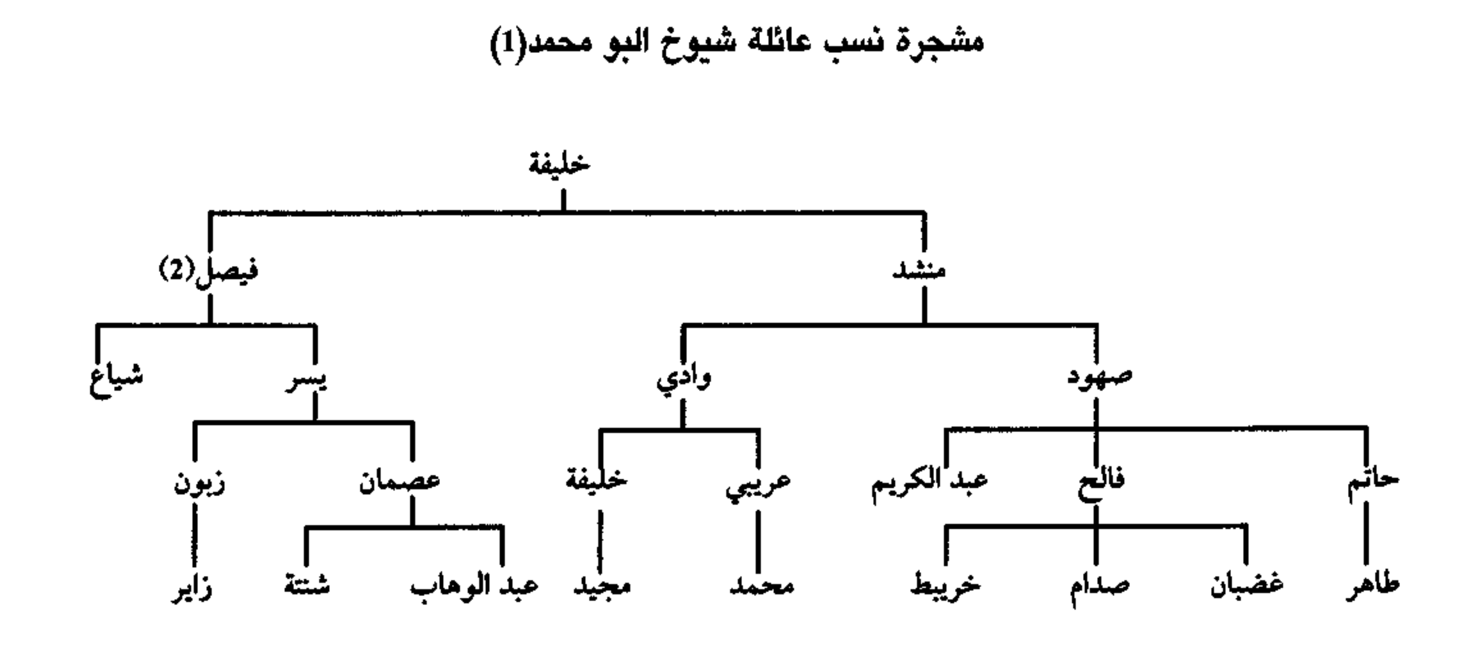
من المفهوم أن شيوخ البو محمد الذين صعدوا إلى أعلى المراتب كانوا يخجلون من أن أجدادهم قد خرجوا من أسفل درجات المعدان المحتقرين. ولذلك أعلنوا في بادئ الأمر أن جد القبيلة محمد زبيدي النسب، ثم قالوا بعد ذلك بحذرٍ أكبر أنه ينتمي إلى عزة، الذين هم أيضاً من زبيد. وكل ما يُقال ويروى عن هذا المحمد هو حكايات من نسج الخيال[2].

من بين القبائل الفرعية الثلاث يعيش البو عبود (2)، وجزئياً، الشدة (2 ط) حياة المعدان الكاملة. والبو علي (2 أ) متخاصمون، علاوة على خصومتهم مع البيضان (2 ح) (الصفحة 694 أعلاه)، مع بيت خليفة (2و) أيضاً، والبو غنام (2 ي) متخاصمون مع البوبخيت (2 ك).

(1) عالم الإسلام، الجزء الثاني، 33، رقم 27.

(2) محمد باقر، 62، اقتنع بذلك بعد نقاش مع شخص يعرف القبيلة معرفة جيدة، لكنه لم يستطع التحرر من العزة؛ «فقط لأن فيصل بن خليفة كان من أبناء قبيلته، أرسل له ديوان شيخ العزة ابنته». إنني أعترف بأن مشهد دخول الفتاة في الكحلاء بينما كانت تتجه نحو سفينتها سفينة أخرى تحمل جثة العريس، مشهدٌ شاعري. ولكن هذا لا يعني أنه صحيح.

مشجرة نسب عائلة شيوخ البو محمد(1)



ملاحظات حول المشجرة

1 ـ حسب شجرة النسب عند محمد باقر.

2 ـ بدأ فيصل مسيرته بغارة على أخيه مشتت الذي كان يحكم شرقي دجلة. فقتل مشتت وقتل معه "الأسد الذي كان يحمي جواميس الشيخ الثمانمائة"، ثم عبر النهر وهجم على سعد الشرشاحي الذي كان يحكم على المجر الكبير.

البو محمد(1)

شيخ المشايخ: مجيد الخليفة، طاهر الحاتم،

محمد العريق، فالح الصيهود، آل يسر

المنطقة: الكحلا في الشرق حتى الحدود، في الجنوب حتى مقابل العزير

عدد العائلات: 15000

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	بيوت القصب
1 ـ بيت لويلو(2)			
أ ـ بيت منشد			
ب ـ بيت فيصل			
ج ـ بين صحن			
د ـ بيت غضب			
هـ ـ بيت كوربان(3)			
و ـ بيت مشتت			
ز ـ بيت عرمش			
ح ـ بيت ضمد			
ط ـ بيت فياض			
ي ـ بيت نصرالله(4)			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
ك ـ بيت موزان			
ل ـ الدهامات			
م ـ المشاكرة(5)			
ن ـ البطابطة(6)			
س ـ العمشان(7)			
2 ـ البو عبود(8)			
أ ـ البو علي			
ب ـ البو مطير			
ج ـ بيت سليم			
د ـ بيت شميل			
هـ ـ بيت الشرشاحي			
و ـ بيت خليفة			
ز ـ المصاليخ(9)			
ح ـ البيضان			
ط ـ الشدة(10)		هور الحويزة	
ي ـ البو غنام			
ك ـ البو بخيت			
ل ـ بيت سليمة			
م ـ النوافل			
القبائل الملحقة :			
1 ـ الفرطوس(11)			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
	2 ـ بني مالك(12) 3 ـ الشويلات(13) 4 ـ الفريجات		

ملاحظات حول الجدول

1 ـ خورشيد، 55، 86 : 3000 خيمة تحت المنتفق، 1000 خيمة تحت بني لام. التوزيع حسب محمد باقر، 62 وما بعدها، 157 وما بعدها.

2 ـ أجداد الفروع آ ـ جـ، هـ ـ ط من أحفاد خليفة، وأجداد الفروع د، ي ـ س ينتمون إلى أجيال أقدم كما يتبين من شجرة النسب عند محمد باقر.

3 ـ قوربان؟

4 ـ مُزارعو رز، ومربو جواميس في الهور، وكذلك ك، ل، م.

5 ـ جد القبيلة : مشكور.

6 ـ جد القبيلة : بطيط.

7 ـ جد القبيلة : عميش.

8 ـ جونز، 381 (150 خيمة)؛ شيها، 246. الفروع هـ ـ ز هم فقط من أقرباء البو عبود.

9 ـ جد القبيلة : مصلوخ.

10 ـ ينتمون مثل البو عبود إلى أقدم الأجيال. مربو جواميس وحائكي حصر.

11 ـ شيها، 246. سبعة آخرون عند محمد باقر.

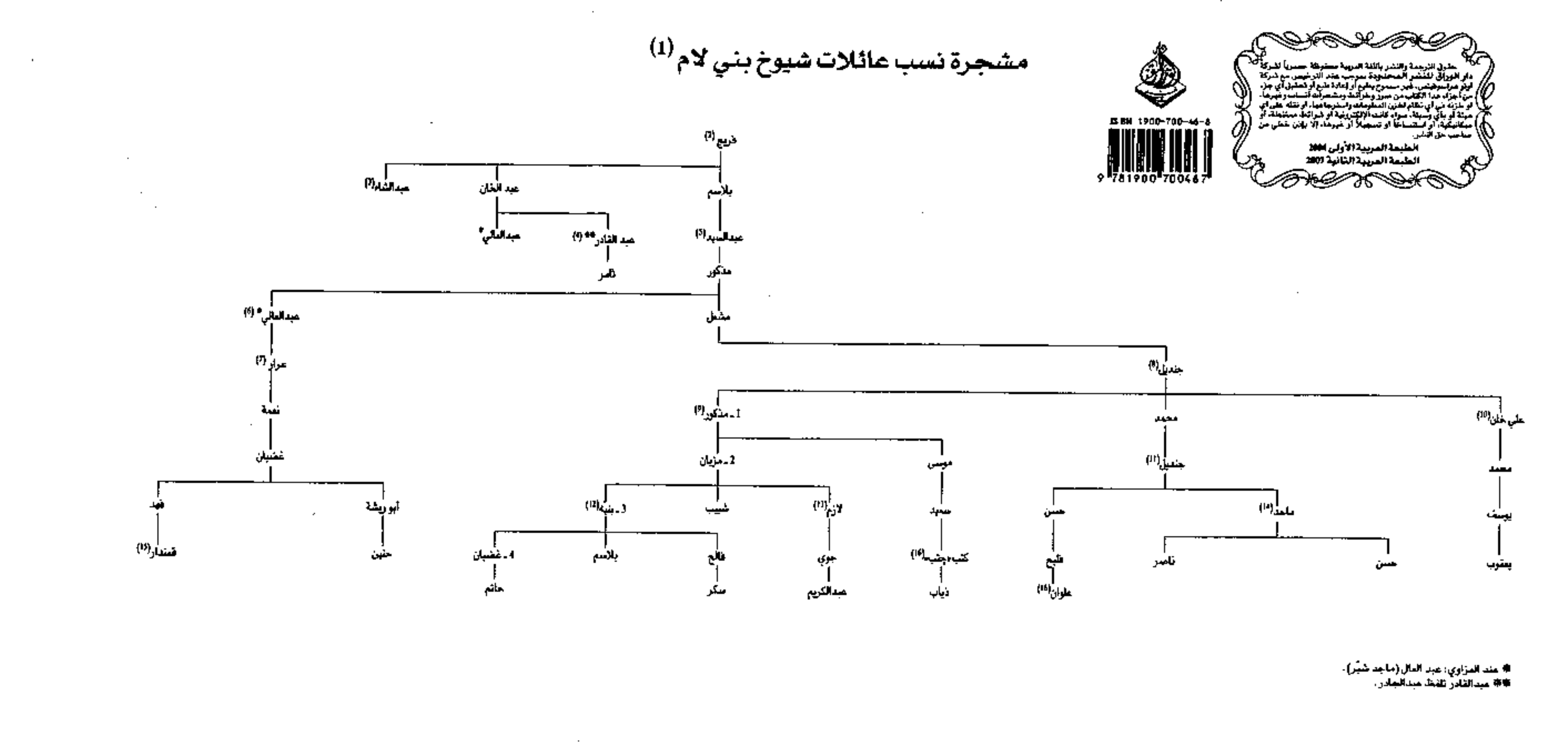
12 ـ المنتفق.

13 ـ انظر جدول المنتفق، ب 2 الملحقون جـ.

مشجرة نسب عائلات شيوخ بني لام (1)

الطبعة العربية الأولى 2004
الطبعة العربية الثانية 2007

ISBN 1900-700-46-8
9 781900 700467



* عند العزاوي: عبد العال (ماجد شبّر).
** عبدالقادر تلفظ عبدالجادر.

ماكس فون أوبنهايم



البدو

الجـزء الـرابـع

القبائل العربية في خوزستان «عربستان» (إيران)

قبائل في الجزيرة العربية

قبائل الباريا

فهارس الكتاب العامة

بمشاركة ارش برونيلش وفرنر كاسكل

نقحه وأصدره فرنر كاسكل

ترجمة محمود كبيبو

تحقيق وتقديم ماجد شبّر

شركة دار الوراق للنشر المحدودة

المملكة المتحدة ـ لندن

الطبعة العربية الأولى 2004

لشركة دار الوراق للنشر المحدودة المملكة المتحدة 2004

First Published in Arabic by Al Warrak publishing Ltd. UKin 2004

ISBN (Volume four) 1 900 700 51 4

الطبعة العربية الثانية 2007

التـوزيـع

Al Warrak publishing Ltd.
56 Gloucester Road
Suite 500
London SW7 4UB -UK
Tell. 00 44 208 723 2775
Fax. 00 44 207 281 9213
www.alwarrakbooks.com
e-mail: warraklondon@hotmail.com

الفرات للنشر والتوزيع
ص.ب 6435 ـ 113 بيروت ـ لبنان
هاتف: 750054 - 1 - 961
فاكس: 750053 - 1 - 961
e-mail: Info@alfurat.com

Max Freiherr von Oppenheim

Die Beduinen

Unter Mitarbeitung von

Erich Bräunlich und Werner Caskel

Band IV

Die Beduinenstämme in

Chuzistan (Iran) - Pariastamme in Arabien

Bearbeitet und Herausgegeben von
Werner Caskel

OTTO HARRASSOWITZ
1967-1968 Wiesbanden

First edition Published in Arabic by Al Warrak publishing Ltd. UK in 2004
Second edition 2007

The Publication of this work was supported by a grant from the Goethe-Institut Inter nationes

ساهمت مؤسسة غوتا ـ إنترناسيونس مشكورة في بعض تكاليف هذه الترجمة

ISBN (Volume four) 1 900 700 51 4

المساهمون في الجزء الرابع

* تحقيق ومراجعة وتدقيق: ماجد شبّر.
* ترجمة: محمود كبيبو.
* التصحيح اللغوي: عبد الرزاق الدجيلي.
* التنضيد والصف والإخراج: زهرين.
* المتابعة والإشراف: ماجد شبّر.
* إعداد وتصنيف فهارس الأعلام: إبراهيم شمس الدين.
* تكملة فهارس الأعلام: نور الدين أحمد.
* فهارس الأماكن والبلدان: فداء سعادة.

مقدمة

لن يكون سهلاً عليّ أن أودّع كتاباً عملت فيه منذ أول سبتمبر/ أيلول 1923م، وإن كان حجم العمل في السنين الأولى وفي السنين الأخيرة قد كان ضيئلاً. ولكن إذا ما تساءل المرء لماذا استغرق إنجاز هذا الجزء من عام 1952م حتى عام 1966م فإنني أرجو التفهم أن المؤلف كان مضطراً، بسبب الكتب الخاصة به، إلى تأجيل كتاب غريب عنه من ناحية النية والتخطيط، وإن لم يكن غريباً عنه من ناحية التنفيذ. ولكنه لم يغب عن ناظره أبداً. بالنسبة لقراء الأجزاء الثلاثة الأولى كان صعباً البقاء كل هذه المدة دون فهرس. أما قراء الجزء الرابع فيستفيدون من أننا قد راعينا في فصل «القبائل المنبوذة» أحدث الأبحاث التي أغنت هذا الموضوع بمعلومات جديدة تماماً.

أشكر السيد الدكتور غرت سترنزيوك والسيد فريدريش كالتس لما قدماه من مساعدة في بداية هذا العمل وفي نهايته.

كولن في 31/ 1/ 1966م

فرنر كاسكل

الفهرس

القسم الأول

الفصل الأول

القبائل العربية في خوزستان «عربستان» إيران

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

القسم الثاني

الجزء الرابع

القسم الأول

الفصل الأول

القبائل العربية في خوزستان (إيران) «عربستان»

مدخل

كان الاسم خوزستان يطلق في العصور الوسطى على الإقليم الجنوبي الغربي من فارس[1] الذي أصبح في العصر الحديث يسمى عربستان نتيجة تدفق كثير من العناصر العربية إليه. وفي عام 1302هـ/ 1923م أعيد إلى الإقليم الاسم القديم ـ وهو إجراء ناجم عن انتعاش الشعور القومي الفارسي.

تمتد خوزستان في الشمال والشرق إلى أول جبال المرتفعات الإيرانية، ويحيطها في الجنوب والجنوب الشرقي الخليج العربي ونهر زهرة (هنديان، هندديان)، وتمتد في الغرب إلى سهوب ومستنقعات العراق، ويحدها من جهة البحر شط العرب. تعبر خوزستان من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي سلسلة جبلية قليلة الارتفاع، وهي امتداد لآخر طيّات بشتي كوه وتنتهي قبل الوصول إلى البحر. ويروي خوزستان ثلاثة أنهار هي الكيرخا (كرخة)، والكارون، والجرّاحي. تنبع الأنهار الثلاثة من المرتفعات الجبلية من مناطق متباعدة ولكن قبل وصولها إلى السهول تجبرها التشكلات الجبلية على الاقتراب من بعضها البعض بحيث يصبح من الممكن الوصل بين مجاريها السفلى بواسطة قنوات. ومن الثابت أن الصورة

(1) سنبقى نستعمل هذا الاسم القديم (فارس) ولن نستعمل الاسم "إيران"، الذي أصبح متداولاً على الصعيد الدبلوماسي اعتباراً من عام 1935م، إلّا للأحداث بعد هذا التاريخ وبمعناه القديم الذي لا يقتصر على فارس (المرتفعات الإيرانية، الشعوب الإيرانية، اللغات الإيرانية).

التي تبدو عليها أنهار خوزستان اليوم هي صورة حديثة جداً؛ إذ كما في العراق تتغير هنا أيضاً مجاري الأنهار والأقنية بفعل المؤثرات الطبيعية والبشرية. فحتى عام 1834م كان الكرخة، الذي يضيع اليوم في المستنقعات الكبيرة شرقي دجلة، يصب في شط العرب تحت القرنة[1]، بينما كان في العصور الوسطى يصب في الكارون. كما أن دلتا الكارون طرأت عليها تغيرات كبيرة. فالفرع الرئيسي يصب اليوم في شط العرب تحت المحمرة/ خرم شهر. وعلى مسافة ساعة فوق هذه الميناء يتفرع من الكارون فرع، يسمى نهر بهمشير (من بهمن ـ أردشير، الآن يطلق عليه بهمنشير، يتجه نحو الخليج «العربي» ويشكل جزيرة تسمى اليوم باسم مدينة عبادان عبادان/ آبادان[2]، أكبر مدينة فيها. وعلى بعد 10كم شمالاً، بالقرب من قرية سابلة كان يبدأ في الماضي فرع ثالث، شط القبّان (قُبان)، الذي تملأ الرمال اليوم مجراه الأعلى بينما يضيع مجراه الأسفل في أخوار[3] الشريط الساحلي دورقستان. هنا كان يصب الكارون في أواخر العصور الوسطى بينما كان نهر بهمشير آنذاك يستقبل جزءاً من مياه شط العرب أو بالأحرى مياه دجلة (انظر الجزء الثالث، ص 254). وفي وقت لاحق تحول الكارون، متبعاً القنوات القديمة التي كانت تربطه بدجلة، إلى فرعه الرئيسي الحالي. ولكن شط القبّان كان في القرن السابع عشر لا يزال صالحاً للملاحة. وفي القرن الثامن عشر تطلب الأمر إنشاء سد قرب سابلة لري أراضي منطقة القبّان التي يمر فيها الشط ولتزويد مدينة القبّان الواقعة على الضفة اليسرى بالمياه. وعند هُدم هذا السد في عام 1765م اتخذت دلتا الكارون شكلها الحالي.

تشهد الأسماء الكثيرة المغرقة في القدم على الماضي التاريخي العريق لهذه البلاد. ففي خوزستان، بلاد الخوز، وفي سوق الأهواز، سوق الهوز، عاصمة

---

(1) السويب/ الشويّب هو بقية ذلك المصب القديم.

(2) هنا كان ينتهي البر في العصور الوسطى، قارن الجزء الثالث، ص 254.

(3) أكبر هذه الأخوار يسمى "خور سليك"، وهو اسم مكتوب بشكل غير صحيح على جميع الخرائط وفي جميع الكتب الأوروبية قبل عام 1944م.

المنطقة الواقعة على الكارون والتي سميت في وقت لاحق الأهواز(*)، يحيا اسم شعب إغريقي قديم. والهضاب الركامية "الشوش" (السوس) تغطي آثار سوسة، واحداً من أقدم مراكز الحضارة البشرية، التي كانت عاصمة العيلاميين وأحد مقرات حكام المملكة الفارسية القديمة، مملكة الأخمنيين. ورام هرمز (راموز)، التي أصبحت اليوم قرية لكنها كانت في العصور الوسطى مدينة هامة، تحمل اسماً من عهد الساسانيين، تلك الأسرة الفارسية التي كانت تتصارع مع روما وفي وقت لاحق مع بيزنطة على الحكم في الشرق الأوسط (226م ـ 651م).

لكن الماضي ترك آثاراً عميقة لا تقتصر على الأسماء. فبعد مسافة قصيرة من نقطة دخول الكارون إلى سهول خوزستان العليا، قبل المدينة القديمة شوشتر، تبدأ المنشآت المائية العظيمة التي بناها الساسانيون، وهي سد مع الجسر والقناة المحفورة عبر الصخر والتي تتحد اليوم عند بندي قير مع الفرع الرئيسي بينما كانت في الماضي تصل حتى الأهواز أو أبعد. وقرب الأهواز تقع أنقاض سد ثان كان يستغل الحاجز الصخري الذي يعترض هنا النهر في سياق السلسلة الجبلية المذكورة أعلاه ويوزع مياه الكارون في ثلاث قنوات كبيرة. وكان نظام الري هذا، بالإضافة إلى منشآت مشابهة على نهر أبي ديز، أهم رافد للكارون، وعلى نهر الكرخة، قد جعل خوزستان من أكثر أقاليم الدولة الساسانية ازدهاراً. وبقي الأمر كذلك تحت الحكم العربي، إلى أن بدأت هذه المنشآت تتهدم في القرن الحادي عشر. وفي القرن الثاني عشر أصبحت الأهواز خاوية مقفرة. بعد ذلك بقيت شوشتر وديزفول، الناهضة في الوقت الحاضر، على مدى عدة قرون المدينتين الوحيدتين في

(*) كانت الأهواز في القرون الوسطى تُعد جزءاً من أرض بابل حيث هي امتداد للسهل الرسوبي العراقي وذكر الشاعر ابن المقرب العيوني في قصيدة رقم 96 ما كان يطلق على الأهواز من أرض بابل:

تسيرُ إلى الأهواز من أرض بابلٍ وليس سِوَى أسيافهِ خفراها.

ديوان ابن المقرب ـ تحقيق عبد الفتاح محمد حلو ـ ص 649. مكتبة التعاون الثقافي ـ الإحساء، 1963 (ماجد شبَّر).

خوزستان العليا. ولقد بني هنا في أواخر العصور الوسطى وفي العصر الحديث عدد من المنشآت المائية الهامة، ولكنها كانت تستخدم لأغراض محدودة فقط، لري المنطقة المحصورة بين فرعي الكارون، ميناو[1] شوشتر، والجزيرة النهرية الصغيرة مياناب[1] ديزفول.

وبينما تتطلب المنشآت المائية في خوزستان العليا، بسبب قوة الأنهار وخاصة في موسم الفيضانات في مارس/آذار وبسبب هشاشة التربة وقابليتها للتآكل، قدراً كبيراً من القدرات والوسائل التقنية التي لا يستطيع توفيرها إلّا حاكم قوي وحازم، فإن مشكلة الري في خوزستان السفلى كانت قابلة للحل بواسطة السدود التي تبنى بالطريقة التقليدية من حزم «عجن» النبات والطين. وهذا ما يحدث منذ قديم الزمان في المنطقة الواقعة شرقي الكارون الأسفل التي عاصمتها الفلاحية/ شادقان (دورق سابقاً). وهنا يتفرع الجراحي في قنوات كثيرة؛ وفوق هذه النقطة يتفرع عنه فرع يذهب إلى المرفأ الحالي بندر شهبور في خور موسى. وهناك قنوات فرعية تمتلئ وتتفرغ بفعل المد والجزر وتروي ضفاف شط العرب ومصب الكارون وضفاف نهر بهمشير. وبينما تزدهر هنا وقرب الفلاحية أشجار النخيل المثمر وتزرع الأرض كما في الشمال بالزراعات الصيفية والشتوية، القمح والشعير، والذرة والأرز، فإن الزراعة متوقفة في الجزء الأكبر من المنطقة على هطول الأمطار؛ وإذا لم تهطل الأمطار، الأمر الذي لا يحدث كثيراً، فإن المنطقة كانت في السابق تتعرض لخطر المجاعة.

قبل انهيار نظام الري القديم كانت المنطقة تنتج محصولات زراعية مختلفة، على رأسها الأرز وقصب السكر. كان الأرز يشكل الغذاء الرئيسي للسكان، وكان

(1) قمنا نحن بتمييزهما. أما في اللغة الشعبية فيسميان كلاهما ميناو ـ وأما الغرباء فيسمون أيضاً المنطقة الواقعة بين أبي ديز والكرخة: ميناو/ مياناب. مثال مع ميناو في الجزء الثالث، 672، 8؛ منطقة خيرآباد المذكورة هناك تقع بين الكرخة وشاوور. لكن مياناب فهو اسم محطة للخط الحديدي الإيراني بين هذين النهرين.

السكر يشكل، إلى جانب المنسوجات الثمينة، المخمل والحرير، المادة الرئيسية للتصدير.

وبينما لا تعترض طرق المواصلات إلى العراق، نحو الغرب والجنوب، أي عوائق طبيعية، فقد كانت في الشمال والشمال الشرقي معاقة في جميع الأزمان بسبب الحواجز الجبلية الهائلة التي تشكلها سلاسل الجبال الإيرانية وبسبب سكانها شبه المتوحشين ـ "أكراد" العصور الوسطى، ولوريون وبختياريون العصر الحديث وهكذا لم يبق مفتوحاً أمام المواصلات المنتظمة مع المناطق الخلفية إلّا الطريق المؤدية من الأهواز إلى بهبهان في منطقة كوهقيلوية/كوهقيلو، ثم إلى شيراز عاصمة إقليم فارس.

مناخ خوزستان قاس جداً. اعتباراً من مايو/أيار يكون الحر لاهباً وتتخلله عواصف غبارية تحول دون القيام بأي عمل في العراء. ويبقى الجو كذلك حتى أكتوبر/تشرين الأول حيث تجلب الرياح، التي تلامس قمم الجبال المغطاة بالثلج، بعض البرودة. وفي نوفمبر/تشرين الثاني يبدأ هطول الأمطار، وفي يناير/كانون الثاني وفبراير/شباط تهب عواصف قوية على البلاد وتنخفض درجة الحرارة في الليل بسبب تبخر رطوبة الأرض إلى ما تحت الصفر.

هكذا كان وضع هذه البلاد التي فتحها المسلمون بعد وقت قصير من تأسيس البصرة (15هـ/ 636م). سقطت سوق الأهواز بعد معركة قصيرة في عام 17هـ. أما شوشتر فلم تسقط إلّا في عام 21هـ وبعد حصار طويل. وفي نفس العام انتصر المسلمون في معركة نهاوند التي قضي فيها إلى الأبد على القوة الضاربة للدولة الساسانية، وأصبحت خوزستان بعدها في منأى عن أي هجوم، مع قيام بعض الثورات المحلية المحدودة. وجد المنتصرون بين التشكيلة السكانية المؤلفة من أقوام مختلفة، من الإغريق والآراميين والفرس والهنود، بعض العرب أيضاً (ما إذا كانوا يسمون بني العم = مرة بن مالك بن حنظلة من تميم[1]، وأن الساسانيين

(1) س. جمهرة، فهرس، بني العم.

كانوا قد وطنوهم هنا قبل فترة من الزمن، فهذا أمر مشكوك فيه).

بعد وقت قريب دخل المهزومون في الإسلام لكنهم لم يستعربوا إلّا ببطء وجزئياً فقط. وعندما جاء المسلمون إلى هناك كان بعض السكان ما زالوا يتكلمون اللغة "الخوزية"، وفي القرن التاسع الميلادي الفارسية والعربية. ويبدو أن الهجرة لم تكن ذات أهمية إلّا في المدينة التجارية الأهواز. فلم يؤسس العرب مدينة كبيرة إلى حد ما إلّا عسكر مكرم على الفرع الشرقي الكارون قرب بندي قير. في ذلك الوقت لم يكن يوجد في هذه المنطقة المكتظة بالسكان متسع من المكان للقبائل البدوية. ولكن الأمر تغير فيما بعد. فقد أدت حرب العبيد[*] (869م ـ 883م) إلى تدمير بعض المناطق في جنوب غرب خوزستان ثم انتقلت حياة البداوة، التي بدأت في العراق في عهد البويهيين (945م ـ 1055م)، إلى الإقليم المجاور خوزستان. وفي عام 980م نزل هناك شيخ من أسد، اسمه دبيس بن عفيف، وأسس بلدة حُويزِة/ حَوِيزا[1]. وخلال حرب الأخوة بين أبناء الأسرة البويهية صعد إلى مرتبة قائد عسكري ثم وسع سلطته إلى أن أصبحت تشمل المنطقة الممتدة من طيب حتى

(*) وهي المقصود بها ثورة الزنج التي اندلعت في سنة 255هـ يقول المسعودي. كان خروج صاحب الزنج بالبصرة في خلافة المهتدي وكان يزعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد... ابن أبي طالب. وكان يرى رأي الأزارقة من الخوارج. وقد شَخصَ الموفق لمحاربة صاحب الزنج في صفر سنة 267هـ، وقدّم الموفق ابنه أبا العباس الرسوم الخمس وكان الشعراني صاحب العلوي قد تحصن بها في جمع كثير من الزنج ففتح هذا الموضع وفتح مواضع كثيرة وقتل من كان فيها من الزنج ثم سار الموفق إلى الأهواز فأصلح ما أفسده الزنج ثم عاد إلى البصرة فلم يزل منزلاً لصاحب الزنج حتى قتل لقد شهد النصف الثاني من القرن الثالث الهجري أعظم حركة قام بها الزنج في وجوه أسيادهم مطالبين بتحسين أوضاعهم الاجتماعية وأن أعدادهم كانت ضخمة حتى بلغت قواتهم 300 ألف مقاتل/ثورة الزنج لفيصل السامر، ص 26 ـ الناشر دار المدى، ط2. 2002، [مروج الذهب المسعود، ج4، ص 194 ـ 297] (ماجد شبّر).

(1) ـ سنستعمل في هذا الجزء الصيغة الحديثة حصراً، أما الصيغة القديمة فنستعملها في الجزء الثالث.

المذار[1]. وظل هذا الشريط من الأراضي في يد القبيلة أكثر من مائة عام. وقد تكيف هؤلاء البدو مع الحياة المدنية. ولكن كان هناك بدو آخرين كانوا في الربع الأخير من القرن العاشر يهددون سلامة الطرق المؤدية إلى رام هرمز ثم نهبوا مع "الأكراد" في عام 443هـ/ 1051م ـ 1052م مدينة دورق[*].

كان تأثر خوزستان بالغزو التركي الذي حدث في العهد السلجوقي (1038م ـ 1194م) أقل من تأثر الأقاليم المجاورة. فلم يترك الأمراء ذوو الأصول التركمانية، الذين كانوا هناك من عام 1155م حتى عام 1194م شبه مستقلين[2]، أي آثار تستحق الذكر شأنهم شأن أصحاب الإقطاعيات الديلميين والأتراك تحت حكم البويهيين. خلافاً لذلك فقد تأثرت ظروف خوزستان تأثراً مستديماً بإمارتي لور الكبرى ولور الصغرى اللتان نشأتا أيضاً في أواخر العهد السلجوقي. فقد شكل البختياريون في لور الكبرى[3] خصائصهم الشعبية المتميزة، وفي لور الصغرى[4] اللوريون (لور) الذين ما زالوا حتى اليوم يعيشون في الجبال الواقعة في أطراف خوزستان. وبين القبائل التي هاجرت إلى لور الكبرى في النصف الأول من القرن الثالث عشر كان يوجد قبيلتان عربيتان أيضاً؛ وقد استوطنت إحداهما، العقيلي، فوق شوشتر. ولم تزل إحدى المناطق هناك تحمل اسمهم حتى اليوم.

---

(1) تقع آثار الطيب بين المجرى المائي الذي يحمل نفس الاسم والدويريج، أما موقع المذار فيدل عليه مزار الحسن بن علي الواقع على دجلة الأسفل.

(*) دويرق تلفظ دويرج في عربستان وكذلك في منطقة العمارة. والبصرة وهنا بعض تسميات القصبات والقرى والمدن التي فُرّست (التي تمّ تغير أسمائها العربية إلى أسماء فارسية).
تستر أصبحت شوشتر، الفلاحية = شادكان، الخفاجية = سوسنغرد، الحميدية = فرح آباد، خور عبد الله = بندر شابور، السوس = الشوش، معشور = بذرماه شهر، [الأحواز الماض ـ الحاضر ـ المستقبل د. نصار أحمد الخزعلي ـ ص 76، ط1، 1990] (ماجد شبّر).

(2) ـ بعدهم عادت خوزستان إلى سلطة الخلافة في بغداد التي كانت قد استعادت قوتها.

(3) ـ 1155 ـ 1424. العاصمة إيذج = مال أمير، الآن إيذه، مع آثار عظيمة. وكانت تابعة سابقاً لرام هرمز.

(4) ـ 1184 ـ 1597. العاصمة: خرم أباد. كانت آبي دز تشكل الحدود بين المنطقتين.

في القرن الثالث عشر الميلادي حدث تحول هام: تراجع اللغة العربية أمام اللغة الفارسية. فعندما وصل الرحالة ابن بطوطة عام 1327م إلى خوزستان كان حتى سكان الحويزة، تلك المدينة الحديثة التي أسسها العرب، يتكلمون الفارسية. وكان هذا التحول قد مهد له انتعاش الثقافة الفارسية في العهد السلجوقي ثم ساعد على تحقيقه سقوط الخلافة العباسية (1258م) وأخيراً اكتمل عن طريق الارتباط السياسي بلور الكبرى التي ألحقت بها خوزستان[1] في عهد الإيلخان ـ هكذا كان يسمى حكام فارس والعراق المغوليون ـ أباقا (1265م ـ 1281م).

وعندما انهار حكم الإيلخانيين (736هـ/ 1335م ـ 1336م) أصبحت البلاد تابعة لخلفائهم الجلائرين في تبريز وبغداد، لكن شوشتر وديزفول كانتا تداران أحياناً من قبل المظفريين في فارس. خلال حملات تيمورلنك لم تتعرض خوزستان لمثل الدمار الذي أصاب العراق. ففي عام 795هـ/ 1392م ـ 1393م جاء من همدان متوجهاً إلى شوشتر عبر ديزفول واحتل الحويزة. وبعد بضعة أعوام تمّ توحيد البلاد مع فارس. وبعد موت تيمورلنك (1405م) ضمت خوزستان مرة أخرى تحت حكم الجلائرين إلى العراق، ولكنها انتزعت منهم خلال الأعوام 1421م ـ 1424م على يد حفيد لتيمورلنك الذي كان يحكم شيراز. ولم يبق للجلائرين سوى شريط ضيق شمال شط العرب مع مدينة قبّان[2]، إلى أن دمّر تركمان قره قويونلو دولتهم (عام 1432م) بعد صراع مرير. ويبدو أن خوزستان كان مقدراً عليها أن تدفع الثمن في تلك الحرب التي ظلت مضطرمة أكثر من 20 عاماً بين التيموريين والقره قويونلو، وذلك عندما دخلت بين الفريقين المتصارعين قوة جديدة، بدا وكأنها جاءت من العدم، رجل ثوري ديني هو المهدي محمد بن فلاح.

ظهر محمد بن فلاح في عام 840هـ/ 1436م ـ 1437م زاعماً أنه من السادة أي من

---

(1) كانت خوزستان موحدة سابقاً مع مناطق فارسية، وذلك في عهد البويهيين وفي عهد الأتابك السلجوقي بزآبه (بوزابه) 532هـ ـ 542هـ/ 1137م ـ 1138م ـ 1147م/ 1148م، وفي عهد سلفه منقبرس.

(2) هذه الحدود بين فارس والعراق ظلت قائمة حتى أواسط العهد العثماني.

سلالة النبي ـ في منطقة واسط مدعياً أنه يجسد مهديُّ الشيعة الذي سيظهر في آخر الزمان لكي ينشر العدل في العالم. فوجد أتباعاً بين المعدان المحتقرين (انظر الجزء الثالث، ص 679) الموجودين في بلده ورص صفوفهم رصاً متيناً إلى درجة أنه تمكن بعد أربع سنوات من قيادتهم في حرب جهادية. وتزايد عدد أتباعه على الرغم من بعض الفشل الذي لحق به، وفي عام 845هـ/ 1442م احتل منطقة الجزائر في جنوب العراق بعد أن قضى على المقاومة البائسة التي أبداها سكانها الشجعان، وذلك بالطريقة الهمجية التي قاد بها الحرب. ثم توجه بعد ذلك إلى الحويزة. فأجبر الجيش الذي جهزه التيموريون على الانسحاب، وانتصر عليه القره قويونلو مرتين لكنه في النهاية دخل الحويزة دون قتال. وبفضل الظروف المؤاتية ـ لقد أهمل القرة قويونلو العراق لكي يكسبوا غربي فارس ـ والأفعال الحربية لابنه مولىٰ علي استولى المهدي على خوزستان بكاملها وعلى البلاد الواقعة بين واسط والبصرة. وبعد انتصاره على أمير عباده، أهم قبائل واسط (نهاية عام 861هـ/ 1457م)، حكم مملكته في سلام إلى أن توفي عام 870هـ/ 1465م ـ 1466م. وعلى الرغم من أنه ظل حتى وفاته متمسكاً بأفكاره عن اقتراب يوم القيامة، فقد كان بصفته عربياً أصلياً واعياً بما يكفي للاكتفاء بما هو ممكن. وقد اختفت بعد وقت قصير الفرقة التي أسسها، فرقة المشعشع، لكن دولته ظلت ثلاثمائة عام أقوى قوة في خوزستان وظل أحفاده حتى يومنا هذا يحكمون الحويزة بصفة حكام تابعين لفارس. ولم يزل يوجد أيضاً حتى اليوم بعض القبائل التي قادها المهدي آنذاك إلى الحويزة. وكان قد جعل من هذه القبائل؛ التي كانت غير الملتزمة دينياً، قبائل مسلمة فعلاً وعلمها الأسباب الأولية للحياة المتحضرة. وبالفعل فإن قبائل الحويزة كانت فيما بعد عنصراً للنظام.

في فترة الحكم الطويلة والسلمية لابنه السلطان محسن (1465م/ 1466 ـ 1508م) خرجت دولة المشعشعين من العزلة، التي كانت قد وقعت فيها بسبب تعصب مؤسسها، وانفتحت أمام المؤثرات التي كانت تنطلق من شيراز، المركز الفكري لجنوب فارس. وكما هناك انتشر في خوزستان أيضاً المذهب الشيعي ودون الصبغة الطائفية الفرقوية التي كان المهدي قد أضفاه عليه. واستمرت الهجرة القادمة من العراق (؟)؛ في ذلك الوقت جاء فرع من بني تميم إلى خوزستان واستوطن في دورق.

طغى على السنين الأخيرة من حكم السلطان محسن حدث ذو أهمية تاريخية عالمية ألا وهو تأسيس الدولة الفارسية على يد الشاه إسماعيل الصفوي. وكان إسماعيل أيضاً متمرداً دينياً ولاجئاً لا وطن له مثل سيد محمد بن فلاح، ولكنه كان على عكس ابن فلاح محاطاً بهالة من القداسة استمدها من أجداده أصحاب الطريقة الصوفية "الصفوية" في أردبيل وعلى رأسهم الشيخ صفي الدين، ومدعوماً من أتباع يمتدون من بحر الخزر حتى البحر المتوسط. أسس الشاه إسماعيل ـ الذي توّج عام 1502م في تبريز ـ مملكته على المذهب الشيعي(*) الذي أعلنه مذهباً للدولة وعلى أتباع طريقته الذين كانوا يتألفون من سبع وحدات قتالية، بعضها قبائل وبعضها تجمعات إقليمية، جميعهم من أصل تركي وبعضهم جاء من الأناضول.

لم يكن الشاه إسماعيل يحتمل وجود مغالين على حدوده يحظون لدى أتباعهم نفس التكريم الذي كان يحظى به هو لدى أتباعه. ولذلك قضى، بعد احتلاله بغداد أواخر عام 1508م، على حكم المشعشعين. لكن خوزستان ظل ارتباطها بالمملكة ضعيفاً. فقد بقيت شوشتر وديزفول في يد حكام محليين ولم يمانع الشاه أن يقوم حفيد للمهدي بإعادة إحياء حكم المشعشعين في الحويزة. وكان هذا الوضع محمولاً طالما كان العراق تحت الحكم الفارسي. ولكن عندما دخل السلطان سليمان القانوني إلى بغداد (نهاية عام 1534م) وأصبحت خوزستان منطقة حدودية رأى الصفويون أنفسهم مضطرين إلى تغيير الوضع القائم هناك. في عام 1541م ـ 1542م جاء الشاه طهماسب (1524م ـ 1576م) شخصياً إلى ديزفول وعيّن هناك موظفاً فارسياً ـ أما شوشتر فكانت قد وضعت قبل ذلك تحت الإدارة المباشرة. وفي عهد الشاه الضعيف محمد خودابنده (1577م ـ 1587م) تعرضت خوزستان لخطر الضياع من يد الصفويين. ففي عام 1584م أو 1585م خضعت الحويزة للعثمانيين، بينما هددت خوزستان العليا بسبب الثورة التي قادها إسماعيل المزيف

(*) إن المذهب الشيعي تعبير غير سليم، حيث يطلق اسم الشيعة من مذاهب عديدة منها الاسماعيلية، والعلوية، والكياسنة. والمقصود هنا هو مذهب الإمامية الإثنا عشرية الموجودين في إيران والعراق والبحرين ولبنان (شبّر).

(كان إسماعيل الحقيقي قد حكم عامي 1576م ـ 1577م) ثم بعد ذلك بسبب عصيان الأفشارين.

كانت القبيلة التركمانية أفشار، أحد التجمعات السبعة التي كان الصفويون يشكلون منها جيشهم ويأخذون منها كبار موظفيهم، قد وطّنها الشاه إسماعيل في منطقة كوهقلو (كوهقيلوية)[1] المجاورة لخوزستان في الشرق. ومن هذه المنطقة الجبلية وذات الكثافة السكانية العالية نسبياً نزل الأفشاريون إلى السهول حيث تقدموا في الشمال حتى شوشتر وتقدموا عبر دورق حتى قبّان. وكما هي الحال في منطقة قبيلتهم فقد كانوا يمارسون الحكم هنا أيضاً في كثير من الأحيان[2].

وبينما تغلغل الأتراك في شرقي البلاد شهد غربها غزواً عربياً جديداً. ففي حوالي عام 1575م بدأت هجمات بني لام الذين كانوا قد احتلوا قبل ذلك بوقت قصير المناطق الواقعة بين دجلة والجبال الإيرانية من مندلي وبدره حتى الكرخة (انظر الجزء الثالث، ص 657 وما بعدها). أدت غزوات هؤلاء البدو الرُحل إلى إيقاظ الميل الكامن إلى السلب والنهب لدى قبائل الحويزة؛ وقد عانت المناطق الريفية التابعة لديزفول وشوشتر من هجماتهم. وفي ذلك الوقت ظهر في المراجع لأول مرة تعبير عربستان[*]، كاسم لمنطقة الحويزة، والذي أصبح في عهد الشاه عباس الكبير (1588م ـ 1629م) التسمية الرسمية (عربستاني ح.).

في التسعينيات أخضع الشاه عباس الأفشاريين ونظم العلاقة مع الحويزة. فأصبح الحكام يتناقلون الحكم بالوراثة وصار الحاكم يسمى "والي" ويحمل لقب "خان". أما مقدار حريتهم في التصرف فكان يتوقف على شخصيتهم وعلى

(1) العاصمة: ده دشت، في وقت لاحق: بهبهان.

(2) تذكر قائمة حكام شوشتر (في التذكرة) بين عام 1536م/ 1537م وعام 1593م/ 1594م. ثمانية أفشاريين. عُيِّن الثاني عام 1541م/1542م حاكماً على ديزفول، وحكم الثالث، وهو أخو خليل خان رئيس القبيلة الذي كان له نفوذ كبير في البلاط الملكي، في بداية الثمانينيات. أما الخمسة الباقون فقد تتابعوا على الحكم من عام 1578م حتى عام 1593م/ 1594م.

(*) تعبير فارسي عن المنطقة التي يسكنها العرب (ماجد شبّر).

الظروف السياسية السائدة. فقد كان الوالي الأول، سيّد مبارك (1590م ـ 1616م)، حليفاً للشاه أكثر منه تابعاً؛ إذ إن عباس كان في حاجة إلى مساعدته في الحرب التي اندلعت عام 1602م مع العثمانيين. لكن خلفاء مبارك عانوا من المشكلة التي تواجه جميع الأسر الحاكمة الإسلامية وهي عدم وجود تحديد ثابت لتوارث الحكم. كما أنهم بددوا قوتهم بالمكائد المستمرة في البلاط أو بالتحالف مع بني لام الذين صاروا يتدخلون بصورة متزايدة في شؤون الحويزة. أدت هذه السياسة بالضرورة إلى نزاعات حدودية مع العثمانيين؛ لأن بني لام كانوا من رعايا باشا بغداد. وفي نهاية القرن السابع عشر انجر المنتفق، الذين كانوا آنذاك قد احتلوا لتوهم البصرة، إلى الخصومات الدائرة في الحويزة.

استمرت الهجرة القادمة من العراق[1]. ففي القرن السابع عشر ظهرت قبيلتان جديدتان في عربستان هما: الكثير، من أقرباء بني لام، وآل خميس، من أصل غير معروف.

في هذه الأثناء ازدهرت شوشتر وديزفول في عهد حاكم الإقليم واخشتو خان (1632م ـ 1667م) الذي دام زمناً طويلاً. وقام ابنه فتح علي خان ببناء جسر على الفرع الرئيسي لنهر كارون يُعدّ تحفة عظيمة في فن البناء وترتكز أعمدته على سد شوشتر الساساني[2]. وكان هذا النوع من الجسور بني هناك عدة مرات اقتداء بجسور قديمة مشابهة. ومن أجل تخفيض مستوى الماء في النهر لتيسير أعمال البناء، أمر بفتح ثغرة في السد (بندي ميزان) المقام على الفرع الجانبي آب گرگر،

(1) بخصوص توطين الخزاعل قرب زيدان في عام 1640م انظر الجزء الثالث، ص 453 أعلاه.

(2) الجسر الذي اعتبره المهندس غرات فان روغن (وفد إلى فارس، الجزء السابع، 176 وما يليها) بناء ساسانياً (على الرغم من ملاحظته أنه أخف وأكثر أناقة من الجسور الساسانية الموجودة في ديزفول وباي بول) انهار في عام 1886م عند هدمت الفياضانات جزءاً من السد القديم. وقد أعيد بناء بندي ميزان بأمر من نادر لكنه تهدم في فيضانات ربيع العام التالي. ثم بناه مجدداً الأمير محمد علي ميرزا (1806م ـ 1809م) لكنه لقي بعد ثلاثة أعوام المصير نفسه. أما الجسر الحالي فقد بني 1812م ـ 1816م في عهد محمد علي أيضاً.

والذي يغذي القناة التي تروى منها بلاد ما بين النهرين تحت المدينة. وفي عام 1106هـ/ 1694م ـ 1695م نقل فتح علي خات من الإقليم ولم يتبق له متسع من الوقت لسد الثغرة. وعندما حدثت الفيضانات في مارس/آذار 1695م توسعت الثغرة في جسم السد كثيراً مما أدى إلى نضوب القناة وإلى تدمير سد آخر كان يروي مدينة شوشتر نفسها والبساتين المجاورة لها، مما جعل بناء الجسر يصبح من المصائب التي حلت بالمدينة. فقد تراجعت شوشتر بعد ذلك إلى درجة أن حاكم الإقليم نقل مقره منها إلى ديزفول.

في عام 1722م انهار فجأة بنيان الدولة الصفوية الذي كان يبدو متماسكاً إلى أبعد الحدود. فقد انتهى تمرد للأفغان (السنيين) في قندهار البعيدة إلى نصر أوصل المتمردين إلى أبواب العاصمة أصفهان. وفي 8 مارس/آذار ألحق البرابرة ذوو الثياب البالية هزيمة حاسمة بالجيش الفارسي المجهز تجهيزاً رائعاً. وفي أكتوبر/ تشرين الأول سلم الشاه سلطان حسين عاصمته وتاجه لقائد الأفغان المير محمود. وهكذا لقيت أسرة الشاه إسماعيل والشاه عباس الكبير نهاية مخزية. صحيح أن طهماسب الثاني، ابن الشاه سلطان حسين، ظل حتى 1732م، ومن بعده بعض أبناء العائلة الآخرين، يحمل لقب ملك، لكنهم كانوا مجرد دمىٰ يضعهم أصحاب السلطة الحقيقيون في الواجهة لكي يعطوا حكمهم مظهراً شرعياً. كان أول أولئك الأبناء الناهضين نادرٌ، وهو أفشاري من خراسان طرد الأفغان من فارس ووسع حدود الدولة حتى القوقاز وأمودرية والهندوس ونهب دهلي (دلهي) عاصمة قيصر المغول. ونتيجة إصابته بجنون العظمة بدأ بالتخريب والتعسف في بلاده نفسها التي استهلكتها الحروب المتواصلة، إلى أن اغتاله قومه عام 1747م.

لم تتأثر خوزستان بصورة مباشرة بالاحتلال الأفغاني (1722م ـ 1730م)، ولكنها تأثرت بالحرب التي فجرها العثمانيون عام 1723م دون مقدمات لكي يتقاسموا فارس مع الأفغان والروس. تمّ احتلال الحويزة (عام 1725م؟) ـ رحب الوالي بالأتراك دون مقاومة ـ وأصبحت بموجب معاهدة السلام مع الأفغان عام 1727م عثمانية. بعد ذلك تطورت الظروف في خوزستان العليا بصورة متميزة جداً.

فقد أعلن حاكم ديزفول وشوشتر ولاءه لطهماسب الثاني لكن سكان المدينتين أعلنوا عام 1725م وقوفهم إلى جانب صافي ميرزا، وهو أمير مزيف. وفي خضم الفوضى الناجمة عن ذلك استولت قبيلة كثير على السلطة. ولكن هذه الحالة لم تدم طويلاً. ففي ربيع 1730م جاء نادر إلى خوزستان بعد أن قضى على بقايا الأفغان في فارس. فاستقبله الزعماء العرب في رام هرمز. وفي شوشتر أمر باعتقال شيخ الأهواز وغيره من مثيري الشغب لكي ينفيهما إلى خراسان، وأرسل والياً جديداً إلى الحويزة، ثم توجه بعد ذلك عن طريق ديزفول عبر لورستان[1] لمواجهة الأتراك الذين كانوا يحتلون الأقاليم الحدودية من نهاوند حتى تبريز. وفي نهاية عام 1733م جاء نادر مرة ثانية إلى خوزستان لكي يقضي على ثورة كانت قد اندلعت في الخريف في المناطق الجنوبية الغربية. كان قائد الثورة حاكم كوهقلو محمد خان بلوتش «بلوچ»[2] الذي كان في السابق محافظ شوشتر. وشارك في الثورة شيخ آل كثير وأحد أخوة والي الحويزة. قاد نادر، الذي كان آنئذ يقف على أبواب بغداد، تحركات قواته بحذر بالغ بحيث لم يواجه في خوزستان مقاومة تستحق الذكر. فقط البدو، الذين استغلوا الاضطرابات للقيام بغزوات السلب والنهب، أبدوا بعض المقاومة دفاعاً عن أنفسهم. وفي ذلك الوقت ظهر بينهم لأول مرة كعب الذين كانوا قد وُطّنوا قبل ذلك بما يزيد على 125 عاماً كحماة للحدود في قبّان[3] وكانت قطعانهم ترعى في المنطقة الفارسية بموافقة أفشاري دورق. وبعد عشرة أعوام من ذلك التاريخ اشتركوا مع قوات نادر في محاصرة البصرة.

في عام 1736م، أو بعد ذلك بوقت قصير، قام نادر شاه بوضع تنظيم جديد لأقاليم جنوب غرب فارس: تمّ توحيد ديزفول وشوشتر، اللتان كانتا حينئذ تابعتين لحاكم كوهقلو، مع الحويزة في إقليم واحد أطلق عليه اسم عربستان. واتخذ حاكم

---

(1) هكذا تسمى لور الصغرى (انظر الصفحة 15 أعلاه) منذ بداية العصر الحديث.

(2) كان قد أرسل إلى القسطنطينية كسفير أفغاني وعندما عاد عام 1730م ولم يجد الذين أرسلوه وضع نفسه تحت تصرف نادر.

(3) انظر الصفحة 10؛ 20. منذ نادر كانت تطالب بها إيران.

الإقليم مقره في الحويزة. أمّا الأسرة الحاكمة هناك فقد تعين عليها الاكتفاء بدورق. لكن هذا الوضع لم يدم طويلاً. فقبل اغتيال نادر شاه استولى مولى مطلب من دورق على مدينة آبائه، وبعد ذلك بوقت قصير دخلت قبيلة كعب إلى دورق ـ القبيلة التي سيكون المستقبل لها.

بوفاة نادر (1747م) بدأت مرحلة جديدة من الفوضى. فابن أخيه عادل شاه قتله أخوه بعد عام واحد، وفي العام التالي قُتل الأخ أيضاً. وفي الجنوب تمرد البختياري علي مردان خان والكردي كريم خان من قبيلة الزند وأجلسا على العرش (1750م) رجلاً من الأسرة الصفوية، إسماعيل الثالث. وبعد بعض الوقت حدث خصام بين الزعيمين أسفر عن هزيمة علي مردان ومغادرته البلاد. وبعد أن أخرج كريم خان خصمين آخرين من الساحة، وخلّص بحكمته وحنكته واحداً منهما سلاحه، حكم وحده كحاكم (وكيل) في غرب وجنوب فارس حتى وفاته عام 1779م.

في هذه الأثناء كانت عربستان قد سقطت في حالة من الفوضى. وحاول مولى عبد المطلب من الحويزة السيطرة على مدينتي ديزفول وشوشتر ولكن دون جدوى. فقد وقفت ضده قبيلة آل كثير واستولت مجدداً على الحكم هناك مستفيدة من الصراعات الدامية بين الحزبين المدنيين نعمتي وحيدري. وكان هذا التحزب قد تشكل خلال فترة سقوط الصفويين في كثير من مدن فارس ولكنه لم يتخذ في أي مكان ذلك الشكل العنيف والشرير كما في شوشتر وديزفول بسبب تأثير المحيط البدوي. وبينما عانت الزراعة هنا كثيراً من غارات القبائل وانعدمت الحياة الفكرية في شوشتر بسبب أهوال الحرب الأهلية، نشأت في جنوبي البلاد حياة اجتماعية مزدهرة بقيادة شيخ كعب، سلمان البو ناصر. وقد وسّع حكمه حتى الهنديان/ زهرة وطرد الأفشاريين من منطقته وبنى في مكان غير بعيد عن دورق المتداعية مقراً جديداً، فلاحيّة، وشجع التجارة عن طريق تحقيق الأمن في منطقته، والزراعة عن طريق بناء السدود والقنوات. وكونه يملك شريط الأراضي الواقع بين شط القبان وشط العرب فهو عملياً من رعايا الدولة العثمانية، لكنه مع ذلك صد هجومين

تركيين. وكان أسطوله يسيطر على شط العرب وعلى شمال الخليج العربي.

بعد فترة من التردد وافق كريم خان عام 1765م بطلب من العثمانيين على القيام بحملة ضد الشيخ سلمان. وبعد قيامه بزيارة ديزفول وشوشتر وتأديب آل كثير، تقدم عن طريق فلاحية حتى شط العرب لكنه لم يستطع الوصول إلى كعب الذين كانوا كان قد انتقلوا إلى الضفة الأخرى من الشط. عندئذ أمر بهدم سد الكارون الذي كان يزود مدينة القبان وأراضيها بالمياه وأرغم بذلك سلمان، الذي خشي مزيداً من الدمار، على الرضوخ. وبعد ذلك مباشرة تورط الشيخ بسلوكه الاستفزازي في حرب مع الأتراك وحلفائهم من شركة الهند الشرقية الإنجليزية، فتبنى كريم خان مصالح الشيخ سلمان ووقف إلى جانبه. عندئذ كافأه كعب بأن قدموا لقواته مساندة قوية في حصارها الطويل لمدينة البصرة (1775م ـ 1776م).

في هذه الأحداث تكمن نواة الخلافات التي نشبت في القرن التاسع عشر بين الدولتين الفارسية والعثمانية حول ملكية مصب الكارون والضفة اليسرى لشط العرب. ولم ينفجر الصراع في البداية لأن أمراء الزند، الذين كانوا قد سببوا لكريم خان في حياته بعض المتاعب، كانوا يخوضون معارك دامية ضد بعضهم البعض. وهكذا مهدوا أمام رئيس القاجار، الطواشي الماكر والقوي الإرادة آغا محمد خان، الطريق إلى العرش(*). وبعد أن استولى على فارس كلها نصب نفسه عام 1796م ملكاً. لكنه توفي في العام التالي وترك الدولة لابن أخيه فتح علي شاه (1797م ـ 1834م).

في بادئ الأمر لم يكن لهذه الأحداث أي أثر في عربستان. فكما اكتفى كريم

(*) منذ بداية القرن الثاني عشر الهجري تعيش في إيران قبائل وعشائر قوية وهذه القبائل هي الأفشار، القاجار، القشقاي اللر، الأكراد وكل قبيلة من هذه القبائل كانت قد أحكمت سيطرتها على جزء من إيران وتدير شؤونها بنفسها في مناطقها، كان الأفشاريون قد بسطوا سلطتهم على عموم إيران تقريباً، وأما العرب فكانوا يسيطرون على المناطق الواقعة في الجنوب والجنوب الغربي من إيران. (القبائل والعشائر العربية في عربستان ليوسف عزيزي بني طرف، دار الكنوز، ص 134، سنة 1996م). (ماجد شبّر).

خان بتعيين زعيم أحد الحزبين المدنيين حاكماً في شوشتر، فقد فعل آغا محمد خان الشيء نفسه؛ وكذلك الضرائب فقد كانت الآن كما في الماضي أقرب إلى الهدايا الإجبارية، (بخشيش)، منها إلى الدفعات المنتظمة. لم يكن من المجدي أن يدار الإقليم بشكل صحيح نظراً لتردي حالته واعتماده اقتصادياً على البصرة. لكن فتح علي شاه خرق هذا التصور بأن أعطى شمال عربستان ولورستان لابنه محمد علي ميرزا دولة شاه (1805م ـ 1820م) المقيم في كرمانشاه، وأعطى الجنوب، أي منطقة كعب لابنه الآخر الحاكم في شيراز. إلّا أن هذا الإجراء لم يعط مفعولاً إلّا بعد مجيء محمد علي ميرزا عام 1806م شخصياً إلى شوشتر وقضائه على المشاغبين. مع ذلك ظلت البلاد مضطربة. إذ إنه لم يأت بعد الشيخ سلمان خلفاء من وزنه، وكان أبناؤه وأحفاده في نزاع مستمر مع قبيلتهم كعب. غير أنهم حافظوا على سلطتهم نحو الخارج. فقد شاركوا في حروب قبائل البصرة حيث كانوا تارة ضد الأتراك وتارة أخرى معهم إلّا أنهم كانوا يشعرون بأن ارتباطهم بفارس أقوى من ارتباطهم بالدولة العثمانية.

خلافاً لكعب فقد فقد آل كثير كل قوتهم؛ ولا نعرف أسباب هذا السقوط. كما أن الحويزة أيضاً دخلت بعد وفاة مولى مطلب في سبات عميق.

في هذه الأثناء كانت قد حدثت في السكان تغيرات كبيرة. بين عام 1789م وعام 1848م هاجر إلى عربستان ما لا يقل عن 11350 عائلة عربية، بعضهم رعايا وبعضهم حلفاء لبني لام. جزء منهم غادر البلاد إلى حيث أتى لكن معظمهم انضموا إلى قبائل الحويزة، إلى آل كثير أو إلى كعب، ومنهم الباوي (الباوية)، وهم قبيلة قوية استوطنت حول إسماعيلي[1] على الكارون الأدنى.

منذ اتفاقيتي السلام لعام 1813م و1826م، اللتين فقدت فارس بموجبهما أملاكها في القوقاز، أصبحت البلاد شيئاً فشيئاً كرة تتقاذفها القوتان اللتان كانتا آنذاك تتصارعان على النفوذ في آسيا وهما روسيا وبريطانيا. وكانت السياسة الفارسية أكثر

(1) إسماعيني، إسماعيلية، سماعينية، سماني الخرائط.

نجاحاً تجاه تركيا. فقد حسمت الخلافات الحدودية القديمة بموجب اتفاقية إرزروم «إرضروم» (1847م) لصالح فارس. ويعود الفضل في تحقيق فارس هذا النجاح، إلى جانب القوى العظمى(*)، إلى رجل الدولة الوحيد الذي أنجبته في القرن التاسع

(*) إن مشكلة الحدود بين العراق وإيران تُعدَ من المشاكل المعقدة والتي تركت آثارها الكبيرة على الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي في العراق إلى الآن فقد كانت الدول الفارسية (إيران) على الدوام تطالب بمزيد من الأراضي والسيادة من منطقة البصرة على حساب حقوق العراق مما جعل العراق يختنق بحدوده الجنوبية المطلة على الخليج العربي من طرفه الشرقي. كانت مشكلة الحدود في منطقة عربستان عنصر مهم لتفجير الصراع بين الدولة العثمانية والدول الفارسية. ويمكن اعتبار معاهدة أرضروم التي وقعت عام 1847م مفصل أساسي في تحديد الحدود بين الدول العثمانية والدول الفارسية (لاحقاً العراق ـ إيران).
كان هناك طرفين أساسيين في التدخل لتحديد الحدود بين الدول العثمانية والدول الفارسية في معاهدة 1847م هما بريطانيا وروسيا، لذا انتدبت بريطانيا الخبير والباحث لايارد بكونه عارفاً ومطلعاً في تقديم توصياته، لقد وضع ليارد توصياته العملية والمبنية على أساس جغرافي والتي اعتمد فيها على خرائط قديمة وعلى الاستكشافات التي أجراها بنفسه على نهر الكارون مع الليفتنات سليي، حيث توصل لإيارد من خلالها على أن تخوم فارس لم تصل في يوم من الأيام إلى شط العرب، وكانت توصية ليارد بتعين خط جديد للحدود حتى الخليج العربي بين بهمشير وشط العرب. فقد رفضت الحكومة الروسية العرض بل طلبت أن تضاف إلى إيران مقاطعات أخرى لم يطالب الشاه بها، وهكذا ضمت إلى الإيران ميناء خرمشهر الذي يقع على موقع المحمرة فوق عبادان وكذلك الجهة الشرقية من شط العرب التي تمتد ستين ميلاً.
«المصدر الطريق إلى نينوى لـ نورا كوبي ـ ترجمة د.سلسل العاني، ص 219 ـ 223، دار المأمون، بغداد، 1998م.» (ماجد شبّر).
ومن أهم الملاحظات على معاهدة أرضروم 1847م.
أولاً: تنازل الدولة العثمانية عن «إقليم عربستان» عربي تسكنه قبائل عربية إلى إيران مقابل منطقة السليمانية.
ثانياً: إن السيادة الإيرانية على المحمرة وميناتها لا تشمل شط العرب بأي شكل من الأشكال إذ إن مرسى المحمرة الواقع على قناة الحفار والذي تمّ إخضاعه للسيادة الإيرانية لا يقع على شط العرب بل في ذلك الجزء من نهر الكارون.
(شط العرب وشط البصرة والتاريخ، د. محمد طارق الكاتب، ص 157 ـ 158 ـ العراق/ البصرة، 1970م).
لقد كانت معاهدة أرضروم لعام 1847م يكتنفها بعض الغموض بالنسبة للجانب العثماني مما

عشر وهو أميري نظام (محمد تقي خان، المتوفى عام 1852م).

في إطار هذه القضايا الحدودية حصلت عربستان، التي ظلت مهملة زمناً طويلاً، فجأة على أهمية دولية. حوالي عام 1812م قام شيخ المحيسن، وهم فخذ من كعب، ببناء مرفأ صغير قرب مصب الكارون عند المحمرة نمت فيه حركة البضائع بسرعة كبيرة لأنه لم تكن تجبى هناك ضرائب. ونظراً لتراجع تجارة البصرة قرر علي رضا باشا بغداد تجديد المطالبة التركية بدلتا الكارون. وفي عام 1838م اقتحم المحمرة ودمر المدينة لكنه لم يحقق من وراء ذلك سوى أن فارس طالبت الدولة العثمانية بتعويضات عالية وهددت بالهجوم على العراق الذي كان آنذاك مضطراً إلى الاعتماد على نفسه لأن الدولة العثمانية كانت مكبلة اليدين بسبب الحرب مع مصر (1839م). وبعد وقت قصير اندلع النزاع حول المحمرة من جديد: في عام 1841م شن حاكم إصفهان ولورستان وعربستان، معتمد الدولة[1]، حملة ضد أمير قبيلة (إيلخاني) البختياريين محمد تقي خان[2]. وتبعه عندما هرب ولجأ إلى ثامر شيخ مشايخ كعب وأجبر ثامر على تسليمه له ثم فرض بيد حديدية

دعى الباب العالي يطلب الإيضاح من الحكومة البريطانية والروسية وقد قدمها السفيران البريطاني والروسي في الآستانة إلى الحكومة العثمانية في 26/ 4/ 1847م ينص جزء منها: «إن الممثلين الموقعين أدناه يشاطران الحكومة العثمانية الرأي القائل، قيام الحكومة العثمانية بتركها لإيران مدن المحمرة وميناءها ومرساها وجزيرة خضر في المنطقة المذكورة لا يعني تركها أي أراضي أو موانئ أخرى موجودة في تلك المنطقة. ويصرح كذلك الممثلان الموقعان أدناه بأنه سوف لا يكون لإيران الحق بأي حجة كانت في أن تقدم ادعاءات حول المناطق الكائنة على الضفة اليمنى من شط العرب ولا حول الأراضي العائدة لتركية على الضفة اليسرى حيث تقطن تلك الضفة أو تلك الأراضي عشائر إيرانية أو قسم منها ـ الأحواز ـ الماضي ـ الحاضر ـ المستقبل ـ نصار الخزعلي، ص 125 ـ 126./ 1990م. (ماجد شبّر).

(1) منتشهر خان، طواشي من أصل أرمني.

(2) بدأ صعوده في أواخر حكم فتح علي شاه وأضاف في وقت لاحق لمنطقته أجزاء من عربستان وفي مقدمتها سهول رام هرمز. اعتقلته القوات الحكومية مراراً عامي 1836م ـ 1837م، لكنه كان ينجح في كل مرة في تخليص رأسه من المشنقة. وفي عام 1841م حاول لعب اللعبة نفسها مع معتمد الدولة لكنه خسر اللعبة. توفي عام 1851م أسيراً في طهران.

النظام في شوشتر وديزفول. وفي خريف العام نفسه شن حملة أخرى ضد فلاحية لكنه وجد العش خالياً ثم أمر قواته بعد ذلك باحتلال المحمرة. عندئذ. قدمت تركيا احتجاجاً. وتوتر الوضع إلى درجة أن إنجلتره وروسيا دعيا إلى مؤتمر انعقد عام 1843 ـ 1847م في إرزوم «إرضروم» واتخذ عدة قرارات من بينها إعطاء المحمرة والضفة اليسرى لشط العرب لفارس. وأدى هذا القرار، على الرغم من التصلب الذي أبداه الأتراك في أعمال لجنة الحدود عام 1849م وفي المفاوضات والمذكرات اللاحقة، إلى قيام سلام دائم بين الدولتين الفارسية والعثمانية.

بعد حملة عام 1841م توحدت منطقة كعب ثانية مع عربستان. وأصبح حاكماً على الإقليم والي الحويزة مولىٰ فرج الله. آخر سليل من السادة المشعشعين والذي برز سياسياً. بعد ذلك لم يعد الشيخ ثامر أبداً إلى فلاحية، وفي عهد خلفائه الضعفاء تفككت "دولة" كعب. لم يتبق لشيخ المشايخ في فلاحية سوى حكم كعب والقبائل الأخرى على نهري الجراحي وهنديان فقط، بينما أصبح المحيسن، كعب المحمرة، مستقلين لا بل أُخضع الباوي لسلطة شيخهم 1274هـ/ 1857م ـ 1858م. أما زعماء المجموعتين، والي الحويزة وشيوخ آل كثير وآل خميس، فقد تعهدوا لحاكم عربستان بجباية الضرائب من قبائلهم.

أدت وفاة محمد شاه (خليفة فتح علي) في عام 1848م إلى حدوث اضطرابات في عربستان وفي كثير من أقاليم فارس، لكنها قمعت خلال وقت قصير[1]. وفي عهد ناصر الدين شاه (1848م ـ 1896م) تورطت فارس في حرب قصيرة مع بريطانيا. فبما أن النفوذ الروسي في فارس كان أقوى من النفوذ البريطاني رأت بريطانيا أن أي تقدم للفرس نحو الشرق يشكل خطراً على الهند. وعندما احتلت هرات (في شمال غرب أفغانستان) في عام 1856م أعلنت بريطانيا فوراً الحرب على فارس. بدأت المعارك باحتلال جزيرة خارك في الخليج العربي (4 ديسمبر/ كانون الأول 1856م) والاستيلاء على بشره، وانتهت باحتلال المحمرة في (26 مارس/ آذار).

(1) تولى قمعها أردشير ميرزا، أخو محمد شاه وحاكم لورستان وعربستان (1850م).

منذ هذا الوقت وحتى وفاة ناصر الدين شاه (1896م) ساد السلام في عربستان. وكان أقوى حاكم محلي آنئذ شيخ المحمرة حاجي «الحاج» جابر الذي كان ماهراً جداً في التعامل مع الظروف السائدة وأقام علاقات جيدة مع الإنجليز بصفته تاجر كبير وصاحب سفن. وفي عهد ابنه مزعل (1881م ـ 1897م) شهدت المحمرة نهضة جديدة؛ في عام 1888م فُتح الكارون الأدنى أمام السفن الأوروبية. فنشأ، إلى جانب أنقاض العاصمة القديمة والقرية السابقة أهواز، المرفأ النهري ناصري[1] حيث كان يجري نقل البضائع من سفينة إلى أخرى لأن السفن الكبيرة لم تكن تستطيع المرور في الجزء السريع من النهر.

بينما بدأ جنوب البلاد مرحلة من الازدهار شهد الشمال مرحلة من التراجع. منذ الخمسينيات بدأ البختياريون ينزلون من جبالهم ويقضون فترة إقامتهم الشتوية في سهول شوشتر؛ وحسب العادات البدوية القديمة كانت القرى تتعرض عندئذ للسلب والنهب والمزروعات للضرر[2]. وفي وقت لاحق حصل إيلخاني البختياريين حسين قلي خان على حق جباية الضرائب من ذلك الجزء من عربستان الذي كان يُلحق به أبلغ الأذى إلى أن قتل عام 1882م بأمر من الأمير ظل السلطان (حاكم أصفهان وعربستان). إلّا أن معظم القرى المجاورة لشوشتر بقيت حتى عشرينات القرن الحالي ملزمة بدفع الضرائب للبختياريين الذين تملكوا هناك كثيراً من الأراضي.

وفي النصف الثاني أيضاً من القرن التاسع عشر استوطن جزء من القبيلة اللورية سقفند قرب ديزفول بينما اختار جزء آخر السهوب الواقعة بين الكرخة والدويريج مكاناً لإقامته.

---

(1) أسسه قبل عام 1888م حسين قلي نظام السلطنة، حاكم عربستان. وفي عهد الأسرة الحاكمة الجديدة ألغي الاسم. فأصبح المرفأ أيضاً يسمى أهواز.

(2) منطقة ديمتشه (ديمكه) قرب شوشتر هجرها الفلاحون كلياً ولم تعد تزرع إلّا عند الحاجة القصوى من قبل عمال زراعيين من شوشتر كانوا يقيمون هناك خيام في أوقات البذار والحصاد (تقرير فارسي من عام 1286هـ/ 1869م ـ 1871م).

وإذا ما كانت فارس تفقد بصورة متواصلة شيئاً من قوتها في عهد خلفاء آغا محمد خان الثلاثة، فإنها دخلت في عهد مظفر الدين شاه (1896م ـ 1907م) في مرحلة من السقوط السريع. كان الشاه خاضعاً كلياً لتأثير موظفيه الفاسدين الذين دفعوا البلاد إلى الهاوية بإدارتهم السيئة وجشعهم. وكانت الشخصية الوحيدة الكفؤة في البلاط الأمير عين الدولة[1] الذي فرض عام 1899م بيد حديدية الهدوء في لورستان. لكنه كان جامداً ومتمسكاً جداً بالقديم ولذلك لم يستطع فهم رغبة المثقفين في إجراء إصلاحات سياسية. وهكذا اتجهت فارس نحو الثورة[*]. في عام 1906 أقر الشاه دستوراً للبلاد لكن ابنه محمد علي شاه فرّق البرلمان بنيران المدافع (1908م). غير أنه لم يستطع، رغم المساعدة الروسية، قمع الحركة على المدى الدائم. وفي عام 1909م احتل الثوار والبختياريون طهران وعزلوا الشاه. أما خليفته سلطان أحمد شاه فكان صبياً غير راشد. وفي هذه الأثناء كان الروس قد احتلوا تبريز وقزوين واحتل الإنجليز شريطاً حدودياً في جنوب شرق فارس لكي يحموا مناطق المصالح التي كانت القوتان قد اتفقتا عليها عام 1907م.

في الحرب العاليمة وقفت فارس على الحياد لكنها أصبحت رغم ذلك ساحة للحرب؛ لم يعد هنالك أي جيش فارسي. وبعد سقوط القياصرة في روسيا وهزيمة قوى المركز بقيت بريطانيا وحدها في إيران. وبينما كانت في السابق قد ساهمت، عن طريق شراء حقوق السيادة وكسب الامتيازات، في إضعاف وتفكك الدولة الفارسية، فإنها أرادت الآن دعم هذه الدولة ووضعها تحت رعايتها "للحيلولة دون امتداد الفوضى، التي نجمت عن انهيار الأمبراطوريتين العثمانية والروسية، إلى

(1) عبد المجيد، 1906م كبير الوزراء، 1915م رئيس الوزراء.

(*) وهي الحركات المشروطية المطالبة بالدستور التي ظهرت في تركيا وإيران، وهي إنما سميت بهذا الاسم لأن القائمين بها اعتبروا مواد الدستور بمثابة الشروط التي يجب أن يتقيد بها الملك في حكم رعيته وهذه فكرة مستمدة من نظرية العقد الاجتماعي التي شاعت في أوروبا بعد قيام الثورة الفرنسية. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث لعلي الوردي، ج3، ص 103. (ماجد شبّر).

حدود الهند" (لورد كورزن). ووجدت هذه الرغبة الإنجليزية تعبيراً لها في الاتفاقية الإنجليزية الفارسية بتاريخ 9 أغسطس/ آب 1919م. إلّا أن الجمعية الوطنية الفارسية لم تصدقها.

وهكذا نشأت الظروف التي أدت إلى الصعود الأسطوري للشيخ خزعل خان من المحمرة، وهو أخو مزعل وخليفته (1897م ـ 1924م). فبعد وقت قصير من توليه الحكم وحد قبيلة كعب بكاملها تحت سلطته. وفي وقت لاحق كُلِّف بإدارة الأهواز/ ناصري. ولم يكن خزعل يبخل بأي شيء عندما يتعلق الأمر بتحسين علاقاته مع البلاط وخاصة مع كبير الوزراء[1]. إلّا أنه قدم للحكومة بعض الخدمات لقمع الثورات والقلاقل التي كانت كثيراً ما تنشب هنا وهناك.

في شوشتر وديزفول كان الصراع بين الأحزاب قد تطور مرة أخرى إلى حرب أهلية. كانت العصابات الممولة من الأغاوات، زعماء الأحياء في المدينة، تبتز السكان وتنهبهم. ونتيجة الابتزازات المستمرة والأخطار الدائمة التي أصبحت تهدد حياة التجار وأملاكهم انتقل كثير منهم إلى ناصري.

خلال الصراعات الدائرة من أجل الدستور اكتسب خزعل خان حق جباية الضرائب من القبائل العربية في الإقليم. وفي وقت لاحق أخضع أيضاً الحويزة. وفي ربيع عام 1909م انضم، بعد أن كسبه إلى جانبه زعيم البختياريين سرداري أسعد[2]، إلى الحزب المؤيد للدستور.

في هذا الوقت برزت في عربستان قوة جديدة هي النفط، ذَهَبُ القرن الصاعد. ففي عام 1908م اكتشفت آبار مسجدي سليمان[3] في منطقة قفراء شرق

(1) ميرزا علي أصغر خان أمين السلطان، فيما بعد أتبكي أعظم، كبير الوزراء، 1888م ـ 1896م، 1898م ـ 1903م، 1907م.

(2) علي قولي خان، آخر إيلخاني ومؤرخ للبختياريين، ابن حسين قولي خان (انظر ص 29)، كان وزير حربية فترة طويلة، اعتقل عام 1933م وتوفي في السجن إثر "نوبة قلبية".

(3) تابعة لمنطقة إيلخاني البختياريين.

شوشتر، وفي عام 1909م انتقلت ملكيتها إلى شركة النفط الإنجليزية الفارسية (آنغلو برزيان أويل كومباني) التي كانت القيادة البحرية البريطانية تملك حصصاً فيها. وبعد وقت قصير تمّ مد خطوط الأنابيب التي تصل من الآبار إلى الأهواز ثم إلى عبادان حيث بنيت مصفاة لتكرير النفط ومستودعات للتخزين. وهكذا دبت في الاقتصاد حياة جديدة. فنشأت على الكارون محطات للضخ ومرافئ نهرية وورشات للعمل في مواقع وقرى لم يكن أحد حتى ذلك الحين يعرف اسمها، ومن أنقاض عبادان انبثقت مدينة بلغ عدد سكانها عام 1956م أكثر من 226000 نسمة. ومن جميع هذه الشركات والمشاريع النفطية كان خزعل خان يحصل على أرباح بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

تشير الحكايات التي تتناقلها قبيلته وكذلك مصالحه التجارية إلى أنه كان صديقاً للعثمانيين. وخلال الثورة التركية (1908م)(*) وقف لأسباب شخصية إلى جانب الحزب التركي القديم. ولكن منذ سقوط السلطان عبد الحميد (1909م) بدأت مكانة الباب العالي تتراجع في المناطق الخارجية من الدولة بسبب التوجه القومي لحزب تركيا الفتاة. ولذلك دخل، مع صديقيه الشيخ مبارك في الكويت وقائد الحركة العربية السرية في البصرة سيد طالب الطموح والعديم الضمير، في دائرة الزعماء المعادين للأتراك في منطقة الخليج العربي الذين تستطيع بريطانيا الاعتماد عليهم في حال الحرب.

وبالفعل فقد دعم خزعل خان بعد دخول تركيا الحرب العالمية في (29/ 10/

(*) في 23 تموز 1908 أرسل نفر من الضباط في سلانيك إنذار باسم الجيش إلى السلطان عبد الحميد يطلبون فيه إعادة الدستور إلى البلاد، ثم تحركت بعض القوات من سلانيك زاحفة نحو اسطنبول. أصدر السلطان أمره بإعادة الدستور والشروع بالانتخابات، وصدرت الصحف في يوم 24 تموز وهي تحمل الخبر. إن جمعية الاتحاد والترقي كان لها الفضل الأكبر في نجاح المشروطية التركية في مرحلتها الثانية. إنها تأسست في اسطنبول عام1889 باسم "تركيا الفتاة" وكانت سرية تعمل في منتهى الحذر والحيطة مخافة أن تقع في يد جواسيس السلطان عبد الحميد أو شرطته. الوردي، لمحات اجتماعية، ج3، ص 129، 131. (ماجد شبّر).

1914م) القوات الإنجليزية الهندية عند نزولها على شط العرب في (6/ 11/ 1914م) وعند تنفيذ عملياتها في عربستان؛ بعد دخلوها البصرة في (22/ 11) احتلت خط الكارون حتى الأهواز لكي تحمي خطوط النفط من أي هجوم تركي. وبالفعل فقد تقدمت في نهاية العام كتيبتان تركيتان، برفقة بني لام، من العمارة عبر الحويزة واحتلت موقعاً ثابتاً مقابل الأهواز. وفي الوقت نفسه ثارت عدة قبائل في عربستان، بعضها بدافع الكره لحكم خزعل القمعي وبعضها تلبية للدعوة التركية إلى الجهاد، وعلى رأسها بني طرف في الحويزة والباوي على الكارون. انتهى هجوم إنجليزي ليلي على الموقع التركي إلى الفشل (بداية مارس/ آذار). لكن الأتراك تراجعوا إلى الكرخة، على الرغم من حصولهم على تعزيزات جديدة، لأنهم لم يكونوا يثقون تماماً بمرافقيهم العرب. ثم تراجعوا بعد ذلك إلى عمارة بعدما بلغهم نبأ انتصار الإنجليز قرب الشعيبة في (12 ـ 14 أبريل/ نيسان). وبذلك كانت الحرب بالنسبة لعربستان قد انتهت.

تحت حماية الاحتلال الإنجليزي وسع خزعل نفوذه أثناء الحرب وفي أعوام السلم الأولى كان يتعين على حكام الإقليم[1] أن يرقصوا على أنغامه. لكنه كان يريد المزيد. وقد أدى سقوط فارس ونشوء دول عربية، وإن كانت مستقلة جزئياً فقط، إلى إيقاظ لديه فكرة انفصال بلاده عن فارس. وفي عام 1922/ 1923م بدأ الدعوة لمشروعه هذا في الإقليم نفسه وفي الخارج. ولكن قبل أن يتمكن من تحقيقه انتزع ما في يديه من أوراق[*].

---

(1) منذ نهاية القرن التاسع عشر كانوا يقيمون في شوشتر، كما كانوا يفعلون أحياناً قبل ذلك.

(*) إن الهدف الأساس لسياسة بريطانيا نحو إيران بقي يتوخى وكما في السابق، تأسيس حكومة قوية تقضي على الحركة الوطنية في الداخل وتحمي الهند والعراق وغيرهما من الخطر البلشفي وتضمن المصالح النفطية لبريطانيا في الجنوب.

د. كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، ص 142 ـ بغداد 1985م. (ماجد شبّر).

في 21 فبراير/ شباط 1921 دخل قائد قزّاق الفرس[1] الجنرال رضا خان إلى طهران وشكل حكومة جديدة تولى فيها منصب وزير الحربية. وبعد أيام قليلة تخلت روسيا السوفييتية عن جميع الامتيازات والمطالب التي كانت تتمتع بها بموجب اتفاقية مع الحكومة القديمة من أيام القياصرة، وعلى إثر ذلك ألغت الحكومة الجديدة الاتفاقية الفارسية الإنجليزية لعام 1919م ـ وهي خطوة مست بريطانيا في الشكل ولكنها لم تمسها في الموضوع لأنها كانت أصلاً قد أخذت على عاتقها في الشرقين الأدنى والأوسط التزامات تفوق طاقتها. وبعد وقت قصير بدأ رضا خان يعمل على إقامة حكم دكتاتوري. ففي أكتوبر/ تشرين الأول تولى شخصياً رئاسة الحكومة، وفي 14 فبراير/ شباط 1922م فرض بالقوة تعيينه قائداً عاماً للقوات المسلحة. وبذلك خرق الدستور الذي يعطي هذا المنصب للحاكم وحده.

وكان رضا خان قد بدأ، مذ كان قائداً للقزّاق، بالقضاء على بؤر الاضطرابات التي تشكلت في نهاية الحرب، نتيجة المعارك الحدودية بين القوات الإنجليزية والسوفييتية، في بحر قزوين وعند أورميا رضائية. وفي عام 1923م قرر تنفيذ المهمة الصعبة وهي إخضاع الأقاليم الجنوبية الغربية. ولم تكن عربستان وحدها مهددة. فقد كان اللوريون المنقسمون إلى مجموعات صغيرة لا حصر لها والمعارضون لكل سلطة قد قطعوا مرة أخرى طريق بروجرد ـ خرم أباد ـ ديزفول[2]، كما أن الطريق المارة في جبال بختيار والمؤدية من أصفهان إلى الأهواز لم تكن آمنة. في عام 1923م أرسلت لأول مرة قوة صغيرة على طريق بختيار إلى شوشتر؛ لكنها لم تصل إلى هدفها وإنما قتل سكان الجبال الجزء الأكبر منها. ثم جاءت كتيبة ثانية وعبرت المنطقة دون قتال (خريف 1923م). وتبع ذلك بعض

(1) أسست هذه القوة عام 1879م وكانت بإمرة ضباط روس وتحت قيادة الشاه والقائم بالأعمال الروسي مجتمعين. وبعد فشلها في قمع الثوار على بحر قزوين عام 1920م استبدل الضباط الروس بضباط فارسيين كان بينهم رضا الذي استلم بعد وقت قصير قيادة الفرقة.

(2) كانت تستعمل كثيراً عام 1917م لأن غالبية المعابر الأخرى إلى المرتفعات الإيرانية كانت مغلقة بسبب العمليات الحربية.

الإجراءات الإدارية، المحاولات الأولى لرفع مكانة الحكومة التي كانت حقوقها تقتصر حتى ذلك الحين على الجمارك والبريد والبرق والوكالة التابعة لوزارة الخارجية في المحمرة[1].

شعر خزعل خان بالخطر وقرر، بالاتفاق مع الحاكم المحلي والقائد العسكري في شوشتر، تجهيز بعض زعماء البختياريين والقبائل في كوهقلو لإعلان الثورة.

ومن أجل إخفاء الأسباب الحقيقية للثورة، وأملاً في كسب تأييد خصوم الدكتاتور في فارس، أعلن المتآمرون أن رضا خان خرق الدستور وانتهك حقوق السلطان أحمد شاه. وقام الشيخ خزعل بإرسال هذا البيان برقياً إلى الجمعية الوطنية والبعثات الأجنبية في طهران وطالب في الوقت نفسه بحل الجيش الجديد. وكان هذا بمثابة إعلان حرب. فأرسل رضا خان قواته لشن هجوم مكثف على عربستان، وتقدم الجيش على الطريق القديمة الآتية من شيراز. وفي أكتوبر/ تشرين الأول ونوفمبر/ تشرين الثاني 1924م حدثت بعض الاشتباكات على حدود الإقليم أسفرت في كل مكان عن تراجع الثوار.

كانت رام هرمز المدينة الوحيدة التي دافع عنها البختياريون ببسالة. وفي شوشتر ضايقت عصابات الأغاوات أنصار الحكومة والحامية الصغيرة الموجودة في القلعة لكنهم ما لبثوا أن تفرقوا عندما بلغهم نبأ وصول القوات الحكومية إلى ديزفول. وهكذا انهارت المقاومة في كل مكان، لا بل إن بني طرف ثاروا ضد الشيخ خزعل. وفي أول ديسمبر/ كانون الأول وصل رضا خان شخصياً إلى الأهواز/ ناصري و بعد وقت قصير من زيارته استقبل خزعل.

بعد ذلك أصدر رضا خان عفواً عاماً عن جميع الثوار. وبعد قيامه بزيارة أهم مدن الإقليم عاد عن طريق المحمرة وبغداد (!) إلى طهران. ومنذئذ عاش خزعل

---

(1) أقيمت في إطار فتح الكارون عام 1889م للمواصلات مع القنصليات.

كشخص عادي في قصره في المحمرة، إلى أن اعتقل عام 1925م ونقل إلى طهران.

بعد انهيار الثورة بدا أن الماضي قد استيقظ من جديد: فقد تولى شيخ الحويزة الشرعي الحكم هناك ودخل رجل من عائلة شيخ المشايخ إلى فلاحية. لكن الآمال سرعان ما تبخرت. فقد حل موظفون فرس محل زعماء القبائل. وكان السكان ينتظرون من نظام الحكم الجديد تحريرهم من الضغط السياسي والمالي الذي تعرضوا له تحت حكم خزعل. لكنهم أصيبوا بعد وقت قصير بخيبة أمل: بعد بضع سنوات أعيد فرض الضرائب الباهظة وبدأ القمع السياسي من جديد.

في بداية عام 1928م حدثت قلاقل في أوساط كعب احتجاجاً على ارتفاع الضرائب. وقُمع المشاغبون بالقوة لكن الحركة ظلت مستمرة ووصلت إلى بني طرف وقبائل أخرى، ولم تتوقف حتى الشتاء بعد استخدام القوات المسلحة والطائرات ضدها. ومنذئذ ساد الهدوء في الإقليم. وكانت المدن المستفيد الأول من هذا الوضع وشهدت تزايداً سكانياً كبيراً[1]، بينما عانت الزراعة، كما في كل مكان في فارس، من ضغط الضرائب المتزايدة باستمرار ومن الإدارة البيروقراطية. ومن أجل الخط الحديدي الذي تقرر مده عبر إيران من الخليج العربي حتى قزوين، بني مرفأ بندر شاهبور الجديد لأن المرفأ القديم، بندر معشور، لم يعد يمكن الوصول إليه من خور موسى. وأقيمت ورشات عمل في الأهواز، العاصمة الجديدة للإقليم. وفي عام 1932م كان المقطع المار عبر خوزستان: بندر شاهبور ـ أهواز ـ شوش ـ صالح أباد قد أنجز.

وللأسف أدت العادة السيئة التي لا تقتصر على فارس، وهي إعادة إحياء

(1) حسب التعداد السكاني العام الذي أجري في عهد حاكم الإقليم بهرام ميرزا معز الدولة 1286هـ/ 1869م ـ 1870م كان عدد سكان شوشتر 13839 نسمة وعدد سكان ديزفول 27436 نسمة، وبعد ذلك تراجع عدد سكان المدينتين، كما يتبين من تقديرات الرحالة الأوروبيين، للأسباب المذكورة في الصفحة 29 أعلاه، بينما أصبح في عام 1933م: 21950 و49931 نسمة. كان عدد سكان المحمرة آنذاك 21825 والأهواز 31950 نسمة.

الماضي الميت منذ زمن طويل، إلى إعطاء أماكن الإقليم أسماء جديدة. فأصبحت الفلاحية شادقان، وصالح آباد أندمشك، وبني طرف شته ميشان[1]، والخفاجية سوزنجرد، والمحمرة خرم شهر. وكانت هناك بعض التغييرات الطفيفة في اللفظ وطريقة الكتابة لبعض الأسماء العربية الأخرى بحيث تتلاءم مع اللفظ الفارسي، فأصبحت عبادان آبادان، والحويزة هاويزا.

من الإجراءات السياسية الخارجية التي اتخذها رضا شاه[2] لم يمس خوزستان سوى إجراء واحد. بموجب الاتفاقية تاريخ 4 يوليو/ تموز 1937م أصبحت الحدود الفارسية العراقية في المقطع الممتد من آبادان حتى مصب شط العرب[*]، والتي كانت حتئذ تسير بمحاذاة الضفة اليسرى، تمر في منتصف النهر. ثم أدت معاهدة الصادقة الموقعة بين البلدين في 18 يوليو/ تموز إلى إخماد مشاعر المرارة التي تولدت في العراق عن سقوط خزعل خان وعن الإجراءات المعادية للعرب التي اتخذتها الحكومة الفارسية[**].

لم يمس احتلال الحلفاء لإيران (بدأ في 25 أغسطس/ آب 1941) وسقوط رضا

---

(1) مأخوذة من تقسيم السواد القديم الذي أخذه العرب عن الساسانيين: دستميسان، ميسان.

(2) أصبح شاهاً منذ 12/ 12/ 1925.

(*) أعلنت الحكومة الإيرانية عن إلغائها للاتفاقية الحدود لعام 1937 الموقعة بين العراق وإيران في يوم 19/ 4/ 1969م، في عام 1975م تنازلت الحكومة العراقية القومية عن نصف شط العرب ومنحته لإيران وكان ذلك في اتفاقية عرفت باتفاقية الجزائر وقد وقع هذه الاتفاقية عن الجانب العراقي نائب «رئيس الجمهورية» صدام حسين وعن الجانب الإيراني الشاه محمد رضا. وفي عام 1980م ألغت الحكومة العراقية الاتفاقية (اتفاقية الجزائر) بأمر من صدام حسين وبعد عشرة سنوات وفي عام 1990م عاد صدّام حسين ووافق على إتفاقية الجزائر مرة أخرى بعد حرب ضروس قتل فيها أكثر من مليون إنسان باسم الدفاع عن البوابة الشرقية والحقوق المغتصبة في الأرض والمياه!!. (ماجد شبّر).

(**) لقد رشح الشيخ خزعل نفسه ليكون أميراً على العراق ولكن المندوب السامي البريطاني كوكس لم يؤيد الشيخ خزعل. وقد كتب الشيخ خزعل إلى كوكس أن الحكومة البريطانية تبحث عن أمير للعراق وليس هناك مرشح لائق وأن تسعه أعشار العراق هم شيعة والأمير يجب أن يكون شيعياً أيضاً وإني مواطن عراقي [علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج6، ص 77] (ماجد شبّر).

شاه في (16 سبتمبر/ أيلول من العالم نفسه) خوزستان إلّا قليلاً. ولم تحدث اضطرابات هنا إلّا بعد وقف إطلاق النار ولكنها ما لبثت أن تراجعت بعد وقت قصير.

خلال الاضطرابات السياسية الداخلية والصراع على النفط بدأ الشعب الإيراني يهتم "بالغرب البعيد" من بلاده. في كل مكان كان هناك طلائعيون يتوجهون إلى العلم والعيش في الأرض الجديدة. كما أن الدافع الديني لم يكن غائباً كلياً؛ إذ إن أتباع الطائفة البهائية كانوا يشعرون هناك بالأمان أكثر من وطنهم. لكن الشباب المتعلمين كانوا يخافون من المناخ والأوساخ والحرمان وكانوا يضطرون، تحت التهديد بوقف ترفيعهم وتشجيعهم، إلى قبول العمل فترة من الزمن في خوزستان. وقدمت الحكومة كثيراً من الدعم للزراعة. لكن وضعاً سيئاً واحداً ظل قائماً وهو: عدم توفر ضمانات قانونية لبقاء الأراضي التي يستأجرها الفلاحون من إدارة الخالصة في أيديهم. وتجدر الإشارة إلى أن مساحة الإقليم الحالي، أوستان، خوزستان أكبر من الإقليم السابق وخاصة في الشرق.

يبدو أنه لم يتبق من حياة البداوة سوى انتقال الرعاة، وليس القبائل، في بعض المناطق بين مناطق الرعي الشتوية في الجنوب والصيفية في الشمال. وتستغل المساحات التي تغمرها المياه في موسم الفيضان في أول الصيف والواقعة على الحدود العراقية لتربية الجاموس وزراعة الأرز بالطريقة التقليدية المتبعة لدى المعدان. وفي القرى الجديدة التي يسكنها أناس من قبائل مختلفة يضعف شيئاً فشيئاً الشعور بالانتماء القبلي وتضيع علاقات القربى البعيدة ضمن القبيلة، وخاصة لدى الأشخاص القادمين من جماعات معزولة صغيرة. إذ إن وزن القبائل الكبيرة لم يزل ظاهراً بشكل واضح في الأماكن التي تشكل فيها هذه القبائل الأكثرية السكانية.

اللهجة العامية الفارسية للعرب في خوزستان غير معروفة، وينطبق الشيء نفسه تقريباً على اللهجة العامة العربية. وتنتشر المدارس المعارف الفارسية دون أن تعيق انتشار المعرفة العربية. وهذا أمر لا يلحق الضرر بإيران، إذ إن قوة جذب القومية العربية تضاءلت جداً بسبب المصير المنحوس الذي أصاب البلد المجاور، العراق.

لا بل يمكننا القول أن قوة الجذب هذه، فيما عدا عند خزعل خان، لم تكن فعالة أبداً(*).

سنورد فيما يلي فكرة عامة عن قبائل هذا الفصل لأن جزءاً منها قد سبق وعالجناه في الجزء الثالث، وجزءاً آخر لا يمكن معالجته بسبب نقص المعلومات والأخبار. يستند الجدول إلى المختارات التي أخذها كورزون (الجزء الثاني، 321) من قائمة روبرتسون، وإلى القوائم التفصيلية والعروض المختصرة لآرنولد ويلسون (عند فيلد، 189 ـ 199)، وإلى المعلومات الموجزة الواردة عند رزمارا في «الجغرافيا العسكرية لإيران، فصل خوزستان (عند لامبتون، 291) :Razwara Military Geography of Persia, Vol. on Chuzintion.

(*) لم تكن الحكومات المتعاقبة في العهد الملكي والعهد العارفي والبعثي تنظر إلى عربستان وسكانها العرب بعين العطف والدعم والمساندة، بل كانت نظرتها يكتنفها الشك والريبة لكون أهل عربستان شيعة عرب وبتالي "فهم عجم". ومن هنا لم تكن تلك الحكومات ترغب بأن تشد الروابط بين القبائل والعشائر العربستانية وإخوانهم وامتداداتهم العشائرية في العراق، إن عمل مساند ومؤيد كهذا من قبل الحكومات يعني إضافة كم جديد من الشيعة العرب للعراق وهذا ما لم يكن مرغوب به.
«لقد قام وزير المعارف المرحوم محمد رضا الشبيبي في عام 1935 بفتح مدرستين ابتدائيتين في مدينة المحمرة والأحواز تطبيقاً لمبدأ المعاملة بالمثل وأسوة بالمدارس الإيرانية العاملة في العراق».
وفي عهد الزعيم عبد الكريم قاسم ارتفع عدد المدارس العراقية في إيران وفي الذات في عربستان، محاولة من حكومة الجمهورية الأولى في المساعدة للحفاظ على بقاء اللغة العربية في عربستان بوجه الحملة الإيرانية لتفريس عربستان وسكانها.
[الأحواز د. نصار أحمد الخزعلي، ص 302]. (ماجد شبّر).

القبائل العربية في خوزستان «عربستان»

نظرة عامة

القبيلة	منطقة الإقامة	طريقة الحياة	عدد الخيام
قبائل الحويزة(1)	دشته ميشان وناحية الحويزة	في السابق نصف رحل	
بني طرف(2)	دشته ميشان	يعيشون مثل المعدان تقريباً	8000
بني لام(3)	المجرى الأوسط لنهر الكرخة		
الكنانة(4)	ـ	في السابق بدو رحل	1750
العبد الخان(5)	ـ	مستقرون	1300
الخزرج(6)	ـ	في السابق نصف رجل	1250
الصرخة(7)	ـ	في السابق نصف رجل	850

(1) انظر الصفحة أدناه 47.

(2) انظر الصفحة أدناه 58.

(3) انظر الجزء الثالث، 654 ـ 676. بالإضافة إلى الجماعات التالية يوجد أيضاً: آل باجي (خورشيد، 89؛ تلفظ بايي)، وآل دهيمي ـ في الأصل زبيد؛ أربع عائلات منهم موجودة في حميدية (برهانيات، 56). المراونة، الذين يسكنون قرب ويس على الكارون جاؤوا إلى الحويزة 1259هـ/ 1843م. آل روبّان (ويلسون، عند فيلد) فيما عدا ذلك غير معروفين.

(4) هنا كنانة! انظر الجزء الثالث، 673، 1. الدريسات (نفس المكان، 1ب) هم من ربيعة (الجزء الثالث، 505 ـ 516) التحقوا في وقت مبكر جداً بالكنانة.

(5) انظر الجزء الثالث، 664.

(6) انظر الجزء الثالث، 673، 3. هناك يلفظون خزرَي، هنا؟.

(7) انظر الجزء الثالث، 673، 4. نصفهم في العراق. بعد عام 1900 جاء آل حميد: 100 عائلة ـ (ويلسن عند فيلد)؛ يبدو أنهم قد نموا جداً بعد ذلك، لأن رزمارا يذكرهم كقبيلة خاصة على الكرخة (الصحيح: "حُميَد" وليس "هُميَه".

القبيلة	منطقة الإقامة	طريقة الحياة	عدد الخيام
بنو تميم = بنو مالك(1)	بين الحويزة والأهواز	فلاحون ورعاة	2200
الحميد(2)	شرق الكارون، جنوب بنده قير	مستقرون	900
عنا فجة(3)	بين آبه دز وآبه قرقر	مستقرون	600
آل كثير(4)	بين كرخة وشطيط	مستقرون	4000
آل محيسن(5)	الضفة اليمنى للكارون الأدنى، ضفتا شط العرب	مستقرون	5900
كعب(6)	الضفة اليسرى للكارون الأدنى، الفلاحية/ شادقان	مستقرون	6000
الباوية (باوي)(7)	شرق وجنوب شرق الأهواز	أصبحوا مستقرين	2300

(1) انظر الصفحة أدناه 67.

(2) كورزن؛ الخريطة، بشيرة؛ ويلسون عند فيلد، نصف رحل، متحالفون مع الباوية... استوطنت 750 عائلة من القبيلة قرب ندافية على الكارون وحتى مسافة 15 ميلاً جنوباً ويطلق عليهم اسم العوامر، واستوطنت 150 عائلة في ناحة الجراحي، ويسمون بيت مواجد.

(3) انظر الصفحة أدناه 70.

(4) انظر ص أدناه 73.

(5) انظر ص أدناه 94.

(6) انظر ص أدناه 81.

(7) انظر ص أدناه 121.

القبيلة	منطقة الإقامة	طريقة الحياة	عدد الخيام
الشريفات[1]	على الجراحي وعلى الهنديان	مستقرون	750
آل خميس[2]	رام هرمز	فلاحون ورعاة	800

إضافة إلى ذلك كان هناك عدد من القبائل الصغيرة، ولعلها لم تزل موجودة حتى اليوم. لكن واحدة فقط مثبتة في الوقت الحاضر (الغريب أنها غير مثبتة في الماضي)، وهي الطريفي الذين يعيشون من تربية الجواميس في الشريط ديزفول ـ شوشتر ـ عقيلي ـ شعيب حيث تخرج الأنهار من الجبال. وهم يأخذون بانتظام حيوانات من سكان المدن والفلاحين ويتكفلون بحمايتها ورعايتها بموجب عقد (تراز) يحدد بدقة الإيجار وتوزيع الخلف والمسؤولية عن الخسائر[3]، بما يشبه القواعد المتبعة في سورية عندما يقوم البدو بتربية الإبل العائدة لملاكين غير بدو.

بعض القبائل لا يوجد فيها فلاحون وتجار ومستقرون آخرون مرتبطون بها. ولهذا الأمر علاقة بالنظام الضريبي ـ مثال على ذلك في الصفحة 28 ـ بحاجة هؤلاء الجماعات إلى الحماية. وهكذا يُذكر في قائمة لبني طرف[4] تعود إلى ما قبل الحرب العالمية "سوق البسيتين" و "سوق الخفاجية"، أي تجار هاتين القريتين، ويذكر أيضاً أهل الشاخة[5]، أي سكان قرية الشاخة. وبين القبائل التي يزيد عدد

(1) انظر ص 127 أدناه.

(2) نيبور (1765م) آرابيين (بلاد العرب)، 388: عند الحويزة. هاجروا في وقت لاحق إلى منطقة رام هرمز. لايارد (1841م)، ص 13، يقول: بعد إعدام شيخهم مصلط من قبل زعيم البختياريين محمد تقي خان في الثلاثينيات انتقلت أكثرية القبيلة إلى الجهة الأخرى من الكارون لكنهم عادوا بعد ذلك بوقت قصير. لم يكونوا يملكون آنذاك أي قرى. ويلسون عند فيلد: في رامز وفلاحية؛ رزمارا: في رام هرمز.

(3) لامبتون، ص 150 وما بعدها.

(4) ويلسون عند فيلد، 199.

(5) نهر فرعي، قناة، يبدو أنه يوجد في خوزستان عدة أماكن بهذا الاسم.

رجالها على 500 رجل قادر على حمل السلاح، والتي اختارها كورزن (الجزء الثاني، 321) عام 1889م من قائمة أعدها القنصل البريطاني في البصرة، يرد ذكر الجرف. ويصف برهانيان اسم أسرة جرفية في الحميدية بأنه "اسم قرية". ولكن أين هي، أو أين كانت، هذه القرية؟

لقد شرحنا في الجزء الثالث من هذا الكتاب (ص 272) كيف حصل السادة، المنحدرين من سلالة النبي، في العراق الأدنى على الأملاك والنفوذ. وبما أن الهجرة إلى خوزستان جاء معظمها منذ العصور الوسطى من جنوب العراق، فلا عجب في أن نجد السادة هنا يتمتعون بمكانة مماثلة. في عام 1841م كانوا يملكون كثيراً من القرى في منطقة آل كثير، ولم يزل العديد منها موجوداً على الخارطة، شمال الجزيرة العربية 1922م، وفي جزيرة عبادان/آبادان كان يوجد في بداية هذا القرن 400 عائلة من السادة، وفي ناحية حميدية يوجد ثلاث مزارع تحمل لقب سيّد...[1].

فيما سبق عالجنا العرب في خوزستان، ولكن هذا لا يشكل سوى مقطع صغير من تاريخ الأقوام العربية على الأرض الفارسية الإيرانية. فالموانئ القليلة على ساحل الخليج العربي كانت قبل الإسلام مزروعة بالعرب وبقيت كذلك حتى الآن. وفي عهد كريم خان كان "يحكم" في بوشهر/بوشيرة، وفي بندر ريق القريب من البصرة، الشيخ ناصر ومير مهنا. ويتحدث كارستن نيبور[2] بطريقة طريفة في "وصف رحلة" عن الحرب العظمى بين الأسطول الفارسي المؤسس حديثاً والإنجليز، الذين كان يمثلهم عميل لشركة الهند الشرقية وسفينة، والهولنديين المجهزين تجهيزاً سيئاً، والشيخ ناصر، وقرصان البحر مير مهنا، والتي اندلعت في صيف 1765م. سنصادف المير مهنا مرة أخرى في مقال الشريفات. وقد يكون من أحفاد هذا القرصان.

(1) لايارد، 33؛ ويلسون عند فيل، 192؛ برهانيت، ص 30 (سَيْدا!).

(2) نيبور الجزء الثاني، 95 وما بعدها، 181 ـ 196.

عشائر الحويزة[1]

قام بتأسيس الحويزة في حوالي عام 980م زعيم أسد، دبيس بن عفيف، الذي نزل هناك ونصب خيامه. وكان دبيس قد برز كقائد عسكري في خدمة البويهي شرف الدولة ويبدو أنه كافأه على خدماته ومنحه هذا الشريط من الأراضي الذي سمي فيما بعد "جزيرة دبيس" أو "جزيرة بني أسد". وكانت الجزيرة تمتد بين الطيب والكرخة ودجلة "الأعور" وتضم إلى جانب الحويزة المدينتين الصغيرتين طيب وقرقوب، وربما أيضاً المذار[2]. وقام أبناء دبيس، الذين كانوا يسكنون في حلة بني دبيس قرب الحويزة، بخوض حرب مع أصهارهم، المزيديين من النبل

(1) يستند المقال، ما لم يشر إلى خلاف ذلك، إلى مقالين لكاسل: "مهدي القرن الخامس عشر" و"ولاة الحويزة"، إسلامكا، العدد الرابع (1929م) 39 ـ 93؛ العدد السادس (1934م) 415 ـ 434. وهناك مواد جديدة هامة مذكورة في الفصول ذات العلاقة للكاتب كسراوي تبريزي: تاريخ بانصد سالية خوزستان، طهران 1313هـ/ 1934م؛ إذ إن الكسراوي استعمل مخطوطات من مصدرين فريدين هما: كلام المهدي، مجموعة من الرسائل والمواعظ والخطب والقوانين للسيد محمد بن فلاح، وتاريخ عائلة أحد خلفائه سيد علي الثاني من الحويزة (بداية القرن الثامن عشر). وللأسف فإن بيانات المصدر الأخير غير موثوثة، وهذا ما لاحظه الكسراوي أيضاً، ص 66. ولكن الأمر ليس أفضل عند الكسراوي نفسه وذلك بسبب الأخطاء المطبعية الكثيرة.

(2) انظر الجزء الثالث، ص 254 وما بعدها. كانت قرقوب تقع في منتصف الطريق بين طيب وشوش.

(انظر الجزء الثالث، ص 635)، دفاعاً عن ميراثهم لكنهم خسروا هذه الحرب عام 418هـ/ 1028م لصالح زعيم آخر من أسد. وفي نهاية القرن الحادي عشر قُتل حفيد لهذا الزعيم في خدمة السلجوقيين، وكان هذا الحفيد آخر حاكم "الجزيرة دبيس" سمعنا به. وعندما زار ابن بطوطة 1327م مدينة الحويزة كان سكانها من الفرس. ولكن كانت تسكن هناك، في المدينة أو على مقربة منها، قبيلتان عربيتان، وهما المزرحة وبنو مغيزل، وذلك عندما استولى في عام 845هـ/ 1442م المهدي محمد ابن فلاح على المدينة وأصبحت مركزاً لدولة عربية صغيرة[1].

وُلد سيد محمد بن فلاح في بداية القرن الخامس عشر في واسط. وكانت عائلته تنتمي إلى الشيعة. ويقال بأن أجداده جاؤوا من المدينة (المنورة) وكانوا يعتبرون من سلالة النبي. وفي وقت مبكر أحس محمد بأن القدر قد اختاره لشأن عظيم. وقد وجه مولدُه وتربيتُه طموحَه في اتجاه ديني. وبما أنه لم يكن يصلح لأن يكون معلماً ولا رجل دين فقد ظن أن الله قد اختاره ليكون المهدي، تلك الشخصية التي ستظهر في آخر الزمان لكي تنشر العدل في الأرض. وحسب اعتقاد الشيعة[*] فإن المهدي هو الإمام الثاني عشر العائد، الذي اختفى في عام 260هـ/ 874م، وما زال منذئذ يرعى أمته "حجة الزمان" دون أن يراه أحد. ولكن كيف

---

(1) ياقوت، الحويزة؛ ابن الأثير، الجزء العاشر، 17، 45، 73، 90، 157، 174 وما بعدها، 216، 259، 448؛ الجزء العاشر، 5، 232؛ ZDMG 90 (1936م)، 373 ـ 398؛ قاضي نورالله الشوشتري، مجالس المؤمنين، مجلس 8، جند 16؛ ابن بطوطة، الجزء الثاني، 93.

(*) ليس فقط الشيعة الذين يعتقدون بظهور المهدي ولكن المذاهب الإسلامية الأخرى تعتقد كذلك بظهور المهدي ولكن الفرق بين المدارس هو، من هو المهدي المقصود؟.

تعتقد الشيعة الإمامية بأن الإمام الثاني عشر هو "محمد بن الحسن العسكري" هو المهدي وهو حجة على العباد.

أما المذاهب الإسلامية الأخرى تعتقد بظهور المهدي ولكنه يولد في آخر الزمان ويملئ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. لقد ظهر في التاريخ الإسلامي القديم والحديث أشخاصاً أدعو بأنهم المهدي ولم يكونوا من مذهب الإمامية الاثنا عشرة كما هو الحال في ظهور المهدي والثورة المهدية في السودان من القرن التاسع عشر. (ماجد شبّر).

سيستطيع سيّد محمد تشخيص المهدي، كيف سيستطيع ابن فلاح تشخيص ابن الحسن العسكري[1]، الإمام الحادي عشر؟ كان محمد بن فلاح مؤيداً لاتجاه الشيعة الإثني عشرية ومؤمناً بأن الأئمة الإثنا عشر هم الخلفاء الشرعيون للنبي، ولكنه كان يعتنق في الوقت نفسه تعاليم باطنية ترى أن الأنبياء والأولياء والأئمة ما هم إلّا ظهورات مؤقتة لشخصيات أبدية يمتزج أحدها في الآخر. وهكذا أعلن أن الكائن الذي تمثل في الماضي في شخص ابن الحسن العسكري يتمثل الآن في شخص ابن فلاح.

ورث سيد محمد عن الباطنية حقداً رهيباً على أصحاب المعتقدات الأخرى كان يعلنه صراحة بالقول والفعل. إضافة إلى ذلك فقد كان لديه كثير من الصفات المنفرة: كان يكذب ويغش لأغراض دبلوماسية وإيمانية. ومع ذلك سيكون من الخطأ ألا نرى فيه سوى مجرد رجل دجال (كما يفعل الكسراوي). ففي نقطة واحدة على الأقل كان صادقاً: كان مؤمناً برسالته. خمسة عشر عاماً من الرفض والاستهزاء ومن الاحتقار والملاحقة لم تنل من عزيمته ولم تهز قناعته، كما أن التجارب المريرة التي خاضها فيما بعد مع ابنه لم تؤثر عليه. ومن هذه التجارب الحياتية استنبط تعبير الامتحان الذي يشكل نواة تعاليمه. كان يعتقد بأنه أرسل ضعيفاً إلى الأرض حيث يكون الحد الفاصل بين المؤمنين والكفار قبل أن يظهر في أبهته العظيمة لكي يخضع العالم لسلطته[2].

بعد أعوام من خيبات الأمل التي دفعته من مكان إلى آخر[3] وجد المهدي

---

(1) يتحاشى الشيعة الإثنا عشرية تسمية الإمام الغائب باسمه (محمد).

(2) حسب مقتطفات من كلام المهدي، كسراوي، 20 ـ 24؛ 7 2 ـ 37؛ 274 ـ 277.

(3) تفيد الحوليات الفارسية المعاصرة الجعفري، التي درسها بارتهولد ثم نشرها هينتس، ZDMG 90، (1936)، 396 وما يليها، بأنه عاش ، بعد رحلة إلى خراسان والعراق، زمناً طويلاً في شوشتر. لكن المهدي نفسه لا يتذكر سوى إقامة "في الجبال"، يرى كسراوي (ص 10) أن المقصود بذلك لورستان. وما يرويه جعفري عن كتابات المهدي يبدو غير معقول، وخاصة عندما يقول إنه قرأ شخصياً مقالاً له يحلل فيه جميع المحرمات.

أخيراً أنصاراً بين معدان وطنه المحتقرين (انظر الجزء الثالث، 679)؛ وكانوا ينتمون إلى قبيلة بني سلامة. وبعد وقت قصير جمع حوله في منطقة الكوت (الأمارة) الحالية مجموعة أكبر من السودان وبني طي (انظر الجزء الثالث، 685). وهو نفسه يعيد هذا النجاح إلى الشعشعة، إشعاع العالم السماوي، وهي كلمة حصل منها المهدي وأتباعه وخلفاؤه على لقب مشعشع[*]. وقد يعني أيضاً الذكرَ، الصلاة والدعاء، الذي كان يعلمه لأتباعه، وآثارَه السحرية. وهم يعتقدون أن النار والسيف لا يؤثران على المشعشع إذا ما كان في حالة الانتشاء التي يصل إليها أتباع الطرائق الصوفية الإسلامية عن طريق ممارسة تمارين معينة.

في عام 844هـ/ 1440م شعر المهدي بأنه قوي بما فيه الكفاية لكي يحقق حلمه في احتلال العالم عن طريق الجهاد. وباءت محاولة للتقدم نحو الشمال في اتجاه جصّان[1] بالفشل لكنها جلبت له رغم ذلك مزيداً من الأنصار بحيث تمكن بعد ذلك بوقت قصير التعويض عن الخسارة. ففي دوب الواقعة بين دجلة والحويزة كسب إلى جانبه قبيلة المعدان (؟) معاوية (نيس)[2]. وبعد تجميع جميع أنصاره بدأ في نفس العام سلسلة من الحملات الناجحة التي أوصلته إلى أمام الحويزة وأمام واسط وإلى الجزائر (845هـ/ 1441م ـ 1442م). لكنه كان في حاجة إلى مكان ثابت إذا ما أراد المحافظة على جيشه؛ إذ إنه كان قد تعلم من التجربة أن تجميع عدد كبير من الناس في المستنقعات أو البوادي يؤدي إلى المجاعة وانتشار الأوبئة. وبعدما تبين له أن واسط قوية جداً توجه إلى الحويزة. وإذا ما كان حتئذ يواجه قوات حكام

(*) يقول الشاعر العراقي السيد بحر العلوم حول المشعشعين ما يلي:

مشعشع الخد كم دبت عقاربه لوجنتيه وكم سابت أفاعيه
وسجر النار في قلبي وحل بها إن المشعشع نار ليس تؤذيه

(القبائل والعشائر العربية من عربستان، يوسف عزيزي بني طرف ـ دار الكنوز، ص 98). (ماجد شبّر).

(1) هكذا جاء الاسم عند كسراوي، 10، بينما جاء "حصان" في المجالس، إسلامكا العدد 4، ص 65. وقرية شوفه المذكورة هناك، المصدر نفسه، تحمل اسم هور الشويجة/ شويكة.

(2) هكذا سيّد علي عند كسرواي، 11؛ مجالس، المصدر السابق نفسه: معاوي.

محليين أمثال بني قيّان (عباده) والعليان (جزائر)، فقد اصطدم الآن بجيوش أمراء البلاد، القره قويونلو في بغداد والتيموريين في فارس وخوزستان. وانتصر على الجيش الفارسي المنغولي الذي جاء لإنقاذ الحويزة، لكنه اضطر إلى الخروج من المدينة خوفاً من أمير القر قويونلو الذي كان في هذه الأثناء قد اجتاز الحدود. غير أن أمير القره قويونلو قرر الانسحاب لكي يتفادى نزاعاً مع التيموريين، وهكذا تمكن المهدي في النهاية من الدخول إلى الحويزة[1]. وبعد وقت قصير توجه على رأس جيشه إلى العراق. عندئذ انضمت إليه القبائل البدوية الكبيرة في واسط وهي، عبادة وسعد وأسد، حيث وفر له انضمامها غطاء مكنه من عبور الفرات والاستيلاء على الرماحية.

لا يمكننا هنا الحديث إلّا باختصار شديد عن أفعال وفظائع ابنه مولى[2] علي الذي فاق إباه كثيراً بأن أعلن أنه يجسد الإمام علي، السر الذي يدور في الفضاء، وقام بتدمير ضريح علي الأرضي في النجف[*] وبتدمير واسط (858هـ/ 1454م)، ثم فقد حياته قرب بهبهان بعد إصابته بسهم.

أدت وفاة مولى علي (861هـ/ 1456م ـ 1457م) إلى تحرير المهدي، الذي لم يبق وفياً له في هذا الوقت سوى بقية (قبائل) دوب وكربلاء[3]، من المواقف المحرجة والمخجلة، لكنها ألقت على كاهله عبئاً جديداً. كان أمير عباده، ناصر

---

(1) جعفري، الذي ينتهي تقريره هنا، يضيف أن الأمير قدم اعتذاراً لزعيم التيموريين (شاه روخ) بسبب خرق الحدود.

(2) كان هذا اللقب يستعمل في الأسرة إلى جانب لقب "سيّد" الذي كان أكثر انتشاراً، لكن لقب مولى فرض نفسه منذ مولى مطلب (1747م).

(*) أول حملة قام بها المشعشع في 857هـ حصار النجف فخرج له السادة يتضرعون إليه فطلب منهم القناديل والسيوف، فأرسلوا إليه مائة وخمسون سيفاً واثنى عشر قنديلاً ذهبياً وفضياً، وفي 27 ذي القعدة هاجم المشعشع النجف ودخل الضريح "ضريح الإمام علي(ع)" بالحصان ونهب الكنوز الموجودة وأمر بكسر الصندوق "المقام على الضريح" وإحراقه. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين الاحتلالين، ج3، ص 144. (ماجد شبّر).

(3) كلام المهدي، كسراوي، 275. قبيلة دوب هي النيس، أما كربلا فهم نفسهم قبيلة.

ابن فرح الله، قد وحد رجاله البدو مع قوات بغداد لكي يهاجم المشعشع الذين ظنهم قد ضعفوا بعد وفاة قائد جيشهم. فتصدى له المهدي قرب واسط في نهاية عام 861هـ/ 1457م وألحق به هزيمة نكراء.

خلال أعوامه الأخيرة كتب المهدي كثيراً. وقام أيضاً بتوسيع نشاطه التبشيري بين القبائل، إذ إن معدان العراق كانوا، مثل بدو الجزيرة العربية قبل الوهابيين، قد ابتعدوا دينياً. فلم يكونوا يقيمون الصلاة ولا يهتمون بآداب الطعام ولا يتقيدون بتعاليم الطهارة وتعليمات الشرطة الأخلاقية وتنظيم السوق، التي اهتم بها المهدي بشكل خاص وشددها في بعض الجوانب[1].

عندما توفي المهدي في عام 870هـ/ 1465م ـ 1466م ترك لابنه سلطان محسن (توفي عام 914هـ/ 1508م)[2] دولة تضم خوزستان وجزائر وأجزاء أخرى من العراق، بالإضافة إلى قيادة طائفة المشعشع وهالة القداسة. إرث في غاية الخطورة! إذ إن هرطقة المشعشع أعطت مؤسس الدولة الصفوية شاه إسماعيل ذريعة للقضاء على حكمهم (في نهاية العام 1508م/ 1509م)[3].

ولكن بعد وقت قصير نجح حفيد للمهدي في إقامة حكم المشعشع مرة أخرى؛ كان عليه أن يتخلى عن ديزفول وشوشتر ويعترف بالسيادة الفارسية. إلّا أن هذه السيادة كانت غير محسوسة، لا سيما أنها كانت بين حين وآخر تحل محلها السيادة العثمانية: فقد هلل المشعشع للسلطان سليمان بمناسبة احتلاله بغداد (1534م). وفي عام 992هـ/ 1584م أخذ العثمانيون منهم الضفة الشرقية لنهر دجلة

---

(1) كلام المهدي، 29، 32. تجدر الإشارة إلى أن المهدي كان يفتخر بأنه طرد الحرفيين اليهود، وحتى العاملين في صك النقود، من البصرة والجزائر والحويزة.

(2) سيد علي عند كسراوي، 40: 905. لكن التاريخ المذكور أعلاه لا تؤكده العملات المعدنية وحسب، بل وأيضاً مصادر براون: تاريخ الأدب الفارسي في العصر الحديث، 59.

(3) لا يمكنني التطرق هنا إلى اختلاف المصادر الذي تشير إليه «إسلامكا»، العدد 4، 73 وما بعدها. التفسير الحاد الذي يعتمده الكسراوي ينقضه "أحسن التواريخ" لحسني روملو، الترجمة، 47. حسب هذا المصدر هرب (ابن محسن) فياض من الحويزة دون قتال.

وأجبروهم على الاعتراف بسيادتهم على الحويزة. في هذه الأعوام ظهرت الآثار الأولى لتفكك داخلي: النيس والكربلا، دعامتا الأسرة الحاكمة، يتدخلان في الخلافات التي نشبت على الخلافة بين أبناء سيد (مولى) سجاد (948هـ ـ 993هـ/ 1541م ـ 1585م). فقد تولى زنبور الحكم بمساعدة النيس ولكن بعد بضعة أعوام أطاح به ابن عمه مبارك الذي يؤيده الكربلا لأن أم مبارك منهم[1].

سيد مبارك (998هـ ـ 1025هـ/ 1590م ـ 1616م)، الذي قضى في شبابه حياة مغامرة[2]، أعاد للعائلة سمعتها وسلطتها. فقد انتزع دورق من الأفشاريين[3] واحتل جزائر وأجبر البصرة فترة من الزمن على دفع الضرائب له (1004هـ/ 1595م ـ 1596م)[4]. كما أنه احتل ديزفول وقدم الدعم للأفشاريين المتمردين في شوشتر، لكنه كان عاقلاً بما يكفي لتفادي الاصطدام مع شاه عباس الكبير والانسحاب من المدن. أما الشاه عباس فقد عامله بالحسنى لأنه كان يحتاج إلى مساعدته ضد العثمانيين. ومما سهّل التقارب بين الرجلين أن سيد مبارك قضى على بقايا الطائفة المشعشية المغالية[5]. ومنذ سيد مبارك أصبح الحكام يحملون مرتبة والي (عربستان) الحويزة ولقب خان. وكانوا يستدعون أحياناً إلى البلاط وتصاهر العديد

(1) ينبغي استكمال تقرير الكسراوي (ص 56) المؤخوذ عن سيد علي بالحقائق الواردة في الوثائق العثمانية المنشورة في إسلامكا، العدد 4، 84 وما بعدها. التاريخ المأخوذ من سيد علي، المصدر نفسه، بخصوص بدء تولي سجاد الحكم يتطابق مع "أحسن التواريخ"، النص، 301، الترجمة، 136: عندما وصل شاه طهماسب عام 945 هـ إلى أبواب ديزفول احتفى به سيد سجاد. أما التاريخ الذي يضعه سيد علي لوفاة سجاد، عام 992م، فيبدو حسب الوثائق المذكورة مبكراً بعض الشيء، إن لم يكن هنا (ص 56) قد حدث خطأ مطبعي لعام 993.

(2) معروض بصورة رائعة عند سيد علي، انظر المقتطفات عند كسراوي، ص 57 وما بعدها.

(3) انظر الصفحة 19 أعلاه. الكسراوي، ص 59، يعتقد أنهم موجودون هنا منذ حكم التركماني "شمله" الذي يعتبره خطأ من الأفشار لأن "تاريخ قوزيده" ص 550، يقول: حسام الدين شوهلي، أحد أتراك الأقسري، وهو يقرأ الأقسري خطأ الأفشري. وهناك رواية أخرى عن "شمله" (ابن الأثير، الجزء الحادي عشر، 290)، المصدر نفسه، 547 وما بعدها.

(4) فقد دورق عام 1620م، ثم جزائر بعد ذلك بوقت قصير، أخذها منه آخر أسياب البصرة.

(5) كسراوي، ص 64.

منهم مع الصفويين. وكان بعض أفراد العائلة يتلقون تعليمهم وتربيتهم في فارس أو يقيمون، طوعاً أو كرهاً، فترة طويلة هناك.

لقد اطلعنا في الصفحة 19 و20 أعلاه على العواقب التي تمثلت في تراجع قوتهم بسبب الدسائس وفي وقت لاحق بسبب تزايد نفوذ البدو.

كان هؤلاء البدو، في المقام الأول، بنو لام، وهم رعايا عثمانيون لكنهم اعتادوا خلال ترحالهم على دخول منطقة الوالي. فعندما عزل منصور، أخو مبارك، في عام 1624م لجأ إلى بني لام، وفي المائة عام اللاحقة كان بنو لام يقدمون بانتظام الحماية والمساعدة للحكام المطرودين أو لورثة العرش (انظر الجزء الثالث، 658 ـ 659، 663، الملاحظة 2).

في تسعينيات القرن السابع عشر بدأ المنتفق أيضاً بالتدخل في شؤون الحويزة. وقد روينا في الجزء الثالث (515) كيف انتصر فرج الله خان على شيخهم مانع عام 1109هـ/ 1697م ـ 1698م وانتزع منه بعد وقت قصير البصرة. وفي عام 1111هـ/ 1699م ـ 1700م عزل فرج الله فطلب الحماية عند مانع ثم شن بمساعدة المنتفق حملة ضد عمه هيبة (الله). فتصدى له هيبة الله بواسطة قبائل الحويزة، آل كثير وآل خميس وآل فضول (بني لام)، ولكن دون جدوى. ودخل فرج الله الحويزة منتصراً. لكن الحكومة الفارسية لم تعترف به وإنما عينت سيد علي (الثاني) والياً (1112هـ). إلّا أن علي الثاني سقط بعد ثمانية أشهر فقط فاستدعي فرج الله للمرة الثانية، لكنه عزل عام 1114هـ وعُيّن مكانه ابنه عبد الله[1]. ولقد ألقينا نظرة في مقال بني لام (الجزء الثالث، ص 658 وما بعدها، 660) على الاضطرابات التي حدثت في الحويزة في عهده.

خلال الفترة القصيرة التي أصبحت فيها الحويزة تابعة اسمياً للدولة العثمانية (1727 ـ 1732م) لعب بنو لام والمنتفق مرة أخرى دور "صانع الملك"؛ فقد أعادوا

---

(1) كسراوي، ص 95 وما يليها.

سيد محمد خان إلى الحويزة، بعد أن كان سيد علي الثالث[1]، صنيعة نادر، قد أجبر على التنحي (نهاية عام 1731م). ولكن محمد اضطر إلى التنحي فوراً لأن الحويزة عادت بموجب صلح العاشر من يناير/ كانون الثاني 1732م إلى السلطة الفارسية.

لم ينجح النظام الجديد الذي فرضه نادر (منذ عام 1736م نادر شاه) على خوزستان والذي سلب أسياد/ موالي الحويزة وطنهم (انظر الصفحة 22 أعلاه). إذ إن هالة السادة لم تكن بأي حال قد انطفأت لدى قبائل الحويزة. ففي مارس/ آذار 1747م، قبل وفاة نادر التي سبقتها موجة من القلاقل في فارس، غادر مولى مطلب، رئيس العائلة آنذاك، دورق فجأة ودخل إلى الحويزة بالتحالف مع قبائل عربستان وبموافقة موظف فارسي كبير[2]. وفي مايو/ أيار انتصر أمام ديزفول على حاكمي لورستان وشوشتر، اللذين شنا حرباً عليه، ولاحق الأخير إلى شوشتر وأجبره، بعد حصار دام شهرين، على إلقاء السلاح. وفي هذه اللحظة تخلى عنه الحظ. فقد تمردت قواته وعاد إلى الحويزة على عجل. صحيح أن عادل شاه، خليفة نادر، ثبّته والياً على عربستان، لكن جميع محاولاته الرامية إلى توسيع حدود الحويزة باءت بالفشل. في الشمال وقفت ضده قبيلة آل كثير وفي الشرق قبيلة كعب. وفي عام 1176هـ/ 1762م قتل مولى مطلب في عملية اغتيال نفذها رجلان عاقان من آل الزند الذين كانوا قد جاؤوا إلى عربستان هرباً من كريم خان[3].

منذ ذلك الحين مات الطموح السياسي لدى العائلة. وجاء والي بعد آخر، في

(1) كسراوي، 109 ـ 118 يرى فيه كاتب تاريخ الحويزة (سيد علي الثاني). ولكن هذا غير ممكن. فقد توقفت مذكرات سيد علي عام 1716م بتقرير عن حصار الحويزة من قبل عبد الله خان وبنداء الاستغاثة الذي وجهه إلى باشا بغداد، انظر الجزء الثالث، ص 659. ولو كان يستطيع المتابعة لتابع. لذلك نعتقد أنه توفي أثناء الحصار أو بعده بوقت قصير. أما علي الثالث فقد عيّن عام 1730م.

(2) عباس قولي خان، آنذاك مدير مالية في الحويزة.

(3) التقارير غير واضحة، انظر كسراوي، 134.

بادئ الأمر كانوا يعينون من الزند وفي وقت لاحق من القاجار. خلال الفترة الممتدة من وفاة علي مراد خان زند (يناير/كانون الثاني 1785م) حتى الأعوام الأولى لحكومة فتح علي شاه (منذ عام 1797م)، التي كانت فيها عربستان متروكة غالباً وشأنها، كانت قبائل الحويزة تعين حكامها بقرار ذاتي[1]. وفي هذه الفترة ازدهرت الزراعة؛ ففي العقد الأول من القرن التاسع عشر كانت الحويزة تزود أسواق البصرة بخمسي حاجتها من الحبوب. عندئذ، وفي أحد ليالي ربيع عام 1250هـ/ 1834م، اخترق الكرخة السد الذي كان يحجز نهر هاشم وترك الحويزة بلا ماء. وكانت الحويزة قد تعرضت لكارثة مماثلة قبل 40 عاماً واستطاعت التغلب عليها، ولكن هذه المرة بقيت جميع الجهود بلا جدوى. وهكذا جفت المدينة وهجرها سكانها. في عام 1841م لم يكن فيها سوى 500 نسمة، أما الباقون فقد توزعوا في أرجاء مختلفة أو كانوا يعيشون إلى جوار المدينة كبدو.

من بين ولادة الزمن المتأخر نخص بالذكر فقط مولى فرج الله الذي وقف في عام 1841م بالنصيحة والفعل إلى جانب معتمد الدولة في حملته ضد كعب، وكوفئ على ذلك بأن عيّن حاكماً للإقليم. وفي عام 1847م ـ 1848م تولى نفس المنصب مرة أخرى.

اعتباراً من الآن أصبح شيوخ ـ ثم التخلي عن لقب والي ـ الحويزة يعينون من قبل حاكم عربستان إلى أن انتزع خزعل خان من المحمرة، زعيم المحيسن وكعب، هذا الحق لنفسه وعين هناك أخا زوجته ـ كان قد تزوج فتاة من عائلة السادة المشعشعين.

ولكن بعد سقوط خزعل (1924م)[*] عاد إلى منصبه الشيخ الشرعي الأخير وهو مولى عبد العلي.

وبنفس العناد والإصرار الذي تحلت به الأسرة الحاكمة تمسك بعض أنصارها

(1) انظر كسراوي، 136 وما يليها.

(*) في 28/ 5/ 1936 مات خزعل فهل قتل أم مات موتاً طبيعياً (ماجد شبّر).

القدامى بمواقعهم. ففي عام 1841م وجد لا يارد[1] بين القبائل الأربعة، التي يتألف منها سكان الحويزة، النيس الذين كان أجدادهم قد رافقوا في الماضي المهدي في حملته المظفرة، ووجد في محيط المدينة السلامات وهم أحفاد أقدم أنصار سيد محمد بن فلاح. ولكن هذه الحالات هي حالات استثنائية بالطبع. إذ إن السكان شهدوا هنا تغيرات كبيرة مثل بقية المناطق الأخرى التي استوطن فيها البدو. فقد نزل هنا بني تميم وبني لام وآل كثير وآل خميس لكي يتابعوا رحلتهم بعد فترة قصيرة أو أطول. واندمجت قبائل الحويزة القديمة شيئاً فشيئاً في المعدان الذين كانوا يتسربون من دجلة. وكان بعضهم، مثل بني ساله[2]، تابعين في السابق للمنتفق، لذلك يسمي كورزن[3] حكام الحويزة "ملالي أو شيوخ قبيلة المنتفق". وهناك آخرون جاؤوا من منطقة بني لام، ومنهم على سبيل المثال بني طرف الذين سنعالجهم في المقال القادم.

تلقى بنو ساله أيضاً دعماً بشرياً من مهاجرين، فلاحين ومعدان، كانوا قبل ذلك محسوبين مع مجمع بني لام، في عام 1260هـ/ 1844م سودان (انظر الجزء الثالث، 685، 689)، وفي عام 1263هـ/ 1847م حلاف والبوغربة، ، خورشيد، 89، 90.

كان عرب الحويزة، فيما عدا معدان المنطقة الحدودية، يعيشون حياة نصف بدوية. في الصيف والخريف كانوا يسكنون على ضفاف الكرخة وفروعه؛ وفي الشتاء والربيع كانوا يتنقلون في السهوب.

---

(1) مجلة الجمعية الملكية الآسيوية (JRGS)، العدد 16 (1846م)، 35.

(2) كثيراً ما يسمون خطأ "بني صالح".

(3) فارس والقضية الفارسية (Pernia and the Pernian Question)، الجزء الثاني، 324.

عشائر حويزة(1)

القبيلة	مكان الإقامة	العدد
1 ـ نيس(2)	حويزة	
2 ـ السلامات(3)	آب گرگر: هدام ـ آب گنجى	200
3 ـ بني ساله(4)	شويب ـ حويزة	2000
أ ـ البو عذار(5)		400
ب ـ الحلاف(6)		600
1 ـ البو غربة		
2 ـ السودان		
جـ ـ الحمودي(7)		400
4 ـ آل عروس		
5 ـ السواري(8)	دشت ميشان	
6 ـ بني حردان(9)	كوت (نهر هاشم)؛ ميناو	
7 ـ الشرفة(10)	شويّب	900

ملاحظات حول الجدول

1 ـ يستند الجدول إلى تحقيقات قام بها ماكس فرايهر فون أوبنهايم ـ المصدر: عجمي السعدون، شيخ سابق للمنتفق ـ عام 1929م، وإلى مصادر مختلفة أخرى. نيبور (1765م)، آرابيين البلاد العربية، 388، يذكر 3 و4؛ لا يارد، مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، العدد 16 (1846م)، ص 35، يذكر نيس (1) والسادات، أي أحفاد أسياد/ موالي الحويزة، كسكان للحويزة، ويذكر 2، و3 أ، و4 ـ 7، كرعايا خاضعين للحويزة؛ خورشيد، 86، بني ساله (3)، 89، السواري (5)،

3 ب، 3 ب 1؛ ويذكر كورزن، الجزء الثاني، 321، في قائمته عن عرب الإقليم: نيس (1)، بني "سالح"، المقصود بني ساله (3)، والحمودي (3حـ)، والسواري (5)، والشرفة (7)، والسودان (3 ب 1)؛ ويذكر ويلسون عند فيلد، 198، السلامات (2)، وبني سالح = ساله (3) مع فروعهم الثلاثة المذكورة في الجدول وأربعة فروع أخرى، ثم بني حردان (6)، والشرفة (7)؛ ويذكر رسمارا عند لامبتون، 292: (قبائل) الحويزة، بني "صالح" والسواري.

2 ـ كورزن: نيسيّة. نيس منتشرون بين العنافجة، الجدول، 8، 9، وآل كثير، الجدول، 5، وحديثاً إلى حد ما في قرية حميدية، برهانيان، 57 (نيسسي).

3 ـ فلاحون ورعاة، ويلسون عند فيلد.

4 ـ بخصوص الاسم انظر الملاحظة 1. يقدرهم عجمي بثلاثة آلاف كوخ أو خيمة، أما خورشيد، 86، فيحسبهم مع معدان بني لام ويقدر عددهم بـ 700 مسكن ـ بقية ظلت في العراق من القبيلة التي يعتبرها نيبور من قبائل الحويزة. ويلسون عند فيلد: 2100 كوخ.

5 ـ لا يارد: بني إعزار.

6 ـ خورشيد، 89، متشككاً: الخلاف. النسبة: حلثي، برهانيان، 56. ما زالوا معدان، ويلسون عند فيلد. فرع البو أوبية، الذي يسميه ويلسون خطأً "أوبيّد"، موجود بشكل صحيح على الخريطة، شمال الجزيرة العربية.

7 ـ نصف رحل، انظر ويلسون عند فيلد.

8 ـ انظر الملاحظة 1. على الخريطة؛ البصرة، يوجد شمال شويّب قرية تحمل اسم القبيلة.

9 ـ في "ليبمي" على الكارون وعلى الضفة اليسرى للقرقر باتجاه الداخل قرب شريف وشاخه، ويلسون عند فيلد، 192.

10 ـ لا يارد: "شريف". العدد حسب ويلسون عند فيلد يبدو لنا مرتفعاً جداً لأن القبيلة، أو أي فرع من فروعها، غير موجودة عند كورزن. عائلتان من فرعها بني نعامة في حميدية، برهانيان، 56.

بني طرف

ينتمي بني طرف الحويزة إلى نفس الأصل الذي ينتمي إليه بنو طرف المقيمون على الهندية في العراق (انظر الجزء الثالث، ص 356). يقع موطنهم على دجلة الأسفل، ولا يمكن تحديده بشكل أدق، كما لا يمكن تحديد الزمن الذي انطلقوا فيه من هناك متوجهين نحو الشرق والغرب. في القرن الثامن عشر؟ ولكن ربما نستطيع معرفة شيء عن تاريخ القبيلة بواسطة القائمة المذكورة عند برهانيان، 62. وهي لا تمثل "شجرة نسب بين طرف"، كما يقول المؤلف، وإنما سلسلة نسب مصدر المعلومات عامر، شيخ (بني طرف) في سوزنجرد «سوسنگرد» (الخفاجية). ولكن بعض حلقات السلسلة تتطابق مع الأجداد الحقيقيين أو المعتبرين للقبيلة وفروعها. وهي على الشكل التالي[1]: 1 ـ رحمة، 2 ـ عامر، 3ـ مطلق، 4 ـ مهاوي[2]، 5 ـ صندل، 6 ـ عذار[3]، 7 ـ حاجي عبد العزيز، 8 ـ سويلم، 9 ـ شيخ صالح، 10 ـ صياح، 11 ـ سعيد، 12 ـ حسين، 13 ـ محمد، 14 ـ محمود، 15 ـ سعيد، 17 ـ زامل، 16 ـ . . . .[4]، 18 ـ سعد، 19 ـ يعرب، 20 ـ كنانة، 21 ـ

---

(1) لا يوجد رسومات إطلاقاً. تمّ تصحيح الأخطاء الإملائية والمطبعية دون الإشارة إلى ذلك.

(2) النص، 64؛ ويلسون عند فيلد، 199.

(3) النص: "أوزر".

(4) النص: "زهيل".

شعشعان، 22 ـ عبد الله، 23 ـ طريف، 24 ـ عمر[1]، 25 ـ طرمّاح، 26 ـ عُدَي[2]، 27 ـ حاتم، 28 ـ عبد الله، 29 ـ سعد، 30 ـ طائي[3]. وإذا ما نظرنا إلى الرجال التسعة الأوائل فإننا نميل إلى اعتبار الشيخ صالح الجد السابع لعامر ـ درجة من القرابة ذات أهمية خاصة بالنسبة لبني طرف[4]. ومن ناحية أخرى يتوقع المرء أن يجد بينهم مؤسس الفرع الذي ينتمي إليه عامر. وحسب الجدول المتعلق بترتيب القبيلة (ص 64، وهو يرجع إليه أيضاً) يجب أن يكون مهاوي، جد عامر، هو مؤسس الفرع المذكور. إلّا أن الفرع الذي يحمل نفس الاسم، بيت مهاوي، يذكر ويلسون عند فيلد، ص 199، أنه يضم 100 عائلة، وحتى لو كان هذا العدد مبالغاً فيه وكان يضم عدداً كبيراً من الغرباء "الملحقين"، فإن هذا الجد يجب أن يكون قد عاش طويلاً وكان قوياً جداً. وعن الجد الثاني صندل يبدو أنه قد خرج فرع صغير يحمل نفس الاسم، بيت صندل، ويضم 25 عائلة (نفس المصدر)، لكنه لم يعد موجوداً الآن (؟). مع صياح وسعيد، أو بالأحرى مع أخ لصياح[5] ولد بعد وفاة أبيه سعيد ولذلك سمي أيضاً سعيد، ندخل في العصر البطولي لبني طرف: فقد قتل صياح على يد أفراد من عائلة أخيه. وحسب القانون القبلي القديم لا توجد عقوبة على القتل ضمن الأسرة الواحدة. وفي الصلح الذي حدث فيما بعد حصل خلف صياح على الحق في أن يسلّموا أولاً على الطرف الثالث. ومنذ مقتل صياح انقسم بنو طرف إلى مجموعتين: بيت سعيد (سعيدي) وبيت صياح (صياحي). والأسماء الثلاثة التالية (12، 13، 14) تتميز عن جميع الأسماء الأخرى في السلسلة

---

(1) الصحيح عمرو، وهو إما كتب خطأ "عمر" أو أن "عمرو" أصبح غير مألوف في خوزستان.

(2) الصحيح "عُدِي"، وهم أسم عربي قديم أصبح غير مستعمل.

(3) بخصوص استعمال النسبة كاسم للقبيلة والعشيرة انظر الجزء الثالث، 674، الملاحظة 1.

(4) لأن القرابة (وقبل ذلك المسؤولية عن دفع الفدية) تصل (كانت تصل) إلى هذا المدى، 111 (إعداد جانبيه غير مذكورة تعود إلى برهاتيان).

(5) ج.هـ. مورتمان وأويغن ميتفوخ. كتابات سبأية (رحلة راتينس إلى جنوب الجزيرة العربية، الجزء الأول) هامبورغ، 1937م، 167، الملاحظة 3.

بطابعها الإسلامي. وبما أن سعيد يظهر (زمنياً) مرة أخرى قبلهما فإنه يجب اعتبارها مدسوسة في هذا المكان. وحسب الشيخ عامر فإن محمود هو أول رجل من القبيلة دخل إلى منطقة الحويزة، وهو جد القبيلة ـ حسب قول "البني طرف"[1]. ولكنه يقع في زمن مبكر بالنسبة للوظيفة الأولى وفي زمن متأخر بالنسبة للثانية. أما 20 و21 فهما شخصان ملموسان: كنانة (چنانة) هو مؤسس الفخذ الذي يحمل هذا الاسم والملتحق ببنى طرف الهندية في العراق (؟ انظر الجزء الثالث، 358)[2]، لكن شعشعان فقد حصل على اسمه من طائفة المشعشع. وهذا يعني أن أجداد بني طرف انضموا في القرن الخامس عشر إلى جماعة المهدي محمد بن فلاح أو خلفائه. ومن غير المحتمل أن يكون اسم شعشعان معروفاً في تراث القبيلة؛ بل من المرجح أن يكون من اختيار الشيخ سيّد من جماعة المهدي (انظر الصفحة 43). أما الأسماء 23 حتى 30 فهي بالتأكيد من تراث القبيلة؛ إذ إن هؤلاء الأشخاص ينتمون إلى النسب العربي الكلاسيكي[3]. فهم طريف بن عمرو الذي رأى فيه الباحث صراحة الجد الأول لقبيلة بني طرف ـ جمع طريف ـ، والطرماح بن عدي[4] الذي كان واحداً من سكان الكوفة القلائل الذين سارعوا لنجدة الحسين بن علي الذي سقط في 10 محرم 61هـ الموافق 10 أكتوبر/ تشرين الأول 680م، والذي يحظى بتكريم عظيم عند الشيعة، وحاتم بن عبد الله بن سعد، ويسمى غالباً باسم قبيلته حاتم طي، مثال الكرم والجود في البلدان العربية والإسلامية (انظر الجزء الأول، 262 وما بعدها). وهنا نجد أن قبيلة بني طرف تنتسب بطريقة غريبة نوعاً ما ـ الرجال الثلاثة الأخيرون لا تربطهم صلات قربى قريبة ـ إلى قبيلة مشهورة من

(1) 91 وما بعدها.

(2) ممثلون عند بني لام أيضاً، الجزء الثالث، 673، 1، الملاحظة 6: "الغالبية في فارس"؛ انظر الصفحة 40، ولكن من أين جاء يعرب، هذا الرمز للمفهوم التاريخي الرومانسي (لعرب الجنوب) في صدر الإسلام وفي الزمن الحاضر، فهو أمر غير معروف. ربما من الدعاية لإمارة خزعل؟ انظر الصفحة 33، 34.

(3) جمهرة، 1، اللوحة 250، 20؛ 254، 28؛ 256، 24.

(4) يتطابق مع عدي بن حاتم، انظر أدناه.

العصر القديم وهي قبيلة طي (أو الاسم الكلاسيكي: طيّء)[1]. ولكننا لا نحتاج الذهاب إلى الماضي البعيد ولا إلى أعماق الجزيرة العربية لكي نجد صلة بين بني طرف وطي؛ فبين القبائل التي انضمت إلى محمد بن فلاح (الجزء الثالث، 681) كان بنو طي أيضاً. وللأسف لا نعرف فيما عدا ذلك أي شيء عنهم[2] مما يجعلنا لا نستطيع التكهن أيضاً بما إذا كانوا ينحدرون فعلاً من طي القديمة أم إنهم يحملون اسمها فقط. ولا يبقى أمامنا سوى الحجة التي استعملها الشيخ سيّد والتي ربط فيها بين بني طرف وطريف بن عمرو من طي. ولكن للأسف كان يوجد في الجزيرة العربية قديماً عدة وحدات بهذا الاسم بحيث أنه يمكن أن يكون قد انتقل، مثل اسم كنانة والخزرج، إلى قبيلة تشكلت حديثاً. وهذا الاحتمال وارد جداً كمحاولة للتخلص من وصمة الانتساب إلى المعدان.

أمّا تاريخ بني طرف فهو فقير بالمعلومات كحكاية أصلهم. وهو يبدأ بملاحظة تقول إنهم كانوا ينتمون إلى جماعة من المعدان تعيش تحت حماية بني لام، وكان عددهم 100 كوخ ويسكنون في "الهرشه" (جونز، 381، قبل عام 1855م). لكن هذا العدد يبدو صغيراً بشكل ملفت، والقرية "الهرشه" لم نستطع إيجادها. لعل الهجرة قد بدأت في مطلع الخمسينيات؛ عندئذ يمكن تفسير قلة عددهم بأنه يمثل من بقي منهم فقط. وفي بداية الأربعينيات لم يكونوا قد جاؤوا إلى عربستان بعد؛ أو إن لايارد على الأقل لا يعرف لهم وجوداً هناك. وكانت منطقتهم الجديدة تمتد من قرية البسيتين، بالقرب من النهاية الشمالية الشرقية لهور الحويزة، بمحاذاة المجرى الجديد للكرخة نحو الأعلى حتى الخفاجية/ سوزنجرد، «سوسنگرد»

(1) ملاحظة الشيخ عامر أيضاً، بأن بني طرف جاؤوا من الخابور، تستند إلى هذا الزعم؛ ففي المنطقة المحاذية لهذا النهر يقيم طي، أحفاد القبيلة العربية القديمة. ونود الإشارة هنا إلى المخطط الطفولي الذي وضعه فيلد، ص 195، الذي يظهر فيه بنو لام وبنو طرف كأحفاد لحاتم طي.

(2) انظر الجزء الثالث، 642، ملاحظة 3، بناء على ذلك تنحدر عائلة الأمراء المرموقة، التي حكمت الجزاير من وقت ما قبل عام 1441م حتى عام 1550م، من (هؤلاء) الطي.

وبصورة رئيسية في محيط البلدتين المذكورتين. وكانوا يعيشون هناك على طريقة المعدان، لكنهم كانوا يزرعون، إلى جانب الأرز، القمح والشعير وكانوا يربون، إلى جانب الجواميس، البقر وبعض الغنم. في هذه المنطقة تكاثر بنو طرف بسرعة وازدادت قوتهم إلى درجة أن عدداً كبيراً من أبناء القبائل الغربية وسكان مناطق بعيدة بحثوا عن الحماية عندهم والتحقوا بهم. وقد يكون في وسعنا ربط هذا الصعود بالشيخ مهاوي، ص 59 أعلاه.

في أواخر عهد ناصر الدين شاه (توفي 1896م) تخلى بنو طرف عن حكم الحويزة وصاروا يتعاملون منذ ذلك الوقت مع الحكومة مباشرة. في عام 1906م أجبروا بقوة السلاح على دفع الضرائب. وخلال الثورة الفارسية حصل خزعل خان من المحمرة، زعيم بني كعب، على حق جباية الضرائب من بني طرف وبالتالي على الأداة التي يستطيع بها قطع أنفاس القبيلة[1]. ولذلك يمكن فهم التحاق بني طرف بالقوات التركية التي عبرت في نهاية عام 1914م/ بداية عام 1915م الحدود لكي تحارب الإنجليز الموجودين قرب الأهواز. وبعد انسحاب الأتراك في أبريل/ نيسان تعرضت القبيلة لحملة تأديبية إنجليزية ثم وضعت مرة أخرى تحت رحمة خزعل وحكمه التعسفي[2]. وعندما قطع خزعل في عام 1924م علاقاته مع الحكومة الفارسية استغل بنو طرف الفرصة للانتقام من الرجل الذي اضطهدهم. ولكي يهدئ خزعل الثورة ضده أطلق سراح الشيخ عاصي من السجن الذي كان يقيم فيه منذ بضعة أعوام. ولكن وبما أنه توفي بعد ذلك ببضعة أيام فقد تعالت الأصوات التي تقول إنه مات مسموماً، الأمر الذي يحدث دوماً في الشرق عندما يموت المرء فجأة. وهكذا اندلعت الثورة من جديد.

كما رفض بني طرف الرضوخ لعبودية خزعل رفضوا الرضوخ لعبودية الفرس

---

(1) كسراوي، 139، 233، 235.

(2) ف.إ. موبرلي F.I. Moberly, The Compaign of Mesopotawia, I, (الحملة العسكرية في بلاد الرافدين، ص 166، 183، 185، 225، 228)، كسرواي، 242 وما يليها.

أيضاً. ففي عام 1928م اقتحموا، مثلما فعل قبلهم كعب، مديرية الضرائب في الحويزة وقتلوا مديرها وطالبوا بسحب الموظفين الفرس من المنطقة. وبعد معركة مع القوات الحكومية، استخدمت فيها الطائرات أيضاً، تفرق المتمردين[1].

منذ ذلك الحين هاجر جزء كبير من القبيلة إلى الاثنتي عشرة قرية جديدة التي نشأت في ناحية نهر هاشم[2]. وفي عام 1956م كان يوجد في مركز الناحية الحميدية ـ التي كانت في الأصل مقر إقامة خزعل خان ومسماة باسم ابنه البكر عبد الحميد ـ 93 عائلة من بني طرف الحقيقيين و120 عائلة من الفروع الملتحقة بهم بين 223 عائلة عربية.

كم نتمنى لو عرفنا كيف كان الوضع في المنطقة القديمة للقبيلة، ومتى حصلت على الاسم بني طرف، ومتى أعلنت منطقة أملاك عامة (أراضي أميرية([3]).

يعود الفضل إلى برهانيان (ص 60 وما بعدها) في أنه كان أول من فرق بين بني طرف الأصليين والجماعات المرتبطة بهم[4]. ومما يلفت الانتباه أن أبناء القبيلة في الحميدية جعلوا العرب الآخرين الموجودين هنالك ـ باستثناء بني كعب وبني لام ـ مرتبطين بهم إلى حد معين. وفيما عدا ذلك فإن الشعور القبلي آخذ في التراجع هنا أيضاً.

---

(1) كسراوي، 265 وما بعدها؛ أورينته مودرنو، العدد 8 (1928م)، 576 وما بعدها.

(2) نهر هاشم كان سابقاً المجرى الأسفل الجديد لنهر الكرخة، انظر ص 9؛ 53. لكن الناحية يقع الجزء الأكبر منها فوق كوت (هاشم) حيث ينفصل السرير الجديد للكرخة عن السرير القديم.

(3) لامبتون، 240.

(4) يذكر أن علاقاتهم منظمة بموجب اتفاقية مكتوبة. فهل يتعلق الأمر باتفاقية حول استغلال الأراضي؟.

بني طرف(1)

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
أ ـ بيت سعيد(2)		دشت ميشان	
1 ـ بيت حاجي سبهان			
2 ـ بيت. . . علي(3)			
3 ـ بيت شرهان			
جماعات ملحقة:			
1 ـ البو جلال(4)			300
2 ـ البو مغينم			100
3 ـ البو كلدة(5)			100
4 ـ الفريسات(6)			300
5 ـ الباوية(7)			100
6 ـ بني أسد(8)			
7 ـ المزرعة			25
8 ـ البو حمادى(9)			150
ب ـ بيت صياح(10)	دشت ميشان		
1 ـ بيت مهاوى	عامر بن مطلق		100
2 ـ بيت منيشد			100
جماعات ملحقة			
1 ـ بيت حردان(11)			150
2 ـ بيت غوابش(12)			200
3 ـ الأوبيات(13)			300

القبيلة	منطقة الإقامة	طريقة الحياة	عدد الخيام
4 ـ العطاشنة(14)			20
5 ـ الطويرات			50
6 ـ بيت داغر			26

ملاحظات حول الجدول

1 ـ يستند الجدول إلى القائمة الموجودة عند خسر وبرهانيان: "ناحية الحميدية في خوزستان"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كولن 1960م، 64، حيث اعتمدنا على ما جاء في الصفحة 56 وما بعدها عن "السكان العرب في الحميدية حسب انتمائهم القبلي". وبما أنه لا يوجد أي علامات (لتمييز الحروف العربية بشكل صحيح، المترجم) فإننا غير متأكدين من صحة نقلنا للأسماء العربية غير المعروفة. الأعداد حسب ويلسون عند فيلد، 199، على الرغم من أنها تبدو عالية إلى حد ما حتى بالنسبة للوقت الحاضر. وللأسف تعاني قائمة ويلسون من نفس الخطأ الذي تعانيه قائمة برهانيان. ويلسون يتحدث عن 35 فرعاً لبيت سعيد و30 فرعاً لبيت صياح دون أن يميز بين الأصلية والملحقة. وعند برهانيان يُذكر منهم 11 و15 ولكن ليس نفس الفروع عند المجموعتين. ففي قائمة برهانيان لا يوجد الفرع نصّار، الذي يسمى مثل معظم الفروع الأخرى استناداً إلى نسبته: أنصاري، والفرع البوعفري، النسبة عفراوي (ص 56). ولكن هذين الفرعين موجودان عند ويلسون. هناك ينتمي النصار مع العواجه (عوا. . .؟) إلى قبيلة سواري، التي يرد ذكرها هنا في الصفحة 35 تحت رقم 5 ـ أما الجماعات الملحقة فلا يذكر منها إلّا المهمة بطريقة ما، فهي غير موجودة عند آ 6 ولا عند ب 8.

2 ـ أو سعيدي. الفرع الثلاثة غير موجودة عند ويلسون. يبلغ عددهم مع ب نحو 2000 شخص.

3 ـ "زعير".

4 ـ النسبة: جلالّي. ويلسون: البوجِلال.

5 ـ النسبة: كلداوي (نشلداوي) «چلداوي».

6 ـ النسبة: فرساوي.

7 ـ أنظر جدول كعب 4.

8 ـ أنظر الجزء الثالث، 646. برهانيان، 56، مكتوبة خطأ ولذلك غير مفهومة.

9 ـ ويلسون تحت آ ـ 100، تحت ب ـ 150.

10 ـ أو صيّاحي.

11 ـ أنظر الصفحة 55 أعلاه، الرقم 6.

12 ـ النسبة: غبشي. برهان، 56، الانتماء غير معروف.

13 ـ النسبة: أوبيّاوي. ويلسون "أُبيّد" إلى جانب "البو أُبيّد". مقروءة خطأ من "أُبيّه". الصحيح الخريطة، شمال الجزيرة العربية: "أُبيّا"، أنظر الملاحظة 6 ص56 لجدول قبائل الحويزة.

14 ـ النسبة: عطشاني.

بني تميم (بني مالك)

كان بني تميم ينتمون سابقاً إلى بني مالك الذين هم مجموعة من المنتفق؛ ولذلك ما زالوا يستعملون هذا الاسم. وكان بني مالك يتألفون قبل عام 1850م من مجموعتين، كانت إحداهما[1] تنتشر على الضفة اليسرى لشط العرب من السويب (شويّب) حتى ناحية دعيجي في منتصف الطريق بين البصرة والمحمرة/ خرم شهر، وفي الداخل عبر الحدود إلى داخل السهوب بين الحويزة والكارون. وينتمي معظم عشائر الجدول إلى هذه المجموعة، بينما تنتمي العشائر 7 ـ 9 إلى المجموعة الأخرى التي تسكن على الضفة اليسرى لدجلة باتجاه الأعلى إلى قرنة. ويبدو أن 1 ـ 9 قد جاءت إلى عربستان في وقت مبكر، معاً أو تباعاً، وبقيت هناك، بينما تبعتها العشيرتان الأخيرتان لاحقاً. ولم يكن عجمي السعدون، شيخ مشايخ المنتفق في الحرب العالمية الأولى، يعرف سواهما بالاسم. أما الباقون فلم يكن يعرف عنهم سوى أنهم يملكون بعض القرى على الأرض الفارسية. لكن الذين هاجروا كان يسمون بني تميم باسم القبيلة القيادية للمجموعة الأولى (خورشيد، 46)، التي كانت في القرن الثامن عشر تضاهي حتى بني مالك[2]. ولكن أين هم الآن؟

(1) في الجزء الثالث، 614 وما بعدها، وفي الملاحظة 3 على الصفحة 613، سميناها تحت منظور آخر المجموعة الثانية.

(2) نيبور (1765م)، آرابيين بلاد العرب، 388.

بني تميم (بني مالك)(1)

القبيلة	المنطقة	العدد
1 ـ الحمودى(2)		200
2 ـ الغزلي		100
3 ـ الغزيوى		150
4 ـ السليمان(3)		100
5 ـ العياشة(4)		200
6 ـ البراجعة	حويزة ـ اهواز	50
7 ـ العوينات		100
8 ـ العيان		150
9 ـ العبودة		
10 ـ بني سكين (سوكين)		
11 ـ الشريفات(5)		

ملاحظات حول الجدول

1 ـ يستند الجدول إلى خورشيد، 46؛ وإلى إفادات عجمي السعدون، 1929م؛ وإلى ويلسون عند فيلد، 198 وما بعدها. خورشيد يذكر 1 ـ 10 وفي المقدمة بني تميم، ويذكر عجمي 10 ـ 11، ويذكر ويلسون 1 ـ 11 وست جماعات أخرى. وهناك بعض الأخطاء الإملائية والمطبعية عند خورشيد، والعديد منها عند ويلسون/ فيلد. عدد العائلات 2200 (ويلسون). الطريقة الأولى المكتوب بها الاسم في 1، 3، 7، 10 تعبر عن طريقة "اللفظ" التي اعتمدها خورشيد.

2 ـ في قائمة كورزن، الجزء الثاني، 321.

3 ـ المقصود في قائمة كورزن؟

4 ـ خورشيد: "العيايشة"؛ ويلسون/ فيلد: "أيَشَم".

5 ـ نيبور (1765م)، آرابيين بلاد العرب، 388: رعايا تابعين لبني مالك.

العنافجة[*]

يعتقد بأن هذه القبيلة التي تحمل هذا الاسم الغريب تربطها صلة قربى مع آل كثير وكانت في يوم من الأيام قوية جداً. ولكنها لا يرد لها ذكر في الوثائق ولا في الحوليات، وإنما لأول مرة عند لايارد. وكانوا آنذاك تحت قيادة الشيخ زندي (الذين كانوا بعد 70 عاماً ما زالوا يسمون أحياناً باسمه: بيت زندي) الذي كان لديه 700 رجل من الخيالة و400 رجل من المشاة. ويتبين من الملاحظات الخاصة بالجدول أن 5 ـ 9 و11 هم من أصل غريب، وأن الدغاغلة لم ينتموا إلى القبيلة إلّا لفترة عابرة. ولكن هذا لا يعني أن 1 ـ 3 و10 هم عنافجة أصليون.

كانوا في الماضي يعيشون نصف رُحّل على الضفة اليمنى لكارون من ويس حتى بندي قير، لكنهم كانوا يتنقلون أيضاً في جزيرة ميناو المتشكلة بين فرعي الكارون، وفي وقت لاحق في الشريط الواقع بين تلك الجزيرة وآب دز، ولكن ليس بعيداً نحو الشمال. وقد أصبحوا الآن مستقرين تماماً.

كان العنافجة يعيشون في السابق تحت حماية بني سعد، إحدى مجموعتي آل كثير[1].

(*) مفردها عنفجي. دليل الخليج ـ القسم الجغرافي ـ لوريمر، طبعة قطر 1970، (شبَّر).

(1) ويلسون عند فيلد، 190 وما بعدها؛ الخريطة، البصرة.

من الفصائل الغريبة الملتحقة بهم يُرجح أن الحميد = بيت طرفه (6) ينتمون إلى زبيد من بني لام. ويذكر خورشيد، 88، حميدين: الحميد بن؟ حجاز، وحميد بن عمار، هاجر الأولون عام 1263هـ والثانيون عام 1205هـ، أي عام 1847م و1790م ـ 1791م، إلى الكارون. وإذا ما كانت إحدى الجماعتين تنتمي إلى العنافجة، تكون الأخرى هي التي أعطت الحميد اسمهم وهي المذكورة في جدول القبائل العربية في خوزستان (ص 24). وبما أن هؤلاء كانوا يعيشون تحت حماية الباوية، الذين هاجروا هم أنفسهم عام 1205هـ/ 1790م ـ 1791م، فإنهم يمكن أن يكونوا من أحفاد الحميد بن عمار.

العنافجة(1)

القبيلة	المنطقة	العدد
1 ـ بيت علوان	آب دز ـ آب گرگر	30
2 ـ بربوتي		30
3 ـ البركات ـ بيت ديوان(2)		20
4 ـ الدغاغلة(3)		150
5 ـ الدلفية(4)		80
6 ـ الحميد = بيت طرفة(5)		60
7 ـ المياح(6)		40
8 ـ المؤمنة(7)		30
9 ـ نيس(8)		
10 ـ جارالله(9)		60
11 ـ ديلم(10)		100

ملاحظات حول جدول العنافجة

1 ـ لايارد، 32: عنافجة؛ الخريطة، بلاد الرافدين الدنيا: أنفجات؛ الخريطة، بشره: أنافيجة؛ ويلسون: أنفجة (إلاّ أن الثلاثة الأخيرين لا يضعون علامة، (العين العربية). يعتمد الجدول على ويلسون عند فيلد، ص 190 وما بعدها. العدد: 600 عائلة، ويلسون.

2 ـ النص: بركن.

3 ـ كانوا في الماضي نصف رُحّل على الكرخة، وكانوا مكلفين بدفع الضرائب لوالي الحويزة؛ بعد ذلك عند قبيلتنا؛ وأخيراً فصلهم شيخ المحمرة عن العنافجة ونقلهم إلى مكان آخر. يوجد منهم عائلتان في حميدية، برهانيان، 56.

4 ـ من دلفية بني لام، هاجروا، حسب خورشيد، 89، إلى دز عام 1847م ـ 1848م؟

5 ـ ويلسون عند فيلد، 192، المقصود "60 عائلة من حميد آل طرفة".

6 ـ ينتمون إلى ميّاح الصرخة (بني لام)، هاجروا، حسب خورشيد، 88، عام 1259هـ ـ 1263هـ/ 1843م ـ 1847م إلى شاوور؟

7 ـ خرجوا من نيس، ص 47 أعلاه.

8 ـ انظر الصفحة 48 أعلاه.

9 ـ الاسم "جار الله" ـ وهو في الأصل صفة تطلق على من اختاروا الإقامة الدائمة في مكة ـ يبدو غريباً في هذه المنطقة.

10 ـ يظهر هذا الاسم الغريب عند آل كثير أيضاً، عند البو غبيش (كعب) بصيغة الجمع "ديالم" (ويلسون). فهل له علاقة ببندر ديلم؟

آل كثير

استوطنت قبيلة آل كثير شمال غرب بندي قير، قرب شوشتر، في مياناب ديزفول وفي شبه الجزيرة التي يشكلها الكرخة وآب دز، وكانت في الماضي تحكم المنطقة الممتدة من الكرخة حتى الكارون ومن أهواز حتى ديزفول.

يعيد آل كثير أصلهم إلى "نبهان في نجد"[1]. وهؤلاء منبثقون في الأصل من طي. وفي أواخر العصور الوسطى كان بنو لام ونبهان أقوى مجموعتين في ذلك المجمع القبلي القديم في غربي الجزيرة العربية. وفي بداية العصر الحديث تفرق النبهان، فانضم بعضهم إلى العنزة وشمر وتبع الآخرون، وهم آل كثير، بني لام الذي رحلوا إلى الشمال الشرقي[2]. وعندما انفصل الفضول عن بني لام انضم إليهم جزء من آل كثير وبقي في شرقي الجزيرة العربية؛ وقد عثرنا عليه بين الضفير (الجزء الثالث، 98، أ 5). أما البقية فقد تابعوا رحلتهم وجاؤوا في حوالي عام 1600م إلى عربستان[3].

في عامي 1090هـ/ 1679م و1111هـ/ 1699م نجد آل كثير متورطين في

(1) لايارد، 36.

(2) انظر مقال طي، الجزء الأول، 268.

(3) لوفتوس، 327. ليس واضحاً بشكل مقنع لماذا يشك المؤلف بصحة هذا التاريخ الوارد في حكايات القبيلة.

الصراعات التي قسمت آنذاك الأسرة الحاكمة في الحويزة إلى قسمين[1]. وبعد ذلك بوقت قصير دخلت القبيلة إلى السهول الشمالية حيث أخضعت منذ عام 1137هـ/ 1725م أيضاً مدينتي ديزفول وشوشتر لسلطتها.

كانت فارس محتلة من الأفغان منذ عام 1722م، لكن سلطة المحتلين لم تشمل كامل البلاد. كانت ديزفول وشوشتر خاضعتين في بادئ الأمر لطهماسب الثاني، ابن الشاه سلطان حسين الذي كان سجيناً عند الأفغان، لكنهما أعلنتا عام 1137هـ/ 1725م ولاءهما للأمير المزيف صافي ميرزا الذي وجد أنصاراً له بين اللوريين والبختياريين. صحيح أن الأمير الكذاب اعتقله حاكم مدينة شوشتر عند دخوله إليها، لكن المواطنين ثاروا من أجله، ولأنهم لم يستطيعوا تحريره وحدهم طلبوا المساعدة من فارس شيخ آل كثير. فجاء فارس مع بدوه إلى ديزفول أولاً ثم إلى شوشتر وحرر الأمير السجين ثم تولى بنفسه الحكم بعد أن أرغم الحاكم على مغادرة المدينة. وكبدوي أصيل اكتفى الشيخ بواردات الحكم وترك الإدارة لرجل فارسي. وبينما قتل الأمير الزيف بعد ثلاثة أعوام بأمر من نادر ـ الذي كان آنذاك لا يزال يعمل في خدمة الشاه طهماسب الثاني ـ بقي الشيخ فارس محتفظاً بالسلطة إلى أن جاء منقذ بلاد الفرس شخصياً إلى خوزستان (1142هـ/ 1730م)[2].

كان لهذا الحكم البدوي الذي دام في شوشتر خمس سنوات آثار لاحقة: فقد وجد الحزبان الموجودان في المدينة، الحيدري من قرقر «گرگر» والنعيماتي من دستوا[3]، متعة في القلاقل والفوضى[4].

ولذلك لا عجب في أن نجد شوشتر وآل كثير بقيادة الشيخ فارس يشاركون

(1) كسراوي، 91 وما بعدها (اسم القبيلة مذكور على الصفحة 92 في فقرة مشوهة للأسف).

(2) تذكربي شوشتر، 71 وما بعدها؛ 86، انظر الصفحة 21 أعلاه.

(3) قرقر «گرگر» هو اسم الحي الشرقي، ودستوا اسم الحي الغربي من شوشتر.

(4) انظر الصفحة 13 و إي. جي. براون، الأدب الفارسي في العصر الحديث، كامبريدج 1924م، ص 119.

في الثورة التي أججها محمد خان بلوتش «بولج» في عام 1146هـ/ 1733م في عربستان وفارس ضد نادر شاه. وكان الشيخ قد رفع إلى منصب حاكم كوهقلو، ولكن يبدو أنه لم يمارس شخصياً هذه الوظيفة؛ فعندما جاء نادر في نهاية العام إلى عربستان كان الشيخ موجوداً عند قبيلته. وعندما جاءت قوات الخان الذي كان مكلفاً بإخضاع البدو، هرب أمامها إلى كعب ثم حوصر معهم في أميان[1]، وأخيراً استسلم مع حلفائه للفرس[2].

في فترة الفوضى التي بدأت مع وفاة نادر عام 1160هـ/ 1747م وانتهت بحملة كريم خان زند إلى عربستان (1765م)، استطاع آل كثير بناء قوتهم من جديد. صحيح أن عادل شاه، ابن أخ نادر وخليفته، ثبّت مولى مطّلب في منصبه في الحويزة وعيّن عباس قولي خان حاكماً على ديزفول وشوشتر (أنظر الصفحة 52 أعلاه)، ولكن لم يكن أي منهما قوياً بما يكفي للسيطرة على القبيلة. وفي عام 1161هـ/ 1748م هزم آل كثير مولى مطلب أمام أبواب شوشتر، ثم طردوا بعد ذلك، بالتعاون مع سكان المدينتين، عباس قولي خان ووضعوا مكانه شيخهم سعد، بن فارس؛ وكما فعل أبوه لم يمارس سعد الحكم إلّا بصورة غير مباشرة. وقد نجحت القبيلة في إخلاء الساحة من جميع الخصوم المنافسين الذين كانوا يريدون لعب دور الحاكم، وكان يعينهم أحد المطالبين الكثر بالعرش، ويعتمدون على أحد الحزبين الموجودين في شوشتر.

من الحكايات الثلاث التي يرويها كاتب تاريخ شوشتر نود هنا سرد الحكاية الأولى لأنها تعبر بشكل واضح عن خصوصية الترابط بين تاريخ الدولة والمدينة والقبيلة. ذهب أفشاري من قبيلة قندزلو (أنظر الصفحة 19 و 20 أعلاه) إلى خراسان وحصل من

---

(1) حسب التاريخ القصير لكعب، كسراوي، 149، تاريخ نادر المطبوع يقول كوبي، والمخطوطة تقول كعبي. كسراوي يقرأها "قبان" مستنداً إلى الجملة الواردة في الحوليات: "وكان كعب آنذاك في قبان". ولكن هذه الجملة تعني فقط أن كعب لم يكونوا آنذاك قد سكنوا في فلاحية بعد.

(2) تذكريي شوشتر، 92؛ مهدي خان، تاريخ (جهانقشايي) نادر، تبريز 1271، 66. 69، 71.

أخي عادل شاه على أمر تعيينه حاكماً للمدينتين. وعلى طريق العودة وقع في يد آل كثير الذين كانوا، كما يبدو، قد سمعوا بما يجري، لكنه فلت منهم ولجأ إلى أخيه المقيم في حي گرگر. وبما أن الحيدري في گرگر كانوا ناقمين في كل الأحوال على نائب الشيخ سعد، فقد اعترفوا بالأفشاري حاكماً، بينما أعلن النعماتي معارضتهم له وطلبوا العون من آل كثير. وفي محيط شوشتر تصدى القندزلو للبدو لكنهم هزموا، وهكذا عادت الأمور إلى وضعها القديم. وظلت الأمور تسير على هذا المنوال إلى أن ثبّت أخيراً الشاه إسماعيل الثالث الشيخ سعد في منصبه ومنحه لقب خان (1163هـ/ 1750م). وبعد عامين من ذلك التاريخ ظهر عباس قولي خان فجأة في ديزفول لكي ينتزع السلطة من آل كثير. وعلى إثر ذلك حاصر البدو ديزفول لكنهم رفعوا الحصار عندما بلغهم أن مولى مطلب يتحرك مع بني لام نحو المدينة. إلّا أن الفيضانات الربيعية أجبرت العدو على البقاء فترة من الزمن على الضفة الغربية للكرخة. وعندما انخفض منسوب المياه عبر مولى مطلب النهر. فتصدى له آل كثير على الضفة الشرقية. وظل الجيشان البدويان أربعة أشهر يتبادلان المناوشات والمعارك الصغيرة المتفرقة ثم تراجعا في النهاية مخلفين وراءهم الخراب والدمار في كل مكان. وكانت النتيجة انتصار جديد لآل كثير؛ فعندما توجهوا مجدداً لمهاجمة ديزفول غادر عباس قولي خان المدينة التي خضعت لآل كثير من جديد.

وفي العام نفسه (1165هـ/ 1752م) نشب صراع على السلطة في عائلة الشيوخ آل خنيفر. وبعد معارك دامية أرغم الشيخ سعد خان على التنحي لصالح عمه ناصر[1] ثم اعتقل. وبعد بعض الوقت أطلق سراحه وهاجر إلى آل خميس[2].

---

(1) المصور التالي يبين صلة القرابة بين الشيخين:

خنيفر
|
ناصر
|
مساعد ——— كريم
| |
فارس   ناصر
|
سعد

(2) في نهاية عام 1167هـ/ 1754م كان محبوساً في سجن الحويزة، تذكريي شوشتر، 164.

بعد وقت قصير اضطر آل كثير إلى التدخل مراراً في شوشتر حيث كان الوجهاء يكافحون من أجل القيام بلعب دور نائب الشيخ ناصر. وكان لإحدى هذه العداوات عواقب وخيمة بالنسبة للمدينة. فقد قتل في المعارك التي دارت داخل المدينة 80 شخصاً وقام البدو بنهب وتدمير المناطق المحيطة بها.

أرغم الخلاف الذي نشب في هذا الوقت (أنظر الصفحة 24 أعلاه) بين علي مردان خان وكريم خاني زند، آل كثير على اتخاذ موقف إلى جانب أحد الرجلين. وتحت تأثير الوجيه الذي كان يمثل شيخهم في شوشتر قرروا الوقوف إلى جانب علي مردان خان. وكان رهانهم خاسراً، لكن عواقب هذا الخطأ لم تظهر إلّا بعد مرور فترة من الزمن.

في عام 1169هـ تنقطع الأحداث التاريخية التي كان البدو يحملون فيها المسؤولية عن سوء الأوضاع الاقتصادية[1]. بالنسبة للأعوام التالية يقدم تأريخ للزند[2] بعض المعلومات. وبعد ذلك لا تذكر المراجع شيئاً عن قبيلتنا. ويبقى هذا الصمت قائماً حتى القرن التاسع عشر حيث يبدأ الحديث عنها من جديد.

في عام 1174هـ/ 1760م ـ 1761م، الذي تمّ فيه الاعتراف بكريم خان حاكماً في معظم أجزاء فارس، شن والي لورستان ـ وهو زندي مثل سيده ـ حملة ضد آل كثير أسفرت عن انتصار القبيلة ومقتل الوالي في المعركة. وفي عام 1176هـ/ 1762م قدم آل كثير المأوى والحماية لابن أخي كريم خان، المتمرد على عمه، إلى أن اضطروا بسبب فترة من المجاعة إلى التخلي عن ضيفهم. وأخيراً أدت حملة كريم خان إلى عربستان، التي وصل خلالها حتى شط العرب، إلى إنهاء سيطرة آل كثير على شوشتر وديزفول (1765م). وبينما كان الحاكم يستريح في ديزفول قامت كتيبة من قواته بتوجيه ضربة تأديبية موجعة للقبيلة.

كان لفترة حكم القبيلة عودة لاحقة في منتصف القرن التاسع عشر. عند وفاة

---

(1) تذكريي شوشتر، 99 وما يليها، 113 وما بعدها، 152 ـ 158.

(2) محمد صادق، تاريخ الزنديين، نقلاً عن الكسراوي، 128، 133 ـ 135، 158.

محمد شاه (1848م)، التي أدت إلى حدوث اضطرابات في مناطق واسعة من البلاد الفارسية، شن أحد شيوخ آل كثير، حدّاد، هجوماً مفاجئاً على شوشتر واستولى عليها. إلّا أنه أصبح بعد وقت قصير مدعاة للسخرية. وفي عام 1266هـ/ 1850م وقع مع عدد من الشيوخ المتمردين الآخرين في الأسر ونقل إلى طهران[1].

كانت القبيلة تعيش في هذا الوقت حياة نصف بدوية. كانت تملك قرى وحصوناً من الطين المقوى، وكانت تزرع الأراضي بنفسها أو بواسطة القبائل الخاضعة لها. ويعتقد بأن آل كثير لم يدفعوا ضرائب إلّا منذ محمد شاه (1834م ـ 1848م)[2]، بينما كانوا في عهد فتح علي شاه (1797م ـ 1834م) يتلقون هدايا من الحكومة. وكان شيخ مشايخ القبيلة يتولى جباية الضرائب إلى أن انتزع خزعل خان من المحمرة خلال الثورة الفارسية السيادة الضريبية، وحوّل آل كثير بهذه الطريقة إلى رعايا عاديين. وعندما سقط خزعل (1924م) استعادت القبيلة حريتها. ولكن هذه الحرية لم تدم طويلاً؛ إذ إن الإصلاحات العامة التي أجريت بعد ذلك بوقت قصير ألغت جميع الامتيازات التي تتمتع بها القبائل.

ومما يلفت الانتباه أن النزعة الحربية، التي جعلت آل كثير منذ عام 1679م يتمتعون بمهابة تخيف الآخرين، قد اختفت تماماً بعد أقل من مائة عام. فهل بالغوا في استنفاد قوتهم؟ وعلى أي حال فقد كانت القبيلة تتلقى مساندة مستمرة من العراق بحيث أصبحت عام 1841م تضم عدداً كبيراً من الغرباء (لا يارد، 33). لا بل إنه أصبح منذ زمن طويل من المشكوك فيه ما إذا كان ما زال يوجد آل كثير حقيقيون. وكان المهاجرون القادمون إلى القبيلة غالباً من بني لام، وإن لم يكن من صلب القبيلة القديمة، وإنما من الدوائر التابعة لها من الفلاحين والمعدان. وتبعاً لذلك فقد كانت أراضي آل كثير مزروعة جيداً عام 1841م ولم تزل كذلك حتى اليوم.

---

(1) كسراوي، 196. لم تزل النوادر التي تتهكم عليه في اللهجة العامية الفارسية لعرب خوزستان حية في شوشتر حتى الآن.

(2) لايارد، 33؛ 1850م: 2500 تومان، لوفتوس، 327.

آل كثير(1)

القبيلة	المنطقة	العدد
أ ـ بيت سعد(2)		
1 ـ كعب آل صطا طلة(3)		500
قبائل ملحقة		
أ ـ الدبات(4)		400
2 ـ بيت عمير (العميرات)(5)		600
3 ـ آل حية(6)		100
4 ـ المزرعة(7)	كرخة ـ آب شطيط	500
5 ـ نيس(8)		100
ب ـ بيت كريم		
1 ـ كعب دبيس(9)		800
أ ـ البو حمدان(10)		300
2 ـ ديلَم(11)		600
3 ـ الزغيب(12)		300

ملاحظات حول الجدول

يستند الجدول إلى ويلسون عند فيلو، 194 وما بعدها، وعند الانتقاء راعينا أيضاً لا يارد، 33، وخورشيد، 87 ـ 89 (بنو لام المهاجرون). من بين الـ 19 فرعاً عند لايارد لا يعود عند ويلسون سوى ثلاثة كحد أقصى، أ 1 (+ ب 1 ؟)، أ 1 أ (؟)، ب 2، ومن فروع خورشيد أربعة وهي أ 1، أ 2، ب 1 أ، ب 3 ويذكر لوفتوس (1857م)، ص 381، خمسة فروع، معتمد في ذلك على لايارد. تقدر

قائمة شبرنغر، رقم 120، آل كثير بـ 1200 خيال و2000 رجل من المشاة، ويقدر لايارد عددهم بـ 15000 أسرة، بينما يتحدث ويلسون عن 4600 أسرة.

2 ـ الفخذان يحملان أسماء لأعضاء عائلة الشيوخ القديمة، انظر المصدر أعلاه في النص. وعند لايارد أيضاً يرد ذكرٌ لزعيمين!

3 ـ = كعب آل صطاطلة. في جدول بني لام أيضاً، الجزء الثالث، ص 673، يتألف كعب (2) من صطاطلة وغيرهم، وهما الفرعان 2حـ، 2 د. وقد هاجر الصطاطلة عام 1203هـ ـ 1263هـ/ 1788م أو 1789م ـ 1847م إلى دز، خورشيد، 82. لايارد لا يذكر سوى كعب.

4 ـ هكذا يسمى معدان المنتفق، ويسميهم لايارد (ولوفتوس) «زبّا»؟

5 ـ هاجروا 1260هـ/ 1844م إلى دز، خورشيد، 89.

6 ـ كانوا في الماضي بني لام أيضاً؛ وفي وقت لاحق في حاشية بيت عمير (2)، ويلسون.

7 ـ هل هم نفسهم مزرعة بني طرف (أ، ملحقون: 7)؟

8 ـ أنظر ص 55 أعلاه، رقم 1.

9 ـ في قوائم بني لام لا يوجد دبيس بين بني كعب. فهل تشكلوا لاحقاً في عربستان من فروع الصطاطلة (أنظر الملاحظة 10 والملاحظة 12)؟

10 ـ فرع من الصطاطلة، أنظر الملاحظة 3.

11 ـ أنظر الملاحظة 10 في جدول العنافجة.

12 ـ = الزغيبي، فرع من الصطاطلة، أنظر الملاحظة 3.

كعب (چعب)

بين القبائل العربية في العصر الحديث لا يوجد سوى عدد قليل من القبائل التي تضاهي في الأهمية التاريخية قبيلة كعب، أقوى قبيلة في خوزستان. تقيم القبيلة في هذه البلاد منذ أكثر من 300 عام، وقد أسست هنا مجتمعاً مزدهراً تمتد أراضيه من الكارون حتى الهنديان ومن شط العرب حتى الأهواز. وكانت الزراعة وتربية أشجار النخيل ترافقها منذ المهد، كما أن "الحرب والتجارة والقرصنة" جعلت الجميع يخشونها حتى الجزيرة العربية وموانئ الخليج العربي. وقد عرف زعماء كعب الأذكياء والأثرياء كيف يجعلون القبيلة تتمتع بمكانة مستقلة تقريباً لأنهم كانوا يملكون الضفة اليسرى لشط العرب التي كانت موضع نزاع دائم بين فارس والدولة العثمانية. وكان آخر حكامهم خزعل خان من المحمرة قد أصبح نتيجة تحالفه مع الإنجليز شخصية ذات مكانة دولية. وكان في صدد جعل بلاده مستقلة عندما انهزم عام (1924م) أمام القوة الفارسية الناهضة.

بقدر ما هي المعلومات المتوفرة لدينا من خلال كتب التاريخ وتقارير الرحالة عن التاريخ الحديث للقبيلة دقيقة وكاملة، بقدر ما هي شحيحة عن هجراتها السابقة. إلّا أن حكايات القبيلة تقول إنهم كانوا في الماضي في جزائر الواقعة على الفرات الأدنى، وقبل ذلك في قرب واسط حيث كانوا يعيشون على طريقة

المعدان[1]. لكن كعب لم يكونوا منذ البداية من المعدان، إذا ما كان أصلهم يعود إلى خفاجة[2]، تلك القبيلة البدوية القوية التي كانت تعيش في العصور الوسطى والتي استعرضنا تاريخها في الجزء الثالث، 310 ـ 316. وإذا ما تصفح القارئ المقطع المتعلق بذلك سيجد أن كعب كانوا في القرن الثاني عشر يشكلون ثاني أقوى فخذ في خفاجة التي كانت تعيش آنذاك وراء الفرات في الجزء الجنوبي من البادية السورية. وفي أواخر العصور الوسطى تسرب الخفاجة إلى العراق حيث يشكلون الآن مجموعتين منفصلتين، تسكن الأولى جنوبي الحلة ولم يزل يوجد في صفوفها فخذ اسمه كعب، بينما انضمت الثانية إلى المنتفق وتسكن جنوبي الشطر.

ومهما يكن من أمر هذه القرابة فإننا لا نقف على أرض صلبة إلّا مع انتقال القبيلة إلى خوزستان: حدث هذا الانتقال في العقد الأول أو الثاني من القرن السابع عشر بتوجيه من أفراسياب باشا البصرة[3]. وكان أفراسياب، مؤسس أسرة حاكمة شبه مستقلة تحدثنا عنها باختصار في الجزء الثالث (ص 278)، قد استعاد جزائر، التي بايعت في عام 1004هـ/ 1595م والي الحويزة، واستكمل منطقته باحتلال قبان. وكانت قبان، الواقعة على أحد فروع الكارون الصالحة للملاحة، وهو على الأرجح المصب الرئيسي للكارون آنذاك، سوقاً تجارية هامة ومركزاً لمنطقة مروية جيداً. وكانت مدينة قبان ومنطقتها حتى ذاك الحين ملكاً لزعيم من قبيلة الأفشاريين (بكتش آغا) عرف كيف يبقى مستقلاً عن شاه الفرس[4]. في هذا الوقت قام أفراسياب

---

(1) لايارد، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، العدد 16 (1846م)، 42؛ إينسوورث، رحلة الفرات، الجزء الثاني، 207.

(2) هذا ما يقوله كسراوي أيضاً، 141 (دون ذكر المصدر الذي اعتمد عليه).

(3) صحيح أن هذا غير مذكور صراحة في المراجع (فتح الله بن علوان الكعبي، زاد المسافر ولهفة المقيم والحاضر، بغداد، 1914)، لكن الكسراوي، ص 142، استخلصه بشكل صحيح من سياق النص. أما التاريخ فهو مرتبط بالتاريخ الذي نضعه لفترة حكم أفراسباب؛ فتح الله الكعبي يضعه: 1005هـ ـ 1012هـ/ 1596م ـ 1604م؛ لونفريغ، ص 104 يضعه: 1612م ـ 1624م.

(4) انظر الصفحة 19 أعلاه.

بتوطين كعب، الذين كانوا قد ساعدوه على إعادة احتلال جزائر، في قبان لكي يحمي أراضيه الجديدة من هجمات القبائل المجاورة. ومنذئذ أصبحوا يسمون، خلافاً للآخرين الذين يحملون نفس الاسم، كعب (چعب) القبان.

وقد قدمت كعب له ولخليفته علي باشا شكرها على ذلك. فخلال حصار البصرة من قبل الفرس (1038هـ/ 1629م) أثبت شيخها بدر بن عثمان ولاءه المطلق لسيده. إذ وقف بمنتهى الحزم ضد من فكروا بالالتحاق بالفرس بسبب الوضع اليائس للمدافعين. وبعد إنقاذ المدينة بما يشبه المعجزة ـ أدى نبأ وفاة الشاه عباس الكبير إلى رفع الحصار فجأة ـ أبدى الشيخ كثيراً من الشهامة والحكمة بأن أنقذ حياة أقرباء علي باشا الذين كانوا محكومين بالإعدام بتهمة الخيانة العظمى بسبب تفاوضهم مع العدو[1]. وبينما كان علي باشا يسعى إلى كسب قلوب الناس ومحبتهم بالحسنى، فقد عرّض ابنه حسين المتسرع والطموح ولاءهم لتجربة قاسية (1650؟ ـ 1668م). إذ تحدى سيده الأعلى، السلطان، مرتين وخسر البصرة واستعادها مرتين. وعندما كان عام 1667م يستعد لصد حملة تأديبية تركية جديدة، أمر بإبعاد جميع سكان البصرة والقرى المجاورة غير القادرين على حمل السلاح. وقد وصف أحد أعضاء قبيلتنا، وهو الشيخ فتح الله بن علوان، البؤس المرير الذي عاناه اللاجئون الذين لم يكن لهم أي مأوى سوى الجامع ولا مصدر للرزق سوى التسوّل. وفي نفس الكتاب تحدث أيضاً باختصار عما عاشه هو نفسه: عندما وصلنا خبر هروب حسين باشا انتابنا خوف شديد من الأتراك. فجمعنا بأقصى سرعة بعض الحاجيات الضرورية وصعدنا مع النساء والأطفال إلى السفن التي تنقلنا إلى بندر معشور (أنظر الصفحة 36، 37 أعلاه). لكن سفينتنا جنحت واصطدمت بالأرض بحيث أننا رأينا الموت أمام أعيننا. غير أنها ما لبثت أن عامت من جديد. وعندما وصلنا إلى بندر معشور وجدنا فيها مجاعة، وهكذا عدنا بعد 40 يوماً إلى ديارنا قبّان.

---

(1) سيّد علي الثاني من الحويزة عند الكسراوي، 144. ومما يؤسف له أن الكسراوي لم يسجل القصائد التي طلب الشيخ بدر بن عثمان بواسطتها من علي باشا العفو عن أقربائه.

ومما يثير الدهشة السرعة التي تكيف بها كعب في موطنهم الجديد مع عادات المدينة وطبائعها؛ فالشيخ فتح الله لم يكن شاعراً وحسب، بل درس عدة أعوام في شيراز وتولى منصب قاضي البصرة. وكان أبوه أيضاً رجلاً متعلماً (وهو يحمل لذلك مثل ابنه لقب "شيخ")، والاثنان لم يكونا الوحيدين اللذين يهتمان بالعلم والمعرفة في القبيلة[1].

أما المخاوف التي ساورت الشيخ فتح الله وأصدقاءه من الأتراك فقد تبين أنه لا مبرر لها. فالبصرة التي استعيدت (عام 1668م) كانت ملكاً متعباً[2] احتاجت المحافظة عليه إلى كثير من الجهد بحيث أن الأتراك لم يكن لديهم وقت للاهتمام بالأتباع وراء شط العرب. ولكن مع بدء القرن الجديد سادت في البصرة ظروف منظمة، وعندئذ تعزز أيضاً النفوذ التركي على كعب. ومن ناحية أخرى بدأ يرتسم في هذه الفترة الموقع المزدوج لكعب: فقد كانوا يدفعون عن ناحيتي حفار[3] وقبان الضرائب للأتراك[4]، أما عن المنطقة الأبعد نحو الداخل فكانوا يدفعون الضرائب للأفشاريين في دورق، أي لرعايا فارسيين[5].

في عهد نادر، 1730م ـ 1747م (منذ عام 1736م نادر شاه)، اصطدم كعب

(1) كسراوي، 148.

(2) لونكريك، 118.

(3) كانت في القرنين السابع عشر والثامن عشر تعني المنطقة المحاذية لمجري النهر الذي يشكل اليوم الفرع الرئيسي للكارون من جهة المصب، وتشمل المدينة الرئيسية لهذه المنطقة (وهي متطابقة مع قلعة دزحفار (كسراوي، 160) التي دمرها عام 1765م كريم خان) ومجرى النهر ذاته؛ انظر تيغينو (قام برحلته عام 1638م)، رحلة (فواياج)، الجزء الثالث، 550 وما بعدها. الخريطة رقم 19 في نيبور، آرابيين بلاد العرب، وخورشيد، 29 وما بعدها. أما رحالة القرن التاسع عشر، وأيضاً ويلسون عند فيلد، ص 187، لا يعرفون حفار إلا كاسم للكارون الأدنى (اعتباراً من نهر بهمشير نحو الأسفل)، انظر أيضاً اسم مركز الناحية صدر الحفار، خورشيد، 20.

(4) نيبور، آرابيين بلاد العرب، 320.

(5) لايارد، 42 (حكايات القبيلة).

لأول مرة مع الفرس. فقد استغلوا ثورة محمد خان بلوتش «بلوج» (1733م) للقيام بغزوات سلب ونهب باتجاه دورق، لكن قوات نادر حاصرتهم في قلعة أميان وأجبرتهم على الاستسلام. وفي الجنوب حاربوا عام 1147هـ/ 1734م ـ 1735م إلى جانب حاكم البصرة ضد المنتفق، وبما أن شيخهم (فرج الله) سقط في المعركة استغل العثمانيون الفرصة لتعيين خليفته (طهماز)[1]. وعندما اغتيل طهماز في العام التالي جاءت حملة من البصرة وأعادت فرض النظام. ولكن عندما هاجم نادر الأتراك في الجنوب أيضاً، انقطعت الرابطة بين كعب والعثمانيين. وفي عام 1743م شارك زعيم كعب الشيخ سلمان البو ناصر في الحصار الذي فرضه الفرس على البصرة[2].

في الأعوام التالية، التي انتقلت فيها ساحة الحرب الفارسية التركية نحو الشمال، بدأت القسوة المتزايدة لنادر تجعله يخسر قلوب الناس وولاءهم. فقد أصبحت فارس، التي رحبت به في الماضي كمحرر من النير الأفغاني، تنتظر الآن موته. ففي كل مكان من البلاد تصاعد الغليان الشعبي واندلعت ثورات حتى قبل اغتيال آخر محتل آسيوي في عام 1747م.

تأثرت كعب أيضاً بهذه الاضطرابات. فقد كانت منذ أجيال كثيرة محصورة في شريط ضيق، وخلال فترة السلام الطويلة ازدادت قوة ولم تتأثر إلّا قليلاً من الحروب الكبيرة. ولذلك كانت القبيلة تنتظر الفرصة المناسبة لكي تتوسع. وكانت دورق، أقرب منطقة حضرية، الهدف الذي تضعه القبيلة نصب أعينها منذ زمن طويل. ومثل قبان كانت دورق أيضاً من المناطق القديمة التي يحكمها الأفشاريون. وكانت تسكن فيها الآن الأسرة الحاكمة لموالي الحويزة، التي كان نادر قد عوضها عن فقدان قبيلتها لأراضيها بإعطائها تلك البلدة. ولم يكن يشغل بال مولى مطلب حاكم دورق سوى فكرة واحدة وهي استعادة أرض أجداده، الأمر الذي يدعونا إلى الافتراض بأنه مد يده على الفور إلى القوة الناهضة على الكارون، أي كعب،

(1) هكذا نفهم الأخبار التي ذكرها كسراوي، 150، وأوتر، 2، 147، 169.

(2) كسراوي، 150 وما بعدها.

ووعدها بتسليمها دورق لكي يحمي ظهره عند تنفيذ مشروعه. لا يذكر تاريخ كعب شيئاً عن هذه المفاوضات[1]، بل يبدأ فوراً بالحديث عن الرحيل. فعندما انتشر خبر وفاة نادر تحرك كعب بأقصى سرعة مع نسائهم وأطفالهم وكل ما يملكون نحو دورق. ولكنهم في منتصف الطريق فقدوا شجاعتهم. فقد كان خوفهم من نادر كبيراً إلى درجة أنهم توقفوا عن المسير لكي يتأكدوا من صحة الخبر. وفور وصول الخبر الصحيح تابعت القبيلة مسيرها ووصلت إلى هدفها دون قتال. وبعد وقت قصير طُرد الأفشاريون الذين كانوا يحومون هنا وهناك في محيط المدينة. وبدلاً من مدينة دورق شبه المتداعية اتخذ الشيخ سلمان من فلاحية[2]، الواقعة على مسافة غير بعيدة جنوباً، عاصمة له ووسع فيما بعد سلطته حتى الهنديان (زهرة).

ظل سلمان اثنين وعشرين عاماً يحكم، بانسجام تام مع أخيه عثمان، الدولة التي أسسها وحقق فيها ازدهاراً لم يتكرر أبداً. فقد بنى الشيخان حضارة عظيمة. إذ وفرا الأمن في البلاد وشجعا الزراعة عن طريق بناء السدود والقنوات. وقام السد الذي بناه سلمان على الكارون قرب سابلة بتزويد فرع القبان مجدداً بالمياه، بعد أن كادت تغمره الرمال، مما أتاح فتح عدد كبير من القنوات على الجانبين. كما أن سلمان برز كتاجر كبير أيضاً. فعن طريق علاقاته الجيدة مع أعيان البصرة استولى على الأراضي المزروعة بأشجار النخيل الواقعة على الضفة الشمالية للشط وفي جزر النهر، وأرغم السفن التي تجلب القهوة اليمنية من عمان إلى البصرة، على العودة محملة بالتمور. وكانت السفن تدفع له في كل الأحوال رسوماً جمركية؛ إذ إن أسطوله التجاري، الذي بدأ ببنائه عام 1754م، كان يسيطر على شط العرب. وكان يتألف في عام 1765م من عشر سفن كبيرة وسبعين سفينة صغيرة[3].

---

(1) في كسراوي (151) الذي كانت لديه مخطوطة هذا العمل المتواضع. وهو يمتد من طاعون عام 1102هـ/ 1690م حتى سقوط عائلة الشيوخ عام 1316هـ/ 1898م ـ 1899م، ويعدد رؤساء كعب ويصف باختصار أفعالهم وآلامهم.

(2) ظلت فترة طويلة تسمى دورق أيضاً.

(3) نيبور، وصف رحلة، 2، 227، وما بعدها، 235؛ آرابيين بلاد العرب، 319 وما بعدها، وهذا

حافظ الشيخ سلمان على استقلاله تجاه إيران بتقديمه المساعدة في الصراع على خلافة نادر شاه مرة لهذا الطرف ومرة للطرف الآخر. وظل الأمر كذلك حتى عام 1170هـ/ 1757م حيث أجبره كريم خان زند، بعد شن حملة عسكرية ضده، على دفع الضرائب[1].

أما مع الأتراك فقد كان هناك كثير من الاحتكاكات والمنازعات. فخلال البلبلة التي حدثت بعد وفاة أحمد باشا والي بغداد (1747م) بدأ قراصنة من كعب بتهديد أمن الملاحة في الشط. فحاول حاكم البصرة التصدي لهذه المشكلة بأن حرض سكان جزيرة الدواسر ضد كعب. لكن المشكلة لم تنته إلّا بعد مجيء سليمان أبي ليلى، الذي تولى إدارة البصرة فترة قصيرة قبل أن ينتقل بصفة باشا إلى بغداد (1749م). وفي الستينيات توتر الوضع مجدداً عندما أوقف الشيخ سلمان دفع الضرائب معتمداً على أسطوله. وفي عام 1761م وعام 1763م قرر العثمانيون شن حملات كبيرة ـ عام 1761م بدعم من مولى مطلب حاكم الحويزة ـ ولكن الشيخ الحذر كان في كل مرة يتراجع في آخر لحظة وينقذ السلام[2].

بهذه الطريقة ظل الشيخ سلمان يقود زورقه بنجاح عبر مختلف الأخطار إلى أن رأى نفسه في عام 1765م مهدداً بتعاون الأتراك والفرس ضده، وهو احتمال لم يكن يتوقعه أبداً بسبب الخلافات السياسية والدينية بين القوتين. وكان الاقتراح لهذه العملية المشتركة قد صدر عن بغداد التي أعلنت استعدادها لتزويد القوات الفارسية بالمؤن والسفن فور وصولها إلى أراضي كعب. فقبل كريم خان الاقتراح على الرغم من أنه لم يكن لديه في الحقيقة سبب وجيه لمحاربة كعب. وتوجه

ما أكده أيضاً سيد عبد الله بن نور الدين (الذي زار نهاية عام 1167هـ/ 1754م الشيخين) تذكريي شوشتر، 165.

(1) نيبور، آرابيين بلاد العرب، 319. حكايات كعب (لايارد، 43؛ كسراوي، 155) تصف الحدث بأنه كان حصاراً فاشلاً لفلاحية.

(2) عزي، تأريخ، 198؛ دوحة، 153؛ كسراوي، 155؛ لونكريك، 167 وما بعدها، 171، 173؛ انظر نيبور، آرابيين بلاد العرب، 320.

إلى فلاحية، التي كان الشيخ سلمان قد أخلاها، ونصب معسكره بين قبان وحفار. لكن المساعدة التي طلبها من الأتراك لم تأتِ؛ كان كل ما وصله من البصرة حمولة سفينتين من التمور وزورق فخم. وفي هذه الأثناء كان كعب قد انسحبوا إلى جزر الشط وفي النهاية إلى الضفة اليمنى. فانتقل الحاكم إلى عبادان، لكن القوات التي أرسلها خلفهم، على سفن قدمها والي الحويزة، عادت دون أن تصل إلى الهاربين. ولكي يؤذي كريم خان كعباً مع ذلك، أمر بهدم سد سابلة. وكان هذا عملاً بربرياً[1] لكنه كان فعالاً. إذ خوفاً من أن يواصل الفرس هذه الطريقة في الحرب، وقد يقطعون في النهاية أشجار النخيل، عرض سلمان الاستسلام ودفع ضرائب سنوية إذا ما غادرت القوات منطقة كعب. وافق كريم خان على العرض وانسحب مع جيشه. وهكذا بقيت مهمة طرد كعب من الضفة اليمنى للشط على عاتق الأتراك. ولهذا الغرض قام محافظ البصرة شخصياً بقيادة القوات التي تحركت باتجاه المجرى الأسفل للنهر. والتحق بالأسطول الذي رافق الجيش البري سفينة تجارية إنجليزية بناء على طلب عميل شركة الهند الشرقية. وافتتح سلمان القتال بالاستيلاء على ثلاث آليات تركية. ثم بدأ بعد ذلك بالتفاوض ونجح مرة أخرى في شراء السلام بدفع غرامة مالية. ولكن السلام لم يدم طويلاً. فقد اكتشف الشيخ أن الإنجليز لم يكونوا مشمولين بالصلح الذي عقده مع الأتراك، ولذلك شعر بأن له الحق في الاستيلاء على ثلاث سفن إنجليزية كانت قد دخلت تواً إلى الشط. أثارت هذه الحادثة الغضب في الهند، وأرسلت بومباي عدة سفن مع فصيلة من قوات المشاة والمدفعية الإنجليزية. كما أن بغداد أرسلت بعض التعزيزات إلى البصرة التي تضررت تجارتها جداً بسبب الاضطرابات (1766م). رغم ذلك لم يحالف الحظ الحلفاء. فقد فضل كعب حرق السفن المستولى عليها بدلاً من تركها تقع في أيدي الأعداء وصدوا هجوماً شنه الإنجليز على تحصيناتهم عند غور موسى. وفي النهاية انسحبت القوات

(1) منذ ذلك الحين تحولت مدينة قبان وأراضيها إلى منطقة قاحلة؛ فقد فشلت جميع المحاولات الرامية إلى إعادة بناء السد.

التركية والإنجليزية بناء على احتجاج خطي من كريم خان اعتبر فيه كعباً من الرعايا الفرس ووضعهم في حمايته وطلب الخروج من الأراضي الفارسية[1].

كعب ـ رعايا فرس (حتى ذلك الحين كانوا يعتبرون رعايا عثمانيين)! هذه كانت نتيجة الحرب التي أرادها العثمانيون.

عند محاصرة البصرة، الحدث الرئيسي في الحرب التي دارت عام 1774م بين القوتين، أبدى كعب استعدادهم لمساعدة كريم خان. فقبل الهجوم بوقت طويل أثاروا بتصرفاتهم الغادرة الاضطرابات في المدينة. وعندما عبر الجيش الفارسي، قادماً من الحويزة، شط العرب تحت القرنة، قطع أسطول كعب خط سفن الحجز التركية ووضع نفسه تحت تصرف الفرس لنقل المؤن والذخائر. وشارك كعب في الحصار الذي دام 14 شهراً (1775م ـ 1776م) ولم يعد شيخ المشايخ بركات إلى فلاحية إلّا في عام 1779م بعد وفاة كريم خان وإخلاء البصرة[2].

أدى النزاع على العرش، الذي بدأ بعد وفاة كريم خان، الصراع بين الزند والقاجاري، إلى جعل كعب تستعيد حريتها الكاملة. وبعد ذلك مر 17 عاماً حتى تمكنت الأسرة الحاكمة الجديدة من ترسيخ حكمها، و20 عاماً أخرى حتى أجبر أولاده علي شاه، الحاكمون في كرمنشاه وشيراز، كعباً على دفع الضرائب[3]. وخلال هذه الفترة كانت كعب شبه مستقلة تجاه الأتراك. في عامي 1784م و1791م نشبت حرب بين الطرفين، ولكن في عام 1787م طلب سليمان باشا الكبير من كعب

---

(1) نيبور، وصف رحلة، الجزء الثاني، 228 ـ 236؛ ميرزا محمد صادق، تاريخ الزيدية، وتاريخ كعب عند الكسراوي، 156 ـ 162؛ ويلسون، الخليج الفارسي، 186 وما بعدها؛ لونكريك، 175.

(2) آ.بارسونز، رحلات في آسيا وإفريقيا، 166 وما بعدها؛ لونكريك، 188 وما بعدها؛ تاريخ كعب عند كسراوي، 163 وما بعدها.

(3) فقط تاريخ كعب (كسراوي، 170 وما بعدها) ولايارد، 43، يقدمان بعض المعلومات الفقيرة عن الحملات ذات الصلة (1227هـ/ 1812م؛ 1231هـ/ 1816م؛ 1233هـ/ 1818م).

المساعدة ضد أعدائهم القدامى المنتفق، وفي عام 1806م دافع فرسان من كعب عن الزبير ضد الوهابيين[1].

لم تشهد منطقة كعب في عهد خلفاء سلمان توسعاً هاماً. فقد احتل الشيخ بركات (1184هـ ـ 1197هـ/ 1770م ـ 1783م) رام هرمز وهنديان ثم خسرهما خليفته غضبان في بادئ الأمر، لكنه استعادهما بعد ذلك[2]. وفي عهد هذين الشيخين حافظ أسطول كعب على الأهمية التي يعود الفضل فيها للشيخ سلمان؛ فقد سيطر على الضفة الفارسية للخليج حتى بوشهر (بوشير) وعلى الضفة العربية حتى الكويت[3]. وبعد ذلك اختفى من البحار المفتوحة. وفي العقدين القادمين، مع نهاية القرن، أدت الخلافات بين زعماء كعب المتبدلين بسرعة إلى إضعافهم. وظل الأمر كذلك إلى أن جاء الشيخ غيث (ابن غضبان، 1227هـ ـ 1244هـ/ 1812م ـ

---

(1) لونكريك، 204 ـ 206؛ تاريخ كعب عند الكسراوي، 164.

(2) رام هرمز لم تبق زمناً طويلاً في يد كعب. فقد تبدلت السلطة هناك في الثلاثينيات بين آل خميس والبختياريين وأسياد بهبهان. وفي عام 1841م كان الجزء الواقع شرقي النهر من هنديان في يد أسياد بهبهان، بينما كان الجزء الغربي في يد كعب، لايارد، 13 وما يليها، 24.

(3) كسراوي 164 كتب في السطر 14 عمان، وفي السطر 16 عدن، والصحيح في الحالتين عدان. هذا هو اسم الشريط الساحلي جنوبي الكويت، انظر ياقوت؛ هاندبوك أوف آرابيا، الجزء الأول، 291. وفي الكويت كان ضغط كعب قوياً إلى درجة أن جد الأسرة الحاكمة في البحرين، محمد ابن خليفة، هاجر من هناك إلى الزبارة (مقابل البحرين) في نهاية الثمانينيات ـ أي في عهد الشيخ سلمان؛ محمد بن خليفة النبهاني، التحفة النبهانية، 119، ولتحديد التاريخ، المصدر نفسه، ص 121. وفي عام 1778م ـ 1779م كان عتوب الكويت والزبارة، أي آل صباح وآل خليفة، مشتبكين مجدداً في حرب مع كعب: Kemball, Memoranda on the resources, localities and relations of the tribes inhabiting the Arabian shores of the Persian Gulf (1845) in Selections from the Records of the Bombay Governament, No. XXIV, New Series, Bombay 1856, 301.

كيمبل، مذكرة دبلوماسية لمصادر ومواقع والعلاقات بين القبائل العربية الموجود على شاطئ الخليج الفارسي «العربي» 1845 المختار من سجلات حكومة بومبي 1856.

انظر كسراوي، 164 أدناه وما بعدها.

1828م/ 1829م) الذي حكم زمناً طويلاً كافياً لكي يستطيع تعزيز قوته وتوسيعها: فقد دعم حمود شيخ المنتفق عند محاصرته للكويت[1]. وهناك حدثان هامان آخران من هذه المرحلة يجدر ذكرهما وهما: مجيء الباوي (الباوية) الذين انفصلوا عام 1205هـ/ 1790م ـ 1791م عن بني لام ونزلوا على الكارون قرب إسماعيلي، وتأسيس ميناء المحمرة على يد حاجي «الحاج» يوسف بن مرداو شيخ المحيسن، فخذ من كعب (1812م)[2].

في الثلاثينيات بدأ فصل جديد في تاريخ كعب كان نجمه الساطع الشيخ ثامر[3]. فقد حوّل ثامر (1832م؟ ـ 1841م) المحمرة، حيث كان في هذه الأثناء الشيخ جابر قد خلف أباه يوسف، إلى ميناء حر. وخلال وقت قصير ارتفع حجم البضائع المشحونة عبر المرفأ إلى درجة أن تجارة البصرة وارداتها الضريبية، التي كانت حتئذ المركز الرئيسي لشحن البضائع بالنسبة لجنوب غرب فارس، تراجعت بشكل واضح. ولم يكن علي رضا باشا بغداد مستعداً لقبول هذه الخسائر، ولذلك فكر باستعمال القوة لإعادة الوضع إلى حالته السابقة. وشجعه على تنفيذ خططه القنصل الفرنسي في البصرة فونتانييه، بينما كانت بريطانيا مهتمة بالمرفأ الجديد وتقدم الدعم لشيوخ كعب لتنفيذ أهدافهم التجارية. وبالفعل قرر علي رضا في عام 1254هـ/ 1838م[4] شن حملة ضد المحمرة بررها بحق الدولة العثمانية في الضفة

---

(1) تاريخ كعب عند كسراوي، 170، 172؛ انظر لونفريغ 228.

(2) خورشيد، 87. بخصوص تاريخ تأسيس المحمرة نشير إلى ما يلي: صحيح أن كينآير الذي زار عربستان عام 1810م يذكر في، مذكرات جغرافية عن الامبراطورية الفارسية، لندن 1813م، قرية المحمرة، ولكن المقصود بذلك لم يكن البقعة المسوّرة وإنما ما كان هناك قبل ذلك، وهو مستوطنة فلاحية صغيرة ورد ذكرها عند خورشيد، 25 وما بعدها.

(3) المراجع: V. Fontanier, Voyage dans l'Inde et dans le Golfe Persique, I, 347 ff. (1835 - 36); C.A. de Bode, Travels in Luristan and Arabistan, II, 177 ff. (1841); Reza Kuli Chan Hidajat, Mulhakati Raudat ul-safa, X., Kapitel: Dar tahkiki 'Arabistan; Kasrawi, 182 ff.

(4) ساوثغيت (1838م)، الجزء الثاني، 190: نهاية 1837م؛ لونفريغ، 278: 1837م.

اليسرى لشط العرب وفي حكم كعب، وهو حق لم يتخل عنه العثمانيون من الناحية القانونية الشكلية أبداً[*] اشتبه الفرس على الفور في الأمر وعرض معتمد الدولة (انظر ص 28) على الشيخ ثامر إرسال قوات لمساعدته، لكن الشيخ ثامر رفض العرض لأنه شعر بالأمان بسبب تصديقه الإشاعة[1] التي نشرها علي رضا والتي تقول بأن الحملة موجهة ضد البصرة. وهكذا فوجئ كعب بالهجوم دون استعداد. ففي 23 رجب/ 12 أكتوبر/ تشرين الأول هوجمت المحمرة. ودخل الأرناأوطيون والأقوام العربية المساعدة إلى المدينة ومارسوا فيها أعمال القتل والحرق؛ وتمّ أسر النساء والأطفال. لكنهم أعيدوا فيما بعد إلى أقربائهم. وقد تغنى الشاعر عبد الباقي العمري[2]، وهو أحد المحاربين، بالحملة في قصيدة منظومة بأسلوب كلاسيكي قديم. وتمكن حاجي جابر من الهرب إلى فلاحية في آخر لحظة لكنه عاد مرة أخرى وقدم نفسه في الكويت للباشا الذي كان قد طيّب خاطره وأرضاه بأن أهداه عدداً من الخيول الأصيلة. وبعد ذلك عين علي رضا أحد أقرباء ثامر، عبد الرضا، الذي كان قد فر إلى بغداد نتيجة خلاف عائلي، شيخاً على كعب وأرسله إلى الفلاحية. لكن عبد الرضا لم يتمكن، على الرغم من دعم الباويين له[3]، من الوقوف في وجه ثامر وعاد إلى بغداد.

إضافة إلى ذلك كانت نتيجة الحملة مخيبة لآمال الأتراك من جانب آخر أيضاً. فقد أعيد بناء المحمرة واستعادت بعد وقت قصير أهميتها السابقة. وبعد بضعة أعوام احتلت القوات الفارسية المدينة: ففي عام 1841م هرب زعيم البختياريين المنبوذ محمد تقي خان[4] من وجه معتمد الدولة إلى الفلاحية. فتبعه حاكم المنطقة

(*) راجع الهامش في صفحة 26 من هذا الجزء (ماجد شبّر).

(1) دي بوده: "بواسطة قريب له يعمل في خدمة الأتراك". يجب أن يكون عبد الرضا (انظر النص أدناه) هو الذي نقل الإشاعة الكاذبة، الأمر الذي يتناسب مع دوره فيما عدا ذلك..

(2) 1789م ـ 1861م. GAL, SII, 782.

(3) يقال بأن ثامر أمر فيما بعد بقتل شيخ الباويين بينما كان في ضيافته، لايارد، 38.

(4) انظر الصفحة 16. وصفه لايارد، مغامرات مبكرة، بطريقة جذابة.

مع قواته ونصب معسكره على مسافة قريبة من المدينة وطلب تسليم المتمرد. لم يكن في وسع الشيخ ثامر تلبية الطلب دون أن يفقد شرفه. ولذلك بدأت عملية من محاولات الوساطة والمكائد الشرقية انتصر فيها في النهاية الفرس: فقد سلم نفسه محمد تقي خان طوعاً. بعد ذلك تعين على ثامر تسليم عائلة وأقرباء الزعيم البختياري. لكنه لم يستطع تلبية هذا الشرط وقرر بدلاً من ذلك الهجوم ليلاً على المعسكر الفارسي وتحرير محمد تقي خان الذي كان في حمايته. استمر القتال حتى الفجر لكنه لم يؤد إلى النتيجة المنشودة. وكان معتمد قد تلقى تعزيزات في هذه الأثناء. فقد وصلته قوات من والي الحويزة مولى فرج الله ومن شيخ الباويين (عجيل) وغيرهما بحيث شعر بأنه قوي بما فيه الكفاية ليهاجم الفلاحية التي كان ثامر قد وضعها في حالة دفاعية جيدة عن طريق فتح ثغرات في السدود. وفي آخر لحظة أرسل الشيخ مفاوضين جدداً من رجال الدين في الفلاحية. وتمّ الاتفاق على أن يدفع ثامر الضرائب المتخلف عن دفعها وأن يسلّم من تبقى عنده من البختياريين. وافق ثامر على تلبية الشرط الأول لكنه طلب مهلة لتنفيذ الشرط الثاني وقدم رجلين من أقربائه ضمانة للتنفيذ. وعلى إثر ذلك انسحب معتمد مع جيشه إلى شوشتر. لكن ثامر لم يطاوعه قلبه هذه المرة أيضاً لتنفيذ التزامه. وفضل التضحية بأقربائه على تسليم من احتموا عنده، ولذلك أمر بالسماح للبختياريين بالهرب. وما أن مضى قيظ الصيف حتى توجه معتمد من جديد إلى فلاحية لكي يصفي حساباته نهائياً مع كعب. ففر ثامر مع أسرته إلى الكويت[1]. عندئذ عين معتمد عبد الرضا، مرشح الأتراك لعام 1837م/ 1838م، شيخاً لكعب. وعندما اختفى عبد الرضا فجأة

(1) لايارد، الذي عاش هذه الأحداث في فلاحية حتى انسحاب معتمد إلى شوشتر، يصفها باختصار في "مجلة الجمعية الجغرافية الملكية"، العدد 16، ص 41، وبالتفصيل في "مغامرات مبكرة"، الجزء الثاني، 52 ـ 104. ويؤكد روايته التقريرُ الرسمي "ناسخ التواريخ" (كسراوي، 188؛ وهو متضمن أيضاً جزئياً في "مغامرات مبكرة"، الجزء الثاني، 285 وما بعدها). وكلا الروايتين متحزبتان. وقد اعتمدنا على الرواية الفارسية لأنها أكثر موضوعية من رواية لايارد التي يطغى عليها طابع الحكاية.

من فلاحية لأسباب غير معروفة، أمر معتمدُ حاكم الحويزة مولى فرج الله بنقل مقره إلى هناك وأوصاه بالاهتمام بشكل خاص بازدهار المحمرة التي كانت في هذه الأثناء قد احتلتها القوات الفارسية.

افتتحت هذه الحملة في تاريخ كعب حقبة جديدة: فقد انهار الكيان الجماعي الذي أسسه الشيخ سلمان. صحيح أن حلفاء ثامر ظلوا يحملون لقب شيخ المشايخ لكنهم ما عادوا يحكمون سوى كعب الفلاحية وشريفات ده ملاّ الذين يعيشون في حمايتهم. أما المحيسن فقد أصبحوا مستقلين. ومرة أخرى ستنبعث دولة كعب ـ في بداية القرن التاسع عشر ـ ولكن ليس بقيادة عائلة الشيوخ القديمة البوناصر وإنما بقيادة آل مرداو، سادة المحمرة وشيوخ المحيسن، الذين سيحتلون منذ الآن مركز الصدارة في عرضنا.

على رأس القبيلة كان يقف آنذاك كما في عام 1837م حاجي جابر. وكان حاجي جابر يتمتع بحس صحيح تجاه الأزمان والعهود. صحيح أن الظروف التي تبعث وفاة محمد شاه (1848م) شجعته على الاشتراك في الثورة التي قامت بها قبائل عربستان، وعوقب على ذلك بإقامة إجبارية في طهران[1]، لكنه وقف منذ عودته بثبات إلى جانب فارس. وبفضل ولائه لم يبال كعب بنمائم العضو التركي في لجنة الحدود درويش باشا. وعند انتشار وباء الطاعون في عام 1851م و1853م ساعد جابر ضباط الحامية الفارسية الصغيرة البائسين. وخلال الحرب الإنجليزية الفارسية عام 1856م ـ 1857م، التي دارت رحاها على ساحل الخليج العربي، أثبت الشيخ ولاءه من جديد. وبما أن الفرس كانوا يخشون هجوماً باتجاه شط العرب نقل القائد الأعلى هناك، خانلر ميرزا (حشمت الدولة، حفيد فتح علي شاه)، مقره الرئيسي إلى المحمرة. وأقيمت هناك الاستحكامات العسكرية ونصبت فيها المدافع؛ ويبدو أنه كان هناك نقص في الذخيرة. وبالفعل فقد دخل أسطول إنجليزي إلى الشط وبدأت الحرب في فجر يوم 26 مارس/ آذار 1857م. أبدى كعب مقاومة ممتازة،

(1) ناسخ التواريخ عند كسراوي، 197 وما يليها.

بينما كان أداء الجنود الفرس ضعيفاً. أما خانلر ميرزا فقد فشل فشلاً كاملاً. فما أن أنزلت السفن الأولى قواتها حتى أصدر أمراً بالانسحاب. وحاول حاجي جابر عبثاً حثه على الصمود. وهكذا استولى الإنجليز على المحمرة وتقدموا حتى أهواز. وبعد ذلك توقفت المعارك عند وصول نبأ اتفاقية السلام التي أبرمت في 4 مارس/ آذار[1].

لم تبخل فارس بالإعتراف بالخدمات التي أداها الشيخ جابر. وبصفته حاكم المحمرة وسرحد دار "حارس الحدود" حصل على لقب خان وعلى الاسم الفخري نصرت الملك وعلى رتبة عسكرية. وفي وقت لاحق رفع إلى رتبة جنرال. وفي عام 1274هـ/ 1857م ـ 1858م وضع خانلر ميرزا الباويين تحت إمرته وهكذا أصبح كعب من شط العرب حتى الأهواز خاضعين له. ونتيجة تقديره السليم للمركز الذي اكتسبته بريطانيا ليس فقط في الخليج وإنما أيضاً على الفرات والدجلة، فقد حرص حاجي جابر على بقاء علاقاته جيدة مع هذه القوة، وعرف الإنجليز كيف يقدرون له هذا الموقف. فقد كانت سفن البريد الهندية تتبادل التحية (إطلاق طلقة مدفع) مع "فيليّه"، وهو القصر الواقع فوق مصب الكارون والذي يقيم فيه الشيخ، وانتقل هذا الامتياز إلى خلفائه من بعده. ومثل كثير من حكام كعب كان الحس التجاري والميل إلى الكسب مزروعاً في دم حاجي جابر أيضاً. ففي عام 1850م كان يمارس التجارة على سفنه الخاصة مع مسقط وبومباي[2].

توفي حاجي جابر في عام 1881م. فسار ابنه الثاني مزعل على خطاه وحصل على مرتبة ولقب أبيه. وبمنتهى الحذر والبعد عن الحماس قبل بدور الحاكم الفارسي الذي كان أبوه قد تلبسه شيئاً فشيئاً. ولم تبخل الحكومة أبداً في إعطائه ما يستحقه من التقدير: فقد حصل الاسم الفخري معز السلطنة وعلى رتبة مارشال؛ وبالطبع كانت هذه المناصب تكلف المال.

---

(1) كسراوي، 199 وما بعدها (بناء على فرمانات في حوزته)، 201 وما بعدها.

(2) كسراوي، 199، 207 وما بعدها. لوفتوس، 285.

عمل مزعل مثل أبيه في التجارة وتشغيل السفن. وكانت الظروف مؤاتية لهذه الأعمال؛ إذ إن الزراعة والتجارة بدأت بالازدهار في عربستان. وفي عام 1888م فتح الكارون الأدنى أمام الملاحة الأوروبية[1]. ونتيجة لذلك بدأ المرفأ النهري (بندر) ناصري بالازدهار. كما أن المحمرة شهدت مرحلة من النهوض وارتفع عدد سكانها خلال أعوام قليلة من 4000 إلى 7000 نسمة. اتخذ مزعل في البداية موقفاً مرتاباً من تزايد النفوذ الإنجليزي ـ كانت بريطانيا قد فرضت فتح الكارون. بالمقابل كان يقيم علاقات جيدة مع الأتراك[2]. انتهت حياة مزعل بالقتل غدراً (2 يونيو/ حزيران 1897م). وسنتحدث بالتفصيل في الفصل القادم عن ظروف قتله. وخلفه في الحكم أخوه خزعل.

كان الشيخ خزعل خان (1897م ـ 1924م) محظوظاً إلى أبعد الحدود. فعندما تولى الحكم وجد مقابله حكومة مظفر الدين شاه الفاسدة (1896م ـ 1906م). وقد عرف الرجل الذكي والطموح كيف يستغل نقاط ضعف الشاه وجشع الحاشية المحيطة به. ففي عام 1316هـ/ 1898م ـ 1899م أوكلت إليه الإدارة المالية في الفلاحية. وهذا يعني سقوط آخر شيخ مشايخ كعب.

بعد ذلك نجح في فصل منطقته عن إقليم عربستان وتتبيعها لطهران مباشرة. ولكن في عام 1900م حدثت انتكاسة: فقد أعيد تنظيم الشؤون الجمركية الفارسية على أسس جديدة وتولت الحكومة مهمة جباية الجمارك. ظل خزعل فترة طويلة يقاوم هذا القرار لكنه قبله فيما بعد[3]. وقد عُوِّض عن هذه الخسارة تعويضاً

---

(1) فوق الأهواز بقيت المواصلات مقتصرة في بادئ الأمر على الشركة الفارسية "الناصرية" التي كان مزعل شريكاً فيها.

(2) مدام ت. ديولافي، الفرس، باريس، 1887م، 525 وما بعدها؛ كورزون، الجزء الثاني، 325، 337، 340، 385 وما بعدها. ماكس فرايهرفون أوبنهايم، من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي، الجزء الثاني، 307، والمراجع المذكورة هناك؛ كسراوي، 212 وما بعدها، 221؛ أقوال محمد البسام (1915م).

(3) ماسينيون، ديفو دي موند ملسمان، 6 (1908م)، 398. في عام 1850م كان يوجد مركزان

سخياً: أعطي جميع الأراضي الحكومية على ضفتي الكارون (1319هـ/ 1901م ـ 1902م). وبما أن الأراضي، التي تقع عليها أهواز/ ناصري، كانت أراضي أميرية، حقق خزعل خان عن طريق البيع أرباحاً هائلة عندما توسعت المدينة بسبب مجيء تجار أغنياء من ديزفول وشوشتر إليها، وفي وقت لاحق بسبب أعمال شركة النفط الإنجليزية الفارسية (آنغلو برزيان أويل كومباني). وفي وقت لاحق أسندت له أيضاً إدارة أهواز/ ناصري. وهو من ناحيته ساند الحكومة في الحملة التي شنتها ضد بني طرف والتي تحدثنا عنها (في الصفحة 62) أعلاه. كما أنه أرسل مراراً بناء على طلب رسمي من الحكومة جماعات من العرب إلى شوشتر كانت تقوم هناك بفرض النظام والهدوء باستعمال الخشونة (انظر الصفحة 30 وما بعدها، وكذلك كسراوي، 235 وما بعدها).

قدمت الثورة الفارسية (عام 1906م) لخزعل خان وسيلة أخرى لتوسيع سلطته. فقد استغل تراجع سمعة الحكومة وازدياد حاجتها إلى الأموال لصالحه: عندما يتأخر زعيم قبيلة عن دفع الضرائب كان يعرض على الفور استعداده لتحصيل المبلغ إذا ما أعطي حق جباية الضرائب من المنطقة ذات العلاقة. وكانت الحكومة مضطرة لقبول ذلك. وهكذا أخضع خزعل آل كثير وآل خميس وبني طرف. وجاءته ثروة جديدة أيضاً من شركة النفط الإنجليزية الفارسية التي غطت البلاد منذ عام 1909م بشبكة من المنشآت. فقد أعطته حصة فيها[1] لأنه الوحيد القادر على توفير الأمن لأعمالها.

كان خزعل يدعم في فارس منذ عام 1909م الحزب الدستوري[2] وكان يقيم علاقات جيدة مع العثمانيين لأنه كان يملك بساتين نخيل على الضفة اليمنى لشط

جمركيان لكعب: في رهوالي على الكارون، حيث كان شيخ المشايخ يتقاضى شامي (8 قروش) عن كل حمولة حمار واحد، وبعيداً إلى الأعلى في إسماعيلي حيث كان شيخ الباوي يتقاضى الضعف، خورشيد، 34.

(1) 3٪ من الأسهم و3000 جنيه استرليني كل عام، درنويه أورينت، 1 (1917م)، 24.

(2) د. فريزر، فارس وتركيا في غليان، لندن، 1910م، 257 وما يليها.

العرب وأراض في البصرة. وكانت تربطه علاقات صداقة مع الشيخ مبارك بن صباح شيخ الكويت. والشيخ مبارك أيضاً كانت له أملاك على الشط وكان في وضع بالغ الخصوصية: كانت الكويت تابعة للدولة العثمانية ولكنها كانت منذ اتفاقيتي عام 1899م و1903م تحت الحماية البريطانية. وكانت دعامة الطرفين في البصرة رئيس حزب تركيا الفتاة، نقيب الأشراف سيد رجب وابنه سيد طالب. وبعد سقوط السلطان عبد الحميد دفعت هذه الدوائر أيضاً إلى الارتماء في أحضان الإنجليز بسبب اعتماد الأتراك على الأفكار القومية بطريقة في غاية الفظاظة(*). وقد نجح خزعل وسيد طالب في إخفاء نيتهما الحقيقية تجاه الأتراك. فقد خدعا آخر والي عثماني للبصرة، شفيق سليمان باشا، وهو ضابط مدلل وأنيق، عند وصوله مباشرة عام 1913م. كان خزعل الوسيط الذي يرتب الاتصالات السرية بين سيد طالب والبريطانيين[1].

كان خزعل ينقصه شيء واحد هو: ثقة قبائله، ناهيك عن ثقة القبائل الغريبة. وهكذا استطاع مساعدة الإنجليز عند نزولهم على شط العرب، ولكن عندما قاموا، بعد استيلائهم على البصرة، بمد جناحهم الأيمن على امتداد الكارون حتى الأهواز، توقف خزعل عن تقديم المساعدة.

في نهاية عام 1914م وبداية عام 1915م تقدمت قوات تركية من العمارة عبر

(*) في 8 تشرين الثاني 1911م تأسس في اسطنبول حزب الحركة والائتلاف، وقد أسرع أعضاء الحزب الحر المعتدل فانضموا كلهم للحزب الجديد رغبة في توحيد كلمة المعارضة. وفعل السيد طالب النقيب مثل ذلك في البصرة حيث بدل اسم حزبه وجعله فرعاً لحزب الحرية والائتلاف، أن حزب الحرية والائتلاف أخذ يسعى نحو جذب العرب وسائر الأقوام غير التركية إليه ليدعم بهمة موقفه تجاه خصومه الاتحاديين ويقال إنه صار يكشف للعرب أسرار الاتحاديين وكيف أنهم يريدون تتريك العرب والقضاء على تراثهم القومي [د. علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج3، ص 211] (ماجد شبّر).

(1) أقوال محمد البسام (1915م)، ديفيو أوف ميزوبوتاميا، 2، بخصوص سيد طالب انظر الجزء الثالث، 607، الملاحظة 1.

الحدود إلى الحويزة. وكان يرافقها وفد من رجال الدين الشيعة برئاسة ابن مجتهد النجف الأكبر، سيد محمد كاظم اليزدي، لكي يدعو قبائل عربستان إلى الجهاد. ولقيت الدعوة تجاوباً. فقد انضم بني طرف إلى القوات التركية الزاحفة نحو الأهواز وانقض الباوي على الإنجليز من الخلف. وكان خزعل قلقاً جداً إلى أن حرره الانسحاب التركي في أبريل/نيسان من وضعه الصعب[1]. ثم حررته تطورات الحرب اللاحقة من جميع همومه. فلم يزعجه احتلال الإنجليز لعربستان، بل أدى إلى تعزيز مركزه. وعندما انسحبت القوات الإنجليزية عام 1921م كان خزعل يحكم ليس فقط المحمرة والفلاحية والحويزة وأهواز والقبائل في كامل البلاد[2]، وإنما كان له أيضاً نفوذ كبير في شوشتر وديزفول. أما إيران فكانت آنذاك في الحضيض. ونظراً لأنها كانت مرهقة من الحروب التي خاضتها القوى العظمى على أراضيها، بدا أنها راغبة في تسليم نفسها للإنجليز مكتوفة الأيدي.

في هذه الأعوام بعد الحرب ظن خزعل خان أنه يستطيع تحقيق حلم قديم. كان يريد فصل إقليم عربستان عن إيران وضمه كإمارة مستقلة إلى العالم العربي الناهض. في عام 1922م/ 1923م بدأ بالدعوة إلى هذا المشروع بين وجهاء البلاد؛ وحرم خصوم الفكرة من الكلام. وفي الوقت نفسه شن حملة دعائية واسعة النطاق في الصحف العراقية والمصرية[3]. لكن اللحظة التي كان من الممكن أن يتحقق فيها هذا المشروع ـ إذا ما كان تحقيقه ممكناً على الإطلاق ـ كانت قد مضت: كانت إيران قد اجتازت النقطة الدنيا في مسارها التاريخي وأصبحت منذ عام 1921م تسير على طريق الصعود بقيادة الشاه رضا خان. وقبل أن ينفذ خزعل مشروعه وجد نفسه في حالة الدفاع؛ إذ إن رضا خان حسّن في عام 1923م/ 1924م سمعة الحكومة

(1) ريفيو أوف ميزوبوتاميا، 4، كامبين، 1، 166 ـ 233.

(2) باستثناء البختياريين، كسراوي، 428 بخصوص اللوريين انظر سي.جي. أدموندز، المجلة الجغرافية، العدد 59 (1922م)، 344، 347.

(3) أضاف أيضاً إلى نسبة اسم "العامري" لكي يعيد شجرة نسبه عبر خفاجة إلى عامر بن صعصعة الذي كان مشهوراً في أيام النبي، ريحاني، الجزء الثاني، ص 170، وص 82 أعلاه.

في عربستان وأعاد لها هيبتها: أرسلت حامية عسكرية صغيرة إلى شوشتر وأعيد فرض السيادة المالية ـ كان خزعل قد تخلف منذ مدة طويلة عن دفع الضرائب المترتبة عليه عن منطقته ـ وسلطة القضاء[1]. وفي يوليو/ تموز 1924م جاءت ضربة جديدة كانت موجهة ضد الشيخ مباشرة: طلب منه برقياً تسليم الأراضي الأميرية المعطاة له سابقاً لسلطات الإدارة المالية. صحيح أن طهران تراجعت عندما أبدى لها وجهة نظره، لكن خزعل كان يعلم أن هذا التساهل يرمي إلى كسب الوقت فقط. ولذلك قرر إبداء مقاومة مكشوفة وبدأ بإعداد قبائله تأهباً للمعركة. ولم يكن وضعه ميؤوساً منه كلياً بأي حال: كان العديد من خانات البختياريين وأحد زعماء البهمأي[2] راغبين في القتال إلى جانبه إحساساً منهم بأن سقوط خزعل سيعني أيضاً نهاية حريتهم. كما أن أعلى موظفين في الإقليم، محافظ عربستان وقائد القوات العسكرية في شوشتر، اللذين كانا معتادين على التنعم بأموال خزعل، انضما إليه أيضاً. وكان يعتقد أن الإنجليز سيتدخلون دبلوماسياً لصالحه في حال هزيمته. وأملاً في كسب تأييد خصوم الدكتاتور في إيران أسس المتآمرون "لجنة خيرية" (كميته قيام سعاده) لحماية الدستور وحقوق سلطان أحمد شاه، لكنهم لم يحققوا النجاح المنشود. كما أن محاولة كسب تأييد رجال الدين في النجف باءت بالفشل. فقط الصحافة العراقية وقفت إلى جانبهم. رغم ذلك تابع الثوار ـ في هذه الأسابيع انتقلت القيادة السياسية شيئاً فشيئاً إلى ابن خزعل، عبد الحميد، بينما تولى القيادة العسكرية البختياري أمير مجاهد[3] ـ استعداداتهم الحربية: تجمع العرب واللوريون والبختياريون في أهواز ونقلوا من هناك في سيارات مصادرة إلى المنطقة الحدودية الشرقية بين زيدان ورام هرمز حيث كان هجوم القوات الحكومية متوقعاً. وحتى الأفشاريون في شوشتر عبئوا عسكرياً رغم معارضتهم. كما أن رضا خان

(1) لهذا الغرض أرسل سيد أحمد كسراوي تبريزي، مؤلف تاريخ خوزستان والذي يرد ذكره كثيراً هنا، بصفة رئيس محكمة إلى شوشتر حيث نشبت بعد وقت قصير خلافات بينه وبين خزعل.

(2) أهم قبيلة من قبائل كوهقلو.

(3) ميرزا يوسف خان.

أيضاً اتخذ الاحتياطات المناسبة: فقد حرك قواته من شيراز إلى بهبهان، ومن أصفهان عبر جبال البختياريين إلى رام هرمز، ومن بروجرد عبر خرّم أباد إلى ديزفول على الطريق[1] الذي كان اللوريون يقطعونه منذ أعوام. وقبل أن تصبح هذه التدابير فعالة وجدت حامية بهبهان نفسها متورطة في معارك مع البهمأيين الثائرين، لكنها ظلت مسيطرة على الموقف (أكتوبر/تشرين أول 1924م). وبعد بضعة أسابيع فرقت قوات شيراز، بعد معركة قصيرة، عرب خزعل خان على الهنديان قرب زيدان واحتلت بعد ذلك هنديان وده ملاّ. وتمّ دون قتال تفريق شرذمة من البختياريين كانت تقف في جيزان (بين بهبهان ورام هرمز) (نوفمبر/تشرين الثاني). وبذلك كانت الحملة قد انتهت عملياً؛ إذ إن المقاومة التي أبداها أمير مجاهد في رام هرمز كان لها تأثير ضعيف على الأحداث في الأجزاء الأخرى من عربستان.

عند انتشار خبر انتصار الحكومة بدأت تظهر هنا بوادر التفكك. وبما أن الأمل في تدخل الإنجليز لم يتحقق أعلن خزعل خان خسارة الرهان وعرض على رضا خان برقياً الاستسلام. لكنه لم ينفذ أمراً بالتوجه إلى المعسكر الفارسي وإنما هرب إلى المحمرة. وفي هذه الأثناء كان الدكتاتور نفسه قد جاء من شيراز إلى عربستان. وفي 8 ديسمبر/كانون الأول 1924م وصل فجأة مع حاشية صغيرة إلى ناصري الملآى بالمحاربين العرب واستقبل في نفس اليوم (أو في اليوم التالي) زيارة خزعل. ويقال بأن خزعل تملص من الورطة ببيت من الشعر[2]، وكأنه فارسي أصيل(*).

---

(1) انظر سي.جي. إدموندز، لورستان، المجلة الجغرافية، العدد 59 (1922م)، 336.

(2) لعمر الخيام: ('Omari Chaijam:) man bad kuman u tu mukafat dihi pas fark mijani man u tu tsehist bigu أن أسيئ التصرف وأنت تطبق القانون*. وكم هو شاسع الفرق بيني وبينك؟

(*) نص البيت الشعر في اللغة الفارسية هو:

من بد گمان وتو مكافات دهي   پس فرق ميان من وتوچيست بگو

وقد عرّب الصافي النجفي هذه الرباعية:

ولكن في أبريل/نيسان 1925م اعتقل الشيخ خزعل خان فجأة مع ابنه عبد الحميد في فيلّته ونقل إلى طهران[1]. ثم انتقلت بقية عائلته إلى هناك ـ توفي خزعل في عام 1936م ـ على أرجح الظن بمساعدة رسمية من السلطة[2].

ساد الصمت في البلاد ثلاثة أعوام. بعد ذلك فتح الستار: فقد اعتقل عدد من زعماء القبائل، وفي قصبة[3]، مقابل الفاو، ثارت كعب ضد الحكومة، نهاية 1927م. وفي عام 1928م كان الوضع لم يزل غير واضح. فقد قيل إن الثورة قمعت. أما في الحقيقة فكان نطاقها يتسع ولم يتوقف إلّا في نوفمبر/تشرين الثاني بعدما جاء رضا خان شخصياً إلى خوزستان. وكان المحرك الرئيسي للثورة العبء الضريبي الذي كان يثقل كاهل القبائل. صحيح أن الأعباء الضريبية كانت موجودة في السابق أيضاً ولكن يبدو أن الموظفين الإيرانيين الجدد كانوا يستغلون مركزهم لقمع الناس مثلما كان يفعل خزعل وأتباعه[4]. أضيف إلى ذلك زيادة مفاجئة للرسوم، حدثت على الشكل التالي كان خزعل بصفته وكيلاً عاماً لا يجبي الضرائب وحسب وإنما يحصّل أيضاً ريع الأراضي في مناطق واسعة من عربستان السفلى. وبعد سقوطه اكتفت الحكومة في بادئ الأمر بجباية الضرائب، لكنها في عام 1927م

إلَهي قل لي من خلا من خطيئة	وكيف ترى عاش الخليّ من الذنب
إذا كنت تجزي الذنب منيّ بمثله	فما الفرق ما بيني وبينك يا ربي

«رباعيات عمر الخيام ـ تعريب أحمد الصافي النجفي ـ ص 47 ـ دار طلاس، ط5، 1998م» (ماجد شبّر).

(1) كسراوي، 248 وما بعدها. الصحافة اليومية في أورنيته مودرنو، 1924م، 692 وما بعدها، 751 وما بعدها؛ 1925م، 137 وما بعدها، 261؛ 1931م، 413.

(2) الصورة التي يعرضها د.ف.كونام، القومية في إيران، 110 ـ 117، عن الثورة تختلف بعض الشيء عن الصورة التي نعرضها نحن.

(3) أورينته مودرنو، 1928م، 66 وما بعدها: قصبه. المقصود: قصبة النصّار، انظر الجدول، 1 ب. بخصوص الموضوع بكامله انظر نشرات الجمعية الألمانية الفارسية، العدد 10، 3 (أغسطس/آب) 1928م.

(4) انظر لامبتون 1928م.

أصدرت أمراً بتحصيل ريع الأراضي أيضاً لأنها تعتبر نفسها الوريث الشرعي لخزعل. وبسبب القسوة التي نفذ بها هذا القرار غضب السكان جداً إلى درجة أنهم اضطروا في النهاية إلى حمل السلاح.

منذ ذلك الحين لم نسمع على مدى سنين طويلة أي شيء عن تحركات سياسية في أوساط كعب. فقط خلال الحرب العالمية وبعدها حدثت اضطرابات جديدة. وفي بداية الاحتلال الإنجليزي لإيران في أواخر أغسطس/ آب 1941م تمكن إبنان لخزعل، كاسب وعبد العزيز، من عبور الحدود بصورة غير مشروعة إلى العراق. وبالقرب من البصرة وجدا جماعات من كعب كانوا، كما يبدو، قد فروا بعد ثورة عام 1927م/ 1928م، وبعضهم دون عائلاتهم، إلى الضفة الأخرى لشط العرب. وبما أن هؤلاء فقدوا مرة أخرى كل ما يملكون بسبب فيضانات قوية بشكل خاص، وبما أن الأخوين لم يحصلا هنا على المكانة المناسبة، فقد قرروا جميعاً الهجوم على خوزستان لكي يستعيدوا الأملاك التي كانت في الماضي تخص عائلاتهم. ووصلوا حتى منطقة الأهواز لكن القوات الفارسية ردتهم هناك على أعقابهم[1] (بأمر من الإنجليز). ثم هجم كعب على خوزستان للمرة الثانية في عام 1946م بقيادة عبد الله، الابن الثالث لخزعل، الذي كان يعيش في البصرة. وكانت العملية ترمي إلى فصل الإقليم عن إيران. وبالفعل توجه، حسب خبر لوكالة رويتر، في 13 سبتمبر/ أيلول وفد من خوزستان إلى الوزارة العراقية للمطالبة بالانضمام إلى العراق[2]. وعلى أرجح الظن كان عبد الله وراء هذه المبادرة، وقد أراد من الهجوم إعطاءها مزيداً من الزخم. وقد وزعت وكالة الأنباء السوفييتية تاس

(1) استناداً إلى الدكتور مهدي خزل برفرد، أحد أبناء عبد العزيز (19/ 1/ 1966م). س. هـ.
لونكريك، العراق، 1900 حتى 1950م، لندن 1956م ، 328، يقول بهذا الخصوص: إن إيمائية الثورة غير المجدية في خوزستان في عام 1943م لابن شيخ المحمرة المخلوع كان من السهل إخمادها وإن مؤججها قد أعيد إلى البصرة.
المقصود بابن خزعل هنا: كاسب الذي كان يتولى القيادة العسكرية.

(2) أورينته مودرنو، الشرق الحديث 1946م، 102.

عن هذا الموضوع الخبر التالي: "حسب أقوال الصحف الإيرانية والمخبرين الإيرانيين القادمين من جنوب إيران، نزل في الأراضي الإيرانية ثلاثمائة عربي مسلحين بالبنادق والرشاشات جاؤوا في زوارق من العراق، وشنوا هجوماً مسلحاً على مدينة خرم شهر". ولا يذكر الخبر أي شيء عن نتيجة الهجوم، وعما إذا كان المهاجرون قد وصلوا فعلاً إلى أهواز، حسبما يقول مصدرنا، أم إنهم أرغموا على العودة قبل ذلك. أما أن تكون العملية بقيادة رجال من عائلة خزعل فهذا ما يتضح من إضافة للخبر، وإن كانت إضافة غير صحيحة تماماً، تقول بأن كاسب وعبد العزيز هما اللذان قادا الهجوم(*).

نلتفت الآن إلى العلاقات الداخلية في كعب التي لم نلامسها في عرضنا التاريخي إلّا سطحياً. كانت كعب تتألف من ثلاث قبائل فرعية كبيرة (ثلاثة أفخاذ) هي: إدريس، ونصار، ومحيسن، تشكلت، كما يتبين من توزيعها اللاحق، قبل الهجرة إلى دورق (1747م)؛ إذ إن الأفخاذ الثلاثة كانت (ولم تزل؟) ممثلة في

(*) لقد قامت سلسلة من الثورات والانتفاضات في عربستان في الفترة الممتدة بين عام 1925م وعام 1949م، ففي عام 1928م شهدت الحويزة ثورة بقيادة محي الدين الزئبق وشكل حكومة دامت ستة أشهر، وفي عام 1940م ثار الشيخ حيدر الكعبي في منطقة الميناو، وقد أيدتها القبائل العربية إلّا أنها اصطدمت بقوات فارسية بريطانية مشتركة. وقد أعدم حيدر الكعبي وأربع من رفاقه، وفي عام 1943م قامت ثورة الفجرية (سميت بالفجرية نسبة إلى المنطقة التي ثار بها الشيخ جاسب نجل الشيخ خزعل، وقد تدخلت السلطات البريطانية وساعدت الشاه على إخمادها. وفي عام 1944م قام الشيخ عبد الله بن الشيخ خزعل بثورته بعد أن اتفق مع العشائر العربية على إعلان الثورة والتي كانت تهدف إلى احتلال المحمرة واسترجاعها وعزلها عن مناطق الأحواز، وبالفعل فقد عبر الشيخ عبد الله خزعل مع عدد من أفراد عائلته إلى قصر الفيلية حيث جاءت العشائر إليه ولكن تم إخمادها وهرب الشيخ عبد الله إلى البصرة ومنها إلى الكويت. وفي عام 1945م ثار بني طرف ضد الحكومة الإيرانية تعبيراً عن استيائهم لفرض الضرائب وتغير الزي العربي ، وفي عام 1946م ثار الشيخ مذخور الكعبي على أثر المجزرة التي قامت بها القوات الإيرانية بحق عرب عربستان، وفي عام 1949م ثار الشيخ يونس العاص في منطقة البستين ـ الخفاجية. وفي عام 1956م تأسست جبهة تحرير عربستان..

نصار أحمد الخزعلي، الأحواز ـ ص 262 ـ 270، مصدر سابق، (ماجد شبّر).

منطقة القبيلة القديمة في حفار (محمرة) ـ قبان وفي المنطقة الجديدة في فلاحية. أضيف إليهم الباوي (الباوية) الذين جاؤوا في عام 1205هـ/ 1790م ـ 1791م وانضموا إلى كعب. وكان الشريفات (بني تميم) متحدين مع كعب زمناً طويلاً.

كان الباوي يسكنون على الضفة اليسرى للكارون وكانوا يتنقلون من هناك حتى جراحي إلى الشمال من كعب، وكان الشريفات يصلون إلى مسافة أبعد شرقاً حتى هنديان/ زهره.

أما قبائل كعب الأصلية فكانت منذ قديم الزمان مستقرة إلى حد بعيد. كانوا يستولون على بساتين النخيل الموجودة عند مصبات الأنهار وفي الشريط الضيق لمجرى شط العرب والكارون ونهر بهمشير. في النصف الأول من القرن التاسع عشر كان النصار يسكنون في جزيرة الخضر الواقعة بين الأنهار الثلاثة من قرية كوت فارس (كوت كعب) الواقعة مقابل المحمرة حتى قصبة النصار غير بعيد عن مصب الشط، وفي الجزء الجنوبي من ناحية محمرة. وكانوا يلتقون على الضفة اليسرى للكارون مع الإدريس الذين كانوا يحتلون (وما زالوا)، إضافة إلى ذلك، الضفة اليسرى لنهر بهمشير. أما المحيسن فكانوا يسكنون في الجزء الشمالي من ناحية محمرة وفي بساتين النخيل على الضفة اليمنى للكارون[1]. من هذه الناحية طرأ على الوضع بعض التغيرات؛ ففي عام 1850م كانت منطقتا الإدريس والنصار متداخلتين جداً إلى درجة أن خورشيد اعتبر القبيلتين إلى حد ما قبيلة واحدة (خورشيد، ص 27 وما يليها).

كان كعب ينقسمون، حسب تقرير خورشيد، ص 36، في عام 1849م إلى طبقتين: فلاحين وأولاد حموله، وتشمل الطبقة الثانية جميع شيوخ كعب. وتعني عبارة أولاد حموله "أصلزاده" (أي النسب الكريم). وبذلك نميل إلى الاعتقاد بأن

---

(1) حسب لايارد، 37، لعام 1841م ـ 1842م. إلا أن المواقع المعلمة بعلامة O تعود إلى زمن سابق حسبما يتبين من المقارنة مع معلومات خورشيد الأحدث قليلاً. وفي جنوبي المحمرة لم يكن يوجد نصار وإنما محيسن، وفي الجزيرة لم يكن نصار وحدهم وإنما أيضاً إدريس.

أولاد حموله(*) هم من أحفاد كعب الأصليين المهاجرين، أما الفلاحون فهم السكان القدامى الذين وجدهم كعب في دلتا الكارون عند وصولهم إلى هناك.

كما أن الظروف الاقتصادية أيضاً معروفة لنا من خلال المراجع التي تعود إلى منتصف القرن الماضي. بينما تسود في منطقة الفلاحية الزراعة (الحبوب والأرز والذرة البيضاء) وتربية الحيوانات (الجواميس والغنم والإبل) ولا أهمية تذكر لزراعة النخيل هناك فإن هذه الزراعة هي المصدر الوحيد في منطقة مصب الكارون بحيث أن الضرائب وريع الأراضي تحسب استناداً إلى محصول التمور فقط.

حسب رأي الأتراك كانت الأراضي ذات العلاقة الواقعة على الكارون وشط العرب أملاك دولة استولى عليها كعب دون حق. وفي نهاية الأربعينيات كان حاجي «الحاج» جابر من المحمرة وشيخ مشايخ كعب وبعض وجهاء الفلاحية وقبيلة باوي يتقاسمون مزارع المحمرة البالغ عددها 23 مزرعة، وكان الإدريس والنصار يتقاسمون مزارع عبادان (جزيرة الخضر) وجزيرة المحلّة البالغ عددها 14 مزرعة. وكان محصول التمور يوزع بين المالكين والفلاحين بنسبة واحد إلى واحد (أي مناصفة)، هذا على الأقل في الزمن السعيد عندما كانت المحمرة لا تدفع ضرائب للفرس ولا للأتراك[1]. وكان خزعل يتقاضى خُمسين كضريبة وخمساً واحداً كريع الأرض (إيجار الأرض).

يصف خورشيد (ص 38 وما بعدها) عمل فلاحي كعب خلال السنة على الشكل التالي: من أول مارس/آذار حتى أول مايو/أيار يعملون في بساتين النخيل في أعمال البستنة، وفي تنظيف الأقنية، وفي زرع الحبوب الصيفية. وبعد ذلك يذهب كثير منهم إلى الفلاحية أو إسماعيلي أو أهواز، لا بل وإلى شوشتر وديزفول، لكي يعملوا في حصاد الحبوب (أول يونيو/حزيران). ثم يعودون لقطف

(*) تسعمل كلمة ابن حمولة بمعنى ابن عشائر أصيل يرجى مراجعة هامشنا الجزء الثالث. ص622.

(1) لايارد، مغامرات مبكرة، الجزء الثاني، 56، 60؛ خورشيد، 21 وما يليها، 26، 28.

التمور؛ الذي ينتهي في أول الشتاء في 8 نوفمبر/ تشرين الثاني. بعد ذلك يبدأ موسم زراعة الحبوب الشتوية (الأرز والذرة البيضاء). وفي الجزء المتبقي من السنة يعملون في صيد السمك والملاحة.

يشترك كعب بلون بشرتهم الغامق مع المعدان الذين يشبهونهم أيضاً في العادات والتقاليد. وكانت رقصات الحرب التي يمارسونها، مع الأشعار المرتجلة[*] التي ترافقها، شائعة في عربستان كما في العراق الأدنى. إلّا أن كعباً يختلفون في نقطة واحدة عن القبائل المقيمة منذ زمن طويل في تلك البلاد: فهم خلافاً للقبائل المذكورة لم يعتنقوا المذهب الشيعي إلّا في وقت متأخر نسبياً[1].

(*) إن أنواع الشعر الموجودة في عربستان هي نفس أنواع الشعر الشعبي المتداولة في العراق. ومن أنواع الشعر الشعبي الموجود في عربستان والعراق هي الأبوذية، الموال الهوسة، الميمر، العتابة، الدارمي، الركباني، النايل وغيرها ـ المصدر الأدب الشعبي العراقي لماجد شبَّر ـ القبائل والعشائر العربية في عربستان ليوسف عزيزي بني طرف. (ماجد شبَّر).

(1) خورشيد، 37: "شافعيون وحنابلة، انتقل غالبيتهم في وقت متأخر إلى المذهب الشيعي"؛ تاريخ الزندية عند كسراوي، 161: في عام 1764م.

عائلة شيوخ كعب

البو ناصر وآل مرداو[1]

ينسل دافع الموت كالخيط الأحمر في تاريخ عائلة الشيوخ البو ناصر. فالملاحظة القصيرة عن علي بن ناصر، التي يبدأ بها تاريخ كعب، تنتهي بالجملة التالية: وقتل على يد كعب. ومن بين خلفائه الثلاثة الأوائل لم يمت أحد ميتة طبيعية. أما الرابع، فرج الله، (1722م/ 1723م ـ 1734م/ 1735م) فقد سقط في القتال ضد المنتفق، ثم مات خليفته طهماز قتلاً. و "بعد شهرين" من تولي ابنه بندر الحكم، قتل هو الآخر أيضاً (1737م)، قتله سلمان، أعظم حكام كعب! بعد ذلك جاءت ثلاثة عقود من الهدوء توقفت خلالها هذه السلسلة من الأفعال الدامية، لكنها بعد ذلك عادت من جديد: في عام 1769م أو 1770م قتل كعب بن سلمان، غانم، بعد عام واحد من الحكم، ثم قتلوا في العام التالي أخاه داوود. كما أن ابن عمهما بركات ابن عثمان (1770م/ 1771م ـ 1783م) مات قتلاً. ثم قتل كعب خليفته غضبان، وطردوا ابن بركات، مبارك (1209هـ/ 1794 ـ 1795م). وفي العام التالي واجه الشيخ فارس، ابن داوود، نفس المصير. وكان الشيخ محمد بن بركات

---

(1) المصدر: تاريخ كعب عند كسراوي، 148 ـ 165، 170، 172. انظر جدول القبيلة مع جميع الملاحظات المتعلقة به، والكسراوي، 224 وما يليها، 139، 234، 237، 245، 262، 273.

(1795م ـ 1812م) أول شيخ يموت ميتة طبيعية. وقد تمتع خليفته غيث بن غضبان بفترة حكم طويلة نسبياً. صحيح أنه أسقط من قبل كعب في عام 1816م لكنه عاد إلى الحكم بعد ثمانية أشهر؛ وفي عام 1828م أو 1829م قتل على يد أبناء قبيلته. وقام أخوه مبادر، الذي أصبح شيخ المشايخ بعده، بالانتقام من القتلة، لكنه أسقط في عام 1831م أو 1832م.

بدو يطردون شيوخهم، يقتلونهم؟ ما هي العلاقة الغريبة بين الرأس والأطراف التي تدل عليها هذه الأفعال؟ ليس هناك سوى تفسير واحد: كان شيوخ مشايخ كعب قد ترفعوا عن أبناء قبيلتهم إلى درجة أن هؤلاء ما عادوا يرون فيهم "الشخص الأول بين أشخاص متساوين" وإنما طاغية غريباً عن قومه. ولم يكن خزعل خان بأي حال المستبد الأول في كعب. بل إن ثامر (1832م؟ ـ 1841م)، آخر شيخ كبير من عائلة البو ناصر، كان يحكم بسلطة مطلقة بحيث كان يستطيع معاقبة رعاياه بالموت أو التشويه[1]. ويمكننا افتراض الشيء نفسه عن سابقيه. وكانت هذه السلطة لعائلة البو ناصر وعائلة آل مراد وتستند إلى الملكية العقارية التي عرف الشيوخ، واحد بعد الآخر، كيف يوسعونها منذ وصولهم إلى المنطقة. وقد تحدثنا (في الصفحة 91) عن تملك الشيخ سلمان لبساتين النخيل على الضفة الشمالية لشط العرب. وفي عام 1848م كان أحفاده ما زالوا يملكون جزءاً من هذه الأراضي، بينما كان الجزء الآخر في يد حاجي جابر من المحمرة، أول شيخ مستقل من آل مرداو. وكلما ازداد النفوذ السياسي لحاجي جابر وأبنائه خلال العقود التالية كانت تزداد أيضاً ملكياتهم العقارية إلى أن أصبحت في عهد خزعل تشمل ثلثي الأراضي الصالحة للزراعة في عربستان[2].

وكانت السلطة التي يمارسها شيوخ مشايخ كعب بصفتهم مالكي الأراضي على أبناء قبيلتهم كفلاحين تزداد قوة لأن الشيوخ كانوا في الوقت نفسه يقومون بجباية

(1) لايارد، 43.

(2) خورشيد، 26. كسراوي، 251. غالباً أملاك دولة حصلوا على جزء منها عن طريق الشراء من أملاك "نظام السلطنة" (انظر ص 29، الملاحظة 1)، وعلى جزء آخر كمنح من الحكومة.

الضرائب (نيابة عن الحكومة وباسمها لقاء مبلغ مقطوع). وكان "المقطوع" يبلغ في الأصل، أي منذ عام 1816م حيث التزم كعب بدفع مبالغ منتظمة، 15,000 قران، لكن الفرس ضاعفوا هذا المبلغ خلال العقدين التاليين مستغلين الخصومات داخل عائلة الشيوخ[1]. ثم زاده المعتمد عام 1841م بمقدار 100,000 قران للمحمرة، وزاده المندوب الفارسي في لجنة الحدود (1850م) بمقدار 2000 تومان. ويقال بأن ابن حاجي «الحاج» جابر، مزعل (1881 ـ 1897م)، كان يدفع 450,000 قران، ولكن هذا الرقم مبالغ فيه بالتأكيد؛ إذ إن أخاه خزعل لم يكن يدفع سوى 40,000 تومان (400,000 قران)، على الرغم من أنه تولى جباية الضرائب من الجزء الأكبر من الإقليم. وليس معروفاً كم كان الشيوخ يجبون من المكلفين زيادة عن هذه المبالغ. يقال بأن خزعل كان يجبي خمسة أو ستة أضعاف المبلغ الذي يدفعه، لا بل إنه جبى في إحدى المرات أحد عشر ضعفاً[2].

أما الكنوز الأسطورية لخزعل، التي يتحدث عنها الناس في خوزستان، فلم يكن لها وجود إلّا في الخيال. صحيح أن وارداته كانت عالية جداً ـ قدر دخله من ملكياته العقارية قبل الحرب العالمية الأولى بـ 90,000 ـ 100,000[3] ليرة تركية ولكن كان يقابلها نفقات عالية أيضاً. كانت الرشوات التي يدفعها لدعم خططه السياسية والهبات التي يقدمها لأذنابه وأتباعه من الشعراء والمداحين، ومنهم على سبيل المثال عبد المسيح الأنطاكي[4]، تبتلع مبالغ كبيرة جداً إلى درجة أنه كان

---

(1) خورشيد، 33. لايارد، 44، يذكر رقماً أكبر جداً، وهو 3400 تومان (34000 قران). وكلا المؤلفين يقولان أن كعب لم تكن تدفع قبل ذلك سوى "هدايا" (جائزة، بشكش).

(2) كسراوي، 193. ماكس فرايهرفون أوبنهايم، من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، 308؛ كسراوي، 251.

(3) نقلاً عن محمد البسام 1915م.

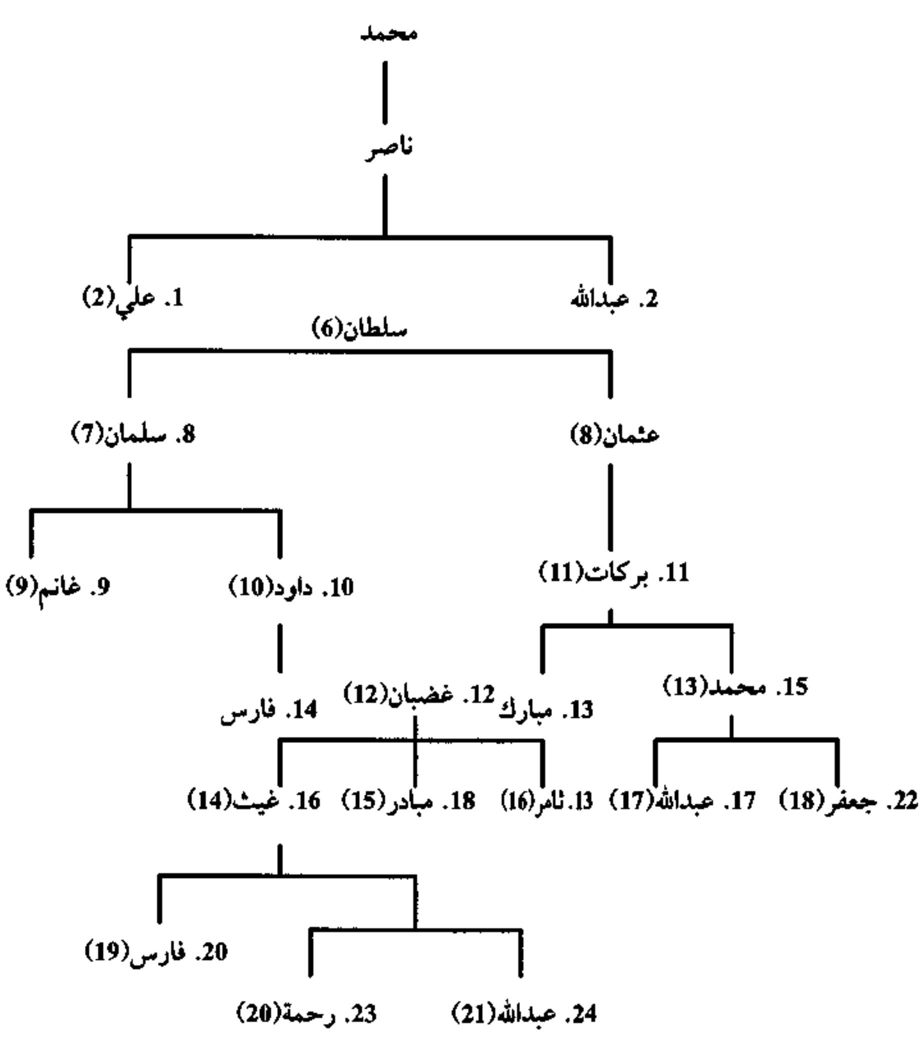
(4) شاعر وكاتب سوري 1874م ـ 1920م، كان عام 1908م في المحمرة، وعاش في وقت لاحق في القاهرة. انظر كسراوي، 237، 253؛ بروكلمان GAL S III، 170، 344. الكتابان اللذان يذكرهما بروكلمان، ص 498، تحت اسم خزعل خان ليسا له. وهذا ما يتبين بالنسبة للأول من عنوانه، وبالنسبة للثاني من الكسراوي، ص 254.

يضطر كل عام إلى أخذ قروض من صديقه الشيخ مبارك، شيخ الكويت، كان يعيدها له بعد موسم التمر. وفي وقت لاحق ارتفعت وارداته ارتفاعاً كبيراً، وخاصة عندما ربط بيع الخبز واللحم ومواد غذائية أخرى في المدن الثلاث محمرة، وأهواز، وعبادان، بشرط الحصول على رخصة.

لم تسلم أسرة مرداو من المآسي الدامية التي ألقت ظلالها على تاريخ أسرة البو ناصر. فالصعود الرائع لخزعل قام على خلفية قتل أخيه. وكان لحاجي «الحاج» جابر ثلاثة أبناء: محمد ومزعل وخزعل. واضطر البكر إلى التخلي عن الخلافة، على الرغم من أنه كان مرشح الشاه، لأن أبناء قبيلته، المحيسن، وقفوا إلى جانب مزعل. وكان مزعل لا يثق بأخيه الأصغر خزعل، وكان خزعل يخافه. وقد تحدث خزعل في أعوامه المتأخرة عن خوفه الرهيب على حياته، الذي جعله لم يشعر بالهدوء لحظة واحدة وجعله يشيب وهو في مقتبل العمر. وظل الأخان أعواماً عديدة يعيشان جنباً إلى جنب في هذا الجو من الخوف إلى أن قرر خزعل وضع حد لعذابه بأن أمر بقتل أخيه.

هناك بعض المعلومات عن حياة خزعل العائلية. ولدت له زهرة، وهي امرأة من أقربائه، ابنين هما: عبد العزيز وعبد الكريم. وفي وقت لاحق تزوج بنات شخصيات فارسية بارزة: ابنة أخ الأمير عين الدولة، وابنة نظام السلطنة (1907م و1915م حاكم لورستان)، وفتاة من عائلة حاكم الحويزة، وابنة وجيه اسمه مير عبد الله تولى أخوه عام 1924م قيادة قوات خزعل خان المرابطة قرب زيدان. وجاء بعض أبنائه من زواج المتعة، أي من زواج محدد المدة سلفاً، وهو غير موجود إلّا عند الشيعة؛ وتجدر الإشارة إلى أن الأبناء المنحدرين من هذا الزواج لا يحرمون من أي حق على الإطلاق. وفي هذه الأثناء اتخذ أبناء خزعل فيما بينهم أسماء فارسية مختلفة وأصبح خلفهم يشعرون بأنهم إيرانيون. يستثنى من ذلك عبد الله الذي يتولى منصباً مربحاً في شركة النفط الكويتية.

مشجرة نسب عائلة الشيوخ البو ناصر(1)



3 ـ سرحان

4 ـ رحمة(3)

5 ـ فرج الله(4)

6 ـ طهماز(5)

7 ـ بندر

ملاحظات حول الشجرة

1 ـ وضعت لوحة القبيلة، ما لم يشر إلى غير ذلك صراحة، استناداً إلى التاريخ الصغير لكعب، كسراوي، 148 ـ 195 في أماكن متفرقة. صحيح أن التاريخ الأول طبع هناك مرتين خطأ (1106 بدلاً من 1102)، ولكن البقية، فيما عدا حالة خاصة واحدة، كانت غالباً موثوقة. وهناك إمكانية لنوع من المراقبة بواسطة لوحة القبيلة، كورزون، الجزء الثاني، 324؛ ولكن يجب الانتباه إلى أنه عندما يكون العام الهجري واقعاً في عامين ميلاديين لم يذكر هناك سوى عام ميلادي واحد، وهو العام الأول. وفيما عدا ذلك فإن هذه اللوحة لا تصل إلى مستوى لوحتنا.

2 ـ تولى منصبه بعد انتهاء الطاعون عام 1102هـ/ 1690م.

3 ـ توفي عام 1135هـ/ 1722م ـ 1723م.

4 ـ توفي عام 1147هـ/ 1734م ـ 1735م؛ أنظر الصفحة 85، 86 أعلاه.

5 ـ ظروف قتل بندر الشاب (رقم 7) على يد سلمان (رقم 8) الذي أصبح مشهوراً جداً فيما بعد، تمّ تغييرها في بعض الحكايات. كما أن أباه طهماز (رقم 6) أصيب ببعض الضرر أيضاً: قتل طهماز عندنا عام 1150هـ (يبدأ في 1 مايو/ أيار 1737م) وقتل ابنه بعد شهرين فقط. أما عند كورزون فقد قتل الأب عام 1735م وقتل الابن بعد عامين من مقتل أبيه، ولكن بالمقابل فإن طهماز هو هنا أخو قاتل ابنه! والتاريخ الصحيح هو الذي يذكره أوتر، الجزء الثاني، 147، 169: قتل طهماز عام 1736م.

6 ـ تذكرلي شوشتر، 156: ابن ناصر. فكيف يمكن فهم ذلك؟ فهل هو الأب الحقيقي الجسدي أم أبو القبيلة بالمعنى النسبي؟

7 ـ توفي عام 1181هـ/ 1767م ـ 1768م؟ كسراوي، 163: قبل عام 1182هـ.

8 ـ توفي عام 1178هـ/ 1764م ـ 1765م. كسراوي، 162: قبل أو بعد حملة كريم خان (بداية عام 1765م).

9 ـ توفي عام 1183هـ/ 1769م ـ 1770م. كسراوي يتحدث عن انتصار غانم على أهالي عمان، ولكن المقصود هنا أيضاً هو بالتأكيد عدان كما ذكرنا في الصفحة 90 أعلاه، هامش 3.

10 ـ توفي عام 1184هـ/ 1770م ـ 1771م.

11 ـ توفي عام 1197هـ/ 1783م.

12 ـ توفي عام (1207هـ)/ 1792م (ـ 1793م)، كورزون. ليس مؤكداً ما إذا كان غضبان ينتمي فعلاً إلى هذا الجيل. وقد تبعه مبارك (رقم 13) ـ خُلع عام 1209هـ/ 1794م ـ 1795م ـ وفارس (رقم 14) ـ خُلع عام 1210هـ/ 1795م ـ 1796م.

13 ـ توفي عام 1227هـ/ 1812م. ولكن في عام 1212هـ/ 1797م ـ 1798م لم يكن محمد شيخ مشايخ كعب وإنما علوان (غير موجود في اللوحة، وهو عند كورزون الحفيد الثاني لفرج الله) الذي ظل في المنصب حتى عودة محمد 1216هـ/ 1801م ـ 1802م.

14 ـ توفي عام 1244هـ/ 1828م ـ 1829م. حلّ عبد الله (رقم 17) عام 1231هـ/ 1816م فترة قصيرة محل غيث.

15 ـ حل عبد الله (رقم 17) عام 1247هـ/ 1831م ـ 1832م محل مبادر، وبعد وقت قصير (ولكن عند كورزون: عام 1837م) حل ثامر محل عبد الله.

16 ـ كان عند ثامر نوعاً من البلاط كان حاجي مشعل، شيخ النصار (1 ب في الجدول)، يلعب فيه دور الوزير. شجع التجارة وحرص على صيانة وبناء الأقنية. ولكن فلاحية كانت تبدو عليها علائم الانهيار. س. اينوورث، Personal Narrative، الجزء الثاني، 212، ولايارد، 38، 42.

17 ـ رفع عام 1231هـ/ 1816م إلى منصب شيخ المشايخ محل غيث (رقم 16)، ولكنه لم يستطع البقاء في المنصب سوى سبعة أشهر، وبعد عزل مبادر (رقم 18) في عام 1247هـ/ 1831م ـ 1832م حكم للمرة الثانية فترة قصيرة (انظر الملاحظة 15).

18 ـ مع جعفر خان ـ في فترة السقوط أيضاً كان زعماء كعب يحملون هذا اللقب ـ تبدأ لامبالاة مؤلف "التاريخ الصغير"، وكذلك لامبالاة كسراوي، تجاه زعماء كعب.

19 ـ بعد بضعة أعوام، ولأنه تخلف عن دفع الضرائب، وضع مكانه شيخ اسمه لفته تبادل الحكم معه بعد ذلك عدة مرات إلى أن قتل لفته بعد زمن طويل على يد كعب. وظل هذا النظام التبادلي الأرجوحي، الذي فرضه حاكم الإقليم، نافذاً حتى سقوط العائلة.

20 ـ تبادل المنصب مع جعفر الذي كان قد حل محل لفته.

21 ـ حل محل أخيه بعد وفاته وتمّ مراراً تنصيب "الشيخ جعفر" مكانه إلى أن وضع خزعل خان في عام 1316هـ/ 1898م ـ 1899م نهاية لحكم عائلة البو ناصر. الشيخ جعفر خان ـ يعود حرمانه من اللقب إلى خبث مؤلف "التاريخ" الذي توقف عند جعفر ـ كان منذ عام 1881م في المنصب، وعزل عام 1888م ثم أعيد عام 1889م. ونحن نعتبر هذه التواريخ، التي يذكرها كورزون، صحيحة لأن المؤلف نفسه كان عام 1889م في البصرة وخوزستان (أما الخطأ، بأنه حكم هو ورحمة "معاً" فيعود إلى عدم وجود جعفر الأول (رقم 22) عنده). أما حديثه عن "شريك في الحكم" هو لطف الله محمد خان، أحد أبناء فارس، فهو أمر لا علم لنا به. وعبد الله، أخو رحمه، غير موجود، لكنه بالمقابل موجود في النهاية ويحمل ترتيب الحاكم رقم 24: مير عبد الله، محافظ ده ملاّ. فهل تمّ الخلط بين الرجلين؟

بعد وقت قصير من سقوط خزعل في خريف عام 1924م ظهر في معسكر القوات الحكومية رجل من العائلة اسمه عبد الحسن خان، حصل مكافأة على ولائه على منصب شيخ المشايخ لكنه راح بعد وقت قصير ضحية الإصلاحات ونقل على الأرجح إلى طهران؛ كسراوي، 232 وما يليها.

كعب (چعب)(1)

القبيلة	المنطقة	العدد
1 ـ كعب (چعب)	جزيرة الخضر/ عبادان؛ كارون؛ الفلاحية/ شادگان	6000
أ ـ الادريس(2)	كارون؛ نهر بهمنشير	1600
1 ـ البو علي(3)		100
2 ـ البو دلّي		100
3 ـ المطاردة)(4)		(50)
4 ـ الثوامر		100
ب ـ النصار(5)	جزيرة الخضر	600
جـ ـ البو غبيش(6)	الفلاحية	1700
1 ـ الهليل		
2 ـ بيت خويطر		
3 ـ بيت شريفات		150
د ـ الخنافرة(7)	الفلاحية	2050
1 ـ المقدم(8)		500
2 ـ المكاسبة		100
3 ـ الربيحات		50
2 ـ آل محيسن(9)	شط العرب؛ كارون؛ المحمرة ـ قاجارية/ كيانية	4000
أ ـ المطور		400
ب ـ بيت غانم		400

القبيلة	المنطقة	العدد
1 ـ مرازية		
2 ـ البو خاطر		
جـ الهلالات(10)		300
د ـ البو فرحان		400

ملاحظات عن جدول كعب

يستند الجدول إلى ويلسون عند فيلد، 191 وما بعدها، 197، لكنه يعود في بعض الحالات إلى لايارد (كانت رحلته في عام 1841م/ 1842م)، ص 37. إضافة إلى ذلك اعتمدنا على تقرير بلّي Pelly تاريخ 17 أبريل/ نيسان 1863م، ص 4، ومقتطفات كورزون من قائمة روبرتسون (1889م)، الجزء الثاني، 321. يذكر بلّي القبائل التالية من كعب: البوغبيش (1 حـ)، "أساكره"، المكاسبة (أ د 2)، البوعلي (1 أ 1)، "سويهات"، المقدم (1 د 1) والخنافرة (1 د). . . . (ثم يأتي بعد ذلك باوي وشريفات)، العدد 6000، 4000، 2500، 2500، 2500، 4500، 5000 رجل، أعداد، مهما كانت مبالغاً فيها ومقولبة، فإنها تعطي فكرة تقريبية عن حجم القبائل والفروع. ويذكر كورزون: البو غبيش، "أساكره"، خنافرة، . . . (تأتي بعد ذلك قبائل غريبة)، آل محيسن (2) "نصرة" (1 ب). يجب في هذا الصدد الأخذ بعين الاعتبار أن كورزون لم يسجل إلّا القبائل التي حسب معلوماته يزيد عدد أفرادها على 500 رجل. الفروق بين لايارد وويلسون كبيرة جداً. وهي تعود في البداية إلى أخطاء كتابية ومطبعية سنتجاوزها عندما يتاح المجال لمعرفة الأسماء، ثم إلى المادة التي كانت متوفرة لديهم، وإلى قدرتهما على التعامل مع الموضوع. من الطبيعي أن المرء لا يكتشف على الفور أن "الهَفَدَلّه" و "بيت أفزييل" يعنيان نفس القبيلة أي الأفاضلة وبيت افضيّل (تلفظ "افظيّل"). (يضرب المؤلف أمثلة على اختلاف التسميات لنفس القبيلة بالأحرف اللاتينية من باحث

أوروبي إلى آخر، سنستغني عن ترجمتها للصعوبة وعدم الفائدة ـ المترجم). أما من ناحية المضمون فنحن مهتمون بالمقابلة بين البو محمود والبو حمود؛ لأن حمود هو الاسم البدوي المقابل لمحمود (انظر ج. ج. هسّ، أسماء البدو، وهنا ص 162). أما بقية الاختلافات فلن نذكرها إلّا عندما تشير إلى تغيرات في بنية القبيلة: "السكرة"/ العساكرة هم عند لايارد فرع من الإدريس ـ وكان شيخهم سلمان يقود الإدريس أيضاً ـ، بينما يعتبرهم بلّي وكورزون ضمناً، وويلسون صراحة، الإدريس ذاتهم. ولعل السبب في هذا الالتباس يعود إلى أن العساكرة كانوا موجودين في جميع وحدات القبيلة لأن الشيخ كان يعين أقرباءه رؤساء للقرى. كما أنه لا يوجد عند ويلسون سوى سبعة فروع من الثمانية عشر فرعاً الموجودة عند لايارد، على الأقل يبدو الأمر كذلك، ولكن انظر ما سيأتي.

ـ النصار (1 ب) لهم تفريعات قليلة عند ويلسون، وليس لهم أي تفريعات عند لايارد (يسميهم "نصار 1")، على الرغم من أنهم ينتمون إلى أقدم أجزاء كعب، ولكن انظر ص 105. والبو غبيش (1 حـ) غير موجودين عند لايارد، وكذلك الخنافرة (1 د) كما يبدو. وفي الحقيقة يأتون في المرتبة الثانية تحت المحيسن (2)، ويأتي في المرتبة الأولى فرعهم اللاحق المقدم (1 د 1)، أي بنفس التسلسل كما عند بلّي أعلاه. إضافة إلى ذلك نجد فرعي الخنافرة الآخرين المسجلين في الجدول وفرعاً ثالثاً مذكوراً عند ويلسون، نجدهم جميعاً عند لايارد تحت الإدريس، هنا "الكويسب"، و "روبهات"، و "الغنم"، وهناك "المكاسبة"، و "الربيهات"، و "البو غنم". وعند بلّي أيضاً يظهر الفرع الأول في مكان مناسب "تحت الإدريس". ومن الممكن تلخيص هذه المسألة المتشابكة بثلاث جمل: الخنافرة كانوا عام 1841م لم يصبحوا بعد قبيلة مستقلة من قبائل كعب، بل كانوا هم والمقدم ينتمون آنذاك إلى المحيسن، وقد حدث تشكل القبيلة في ناحية الفلاحية وكان عام 1863م لم يكتمل بعد (كان المكاسبة لا يزالون مستقلين، بلّي). ولكن ليس معروفاً ما إذا كان المقدم والخنافرة مقيمين هنا قبل عام 1841م أم إنهم هاجروا إلى هناك في وقت لاحق، ربما بناء على طلب آخر رئيس قوي لمجمع كعب بكامله الشيخ ثامر. كما أنه ليس معروفاً ما إذا كان المكاسبة والفرعان

الآخران اللذان كانا عام 1841م ينتميان إلى الإدريس قد انضما إلى القبيلة الجديدة لأن الناس أرادوا ذلك أم لأنهم ينتسبون في الأصل إلى المحيسن. وعلى أي حال فإن هذا التنقل السريع يثبت أن المحيسن كانوا قبيلة أصيلة من كعب مثل الإدريس والنصار. وهذا تثبيت لحقيقة كانت بديهية في حكايات القبيلة القديمة وفي تقارير النصف الأول من القرن التاسع عشر، لكنها لم تعد بديهية في تقارير القرن الحالي. من بين فصائل المحيسن التسع الموجودة عند لايارد (باستثناء المقدم والخنافرة) يوجد ثلاث في قائمة ويلسون، ألا وهي: (2 أ)، (2 ب 1) (2 جـ) في الجدول. وبين الفصائل الزائدة عند ويلسون يوجد دريس المؤلفون من 300 عائلة. فهل هم أبناء عم دريس/ إدريس (1آ) بالاسم؟ أم إنهم جزء منهم؟ وقد كان النصار (1 ب) أيضاً ينسبون في الربع الأول من القرن العشرين إلى المحيسن. ولكن هذا الوضع تغير الآن. ففي منطقة شط العرب يعيش المحيسن، ودريس، ونصار، رزمارا (خطأ في الكتابة والقراءة) عند لامبتون، 291.

انطلق الجدول من هذا الوضع، أما عنوانه فهو مقدار تاريخي ونسبوي. لكن 1 وضع للإشارة إلى أن إدريس ونصار لم يفقدوا شعورهم بالانتماء إلى كعب الفلاحية على الرغم من الفصل الإداري. ولقد طبقنا عند الاختيار مبدأ كورزون وسجلنا الفروع الأكبر ما لم تكن هناك فروع أخرى أبدى لأسباب تاريخية.

من الطبيعي أنه يوجد عند كعب غرباء أيضاً. فقد جاء الهلالات (2 جـ) من مسقط (ويلسون) والبندرية، وهم فصيل صغير من البو غبيش، من بندر معشور، ينتمون إلى العرب الموجودين على الساحل الإيراني للخليج وغير المرتبطين بقبيلة. وهم أنفسهم ينتسبون إلى الأمارة، وهذا يعني أنهم يعتبرون أنفسهم من أحفاد أمراء ربيعة العراقية، وهو أمر مفهوم بناء على ما ذكرنا، ولكن مع ذلك غير صحيح (ويلسون له رأي مختلف).

الأعداد، مصغرة قليلاً، حسب ويلسون. وحسب التعداد العام الذي أجري عام 1276هـ/ 1859م ـ 1860م بلغ عدد قبائل ناحية الفلاحية 25434 شخصاً، أي حوالي 6000 عائلة. وحدد منجم القصر حاجي نجم الملك، الذي درس في عام

1299هـ/ 1882م أوضاع عربستان بتكليف من الشاه، عدد عرب الإقليم بـ 20,000 عائلة ويصيب كعب من هذا العدد النصف تقريباً. ومن التقديرات القديمة نذكر تقدير خورشيد (ص 33) الذي يتحدث عن 4000 رامي، أي أن التقدير يتعلق بعدد المحاربين، وهو تقدير معقول بالنسبة لكعب المحمرة وضفة شط العرب، الضفة اليسرى حتى نهر (خور) بهمشير.

2 ـ يتوقع المرء آل . . . . يقدر خورشيد عددهم مع النصار (1 ب) بـ 6000 رجل، منهم 4000 في الفلاحية.

3 ـ أنظر الملاحظة 1 .

4 ـ باوي، أنظر جدول باوي، 1

5 ـ أنظر الملاحظتين 1 و2. يضع لايارد بعضهم في جنوب (ناحية) المحمرة. قبيلتان فرعيتان (فخذان) لأحداهما أربعة فروع وللأخرى فرعان، ويلسون.

6 ـ أنظر الملاحظة 1 . عام 1863م كان مركزهم الرئيسي في البوزية (شرقي الفلاحية)، بيلّي.

7 ـ أنظر الملاحظة 1 . عام 1863م على الطريق محمرة ـ دورق (= فلاحية)، بيلُي. حزبة، حسب ويلسون، إلى جانب المقدم أكبر فخذ ـ 500 عائلة ـ، موجودة على الخريطة، شمال الجزيرة العربية، على خط النفط ن ن ف. فلاحية.

8 ـ فقط كسراوي، 234، قرأها بشكل صحيح. أنظر الملاحظة 1 . عام 1863م في كوت قرب الفلاحية، بيلّي.

9 ـ أنظر الملاحظة 1. قدرهم خورشيد، 27، بـ 6000 رجل، منهم 4000 في فلاحية (بمن فيهم الخنافرة).

10 ـ في مدينة المحمرة أيضاً، ويلسون عند فيلد 187. وكذلك بيت كنان (؟).

الباوية (باوي)[1]

ينحدر الباوية من ربيعة العراق. وربيعة هم حملة التقاليد العريقة التي كانت تجسدها تغلب في العصر العربي القديم وفي صدر الإسلام. وهذا ما يفعله أيضاً، على طريقتهم، الباوي الذين يعيدون نسبهم إلى المهلهل (بن ربيعة)، أحد أبطال تلك القبيلة[2] في عصر البطولات. وفي وقت غير معروف تركوا قبيلتهم الأم وتبعوا النجم الجديد الصاعد بني لام[3]. وفي عام 1205هـ/ 1790م ـ 1791م انفصلوا عن بني لام وانضموا إلى كعب الذين كانت عائلة شيوخهم تحكم منذ زمن طويل دلتا شط العرب والكارون. استوطن الباوي في بادئ الأمر في إسماعيلي. وشيئاً فشيئاً توسعوا على امتداد الكارون حتى مصب الهدام في آب گرگر، وفي وقت لاحق (؟) نحو الشرق إلى الجراحي. وكان الفخذان عمور وبنو خالد بدواً رحلاً. ويبدو أن الحاجة إلى الحرية والاستقلال المرتبطة بحياة البداوة كانت موجودة أيضاً عند الباوي المستقرين ونصف المستقرين ـ وصفوا في فرمان لعام 1274هـ/ 1857م ـ 1858م بأنهم "أشرس قبيلة عربية".

---

(1) هنا أيضاً تستعمل النسبة بدلاً من الاسم، على الرغم من أنها نسبة بصيغة المؤنث.

(2) بعد التعرف على هذا الأصل يبدو لنا أكثر احتمالاً أن اسم القبيلة ربيعة مأخوذ من اسم أبي المهلهل وليس من التعبير النسبوي (الجزء الثالث، 505)، لأن هذا التعبير بعد أن فقد وزنه السياسي لم يبق معروفاً إلّا عند العلماء والمثقفين، بينما بقي عامة الشعب والبدو يتناقلون أفعال وآلام المهلهل بن ربيعة وعائلته.

(3) عام 1765م ذكرهم نيبور، 389، قبل بني لام شمال شرق قرنة.

كانت علاقة الباوية مع كعب تقوم على المساواة؛ لنتذكر ما جاء في الصفحة 106 أن شيخ المحمرة وشيخ مشايخ كعب مع جميع زعماء الفلاحية الآخرين والباوية كانوا يتقاسمون مزارع المحمرة البالغ عددها 23 مزرعة. ولكن هذا ليس سوى جانب واحد من جوانب العلاقات بين القبيلتين. وأن يكون الباوي قد وقفوا عام 1841م بقيادة الشيخ عجيل إلى جانب الفرس عند محاصرتهم الفلاحية بينما وقف الزرقان (3) وبني خالد (5) إلى جانب كعب[1] فإن السبب في ذلك يعود إلى تقاليد بدوية أصيلة: طالما أن المرء لا يعرف أبداً من سينتصر فإنه من المفيد دوماً أن يكون للمرء أقرباء عند العدو. ولكن بعد ذلك حدث شيء غير معهود: في عام 1274هـ/ 1857م ـ 1858م قام حاكم الإقليم **خانلر ميرزا** بتسليم الباوي لشيخ المحمرة وزعيم كعب شط العرب والكارون، حاجي جابر، وسمح له بأن يفعل بهم ما يشاء، بأن يعين شيوخهم ويعزلهم وأن يعاقبهم وأن يحكمهم جميعاً بالإعدام. . . . لا شك في أن حاجي جابر يأخذ هذه الأوامر على حرفيتها. ورغم ذلك انتهت العلاقة السابقة بين القبيلتين لهذا السبب. ولكن يجب أن تكون قد وجدتا نوعاً من التعايش، إذ إن الباوي موجودون في قائمة كعب التي أعدها بيلّي عام 1863م. كما أن كورزون (1890م) يحسبهم مع كعب عندما يقول في الجزء الثاني، ص 327: يستولي عرب كعب على البلاد من المحمرة والكارون نحو الشرق حتى الهنديان بكامل مساحتها. أما ويلسون فلا يذكر أي شيء عن الصلة بين الباوي وكعب. ولذلك لا عجب في أن الباوي هاجموا في شتاء 1914م ـ 1915م من الخلف القوات الأنغلو ـ هندية الموجودة في أهواز والتي كانت متحالفة مع شيخ المحمرة وزعيم كعب خزعل خان.

يجب أن يكون الباوي قد أصبحوا مستقرين منذ زمن طويل؛ إذ إن آن ك .س .لامبتون علم عام 1949م: أنه في أراضي الباوي، التي تشمل 60 قرية أو أكثر، يقوم الشيخ أو وكيله، "المباشِر"، بجباية الضرائب (في كل قرية) (أي أن

(1) هذا الخبر المذكور عند لايارد، ص 38، غير مذكور في الصفحة 67 عن قصد.

الموظف الحكومي لا يتولى جبايتها مباشرة). ولكن أين تقع هذه الأراضي؟ إما على الكارون أو جنوب شرق الأهواز على الجراحي، حيث كانت تسكن القبيلة الرئيسية عام 1863م (بيلّي، 4)، وحيث يوجد بني خالد المذكورين أعلاه على خريطة ما بين النهرين الأدنى.

إذا ما ألقينا نظرة على الجدول يلفت انتباهنا تحت رقم 6 اسم معاوية، ليس للمرة الأولى، ونحن نطرح الآن السؤال الذي لم نطرحه حتى الآن: كيف جاء اسم معاوية إلى الشيعة، إلى قبائل العراق الأدنى ومن هاجر منهم إلى خوزستان؟ ألم يصبح صاحب الاسم، الخليفة معاوية، وابنه يزيد مكروهين عند الشيعة إلى أبد الدهر! والجواب هو: أن الاسم كان في الماضي منتشراً على نطاق عام ويتكرر كثيراً[1].

تذكر أقدم وثيقة مأخوذة من سجل الضرائب في بغداد، بالإضافة إلى تاريخ هجرة الباوية، تركيب القبيلة قبل هذه الهجرة حيث كانت تتألف من: المطاردة (1) والزرقان (3) والعمور (4) والنواصر (2) مع أتباعهم ورعاياهم، ويقدر خورشيد (89) عددهم بـ 2000 مسكن (ويلسون: 2320 مسكناً). وإذا ما كان بعض الفصائل المذكورة في الجدول لعلها جاءت من أولئك الأتباع والرعايا، فإن هناك فصيلتين أخريين، الهواشم والجامع (12، 13)، "لم تهاجرا إلى الكارون" إلّا في عامي 1235هـ و1263هـ (1820م و1847م). وكلاهما تنتسبان إلى زبيد بني لام (خورشيد، 88) الذين ورد ذكرهم في الصفحة 71 أعلاه.

(1) أنظر جمهرة، 2، السجل.

الباوية (باوى)(1)

القبيلة	المنطقة	العدد
1 ـ المطاردة(2)		50
2 ـ بيت نواصر(3)		500
3 ـ الزرقان(4)	على بعد 4,5كم شمال اهواز	400
4 ـ العمور(5)		200
5 ـ بني خالد		80
6 ـ معاوية		150
7 ـ بيت ناصر	جنوب شرق اهواز ـ جراحي	50
8 ـ البو عطوى		200
9 ـ البوبليد		200
10 ـ برية = البو برى(6)		100
11 ـ الفراطسة		40
12 ـ الهواشم		20
13 ـ الجامع		
14 ـ البو كردان(7)		300
15 ـ الجبارات		

ملاحظات حول جدول الباوية (باوي)

1 ـ يستند الجدول إلى لايارد (كانت رحلته في عام 1841م ـ 1842م) وويلسون عند فيلد، 190. من بين الـ 16 وحدة الموجودة عند لايارد يذكر ويلسون ثماناً، ثلاث منها بين فروع النواصر (2) الثمانية؛ وليس لهذا أي أهمية لأن لايارد لا يفرق

بين القبائل الفرعية والفروع. والبقية (3، 4، 5، 6) موجودون في الجدول. هناك وحدتان فقط غير موجودة هنا عند ويلسون. المطاردة (1) موجودون عند كعب (1 أ 3)، والزرقان (3) أصبحوا مستقلين. 7 ـ 13 غيرموجودين إلّا عند ويلسون. وكذلك زهراو و "شعبتان إضافيتان" أخريان («additional sections»). وتنطبق الملاحظات التالية من حيث المبدأ على جميع القبائل التي نعتمد في دراستنا لها على نفس المؤلفين. فيما عدا 1 و2 يضع لايارد الأداة (ال) في كل مكان (ما عدا 5 طبعاً)، بينما يهملها ويلسون عموماً (وكذلك بيلّي وكورزون وبرهانيان). أما في الحقيقة فإن الأداة موجودة فعلاً كما يؤكد برهانيان (ص 54) نفسه. فهل أهملت الأداة من قبل المخبرين العرب لتكييف الاسم مع اللغة الفارسية، أم من قبل المترجمين أم من قبل المؤلفين استناداً إلى القوائم[1] الموجودة لديهم؟ وتظهر "البو" عن لايارد "مفككة" (ال بو) ومكتوبة بصيغة المضاف الفارسية (الي بو)...، وتظهر عند ويلسون بصيغة "ال بو" وآل بصيغة ال. وعند لايارد لا وجود إطلاقاً لأسماء القبائل التي تبدأ بكلمة "بيت"، بينما تتكرر هذه الأسماء كثيراً عند ويلسون. ومن الممكن أن تكون قد تكاثرت في هذه الأثناء؛ ولكن أن تكون عام 1841م غير موجودة إطلاقاً فهذا أمر مستبعد لأنها كانت آنذاك موجودة عند قبائل العراق الأدنى. وإذا ما افترضنا اعتماد الأسلوب الكيفي فإن هذا الافتراض سيفسر أيضاً لماذا لا يوجد أداة في 2 (أنظر أعلاه)؛ إذ إن هذه القبيلة الفرعية يحمل اسمها عند ويلسون كلمة "بيت".

نجد عند الباوي بعض الملامح الإيرانية. غير أن هذا لا ينطبق على الجبارات (15) = آل جباره (عند ويلسون). وهنا يوجد سوء فهم نموذجي. فهم قبيلة فرعية من العرب، إحدى الوحدات الخمس ذات المنشأ المختلف، التي يتألف منها مجمع الخمصة في إقليم فارس. أما البو كردان (14) فهم بختياريون.

بيلّي (تقرير 13 أبريل/نيسان 1863م)، ص 4، يذكر الزرقان (3) والعمور (4)

---

(1) كتّاب الشيوخ؟ يمكن أن يكونوا المترجمين والمخبرين.

وبني خالد (5) إلى جانب الباوي بزعامة الشيخ عقيل (عجيل)، وهذا يعني أن الفروع الثلاثة المذكورة لم تكن تطيعه.

2 ـ كعب (جعب) 1 أ 1.

3 ـ أنظر ملاحظة 1.

4 ـ ولسن.

5 ـ أنظر الجزء الثالث ص 525 ـ (رقم 19 باوية) ملاحظة 30 وكذلك ص527 (ملاحظة 30).

6 ـ ولسن البو "بيرّي".

7 ـ أنظر ملاحظة 1.

الشريفات

كان الشريفات، "فرع من بني تميم" (لايارد، 37)، يسكنون في القرن التاسع عشر في أقصى شرق عربستان من هنديان وده ملاً على الضفة اليمنى للهنديان/ زهره حتى روابي زيدان. ولكن "أي بني تميم؟" . ذلك المجمع العربي القديم الكبير والمشهور أم القبيلة التي تحمل نفس الاسم والتي كانت معروفة في الإقليم منذ القرن الخامس عشر؟ بالتأكيد هذه القبيلة، وربما الاثنان معاً.

جاء بني تميم إلى خوزستان في عهد سيّد (سلطان) محسن أمير الحويزة (870هـ ـ 914هـ/ 1465م أو 1466م ـ 1508م[1]) واستوطنوا في دورق بموافقة الأمير[*]. وعندما حكم سيّد سجاد (؟[2] ـ 992هـ/ 1584م) كانوا لا يزالون هناك؛ إذ

---

(1) كاتب التقرير سيد علي: 870 ـ 905، لكن أرقامه غير موثوقة، على الأقل في طبعة تاريخ الكسراوي: أنظر قبائل الحويزة، الملاحظة 1.

(2) غير معروف[*]. عين حاكماً عام 948هـ/ 1541م أو 1542م في حياة أبيه، حسن روملو، 301.

(*) في عهد الأمير المشعشعي بدران بن فلاح هاجمت الدول الصفوية مدينتي ديزفول وتستر «شوشتر» واحتلتها فترة وجيزة وبعد وفاة الشاه إسماعيل انسحبت منها فتولى الحكم فيها سجاد بن بدران الذي تولى العرش سنة 1540م واستمرت الدولة المشعشعية في مقاومة محاولات الدول الصفوية والرامية إلى السيطرة على عربستان وفي عام 1541م أصبحت الدولة المشعشعية ملجأ لأعداء الدولة العثمانية. وفي نفس الوقت طلب الشاه الصفوي من إمام الشيعة الأكبر نور الله أن يتدخل لمنع الدولة المشعشعية من مهاجمة فارس وعلى أثر ذلك توقفت الأعمال العدائية وفي عام 1583م توفي سجاد وتولى ابنه زنبور السلطة. نصار أحمد الخزعلي ـ ص88 ـ 1990م. (ماجد شبّر)

إن أخاه مطلب كان يعيش في دورق تحت حماية أمير تميم وتزوج فتاة من القبيلة. هذا ما يكتبه سيد علي، كاتب تاريخ الحويزة، الذي ولد أبو جده من ذلك الزواج.

ومنذ ذلك الحين لا يوجد، فيما عدا خبر واحد معزول، أي معلومات مباشرة عن بني تميم. وعند البحث عن معلومات غير مباشرة نجد حكاية تتقاطع فيها الأحداث التاريخية مع الأحداث غير الصحيحة تاريخياً. تتعلق الحكاية بكعب ونشرها دي بوده (الجزء الثاني، ص 127 وما بعدها) الذي كان، مثل لايارد، عام 1841م في عربستان، وقد نشرها لايارد بصيغة مختلفة. يبدأ دي بوده الحكاية بالكلمات التالية: في بداية العهد الصفوي كان كعب يعيشون على الكرخة قرب حويزة. وبعد وفاة الشاه طهماسب (984هـ/ 1576م) هاجروا إلى دورق. . . هذه الجمل لا تتجاهل الظروف المعروفة، مكان وزمان هجرة كعب، وحسب وإنما تضع تاريخ انتقالهم إلى دورق (1160هـ/ 1747م) نحو 170 سنة قبل حدوثه. بعد ذلك تبدأ الحكاية التي سنرويها هنا استناداً إلى لايارد لأنه يتقيد أكثر من دي بوده بالرواية العربية. تدور المقدمة حول تأسيس قبان والمفاوضات مع الأفشاريين الذين كانوا يملكون شريط الأراضي الذي يحمل اسمهم، أي أنها تتطابق مع الظروف المعروفة. ثم تقفز الحكاية أكثر من مائة عام إلى الأمام: وبعد ذلك بوقت قصير تحرك كعب على نهر الجراحي نحو الأعلى ثم نصبوا خيامهم على تل صغير نشأت حوله فيما بعد مدينة الفلاحية. فوقف الأفشاريون ضد هذا التجاوز لكن كعباً هدأوهم بقولهم إن هذه البلاد تصلح للجواميس أكثر من قبان. وبعد ذلك بدأ كعب بحفر خندق حول التل. فاحتج الأفشاريون مرة أخرى، لكن كعباً قالوا لهم إن الخندق يرمي إلى حماية جواميسهم التي يسرقها جيرانهم كل ليلة. فاقتنع الأفشاريون بهذا الجواب. وعندما برز وراء الخندق جدار سميك من الطين أدرك الأفشاريون خطر انشقاق كعب. هذه الحكاية لا يمكن تفكيكها أو استخلاص النتائج منها. لكن الأمر مختلف بالنسبة لتتمتها: عندئذ طلب الأفشاريون المساعدة من رئيس قبيلة مجاورة، ولكنهم اضطروا إلى تأجيل الحملة لأن رئيس القبيلة

أصيب بمرض. ولذلك اتفقوا مرة أخرى ظاهرياً مع كعب. إلّا أن كعب اشتموا رائحة الخطر وقتلوا في مأدبة لتناول الطعام 14 أفشارياً. بعد ذلك طلبوا من والي الحويزة مساعدتهم على طرد الفرس. نحن عرب وبالتالي أخوة الوالي (أو بالأحرى أبناء قبيلة واحدة أو شعب واحد). والأفضل: نحن من رعاياه نؤدي نفس الواجبات وندفع نفس الضرائب مثل الأفشاريين! فوافق الوالي على الاقتراح ودمر دورق، بينما تراجع الأفشاريون نحو الشرق ـ هذه التتمة تتضمن دافعاً للحكاية، ألآ وهو قتل الضيوف، بالإضافة إلى أحداث محرّفة. ومما يلفت الانتباه بشكل خاص مناشدة الشعور (القومي) بالقول إننا شعب واحد! وقد تكون هذه المناشدة جاءت في قصائد ابن معتوق[*] الذي تغنى من عام 1635م حتى عام 1678م بأفعال حكام الحويزة[1]. لا شك في أن المقصود بالوالي هو ابن مبارك، مطّلب، الذي كان يحكم في الحويزة منذ عام 998هـ/ 1590م واحتل بعد توليه الحكم مباشرة دورق التي كانت قد سقطت في هذه الأثناء في يد الأفشاريين[2]؛ إذ عندما زحف كعب إلى دورق، بعد سماعهم بنبأ وفاة نادر (20 يونيو/ حزيران 1747م)، لم يحتاجوا إلى مساعدة لكي يطردوا الأفشاريين الذين كانوا قد استقروا هناك مرة أخرى بعد

(*) هو أبو معتوق شهاب الدين بن أحمد بن ناصر بن حوزي بن لاوي بن حيدر المحسن الموسوي الحويزي ولد في سنة 1025هـ بمدينة الحويزة وبها ترعرع وتعلم وكان في نشأته فقيراً. عاصر السيد معتوق الذي جمع ديوان والده عاصر شهاب الدين الموسوي ثلاثة من الحكام المشعشعيين أولهم منصور بن مطلب وبركة بن منصور وعلي بن خلف. وقد توفي 1087هـ.

وقد مدح الأمير علي بن خلف بقصائد جميلة منها:

لا زلت يا غوث لي غوثاً ومنتجعاً ... ولا برحت إليك المدح أهديه

لولا تملككم رقيَّ بانعمكم ... ما راق شعري ولا رقت مبانيه

المصدر الأدب العربي في الأهواز د. عبد الرحمن كريم اللامي ـ بغداد 1985، ص 317 و318 و323. (ماجد شبّر).

(1) مثال على ذلك في "إسلاميكا"، العدد 6، 427. وفي نفس الموقع يجب حذف الجملة الأخيرة من الملاحظة 1؛ إذ إن سيد منصور خان حكم مرة ثانية، 1044هـ ـ 1053هـ.

(2) سيد علي، كسراوي، 59.

انسحاب مولى مطلب إلى الحويزة في مارس/آذار من العام نفسه[1].

والآن نعود إلى دي بوده، الذي يكتب: ولكن في عهد عباس الكبير (1587م ـ 1629م) أرغم حاكم فارس، إمام قولي خان، كعباً على إعادة ما كانوا قد اغتصبوه من الأفشاريين. أما في الحقيقة فإن إمام قولي خان[2]، بكلر بك فارس، انتزع دورق في عام 1029هـ/ 1620م من يد رجل متمرد من الأسرة الحاكمة في الحويزة[3]. ويقول لايارد: بعد بضعة أعوام حاول بكلر بك فارس (حاكم فارس) إعادة احتلال البلاد، لكن الأفشاريين أرغموا بعد بضع معارك على مغادرة منطقة دورق. ونحن نرى أن الجملة الأولى هي تكييف للخبر السابق مع الأحداث خلال احتلال دورق من قبل كعب، والجملة الثانية هي نوع من المبالغة في وصف هذه الأحداث.

علام تستند كل هذه الاختلاطات؟ على ملابسات وإساءات فهم مختلفة نعرضها الآن باختصار: في بداية هجرتهم وفي نهايتها يصادف كعب الأفشاريين؛ لكنهم هنا كما هناك لا حول لهم ولا قوة. ولكن الحكاية وتتمتها وإطارها المجملّين علمياً مملوءة بأفشاريين أقوياء. وكان الرواة المتأخرون، الذين كانوا يعرفون هذا الأمر، يعرفون تمام المعرفة أن تنامي قوة الأفشاريين خلال الاضطرابات المتكررة دورياً لم يحدث في القرن الثامن عشر وإنما في القرن السابع عشر ونهاية القرن السادس عشر، وإن كانوا قد عبّروا عن ذلك على طريقتهم بالقول "بعد موت الشاه طهماسب"، "في عهد عباس الكبير". وهذا يفسر انعدام التطابق الزمني. ومما يبقى غير قابل للتفسير عدد الأفشاريين، إلّا إذا اعتبرنا الفرضية التالية مقبولة: تراث كعب وحكاياتهم متأثرة بتراث وحكايات بني تميم الذين كانوا

---

(1) يبدو قبل ذلك بزمن طويل، كما يقول التأريخ الصغير لكعب، ص 86، ملاحظة 1، "الذين كانوا مقيمين هناك"، كسراوي، 59.

(2) صورته في: ف. شولتس، اللوحة 149.

(3) إسلاميكا، العدد 6، 425. بعد ذلك فصلت عن الحويزة، كسراوي، 67.

يحتلون دورق قبل الأفشاريين، أي أنهم كانوا على الأرجح في نزاع معهم في القرن السابع عشر. كما أن الهجرة من الحويزة إلى دورق، التي يبدأ بها دي بوده، تصبح مفهومة إذا ما وضعنا بني تميم محل كعب. ولكي تكون هذه الفرضية صحيحة يجب أن تكون القبيلتان قد أقامتا علاقات وثيقة فيما بينهما في وقت مبكر. وهذا ما حدث فعلاً. بمناسبة ثورة محمد خان بلوتش «بلوچ»، التي جاءت بعد هزيمة نادر شاه ضد توبال عثمان باشا في يوليو/تموز 1733م، يذكر كاتب تاريخ نادر شاه، ميرزا مهدي خان، أن كعباً وبني تميم ثاروا أيضاً ودمروا المنطقة المحيطة بدورق[1].

من الممكن أن يكون بني تميم ساعدوا كعباً عند احتلال دورق، ومن المحتمل أن يكون الشيخ سلمان كلفهم بحراسة الحدود بعد أن استولى على البلاد الواقعة شرقي الكارون حتى الهنديان، ومن المؤكد أنهم قُبلوا آنذاك في مجمع كعب. ليس معروفاً كيف ومتى تحول بنب تميم إلى شريفات، ولكن من المؤكد أن الشريفات كانوا يضمون في صفوفهم عائلة شيوخ بني تميم؛ إذ إن رئيس الشريفات كان يحمل لقب مير (أمير) مثل رئيس بني تميم في القرن السادس عشر (أنظر ص128 أعلاه). في أواخر ثلاثينيات القرن التاسع عشر حاصر ثامر، حاكم كعب، المير مهنا في ده ملاً وأجبره على الاستسلام. فذهب إلى الفلاحية وعُيّن مكانه سيد من تميم[2]، المير مذكور. لكن بيلّي، 1863م، يعتبر مير مهنا رئيساً.

بينما قدر لايارد عدد الشريفات بألف أسرة، وقدرهم بيلّي تقديراً مماثلاً بحوالي 10,000 رجل، فإنهم يجب أن يكونوا قد تقهقروا بعد ذلك بوقت قصير. وقد بدأ التقهقر مع تبدل عائلة الأمراء مرة أخرى. صحيح أن لقب المير انتقل إلى خط جانبي من البو ناصر، حكام كعب، لكن أصحاب اللقب[3] لم يصبحوا رؤساء

(1) كسراوي، 113، الملاحظة 1.

(2) يجب فهم ذلك على أساس أن عائلته أقامت بين الشريفات عندما كانوا ما زالوا يسمون بني تميم؛ أنظر بهذا الخصوص، ص43 أعلاه.

(3) في اللوحة، كورزون، الجزء الثاني، 324، التي تعود بياناتها إلى أواخر الثمانينيات يظهر المير عبد الله بوظيفة محافظ ده ملاً، أنظر ص115 أعلاه.

الشريفات وإنما أسسوا حكماً محلياً التقينا مع آخر رئيس له، لم يزل غير معروف، على الصفحة 110 أعلاه. بعد ذلك تفككت القبيلة؛ بقيت فصيلة منها في ناحية هنديان وعادت أربع فصائل إلى الجراحي. ويذكر لايارد بصورة سطحية عابرة أسماء بعض القبائل الفرعية. وبما أن ويلسون لم يذكر أياً منها بإننا نستغني عن وضع جدول. كان عدد الشريفات 750 أسرة (ويلسون عند فيلد، 194).

الجزء الرابع

القسم الأول

الفصل الثاني

الشرارات



الشرارات(*)

يذكر بوركهاردت (1810م) الشرارات من بين القبائل التي كانت "في

(*) يسكن الشرارات المنطقة الممتدة بين جنوب شرق معان وشرق تبوك حتى أطراف النفود وفي وادي السرحان، وكذلك في الجبال المتوسطة وفي الطبيق والسهوب القاحلة بين البروز الغربي للنفود ووادي سرحان والجوف (دومة الجندل). [ينظر بهذا الصدد: البدو اوبنهايم ج1 1939م وج4، 1966م قبيلة الشرارات/ عبد الله بن قاسم النواق (مؤسسة الرسالة بدون تاريخ). موسوعة القبائل العربية ـ محمد سليمان الطيب ج2، دار الكتاب الحديث 1995م. أصول الخيل العربي ـ حمد الجاسر، دار اليمامة 1415هـ. بيكه تاريخ شرق الأردن 1935م لندن. الصحراء العربية دوتي 1888 لندن. (رحلة داخل الجزيرة العربية) ـ أويتنج يوليوس، ترجمة د سعيد السعيد ـ دار الملك عبد العزيز 1419 الرياض، الاصطخري، ياقوت، فوستنفيلد، ابن منظور، لسان العرب.].

من هم الشرارات، ومن أين جاؤوا، ومتى وصلوا إلى هذه المناطق، وكيف انتشروا في هذه المساحة الواسعة من الأرض، والمراحل التاريخية التي مروا بها؟

هذه المجموعة الكبيرة من الأسئلة نحاول الإجابة عليها وذلك خلال الخطوات التالية:

1 ـ المتابعة التاريخية لانتشار وتواجد وسكن القبيلة موضوعة البحث.

2 ـ البحث في القبائل الحالية وإيجاد علة الصلة بالقبائل التي مرت أو سكنت أو انتشرت بتلك المنطقة.

3 ـ البحث في أسماء فروع وتفرعات قبائل الشرارات ومدى علاقتها بأسماء وتفرعات القبائل القديمة.

4 ـ بحث نخوة أو صيحة الحرب وتحليلها.

5 ـ البحث عن الوسم ودراسته من حيث الشكل وما يعطيه من دلالة. =

= ذكر بعض الرحالة الأجانب، من الذين زاروا المنطقة العربية أنّ الشرارات كانوا مرهوبي الجانب من قبل القبائل الأخرى. من ذلك ما ذكره الرحالة يوليوس اويتيج الذي زار المنطقة (1883م ـ 1884م)، وقال إنّ الشرارات كانوا يأخذون الخوة من بعض القبائل وقد ذكر قبيلة السرحان كمثال على ذلك، لقد كانت قبيلة الشرارات تُعدُّ من كبار أصحاب الخيول العربية الأصيلة. إن امتلاك الخيول من قبل قبيلة الشرارات يعكس واقعاً مهماً من حيث القوة والمكانة الكبيرة بين القبائل. وهذا ما يؤكده حصول حامد باشا الشراري (من قبيلة الشرارات) على منصب كبير، حيث أصبح باشا ومختار معان الحجازية [البدو، اوبنهايم (ولين وموزيل) ج4، ص168].

ذكر حمد الجاسر أنّ الشرارات يمتلكون أفضل أنواع الخيول، وقد ذكر أسماء بعضها منها الكحيلة والعبية والصقلاوية والعبسية وغيرها [الجاسر حمد، أصول الخيل العربية الحديثة ص106 دار اليمامة 1415هـ].

لقد بدأت مرحلة جديدة غيّرت من وضع الشرارات السياسي والاقتصادي نحو الأفضل، وذلك إثر تعاون الشرارات وانضمامها إلى الملك عبد العزيز آل سعود في مطالبته لمنطقة الجوف والمناطق المجاورة لها. يقول النجار وهو من رجال الملك عبد العزيز: «إنّ المرحوم حامد باشا الشراري تعاون معه بدرجة كبيرة» [تاريخ المملكة العربية السعودية، صلاح الدين النجار ج2، ص276، دار مكتبة الحياة، بدون تاريخ].

عند متابعة تاريخ منطقة الجزيرة العربية، نجد أنها مرّت بمراحل وموجات من الهجرات والانزياحات السكانية الكبيرة. وهذه الهجرات لها أسبابها، فمنها (حروب بين القبائل ضد قبائل أخرى، أو حروب لفرض السيطرة على القبائل الأخرى للحصول على الخوة والصرة، وكذلك من أسباب الصراعات الاستحواذ على مناطق الرعي خصوصاً في سنوات الجفاف. وهنالك أيضاً أسباب سياسية أو صراعات داخل القبيلة الواحدة لغرض فرض المشيخة أو التنافس بين شيوخ القبيلة. لقد كانت أكبر وأوسع الهجرات التي شهدتها الجزيرة العربية في تاريخها مرتبطة بالجانب الديني، كما حدث في الفترة الإسلامية الأولى أو الصراعات الدينية كما في العصر القرمطي. إنّ تلك الهجرات والانزياحات قد أثرت بشكل كبير على تاريخ المنطقة العربية بالكامل.

إنّ من القبائل العديدة التي قدمت إلى سورية قبل الفتح الإسلامي، كانت كلب في مقدمتها [الطبري ج2، (تاريخ الرسل والملوك) القلقشندي (صبح الأعشى)، الحافظ الذهبي العبر في خبر من عبر، ابن الأثير (الكامل في التاريخ)، الواقدي (فتوح الشام)، النويري (نهاية الإرب في فنون العرب)]. وفي زمن الفتوحات نقلت كلب منطقة انتشارها من الفرات الأوسط إلى الجزيرة الشرقية، لقد برز نفوذ كلب على الدولة وقضاياها خلال حقبة الأمويين الأوائل الذين ارتبطت معهم بعلاقة مصاهرة، وقدمت عدداً من كبار الموظفين [أوبنهايم، ج1، ص265 =

= و268 و337 و413 و414 و415].

عرف العالم الإسلامي، قبل عام 900 ميلادي بفترة قصيرة، حركة القرامطة، التي دعت إلى ثورة مفتوحة ضد النظام القائم، وتمكنت دعايتها عام 901م من نفوس السوريين، حتى سقوط ضحية لها بنو أليس وغيرهم من قبائل كلب في الصحراء [المصدر السابق].

شهد الطائيون الذين بقوا في نجد تبدلاتٍ هائلة في العصر الوسيط. إذ إنهم تمكنوا من توسيع مناطق انتشارهم بشكل كبير نتيجة الفراغ البشري الذي أحدثته الهجرات، واتجهوا بصورة خاصة نحو الغرب، الذي انفتح أمامهم بعد اختفاء غطفان.

وما أن حلّ القرن التاسع الميلادي، حتى بلغت منطقتهم طريق الحج الكوفة ـ الحجاز، عند الشقوق وبلغت منجم النقرة شمال شرق المدينة (الاصطخري ج1، ص22) وعُدّت منطقة الجوف في الشمال ملكاً لهم (ياقوت ص122 ج4) بعد أن أخلتها كلب وقصدت شمال غرب تيماء (فوستنفيلد جزء طي).

كانت أقسام من كلب من سكان المدن في حلب وتدمر وشيزر وغيرها من المستقرات الأبعد غرباً قد حافظت على أصلها الكلبي حتى القرن الرابع عشر الميلادي [المصدر السابق].

لقد دفع الفقر البدو في جميع الأوقات إلى الهجرة وراء الحدود. فقد هاجرت قبائل الجبال الطرفية لخم وجذام وبلي وجهينة إلى الأردن وفلسطين وإلى مصر عن طريق سيناء. أما قبائل داخل الجزيرة العربية، بهرا وكلب وبنو صخر وعنزة فقد احتلت البادية الأردنية أو البادية السورية [المصدر السابق].

لذا نجد أنّ قبيلة كلب لم تنقطع عن منطقة تيماء ـ الطبيق وكاف والجوف، وهي نفس مناطق تواجد الشرارات الحالية ولصلة الشرارات القديمة بكلب وتوارثها لمراعيها ومناهلها.

نخوة الحرب (الصيحة): يقول المرحوم حمد الجاسر: إنّ أصل الشرارات من قبيلة كلب القضاعيّة [قبيلة الشرارات، عبد الله بن قاسم النواق ص118، مؤسسة الرسالة]، وقد ذكر مجموعة من الباحثين هذا القول.

لديّ ما يعزّز علة ربط صلة النسب بين قبيلة الشرارات وقبيلة كلب أقوى مما ذهب له حمد الجاسر وهي نخوة الحرب (مكلب).

إنّ نخوة الحرب لدى الشرارات هي مكلب. يقول حمد الجاسر: إنّ العربي ينفر من أن يسمى باسم لا يستحسنه، ولهذا فهم يعبرون عن كلب باسم مكلب، ومن عادة القبائل في وسط الجزيرة العربية أنهم عندما يعبّرون عن جدّهم الأقصى يعبرون عنه بصيغة (مفعل). فالداعجين يعبرون عن جدهم (مدعج) [المصدر السابق، ص117]. وقبل الخوض في تحليل هذه النخوة لا بد من العروج على موضوع استعمال القبائل، لأسماء الحيوان لأسمائها، من الجانب التاريخي.

كانت القبائل تتخذ من أسماء الحيوان، أسماء لها، بل إنّ كثيراً من أسماء الحيوان تطلب على =

=الأفراد أيضاً. ويعود سبب ذلك إلى:
1 ـ اعتقادهم وإيمانهم بالسحر والروح، وهذه الاعتقادات قديمة وقبل الإسلام بزمن بعيد.
2 ـ يعتقد البدو أنّ إطلاق اسم الحيوان على المولود الجديد يحفظه ويبعدهُ من الحسد.
3 ـ إنّ إطلاق اسم الحيوان الضاري، كلب، أسد، نمر، فهد على الأفراد، يعطي للقبلية هيبة.

يلاحظ أنّ كتب الأنساب الرصينة، لم تسجل صيحة حرب واحدة اسم حيوان للقبائل والعشائر العربية المتواجدة في منطقة الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام، التي هي مجال البحث هذا قد استعملت اسم حيوان كنخوة حرب حيث إنّ نخوة الحرب معروفة غالباً باستعمال أخو أو أخت أو أولاد أو صبيان (ثم تتبع بها الاسم)، أو تكون الكلمة مركبة. وهناك صيحات حرب بأسماء مفردة مثل معن، تغلب، سناعيس وغيرها. ولم تشذ قبيلتنا هذه عن هذه القاعدة. إذ لم تستعمل اسم كلب كنخوة لها، بل أضافت حرف الميم إلى كلمة كلب فأصبح الاسم مكلب. وهذا يعود، إلى أنّ استعمال كلمة كلب المجردة، لها مردود معكوس، من أصل غرض النخوة، فلو استعملت كلمة كلب كالنخوة لأصبحت النخوة مدعاة استهجان.

كما أنه قد يفهم، ما يعيب، كأنّ يقال (أولاد كلب) أو (أبناء كلب) أو (صبيان كلب). من هنا نجد أنّ نخوة (الصيحة) الحرب عند الشرارات مكلب.

جاء في لسان العرب لابن منظور بمعنى كلب: كل سبُع عقور. وفي الصحاح أكاليب جمع أكلب وكلاب، وهو اسم رجل سمّي بذلك ثم غلب على الحي والقبيلة.

أما سيبوية فيقول: سائس كلاب ومكلب: مدرب للكلاب على الصيد، ومعلم لها، يكون التكليب واقعاً على الفهد وسباع الطير، (ابن منظور، ج1، 1955).

وعليه فإنّ جذر كلمة مكلب هو كلب، حيث الميم زائدة، ومن هنا تتضح لنا علة الربط بين الشرارات وكلب بصورة أوضح.

وسم الحيوان: تضع القبائل والعشائر وسوم على حيواناتها، تستدل بها على حيواناتهم وهي من العلامات المميزة للقبيلة، وفي كثير من الأحيان تدلل الوسوم على علاقة الأفخاذ بالقبيلة الأم، وتؤكد على علة الربط (النسب) بين القبائل وأفخاذها.

يمكننا على ضوء الوسوم التي وضعها دوتي [دوتي ـ صحراء العرب ـ 1988] عن قبيلتنا هذه، نجد تشابه هذه الوسوم، لوسوم بعض القبائل الكبيرة، من حيث الرسم، حيث تشابه بشكل كبير لوسوم لبني صخر، من حيث نوع الدائرة ودرجة الانحراف. من المعروف أن بقاء قبيلة معينة في منطقة جغرافية واحدة ولفترة تاريخية طويلة يجعلها مضطرة إلى استنباط أشكال جديدة من الوسومات لتميز حيواناتها. خصوصاً عندما تتفرع القبيلة إلى أفخاذ «بحكم التكاثر» عندئذٍ تحتاج القبيلة إلى أن يمتلك كل فخذ من أفخاذها إلى وسماً معيناً للتمييز، والمعروف أن الأفخاذ الجديدة يضطرون إلى استنباط وسوم جديدة لهم، وذلك من خلال إضافة رسم =

السابق" تزور حوران في كثير من الأحيان[1]. وتعني عبارة "في السابق"، كما يتبين من الجملة السابقة، "قبل أن ينتشر العنزة في سهول حوران"، وهذا ما حدث بعد عام 1750م. وفي عام 1845م كانوا وما زالوا يدخلون إلى معان[2] ولكنهم منعوا من ذلك في وقت لاحق على يد الحويطات، ألد أعدائهم. ومنذ ذلك تمتد منطقة تنقلهم جنوب شرق معان وشرق تبوك حتى أطراف النفود وفي وادي سرحان، وتشمل الجبال المتوسطة قمم وذرى الطبيق وسهوب البسيطة القاحلة بين البروز الغربي للنفود ووادي السرحان. في هذه المنطقة لا يستطيع الرعي في الصيف إلّا من يعرف بدقة مواقع المياه التي تنضب غالباً، وكانت الحياة هناك حتى ما قبل 40 عاماً غير آمنة في الخريف والربيع بسبب غزوات السلب والنهب التي تشنها العنزة والحويطات، وفي الشتاء كان يذهب إلى هناك من الشمال الغربي بنو صخر[3] ومن الغرب الحويطات[4] (انظر الخريطة العائدة للجزء الثاني).

يعيش الشرارات حياة بدوية ويربون أفضل الخيول في شمال الجزيرة العربية. وهم صيادون ماهرون، أو بالأحرى كانوا صيادين ماهرين؛ إذ إن غرور وجهل الأمراء وشيوخ القبائل أدى إلى انقراض الظباء والنعام تقريباً وإلى إلحاق أضرار

= معين على الوسوم القديمة، ومن هنا نجد أن درجة التعقيد في الوسومات تعطي دلالة على تاريخ عمر القبيلة.

إنّ النظرة الفاحصة لوسوم الشرارات تدلنا بوضوح على أصلها وتاريخها القديم. حيث درجة التعقيد لوسوم الشرارات، ففي بعضها يكاد يكون متميزاً على كثير من وسوم القبائل والعشائر الأخرى في المنطقة، وهذا يدلّ بوضوح على أنّ لهذه القبيلة امتداداً عميقاً في التاريخ. (ماجد شبّر).

(1) بوركهاردت، رحلات في سورية، 308.

(2) فالين (والين)، الجمعية الجغرافية الملكية 24 (1854م)، ص 126: إنهم السادة الحقيقيون في معان.

(3) بوركهاردت، 24.

(4) بخصوص القبائل التي ذكرت حتى الآن نلفت الانتباه بالتسلسل الذي تظهر فيه هنا إلى: الجزء الأول، 167؛ الجزء الثاني، 421 وما يليها، 337 ـ 345؛ 271.

فادحة بالغزلان. أما حمار الوحشي فقد اختفى من هناك منذ أمد طويل. وهكذا بقي الشرارات فقراء كما كانوا في السابق.

ويقول أوبتينغ (2، 103) نقلاً عما سمعه في حايل: "الشرارات موجودين في الجوف ومعان". ويوجد كذلك شرارات مستقرون. وفي جدولنا الخاص بسكان معان يتولى حامد باشا الشراري منصب مختار معان الحجازية/ مصرية، إحدى مستوطنتي الواحة[1].

يعدّ الشرارات من الظرفاء وأصحاب أريحية ونكتة صائبة. وقد سعى عبد العزيز آل سعود في العشرينيات إلى تحسين وضع الشرارات[2] «الاقتصادي».

(1) هاندبوك، الجزء الأول، 610. الجزء الثاني، 290.

(2) غلوبّ، 15ب. في الوقت الذي كان فيه ر .ب .آ .ياوسن موجوداً في شرقي الأردن (قبل عام 1906م)، والشراري (المفرد من شرارات) يوشمون البنات الصغيرات من "عرب الموآب"، ياوسن، 331. وتجدر الإشارة إلى أن جميع نساء البدو موشومات. انظر: رناته شتاين: بعض نماذج الوشم لدى نساء بدويات في الجزيرة، جمهورية العراق، الكتاب السنوي لمتحف علم الشعوب في لايبزغ، العدد 20، برلين 1964م، 147 ـ 178.

الشرارات(1)

شيخ المشايخ(2)

منطقة التنقل: تيماء ـ الطبيق ـ كاف

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحلسة			400
أ ـ صبيحات(3)	ابن دعيجة(3)		
ب ـ الرشايدة	ابن راشد(4)		
جـ ـ آل جوينان	ابن جويني(5)		
د ـ آل عمرو	ابن عمرو(6)		
هـ ـ آل دفاف	.....(7)		
و ـ الدباوين	.....(8)		
2 ـ الضباعين	ابن جريّد		
3 ـ الفليحان(10)	.....(11)		500
أ ـ آل سليم	آل حاوي		
ب ـ الجوابرة(13)	......(14)		
جـ ـ آل ذهيبان	....		
4 ـ العزام	.....(15)		

ملاحظات حول الجدول

1 ـ بما أنه لا يوجد لدينا سوى معلومات تجميعية (المصدر: محمد البسام، 1925م) فقد استند الجدول إلى موزيل، آرابيا دزرتا الصحراء العربية. (1908م ـ

1909م)، 136. قوائم الشرارات موجودة عند بوركهاردت، 24؛ والين (1854م)، المجلة الجغرافية الملكية 1845م، 150؛ غارماني، 151؛ موزيل، آرابيا بترايا، 3، 122؛ هاندبوك، 1، 93. بوركهاردت يسمي: 1 حـ، عائلة شيوخ 3 آ، الخَيَل؛ والين: 3، 1، إضافة إلى ذلك عائلة شيوخ 1آ، 2، 4 مع شبلي، 3 آ؛ غارماني: 1 مع ب 3، 2 مع1 آ، حـ، هـ، و والعطية، 3 مع 3 آ (محورة) وعتيق، 4 مع 1حـ؛ هاندبوك 1: 1، 2، 3، 4 وخيّالي.

الوسم: ، دوتي، 1، 125.

2 ـ والين: الحاوي؛ هاندبوك: نفس المكان وابن وردة؛ محمد البسام: كاسب اللحاوي، هذا هو الحاوي مع أداة إضافية، ويشهد على ذلك دوتي وبوركهاردت في الملاحظة 12؛ موزيل: محمد بن سيف الحِلسي.

3 ـ والين، (1848م) الجمعية الجغرافية الملكية 1851م، 319: الدعجيين بدلاً من صبيحات. ـ غارماني: شيخ الحلسة كما عند والين: هاندبوك (محورة): نفس المكان؛ موزيل: خير الله بن دعيجة.

4 ـ موزيل: قريطان بن راشد.

5 ـ بوركهاردت: "ابن حويني"؛ موزيل: زيد بن جويني.

6 ـ موزيل: دخيل الله بن عمرو.

7 ـ موزيل: حمدان ولد خصي (الخصي).

8 ـ موزيل: حامد آل همط.

9 ـ والين: شوشان؛ غارماني: جريْد؛ آرابيا بترايا: محمد بن جريد (النص: جرير)؛ موزيل: نفس المرجع؛ هاندبوك: ابن شوشان.

10 ـ دوتي (1، 125): مفالحة، الوسم: . قارن منابهة من نبهان، الجزء الأول، 192.

11 ـ موزيل: فالح بن فروة.

12 ـ والين: الحاوي؛ غارماني: سليم الحاوي؛ بوركهاردت ـ فرع: اللحاوي؛ دوتي، 1، 125: لحاوي، الوسم: ؛ محمد البسام: كاسب اللحاوي، انظر الملاحظة 2؛ موزيل: كاسب (تشاسب) آل حاوي.

13 ـ غارماني: الجبور.

14 ـ موزيل: محمد الدويرج.

15 ـ غارماني: زيدان بن وردة؛ هاندبوك: ابن وردة، انظر الملاحظة 2؛ موزيل: مسند بن خيال بن قريطان.

الجزء الرابع

القسم الأول

الفصل الثالث

الحوازم

الحوازم

تنطبق على الحوازم الفرضية التي يتبناها ف. دوستال، التي تقول بأن الفئات والأفراد الذين يكسبون رزقهم بطريقة مختلفة حسب المفاهيم البدوية يغتربون عن قبائلهم[1].

إذ لا شك إطلاقاً في أن الحوازم ينحدرون من الفرع الذي يحمل نفس الاسم في مجمع حرب الموجود في غربي الجزيرة العربية (الجزء الثاني، 544، (آ II)، بالإضافة إلى الملاحظة). المواد المتوفرة عن هذه القبيلة شحيحة. ويقول دوتي، 2، 174، 293 ـ 294: حازم هو فرع من حرب ولكن أعداءهم يشتمونهم باعتبارهم باريا. وفي هاندبوك، 1، 93، 65، يحدث خلط بينهم وبين العوازم، وموزيل (رولة، 282، 404 وما بعدها) يعرفهم عن الرولة ويتحدث عن عرّافاتهم، ولكنه لا يعرف شيئاً عن صلتهم بحرب. وعندنا يظهر الحوازمة (هكذا!) ضمن فرع العنزة العجاجرة «العقاقرة» الذي ينتمي إلى ولد فدعان (الجزء الأول، 196). ويسميهم غلوبّ، 15 ب، "حازم" ويعتبرهم رعاة موجودين في محيط الجوف وينسبهم إلى الرولة[2]. وعن طريقة التبصير (التنبؤ) عند الحوازم، والصُليب، والبدو عموماً،

---

(1) بقدر ما كان هذا ممكناً سياسياً. قبيلة قوية مثل زبيد عند حرب لم تستطع الاغتراب وإنما فقدت فقط احترامها. انظر الجزء الثاني، ص540 في الأسفل مع 537.

(2) يذكر أيضاً "صليلات"، أي الصليلات عند العمارات، ويزعم بأنهم ينحدرون من رجل عنزة. فما هي صلتهم بالقبيلة التي تحمل نفس الاسم بين عرب البلقا، الجزء الثاني، 318؟

يقدم موزيل (رولة، 404) وديكسون (آراب عرب الصحراء، 521) بعض المعلومات. فهم يستعملون لهذا الغرض 23 أو 22 شيئاً صغيراً: أصداف، بذور التمر، شظايا، حصى، وما شابه. كل قطعة من هذه الأشياء تمثل شيئاً معيناً: بر، بحر، رجل، امرأة، حظ، والخ... تلقى هذه الأشياء مراراً على الأرض واستناداً إلى توزعها يتم كشف الأسرار واستجلاء المستقبل.

الجزء الرابع

القسم الأول

الفصل الرابع

قبائل وعشائر في الجزيرة العربية

قبائل وعشائر صغيرة في الجزيرة العربية(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
أ ـ مجموعة (بني رشيد)(2)	ابن براك(3)	تيماء ـ المدينة ـ حائل	1500
1 ـ الهادي	ابن هادي		
2 ـ جليدان(4)	ابن شميلان(4)		
3 ـ . . . . . (5)			
4 ـ الذيبة(6)	ابن سمرة(7)	النفود ـ حرّة خيبر	
5 ـ النوامسة(8)	ابن نومس		
6 ـ الشوّلة	ابن شويلة(9)		
7 ـ الخيمرات(10)	ابن مريف		
8 ـ الزبون	ابن زبنة		
9 ـ العوامرة	ابن عدلة		
10 ـ المهيمزات	. . . . (11)		
أ ـ الفرادسة	ابن فريدس		
ب ـ النميّان	. . . . . (12)		
جـ ـ الدواميك(13)	ابنداموك		
د ـ العراعرة	ابن عريعر		

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
هـ ـ . . . . . (14)			
11 ـ البويدي	ابن بويدي		
12 ـ الحمود	ابن حمود		
13 ـ الرفيعة	ابن سمير		
14 ـ المضابرة	ابن جولان	ابان الأحمر	
15 ـ رويضات	ابن عريجة		
16 ـ عجاونة(15)	ابن عجوين(16)		
17 ـ مشاعلة	ابن مشعل		
ب ـ الفقهات(17)		مدائن صالح	
جـ ـ البداونة(18)		العلى	
د ـ قرابيس(19)		الوجه	
هـ ـ . . . (20)		شاطىء البحر الأحمر	

ملاحظات حول الجدول

1 ـ التصنيف آ ب حـ (د) يستند إلى دوتي، 2، 597.

2 ـ بما أن معلوماتنا أصبحت قديمة اعتمدنا على بيانات ديكسون، عرب الصحراء، 606، لعام 1941م؛ المصدر المخبر شيخ المشايخ ناصر بن براك. يسمي الشيخ ناصر 2، 10 آ ـ هـ، 15، 16، 17 بدون أداة. ونحن نضع الأداة (ال) حيث يكون هناك شهود على وجودها. بنو رشيد (آ) موضوعون ضمن قوسين لأنهم عند دوتي فقط لهم وظيفة القبيلة القائدة (دوتي، 2، 70)، ولكن حسب

الصفحة 597 ليس للنوامسة. ـ قوائم موجودة عند غارماني (1864م)، 167؛ دوتي (1877م ـ 1878م) 2، 231، 597، هوبر، رحلة (1874م)، موزيل، شمال نجد (1915)، 108. غارماني يذكر: 5، 7، 10 وإلى جانبهم بني رشيد (آ) مع عائلات الشيوخ المذكورة في الجدول ما عدا عند 10؛ دوتي: آ، 2، 3 (؟)، 4، 5، 7، 10آ، 10حـ، 14، 16، أحياناً مع عائلة شيوخهم وأحياناً أخرى في هيئة عائلة شيوخهم، بالإضافة إلى حيزان مع ابن حيزان؛ هوبر: 4 مع عائلة الشيوخ، 9، 10، 10آ، 14 وابن برّاك؛ موزيل: 2، 4، 10حـ، 16، الخلوُية مع ابن حظية، وآل برّاك. ـ عبد الجبار الراوي (1930م ـ 1944م)، 189، يقسمهم على الشكل التالي: البو حمد مع ثنيان بن شميلان (ص 2)، البو حمود مع جاسم بن برّاك و5 مع شيخ 9 (البو استناداً إلى مصدر (رجل) ينتمي إلى قبائل العراق نصف البدوية).
ـ لم نسجل في جدولنا "سويدر" المذكورين عند دوتي (2، 220) لأنهم غير موجودين في الفهرس ـ عن قصد. الوسم استناداً إلى دوتي:

3 ـ غارماني: رشدان بن براك؛ دوتي، 2، 62: قاسم، تشاسم أو جاسم بن براك؛ موزيل: دليم بن براك؛ ديكسون: ناصر بن براك مع ابن عمه ناهس بن فديغم وعوض بن براك.

4 ـ دوتي: ابن جليدان؛ موزيل: الجلد مع مزعل بن شميلات؛ ديكسون: «قليْدان».

5 ـ ديكسون: "القأبيب" مع "ابن قأبوب"؛ انظر دوتي: "القبيد".

6 ـ دوتي: الذيبة.

7 ـ موزيل: سمران بن سمرة؛ فيلبي، ميديان (1950م)، 28: دليم بن سمران. . . . بن سمران. ـ حسب دوتي، 2، 218 و220 هو أيضاً شيخ الفرادسة (10آ) والـ "سويدر"، انظر الملاحظة 2 في نهايتها.

8 ـ الفظها: (النوامسة) = الجزء الثاني، 502. ـ الشيخ حسب دوتي، 1، 564، 2، 64 وما يليها: "هنّس" بن نومس.

9 ـ غارماني: فرج بن شويلة، شيخ 10.

10 ـ غارماني: "الهيرات" مع ابن مريف؛ دوتي: "الخيارات"؛ ديكسون: "الخايرات".

11 ـ ديكسون: هديان بن عوض، انظر الملاحظة 9.

12 ـ ديكسون: "ابن رُفَدان".

13 ـ هكذا جاء الاسم أيضاً في الجزء الثالث، 107، ولكن عند موزيل الدواميقة «الدواميك»، وبناء على ذلك عندنا في الجزء الأول، 331: داموق.

14 ـ ديكسون: "هوينه" مع "ابن هون".

15 ـ دوتي: من الخلوية، انظر الملاحظة 2.

16 ـ دوتي، 1، 63، 577: عيادة بن عجوين.

17 ـ (دوتي)(*): فجهات، فقيهات = فقهات "(فُقَيْهي")، فيلبي، مدينة، 24.

18 ـ انظر ص 176 أدناه.

19 ـ انظر ص 172 وما بعدها أدناه.

20 ـ روبلّ، في أماكن متفرقة: تهمي، نقل لغوي لم يفهمه لأنه اعتقد بإمكانية اشتقاق الاسم من تهامة.

(*) يكتب دوتي فهجي وفهجات ج 2، ص 578. شبّر.

الجزء الرابع

القسم الأول

الفصل الخامس

قبائل الباريا

الهتيم، صلبّة، بني خضير

مدخل

لقد تخلينا عن العنوان الذي اختاره ماكس فرايهر فون أوبنهايم لصالح العنوان السهل (باريا)[1]، على الرغم من وجود بعض المآخذ على هذا العنوان. إذ إن ليس جميع البدو ينتظمون في قبائل، كما أن الباريا الذين يعيشون كما هو معروف في الهند، كانوا (وما زالوا؟) في طبقة من الطبقات الاجتماعية الهندوسية الدنيا إلى درجة أنه ينبغي ألاّ نسمي باسمها دون تمحيص ظواهر قريبة منها موجودة في ثقافات أخرى.

من أجل فهم جوهرهم وظهورهم ثم اختفائهم يجب أن نتذكر أن مجموعات مماثلة كانت موجودة في العالم الإسلامي، وعلى الأخص في العالم المسيحي (وما قبل المسيحي) الغربي، ولم تزل موجودة بصورة متفرقة هنا وهناك، وهي: الموسيقيون والممثلون والمشعوذون وغيرهم من الفنانين والبهلوانات، أولئك نالوا الاحترام مبكراً وهؤلاء متأخراً، والسمكريون والمجلخون ورقاصو الدببة، الذين اختفوا من الطرق نتيجة التقنية الجديدة، وأخيراً قطاع الرؤوس (الشنّاق) ومعاونوهم

(1) (لا ينحدر من إحدى القبائل العربية القديمة وإن كان هذا المعنى لم يعد في الوقت الحاضر لدى البدو الحاليين)، ذكر لأول مرة عند ديكسون، آرابيا، 111.

الذين ما زال الناس يتفادون الاحتكاك بهم حتى اليوم[1]. كان أعضاء الصنف الأول "المتجولون" غير محترمين بسبب أفعالهم المرفوضة دينياً أو كنسياً، بينما كان أعضاء الصنف الثاني منبوذين بسبب ارتياب الشعب البسيط من كل ما هو غريب.

لحسن الحظ يوجد معلومتان، تفصل إحداهما عن الأخرى عدة قرون، عن العادات والأعمال التي يرفضها البدو ويعتبرونها غير لائقة. تعود المعلومة الأولى إلى القرن الثالث عشر (مزيد من التفاصيل في مقال الهتيم). يذكر هناك: ركوب الحمير، وصنع الأشنان[2] (حمض يستعمل لصناعة الصابون أو يستعمل هو نفسه بدلاً من الصابون)، وتصليح الأحذية، وأكل الحيوانات الميتة أو ديدان الأرض. وتعود المعلومة الثانية ـ تاريخ 17/1/1938م ـ إلى شيخ شمر مرشد بن طوالة الذي يذكر: الحدادة واستخراج الملح والنقل، وحرق الكلس، وسلخ جلود الحيوانات ومعالجتها[3] وصنع الفحم الخشبي[4].

لنر في بادئ الأمر ما إذا لهذه الأشكال من السلوك قد وأت عند العرب في عهد النبي (569م/ 570م ـ 632م) أو ربما قبله أو بعده في القرن السادس أو السابع. سنبدأ بأشنع تهمة، ألا وهي: الحدادة.

يبدو أن الحكم المسبق ضد مهنة الحداد يعود إلى زمن طويل قبل الإسلام. إذ يرد في الجمهرة عن رجل من قبيلة أسد: "بسبب هالك بن عمرو بن أسد يشتم العرب بني أسد بتهمة الحدادة. إذ إن هالك كان أول عربي يعمل في تصنيع

---

(1) ليس في كل مكان وليس دائماً. في الإسلام لا وجود للاشمئزاز والقرف من قطاع الرؤوس لأن تنفيذ عقوبة الإعدام يرتبط في الأصل مع عملية الثأر.

(2) أو الشنان، انظر ماكس فرايهر فون إوبنهايم، من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الأول، 274.

(3) كان الصليب غير محترمين بشكل خاص يعملون في الدباغة أيضاً، 101، 103، 234.

(4) ديكسون، عرب الصحراء، آراب، 602. وصفي، 2، 113، يقول إن البدو يأخذون، علاوة مع ذلك، على الباريا، والمقصود هنا الصليب في المقام الأول، أنهم يتغذون من صيد الغزلان والأرانب والطيور، وأنهم يبيعون الحمير والملح لسكان المدن.

الحديد»[1]. ونحن نعتقد أن هذه القصة تعود إلى العصر القديم لأن هالك هو حفيد جد القبيلة. لكن الحفيد الثاني لهالك، سماك بن مخمرة، كان يعيش في فترة العداء بين قيس وتغلب في بلاد الرافدين في حوالي عام 689م[2]. يستنتج من ذلك أن هالك بن عمرو وُضع إلى جانب جد القبيلة مباشرة لأن حلقات السلسلة بين الرجلين لم تكن معروفة ـ وهذه طريقة كانت قبل ابن الكلبي وأبيه شائعة في علم النسب في مثل هذه الحالات. أي إن الأمر لا يعود إلى طول العمر. وتعود الصيغة الموجودة في الجمهرة إلى بيت من الشعر الساخر نسمع صداه عند الشاعر الأخطل[*] (ص 223، 1). وفي نفس الزمن هوجم الشاعر الفرزدق وعائلته عشرات المرات من خصمهم جرير بأنهم حدادون، واعتمد جرير في ذلك على حجة جمالية. فهو لم يقتد بالمثال المذكور قبل قليل وإنما بشاعر النبي حسان بن ثابت الذي حاول بمثل هذه الاتهامات الانتقاص من قيمة عائلة المغيرة التي كانت أسرة محترمة في مكة ولكنها معادية للنبي. كما أن الرجل الذي هجاه جرير باسم أبو مندوسة القين[**] لم يكن حداداً، أو كان حداداً غير محتقر، الأمر الذي يتيحه بيت شعر جرير[3] ومما يثير الاستغراب أن الحكم المسبق توسع ليشمل مهنة الصائغ (تصنيع الذهب) أيضاً، إذ يقال بأن النعمان الثالث (580م ـ 602م ملك الحيرة) تعرض للسخرية لأن أمه سلمى كانت ابنة أو حفيدة صائغ يهودي في واحة

---

(1) جمهرة، 2، الفهرس، 277.

(2) انظر EI، الجزء المكمل، تغلب (هـ. كندرمان).

(*) لها رداءانِ، نسجُ العنكبوتِ، وقدْ لُفَّتْ بآخرَ مِنْ ليفٍ ومن قارِ
جمهرة أشعار العرب لقرشي، ص 329، دار صادر بيروت تاريخ. (ماجد شبّر).

(**) أرى الشيب في وجه الفرزدق قد علا لهازم قرد رنحته الصواقعُ
وانت ابن القين يا فرزدق فازدهر بكيرك إنَّ الكير للقين نافعُ
فإنك إن تنفخ بكيرك تلقنا نُعدُّ القنا والخيل يوم نقارعُ
«ديوان جرير تحقيق نعمان محمد طه، ص 923، دار المعارف مصر بدون تاريخ» (ماجد شبّر)

(3) حسان بن ثابت، 127، 129 (وليد بن الـ ـ م.)، (181). انظر EI، القين (آ. فيشر)؛ Naq 693، 12.

فدك. وقصة هذه المرأة معقدة جداً بحيث لا نستطيع عرضها هنا[1]. ولكن الشيء المؤكد هو أن الناس الذين عاصروا النعمان كان حكمهم على هذه القضية مختلفاً تماماً. إذ إن الشاعر لبيد (39، 76) يمدح الملك بوصفه "ابن سلمى"[*]. وبذلك فإن توسيع نطاق المحرم ليشمل صياغة الذهب لا يوجد برهان عليه قبل الإسلام. على الرغم من ذلك ينبغي أن نشير إلى أن احتقار مهنة الحدادة كان موجوداً قبل الإسلام في بعض أجزاء الجزيرة العربية، ومنها على سبيل المثال المدينة، ثم أصبح حكماً مسبقاً عاماً بعد الإسلام، لأن الإسلام شمل جميع العرب.

بعد ذلك ساد الصمت حتى بداية القرن التاسع عشر. وعلى أي حال لا نعرف متى وكيف نشأت طبقة الحدادين المنبوذة التي كان بوركهاردت أول من تحدث عنها[2]. كان أبناء هذه الطبقة يعيشون (وما زالوا؟) في الواحات أو لفترة مؤقتة، أو دائمة عند القبائل. والحداد "الصانع" لا ينعل الخيول وحسب، وإنما يصنع السروج، ويبيض الأوعية النحاسية، ويسنّ الأسلحة ويصنعها، ويعمل أيضاً في تصنيع الخشب والحجر. أما نوعية المنتوجات فإن آراء الرحالة متباينة حولها. كان الحداد يتقاضى عند الرولة لقاء نعل الخيول أجزاء معينة من حيوانات الصيد أو الذبائح. ولم يكن الحداد يشارك في الحياة السياسية أو الاجتماعية أو العسكرية للقبائل حتى ولو كان يسكن عندها. كما أن الصناع لا يتزاوجون مع البدو وإنما فقط مع بعضهم ومع العبيد وخلفهم. وبينما يقول دوتي[3] أن الصناع يتزوجون من بنات قبيلة الهتيم، يقول موزيل إنه حتى الصليب، لا يزوجون بناتهم للحدادين[4].

---

(1) جمهرة، 2، الفهرس، سويد بن الحارث (الحرثاء) بن حصن.

(*) فانتصلنا، وابن سلمى قاعدٌ كعتيق الطير يغضي ويُجلْ

«شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري تحقيق إحسان عباس. ص 195، الكويت، 1960م».

(2) بوركهاردت، 52.

(3) 1، 137 وما يليها.

(4) رولة، 96، 281 وما بعدها.

لا يوجد في الشعر العربي القديم أصداء لخرق محرم جاهلي أو لمخالفة تعاليم الأكل. ومن الموضوعات المحبوبة لهجاء الخصم، والتي يتناولها الشعر في هذا الإطار، مخالفة العادات الطيبة فقط. وهذا ما نراه في المقطعين المذكورين أدناه (موف، 50، 23ب، 51، 11؛ 318، 17، إلى جانب ترجمة سي إتش .جي. ليال[1]) اللذين يعود أولهما إلى الحادرة[*] في بداية القرن السابع، بينما الثاني مجهول المصدر. ومما يلفت الانتباه أن التعليق على الشطر الثالث من المقطع الأول يختلف عن الأصل[2] بحيث إن "الحمير" يمكن أن يكونوا قد أضيفوا في وقت لاحق كصفة للتحقير كما رأينا أعلاه.

حقا! الصيغة المضافة هي القراءة الصحيحة؛ إذ إن الشتيمة التي يريد الشاعر ومقلّده توجيهها لخصم هي وصمه بالبخل ـ وهي أسوأ صفة عند العرب. فالشطر الأول يعني: إنهم لا يجودون على ضيوفهم ولا على أنفسهم بما هو طيب، بل يذبحون الحيوانات المريضة فقط لأن لحمها لا يجوز أكله[3]. وحسب (الحادرة) الثانية والثالثة فهم لا يذهبون إلّا للآبار غير المستعملة وإذا ما ذهبوا إلى غيرها فإنهم

(1) مباشم عن أكل العوارض والتمرِ
مقاريط للماء الظنون بسحرةٍ
تغاديك قبل الصبح عانتهم تجري
مباشم عن أكل العوارض بالضحى
وبالصيف كنّاحون ترب المناهلِ

(*) قال الحادرة يهجو زبان بن سيار:

مشاتيم لابن العمّ في غَيز كُنههِ   مباشيم عن لحم العوارض والتمْرِ
مفاريط للماء الظنُونِ بسُحرة   تُغاديكَ قبل الصُّبح عانتُهمْ تجري

«ديوان شعر الحادرة، حققه وعلق عليه د. ناصر الدين الأسد، ص 39 و41. دار صادر 1991». (ماجد شبّر)

(2) تغاديك مرحاهم تصبّح أو تسري

(3) وهذا يعني أن تحريم الميتة كان موجوداً قبل الإسلام، وربما جزئياً فقط. في النص الأصلي تم التشديد على السخرية بإضافة عبارة "والتمر" وفي التقليد بإضافة عبارة "بالضحى"، وهو يتهمهم في الحالتين بالبشم (بالتخمة) من الطعام.

يفعلون ذلك في الصباح الباكر قبل مجيء الآخرين لكي لا يضطروا إلى تقاسم حليب نوقهم السمينة مع الغرباء[1]. أما مغزى "الحمير" في القراءة الأخرى، فهو غير معروف لدينا. وما يقوله التعليق: "إنهم يملكون الحمير"، لا يساعد على الفهم، لأنه لا يتبين من ذلك ما إذا كانت هذه الملكية علامة التحول إلى نصف بدو رُحّل أم علامة الفقر أم علامة الحط من القدر[2].

إلّا أنه من الممكن أن يكون العيب المرتبط باستعمال الحمار بدلاً من الجمل أقدم جداً من أبيات الشعر العائدة لبداية القرن الثالث عشر والتي ذكر فيها هذا العيب ـ حسب المعلومات المتوفرة ـ لأول مرة. غير أن ركوب الحمير لم يكن ـ خلال حروب الفتح على الأقل ـ يحط من قيمة المرء: فقد انهار حماره عند سن شميرا (جبل عال خلف كرمان شاه). لكن الله أحياه مرة أخرى في عهد عمر الأول؛ وبعد ذلك اشترك نباتة في الحملة على قزوين ثم باعه بعد عودته إلى الكوفة[3]. في الوقت الحاضر تستعمل قبائل المنتفق الغنّامة وغيرها من المجمعات المقيمة بين السماوة وهور الحمّار، الحمار لنقل الأمتعة والحاجيات عندما تغادر سنوياً الفرات في منتصف أكتوبر/ تشرين الأول وتذهب إلى منطقة **الحجيرة** أو إلى مسافة أبعد جنوباً، ثم تعود في نهاية أبريل/ نيسان أو أول مايو/ أيار إلى موطنها. . . وهذه القبائل الغنامة (تربي الغنم) هي غالباً من أصل عربي جيد، وبعضها يتزاوج مع قبائل مرموقة في العراق[4]. ولكن منذ متى يستعملون الحمار في رحلاتهم السنوية الدورية؟ يقول روسّو في التقرير الذي كتبه عن رحلته من بغداد إلى حلب في عام 1808م عن القبيلة الصّليب: إنهم العرب الوحيدون (بلغة ذلك الزمان:

---

(1) الهدف هنا هو تفادي الالتقاء بالآخرين لكي لا يضطرون إلى إطعامهم (دلالة البخل).

(2) انظر هتيم، البداية.

(3) انظر جمهرة، 2، الفهرس، (نباتة بن يزيد).

(4) ديكسون، عرب الصحراء آراب، 545 وما بعدها، الذي يعد من أروع فصول هذا الكتاب. إلّا أن راعي الحمير ليس محترماً في فلسطين، غ. دالمان، العمل والعادات في فلسطين، 1 ـ 7، غوترسلوه 1927م ـ 1941م، 6، 214.

البدو الوحيدون) الذين يوجد عندهم حمير[1]. ولكن هذا التقرير ليس وثيقة أكيدة لأنه لا يستند إلى ملاحظات ذاتية وإنما منقولة.

أما صنع الأشنان فلا يرد له ذكر في الشعر العربي القديم ولا في الشعر الذي يعود إلى نفس العصر ولكنه معدّل ومنقح لاحقاً. ولا نسمع بشيء عن هذا الموضوع إلّا في بداية القرن التاسع عشر. بهذا الخصوص يقول بوركهاردت[2]: يزور المسيحيون والمسلمون قبر النبي يوشع في شرقي الأردن شمال الصلت ويتعاطون في أثناء ذلك الأعمال التجارية. إذ يجلب عرب البلقا، وخاصة بنو صخر، إلى هنا البوتاس أو مسحوق الصابون الذي يحرقون كميات كبيرة منه في الصيف، ويقوم تاجر من نابلس بشراء هذه المواد... ويعتبر رماد الصابون المستخرج من شجيرات الشنان في البلقا أفضل نوع في البلاد الواقعة جنوب دمشق ويضاهي المستخرج في تدمر شمالي سورية. ويبدو أن هذه الصنعة أساءت إلى سمعة بني صخر الذين لا يشك إطلاقاً في أصلهم العربي[3].

وينطبق الشيء نفسه على استخراج الملح ونقله. وفي هذا المجال أيضاً كان يعمل بني صخر وكذلك السرحان وبني خالد. ولقد تحدثنا عن ذلك بالتفصيل في الجزء الثاني، ص 277.

أما ترقيع الأحذية فلا يرد له ذكر بعد الأبيات المذكورة أعلاه، ولكن الحديث يدور عن سلخ الحيوانات ومعالجة الجلود (ليس الدباغة). ولكن يجب أن نعلم أن سلخ الحيوانات سمعته سيئة عندنا أيضاً، ولذلك يجب ألّا نستغرب من موقف البدو منه. إلّا أن تقرير بوركهاردت يتناقض مع هذا الموقف، فهو يروي كيف أن العنزة يصنعون من جلود الإبل "بالصباغة والدباغة" أوعية الماء الكبير (الزق).

وأما ما يذكره وصفي، ص 158، الملاحظة 4، أعلاه عن أن البدو لا يحترمون

(1) روسو، رحلة، 112.

(2) رحلات في سورية، 354 وما يليها.

(3) كما رأينا أعلاه فإن مصدر ديكسون يعتبر حرق الكلس عملاً منتقصاً للقيمة.

الباريا لأنهم يتغذون من صيد الغزلان والأرانب والطيور، فهذا أمر يثير الاستغراب. لكن الأمر هو على الأرجح نوع من الإعجاب الممزوج بالحسد أكثر منه عدم الاحترام. فالصيد ليس محتقراً عند العرب إلى هذه الدرجة كما سنرى في مقال الصّليب. بل من المرجح أن الأوروبيين هم الذين يحاولون اعتبار الصيادين في العصر العربي القديم أسلاف الباريا الحاليين أو أحفاد الأقوام التي كانت تعيش من الصيد في مرحلة ما قبل التاريخ. ولذلك سنتحدث قليلاً عن هذه الآراء.

منذ المعلم القديم امرئ القيس، الذي عاش بين عام 500م و540م، كان الشعراء يهتمون بالصيد. وهم يعالجون موضوع الصيد بطريقتين. في الطريقة الأولى يعالج الصيد فقط كحدث عرضي في حياة الحيوانات البرية: فنحن نسمع كيف يكمن الصياد المسلح بالقوس والنشاب للحمار الوحشي وآتانه في مخبأ طبيعي أو صنعي، وكيف يُطارَد كبش الظباء، الذي يعيش منفرداً، بواسطة الكلاب. ويُقدَّم الصيادون غالباً كأفراد من قبائل كبيرة معروفة[1]. وفي الطريقة الثانية يعرض الصيد كموضوع مستقل، كمسرحية يلعب فيها الشاعر دور البطل: بعد اكتشاف عبد شاب[2] للحيوانات البرية تبدأ الملاحقة، وفور مشاهدة الحيوانات يوضع الفتى على صهوة الجواد ثم يبدأ بصيد الحيوانات بالرمح. يتركز الاهتمام هنا على الجواد[3].

في حالة خاصة من حالات طريقة العرض الأولى يظهر الصيادون، سواء ذكر انتماؤهم القبلي أم لم يذكر، بهيئة أناس فقراء ليس لهم ولا لعائلاتهم أي مصدر آخر للرزق. ويضطر الصياد إلى التسول إذا لم يعثر على صيد، وامرأته ليس لديها

(1) انظر، على سبيل المثال، موف، 26، 27، 28؛ 17، 64 ـ 74. في لوحة مرسومة على صخرة قرب جوجة شمال شبام في حضرموت تعرض عملية صيد ظبي بالقوس والنشاب وبمساعدة كلبين؛ فيسمان، الجنوب العربي القديم، 248.

(2) غلام أو وليد.

(3) انظر، على سبيل المثال: امرؤ القيس (ستة شعراء)، 40، 17 ـ 32؛ زهير (نفس المصدر)، 15، 12 ـ 27.

حلي ولا ملابس وهي تحمل على ذراعها طفلاً نحيلاً كالقرد. وفي أشعار هذيل يطلق على الصياد مرتين اسم "الملوّن بالغبار الصغير" «المُغبِّر» ولكن في المرة الأولى (124، 7) يسمي الصياد نفسُه نفسَه بهذا الاسم، أما المرة الثانية فليست من صلب القصيدة وإنما مضافة إلى أبيات أخرى[1] من العصر الإسلامي.

إلّا أن أقدم أبيات من هذا النوع فيها شيء من الغرابة (عمرو بن قميئة، 13، 22 ـ 32)[*]؛ إذ إن الصياد هنا هو رجل غريب، وبالتحديد من الجنوب، يماني، ولربما من أطراف الربع الخالي. وهو عارٍ، لكي لا تشتم الحيوانات رائحة ملابسه وتكتشف وجوده[2]. وأن يكون جالساً في كمين بناه بنفسه، وأن يكون عاثر الحظ، فهذا أمر يتقاسمه مع الصيادين الذين ورد ذكرهم في قصائد لاحقة. ولكن الشيء الغريب هو الخاتمة. إذ يبدو أن زوجته استقبلته بغضب، وبعد ذلك يقول الشاعر: وماذا سيفعل، فلو وجه لها صفعة لردت له الصاع صاعين. وهذا أمر مشين عند البدو.

هذه هي مقاطع من كم كبير من الملاحظات والعروض المنفردة استخلصناها في قصائد مختلفة. ولكن حتى في هذه الدائرة الموسعة لا نجد أي أثر لأسلاف

---

(1) 11 ـ 18. وينطبق الشيء نفسه على الأبيات 23، 42، لأوس بن حجر التي حسنها آ. فيشر (مجلة الجمعية الألمانية لبلاد المشرق ZDMG العدد 49 (1895م)، 105).

(*) إن البيتين المقصودين هما:

فأوردها على طِمل يمانٍ ... يُهِلُّ إذا رأى لحماً طريّا
وعضّ على أنامله لَهيفاً ... ولاقى يومه أسفاً وغبّا
وراح بحزةٍ لَهِفاً مُصاباً ... يُنبّئ يومه أمراً جليّا
فلو لُطلمت هناك بذات خمسٍ ... لكانا عندها حنثينِ سيّا
وكانوا والقين إذا أتاهم ... بلحم إن صباحاً أو مُسيّا

ديوان عمرو بن قميئة تحقيق د. خليل إبراهيم العطية، ص 63 ـ 65. دار صادر لبنان ط2 1994. (ماجد شبّر)

(2) كما أن كشاف امرئ القيس، 40، 19، 20، يبدو أنه كان عارياً. ولذلك فنحن نفضل هذا المعنى لكلمة "طمل" على المعنى المستعمل في التعليق والذي اختاره ليالّ وهو "متشرد".

قبيلة الباريا الصليب[1]، وذلك لأن هؤلاء لا يصطادون منفردين.

إذا ما لخصنا ملاحظاتنا مرة أخرى يتبين لنا أنه من بين الأفعال التي يحتقرها البدو هناك فعل واحد فقط كان محتقراً عند العرب القدامى، ألّا وهو مهنة الحدادة. ولكن هذا المحرم أيضاً لم يكن آنذاك بالقسوة التي اكتسبها في العصر الحديث. ويعود السبب في ذلك إلى أنه قد حدث في منتصف القرن التاسع تقريباً فصل بين العرب الذين أصبحوا مستقرين والعرب الذين ظلوا يعيشون حياة البداوة، بحيث أسدل ستار بين المناطق الحضرية والبادية. وبينما كان العرب القدامى، حكامهم ومثقفوهم، أي شعراؤهم، على صلة بثقافات الدول المجاورة، فإن بدو العصور الوسطى (والعصر الحديث) لم يكن لهم مثل هذه الصلة. ولذلك ضاق أفقهم جداً إلى درجة أن الدين اختلط مع بقايا الحياة الجاهلية وسيطرت على المجتمع العقائد والتصورات البدائية. وفي هذا المناخ نشأت قبائل الباريا.

غير أنه يبدو أن جزءاً مميزاً من تصورات مجتمع الصليب المذكور يعود إلى العصر القديم. إذ نجد عند الشاعر المشهور ميمون الأعشى (ولد قبل عام 570م، وتوفي بعد عام 625م)[2] (ديوان، 8، 25) البيت التالي: "ولكم عبرت من البوادي

---

(1) إن الجملة (GALS، 1، 20) القائلة: "إن الباريا الفقراء، أسلاف الصليب الحاليين، يعيشون من صيد الحيوانات البرية، ويتمتع الشعراء بوصف أفعالهم، لكن البدوي يترفع عنهم ولا يحترم طرقهم في الصيد"، هي جملة لا معنى لها لأن الصيادين العرب القدامى لم يكونوا طبقة غير محترمة بل كان معظمهم ينتمون إلى قبائل محترمة. كما أن الأبيات التي يقولها علقمة (1، 29) بهذا الخصوص: "عندما نذهب إلى الصيد لا نختبئ في الكمائن وإنما نصرخ" من بعيد: هيا إلى صهوة الجواد"، تغني عرضنا عن طريق الربط بين طريقتي وصف الصيد. وهما تقومان على وصف حصان علقمة، والصرخة هي بالطبع للفتى ـ وهكذا أضيف إلى الشعر القديم عنصر جديد هو الفخر. أي إن الشاعر يفتخر بنفسه (وبما يخصه) وبأنه يحضّر الصيد بطريقة نبيلة ويشعر بالتفوق على الآخرين. ولكن لا يوجد في الأبيات أي إشارة إلى الاحتقار. وتجدر الإشارة إلى أن البدو يمارسون في الوقت الحاضر الصيد من داخل كمين، كما يتبين من القصص الواردة عند ديكسون، آراب عرب الصحراء، 291 وما بعدها.

(2) جمهرة، 2، الفهرس، ميمون بن قيس الأعشى.

التي يحسب المرء غزلانها رجالاً من إيادٍ بأجسامهم الرشيقة»[(*)(1)]. فيما عدا اللون لا يمكننا القول بصورة مؤكدة ما هو وجه الشبه هنا. هل هو حركة الحيوانات وحركة الرعاة عند انحناء الأغصان؟

إننا نحذر القارئ من استخلاص النتيجة بأن الضليب هم من أحفاد إياد. ففي علم الأنساب العربية، أي في سجل النبلاء العرب، يتبوأ إياد مكانة رفيعة إلى جانب مجمعي ربيعة ومضر.

(*) يقول البيت الثامن من قصيدة «زندك أشقب أزنادها» والتي يمدح فيها سلامة ذا فائش بن زيد الحميري:

وأبيَضَ مُختلِطٍ بالكرا ... م لا يتغطى لإنفادها
وبيداءَ تحسبُ آرامهَا ... رجالَ إيادٍ بأجلادها
يُقولُ الدّليلُ بها للصّحا ... بِ: لا تخطِئوا بعض أرصادها

«ديوان ميمون الأعشى ـ دار صادر، ص 58 ـ 59. ط1، 1994 بيروت. (ماجد شبّر)

(1) «وبيداء تحسب آرامها رجال إيادٍ بأجلادها».

هتيم[1]

يرد ذكر الهتيم لأول مرة، حسبما هو معروف حتى الآن، عند ابن مقرب، شاعر العيونيين، الذين قضى جدهم على حكم القرامطة في شرقي الجزيرة العربية (انظر الجزء الثالث، 40، 193 وما يليها). ويحتوي الديوان في موقعين (رقم 45، 5 ـ 6، ص 305 ورقم 59، 43 ـ 44، ص 385)(*) على هجوم قاس ضد تلك الطبقة من سكان الأحساء التي حصلت على الثروة والنفوذ عن طريق الامتيازات التي منحها إياها الأمراء وعلى حساب أقربائها من فروع القبيلة غير الحاكمة، ومنها على سبيل المثال، الفرع الذي ينتمي إليه الشاعر. وفي كلا الموقعين ترد كلمة "هتيم" مرتبطة بكلمة الشتم "أوباش"، التي يحب ابن مقرب إلصاقها بهؤلاء الأثرياء الجدد. وفي الموقعين أيضاً يذكر الشاعر قبيلة أو سلالة النبي، قريش هاشم، لأنهما كانتا تقفان على قمة السلّم الاجتماعي، وكان الهتيم يحتلان أدنى درجة. إلّا أن الشاعر يسلط الضوء بشكل خاص على ثراء قريش ويشير بالتحديد إلى الخليفة العباسي الناصر (575هـ ـ 622هـ/ 1180م ـ 1225م) الذي كان

---

(1) تلفظ: اهتيم. المفرد: هتيمي، اهتيمي. الجمع: هتمان أو هتيمان.

(*) فلا تَطمعَ الأوباشُ فينا فإنّنا رحاها وما الأوباشُ غيرُ ثفالِ
وإلا فلا عزّت مُلوكُ بني أبي ولا خطرَ الفِعلُ الجميلُ ببالي

«ديوان ابن المقرب العيوني ـ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ـ ص 375، الناشر مكتبة التعاون الثقافي، السعودية» 1963. (ماجد شبّر)

طبعاً هاشمياً. "صديق لمن تتزايد قطعانه باستمرار حتى ولو كان أغنى وأنبل من قريش". وفي أبيات أخرى يحذر ابن مقرب الأمير الحاكم من الاعتماد في وضعه الصعب على مثل هذه العناصر، ثم يتابع شعره بضرب مثل رادع:

"لأن هتيم يبقى دوماً هتيماً، حتى ولو ملك مال هاشم. فلا تنخدع بصورة خيالية. وليعودوا إلى ما اعتادوا عليه من سوق الحمير وحرق البوتاس وترقيع الأحذية"[1](*).

وفي التعليق الذي يعتقد بأنه كتب في منتصف القرن الثالث عشر نقرأ عن البيتين الأخيرين: "الهتيم ضعيفون وفقراء يشتهرون بخمولهم وظروفهم المعيشية السيئة ومكانتهم الوضيعة. حيوان الركوب عندهم هو الحمار". ولقد تعرف القارئ سابقاً على الأحكام المسبقة التي نجدها هنا منتشرة في الشعر والنثر. ولقد ذكرناها خدمة للتفكير المنهجي في بداية هذا الفصل، والآن نعيدها هنا بدقة لأنها في سياقها الأصلي فقط صالحة لإجراء دراسة تاريخية. وهذه الدراسة التاريخية تطرح علينا ثلاثة أسئلة. أولاً: استغنى الشاعر عن اتهام الهتيم بخرق قواعد الطعام؟ هل لأنهم كانوا في ذلك الوقت قد تخلوا عن هذا العيب، بحيث إن الاتهام، وإن كان موجهاً ليس لهم ذاتهم، وإنما لغيرهم مقارنة بهم، سيكون دون جدوى؟ ثانياً: منذ متى كان الهتيم معروفين؟ لا يمكننا الجواب على هذا السؤال إلا بالقول: زمناً مديداً قبل عام 1200م. ثالثاً: أين كانوا عندما نظم ابن المقرب قصائده؟ طالما أنهم يحرقون الأشنان فيجب أن يكونوا في المنطقة التي توجد فيها هذه الشجيرات. ولكن يبدو أن شجيرات الشنان كانت موجودة في كل مكان في الداخل، وإن كانت في البادية السورية أكثر منها في أي مكان آخر[2]. غير أن أبيات الشعر تشير إلى أن

---

(1) فإن هتيماً لو حوت مال هاشم هتيمٌ، فلا يغررك طيفُ خيالِ
ستزجع فيما عُوِّدتْ من حميرها ومن حرقِ أشنانٍ وخصفِ نعالِ

(*) تم تحقيق النص من ديوان ابن المقرب العيوني. ت عبد الفتاح محمد الحلو، مكتبة التعارف الثقافي (ماجد شبّر).

(2) موزيل، شمال نجد، 86: جنوبي حايل؛ فيلبي، الجزء الثالث، 175: في القصيم، ديكسون، آراب، 651؛ كويت، 605: قرب الكويت: تشيسمان، 415: في يبرين؛ انظر ص 104.

الهتيم كانوا معروفين جيداً في موطن الشاعر. أي إنهم كانوا يسكنون بالقرب من واحة القطيف أو واحة الأحساء.

أما الملاحظة الثانية عن الهتيم فهي موجودة في المشتبه، وهو معجم عن رجال مشهورين وأسلافهم كتبه المؤرخ الإسلامي الذهبي عام 723هـ/ 1223م[1]. وجاء فيها: "بنو هتيم بدو (عرب) فقراء يطلبون الصدقة من قافلة الحج (الركب) السورية". ومن الممكن تحديد منطقتهم بشكل أدق قليلاً: إلى الشمال من اصطبل عنتر، أكثر من 100 كيلو متر فوق المدينة. ولم يزل يوجد هناك هتيم حتى الآن.

وفي تاريخ دمشق لابن طولون نقرأ تحت عام 893هـ/ 1488م (ص 87) ما يلي: "يوم الجمعة في 14 ربيع الثاني هاجم محافظ حوران الطائفة المعروفة تحت اسم هتيم[2] بعد أن كان حاكم دمشق قد رحّب بهم وسمح لهم خطياً بالمرور. وقد أبرزوا هذه الوثيقة لمحافظ حوران لكنه لم يبال بذلك بل قام بقتل 30 رجلاً منهم وببقر بطون نسائهم الحوامل وبقتل كثير من الأطفال والاستيلاء على غنمهم وبقرهم و....[3]. وقد مارس ضدهم أفعالاً شنيعة لا يمارسها حتى المحاربون في ساحة المعركة. ولا حول ولا قوة إلّا بالله. ولكن يقال عنهم إنهم أضعف البدو (سوقة، أي رعية العرب). أي إن المساكين البؤساء عوقبوا لأنهم تجاوزوا صاحب السلطة المباشرة في منطقتهم ولجأوا إلى رئيسه مباشرة دون سؤاله. ولكن هذه السذاجة لا يمكن أن نتوقعها منهم إلّا إذا كان انتقالهم إلى الشمال حدث في ذلك الوقت لأول مرة. لقد كان هؤلاء طليعة أولئك الهتيم الذين جاؤوا في القرنين السادس عشر والسابع عشر إلى البلقا. وقد تكاثروا هنا جداً إلى درجة أنهم كانوا في بداية القرن التاسع عشر القبيلة الوحيدة تقريباً بين الغدين وزرقاء معين (زيتسن، بوركهاردت)،

---

(1) لايدن، 1881م، 543؛ طبعة القاهرة 1962م، 656. نحن مدينون في هذه النقطة للزميل العزيز ي. هنينغر، وهو بدوره لرسالة من إي. ليتمان بتاريخ 3/ 5/ 1942م.

(2) هكذا نقرأها مع ر. هارتمان، الجزء المتبقي الموجود في توبنغن من تاريخ ابن طولون، 100؛ في النص: "هتيم"، وهي قراءة خاطئة تكررت قديماً.

(3) في النص: إناث، أعيار؟، حمير.

باستثناء العدوان[1]. وفي قلعة الزرقا كان رجل هتيمي يتولى منصب الآغا التابع لباشا دمشق (بوركهاردت[2]). وقد لفت انتباه زيتسن[3] العدد الكبير للزنوج بين الهتيم. وبالفعل فقد وجدنا نحن أيضاً بين "القبائل الصغيرة في البلقا" العديد من العبيد السود، ولكن ليس بالكثرة التي يتحدث عنها زيتسن. ولكن الشيء الملفت جداً للانتباه أن كلا المؤلفين لا يعرفان شيئاً[4] عن المكانة غير المحترمة للهتيم، على الرغم من أن الجملة التالية لزيتسن (2، 304) تدل على ذلك (دون وعي منه): "البدو من قبيلة الهتيم يتصاهرون مع قبيلة في البلقا، ولكنهم لا يتصاهرون مع أي قبيلة أخرى"؛ إلا إذا كانوا في الأصل أيضاً هتيم، وإن كانوا ينتمون إلى موجة أخرى من الهجرة[5]. أما الهتيم الآخرون فقد تشكلوا من "القبائل الصغيرة في البلقا" (الجزء الثاني)[6]. لكن هذا الوضع تغير خلال القرن التاسع عشر كما يتبين من دراستنا ومن دراسات أخرى أحدث. في العشرينيات لم يكن يعتبر بين البلقاوية من الهتيم ونلاحظ عملية مشابهة عند "القبائل الصغيرة في أريحا". عند النصيرات (الجزء الثاني 74 ـ 80) وهذا يشترط أن يكون الحكم المسبق ضد الهتيم قد أصبح شيئاً فشيئاً أقوى وأن تكون لهذا السبب قد ازدادت الجهود المبذولة للتخلص من هذا العيب (وينجاح). وبخصوص انتشار الهتيم في البلقا نشير إلى التالي: أسلاف الهتيم والعدوان هم بنو مهدي وعائلة أمرائهم "المهداوي"[7]. ولكن هذه القبيلة كانت قد فقدت وزنها وقام العدوان بطرد الأمراء. ولتفسير الوضع نشير أيضاً إلى تراجع الزراعة وأحوال

---

(1) حسب زيتسن، 2، 328؛ 1، 409، وكذلك الغنيمات والحطبية، انظر الجزء الثاني، 322، 326، الملاحظة 12.

(2) رحلات في سورية، 657.

(3) زيتسن الجزء الثاني، 305، انظر 297.

(4) قام بوركهاردت بتصحيح وجهة نظره في وقت لاحق، أما زيتسن فلم يمهله العمر للقيام بذلك.

(5) انظر الجزء الثاني، 303، ملاحظة 5: وزيتسن نفسه: يسمون أحياناً هتيم البلقا.

(6) بوركهاردت 20.

(7) الجزء الثاني، 303.

السكان المستقرين في شرقي الأردن في ذلك الوقت، الأمر الذي يتضح بجلاء من كثرة القرى المهجورة التي ذكرناها في ملاحظاتنا عن الجدول كأوطان لوحدات كثيرة. وبطبيعة الحال لم يكن هؤلاء البدو غير الأصليين يرفضون التزاوج مع الهتيم، حيث إن رفض التزاوج هو العلاقة الحقيقية للبارياتية العربية.

من المرجح أن الهتيم، مثل غالبية سابقيهم ولاحقيهم، قد جاؤوا إلى شرقي الأردن من شمال غرب الجزيرة العربية. وهنا في الأردن عرفت منذ القرن التاسع عشر جماعة كبيرة من "القبيلة" تسمى ببساطة هتيم. وقد سماهم دوتي، خلافاً لهتيم الساحل، هتيم الداخل. وتشكل حرة خيبر والأراضي البركانية المجاورة لها قاعدة المنطقة التي يتنقلون فيها. ويتنقل بعضهم في الصيف على امتداد وادي الرمة حتى القصيم، وفي الشمال حتى جبل شمر، وعلى أطراف النفود وإلى تيما. وكانت ثلاث مجموعات من الهتيم تسكن (ولم تزل؟) عند محطات طريق الحج، وفي وقت لاحق، الخط الحديدي الحجازي الذي وصل عام 1908م إلى المدينة (المنورة)، بين قلعة الأخضر والصورة.

ينقسم هتيم الساحل إلى مجموعتين. تتألف الأولى من بدو يصطادون السمك ويشكلون جماعات صغيرة وصغيرة جداً. وهم يبدأون في جنوب شبه جزيرة سيناء، ويحل محلهم على ساحل الجهينة وحرب صيادو سمك من هاتين القبيلتين، ثم يظهرون مرة أخرى بين جدة وليث[1]، وكذلك على الساحل النوبي. عن حياة صيادي السمك البدو في الشمال لا تتوفر لدينا معلومات مؤكدة إلّا من العقدين الثاني والثالث من القرن التاسع عشر، وعن الجنوبيين لا نعرف أي شيء تقريباً، وينطبق الشيء نفسه على الذين يعيشون على الساحل الإفريقي. وتجدر الإشارة إلى أن صيادي السمك البدو لا يسمون أنفسهم "هتيم" وإنما "هتيمي"، أي إنهم يستعملون النسبة في صيغة المفرد للدلالة على الجمع. وهم يشتركون في هذه الطريقة من الاستعمال اللغوي مع الجهينة ومع تلك الفروع من حرب التي

(1) بوركهاردت، 321؛ فلشتيد، 2، 201 وما يليها؛ دوتي، الجزء الثاني، 535.

تجاور الجهينة[1]. وقد أخذه حرب بالتأكيد، والهتيم على الأرجح، عن الجهينة.
ـ وكانت المجموعة الثانية أيضاً تعيش من صيد السمك، لكنها لم تكن تغير مكان إقامتها، بل كانت لها منطقة خاصة بها تشكل بقعة محصورة داخل منطقة الجهينة ـ وهي المنطقة الوحيدة التي لم يكن الهتيم يدفعون أتاوة لقاء استعمالها[2]، ولذلك كانوا يربون فيها ليس الغنم والماعز وحسب وإنما أيضاً الإبل، وكانوا يحملون اسماً خاصاً، وكانت لهم علاقات، وإن شبه منسية، مع هتيم الداخل: مجموعة من اللصوص من هؤلاء عادوا إلى الأراضي الجهينة ومعهم قطيع من الحيوانات المسروقة، فاستقبلوا استقبالاً حماسياً إلى أن أبلغهم الشيخ المحترم أنهم قد ألحقوا ضرراً بأقرباء له وأعاد القطيع إلى أصحابه (دوتي، 2، 583 وما يليها).

وبما أن موزيل يقول الشيء نفسه فإن هذا ينطبق على الوقت الذي أجريت فيه الدراسات، عام 1915م. ولكن فيما عدا ذلك فقد كانوا تحت حماية المطير. ومن الممكن أن تكون هذه العلاقة قديمة. إذ إن الهتيم جاؤوا حسب حكاياتهم من منطقة حرب (هاندبوك، 1، 93)[3]. لكن المطير كانوا وما زالوا جيران حرب في الشرق. ومما يؤكد صحة هذه الحكاية نادرة سمعها دوتي (2، 179) من صديقه

(1) انظر الجزء الثاني، 362 وما يليها: آ 4، آ 12، آ 13؛ ب 5 ـ 9 ثم ص 543، هامش 1. هذه الصيغة من أسماء القبائل لا يستعملها في العصر العربي القديم إلّا عرب الجنوب، وخاصة المهرة على ساحل المحيط الهندي. وهي في الوقت الحاضر شائعة جداً في جنوب الجزيرة العربية.

(2) بوركهاردت، 320 وما بعدها: بين الوجه وقرية واقعة مقابل جزيرة (في النص: جبل، حسب الاستعمال اللغوي السائد هناك، انظر برتون، ميديان، 2، 92) حساني. وفي جزيرة أخرى يوجد مزار تتولى حراسته عائلة من الهتيم (ي)، بوركهاردت، رحلات في بلاد العرب، 346.

(3) ديكسون يرى غير ذلك، آراب، 544: .... على الرغم من أنهم جاؤوا بالتأكيد من شمال الحجاز.... فهم أنفسهم يعتقدون، بسبب صيحة الحرب التي يستعملونها "أ لا د طا" (= أولاد عطا)، أنهم من أقرباء (ينتسبون إلى بني عطية. أما التناقض بأن هاتين القبيلتين كانتا في زمن سابق من البدو المحاربين (الجزء الثاني، 414، 483، 485) فإنه يثبت أن المحاربين أيضاً يمكن أن يصبحوا من الباريا.

وحاميه عمّ محمد المعروف بكثرة ترحاله وتجواله: كانت الفرع (واحة كبيرة بين مكة والمدينة) تخص في يوم من الأيام الهتيم. وكان آخر واحد منهم من أغنى ملاّك بساتين النخيل. وكان عم محمد يتذكره جيداً. وكان يرد دوماً على سكان القرية الذين يحاولون بإلحاح شراء أراضيه بالقول: "هل أبيع حصتي من الميراث؟". وأخيراً قال الثعلب العجوز لكي يرتاح من مضايقاتهم: أنتم تعلمون أن لي ابنة واحدة. ومن هو بين شبابكم الرجل الذي يريد أن يصبح صهري؟ فهو الذي يجب أن يرث أرضي. ويضيف دوتي قائلاً إنه من بين الهتيم الذين انقرضوا تقريباً كان يخيم ثلاث أو أربع عائلات هتيم الداخل. والآن نحن نعرف ليس فقط هتيم شمال الجزيرة وإنما أيضاً الهتيم الموجودون في شرقي الأردن. وبما أن هؤلاء وحدهم، من بين عرب البلقا، الذين بقوا قبيلة هتيم نقية، فإننا نفترض أنهم جاؤوا إلى هناك في وقت متأخر. وهذا يعني أن الهتيم هاجرت منهم مجموعتان كبيرتان، الأولى في القرن السابع عشر. إذ إنها ذكرت لأول مرة في عام 1079هـ/ 1669م. واقتداء بالعنزة وبني حسين وقف هؤلاء الهتيم ضد الشريف حمود بن عبد الله[1] الذي شن آنذاك حملة في وسط الجزيرة العربية[2]. ولكن أين كانوا موجودين آنذاك؟ كان العنزة قد تقدموا منذ زمن طويل على امتداد وادي الرمة حتى القصيم، وإلى الجنوب منهم كان المطير الذين اصطدم معهم الشريف بعد معركته مع الهتيم، بينما كان بنو حسين ـ الذي اختفوا خلال القرن الثامن عشر ـ يتنقلون في السدير. وهكذا يمكننا الظن بأن الذين نبحث عنهم كانوا تقريباً في شمال شرق المنطقتين المذكورتين. ويبدو أن الضفير، الذين سببوا للشريف كثيراً من المتاعب، كانوا يقيمون أحياناً هناك عندما لا يكونون في الحجرة. وبعد حوالي 120 عاماً يظهر الهتيم إلى الجنوب قليلاً في السر. وكانوا بين "الثلاثين" مدافعاً عن قصر بسام، دون أن يكونوا من سكانه[3]، وذلك عندما حوصرت القلعة عام

(1) استقال بعد فترة حكم قصيرة في مكة في رجب 1077/ أول عام 1667م لصالح ابن أخيه ومنافسه.

(2) عنوان، 64: حسب الاستعمال اللغوي المعروف: هتيم.

(3) عنوان، 50.

1205هـ/ 1791م دون جدوى من قبل أخي شريف مكة غالب (الجزء الثالث، 49). أما الأبيات الشعرية[1] التي يغنيها الناس فهي أحدث كثيراً؛ إذ إن البلدة تقع ضمن منطقة التنقل الجديدة للمطير الذين كان الهتيم يعيشون تحت حمايتهم. إن نسبة الهتيم بين السكان المستقرين في شمال الجزيرة العربية ليست كبيرة: في بداية الحرب العالمية الأولى كان الهتيم موجودين في تيما والجوف وفي سكاكة «سكاكا» المجاورة[2]، وكان الهتيم موجودين في غزالة ومستجدة، وهما قريتان في جبل شمر، وفي فيضة وقرية أخرى في السر[3]. وهنا وجد فيلبي (3، 133) قرية كبيرة اسمها جنيثة (أو عين القنور) عدد سكانها 400 نسمة، معظمهم من الهتيم، أسسها القنور، أبو مختار القرية، ثم بنيت فيها قناة لجر المياه من النبع (العين) وزرعت فيها بساتين النخيل وحقول القمح. وسنكتفي بهذا القدر من الكلام عن تاريخ الهتيم وتوزعهم في الجزيرة العربية. أما الهتيم الموجودون في مصر وبلاد النوبة والحبشة فلا يمكننا معالجتهم هنا لأن لهذا يتجاوز إطار هذا الكتاب.

سنحاول فيما يلي التعرف على طريقة حياة الهتيم باستعراض بعض الأقوال المختارة. يقول عنهم دوتي[4]: الهتيم هم عادة أقوى من البدو المنهكين من الجوع، ولكن لون بشرتهم بشع. وهم يفتقرون إلى المرح الطبيعي غير المتكلف وإلى الهيئة المحترمة التي يتصف بها البدو[5]. وهم غير مهذبين مثل البدو ويتكلمون أحياناً بفظاظة مع ضيوفهم. أما النساء والأطفال فهم غالباً جميلون: "جاءت شقيقة قاسم مع البقية وجلست إلى جانبي. . . كانت عيناها (فوق

(1) القصيدة المأخوذة منها هذه الأبيات هي بالتأكيد قديمة (ي.ي .هسّ، البدو، 54)، ولكن حواشيها قابلة للتبديل كما تبين صياغة أخرى.

(2) هاندبوك، الجزء الأول، 106. للأسف لا يميز هناك بين "هوازن"، وهم فرع من كعب، وبين العوازم.

(3) هاندبوك، الجزء الأول، 607.

(4) هنا وهناك، مبسّطة بعض الشيء.

(5) ولكن انظر هوبر، جورنال، 206: إنهم رماة جيدون. وهذا ضروري لأنهم لا يتمتعون بنفس الحصانة التي يتمتع بها الصليب.

الحجاب) كبيرتين وجميلتين، وعلى الرغم من أنها نحيلة وشاحبة بدت لي جميلة وجذابة". لا يربي الهتيم الخيول إلّا ما ندر لكنهم يربون إبل ركوب ممتازة ولديهم كثير من الحيوانات الصغيرة (الغنم والماعز). وهم يدفعون أتاوات لجميع الأقوياء المحيطين بهم، ولذلك محميون من الخصومات والأعمال العدائية، ويزدهرون غالباً بشكل أفضل من البدو الذين يعيشون في منطقة تنقلهم. والهتيم أمهر من البدو في الصيد. ويحضّرون الجبن، الأمر الذي لا تفعله إلّا قريش، ويأكلون القنفذ الشوكي والإبري. وليس مألوفاً عندهم شرب القهوة أو تقديمها للضيوف. وتتزوج النساء الفقيرات من الهتيم، الزنوج الذين يسكنون في قرية حايط الواقعة على الشاطئ الشمالي لحرة خيبر. "امرأة جميلة من الهتيم كانت في قلعة مدائن صالح متزوجة من جندي أسود. وسمعنا منهم (جماعة من شمر) أخباراً طيبة من البرية أمامنا. ولكن واحداً منهم صرخ بي قائلاً: لماذا تمشي برفقة هؤلاء؟ وكان يعني الهتيم. وفي أحد الأيام، خلال سوق الخريف في خيبر، مر عدة رجال من العنزة في طريق القرية وهم يجرون معهم رجلاً فقيراً عارياً يلتف حول عنقه حبل. كان هذا الرجل هتيمي، وكان الرجال البدو يصرخون بغضب قائلين إنه لم يدفع الخوة، 10 ريالات = 10 مجيدي (= 40 مارك ذهبي). ولقد جلبوه إلى هناك لكي يروا ما إذا كان هناك أي رجل سيدفع عنه كما كان قد أكد لهم. وإذا لم يدفع عنه أحد سيطردونه من القرية ويقتلونه. وعلى الرغم من مثل هذه الإهانات كانت بعض الأسر البدوية الفقيرة تسكن عند الهتيم".

يقول دوتي (1، 76، 94 وما يليها) عن الهتيم المقيمين على طريق الحج: أمام الباب الحديدي لقلعة الحجر/مدائن صالح يوجد عدة خيام مهترئة. وهم زبائن للفقرا (الجزء الثاني، 493) ويخدمون في القلعة منذ زمن طويل. ويقومون، مثل السويفلة في الأخضر، بجمع كتل الأعشاب القاسية التي تنبت في الأماكن الرملية عند أسفل الجبل ويبيعونها للحجاج كعلف للإبل بسعر محدد من السلطات الحكومية، وهو ريال واحد لحمولة الجمل. ويفعل الشيء نفسه البداونة الذين

يسكنون في جبل دخان[1] تحت العلا[2] ويبيعون بضاعتهم هناك وفي الصورة.

ويكتب روبلّ (1826م) عن صيادي السمك البدو في شمال البحر الأحمر: إن البحر غني جداً بالسمك في بعض المواقع. ويستعمل الهتيمي السمك الذي يصطادونه ليس فقط كغذاء رئيسي لهم بل يقومون بتمليح وتجفيف كمية منه يبيعونها في أسواق قصير (على الساحل المصري مقابل الوجه) وينبع وجدة. ويعيش الهتيمي نوعاً من الحياة البحرية المتنقلة التي تقودهم من مكان إلى آخر حسب الفصل المناسب لصيد السمك. ولديهم شمال خط العرض 27 نحو 30 زورقاً صغيراً لصيد السمك ويقيمون غالباً في جزيرة جُبَل[3] (عند مدخل خليج السويس) وجزيرة تيران (عند مدخل خليج العقبة) وأم السييلة[4] إلى الغرب من عينونة، حيث ينصبون خيامهم فترة مؤقتة. وبما أن هذه الأماكن لا يوجد فيها ينابيع فهم يجلبون الماء في جرار فخارية كبيرة من طور أو شروم[5] أو مقنة أو عينونة. وفي الربيع يقيمون في أبو شعر على الساحل المصري لكي ترعى هناك أغنامهم وماعزهم. وفي الشتاء ينصبون خيامهم عند البئر الموجودة جنوبي طور حيث يملكون عدة بساتين نخيل. ـ وفي جزيرة أبو معلا، جنوب غرب الوجه، يسكن الهتيم بشكل دائم؛ وهم يجلبون مياه الشرب من الوجه ويعيشون من بيع السمك للحجاج المسافرين عن طريق المرفأ ـ. ويبلغ عدد الرجال البالغين من الهتيم في الشمال نحو 70 رجلاً. وهم غير محترمين من العرب الأحرار الذين يأخذون منهم

---

(1) غير موجودين في خريطة دوتي. فهل هو مسمى استناداً إلى شعيب الدخشان جنوب شرق العلا؟ انظر الخريطة SA 204B. أم إن دخان له علاقة ما بنخلة، انظر الملاحظة 2؟

(2) ذكروا عند موزيل (شمال نجد 121) في نفس المنطقة تقريباً على جبال نخلة السوداء. لا تخيم هذه القبيلة إلّا في الجبال ولا تنزل أبداً إلى السهل، وتعيش من الماعز فقط.

(3) وسترن آرابيا «غرب الجزيرة العربية»، 89، تذكر قرية لصيادي السمك في جزيرة قيصون الجنوبية الواقعة في الجهة المقابلة.

(4) موجودة فقط على خريطة موزيل، شمال الحجاز، على مسافة قريبة إلى الشرق من ريامان. فيلشتيت، 2، 133.

(5) مرفآن غير مأهولين على الساحل الغربي لخليج العقبة، في موقع غير بعيد عن الرأس الجنوبي لشبه جزيرة سيناء.

أحياناً كل ما يبدو صالحاً للاستعمال. ولم أتمكن من معرفة أي شيء عن أصلهم. ولكن بناء على شكلهم (أنف محدب جداً. . . حواجب ضيقة مقوسة، عيون حيوية عميقة، فم صغير، ذقن متراجع قليلاً إلى الوراء، بلا لحية تقريباً، وجه بيضوي متطاول، شعر أملس أسود، لون بشرة أصفر) فإنني أرى أنهم من أصل يمني (روبلّ، 188، 195 وما يليها، 226، 230).

أما حكم فيلْشتيد فهو متأثر باشمئزازه من "قذارتهم المقرفة": الفقراء منهم يصطادون أسماكهم منفردة بين الحجارة أو على الشاطئ؛ أما الأغنياء فيملكون زوارق ويعملون أيضاً في صيد اللؤلؤ. وهم يحملون معهم خياماً بدائية، أما الآخرون فهم غالباً عارون تماماً ويبحثون عن مأوى في المغاور أو بين الصخور. وعلى الساحل النوبي التقيت بشكل غير متوقع بمجموعة من الهتيمي، رجل عجوز وامرأة وفتاة. لم أر في حياتي أبداً بؤساً كهذا الذي رأيته ماثلاً أمامي. كان زورقهم قد أبحر قبل أسبوع لصيد السلاحف، وكانوا خلال الأيام الثلاثة الماضية لم يأكلوا أي شيء سوى الصدفيات النيئة. ـ هؤلاء الهتيميون وليس لهم أي شيء من طبائع البدو. وفي تقاطيع الوجه أيضاً لا يوجد أي شبه بينهم. تقاطيع الهتيمي أكثر حدة. . . والذقن عريض بشكل ملفت للانتباه، والتعبير الكامل لوجههم بليد وغبي. وفي سن الطفولة يكونون غالباً جميلين جداً؛ ولكن في العشرين من عمرهم تتجعد وجوههم، ويندر من يعمر بينهم[1].

بوركهاردت يروي قصصاً نقلاً عما سمعه، وفيلشتيد يبالغ وكلمات الشعر لا تعني شيئاً، لا سيما أن الحجاج ليسوا بدواً والحميدات (الجزء الثاني ص363، الملاحظة) [1] ليسوا هتيماً.

في كل ما ذكرنا لا يوجد أي شيء يمكن أن يفسر سلوك البدو ضد الهتيمي والهتيم[2]. أن يتهم الهتيمي في داخل الجزيرة العربية بأنهم يأكلون السمك، لأن سكان الداخل أنفسهم لا يأكلونه، فهذا أمر لا وزن له. والأرجح هو ما يقال عن

(1) فيلشتيد، 2، 201 ـ 204، مقطع مختصر ومعدل قليلاً.

(2) أويتينغ، 2، 103. بوركهاردت، 322. فيلْشتيد، 2، 203، دوتي، 1، 95.

نساء الهتيم أنهنّ جميلات جداً ويخرجن دون حجاب. يبقى لدينا ورقة واحدة لتفسير سلوك البدو تجاه الهتيم وهي كونهم غير أصلاء وغير محترمين، ولكن هذا السبب أيضاً غير صحيح إلّا جزئياً كما رأينا في الصفحة أعلاه. وبما أن الحكم المسبق ضد الهتيم لا يمكن تفسيره بالفارق الطبقي ولا بالنشاطات والأعمال التي يرفضها المجتمع البدوي، فإنه يجب أن يكون مستنداً إلى حدث بعيد في الماضي منسيٍّ منذ زمن طويل[1] لم يزل صداه وحده قائماً في شعور الأجيال. فلنحاول استكشاف هذا الحدث.

في بداية هذا الفصل حددنا الظهور الأول للهتيم "بزمن مديد قبل عام 1200م". وبما أن اسمهم مذكور في بلاد العرب القديمة[2] فلا يوجد سبب للبحث عن أصلهم في بلاد أخرى. وأن يكون شكلهم مختلفاً عن شكل البدو فهذا أمر يشتركون فيه مع كثير من سكان الجزيرة العربية. فكم من الغرباء جاؤوا خلال القرون الأولى للإسلام إلى الجزيرة العربية لغرض الحج! وكم بقي منهم في محطات طريق الحج لفترة مؤقتة أو دائمة واختلط دمهم مع دم السكان المحليين! وباختصار، نحن نظن أن أسلاف الهتيم كانوا من سكان الواحات الذين انبثقوا عن مثل هذه الرابطة. ومن هذا الظن نعود إلى الحقيقة التاريخية لكي نعلل الفرضية[3]

(1) هكذا يصبح نشوء الحكاية الأسطورية التي لا أساس لها قابلاً للتفسير، والتي تقول بأن أسلاف الهتيمي قدموا للنبي كلباً كوجبة طعام (والكلب نجس عند العرب). وبهذه الحكاية يبرر البدو عدم الاحترام للهتيم، فيلشتيد، 2، 202. وهناك مؤلفون آخرون يسيرون في نفس الاتجاه، انظر هنينغر، قبائل الباريا في الجزيرة العربية، 519.

(2) وبالتحديد بين الأنصار، الذين استقبلوا النبي المهاجر في المدينة، جمهرة 2، الفهرس، هتيم بن كعب (ظفر).

(3) برتون، ميديان، 1، 135؛ 2، 119، يرى أنهم من أحفاد العبيد الذين كانوا في العصر القديم يعملون في مناجم ميديان. ومن الممكن أن يرجع المرء كونهم الخلفاء العرب لشعب باد، ولكن هذا لا يتفق مع التوزع الجغرافي للهتيم. إلّا أن هذا الاعتراض يسقط إذا ما اتخذنا منجم ذهب بني سُلَيْم، الذي أعاد الأمريكيون تشغيله، أساساً لفرضيتنا. ولكن هذا المنجم لم يتوقف العمل فيه في حوالي عام 1150م كما هو مثبت في كتابات كوفية. وهذا وقت متأخر جداً، إلّا إذا وضعنا في الحسبان توقفاً بسبب القرامطة.

التي نطرحها: "أدت سياسة القرامطة (286هـ ـ 373هـ/ 899م ـ 985م) وحروبهم إلى إلحاق أضرار بالغة بالزراعة في أجزاء واسعة من الجزيرة العربية. فقد تهدمت محطات طريق الحج وتهدمت المستوطنات التي كانت قد تشكلت حولها. واختفت واحات مزدهرة إلى الأبد. وفي عام 310هـ/ 923م هجر سكان القران (قرب ملهم) موطنهم، بسبب الضرائب الجائرة التي فرضها عليهم بنو أُخيضر، وانتقلوا إلى البصرة. وقام سكان ربثة «ربذة»، التي كانت متخاصمة مع واحة ضريّة، بمغادرتها عندما حصلت ضريّة على حماية ومساعدة من القرامطة[1].

من الممكن أن يكون الهتيم أيضاً قد راحوا ضحية هذه الظروف بحيث إنهم لجأوا إلى هذا النوع من الحرف اليدوية التي لا تتطلب مهارة كبيرة ولا أدوات خاصة، ثم صاروا يحوون الحمير. أما الاتهام بأنهم كانوا يتغذون من الحيوانات الميتة، فهذا أمر قد ينطبق في هذه الحالة على بداياتهم لأنهم من الممكن أن يكونوا قد مروا آنذاك في حالة من الضيق الشديد. ولكن لا بدَّ بعد ذلك من طرح السؤال التالي: كيف استطاع الهتيم التخلص من هذا العيب ـ الذي لم يعد يذكر منذ القرن الثالث عشر (وإن كانوا لم يتخلصوا من آثاره)؟ الجواب: لأنهم استطاعوا نقل هذا العبء إلى كاهل جماعة كانت أدنى منهم في السلّم الاجتماعي، ألّا وهي: الصلبة.

إننا لا نتبنى بأي حال الرأي أن جميع الهتيم ينحدرون من الهتيم الموجودين في شرقي الجزيرة العربية. ونحن أيضاً نعتقد أن هتيم الساحل، على وجه الخصوص، ينحدرون من أصل آخر، وقد يكونوا قد جاؤوا فعلاً من اليمن ـ وإن لم يكن جميعهم ـ كما يرى روبلّ.

وهناك أيضاً بعض الحقائق الأخرى التي تشير إلى حدوث تغير في طريقة حياة القبيلة التي نتحدث عنها. ولكن دوتي (2، 239 وما بعدها) يتحدث عن غزوات أخرى،

(1) الجزء الثالث، ص18 والملاحظة.

ومنها، على سبيل المثال، غزوة ضد شمر؛ كما أن هوبر (جورنال، 591) وموزيل (شمال نجد، 107 وما يليها) يتحدثان عن مثل هذه الغزوات: قبل أكثر من 10 سنوات هاجم هتيم مخيماً لولد سليمان[1] على العرنان في غربي جبل مسما وسرقوا 40 خيمة وأكثر من 600 ناقة. ـ الهتيم غير منضبطين وهم يهاجمون منطقة شمر عندما يكون الأمير ـ أمير الجبل ورئيس شمر نجد، قبل عام 1901م سيّد الجزء الداخلي من الجزيرة العربية، ابن رشيد ـ بعيداً في حملة ضد الرولة أو ضفير (هاندبوك، 1، 77). وقبل ذلك كان ابن رشيد قد جندهم[2]. وبعد سقوط ابن رشيد في 2/ 11/ 1921م أو ربما قبل ذلك بدأ الهتيم بالانضمام إلى الإخوان وبتأسيس هجرات[3] (مستوطنات سكنية). وهكذا نرى كيف أنهم بدأوا بملء إرادتهم وبتأثير حركة العصر بالانخراط شيئاً فشيئاً في المجتمع البدوي. وقد حقق هتيم شرقي الأردن في القرن التاسع عشر المساواة مع الفئات الاجتماعية الأخرى.

ومما هو جزء من عملية التساوي مع الآخرين محاولة تحديد النسب وعلاقات القربى[4].

(1) هاندبوك انظر الجزء الثاني، 346 وما بعدها، 349.

(2) وفرض عليهم الضرائب.

(3) العربية السعودية (سعودي آرابيا)، 263؛ فيلبي، ميديان، 26 والصورة جنب 22 ثم الجزء الثالث، ص 33.

(4) دوتي، 2، 70. فيلبي، ميديان، 64.

صليب/الصلبّة(1)

قبل الدخول في الموضوع يبدو من المفيد أن نشير إلى خطأ أصبح مدحوضاً الآن، لكنه لم يزل موجوداً في مقال "الصُلَيْب" في الموسوعة الإسلامية (1934م): ونحن نعني بذلك المطابقة بين الصلبة والصبأ (المفرد: صابئ)، نحلة غنوسطية(*) إيرانية

(1) الجمع (نادر): صلبان، وباحتقار: صلبات. المفرد: صلبي، وأيضاً صليبي. ويطلق على المفرد لقب: أبا الخلا (رجل الأرض المقفرة).

(*) الديانة الصابئية ليست ديانة إيرانية.

إن الرأي الذي ترجح لدى كثير من الباحثين أمثال نولدكه، الأب الكرملي والأستاذ أوليري والليدي دراور والأستاذ العقاد أن كلمة (صابئي) مأخوذة من الفعل «صبا» الأرامي ومعناه يرتمس، يغتسل، يتعمد. لقد ذكر اسم الصابئة في القرآن في ثلاث سور:

سورة البقرة، الآية: 62. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

سورة المائدة، الآية: 69. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

سورة الحج، الآية: 17. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

وقالت الليدي دراور في كتابها الصابئة المندائيون جـ 1، ص 39، إن التسمية الأكثر رسمية لجنسهم ودينهم والتي يستعملونها فيما بينهم هي «مندائي» أو المندائيون.

إن اسم الصابئون أو الصابئين ليس خاصاً بطائفة معينة وإنما هو اسم عام يندرج تحته عدة فرق لكل منها معتقدها الخاص. =

اعتبرها القرآن، مثل اليهود والمسيحيين، من أهل الكتاب، ونحلة غنوسطية هيلينية متأخرة كان مقرها في حران اغتصبت اسم "الصابئة" مع جميع امتيازاتهم، لكنها اختفت بعد وقت قصير، بعد عام 1000م. ويعود هذا الخطأ إلى بيلّي، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، 35 (1865م)، ص 190 وما يليها. فهو يقول إن الصلبة يحجون إلى "حران" بدلاً من مكة وينسب إلى الصُليب الموجودين هناك صلوات

= إنهم جميعاً يؤمنون بوجود إله خالق، وإنهم متفقون على وجوب ثلاث صلوات، والاغتسال من الجنابة ومس الميت وعلى تحريم لحم الخنزير والكلب والجزور والحمام وما له من مخلب من الطير والسكر والاختتان. وأمروا بالتزويج بولي وشهود ونهوا عن الجمع بين امرأتين وعن الطلاق إلّا بحكم حاكم شرعي.

ينقسم الصابئة إلى عدة فرق فمنهم قد غالى في الاعتماد على الروحانيات «الملائكة» فاعتبروهم وسطاء وشفعاء بينهم وبين الذات العلية وسمي هؤلاء «أصحاب الروحانيات» وعرفوا بالمندائية وفريق سمي «أصحاب الهيكل» وفريق ثالث سمي «أصحاب الأشخاص» وفريق سمي «أصحاب الحلول».

الصابئة الحرانية

اشتهرت مدينة حران في تاريخها كله بأنها مقر عبادة «سين» الإله القمر الذي عبده أكثر من ملك من ملوك الآشورين ولم تتغير الأحوال في المدينة على إثر انتهاء سلطان الكلدانين وقيام دولة الفرس.

في مقدمة كتاب الصابئة المندائيون ص 17 جاء فيه: إن الكثيرين من الحرانيين الصابئين والصابئيين الحقيقيين قد عملوا في مقر الخلافة العباسية كمترجمين وأطباء وفلكيين، فليس بغريب والحال هذه أن يخلط المؤرخون العرب المسلمون حين يتحدثون عن دين الصابئة بين صابئة حران الوثنيين وبين الصابئة الحقيقيين ذوي الدين التوحيدي.

ولا شك في وجود صلة ما وتشابه أو اشتراك في بعض العقائد والشعائر بين صابئة حران «الحرانيين» وصابئة بطائح العراق «المندائيين».

إن اشتراك الصابئة مع أصحاب الديانات الطبيعية الوضعية كالمجوس والهندوس في كثير من الشعائر والطقوس لا يعني تبعية دينهم لهذه الديانات أو تفرعه عنها أو عن إحداها. وإن التقى معها في المصدر و «الغنوص».

مصدر جميع هذا الهامش من كتاب «الأديان دراسة تاريخية مقارنة ـ القسم الأول الديانات القديمة» لـ الدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك ـ بين ص 141 ـ 200. صادر عن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ـ جامعة بغداد 1976. (ماجد شبّر).

وكتباً باللغة الآشورية أو الكلدانية (الآرامية، هي في الحقيقة للمندائيين (الصابئة) وليس لهم؛ لكنهم هم يزعمون أنهم قبيلة من «الصابئة» هاجرت إلى نجد.

يقول ماكس فرايهر فون أوبنهايم (1893م) عن الصليب (في كتابه من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الأول، 220 وما بعدها): "على مقربة من الحفنة كان يخيم حوالي 20 شخصاً من الصُليب، وهم ينتمون إلى قبيلة من أغرب القبائل، ويختلفون في شكلهم وفي طريقة حياتهم في كثير من النواحي عن البدو العرب. فهم غالباً أصغر من العرب ويعيشون بصورة رئيسية من صيد الغزلان التي يصنعون من جلودها ملابسهم. ويتميز بعض نسائهم بجمال رائع. وقد رأيت في الرحبة صليبية طولها فوق المتوسط، لون بشرتها أسمر غامق، وجهها ناعم صغير وعيناها حزينتان متقدتان تبرزان من تحت أهداب طويلة، وشعرها أسود تبدو عليه الفخامة رغم بساطته وأسنانها رائعة البهاء. ولا يملك الصليب الخيول أو الإبل إلّا نادراً، بل يركبون غالباً على حمير صغيرة ذات قدرة كبيرة على التحمل، ولا يربون الغنم أو الماعز إلّا بأعداد قليلة وبين حين وآخر فقط. ويعيش الصليب في وئام مع جميع قبائل الصحراء ويقدمون، لقاء كرم الضيافة الذي يلاقونه لدى الجميع ولقاء عدم التعدي على أملاكهم الشحيحة، خدمات الدلالة في كل مكان، إذ لا أحد يعرف الصحراء جيداً كما يعرفها الصليبي. كما أن رجال الصليب ونساءهم يؤدون في المناسبات أمام البدو رقصاتهم ويتلقون لقاء ذلك بعض الهدايا. . .[1] وبينما لا ينتقل البدو إلّا قبائل، فإن الصليب يتنقلون كعائلات فقط، لا بل غالباً كشخصين أو ثلاثة، وفي بعض الأحيان بدون خيام. ويدفنون موتاهم قدر المستطاع في مقابر جماعية كبيرة. ومن الممكن تسميتهم نَوَر الصحراء[2].

---

(1) هنا يوجد خبر لشخص غير معروف مزيّن بحكاية غير واقعية عن أن أصل الصليب من الهند. ولكن الكاتب لا يقول إنه يتبنى هذا الرأي.

(2) كما يتبين من هذه المقارنة فإنه من غير المفهوم أن ماكس فرايهر فون أوبنهايم يعتبر الصليب من أصل نورَي «غجري» (الموسوعة الإسلامية).

وينظر البدو الأصيل إلى الصليبي بتحفظ شديد (نفس المصدر، 2، 118).

كتب دوتي (1877 ـ 1878م) عن الصلبة (1، 280) يقول: يعيش الصلبة من الصيد ومن الأعمال التي يمارسها النور «الغجر». فهم يصلحون القدور ويحسّنون الأسلحة في مخيمات البدو، ويصنعون القيدوم الذي يسحب به الرعاة أغصان الأكاسيا إلى الأسفل لكي يطعموا قطعانهم، والمناجل لقص العلف، والقدّاحات الفولاذية لإشعال النار بضربها على حجر الصوان، وما شابه. كما أنهم يصنّعون الخشب. فمن خشب أكاسيا الصحراء يصنعون سروج الإبل اللازمة للنقل والركوب، والبكرات المستخدمة لسحب الماء من آبار الصحراء العميقة، ودلاء الحليب البسيطة وغير ذلك من الأوعية المنزلية. فهم يقومون بنفس الأعمال التي يقوم بها الحدادون، "الصناع"، ولكن بمهارة أقل. ويعالجون الحيوانات، ويصنعون، مثلاً، حدوات الخيول (1، 290).

ويقول العرب "إن الصلبة أغنياء، لأنهم يأخذون نقودنا، ولا يعود منها سوى القليل أو لا شيء؛ لأنهم ليسوا بحاجة لصرفها من أجل الحصول على المواد الغذائية. إذ إنهم يحصلون لقاء عملهم على ما يكفيهم من القمح والتمر والسمن واللبن". ويقولون أيضاً إن الصلبي يحتاج بعض النقود لشراء الحديد ومواد اللّحام. أما الباقي فيطمره في الصحراء ولا يخرجه إلّا، ربما، بعد بضعة أعوام لكي يشتري حماراً مثلاً.

وبما أنهم لا يملكون حيوانات حلابة فهم يتسكعون أمام خيام البدو ويطلبون الحليب ليرووا ظمأهم. عندئذ تصب ربة الأسرة للصلبي الحليب من القربة الجلدية، ولكن في الوعاء الخاص به فقط؛ إذ إن البدو لا يشربون من وعاء استعمله صلبي. ويقول البدو عنهم إنهم يأكلون الحشرات المقرفة والديدان. ولكن هذا غير صحيح. ونظراً لنبذهم من المجتمع وحرمانهم من كل احترام ترى هيأتهم بائسة وخنوعة. وتنتقل نساؤهم بملابس بالية من خيمة إلى خيمة ليتسوّلن بصوت يثير الشفقة. وهناك آخرون، في الوجه مثلاً، يرتدون ثياباً جيدة نسبياً ويظهرون بمظهر محترم.

في الصيف، عندما لا يبقى حليب عند البدو، يضعون خيامهم الخفيفة وأدواتهم وكل ما يملكون على حمار، الحيوان المنزلي الوحيد الذي يملكونه، ويغادرون مخيم البدو إلى الأرض القفراء. وهناك بعيداً تنزل الأسرة الصلبية قرب موقع ماء جيد في شريط من الصحراء لا يدخله أحد غيرهم وتوجد فيه حيوانات برية. والصلبة هم الوحيدون الذي يتنقلون بحرية كاملة في الصحارى العربية؛ فبما أنهم يدفعون للجميع بعض الضرائب، لا يضايقهم أحد. ويقال بأن البدوي لا يمكن أن ينهب الصلبي حتى ولو رآه وحيداً في عمق الصحراء ومعه جلد نعام تساوي قيمته قيمة ناقة. ويركب الصلبة على الحمير حتى أثناء الصيد. كما أنهم يسافرون على هذه الحيوانات الضعيفة، التي يجب أن تشرب كل يومين ـ وفيما عدا ذلك فإن الحمار لا يقل عن الجمل تحملاً في عبور الصحراء ـ مع عائلاتهم في مناطق بعيدة خالية من المياه لا يعبرها البدوي على جماله السريعة والقوية، والتي تتحمل العطش ثلاثة أيام، إلّا بصعوبة. ويتناقل الصلبة (الذين هم فيما عدا ذلك جهلة) أب عن جد أدق التفاصيل عن أصغر مواقع المياه. وهم صيادون مهرة. ففي الأماكن التي يجد الآخرون أثراً للحيوانات البرية يطبخ الصلبة لحم الغزلان والماعز البري، وفي بعض المناطق الرملية لحم الظباء. ويقول عنهم البدو: إنهم، إذا صحّ التعبير، رعاة الحيوانات البرية. فعندما يرون قطيعاً يعرفون جيداً كيف يفرقونه، وكأنه من الغنم، ثم يقولون هذه نريدها اليوم وتلك بعد غد. ويعتبر العرب الصلبة بصورة عامة من أحفاد جماعة قديمة (أي: قبل الإسلام) من المشركين أو المسيحيين.

وتسميهم ألسنة البدو الشريرة "مشركين" لأن عدداً قليلاً منهم فقط يستطيع تلاوة الصلوات والدعاءات ـ ألسنة البدو الذين لا يتمتعون في المدن بوضع أفضل. ويبدي الصلبة حماساً حقيقياً وخاضعاً لدين البلد الذي ولدوا فيه ولا يعرفون شيئاً عن أي ديانة أخرى؛ "وهم متسامحون وإنسانيون على طريقتهم البسيطة، وذلك لأنهم هم أنفسهم محتقرون ومضطهدون".

نلاحظ أن التقريرين متباعدان بالمعنيين الحقيقي والمجازي. ففي الطبيعة

المرحة المنفتحة على الحياة لفرايهر فون أوبنهايم تظهر طبيعة الصليب بشكل مختلف عما هو الحال عند دوتي الميال إلى الاكتئاب والزهد. يضاف إلى ذلك أن وضع الصليب الموجودين في المنطقة الواقعة قبل حوران شرقاً أفضل من وضع الذين بقوا في شمال غرب الجزيرة العربية. ولا نجد عند دوتي ما يذكره الكاتب الآخر عن ميلهم إلى الفن، وإن كنا نجد عن الاثنين اهتمامهم بالسحر وما يكمن فيه من سعي إلى القوة. ولذلك يجب استكمال العرضين بعرض منهجي أكثر دقة.

العلاقة المميزة للصليب كانت ولم تزل ملابسهم. فهي تتألف من ثوب واحد، كان، ولم يزل، يصنع من 15 ـ 20 جلد غزال، الشعر إلى الخارج، وله فتحة للرقبة وكمّان طويلان جداً وقلنسوة (قلّوسة). وليس لهذا الثوب أي مثيل فيما يتعلق بطريقة وصل أجزائه مع بعضها. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الزي لا يلبس إلّا في البادية السورية عموماً، وهو غير موجود في غربي الجزيرة العربية، ونادر الوجود في وسط الجزيرة وشرقها انظر أعلاه. لكن جلود الغزلان لها أيضاً استخدامات أخرى. فقد رأى رسوان في منطقة الطبيق ثلاث خيام لصلبان آل بناق(6 من الجدول) كانت إحداها مصنوعة من هذه المادة[1]. ولا تعمل النساء في الغزل أو الحياكة لأن الصلبة لا يحوون في الأصل الغنم أو الماعز أو الإبل (دوستال، مجموعات الباريا، 197).

يوجد في المراجع الأدبية معلومة غامضة عن حمير الصلبة تقول بأن الصلبة يلقحون حميرهم المدجنة من حمير برية[2]. وهذه المعلومة مفصلة بدقة عند غارماني فقط: في نهاية الربيع يعبر كثير من الصليب الفرات لكي يصطادوا في ما

(1) في بلاد الخيام السوداء، 45. ولاحظ أيضاً أنهم لا يستعملون الأوعية الخشبية وإنما أوعية من الجلد، وبصورة استثنائية قرون الظباء بدلاً من أوتاد الخيمة. إلّا أن الكاتب يعتبر من محبي لغة الصيد والمغامرات الرومانسية (هذا ما جاء في رسالة كتبها موزيل إلى جي .هنينغر أطلعني عليها هنينغر في 4/2/1966م).

(2) غارماني، الجزء 25؛ آرابيا بترايا، 291؛ موزيل، رولة، 197 (آرابيا دزرتا الصحراء العربية، 270): كاروترز، 149.

بين النهرين الحمار الوحشي. ويقبضون أيضاً على عدد من الحيوانات الفتية التي يستعملونها لتلقيح حماراتهم. وعندما يصبح عمر الحمار سنتين يقومون بخصيه ويبيعون الخصيتين بمبلغ يصل حتى 200 مجيدي (كل مجيدي أربع ماركات ذهبية). وإذا ما صرفنا النظر عن هذا السعر المرتفع ـ المبالغ فيه هي من نقاط ضعف الكاتب ـ فمن المؤكد أن هذه المعلومة فيها بعض الصحة، بينما لا صحة إطلاقاً للمعلومة الأولى، على الرغم من أننا لا نشك في أن تلقيح الحمير المدجنة من حمير برية كان ممكناً إذا ما تركت الإناث (الحمارات) طليقة في البرية. وقد كان يوجد فعلاً في منطقة ما بين النهرين حمير برية إلى أن ماتت جميعها من البرد خلال آخر شتاء قاسي في مغارة في جبل عبد العزيز[1]. رغم ذلك فإن الخبر غير قابل للتصديق؛ إذ إن التلقيح يجب أن يترك آثاره في لون الحمير المدجنة ذات اللون الأبيض. أما الحمير البرية فكانت في الأسفل رمادية فضية، وفي الجوانب تميل إلى الأصفر مع بقع رمادية، وكان لها على ظهرها خط داكن يقطعه من الجانبين خط طولاني أبيض[2]. "حمير الحسا البيضاء كبيرة كالبغال ولونها أبيض على كريما اصفرار... ولها بعض الشبه مع حمير الصلبة، ولكن العين الخبيرة تميزها بسهولة" (فيلبي، 1، 12). ويربي الصليب بين دمشق والجوف والنجف حيوانات عادية وأصيلة. تسمى "شحري"، الجمع: شحارة وهي كبيرة بيضاء وأسرع (!) وأكثر تحملاً من أفضل الخيول الداكنة المسماة "حقري"، الجمع: حقارة[3]. يبيع الصليب الحمير في بغداد ودمشق ـ وفي هذه الأيام في تدمر ـ ولكن هذه الحمير لا تتحمل كثيراً لأنها لا تحصل على العلف المعتاد وينقصها هواء الصحراء النقي[4].

---

(1) معلومة من ماكس فرايهر فون أوبنهايم. بعد كاروترز عام 1926م إلى الجنوب من سنجار.

(2) آلفارت استناداً إلى قصائد عربية قديمة، قصيدة خلف الأحمر، غرايفسنالد، 1859م، 343 وما يليها. أو ربما حدث مثل هذا التلقيح لكن الحمير الناجمة عنه ظلت عقيمة.

(3) ولذلك تسمى قبائل الغنامة حكرة. انظر أعلاه.

(4) موزيل، آرابيا دزرتا الصحراء العربية، 269، 229. كانتينو، اللهجة العامية لعرب تدمر، بيروت 1934م، 1، 22، 2، 67 وما بعدها.

وعن ارتباط الصلبة ببدو شمال الجزيرة العربية يقدم موزيل (آرابيا دزرتا ـ الصحراء العربية، 232 وما بعدها)[1] معلومات دقيقة: يدفع الخوة، وتعني في الأصل "الأخوة"، كل أهل، أي كل رجل مع أقربائه من جهة أبيه حتى الدرجة الخامسة، بمقدار مجيدي واحد كل عام لإخوان الصليب في القبائل. والإخوان ملزمون بأن يعيدوا للصليب الأشياء التي سلبها منهم أبناء قبيلتهم أو يدفعوا لهم تعويضاً عنها. وفي حوالي عام 1930م توقفت هذه العادة لأن الحكومات صارت تمارس في كل مكان سلطة الشرطة تجاه القبائل، غلوبّ، 14 ب.

ومن الفنون (أو المهارات) التي يملكها الصليب دون غيرهم شفاء المرضى. ويحدث هذا عن طريق الكي المعروف لدى العرب منذ القدم وبواسطة عقاقير نباتية والقدرة على التأثير الإيحائي على المريض[2]، الذي بدونه لا يستطيع أي طبيب شفاء مريضه. وعلى الرغم من أنهم هم أنفسهم غير مختونين (؟) فإنهم يختنون

---

(1) في نفس المصدر قائمة تضم 16 إخواناً ووحداتهم، وبالتحديد من عنزة: (الجزء الأول، 197 ـ 215): [آ 2 I ح: ابن غبين]؛ [ب I I I 2 ب: ابن جلال]؛ [آ I I I 2 باء هـ ملاحظة 48: ابن مهينة]؛ [ب I I ابن شن «شنن»]؛ [I I I 2 ابن حسن]؛ [I I I 3 أبو جنفة]؛ [ب I I I 5 أ كويكب]؛ [IV أ الملحاق]؛ [V الخريطلي]؛ [VI د ابن بدري]؛ ومن الضفير (الجزء الثالث، 89): ابن دليتس(*)؛ ومن بني صخر (الجزء الثاني، 355): آ ـ 2: ابن زين؛ ومن الحويطات (الجزء الثاني 436): آ ـ 2: أبو تايه؛ ومن ولد سليمان (الجزء الثاني، 502): "ابن سيّد" (؟، ربما سعيّد، حـ ـ 1 ـ ب، الملاحظة 10 ؟)؛ وفي بعض الحالات كان أصحاب الامتيازات من أحفاد عائلات كانت قوية سابقاً. وخلال الحرب العالمية الأولى حل حكام ذلك الزمان محلهم. وهذا ما يتبين من القائمة في "راينو إي مارتينه"، 32 ـ 33، التي تأخذ منها تكميلات قائمة موزيل. من عنزة: آ ـ 1 ـ 1 ـ د، 2 هـ؛ 2 ـ 1 ـ آ، حـ؛ 2 ـ ح؛ 3 ـ 1 ـ حـ. . . . ؛ 2 ـ د، و؛ ب ـ 2 ـ 2 ـ آ: سلطان الطيار؛ من عمور الجراح = عنزة آ ـ 1 ـ 1 ـ ز: شيخ ؛ من غياث (الجزء الأول 496): 3 شيوخ؛ من المساعيد (الجزء الأول، 494) شيخ واحد.

(*) لا يوجد ابن دليتس في ضفير، وأعتقد أنه خطأ مطبعيٌ (ماجد شبّر).

(2) عزاوي، الجزء الأول، 314، ومقابل الصفحة 329 صورة الطبيب عبود الخصيلي، معروف في العراق تحت اسم الحاج سليمان.

أطفال البدو[1]. هناك أيضاً بدو يعرفون العقاقير الطبية وشؤون الكي[2]، ولكن لم يوجد بينهم أطباء أبداً وكما هو الحال عن الحوازم (انظر أعلاه). يوجد بين الصليبيات بعض البصارات. ويبدو أن الطريقة هي نفسها[3]. وهي أيضاً ليست غريبة[4] عن نساء البدو على سبيل المثال نساء المطير (ج3، 113 ـ 129). ولكن نساء الباريا يعتبرن متفوقات على أولئك في مجال المعرفة السرية. ويلعب دوراً في ذلك أن نساء الصلبة يعتبرن ساحرات ويخشاهن الناس لهذا السبب. وهن يؤكدن أنهن يستطعن تحضير مشروبات للحب ويتهمن بأنهن قادرات على جعل الرجال عاجزين جنسياً. وعن هذا الموضوع هناك حكاية (رولة، 407) وتقرير (ديكسون، كويت، 360 ـ 367) ينطلقان كلاهما من نفس الوضع: امرأة شابة تحب زوجها تحاول بواسطة سحّارة منع زواجه من امرأة ثانية. في الحكاية تعرض القصة بصورة مقنعة بالنسبة للناس البسطاء؛ ولا يصاب أحد بأي ضرر. أما في التقرير فيشار إلى العملية باقتضاب فقط، وتُقتل المرأة الشابة المتهمة ظلماً.

أهّلت يقظة الروح وحيويتها بعض الصلبي للدخول إلى فن الشعر ورواية الأحاديث الذي ما زال البدو يمارسونه حتى اليوم ولكنهم يهملونه شيئاً فشيئاً وبصورة متزايدة. وللأسف لم يدرس هذا الفرع من الشعر العربي العامي(*)، على الرغم من بعض الجهود[5]، دراسة تفصيلية معمقة بحيث يمكن تحديد مكان خاص

---

(1) فرنيه، 101. ولكن انظر على سبيل المثال موزيل، رولة، 245 حيث يقول: إن عملية الختان يقوم بها الأب أو أحد الأقارب.

(2) جي. جي. هسّ، 148 ـ 152؛ ديكسون، آراب، 505 ـ 514.

(3) عزاوي، 1، 311، ديكسون، آراب، 521 وما بعدها. عزاوي يستعمل التعبير الكلاسيكي: «يطرقن بالحصاة»، ولكنه يضيف: عندهم يسمى هذا: الطشة.

(4) ديكسون، 521 وما يليها.

(*) يسمى بالشعر النبطي وهناك أنواع عديدة من الشعر الشعبي للمزيد يراجع الأدب الشعبي العراقي. قام الأستاذ مارسيل كورير شوك بدراسة عن الشعر البدوي الأخير تناول بعض الأشعار البدوية في منطقة الجزيرة العربية. (ماجد شبّر) 1995 ـ لندن.

(5) انظر، على سبيل المثال، بوركهارت، 60 ـ 69؛ ديوان سوسان من وسط الجزيرة العربية و"أشعار البدو" التي سمعها ر. مونتانيو عند عبده: شمر (الجزء الأول، 257: ب 3، =

لقصائد الصليب ضمنه. وتجدر الإشارة إلى أن القصائد أصبحت غالباً مشوهة بسبب غنائها خطأ، وهناك "قراءات" مختلفة[1] لها، كما أن ميل البدو إلى اختراع[2] مناسبات للقصائد والأبيات الشعرية يؤدي في كثير من الأحيان إلى تحريفها. وينطبق هذا شعر الصلبة أيضاً، مثلاً على قصيدة للصليبية الشاعرة دگيس[3] من جماعة الخصيلات كان لها تأثير حتى علينا نحن. بعد قول ديني[*] مأثور تأتي الكلمات: "....... أن تفعل ما تكره قد يؤدي إلى ما هو خير لك، فرب العالمين هو الذي يقرر ما يجري هناك". ولكن لم يزل لديها شوق إلى شخص لا تسميه ولكنها تصفه في صورتين بأنه نبيل وبطل. وفجأة تغير الموضوع،

= الملاحظة 36) في الجزيرة العليا. ويقدم موزيل، رولة، 140 ـ 227، 246 ـ 255، 283 ـ 328، الخ... نصوصاً أفضل.

(1) انظر، رولة، 283، 284، المقطع الأخير.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) البداية عند عزاوي، ج1، 322، مع ملاحظة مضللة كما يتبين من الخاتمة. ستة أبيات منها، مع أبيات أخرى، ومنها بيتان بقراءة أفضل، مع تغيير لاسم الممدوح (سويد، ثم تبديله إلى سويط)، موجودة عند مونتانيو (الجزء العاشر، ص 97). وبعد ذلك جواب المحبوب في ثلاثة أبيات غير مأخوذة من شعر دگيس وإنما تنسب إلى شاعرة جميلة أخرى من الصليب أيضاً (عزاوي، الجزء الأول، 325). وهناك، ص 323، توجد البداية الغزلية لقصيدة ثانية لدقيش.

(*) يا الله يا عايد على كل ديره ... يرب يا منشي مزن مصادير

يا لله عسى ما تكره النفس خيره ... يا والي الدنيا عليك التدابر

وجدي على اللي حدم بيته حجيره

اللي تمناه العجاف المعايير

وليه يماجد تبتن بجبيره ... وزود على تلطيخكم بالمعايير

صلبية يا شيخ ماني نحبره ... وانتم ذبايحكم رگاب المناعير

وماجد ليارچب الجواد الظهيره ... تگطعت حيرانها والمحاليل

خيال مال مايردد نشيره ... وغاد على روس النوازي دعاثير

زين الحصان اللي گطاتة چبيره

وفكاك بالضيجات زمل الخنادير

المصدر [عشائر العراق ـ العزاوي ج1، ص 322 ـ 323.] 1939. (ماجد شبّر)

فتسمي شيخاً باسمه وتمدحه دون أن تحط من قدر نفسها قيد أنملة. وفي أبيات تبدأ أيضاً بقول مأثور يعبر صلبي عن رغبته الحارقة في أن يصبح بدوياً. إلّا أن الجواب، وهو أبيات هجائية يقولها بدوي، ينطلق من صياغة أخرى لنفس الموضوع، وكذلك القصة التي تربط المقطعين الشعريين مع بعضهما (رولة، 323 ـ 325). من المؤكد أن الأبيات الأولى، وربما أيضاً الثانية، مقتطعة من قصيدة طويلة. لكن ما هو أعمق من هذا الشعر، ليس فقط حسب رأينا وإنما أيضاً حسب رأي عرب الصحراء، شعر الشعراء المحترفين الذين يتقاضون ثمناً لقصائد المدح التي ينظمونها[1]. ويوجد بينهم بدو، وصلبيون، وبصورة استثنائية أبناء قبائل الباريا[2]. وعلى الرغم من أن هذا المدح ضعيف المستوى فإنه يلقى قبولاً لدى زعماء القبائل. وهناك مثال جميل موجود عند فيلبي، الجزء الأول، 276.

الآن سنتحدث بعض الشيء عن قصص الصلبة. "كانت القصص التي جمعناها عند صلب وادي المياه أقوى من قصص البدو الموجودين هناك لأنها متأثرة بالحكايات الأسطورية التي دخلت إلى الأدب، ومنها على سبيل المثال قصة رز، زعيم بني هلال[3]، وقصة كليب وأخيه المهلهل[4] (مونتانيو، 72). وسمع دوتي (الجزء الأول، 182) حكايات مشابهة، من بينها الأخيرة (أي كليب والمهلهل)، ولكن من البدو: وتقول هذه الحكاية إن أجداد الصلبة هم عرب

(1) رولة، 283؛ مونتانيو، 72؛ انظر فرنبيه، 68 وما يليها.

(2) مونتانيو، 72: شعراء... محترفون... في فلسطين، وفي الشامية (البادية السورية)، الهتيم. وهذا كلام مبالغ فيه أحياناً، وغير قابل للتصديق أحياناً أخرى. إذ لا يرد في أي مكان ذكر لشعراء من هتيم، لا ذكر لهم في المواد التي أطلعنا عليها عمر صالح البرغوثي (الجزء الأول، 17)، وفي "رولة" التي تضم مئات القصائد والأبيات يرد ذكر شاعر واحد فقط، وعند زيتسن، الجزء الأول، 405، يرد ذكر شاعرة منهم.

(3) الجزء الثاني، 552.

(4) من حكاية حرب البسوس التي، باستثناء الشخصيات وعداوة قديمة بين القبيلتين الشقيقتين بكر وتغلب، لا سند تاريخي لها، والتي تشكلت بأقدم صيغة لها في الربع الأول من القرن السابع استناداً إلى حرب حقيقية بين قبيلتين شقيقتين.

جساس (بكر) الذين خسروا كل ما لديهم من إبل في الحرب مع عرب كليب[1].

وقد قال له صلبي من الوجه (انظر أعلاه): "لقد كنا في الماضي بني مرة، أبناء قبيلة سالم بن الزير[2] من تل جملة الواقع على مسافة مسيرة يوم شرق المدينة"، وقال آخر: "كان عندنا في الماضي كثير من الإبل....؛ هناك موجودة قرانا، والآن أنقاض، إلى الجنوب من العلا....". فهل كانت هذه الحكايات مجرد رغبات أم معلومات للمجاملة؟

جميع القصائد الطويلة، باستثناء قصائد الحرب والفروسية، تغنّى من الشاعر أو من الذي يلقيها برفقة الربابة، وهي آلة وترية بوتر واحد معروفة من قديم الزمان[3]. وقد راحت، مثل جميع الآلات الموسيقية الأخرى، ضحية التحريم الذي فرضه دعاة الإسلام الأرثوذكسي. ولكن هذا المنع لم يطبق خارج تلك الدوائر قبل أن يجدّده الوهابيون في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في الجزيرة العربية (الجزء الثالث، 45 ـ 62). فقد اختفت الموسيقى والرقص زمناً طويلاً من الجزيرة العربية، بينما تمسك بهما الصلبّة وحافظوا عليهما، وظل الأمر كذلك إلى أن أوقفت (1929م، الجزء الثالث، 62)، لأسباب سياسية، الموجة الثانية من التعصب الوهابي (منذ 1911م). بعد ذلك عادت بقية القبائل أيضاً إلى العزف على الربابة. ومما يلفت الانتباه أن الحظر الديني تحوّل في الطبقة البدوية العليا إلى محرم اجتماعي[4].

كان بيلّي (مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، 35 [1865م]، 189) أول من

---

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) من قصة الزير، وهي فصل في رواية بني هلال.

(3) المقصود هنا ربابة البدو فقط. انظر فارمر، الموسوعة الإسلامية "رباب"، انظر الصورة عند مونتانيو مقابل الصفحة 72، وبخصوص الانتشار الضعيف للآلة في أواخر القرن التاسع عشر انظر دوتي، 2، 647، تحت "ربيبي". الأمر مختلف عند جي. جي. هسّ، 46، بعد فترة جيل كامل.

(4) ديكسون، آراب عرب الصحراء، 520.

وصف رقص الصلبة/ الصليب، وفي وقت لاحق وصف - بشيء من الشاعرية - في "رايمو إي مارتينه" (34 وما بعدها)، ثم بشكل دقيق جداً عند ديكسون (آراب، عرب الصحراء 518 - 520) الذي شاهده شخصياً في 3 يوليو/ حزيران 1934م في الكويت: قام الراقص بالسيف، وهو رجل مسن، باستعراض حلقة المشاهدين بخطوات أنيقة عدة مرات وهو يدعو الشبيبة إلى النزول معه إلى الحلبة. وفجأة اندفعت إلى الدائرة فتاة شابة، فتوجه إليها على الفور أخوها أو زوجها، عانقها وقبّلها قبلة خفيفة على ثغرها، وبنفس الاندفاع قام في وقت لاحق بإعادتها من الحلبة بأن سحب الشال ليغطي رأسها ووجهها. وفي هذه الأثناء كان شريك الفتاة قد بدأ الرقص بصيحة حرب، ثم بدأ الاثنان يتحركان، متقاربين مرة ومتباعدين مرة أخرى، ولكن وجه كل منهما دوماً باتجاه الآخر، وفي وقت لاحق جاء أزواج جدد، وفي بعض الأحيان نزل إلى الحلبة عدة أزواج دفعة واحدة. كانت البنات حافيات وحاسرات الرأس وكن يرتدين ملابس احتفالية ملونة[1] تحت الغطاء الداكن. كن يلوّحن بعصا في اليد اليمنى ويلقين برؤوسهن مع الشعر المكشوف إلى الأمام والوراء والجانبين. وكانت شفاههن مغلقة تماماً خلال الرقص[2]. وبصورة عامة سارت الأمور بطريقة محتشمة تماماً، فقط الرجل المسن، الذي هو أيضاً صاحب الحفل، كان يرقص بين حين وآخر بطريقة مسيئة بعض الشيء. وهذه الطقوس تختلف قليلاً حسب الزمان والمكان. فقد لاحظ بيلّي أن كل شاب كان يقبّل تقبيلاً خفيفاً كتفي الفتاة دون أن يمس يدها أو جسمها. وعند راينو يحاول أحد الراقصين اختلاس قبلة من شريكته؛ لكن الفتاة تقاومه فترة طويلة. وعندما يتمكن

(1) أصفر وبنفسجي وأخضر، وعند راينو يلبس الشباب والبنات ملابس حمراء وزرقاء. ونلفت الانتباه في هذا الصدد إلى الصور الملونة، ص 205 وص 241، في "بلدان وشعوب" الشرق الأدنى، الجزء الأول، 5 (1965م)، و "الرقص الدائري لنساء قبيلة بدوية" (تركمان)، و "المشتركون في حفل"، لأننا نعتقد أن ملابس الاحتفال عند الصلبة مشابهة لتلك.

(2) انظر الصورة "بنات شابات من الصليب وهن يرقصن"، مونتانيو، 98، وأيضاً "فتاتان من الهتيم بلا حجاب ومستعدتان للرقص في أحد الحفلات"، ديكسون، آراب (عرب الصحراء)، عند الصفحة 225.

من ذلك في نهاية المطاف، يجب على الفتاة مغادرة الحلبة.

كانت حفلة الرقص لا تحدث إلّا نادراً، أو في مناطق محددة فقط ـ فلم يرها دوتي ولا موزيل ـ وكانت مرتبطة عادة باحتفال يقام في كل مكان في العالم الإسلامي بمناسبة الختان[1]، وهو طقس قديم جداً لدى شعوب الشرق الأدنى وشمال إفريقيا. ولذلك يقابل رقصة الصلبة بمناسبة هذا الاحتفال رقصة مشابهة عند البدو. ويتذكر مساعد جي .جي. هسّ من قبيلة العتيبة بسذاجة وحماس هذا الاحتفال (31): "بعد ذلك تأتي الفتيات الجميلات، وهن يأتين واحدة تلو الأخرى، حاسرات الرأس، إلى وسط الرجال. ولا شيء عليهن سوى قمصانهن، وعلى رؤوسهن وأعناقهن لا يوجد أي شيء[2]. ثم يبدأن بعد ذلك بالتمايل إلى هنا وهناك وبالرقص". وعندما تترك الحلبة فتاةٌ كانت ترقص بين صفي الرجال، تأتي فتاة أخرى وتأخذ أنبوباً (قصبة؟، «زمارة») من أحد الرجال الواقفين أمامها و"تعزف به".

عند مقارنة رقص العتيبة برقص الصليب يتبين أن البنات عند العتيبة يرقصن وحدهن. كما أنه لا وجود لكورس النساء الذي يرافق عند الصلبة العرض الراقص بالزغاريد والتصفيق، بينما يسبق الرقص عند العتيبة نوع من المبارزة الغنائية. على الرغم من ذلك هناك شيء جوهري مشترك بين الرقصتين يتمثل في الرأس المكشوف والحركات الانتشائية والهراوات التي تحملها الراقصات. ونلاحظ بقايا لهذا الرقص لدى قبائل أخرى أيضاً، ومنها على سبيل المثال الرولة (موزيل، رولة، 246). ومما هو مشترك عندهم جميعاً أن الاحتفال يستمر ثلاثة ليال، وإن كانت عملية الختان ذاتها يمكن أن تحدث داخل هذه الفترة في أيام مختلفة. في اليوم الأول يوجد عند الرولة مساءً رقصٌ

---

(1) لذلك لا نستطيع تأكيد صحة اعتقاد فيلبي (الجزء الأول، 268) بأن الصلبة أخذوا هذا الطقس في وقت متأخر نسبياً، ولا قول ب .آناستازه بأن هذا لم يحدث إلّا في القرن التاسع عشر، انظر ص 178.

(2) هذا شيء ملفت للانتباه؛ إذ إن أقدم وأحدث صيغة للغطاء ترمي إلى حماية شعر المرأة وعنقها من الشياطين؛ قارن أيضاً الكورنتر الأول، 10.

تقوم خلاله امرأة محجبة تحمل سيفاً بمقاومة مجموعة من الشباب يشكّلون نصف دائرة أمام الخيمة التي يحدث فيها الختان بعد ثلاثة أيام[1].

كما أن "لوحة الإعلان" التي يعلقها الصلبة في هذا الاحتفال، وهي صليب مثبت فوق عمود الخيمة يتدلى منه نصف عباءة امرأة أو مزيّن بهذه العباءة، لها ما يقابلها عند العتيبة. عند هؤلاء تُلف قطعة قماش حمراء من سرج الجمل حول عصا ثم تربط العصا (عرضانياً) على العمود الوسطاني الأمامي للخيمة، بينما عند الرولة تقوم فتيات المخيم بتزيين العمود الرئيسي للخيمة بريش النعام والأشرطة وقطع القماش الحمراء. ونحن نعتقد أن هذه العادات، التي تغيّرت قليلاً أو كثيراً مع مرور الزمن، تعود إلى العصور القديمة وكان لها في الماضي أهمية دينية لم تعد واضحة الآن. ولقد حافظ الرقص عند الصليب على أشكال أقدم[2] لأن المرأة هناك أكثر حرية منها عند البدو.

إن النساء عند الصلبة غير معزولات عن الرجال كما هو الحال في المجتمعات الإسلامية الأخرى (بصرف النظر عن التطورات الاجتماعية الحديثة). وهن لا يرتدين الحجاب. وهذا ما يفعله أيضاً نساء كثير من البدو خارج الجزيرة العربية، أي خارج المجال الوهابي، وخارج شبه جزيرة سيناء حيث النفوذ الديني المصري له تأثيره. فيما يتعلق بالمهر وعقد الزواج وحلّه "لا يختلف الصليب عن كثير من القبائل البدوية". إلّا أن أبا الفتاة لا يستطيع عندهم إجبارها على الزواج من رجل لا تريده[3]، الأمر الذي هو (أي الإجبار) في الإسلام قانون

(1) بخصوص الرقص في العيدين الإسلاميين (الفطر والأضحى) انظر ديكسون، آراب عرب الصحراء، 222 ـ 231.

(2) نلاحظ أن الأشكال المختلفة لرقصة الفلامنكو جيتانو (إسبانيا) تتضمن ثلاثة عناصر من رقص الصلبة، وإن كانت هذه العناصر محسنة ومقوى تأثيرها بفضل المهارات الفنية للغجريات في مجال الرقص الإيقاعي الفردي، وهي: تصفيق "الكورس" لإعطاء الإيقاع، والرقص على كامل القدم، والشعر المكشوف للراقصة. (راقبناه في 2 مايو/أيار 1966 في التلفزيون الألماني ـ القناة الأولى ـ محطة غرب ألمانيا، الساعة التاسعة مساء). وهذا يعني أن عناصر رقصات قديمة جداً حوفظ عليها ليس في الجزيرة العربية فقط.

(3) مثل الاقتباس السابق، عزاوي، الجزء الأول، 322. وهذا موجود أيضاً خلف بيلّي، 190.

نافذ[*]. وعن أخلاق النساء قبل الزواج وبعده يوجد آراء مختلفة[1]: "المرأة مرتبطة بزوجها ارتباطاً وثيقاً، وهي ترحل معه إلى حيث يرحل، وتساعده على حمل أعباء الحياة" (عزاوي، 314). ولذلك هناك ميل إلى الزواج من امرأة واحدة[2]. قد يحدث أن تقوم الفتاة الجميلات باللعب بعقول الشباب الغرباء. ولكن مثل هذه العلاقات وضعت عليها قيود لا يجوز خرقها؛ إذ ليس الزواج وحسب من امرأة صلبية، وإنما أيضاً أي علاقة جنسية معها، أمراً مستنكراً ومكروهاً. وإذا ما حدثت رغم ذلك علاقات غرامية، يضطر الشباب العاشقون إلى الهروب من قبيلتهم. أما إذا كان العاشق رجلاً مهماً فلا يمكن القيام بأي شيء. لكن الشيخ مرشد بن طوالة (أنظر الجزء الثالث، 85، شمر 4 أ) يروي القصة التالية[3]: قضى عبد العزيز بن رشيد (1897م ـ 1906م)، أمير حايل وزعيم شمر، عدة ساعات عند صلبية جميلة (وهو لم يتزوجها وإنما نام معها بطريقة مخطئة مخالفة للشرع)[4]. دون أن يعلم أحد بذلك حسب اعتقاده. ولكن الخبر انتشر رغم كل الحذر. وماذا كانت النتيجة؟ تخلى عنه ابن شريم (نفس المصدر، 48 . . . . . ب) مع جميع رجاله، ورحل ابن طوالة إلى

(*) إن فرض الزواج على المرأة ليس قانوناً أو تشريعاً إسلامياً بل هو وضع اجتماعي قائم في قسم كبير من العالم الإسلامي. وقد أخذ يتلاشى في الوقت الحاضر، حيث ارتفع مستوى التعليم ودخول المرأة مجالات عمل لم تكن تستطيع الدخول إليها سابقاً. (ماجد شبّر)

(1) الخبر الذي يذكره دوتي (2، 209 وما يليها): "قائمة الزوج المخدوع"، هو قصة متنقلة. لذلك لا يمكن أن نستنتج منها شيئاً عن عادات الصليب. وقد حاول بعض الأوروبيين الافتراء على الصليب وتشويه سمعتهم. ففي كتاب كورتيز "الديانة السامية القديمة" تشوه الحقائق بصورة مؤذية. والرجل المازح الذي يظهر عند لاندبرغ، دراسات، الجزء الثاني، 2، 917، هو للتسلية السماعية لا أكثر.

(2) هذا ما نفهمه من الجملة التي يذكرها لاندبرغ، نفس المصدر السابق، 813، نقلاً عن مصدر من عُنَيْزة حول الزواج من امرأة واحدة مع مراعاة الظروف.

(3) ديكسون، آراب عرب الصحراء، 517، 602.

(4) يقول المتحدث قبل ذلك إن قبيلته ستقتله إذا ما تزوج فتاة من قبيلة باريا. وهذا التجاور بين المعتقد الاجتماعي البدائي والشعور الديني الاجتماعي يثير الاستغراب.

العراق، ثم تبعه عقاب بن عجل ولم يعد أبداً[1].

وعن دين الصليب وجد دوتي كلمة صحيحة مذكورة أعلاه. ونحن نضيف إلى ذلك أن عزلهم عن المجتمع البدوي فصلهم أيضاً عن الجماعة الإسلامية. إذ إن هذا المجتمع الديني يتجلى في صلاة الجماعة وأداء طقوسها المشتركة (على الرغم من أن الصلاة الفردية مقبولة أيضاً)[2]. وإذا ما كان البدو لا يجتمعون لإقامة الصلاة إلّا تحت ضغط سياسي أو اجتماعي، فإن الصليب لا يفعلون ذلك إطلاقاً لأن مثل هذه الدوافع غير موجودة عندهم.

لا يمكن الحكم على أخلاق الصليب إلّا من زاوية الجماعة المضطهدة والفقيرة. وإذا ما استعدنا إلى الذاكرة ما حدث عندنا بعد وقف إطلاق النار، فإن سلوك الصليب لن يكون الأسوأ بأي حال؛ إذ إن ما يتهمون به هو التسول تجاه البدو[3]، والتزلف تجاه الأوروبيين، منذ أن أصبح لهم نفوذ في الجزيرة العربية والمناطق المجاورة لها. ولكن لا هذه المخالفات الأخلاقية ولا انتهاك التعاليم الإلهية مؤهلة لتفسير الحكم المسبق الذي يضع الصلبة على أدنى درجة في السلّم الاجتماعي، وذلك لأن القيام بذلك الفعل أو تركه يشترط هذا الإذلال.

وينطبق الشيء نفسه على ما تبقى من سلوك الصلبة. فعند طردهم من المجتمع البدوي مع ما فيه من واجبات الحماية والدفاع، اختاروا مجالاً لكسب الرزق لا يمكن تكوين ثروة من ورائه يمكن أن تثير جشع البدو، ألّا وهو الصيد. ولكنهم لم يكونوا يصطادون بواسطة الكلاب ولا بواسطة العقبان لأن هذا الصيد وقف على السادة. ولأسباب مشابهة اختاروا الحمار حيواناً للنقل والركوب. وبما أنهم كانوا غير محترمين في كل الأحوال كان في وسعهم تقليد حرفة الحدادة. أما دخولهم

(1) على الرغم من أن هذا الحدث مشهود على صحته في الجزء الأول، 256: شمر ب ـ 3، ملاحظة رقم 28، فإنه من غير المعقول أن تكون هذه المخالفة وحدها هي التي جعلت القبائل تتخلى عن أميرها فترة طويلة أو على الدوام.

(2) أي ليس كما هو الحال في صلاة الصبح اليهودية التي لا تكون مقبولة إلّا إذا شارك فيها عدد معين من الأشخاص، منيان، أي 10 على الأقل.

(3) غلوب (14 ب) يتحدث عن الخضوع المخجل الذي يتزلفون به للبدو الذين يقابلونهم بفظاظة فظيعة.

إلى المجال الخاص بالبدو منذ الأزل، ألّا وهو الشعر، فلا يمكن تفسيره بكون روحهم حيوية ومنفتحة وحده، وإنما فقط بمساعدة ظاهرة معروفة في علم الاجتماع وهي الأقلية المضطهدة تتعلم شيئاً فشيئاً حرفة أو فناً عندما يتراجع الميل إلى ممارستها عند الأكثرية السائدة[1]. ولكن عندما تتقدم مهارة أطبائهم ومهارات نسائهم الحكيمات على مهارات أساتذتهم البدو فإن السبب في ذلك يعود إلى غرابتها. هنا يتحول الاشمئزاز إلى تخوّف.

ولكن ما سبب العيب الذي لا يمحى الذي يستند إليه هذا التفسير لسلوك الصلبة؟ عدم التقيد بالتحريم القرآني لأكل لحم الحيوانات الميتة[2]. ولكن ليس عدم التسامح تجاه انتهاك محرم قرآني[*] وحده هو الذي يجعل هذا العيب لا يمحى، وإنما التقاؤه مع معتقد بدائي عميق الجذور[3]. بالإضافة إلى الأمثلة المذكورة أعلاه نذكرها مثالاً آخر: "إننا نأكل لحم الغنم والإبل الميتة، وإلّا كيف سنحصل على

---

(1) دوستال، 21.

(2) مثال هام، آرابيا دزرتا الصحراء العربية، 36.

(*) سورة البقرة، الآية: 168، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾. سورة البقرة، الآية: 173، ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.
سورة المائدة، الآية: 4، ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.
سورة المائدة، الآية: 5، ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.
سورة الأنعام، الآيات: 139، 140، 145، 146.
سورة النحل، الآيتان: 115، 116. (ماجد شبّر).

(3) يعود هذا المعتقد، حسب الموسوعة الإسلامية "ميتة"، إلى ما قبل الإسلام، في مكة على الأقل؛ وهو مرتبط بتحريم أكل الدم الذي كان منتشراً على نطاق واسع في الشرق القديم والذي يرد في الآيات القرآنية ذات الصلة، 2، 168/ 173؛ 5، 4/ 3؛ 6، 140/ 139، 146/ 145؛ 16، 116/ 115. باستثناء الأولى منها، إلى جانب محرمات الأكل الأخرى. كما أن البدو أقسى من القرآن نفسه؛ إذ إن القرآن يسمح بأكل الميتة عند الضرورة مع بعض التحفظات.

اللحم في الشتاء؟»[1]. ولكننا لا نريد من وراء ذلك الزعم بأن الوقوع في هذه الخطيئة أو خرق هذا المحرم، كان السبب الأساسي الأول للتحفظ مع الصلبة.

قبل أن نتمكن من طرح هذا السؤال، ينبغي حل مشكلة أخرى: هل الصلبة غرباء أم من سكان الجزيرة العربية الأصليين؟ يقول ديكسون (آراب عرب الصحراء، 516) «بناء على تقاطيع وجههم فهم قطعاً غير عرب»، ويقول فيلبي (الجزء الأول، 128) «عرق قائم بحد ذاته اندمجوا مع العرب بحكم المجاورة». أما موزيل فلا يقول أي شيء. وأما دوتي (1، 283) فيقول في حديث مع جماعة من البدو: «أعتقد أنهم بقية من عرب قدماء غير معروفين». يختلفون عن البدو بعيونهم الزرقاء وشعرهم الأصفر. (ب أنا ستازه سانت إيلي عز ف. بيسبر، صليب، في E1؛ «إن بعض أفرادهم (الضفير) شقر وعيونهم زرقاء مثل الصلبة» (غ وتش 79).

وبالفعل فإن الصلبي الموجودة صورته في صفحة 5 أعلاه يختلف شكله عن البدوي (على الرغم من أن البدو لهم تقاطيع وجه مختلفة جداً. لا شك في أن هيئة الصلبة بالشكل التي يظهر عليه في صورتنا وفي صور أخرى[2]، تشكلت نتيجة التزاوج على مدى مئات السنين ضمن عدد من الناس قليل نسبياً. وهذه العملية تفترض طبعاً أن يكون واحد من أجدادهم على الأقل ينتمي إلى ذلك النوع من البشر.

أما علماء الأجناس فغير متفقين حول تصنيف الصلبة أنتروبولوجياً. حسب جي .إس. كون يمثلون بأنقى وجه نموذج الإنسان المتوسطي في شمال الجزيرة العربية. لكن هنري فيلد يعتبرهم النموذج المتوسطي الأولي الذي عاش أصحابه

---

(1) دوتي، 2، 277: في منازل العرب، وهذا يعني في الشتاء.

(2) عبود الحصيلي، ص 189، الملاحظة 2 يتسم بملامح مشابهة، ولكن هذا لا ينطبق على فرج ابن شديد، عزاوي، الجزء الأول، 297، 312. غنيم بن حمدان ينتمي إلى آل جميل، جدول الصليب/ الصلبة 8. التقطت في صيف 1950م في نصاب على القمة الغربية للمنطقة المحايدة من قبل وليام إي .موليغان الذي أتوجه له بالشكر هنا أيضاً.

في جنوب غرب آسيا آلاف السنين قبل صعود التاريخ في بلاد الهلال الخصيب[1].

ويعتقد علماء الإتنولوجيا أن الصلبة واصلوا طريقة حياة الصيادين (والملتقطين) التي كانت سائدة قبل التاريخ وكانوا في الجزيرة العربية قبل الشعوب التي تتكلم اللغات السامية أو إلى جانبهم[2]. ومن المؤكد أن مثل هؤلاء الناس كانوا هناك فعلاً؛ إذ إنهم خلفوا صوراً على الصخور وأدوات في كلوة[3] في الطبيق على سبيل المثال. ولكن إذا ما كان الأمر كذلك فكيف اجتازوا آلاف السنين ومروا عبر حضارات الجزيرة العربية المختلفة ووصلوا إلى عتبة العصر الحاضر دون أن يفقدوا هويتهم المدنية ودون أن يلاحظهم الشعراء العرب القدامى الذين كان الصيد من الموضوعات المحببة التي يتناولونها في قصائدهم؟ لنترك إذن المحاولة الرامية إلى الربط بين ظاهرة من العصر الحديث وظاهرة من العصر القديم راقدة الآن، ونلتفت إلى خبرين تاريخيين يبدو أنهما لم ينالا حتى الآن حقهما من الاهتمام.

الخبر الأحدث موجود عند روسو، رحلة، 112، ويعود إلى نوفمبر/تشرين الثاني 1808م نقلاً عن رجل من العقيل[4]، الذين كانوا يرافقون القافلة، التي سافر معها من بغداد إلى حلب (انظر الجزء الثالث، 320 ـ 321). . . .غزلان. . .

---

(1) سي .إس .كون، أعراق أوروبا، نيويورك 1939م، 1948م، 411؛ هـ .فيلد، عرب وسط العراق، 458؛ أنتروبولوجيا العراق، الجزء الثاني، 1، 33: متوسطي، 34: حسب رأيي الشخصي متوسطي أولي. (ضمن فكرة أنتولوجية عامة عن الصلبة، 29 ـ 36).

(2) حسب وجهة نظر أقدم هم بالمعنى الحقيقي بقايا سكان قدماء في الجزيرة العربية قبل مجيء الساميين إليها، كريستيان عند هنينغر، قبائل الباريا، 513. هنينغر نفسه أكثر حذراً، قبائل الباريا، 3.

(3) كاروترز 67؛ هـ .بوسّرت، سورية القديمة، توبنغن، 1951م، الصور 1922م ـ 1928م، وفيما عدا ذلك هنري فيلد، Early Man in North Arabia الإنسان البدائي في شمال الجزيرة، نيويورك، التاريخ الطبيعي، 29 (1929م)، 33 ـ 44.

(4) انظر تحت بني خضير أدناه.

"وخاصة الصليب كانوا يصطادونها بالجملة؛ لأنهم يتغذون من لحمها ويصنعون ملابسهم من جلودها. وهؤلاء الصليب هم غير محترمين ولا يتعاملون معهم أبداً. وهم قصار القامة، هزيلون، بنيتهم سيئة، ومنظرهم متوحش تماماً. سلاحهم بندقية بدائية؛ وهم يسكنون في ثنايا الصحراء بعيداً عن كل حياة بشرية. وهم العرب الوحيدون الذين يجد المرء عندهم حميراً[1]، وليس لديهم أي حيوانات أخرى ولا يملكون ماعزاً ولا غنماً. في يوم من الأيام كان هذا الشعب كثير العدد ولكن قبل بضعة أعوام قرر الوهابيون، الغاضبون من كونهم أخذوا لنفسهم الحق بتوزيع الصحراء فيما بين عائلاتهم، القضاء عليهم جميعاً، ولم يبق منهم اليوم سوى بقايا مشتتة لا تخيف أحداً". لكن هذه المجزرة لا ذكر لها في تاريخ الوهابيين ولا في المراجع ذات الصلة. كما أن تعليل الإجراء الوهابي يبدو غريباً. صحيح أن موزيل أيضاً (آرابيا دزرتا الصحراء العربية، 216) يذكر أن الصليب يملكون في البادية بعض الأراضي، ولكن هذه الملكية لها بالنسبة لهم فقط أهمية قانونية. رغم ذلك من الممكن أن يكون عدد كبير من الصلبة قد قتلوا على يد البدو المتعصبين ولكن ليس بأمر من الحكومة وإنما بمبادرة ذاتية. إلّا أن التعليل لا يتفق مع افتراض القيام بالعملية دون تكليف ضد الكفار ـ لأن الصلبة كانوا بالطبع كفاراً بالنسبة للوهابيين[2] ـ ولا مع كون الهجوم عليهم قد تمّ بأمر.

أما الخبر الأحدث فيحتاج فهمه إلى بعض التحضير. يقول موزيل في آرابيا دزرتا الصحراء العربية (231): "هم أنفسهم يسمون أنفسهم أولاد صليبي (أو أولاد غانم")". لكن أولاد صليبي تعني أحفاد الصليبيين. ثم يجب أن نلاحظ أيضاً أن أسماء العائلات والقبائل عند نصف البدو أو البدو المستقرين في "الهلال الخصيب" تبدأ غالباً، بدلاً من ابن، بني (بنو)، أو ولد، أولاد، بأبو، وأن

(1) ولكن انظر الصفحة أعلاه.

(2) بسبب رقصهم غير المحتشم وموسيقاهم. وتجدر الإشارة إلى أن أغاني الحرب ورقص الرجال بالسيف لم يكن محرماً.

"أبو" تعني أيضاً مثل "بني" أو "ولد": أبناء أو أحفاد أو خلف[1]. وأخيراً يجب أن نعلم أن الأسماء التي تنتهي بالحرف ـة (التاء المربوطة) تعبر في سورية عن صيغة المؤنث ولكنها تظهر في الجزيرة العربية في اللهجة الدارجة بالنهاية ي (ياء)، على سبيل المثال في اسم المكان «زلفي»[2]. ومن أجل تفادي مثل هذه المخالفات لقواعد اللغة العربية الفصحى، تمّ في بعض الأحيان "تصحيح" بعض الصيغ بطريقة خاطئة[3]. بناء على ذلك سيكون "أبو صليبة" مساوياً لـ "أولاد صليبي" المذكور أعلاه. لكن كارستن نيبور سجل الصلبة عام 1765م في البصرة وعام 1766م في حلب بالصيغة الأولى. وقد ذكرهم بين قبائل الصحراء التابعة لحكومة الشام (دمشق) وعدّهم بين قبائل جبل حوران وسهول ما قبل حوران. وكتب بعد ذلك: "يذكر أن قبيلة أبو صليبة تتألف جميعها من المسيحيين"[4].

أي إن فرضية انحدار الصليب من الصليبيين لم تكن المجلة الباريسية «لو روزييه دي ماري»، 1864م، أول من تبناها[5]، وإنما كان قد طرحها قبل ذلك بمائة عام على الأقل، إذا ما صحّ التعبير، الصليب أنفسهم. إذ إن الصليب/ الصلبة وإن كانوا ليس لديهم تصور محدد عن الصليبيين والحملات الصليبية، فلا شك في أنهم كانوا يعرفون أن هذا الاسم يحسن سمعتهم عند المسيحيين. ولكن هذه المعرفة ما كانت لتفيدهم في شيء في القرن الثامن عشر أو السابع عشر لأنه في ذلك الوقت

---

(1) نشير بهذا الخصوص إلى قبائل جنوب فلسطين، حيث يوجد في الجزء الثاني، 163 ـ 195 أمثلة كثيرة بشكل خاص. وهناك أمثلة منفردة في أماكن متفرقة، على سبيل المثال "أبو سبيع"، الجزء الأول، 427. وتجدر الإشارة إلى أن نيبور، وصف رحلة، 393 يذكر "أبو شعبان" بدلاً من "البوشعبان" عندنا، الجزء الأول، 315.

(2) بدلاً من زلفة، ياقوت، 2، 939، 955.

(3) ظاهرة موجودة في جميع اللغات التي يوجد فيها لغة فصحى مقابل "العامية".

(4) نيبور، آرابيين، 195 وما يليها. ويضيف المؤلف قائلاً: لعلها قد تكون إذن في الأصل من قبيلة غسان (انظر الجزء الأول، 413) التي كانت تعرف كثيراً من علوم عصرها.

(5) الموسوعة الإسلامية، تحت: صليب.

لم يكن للمسيحيين الأوروبيين ولا للمسيحيين الشرقيين أي نفوذ في بلاد العرب. علينا إذن الذهاب أبعد إلى الوراء.

غير أنه لم تزل هناك إمكانية أخرى، ألا وهي: إن أولاد صليبي هو تفسير لاسم صلبة، صليب، من جانب سكان المدن المسلمين الذين كانوا (ومازالوا) يتمتعون بالتلاعب بأصول الكلمات. أما الصلبة فقد أعجبهم الاسم وصاروا يحملونه إلى جانب اسمهم المعتاد. إلّا أن أبناء المدن لا يمكن أن يكونوا شكلوا الاسم "أولاد صليبي" وإنما فقط الاسم "بني صليبي" بحيث إن هذا التغيير يجب أن يكون من صنع الصلبة أنفسهم. ونحن نترك للقارئ الحرية الكاملة في تفضيل هذه الفرضية على الفرضية الثانية المذكور في ص184 وما بعدها من هذا الجزء.

عندما احتل البرتغاليون في عام 1507م مرفأ هرمز المهم للتجارة الدولية والواقع في جزيرة عند مخرج الخليج العربي، وأصبح ملك هرمز خاضعاً للبرتغاليين، أوقف أمير بني جَبْر، الذي كان يحكم في الأحساء، دفع الرسوم التي كان مديناً بها لملك هرمز لقاء ميناء القطيف، أكبر ميناء في شرقي الجزيرة العربية، وجزر البحرين، المركز الرئيسي لصيد اللؤلؤ. نتيجة لذلك أصبح ملك هرمز يتأخر بدوره عن دفع ضرائبه للبرتغاليين. وفي النهاية تولى البرتغاليون بأنفسهم القضية ونزلوا، بعد محاولة فاشلة، في يوليو/ تموز 1521م في البحرين. وفي المعركة، التي كان الأمير قد استعد لها في الجزيرة، أصيب بجروح بالغة توفي على أثرها بعد وقت قصير. وهكذا عادت البحرين والقطيف إلى سلطة هرمز أي إنهما عادتا إلى السيادة البرتغالية[1]. ترك البرتغاليون في البحرين حامية صغيرة. وعلى الرغم من قيام عدة ثورات ضد الغرباء في هرمز والبحرين ومستعمرات أخرى، لم تتغير هذه الظروف إلى أن احتل الأتراك العثمانيون، الذين استولوا عام 1536م على العراق

(1) بشأن الجغرافيا انظر الجزء الثالث، 5، بخصوص التاريخ انظر نفس المصدر، ص 20، 132 وما بعدها، كاسكل، حكم "غير معروف" في الجزيرة العربية، أورينس، 2 (1949م)، 66 وما بعدها، انظر أيضاً "اسكتيش واحة القطيف" في كتاب ديكسون، آرابس، في الملحق، وكذلك الموسوعة الإسلامية، تحت: القطيف.

لكنهم تركوا البصرة في يد حاكم محلي خاضع لهم، عام 1550م هذه المدينة (أي البصرة) والقطيف[1]. "العرب (وليس الأمير) سلموا قلعتهم للأتراك". لكن البرتغاليين هبوا لمساعدة الأمير وطردوا الأتراك من القطيف؛ ثم هدموا القلعة[2]. وفي عام 1591م احتل الأتراك القطيف والأحساء، وفي عام 1602م احتل الفرس البحرين.

بين عام 1521م و1591م كان احتكاك الصليب بالبرتغاليين ممكناً[3]، وكذلك ظهور الشعار "أولاد صليبي"[4] ولكن تحت شرط واحد وهو أن يكون الصلبة موجودين آنذاك في مجال واحتي القطيف والأحساء. وبالفعل فإن شرقي الجزيرة العربية يعتبر في كل الأحوال موطن الصليب. ونحن نستند في ذلك أولاً إلى شاهد هو موزيل الذي يقول في (آرابيا دزرتا، 233): إنه لمن المهم أن الصليب يعتبرون الحسا المنطقة التي خرج منها كثير من أبناء قبيلتهم. وعن هذا المنشأ يمكن ذكر بعض الأشياء الأخرى، على سبيل المثال: خطوط الترحال التي تنطلق من هناك على شكل مروحة إلى مناطق تنقلهم[5] (قبل عام 1914م). ثم ما يلي: يطلق على معظم وحدات الصلبة اسم لا يبدأ بالأداة ألـ أو بـ "البو" وإنما بـ آل. وبينما لا وجود إطلاقاً لـ "آل" عند قبائل غربي الجزيرة العربية أو القبائل القادمة من هناك (حرب، مطير، عتيبة)، ولا تظهر إلّا نادراً عند شمر (نجد) وضفير، فإنها تتكرر كثيراً في شرقي الجزيرة العربية عند بني خالد وأسلافهم في

(1) ثم احتلوا في وقت لاحق البحرين لكنهم تخلوا عنها عام 1553م لصالح البرتغاليين.

(2) ويلسون، الخليج «العربي» الفارسي، 123 ـ 126، 140، وأيضاً فيما يتعلق بالسابق واللاحق.

(3) تجدر الإشارة إلى أنه كانت هناك حركة سفن دائمة بين القطيف والبحرين لأن الواحة كانت تنتج كثيراً من الخضار والفواكه. وكانت الصادرات الأخرى تتألف بصورة رئيسية من الخيول الأصيلة.

(4) لا سيما أن البرتغاليين كانوا يعتبرون أنفسهم صليبيين، انظر د .كونتسكه.

(5) غلوب، 14 آ، له رأي مشابه يذكر تأييداً له غياب الصليب كلياً من غربي وادي سرحان، وحسب اعتقاده، من الحجاز وغربي الجزيرة العربية.

العصور الوسطى آل عامر[1] (الجزء الثالث، 197 وما بعدها، 193). ثم: إذا ما كان هناك، من بين التفاسير المتعددة للأسماء صليَب، صليبّي، صلبّة، صلبَي، تفسير يستحق الاهتمام فهو ذلك التفسير الذي يشتق الاسم من جبل صُلَيْب (= صليب)؛ إذ إنه كان شائعاً في العصر العربي القديم استعمال أسماء الأماكن كأسماء للأشخاص. فهناك رجل من قبيلة كلاب كان يسمى جمران[2] باسم جبل في منطقة القبيلة[3]، وكانت أم الفرزدق، وهو شاعر مشهور (توفي في حوالي 114هـ/ 732م ـ 733م)، تسمى لينا[4] باسم بئر لم تزل تحمل هذا الاسم حتى اليوم[5]. وينطبق الشيء نفسه على الوقت الحاضر: زوجة النوري ابن شعلان سمت ابنها "خفاجي"[6]، باسم قصر الخفاجي وهو الاسم الذي يطلقه الرولة على أنقاض قصر الأخيضر (انظر، ف .كاسكل، الأخيضر، مجلة الإسلام، 39 [1964م]، 28 ـ 37). ويعود السبب في ذلك إلى أن الطفل ولد في ذلك المكان. ولكن هناك جبلان اسمهما صليب في شرقي الجزيرة العربية: يقع الأول على خليج الكويت، ويقع الآخر على الطريق من لحسا إلى يمامة[7] في الصمان.

إذا ما اشتققنا الاسم من هذا الجبل فإن هذا يتناسب بشكل أفضل مع ما يلي: إذا ما عدنا قليلاً إلى الوراء إلى الهتيم وقرأنا الصفحتين الأوليتين، فإننا نجدهم في منطقة الأحساء. وبعد ذلك نجد أعلاه بخصوص خرق المحظور، أو بالأحرى

(1) لا يجوز أن نذكر هنا مُرّة، وعجمان، وبني هاجر لأنهم جاؤوا إلى شرقي الجزيرة العربية في وقت متأخر.

(2) جمهرة، 2، فهرس.

(3) انظر، تيلو.

(4) نقائض، 3، الفهرس.

(5) انظر، تيلو.

(6) موزيل، رولة، 243 وما يليها.

(7) انظر الجزء الثالث، 18 وما يليها. بخصوص الجبل الأول انظر ياقوت، وبخصوص الجبل الثاني، همداني، 138، 8.

انتهاك المحرم، "كيف استطاع الهتيم التخلص من هذا العيب[1] ـ الذي لم يعد يذكر منذ القرن الثالث عشر ـ (وإن كانوا لم يستطيعوا التخلص من آثاره)؟ الجواب: لأنهم استطاعوا نقل هذا العبء إلى كاهل جماعة كانت أدنى منهم في السلم الاجتماعي، ألا وهي: الصلبة". ولكن هذا ليس سوى طريقة في التعبير لا أكثر. من أجل فهم الأمر بشكل أفضل نشير إلى ظاهرة اجتماعية في ألمانيا: قبل الحرب العالمية الأولى كان الانتماء إلى الحركة الاشتراكية الديموقراطية مكروهاً في الأوساط البورجوازية والفلاحية، وبعد الحرب العالمية الأولى انتقل هذا الحكم المسبق شيئاً فشيئاً إلى الشيوعيين ولم يزل ملتصقاً بهم حتى الآن.

في كتاب هنري فيلد: Contributions to the Anthropology of Iran نقرأ في الصفحة 338 وما يليها: عند مقارنة اللوحات نرى أن مقاييس الجمجمة لليزدي خست (يزد خواست) قريبة جداً من المعدل الوسطي النظري لنموذج الإنسان المتوسطي الأولي الذي وجدته في العراق متمثلاً بـ "الصلوبة" (صليب). وهذا لا يعني أن هذا المقياس يقتصر في إيران على سكان تلك البلدة الواقعة بين شيراز وأصفهان؛ فلهذا الغرض كان عدد الأماكن التي زارها فيلد قليل جداً. وعلى أي حال يبدو من الممكن جداً أن نفترض وجود علاقات بين أهالي يزدي خست (أو مناطق أخرى في جنوب إيران) والصليب، ليس فقط في العصر القديم وإنما في عصر أحدث جداً، وبالتحديد في الفترة الواقعة بين نهاية القرن الثالث عشر ونهاية القرن الخامس عشر. وباختصار نحن نرى أن أسلاف الصليب (في شرقي الجزيرة العربية) قد فروا في هذه الفترة من إيران إلى القطيف ـ لحسا. من الناحية المبدئية تكفي الحروب الدائمة بين الأمراء المحليين الفرس لتفسير حدوث هجرة. ولكنها لا تكفي لتفسير هجرة جماعة من أسلاف الباريا المنبوذين. ولكن إذا ما ألقينا نظرة على تاريخ الإسلام في فارس، نلاحظ أن هذه البلاد كانت بؤرة خصبة لنشوء طوائف دينية غريبة، بعضها لا يمكن اعتباره إسلامياً، ومنها على سبيل المثال: الحروفي وخاصة أهل الحق (انظر الموسوعة الإسلامية تحت الكلمة المناسبة

---

(1) وفن الاقتصاد على حوي الحمير فقط.

والموسوعة الإسلامية المجلد الملحق). ولذلك فمن الممكن أن يكون الصليب قد اضطروا إلى الهجرة من وطنهم بسبب الهرطقة. وإذا ما كانوا قد سعوا إلى إيجاد ملجأ في منطقة الواحتين المذكورتين الواقعتين في شرقي الجزيرة العربية فإن السبب في ذلك يعود إلى أملهم في التمكن هناك من الاتصال بالطائفة الإسماعيلية (القرمطية) البحارنة[1] لأن هذه الطائفة أيضاً ابتعدت كثيراً عن إسلام الشيعة الاثني عشرية[2]. ولكن هؤلاء رفضوهم رغم ذلك. إلى هنا تنتهي الفرضية التكميلية التي أردنا طرحها. ولقد تحدثنا للتو عن صليب شرقي الجزيرة العربية لأننا نرى أنه من الممكن ألا يكون جميع أعضاء الجماعة منحدرين من أصل واحد. وقد ذكرنا في الصفحة 209، الملاحظة 1 أعلاه، أنه يوجد صليب لا ينطبق عليهم النموذج الموصوف أعلاه.

نحن نتصور هؤلاء المهاجرين كعدد قليل من الأشخاص أطلق على طفل من ذريتهم للسبب المذكور أعلاه اسم صليب. ثم اتخذوا بعد ذلك شيئاً فشيئاً الصفات والعادات التي يتميزون بها: الصيد (لم يكن آنذاك قد أصبح من عاداتهم بعد) من صيادين ما، والرقص من البدو وهم الوحيدون الذين حافظوا على صيغته القديمة وطوروها، والملابس الخاصة من سكان السهوب في البادية السورية ـ العراقية (حيث يوجد شواهد عليها منذ قديم الزمان)، بقدر ما هاجر صليب إلى هناك.

على الرغم من شاكر المارديني قال صراحة إن الصلبة لا ينتظمون في قبائل وأفخاذ كالبدو، ولا يخضعون لشيخ أو شيخ مشايخ، فإننا نلاحظ بعض البدايات لمثل هذا التنظيم. فالاسم أولاد غانم، الذي يطلقه الصلبة على أنفسهم (آرابيا

---

(1) نسبة إلى البحرين التي كانت في السابق تعني بالمعنى الضيق ناحية لحسا، وبالمعنى الواسع القطيف أيضاً، والبحارنة هم السكان الشيعة الإسماعيليون لهاتين الناحيتين(*).

(*) المحاولات المتكرّرة التي قام بها في القرن الثامن عشر زعيم إسماعيليي نجران المولع بالحرب بهدف الوصول إلى المناطق الساحلية في شرق الجزيرة العربية لا تشترط وجود جماعات إسماعيلية في واحتي القطيف والأحساء الواقعتين هناك (الإسماعيليون المذكورون في الجزء الثالث ص49 ـ 52 ـ و209 ـ 212). (كاسكل).

(2) الجزء الثالث، ص 34 وما بعدها.

دزرتا الصحراء العربية، 231)، هو بحد ذاته جزء من هذا التنظيم. وبالفعل فإن آب بناق(6) يعيدون أصلهم صراحة إلى أولاد غانم وكذلك آل ماجد (1) وجزء من آل هزيم(13)[1]. علاوة على ذلك فإن وجود صيحات حرب عندهم أمر يثير الانتباه لأن الصلبة لا يحاربون. بالمقابل يزعم كثير من جماعاتهم أنهم ينحدرون من البدو؛ ولكلتا الفرضيتين يوجد أمثلة عند عزاوي، الجزء الأول، 315 وما بعدها. وهناك تطور حديث يتمثل في الطريقة التي يتبعها ديكسون، عرب الصحراء آراب، 516، وهو أنه يذكر وحدات الصليب دوماً مرتبطة بقبائل بدوية، فيقول: صلبة المطير، صلبة شمر، صلبة العمارات، صلبة رولة.

أدى النهوض القومي العربي الذي انتشر خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها إلى تراجع الحكم المسبق ضد الصليب وخاصة عند الفئات المُشغلة. ويعود فضل كبير في ذلك إلى صديقي عباس العزاوي الذي عرض موقفه من هذه المسألة في الجزء الأول من كتابه "عشائر العراق" (1937). وفي الخمسينيات حاولت حكومة الكويت إنهاء عزلة الباريا عن طريق توظيف الصلبة في الجيش والشرطة وقبولهم في الكشافة المدعومة من الدولة[2]. ومنذ الحرب العالمية الثانية استوطن صلبة أمام الكويت، وآخرون قرب زبير[3] جنوب البصرة. وتقع تلك المستوطنة قرب طريق الكويت ـ جهرا[4]، على بعد 15 كيلو متراً تقريباً من المدينة. وهي تتألف من 280 كوخاً أو خيمة ويبلغ عدد سكانها نحو 1000 نسمة. وفي هذا الوسط الجديد تخلى الجيل القديم عن بعض عاداته وأخذ الجيل الجديد يسعى إلى التكيف بكل الطرق مع عادات سكان المدن المحافظين، على سبيل المثال عن طريق تحجيب المرأة[5].

---

(1) عزاوي، الجزء الأول، 318، 317. تجدر الإشارة إلى أن الغانمي، الذي لهم دون شك علاقة ما مع أولاد غانم، يتمتعون ببعض الامتيازات، دوتي، 1، 282؛ هوبر، جورنال، 204.

(2) دوستال، 19، 27.

(3) انظر خريطة الجزيرة العربية في الجزء الثالث.

(4) المصدر السابق نفسه

(5) ديكسون، آراب، 516؛ دوستال، 23، 26 27.

صليب/ الصلبة(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ آل ماجد(2)	ابن شنوف(3)	جنوب الكويت	170
أ ـ الغنمي			
ب ـ الغوازي	الغوزي(4)	سنجار	
2 ـ آل رويحي	.....(5)	غرب الكويت	60
3 ـ البذاذلة(6)	سعران(7) بن حاني	سنجار	200
		الكويت	250
4 ـ العناترة(8)	الخليوي(9)	غرب السماوة	80
5 ـ آل جميل	ابن سريح(10)	القصيم ـ الصمان	150
أ ـ آل غنيمان(11)			
6 ـ آل بناق(12)		على الحدود جنوب غرب كربلاء	50
7 ـ آل سيالان(13)		غرب سامراء؛ سنجار	60
8 ـ آل قبان(14)			
9 ـ العراقية(15)		جنوب الطقطقانة	30
10 ـ آل طرفة(16)	ابن حليس(17)	الجوف؛ الحماد	100

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
11 ـ السعدات(18)		تيماء	90
أ ـ آل معيبي(19)			
ب ـ آل حسن	ابن جراد(20)	الجزيرة	
12 ـ آل مسيلم	ابن قطن(21)	الطقطقانة ـ النجف	90
13 ـ آل هزيم(22)	. . . .(23)	الوديان	
14 ـ الضبيبات(24)		الجزيرة	
أ ـ المسامة(25)			
15 ـ الصبيحات(26)		المناظر	100
16 ـ آل مالك(27)		المناظر	
17 ـ السليمان(28)		ديرة الشنبل	
18 ـ آل حازم	عبيد بن معيذف(29)	المناظر	
19 ـ العميرة(30)	}		
20 ـ ذوي منساب		عتيبة(31)	
21 ـ ذوي مخشات			
22 ـ الخصيلات(32)			

ملاحظات حول الجدول

1 ـ بما أن سجلاتنا (المصدر: شاكر المارديني، تاجر يزودهم بحاجياتهم، دمشق 1925م) تلفت جميعها، بالاستثناء بعض السطور القليلة، في الحرب، فقد اعتمدنا على جدول العزاوي، الجزء الأول، 315 وما يليها. لكن التسلسل من 1 ـ 16 حسب قائمة موزيل (1908م ـ 1909م)، آرابيا دزرتا الصحراء العربية، 231، لأنه هنا أوضح منه عند العزاوي. كما أننا أهملنا بعض التفاصيل بسبب ضيق المكان.

وهناك قوائم أخرى موجودة عند هربر (1883م ـ 1884م)، جورنال، 194، مع 1، 5، 6، 8، 10، 13، 14، 16، 14 آ؛ راينو إي مارتينه (1921م)، 33، مع 1، 5، 6، 8، 10، 13، 14، 16، ثم الدريب؛ وصفي (1920 ـ 1936م)، الجزء الثاني، 121، مع 1، 4، 5، 6، 8، 9، 10، 12، 13، 14، 15، 16، 18، ثم اليتيم؛ ديكسون (1929م ـ 1936م)، عرب الصحراء، 516، أربعة رؤساء: من صلبة المطير (1)، صلبة شمر (6)، صلبة العمارات (؟)، صلبة الرولة (18).

مجموعة دوتي (1، 283) لم تذكر، وهي بعض العائلات التي خرجت من مكانها الثابت، مرفأ الوجه، وجاءت إلى حِجْر (مدائن صالح) ووصلت في السنة الأخيرة إلى مقربة من مكة. يذكر جي .جي. هسّ (عند هنينغر، قبائل الباريا في الجزيرة العربية، 307، الملاحظة 37) أسماء ثلاث مجموعات تعيش في ظل العتيبة وهي 19، 20، 21. القائمة التي أعدها بيبر، الموسوعة الإسلامية، تحت صليب (1934)، تتضمن 19 وغيرها، ثم "التامل". القائمة المذكورة هناك ل ـ ب آنا ستازه ماري دي سانت إيلي تخلط الصلبة مع بقية قبائل الباريا. الوسم، في حال وجود إبل: ، هوبر، جورنال، 196 وما بعدها، موزيل، 232. يمثل الوسم "عصا الصلبة" التي تستعمل للدفاع، جي .جي. هسّ، 105. وكلاهما يسمى "مصبع".

2 ـ عند العزاوي ثلاث عشائر أخرى، من ضمنها 8 و14. هوبر: عند الضفير؛ ديكسون: عند المطير.

3 ـ عزاوي: حمود بن شنوف؛ موزيل: حمد ولد شنوف؛ ديكسون: حمد ابن شنوف (هل هو نفسه؟)؛ رايمون إي مارتينه: "حنيف" الشنوف.

4 ـ عزاوي: عابد الغوزي وأخوه مطير.

5 ـ موزيل: محمد ولد صليبيخ (في النص: سل. . . . .)

6 ـ عند العزاوي ثلاث عشائر. موزيل: غرب وجنوب السماوة، ولكن على خريطته في القصيم. بذاذلة قرب الكويت، دوستال 22.

7 ـ كريم ومحترم، عبد الجبار، 149. موزيل: مطر بن براتيس (؟).

8 ـ عند العزاوي خمس عشائر. موزيل: مسجل عند 3، ولكن على الخريطة في المكان الصحيح.

9 ـ عزاوي: خليف الخلبوي (مع تفخيم الأول). موزيل يضع عائلة محمد الخليوي مع 7.

10 ـ عزاوي: "غنيم بن سريج" (خطأ مطبعي)؛ موزيل: غنيم بن سرّيح.

11 ـ حسب فيلبي، 1، 267، 273؛ وأيضاً عزاوي: المقصود "مضيان"؛ خريطة موزيل: غنيمات.

12 ـ عند العزاوي ثلاثة عشائر، الرئيس: فرحان بن قرموش (الكنية)؛ راينو إي مارتينه: فرحان السلامة (هل هو نفسه؟)؛ موزيل: مطيلق، ولد طليحان، في محيل حايل البعيد؛ ديكسون (صلبة عند شمر): مطلّج (انظر "مطلّق"، دوتي، 1، 283) الصافي. من العلاقة بين الاسم ومنطقة التنقل نستنتج أن البناق هاجر بعضهم، مثل شمر، إلى العراق بعد استيلاء آل سعود على حايل عام 1920م، أنظر، الجزء الأول، 135؛ الجزء الثالث، 42، 44.

13 ـ عزاوي: 11، مع ضبيعان الحنيان. موزيل: آل سِيَلان. كانوا يخيمون آنذاك جنوب غرب النجف، أنظر أيضاً خريطته، معهم 8.

14 ـ حسب موزيل (مع 7)؛ رايمو إي مارتينه: "القبان"؛ عزاوي: الكبّان؛ وصفي: الغبان؛ بشأن اللفظ أنظر مونتانيو، 70: صلوبوي.

15 ـ موزيل: آل عرقات مع صالح بن فريج؛ عزاوي: مع 11.

16 ـ موزيل: "آل طرفاه"؛ عزاوي: مع 11.

17 ـ موزيل: حليس الرحيمي؛ راينو إي مارتينه: مطر بن إحلَيْس. كان حليس أكبر شيخ معروف. وكان خليفته سليمان بن مالتس (ص 16)، توفي في سجن دير الزور. ثم جاء بعده اليُتَيِّمة، والآن عبيد بن معيزف (وصفي، 113).

18 ـ حسب موزيل؛ عزاوي: السعد، ولكن أيضاً مثل موزيل. ثم العرمان، عزاوي؛ خلهود، ملاحظة 14.

19 ـ عزاوي، 318؛ أنظر أيضاً دوتي، 1، 283.

20 ـ حسب عزاوي؛ موزيل (بخصوص السعدات): سميّان بن جراد.

21 ـ موزيل: مجول بن قطن؛ عزاوي: هيتسل بن حمدان بن قطن، سلفه هلال بن قطن.

22 ـ حسب موزيل؛ رايمو إي مارتينه: . . . «نزيم» (خطأ مطبعي).

23 ـ موزيل: عبدان بن دسمان وخابور بن غضب؛ راينو إي مارتينه: خابور العلي؛ عزاوي: فرج الفريخات وقرنوص بن هذّال.

24 ـ راينو إي مارتينه: مشوهة؛ عزاوي: الضبيب؛ وصفي: الضبيبة.

25 ـ هكذا موزيل بخصوص 14؛ هوبر: مستقلة؛ دوستال: آل مسامة.

26 ـ عزاوي (خطأ مطبعي): الجمعة (أو عيال جمعة).

27 ـ حسل موزيل عائلة شيوخ الصبيحات (15).

28 ـ عند ب آناستازه أيضاً.

29 ـ هكذا وصفي؛ راينو إي مارتينه: معيذف بن عواد الزعف (مصحح استناداً إلى وصفي)؛ شاكر (أنظر الملاحظة1): معيذف بن عوض؛ ديكسون: معيذف.

30 ـ أنظر ملاحظة 1.

31 ـ أنظر الجزء الثالث، 136.

32 ـ يجب أن تكون بعد 18. عزاوي، 319، 326؛ خلهود، ملاحظة 14 (هنا خمس وحدات أخرى).

بني خضير

بني خضير ليسوا قبيلة وإنما طبقة من الخدم في واحات نجد. إلّا أن بعضهم يعملون في الزراعة. وهم قريبون من الطبقة الأولى للعقيل، الزُقُرْتْ. "لم يزل تعبير الزُقُرت (زِقِرتْ) مستعملاً في نجد حتى اليوم. وهو يطلق هنا على الخدم وعلى حراس الأمراء. للكلمة بالمعنى الأول مدلولاً محتقراً لأن الخدم ينتمون غالباً إلى طبقة الباريا من بني خضير" (الجزء الثالث، 320).

في معلوماتنا عن هذه الطبقة نعتمد كلياً وحصراً على فيلبي. وهو يذكر صفتين يتميز بهما بنو خضير عن البدو: "لا يلبس البدوي إلّا نادراً ثياباً ملونة، فهي علامة العبيد وعلامة بني خضير (1، 184) المنحدرين من العبيد"[1]. "إلاّ أن حمد بن هذال قام بفعل شنيع بأن صب اللبن على الرز وخلط الاثنين معاً. فهذا، حسب "التقاليد"، خرق لآداب الطعام عند المجتمع البدوي الراقي. ولا يقع في هذا الخطأ إلّا المعدان البدائيون في العراق والزقرت الفلاحون في نجد، وهم خدم ينتمون غالباً إلى بني خضير" (3، 253).

يعيش بني خضير في واحات الطويق الجنوبي ويعملون في الزراعة. وهم في غيل مزارعون عند القبابنة (فخذ من السهول، الجزء الثالث، 158). كما أنهم

(1) ـ 3، 202 أفضل: «of mixed ancestry».

ممثلون بقوة بين سكان الحوطة والحريق والحلوة. وفي إقليم الوشم نجدهم في ثرمدة ومرآة (مرآة). أما في القصيم، في مدينة بريدة، فيشكلون جزءاً كبيراً في الإداريين ومساعديهم وسكرتيري الكبار[1]. المواقع موجودة على الخريطة التابعة للجزء الثالث.

(1) ـ فيلبي، 2، 271، 285. ـ 3، 89، الملاحظة 2، 92، 201 والملاحظة 1. من المقطع الأخير يتبين أن شكلهم يختلف عادة عن البدو.

كلمة ختامية

في أواخر الحرب العالمية الأولى وضع ماكس فرايهر فون أوبنهايم خطة الكتاب الذي نختتمه بهذا الجزء. وقد عمل في الجزأين الأولين كل من إيريش برونيلش وفرنر كاسكل معاً. أما الجزءان الثالث والرابع فقد عمل فيهما فرنر كاسكل وحده. ونحن مدينون بالشكر لكل من ساهم في إنجاز الكتاب، وعلى الأخص لدار النشر أوتو هرّاسوفيتس التي أصدرته في أكمل وجه.

وقد تكرم البروفسور إرفين غريف بقراءة تصحيح الجزء الرابع، I، وساعدت جمعية الأبحاث الألمانية (دويتشه فورشونغي غيمانيشافن) على طباعة هذا الجزء.

كولن في مارس/ آذار 1968

كاسكل



LITERATURVERZEICHNIS[1]

ABKÜRZUNGEN

Abh. G. W. Gött.	Abhandlungen der (kgl.) Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen. Berlin, (1, 1838 ...). N. F. phil.-hist. Kl. 1, 1896 ...
Abh. K. M.	Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes. Leipzig, 1, 1859 ...
Abh. Pr. Ak. W.	Abhandlungen der (kgl.) preußischen Akademie der Wissenschaften. Berlin (1, 1804 ...). Phil.-hist. Kl. 1908 ...
AGS	American Geographical Society. Oriental Exploration and Studies. New York, 1, 1926 ...
BGA	Bibliotheca geographorum Arabicorum. Ed. M. J. de Goeje. 1–8. Leiden 1870–1894
GJ	Geographical Journal. London, 1, 1893 ...
JA	Journal asiatique. Paris, 1, 1822 ...
JAOS	Journal of the American Oriental Society. Boston, 1, 1843
JPOS	Journal of the Palestine Oriental Society. Jerusalem, 1–21, 1920–1948
JRAS	Journal of the Royal Asiatic Society. London, 1843 ...
JRGS	Journal of the Royal Geographical Society. London, 1–50, 1831–1880
PEF	Palestine Exploration Fund. Quarterly Statement. London, 1, 1869–1936
REI	Revue des études islamiques. Paris,1, 1927 ...
WZKM	Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes. Wien, 1, 1915 ...
ZDMG	Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft. Leipzig, 1, 1847 ...
ZDPV	Zeitschrift des Deutschen Palästinavereins. Leipzig, 1, 1878 ...
ZS	Zeitschrift für Semitistik und verwandte Gebiete. Leipzig, 1–10, 1922–1931

[1] Das Literaturverzeichnis enthält natürlich nicht alle Schriften, die in den vier Bänden vorkommen.

ABENDLÄNDISCHE LITERATUR

Ahlwardt, W. (ed.), The Diwans of the six ancient Arabic poets. London 1870

Ahmed Djemal Pascha, Erinnerungen eines türkischen Staatsmannes. München 1922

Ainsworth, W. F., Travels and researches in Asia Minor, Mesopotamia, Chaldea, and Armenia. 1–2. London 1842

Ainsworth, W. F., A personal narrative of the Euphrates expedition. 1–2. London 1888

Annuaire du monde musulman. Statistique, historique, social et économique. Réd. par L. Massignon. Seconde année. Paris 1925

Antonius, G., The Arab awakening. London 1938

Armstrong, H. C., Lord of Arabia. Ibn Saud. London 1934

Arvieux, L. d', Des Herrn von Arvieux ... Nachrichten, worinnen er seine Reisen nach ... Syrien, dem Gelobten Lande beschreibet im Franz. hrsg. von (J.-B.) Labat und ins Deutsche übers. 1–6. Kopenhagen/ Leipzig 1753–1756

Ashkenazi, T. B., Tribus semi-nomades de la Palestine du nord. Paris 1938

Aucher-Eloy, P., Relations de voyages en Orient de 1830 à 1838 ... revues et annotées par M. le Cte Jaubert. 1–2. Paris 1843

Balbi, G., Viaggio dell'Indie Orientali. Venedig 1590

Banks, E. J., Bismya, or the lost city of Adab. London/New York 1912

Barghuthi, Omar Effendi El-, Studies in Palestinian customs and folklore. 1. Judicial courts among the Bedouin of Palestine. Journal of the Palestine Oriental Society, Jerusalem, 2 (1922) 34–65

Becker, C. H., Zur Geschichte des östlichen Sudan. Der Islam 1 (1910) 153–177

Bell, G. L., The east bank of the Euphrates from Tel Ahmar to Hit. GJ 36 (1910) 513–537

Belon, P., Les observations de plusieurs singularitez et choses memorables... Paris 1588

Blunt, A. I. N., Bedouin tribes of the Euphrates. 1–2. London 1879

Blunt, A. I. N., A pilgrimage to Nejd, the cradle of the Arab race. 1–2. London 1881

Bode, C. A. de, Travels in Luristan and Arabistan. 1–2. London 1845

Boucheman, A. de, Note sur la rivalité de deux tribes moutonnières de Syrie, les „Mawali" et les „Hadidiyn". REI 8 (1934) 11–58

Boullaye le Gouz, F. de la, Les voyages et observations du Sieur de la – ... Paris 1657

Bräunlich, E., Bisṭām ibn Qais, ein vorislamischer Beduinenfürst und Held. Leipzig 1923

Bräunlich, E., Beiträge zur Gesellschaftsordnung der arabischen Beduinenstämme. Islamica 6 (1933–1934), 68–111, 182–229

Brémond, E., Le Hedjaz dans la guerre mondiale. Paris 1931

Brémond, E., Marins à chameau. Les Allemands en Arabie en 1915–1916. Paris 1935

Buchanan, Z., In the hands of the Arabs. London (1921)

Buckingham, J. S., Travels among the Arab tribes inhabiting the countries east of Syria and Palestine. London 1825

Buchingham, J. S., Travels in Mesopotamia. 1–2. London 1827

Burckhardt, J. L., Travels in Syria and the Holy Land. London 1822

Burckhardt, J. L., Travels in Arabia. 1–2 London 1829

Burckhardt, J. L., Bemerkungen über die Beduinen und Wahaby. Aus dem Englischen. Hrsg. von der Gesellschaft zur Beförderung der Entdeckung des inneren Africa. Weimar 1831. – Neue Bibliothek der wichtigsten Reisebeschreibungen 57

Burton, I., The inner life of Syria, Palestine and the Holy Land. 1–2. London 1875

Burton, R. F., The gold-mines of Midian and the mined Midianite cities. London 1878

Burton, R. F., The land of Midian, revisited. 1–2. London 1879

Burton, R. F., and C. F. T. Drake, Unexplored Syria. 1–2. London 1872

Caetani, L., Annali dell'Islam. 1–10. Mailand 1905–1926

Caldavène, E., et E. Barrault, Histoire de la guerre de Méhémed-Ali contre la Porte ottomane en Syrie et en Asie Mineure. Paris 1837

Campanile, G., Storia delle regione del Kurdestan. Neapel 1818

Canaan, T., Die 'Azāzime-Beduinen und ihr Gebiet. ZDPV 51 (1928) 89–118

Canaan, T., Studies in the topography and folklore of Petra. JPOS 9 (1929) 136–218

Canaan, T., The Ṣakr Bedouin of Bisān. JPOS 16 (1936) 21–32

Capper, J., Observations sur le passage dans l'Inde par l'Egypte et le Grand Désert ... Paris 1797

Caraman, A. de, Voyage de Homs à Palmyre. Bulletin de la Société de géographie, Paris, II/12 (1840) 321–1345

Carruthers, D. A., Arabian adventures. London 1935

Caskel, W., Aijām al-'Arab. Studien zur altarabischen Epik. Islamica 3, Fasz. 5: Supplement (1930), 1–99, in Islamica 4 (1931)

Caskel, W., Ein Mahdī des 15. Jahrhunderts. Saijid Muḥammad ibn Falāḥ und seine Nachkommen. Islamica 4 (1931) 48–93

Caskel, W., Die Wālī's von Ḥuwēzeh. Islamica 6 (1934) 415–434

Caskel, W., Eine „unbekannte" Dynastie in Arabien. Oriens 2 (1949) 66–71

Caussin de Perceval, A. P., Essai sur l'histoire des Arabes avant l'islamisme, pendant l'époque de Mahomet, et jusqu'à la réduction de toutes les tribus sous la loi musulmane. 1–3. Paris 1847–1848

Cheesman, R. E., In unknown Arabia. London 1926

Chelhod, J., Essai sur les Slôba. L'Orient syrien, Paris, 2 (1957) 395–418

Chesney, F. R., The expedition for the survey of the rivers Euphrates and Tigris . . . in 1835–1837. 1–4. London 1850

Chiha, Habib K., La province de Bagdad. Kairo 1908

Chronicon Paschale, ad ex. Vaticanum rec. L. Dindorf. 1–2. Bonn 1832. – Corpus scriptorum historiae Byzantinae 9

Clauss, L. F., Als Beduine unter Beduinen. Freiburg 1933

Clauss, L. F., Semiten der Wüste unter sich. Berlin 1938

Clément-Grandcourt, A. J. E., Au Levant. Histoire de brigands. Histoires vraies. Paris 1936

Conder, C. R., Heth and Moab. Explorations in Syria in 1881 and 1882. London 1883

Conder, C. R., The survey of eastern Palestine. vol 1. The 'Adwān country. London 1889

Corancez, L. A. O. de, Histoire des Wahabis depuis leur origine jusqu'à la fin de 1809. Paris 1810

Cuinet, V., La Turquie d'Asie. 1–4. Paris 1890–1895

Cureton, W., Spicilegium Syriacum. London 1855

Curtiss, S. I., Ursemitische Religion im Volksleben des heutigen Orients. Deutsche Ausgabe. Leipzig 1903

Curzon, G. N., Persia and the Persian question. 1–2. London – New York 1892

Damoiseau, L., Hippologische Wanderungen in Syrien und der Wüste, a. d. Franz. v. T. Heinze. 1–2. Leipzig 1842

Description de l'Egypte, ou recueil des observations et des recherches qui ont été faites en Egypte pendant l'expédition de l'armée française. 2. éd. Publ. par C. L. F. Pancoucke. 1–24. Paris 1821–1829

Dickson, H. R. P., The Arab of the desert. London 1951

Dickson, H. R. P., Kuweit and her neighbours. London 1956

Dissard, J., Les migrations et les vicissitudes de la tribu des 'Amer. Revue biblique, Paris, 2 (1905) 410–425

Dostal, W., Die Ṣulubba und ihre Bedeutung für die Kulturgeschichte Arabiens. Archiv für Völkerkunde, Wien, 11 (1956) 15–42

Dostal, W., Paria-Gruppen in Vorderasien. Zeitschrift für Ethnologie 89, 2. Braunschweig 1964, 190–203

Doughty, C. M., Travels in Arabia Deserta. 1–2. Cambridge 1888

Doutté, E., Merrâkech. Paris 1905

Dozy, R., Geschichte der Mauren in Spanien bis zur Eroberung Andalusiens durch die Almoraviden (711–1110). 1–2. Leipzig 1874

Dussaud, F., Mission dans les régions désértiques de la Syrie moyenne. Nouvelles archives des missions scientifiques 10, Paris (1903) 411–744

Edmonds, C. J., Luristan: Pish-i-Kuh and Bala Gariveh. GJ 59 (1922) 335–356, 437–453

Egmond van der Nijenburg, J. Aeg. van, und J. Heyman, Reizen. Leiden 1758

Eneman, M., Resa i Orienten, 1711–1712... Utgifven af K. U. Nylander. 1–2. Upsala 1889

Enzyklopaedie des Islām, hrsg. von M. Th. Houtsma u. a. 1–4. Leiden 1913–1934; Ergänzungsband. Leiden 1938

Epiphanius Constantiensis, Ancoratus und Panarion. Hrsg. ... v. K. Holl. 1 (S. 1–149: Ancoratus) – 3. Leipzig 1915. – Die griech. christl. Schriftsteller der ersten drei Jahrhunderte. 25; 31; 37

Erskine, St., Palestine of the Arabs. London 1935

Euting, J., Tagbuch einer Reise in Inner-Arabien. 1–2. Leiden 1896–1914

Field, H., Arabs of Central Iraq. Their history, ethnology and physical characters ... Field Museum-Oxford University Joint Expedition to Kish, Iraq etc. Chicago 1935. – Field Museum of Natural History. Anthropology. Memoirs. 4

Field, H., Contributions to the anthropology of Iran. Chicago 1939. – Anthropological Series, Field Museum of Natural History, vol. 29, 1. Publication 458

Field, H., The anthropology of Iraq. Part II, Nr. 1. The northern Jazira. Papers of the Peabody Museum of American Archaeology and Ethnology, Harvard University, Cambridge, 46 (1951), Nr. 1

Figaret, R. de, La Mésopotamie. Revue de géographie annuelle, Paris, 10 (1922) fasc. 3

Finn, J., Stirring times, or Records from Jerusalem. Consular chronicles of 1853 to 1856. 1–2. London 1878

Flügel, G., Die arabischen, persischen und türkischen Handschriften der Kaiserl.-Königl. Hofbibliothek zu Wien. 1–3. Wien 1865–1867

Fontanier, V., Voyage dans l'Inde et dans le Golfe Persique par l'Egypte et par la Mer Rouge. 1–2. Paris 1844–1846

Forrer, L., Die osmanische Chronik des Rustem Pascha. Leipzig 1923

Forrer, L., Südarabien nach al-Hamdānī's „Beschreibung der arabischen Halbinsel". Abh. K. M. 27, 3, 1942

Fraser, J. B., Travels in Koordistan and Mesopotamia... 1–2. London 1840

Frauberger, H., Von Amman nach Djerasch. Globus, Braunschweig, 63 (1893) 10–13

Freytag, G. W., Arabum Proverbia. 1–3. Bonn 1838–1843

Fulanain, Haji Rikkan, London 1927

Ǧamharat an-nasab. Das geneologische Werk des Hišām Ibn Muḥammad al-Kalbī, von W. Caskel. 1–2. Leiden 1966

Gaudefroy-Demombynes, M., La Syrie à l'époque des Mamelouks d'après les auteurs arabes. Paris 1923. – Bibliothèque archéol. et hist. du Service des antiquités de Syrie, t. 3

Glaser, E., Reise nach Mârib. Hrsg. v. D. H. Müller und N. Rhodokanakis. Wien 1913. – Sammlung Glaser 1

Glubb, J. B., The Sulubba and other ignoble tribes of southwestern Arabia, in: The Yezidis, Sulubba, and other tribes of Iraq and adjacent regions, by H. Field and J. B. Glubb. Menasha, Wisconsin, 1943. – General Series in Anthrolopogy. 10

Goeje, M. J. de, Mémoires d'histoire et de géographie orientales 1: Mémoire sur les Carmathes du Bahrain et les Fatimides. Leiden 1886

Goeje, M. J. de, La fin de l'empire des Carmathes du Bahraïn. JA IX/5 (1895) 5–30

Gollancz, H., Chronicle of events between the years 1633 and 1733 relating to the settlement of the Order of Carmelites in Mesopotamia (Bassora). Oxford 1927

Gontaut-Biron, R. de, Comment la France s'est installée en Syrie, 1918–1919. Paris 1923

Granquist, H., Marriage conditions in a Palestinian village. 1–2. Helsingfors 1931–1935

Guarmani, C., Il Neged settentrionale. Itinerario da Gerusalemme a Aneizeh nel Cassim. Jerusalem 1866

Hakluyt, R., The principal navigations, voiages, traffiques and discoveries of the English nation. 1–13. London 1598–1600

Haldane, J. A. L., The insurrection in Mesopotamia, 1920. Edinburgh/London 1922

Hammer-Purgstall, J. v., Geschichte des Osmanischen Reiches (GOR). 1–10. Pest/Wien 1827–1835

Hammer-Purgstall, J. v., Geschichte der Ilchane, das ist der Mongolen in Persien. 1–2. Darmstadt 1842–1843

A Handbook of Arabia, compiled by the Geographical Section of the Naval Intelligence Division, Naval Staff Admiralty. Vol. 1. London 1922

Hartmann, M., Beiträge zur Kenntnis der Syrischen Steppe. ZDPV 22 (1899) 127–149, 153–177; 23 (1901) 1–77, 97–158

Hartmann, M., Mitteilungen. Die Welt des Islams, Berlin, 2 (1914) 24–28, 296–332

Hartmann, R., Die Herrschaft von al-Karak. Ein Beitrag zur historischen Geographie des Ostjordanlandes. Der Islam 2, Strassburg 1911, 129–142

Hartmann, R., Das Tübinger Fragment der Chronik des Ibn Ṭūlūn, Berlin 1926. Schr. d. Königsberger gelehr. Ges. Gw. Kl. 3. Jahr, Heft 2

Hartmann, R., Rezension von A. Musil: Palmyrena (1928) – Northern Neǧd (1928) – The manners and customs of the Rwala Bedouins (1928). ZDMG 84 (1930) 259–270

Haynes, A. E., Man-hunting in the desert. London 1894

Henninger S. V. D., J., Pariastämme in Arabien. Sankt Gabrieler Studien. Festschrift zum 50jährigen Bestandsjubiläum des Missionshauses St. Gabriel Wien Mödling. Wien Mödling 1939, 501–539

Henninger S. V. D., J., Tribus et classes de parias en Arabie et en Egypte. Actes du XIVe Congrès International de Sociologie. Vol. 4. Rom 1950, 1–13

Hess, J. J., Beduinennamen aus Zentralarabien. Heidelberg 1912. – Sitzungsberichte d. Heidelberger Akad. d. Wiss., Phil.-hist. Kl. 3

Hess, J. J., Bemerkungen zu Doughty's Travels in Arabia. WZKM 16 (1902) 45–62

Hess, J. J., Von den Beduinen des Innern Arabiens. Zürich/Leipzig 1938

Heude, W., Voyage de la côte de Malabar à Constantinople, trad. de l'anglais. Paris 1820

Hill, G., With the Bedouins. London 1891

Hinz, W., Quellenstudien zur Geschichte der Timuriden. ZDMG 90, N. F. 15 (1936) 357–398

Howel, T., A journal of the passage from India by a route partly unfrequented through Armenia and Natolia or Asia Minor. London 1789

Huart, Cl., Notice sur les tribus arabes de la Mésopotamie. JA (1879) 215–240

Huber, Ch., Voyage dans l'Arabie centrale, 1878–1882. Bulletin de la Société de géographie, Paris, VII/5 (1884) 304–363, 468–530; VII/6 (1885) 92–148

Huber, Ch., Journal d'un voyage en Arabie (1883–1884), publié par la Société asiatique et la Société de géographie ... avec atlas. Paris 1891

Irby, Ch. L., and J. Mangles, Travels in Egypt and Nubia, Syria and Asia Minor during the years 1817 and 1818. London 1823

Der Islam. Zeitschrift für Geschichte und Kultur des islamischen Orients. Strassburg, 1, 1910 ...

Islamica. Leipzig, 1–7, 1924–1935

Jaussen, A., Coutumes des Arabes au pays de Moab. Paris 1908

Jaussen, A., et R. Savignac, Mission archéologique en Arabie. 1–3. Paris 1909–1922. – Publications de la Société française des fouilles archéologiques 2. (1: De Jérusalem au Hedjaz. Médâin-Ṣâleḥ. 1909: 2, Suppl.: Coutumes de la tribu arabe Fuqarā. 1920)

Jomard, E. F., Etudes géographiques et historiques sur l'Arabie. Paris 1839

Jones, J. F., Memoirs, comp. and ed. by R. H. Thomas. Selections from the Records of the Bombay Governement, No. 43, N. S., Bombay 1857

Kahle, P., Die Aulād 'Ali-Beduinen der Libyschen Wüste. Der Islam, Strassburg, 4 (1913) 355–386

Kay, H. C., Notes on the history of the Banu 'Oḳayl. JRAS, N. S. 18 (1886) 491–526

Kennett, A., Bedouin justice. Laws and customs among the Egyptian Bedouin. Cambridge 1925

Keppel, G., Personal narrative of travels in Babylonia, Assyria, Media and Scythia in the year 1824. London 1827

Konetzke, R., Überseeische Entdeckungen und Eroberungen. Kreuzzugs- und Missionsideen. Propyläen Weltgeschichte, VI. Frankfurt/Berlin 1964, 577f.

Kremer, A. v., Mittelsyrien und Damascus. Wien 1853

Lamartine, A. M. L. de, Souvenirs, impressions, pensées et paysages pendant un voyage en Orient (1832–1833). Oeuvres de Lamartine de l'Académie Française. Brüssel 1836, 5–355

Landberg, C. Graf v., Etudes sur les dialectes de l'Arabie Méridionale. 2. Daṯîna. Leiden 1905–1913

Landberg, C. Graf v., Langue des Bédouins ʿAnazeh. 1. Leiden 1919

Lane-Poole, St., The Muhammadan dynasties. London 1894

Lawrence, T. E., Seven pillars of wisdom. London 1935

Layard, A. H., Nineveh und seine Überreste, Leipzig 1854

Layard, A. H., Discoveries in the ruins of Nineveh and Babylon. London 1853

Layard, A. H., Early adventures in Persia, Susiana and Babylonia. 1–2. London 1887

Leachman, G. E., A journey in north-eastern Arabia. GJ 37 (1911) 265–274

Liber generationis mundi, ed. Th. Mommsen. Berlin 1892. – Monumenta Germaniae historica. Auctores antiquissimi, Bd. 9

Littmann, E., Eine amtliche Liste der Beduinenstämme des Ostjordanlandes. ZDPV 24 (1901) 26–31

Littmann, E., Arabische Beduinen-Erzählungen. 1–2. Strassburg 1908

Loftus, W. K., Travels and researches in Chaldaea and Susiana. London 1857

Longrigg, St. H., Four centuries of modern Iraq. Oxford 1925

Longrigg, St. H., Iraq, 1900 to 1950. London 1956

Luynes, M. le duc de, Voyage d'exploration à la Mer Morte, à Petra et sur la rive gauche du Jordain. 1–4. Paris 1874

Lycklama à Nijeholt, T. M., Voyage en Russie, en Caucase et en Perse. 1–3. Paris 1872–1874

Lynch, W. F., Bericht über die Expedition der Vereinigten Staaten nach dem Jordan und dem Todten Meere, deutsch bearb. v. N. N. W. Meissner. Leipzig 1850

Marçais, G., Les Arabes en Berbérie du XI^e au XIV^e siècle. Paris 1913

Mariti, G., Des Herrn Mariti Geschichte Fakkardin's, Groß-Emir's der Drusen, wie auch der übrigen Groß-Emire bis auf das Jahr 1773 ... Aus dem Italienischen ... Gotha 1790

Maundrell, H., A journey from Aleppo to Jerusalem. Oxford 1732

Mayeux, F. J., Les Bédouins. 1–3. Paris 1816

Mengin, F., Histoire de l'Egypte sous le gouvernement de Mohammed-Aly. 1–2. Paris 1823

Meryon, C. L., Travels of Lady Hester Stanhope. 1–3. London 1846

Mez, A., Die Renaissance des Islâms. Heidelberg 1922
Mitteilungen der Deutschen Orientgesellschaft zu Berlin (MDOG). Berlin 1, 1898...
Moberly, F. J., The campaign of Mesopotamia 1914–1918. 1–2. London 1923–1924
Montagne, R., Notes sur la vie sociale et politique de l'Arabie du nord. Les Šemmâr du Neǧd. REI (1932) 61–79
Montagne, R., Contes poétiques bédouins, recueillis chez les Šammar de Gezire. Bulletin d'études orientales, Damaskus, 5 (1935) 33–119
Mordtmann, J. H., und E. Mittwoch, Rathjens-v. Wissmannsche Südarabien-Reise. Band 1: Sabäische Inschriften. Hamburg 1931. – Hamburgische Universität, Abh. aus dem Gebiet der Auslandskunde, 36
Mordtmann, J. H., und D. H. Müller, Sabäische Denkmäler. Denkschr. Ak. d. Wiss. Wien, Phil. Hist. Kl., Wien, 33, 2 (1883) 1–114, Taf. 1–8
Moritz, B., Zur Geographie und Ethnographie von Süd-Mesopotamien. Verhandlungen der Gesellschaft für Erdkunde, Berlin, 15 (1888) 185–201
Moritz, B., Beiträge zur Geschichte des Sinaiklosters im Mittelalter. Berlin 1918. – Abh. Pr. Ak. W., Phil. Hist. Kl. (1918) Nr. 4
Moritz, B., Das abbasidische Chalifat in Ägypten. Der neue Orient, Berlin 6 (1922) Heft 2–3
Moritz, B., Arabien. Studien zur physikalischen und historischen Geographie des Landes. Hannover 1923
Moritz, B., Die Nationalität der Arumu-Stämme in Südost-Babylonien. Oriental Studies publ. in commemoration of ... Paul Haupt, Baltimore/Leipzig 1926, 184–211

Mueller, V., En Syrie avec les Bedouins. Paris 1931
Murray, G. W., Sons of Ishmael. London 1935
Musil, A., Arabia Petraea. 1–3. Wien 1907–1908
Musil, A., The Northern Ḥeǧāz, a topographical itinerary. New York 1926. – AGS 1
Musil, A., Arabia Deserta. New York 1927. – AGS 2
Musil, A., The middle Euphrates. New York 1927. – AGS 3
Musil, A., Northern Neǧd. New York 1928. – AGS 5
Musil, A., Palmyrena. New York 1928. – AGS 4
Musil, A., The manners and customs of the Rwala Bedouins. New York 1928. – AGS 6
Myller, A. M., Peregrinus in Jerusalem ... 1–2. Wien/Nürnberg 1735

Nallino, C. A., L'Arabia Sa'ūdiana (1938). Rom 1939. – Carlo Alfonso Nallino. Raccolta di scritti editi e inediti, a cura di M. Nallino, vol. 1
Niebuhr, C., Beschreibung von Arabien. Kopenhagen 1772
Niebuhr, C., Reisebeschreibung nach Arabien und anderen umliegenden Ländern. 1–2. Kopenhagen 1774–1778

Nöldeke, Th., Beiträge zur Kenntnis der Poesie der alten Araber. Hannover 1864

Nöldeke, Th., Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden. Aus der arabischen Chronik des Tabari übers. Leiden 1879

Nöldeke, Th., Rezension von W. R. Smith, Kinship and marriage in early Arabia. ZDMG 40 (1886) 148–187

Olivier, G. A., Voyage dans l'empire ottoman, l'Egypte et la Perse. 1–3. 1802–1807

Oppenheim, Max Frh. v., Vom Mittelmeer zum Persischen Golf. 1–2. Berlin 1899–1900

Oriente moderno. Rom, 1, 1921 ...

Otter, J., Reisen in die Türkei und nach Persien. Aus dem Franz. v. G. F. C. Schad. 1–2. Nürnberg 1781–1789

Palgrave, W. G., Narrative of a year's journey through central and eastern Arabia 1862–1863. 1–2. London/Cambridge 1865

Paret, R., Die legendäre Maghâzi-Literatur. Tübingen 1930

Parsons, A., Travels in Asia and Africa. London 1808

Paulus, H. E. G., Sammlungen der merkwürdigsten Reisen in den Orient. 1–7. Jena 1792–1803

Pelly, L., A visit to the Wahabee capital, central Arabia. JRGS 35 (1865) 169–191

Petermann, J. H., Reisen im Orient. 1–2. Leipzig 1860–1861

Peters, J. P., Nippur, or explorations and adventures on the Euphrates. 1-2. New York 1897

Petrie, W. M. F., Researches in Sinai. London 1906

Philby, H. St. J. B., The heart of Arabia. 1–2. London 1922

Philby, H. St. J. B., Jauf and the North Arabian desert. GJ 62 (1923) 241–259

Philby, H. St. J. B., Arabia of the Wahhabis. London 1928

Philby, H. St. J. B., Arabia. London 1930

Philby, H. St. J. B., The Empty Quarter. London 1933

Philby, H. St. J. B., Sheba's daughters. London 1939

Philby, H. St. J. B., The Land of Midian. London 1957

Pococke's Beschreibung des Morgenlandes und einiger anderer Länder. Aus dem Engl. übers. durch C. E. v. Windheim. Erlangen 1754–1755

Porter, R. K., Travels in Georgia, Persia, Armenia, ancient Babylonia. 1–2. London 1821–1822

Rackow, E., und W. Caskel, Das Beduinenzelt... Baessler-Archiv, Berlin, 21 (1938) 151–184

Rambles in the deserts of Syria and among the Turkomans and Bedaweens (Verfasser der brit. Konsul Skene in Aleppo). London 1864

Raswan, C. R., Tribal areas and migration lines of the North Arabian Bedouins. Geographical Review. New York 20 (1930) 494–502

Raswan, C. R., Im Land der schwarzen Zelte. Berlin 1934

Raunkiaer, B., Gennem Wahhabiternes Land paa Kamelryg. Kopenhagen 1913

Rauwolff, L., Aigentliche beschreibung der Raisz ... 1–4. Laugingen 1582–1583

Rawlinson, H. C., Notes on Mohamrah and the Cha'ab Arabs, ... Proceedings of the Royal Geographical Society. London 1 (1855–1857) 351 ff.

Raynaud et Martinet, Les Bédouins de la mouvance de Damas. Beirut 1922. – Délégation de Damas, Contrôle Bédouin

Recensement général de l'Egypte. 1er juin 1897. 1–3. Kairo 1898

Rescher, O., Miszellen II. Der Islam. Berlin und Leipzig 16 (1927) 153–158

Review of the civil administration of Mesopotamia [... by G. L. Bell]. London 1920

Revue biblique, Paris, 1, 1892...

Revue d'Egypte, recueil mensuel de documents historiques et géographiques relatifs à l'Egypte. Kairo 1, 1894–1897

Rich, C. J., Narrative of a residence on Koordistan and on the site of ancient Nineveh. 1–2. London 1836

Ritter, K., Die Erdkunde im Verhältnis zur Natur und zur Geschichte des Menschen. 1–19. Berlin 1822–1859

Robinson, E., und E. Smith, Palästina und die südlich angrenzenden Länder. 1–3; Suppl. 1–2. Berlin 1857

Roger, F. E., La Terre Sainte. Paris 1664

Ross, J., Notes of two journeys from Baghdad to the ruins of Al Ḥaḍla in Mesopotamia in 1836 and 1837. JRGS 9 (1839) 443–470

Rothstein, G., Die Dynastie der Laḫmiden in al-Ḥīra. Berlin 1899

[Rousseau, J.-B. L. J.], Description du Pachalik de Bagdad. Paris 1809

Rousseau, J.-B. L. J., Voyage de Bagdad à Alep (1808). Paris 1899

Rueppel, E., Reisen in Nubien, Kordofan und dem Peträischen Arabien. Frankfurt a. M. 1829

Rustum, A. J., Materials for a Corpus of Arabic documents relating to the history of Syria under Mehemet Ali Pasha. 1–2. Beirut 1930–1931

Rutter, E., The holy cities of Arabia. 1–2. London 1928

Sachau, E., Reise in Syrien und Mesopotamien. Leipzig 1883

Sacy, S. de, Chrestomathie arabe ou extraits de divers écrivains arabes. Paris 1826–1827

Sacy, S. de, Exposé de la religion des Druzes. 1–2. Paris 1838

Sandys, G., Travailes. London 1658

Sao Bernardino, Fr. G. de, Itinerario da India. Lissabon 1611

Sarzec, E. de, Découvertes en Chaldée. 1–2. Paris 1884–1912

Scaliger, Barbarus, Chronicum Alexandrinum (Exc.). Monumenta Germaniae historica. Auctores antiquissimi, Berlin 9 (1892) 272, 274–293

Schulz, W., Die persisch-islamische Miniaturmalerei. Leipzig 1914

Schumacher, G., Across the Jordan ... with additions by L. Oliphant and G. Le Strange. London 1886

Schumacher, G., The Jaulân. London 1889

G. Schumacher u. C. Steuernagel, Der 'Adschlūn. Leipzig 1927

Seabrook, W. B., Adventures in Arabia. New York 1927

Seetzen, U. J., Reisen durch Syrien, Palästina, Phönicien, die Transjordan-Länder ... hrsg. v. Fr. Kruse. 1–4. Berlin 1854–1859

Selections from the Records of the Bombay Government, N. S. 24, Bombay 1856

Sestini, D., Voyage de Constantinople à Bassora en 1781 par le Tigre et l'Euphrate et retour à Constantinople en 1782, trad. de l'ital. par le C[te] de Fleury. Paris an VI

Snouck-Hurgronje, C., Mekka. 1–2; Bilder-Atlas. den Haag 1888–1889

Socin, A., Diwan aus Centralarabien, hrsg. v. H. Stumme. Leipzig 1901.- Abh. d. phil.-hist. Cl. d. Kgl. Sächs. Ges. d. Wiss., Bd. 19

Southgate, H., Narrative of a tour through Armenia, Kurdistan, Persia, and Mesopotamia. London 1840

Spoer, H. H., Four poems by Nimr Ibn 'Adwān, as sung by 'Ode Abu Slīmān ZDMG 66 (1912) 189–203

Spoer, H. H., Five poems by Nimr Ibn 'Adwān. JAOS 43 (1923) 177–205

Spoer, H. H., and E. N. Haddad, Poems by Nimr ibn 'Adwān. ZS 7 (1929) 29–62, 274–294; 9 (1933–1934) 93–133

Spoer, H. H., and E. N. Haddad, Poems by Nimr Ibn 'Adwān. JAOS 65 (1945) 37–50; 66 (1946) 161–181

Sprenger, A., Das Leben und die Lehre des Mohammad. 1–3. Berlin 1861–1865

Sprenger, A., Ein Beitrag zur Statistik von Arabien. ZDMG 17 (1863) 214–226

Sprenger, A., Die alte Geographie Arabiens. Bern 1875

Stübel, A., Reise nach der Diret et-Tulul und Hauran, hrsg. v. H. Guthe. ZDPV 12 (1889) 225–302

A survey of the fauna of Iraq. Bombay 1923

Sykes, M., Dar-ul-Islam. London 1904

Sykes, M., The caliph's last heritage. London 1915

Tamisier, M., Voyage en Arabie. 1–2. Paris 1840

Tavernier, J. B., Beschreibung der sechs Reisen ... in die Türckey, Persien und Indien ... Genf 1681

Taylor, J., Travels from England to India in 1789. 1–2. London 1799

Teixeira, P., The Travels of Pedro Teixeira with his „Kings of Harmuz" and extracts from his „Kings of Persia", transl. and ann. by W. F. Sinclair and D. Ferguson. London 1902. – Hakluyt Society II/9

Terrier, Cpt., Les tribus arabes de Syrie, éd. provis. Beirut 1922

Terrier, Cpt., Les tribus nomades et semi-nomades des états du Levant placés sous mandat français. Beirut 1930

Thévenot, J. de, Voyages de Mr. de Thévenot en Europe, Asie et Afrique. 1–5. Amsterdam 1727

Tholens, R., Über die Wasserwirtschaft in Mesopotamien in der Vergangenheit und über die Wiederbelebung in der Gegenwart. Zeitschrift für Bauwesen Berlin, 62 (1912) 271–294

Thomas, B., Arabia Felix. Across the „Empty Quarter" of Arabia. New York 1932

Tiesenhausen, W., Die Geschichte der 'Oqailiden-Dynastie. Académie des Sciences, Mémoires par divers savants, St. Petersburg/Leipzig 8 (1859) 129–172

Tristram, C. H. B., The land of Israel. London 1866

Tweedie, W., The Arabian horse, his country and people. Edinburgh/London 1894

Twitchell, K. S., Saudi Arabia. Princeton 1947

Upton, R. D., On the Bedaween of the Arabian desert. Fraser's Magazine, London, N. S. 15 (1877) 432–443

Upton, R. D., Gleanings from the desert of Arabia. London 1881

Valle, P. della, Petri della Valle ... Reiss-Beschreibung. 1–4. Genf 1674

Varthema, L. di, Itinerario do Lodovico Varthema, nuovamente posto in luce da Alberto Bacchi della Lega. Bologna 1885

Vernier, B., Qédar, carnets d'un méhariste syrien. Paris 1938

Volney, C. F., Reise nach Syrien und Ägypten in den Jahren 1783, 1784, 1785. Jena 1788

Wallin, G. A., Notes taken during a journey through part of northern Arabia in 1848. JRGS 20, 2 (1851) 293–344

Wallin, G. A., Probe aus einer Anthologie neuarabischer Gesänge, in der Wüste gesammelt. ZDMG 5 (1851) 1–23; 6 (1852) 190–218

Wallin, G. A., Narrative of a journey from Cairo to Medina and Mecca by Suez, Arabà, Tawilà, al Jauf, Jubbe, Hàil and Nejd in 1845. JRGS 24 (1854) 115–207

Wangelin, H., Das arabische Volksbuch vom König Azzāhir Baibars. Stuttgart 1936. – Bonner orientalist. Studien 17

Warren, Ch., Reports. PEF 1 (1869–1870) 35 ff., 67

Warren, Ch., Notes on Arabia Petraea and the country lying between Egypt and Palestine. PEF 10 (1887) 38–46

Wavell, A. J. B., A modern pilgrim in Mecca. London 1918

Weil, G., Geschichte der Chalifen. 1–5. Mannheim/Leipzig 1846–1862

Wellhausen, J., Skizzen und Vorarbeiten. 1–6. Berlin 1884–1899

Wellhausen, J., Die Lieder der Hudhailiten. Skizzen und Vorarbeiten 1, 2. Berlin 1884

Wellhausen, J., Anzeige von Ch. M. Doughty's Travels in Arabia Deserta. ZDMG 45 (1891) 172–180

Wellhausen, J., Reste arabischen Heidentums. Berlin 1897

Wellhausen, J., Das arabische Reich und sein Sturz. Berlin 1902

Wellsted, J. R., Travels to the city of the Caliphs. 1–2. London 1840

Wellsted, J. R., Reisen in Arabien. Deutsche Bearbeitung v. E. Rödiger 1–2. Halle 1842

Die Welt des Islams, hrsg. v. G. Kampffmeyer. Berlin, 1–24, 1913–1942

Western Arabia and the Red Sea. Geographical Handbook Series, Naval Intelligence Division. Oxford 1946

Wetzstein, J. G., Reisebericht über Hauran und die Trachonen. Berlin 1860

Wetzstein, J. G., Sprachliches aus den Zeltlagern der syrischen Wüste. ZDMG 22 (1868) 69–194

Wetzstein, J. G., Nordarabien und die syrische Wüste nach den Angaben der Eingeborenen. Zeitschrift für allgemeine Erdkunde, Berlin, N. F. 18 (1865) 1–47, 241–282, 408–498

Willcocks, Sir W., Mesopotamia: past, present and future. GJ 35 (1910) 1–18

Wilson, A. T., Luristan. Simla 1912 (military report). Von H. Field für die Stämme Chūzistān's benutzt, zitiert als „Wilson bei Field"

Wilson, A. T., Mesopotamia 1917–1920. A clash of loyalties. London 1931

Wissmann, H. v., Zur Geschichte und Landeskunde von Alt-Südarabien. Wien 1964

Wüstenfeld, F., Genealogische Tabellen der arabischen Stämme und Familien. In zwei Abteilungen. Göttingen 1852; Register ibd. 1853

Wüstenfeld, F., Die Chroniken der Stadt Mekka. 1–4. Leipzig 1857–1861

Wüstenfeld, F., Die von Medina auslaufenden Hauptstraßen. Abh. G. W. Gött. 11 (1862) 3–52

Wüstenfeld, F., Die Wohnsitze und Wanderungen der arabischen Stämme nach Abu 'Ubaid el Bekri. Göttingen 1869

Wüstenfeld, F., Das Gebiet von Medina. Abh. G. W. Gött. 18 (1873) 91–176

Wüstenfeld, F., Geschichte der Fatimiden-Chalifen. Göttingen 1881

Wüstenfeld, F., Fachr ed-Dīn, der Drusenfürst und seine Zeitgenossen. Abh. G. W. Gött. 33 (1886) 69–178

Zambaur, E. de, Manuel de généalogie et de chronologie pour l'histoire de l'islam. Hannover 1927

Zetterstéen, K. V., Beiträge zur Geschichte der Mamlukensultane. Leiden 1919

KARTEN

Baghdad. 5. ed. War Office, London 1945. – International Map of the World 1:1000000, Asia, North I-38

Basra. War Office, London, Jan. 1926. – International Map of the World 1:1000000, Asia, North H-38

Basra. 7. ed. War Office, London 1945. – International Map of the World 1:1000000, Asia, North H-38

Bushire. War Office, London 1918. – International Map of the World 1:1000000, Asia, North H-39

Bushire. 3. ed. War Office, London 1945. – International Map of the World 1:1000000, Asia, North H-39

Lower Mesopotamia between Baghdad and the Persian Gulf 1 : 1000000. Geographical Section, General Staff, No. 2563. War Office, London, Nov. 1907. Additions and corrections, Aug. 1916. – Nachdr. durch die Kartograph. Abt. der Kgl. Preuß. Landesaufnahme. 1917

Mesopotamia 1:126720. Survey Party M. E. F. Bagdad 1919–1921 ('Azizīyah: No. 2 H/NW, Sept. 1919; Baghdad: No. 2 C/SW, July 1912; Daghārah: No. 2 D/SE, Dec. 1921; Diwānīyah: No. 3 A/NE, Nov. 1921; Hillah: No. 2 D/SW, Sept. 1921; Karbala: No. 2 D/NW, July 1921; Najaf: No. 3 A/NW, Sept. 1921; Nasirīyah: No. 3 I/SW, Sept. 1920; Rumaithah: No. 3 E/NW, Nov. 1921; Samawah: No. 3 E/SW, Okt. 1919; Suwairah: No. 2 D/NE, July 1921)

Musil, A., Northern Arabia 1:10000000. New York 1926

Musil, A., Southern Mesopotamia 1:10000000. New York 1927

Northern Arabia 1:1500000. Geographical Section, General Staff, No. 2931. War Office, London, March 1922, in: GJ 59,5 (May 1922)

SA 204B = Blatt I-204B der amerikanisch-saudiarabischen Karte (Department of the Interior, United States Geological Survey – Finanz- und Wirtschaftsministerium. Generaldirektion für Erdöl und Bergwerke) 1:500000. Washington 1959

South-West-Arabia 1:253440. Geographical Section, General Staff, No. 3108. Ordnance Survey. London 1918–28 (Bl. 6: Kunfuda, Bl. 7: Wadi Bishe), Bl. 8: Mecca

Surret Neǵd. J. J. Hess. 1910 (Privatdruck).

فهرس المراجع[1]

الإختصارات

1 ـ نشرات الجمعية (الملكية) للعلوم في غوتنغن. برلين (1، 1938م..).

2 ـ نشرات عن العلوم الخاصة بالشرق. لايبزغ، 1، 1859م...

3 ـ نشرات الأكاديمية (الملكية) البروسية للعلوم. برلين (1، 1804م...).

الجمعية الجغرافية الأمريكية. اكتشافات ودراسات شرقية. نيويورك، 1، 1926م.

5 ـ المكتبة الجغرافية العربية. 1 ـ 8 لايدن 1870م ـ 1894م.

6 ـ المجلة الجغرافية. لندن، 1، 1893م.

7 ـ المجلة الآسيوية. باريس، 1، 1822م...

8 ـ مجلة الجمعية الأمريكية للدراسات الشرقية. بوسطن، 1، 1843م.

9 ـ مجلة الجمعية الفلسطينية للدراسات الشرقية. القدس، 1 ـ 12، 1920م ـ 1948م.

---

(1) من الطبيعي أن فهرس المراجع لا يتضمن جميع المؤلفات التي يرد ذكرها في الأجزاء الأربعة.

10 ـ مجلة الجمعية الملكية للدراسات الآسيوية. لندن، 1843م.

11 ـ مجلة الجمعية الملكية الجغرافية. لندن، 1 ـ 50، 1831م ـ 1880م.

12 ـ اكتشافات فلسطينية. لندن، 1، 1869م ـ 1936م.

13 ـ مجلة الدراسات الإسلامية. باريس، 1، 1927م.

14 ـ مجلة فيينا للدراسات الشرقية. فيينا، 1، 1915م.

15 ـ مجلة الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية. لايبزغ، 1، 1847م.

16 ـ مجلة الجمعية الألمانية الفلسطينية. لايبزغ، 1، 1878م.

17 ـ مجلة اللغات السامية والقضايا المتصلة بها. لايبزغ، 1 ـ 10، 1922م ـ 1931م.

ترجمة المراجع الغربية

1 ـ آلوورت، دبليو: دواوين الشعراء العرب القدامى الستة، لندن 1870م.

2 ـ أحمد جمال باشا: مذكرات رجل دولة تركي، ميونيخ 1922م.

3 ـ اينسوورث، دبليو، ف.: رحلات وأبحاث في آسيا الصغرى، والعراق، وخلدية، وأرمينيا. 1 ـ 2. لندن 1842م.

4 ـ اينسووءث، دبليو، ف.: راوي شخصي عن رحلات استكشافية للفرات 1 ـ 2 لندن 1888م.

5 ـ النشرة السنوية الإسلامية، إحصاء، تاريخ، إجتماع، إقاتصاد. ل. ماسينيون، السنة الثانية، باريس 1925م.

6 ـ انتونيوس، جي: النهضة العربية، لندن 1938م.

7 ـ آرمسترونغ، إتش، سي: لورد الجزيرة العربية. ابن سعود. لندن 1934م.

8 ـ آرفيو، ل.: .... الأخبار التي يصف فيها رحلاته إلى ... سورية وأرض الميعاد باللغة الفرنسية. أصدرها (جي. بي) لابات وترجمها إلى الألمانية 1 ـ 6. كوبنهاغن/ لايبزغ 1753 ـ 1756م.

9 ـ أشكنازي، ت. ب: قبائل نصف رحل في شمال فلسطين، باريس 1938م.

10 ـ أوشيه ـ ألوي، ب: العلاقات بين رحلتين إلى الشرق 1830 و1838. . . ، باريس 1843م.

11 ـ بالبي، غ. : رحلة إلى الهند الشرقية، البندقية 1590م.

12 ـ بنكس، أي. جي: بسميا، أو مدينة أدب المفقودة. لندن/ نيويوك 1912م.

13 ـ البرغوتي، عمر أفندي: دراسات عن الأزياء والفنون الشعبية في فلسطين، 1.

المحاكم الشرعية عند بدو فلسطين، مجلة جمعية الشرق الفلسطينية، القدس، 2(1922).

14 ـ بيكّر، سي، هـ: حول تاريخ شرقي السودان، الإسلام 1 (1910م).

15 ـ بل، ج. ل. : الضفة الشرقية للفرات من تل أحمر حتى هيت، (1910م).

16 ـ

17 ـ بلونت، آ. إ. ن: قبائل بدوية حول الفرات. 1 ـ 2. لندن 1879م.

18 ـ حجة «زيارة» إلى نجد، مهد العرق العربي. 1 ـ 2. لندن 1881م.

19 ـ بوده، سي. إي: رحلات في لورستان وعربستان. 1 ـ 2. لندن 1845م.

20 ـ بوخمان، آ. : ملاحظات حول الخصومة بين قبيلتين في سورية، الموالي والحديدين. 1934م.

21 ـ بولاي لوغوز، ف، الرحلات وإكتشافات سيور، باريس 1657م.

22 ـ بروينلش، أي: بستان ابن قيس، أمير بدوي وبطل من فترة ما قبل الإسلام. لايبزغ 1923م.

23 ـ بروينليش، أي: مقالات عن النظام الاجتماعي للقبائل البدوية العربية إسلاميكا 6 (1933 ـ 1934م).

24 ـ بريمون، إي: الحجاز في الحرب العالمية، باريس 1931م.

25 ـ بريمون، أي: بحار على الجمال، الألمان في الجزيرة العربية 1915 ـ 1916م، باريس 1935م.

26 ـ بوكانان، ز. : في أيدي العرب. لندن (1921م).

27 ـ بوكنغهام، ج. س. : رحلات بين القبائل العربية المقيمة في المناطق الواقعة شرقي سورية وفلسطين. لندن 1825م.

28 ـ بوكينغهام، ج. س. : رحلات في بلاد الرافدين. 1 ـ 2. لندن 1827م.

29 ـ بوركهاردت، ج.ل. : رحلات في سورية والبلاد المقدسة. لندن 1822م.

30 ـ بوركهاردت، ج.ل. : رحلات في الجزيرة العربية. 1 ـ 2. لندن 1829م.

31 ـ بوركهاردت، ج.ل. : ملاحظات عن البدو والوهابيين (مترجم عن الانجليزية)، فايمار 1831م.

32 ـ بورتن، إي: الحياة الداخلية في سورية وفلسطين والبلاد المقدسة. 1 ـ 2. لندن 1875م.

33 ـ بورتن، ر.ف. : مناجم الذهب في ميديان. . . . ، لندن 1878م.

34 ـ بورتن، ر.ف. : بلاد ميديان، . . . 1 ـ 2. لندن 1879.

35 ـ بورتن، ر.ف. + سي. ف. ت. دريك: المناطق غير المستكشفة من سورية. 1 ـ 2. لندن 1872م.

36 ـ كاتاني، ل. : تاريخ الإسلام. 1 ـ 10. ميلانو 1905 ـ 1926م.

37 ـ غالدافينه، إي + إي. بازولت: تاريخ حرب محمد علي ضد الباب العالي العثماني في سورية وآسيا الصغرى، باريس 1837م.

38 ـ كامبانيله، ج. : تاريخ منطقة كردستان. نابولي 1818م.

39 ـ كانان (كنعان)، ت. : بدو العزازمة ومنطقتهم، 1928م.

40 ـ كانان (كنعان)، ت. : دراسات عن طبوغرافيا البتراء وفنونها الشعبية، 1929م.

41 ـ كانان (كنعان)، ت. : بدو صقر في بيسان، 1936م.

42 ـ كابيه، ج. : المراقبات على طريق الهند عبر مصر والصحراء الكبرى.

43 ـ كارامان، آ. : رحلة من حمص إلى تدمر. مجلة الجمعية الجغرافية. باريس (1840م).

44 ـ كاروترز، د.آ. : مغامرات عربية. لندن 1935م.

45 ـ كاسكل، ف. : أيام العرب. دراسات عن الشعر الملحمي العربي القديم. إسلاميكا، 1930 و1931م.

46 ـ كاسكل، ف. :مهدي القرن الخامس عشر بسيّد محمد بن فلاح وخلفه. إسلاميكا (1931م).

47 ـ كاسكل، ف. : ولاة الحويزة. إسلاميكا 6(1934م).

48 ـ كاسكل، ف. : أسرة حاكمة «غير معروفة» في الجزيرة العربية. أورينس، (1949م).

49 ـ كوسّان دي برسفال، آ.ب. : دراسة عن تاريخ العرب قبل الإسلام، وخلال عهد «النبي» محمد وحتى إخضاع جميع القبائل تحت راية الإسلام، باريس 1847 ـ 1848م.

50 ـ شيمسان، ر. إي. : في الجزيرة العربية المجهولة. لندن 1926م.

51 ـ شلهود، ج. : دراسة عن الصلبة. باريس (1957م).

52 ـ شيسني، ف. ر. : رحلة علمية لمسح نهري الفرات ودجلة في عام 1835 ـ 1837م. 1 ـ 4. لندن 1850م.

53 ـ شيها، حبيب، ك. إقليم بغداد. القاهرة 1908م.

54 ـ كرونيكون باشال. . . بون 1832م.

55 ـ كلاوس، ل.ف. : بدوي بين البدو. فرايبورغ 1933م.

56 ـ كلاوس، ل.ف. : سامبّو الصحراء فيما بينهم. برلين 1938م.

57 ـ كليمون، غراندكور، أ، ج ـ تاريخ قطاعي الطرق، قصص حقيقية، باريس 1936.

58 ـ كوندر، سي. ر. : هيث وموآب. استكشافات في سورية عام 1881 و1882. لندن 1883م.

59 ـ كوندر، سي. ر. : مسح شرقي فلسطين. منطقة عدوان. لندن 1889م.

60 ـ كورانسيه، ل. آ. أو. : تاريخ الوهابيين منذ نشوئهم حتى نهاية عام 1809، باريس 1810م.

61 ـ كينه، ف. : أتراك آسيا. 1 ـ 4. باريس 1890 ـ 1895م.

62 ـ كوريتون، دبليو: سبيسيلغيوم سيرياكوم. لندن 1855م.

63 ـ كورتيسّ، س. إي. : الديانة السامية القديمة في الحياة الشعبية للشرق الحالي. لايبزغ 1903م.

64 ـ كورزون، جي. ن. فارس والمسألة الفارسية. 1 ـ 2. لندن ـ نيويورك 1892م.

65 ـ داموامسو، ل. : رحلات لدراسة الخيول في سورية والصحراء. مترجم عن الفرنسية. 1 ـ 2. لا يبزغ 1842م.

66 ـ وصف مصر قوانين الإكتشافات والأبحاث التي أنجزت في مصر خلال الرحلات الاستكشافية للجنود الفرنسيين حلبع من خلال س. ل. ف. بانكوك 1 ـ 24 باريس 1821 ـ 1829م.

67 ـ ديكسون، إتش. ر. ب. : عرب الصحراء، لندن 1951م.

68 ـ ديكسون، إتش. ر.ب. : الكويت وجيرانها. لندن 1956م.

69 ـ ديسّار. ج: هجرات وتقلب أحوال قبيلة عامر، باريس 1905م.

70 ـ دوستال، ف: الصلبة وأهميتهم في التاريخ الثقافي للجزيرة العربية، أرشيف علم الشعوب، فيينا 1956م.

71 ـ دوستال، ف: جماعات الباريا في الشرق الأدنى، مجلة الإثنولوجيا، براونشفايغ 1964م.

72 ـ دوتي، سي. م.: رحلات في الصحراء العربية، كامبريج 1888م.

73 ـ دوتّيه، إي: مراكش. باريس 1905م.

74 ـ دوتسي، د.: تاريخ العرب في أسبانيا حتى احتلال الأندلس من قبل المرابطين (711 ـ 1110م). 1 ـ 2. لايبزغ 1874م.

75 ـ ديسّو، ف: بعثة في المناطق الصحراوية من سورية، باريس 1903م.

76 ـ ادموندز، سي. جي: لورستان. . . .، المجلة الجغرافية 59 (1922م).

77 ـ إغموند فان در نينبورغ، جي. هايمان: رحلات. لايدن 1758م.

78 ـ إنمان، م.: رحلة إلى الشرق، 1711 ـ 1712م. . .، أوبسالا 1889م.

79 ـ موسوعة الإسلام. 1 ـ 4. لايدن 1913 ـ 1934. الجزء التكميلي. لايدن 1938م.

80 ـ ابيفانيوس كونستاتننزس. . . أصدره: ك. هول 30. لايبزغ 1915م. الكتّاب الإغريقيون والمسيحيون في القرون الثلاثة الأولى.

81 ـ إرسكاين، ست.: فلسطين العرب. لندن 1935م.

82 ـ أوتنغ، جي.: مذكرات يومية لرحلة في وسط الجزيرة العربية. 1 ـ 2.لايدن 1896 ـ 1914م.

83 ـ فيلد، هـ.: عرب وسط العراق. تاريخهم، أصلهم، وصفاتهم. . .، شيكاغو 1935م.

84 ـ فيلد، هـ. : مقالات عن أنتروبولوجيا إيران. شيكاغو 1939م.

85 ـ فيلد، هـ. : انتروبولوجيا العراق. الجزء الثاني، رقم 1. شمال الجزيرة، كامبردج 1951م.

86 ـ فيغاريه، ر. : بلاد الرافدين. المجلة الجغرافية، باريس. 1(1922م).

87 ـ فينّ، جي: أوقات نشطة، أو أرقام قياسية من القدس، لندن 1878م.

88 ـ فلوغل، غ. : المخطوطات العربية والفارسية والتركية في المكتبة الملكية في فينا. 1 ـ 3. فيينا 1865 ـ 1867م.

89 ـ فونتانييه، ف. : رحلة في الهند وفي الخليج الفارسي عبر مصر والبحر الأحمر. 1 ـ 2. باريس 1844 ـ 1846م.

90 ـ فورّر، ل. : التاريخ العثماني لرستم باشا. لايبزغ 1923م.

91 ـ فورّر، ل. : جنوبي الجزيرة العربية حسب كتاب الحمداني «وصف شبه الجزيرة العربية»، 1942م.

92 ـ فريزر، ج. ب. : رحلات في كردستان وبلاد الرافدين... 1 ـ 2. لندن 1840م.

93 ـ فراوبرغر، هـ. : من عمّان إلى جرش. غلوبوس. براونشنايغ، 63 (1893م).

94 ـ فرايتاغ، جي. دبليو. : آرابوم بروفربيا. 1 ـ 3. بون 1838 ـ 1843م.

95 ـ فولانين: حاجي ركان. لندن 1927م.

96 ـ جمهرة النسب. كتاب الأنساب لهشام بن محمد الكلبي. بقلم ف. كاسكل. 1 ـ 2. لايدن 1966م.

97 ـ غودفروي ـ دومبين، م. : سورية في العصر المملوكي... باريس 1923م.

98 ـ غلازر، إي. : رحلة إلى مأرب. فيينا 1913م.

99 ـ غلوب، ج.ب: الصلبة وقبائل محتقرة أخرى في جنوب غرب الجزيرة العربية. . . مناشا، وسكونسن، 1943م.

100 ـ غوجه، م.جـ. : مذكرات عن تاريخ وجغرافيا المشرق 1: مذكرات عن قرامطة البحرين والفاطميين. لايدن 1886م.

101 ـ غوجه، م.جـ. : نهاية امبراطورية قرامطة البحرين. 1895م.

102 ـ غولاّنتس، هـ. : تاريخ الأحداث بين عامي 1633 و1733م. . . . أكسفورد 1927م.

103 ـ غونتو ـ بيرون، د. : كيف استطاعت فرنسا من الإقامة في سوريا 1918 ـ 1919م، باريس 1923م.

104 ـ غرانكويست، هـ. : شروط الزواج في قرية فلسطينية. 1 ـ 2. هلسنغفورس 1931 ـ 1935م.

105 ـ

106 ـ هاكليوت، الإبحارات الأولى، رحلات مشبوهة واكتشافات الأمم الإنكليزية 1 ـ 13 ـ لندن 1598 ـ 1600م.

107 ـ هيدلين، ج. آ. ل. : العصيان المسلح في العراق، 1920. ادنبره/ لندن 1922م.

108 ـ هامّر ـ بورغشتال، ج. فون: تاريخ الأمبراطورية العثمانية. بست/ فيينا 1827 ـ 1835م.

109 ـ هامّر ـ بورغشتال، ج. : تاريخ الإيلخانية، أي المغول في فارس. 1 ـ 2. دارمشتات 1842 ـ 1843م.

110 ـ جانب من الجزيرة العربية، قد أُنجز عبر القسم البحري الجغرافي عبر الاستخبارات، الطاقم البحري، إمارة البحر، مجلد 1، لندن 1922م.

111 ـ هارتمان، م. : مقالات عن البادية السورية. 1899م.

112 ـ هارتمان، م. : أخبار. عالم الإسلام. برلين 2 (1914م).

113 ـ هارتمان، ر. : حكم الكرك. مقال عن الجغرافيا التاريخية لشرقي الأردن الإسلام 2. ستراسبورغ 1911م.

114 ـ هارتمان، ر. : الجزء المحفوظ في توبنغن من تاريخ ابن طولون. برلين 1926م.

115 ـ هارتمان، ر. : قراءة نقدية لـآ. موزيل: بالميرينا (1928م).

116 ـ رجل يصيد في الصحراء ـ لندن ـ 1894م.

117 ـ هنينغر، س. : قبائل الباريا في الجزيرة العربية. فيينا مودلينغ 1939م.

118 ـ هينغر، س. : قبائل وطبقات الباريا في الجزيرة العربية ومصر، روما 1950م.

119 ـ هِسّ، ج.ج. : أسماء بدوية من وسط الجزيرة العربية. هايدلبرغ 1912م.

120 ـ هسّ، ج.ج. : ملاحظات حول «رحلات دوتي إلى الجزيرة العربية. 1902م.

121 ـ هسّ، ج.ج. : عن بدو وسط الجزيرة العربية، زوريخ/ لايبزغ 1938م.

122 ـ هوده، ف. : السفر من جزر الملابار إلى القصطنطينية، مترجم من الإنكليزي، باريس 1820م.

123 ـ هيلّ، غ. : مع البدو. لندن 1891م.

124 ـ هينتس، ف. : دراسات عن مصادر تاريخ التيموريين. 1936م.

125 ـ هاول ـ ت. سجل العبور من الهند عبر الطريق الجزئي من أرمينيا وناتوليا أو آسيا الصغرى، لندن 1789م.

126 ـ هوارت، سي: ملاحظة حول القبائل العربية في العراق.

127 ـ هوبر، ك. : رحلة في قلب الجزيرة العربية، 1878 ـ 1882م، مجلة الجمعية الجغرافية، باريس 1884، 1885م.

128 ـ هوبر، ك. مذكرات عن رحلة إلى بلاد العرب (1883 ـ 1884م). باريس، 1891م.

129 ـ إربي، ك.ل. + ج منغلس: رحلات في مصر والنوبة وفي سورية وآسيا الصغرى خلال عامي 1817 و1818م. لندن 1823م.

130 ـ الإسلام. مجلة عن التاريخ والثقافة في الشرق الإسلامي، ستراسبورغ 1، 1910م.

131 ـ إسلاميكا: لايبزغ، 1 ـ 7، 1924 ـ 1935م.

132 ـ باوسن، آ. : الأعراف العربية في بلاد . . . . ، باريس1908م.

133 ـ باوسن، أ: سافيناك، المهمة الأثرية في الجزيرة العربية، باريس 1909 ـ 1922م ـ مطبوعات الجمعية الفرنسية للتنقيب عن الآثار (من القدس حتى الحجاز) ـ ميدان صالح ـ 1909م أعراف القبائل العربية 1920م.

134 ـ جومار، إي، إف: دراسات جغرافية وتاريخية عن الجزيرة العربية، باريس 1839.

135 ـ ذكريات، أر ـ اتش ـ توماس، اختيارات من إتفاقيات الحكومة الهندية (بومباي).

136 ـ كاله، ب. : بدو أولاد علي في الصحراء الليبية. الإسلام، ستراسبورغ ع، (1913م).

137 ـ كاي، هـ. سي: ملاحظات عن تاريخ بني عقيل، 1886م.

138 ـ كينيت، ج. : القضاء البدوي. القوانين والعادات بين البدو المصريين. كامبردج 1925م.

139 ـ كابيل، ج، راوي شخصي عن رحلات بابيلونيا، اسيريا، ميديا وسيثيا في عام 1824م لندن 1827م.

140 ـ كونتسكه، ر. : اكتشافات وفتوحات وراء البحار. أفكار صليبية وتبشيرية. فرانكفورت/ برلين 1964م.

141 ـ كريمر، آ. : وسط سورية ودمشق. فيينا 1853م.

142 ـ لامارتين، آ.م.ل. : ذكريات وانطباعات وآراء ومناظر طبيعية خلال رحلة في الشرق (1832 ـ 1833م). بروكسل 1836م.

143 ـ لاندبرغ، سي. : دراسات عن اللهجات العامية لعرب الجنوب. لايدن 1905 ـ 1913م.

144 ـ لاندبرغ، سي. : لغة بدو العنزة. 1. لايدن 1919م.

145 ـ لين ـ بول، ست. : الأسر الحاكمة المحمدية. لندن 1894م.

146 ـ لورنس، ت. إي. : أعمدة الحكمة السبعة. لندن 1935م.

147 ـ لايارد، آ.هـ. : نينوى وآثارها، لايبزغ 1854م.

148 ـ لايارد، آ. هـ. : اكتشافات في آثار نينوى وبابل. لندن 1853م.

149 ـ لايارد، آ. هـ. : مغامرات مبكرة في فارس وسوزيانا وبابلونيا، لندن 1887م.

150 ـ ليتشمان، ج. إي. إي. : رحلة في شمال شرق الجزيرة العربية (1911م).

151 ـ

152 ـ ليتمان، إي. : قائمة رسمية بقبائل البدو في شرقي الأردن (1901م).

153 ـ ليتمان، إي. حكايات عربية بدوية. ستراسبورغ 1908م.

154 ـ لوفتوس، دبليو، ك. : رحلات وأبحاث في خالدية وسوزيانا. لندن 1857م.

155 ـ لونكريك، ست، هـ. : أربعة قرون في العراق الحديث. أوكسفورد 1925م.

156 ـ لونكريك، ست، هـ. : العراق 1900 ـ 1950م، لندن 1956م.

157 ـ لوييف، م. : رحلة استكشافية إلى البحر الميت والبتراء والضفة اليسرى لنهر الأردن.

158 ـ لوكلاما، . . . : رحلة في روسيا والقوقاز وفارس. باريس 1872 ـ 1874م.

159 ـ لونش، ف، ف. : تقرير عن الرحلات العلمية للولايات المتحدة إلى الأردن والبحر الميت، لا يبزغ 1850م.

160 ـ مارسيه، ج. : العرب البربر من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، باريس 1913م.

161 ـ ماريتي، غ. : تاريخ أمير الدروز فخر الدين والأمراء الآخرين حتى عام 1773م. مترجم عن الإيطالية، غوتا 1790م.

162 ـ ماوندرل، هـ. : رحلة من حلب إلى القدس. أوكسفورد 1732م.

163 ـ مايو، ف،ج. : البدو. 1 ـ 3. باريس 1816م.

164 ـ منجين، ف. : تاريخ مصر تحت حكم محمد علي. 1 ـ 2. باريس 1823م.

165 ـ مريون، سي. ل. : رحلات السيدة هستر ستانهوب. 1 ـ 3. لندن 1846م.

166 ـ متس، آ. : انبعاث الإسلام. هايدلبرغ 1922م.

167 ـ نشرات الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية في برلين، برلين 1، 1898م.

168 ـ موبرلي، ف. جي. : الحملة على العراق 1914 ـ 1918. 1 ـ 2. لندن 1923 ـ 1924م.

169 ـ مونتانيو، ر. : ملاحظات عن الحياة الاجتماعية والسياسية لعرب الشمال. شمر نجد(1932م).

170 ـ مونتانيو، ر. : الحكايات الشعرية البدوية عند شمر الجزيرة. مجلة الدراسات الشرقية، دمشق 5 (1935م).

171 ـ مورتمان، ج. هـ. + إي. ميتفوخ: رحلة فيسمان إلى جنوب الجزيرة العربية. الجزء الأول: كتابات سبأية. هامبورغ 1931م.

172 ـ مورتمان، ج. هـ. + د. هـ. مولر: تماثيل سبأية. نشرات أكاديمية العلوم في فيينا، فيينا 1883م.

173 ـ موريتس، ب.: عن جغرافيا وإتنوغرافيا جنوبي العراق، برلين 1883م.

174 ـ موريتس، ب.: مقالات عن تاريخ دير سيناء في العصور الوسطى، برلين 1918م.

175 ـ موريتس، ب.: الخلافة العباسية في مصر. الشرق الجديد. برلين 6 (1922)م.

176 ـ موريتس، ب.: الجزيرة العربية. دراسات عن الجغرافيا المادية والتاريخية للبلاد. هانوفر 1923م.

177 ـ موريتس، ب.: قومية قبائل الأرومو في جنوب شرق بابلونيا. لايبزغ 1926م.

178 ـ مولر، ف.: في سورية مع البدو. باريس 1931م.

179 ـ مورّي، ج. دبليو: أبناء إسماعيل. لندن 1935م.

180 ـ موزيل، آ.: آرابيا بترانيا «البتراء العربية». 1 ـ 3. فيينا 1907 ـ 1908م.

181 ـ موزيل، آ.: شمال الحجاز، . . .، نيويورك 1926م.

182 ـ موزيل، آ.: الصحراء العربية، نيويورك 1927م.

183 ـ موزيل، آ.: الفرات الأوسط، نيويورك 1927م.

184 ـ موزيل، آ.: شمال نجد، نيويورك 1928م.

185 ـ موزيل. آ.: بالمورينا. نيويورك 1928م.

186 ـ موزيل، آ. : عادات وتقاليد عرب الروله. نيويورك 1928م.

187 ـ ميلر، آ. م. : رحلة في القدس. . 1 ـ 2. فيينا/ نورنبرغ 1928م.

188 ـ نالينو، سي. آ. : العربية السعودية (1938). روما 1939م.

189 ـ نيبور، س. : وصف الجزيرة العربية. كوبنهاغن 1772م.

190 ـ نيبور، س. : وصف رحلة إلى الجزيرة العربية وبلدان أخرى مجاورة. 1 ـ 2. كوبنهاغن 1774 ـ 1778م.

191 ـ نولدكه، ت. : مقالات للتعرف على شعر العرب القدامى، هانوفر 1864م.

192 ـ نولدكه، ت. : تاريخ الفرس والعرب في العهد الساساني، ترجمة من التاريخ العربي عند الطبري. لايدن 1879م.

193 ـ نولدكه، ت. : النسب والزواج في الجزيرة العربية قديماً، 1868م.

194 ـ أوليفييه، ج. آ. : رحلة في الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس. 1 ـ 3. 1802 ـ 1807م.

195 ـ أوبنهايم، ماكس فرايهرفون: من البحر المتوسط حتى الخليج الفارسي «العربي». 1 ـ 2. برلين 1899 ـ 1900م.

196 ـ أورينته مودرنو. روما، 1، 1921م.

197 ـ أوتر، ج. : رحلات في تركيا وفارس. مترجم عن الفرنسية. نورنبرغ 1781 ـ 1789م.

198 ـ بالغرافه، دبليو، ج. : قصة رحلة لمدة عام في وسط الجزيرة العربية وشرقها 1802 ـ 1863. 1 ـ 2. لندن/ كامبريدج 1865م.

199 ـ باريت، د. : الأدب المغازي الاسطوري. توبنغن 1930م.

200 ـ بارسونز، آ. : رحلات في آسيا وإفريقيا. لندن 1808م.

201 ـ باولوس، هـ. إي. غ. : جمع عدد من الرحلات المثيرة إلى الشرق. 1 ـ 7. بينا 1792 ـ 1803م.

202 ـ بلّي، ل.آ. : زيارة للعاصمة الوهابية، وسط الجزيرة العربية، 1865م.

203 ـ بيترمان، ج.هـ. : رحلات في الشرق 10 ـ 2. لايبزغ 1865 ـ 1861م.

204 ـ بيترز، ج.ب. : نيبور، أو اكتشافات ومغامرات على الفرات. 1 ـ 2. نيويورك 1897م.

205 ـ بتري، دبليو، م.ف. : أبحاث في سيناء. لندن 1906م.

206 ـ فيلبي. هـ. ست. ج.ب. : قلب الجزيرة العربية. 1 ـ 2. لندن 1922م.

207 ـ فيلبي، هـ. ست. ج.ب. : الجوف والصحراء في شمال الجزيرة العربية، 1923م.

208 ـ فيلبي، هـ. ست. ج. ب: الجزيرة العربية والوهابيون. لندن 1928م.

209 ـ فيلبي، هـ. ست. ج. ب: آرابيا «الجزيرة العربية». لندن 1930م.

210 ـ فيلبي، هـ. ست. ج. ب: الربع الخالي. لندن 1933م.

211 ـ فيلبي، هـ. ست. ج. ب: بنات سبأ. لندن 1939م.

212 ـ فيلبي، هـ. ست. ج. ب: بلاد الميديان «بلاد مدين». لندن 1957م.

213 ـ بوكوك: وصف المشرق وبعض البلدان الأخرى. مترجم عن الإنجليزية. إرلانغن 1754 ـ 1755م.

214 ـ بورتر، ر.ك. : رحلات في جورجيا وفارس وأرمينيا وبابلونيا القديمة. 1 ـ 2. لندن 1821 ـ 1822م.

215 ـ راكو، إي + ف. كاسكل: الخيمة البدوية، برلين 1938م.

216 ـ رحلات في صحاري سورية وبين التركمان والبدو (القنصل الإنجليزي في حلب)، لندن 1864م.

217 ـ راسوان، سي. آر. : مناطق البدو وطرق هجراتهم في شمال الجزيرة العربية المجلة الجغرافية، نيويورك. 2 (1930م).

218 ـ راسوان، سي. آر. : في بلاد الخيام السوداء. برلين 1934م.

219 ـ راونكيار، ب. : ، كوبنهاغن 1913م.

220 ـ راوفولف، ل. :

221 ـ راولنسون، إتش، سي. : ملاحظات حول محمد والعرب منشورات المجمع الملكي الجغرافي لندن (1855 ـ 1857م) 351.

222 ـ راينو + مارتينه: البدو في حركة دمشق. بيروت 1922م.

223 ـ الإحصاء العام في مصر. أول يونيو/حزيران 1897م. 1 ـ 3. القاهرة 1898م.

224 ـ ريشر، أو. : مقالات قصيرة 2. مجلة الإسلام. برلين/ لايبزغ 16 (1927م).

225 ـ فقد الإدارة المدنية في العراق، لندن 1920م.

226 ـ ريفوبيبليك، دراسات عن الكتاب المقدس باريس 1، 1892م.

227 ـ الكشف على مصر، ديوان شهري عن المستندات التاريخية والجغرافية المتعلقة بمصر، القاهرة (1894 ـ 1897م).

228 ـ ريتش، سي. جي. : قصة إقامة في كردستان وفي منطقة نينوى القديمة. 1 ـ 2. لندن 1836م.

229 ـ ريتّر،ك. : الجغرافيا في علاقتها بالطبيعة وتاريخ البشر. 1 ـ 19. برلين 1822 ـ 1859م.

230 ـ روبنسون، إي. + إي. سميث: فلسطين والبلدان المجاورة لها من الجنوب. 1 ـ 3. برلين 1857م.

231 ـ روجيه، ف. إي. : الأراضي المقدسة. باريس 1664م.

232 ـ روس، ج. : ملاحظات عن رحلتين من بغداد إلى آثار الحظلة في العراق في عام 1836 و1837. 1939م.

233 ـ روتشتاين، غ. : حكم اللخميين في الحيرة، برلين 1899م.

234 ـ روسو، ج. ب. ل.ج. : وصف الباشاوية في بغداد، باريس 1809م.

235 ـ روسو، ج.ب. ل.ج. : رحلة إلى بغداد وحلب (1808م). باريس 1899م.

236 ـ روبيل، إي. : رحلات في النوبة وكردفان و. . . ، فرانكفورت 1829م.

237 ـ روستوم، إي، جي: مواد لمجموعة من الوثائق العربية المتعلقة بتاريخ سورية تحت حكم محمد علي باشا. 1 ـ 2. بيروت 1930 ـ 1931م.

238 ـ روتر، إي. : المدن المقدسة في الجزيرة العربية. 1 ـ 2. لندن 1928م.

239 ـ زاخاو، إي. : رحلة في سورية والعراق. لايبزغ 1883م.

240 ـ ساسي، س. :

241 ـ ساسي، س. : تقرير عن الديانة الدرزية. 1 ـ 2. باريس 1838م.

242 ـ سانديز، ج. : رحلات. لندن 1658م.

243 ـ ساو برناردينو، . . . . ، لشبولة 1611م.

244 ـ سارزك، إيد، دي: اكتشافات في خلده. 1 ـ 2. باريس 1884 ـ 1912م.

245 ـ سكاليفر، برباروس: كرونيكوم ألكسندر ينوم، برلين 1892م.

246 ـ شولتس، ف. : المنمنمات الفارسية الإسلامية. لايبزغ 1914م.

247 ـ شوماخر، ج. : عبر نهر الأردن. . . . لندن 1886م.

248 ـ شوماخر، ج. : الجولان. لندن 1889م.

249 ـ شوماخر، ج. + سي. شتويرناغل: العجلون. لا يبزغ 1927م.

250 ـ سيبروك، دبليو، ب. : مغامرات في الجزيرة العربية. نيويورك 1927م.

251 ـ زيتسن، أو. ج. : رحلات عبر سورية وفلسطين وفينيقيا، وبلدان شرقي الأردن. 1 ـ 4. برلين 1854 ـ 1859م.

252 ـ مختارات من سجلات حكومة بومباي. بومباي 1856م.

253 ـ سستيني، د. : رحلة من القسطنطينية إلى البصرة في عام 1781 عبر دجلة والفرات ثم العودة القسطنطينية في عام 1782م. مترجم عن الإيطالية. باريس.

254 ـ سنوك ـ هورغرونيه، سي. : مكة. 1 ـ 2. أطلس صور. لاهاي 1888 ـ 1889م.

255 ـ سوسين، آ. : ديوان من وسط الجزيرة العربية. لايبزغ 1901م.

256 ـ ساوثغيت، هـ. : قصة رحلة عبر أرمينيا وكردستان وفارس والعراق. لندن 1840م.

257 ـ سبويه، هـ.هـ. : أربع قصائد لنمر بن عدوان، 1912م.

258 ـ سبويه هـ، هـ. : خمس قصائد لنمر بن عدوان، 1923م.

259 ـ سبويه، هـ.هـ + إي. ن. حداد: قصائد لنمر بن عدوان، (1929م).

260 ـ سبويه، هـ.هـ + إي. ن. حداد: قصائد لنمر بن عدوان، 1945، 1946م.

261 ـ شبرنغر، آ. : حياة محمد تعاليمه 1 ـ 3. برلين 1861 ـ 1865م.

262 ـ شبرنغر، آ. : مقال عن الإحصاء في الجزيرة العربية، 1863م.

263 ـ شبرنغر، آ. : الجغرافيا القديمة للجزيرة العربية. برن 1875م.

264 ـ شتوبل، آ. : رحلة إلى ديرة التلول وحوران، 1889م.

265 ـ مسح لأنواع الحيوانات الموجودة في العراق. بومباي 1923م.

266 ـ سايكس، م. : دار الإسلام. لندن 1904م.

267 ـ سايكس، م. : آخر تركة الخليفة. لندن 1915م.

268 ـ تاميسييه، م. : رحلة في الجزيرة العربية. 1 ـ 2. باريس 1840م.

269 ـ تافرنييه، ج.ب. : وصف ست رحلات... في تركيا وفارس والهند... جنيف 1681م.

270 ـ تايلور، ج. : رحلة من بريطانيا إلى الهند في عام 1789م. 1 ـ 2. لندن 1799م.

271 ـ تايكسايرا، ب. : رحلات بدرو تكزيرا مع «ملوك هرمز» مع مقتطفات من ملوك بيرسيا تم نقله من ف. سنكليرود. فرغسون لندن 1902م مجتمعات هاكليوت 2/ 9.

272 ـ تريبة، : القبائل العربية في سورية. بيروت 1922م.

273 ـ تريبة، : القبائل البدوية ونصف البدوية في دول المشرق الواقعة تحت الإنتداب الفرنسي. بيروت 1930م.

274 ـ تيفينو، ج. : رحلات السيد تيفينو في أوروبا وآسيا وإفريقيا. 1 ـ 5. أمستردام 1727م.

275 ـ تولنس، ر. : عن استغلال المياه في العراق في الماضي وعن إحيائه من جديد في الوقت الحاضر. مجلة العمران، برلين 1912م.

276 ـ توماس، ب. : آرابيا فليكس. عبر «الربع الخالي» في الجزيرة العربية. نيويورك 1932م.

277 ـ نيزنهاوزن، ف. : تاريخ الأسرة الحاكمة العقيلية. سانت بيتر سبورغ/ لايبزغ 1859م.

278 ـ تريسترام، سي. هـ. ب. : إسرائيل. لندن 1866م.

279 ـ تويدي، دبليو: الحصان العربي وبلاده وأصحابه. أدنبره/ لندن 1894م.

280 ـ تويتشل، ك. س. : العربية السعودية. برينستون 1947م.

281 ـ آبتون، ر. د. : عن بدو الصحراء العربية. لندن (1877م).

282 ـ آبتون، ر. د. : ملتقطات من صحراء الجزيرة العربية. لندن 1881م.

283 ـ فالّه، ب. ديلاّ، . . . : وصف رحلة. 1 ـ 4. جنيف 1674م.

284 ـ فاريتما، ل. دي. :

285 ـ فرنييه، ب. شهادة عن فرسان سوريا، باريس 1938م.

286 ـ فولنيه، سي. ف. : رحلة إلى سورية ومصر في الأعوام 1783، 1784، 1785م. بينا 1788م.

287 ـ والّين، ج. آ. : ملاحظات مأخوذة خلال رحلة عبر جزء من شمال الجزيرة العربية في عام 1848. 1851م.

288 ـ والّين، ج. آ. : عينة من مختارات من الأغاني العربية الجديدة، جمعت في الصحراء. 1851م.

289 ـ والين، ج. آ. : قصة رحلة من القاهرة إلى المدينة ومكة عن طريق السويس وعربه والطويلة والجوف وجبّه وحائل ونجد في عام 1845م. (1854م).

290 ـ فانغلين، هـ. : القصة الشعبية العربية عن الملك الظاهر بيبرس. شتوتغارت 1936م.

291 ـ وارن، ش. : تقارير (1869 ـ 1870م).

292 ـ وارن، ش. : ملاحظات عن آرابيا بترايا «بلاد البتراء» والبلاد الواقعة بين مصر وفلسطين. 1887م.

293 ـ وافل، آ.ج.ب. : حاج عصري في مكة. لندن 1918م.

294 ـ فايل، ج. : تاريخ الخلفاء. 1 ـ 5. مانهايم/ لايبزغ 1846 ـ 1862م.

295 ـ فلهاوزن، ج. : رسومات أولية وتحضيرات. 1 ـ 6. برلين 1884 ـ 1899م.

296 ـ فلهاوزن، ج. : أغاني الهذيليين. رسومات وتحضيرات. 1 ـ 2. برلين 1884م.

297 ـ فلهاوزن، ج. : إعلان عن رحلات دوتي في الصحراء العربية. 1891م.

298 ـ فلهاوزن، ج. : بقايا الوثنية العربية. برلين 1897م.

299 ـ فلهاوزن، ج. : الأمبراطورية العربية وسقوطها. برلين 1902م.

300 ـ ولستد، ج.ر. : رحلات إلى مدينة الخلفاء. 1 ـ 2. لندن 1840م.

301 ـ ولستد، ج.ر. : رحلات في بلاد العرب. النسخة الألمانية (روديفر) 1 ـ 2. هالة 1842م.

302 ـ عالم الإسلام، إصدار. غ. كامبغماير. برلين 1 ـ 24. 1913 ـ 1942م.

303 ـ غربي الجزيرة العربية والطريق البحري. الدليل الجغرافي. أوكسفورد 1946م.

304 ـ فتسشتاين، ج. غ. : تقرير عن رحلة عبر حوران. . . برلين 1860م.

305 ـ فتسشتاين، ج. غ. : كلام من مخيمات الصحراء السورية. 1868م.

306 ـ فتسشتاين، ج. غ. : شمال الجزيرة العربية والصحراء السورية حسب أقوال السكان المحليين. برلين 1865م.

307 ـ ويلكوكس، سر. دبليو: ميزوبوتاميا: في الماضي والحاضر والمستقبل. 1910م.

308 ـ ويلسون، إي. تي: لورستان. سيملا 1912م (تقرير عسكري) استعمله هـ. فيلد لقبائل خوزستان. اقتبسنا منه في الكتاب تحت اسم «ويلسون عند فيلد».

309 ـ ويلسون، أي. تي: ميزوبوتاميا 1917 ـ 1920م. تعارض الولاءات. لندن 1931م.

310 ـ فيسمان، هـ.: عن تاريخ وجغرافيا جنوبي الجزيرة العربية قديماً. فيينا 1964م.

311 ـ فوستنفلد، ف.: جداول أنساب القبائل والعائلات العربية. غوتنغن 1852م.

312 ـ فوستنفلد، ف.: تاريخ مدينة مكة. 1 ـ 4. لايبزغ 1857 ـ 1861م.

313 ـ فوستنفلد، ف.: الطرق الرئيسية الخارجة من المدينة. 1862م.

314 ـ فوستنفلد، ف.: مقرات وأماكن تنقل القبائل العربية استناداً إلى أبي عبيد البكري.

315 ـ فوستنفلد، ف.: منطقة المدينة. 1873م.

316 ـ فوستنفلد، ف: تاريخ الخلفاء الفاطميين. غوتنغن 1881م.

317 ـ فوستنفلد، ف.: فخر الدين، الأمير الدرزي ومعاصروه. غوتنغن 1886م.

318 ـ زامباور، إي. دي.: دليل الأنساب والأحداث التاريخية للتاريخ الإسلامي. هانوفر 1927م.

319 ـ تسيترستين، ك. ف.: مقالات عن تاريخ سلاطين المماليك. لايدن 1919م.

MORGENLÄNDISCHE LITERATUR

'Abbās el 'Azzāwī, 'Aschā'ir el 'Irāḳ. 1–2. Baghdad 1937–1947

'Abd el Djebbār el Rāwī, el Bādija. Baghdad 1947

'Abd el Razzāḳ el Ḥasanī, el 'Irāḳ ḳadīman wa ḥadīṯan. Ṣaidā 1948

'Abd el Selām Efendī, Chronik von Mārdīn. Auszug des Ms. im Besitz der M. Frh. v. Oppenheim-Stiftung

'Abdullāh ibn Nūreddīn ibn Ni'matullāh ul Schūschtarī, Sējid, K. taḏkira-i Schūschtar. An account of Shūshtar, from the earliest time to A. H. 1169 ...Ed. by Khān Bahādur Maulā Bakhsh and ... Maulawī Hidāyet Ḥusain. 1–2. Kalkutta 1914–1924. – Bibl. Ind. 206

'Abīd ibn el Abraṣ, The Dīwāns of 'Abīd ibn al Abraṣ and 'Āmir ibn aṭ Ṭufail, ed. ... with a transl. and notes by Ch. J. Lyall. Leiden/London 1913

Abū'l Faradj el Iṣbahānī, K. el aghānī. 1–21. Kairo 1323/1905

Abū'l Fidā', Géographie (K. taḳwīm el buldān), trad. en français par J. T. Reinaud (et S. Guyard). 1–2. Paris 1848–1883

Abū'l Fidā', Muchtaṣar ta'rīch el baschar. 1–4. Istanbul 1286/1869–70

Abū'l Hudā Muḥammad el Ṣaijādī, K. ḏachīrat el ma'ād fī ḏikr el Sāde Benī'l Ṣaijād. Kairo 1307/1889

Abū'l Maḥāsin ibn Taghrībirdī, el Nudjūm el zāhira fī mulūk Miṣr wa'l Ḳāhira. 1–8; 8, Suppl.: Ḥawādiṯ el duhūr fī maḏā'l aijām wa'l schuhūr. Berkeley 1909–1936. – Univ. of California Publications in Semitic Philology 2, 1–3; 3, 1; 5, 1–4; 6, 1–4; 7, 1–4

el Achṭal, Diwan. Texte arabe publié ... par le P. A. Salhani S. J. Beirut 1891

Aḥmed Wāṣif, Meḥāsin ül āsār we ḥaḳā'iḳ ül achbār. 1–2. Istanbul 1219/1804

el 'Aijāschī, Abū Sālim 'Abdullāh, el Riḥla el 'Aijāschīja. 1–2. Fes 1316/1898

Alef-Bā (Tageszeitung). Damaskus 1920–1958

'Alī, Nuṣretnāme. Ms. Wien, Flügel Nr. 1017

'Alī el Scharḳī, Ḏikrā el Sa'dūn au ta'rīch baṭal el taḏḥija wa'l ichlāṣ. Baghdad 1929

'Alḳama, Dīwān schi'r 'Alḳama el Tamīmī, in: Ahlwardt, The Diwans ... 103–114

Amīn el Rīḥānī, Mulūk el 'Arab. 1–2. Beirut 1925

Amīn el Rīḥānī, Ta'rīch Nedjd wa mulḥaḳātih. Beirut 1928

'Amr ibn Ḳamī'a, The poems of 'Amr son of Qamī'ah of the clan of Qais son of Tha'labah, a branch of the tribe of Bakr son of Wā'il. Ed. and transl. by Sir Charles Lyall. Cambridge 1919

Arīb ibn Sa'd el Ḳurṭubī, Tabarī continuatus (Ṣilat Ta'rīch el Ṭabari), quem ed. M. J. de Goeje. Leiden 1897

'Ārif el 'Ārif, K. el ḳaḍā' bain el Badū. Jerusalem 1933

'Ārif el 'Ārif, Ta'rīch Bīr el Sab' wa ḳabā'ilihā. Jerusalem 1934. (Übers. v. L. Haefeli, Die Beduinen von Beerseba, Luzern 1938)[1]

el Bācharzī, Dumjat el ḳaṣr . . . Aleppo 1349/1930

el Balāḏurī, Aḥmad ibn Jaḥjā ibn Djābir, K. futūḥ el buldān. Liber expugnationis regionum. Ed. M. J. de Goeje. Leiden 1866

el Batānūnī, Muḥammad Labīb, el Riḥla el ḥidjāzija. Kairo 1905

Chalīfa, Ḥāddjī/Hadji Khalfa, Djihān-nümā. Istanbul 1145/1730

Chalīl el Ẓāhirī, Zoubdat kachf el Mamalik. Tableau politique et administratif de l'Egypte, de la Syrie et du Hidjaz ..., ed. P. Ravaisse. Paris 1894

Chwāndamīr, Ḥabīb ul sijar. 1–3. Teheran 1271/1854

el Ḏahabī, Muḥammad ibn Aḥmad, K. el muschtabih fī asmā' el ridjāl, ed. P. de Jong. Leiden 1863–1881

el Dimaschḳī, Schemseddin Abū 'Abdallāh Muḥammad ibn Abī Ṭālib, Manuel de la cosmographie du moyen âge (K. nuchbat el dahr fī 'adjā'ib el barr wa'l baḥr), trad. par A. F. Mehren. Kopenhagen/Leipzig 1874

el Djabartī, 'Abderraḥmān ibn Ḥasan, Merveilles biographiques et historiques ou chroniques, trad. par Chefik Mansour Bey (u. a.). 1–9. Kairo 1888–1896

Djewdet, Aḥmed, Ta'rīchi Djewdet. 1–2. Istanbul 1289–1309/ 1872–1890

Ējūb Ṣabrī, Mir'āt ül Ḥaramēn. 1,1–2.2. Istanbul 1301–1306/1883–1888

Es'ad Manṣūr, Ta'rīch el Nāṣera. Kairo 1924

Ewlijā Tschelebī, Sejāḥatnāme. 1–7. Istanbul 1314–1328/1896–1910

Fu'ād Ḥamza, Ḳalb Djezīret el 'Arab. Kairo 1352/1933

Ghazzī, Kāmil ibn Ḥuṣain ibn Muṣṭafā, Nahr el ḏahab fī ta'rīch Ḥalab. 1–3. Aleppo 1345/1926

Hamâsa, ges. v. Abu Temmâm, übers. und erl. v. Fr. Rückert. In zwei Teilen. Stuttgart 1846

el Hamdānī, el Ḥasan ibn Aḥmad, K. ṣifat djezīret el 'Arab. Geographie der arabischen Halbinsel. Hrsg. v. D. H. Müller. 1–2. Leiden 1884–1891

Ḥamdullāh Mustaufī, Ta'rīchi guzīdā. Select History. . reproduced from a manuscript ... by E. G. Browne (Indices by R. A. Nicholson) 1 (Text). 2 (Abridged translation). Leiden/London 1910–1913

Ḥasani Rūmlu, Aḥsan el tawārīch, A chronicle of the early Ṣafawīs being the Aḥsanu't-tawārīkh of Ḥasan-i-Rūmlū, by C. N. Seddon. 1 (ed.) – 2 (transl.). Baroda 1931–1934. – Gaekwad's Oriental Series 57. 59

---

[1] Streiche in Bd. II, S. XV die Anm. 1 und setze sie auf S. XVI zu dem zitierten Werk.

Ḥassān ibn Ṯābit, The Dīwān of Ḥassān b. Thābit, ed. by H. Hirschfeld. Leiden 1910. – E. J. W. Gibb Memorial Series 13

Ḥātim Ṭaiy, Der Dîwân des arabischen Dichters Ḥâtim Ṭej nebst Fragmenten, hrsg., übers. und erl. v. F. Schultheiss. Leipzig 1897

Hilāl el Ṣābi', K. el wuzarā', ed. H. F. Amedroz. Leiden 1904

Huḏail, Carmina Hudsailitarum, ed. J. G. L. Kosegarten. Vol. 1. London 1854

Ḥusein el Ghannām, Rauḍat el afkār wa'l afhām li murtād ḥāl el imām wa ta'dād ghazawāt ḏawī 'l islām. 1–2. Ms. Kairo, Abschrift im Besitz der M. Frh. v. Oppenheim-Stiftung (Druck, Kairo 1368/1949)

Ḥüsejn Ḥüsnī, Nedjd ḳyṭ'asynyn eḥwāli 'umūmījesi. Istanbul 1328/1910

Ḥuṭai'a, Djarwal ibn Aus, Diwan, ed. I. Goldziher. Leipzig 1893

Ibn el Aṯīr, 'Izz el Dīn 'Alī ibn Muḥammad, Kitāb el kāmil fī'l ta'rīch. Chronicon, ed. C. J. Tornberg. 1–14. Leiden (Upsala) 1851–1876

Ibn Baṭṭūṭa, Muḥammad ibn Muḥammad, Tuḥfat el nuẓẓār fī gharā'ib el amṣār wa 'adjā'ib el asfār. Voyages. Texte arabe, accompagné d'une trad. par Ch. Defrémery et B. R. Sanguinetti. 1–4; Index. Paris 1853–1859

Ibn Chaldūn, K. el 'ibar wa dīwān el mubtada' wa'l chabar fī aijām el 'Arab wa'l 'Adjam ... 1–7. Kairo 1284/1867

Ibn Chaldūn, Histoire des Berbères et des dynasties musulmanes de l'Afrique septentrionale. Trad. par le Bn W. MacGuckin de Slane. 1–2. Algier 1847–1851

Ibn Challikān, K. wafajāt el a'jān wa anbā' abnā' el zamān. 1–2. Būlāḳ 1310/1892–1893

Ibn Duraid, Ibn Doreid's genealogisch-etymologisches Handbuch (al-Ischtiḳāḳ), hrsg. v. F. Wüstenfeld. Göttingen 1845

Ibn Faḍlallāh el 'Omarī, el Ta'rīf bi'l muṣṭalaḥ el scherīf. Kairo 1312/1896

Ibn Faḍlallāh el 'Omarī, Masālik el abṣār fī mamālik el amṣār. Kairo 1924

Ibn Ḥauḳal, Viae et regna (K. el masālik wa'l mamālik), ed. M. J. de Goeje. Leiden 1873. – BGA 2

Ibn Ḥazm, Djamharat ansāb el 'Arab, ed. E. Lévi-Provençal. Kairo 1948

Ibn Hischām, K. sīrat rasūl Allāh. Das Leben Muhammed's nach Muhammed ibn Ishak, bearbeitet von Abd el-Malik ibn Hischâm. ... hrsg. v. F. Wüstenfeld. 1–2. Göttingen 1859–1860

Ibn Ijās, Muḥammad ibn Aḥmad, K. badā'i' el zuhūr fī waḳā'i' el duhūr. 1–3, Kairo 1311–1314/1893–1896; 4–5, ed. P. Kahle und M. Mustafa Istanbul 1931

Ibn el Ḳalānisī, History of Damascus, ed. H. F. Amedroz. Leiden 1908

Ibn Ma'tūḳ, Schihāb el Mūsewī, Dīwān. o. O. 1280/1863

Ibn Mujassar, Annales d'Egypte (Achbār Miṣr), ed. H. Massé. Kairo 1919

Ibn Muḳarrab, 'Alī, Dīwān. Bombay 1310/1892

Ibn Sa'd, K. el ṭabaḳāt el kebīr. Biographien Muhammeds, seiner Gefährten und der späteren Träger des Islams ... Hrsg. v. E. Sachau. 1–9. Leiden 1904–1940

Ibn el Ṣairafī, Abū'l Ḳāsim 'Alī ibn Mundjib, el Ischāra ilā man nāla'l wizāra. An account of the Wazirs of the Fatimid caliphs ... Ed. by. 'A. Mukhliṣ. Bulletin de l'Institut français d'archéologie orientale du Caire, Kairo, 25 (1925) 49–112

Ibn Ṭūlūn, Chronik. Ms. Tübingen Ma VI, 7

Ibn Ṭūlūn, Chronik: Mufākahat el chillān fī ḥawādith el zamān, ed. Muḥammad Muṣṭafā. 1–2. Kairo 1962–1964

Ibrāhīm Rif'at, Mir'āt el Ḥaramain. 1–2. Kairo 1344/1925

Imra'alḳais, Dīwān schi'r Imra'alḳais, in: Ahlwardt, The Diwans ... 115–162

Iskender Munschī, Ta'rīchi 'ālam-ārāji 'Abbāsī. 1–3. Teheran 1314/1896

Ismā'īl Ḥakkī Pascha, Fezlekeji terdjümeji ḥāli Ḥazret el Wezīr el Sējid Ismā'īl Ḥakkī Pascha. Aus: Sālnameji Ḥedjāz (nach 1305).

el Iṣṭachrī, Ibrāhīm ibn Muḥammad, K. masālik el mamālik. Viae regnorum. Descriptio ditionis Moslemicae. Ed. M. J. de Goeje Leiden 1870. – BGA 1

'Izzī, Sülējmān, Ta'rīchi 'Izzī. Istanbul 1199/1785

el Ja'ḳūbī, Aḥmad ibn Abī Ja'ḳūb ibn Wāḍiḥ, K. el buldān. Ed. M. J. de Goeje Leiden 1892. – BGA 7

Jāḳūt ibn 'Abdallāh, K. mu'djam el buldān. Geographisches Wörterbuch. Hrsg. v. F. Wüstenfeld. 1–6. Leipzig 1866–1873

el Ḳalḳaschandī, Aḥmad ibn 'Alī, Nihājat el arab fī ma'rifat ansāb el 'Arab. Baghdad 1332/1913–1914

el Ḳalḳaschandī, Aḥmad ibn 'Alī, K. ṣubḥ el a'schā. 1–14. Kairo 1331–1337/1913–1918

Kasrawīji Tabrīzī, Aḥmad, Ta'rīchi pānṣad sāleji Chūzistān. Teheran 1934

Kemāleddīn ibn el 'Adīm, Histoire d'Alep. trad. par E. Blochet. Paris 1900

el Kindī, Abū 'Omar Muḥammad ibn Jūsuf, K. el wulāt (umarā') wa Kitāb el ḳuḍāt. The Governors and judges of Egypt. Ed. by Rh. Guest. Leiden/London 1912. – E. J. W. Gibb Memorial Series 19

Lebīd, Die Gedichte des Lebīd, nach der Wiener Ausgabe übers. und mit Anmerkungen versehen aus dem Nachlasse des Dr. A. Huber hrsg. v. C. Brockelmann. 1–2. Leiden 1891

Lughat el 'Arab. Baghdād, 1911 ...

Luṭfī Pascha, Aḥmed, Ta'rīch. 1–7. Istanbul 1290–1321/1873–1903

Maḥmūd Schukrī el Ālūsī, Ta'rīch Nedjd. Kairo 1343/1924

el Maḳrīzī, Aḥmad ibn 'Alī, el Sulūk li-ma'rifat duwal el mulūk. Histoire des sultans Mamlouks de l'Egypte. Trad. en français par E. Quatremère. 1–2. Paris 1837–1845

el Maḳrīzī, Aḥmad ibn 'Alī, Abhandlung über die in Ägypten eingewanderten arabischen Stämme, hrsg. und übers. v. F. Wüstenfeld. Göttingen 1847

el Mas'ūdī, 'Alī ibn el Ḥusain, K. murūdj el ḏahab wa ma'ādin el djauhar. Les Prairies d'or. Texte et trad. par Ch. A. C. Barbier de Meynard (et A. J. B. Pavet de Courteille). 1–9. Paris 1861–1877

el Mas'ūdī, 'Alī ibn el Ḥusain, K. el tanbīh wa'l ischrāf, ed. M. J. de Goeje. Leiden 1894. – BGA 8

Meḥmed Chūrschīd, Sejāḥatnāmeji ḥudūd 1264–1269. Istanbul 1277/1860

Meḥmed Edīb, Nehdjet ül menāzil. Istanbul 1232/1816. Nicht Manāsik ül ḥāddj

Meḥmed Rāschid Efendi, Ta'rīchi Rāschid Efendi. 1–3. Istanbul 1153/1740

Meḥmed Sürejjā, Sidjilli 'Osmānī. 1–4. Istanbul 1308/1890

Mīrchond, Muḥammad ibn Chwānd Schāh, Rauḍat ul ṣafā. 1–5. 5–10. Teheran 1270–1274/1854–1858. 8–10 = Reẓā Kuli ..., Mulḥaḳāt ...

Moḥammed Bey Ṣadiḳ, Kaukab el ḥāddj. Kairo 1886

el Mubarrad, el Kāmil, ed. by W. Wright, part 1–12. Leipzig 1864–1892

Mudjīreddīn, Abū'l Jaman, K. el Ins el djelīl bi-ta'rīch el Ḳuds wa'l Chalīl. Kairo 1283/1866 ... trad. par H. Sauvaire, Paris 1876

The Mufaḍḍalījāt ... ed. Ch. J. Lyall. 1–3. Oxford 1921–1924

Muḥammad ibn Aḥmad el Ḥuseinī, Riḥlat el Munschi' el Baghdādī. 1237/1822, übers. a. d. Pers. von 'Abbās el 'Azzāwī. Baghdad, el Karch 1367/1948

Muḥammad 'Alī Ḥazīn, The life of Sheikh Mohammed Ali Hazin, transl. by F. C. Belfour. London 1830

Muḥammad el Bāḳir el Djalālī, Mūdjaz ta'rīch 'aschā'ir el 'Amāra. Baghdad 1367/1947

Muḥammad ibn Chalīfa Āl Nebhān, el Tuḥfa el Nebhānīja fī imārāt el djezīra el 'Arabīja. Baghdad 1332/1913

Muḥammad Mahdī Chān, Ta'rīchi Nāderī. Tābriz 1271/1854

Muḥammad Rāghib el Ṭabbāch, I'lām el nubalā bi-ta'rīch Ḥalab el Schahbā. 1–7. Aleppo 1344–1345/1925–1926

Muḥammad Schefīḳ Efendi Muṣṭafā, Fī ḳalb Nedjd wa'l Ḥedjāz. Kairo 1927

el Muḥibbī, Muḥammad, Ta'rīch chulāṣat el aṯar fī a'jān el ḳarn el ḥādī 'aschar. 1–4. Kairo 1284/1867

el-Muḳaddasī, Muḥammad ibn Aḥmad, Aḥsan el taḳāsīm fī ma'rifat el aḳālīm. Descriptio imperii Moslemici. Ed. M. J. de Goeje. Leiden 1877. – BGA 3

el Murādī, Muḥammad Chalīl, Silk el durar fī a'jān el ḳarn el ṯānī 'aschar. 1–4. Kairo 1291–1301/1874–1883

el Mutanabbī, Mutanabbi carmina cum commentario Wahidi, ed. F. Dieterici. Berlin 1861

Na'īma, Ta'rīch, 1–6. Istanbul 1281–1283/1864–1866

Naḳā'iḍ Djarīr wa'l Farazdaḳ, ed. A. A. Bevan. 1–3. Leiden 1905–1912

el Naubachtī, Firaḳ el schī'a, ed. H. Ritter. Istanbul 1931. – Bibliotheca Islamica 4

Na''ūm Bej Schuḳair, Ta'rīch Sīnā el ḳadīm wa'l-ḥadīṯ ... wa djezīrat el 'Arab. Kairo. 1916

Naẓmīzāde Murteẓā, Gülscheni Chulefā'. Istanbul 1143/1730

Niḳōlā el Ṣabbāgh, Ta'rīch el Schēch Ẓāher el 'Omar el Zēdānī. A biography ... Ḥarīṣā/Lib. o. J.

Nūrullāh el Mar'aschī el Schūschtarī, Madjālis ul mu'minīn. Teheran 1299/1882

el Nuwairī, Nihājat el 'Arab fī funūn el adab. 1–6. Kairo 1342–1345/1923–1926

Osman Pascha, Das Archiv des Bosniaken Osman Pascha, ed. F. Babinger. Berlin 1931

Peake, F. G., Ta'rīch Scharkī el Urdunn wa ḳabā'ilihā. Jerusalem o. J.

Petschewī, Ibrāhīm, Ta'rīch. 1–2. Istanbul 1283/1866

Razmārā, 'Alī, Djughrāfijāji niẓāmīji Īrān. A military geography of Īrān. 1–20. Teheran 1320/1941–1942

Resūl Ḥāwī Efendi, Dewḥat ül wüzerā, zejl Gülscheni chulefā. Baghdad 1246/1830

Reẓā Ḳuli Chān „Hidājāt", Mulḥaḳāti Rauḍat ul ṣafā. Teheran 1274/1858

Ṣābit, Sülejmān Fāiḳ Bej ibn Ḥāddji Ṭālib Kahja, Baghdādda kölemen ḥūkümetinin teschekkülile inḳyrāẓyna dāir risāledir. Istanbul 1292/1875

el Sachāwī, Muḥammed ibn 'Abderraḥmān, el Ḍau' el lāmi' li-ahl el ḳarn el tāsi'. 1–2. Kairo 1353–1355/1934–1937

Sa'deddīn Muḥammad ibn Ḥasandjān, Tādj ül tewārīch. 1–2. o. O. 1279/1862

Sa'dī, Musliḥ el Dīn, Rosengarten, übers. v. K. H. Graf. München 1920

Sālname. Baghdad 1324/1906

el Samhūdī, Ta'rīch el Medīna el munauwara el musammā K. wafā el wafā bi-achbār dār el Muṣṭafā. 1–2. Kairo 1908

Sarkīs, J. N., Ḳasch'am fī'l ta'rīch. Lughat el 'Arab, 5 (1927–1928) 137 ff.

Sarkīs, J. N., Mabāḥiṯ 'Irāḳīje. 1–2. Baghdad 1367–1374/1948–1955

Scharaf ed Dīn, Chèref-Nâmeh ou fastes de la nation kurde, trad. par F. B. Charmoy. 1–2. St. Petersburg/Leipzig 1868–1875

Scheḳēr, s. Na"ūm Bej Schuḳair

Schekīb Arslān el Emīr, el Irtisāmāt el liṭāf fī chāṭir el ḥādjj ilā aḳdas maṭāf wa hija el riḥla el ḥidjāzīja. Kairo 1350/1931

Scherefeddīn 'Alī Jezdī, Ẓafernāme, ed. Maulawī Muḥammad Zāhid. 1–2. Kalkutta 1887–1888. – Bibl. Indica 100

Ṣubḥī, Ta'rīchi Sāmī we Schākir we Ṣubḥī. Istanbul 1198/1784

el Suwaidī, Muḥammad Amīn, K. sabā'iḳ el ḏahab fī ma'rifat ḳabā'il el 'Arab. Baghdaḏ 1296/1879

el Ṭabarī, Annales (Ta'rīch el rusul wa'l mulūk). Ed. M. J. de Goeje. 1–3. Leiden 1879–1901

Ṭannūs ibn Jūsuf el Schidjāḳ, K. achbār el a'jān fī djebel Lubnān. Beirut 1859

Umm el Ḳurā (Amtsblatt). Mekka, Jg. 1, 1925 ...

'Unwan = 'Uṯmān ibn 'Abdallāh ibn Bischr, 'Unwān el medjd fī ta'rīch Nedjd. Bagdad 1328/1910

'Unwān[3] = 'Uṯmān ibn 'Abdallāh ibn Bischr, 'Unwān el medjd fī ta'rīch Nedjd. Mekka 1349/1930

Usāma ibn Munkiḏ, Ousâma ibn Mounkidh, un émir syrien au premier siècle des Croisades (1095–1188), par H. Derenbourg ... 1. partie. Vie d'Ousâma, texte arabe de l'autobiographie. 1–2. Paris 1886–1889. – Publ. de l'Ecole des Langues Orientales Vivantes II/12

el Wāḳidī, Muḥammad ibn 'Umar, Muḥammad in Medina. Das ist Vakidi's Kitab al Maghazi, in verkürzter deutscher Wiedergabe hrsg. v. J. Wellhausen. Berlin 1882

Waṣfī Zakarījā, Aḥmed, 'Aschā'ir el Schām. 1–2. Damaskus 1363–1366/1945–1947

Zäjn ol 'Ābedīn Schirwānī, Ḥāddjī, Bustān ul sijāḥat. Teheran 1315/1897

Ziriklī, Chaireddīn, Mā ra'aitu wa mā sami'tu. Kairo 1923

Ziriklī, Chaireddīn, 'Āmān fī 'Ammān, Kairo 1925.

ترجمة المراجع الشرقية

أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني. 1 ـ 21. القاهرة 1223هـ/ 1905م.

أبو الفداء، جغرافيا (كتاب تقويم البلدان، ترجمة إلى الفرنسية ج .تي .رينو (و) س. غويار). 1 ـ 2. باريس 1848م ـ 1883م.

أبو الفداء، مختصر تاريخ البشر. 1 ـ 4. اسطنبول 1286هـ/ 1869م ـ 1870م.

أبو الهدى محمد الصيادي، كتاب ذخيرة المعاد في ذكر السادة بني الصياد. القاهرة 1307هـ/ 1889م.

أبو المحاسن بن تغريبردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 1 ـ 8؛ ملحق 8: حوادث الدهور في مضاء الأيام والشهور. بركلي 1909م ـ 1936م.

الأخطل، ديوان.

أحمد واصف، محاسن الآثار وحقائق الأخبار. 1 ـ 2 اسطنبول 1219هـ/ 1804م.

ألف باء (صحيفة يومية). دمشق 1920م ـ 1958م.

أمين الريحاني، تاريخ نجد وملحقاته. بيروت 1928م.

أريب بن سعد القرطبي (صلة تاريخ الطبري). لايدن 1897م.

أيوب صبري، مرآة الحرمين. 1، 1 ـ 202. اسطنبول 1301هـ ـ 1306هـ/ 1883م ـ 1888م.

أسعد منصور، تاريخ النصارى. القاهرة 1924م.

أوليا تشلبي، سياحة نامه. 1 ـ 7. اسطنبول 1314 ـ 1328هـ/ 1896م ـ 1910م.

أبو تمام، ديوان الحماسة. ترجمة مز .روكرت. في جرئين. شتوتغارت 1846م.

ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، كتاب الكامل في التاريخ 1 ـ 14. لايدن (أبسالا) 1851م ـ 1876م.

ابن بطوطة، محمد بن محمد، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. رحلات. نصوص عربية. مع ترجمة قام بها: ش .ديفريمري (و) ب .ر .سانغينتي. 1 ـ 4؛ فهرس. باريس 1853م ـ 1859م.

ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم. . . 1 ـ 7. القاهرة 1284هـ/ 1867م.

ابن خلدون، تاريخ البربر والأسر الحاكمة الإسلامية في شمال إفريقيا. ترجمه إلى الفرنسية: بن ماغكوكين دي سلانه. 1 ـ 2. الجزائر 1847م ـ 1851م.

ابن خلكان، كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. 1 ـ 2 بولاق 1310هـ/ 1892م ـ 1893م.

ابن دريد، معجم ابن دريد عن الأنساب وأصول الكلمات (الاشتقاق)، أصدره: ف .فوستنفلد، غوتنغن 1845م.

ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف. القاهرة 1312هـ/ 1896م.

ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. القاهرة 1924م.

ابن حوقل (كتاب المسالك والممالك). لايدن 1873م.

ابن حزم، جمهرة أنساب العرب. القاهرة 1948م.

ابن هشام، السيرة النبوية.

ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور. 1 ـ 3، القاهرة 1311هـ ـ 1314هـ/ 1893م ـ 1896م.

ابن القلانسي، تاريخ دمشق. لايدن 1908م (باللغة الإنجليزية).

ابن معتوق، شهاب الموسوي. ديوان، 1280هـ/ 1863م.

ابن مُيَسَّر (أخبار مصر)، القاهرة 1919م (باللغة الفرنسية).

ابن مقرب، علي، ديوان. بومباي 1310هـ/ 1892م.

ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير. سيرة حياة النبي محمد وصحابته ورجال الإسلام اللاحقين... أصدره: إي .زاخاو. 1 ـ 9 لايدن 1904م ـ 1940م.

ابن الصيرفي، أبو القاسم علي بن منجب، الإشارة إلى من نال الوزارة، مجلة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة، القاهرة، 25 (1925م) 49 ـ 112.

ابن طولون، كرونيك، توبنغن.

ابن طولون، كرونيك: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، محمد مصطفى. 1 ـ 2، القاهرة 1962م ـ 1964م.

إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين. 1 ـ 2. القاهرة 1344هـ/ 1925م.

إمرؤ القيس، ديوان شعر امرئ القيس.

إسكندر منشي، تاريخ عالم آرايي عباسي، 1 ـ 3. طهران 1314هـ/ 1896م (باللغة الفارسية).

إسماعيل حقي باشا: فزلكيه ترجمية حال حظرة الوزير السيد إسماعيل حقي

باشا. من: سالنامه حجاز (بعد 1305هـ).

الإصطخري، إبراهيم بن محمد: كتاب مسالك الممالك.

أم القرى (جريدة رسمية) مكة، السنة الأولى، 1925م.

أسامة بن منقذ: أمير سوري من القرن الأول للحملات الصليبية (1095 ـ 1188) (باللغة الفرنسية). 1 ـ 2. باريس 1886م ـ 1889م، بقلم: هـ .درنبورغ.

الباخرزي، دمية القصر... حلب 1349هـ/ 1930م.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، كتاب فتوح البلدان. لايدن 1866م.

البتانوني، محمد لبيب، الرحلة الحجازية. القاهرة 1905م.

بيكه، ف .غ: تاريخ شرقي الأردن وقبائلها. القدس، دون تاريخ.

بتشوي، إبراهيم: تاريخ، 1 ـ 2. اسطنبول 1283هـ/ 1866م.

ثابت، سليمان فائق بك ابن حاجي طالب كهيا: بغداده كلمن حكوقنن تشيكليامه إنقرزينا دائر رسالدر. اسطنبول 1292هـ/ 1875م.

الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن: مرفي بيوغرافيك...، ترجمة شفيق منصور بك، 1 ـ 9 القاهرة 1888م ـ 1896م.

جودت، أحمد: تاريخ جودت، 1 ـ 2. اسطنبول 1289هـ ـ 1309هـ/ 1872م ـ 1890م.

حمد الله مستوفي: تاريخي غوزيدا... مستخلصة من مخطوطة من قبل إي .ج .براون، لايدن/ لندن 1910م ـ 1913م.

حسني روملـه: أحسن التواريخ. بارودا 1931م ـ 1934م.

حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، أصدره هـ .هيرشفلد. لايدن 1910م.

حاتم طي: ديوان الشاعر العربي حاتم طي، ترجمه وأصدره ف .شولتهايس. لايبزغ 1897م.

حسين الغنام: روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام. 1 ـ 2. القاهرة، صورة عنه موجودة عند مؤسسة ماكس فرايهر فون أوبنهايم (طبعة القاهرة 1368هـ/ 1949م).

حسين حسني: نجد قطعسنين إحوالي عموميزي. اسطنبول 1328هـ/ 1910م.

الحطيئة، جرول بن أوس، ديوان: أصدره إ .غولدتسيهر، لايبزغ 1893م.

خليفة، حاجي خلفة: جهان نوما. اسطنبول 1145هـ/ 1730م.

خليل الظاهري، زبدة كخف الممالك. . . . باريس 1894م.

خواندمير، حبيب السيار. 1 ـ 3. طهران 1271هـ/ 1854م.

الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب (كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر)، ترجمة آ .ف .ميرن. كوبنهاغن/ لايبزغ 1874م.

الذهبي، محمد بن أحمد، كتاب المشتبه في أسماء الرجال، أصدار: ب دي يونغ، لايدن 1863م ـ 1881م.

رسول حاوي أفندي: دوحة الوزرا، زيل غولشني خلفا. بغداد 1246هـ/ 1830م.

رضا قلي خان «هداية»، ملحقات روضة الصفا. طهران 1274هـ/ 1858م.

رزمارا، علي: جغرافية نظامية إيران. 1 ـ 20. طهران 1320هـ/ 1941م ـ 1942م.

زين العابدين شرواني، حاجي: بستان السياحة. طهران 1315هـ/ 1897م.

زركلي، خير الدين: ما رأيت وما سمعت. القاهرة 1923م.

زركلي، خير الدين: عامان في عمّان. القاهرة 1925م.

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. 1 ـ 2. القاهرة 1353هـ ـ 1355هـ/ 1934م ـ 1937م.

سعد الدين محمد بن حسنجان: تاج التواريخ. 1 ـ 2. بدون مكان الصدور، 1279هـ/ 1862م.

سعدي، مصلح الدين: حديقة «روضة» الورود (روزن غارتن)، ترجمة ك .هـ .غراف. ميونيخ 1920م.

سالنامه. بغداد 1324هـ/ 1906م.

السمهودي: تاريخ المدينة المنورة المسمى كتاب وفا الوفا بأخبار دار المصطفى. 1 ـ 2. القاهرة 1908م.

سركيس، جي .ن. ، قشعم في التاريخ. لغة العرب، 5 (1927م ـ 1928م)، 137 وما بعدها.

سركيس، جي .ن. ، مباحث عراقية. 1 ـ 2. بغداد 1367هـ ـ 1374هـ/ 1948م ـ 1955م.

السويدي، محمد أمين: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب. بغداد 1296هـ/ 1879م.

شرف الدين، شرف نامه أو روائع بلاد الكرد، ترجمه إلى الفرنسية: ف .ب .خارموي. 1 ـ 2. سانت بيترسبورغ/ لايبزغ 1868م ـ 1875م.

شقير: أنظر نعوم بك شقير.

شكيب أرسلان الأمير: الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف وهي الرحلة الحجازية. القاهرة 1350هـ/ 1931م.

شرف الدين علي يزدي: ظفرنامه، أصدره: مولوي محمد زاهد. 1 ـ 2. كلكوتا 1887م ـ 1888م. المكتبة الهندية 100.

صبحي: تاريخ سامي وشاكر وصبحي. اسطنبول 1198هـ/ 1784م.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك. أصدره: م .جي .دي غويه. 1 ـ 3. لايدن 1879م ـ 1901م.

طنوس بن يوسف الشدياق: أخبار الأعيان في جبل لبنان. بيروت 1859م.

عباس العزاوي: عشائر العراق. 1 ـ 2. بغداد 1937م ـ 1947م.

عبد الجبار الراوي: البادية. بغداد 1947م.

عبد الرزاق الحسني: العراق قديماً وحديثاً. صيدا 1948م.

عبد السلام أفندي: تاريخ ماردين (مقتطفات من المخطوطة موجودة عند مؤسسة ماكس فرايهر فون أوبنهايم.

عبد اللّه بن نور الدين بن نعمت اللّه الشوشتري، سيّد: كتاب تذكرة شوشتر. إصدار خان بهادور مولى بخش. . . ومولوي هداية حسين. 1 ـ 2. كلكوتا 1914م ـ 1924م. المكتبة الهندية 206.

عبيد بن الأبرص، ديوانا عبيد بن الأبرص وعامر بن الطفيل، أصدره مع ترجمة وملاحظات: ش .جي .ليال. لايدن/ لندن 1913م.

العياشي، أبو سالم عبد اللّه: الرحلة العياشية. 1 ـ 2. اسطنبول 1219هـ/ 1804م علي، نصر تنامه. مخطوطة. فيينا، الجناح رقم 1017.

الشرقي علي، ذكرى السعدون أو تاريخ بطل التضحية والإخلاص. بغداد 1929م.

علقمة، ديوان شعر علقمة التميمي، في: أهل ورث، ذي ديوانز. . . 103 ـ 114.

عمرو بن قميئة، قصائد عمر بن قميئة من قبيلة قيس بن ثعلبة، فرع من قبيلة

بكر بن وائل (ترجمه وأصدره باللغة الإنجليزية السير تشارلز ليال. كامبريدج 1919م.

عارف العارف، كتاب القضاء بين البدو. القدس 1933م.

عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها. القدس 1934م (ترجمه إلى الألمانية ل .هيفلي: بدو بئر السبع. لوتسرن 1938م.

عزي، سليمان: تاريخي عزي. اسطنبول 1199هـ/ 1785م.

عثمان باشا: أرشيف عثمان باشا البوسني (باللغة الألمانية)، أصدره ف .بابنغر. برلين 1931م.

عنوان = عثمان بن عبد اللّه بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد. بغداد 1328هـ/ 1910م.

عنوان = عثمان بن عبد اللّه بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد. مكة 1349/ 1930.

غازي، كامل بن حسين بن مصطفى: نهر الذهب في تاريخ حلب. 1 ـ 3. حلب 1345هـ/ 1926م.

فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب. القاهرة 1352هـ/ 1933م.

القلقشندي، أحمد بن علي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب. بغداد 1332هـ/ 1913م ـ 1914م.

القلقشندي، أحمد بن علي: كتاب صبح الأعشى. 1 ـ 14. القاهرة 1331هـ ـ 1337هـ/ 1913م ـ 1918م.

كسراوية تبريزي، أحمد: تاريخي بانصاد ساليه خوزستان. طهران 1934م.

كمال الدين بن العديم: تاريخ حلب (باللغة الفرنسية)، ترجمة: إي بلوخيه. باريس 1900م.

الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف: كتاب الولاة (الأمراء) وكتاب القضاة (في مصر). أصدره: ر .غست. لايدن/ لندن 1912م.

لبيد، قصائد لبيد، استناداً إلى طبعة فيينا، مترجمة ومزودة بملاحظات وتعليقات، من تركة الدكتور آ .هوبر. إصدار سي. بروكلمان. 1 ـ 2 لايدن 1891م.

لغة العرب. بغداد، 1911م. . .

لطفي باشا، أحمد: تاريخ. 1 ـ 7. اسطنبول 1290هـ ـ 1321هـ/ 1873م ـ 1903م.

محمود شكري الألوسي: تاريخ نجد. القاهرة 1343هـ/ 1924م.

المقريزي، أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك (تاريخ سلاطين المماليك في مصر) باللغة الفرنسية. ترجمة: إي .كاترمير. 1 ـ 2. باريس 1837م ـ 1845م.

المقريزي، أحمد بن علي: دراسة عن القبائل العربية المهاجرة إلى مصر. ترجمها وأصدرها: ف .فوستنفلد. غوتنغن 1847م.

المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر.

المسعودي، علي بن الحسين: التنبيه والإشراف.

محمد خورشيد: سياحت نامه حدود 1264 ـ 1269. اسطنبول 1277هـ/ 1860م.

محمد إديب: نهجت المنازل. اسطنبول 1232هـ/ 1816م. ليس مناسك الحج.

محمد راشد إفندي: تاريخي راشد إفندي. 1 ـ 3. اسطنبول 1153هـ/ 1740م.

محمد سوريّا: سجلي عثماني. 1 ـ 4. اسطنبول 1308هـ/ 1890م.

ميرخوند، محمد بن خواند شاه: روضة الصفا. 1 ـ 5. 5 ـ 10. طهران 1270هـ ـ 1274هـ/ 1854م ـ 1858م. 8 ـ 10 = رضا كلي...، ملحقات...

محمد بك صادق: كوكب الحج. القاهرة 1886م.

المبرد، الكامل، أصدره: دبليو. ورايت، الجزء 1 ـ 12. لايبزغ 1864 ـ 1892م.

مجير الدين، أبو اليمن: الإنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. القاهرة 1283هـ/ 1866م. ترجمة: هـ. سوفير، باريس 1876م.

المفضليات... (باللغة الإنجليزية). إصدار: ش .جي .ليال. 1 ـ 3. أوكسفورد 1921م ـ 1924م.

محمد بن أحمد الحسيني: رحلة المنشئ البغدادي. 1237هـ/ 1822م. ترجمه عن الفارسية عباس العزاوي. بغداد، الكرخ 1367هـ/ 1948م.

محمد علي حزين: حياة الشيخ محمد علي حزين. ترجمه إلى الإنجليزية ف .سي .بلفور. لندن 1830م.

محمد الباقر الجلالي: موجز تاريخ عشائر العمارة. بغداد 1367هـ/ 1947م.

محمد بن خليفة آل نبهان: التحفة النبهانية في إمارات الجزيرة العربية. بغداد 1332هـ/ 1913م.

محمد مهدي خان: تاريخي نادري. تبريز 1271هـ/ 1854م.

محمد راغب الطباخ: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء. 1 ـ 7. حلب 1344هـ ـ 1345هـ/ 1925م ـ 1926م.

محمد شفيق أفندي مصطفى: في قلب نجد والحجاز. القاهرة 1927.

المحبي، محمد: تاريخ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. 1 ـ 4. القاهرة 1284هـ/ 1867م.

المقدّسي، محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. إصدار م .جي .غويه. لايدن 1877م. ـ المكتبة الجغرافية العربية 3.

المرادي، محمد خليل: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر. 1 ـ 4. القاهرة 1291هـ ـ 1301هـ/ 1874م ـ 1883م.

المتنبي، متنبي كارمينا كوم مومنتاريو واحدي، إصدار ف .ديتريسي. برلين 1861م.

نعيمة: تاريخ. 1 ـ 6. اسطنبول 1281هـ ـ 1283هـ/ 1864م ـ 1866م.

نقائض جرير والفرزدق، إصدار آ .آ. بيفان. 1 ـ 3. لايدن 1905م ـ 1912م.

النوبختي: فرق الشيعة، إصدار هـ. ريتّر. اسطنبول 1931م. المكتبة الإسلامية 4.

نعّوم بك شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث. . . . وجزيرة العرب. القاهرة 1916م.

نظمي زاده مرتضى: غولشني خلفاء. اسطنبول 1143هـ/ 1730م.

نقولا الصباغ: تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني.

نور اللّه المرعشي الشوشتري: مجالس المؤمنين. طهران 1299هـ/ 1882م.

النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب. 1 ـ 6. القاهرة 1342هـ ـ 1345هـ/ 1923م ـ 1926م.

هلال الصابئ: كتاب الوزراء، إصدار هـ .ف .آمدروز. لايدن 1904م.

هذيل: كارمينا هودز التياروم، إصدار ج .غ .ل .كوزغارتن. لندن 1854م.

الهمداني، الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب. أصدره د .هـ .مولر. 1 ـ 2. لايدن 1884م ـ 1891م.

الواقدي، محمد بن عمر: محمد في المدينة. كتاب المغازي للواقدي، موجز باللغة الألمانية إعداد ج .فلهاوزن. برلين 1882م.

وصفي زكريا، أحمد: عشائر الشام. 1 ـ 2. دمشق 1363هـ ـ 1366هـ/ 1945م ـ 1947م.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح: كتاب البلدان. إصدار م .جي .غويه. لايدن 1892م.

ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان. أصدره ف .فوستنفلد. 1 ـ 6. لايبزغ 1866م ـ 1873م.

مراجع ومصادر التحقيق

المصادر والمراجع المعتمدة في التحقيق والتدقيق والمراجعة

1 ـ القرآن الكريم.

2 ـ عمر الخيام ـ رباعيات عمر الخيام ـ تعريب أحمد الصافي النجفي ـ دار طلاس دمشق ط5 1998م.

3 ـ كوبي نورا ـ الطريق إلى نينوى ـ ترجمة د. سلسل محمد العاني ـ مراجعة هادي الطائي ـ دار المأمون ـ بغداد 1998م.

4 ـ المانع جابر جليل ـ مسيرة إلى قبائل الأهواز ـ انتشارات الرضي إيران ـ 1413 هجري.

5 ـ اللامي عبد الرحمن كريم ـ الأدب العربي في الأحواز ـ وزارة الإعلام ـ بغداد 1985م.

6 ـ عليان د. رشدي والساموك سعدون ـ الأديان ـ دراسة تاريخية مقارنة ـ القسم الأول ـ وزارة التعليم العالي ـ جامعة بغداد 1976م.

7 ـ مالكي د. سليمان عبد الغني ـ بلاد الحجاز ـ من القرن الرابع إلى القرن السابع الهجري ـ الرياض ـ 1983م.

8 ـ مراني ناجيه ـ مفاهيم صابئية مندائية ـ شركة التايمس بغداد 1981م.

9 ـ القلقشندي أبي العباس أحمد بن علي ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ـ دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ.

10 ـ القلقشندي ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا ـ نسخة الطبعة الأميرية مصر بدون تاريخ.

11 ـ الحافظ الذهبي ـ العبر في خبر من عبر ـ تحقيق صلاح الدين المنجد ـ دائرة المطبوعات والنشر الكويت 1960م.

12 ـ العصامي عبد الملك بن حسين بن عبد الملك ـ سمط العوالي في أبناء الأوائل والتوالي (1 ـ 4) ـ المطبعة السلفية القاهرة 1380هجري.

13 ـ ابن الأثير الجزري ـ الكامل في التاريخ ط1 وبها هامش التاريخ المسمى عجائب الآثار في تراجم الأخبار للجبرني 1 ـ 9 المطبعة الأزهرية المصرية 1301 هجري.

14 ـ ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ـ (1 ـ 13) دار صادر بيروت بدون تاريخ.

15 ـ الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ـ تحقيق (M.J. DE GOEJE) ليدن هولندا 1881 ـ 1901م.

16 ـ الطبري محمد بن جرير ـ تاريخ الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ـ مؤسسة عز الدين بيروت 1987م.

17 ـ الذهبي شمس الدين ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ـ تحقيق عمر عبد السلام التدمري الناشر دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ 1995م.

18 ـ الواقدي ابن عبد الله ـ فتوح الشام ـ دار الجيل ـ بيروت بدون تاريخ.

19 ـ بن إياس محمد بن أحمد بدائع الزهور في وقائع الدهور ـ تحقيق محمد مصطفى ـ الناشر فرانز تشايزر ـ فيبادن 1974م.

20 ـ بن إياس محمد بن أحمد ـ صفحات لم تنشر من بدائع الزهور في وقائع الدهور ـ تحقيق د. محمد مصطفى ـ دار المعارف القاهرة 1951م.

21 ـ بن إياس محمد بن أحمد. اعتناء بأول كاله ومحمد مصطفى وموريتس سوبرنهايم ولجمعية المستشرقين الالمانية استنبول 1931م.

22 ـ النويري شهاب الدين أحمد ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ـ (1 ـ 18) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

23 ـ الحنبلي راشد بن علي جريس 1 ـ مثير الوجد في أنساب ملوك نجد ـ تحقيق محمد بن عمر عبد الرحمن العقيلي ـ دار الملك عبد العزيز السعودية 1999م.

24 ـ المنجد في الأعلام واللغة ـ طبعة 23 دار المكتبة الشرقية بيروت لبنان 1996م.

25 ـ الريحاني أمين ـ تاريخ نجد الحديث ـ دار الجيل لبنان بدون تاريخ.

26 ـ الريحاني أمين ـ قلب العراق ـ فيصل الأول ـ دار الجيل لبنان بدون تاريخ.

27 ـ بكه اللفتنت كولونيل فرديك ج ـ تاريخ شرقي الأردن وقبائلها ـ تعريب بهاء الدين طوقان ـ الدار الأهلية عمان 1998م.

28 ـ لورنس توماس إدوارد ـ أعمدة الحكمة السبعة ـ ترجمة محمد نجار ـ الناشر الدار الأهلية 2001م ط2.

29 ـ شبر ماجد ـ الأدب الشعبي العراقي ـ دار كوفان ـ لندن ـ 1995م.

30 ـ أويتنج يوليوس ـ رحلة داخل الجزيرة العربية ـ ترجمة وتعليق د سعيد بن فايز السعيد ـ دار الملك عبد العزيز ـ السعودية 1999م.

31 ـ مولين د. فان در ـ الملك بن سعود ـ ترجمة ويسي أي زسي ـ دار الملك عبد العزيز ـ السعودية ـ 1999م.

32 ـ القرشي أبي زيد محمد حطاب ـ جمهرة أشعار العرب ـ الناشر دار صادر ـ بيرو بدون تاريخ .

33 ـ ثابت بن حسان ـ ديوان حسان بن ثابت ـ شرح د يوسف عيد ـ دار الجيل لبنان ط1 1992م.

34 ـ الحادرة ـ ديوان شعر الحادرة ـ تحقيق د. ناصر الدين الأسد ـ دار صادر لبنان ط3 1991م.

35 ـ الأعشى ميمون 1 ـ ديوان الأعشى ـ دار صادر ـ لبنان 1994م.

36 ـ بن قميئة عمرو ـ ديوان عمرو بن قميئة ـ تحقيق وشرح د. خليل إبراهيم العطية 2 دار صادر 1994م.

37 ـ امرىء القيس ـ ديوان امرىء القيس ـ دار صادر ـ لبنان ـ بدون تاريخ .

38 ـ العزاوي عباس ـ تاريخ العراق بين الاحتيلاين 1 ـ 7 ـ نشر في العراق ـ 1935 ـ 1956م.

39 ـ العزاوي عباس ـ عشائر العراق 1 ـ 4 ـ بغداد العراق 1937 ـ 1956م.

40 ـ الشواف عبد اللطيف ـ شخصيات نافذة ـ دار كوفان ـ 1993م لندن .

41 ـ الوردي د. علي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث 1 ـ 8 دار كوفان لندن 1991 ـ 1992م.

42 ـ د. احمد كمال مظهر ـ دراسات في تاريخ الحديث والمعاصر ـ مكتب اليقضة العربية ـ بغداد 1985م.

43 ـ حمودات مشعل ـ لمحات من النشاط الوطني لعشائر عنزة في القرن العشرين بغداد ـ 2002م.

44 ـ ريزفان يفييم ـ الحج قبل 100 سنة ـ الناشر دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بيروت ـ ط2 1993م.

45 ـ التميمي خليل ـ الكفاح العربي في عربستان ـ بدون تاريخ ـ

46 ـ أطلس السعودية ـ دار العبيكان ـ الرياض ـ السعودية ط2 ـ 2000م.

47 ـ علي مروة التشيّع بين جبل عامل وإيران ـ دار رياض الريس لندن ـ 1987م.

48 ـ الأديب عادل ـ الأئمة الإثنا عشر ـ الدار الإسلامية لبنان 1985م.

49 ـ العهد العتيق ـ المطبعة اليسوعية ـ 1888م.

50 ـ خليفة مي محمد ـ من سواد الكوفة إلى البحرين ـ القرامطة من فكرة إلى دولة ـ المؤسسة العربية بيروت 1999م.

51 ـ ديكسون هـ. ر. ـ الكويت وجارتها 1 ـ 2 ـ دار صحارى ط2 1990م.

52 ـ فوستر هنري ـ نشأة العراق 1 ـ 2 المكتبة العلمية بغداد 1989م.

53 ـ شوكت ناجي ـ سيرة وذكريات (1 ـ 2) ـ مكتبة اليقضة العربية بدون تاريخ.

54 ـ مطر سليم ـ الذات الجريحة ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1 1997م.

55 ـ د. حسين عبد المنعم محمد ـ إيران والعراق في العصر السلجوقي ـ دار الكتاب اللبناني 1982م.

56 ـ شتريك. مكسميان خطط بغداد وانهار العراق القديمة ـ المجع العلمي العراقي ـ بغداد 1986م.

57 ـ سوسة أحمد تطور الري في العراق ـ بغداد 1946م.

58 ـ النجدي الشيخ محمد البسام التميمي ـ تحقيق د رمزية محمد الأطرقجي ـ عشائر العرب ـ الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر ـ الدر العربية للموسوعات لبنان ـ 2000م.

59 ـ طومسن توماس ل ـ التاريخ القديم للشعبالإسرائيلي ـ ترجمة صالح علي سوداح ـ الناشر بيسان 1995م.

60 ـ علي د. جواد المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (1 ـ 10) مكتبة النهضة ـ بغداد ط2 1976م.

61 ـ البغدادي صفي الدين عبد المؤمن مراصد الاطلاع على الأسماء والأمكنة والبقاع وهو مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ لبنان ـ درا الجيل ط1 1992م.

62 ـ المسعودي أبي الحسن علي بن الحسين ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ المكتبة العصرية ـ صيدا لبنان ـ 1987م.

63 ـ ابن هشام ـ السيرة النبوية ـ ضبط وتحقيق الشيخ محمد علي قطب والشيخ محمد الدالي بلطة ـ المكتبة العصرية 1994م.

64 ـ السيوطي جلال الدين السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ـ دار الكتب العلمية ـ لبنان ط1 1988م.

65 ـ شقير نعوم بك ـ تاريخ سيناء القديم والحديث ـ دار الجيل ـ لبنان 1990م.

66 ـ لونكريك المستر ستيفن هيمتلي ـ أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ـ ترجمة 1965م جعفر الخياط ط4 ـ بغداد.

67 ـ المالكي عقيل عبد الحسين ـ ميسان وعشائرها قديماً وحديثاً ـ مطبعة الجاحظ بغداد بدون تاريخ ـ.

68 ـ الخوري فؤاد اسحق ـ السلطة لدى القبائل العربية ـ دار الساقي ـ لندن ـ 1991م.

69 ـ الخزعلي نصار أحمد ـ الأحواز الماضي، الحاضر، المستقبل ـ شركة الشرق الأوسط للطباعة 1990م.

70 ـ فيلبي سنت جون ـ تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. تعريب عمر الدسراوي ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة 1994م.

71 ـ دكسون الليفتنات كولونيل هـ. ر. ب عرب الصحراء ـ تعريب د. محمد حسن التيتي. ط1 1997م.

72 ـ السعدون د. خالد حمود ـ الأوضاع القبلية في البصرة 1908 ـ 1918م. شركة الربيعان للنشر والتوزيع الكويت 1988م.

73 ـ كحالة عمر رضا معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ـ مؤسسة الرسالة بيروت ـ ط8 1997م.

74 ـ القطب سمير عبد الرزاق ـ أنساب العرب ـ مكتبة الحياة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ 2002م.

75 ـ بني طرف يوسف عزيزي ـ القبائل والعشائر العربية في عربستان. ترجمة جابر أحمد ـ دار الكنوز الأدبية بيروت 1996م.

76 ـ النص د. إحسان ـ كتب الأنساب العربية ـ مجمع اللغة العربية دمشق ـ 2001م.

77 ـ فريد محمد المحامي ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية ـ دار الجيل بيروت بدون تاريخ.

78 ـ كركوش العلامة الشيخ يوسف الحلي ـ تاريخ الحلة ـ المطبعة الحيدرية النجف 1965م.

79 ـ الريحاني أمين ـ ملوك العرب ـ دار الجيل بيروت ط8 1987م.

80 ـ الطباع الشيخ عثمان مصطفى الغزي ـ إتحاف الأعزة في تاريخ غزة ـ تحقيق عبد اللطيف زكي أبو هاشم ـ مكتبة اليازجي ـ غزة فلسطين ـ ط1 ـ 1999م.

81 ـ القادري ـ عيسى صفاء الدين البند نيحي ـ جامع الأنوار في مناقب

الأخبار ـ تحقيق أسامة ناصر النقشبندي ومهدي عبد الحسين النحم ـ الدار العربية للموسوعات ـ بيروت ط1 2002م.

82 ـ طونزد الفريق ـ مذكرات طونزد ـ ترجمة حامد أحمد الورد ـ الدار العربية للموسوعات بيروت 1986م.

83 ـ السامر د. فيصل ـ ثورة الزنج ـ دار المدى دمشق ط2 ـ 2000م.

84 ـ البكار أبي عبد الله الزبير ـ جمهرة نسب قريش وأخبارها ـ شرح وتحقيق محمود شاكر ـ مكتبة الخياط لبنان 1381 هجري.

85 ـ د. الكتب محمد طارق ـ شط العرب وشط البصرة والتاريخ ـ البصرة 1971م.

86 ـ ناجي د. عبد الجبار ناجي ـ الأمارة المزيدية/ دراسة في وصفها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ـ العراق 1970م.

87 ـ دوباني بشارة ـ إعادة اكتشاف فلسطين ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت 1998م.

88 ـ الدباغ مصطفى مراد ـ المؤجز في تاريخ الدول الإسلامية وعهودها في فلسطين ـ دار الطليعة بيروت 1981م.

89 ـ محمود د. شفيق جاسر أحمد ـ تاريخ القدس ـ دار البشير للنشر والتوزيع عمان الأردن 1984م.

90 ـ الحنبلي قاضي القضاة أبو اليمن القاضي مجيد الدين ـ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ـ دار الجيل بيروت 1973م.

91 ـ قرالي الخوري بولس فخر الدين المعني الثاني ـ لبنان 1938م.

92 ـ الهاشم الخوري لويس ـ تاريخ العاقورا ـ مطبعة العلم لبنان 1930م.

93 ـ زكار سهيل ـ بلاد الشام في القرن التاسع عشر ـ دار الاحسان سورية 1982م.

94 ـ بن سند عثمان الوائلي البصري ـ مطالع السعود ـ تحقيق عماد عبد السلام رؤوف ـ العراق الموصل 1991م.

95 ـ بولس جواد ـ تاريخ لبنان ـ دار النهار بيروت 1972م.

96 ـ خزعل حسين خلف الشيخ ـ تاريخ الكويت السياسي ـ مكتبة الهلال ـ بدون تاريخ.

97 ـ الهمداني أبي محمد الحسن بن أحمد يعقوب ـ كتاب الإكليل ـ تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ـ ج1، القاهرة 1963م ح2، بغداد 1980م.

98 ـ البلاذري ـ أنساب الأشراف ـ القسم السابع ج1، تحقيق رمزي البعلبكي ـ الشركة المتحدة للتوزيع بيروت 1997م.

99 ـ البلاذري ـ أنساب الأشراف القسم الرابع ج1، تحقيق الدكتور إحسان عباس.

100 ـ البلاذري ـ أنساب الأشراف القسم السابع ج2، القبائل القيسية ـ تحقيق محمد البعلاوي ـ بيروت 2002م.

101 ـ البلاذري ـ أنساب الأشراف القسم السابع ج2، تحقيق د. عبد العزيز الدوري ود عصا علقة ـ دار النشر الكتاب العربي برلين 2001م.

102 ـ البلاذري ـ أنساب الأشراف القسم الخامس سائر فروع قريش ـ تحقيق د. إحسان عباس الناشر شركة فرانتس شتايز 1996م.

103 ـ ابن الأثير ـ اللباب في تهذيب الأنساب ـ مكتبة القدس مصر 1356 هجري.

104 ـ القرشي ابن زيد ـ جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ دار النهضة مصر بدون تاريخ.

105 ـ العامري لبيد بن ربيعة ـ شرح ديوان لبيد ـ تحقيق إحسان عباس الكويت 1962م.

106 ـ لبيد ـ ديوان العامري رواية الطوسي ـ الناشر وين 1880م.

107 ـ الأخطل ـ ديوان الأخطل ـ تحقيق مجيد طراد ـ دار الجيل بيروت 1995م.

108 ـ الزعاير محمد ـ أمارة آل رشيد في حائل ـ بيسان بيروت 1997م.

109 ـ المعلقات السبعة LUBWIG ABEL برلين 1891م.

110 ـ جرير ـ ديوان جرير ـ تحقيق نعمان محمد بن طه ـ دار المعارف المصرية بدون تاريخ.

111 ـ الحسني عبد الرزاق ـ تاريخ الوزارات العراقية ـ دائرة الشؤون الثقافية العامة ـ ط7، بغداد 1988م.

112 ـ الحسني عبد الرزاق ـ العراق قديماً وحديثاً ـ مطبعة العرفان صيدا ط2 ـ 1956م.

113 ـ رابين تشمن ـ اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية ـ ترجمة عبد الكريم مجاهد ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2002م.

114 ـ لوريمر ـ دليل الخليج العربي القسم الجغرافي ـ مكتب أمير قطر 1970م.

115 ـ أطلس العربي وزارة التربية والتعليم ـ مصر 1978م.

116 ـ عوض د عبد العزيز ـ دراسات في تاريخ الخليج العربي ـ دار الجيل بيروت 1991م.

117 ـ النديم ـ أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق ـ تحقيق رضا المازندراني ـ دار المسيرة ـ بيروت ط3، 1988م.

118 ـ اداموف الكسندر ـ ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ـ ترجمة هاشم صالح التكريتي ـ 1982 ـ 1989م جامعة البصرة.

119 ـ المهداوي ـ د علي هادي عباس ـ الحلة في العهد العثماني المتأخر ـ بيت الحكمة ـ بغداد 2002م.

120 ـ زامبارو ـ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ـ دار الرائد العربي بيروت 1980م.

121 ـ القزويني ـ السيد مهدي ـ أنساب القبائل العراقية ـ تحقيق عبد المولى الطريحي ـ النجف ط2 ـ 1991م.

122 ـ حسين د. عبد المنعم محمد.

123 ـ الزركلي خير الدين ـ عامان في عمان ـ المطبعة العربية في مصر 1925م.

124 ـ مباحث عراقية ـ بغداد 1948م ـ سركيس يعقوب.

125 ـ صادق محمد باشا ـ الرحلات الحجازية (إعداد وتحرير محمد همام فكري) دار بدر للنشر والتوزيع بيروت 1999م.

126 ـ الليمون عوض ، الأصول العشائرية التراث القانوني لسكان منطقة برنامج بحث وتطوير البادية الأردنية 2001م ـ بحث غير منشور صورة منه لدي.

127 ـ ظاهر د مسعود ـ المشرق العربي من البداوة إلى الدولة الحديثة ـ المعهد الإنماء العربي ـ بيروت 1986م.

128 ـ ابن الكلبي ـ جمهرة النسب ـ تحقيق محمد فردوس العظم ـ دار اليقظة العربية ـ سورية 1983م.

129 ـ ابن الكلبي جمهرة النسب رواية أبي سعيد السكري عن ابن حبيب عنه ومختصر الجمهرة وحواشيه ـ حققها وأكملها ونسقها عبد الستار أحمد فراح ج1 ـ وزارة الإعلام في الكويت 1983م الكويت.

130 ـ المنجد صلاح الدين ـ المستشرقون الألمان ـ ج1 ـ دار الكتاب الجديد ـ بيروت 1982م.

131 ـ ابن منظور ـ لسان العرب ـ دار صادر ـ بيروت 1956م.

132 ـ بدوي د. عبد الرحمن موسوعة المستشرقين ـ دار العلم للملايين ـ بيروت 1982م.

133 ـ قلعجي قدري ـ الخليج العربي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت 1965م.

134 ـ حمزة فؤاد ـ قلب جزيرة العرب ـ المطبعة السلفية 1933م.

135 ـ الهمداني أبي الحسن أحمد بن يعقوب ـ تحقيق حمد بن علي الأكوع ـ دار اليمامة وصف جزيرة العرب السعودية 1974م.

136 ـ السامرائي يونس الشيخ إبراهيم ـ العشائر العراقية ط2 بغداد 1989م.

137 ـ الشرقي حمد ـ تاريخ العشائر الخاقانية في العراق ـ مطبعة الآداب النجف 1969م.

138 ـ القزويني معز الدين السيد مهدي ـ أنساب القبائل العراقية ـ المكتبة الحيدرية النجف الأشرف 1918م.

139 ـ ابن كثير أبو الفداء ـ البداية والنهاية ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت 1988م.

140 ـ الصديقي رزق الله منقريوس ـ تاريخ دول الإسلام ـ ط1 مطبعة الهلال بالفحالة 1907م.

141 ـ ابن عساكر علي بن الحسن. تاريخ مدينة دمشق ـ صورة مصورة من نسخة المكتبة الضاهرية بدمشق واكمل نقصها بالقاهرة ومركز استنبول الشيخ محمد بن الطرهوني ـ بخط اليد.

142 ـ الجبرتي عبد الرحمن ـ تاريخ الجبرتي/ عجائب الآثار في تراجم الأخبار ـ تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة 1998م.

143 ـ ابن سعد ـ طبقات ابن سعد ـ دار صادر ـ بيروت بدون تاريخ.

144 ـ الأصفهاني أبي الفرج الأصفهاني ـ كتاب الأغاني ـ دار الكتب المصرية ـ القاهرة 1927م.

145 ـ ابن خلدون ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. دار الكتاب اللبناني بيروت 1961م.

146 ـ العسكري الشيخ نجم الدين جعفر بن محمد ـ المهدي عند علماء أهل السنة والإمامة ـ دار الزهراء بيروت 1972م.

147 ـ أبو ستة سلمان ـ خريطة فلسطين ـ نكبة فلسطين ـ مركز العودة ـ لندن 1998م.

148 ـ الظاهر عبد الجليل ـ العشائر العراقية ج1، بغداد 1972م.

149 ـ شوك مارسيل كوبر ـ البدوي الأخير ـ ترجمة عبد الإله النعيمي ـ دار الساقي لندن 2002م.

150 ـ ابن حزم الأندلسي ـ جمهرة أنساب العرب ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ القاهرة 1962م.

151 ـ غلوب باشا ـ حرب في الصحراء ـ ترجمة عطية الضفيري ـ دار قرطاس الكويت 2001م.

ملاحظة: بالتأكيد لم أدرج هنا جميع المصادر التي اعتمدت عليها في التحقيق والمراجعة والتدقيق.

مصادر ومراجع التحقيق باللغة الأجنبية

1- JIbrail. s. Jabbur The BEDOUINS and the Desert - State University of New York 1995.
2- Musil Alois - Northern NEGD, New York 1928.
3- Musil Alois - Northern HEGAZ, New York 1927.
4- Musil Alois - ARABIA DESERTS, New York 1927.
5- Musil Alois - MIDDLE EUPHRATS, New York 1928.
6- Musil Alois - PALMYRENA, New York 1928.
7- MANNERS AND CUSTOMS OF THE RWALA BEDOUINS New York 1928.
8- Fulanain - Haji Rikkan - Marsh Arab 1927.
9- Lady Anne Blunt - Bedouins Tribes of Euphrates.
10 - Burckhardt John Lewis - Bedouins and and Wahabys - New York - 1967.
11 - Burckhardt John Lewis - Travels in Syria and Holy Land-London 1822.
12- Layard A.H NINEVEH and its Remains vol 1+2 - London 1849.
13- NIEBUHR M - VOYAGE TO ARABIA and travels in that Country-(1-3) Translated into English by Robert Heron - London 1792.
14- CASKL WERNEN - GAMHART AN-NASAB-Leiden - Netherlands 1966.
15- Field Henry - Arabs of Cenral Iraq- Chicago - USA 1935.
16- STANLEY Arthur Penrhyn - SINAL and PALESTINE - London - 1866.
17- Peake. G. Frederick, History and Tribes of Jordan, University of Miami Press 1958.
18- Doughty, Travels on Arabia Deserta, 1888, London.
19- Trylor Andrew, Travelling in the sand vol 1-2, Motivate publishing - London.
20- Blunt Lady, Anne-Bedouin Tribes of Euphrates, Frank Cass, 1968.

الجزء الرابع

القسم الثاني

الفهارس العامة

إشارات وتنبيهات

إن وضع فهارس عامة لكتاب «البدو» موسوعة القبائل والعشائر العربية يشكل حاجة علمية ملحّة، ويكتسب أهمية خاصة كون هذا المؤلَّف يتسم بطابع موسوعي غزير المادة. إن مؤلِّف الكتاب يمتلك منهجاً واضحاً وسليماً في التأليف والتصنيف، فهو صاحب منهج متقدّم يقوم على أساس وحدة الفكرة من ناحية وأسلوب التفريع داخل إطار محدّد من ناحية أخرىٰ، وهو بذلك يلتقي مع أحدث أساليب ومناهج التصنيف الموسوعي الحديث.

وبكثير من الاطمئنان نستطيع القول: إن أيّ باحث أو متعمّق في دراسة القبائل والمجموعات العربية وتاريخها لا بد من أن يجد في صميم موضوع بحثه بين طيّات هذا المؤلَّف ومتونه الشيء أو الأشياء التي ينشدها، ولا شك من أن الباحث يحبّذ بلوغ ضالته عبر أقرب السبل وأنجع الوسائل وأبسطها توفيراً للجهد والوقت.

من هنا نشأت أهمية أن تكون بين أيدينا فهارس مفصّلة لمحتويات هذا الكتاب.. الموسوعة لتكون ركناً مهماً من أركانه، أضف إلىٰ ذلك مراجعته والتدقيق الواسع والشروح الوافية ومشجرات القبائل والأنساب والتصميم العام وغير ذلك مما أخرج الكتاب.. الموسوعة بحلّته الحالية، كاملاً موضوعاً وشكلاً. وتجدر الإشارة هنا إلى الجهد المضني والكبير الذي بذله الأستاذ السيد ماجد شبر في هذا المضمار.

وبرأينا، فإن وضع فهارس تفصيلية لكتابٍ ما ـ خصوصاً إذا كان كتاباً مرجعاً ـ ليس فقط عملاً عرضياً يكتفي بتقديم تفصيلات العناوين التي يقدّمها الكتاب، أو إفراغ ألفاظ مرتبة ألفبائياً تحت عناوين أصبحت معروفة في عمل الفهارس مثل: الأعلام، الأماكن، القبائل وما إلى ذلك، إنما هو ـ إلى ذلك ـ عمل تأليفي يأتي بعد قراءات متأنيّة لمحتويات الكتاب، ومن ثم تقديم المفاتيح الضرورية والكافية لكل ما يقدّمه الكتاب من فوائد ومعلومات، وبعبارة أخرىٰ هو عمل استكشافي بجميع إمكانيات الكتاب.

وانطلاقاً من هذه الأهمية ارتأينا تكليف عدد من ذوي الخبرة والباع الطويل في هذا المجال بهذه المهمّة، فكان أن تولّت بدايةً السيدة فداء سعادة وضع الفهارس برمّتها بحسب الحروف الأبجدية لكل جزء من أجزاء الكتاب الأربعة فهرس قائم بذاته فاُعتمدنا فهرس الأماكن الموضوع من قبلها ثم قام السيد إبراهيم شمس الدين بوضع فهارس الأعلام والقبائل والشيوخ وصيحات الحرب والديانات والمذاهب والأفراد في فهرس واحد شامل يعتمد طريقة الألفباء، فيما بذل السيد نور الدين أحمد جهداً في التوفيق بين الطريقتين المتّبعتين آنفاً للخروج بفهرس موحّد يكون كاملاً وشاملاً ومبسطاً خدمةً للقارىء العزيز.

إن الفهرس الموضوع نعتبره المفتاح الأساس لكل ما يكتنزه هذا الكتاب من فوائد ومعلومات قيّمة جمّة. ولتسهيل عملية الخوض في الفهارس نورد الملاحظات والتنبيهات التالية:

أولاً: «فهرس القبائل والعشائر والبطون والأفخاذ»،

لقد أسقطنا من الترتيب الألفائي لفظة «بنو» و«أل التعريف»، فإذا أراد القارىء علىٰ سبيل المثال أن ينظر في «بني قريش»، عليه أن يبحث عنهم في باب القاف.

ثانياً: «فهرس الجماعات والشعوب»،

لقد ميّزنا هذا الفهرس عن غيره لاعتباراتعدّة أهمها أن هذا المؤلّف مختصّ

بالقبائل والعشائر العربية وبالتالي فإن مؤلِّفه يذكر في سياق السرد التاريخي جماعات وشعوباً ينضوي تحتها العديد من القبائل والعشائر، مثل: الآشوريون والانجليز والفرنسيون والعثمانيون وغيرهم، لذلك فإن الباحث في هذا المضمار يمكنه أن يرجع إلىٰ الفهرس الأول.

كما أننا أسقطنا في هذا الفهرس أيضاً لفظة «بنو» و«أل التعريف».

رابعاً: «فهرس الشيوخ»،

لقد ميّزنا هذا الفهرس عن فهرس الأعلام تبعاً لاختصاص الكتاب، فقد وضعنا اسم الشيخ وأمامه بين هلالين اسم القبيلة التي يتسيّدها.

وكذلك أسقطنا منه الـ«أبو»، «ابن»، «ابن أبي» و«أل التعريف».

خامساً: «فهرس الأفراد»،

ثمة أسماء وأشخاص مجرّدون من أي نسب أو صفة، وقد ارتأينا أن نفرد لها فهرساً خاصاً، وهذه الأسماء علىٰ كل حال ليست كثيرة.

سادساً: «فهرس الديانات والمذاهب»،

اعتمد نفس الأسلوب في الفقرة السابقة.

سابعاً: «فهرس صيحات الحرب أو نداء الحرب»،

لقد اعتمدنا في هذا الفهرس جدولاً مؤلّفاً من ثلاثة أعمدة، في الأول اسم القبيلة وفي الثاني صيحة الحرب عندها وفي الثالث رقم الجزء والصفحة.

وقد رتّبنا أسماء القبائل ضمن الجدول بحسب الألفباء مع إسقاط الـ«بنو» و«أل التعريف».

ثامناً: «فهرس الأماكن والبقاع»

لقد أسقطنا من الترتيب الألفائي «أل التعريف» فقط.

وفي الختام لا بد من القول إننا بذلنا ما بوسعنا لنخرج هذه الفهارس بطريقة تلبي طموح وحاجة القارىء الباحث والمراجع وهو يسبر في غور كنوز هذا الكتاب. . الموسوعة، عسىٰ أن نكون بلغنا هدفنا في خدمة القارىء العزيز.

إبراهيم شمس الدين ـ نور الدين أحمد

فهرس القبائل والعشائر والبطون والأفخاذ

باب الألف

باب الباء

باب التاء

باب الثاء

باب الجيم

باب الحاء

باب الخاء

باب الدال

باب الذال

باب الراء

باب الزاي

باب السين

باب الشين

باب الصاد

باب الضاد

باب الطاء

باب الظاء

باب العين

باب الغين

باب الفاء

باب القاف

باب الكاف

باب اللام

باب الميم

باب النون

باب الهاء

باب الواو

باب الياء

فهرس الجماعات والشعوب

باب الألف

باب الباء

باب التاء

باب الجيم

باب الحاء

باب الخاء

باب الراء

باب الزاي

باب السين

باب الشين

باب الصاد

باب الطاء

باب العين

باب الغين

باب الفاء

باب القاف

باب الكاف

باب اللام

باب الميم

باب النون

باب الهاء

باب الياء

فهرس الأعلام

باب الألف

باب الباء

باب التاء

باب الثاء

باب الجيم

باب الحاء

باب الخاء

باب الدال

باب الذال

باب الراء

باب الزاي

باب السين

باب الشين

باب الصاد

باب الضاد

باب الطاء

باب الظاء

باب العين

باب الغين

باب الفاء

باب القاف

باب الكاف

باب اللام

باب الميم

باب النون

باب الهاء

باب الواو

باب الياء

فهرس الشيوخ

باب الألف

باب الباء

باب التاء

باب الثاء

باب الجيم

باب الحاء

باب الخاء

باب الدال

باب الذال

باب الراء

باب الزاي

باب السين

باب الشين

باب الصاد

باب الضاد

باب الطاء

باب الظاء

باب العين

باب الغين

باب الفاء

باب القاف

باب الكاف

باب اللام

باب الميم

باب النون

باب الهاء

باب الواو

باب الياء

فهرس الأفراد

باب الألف

باب الباء

باب التاء

باب الثاء

باب الجيم

باب الحاء

باب الخاء

باب الدال

باب الراء

باب السين

باب الشين

باب الصاد

باب الطاء

باب العين

باب الغين

باب الفاء

باب اللام

باب الميم

باب النون

باب الياء

فهرس الديانات والمذاهب

باب الألف

باب الباء

باب الحاء

باب الخاء

باب الدال

باب الراء

باب السين

باب الشين

باب الصاد

باب العين

باب الغين

باب الفاء

باب القاف

باب الميم

باب النون

باب الهاء

باب الواو

باب الياء

فهرس صيحات الحرب

الجلمان	راعي البويضة!	2/ 182
الجواميس	إخوة صبحة!	2/ 43
الجواهرة	راعي البويضة!	2/ 289
الجيرة	الضيغم!	2/ 334
جيس (قيس)	زعب!	1/ 345
الحامد	عشما!	2/ 358
الحجايا	بني حجيّة!	2/ 410
الحجايا	إخوة شرهة!	2/ 410
الحجيرات	كعابنة!	2/ 43
الحراحشة	خيال الصفر!	2/ 300
حرب	البوشعبان	1/ 281
حرب	أخوات السودا!	1/ 377
بنو حسن	جعافرة!	2/ 296
بنو حسين	أولاد حسن!	3/ 100
حقوق الهزيّل	راعي البلها!	2/ 182
الحمامدة	راعي البلها!	2/ 182
الحمدون	عيال محمد!	2/ 41
الحناجرة	براقع الخيل!	2/ 145
الحناجرة	صبيان الحناجرة!	2/ 145، 146
الحوافظة	إخوان صبحا!	2/ 60
الحوش	عيال الحصان!	2/ 390
الحويطات	إخوة صالحة!	2/ 110
حويطات ابن جازي	أخو صيتة!	2/ 442

عبّاد	الطرايفة!	2/ 330
العباسية	راعي البلها، صبي الأمير!	2/ 289
عبده	سناعيس!	3/ 351
العبدة	سناعيس إسناعيس!	1/ 261
العبيد	عبيد صبحة!	2/ 328
العبيدات	راعي الكحيلة!	2/ 43
العبيدية	صبيان الضياغمة!	2/ 114
العجارمة	صبيان (عيال) الصباح!	2/ 327
العدوان	العلو!	1/ 353
العدوان	ولاد علي!	1/ 353
العدوان	صويتات!	2/ 315
العدوان	راعي الضبطا!	2/ 315
العرامشة	محمدات!	2/ 42
العزازمة	صبيان قضاعة!	2/ 185
بنو عطية	إخوة حذيفة، المزايدة	2/ 401
العفاضلة	البو شعبان!	1/ 326
عتبة	شيابين!	3/ 526
العقيدات	الأبرز!	1/ 333
بنو علي	أخو حسنا!	3/ 109
العمارات	أنا خيّال العليا!	1/ 211
العمارات	راعي المليحا!	2/ 182
العمرو	بني عقبة عيال زندع!	2/ 372
العمري	إخوان صبحا!	2/ 60

القروط	أهل القرطة!	2/ 68
القضاة	عيال الحصان!	2/ 391
القظام	راعي الهرشا!	2/ 67
القليطات	محمدات!	2/ 42
الكركيون	أهل الجردا!	2/ 389
الكشوك	يا خيالة الرحمن!	2/ 93
الكعابنة	صبيان الكعابنة!	2/ 76
الكعابنة	راعي المليحة!	2/ 126
الكفارنة	راعي البلها، صبي الأمير!	2/ 289
اللديّات	راعي الحرد!	2/ 326
اللديات	حبيطة!	2/ 326
اللوانسة	أخوات سلمى!	2/ 367
المجابلة	يمغ!	3/ 526
المجالية	أخوات خضرا!	2/ 391
المحمدات	عيال محمد!	2/ 41
المدانات	أخوات مريم!	2/ 392
المروان	مرادين!	3/ 527
المساطوة	عيال القرعة!	2/ 93
المساعيد	بني عقبة!	2/ 69
مسروح	بني مسروح!	2/ 549
المسيحيون	صبيان حلّس!	2/ 392
المشارقة	أولاد علي!	2/ 44
المشاقبة	راعي المليحة!	2/ 301

فهرس الأماكن والبلدان

الآبار ج3

الآبار ج4

الأنهار ج1

الأنهار ج2

الأنهار ج3

الأنهار ج4

العيون والينابيع ج1

العيون والينابيع ج2

العيون والينابيع ج3

الجبال والهضاب والتلال ج1

الجبال والهضاب والتلال ج2

الجبال والهضاب والتلال ج3

الجبال والهضاب والتلال ج4

البحار ج1

البحار ج2

البحار ج3

البحار ج4

البحيرات ج1

البحيرات ج2

البحيرات ج3

القلاع والحصون ج1

القلاع والحصون ج2

القلاع والحصون ج3

القلاع والحصون ج4

الوديان والمنخفضات والأغوار ج1

الوديان والمنخفضات والأغوار ج2

الوديان والمنخفضات والأغوار ج3

الوديان والمنخفضات والأغوار ج4

الواحات ج1

الواحات ج2

الواحات ج3

الواحات ج4

السهول والمروج ج1

السهول والمروج ج2

السهول والمروج ج3

الأقنية ج3

الجزر ج1

الجزر ج3

الجزر ج4

القصور ج1

القصور ج2

القصور ج3

القصور ج4

الجسور ج1

الجسور ج2

البلـــدان

البلدان ج1

ـ أ ـ

- ب -

- ح -

- خ -

- ز -

- س -

- ع -

- غ -

- ن -

- هـ -

- و -

- ي -

البلدان ج2

- أ -

- ب -

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

- خ -

- س -

- ش -

- ص -

- ض -

- ط -

- غ -

- ف -

ـ ك ـ

- ن -

- هـ -

البلدان ج3

- أ -

- ت -

- خ -

- د -

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

- ز -

ـ ش ـ

- ص -

- غ -

- ف -

ـ ك ـ

ـ ل ـ

البلدان ج4

ـ أ ـ

- ث -

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- ص -

- ط -

- ع -

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

- ن -

- هـ -

- و -

- ي -

فهرس المجلد الخامس(*)

مشجّرات

(*) نظراً لعدم إمكانية وضع صفحة تحتوي على فهرس المجلد الخامس اضطررنا إلى وضع هذا الفهرس في نهاية الجزء الرابع. (شبّر).

خرائط